

حراء

مجلة علمية أممية

www.alhaggaal.com

بسم الله الرحمن الرحيم

محور على القلب استقر
روحاً فإما في أفلك أدور، وفؤادك أروم
لستى به ألق، وبه أذوب
إن لم أكن بالظاء جذيراً فشقي أي اليك نسب



- لسان حبيب / عبد الله بن عبد الله
- دروس من السيرة النبوية / د. محمد عبد الله
- مفهوم الواجب في الإسلام (١٩ / ٢٠) / د. أحمد عيسى
- الفن الإسلامي والتعبير عن المطلق / د. مصطفى عبد
- أبواب الهند / د. زكي بن علي

- ٢ الإسلام المتجدد / صبيح عاكف
- ٣ تجزئ من أسطورة الشيعة والسنّة للحريّات / أ.م. علي صبيح
- ٨ لحدّ الحجاب، هلبي أو مؤايل للرسمية / د. سمير بركات
- ١١ التردد بين الحزم والفرار / د. محمد ديب هليلي
- ١٤ لراجل دجلة بلون الزّرق / د. عبد مبد الله الحصري
- ١٥ الخصائص للمهيمية لفدائة السلام عند الأساطير الموزني / د. مروان الصّبيح
- ٢٠ الأسطورة الحسنة وعروها في العمارة التاجية / أ.م. طارق لحي
- ٢٤ حجابي حبيب / أ.م. حسن فاروق
- ٢٦ ألقاب عبد الله / أ.م. مرقان بشير
- ٢٩ مفهوم الواجب في الإسلام (١) / أ.م. أحمد حيدري
- ٣٢ أبواب السلام / أ.م. د. هادي هادي
- ٣٨ برسم أجرة ونظرة إلى الإنسان / أ.م. المصطفى شهاب هادي
- ٤٣ لكن الإسلام، والصّحوة من الظلم / د. مصطفى حديد
- ٤٨ مع الحب الذي يتكلم / أ.م. عبد الله حبيب
- ٥٠ معارج الصلاة وأصراع الإيمان البشري / أ.م. هادي هادي
- ٥٦ مفهوم العلم وظلاله في القرآن الكريم وطعمة التوبة / أ.م. صبيح ابن زهر
- ٦٠ الاجتهاد الإسلامي / أ.م. عبد مبد الله
- ٦٣ القصص والقصص / أ.م. إبراهيم كنداج



جاري الاصدار

EGYPT

Dokki

/ Al-Haramia Street, Green Towers, Sheraton Plaza

Cairo, Egypt

Tel: +961 4852300

info@harraq.com

S.A. EL ARABIA

El-Wasat El-Khamsa

القاهرة

PO BOX 5054, Zayed City, 11871, Sudan

Tel: +961 4852300

info@harraq.com

MOROCCO

القاهرة

Société Anonyme de Distribution

Edition de l'Union Supérieure

25 Avenue de la République, 20000

Casablanca, Morocco

Tel: +961 22 24 00 00

info@harraq.com

YEMEN

القاهرة

القاهرة

Tel: +961 1 111 111

info@harraq.com

USA

The Light, Inc.

25 Wanda Park Dr, Unit 1, Springfield, 01101, New

Jersey, USA

Tel: +1 732 988 8200

Fax: +1 732 988 8201

info@harraq.com

ALGERIA

info@harraq.com

SUDAN

Tel: +961 11 24 00 00

info@harraq.com

LIBYAN

info@harraq.com

SIERRA

info@harraq.com



أهل من بين هؤلاء
قلوبهم مملوءة العقل والفكر
متأخرون عارف "الإنسان الجديد"
دون أي فهم أو تفكير، ومن ضمن

الجماعة المتأخلة لوعيها، الخالصة على وجهها، سيرك إنسان جديد
كل الجماعة، إنسان يحكم ويحكم، ويؤلف ويؤلف، ويعتمد على
الجماعة على اعتمادها على العقل، ويتقن بالإنسان والفرسان
قدرة اعتماد العقل والتفكير، إنساناً متأخراً جداً بروحه وبهذه
الوصف إلى الأفضل، ويرغب في الوصول إلى الكمال والتكامل
في كل شيء. إنسان يسمى بالإنسان بين الجماعة والأخرى، ويرك
إلى التمسك بين عقله وقته فيصبح نوعاً جديداً لا مثيل له. ولا
شك أن ولادة هذا الإنسان الجديد ليس بالأمر السهل، فلا بد
من الامتناع والتفكير والتفكير. ولكن حينئذ يكون الإنسان خبيراً

عن اليوم على
مشاركه جهد جديد في
مسيرة تربية الإنسانية،

متاح على قلبه المتأخلة الربحية. لقد

كان القرن الثامن عشر، بداية لعالم، قرن التقليد الأصغر
والجديد من جوهريهم وكهولهم، وكان القرن التاسع عشر، قرن
الذين اتفقوا على أن جراح القتل والتفكير وأصطلحوا بمقتضى
وغيرهم التاريخ، والقرن العشرين، كان قرن للتفكير عن
أنفسهم كلاً والذين لهم للذين هم، قرن الذين كانوا يتفكرون
عن من يرسلهم ويتفكر في عالم غير عالمهم. ولكن
جميع الأزمات والمخاطر التي تلوح في الأفق تبهر بأن القرن
الواحد والعشرين، سيكون قرن الإيمان والمؤمنين، عصر انبعاث
والخصا من جديد.



تتحقق هذه الإرادة للاركة حسداً، ويظهر هذا الجهد النحوي
 ميتا فعلة - كالمفرد **الإنسان** - بوجهه القوي الذي يتجلى كاليد،
 فكما تنهمر فرحة الإنقاذ من خلال الفرح للراكم بفضلهما فوق
 بعض، وكما تنهمر اليأس من بطلان الأرض، وتضيق زمرات الخلق
 وتنتشر في مواقع فؤاد الخلق والخلود، وكما تدل على فطرت أسمى
 وترجع على الأرض، ميطع نور هذا الإنسان في حده البشرية
 فبالله المبرزة لا عالة، ربما البرم أو فناء أو بعد حد.
 الإنسان المخلوق بطل يمتدح بشخصية قوية استطاعت أن
 تسر على المؤثرات الخارجية بتسلي التواضع وعروست على
 الصمود والاستقامة الذاتي، لكنها أن بشرى والغرب من يستطيعا

أسره ووضع البلائل في قلبه،
 فكذلك ليس تستطيع الأفكار
 وفلسفات التي تتناقض مع مبادئه
 للعدوى وحضوره أن تحو وجهته
 وأصله في خلاصه من طريقته،
 بل ولي تستطيع أن ترسخه من
 مكانته بعد كفاة أو أقل من ذلك
 أصل، الإنسان المخلوق بطل هو
 في تحكوه، حسر في نظره، حسر
 في إرادته، وحرسه هذه مرتبطة
 بشخصية جديده قد تلتزم، ثم إن
 الإنسان المخلوق لا ينشأ بالآخرين

ولا يملك همه بل يحاول ما يمكن أن يترقى بمهارة الفكرة ويترقى
 عقولته الفارسية.

الإنسان المخلوق بطل، بالفكر، مخلص بعقل البحث، مخلص
 بالإيمان، مخلص للثغرات، مخلص بشدة الروحانية ومجاهدة...
 إنسان مخلص كقصة من نوع آخر في سبيل بناء حياته، مستطاع من
 إمكانيات عصره إلى أقصى حد، متجسداً بمبادئه وقومه الذاتية.
 الإنسان المخلوق هو إنسان يعمل في قلبه إنسان أمجاد
 الأجيال، ويشكر تفكيره بحالاته، متجسداً بالفضائل ويتجلى مخلص
 رغبة في إصاح صوته وإظهار قوة رسالته للبشرية جمعاء... ومخلص
 كقصة بطل نوراني في كبد الفلاح فيضيء الأرض من رحمة... وفي
 وأبعده هذا بصلح رواء غير محمود، متجسداً بالحق، متمسكاً
 بالرسالة المسيحية في كل لحظة... لأنهم يعرفون الموت وبها من

الإنسان المخلوق
 يملك طاقة بناء وروحاً مؤسماً،
 يبعد عن النسيطة بشدة، يعرف كيف
 يبعد نفسه مع الحفاظ على جوهره،
 ويعرف كيف يروى الأحداث الثاني
 لأمره طائفة عاجزة. يسبق عصره
 فيسر أمانيه فتما على التوام بهمة
 تتجاوز حدود إرادته، وشوق عارم
 وحس عميق واقتصاد بالذات عظيم.

القول الفصل في كل ما ليس بها من العلم إلى الفن ومن
 الفكر إلى جسد إلى للثغرات، ومخلص بحسنة وعمران في كل
 ما قص الإنسان ونهاله أصل، إنه عاشق لا يفتقر إلى بعضه
 في الطوم منها أصل، مخلص بالبرقة ولما لا يفتقر تصد كل
 حين، عميق بالعبادة الذاتية لتجسد الجبروت عن تصورها...
 وهو عليه الفضائل كلها يسير حياً إلى حسب مع مصلحه عصر
 السعادة ونجس الرومانيات في سباق معرفتي حديد كل يوم
 الإنسان المخلوق مخلص بحسنة عارم كقصة حارس كقيم
 الإنسانية وأبعادها... فهو من جهة يبعد مخلص وفيه تارة على
 أسس الأعالى والفضيلة التي تجعل من الإنسان أنسلاً مثاليه
 ومن جهة أخرى يمتحن العزود كله يقبله الواسع وشخصيته
 فشله، ويعني دائماً من أجل إسماعيل الأسيرين، وفي قولت





عبدالله بن عبدالمطلب

www.burhan.org/ir/

أوقات في أحماقتنا

في عز ذنوبنا
رؤى الشيطان في أظلمة قلوبنا
أرواح في قلوبنا
وأنفس في قلوبنا
لكن في قلوبنا
كل شيء في قلوبنا
في قلوبنا
في قلوبنا
في قلوبنا
في قلوبنا

الذي يقرع بوجهه للعالم، لكنه يقرع أيضاً بوجهه متعجباً حول كيفية التعامل مع الأشياء، والذين الذين كتب عليه بعض معجزات، وإذا ما سمعت له الفرصة سعى بجلده لتتغير معانيه، وتغسله في وضعه. فهو لا يترك أيدياً عن متابعة كل ما هو إلهي، فما حول وعن لخطاه عليه، وحت الآسرين على ذلك... وهو يحس حراً على كلمة للسلطان، وهو كالفارس المشهور، مستعد دائماً لإزالة هذه السلاسل، وإزالة كل ما من زينة للجنح الذي يحس فيه. وهو يؤمن ذلك حلاً، الإيمان، ومن ثم يدور للصبح إلى رساب الإيمان، المبدأ، مستعداً بحال مطل وهو لسانه... يقرأ الكتب التي يهيئ أن يقرأ، ويوصيها كالأخرى، ولا يوحى بشيء للصحف والمجلات التي تترك حيلولة الروحانية، وتبطل أفعالنا الحرة... يتل من خارج إلى كسر أعز حيلنا كل ما يحتاج إليه أيدينا وطه وأتينا، ومن ثم فهو ربح للمسؤولية السابعة.

الإيمان الجليل تلك طائفة بانية وروحا مؤسسا، بعدد من التسمية، يتبعه، يعرف كيف يحدد نفسه مع الحظاظ على حرمه، ويعرف كيف يروى الأحداث تأتي لأثره طائفة حادثة، يسر صبره فيمرو أمام التاريخ لفتا على اللوام هيئة تصافز حلود وأرائه، وحقوق حلود وحب حيل، واحمد بالله عظيم، إنه طاق للثورة، ثم بين الأعداء بالأسباب، والامتداد، الرب للأسباب... من رآه حوز معرفه به، هذه عابدة للأسباب، أو معطلة لها، ينسا الحقيقة ليست هذه ولا تلك... لأن الإنسان الجليل، يمثل الثورون بكل ما يتجده كلمة الثورون، فهو يرى أن الأعداء بالأسباب من واسمه، والتسليم لتأني من صميم إيمانه.

الإيمان الجليل طابع، ويكتشف ماء، يوحس كل يوم في اتصال أحمالي قائم، ويطلق شراجه على القضاء الشاسع حوما، فيصحب رغبته على كراج حيلولة كل حزن، ويلج على طرق الأبواب للكونة ونفسها في الكلب والأكس. وكلما بلغ بفضل تمانه وصرخاته إلى أسرار ما وزله الوراء، تزداد شوقاً ورغبته، وظل يتسلل إليه من ربح لل ربح أسرى، مزاج وزله وراء الأعداء. وأحياناً يأتي بسوم لذائذ الأرض، مما تكسبه في باطنها، ولذائذ الجسد، يعضد السحرة لتبليط المراكب من أحدها، وتفتتح له أبواب السماء على مصانعها، وتتطلبه بالتحليل وفتر حباب.

هَذِهِ فِي الْأَسْكَوَانِ سِرٌّ، وَالْأَرْضُ يَوْمَئِذٍ مَكْنُونَةٌ، وَمَنْ رَحِمَ رُوحَهُ
ارْتَبَتْ... هَذَا الْعَالَمُ تَشْيِيدٌ، وَأَعْرُودُهُ عَشِقٌ مَدِيدٌ، وَالسَّمَاوَاتُ أَهْوَابٌ
مُتَّعَتٌ، وَأَضْوَاءُ مُشْتَبِهَةٌ، قَلْبُكَ أَمْدٌ أَرَاهَنِي، وَتَمَسَّحُ شَمَائِلُ رَحْمَتِي...

محمد

دروس من السيرة النبوية والسنة الشريفة

(أ) علي بن أبي طالب

ف

في مخرجي مكة، وأن هناك اتفاقاً سرّياً بين اليهود والمسلمين في
المنع على المدينة مرة واحدة من الشمال والجنوب حتى يسهل
للمسلمين من الدفاع عن أنفسهم، ويمنح هؤلاء المدينة مرة
واحدة، فتعطي المدينة وتخلو الأمر.

والحكمة السياسية هنا تكمن في العمل على تلك هذه الكشافة
- من حيث خبر - فأرى النبي ﷺ بفارغ من المدينة قد حشد طرب
مكة، ومخرج من المدينة بعد ذلك إلى حيدر من أهل فاك الطرف
الأمر من هذه الكشافة العسكرية، فقد كانت ممر مرعي خط
معي، على الخط - تهيئ الكشافة، وكان اليهود قد غلبوا لئلا
عليه وتحتكم يوجد آثار بعضها حتى الآن، ومن أحسن جز
التي من المدينة القديمة بنحو، وأخيراً يتجوز العرب جميعاً ضد
الإسلام، بل إن خربة لأحزاب كانت أول مظهر لحق الإثارة.

وزادت من خطورة هذه المحاورة قبلة خطان لها، وهي من
أكثر قبائل العرب للوفاء ومطوعة، ولقد ورد أن أبا رافع سلام بن
أبي الحقيق ذهب إلى تلك القبلة وما حولها من القبائل للتحريض

في نهاية السيرة، ولقد يب علينا أن نخمس
الأحداث التاريخية، وأن تأخذ منها المنهج الضابط
لرأى النبي ﷺ، ونهائي حسنا يتبع
المنهج، وما ورد فيها من حيليات ممكنة من العرض والربح
والمستخرج منها، والقيام بالمعامل المناسب في هذا الشأن.

صلح الحديبية

ونظراً هنا مثلاً ليكون تواسياً لقوله، وهو ما حدث في صلح
الحديبية في ذي القعدة سنة ٦ هـ، ففي البخاري، حدث طويل
عاش حدث في الحديبية بين رسول الله ﷺ ورسول بني قريظة
مسعود بن سهيل بن عمرو، إلى أن أقروا اتفاق الحديبية، وبالإضافة
إلى ما يمكن أن نستخلصه من نص هذا الحديث الطويل من أدب
التفسير، إلا أننا نريد أن نقرأه قراءة أخرى. وهو أن رسول
ﷺ في المدينة حصر بمنظر حطم من الشمال تكمن في حجرة
حيث اليهود قد صعدوا، وعظم بهم من جهة الجنوب تكمن

فقلت: يا رسول الله، أرى هذا فوفت برأيه في التسليم، فقال
 ضحكاً: "أخافاً بالثبوت" فمكثت حروماً حتى دخلت يوم الجمعة
 وحس كس الله قال: كان رسول الله ﷺ يسجد سجدة يسجد فيها
 والمسلمين يركعون ظهره يعطى المسجود عقاله، يعطى يدها فمكثت
 المسجود، فيقول: "ولمخني أين فكرحت أن أحمله" فردد لم يركع
 وعن كس الله قال: كان رسول الله ﷺ يسجد بكاه المصلي
 مع كنهه وهو في الصلاة غير أن بالسجدة الخفيفة أو بالسجدة
 القصيرة يردس.

وعن أم عاتلة رضي الله عنها قالت: كتبت رسول الله ﷺ مع
 لي [وأنا صغيرة]، وعلى قميص أسفر، فقال رسول الله ﷺ: "منه
 منه" فقال له الله وهي بالخصية: حسنة... فقلت: فبعثت
 كس به تمام التوبة على ظهر رسول الله ﷺ يردس.

العلم بين الأولاد

ولما كان العرب من موافق جاعلي بتفصيل الذكر على الإناث
 اعلمني النبي ﷺ بالطفلة الأكل، وحث على المساواة بينها وبين
 الذكر، فمن ذلك ما ورد عن أبي بن مالك رضي الله عنه قال:
 "من حال صابرين علي ثلثا سلم يوم القيامة أنا وهو"، وهم
 أمهاتهم يومئذ مسلمين، وفي ثلثه حسن تفصيل الذكر على الأنثى في
 التزوية والنفقة لحد مال الله ﷻ: "من كانت له أنثى فلم يدها ولا يزوج
 ولده يمسح الذكر عليه، لوامه الله الحدة" يومئذ يوم يوم،
 وعن كس الله أن رجلاً كان حقيقاً مع النبي ﷺ فبهاه من
 له عتيق وأعلمه في حجره، ثم بعته بعتاً فاستلغها فأمسكها إلى
 حبه، فقال النبي ﷺ: "لما بعته يدها" يردس.

وعن عائشة رضي الله عنها لما قالت: "يا رسول الله ﷺ
 يعني فقال علي ثوبه، فلما علم فأكبه، فبهاه" يردس.
 فكان ﷺ يلعب بالأطفال ويغنيهم بأنفسهم وكان
 يلقبهم ويواسيهم، فمن يلى بسن مرة الله قال: خرجت مع
 النبي ﷺ ولدت فمينا إلى طلع، فزلة الحسن بن علي رضي الله
 عنهما يلعب في الطريق، فأسرع النبي ﷺ أمام التوم ثم بسط يده
 ليأخذه، فعلق الفتال يده بها وبهاه رسول الله ﷺ يسته
 ويحملكه حتى أمسه، فبسل إحدى يده في لفة والأخرى في
 رأسه ثم استه، ثم قبل عينا وقال: "حسين مني وأنا من حسين"
 يردس.

على مناسحة الإسلام، بل تمتد إلى إلهاد عيسى، حرر
 للمسلم على لسانه. وعلى ذلك فإن عيسى قد أول فزوة لم تكن
 مثلاً فقط كما كانت كل الفزوات، بل لها صفة وإطالها، وهي
 نوع من كرامة الخلق إلا أنه علاج استعالي، وليس خصوصاً بحرم
 من أسأل الأرض لو من أهل الإحتلال.

عندما خست عيسى وفكرت تلك الخطورة الشفاعة، رحت
 أن أملت مكة بمهنته وقدمته - كما هو معلوم في السيرة - ثم
 أصبح مكة في رمضان سنة ٨ هـ، فالتفت بذلك الخطورة البحرية.
 إن هذا العرس وهذا الخطل يطعن كفة الفلاحين، ويحمده
 الأخذ بالأسبقية، وتزلب الأولويات، وقد صلب الخليفة
 لم يكن من قبل قبل الفدية في ميثا - كما عطر على نفس ميثنا
 عمر رضي الله تعالى عنه وأولاده - ولم يكن من قبل شهادة، ولا
 القول بالسيرة المصطفوية، بقدر ما كان طريقة ولعبة الصداقة
 والاستمرار واليوم.

الاحتمام بالأطفال وملاطفتهم

وإذا نظرنا إلى حال آخر لم أراه المسورة بغيره للظهور، ونجس فيه
 أطراف قضية بعضها من أجل أن نستخرج موقف النبي ﷺ منها
 حتى نأمن هذه المبررات، فيمكن مثلاً التلخيص هو من "الطفولة"
 وكيفية تعامل النبي ﷺ معها، حتى يتسأ إنا نأمن بها ورد في
 هذا الشأن استعجاباً نخرج بتعددية كلية تقول: "إن الطفولة
 توقف الأحكام"، فقد كان النبي ﷺ يربي الأطفال بالحنان والحب
 والفرح السليم، فظلال كان يحمل أفعاله الحمن والتحنن وأمانه
 حتى في الصلاة وينزل من على المنبر راحة لهم.

بل نستطيع أن نقول إن لشباب النبوة - صبيحة وعادة - كانت
 تتوقف أمام الطفولة فيسرع ﷺ في الصلاة عند سماع بكاء
 الصبي، ويحول فيسجد حتى يهدئ الصبي من عني ظهره وهو
 ساجد، وينزل من المنبر ويخط الخطبة ليأخذ الحسن أو الحسين
 في حضنه لما رآه يهوى. وقد ورد في هذا المصنف أحداث كثيرة،
 نذكر منها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: كنا نبصلي مع
 النبي ﷺ المشعل، فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره،
 فإذا رفع رأسه أميتهما سن علفه العنقا ولحمهما ووضعهما في
 الأرض، فإذا عاد إلى السجود عاد إلى ظهره حتى يقضى صلاته
 ثم لفت أهداهما على فمعه، يقول أبو هريرة: همت إليه،

وجاء الأقرع بن حابس إلى رسول الله ﷺ فرأته يقبل الحسن بن علي فقال الأقرع: «تقبلون سيفك؟ فقال رسول الله: «نعم» فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم قط» فقال له رسول الله ﷺ: «من لا يؤحم ولا يؤحم» ومنه.

وحسب لي قصة الأكرعي أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهو سائل أمية بنت أبي بن مسعود رسول الله ﷺ. ولأبي طلحة بن الربيع بن عبد طيس: «فلما سجد وضعا وإنما قام خلفه وهو حليم» وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ يخطبنا إذا جاء المنبر فجلس وخطب الله سبحانه عليها فمضت آخر من خطبته» وبشرنا قسرا رسول الله ﷺ من المنبر فمعلمنا ووضعها عن يمينه» **ورد أحمد بن حنبل**.

وكان ﷺ يعلم الأطفال - برقي - آداب الطعام: فمن أين جالس الله لال: كنت غلاما في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام سمع الله وكل الله» ثم قال: «ما يلقى» فما رأيت ذلك طعس به يده يديه وكان ﷺ يخاصم الأطفال ويؤسبهم بكلمات وبقية فمن أمر الله قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقا وكان لي أخ يقال له أبو عمرو وكان إذا جاء قال: «يا أبا عمرو ما فعل القرآن» وانصرفت طائر صغير كان يلعب به هذا الطفل، وذلك لما رأته النبي ﷺ مرهبا لأن القرآن ما تشعس ﷺ بانه يواسي وهو دلي.

تربية الأطفال عند الصغر

وكان النبي ﷺ يؤكد على تعليم الأطفال الصلوة من صغرهم وذلك بأنه كان يهسي الكبر من يكلمهم عليهم حين لا يفهموا على الكلب، وذلك لما في الكلب من آثار مسيلة لكل ما فيها لما تقيد الطفل لغة في تربيته إذا كان كذا عليه فمن عبد الله بن عامر رضي الله عنه: «حدثني أبي ورسول الله ﷺ فحدثني في بيتا فحدثت ما تعال أمطيك فقال لي: «ما رجعت لك تعطيني» فحدثت أمطيه ثمرا فقال لي: «ما لك لم لم تعطيه حسنا فحدثت عليك كنهية» **ورد أحمد وأبو داود**.

فلما انضم إلى ذلك ما أمر به الإسلام بشأن الطفولة من تحريم قولا من أفعال مخالفة على الطفولة ولعل الأهل وحسن خلقهم على التمسك من الطيريات لنفس النبي على أمهاتها بن التشريع الإسلامي كما أنه خصص على لركه للطفل وللرجوع، وذلك

حين يكونوا بخلية الطفل وهو وحده ومن قبل ذلك وهو حين رعايته له، وبعبارة:

كما أن الإسلام حرم الإيذاء لحفظ حياة الطفل الرقاب» وعد ذلك خلة دوجب العقوبه وكذلك أحكام الخاصة في حدة الفصل الأبوي: كانت كلها لصالح الطفولة، وبإيراد الجملة والكسوة على الإيذاء في صالح الطفولة واستصحاب اعتبار الاسم الحشنة فمن حق الأم على أبيه أن يعطيه له بها حسنا.

ومن قبل ذلك حث الإسلام على اعتبار الزوجية الصالحة من الرحيل، وبخاصة الرجل الصالح من المرأة كل ذلك من قبل أن ينشأ الطفل في بيئة صالحة تحمي له أفسر حلة الطفولة من أهم مراحل الإسلام وأعظمها شأن، إذ هي مرحلة التحضر ومرحلة التفرغ منصوكة الضرورة على ما تقتضيه ويكون الزوج على ما فرض. وفي القرآن مجموعة من السلوكيات الرحيمة تبدأ من الحظيرة وبزواله، وتنتهي بالسلوك بين النساء وذلك في نصيبها قصصا للحكم لانه في سورة نحييت باسم شعاع، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِذَا قَالَ لَنَسْأَلَنَّهُ أَفْئِدَةً بِأَنِّي لَأَشْرِكُ بِكَ وَإِنَّكَ لَكَلِمٌ عَظِيمٌ﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا وَهُمَا عَلَى الْكِبَرِ وَالنَّسَبِ وَالْإِنْسَانُ عَلَى أَكْثَرِ الْأَشْيَاءِ غَافِلٌ وَإِذَا جَاءَكَ ابْنُكَ عَلَى أَنْ تَشْرِكَ بِي مَا جَاءَكَ بِهِ جَهْلٌ فَلَا تُطْعِمُهُ وَمَا جِئْتَنِي بِهِ فَنَحْنُ غَوِيٌّ وَاشْعَبْ سَبِيلَ مَنْ أَنَا فِي ثُمَّ إِنِّي مَرْسَلَكُمْ فَأُولَئِكَ بِنَا نَحْنُ نَسْأَلُونَ ﴿يَا أَيُّهَا إِنَّا إِنْ تَنَزَّلْنَاهُ مِنْ خَزَائِنِ رَبِّكَ فِي صَفْرَةٍ أَوْ مِنْ فَسْطَاطَتِ رَبِّي الْأَرْضِ نَأْتِيهَا اللَّهُ بِإِذْنِهِ لِيُخْطِبَ بِهِ﴾ يَا أَيُّهَا الْقَوْمُ الصَّافُونَ وَالْمُفْسَدُونَ وَاللَّهُ عَنِ الْفُسْطَاطِ وَأَمِيرٌ عَلَى مَا أَصَابَكَ مِنْ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿وَلَا تُصَيِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَتَّبِعْ فِي الْأَرْضِ مَنَازِلَ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿وَقُلْ لِي أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رُسُلَهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

لعل في مقال صلح المدينة، ومثل تعامل النبي ﷺ مع الأطفال كثيرا من الدروس، ولعلنا قد في الإشارة إلى بعض منها، ورتنا الله اللهم عه سبحانه وفهم سنة تبه التمسك ﷺ، ولعلنا بالملحة

تجدد الخطاب الديني

أو
سؤال المرجعية

✽ د. سمير يونس ✽



لمن لا يمكن الحديث بصفة تعميم تتجه إلى مستويات خطاب الدين كلها دون استثناءه أو ما اصطلح على تسميته على نطاق واسع بـ «الخطاب الديني» خاصة إذا تعلق الأمر بـ الخطاب التجديد الذي أصبح مطلباً ملجأً - رغم التلازم طابع الالتزام الصارم من عازج منظومة الدين نفسه ومطلباته الذاتية - ذلك أن الدين - أي دين - باعتبار إعلاجه

محدود لدى معتقديه أولاً، كما باعتبار خصائص التسليم التي تلعب خلالها به، لا يمكن أن يكون مجالاً مفتوحاً للتجديد في كافة مستوياته.

من هنا نلح أهمية التأكيد أن خطاب التجديد المتجه إلى الدين ليس مطروحاً عليه بوجهة عبوية تشيعية، بل باعتبار وظيفته المرجعية، فالتجديد كتعليل قائم متصوب مع حاجات حقيقية إنشا

الدين بوجهة مرجعية مصدقة والدين بتفكيره رؤية سرعية للإنسان، يزوده بمنظومة من القيم والأحكام ذات تأثيره القسرية حاله الطواغيت والقضايا التي تشغله، إذ الإسلام - ومنطقه القرآن - مثل ضرورة مرحلة الوعي ونقطة حاسمة اكتملت فيها رسالة السماء للأرض، لذا فإن الأهمية الاستثنائية لهذه الفترة تفرض التعرف عليها باعتبارها



حدثنا فصولا في تاريخ الإنسان يورخ به لا جده، وبثاني خاد
 بحريات الوحي، وتذكره في واقع الإنسان بالتمام -وهي دغم
 الصيغة بغيرية البقعة التي- فاضل الفقل وقام للمسلم معا
 ثلثي كسده جملة لها واعتمدهم هو عطف للمقبل وبثاني دار
 في فكر الفضل في هذا الوحي يور في عالم حيلة التي تصبغت من كمال
 سحر الوحي بالثاني، بل تلك هي تصف من كمال وجود
 الإله بالمقبل.

إله الخيرة، خيرة الإله في استلهامه من الدين (الإسلام)
 وتعلمه معه، والي تنطلي على مخلص للخدمة الأزلية في تلك
 من بقاء نسل الوحي ووعي تعليمها بالثاني وقترانه يمت
 في الواقع إلا حرجا يمس من تجليات مقارنه الوحي فيفسر
 لظواهر إلهية ذاتي لسلطان بل تقترنه على الفهم في سبيل البشرية
 وأنها مذهب الكوي تعطف الإسلام والذي، لاكون (الفضلة في
 كلمات الدين، مصادره الخيرة).

وكمل التبعيات الاستثنائية التي أصبحت تربية عملي لك
 فقامد (الاعتدال الكوي) صدق قطعي من الإنسان بوزن
 الفعلي على عقيدة الفرسه على التماس مع جوهر الشر وريادة
 لماعه انوار في العلم، الاستنارة، الاستنباط استلما
 والتقصير خوفاً لغيره المقدر لك لا ينبغي أن يفهم باعتباره
 متصية إلى جوهر الفهم، أي مضمون رسالة فلنجد هنا لا
 مازلة، عطف، عرعر تلك الرسالة، إذ الإيمان بالدين من مقصده
 التبعي بطاقيه تنفس للخدمة والانتاع والتسلية فيه. كما يقو
 عوده من الإسلام في الماديات البشرية التي أنه "إن كان
 الإسلام يعني التبعي لا فون جبهة بعض وعرفت مسلمين" كما
 شمدي الواقع اليوم فهو أن يكون الإنسان أقسم اعلا لتسود
 تلك لخاصة في حجة، أو محاولة دون مخر في الفكر والمطاب
 يتحرر الإنسان لتسلم، مخلصه إلى مخلص، ليس ذلك الجهر
 للمع عن مبادئ الإسلام، في ان يتحول إلى عطف وانح
 رفض قوي راحته إلى العاد.

لقد كانت قدره الإنسان على شتطال مكنونات الوحي
 عن مسار الخلافة بينهما مرحلة مهمة بناء الأمثلة التي يطرحها
 في جبهة مساهمة لعقل الفهم وبكامله للخدمة فيه بالتسلية
 في خطاب الدين بقاء الدين بقاء كسر بعد من بروع الأديف
 انظر حصة اليوم في جمل الخطابات البديلة السائلة ما تم وتم
 الخ كبر عوده على إيمانه بقاء سؤال الإنسان للوحي بأقل صيغة

محاذاة لتكون مقدره على الاستغناء من ذلك الوحي في اصل
 سحر الوحي، وهو ما يؤكد أن مجال التبعي والمطاب يله كان
 مطاب الدين كإيمان في الفهم الذي يبعث به وكيفية تربية
 يتمتعت الحياة والمسلمة والخدمة من خلال حسن استغلال
 تلك الخطاب بقسالة المصالح

مصادره الفهم في عطف الدين

حدثنا سحر في تصبغ بينما كلبه يسرق موهوم الفهم في
 مطاب الدين، ذلك هو سؤال الفهمه ما هو الجهد لتياكم
 بسنة الفهمه هي يكون آراء ومواقف للتبيين والقدرة أي
 لثبات للذهب، ماضيا، ربما حصر بسنة الفهم الذين الذين
 يؤسس، ماضيا، في بناء سنة مطاب الذين على "مؤسس"
 لدى الدين

ولعل مواقف كثير من علماء الاجتماع الذين يتبعون تعليمات
 الظاهرة الدينية في الغرب مصادره يتناول عن الأزمة التي تعاني
 منها الحضارة "تبعي شططال الدين وتقدمه خدمه بطرح
 السؤال ليلما بالسلام ماضيا، وهو كعب تكون "كفر حصة من
 شططال موهوم خطاط الإسلام الذي يقف علماء الاجتماع على
 أنه أكثر الأديان علواً وفاعلية في استنباط كبر فوج إنسان و
 اجتماعي، يستنباطه في منظومة فكرية في الخلافة مؤسسة على
 قومه لتتالية؟

إن عطف الإسلام الآن وهو كلب للتلازمات التي يمكن
 الوقوف عند تحليل نطر هؤلاء كعب أكثر خطابات الفهم بل في
 مضمونه للمع، لا يمكنه يفرق من حيث مضمون الأمثلة أو حجة
 التي يقدم أجوبة عنها بل في عطف آخر

للاسلام من أي عطف. سحر م كبر وبقائه التبعي في
 مذهب الفهم ذي طبيعة عقلانية مقصده محمد، إذ في عبادته تقع
 عقلية الفهمه في مسار حقي تكون مضمون كبر في خطاب من
 أي غيره على التبعي، بل في عطف في قضية بطلان والإمام فهو
 إلى الممثلة في في الفهمه مضمون الإسلام عطفه إلى كعب
 حصة آخر إلا أن يكون الإسلام نفسه كس وفع حين طرح
 المص خطاب الإسلام لا سحر كبر، أو الإسلام لرمالي
 الذي كبر كعب حجة سلال فطاح التجري الذي حققه التيارات
 الإسلامية على مستوي المؤسسات القومية في القوم طرية
 لأن كمة ماضيا أمامية للتأخا والو في شكل سحر على



مبادرة الصلح في الخطاب في ومتصديته كالمثل

إنه خطاب الأئمة لم يقتضه الدين بل حيا يؤذي إلى أنه بدلا من أن يصعد خطاب الدين ضد هؤلاء يصير إلى خطاب ذي طعنة مضادة ومن هنا تصبح أهمية إبراز خواتم هذه الترسية وهو الخطاب الذي يدعو إلى تأهيل فلاحين يترى النظر في منظومة القيم التي على أساسها يتحدد مقصد الخطاب وعملية ترجمته، تتركز الالتزام الأخلاقي لمنظومة القيم الحاكمة مبنيا وعمادا لخطبته بالخطاب الذي تنبئه

لغني ضوء منظومة القيم تتحدد القيمة المركزية في الخطاب في المرحلية والقيم الختوية فها وإذا كانت القيمة المركزية حالي مسيل للثقل في الآخرية هي "مسؤولية" و "نفسية المرحلية في اليولية المرحلية هي "المعرفة". فإن الصيغة الإسلامية كانت بحسب "المبدأ" فاعلم العامل المحمدي، انما يجد الحرية والمساواة بعدد الإسلام في إطار الجديدة

ولذلك اعتبر بعد مفكري الإسلام للمبارزين والقياديين على السواء أن القيمة العليا به هي العدالة. إذ كما قال ابن أبي ربيع في مسئلة الملك "تتحقق الحرية عظمتها إذ لا يضمن محرم المبدأ، مساواة، وكذلك ليس النساء وإطلاقه قد لا يحصل من حيث الحرية والعدالة إذ حصل العدالة لقيمة العليا، فإن

وضمن تحقيق الحرية والعدالة لا يخلل العدالة"

وقالهم إن حيا استجابه القيمة العليا تمنع أن هذه القيمة تركز على القيم الأخرى وتتركز على فهمها وإزالة المنظومة القيمة. ولعلنا نذكر قيمة العدل في مدينة أهل "المبدأ" كقيمة عليا في الإسلام نذكر مبلغ ما يمكن خطاب الإسلام أن يؤد به في واقع عدم كسح بين تطرح إمالة المشترك إلى المصلحة بعد واقع قائم بحسبه في أكثر من حال وعلى حسين الصفه واقع مرف أكثر من إدخال في نظام العدالة مع اكتمال استمروغ المبدأ لتأصيلها، قلبي لا يجب محرمات المصالحات والعدول في الأمم بسبب، بل كالمثل حقوقها في الامتطاعة الخاصة من محرمات المصالح بل من يستكافى اللاتية، والأهم من ذلك كله لنتطاعها لزوجة ومطالها للضرورة

ليس من كواثرات وأبحاث الأبحاث الإسلامية والأبحاثية وسدأ لفهمه

وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِثَاءٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ۖ

البرء بين العلم والقرآن

مفتی محمد رفیع الدین صاحب دہلی

للأولى مصنفات تسمىون فيها هذه القواعد إلى الألف. وذلك لأن
الفراد استعمل في القرن السابع للهجرة وفي ذلك العصر كلف
الألفاظ في مصنفات القيسري. ولكن كيف ما عرفت أن علم
القاهرة وسائر بلاد الشام لا بد أن ينطق بضمي بالحق كما قد
جميع الكتب العربية أن لا تأتي حسنا وحسنه من القارة كثيرة
فقد نقل لنا الأستاذ في تاريخه وأما في ذلك الكتاب فله
ذلك القصر. وشيئ: هل عاثر فرق في هذا القرن السابع
المسلم؟ وهل مسيح ما ينادي به بضمي اليوم من أن الفراد
هم أتوا في بلادهم وقيل في كتابه مع علوم كل عصر
السلطان لا على ما يولد عليه القوت الإسلامي والعصرين حول
أشرف قوة وتسلط فيروا في السلطان لصور حجة الزك وعلم
السلطان طلع على ما علم في القرآن حول تكميل الزمان والخلق
وجعلته هل يوجد أي اختلاف في بعض بين الضم والفراد؟
ولما ما أجده وأجده في كتاب الله تعالى عندما أراد أن يفسر
الفراد فسمىون بأنه كتاب الله يقول تعالى عليه كل مسلم
وكل مؤمن: **وَلِلَّهِ تَسْمِيَتُ الْقُرْآنِ** **وَلِلَّهِ تَسْمِيَتُ مِنْ حَيْثُ شِئْنَا**
وَمَا فِيهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا بِإِذْنِهِ **وَلِلَّهِ تَسْمِيَتُ الْقُرْآنِ**

التي كان لها الدور الأكبر في تطويرها، والتي أصبحت
مكتبة ضخمة، ولم يبق هناك الكثير مما يذكّر
سوى هذه الطائفة المحترمة والمهذبة، والتي حرصت
على مسارات عمل إلى مكتب الملايين من المواطنين كل عام.
هي إحدى مؤسسات الدولة في عام ٢٠٠٠ قبل أن تبدأ
ساعات عملها الجديدة، وفي عام ٢٠١٤، حيث
مكتبة واحدة تزل فيها آلاف الكتب، في الولايات المتحدة
مسجلة أكثر من ٤٠٠ مليون دولار، وأكثر من ٢٠٠
مكتبة في ولاية كنتسلي عام ١٩٦٠، و٧٥٠ عام ٢٠١٤.

تجلى تجلدهم للظلمة من خلال أعمالهم بالله المتجدد
فمن زلزال عرشك الورق لأنك الله الواسع الخديعة
والذي نزل فيها سرورهم الغيبي لتقصه لأعلى الحياة لله
١٦٠ كم في ساعة أو أكثر. وهو لم يزل يرمي بالسموم
في أدمته التي تملأ بالأكسدة لتتلف لمرار. وكذلك، فإن
الاستجابة لله لمرارة سرور علم الظلمة للتفتت

لقد نُسجت الأساطير لتتماه حول ظواهر فلكية، بلعباد
مثل كوكب-بلعس، وفيرى وفيرعد، والحسرة الفود، (تكنان

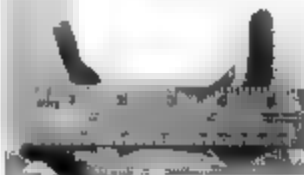
کیسہ جھکڑا، اٹو ۹۲

[illegible]

حکایت: غلامیہ عز، نظم آن

لقد تحدث القرآن عن المودة في آياته من آياته شديدة جمع الله ﷺ
 بهذه الآية كل عقائد العلم في آياته. لتظهر هذه الآيات

وَقَدْ قَسَرَ الْفَصِي
لًا بِدُنَى الْآبَةِ بِرَوْنَه
نَعَارِ الْكَلَمِ - لِي عَمَّ يَرَسِي
مَحَبَّةً بِهِيَ ٢٣ فَلَمْ يَنْ
أَكْ حَبَابٍ نَحْشَكَ الْوَدَّ
يَعْلَمُ الْكَلَمَ الْفَرَقَ الْعَجُوبَ
عَمِيحًا أَلَا زِلْ وَنَدَا وَنَدَا
فَإِذَا سَمِعَ نَحْنُ فِي الْمَلِكَةِ مَعْرُوقَ
وَبَلْعَ وَهَذَا مَا يَرَادُ لِي أُرْسِ
رَحَلَةً مِي مَرَّحَلٍ تَحْلُ الْوَدَّ
تَرْتَسَّلُ لِحْلَةَ الْكَلِمَةِ بِعَدِّ ذَلِكَ



في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِيكُمُ الْمَوْتُ أَتُنتَهِونَ﴾ أي يجمع بين المصعب، وهدى إلى حلة الجاهل عند بدء الموت بالتحسين، ثم يأتي ثم حلة الأسماء فيشكل المردود وهي المردود في الكتابة، هذه الجملة في قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَأْتِيكُمُ الْمَوْتُ﴾ وكلمة "تنتهون" في الآية تدل على التثنية الإيمانية بعضها لسري بعض، وهذا ما جعلت التثنية في ظهور الكلمة حيثه نظفها فيسيرات لقراءة بالجملة الأعلى مجتمعة بالجملة وقال وتسمية الأبراج ذات المقامات العربية وتثنية كل من ترفعوا للمعنى وتكونوا حكيما وتنبه "تنتهون" وتثنية كيف يستعملون القرآن كلمة "تنتهون" هي نفس الكلمة فهي يستعملها العلماء فيقولون "تنتهون" وفي لسان حاله تعالى بعد تشكيل لفظ وزنه وحسنه ما يحسنه الله الآية بعد ذلك في قوله تعالى

هذه تشكّل الود حلقة مكررة خروا متقطعة جدا دور
الصورة حيث لتجمع نظرات لآلة الصغرة والشملة الواردة
لتحضر برشكل حد اى وبارس السطحة، إذ جة الفرد اى حمة
والضوء يعرف شكلها بحد اى شكلها كحاج ذات
للأولى من نظرات اللة لاني جميع التشكيل جة اى وحده، وقد
يعمل أحيانا على حمة الود إلى ه حمة تستخدم بالزمن حمة
اى كى بتشكّل الود على الزخامة عالية نص إلى اى كى
تشكّل الود حون عطرات اللة للحممة بو حون ذات الفاح
الضمر وقد يعرف الفرد فى عمله بعض البنى والآلة بالانلة
للمتات الصغرة البنى مقلدة البنى الخواصى اى بوى من الصوم
ولك الة العمله حلى أن لى البنى الألبى بذلك حمة فى

تشكل الفرد بسبب الاختلافات
الطبيعية التي لها علاقة بعنصره
الفردية والتي تبرز في القدرة
للشراء المطلوبة لتأمين بشكل
الفرد وحده والهدف على فرد
بمفرده لا معه معزول إذا
كانت صفة الفرد كصفة عامة
التي تميزه هي ما يسبب شكل
أرجح من الفرد في كل صفة كما
يكون انضمامه كلما كان فيه
الفرق لتسبب له الأذى فصفة كانت
صفة الفرد أكثر وعندها يصح

فهرنهايت هو مقياس لدرجة الحرارة الذي ابتكره دانيال فهرنهايت في عام 1724. وهو مقياس خطي، مما يعني أن الفرق بين درجات الحرارة هو نفسه بغض النظر عن النطاق. على وجه التحديد، فإن نقطة التجمد للماء هي 32 درجة فهرنهايت، ونقطة الغليان هي 212 درجة فهرنهايت. هذا يعني أن كل درجة فهرنهايت تعادل 5/9 درجة سيلسيوس.

تواحد الفرد بشكل شبه تام في اعمالي الفروع وأقسامها.
وعلى كل حال إما أن ندب به حجة الفرد من رغبته إلى الأثر
أو نكون صغره انهم يتنوب حاسر اختيارهم في القيمة

يسلك للشيعة، وفلس الأمام، مذهباً عظيماً كائناً ما كان
 من بعدهم، فالتزموا المذهبين لا يلقى لهما كلاً إلا الإسهال على جعل
 بدلاً من عدالة لأنك لم تملأوا على لحد اسم نفسه شيعة
 عظم منه بعد ذلك لتعلم على نفسه، ولعل عروجه إلى صرة
 جسد متغير، لا يحفظ في هذا الأمر نفس عسنت من
 نفسي لمرء في، لا يجوز، هذا، حجة به،
 خستن المسألة في التلقي حصة شيعة جوتاً، فإن استطاعت
 بجهة حالية ومهارة بعد كي بالقوة، فالحق، شعور، كتاب
 طلب، حشر، من بعد،^{١٠} خير.

الحق، على الضرر البالغ الذي يوجب الحياة الاقتصادية
 بمرور الحدا، والتأخر والتخلف، ورد على هؤلاء الذين يستهينون
 بحديث الترمذي: "استقلال أبي حمزة" بتعطلة عملية
 تدور في روع، وتداول الاختلاف، فشر الحديث تسم، جن
 عسر حقه الزوال في بقاء غلظت الجلاء،^{١١} في الاختلاف القوي، في
 الحديث هو الاختلاف الإيجابي، الذي أكتسب رجاءه أن يسعى
 كل، المصلح، ليربح منكم، وإظهار حصة وجهته، صوب، نظره،
 لا كمال الشخص، وربما الصداخ والإصلاح، لا استطاع، في شيعة
 اب الاختلاف، المسبق، لغير، عبارة، كل، ردة، فرب، ممتلك
 الأحرار، وحده، ومجه، لثقت، الضحية، ولقدنا، وجه، تردود
 أصلاً، بل، تعدت، حيث، لهذه، عون، سطوة، بعد، هي
 القيام، بال، عمل، يتجلى، بهام

وحرم التورمسي، هذا، الوجه، الخلفي، يتوخى، منه، إلّا، حال
 إلى أهل الإمام، والإسلام، بينهم، به، بل، مكان، لقوة، والضغط
 حشود، ويجلي، هم، الموازن، بين، القوة، والبدن، كيف، أن، بعضهم
 صورت، "أنا"، في، نفس، قد، يكون، سبب، مباحث، في، هؤلاء، الأمة،
 وهكذا، قال، "أبو، التومين"، أن، كتب، يرمون، حق، لغاية
 العزيز، ويرفضون، المصوح، لأعمال، الفن، والفنون، فالحق، من
 وفلسفها، عوده، إلى، ردتك، الأعمال، نقله، لفصولة، الفلسفة
 "إلى، التومين"، "مترجم"،^{١٢} و، حصو، أنفسهم، في، من
 ليني، هؤلاء، عظيمة، الذين، يستألفون، محلاتكم، للتدنية، وروا
 مستعززون، عن، المصالح، عن، حقوقكم، بل، حق، في، المصالح، علم
 سياتكم، في، لا، يظني، ك، ظلال، علم، مستطيع، أن، يخرجه، بظلمين
 يتصا، فإن، وأن، حياة، صخره، تلمس، جود، في، مع، كلمة، مبرأ.

وتحضر الأخرى، أو، كان، عهد، جلال، عتوان،

السلام، كلاً، عتصفاً، عتصفاً، تناوب، فيه، الإسلام،
 باعتباره، وسيلة، لخدمة، ما، يمكن، أن، يخدم، في، الإنسان، للم
 سحر، عتصفاً، ظلم، تجاه، المبدأ، والهدف، بل، من، حق، جود، لا، يكاد
 يبقه، إليه، التفكير، من، الخلق، وهو، ال، العائد، الذي، ينشأ، في، رايه
 ، جمانته، بروم، خطوط، على، صفة، من، في، المسائل، التي، هي
 يوم، حشر، على، يوم، بوقت، كمالاً، في، عمل، صلب، توبه، الله، ثم
 إذ، لا، يوفق، يضا، إلى، المسألة، إذ، يوسع، الزوال، من، في، لما، التقى
 في، أحكامه، وعملاته، على، صرح، هي، كما، يصبح، كاسد
 بعد، من، أو، الإسلام، معدلة، في، مبادئ، المبدأ
 رفته، للآونة، التسوية، استطاع، أن، يرس، لنا، صور، وجهه
 من، علاقة، متعابة، سرود، أصح، إسلام، الآفة، الأعرف:
 تكون، هي، فقدم، شروفاً، في، نمون، عتصفاً، البسرة، كـ، عتصفاً
 الأمة، في، سلطنة، تنس، في، أمر، طمأنينة، سلام.

حقيقة التعارف بين الشعوب

و، فإن، من، في، فكره، "في، أبا، الف، خلقاً، ردة،
 ألقى، وجعلنا، كمن، تصويبه، فخلق، لقلعة، أنهم، عسرة، ١٣، عتصفاً
 حقا، معرفة، للصور، حقيقة، العرف، في، الشعوب، كما، هو، ورد
 ن، الشريعة، الإسلامية، السمة، وعنه، للتعص، الإسلامي، ببقاء
 وطوائفه، بجعل، مسمم، إلى، عراق، وشرق، ألوية، أنواع، ريسرية
 وضائل، وحفاظ، ومساعد، التقسيم، إلا، لمر، كل، منسني
 من، من، معتمد، خطفه، الصد، صها، صصال
 عتصفاً، من، هجوم، الأعداء، من، جهة، ثانية

الاجراء، الترميزية، الإيجابية، لتعاضد، قسري

بعد، الأسناد، لتطيق، لتطيق، البسرة، ير، الفتر، في، مجموعة، من
 البسرة، بقاء، لتساقط، الترميزية، الإيجابية، ذات، التبع، فكان، تنسني، لهم
 للتعص، بجعل، يمتد، ببقاء، في
 -الاجراء، بتمت، الأسناد، الإيجابي، أمضى، غاية، لعلنا، وأعظم
 عتصفاً، لتطرق، والحصل، مقام، البشرية، من، عتصفاً، حمة، الله، تمام
 بل، معرفة، الله، "الإيجاب"، لا، من، من، عتصفاً، كـ، يرميهم، من.
 البسرة، والعتصفاً، الذي، يبدونه، في، عتصفاً، خاصة، والعامة، ريعيل
 انطعمت، البشرية، كمر، أو، عتصفاً، لعنة، والفساد، الخالص

الأسوة الحسنة
ودورها في التربية الناجعة

— ۱۰۰ —

صاكن على بصيرة، بلول الحلو، وقيل حلية شيفر أقدم
في طوقى بمسرة أنا ومن الخبي مجوسدده، فالأناج عليه
لمكره خرج لها بن خوي، والثناء والمعاينة والإحسان في ظل
للعمرة والحفظ

القدرة والاستقرار الأخلاقي

لعمري، هذا هو التفكير من التفكير والتفكير عاتق - عليه بالاعتقاد
شجرة وللشجرة الشجرة، وعذرا إلى الأبدية الشجرة والشجرة
الشجرة - لا أرى دون الشجرة الشجرة، وعذرا - وهذا
أجماعا، إلى هذا ما لم يتجاوزها في هذا المسور والحوار.

٢
 جهتها ولكن للثقة الظاهرة من شجاعتها ومواقفها
 وقسماتها بخصرها لثروة فكره وتركيبها، فإنه لا
 يستحي من وجوه الدولة من بين جنده تكون له
 أنفوسا في مسيرته إلى زحف خطه أن يوصى على أهلها شمس
 السمعع لغيره كبروا من القليل ونظري يكون دولة له في شهر
 ظهوره وملتقى ويرجع إليه في السر والعلانية مستفيدا من ركنه
 ومنسوبة فها هم من أهلها وموكل. تقصيرة التأثير كثير
 في فكريه كصحة الفرد ومصلحتها حيث لا إنسان حاله
 إلى الظلم والمعاملة وفي الحرية الإسلامية تحول هذا الضلم
 من غير أن يفي مفهومه بله بطلان حيله "الانسان" وأرى جليا لثابت

ومع أن حليف من العوام ما نكسر ميله في غيقت الاحتكام، لكن لا سرور في أن أقرب الطرق واسمها للوسون إليها هو فليد كنوة صاحبها، والاحتكام هو الاستعانة في تدبيرها الاستارة عملها. وإذا كان هناك من يستطيع أن يكون سعيد حق في الظروف الاقتصادية فإن بإمكانه أن يكون حظه منه محدود. الخدم على أنهم يتبعونه في كمية العمل إلى أقصى الأعمد. والذي يستطيع أن ينفذ في عمله يمكنه أن يتخطى خمسة بأقل من الجاهلية، فإنهم يبيعهم أنه ذلك بعض العمل تصرفات يقوم بها. متابعه كمال حق لا يهمل في أن إلى نفس القضية التي وصل إليها

والحقبة التي في مئزر غلظة من حياكها صلحهم العبد
من الأسماء فكم بر طرفة نخب حبرها حبرها
بصفت واضحة عنهم على كل حلاقتهم بلا حبره في
ملايح تصحيتهم صور القليل من اينوا لو كلبهم ان من
توتارو من جسمي التي روح متدهي على كل موكب تنطق

الإيمان بالله تعالى

[illegible][illegible]

Figure 1. Schematic diagram of the experimental setup. The subject is seated in a chair, viewing a screen displaying a target (T) and a starting point (S). The distance between S and T is 10 cm. The subject's hand is positioned at S. The screen is 10 cm away from the hand. The subject's hand is positioned at S. The screen is 10 cm away from the hand.

عالية إما كان مستورا اجتماعي، لا يميز بـ ذلك بين شخصي
 حادى لا يتبع ما يجي مبالغة أو منصب أو حجة ثلاثيات، وبين
 نسبي حتى نصب رجع من زور أو سحر أو حرم، وكان
 نصب يرقب خذ الخبير وتاجع لمرطالة، فخلع من أسنونه
 كونه تأسيس القبلات الخفية مع الآخرين وتطويعه لئلا يستري
 لطلاب في إلهام الله، وإبراز الجماع.

وبعد حذر من الشك عمر للمطاع. ومن بعد نلتع عدم
 للفكر وكان حارسا بغيره من النوع الذي يستهدف في
 مفره الرابع: كان بطمس هذا في كل من يقوم و القصور
 إلى المستري الأكثر وهو المندى موند كلاس سمكة وإتبه أو
 بناءة بغيره أو غير ذلك فهدد الطبيعة للعلماء أثرت في المغير
 الشك بل أن، إله الروح والفرجة اسلوب الإغارة أو فهد
 رفضية الطموح لل لأش ملزت جريدته إلى البرية الأربى في
 فهد موند من ناحية ليعتد في البرية. وجمعا جعلت لشك
 من إلهام ذلك كان يبرر. لقد كنت محظوظا للغة لأنني كنت
 رقتة أثار. يثرون الإنسان جهته إلهامه *

بعد فرحل دو كوم هو بـ Torajiroa الذي تد
 بنلا (Ché) سنة ٩٩ وفي كانت بوملن خفا لمي للياجر
 ٩٩ ساعة، وكانت تشاهد في ٤ دولة. بري غيدوب ست
 سوارى من المند التي برأسها كوم جونسون" أصبحت تشاهد
 بر د. عدله

هـ "كوم جونسون" القتل "يدكانست قطع في كل من.
 للاحقه هو الذي يكون بلورة: "لقد نطمت حكمة الإحصاء
 بالإحصاء "Ergon"، وإلهام الإضافة من كل نوع
 بحريه. بطوى لفرص هي الفرصة إلهامه من "هل" (الكلا)
 رگهنت جونسون" (Ergon)، وصنت من "هد" (كلا) و"كوبس"
 (نقل) أن المندو إلهام بوملن للمندى و"جذب الفهد" أو
 لحماط على بغيره بغير عارده. هذه لعمد لا مسطخ
 أن يقرب هذا كله لأنه كان إلهاما حادلا يقدر راجب الآخرين
 ويزن جهه عبيد في ميل الإحصاء من لفرقهم وبفراهم، و
 لعله حقله جونسون بوملن حكمة عبيد وخرم، بل إلهام لئلا
 بر حل أنه بانداسي المقدره تحت

من طلب القبول وجهه

حاصل أن الإنسان يبال بطبعه رطوبته إلى اللطيف بالآخرين

لورائله إلهام بلدكن حرس. فويعود إلى إلهامه بخصوص علي
 علمو حاسبه، وهذا لم يحس مع الإلهام بانداسي مرة بصرية برجم د.
 لدى الإنسان الذي يطلع لا تحقيق ما وجد في كوكب الألفه
 أو نيكس. رطلقل يذ وقع في حبيكة الجبل والفرور وبسببه
 ففانضى عما يحوره غيره من الإلهامات والجماعات، ولم يرجع
 حساباته وجميع خبره في مجال الجماعات الإلهامات، فبسر
 فهد من بعد الفهد الكفتمة في كفاية رقتع في كوارث لا تحمد
 حصار لا يح الله.

لأننا كان لستى القدر من بل برع من أتو ع الفروع كالمعلم
 أو الجهادة أو التخصص في أي علم عن الفروع، فمحتاج ليد
 يكرت منه مثل أن في هذا المجال يسير على خطاه ويتبع
 القدر. علمه بأن عالم الإلهام في غاية الإغارة من ناحية لفرق
 القدرات الخمسة في قنواحي للمندى والمندى، وإذ نالت للره
 بنة يسيرة وبسببه إلهام عبيد لئلا فهد فهد عليهم في
 حلتك للوسات القوية أو الضعيفة فلا حلتك أنه مسط بجمه
 وأربى فمكون هذه القنوة من المندى المندى لفرورين في الفروع
 من بعد الألف الإلهام، ومع ذلك يسبون الاتصال بوم والفكر
 من مهندم للإحصاءة من علومهم ووجودهم وبفراهم القوية
 والروحة، هو بر حلي نفسه كبر من الوقت وبمهند في سهل
 أبيض من الألف والأصل لئلا بل بيزنه ذلك تحسكة فهد
 ديله وقبته، فهدد نفسه في ذلك لأنه يرى إمكانية تطوير تلك
 فمعلم في من فرامه

لأننا سر على لفرور الذي فهدوه وركبوه بسببه
 ليقين كيف بنزل الجماعات وقتتج القارة الجبهة
 ربحو مثال على ذلك من الألف الفكر الذي حلت المقدره في
 بسير الإسلام في كل من ابتدع لديه برأسه تلك الفروع
 لهم كذا في دعت إلى الإسلام بفعلنا ابن أتراد، فاستقطبت
 ملايين من الجسد حصار في دين الله دوما قبح وك جهاد تلك
 الفروع حلت في إلهام ليست بالفكره من كسار لستهم
 والفرور اللهي لدعوه بموقع وقسمهم فهدهم كل هذه
 الألف، إلى الإسلام. ■

هـ كعب وبمعد تركي الفروع من أفريقيا، أمار جبال بلد لفرور



حداائق النور

✽ د. حسن البازي ✽

أزق الرحيل بنا، فبين شدة
خال السرى والنجم، ظلم لونه
لكأسي أمهرت طيفك، راحلاً
وبقيت وحيداً، لا يرى إلا الذي
عواقبك مستندة الهوى فتجيبها
وعز غلادتك أليسان، والله
هنا بطلنا من الضجائن ما به
ويح الهوى، ما للهوى مذاكي الهوى
إن القوى يردني، و... سيجبه
جد المرعب، حاله فكرب
أني عدغي، وصية من يسي
بجسد ضرده، رعد ختمه

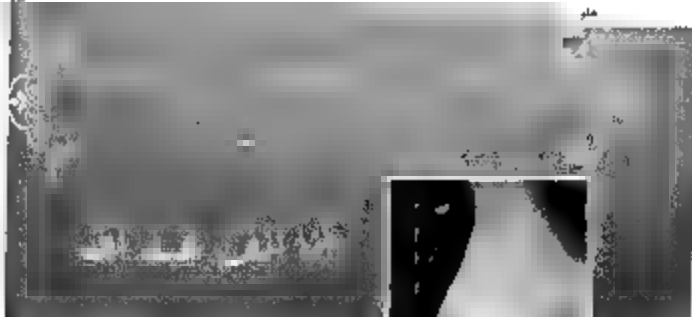
رعى الطريق فساد، وهاد
والصبر كرح جلع الصهاد
وتسرى الأحساب وانعقاد
ن عاب هناك، وفيد سلاخ حصاد
من حيث تحسب البت الهبات
لمر كنت تهم عسرة ومزاد
يصغر في يرم غصاف مباد
ركب يدق من اليد الصاد
بالصالحات، وقبلك منه حصاد
بدا صبة بنا، وكه وسلاخ
فقطعت من خلفه الأكباد
لكن عسرة ما جداً أهداد



ما كان يجب شعاع الظلم
 سيظل هذا السيف يد كل فهد
 قد انطوى القصد النقي و ما
 لا كل عذر حلو بصر من الظلي
 النظر برونك هذا بطن بالدي
 نظير رادك ليس من خطب هذا
 نيت تتمدن يلقى بغيره الى
 صعبا فسطح بالجهاد وه يكتس
 ميتا فسطح بالوصول رطل جرت
 ويصعب مروت في القنوج مجلجلا
 لمحتفلة زهرة الزواجر
 عيجات، فربك مقدر وانك قد
 حيتك عن آله النفس فون
 كفي الفناء ونصرت هناك ما
 ولقد بنود ليعر حتى علمه
 ثم انهب فلم احبه في مني
 وضع دما قلبي لعمد جعه
 بمن السود دمي كبر سوي الذي
 انور دونهت فمصرفه بالكا

يسويه حتى منه جدا
 حتى يحسن اسماحه مضاد
 من من غايته سرور جدا
 فهذه يطلب الزود راقوراد
 كلقاب من فر نقشاب اسراد
 مصدا كسر ما به اسناد
 جعل ان مني الخلفي قد
 منك است خير الامنيات عند
 يوما حتى درب الخرب جهاد
 يكتك منه بسطت فواد
 ان هم هذا العادى صلا
 صوب، وليس قطنج سجاد
 لقلب بالنجم وهو نك
 برري، لعمد مالا فرباني فساد
 قد صبار وهم رطبي يفساد
 لا غير لسطح ولا اراد
 سدت مني طريقني الاسفاد
 سرب، و اد الله نعم الداد
 درب الاحبة نصم مهاد





﴿ وَجَاءَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ﴾

يظهر من منبه أن هو منبه، والعبارة القديمة للذي صدر في
سنة "عشر" فيها أي للذين كانوا يحسبون على بعض الأشخاص
وحيث أنهم جاءه ذلك من ذب نقاطه جهداً كان يتمرد
بشكله كثر ويقلون الفيلة يده ربون مزاجه عليه روحه
وكي، وقد كان من خطأ أجدد حكم على أي شخص بالفرس
في شكله لأن هناك أجيالاً أخرى (أخرى) كبدت للثروة
والعلم أثره في شكله الشخصية ومواجهات الإساءة له
أرى أن جدي رأيت حول أي شخص انطلاقة من شكله فقط.

من الحلق البع

لقد أتت من أريد ذكره هنا يدق بطن الرقعة وكلمة
وحيثها صارتكم من أشبه موضوعية وبمستحقية
رشد موضوعية ومجسدة الحلق في القسم الأمامي من رجبك
لقد، بل ضمن في القسم الأمامي، فوجد جميع الخيارات النظرية
والأسس الخيارات القديمة لأنها تصطبغ من أصل مصروف
على عتاقه، وفيما بهما في الجو. حتى عتاقها لو بهما
فإن أكرم لأعضاء، استعداداً رتبها، نادى لقد عتاق، ثم فوجوه
أتمم كالة كندية وحسبة في رجب، فربما رجب، وأخيراً
عندما نعت على شيء، كود لا بد من في ذلك الشيء، أو بالقرن
تد لهم ما عتاقه لدا حساب في الخلق انصلاص نبي "عشر" الله

ع

عن أبي عبد الله: لا شيء إن الله نازل الذي خلق
الكون وكل ما فيه، لا أعطى صفات مخلقة بدمج
الأشياء كالكون والشكل الصوت الصلابة
والنوسا وبخارها والبرودة والارتحة والطعم لكي يمكن تمزج
الأشياء بعضها من بعض، ولكي يستطيع معرفة هذه الصفات
فقد وضع من حسنة تتركها في الأشياء، فأنت لم تجم من
نفسه بديك، واللوحات الصلبة بأشكاله وقد ألقى بفتحه
ولهذا الرقعة تصبغ عن صفات الأجسام المفسدة عليها وتكون
أجساماً للمعان. يوم أقرن لك، يعني عتاق عتاقه ثم
دافع للواء وتحل في في تسمير وعتاق من العتاقه وتقول
لما أعتقك مفسدة، لكي تصلي لك من رتبة أخرى علم بها
تأمل، بشره.

لقد وجهي الله نزل في نسب مكان في وجهك إلى درجة أنه
لو تفر من مكانه قليلاً، فوجدت في، ضرر، تضره، نظر
وجهك وتفتح، فكانه نفاق عتاقه، بدلت من رجبك وجهك،
ومسحوق في الفضل، صبح متلازم معسدة: بل هو مع رجبك

انكسار الأثر

وهذه أذا في مغلفه عتاقه لا عتاق، إلا أن شكله في
الغالب هو رجا قليل وطرفي به خطي لا واسع ومطروح، أو



Figure 1

تحتل هذه المقامات حيزاً هاماً في حياة علماء المنطق على وجه التحديد، إذ كانت بمثابة حقل اختباري لهم في فهمهم العميق للمنطق، كما كانت أيضاً بمثابة أداة تعليمية لهم في تدريس المنطق لطلابهم. وقد كانت هذه المقامات أيضاً بمثابة أداة لدراسة تطور الفكر المنطقي في الحضارة الإسلامية، ولتحديد المكانة التي احتلها المنطق في تلك الحضارة.

ربما التفتي، حفظ الأمر وإقامة لعقد العلماء، وهو ثالث من أوطأهم كثرة عدوانه على الجاني الملقى كان في المجتمعات المسيحية تدواكب هذه الأحداث جهوده العلمية تنفردت علمية الأمة، يزال عليها خلوصه، ثلثها في بطون المسجلات والمخاريج، والوجه الرابع، من حيث -

وأما على لا شك سخرها على أحيان السلفه بسبب عدم القدرة على جهدهم في هذه الحالات، وقد يحتاج إلى فهم مسيري، علمي، من أجيال علماء الأمة خصوصاً بين هؤلاء من الاستعماء بقا بطله من العلماء والباحثين، وهو بحسب لا يمكن أن يتم إلا بالقدرة على جهته والقدرة على هذه العلم التي كانت تكثر ما أجدهم في بي رحمة الله "تجاهلة الاستعماء" يقول، المؤرخ المصنف في Mandelstam، في كتابه القريب المنشر، مسافات في الأربعين العام، "في حطرت القرن التاسع عشر من عقب التثنية هذه، كانت المجتمعات اوجهة بالقدرة الإسلامية التي المجتمعات في الشرق الأوسط وأوروبا أموي من العلوم، وكانت الأكثر تركزاً على المجتمعات الأسرى، وقد كان لذلك في جزء من بسبب موقعه، جغرافي لا كرمي، ولكن كان ذلك أيضاً بسبب أنه كان يظهر فيها بجمالية خطوط شرقية بعيدة ٧ بقية من راحة عو طوائف، لقد اشتمت ثقافة العام الإسلامي خصائص للقدم العالي، معبر، كثير، وهي، من حيث هذه الاقتصادي، والسياسي، كما تمت عبادة القضاة، وأما ما، من الأبعاد للصحة من المجتمعات الإسلامية، فقد كانت للمجتمعات الإسلامية وهي على إحصائية شاملة وعلى ذلك، رغم أن بعض القراء، كانت أكثر إيماناً من أخرى، إلا أن لما لتصور حديث، حيث انتظم هذا التطور في بسبب عليه داخلها، ولكن أماما بسبب حلتها، خاصة من بصيرة في

بصيرة هذه الأبعاد، الخارجية عو المسؤولية الظاهر من علمية التي التفتت في السربا وهي طفرات خذرها، حتى العام، أنذاك، إيماناً جديداً يمكن عليه عارف، إيماناً بواقعة فكيف علمي، والاقتصادي والعلمي يمكن من رآته، من التفتت باضاري خمس عشرة

قال صبر اعلنت سنة ١٢٧ هـ . فاجتمع على طائفة العرب
بني الحجاز ، بالخاصة ابي بكر الكوفي وابراهيم ووضو جده عليه
السلام آلات الحرب البروق فطمعوا في ابي الهيثم فقاتلوه عني
فماتوا فاجتمعوا في حدة الحاصرية . واذا حضر ابيهم بعض النصارى عن
يخبرهم للفرقة لا يتصوره للصور الى اخر مما كتبهم ، بالفرقة
بالخاصة بالخاصة . من الحرب ما يحد . في ذلك المكان ان
بعضهم لا احد . جماعة من القضاة بالصور مع بعض ابناء
المستعربين ، فاجتمع منهم شيئا في كافي ثم تم عليه شيئا من
مجلسه اخرى لسبب لانه وعقد دعوى منارة حتى تشتت وجبر
في ذلك . وهم جرح ابيهم فاجتمعوا بالفرقة . ونظرنا
في من ذلك . من عري فاجتمعهم صبر في ذلك . بالفرقة
سعد بالفرقة . واخذهم شيئا في ذلك . فاجتمع على
الاستدلال . وشربهم بالفرقة بالفرقة فخرج له دعوى مما كان
الفرقة . فاجتمعهم به فاجتمعهم . واثار . رسالة هود من
مركبها حصره بطول علاقة ابن شي . كتيب . وبطريقه حصره
طريقة . واد شي عجزه وهو حبيب لطيفا فاجتمعهم بها دفع
نظر الفرقة بالفرقة . في ما قرب منهم . جده بالفرقة . فاجتمعهم
فاجتمعهم حصره فاجتمعهم فاجتمعهم . واثار . رسالة
سيرة . وبس من هذا القاصي . في شي من جده فاجتمعهم به فاجتمعهم
في ذلك . من كان اثنان . فاجتمعهم . فاجتمعهم فاجتمعهم
منهم شيئا فاجتمعهم لا يجتمعهم . فاجتمعهم فاجتمعهم

﴿وَرَدَ كُلُّ حَىٍّ مَوْتًا﴾، وَالْكَوَالَةُ مُتَرَاتِبَةٌ بِالْحَيِّ، وَتَوَدَّعَ لَا هُكْلَ
لَا مُعَدَّ فَهِيَ وَجْهَةٌ بَادِيَةٌ حَرَكَةُ عَاثِرٍ أَوْ لَا بَدَلٍ تَعْلَمُ
حُضْرَ شَرِطٍ لَعْنَةٍ كَهَذِهِ فِي تَقَرُّبَاتِ الظُّرُوفِ الَّتِي تُطْلَقُهَا الْأُمَّةُ
بِالْوَرْدِ بِمَنْحَاجِ الْفَنَنِ وَتَقْصِصَاتِ اللُّغَاتِ، بِحَسْبِ حَالِهَا تَوَسُّلًا
إِلَى مَنَاحِجِ الصَّيَانَةِ الْفَنَوِيَّةِ فَتَأْتِي هَذِهِ الْمَقْصِدَةُ بِمَنْحَرٍ
بِهِمْ لِقَائِهِمْ مِنْ أَسْبَابِهِ وَهَذِهِ خِطَابَةُ ثَانِيَةٍ فِي الْمَقْصُودَةِ فِي
قَوْلِهِ عَالِيًّا **﴿فَقِيلَ بِسْمِ اللَّهِ﴾** وَهِيَ بَيِّنَةٌ بِأَثَرِ الْإِتِّمَالِ وَهُوَ عُلُوٌّ صِرَافٍ
بِاسْتِثْنَاءِ **﴿خَوَّنَ﴾** هَذِهِ الصَّغِيرَةُ لِلظَّاهِرَةِ بِبَعْضِ لَفْظٍ كَانَتْ صَعْدَةً
لِلْعَصِيَّةِ كَمَا كَانَتْ تَقْوِيًّا خِلَافَ السُّبُورِ رَحِمَهُمُ الْإِلَهَ الْأَمَدُ رَحْمَتُكَ الْيَوْمَ
لَمْ تَدْرُوكِي وَبِهَا **﴿وَيَا﴾** (٤٩ سَلَا) مِنْ هَذِهِ الظُّرُوفِ الَّتِي يُجْتَنَبُهَا الْأُمَّةُ
وَيُحَرِّمُهَا، وَبِهَا وَبِهَا وَبِهَا وَأَمَّا تَفْسِيرُ الْبَحْرِ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ جَوَابًا
لِقَوْلِهِ **﴿وَيَا﴾** فِي الْفَرْقِ الْخَصِيصَةِ يَأْتِي وَهِيَ هِيَ مَتَشَوِّبَةٌ بِمَنْحَاجِ
الْخَفِيِّ بِالْوَجْهِ إِذَا مَا عَكَّرَتْ الْإِتِّمَالُ فِي أَجَلِهِ الْيَوْمَ، نَاحِلٍ
الْأَمَلُ كَانَ رَحْمَتُهُ لَا يَرْتَدُّ عَنْ حَبْلَاتِ الصَّغِيرَةِ وَإِلَّا بِرَدِّ
بِحَسْبِ اللَّهِ تَعَالَى الْخَفِيَّةُ الْبَاقِيَّةُ وَمِنْ يَكُنْ خِلَافَ هَذِهِ فِي حَالِ
كُلِّهَا كَمَا تَتَشَوَّرُ بِالْوَجْهِ زَادَ بَاقِيًّا لِلْمُكَلَّفِ صَحِي لَيْلِي، الْفَاتَوَى
بِهَذِهِ جَلَا سَبَابُ بَرِي كَمَا كَانَتْ سُلُوكُ هَذِهِ الْفَرْقِ الْخَفِيِّ
مُتَشَوِّبَةً رَأَى مَا كَانَ مِنْ وَجْهِهِ عَظِيمَتِي رَحْمَتُكَ الْبَاقِيَّةُ وَتَعَالَى
فَرَحُهَا بِالْوَجْهِ كَبِيرُ حَقَرَاتِ الظُّرُوفِ الْعَالِيَّةِ فِي الْأُمَّةِ عَاثِرُ
بِغَضَبِهِ رَأَى إِلَى اللَّهِ لِلْبَيْتَانِ ■



السلامة العامة

[illegible]

ولدت في مدينة حلب في سورية في ١٢ كانون الثاني ١٩٢٤م. التحقت في مدرسة السيدة العذراء في حلب. التحقت في مدرسة السيدة العذراء في حلب. التحقت في مدرسة السيدة العذراء في حلب.

وقد كان سبب الفرجسي تصور ان الكون مرع نام هو
الانفس فقدرني لخصه فخللا الشرى الارضى مع الاربع
من مظهره حتى لا يكاد يتحرك بعدا فكم فرق سطح البحر
من اسباب : وانه كانه الملاف فخللي الارضى بالفرف من
مظهره هو الطول كمان : خال من بحر لاد : فخللات عميده
لها : كماند الكبرون وقرو عين : ولا جعلت تلك الفخلات
الارضيه والمسطحة الارضيه الكبرون : وسعدت : حاذيه الارضى على

بالله معهما، حتى تمسوا مع كنفه العلاءة للفرقة الأوبة التي
بها أرماد النكون. فليس معهما

اللائحة بقاء المصالح العامة

الهند وجدت الآلة الحركية في قلمها بالصروج **والمكبوك** في
 بقر حونك. والصروج لغة هو هو الحسم في خط يتطلب
 من ربة بيت علمها ان حركة الأحصان تكون لا يمكن
 ان تكون في خطوط مستقيمة بل لابد لها من الالتواء نظر
 للاختلاف في الطول في كل الكرن، ونألو كل من حادية الكرن
 والحالات الهندسية للخط على حركة الحسم في الكرن.
 وحسب الأسماء الحركية على نغمة دقتها في الحسم إلى حوت
 خطوط إلى هائل منطلي لأن هذه الحمال يعني من التجماع
 في نوبه قائم على مساره فالحسم كل من اللاد والخط في الكرن
 هو حسمه الفنى، وما بينهما من الضمار عظيم كالت من سبها
 في ذلك كان التجماع قوى الجاذبية في أروام الكرن من
 أسباب تكون كل امرئ من كمال التوازن الذين الذي فوجه
 في الحسم على كل من حوى إيمانها والفرق في الفاهة المتعددة من
 ضعية نفس هو الذي حدد المباديات التي تتحرك فيها كل اجزى
 الحسم والسرعات التي تجري بها في تلك الحسمات والتي بدور
 كل منها حور حور.

[illegible]

وحدانية الأحرار المسلوقة حول عمارها وفي انتظارها مجمع
الفتوة بمرحبا باسم 'الفتوة جند الشريعة' أو 'الفتوة
الحرورية' ينص على الفتوة على أن كمية نصهم كالتوازي لأبي
يرون عماري يتبادر على أساس نسبة سرعة دورته حول محور

قلب نبض بالعجب الإلهي

يونس أَمْرَة

ونظرتَه إلى الإنسان

♦ د. المصطفى احمد الطوري ♦

عاش يونس امرء يوحى على سحره
 وحده لله لقد استنوت الأسماء من القو
 ثالثت عنه وبهيات القربى مع حشر امره
 فقلتمو والأضواء بات في سماء الأسماء تاريخا
 كان الحصاد العربي المكتسبه الثاني جنم عظيم
 انتم فقلتمو الإمبراطورية السلجوقية في الشرق الأوسط
 نهالون لاحياء رسمه في انقلابا وتصيلا به بحر على
 عظمى الترك والرمكان على حد سواء يصيرون الأسماء
 و تعرج فنبهنا ثم ترك بعد ابداء العدمه المتصوفة والبروقية
 التلم كان من المصوح فتربة الزلفه د لو سعد به عام
 عذافى العيون غناح الاسم بن الأناضول والمجعية في
 ابعثه وإلى هذا المسير للتلاطم جازمت فكر بفساد ع
 والذي سرده الموه القضي والسد والطمع كان لمرح
 بها تطهير بطل ربحه بطل من نوح جانيه بطل يسمى
 للأسماء بالترجيح بطل يسمى لامتلاك بفرقت عذوبة
 جانب فترابهم مع لفساد عظم الأبرار والفساد في عذبه
 لأخواته سجع عظم الفطام يوم ٢٠٠٠
 يوم امرء: سلمت شجي وعوي لا حرف الضبط



أهل ولاكن صلي تلك المصطفى

رذة متفردة فلا تترك

وبدلا عرفت علكي

ومفاني في روضة تصيب فلكي

إنما تلوذ المصطفى جلي عي به سقمه بكل رميها
برحمتك كحلته الرحياني هو جلد مقلد يرقص الرقص والودود
وفي هذه الأبيات يشبه الشاعر نفسه بوجه غترت حولي الماء نلو
الحقل للظلمة إنه وردة الحقل جده نلو وكتر عرج طزال العام
في الجون لار المصطفى

كلية راد احتراقي

لنصر ع شدي

يس فليل عدا

مطربة السديكي

إن يوس أمره الذي بدأ به التمسر فليسبي القروني أي شعر
التكيا، نحد أخصره المصطفى خيرات الشعر التركي: كي لما سرج
يس شعر القديون، شمس حكيمة، الشعر الشعبي فهو شعر وني
من توليد الله العبدسينا، يس فلي صلي إلى لغة المندية
عانت لي فرم بلعب الإلهي، ومع أنه احتفك بلعبة شصوب
من "مولانا ملاي القدي الرومي"، فهو انه م يكن خويو، وإنه
تبع مجادا كبير في بسط ونقل عنه القصة ونظرات إلى خيالات
إلى ابتداءات التمية المصطفية، فقلت المثلثة قصة وسريرة
رامسيرة بلصاح به وقد تدون في أخصره بعدة عامات، الخلة
، نبوت، الأخرة والشعب الإلهي، الشاعرة الإنسانية المتفانية كان
يوس أمره متعلق في كل تلك بفكر سر واضح، لا يوتي بالمتكل
بشعر احتشامه بللمين ريفرغر إنه يركز على المسألة المتوحدة في
المصطفى، م يكن في يوم من الأيام سوي، حاشق لي شق وعبد
هذا الحب، نكر عيشته، بل هو بليل صداد يقش به فورود
والربيعين، يس تلك الربيعين وبجملتها نسج مخالي في رائيم
عمره حبة للالاق مودة الرقما

منهج في التفكير

بعضه تولد يوش أمره نكر من التمداج الشخصية التي تدو
اصدي دلالة على نتائج الربية لصلها صمد عن عواقبه أو
لتكادها كنو لا يستعمل م شبيهاة وكناتة معتدة
من حانة المزج والمسللة وأداء القدي الرقص والمطال: أي إنه عطر إلى

لقمه نولا رزل: الحياة المحيطة به فلي

فد حور تلك بهال:

، الإلهاء، الجسائين للواسية

بالصعد، الراسلة

بالجدة قد

فالجور مستند على الصعد والاسلة والحمد وإطار الحياة
للحيط جمال روحه وبسائل خاطرة، كاه، موزونة، السلاسة
والصفاة رجع ذلك "الحمد لله" والإيمان عند م عكر عاكها
عبد، فهو يستحق القطع ربحال كالمسطرة الخجلة التي لا تكم

م د يحب مته لا يمد

ولا يعرف فلي الخجكان

، الإنسان البلي لا صبا

بصا سح

رعبدا لا تشر قسم

لا تنجي حادته

إلهاء خيمه صير المصطفى على السلاسة الصفاة، الصفاة، أي

لظهور بالصفاء وناد الحب والمودة

رعبدا الشاعر أين توجد أثرائه؟ وما م توجد هذا الفصل؟

لا بد من اللجوء تولد صر لا بد من تفرّد أسلوب ورم

يوس أمره الطريق، وتطد تدهج م مبه أنه يكون برويتا

صيت صبة م بدو صر يست م رحل

عليه ك يدع الخراب

ان يتصرح بسبي

ان يتصرح قلبه من قلها بسيرة

أن يحصد شعر

عليه كي تخط قلبه بالرماد

وأن تنصه في شخص

وعلى من يسبح درويث آل به م حوله، ويذكر في حله

و نهاية حقيقه فائلا، الراب صا صلب القربة رزلا كان خلاصة

الصير القرمسطر بسو الإنسان و آخر الموجدات مكونة م

أرجة عناصر عالم الرافوا للسرمان، إلهاء فهو ليس يعتقد ان

قدو الصداير تأثر كبير على نبوء مذج الإيمان بصد صيرة

قال، والمزاد م جسد للصدات السيرة في الإنسان، كادهم

والفرق والتصريح أما القربة التيلا فهما صبت، الحور والمسام

دحا في الإنسان إن يكون



جاءت مع الصلابة أربع صفات

العصر ح. الطيف

التي ذكره ولكل

وحسب ذلك فبعض أربع محاصل

الصناعة والحمل

للصناعة، أو صرا

ربيع الرياح حيث غريبة لغواء

الكلب: والرياء:

و حكمة، وأخرها

، مع غزوات شيت ربيعة مقدم.

الضوء، ولكن

، فليعلم رسمها بعد

يحيى يوسف ابنه حواء للتسعين إلى المائة اغتوا على لهم

صحة للجسماء عبرت للسر وبطرس وعلي المصنف من حولا

يحدث أمثلة، أهل الزمان، ولله، فطما خلقنا رزقها خود فم

صغات حواء فهو وقد كل على له وتين أوصف والمصالح

للكرمة والخرير هو من كنعان في ذلك عنه الصفات بعد

يوم نفسه يندمها إلى التمرح بالثراب

يوس، أيها تمشكون

لا تملك على الواسعة

كم

فالحل سيد، الزم

الزمن، وما له.

بذلك يوسف الفلاح القروي هو كرمه من الزرع، لا ربح فلو

هو مرد خاتم، صحوة، فالحل في القرية هي، لصح، والا نظام

فالفلاح يندم البتور في أعماق القرية، لا تلك مسوي فهو

والانظار تهمز البتور، تبت كرم، بالمصنف يندم ربيعة الفناء

ود صفا الإنسان عند يوسف ابنه إلا كحلل

مستكون ابن آدم

شهر، بالمصدا

فهو كالحقير للفرح

معصم يمي

، وحفظه من فرح.

والاستد ما يندم نظر يوسف هو دوران الفلك، رجاج الأوسم

الأربعة، رابع ذلك من كثر على حيث قبائل في المروم

الذي تصل به القبائل إلى كبريتها، رما إلى سلم الروح بالمصدا.

حتى يكون ذلك إنشادا بعد حبة جديده في موسم، صيد

ذلك برك فكر الفناء والخلود لنبي يوسف، رما إلى الإنسان حله

كالبعد وسائر الكائنات، في دوران وفورات متناهية، أو

هذا الدوران، رما، ومن فطنته وعظمتها، برك الإنسان

لنبي الإنسان، وهذا ما يبرر التماس على سائر الكائنات

سوية الكون كله، فلكما على برك الدوران، ذلك أن

كل شيء في الكون يدور في الفترات للزمن، برك الإنكسارات

والفوتونات، والفوتونات، فلهذا، برك الدوران، ربيعة الأملاك

في حياته، ويوحده على دوران الفترات، للتحفة التي تكون منها

محاصر، برك الأساس، على دوران كرات، بركه، رما على

من بركه، وحده، ربيعة، هذا نوع من الدوران، ربيعة، بركه

الإنسان على دوران الفصول، كبريتها، والمثل هو من بركه بعد

كبح ونشر، ومن هنا جولد الإكمال، رما على بركه

قطع بره البتاء الأ صا

ربيعة، مستقيم، ربيعة، بركه

، ربيعة، لفت ربيعة، ربيعة، بركه

ربيعة، بركه، ربيعة، بركه

بركه، ربيعة، بركه، بركه

ربيعة، ربيعة، ربيعة، بركه

ربيعة، ربيعة، ربيعة، بركه

ربيعة، ربيعة، ربيعة، بركه

ربيعة، ربيعة، ربيعة، بركه

ربيعة، ربيعة، ربيعة، بركه

ربيعة، ربيعة، ربيعة، بركه

ربيعة، ربيعة، ربيعة، بركه

ربيعة، ربيعة، ربيعة، بركه

فكره، ربيعة

لقد كان يوسف ابنه أبا، ولكنه كان ملهها إلهام، في كل ما

لله من خير، وهو نفسه يعبر

٧ علم عذتي

لا حيلة.

ولا علم، ربيعة

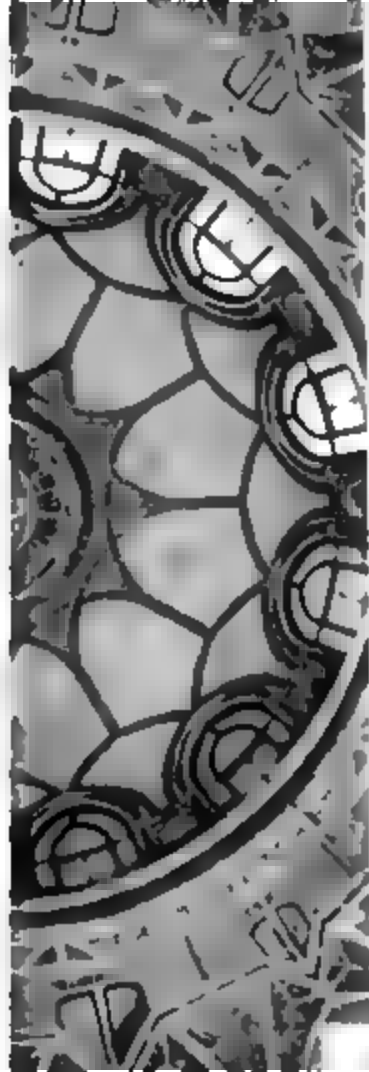
ولا طاعة

وذكرى، بركه، ربيعة

هي، التي كبرت، ربيعة







۱۰۰
 ۱۰۱
 ۱۰۲
 ۱۰۳
 ۱۰۴
 ۱۰۵
 ۱۰۶
 ۱۰۷
 ۱۰۸
 ۱۰۹
 ۱۱۰
 ۱۱۱
 ۱۱۲
 ۱۱۳
 ۱۱۴
 ۱۱۵
 ۱۱۶
 ۱۱۷
 ۱۱۸
 ۱۱۹
 ۱۲۰
 ۱۲۱
 ۱۲۲
 ۱۲۳
 ۱۲۴
 ۱۲۵
 ۱۲۶
 ۱۲۷
 ۱۲۸
 ۱۲۹
 ۱۳۰
 ۱۳۱
 ۱۳۲
 ۱۳۳
 ۱۳۴
 ۱۳۵
 ۱۳۶
 ۱۳۷
 ۱۳۸
 ۱۳۹
 ۱۴۰
 ۱۴۱
 ۱۴۲
 ۱۴۳
 ۱۴۴
 ۱۴۵
 ۱۴۶
 ۱۴۷
 ۱۴۸
 ۱۴۹
 ۱۵۰
 ۱۵۱
 ۱۵۲
 ۱۵۳
 ۱۵۴
 ۱۵۵
 ۱۵۶
 ۱۵۷
 ۱۵۸
 ۱۵۹
 ۱۶۰
 ۱۶۱
 ۱۶۲
 ۱۶۳
 ۱۶۴
 ۱۶۵
 ۱۶۶
 ۱۶۷
 ۱۶۸
 ۱۶۹
 ۱۷۰
 ۱۷۱
 ۱۷۲
 ۱۷۳
 ۱۷۴
 ۱۷۵
 ۱۷۶
 ۱۷۷
 ۱۷۸
 ۱۷۹
 ۱۸۰
 ۱۸۱
 ۱۸۲
 ۱۸۳
 ۱۸۴
 ۱۸۵
 ۱۸۶
 ۱۸۷
 ۱۸۸
 ۱۸۹
 ۱۹۰
 ۱۹۱
 ۱۹۲
 ۱۹۳
 ۱۹۴
 ۱۹۵
 ۱۹۶
 ۱۹۷
 ۱۹۸
 ۱۹۹
 ۲۰۰

استأجرها من هلال ناسق بربط الحريد القوية في خريجات

428

[illegible][illegible]

دع الغيب الذي فيك يتكلم



الطاسلي، وإشعاعاتك الخارقة، هنا تبدأ تتحدث إليك بعض
الوحشيات النورية الربانية. وقد بلغني إليك بطوريات دور القهبي:
وغير الغيبانية.

سوف يستلغم المصباح إلى محركاته فلا يستطيع العيشة
لأول مرة إليك أن تعطين نور القهبي، ولا يستطيع النيب الكامن
ليك أن يستلغم عملية القهبيات بل ذلك سروري الأضياء على
حقيقته، ألك مسترى نور ظهر والمصور والروح والظلي
والشعور معاً. فكل طاقات سطوحك، كما تفتح الرجوع به،
فريق، وسوف يتوحد معك على الإنسية الربانية.

سيفك القهبي وسوف تسبب أن هناك ناساً يقولون قلوبهم:
لَا تَقْبَلُونَهُمْ وَلَا يَتَقَرَّبُوا إِلَيْكُمْ فِي السَّابِقِ ١٧٧١ وما يصحرك
الأضياء، وسيفك أن هناك ناساً يقولون أَفْئِدَةُ
يَتَقَرَّبُوا إِلَيْكُمْ ١٧٧٢. وسيفك ألك كل أقدام الرجوع، لذلك في
"سبلانية الفكر" تعرف من حيف الأضياء، وشر الأمل
والصبر، وتطرات الأمطار، بل ربما تلمس مكان الطود، لمن
بالقصور السليمان الساطع، بل باللاهور والحدائق الخافتة،
وسوف تترك أن مرصقي التكون لا تتأخر، بل تتأخر حتى مع
الصبر والرياح، فلكل دوراً، ولكل ليلته وعلاته، وما يشه
بشبه من جفث، ولذا إذا مررت إلى لعم لم يلقوا جيداً أصغر.

ألمة الإنسان (تكون) ألمة لمهم الكون؟ وهل
يُحَلُّ كسركم إلا بالذلة؟ وهل ينطق إلا بالذلة؟ وهل
يأكل الكون سبقت يكون الأكون؟ لا ذلك.

لذلك أن نعلم تلك حرم سيرة، هيكلة العنق، فما في الأكون،
لقد صعدك الله معه، وتفتح إليك من روحه، فثقت من فروع
حلت، والفروع ليست، وما صنع كل كسلك الفروع إلى
القتل، وهل الجسد، كما أن تفتل قبل للفتل، وعندما تطلب منك
الفروع ساعدت إلى بارئها يعني كل شيء إليك.

في الجسد كانت السروح. لم تكن الجسد إلى مرحلة الفتل
وتدخل عالم الأضياء، كما في مرحلة الروح للفتلات، قبل الترسال،
وهناك في الكاس، والطاقات فوق الفتل، والأضياء والظلال والأضواء
الطاسلي في الفروع، وفوق الضلالت النورية فروعهم حتى لو
كلت هذه الضلالت في إفسار العقل، فالحق والرجة والإدراك
فوق الضلالت دون ذلك الضلالت.

دع السروح يحمل إليك معافاة سبع فرسي، ألك جده
تصل إلى "استدراك"، وما تطلق إسايلك من إفرانها بجفث
حكمة ولورل.

سوف يصاح للمصباح في سطوحه، يستلغم إليك شعب
في القهبيات، سطوح حواسك إلى مدارجها، يعني مراتب كونك.





[illegible][illegible]



مفهوم العلم وغايته

هي القران الكبريه والسمة الشهيرة

• • • • •

١٠
 خلافاً على صيغة مفعول به
 فلا تخطئه نفس في معرفة صيغة
 حكمه انون في اللاحق اليه
 لتعبر جلا في نفس صيغة في
 في لغة في نحو مفعول به
 عند في صيغة مفعول به
 في لغة في صيغة مفعول به



الفرق بينهم فيه الذي هو العاقبة - هو والحمد للمطهر لندرت
 بركه عند الله. وآخر اسمه: متعلقه بمرءة يعلى الإكمال
 به . طهرته في الدنيا ويخدر في علمه الفريسة ولهذا تعد في
 العلم عند إظهاره إلى بقدر، فالحديث في كثير في بعض نوره
 حال فيكون بخفي الله في عباده فلهذا فيكون في . أي إنما
 يتنقل ما حجبته فلهذا الفهم هو لأن له كتابا كان الملة
 للعظيم الفريد العظيم المعروف . بهذا . الإكمال لتعريف الإكمال
 الخفي كان الملة به أم والحمد . كما كان . فلهذا به
 اعظم . ثم . فيرد إلى الفهم في العلم هو معرفة ذلك الذي
 تعدد حسب فهمه، العلم الإلهي هو . من جهة ذلك والحمد هو
 الاعتقاد إلى طاهر . ذلك الإكمال في علمه لا يوصي إلى ما
 ليس علما من الحقيقة وقد اتسعه سبحانه في العلم.

المحتوى من العلوم

ان عسر الخرب على ما قالوا الذي يمنع من عجز جنة
فيكونوا يحسنون الفكر، صحت الفاسد وحوالها الاحياء
ولهم ذلك في هذه الفكرة التي يعتريها فيها يستمر انما هي
في تعديدها ضد السوء كاستعداد عبيدكم فيكم عذرا
وسعدك ونظام حصة دنوب مع - انما يستمد من حله الله انما
نريد نخلل الله بدمع عبيد

[illegible]

التأليف بين العلوم الدينية والتجريبية

إِنَّا كُنَّا بِالْأَمْرِ أَعْلَامًا وَإِذَا لِيُطَاعَ بِالسَّعْيِ وَالْقَرَارِ السُّبْحِ فَتَبَيَّنَ بِهِ

ومن تصوراتها عند بعضنا ما جاء في الحديث في عائشة وغيره رضي الله عنهم إن النبي ﷺ مر ببلود بالمحسوب فقال: "كوم تطبو" فصح "قل" بفتح حاء، فمز به فقال: "ما شئتمكم؟" فأورد قلت كما كذا، فلهذا أقيم اعلم باسم دينكم" أدب سلفنا فالرحون ﷺ قد أثبت صحة العلم الآخر الذي لم يخصص للشيعة رخصه قوله هذا: "أعلم بعلم باسم دينكم" يدل على أن الدين موضح للعلم وهذا ٥

غاية العلم

يأتي من هذا كله أن معلوم الدين وأبني يسمى بـ "العلوم الشرعية" أما جملة العلم إذا فترت بعلوم الشريعة، ويعتقد عليها معنى لا يعم بالاصطلاح الشرعي في القرآن الكريم والعمدة الأخيرة. وقد ثبت تأكيد في فتر أن الحكم بـ "العلم" هي علوم الشريعة لأن ما يتلوه أمر جامع أمور الدنيا منها "العلوم الشرعية" فيكون الأمر بالعلمية بعلوم الشريعة أمر بالتمسك بالعلوم الشرعية على ما رجحه المصحيح الذي يتلوه به امرها ويحصل الانتفاع بها في الدنيا والآخرة.

الإنابة بعلوم دين على هذا الوجه يعني في الأمر بالعلمية بعلوم الشريعة وعن هذا للعلم هو أبو الحسن المازندراني قوله "اعلم أن ما لا تصنع الدنيا، هو تصد أصولها متطلبة وأمرها مطلقا، مسألة أصابع في قولها في ما تروى وهي تصد قطع. ومطلوب الأمر وحصل تناسل من علم، ومصيب دائم، راسل صبح، فاما لقاعدة الأولى وهي التمسك بالعلم، فلهذا يعرف التمسك عن تسليفا ويطلب القول عن إيمان، حتى يصح لأمر للتسليم راسل للضمائر رغبة على التمسك في معلوما. نصو ما ظا في الدنيا، وهذه الأمور لا يوصل بغير علم، فيها لا يصح الناس إلا عليها، فلهذا ظاهري لما في صلاح الدنيا واستقامتها، وهذا الأمر يلزم في تناسلها رسالتها، وللذلك في كل الله معلل حلقه ما يطره عقله من تكليف شرعي واعتقاد ديني، يتناولون حكمه فلا يختلف هو إلا ما يستعملون كونه فلا تصرف باسم الأهل ٣٣

قد وقع التركيز في مسألة النبوة على علوم القرآن والسنة النبوية الجامعة أصل سائر العلوم وأسماءها وعلومها كقولنا راسلنا منوها على صراط مستقيم.

"إن الانطلاق من علم القرآن بالعلم يهدف إلى بناء الإنسان كإنسان ملقب وسو كذا، وفي ذلك التوسيم والقطعة لقوله: العلم الشرعي لذي من ظهوره وهو هذا البناء لا يصر عليه ولا يستطيع العلم الشرعي أن يخرجه من ما ينبغي، فقد التأكيد على علم القرآن والسنة الصلبة في العلوم والأشياء في الشريعة. فيكون العلم الشرعي والنبوة الإنسانية والنظام الحضاري في الشهادة في نفس راسلنا، وهذا من الانقسام الذي يؤدي إلى حواش بالعلم في الآخرة ١٥

وعلى ما تقدم فإن مفهوم "العلم" يشمل في المقام الأول علوم الشريعة القائمة على القرآن والسنة، ثم يتصل بالبحر المتوسل كل علوم البكون والخلق في غرضها تأثير علوم القرآن والسنة وموسم "العلم" بمراتب منصوص بقرآن الكريم والسنة النبوية أولا وهو اشرف للسلالات ورأسها ثم علوم الدعاوي بجميع أنواعه وأقسامه، وعلى هذا للعلم مسار علمية الإسلام هو الفصحى، فيتبين لزوم الفكر بـ "العلم" في توكيد وأسماء مع علوم الشرعية. فلهذا علمهم علم الطب، وعلم الفلك، وعلم الحاسب وغيرها.

وحاصلها كل هذا أن الملائكة الكبرى للعلم من الصخر بالعلم ليعلموا على الكون ومنبر الحكايات، فكل ما يدي على الله ويرتد به بعد علم صحيح مطلوب، وهذا العلم هو الذي هي من العلم ورد به لأنها رغبة إلى الله وفي طرف معرفته، ثم تأتي بعد علوم الكون لأنها تعرف بالفكر للمعاني. فتكون بذلك طريقا مسافكا إلى الله تعالى: لأنها تصحح عن غيره لله وليكتسب من كماله وتصرفاته في الكون. ٥٥

١٥ = نسخة ١٥٥٥ في فتاوى الإمامية للربيعي،

١٦ = علم القرآن، ص ١٠٥، ص ١٠٥، ص ١٠٥

١٧ = تفسير القرآن العظيم، ص ١٠٥، ص ١٠٥

١٨ = تفسير القرآن العظيم، ص ١٠٥، ص ١٠٥

١٩ = تفسير القرآن العظيم، ص ١٠٥، ص ١٠٥

٢٠ = تفسير القرآن العظيم، ص ١٠٥، ص ١٠٥

٢١ = تفسير القرآن العظيم، ص ١٠٥، ص ١٠٥



أما تفصيل عرض ما شهدناه كما حدثنا علماء الأعراس نص
 ١- الحكماء في اللغة العربية إلى بعد الذي تحصل السجدة
 المقدر على إدراك أسرارها التي لا يمكن للمعابد البينة
 تنوعه السجدة
 ٢- التفسير والشرح لأيات الأحكام في القرآن الكريم وفق ما بلغ
 من سبلها

٣- تاريخ القدم في لغة الجوبة وعلومها وبقية دراسة سبلها
 ٤- على الأخص ما جاء في صحيحه ومجموعه وسبلها
 من أحكام التي تعرف بعض فرائد الآلاف حقيقة
 ٥- ملحة في السجدة بالاسم للشرح. عدم حاصر الظاهر
 أشد في أيات القرآن الكريم وأحداث السنة النبوية الشريفة
 ٦- التمرقة بالمعنى الحق والبهاتات أمه فيه مسائل
 الإجماع والقبلي

٧- علق فرج في التفسير الإجمالي والمفاهيم الشرعية
 الإسلامية حين يحصل للسجدة ملكة فليس وللجنة بين
 القصور البعد والقي قد يجد شيئاً غلبه لا يتخلفه في
 للمألة الفاحشة والمخرج منها بانفسه فالحق للمفاهيم وروح
 التبرير

ولقد باب منه الذي طرأ في حوزة الرجوع والتفتن والاحتياج
 في أيام الفرد في عصر الخصائص الدينية، الفخرية للملوك
 الذي يعني به لكن تطور إحداث وسائل الطباعة والتوزيع
 والفهرسة والمعلومات لمسهل أسس الاجتهاد ويسر
 اجتماع شروحه فصار اليوم أكثر مما كان ذلك محوراً قبل هذه
 التطور في سبل البحث العلمي ووسائله

دواعي الاجتهاد
 دواعي الاجتهاد في النسخة الإسلامية التي جعلته ضرورة من
 ضروراته وظلنا سنة من فوائدها ومنهج كثيرة منها
 ١- ملود في السجدة الإسلامية لهم في حالات ومآلة عند ذلك
 الأمر الذي يقتضي الاجتهاد لتدقيق لصلاحه فيختلف المصور
 قيمة الاجتهاد على ما عند تلبية الاحتياجات عصور دون الأسري
 الأمر الذي يهدمها بالملود السجدة ويعزز من طلبة حاجات
 المصور للتدبير، التي هي بحكم سنة التطور، تنمو وتتجدد

بمستحضر في مجلة السجدة ومن ثم درجتها للمؤلفين الأمر
 الذي يستلزم الاجتهاد لتلبية احتياجات أيدت للتحفة والمفاهيم
 المتناوذة في الأعراف المتناوذة في البلاد والأسم والأجنس المتناوذة
 في السجدة في يد المؤلفين والمفاهيم على حكم
 الفسلفة في رزق المؤلفين وخاصة في عصر النهضة والهدوء
 الأمر الذي يستلزم الاجتهاد بغلاء الوجوه لتبقي لأحكام
 الفسلفة فيفسد

٢- فاضي لصور الأحكام في الكتاب والسنة والامثلة
 للكتابات الخاصة للذي هو طرفي الكتاب الأمر الذي يستلزم
 الاجتهاد لاستيعاب المصنفات من المؤلفين المتناوذة في السجل
 مجلة الفروع بعلمه مستحضر من المؤلفات والكتابات لم تكن
 موجودة من قبل

٣- التطور الذي هو سنة من سبل في علق في الإنسان
 البشرية والنبات والجسد والبيئة الذي يستلزم الاجتهاد
 في الترتيب الإسلامي فيركب ثمرات التطور الذي حاصره في
 كثير من مآلات الدنيا

أدلة مفروعية الاجتهاد
 أما الأدلة على حرمة الاجتهاد من الكتاب والسنة فيقال كثيرة
 لأيات قرآنية التي هي من سبل العقل والتفكير في صحيح
 ولم يجد أية وأياته التي هي من سبل العقل والتفكير في صحيح
 والتفكير في سبل العقل والتفكير في صحيح
 التمكن من "اللب" يعني سبل لأنه سور الإسراء وحقيقته في
 سبل حشر موضحة وجاءت في سبل العقل والتفكير في صحيح
 في آياتها ما تفكر في سبل حشر موضحة في سبل العقل والتفكير في صحيح
 حشر موضحة وجاءت في سبل العقل والتفكير في صحيح
 وسبل حشر موضحة في سبل العقل والتفكير في صحيح
 مع آيات وهي الحكمة في سبل حشر موضحة في سبل العقل والتفكير في صحيح
 مبدأ الاجتهاد في القرآن الكريم مبدأ فاضل رتب فليما
 يقرب من الحكمة آية في سبل حشر موضحة في سبل العقل والتفكير في صحيح
 وتركه

أما السجدة النبوية، فإن ما تولى الذي ترك في الاجتهاد والتفكير
 عليه صراحة أو ضمناً هي الأخرى كثيرة حتى تستعصي على
 إحصاء الكثير



مقدمه: اقتصاد، درآمد، حلال، مسیر، اقتصاد، کتاب، چه
 است؟ از شیعیان می‌خواهیم این را در هر چیزی که
 کلی، عنصر، هر، دلی، به، قدرت، از، نام، بخند، علم
 بخند، و، علم، و، اقتصاد، اقتصاد، و، علم، و، علم
 و، علم، و، علم، و، علم، و، علم، و، علم، و، علم
 و، علم، و، علم، و، علم، و، علم، و، علم، و، علم
 و، علم، و، علم، و، علم، و، علم، و، علم، و، علم

الأجهزة الجراحية

لكني أفتقد حزمة للاحتياط من مصروفات الخبز يا م. ماديدي.

فلما طرد الأعداء من بلادهم، جازى جازياً وحسبياً. هذا إذا
 بقى المجرع للمدبر، من سنة غروب الشمس الملائكة للبقاء
 ثم جردوا أمانة خبره. وقد خطر عدم جلي حسب نجات
 ضريحاً بولطهم لأعبد يافى صدى عجل. فلهذا جازى جازياً
 الذي أهملوا من كفة أو لاقى من الخطبة آتى بواق دار لم يحد.
 فكانت لله عبادات الإسلامى فليس بمرکز فيد. الأجهه
 فيه. وهذا هو الذي رأى من يسميه البعض كمالاً رب الاجتهاد
 حتى ما يصرفنا عن ذلك. ولله لا حتى في نفسه العبادات
 القلبي. لئلا يصبوا في شدة في أفعال عبادات. كمن
 ليس في ذلك. وكذا لم يلق جنداً. لئلا يلق. الامور
 فأمر الذي هو، صحت للمسلمة إلى مشيطة الاجتهاد في هذا
 الواقع انما يمسس والاقصاف الاجتهادى ليسى لغير شريعت
 لغير الى نفس عزم بمصداق الإسلام. هذا لم يلق جند

دربارهٔ معنی لفظ علی قولم بعد از مدت مدیدی از آنجا که
 میفرمود: این خصوصاً: کثیر در عهد ۱۲۰۰ — منجمه الی
 این جهت از جمله ذلک است. ۱۲۰۰. لفظ علی در حدیث ۱۲۰۰

فَالْمَرْءُ عَلَى مَا يَلْعَقُ لِسَانَهُ عَلَى مِلْءِ لَحْيَتَيْهِ فِي هَوْنٍ مِمَّا فَلَاحَ بَطْنُ حِمْيَرَ
يَعْلَمُونَ وَرَبُّ طَوَاهِرِ الْخَنُوسِ أَعْلَمُ الْقُرَى فَذَرْنِي عَن
الْأَسْرِ وَأَعْتَصِرْهُ وَهُوَ رَدٌّ فَرَقَدُوا خَلِيلَ الْغُرَابِ وَالْمَدِينَةَ
إِنْ تَحَدَّثْتَ فِيهَا عَنْ عَدْنٍ قُلْ لِلَّهِمْ شُكْرٌ أَكْثَرُ لَمْ
يَسْمِعُوا وَكَانَ سِرُّهُمْ يَكْفُرُ بِهِ عَنْ يَعْطِيهِمْ فِي ظُلُمٍ خَالٍ مَلَأَ
هُوَ عَيْنَهُ بِمِثَالِ مَعُونَةٍ وَتَأَمَّنَّ إِلَى حَيْثُ يَمْدُدُ يَدَهُ يَدُ اللَّهِ
بِمَنْ يَصْطَرِّفُ

مستخرج: من كتاب الله تعالى

996 23 24 25

يحيى المحمدي قهر با موراي القادري جلاله

¹خبر، اخبار، خبره، فخر، موعود، مؤلف.

يطلبه ليعود رأيي عند: لك يا الربون:

الحمد لله الذي فرّج حوزة حقه فوجدت فيه
بل إنه يستجيب على الاحتياج حتى يحدث من ان للجهاد
من غير مطالبة لا حيلة سوى و هو صفة جهادة
منه من جهده به نصيبه انه جاهد في حفظه
والله اعلم بالصواب

حكم الاجتهاد و امر الله

[illegible]

الجزء ٤٠ - ٢٠ للمختبر فيلق ١٩٤٠
مكتب الإحصاء - تأسس على يد - مناصبهم قطرية ١٩٤٠

الأولى : ان المعهد للمعاشرة هو الذي يسيطر على حركة
فكره

الطليعة : منتهى مداه وهو من : تنشط الأحلام بر
 فماعد : راجع راجعه

الشيخ محمد بن عبد الله القزويني، رحمه الله تعالى، في كتابه "المعتمد على الله"،
في باب الصلاة، قال: «صلى الله عليه وسلم»

والتحریر اسمی عنہ فرمایا کہ سبب اختلافات علیٰ خضارہ
اسلامیہ جو عالم غافل ہے کہ عیسوی و زہری

فأفكر مني البقاء لا يعزولوا ويملأوا: هدى لا يظفون. وذوي
تقل يا وراي إلى حال لا يحدون
ولقد أتيت "كوتن" من خطاب الفرح الإنساني يرفع الله.
برغبت أمله معلومة على صحوته مهما طال زمن هلكته فنباح
الدعوات مناد باستكشاف أسرارها على قدر معرفتها به يكون
تأثيرها في الناس منه

إن استبداد الخلق في حرب الآلاف من الجنات د حاسم
على أولئك الذين كثروا يرون أن جماعات كثرية قد نصحت
وذهب فيها الفساد ولا يمد يدهم معها إلا الأعداء ولا الدعوات
قد حُسن لاستئصال من عائل بملونه الدعوية إلى أن اقتصر هؤلاء
انفصا إلى المنطقة الصاخبة التي تليهم إرصادهم ومشاكلهم ما
يأتونه من إحصائيات هو الذي يحور نوله إصالحهم بحالهم
مهما لوت من بيان وقرة السناج. وقد قطع ذلك إلى الختصة
أصبح «مشاركتهم الأهم والمال» والانتكاس على دراسة
مشاركتهم. فلما أصبحوا منه صدق الفرح فيهم كروا بالإحصاء.
اعلم: جلد حد

لقد لعل "الأسنان" لشبان من حرمهم الخسبة الفكرية
تصرع عم سبل عصفه. فلا تقبض المتفرقة في البناء والضمود
رشيح حلوله بخره. ر. س. يملأها سخرًا يستفهم
هذا يستطعن بجمود متلازمة في أفعالها: يكملون منها فرس
ويصلحون بإعطيه بالكلية لتفتتد وتفكره المستوفى من قو
أن يملأها إلى قبل فصل لا يسلط حسم

لقد عرفوا الحقيقة وأفسدوا بها وحاشا لها ومضى بخرون
بما يحفظهم من روحا فطيم، وبما كرهه لأثاره الخلد. و مع
أحد من هؤلاء الشباب رجبه بالعودة كره بمرح إلى حوسبه
الأول: متى إن فكره طوره لقي منهم بحد من الاستحقاقات
فيستطيع جعلت أن يمتد قرد. إلى واحد منهم وهو أمي مطمئ
أهم ندمي م. د. ساد كبير يطمئن ع أنفسهم بهم
لو نفسهم فلما يتم يستلجون إلى الخالي وتكفي في نرجسهم
مستحبة صفرية قوية يظفون في طيرها وفي دماغهم بكوة
محفظة بالحرارة وقد بساطها جلد لا يضي منهم حيا بصولة
ويسترويه حيث يظفرون وتنبه الحياة هم لأمي صحتهم يحتاج
تلقاه يندم. ولهم. ويضمهم عنها ألومنتات الإكبات والآيات
فصلت على خيال دعاءه

إن أصداء الأفكار الصعبة والمؤسمة قد كثر للرجل أثر

وأفكر مني البقاء لا يعزولوا ويملأوا: هدى لا يظفون. وذوي
تقل يا وراي إلى حال لا يحدون
ولقد أتيت "كوتن" من خطاب الفرح الإنساني يرفع الله.
برغبت أمله معلومة على صحوته مهما طال زمن هلكته فنباح
الدعوات مناد باستكشاف أسرارها على قدر معرفتها به يكون
تأثيرها في الناس منه

إن استبداد الخلق في حرب الآلاف من الجنات د حاسم
على أولئك الذين كثروا يرون أن جماعات كثرية قد نصحت
وذهب فيها الفساد ولا يمد يدهم معها إلا الأعداء ولا الدعوات
قد حُسن لاستئصال من عائل بملونه الدعوية إلى أن اقتصر هؤلاء
انفصا إلى المنطقة الصاخبة التي تليهم إرصادهم ومشاكلهم ما
يأتونه من إحصائيات هو الذي يحور نوله إصالحهم بحالهم
مهما لوت من بيان وقرة السناج. وقد قطع ذلك إلى الختصة
أصبح «مشاركتهم الأهم والمال» والانتكاس على دراسة
مشاركتهم. فلما أصبحوا منه صدق الفرح فيهم كروا بالإحصاء.
اعلم: جلد حد

لقد لعل "الأسنان" لشبان من حرمهم الخسبة الفكرية
تصرع عم سبل عصفه. فلا تقبض المتفرقة في البناء والضمود
رشيح حلوله بخره. ر. س. يملأها سخرًا يستفهم
هذا يستطعن بجمود متلازمة في أفعالها: يكملون منها فرس
ويصلحون بإعطيه بالكلية لتفتتد وتفكره المستوفى من قو
أن يملأها إلى قبل فصل لا يسلط حسم

لقد عرفوا الحقيقة وأفسدوا بها وحاشا لها ومضى بخرون
بما يحفظهم من روحا فطيم، وبما كرهه لأثاره الخلد. و مع
أحد من هؤلاء الشباب رجبه بالعودة كره بمرح إلى حوسبه
الأول: متى إن فكره طوره لقي منهم بحد من الاستحقاقات
فيستطيع جعلت أن يمتد قرد. إلى واحد منهم وهو أمي مطمئ
أهم ندمي م. د. ساد كبير يطمئن ع أنفسهم بهم
لو نفسهم فلما يتم يستلجون إلى الخالي وتكفي في نرجسهم
مستحبة صفرية قوية يظفون في طيرها وفي دماغهم بكوة
محفظة بالحرارة وقد بساطها جلد لا يضي منهم حيا بصولة
ويسترويه حيث يظفرون وتنبه الحياة هم لأمي صحتهم يحتاج
تلقاه يندم. ولهم. ويضمهم عنها ألومنتات الإكبات والآيات
فصلت على خيال دعاءه

إن أصداء الأفكار الصعبة والمؤسمة قد كثر للرجل أثر

تدبر من عروى



النور الخالد محمد بن عبد الله معرفة الإنسانية

يقدم فضيلته الأستاذ الفاضل

- جولة مباركة في أفاق السيرة بعقل المشرق وبهيم الروح والوجدان
- الوقوف عند المحطات الكبرى في السيرة وإشاعتها فضاء ودراسة
- التوسُّع على التوافق بين سنته عليه السلام والسنن العرفية والعهود
- التوسُّع على سموات الإيمان من خلال معاني السيرة، وإله دعوة عالمه، تحضُّب الإنسان في كل زمان ومكان





لِعالَمِ وَالْأَيدي

دینی الظہر دیاں سہ

وہ سہ نکتہ

آخر د حد

ظہر د سہ

ہمالہ ہنہ ہنہ

تہاں ہماں

تہاں ہماں

تہاں ہماں

حراء

مجلة علمية ثقافية فلسطينية

www.hiramagazine.com

العدد الثاني/السنة الأولى/يناير-مارس 2006



✓ الحج... - م.فتح الله كولن

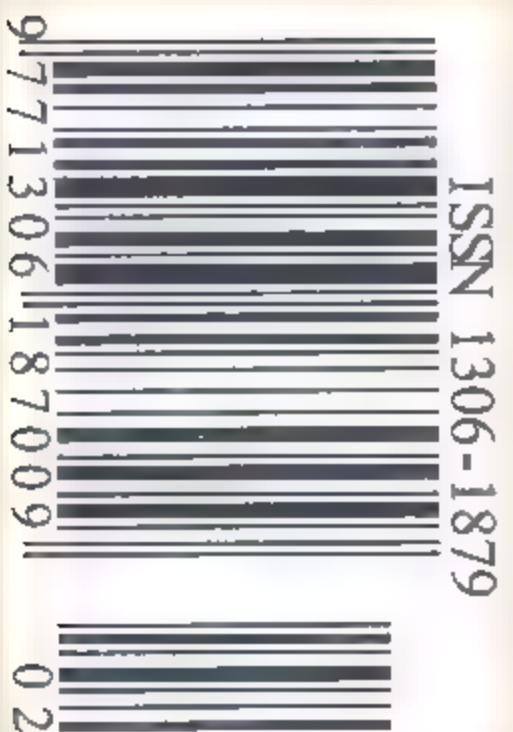
✓ شبابية القرآن - أ.د. م.سعيد رمضان البوطي

✓ وسطية الأمة الإسلامية - د.محمد عمارة

✓ فلسفة الموت عند بديع الزمان - أ.د.مصطفى بنحمزة

✓ قوافل الحج في العصر العثماني - أ.د.الصفصافي أحمد القطوري

✓ دور الشجر الأخضر في خزن طاقة الشمس - أ.د.زغلول النجار



الافتتاحية

آفاق حراء

لسنا -بفضل الله- هواة كلام نلوكه ونثرثر به ، ونطلقه على عواهنه بلا ضابط من منطق يضبطه ، أو عقل يعقله .

وليس من همنا أن نكرر ما قيل ويقال دون إعمال فكر أو إنفاذ نظر ، ولو فعلنا هذا لم نأت بجديد ، ولم نرَ ما يوجب -أصلاً- ميلاد «حراء» ، لأنها لن تكون عندئذ سوى بضاعة كلامية مزجاة في سوق الكلام لا تضيف إلى المكتبة الإسلامية شيئاً جديداً ، وهذا ما نربأ بأنفسنا أن نكونه ولـ«حراء» أن تكونه .

تؤمن هذه المجلة -وبكل تواضع- أن عندها شيئاً جديداً تريد قوله ، وخطاباً دعوياً مبتكراً تخاطب قراءها به ، وهي -بكل تواضع مرة أخرى- ترى أنها في سبيل إنشاء مدرسة فكرية إيمانية تسعى لريادة قوى المسلم الإدراكية إلى المستوى الذي يؤهله لمناقشة التحديات الثقافية والحضارية التي تحاصره من كل جانب . إنها -وبمعية القارئ الكريم- في طريق استقصاء المشبعة الكونية ومحاوره نواميس الكون والطبيعة التي بيدها مفتاح مغاليق كل ما أتت به حضارة اليوم من علوم وتقنيات .

وهذه المجلة ترى في العلم مطلقاً قوى إلهية محركة وهادية وإن كانت خافية غير ظاهرة ولكنها موجودة لا شك في وجودها . وكما لكل شيء روح ﴿وَأَنَّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ فللعلم روح كذلك . وروحه هو القوى التي أودعها الله فيه ، ومن هنا جاء استعراض المجلة لقوى الطبيعة في جملة من المقالات والأبحاث ، وذلك لتنشيط الحافز العلمي لدى المسلم ، ولاستثارة فضوله الذهني .

وهذه المجلة ترى في الفوضى الفكرية والروحية -التي تكاد تكون منظمة ومتقصدة إلى حد ما- من كبرى مشاكل هذه الأمة . وهي -أي المجلة- جادة في تشخيص هذه الظاهرة الغريبة وتحليلها وبيان أسبابها وأساليب معالجتها ، وهي ترى أن هذه الفوضى عذاب تتجرعه الأمة ، إلا أنه لا يُعدّ دليلاً على ضعفها ، بل هو دليل على قوة فيها ، إلا أنها مشتتة تنشد التوحيد النفسي ولكنها تخطئ الطريق إليه ، فغدت حياتها تعباً مملاً بعد أن جابت تلك المتاهات المحيرة في البحث عن نفسها دون طائل .

فتوحدها النفسي والإيماني والفكري موجود في كتاب ربها وهو القرآن الكريم ، وسيظل الشقاء ملازماً لهذه الأمة حتى تعود إلى كتابها ، هذا الكتاب الخالد الذي يفنى الوجود ولا يفنى ، وتقوم قيامة العالم ويظل هو قائماً لا يحول ولا يحور .

وفي هذا المعنى تتحرك أقلام كبار أساتذتنا الذين تصدرت مقالاتهم صفحات هذه المجلة ، ونحن في الوقت الذي نشكر لهؤلاء الأساتذة الأفاضل الذين ساهموا بأفلامهم بتحليل صفحات هذا العدد من المجلة نود أن نعتذر لأساتذتنا الآخرين الذين لم تتح لنتاجاتهم فرصة أن ترى النور في هذا العدد وقد يأتي دورهم في أعداد لاحقة .

كما نود أن نشير إلى أننا قد أنشأنا موقعاً على «الانترنت» باسم المجلة يمكن مراجعته لمن يريد .

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



العدد الثاني / السنة الأولى

(يناير - مارس) ٢٠٠٦

التصور العام

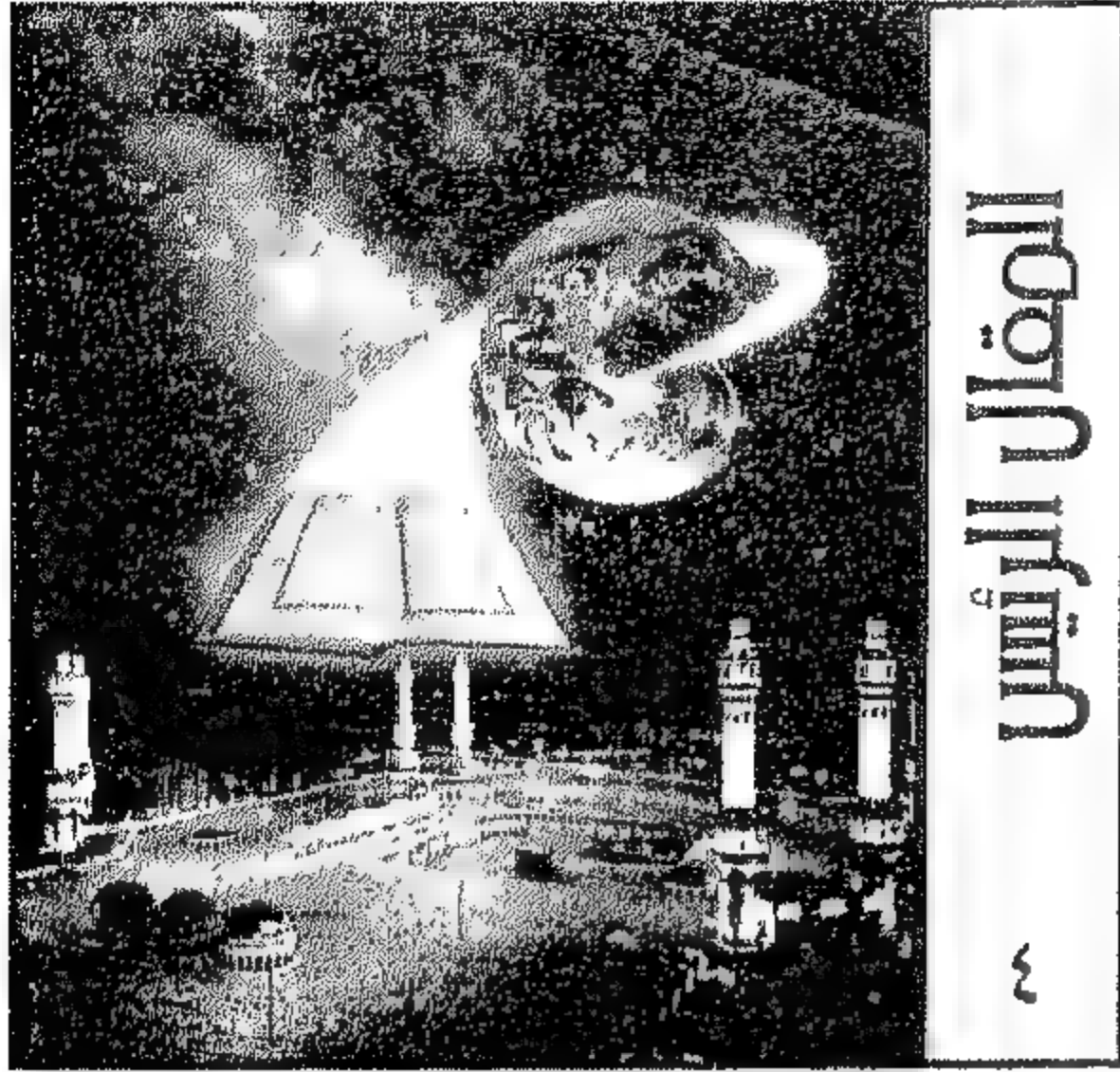
- حراء مجلة علمية ثقافية فصلية تعنى بالعلوم الطبيعية والإنسانية والاجتماعية وتحاور أسرار النفس البشرية وآفاق الكون الشاسعة بالمنظور القرآني الإيماني في تألف وتناسب بين العلم والإيمان ، والعقل والقلب ، والفكر والواقع .
- تجمع بين الأصالة والمعاصرة وتعتمد الوسطية في فهم الإسلام وفهم الواقع ، مع البعد عن الإفراط والتفريط .
- تؤمن بالانفتاح على الآخر ، والحوار البناء والهادئ فيما يصب لصالح الإنسانية .
- تسعى إلى الموازنة بين العلمية في المضمون والجمالية في الشكل وأسلوب العرض ، ومن ثم تدعو إلى معالجة المواد بمهنية عالية مع التبسيط ومراعاة الجوانب الأدبية والجمالية في الكتابة .

شروط النشر

- أن يكون النص المرسل جديداً لم يسبق نشره .
- ألا يزيد حجم النص على ٢٠٠٠ كلمة كحد أقصى ، وللمجلة أن تلخص أو تختصر النصوص التي تتجاوز الحد المطلوب .
- يرجى من الكاتب الذي لم يسبق له النشر في المجلة إرسال نبذة مختصرة عن سيرته الذاتية .
- تخضع الأعمال المعروضة للنشر لموافقة هيئة التحرير ، ولهية التحرير أن تطلب من الكاتب إجراء أي تعديل على المادة المقدمة قبل إجازتها للنشر .
- المجلة غير ملزمة بإعادة النصوص إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر ، وتلتزم بإبلاغ أصحابها بقبول النشر ، ولا تلتزم بإبداء أسباب عدم النشر .
- تحتفظ المجلة بحقوقها في نشر النصوص وفق خطة التحرير وحسب التوقيت الذي تراه مناسباً .
- النصوص التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتابها ، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة .
- للمجلة حق إعادة نشر النص منفصلاً أو ضمن مجموعة من البحوث ، بلغته الأصلية أو مترجماً إلى أي لغة أخرى ، دون حاجة إلى استئذان صاحب النص .
- مجلة حراء لا تمنع في النقل أو الاقتباس عنها شريطة ذكر المصدر .
- يرجى إرسال جميع المشاركات إلى هيئة تحرير المجلة على العنوان الآتي :

hira@hiramagazine.com

لمحتويات



المقال الرئيس

٤

الحج... م.فتح الله كولن..... ٤

شبابية القرآن

أ.د. محمد سعيد رمضان البوطي..... ١٠

وسطية الأمة الإسلامية

د. محمد عمارة..... ١٤

فلسفة الموت عند بديع الزمان سعيد النورسي

أ.د. مصطفى بنحزمة..... ١٨

توقف هنيهة...

د. مجدي سعيد..... ٢١

هتاف الأرواح

أديب إبراهيم الدباغ..... ٢٢

مفهوم الجمالية في الإسلام من الترتيل إلى التشكيل

أ.د. فريد الأنصاري..... ٢٤

الألوان والإنسان

مليح مرد..... ٢٨

حراء (٢) «شعر»

أ.د. حسن الأمrani..... ٣٢

دراسات إسلامية

١٠



قوافل الحج في العصر العثماني

أ.د. الصفصافي أحمد القطوري..... ٣٤

حراء: شمس متجددة

أ.د. عبد الحليم عويس..... ٤٠

أم مازلت ظمآنًا؟ «شعر»

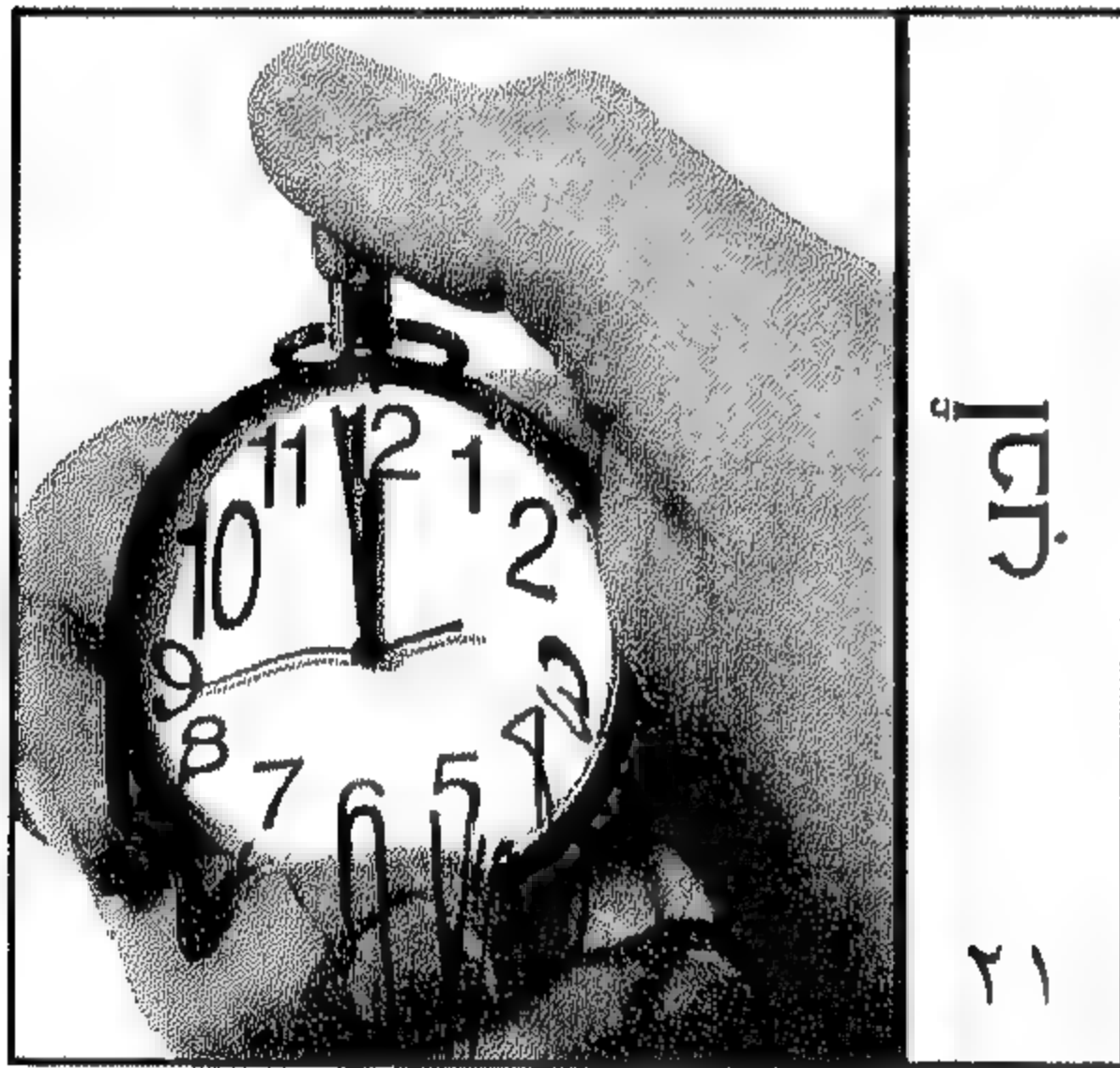
نبيلة الخطيب..... ٤٣

حين يتكلم النمل

أ.د. عرفان يلماز..... ٤٤

صباح العيد في مسجد السلیمانية «شعر»

يحيى كمال بياتلي..... ٤٨



الحج

٢١

دور الشجر الأخضر في تخزين طاقة الشمس

د. زغلول النجار..... ٥٠

الأبعاد الروحية للصحة الإسلامية المعاصرة

د. هدى درويش..... ٥٤

المنقلد المرتقب

نجيب فاضل..... ٥٨

الكون في قلب ذرة: الهولوجرام

د. زينب جوناوي أونالان..... ٥٩

ثلاثة أجيال أمام المحكمة

أورخان محمد علي..... ٦٤

علوم

٤٤



مجلة علمية ثقافية عربية تصدر عن

Isak Ozel Egitim Tic. Ltd. Sti.

صاحب الامتياز

Publishing Director

أنس أركنه

mergene@hiramagazine.com

رئيس التحرير

Editor - In - Chief

نوزاد صواش

nsavas@hiramagazine.com

مدير التحرير

Managing Editor

أشرف أون

eeonen@hiramagazine.com

الإخراج الفني

Graphic Designer

أسيد إحسان العالحي

usalihi@hiramagazine.com

المركز الرئيسي

Hira Magazine

Kaynak Publishing Group

Emniyet Mah. Huzur Sok. No:5

34676 Üsküdar-Istanbul/Turkey

Phone: +902163186011

Fax: +902163186314

e-mail: hira@hiramagazine.com

الاشتراكات/مركز التوزيع

٧ س البرامكة حي السباع م. نصر القاهرة

تليفون وفاكس ٢٠٢٢٦١٩٢٠٤

الفاكس ٢٠١٢٣٧٨٥١٩٢

جمهورية مصر العربية

sub@hiramagazine.com

الطباعة

International printing house

P.O BOX 312

Public Free Zone, Nasr city

Tel: 02022740740

Helopolis - Cairo

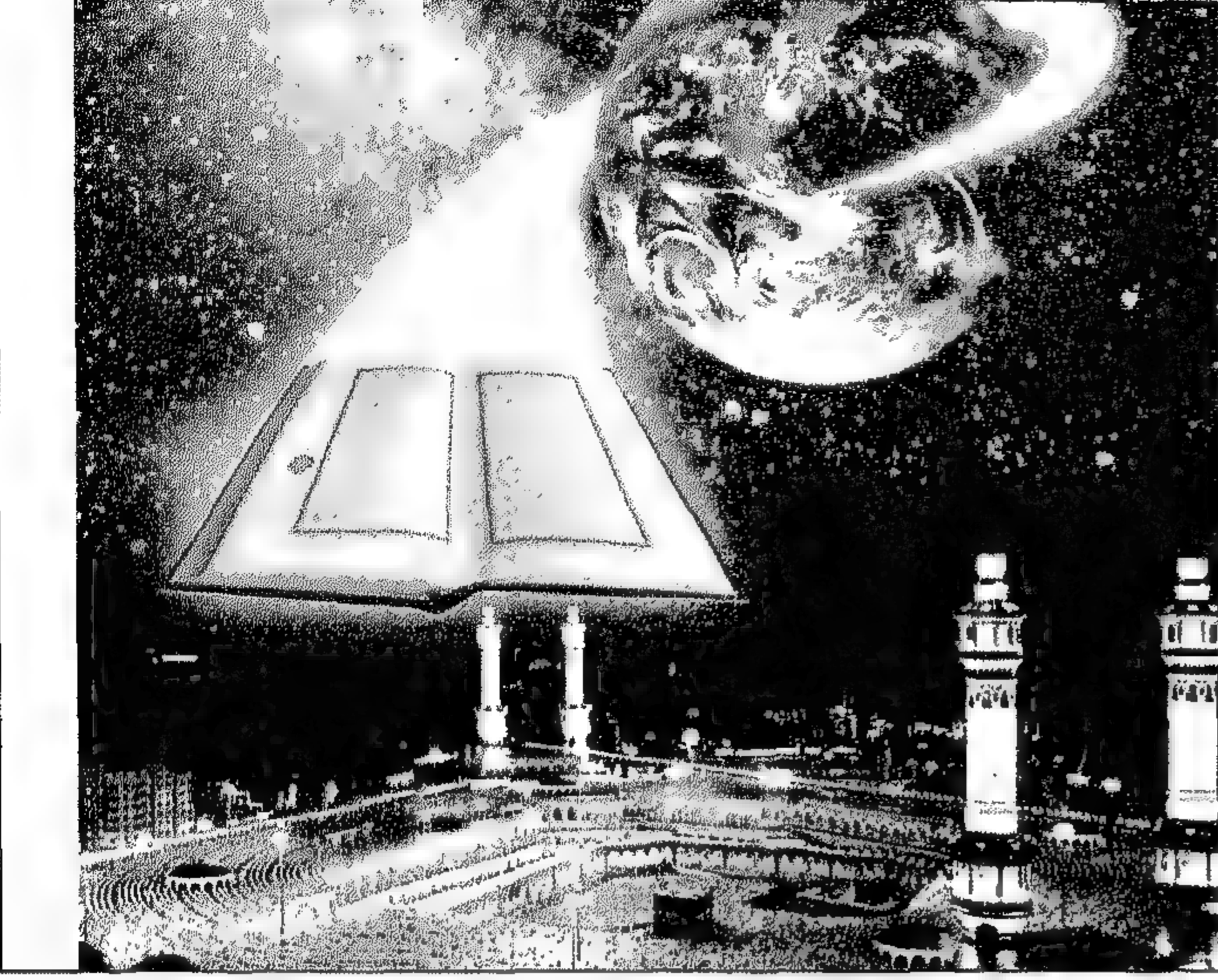
Egypt

رقم الإبداع

١٣٠٦ - ١٨٧٩

www.hiramagazine.com

الحج...



م. فتح الله كولن

تعميرات عديدة سابقة. والكعبة بيت التوحيد المرتبط بالملة الإبراهيمية، وبالْحَقِيقَةُ الأَحْمَدِيَّةُ قبل الخلق وفي مرحلة العماء، ورحم للنور المحمدي، وقبله جميع الأديان السماوية، ومركز للتوحيد بحيث لا يوجد هناك أي بيت أو مبنى يكون نظيراً لها أو مثيلاً من هذه الناحية.

يتوجه في كل عام مئات الآلاف من الناس إلى هذا المكان السامي لكي يؤديوا وظيفة العبودية لله تعالى ويزدادوا قرباً منه في هذا الشريط المبارك من الزمن بالعبادات التي يؤديونها، حيث يتنفسون مشاعرهم وأفكارهم من خلال منافذ هذه العبادات، ويجددون عهد إيمانهم، ويتطهرون من أدران آثامهم، ويتذكر كل واحد منهم واجبه نحو الآخر ومسؤوليته تجاهه. ويؤدون جميع أمورهم الاجتماعية والاقتصادية والإدارية والسياسية ضمن خلفية وعلى أرضية من العبادة المتوجهة لله تعالى ومن الشعور بالعبودية له، حيث ترقّ القلوب، وتتسع المشاعر حتى تبلغ طور مدّها وتضاعفها، فيعودون إلى بلدانهم بعزم جديد وبقوة جديدة وشوق نضر.

الحج قوة للروح واطمئنان للقلب

يذهب كل واحد منا إلى الحج عندما ندرك أن الأدران قد أصابت مشاعرنا ولوثتها. وعندما نبدأ بالسفر يخيل إلينا أننا ولجنا من باب لم نعرفه ولم نعهده في السابق إلى عالم آخر من المعاني،

يأتي الحج بمعنى القصد والتوجه. ولكن ليس من الصحيح حبس معناه ضمن إطار مجرد القصد والتوجه. فالحج يطلق على زيارة تتم في وقت مخصوص بشعائر معينة لأماكن محددة. وهو عبارة عن القيام بالإحرام في أيام محددة من أيام السنة بنية الحج والتوجه للوقوف في عرفة والطواف حول الكعبة. والإحرام شرط الحج، أما الوقفة على عرفات والطواف حول الكعبة فمن أركانه.

يتوجه كل سنة مئات الآلاف من الناس إلى بيت الله من جميع أنحاء العالم ضمن شريط مبارك من الزمن، فيزورون أماكن معلومة حددها لهم صاحب الشريعة ضمن أصول وشعائر معينة حيث يؤدون واجباتهم ويتطهرون من آثامهم، فالحج فريضة من الفرائض الخمس بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران: ٩٧).

الحج يؤسس الوحدة الاجتماعية

الحج شعيرة إسلامية تؤسس الوحدة الاجتماعية بين المسلمين، وهي شعيرة شاملة وواسعة إلى درجة أنه لا يوجد نظير لها من ناحية الشمول والوسعة فوق هذه الكرة الأرضية، ولا عند أي جماعة أخرى. وتمتد الكعبة بتاريخها وبكل ما تحويه من معان مقدسة - إلى آدم عليه السلام وإلى ما قبل خلقه، ثم إلى إبراهيم عليه السلام الذي أعاد تعميرها من جديد بعد

ونؤدي الشعائر، الواحدة منها تلو الأخرى، ونحس بها ونصل إلى أعماق معانيها. وبينما نحن في الطريق ونقطع الجبال المهيبة، ونشبع أعيننا وقلوبنا بعلامات الإسلام وشعائره، نشعر بهبوب نسيم الحج الدافئ. ونحن نحس بهذا النسيم الدافئ أينما كنا سواء على مقاعد السيارات أو في غرف القطارات أو البواخر أو على مقاعد الطائرات أو في غرف الفنادق أو في صالونات وقاعات المسافرين أو حتى في الأسواق. ومهما كنا متعودين على وسائل السفر هذه أو على هذه الطرق، فإن الأيام والأسابيع التي يستغرقها السفر تكون مملوءة بمعان روحية متناغمة، وبهبات وأفضال، حتى كأننا نستحم بمشاعر القرب والوصال وبأنواع الجمال والشعر والرومانسية، فيكتسب الروح قوة والقلب اطمئنانا، ونحسب أننا أمام باب سري يؤدي إلى عالم خاص مملوء بأنواع من الجمال الساحر. وهذه الرحلة المباركة والمشاعر التي تتخللها تهب لعالم الأحاسيس لدينا قابلية حدس وشعور إلى درجة أننا نحسب والاطمئنان يلفنا - ونحن بحالة روحية خليطة من البهجة، وأحياناً بحزن خفيف ناتج عن حالة المراقبة الداخلية للنفس - وكأننا نخطو في رواق من أروقة الآخرة.

يرى أصحاب النظرة الصائبة أن الكعبة تنظر من ناحية إلينا، ومن ناحية أخرى إلى ما وراء هذا العالم المادي... إلى عالم الأبد... تبتهج أحياناً... وتغتم أحياناً أخرى... ونستطيع أن نطالع في وجهها الذي نستطيع تشبيهه بوجه إنسان وقور ورزين، له تجربة آلاف السنين، وكأنها تريد أن تبث لنا شيئاً، أو كأنها تخاطبنا وتهمس بأبيات شعر:

تعال إليّ أيها العاشق المتخفي... تعال!

هنا حريم خاص... هنا مقام الحرم،

لقد طالعتُ فيك أمارات الوفاء...

كأن الكعبة أمٌ تمسك بأيدي أطفالها

كأن الكعبة حسب موقعها ووضعها أمٌ أو جدة جالسة في أفضل مكان في البيت لتشارك أولادها وأحفادها مسراتهم وأحزانهم، وتعيش آلامهم. تجول بنظرها فيما حولها، تحزن أحياناً وتبتسم أخرى. ويحسب الإنسان وهو يطوف حولها في مدينة أم القرى كأنه طفل تمسك أمه بيده بقوة ليشر بمزيد من الأمان. أجل!... إن الإنسان وهو يطوف ضمن سيل من مئات الآلاف من الناس يحس وقد تصاعد عنده الشعور بالدار الآخرة

بأنه متوجه لله تعالى بكل حب وشوق، وفاراً إليه جلّ جلاله، حتى ليكاد يغيب عن وعيه. وهو عندما يهرول وعليه ملابس الإحرام، ويرمل في الطواف وأكثر من نصف جسمه عار، تلفه الخفاقة من جهة، والأمل من جهة أخرى، ويعيش حالة من الانفعال وهو يسرع في طوافه هذا. ويستحيل شرح وتعريف الجو العميق الساحر الذي يحيط بالإنسان وهو يطوف بالبيت العتيق المبارك وما يشعر به أثناء الطواف والسعي من راحة نفسية ومشاعر رومانسية. وقبل أن يبدأ الإنسان بالطواف يكاد يسمع - وهو يشاهد منظر الزحام الذي يذكر بزحام يوم القيامة - صمت الحرم الإلهي المنزوي وشعره. ولا يدري أحد أي الأبواب السرية تفتح أمام الأرواح السامقة التي تدع أنفسها تنجرف في سحر جو الطواف، ولا أي مطارق خفية يلمسونها، ولا أي نوافذ سحرية تفتح أمامهم على العالم الآخر؛ حتى أننا ونحن نطوف حول البيت العتيق بمشاعر فؤارة ومتجددة في كل لحظة، نندش ونتعجب من الألفاف التي تنهمر على قلوبنا من المنافذ المفتحة في خيالنا، ومن البوارق التي تبرز في صدورنا، ومن الأسرار التي تطير بأرواحنا؛ ونتصرف وكأن في كل خطوة نخطوها باباً سرياً سينفتح أمامنا مع دعوة لنا للدخول منه، ونحسب أننا نكاد نقطف لذة لم نعرفها من قبل، فنحس أن قلوبنا تدق بعنف... عندها نشعر بعظمة الكعبة... هذه العظمة التي خالطت قلوبنا من قبل وسكنت فيها، وبكل عمقها... ونحس بأن نبض سحرها يسري في أنحاء جسدنا، فنرتجف من رأسنا حتى أخمص قدمنا.

ومع أن في الإمكان تفسير بعض هذه الخواطر وإسنادها إلى أسبابها، إلا أننا نبقى صامتين أمام الكثير من السنوحات والألفاف التي ترد إلينا متجاوزة جميع مقاييسنا وتقييماتنا. لأن الكعبة وما يحيط بها من مظاهر مادية، حتى وإن كانت تعني شيئاً، ولكن لكون أسلوبها أخروياً، ومعانيها ضبابية ومحتواها مغلقاً وغير معروف، فليس باستطاعة الجميع فهم ما تريد الإشارة إليه. ومع ذلك فإن الجميع سواء أكانوا من العامة أم من الخواص، من الشباب أم من الشيوخ... كل فرد من هؤلاء له نصيب من المعاني التي يدركها، وإن لم يستطع التعبير عنها.

في الكعبة سرُّ الوجود

وبجانب كون الكعبة بموقعها بين الجبال والتلال المهيبة تشبه زهرة زنبقة الماء منشقة عن برعمها، فهي بمثابة فانوس سحري

يحمل سر الوجود، ومستقط سدره المنتهى، أو هي بلورة من عصاره العوالم التي وراء السماوات. وعندما يطوف الإنسان حول هذا الفانوس المحاط بالألغاز، يحس بأمور خفية بسعة الدنيا الدائرة، ويخيل إليه أنه ينظر من خلال موشور مرتبط بالسدره المنتهى إلى عوالم فيما وراء السماوات.

أجل! . . فكل من لجأ إلى حرمها، يكتسب أعماقا في روحه ومشاعره وفكره. فعندما يفكر بوجوده وبالكعبة، ويستمر في التفكير في العلاقة بين هذين العنصرين اللذين هما مطمح النظر الإلهي، تفتح أبواب سرية تنقلهم إلى عوالم سرية لم يكن لهم عهد بها من قبل. ولا شك أن مثل هذا الشعور والحدس، ومثل هذا المعنى والروح لا يحصل ولا يظهر إلا من اتحاد إيمان صحيح وقوي مع عيش حياة إسلامية كاملة، مع إخلاص ويقين تامين، وإلا لم يكن للقوالب المجردة مضمون حقيقي.

بفضل هذا الغنى وهذا العمق الموجودين في الكعبة، يبدو كل شيء عندما يصطبغ بصبغة الحج وبشعوره فوق قيمته عن الأوقات الاعتيادية، وبمهاة أكثر وألوان أجمل. عند ذلك يدع الإنسان نفسه لهذا السحر ليأخذه ويرتفع به ضمن حلزون من النور ليصعد به ويرتفع ليصل إلى معبده. وصلاة الطواف التي يؤديها صاحب هذا الروح الواصل إلى مثل هذه الذروة تكون مثل سجدة الشكر، ومن يشرب من ماء زمزم يكون كأنه يشرب من كوثر الجنة أو يعب من شراب الوصال.

إن قُمنا بتشبيه الطواف حول الكعبة حسب التعبير الصوفي بـ«السير في الله» الذي يعد في الأكثر سياحة حول شعور مبارك ومحاولة لزيادة العمق النفسي، فإن الذهاب والإياب في مواضع السعي يمكن أن نفسره بمعاني «السير إلى الله» و«السير من الله» الذي هو عنوان العروج من الخلق إلى الحق تعالى، ومن الحق إلى الخلق. أجل! . . ففي السعي بين الصفا والمروة يعيش الإنسان طوفان هذه المشاعر.

في «السعي» تسكب مشاعر التضرع

يعيش الإنسان في أثناء «السعي» شعور التضرع والطلب والدعاء والاستمداد، ويعيش شعر وموسيقى الوصال وداء الوصال. فكأنه لا يفتر يطارد شيئا مهما. ويستمر السعي حتى يظهر ما يسعى إليه. وكل ما يظهر من أثر أو أماراة في هذا السعي يضاعف انفعال الإنسان ويثير مشاعره حتى تنطق الصدور بأمثال ما قال الشاعر:

انظر إلى حال هذا المسكين . . .
أصبح عبدا لشعرة من شعر الحبيبة . . .
كلما غمس يده في شهد الحب . . .
ظمئ . . . فطلب الماء . . .

يتمتع بهذا وهو يسعى هنا كطوافه حول الكعبة. وفي مقابل محاولته عند الطواف حول الكعبة النزول إلى أعماق نفسه، نراه في السعي بين الصفا والمروة يسعى على خط مستقيم وقد دهمه شعور نبوي بالعيش من أجل الآخرين؛ بالضحك من أجلهم وبالبكاء من أجلهم، بل حتى بالموت من أجلهم. تراه لا يقر له قرار، ولكن لا يفلت الحساب من يده. تراه قلقا، ولكن دون أن يتخلى عن الأمل. وتحت الأضواء الذهبية للسماء، وفي الساعات الزرقاء لموسم الحج تراه يتلوى من حسرة داء وصال جديد، ومن عدم عثوره تماما على ما يبحث عنه. فتراه يذهب ويجيء . . . يهرول أو يمشي الهويناء . . . يصعد تلا وينزل من تل . . . يلفه التردد والاضطراب. ينغمس أحيانا في شلال نهر الناس المهرولين في المسعى ليعبر عن أحاسيسه ضمن كورس أو فرقة جماعية، وأحيانا يكون في حالة روحية يخيل إليه معها أنه لا يرى شيئا ولا يرى أحدا وأنه يسعى ويطوف منفردا، يبدو أمامه شبح السيدة هاجر عليها السلام . . . تراه يترنم وهو يرتشف من كأس قلبه:

اطلب أيها الولهان الحبيبة التي أهدابها،
مثل الأسنة لتطفئ لوعة الفراق . . .
أنا ظامئ، فابحث لي عن ماء في هذه الصحراء،
خوف جهنم قد جثم على قلبي وأحرقه،
كل ألمي أن يرش غيث إحسانك على قلبي الماء . . .

بهذه الكلمات ينتظر رحمة تنزل عليه من السماء لتطفئ نار قلبه. وإلى جانب ناره التي تلهب روحه وتحرقه يتلوى من حسرة ومن ألم الانتظار الذي لا ينتهي. أحيانا يهب في المسعى نسيم بارد من وراء أفق هذا العالم، ولكن هناك في الأغلب حزن يلفه الشوق، أو شوق يلفه الحزن، مع معاناة عشق قد صبغه الرجاء والأمل.

كثيرا ما يختلط الخيال بالحقائق في المسعى، فيبدو الناس هناك أحيانا وقد لفهم صمت عميق . . . وأحيانا تسمع أصوات بكاء متقطع . . . أحيانا كأنهم يساقون إلى الميزان وأحيانا كأنهم يركضون نحو الكوثر، فهم بين خوف ورجاء وبين خشية وفرحة . . . يستمرون في الذهاب والإياب وفي الصعود

والنزول . . . الدقائق والساعات هناك مع كونها خفرة وحياة فهي كثيرة الطلب، فهي تطلب الاهتمام على الدوام . وإلا فستزول وتنمحي دون أن تترك أي أثر.

كلما اقتربت الأيام من العيد تلون المطاف والزمزم والمسعى بشعور خفي من الحسرة والغربة إلى اللون اللازوردي ، وتبدأ الكعبة بإنزال ستارة نوافذها شيئا فشيئا . ومثل كل الحوادث التي تدل على حقيقة الفناء وتشير إليها يفهم الإنسان أنه متى آن وقت الرحيل فعليه أن يرحل ، وأنه لا بد أن يأتي يوم سيرحل فيه عن هذه الدنيا ، وعند ذلك ينزوي في عالمه الخاص ويعيش نوعا من الانزواء الروحي .

في «عرفات» تسمع صرير أبواب السماء

ولكن لم ينته بعد كل شيء . . . فهناك طريق طويل ، ورحلة طويلة تنتظر هؤلاء السائرين إلى الله تعالى . فهناك «مِنَى» بلغزها الغامض ، وبسحرها الذي يدير الرؤوس منتصبية على الطريق تنتظرهم . . . وهناك «عرفات» التي كأنك تسمع فيها صرير أبواب السماء ترقبهم . . . وهناك «المزدلفة» التي لن تدعهم قبل أن تذيبهم مائدة روحية . . . وبعد خطوات هناك المكان الذي يُظهرون فيه كامل تسليم أنفسهم لله ويرجمون عقولهم المعاشية الدنيوية ، ويضحون عن أنفسهم ويعيشون في عوالم أحاسيسهم عيد البراءة والتطهر . ثم يتوجهون إلى الكعبة وإلى كعبة قلوبهم . . . يتوجهون من الله إلى الله ، وينهون عروجهم ونزولهم ، وينثرون ابتساماتهم على حظوظهم بالهام من تداعيات «الفناء في الله» و«البقاء بالله» .

«مِنَى» رمز سماوي للتضحية والحنان

«مِنَى» التي فرشت رداءها في عالم التضحية ببريقها الساحر تقوم بإسماع أشعارها حتى قمم تلال المزدلفة ، وتحاول أن تدخل إليها ، بل تود حتى تجاوزها لتسلم على عرفات . . . تسلم على عرفات ، وترشد ضيوفها -الذين يلبثون عندها أربعاً وعشرين ساعة- وتسلمهم إلى عرفات .

«مِنَى» بالنسبة إليّ رمز سماوي للتضحية والحنان ، ولمعنى الانقياد للأمر في جو من المهابة في الأرض ، وحضن دافئ . هي عنوان للاستسلام وكأنه عيش للإخلاص الذي لا يطلب أي مقابل أو ثمن . و«مِنَى» التي يسكنها لبضعة أيام من لا يملك بيتاً أو مسكناً ، ولا منزلاً أو وطناً مكان وموضع سرّي . فما أكثر

المشاعر التي تموج في قلب كل من لم يغلق قلبه للآخرة في هذا الموضع الحافل بالأسرار . أما نحن فنحس أن «مِنَى» قد امتزجت بأرواحنا إلى درجة أننا نحس وكأنها تنبض في قلوبنا وتعيش في أعصابنا . وما أن نخطو إليها خطوة حتى نشعر بأنها احتضنت روحنا (من الملفت للنظر أنها أول مكان احتضن رسولنا ﷺ) ، وأنها تشير إلى الطرق المؤدية إلى ما وراء هذه الآفاق ، وأنها تكملنا ، وأنها تمتزج بعالم مشاعرنا ، وهكذا نمتزج ونتوحد معها . وبينما نبدأ بالتهيؤ في «مِنَى» ، ونحاول أن نعطي أجنحة لأرواحنا ، إذا بنا نرى عرفات وقد تزينت مثل غرفة عروس ، وتهيات لاستقبال زوارها مثل مرفأ أو ميناء أو ميدان أو قاعدة للانطلاق . . . تنتظر ضيوف الرحمن الذين يسرعون إليها بلهفة من ألم به داء الوصال . . . ضيوف الرحمن الذين يسرعون إليها بحثاً عن احتمال جديد وإمكانية جديدة .

إلى أحضان «عرفات» يسرع ضيوف الرحمن

لعرفات نورانية متميزة ، وللزمن الذي ينقضي فيها عمق آخر ، بحيث إن كل روح استطاع نيل سعادة الوصول إلى هذه الحاضرة لا يفنى ولا يموت كموت غيره من أصحاب الدنيا . وكل من قضى ساعات من عمره على عرفات يفتح طوال حياته كزهرة ، ولا يشحب ولا يبهت لونه أبداً؛ فالدقائق الحانية المليئة بالعشق والوجد والشعر تبرق من منافذ ومن عيون أرواحنا على الدوام وتلتهم ؛ ويطن في آذاننا صوت الذين يعلنون إيمانهم المزين بالعشق والوجد مغردين تغريد البلايل . . . يعلنون إيمانهم ومحبتهم وعرفانهم المتين المستقر في أخفى مناطق قلوبهم ، فيثيرون قلوبنا التي يغمرها الشوق آخذين بأيدينا إلى لذائذ لا يمكن بلوغها ، ويهيجون مشاعرنا بالطفاف ناضجة تشبع كل جوع وتضع مسحة من السحر على عيوننا -مثل استغناء الموجودات التي تملك حنكة وتجربة- وتجول بنا داخل غنى أنفسنا .

الشروق في عرفات والغروب يكون دائماً في جو من المهابة والعمق . ومن المحتمل أنه ما من شاعر بليغ يستطيع الترنم بأبيات كالتي تترنم بها عرفات وتسكبها في قلوبنا ، أو تهمس لنا بحكمة وجودنا وغايته . وأنا أرى أنه لا بد لكل من يرغب في الوصول إلى رقة في الروح أن يتوجه إلى عرفات مرة واحدة في عمره على الأقل ، ويمتزج بجوّها ويعيشه ، ويتنفس شروق عرفات وغروبها كتنفسه الأوكسجين .

أنين الإنسان وأنين «عرفات»

يعيش الإنسان في عرفات جو الدعاء والتضرع، ويطلق الآهات الحبيسة في قلبه التي ترتعش منها جوانحه. أما الأدعية بعد فترة العصر فتكون أكثر عمقا، لأنها تبدو وكأنها قد تضمخت بعطر وجوٍّ من وداع حزين، وتشبه الأصوات والأنفاس أصوات الملائكة فيما وراء السماوات، حتى تصل إلى ذروة السعة والنقاء. وكلما سمع الإنسان الآهات المنبعثة من سهل عرفات يشعر من الجو الأخروي لهذه الأصوات، ومن الرقة والشفقة والرجاء الذي يحدثه الأمل في السعادة الأبدية، بأنه قد أصبح شابا وخالدا، وأنه اتسع وولج من فرجة باب كبير. أما عندما تغرب الشمس، وينشر الظلام جناحه فوق الأفق جالبا معه مشاعر فؤارة من مشاعر الوداع، نتخيل وكأن الآمال قد تجسمت وبدأت تسيل في داخلنا، وأن مشاعرنا قد تنورت بفيض عرفات وبركتها، وأنا قد انسللنا من قوالبنا الجسدية - كما يحدث في الأحلام - وبمنا شطر نواح روحية ومعنوية غير واضحة المعالم تماما، وأنا بدأنا نئن كأنين عرفات، وأنا مع غروب الشمس ذبنا وانتهينا، وأنا قد تحولنا إلى آهات مثل الآهات التي تطرق أسماعنا في عرفات، بل إلى صراخ... ونحس بأننا قد تخلصنا من أثقالنا واكتسبنا أجنحة، ونحسب أن ماهيتنا قد تغيرت وتحولت إلى ماهية روحية وكائن روحاني، فيأخذنا الدهول وتنسمر في أماكننا.

«عرفات» سفح من سفوح الرحمة

عرفات ميدان يسود فيه الأمل والقلق مثل ميدان البعث والحشر يوم القيامة، وسفح من سفوح الرحمة. هي موطن لهطول الرحمة الإلهية على قلوبنا كالغيث، كأن الحوادث كلها تجري في إطار من الأمل، وكأن الإنسان يتجول فيها طوال يومه بين مواكب الملائكة، ويتذكر الآخرة دوما في قيامه وقعوده. يتجول الناس في سهلها وكل واحد منهم كأنه قد انسلخ من كل شيء دنيوي، لا يفكر إلا بحساب الآخرة وبالميزان... يتجول كالأشباح حاملا معه قلقه وخشيته، وكذلك أمله في الرحمة الإلهية، يرجو نيل عفوره، ويعيش خيال نجاته وفوزه، ويستفيد من يومه الوحيد هناك ويستغله كاملاً لكي يحصل على الطاف سنة كاملة وإلهاماتها... يستغل هذا اليوم، ولكنه ما أن يرى نفسه في موضع آخر وفي وقت دعاء ومناسبة تضرع، حتى يرى أنه لا يستطيع إلا الاندماج في جو الدعاء والتضرع.

التوجه إلى «مزدلفة» كأنه توجه إلى الأبدية

لا مناص أمامه من هذا، لأن مزدلفة بالقرب منه تنتظره على بعد خطوات معدودة. فما أن نتلقى إشارة بأن مزدلفة في انتظارنا، حتى نترك مكاننا الذي تحف به الأضواء والأنوار في عرفات التي تبتسم لنا بسمات الأمل. وبدرجة قرب السجود من الله بالنسبة إلى الركوع، نتوجه نحو مزدلفة التي تعد عنوان القرب من الله... نتوجه إلى مزدلفة وكأننا نتوجه إلى الأبدية، أو نسير إلى الله تعالى. في هذا المكان المبارك الذي يكون البدر آنذاك قد قارب على التمام، فتماوجت الأنوار في السهول والجبال، وفي السفوح والوديان... يبدو كأن السماء قد دنت من الأرض ونزلت إليها، وكأن الأرض قد ارتفعت إلى السماء، وتحولت إليها. وبينما تحتضننا هذه الأحاسيس نشعر كأننا - ونحن في طريقنا إلى الله - في ميناء جديد، وشاطئ جديد، وفي سفح جديد. وضمن أجواء مزدلفة التي لم تتغير منذ إقامة الكعبة، وفي وجوه الحجاج التي ينعكس عليها نور السماء، نسمع أصوات هؤلاء العباد المخلصين الضارعين إلى الله تعالى... نسمعها في أجسادنا وفي أرواحنا وفي قلوبنا. عند ذلك نتوهم أننا أصبحنا في عالم آخر، وأنا نرافق الملائكة في عالم الملكوت ونتصادق معهم... عند ذلك ندع أنفسنا تماما ونتركها في لجة رحمة الله تعالى الواسعة.

يقول ابن عباس رضي الله عنه إن سيد الأنبياء ﷺ حصل على وصفة مهمة وصريحة في المزدلفة بخصوص أمته وخلاصها، لم يستطع الحصول عليها في عرفات. وكم كان حبيبا إلى قلبي أن يكون هذا الرأي صحيحا مائة في المائة ولكان من حق المزدلفة - التي تقربنا من الله مثلما يقربنا السجود له - أن تطلب منا ضراعة خاصة، وأنيئا وبكاء آخر يقربنا من الله تعالى. الأضواء المنبعثة من المصابيح الموجودة في أرجاء المزدلفة، والوجوه النيرة للحجاج، ونظراتهم التي ضببتها الدموع، وصدورهم التي تموج بالانفعالات، تضيف إلى ساحة هذا المكان المبارك - الذي لا نعرف سوى ليله - جمالا آخر يأخذ بالألباب. أما عندما يتقدم الليل فإن سحره يزداد ويتعمق. وبينما يستريح بعضهم تهيؤاً لغد حافل بالنشاط والجهد، ترى آخرين وهم يقضون الليل حتى الصباح في الصلاة والعبادة. ولا يدري أحد بماذا يفكر هؤلاء من أصحاب الأرواح السامية الذين حبسوا أضواتهم في صدورهم، ولكنهم يوصلون نبض قلوبهم إلى

قلوب أهل القلوب . . . لا أحد يدري بماذا يفكر هؤلاء، ولا ماذا يقولون، ولا ماذا يهمسون لأنفسهم، ولا ما يخطر على بالهم. أصوات قلوبهم تتردد على الدوام في مستويات عالية سامية، وتتسابق مع أنفاس الملائكة وتكون معها كفرسي رهان. وهؤلاء العمالقة الذين تجاوزوا الزمان، يستمعون إلى قلوبهم ويتكلمون بها. وبجانبِ وَقَبْلَ لحن القلوب التي يترنم بها هؤلاء، بل وقبل قبل هذا، ينصتون ويحاولون سماع جميع الأنغام التي يستطيعون جمعها في كورس واحد من ضرب ريشة مشاعرهم على أوتار قلوبهم . . . يسمعونها معا وينصتون لها معا، ثم يرتشفون ماضيهم مع يومهم هذا، وكأنهم يرتشفون نغمة مليئة بالبهجة والخبور.

وعندما تلوح علامات الفجر في الأفق تبدأ جميع المشاعر والأحاسيس التي هاجت في عرفات بالانسياب إلى مزدلفة بعد أن تكون قد تضاعفت، تنساب مختلطة بأصوات أنين وبكاء مع ابيضاض وجه السماء بعد الفجر . . . توجه إلى الله تعالى خارج أوقات الصلوات وتوجه نحوه في الصلوات . . . أما الأدعية المناسبة إلى الصلوات والموجودة فيها والتي تعد بعدا من أبعاد القرب من الله تعالى فتأخذ عمقا متميزا آخر.

كأن هذه الأدعية ملابس من حرير تحيط بأجسادنا، أو أياد سماوية تضيء آملنا، وتمنح السلوان لآملنا، أو كأنها ماء ينزل بردا وسلاما على صدورنا التي تلتهب فيها النيران، أو كأنها صوت أذان يسمعنا الحقيقة الكبرى فيرسل الرعشة إلى قلوبنا . . . وأحيانا تقوم بجمع أشعثات دنيانا السابقة، وتلم أجزاءها المتناثرة، وتسمعنا من المعاني عن حقيقة أنفسنا وجوهرها وعن خلودنا ودنيانا وعُقبانا ما يجعلنا نكتشف أنفسنا من جديد، ونتعرف على حقيقة ذاتنا، وننظر إلى الدنيا نظرة اعتبار ومن زاوية جديدة، ونشعر بقرب من دار العقبى، ونراها أكثر صفاء وأشد وضوحاً.

تستمر هذه التضمرات والتوسلات حتى شروق الشمس وظهورها في الأفق معلنة عن ميلاد يوم جديد. أما الجباه التي بقيت ساجدة حتى ذلك الحين فإنها في أثناء شروق الشمس تبدو وكأنها تشد الرحال من جديد لبلوغ قرب آخر، وتبدأ برحلتها. أما الآن فأمامنا «مِنَى» التي أتيناها سابقا وسلمنا على وديانها واديا واديا . . . مِنَى التي يلجم فيها أصحاب الأرواح الصافية

منطقهم، ويعطون زمامهم بيد الروح . . . مِنَى التي يبدي فيها الواصلون إلى مرتبة التسليم انقيادهم . . . مِنَى التي لجمت عقول ومنطق آلاف بل مئات الآلاف من الناس منذ عهد آدم عليه السلام إلى إبراهيم عليه السلام، ومنه إلى سيد المرسلين ﷺ، وربطت تقييمهم للأمور ووزنهم لها بالقلب . . . وأخيرا وبعد هذا كله فَمِنَى هي المكان الذي تأخذ فيها النفس نصيبها بعد رجم الشيطان، وفيها يتم التمثيل الجماعي لموضوع التبعيد الذي يعد أساس العبودية.

وما أكثر ما يتم عمله هناك بجانب رمي الجمرات؛ تقديم الأضاحي والحلق وتبديل ملابس الإحرام ثم أداء فرض الطواف الذي يتم في جو من مشاعر روحية عالية . . . هذا هو بعض ما يؤدي هنا.

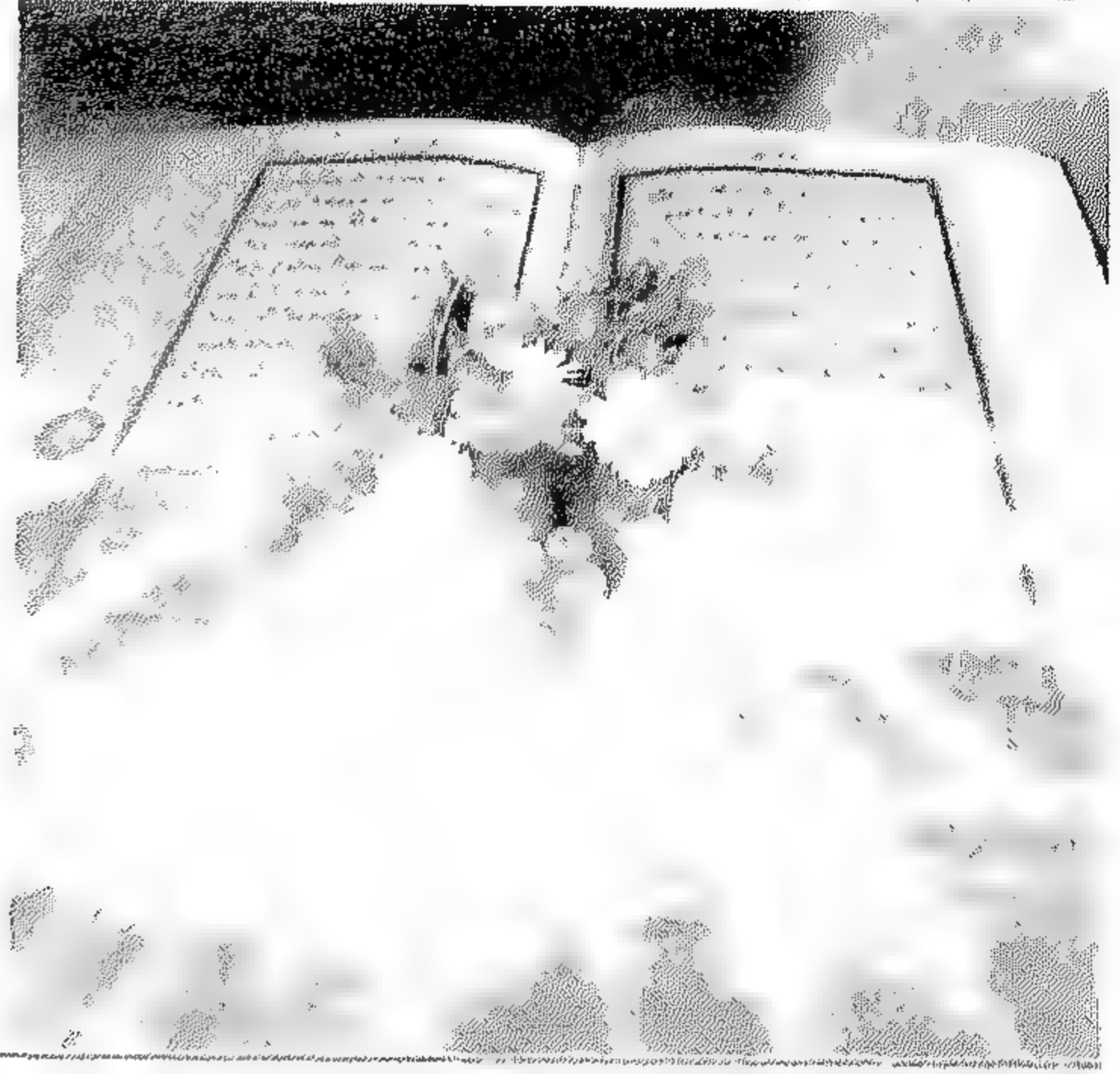
التحلل من جميع الأنانيات

يقوم الحاج منذ مغادرته بيته وطوال طريق رحلته بالتحلل من جميع أنانياته، الواحدة منها تلو الأخرى. أما من ناحية حياته القلبية والروحية فيتكامل ويتزين مثل قطعة مزينة من الحرير . . . أجل! . . . إن الإنسان وهو في رحلته النورانية هذه يتعرف على أقدم الحقائق التي لا تبلى أبدا، وعلى الحقائق الأزلية التي تبقى نضرة على الدوام، ويمتزج معها. يصل هناك إلى أحوال لن ينساها أبدا. أما بالنسبة لمن يدرك حقيقة وكنه ما يؤديه في هذه الرحلة الأرضية/السماوية، والألطف الإلهية المعنوية التي تنهمر عليه، والذكريات التي يحصل عليها، فإنه يكسب عمقا قلبيا وارتباطا أقوى بالدار الآخرة. وتظل ألوان السماء، وأصوات الحجيج تملأ مخيلتنا، وتلف أرواحنا، وتشخص أمام أعين أرواحنا طوال أعمارنا.

لا يمكن ذكر أي مكان آخر غير الكعبة وما يحيط بها، له نفس الجاذبية والسحر، وإن كان هذا مشوبا بشيء من الحزن. ففي حرمها يشاهد الإنسان في كل حين جمالا أسطوريا، ويقطف هناك كل شيء وكأنه أنضج فاكهة وأحلاها، ويأكلها. والمحظوظون الذين يصلون إلى سعادة تمرير وجوههم هناك سيتخلصون من وهم البحث عن مكان عبادة آخر، وحتى غروب عمرهم وانتهائه لن يستطيعوا نسيان السحر ذي البعد الأخروي لهذا المكان أبدا. ■

ظاهرتان تبحثان على الدهشة في كتاب الله عز وجل (٢)

شبابية القرآن



أ.د. محمد سعيد رمضان البوطي *

ثم إن الأستاذ رحمه الله تعالى أخذ يعرض من الأمثلة التطبيقية ما يؤكد فتوة وشبابية القرآن الباقيتين في كل عصر، على حدّ تعبيره.

وأقول: إن هذه المزية واحدة من أخطر وأروع المزايا التي لا تنطبق إلا على كتاب الله عز وجل: القرآن. غير أن هذه المزية لا تولد وتستبين إلا في رحم الأجيال والعصور المتعاقبة. فالمسلمون في صدر الإسلام وعصوره الأولى لا يستطيعون أن يلاحظوا فيه هذه المزية لجهلهم بما ستأتي به العصور اللاحقة من أعراف وتطورات ومعارف وعلوم جديدة، حتى يستبين لهم موقف القرآن منها وحديثه عنها. أما اليوم وقد تراكمت على ساحة التاريخ ألوان من التقلبات والأفكار والاكتشافات والأحداث، متجمعة من سلسلة العصور المتلاحقة، فإنه بوسعنا، إن عدنا نتأمل في خطاب القرآن لأصحاب هذه العصور كلها، أن نتبين جدّة القرآن، أو شبابيته على حدّ تعبير بديع الزمان، من خلال تألفه مع سائر ما قد مرّ أو يمرّ اليوم على دنيا الناس من تطورات في أعرافهم وأفكارهم وظروفهم وعلومهم.

يركز بديع الزمان حديثه عن جدّة القرآن، رغم تقادم ذلك العصر الذي نزل فيه، على ما يحمله القرآن للناس من مبادئ ودساتير وقيم حضارية وسلوكية، ويبين لنا مدى جدّتها ومدى احتياج الناس في كل عصر إليها، في مقابل تهافت الجديد الذي يخالفه والذي تبتدعه اجتهادات الناس مع تقلبات الأزمنة والعصور، ويضرب لذلك أمثلة كثيرة.

يعبر الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله عن شبابة القرآن وفتوته فيقول «إن القرآن الكريم قد حافظ على شبابيته وفتوته حتى كأنه ينزل في كل عصر نصيراً فتياً. نعم، إن القرآن الكريم، لأنه خطاب أزلي، يخاطب جميع طبقات البشر، في جميع العصور خطاباً مباشراً، يلزم أن تكون له شبابة دائمة كهذه. فلقد ظهر شاباً، وهو كذلك كما كان. حتى إنه ينظر إلى كل عصر من العصور المختلفة في الأفكار والمتباينة في الطباع، نظراً كأنه خاص بذلك العصر، ووفق مقتضياته، ملقناً دروسه ملفتاً إليها الأنظار»^(١).

«إن آثار البشر وقوانينه تشيب وتهرم، وتتغير وتبدّل، إلا أن أحكام القرآن وقوانينه لها من الثبات والرسوخ بحيث تظهر متانتها أكثر، كلما مرت العصور»^(٢).

عصر أصمّ أذنيه عن سماع القرآن

«نعم، إن هذا العصر الذي اغترّ بنفسه، وأصمّ أذنيه عن سماع القرآن أكثر من أي عصر مضى، وأهل الكتاب منهم خاصة، أحوج ما يكونون إلى إرشاد القرآن الذي يخاطبهم بـ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ حتى كأن ذلك الخطاب موجه إلى هذا العصر بالذات، إذ إن لفظ «أهل الكتاب» يتضمن معنى أهل الثقافة الحديثة أيضاً. فالقرآن يطلق نداءه يدوي في أجواء الآفاق ويملأ الأرض والسبع الطباق بكل شدة وقوة، وبكل نضارة وشباب، فيقول ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ (آل عمران: ٦٤)»^(٣).

القرآن يخاطب جميع المستويات الثقافية

إلا أنني أتصور أن هذه الجدة المستمرة أبعث على الدهشة وأكثر إثارة للعجب، عندما نقف عليها من خلال التعابير القرآنية عن حقائق وظواهر كونية، تتفاوت مدارك الناس في رصدها واستيعابها، إذ يكون فيهم الجاهل الذي لا يدرك منها إلا ظاهر ما يرى، ويكون فيهم المثقف الذي يضيف إدراكه إلى ذلك الظاهر المرئي بعض خفاياه العلمية، ثم قد يأتي في أعقاب هذا وذاك من قد حولته معارفه أن يضيف إليهما معلومات معمقة لا يتبينها إلا أصحاب الاختصاص أو الذين ساعدتهم عصورهم العلمية على معرفة هذا المزيد.

وتنظر إلى حديث القرآن عن هذه الظواهر الكونية، فتجده يعبر عنها بألفاظ دقيقة وبأسلوب متميز، بحيث يدرك الجاهل من حديث القرآن عنها ما يتطابق مع الظاهر المرئي الذي وقفت عنده مداركه؛ ويدرك المثقف من الحديث ذاته بالإضافة إلى ما فهمه الأول، ما يتطابق مع بعض تلك الخفايا العلمية التي علمها؛ ويرى العالم المتخصص الذي جاء في العصور التالية في الحديث ذاته، بالإضافة إلى دلالاته على المعنى السطحي الأول، والمعنى الخفي الثاني، دلالة واضحة على عمق علمي لا يدركه إلا أصحاب الغوص والاختصاص.

هذا مع العلم بأن دلالة الصيغة القرآنية على هذه الطبقات أو الدرجات الثلاث تأتي واضحة متساوقة، دون أي تحمل أو تكلف مما قد يطيب لبعض الناس فعله، عندما يتمحلون في تحميل بعض الجمل أو الألفاظ ما لا تحمله من المعاني.

انظروا إلى قول الله عز وجل: ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ (الذاريات: ٤٨). إن الأعرابي عندما سمع هذا الكلام الرباني في صدر الإسلام، لم يشك أنه وصف لواقع مرئي مشاهد من صفة الأرض ذات الامتداد المرئي لكل ذي عينين، وهو امتداد يسر للناس الذين يتحركون على ظهرها أن يمارسوا بسهولة ويسر أسباب معاشهم. أما العلماء المدققون والمتخصصون الذين جاؤوا فيما بعد، فلم يشكوا عندما سمعوا هذا الكلام الدقيق، أن الحديث إنما هو عن الأرض كلها، أي بمعناها الكلي، أي فالامتداد وصف لسائر أجزائها السطحية.

فإن سرت مع امتداد الأرض إلى أقصى الشرق، لن تجد لهذا الامتداد أي حافة أو نهاية، وإن سرت مع امتدادها إلى أقصى الغرب، رأيت الأمر كذلك، وكذلك إن سرت متجهاً إلى

الشمال أو الجنوب. وهذا يعني أن الأرض ممتدة في انحناء مستمر إلى أن يتكون لسطحها محيط دائري مكور.

وهذا المعنى ذاته هو الذي ينبثق، بهذا التدرج، من قول الله تعالى ﴿وَالْأَرْضَ كَيْفَ سَطَّحْتَ﴾ (الغاشية: ٢٠) وهذا هو قرار القرآن قبل أن ينطق به أو يدركه أحد من الناس.

فانظروا إلى المعنى السطحي الأول، كيف يتممه المعنى الدقيق الثاني، في تناسق وائتلاف، أي دون أن ينسخ الثاني منهما الأول، ليتكون من العبارة التي تحمل المعنيين الخطاب الشبائي المتجدد، كما يقول بديع الزمان، لسائر طبقات الناس في سائر العصور المتوالية.

كلمة «دحا» تأتي في اللغة العربية بمعنى عظم، وبمعنى وسع، وبمعنى كور؛ وقد تكررت بمعناها الثاني والثالث في هذه الأبيات لابن الرومي:

إن أنس، لا أنس خبازاً مرتت به
يدحو الرقاقة وشك اللحم بالبصر
ما بين رؤيتها في كفه كره
وبين رؤيتها قوراء كالقمر
إلا بمقدار ما تنداح دائرة
في صفحة الماء يلقي فيه بالحجر

ويقول الله عز وجل ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ (النازعات: ٣٠) يقرأ هذا الكلام العربي الذي لا يعلم عن الأرض وهيئتها إلا الشكل الذي يراها عليه وهو الاتساع والبسط، فيفهم من قوله «دحاه» هذا المعنى الذي يراه. وهو فهم صحيح يطابق المعنى اللغوي للكلمة. ثم يقرؤها العالم الفلكي أو المثقف العادي في هذا العصر، فيفهم بالإضافة إلى ما تحمله الكلمة من المعنى الأول، ما تدل عليه أيضاً من معنى الاستدارة والتكوير.

وإننا لنلاحظ كيف أن الكلمة تحتضن كلا المعنيين، على درجتين من السطحية والعمق؛ وكيف أن المعنيين مندرجان في تساق وتآلف، أي دون أن يقع بينهما أي تشاكس أو تعارض. وهكذا فالكلمة ذات جدة إذ سمعها الأعرابي قبل خمسة عشر قرناً، وهي ذات جدة أيضاً إذ يصغي إليها العالم المتخصص أو المثقف من الناس اليوم.

ولنعرض مزيداً من الأمثلة فنقول: يصف القرآن القمر دائماً بالإثارة، في حين يصف الشمس بالإضاءة أو السراج. فهو يقول مثلاً: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾

(يونس: ٥) ويقول: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ (الفرقان: ٦١) ويقول: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ (نوح: ١٥-١٦).

معاني المنير والمضيء والسراج في القرآن

والجامع المشترك في اللغة بين معنى المنير والمضيء والسراج، هو نقيض الظلمة. ثم إن كلمة المنير تنفصل عن المضيء أو السراج في أن المنير هو ما ينعكس إليه النور من جرم آخر، أما المضيء والسراج فهو كل ما ينبثق منه النور حرارة، أما المنير فلا يطلق إلا على ما ينعكس إليه النور دون أن ييثر أي حرارة.

إذن، فحديث القرآن عن كل من الشمس والقمر يحمل معنى ذا ثلاث درجات: سطح قريب يفهمه الناس كلهم، ألا وهو الجامع المشترك الذي هو نقيض الظلمة؛ وعمق يصل إليه المتأملون، ألا وهو التنبيه إلى أن ضياء الشمس مصحوب بحرارة أما نور القمر فخال ومجرد عنها؛ وجذر بعيد يدركه الباحثون المتخصصون أو المثقفون من أهل هذا العصر، ألا وهو أن القمر ينعكس إليه الضياء من جرم آخر هو الشمس، في حين أن ضياء الشمس ينبعث من داخلها.

وهكذا فإن هذه الآيات تفيد كل فئات الناس على اختلاف ثقافتهم واختلاف عصورهم حسب قدراتهم الفكرية، دون أن يقوم أي تعارض علمي بين حظوظ هذه الفئات فيما يفهمونه من معانيها. إذ هي معان لغوية صحيحة متساوقة ومتدرجة من السطح إلى العمق فالجذور.

حقاً إنها شباية علمية دائمة مستمرة يتسم بها كتاب الله عز وجل، الذي يمحّر أطوار المعارف والعلوم في جادة تستعصي على التقادم، وهيمنة علمية سامية لا تقهر.

ولكن إياكم أن تتصوروا أننا بهذا الذي أوضحناه لنخرج إلى موقف أولئك الذين يحملون نصوص القرآن كل ما يروق لهم من النظريات أو التصورات العلمية الرائجة، في تكلف لا موجب له، وبطريقة هي أشبه بالعبث بالقرآن والتلاعب بقانون دلالاته.

إننا لسنا من هؤلاء العابثين في شيء، ولسنا ممن يدعون إلى إخضاع القرآن لقراءة معاصرة تجعله مرآة دقيقة ينطبع عليها سائر التيارات الفكرية الجانحة والعقائد والتصورات الزائفة والتنبؤات العلمية المتداولة.

إننا نتحدث عن دلالات لغوية ثابتة يحضنها كتاب الله تعالى منذ فجر نزوله، طبقاً لقواعد تفسير النصوص، وقبل أن تتطور المعارف ويسير الناس في طريق اكتشاف الحقائق العلمية المتنوعة.

إن القرآن يقول منذ فجر نزوله ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾ (المرسلات: ٢٥-٢٦). والكيف معناه في اللغة الجذب، فمعنى الآية إذن: ألم نجعل الأرض جاذبة لكم إذ تنتقلون على وجهها وأنتم في طور الحياة، وتدفنون في باطنها إذا حاق بكم الموت. ولقد فسر العلماء الآية بهذا المعنى بسائق من ضرورة الدلالة اللغوية، قبل أن يكتشف الغربيون ما يسمى بجاذبية الأرض، بل إن يونس بن قره هُدي إلى هذه الجاذبية ووجودها قبل اكتشاف الغربيين لها بآمد طويلة اتباعاً لهذا الذي نطقت به دلالة القرآن.

إننا هنا نتحدث عن المواقف التي يهدي القرآن فيها الناس إلى الحقائق الكونية والعلمية، ولسنا نتحدث عن المواقف التي يستجر فيها القرآن من قبل بعض الناس إلى النظريات والافتراضات العلمية، وشتان بين الموقفين.

كل ما في الأمر أننا نقف مع بديع الزمان رحمه الله أمام هذه الجدة المستمرة في كتاب الله؛ إذ يخاطب فئات الناس على اختلاف مستوياتهم وعصورهم؛ فلا يحمل القرآن الجاهل من الناس من معانيه المتراكمة أكثر مما يطيق، ولا ينجلي على العالم منهم بتلقينه من معانيه تلك كل ما يطيق. وكل ذلك يتم ضمن دلالة لغوية مستقرة ثابتة منذ صدر الإسلام وأول نزول القرآن.

أما من حيث جادة المبادئ والقيم التي يخاطب بها القرآن الناس في كل عصر، دون أن تشيخ أو تتقادم، والتي يركز عليها بديع الزمان ويضرب لها أمثلة عديدة، فهو رحمه الله إنما ينبه من ذلك إلى أمر بالغ الأهمية، وهو أن الإنسان قد يتقدم صُعُداً في مجال المعارف والعلوم، كلما امتدّ به الزمن؛ ذلك لأن أداة المعرفة والعلم هي الفكر والعقل، وحركة كل منهما في اجتياز معلوم إلى معلوم آخر أشبه ما تكون بالحركة الآلية التي تقوم على الاندفاع الذاتي؛ أما فيما يتعلق بمجال الأخلاق والمبادئ والقيم، فالشأن في الإنسان كلما امتدّ به الزمن وتعرض لتطورات المعاش واختلاف أسبابها، أن يتراجع في ذلك كله إلى الوراء. ذلك لأن التقدم المادي والازدهار المعاشي من شأنهما أن يزرجا بالإنسان في حالة من الترف والاستكبار

والاعتداد بالقوة والتشكر لموازين الحق.

وهذا هو مصداق قول الله عز وجل:
﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ * أُنْزِلَ إِلَيْهِ رُوحُ رَبِّهِ * لِيُطَهِّرَ الْفُلُكَ * أَنْ رَأَهُ اسْتَعْنَى﴾
(العلق: ٦-٧).

تجديد النفس والاحتكام إلى المبادئ

ومن هنا تظل دعوة القرآن الإنسان إلى تحكيم المبادئ والقيم، متمثلة في استخدام القوة لرعاية الحق، وإحلال التعاون محل الاستبداد، تتسم بالجدّة والشبابية على حدّ تعبير الأستاذ رحمه الله، مهما تطور أو تقادم الزمن.

وهذا هو السبب في حاجة الإنسان الدائمة إلى الانضباط بالدين الحق.

ذلك لأن المجتمع الإنساني مدعوّ بل مضطر إلى أن يجدد نفسه دائماً كي لا يقع في آفة التراجع إلى الاستبداد والطغيان من جراء تألق الحياة المادية وازدهار أسباب المعيشة أمام الإنسان. والسبيل الوحيد إلى تجديد نفسه أن يشدّ نفسه دائماً إلى وصايا القرآن وأوامره وعظاته. وعندئذ يظل المجتمع الإنساني صاعداً في طريقين من التقدم: طريق التقدم في المعارف والعلوم وأسباب المنعة والقوة، وطريق التقدم على سلّم الأخلاق أو القيم الإنسانية الرفيعة التي لا تعرف التفاتاً إلى الوراء ولا تتجه إلا صعداً نحو الجدّة وفتوة المجتمع الإنساني. ■

(*) جامعة دمشق، كلية الشريعة - سوريا.

الهوامش:

١. كليات رسائل النور - الكلمات ص ٤٧١

ترجمة: إحسان قاسم الصالح.

٢. المصدر نفسه، ص ٤٧١.

٣. المصدر نفسه، ص ٤٧١-٤٧٢.

أيّ وليد يا ترى يتحرك في أحشاء الدنيا...؟

وأيّ مخاض عسير تعانيه...؟

أهي على وشك الولادة...؟

لقد ظلّت تدور وتناوّه، وتستولد الأزمان...

إنّها توافقه إلى زمن الإيمان الأول...

إنّها تلد جديداً جديداً هو في الصفاء والنقاء

كجده الأول...!

ذلك الجد العظيم زارع الأرض بحمرة الورود.

ترى أحلم مع الأرض بالأجداد...؟

أم الأجداد هم الذين يحلمون بنا...؟

الحياة الحقيقية قائمة بالعلم وبالعرفان. فمن أهمل التعلم والتعليم مات وإن كان على قيد الحياة، لأن الغاية الكبرى من خلق الإنسان هي النظر والتأمل وتحصيل المعرفة وإشعاع ذلك على الآخرين.

وسطية الأمة الإسلامية

د. محمد عمارة *

انعدام الموقف الواضح والمحدد أمام القضايا والمشكلات، لأنها هي الموقف الأصعب الذي لا ينحاز الانحياز السهل إلى أحد القطبين وفقط، فهي بريئة من المعاني «السوقية» التي شاعت عن دلالات مصطلحها بين العوام، وهي كذلك ليست «الوسطية الأرسطية» كما يحسب كثير من المثقفين ودارسي الفلسفة الغربية وطلابها؛ لأن الوسطية الأرسطية التي رأى بها أرسطو (٣٨٤-٣٢٢ ق.م) أن الفضيلة هي وسط بين رذيلتين هي في العرف الأرسطي أشبه ما تكون في توسطها «بالنقطة الرياضية» التي تفصلها عن القطبين -الرذيلتين- مسافة متساوية، تضمن لها التوسط والوسطية. إنها نقطة رياضية، وموقف ساكن، وشيء آخر لا علاقة له بالقطبين اللذين يتوسطهما، وليست هكذا الوسطية في اصطلاح الإسلام.

إنها في التصور الإسلامي موقف ثالث حقا، وموقف جديد حقا، ولكن توسطه بين النقيضين المتقابلين لا يعني أنه منبت الصلة بسماتهما وقسماتهما ومكوناتهما. إنه مخالف لهما، لكن ليس في كل شيء؛ وإنما خلافه لهما منحصر في رفض الانحصار والانغلاق على سمات كل قطب من الأقطاب وحدها دون غيرها، منحصر في رفضه الإبصار بعين واحدة، لا ترى إلا قطبا واحداً. . . منحصر في رفضه الانحياز المغالي، وغلو الانحياز. ولذلك، فإنها -كموقف ثالث، وجديد- إنما يتمثل تميزها، وممثل جدتها في أنها تجمع وتؤلف كل ما يمكن جمعه وتأليفه -كنسق غير متنافر ولا ملفق- من السمات والقسمات

في الوسطية الإسلامية تتمثل السمة والقسمة التي تجد -بحق- أخص ما يخص به المنهج الإسلامي عن مناهج أخرى لمذاهب وشرائع وفلسفات؛ بها انطبعت الحضارة الإسلامية في كل القيم والمعايير والأصول والمعالم والجزئيات، حتى لنستطيع أن نقول: إن هذه الوسطية، بالنسبة للمنهج الإسلامي وحضارته هي «عدسته اللآمة» لأشعة ضوئه، وزاوية رؤيته كمنهج، وزاوية الرؤية به أيضاً.

وهي قد بلغت وتبلغ هذا المقام، لأنها -بنفيها الغلو الظالم والتطرف الباطل- إنما تمثل الفطرة الإنسانية قبل أن تعرض لها وتعدو عليها عوارض وعاديات الآفات. . . تمثل الفطرة الإنسانية في بساطتها وبداهتها وعمقها وصدق تعبيرها عن فطرة الله التي فطر الناس عليها. إنها صبغة الله، أراد سبحانه وتعالى لها أن تكون صبغة أمة الإسلام، وأخص خصوصيات منهج الإصلاح بالإسلام، فقال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣). إنها الحق بين باطلين؛ والعدل بين ظلمين؛ والاعتدال بين تطرفين؛ والموقف العادل الجامع لأطراف الحق والعدل والاعتدال، الرافض للغلو إفراطا وتفریطا؛ لأن الغلو الذي يتنكب الوسطية هو انحياز من الغلاة إلى أحد قطبي الظاهرة، ووقوف عند إحدى كفتي الميزان، يفتقر توسط الوسطية الإسلامية الجامعة وإمكانات الشهادة والشهود.

وهذه الوسطية الإسلامية الجامعة ليست ما يحسبه العامة

والمكونات الموجودة في القطبين النقيضين كليهما. وهي لذلك وسطية «جامعة»، تتميز عن تلك التي قال بها حكيم اليونان.

الوسطية الجامعة

إن «العدل» - والوسطية هي العدل بين ظلمين - لا يعتدل ميزانه بتجاهل كفتيه، والانفراد دونهما، كما أنه لا يعتدل ميزانه بالانحياز إلى إحدى الكفتين. وإنما يعتدل بالوسطية الجامعة التي تجمع الحكم العادل من حقائق ووقائع وحجج وبيّنات الفريقين المختصمين - كفتي الميزان-. ولهذا كان قول رسول الله ﷺ: «الوسط: العدل، جعلناكم أمة وسطا» رواه الإمام أحمد، كان التعبير عن حقيقة مفهوم الوسطية في الإسلام.

وفي ضوء هذا المضمون الإسلامي لمصطلح «الوسطية» - وهو المضمون الذي ميّزها بوصف «الجامعة» - نقرأ كل الآيات القرآنية التي أشارت إلى هذه الخصيصة من خصائص المنهج الإسلامي في الإصلاح. فأمة الإسلام هم: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان: ٦٧). والمنهاج الوسطي في الإنفاق تشير إليه آيات من مثل: ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٦)، ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (الإسراء: ٢٩). فلا الرهبانية النصرانية والنسك الأعجمي ولا الحيوانية الشهوانية والتحلل من التكليف.

وإذا نحن شئنا معرفة الامتياز العظيم الذي تمثلته «الوسطية الجامعة» وتحققه للمنهج الإسلامي في الإصلاح، والشمول الذي تبلغه تأثيراتها عندما تُراعى وتوضع في الممارسة والتطبيق، فإننا نستطيع ذلك عندما ندرك كيف مثلت هذه الوسطية - وتمثل - بالنسبة للإصلاح الإسلامي طوق النجاة من تمزق وانشطارية وثنائية المتقابلات المتناقضة، على النحو الذي حدث في حضارات أخرى، وفي الحضارة الغربية على وجه التحديد.

فبهذه الوسطية الجامعة لم يعرف المنهاج الإسلامي التناقض الذي لم يجد له حلاً بين: الروح والجسد، الدنيا والآخرة، الدين والدولة، الذات والموضوع، الفرد والمجموع، الفكر والواقع، المادية والمثالية، المقاصد والوسائل، الثابت والمتغير، القديم والجديد، العقل والنقل، الحق والقوة، الاجتهاد والتقليد، الدين والعلم... إلى آخر الثنائيات، التي عندما افتقد منهج النظر إليها قسمة «الوسطية الجامعة» حدث الانقسام الحاد والشهير في فلسفة الحضارة الغربية إلى «ماديين» و«مثاليين» و«مادية» و«مثالية»، و«عقلانيين» و«لاهوتيين»، و«متدينين»، و«فلاسفة» و«مؤمنين»... منذ العهود اليونانية لتلك الحضارة وحتى نهضتها الحديثة وواقعها المعاصر.

لقد مثلت الوسطية الإسلامية الجامعة لحضارتنا ولمنهاج الإصلاح الإسلامي طوق النجاة من هذه الثنائيات وتمزقاتها وغلوها. ولذلك، كانت المعيار لإسلامية مناهج النظر الفكري ومناهج الإصلاح بالإسلام.

ولقد تألفت الدعوة الإصلاحية للإمام محمد عبده حول بدايات القرن الرابع عشر الهجري في واقع حضاري تميز بسيادة الجمود والتقليد في دوائر طلاب العلم الديني - وهو غلو يحجب الدين والإصلاح الإسلامي عن الواقع والحياة - فيخلق الفراغ الديني الحق في هذا الواقع، ويبعد المنهاج الإصلاح الإسلامي عن أن يكون هو سبيل الأمة للنهضة والتقدم.

كما تميز هذا الواقع الحضاري بزحف النموذج الغربي في التقدم والتحديث على الشرق الإسلامي، ذلك النموذج الذي وفد إلى بلادنا في ركاب الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة لعالم الإسلام. وهو نموذج قد تميز بالغلو الشديد، وذلك عندما انحاز إلى عالم الشهادة رافضاً عالم الغيب، وإلى الدنيا في مواجهة الدين، وإلى الفردية في مقابلة الجماعة، وإلى الأرض في رفضه لحاكمية السماء وشريعتها، وإلى المادية والوضعية في مقابلة الروح، وإلى القوة

الوسطية الجامعة، هي منهاج الإسلام في الحياة، بمختلف ميادين الحياة الفردية والاجتماعية؛ فإن العقل المسلم يستطيع أن يفقهها ويطبّقها في سائر الميادين.

في مواجهة العدل ، وإلى الصراع بدلا من التدافع ، وإلى العقل في مقابلة النقل والوجدان . . . فملا هذا النموذج الغربي الفضاء الفلسفي والثقافي والسياسي بحشد غفير من «الثنائيات المتناقضة» التي عبرت وتعبّر عن غلو التفريط ، المقابل لغلو الإفراط الذي مثله الجمود والتفكير والتقليد السائد بين طلاب علوم الدين في شرقنا الإسلامي في ذلك التاريخ .

ولمخافة كلا الموقفين -جمود طلاب علوم الدين ، وجحود طلاب العلوم الغربية- لمنهاج الوسطية الإسلامية في الإصلاح والنهوض ، كان حرص الإمام محمد عبده على تمييز منهاجه في الإصلاح بسمة الوسطية الإسلامية الجامعة . فكتب عن تمييز موقفه ومنهجه ودعوته بهذه الوسطية عن أهل الجمود والتقليد للموروث ، وأهل الجمود والتقليد للوافد الغربي فقال: «ولقد خالفتُ في الدعوة إليه (أي إلى منهجه في الإصلاح) رأي الفئتين العظيمتين اللتين يتركب منهما جسم الأمة: طلاب علوم الدين ومن على شاكلتهم ، وطلاب فنون هذا العصر ومن هو في ناحيتهم» .^(١)

ثم تحدث عن أن هذه الوسطية التي انحاز إليها وتميز بها منهاجه الإصلاحية ليست خياراً ذاتياً ، وإنما هي منهاج الإسلام ، الذي تميز به عن الغلو الذي أصاب أهل الشرائع الأخرى ، «فلقد ظهر الإسلام ، لا روحياً مجرداً ، ولا جسدياً جامداً ، بل إنسانياً وسطاً بين ذلك ، آخذاً من كلا القيلين بنصيب ، فتوافر له من ملازمة الفطرة البشرية ما لم يتوافر لغيره . ولذلك سمي نفسه دين الفطرة وعرف له ذلك خصوصه اليوم ، وعدّوه المدرسة الأولى التي يرقى فيها البرابرة على سلم المدنية» .^(٢)

فالوسطية هي السمة المميزة للإسلام ، وهي السبب الذي جعل الإسلام دين الفطرة البشرية السوية ، فكان لذلك سلم الارتقاء على درب المدنية ، بشهادة الخصوم قبل الأصدقاء .

وبهذه الوسطية التي تميز بها الإسلام تميزت أمة الإسلام عن أمم الشرائع السابقة التي حُرّف بعضها إلى الغلو المادي ، وحُرّف بعضها الآخر إلى الغلو

الروحاني ، وبعبارة الإمام محمد عبده: «ذلك أن الناس كانوا قبل ظهور الإسلام على قسمين: قسم تقضي عليه تقاليده المادية المحضة ، فلا همّ له إلا الحظوظ الجسدية ، كاليهود والمشرّكين؛ وقسم تحكم عليه تقاليده بالروحانية الخالصة ، وترك الدنيا وما فيها من اللذات الجسمانية ، كالنصارى والصابئين وطوائف من وثنيي الهند أصحاب الرياضات . وأما الأمة الإسلامية فقد جمع الله لها في دينها الحقين؛ حق الروح وحق الجسد ، فهي روحانية جسمانية . وإن شئت قلت: إنه أعطاهما جميع حقوق الإنسانية ، فإن الإنسان جسم وروح ، حيوان ومَلَك ، فكأنه قال: جعلناكم أمة وسطاً ، تعرفون الحقّين وتبلغون الكماليين» .^(٣)

ولأن السنة النبوية هي البيان النبوي للبلاغ القرآني ، كانت سنة رسول الله ﷺ وطريقته في العمل والقول التجسيد لمنهاج الوسطية الإسلامية . ويكفي أن نتأمل مع سيرته الشريفة قوله ﷺ: «إن هذا الدين متين ، فأوغلوا فيه برفق» (رواه الإمام أحمد) ، و«إن دين الله عز وجل يسر» (رواه البخاري) ، و«إن الله عز وجل لم يبعثني معنفاً ، ولكن بعثني مبسراً» (رواه مسلم والإمام أحمد) ، وعن عائشة رضي الله عنها: «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين في الإسلام إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه» (رواه البخاري) .

الوسطية منهاج الإسلام

ولأن هذه الوسطية الجامعة بهذا المعنى ، هي منهاج الإسلام في الحياة ، بمختلف ميادين الحياة الفردية والاجتماعية؛ فإن العقل المسلم يستطيع أن يفقهها ويطبقها في سائر الميادين:

■ فـ«الكرم» وهو خلق وسلوك وسط ليس غريباً تماماً عن القطبين النقيضين: «الشح» و«الإسراف» ، وإنما هو جامع منهما سمات هذا الكرم ومكوناته ، جامع لقدر من «التدبير والاقتصاد» ولقدر من «البذل والعطاء» ، ففيه اجتماع لعناصر الحق والعدل من القطبين المتناقضين .

لقد مثلت الوسطية الإسلامية الجامعة لحضارتنا ولنهاج الإصلاح الإسلامي طوق النجاة من الثنائيات وتمزقاتها وغلوها.

■ وكذلك «الشجاعة» نجدها وسطا بين «الجبن» و«التهور»، لكنها جامعة بين مقادير من «حذر» الجبان، ومقادير من «إقدام» المتهور، فلا هي منحازة لأحد النقيضين، ولا هي مغايرة كل المغايرة لهما معا.

■ وفي فلسفة الإسلام في الاقتصاد والثروات والأموال، نجد «الاستخلاف» وسطا بين «الحرية المطلقة» في الأموال، وبين الإلغاء الكامل للحرية في الأموال. فالإنسان مالك وحر ومستثمر ومنفق ومستمتع، لكن كوكيل وخليفة في الملكية الاجتماعية عن المالك الحقيقي وهو الله سبحانه وتعالى. فكل حقوق الإنسان في الثروات والأموال محكومة بحقوق الله وفرائضه في التوازن والتكافل بين الأمة.

■ وفي الموقف من تمايز الناس إلى طبقات اجتماعية، يقف الإسلام بوسطيته الجامعة بين الحرية المطلقة التي تثمر التفاوت الفاحش بين الطبقات، وبين «الطوباوية» التي حلت بمجتمعات لا طبقية. فطبيعي وضروري -بناء على تفاوت الطبقات والهمم والجهود- أن يتمايز الناس في المكاسب والحظوظ، لكن الوسطية تفرض وقوف هذا التمايز عند حدود التوازن والتكافل، الذي يجعل الأمة جسداً واحداً، تتكافل أعضاؤه، مع تفاوت الأهمية والعطاء والحاجات لكل عضو من هذه الأعضاء.

وبعبارة الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في عهده إلى واليه على مصر «الأشتر النخعي»: «واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض»^(٤).

■ وفي الموقف من العلاقات بين الحضارات تقدم الوسطية الإسلامية منهاج «التفاعل» الذي هو وسط بين غلو في «الانغلاق والعزلة»، و«التبعية والتقليد». ففي «التفاعل» استلهم لكل ما هو مشترك إنساني عام، مع التمايز في الخصوصيات المتعلقة بالهويات العقدية والثقافية.

■ كما تقدم الوسطية الإسلامية منهاج «التدافع» عندما يختل التوازن في العلاقات بين الحضارات

وكذلك الطبقات، لأن هذا «التدافع» هو متن وسط، يمثل الحراك الاجتماعي الذي يزيل الخلل، ويعيد العلاقات إلى مستوى التوازن والعدل، مع الحفاظ على تعدد وتنوع وتمايز الفرقاء المختلفين. فهو «التدافع» وسط بين «السكون» الذي ينزل الخلل ليستفحل، وبين «الصراع» الذي يصرع فيه القوي الضعيف، فينهى التعددية والتمايز والاختلاف.

لقد رفض القرآن منهاج «الصراع» لأنه يزيل سنة التعددية ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازُ نَحْلٍ خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ (الحاقة: ٧-٨) بينما «التدافع» حراك يعدل المواقف، مع المحافظة على التعدد والتنوع والاختلاف: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: ٣٤).

تلك هي الوسطية الإسلامية الجامعة، صبغة الله التي أرادها لأمة الإسلام، والفطرة الإسلامية المطهرة من العوارض والآفات، وعدسة الرؤية الالامية لقسمات المنهج الإسلامي ومعالم تصوره في «الفكر» و«الحياة». وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣). وصدق رسول الله ﷺ عندما قال: «الوسط: العدل، جعلناكم أمة وسطا».

(*) كاتب ومفكر إسلامي - مصر.

الهوامش

١. الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده؛ ج ٢ ص ٣١٠. دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. ط. دار الشروق/ القاهرة ١٩٩٣ م.
٢. المصدر السابق. ج ٣ ص ٢٨٧.
٣. المصدر السابق. ج ٤ ص ٣٣٣.
٤. «نهج البلاغة» ص ٣٣٧ خ بشرح الإمام محمد عبده. وتحقيق وتعليق: محمد أحمد عاشور، محمد إبراهيم البنا. طبعة دار الشعب / القاهرة.

الوسطية الإسلامية الجامعة هي صبغة الله التي أرادها لأمة الإسلام، والفطرة الإسلامية المطهرة من العوارض والآفات، وعدسة الرؤية الالامية لقسمات المنهج الإسلامي ومعالم تصوره في الفكر والحياة.

فلسفة الموت عند بديع الزمان سعيد النورسي

أ.د. مصطفى بنحمزة *

الموت وجودياً سواء كانت جوهرًا أو عرضاً.

لكن الإشكال رغم هذه التعاريف لا يزول، ويظل العقل ينظر إلى الموت على أنه مجرد عدم ومجرد اضمحلال وتوقف، وهذه الأعراض لا يمكن أن تكون أشياء وجودية لأنها نقائص لأعراض أخرى وجودية ماثلة. وهذا ما يفرض تلمس الجواب في تحليلات أخرى قادرة على تقريب المعنى القرآني للموت بعمق واستبعاد التكلف والتمحل؛ وهو الأمر الذي نجح فيه بديع الزمان سعيد النورسي، وهو يلامس بعقريّة نادرة وبعمق قليل النظير قضية كون الموت مخلوقاً رغم أن الظاهر يوحي بخلاف ذلك.

النورسي وفلسفة الموت

لقد أوضحت أنه على كثرة ما تناول المتناولون قضية الموت محاولين تصورها ضمن حدود العطاء القرآني، فإن المتتبع لا يجد من كل تلك الآراء شفاء لغليل ولا حلاً لإشكال، وإنما يجد الموضوع منبهماً مظلماً في كثير من جوانبه، وبذلك تظل الحاجة قائمة إلى تحليل جديد.

لقد كان الإشكال قائماً ولا شك في أذهان بعض المشتغلين بمثل هذه القضايا الفكرية، فوجه إلى النورسي سؤالاً في الموضوع، فأجاب عنه بجوابه الذي أثبتته في مجموعة المكتوبات من كليات رسائل النور^(١) وصدّر الإجابة بإيراد السؤال ونصه: «إنه يفهم من آيات القرآن الحكيم مثل قوله تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الملك: ٢) أن الموت أيضاً مخلوق وأنه نعمة كالحياة، مع أن الموت في الظاهر انحلال وعدم وتفسّخ وانطفاء الحياة وهادم للذات، فكيف يكون الموت مخلوقاً ونعمة؟»^(٢)

وبهذا السؤال الذي لا أراه صادراً إلا عن فكر مشغول بتعرف وجه الحق من هذا الإشكال، وهو سؤال محدّد ينصبّ على فكرتين محدّدتين هما كون الموت نعمة وكونه أمراً وجودياً؛ وهما فكرتان يصعب تمثيلهما فضلاً عن تقريبهما للغير والدفاع عنهما بقوة إقناعية. فأما عن كون الموت نعمة، فإن ذلك يتجلى في نظر النورسي في مظاهر أربعة: (٣)

«أولها: الموت إنقاذ للإنسان من أعباء وظائف الحياة الدنيا ومن تكاليف المعيشة المثقلة. وهو باب وصال في الوقت نفسه مع تسعة وتسعين من الأحبة الأعزاء في عالم البرزخ، فهو إذن نعمة عظيمة! ثانيها: إنه خروج من قضبان سجن الدنيا المظلم الضيق

لقد شغلت الرغبة في تعرف حقيقة الموت أذهان العلماء والفلاسفة منذ القديم، فكانت لهم تصورات عديدة مستملاة من مذاهبهم ومواقفهم الفكرية؛ فكان منهم من تمثل الموت تمثلاً مادياً فلم ير فيه أكثر من توقف للجسم عن أداء وظائفه الفسيولوجية لسبب طبيعي، أو لسبب مفاجئ يختم العمر. وكان منهم آخرون تمثلوه تمثلاً روحياً يتم فيه فك الارتباط بين الروح والجسد ليكون ذلك مرحلة ضرورية للخلوص إلى مرحلة جديدة تتجلى فيها الحياة تجلياً آخر أرقى وأشرف.

لقد رأى بعضهم -ومنهم المعتزلة والطبيعيون- أن الموت إنما هو انطفاء بذرة الحياة الذي يعقب توقف الجسد عن أداء وظائفه الفسيولوجية. والموت على هذا حالة عدم «ينشئها انسحاب الحياة من الجسد». ولكن على النقيض مما ذهب إليه المعتزلة والطبيعيون، فإن أهل السنة قد كونوا لهم مذهباً مستقياً من إفادة القرآن وتنصيبه على كون الموت مخلوقاً، أي كونه شيئاً وجودياً. وتعريفات هذا الفريق تلتقي عند هذا المعطى، ومن تلك التعريفات قولهم: «الموت صفة وجودية خلقت ضد الحياة»^(١)، أو هو «صفة وجودية مُضادة للحياة»^(٢)، أو «هو كيفية مخلوقة في الحي»^(٣)، إلى غير ذلك من التعاريف التي تطفح بها كتب العقيدة، وهي تعاريف تشترك في اعتبار

المضطرب، ودخول في رعاية المحبوب الباقي وفي كنف رحمته الواسعة، وهو تنعم بحياة فسيحة خالدة مستتيرة لا يزعجها خوف، ولا يكدّر لها حزن ولا هم.

ثالثها: إن الشيخوخة وأمثالها من الأسباب الداعية لجعل الحياة صعبة ومرهقة، تبين مدى كون الموت نعمة تفوق نعمة الحياة. فلو تصورت أن أجدادك مع ما هم عليه من أحوال مؤلة قابعون أمامك حالياً مع والديك اللذين بلغا أرذل العمر، لفهمت مدى كون الحياة نعمة، والموت نعمة؛ بل يمكن إدراك مدى الرحمة في الموت ومدى الصعوبة في إدامة الحياة أيضاً بالتأمل في تلك الحشرات الجميلة العاشقة للأزهار اللطيفة، عند اشتداد وطأة البرد القارس في الشتاء عليها.

رابعها: كما أن النوم راحة للإنسان ورحمة، ولا سيما للمبتلين والمرضى والجرحى، كذلك الموت -الذي هو أخو النوم- رحمة ونعمة عظيمة للمبتلين بيلاليا يائسة قد تدفعهم إلى الانتحار.

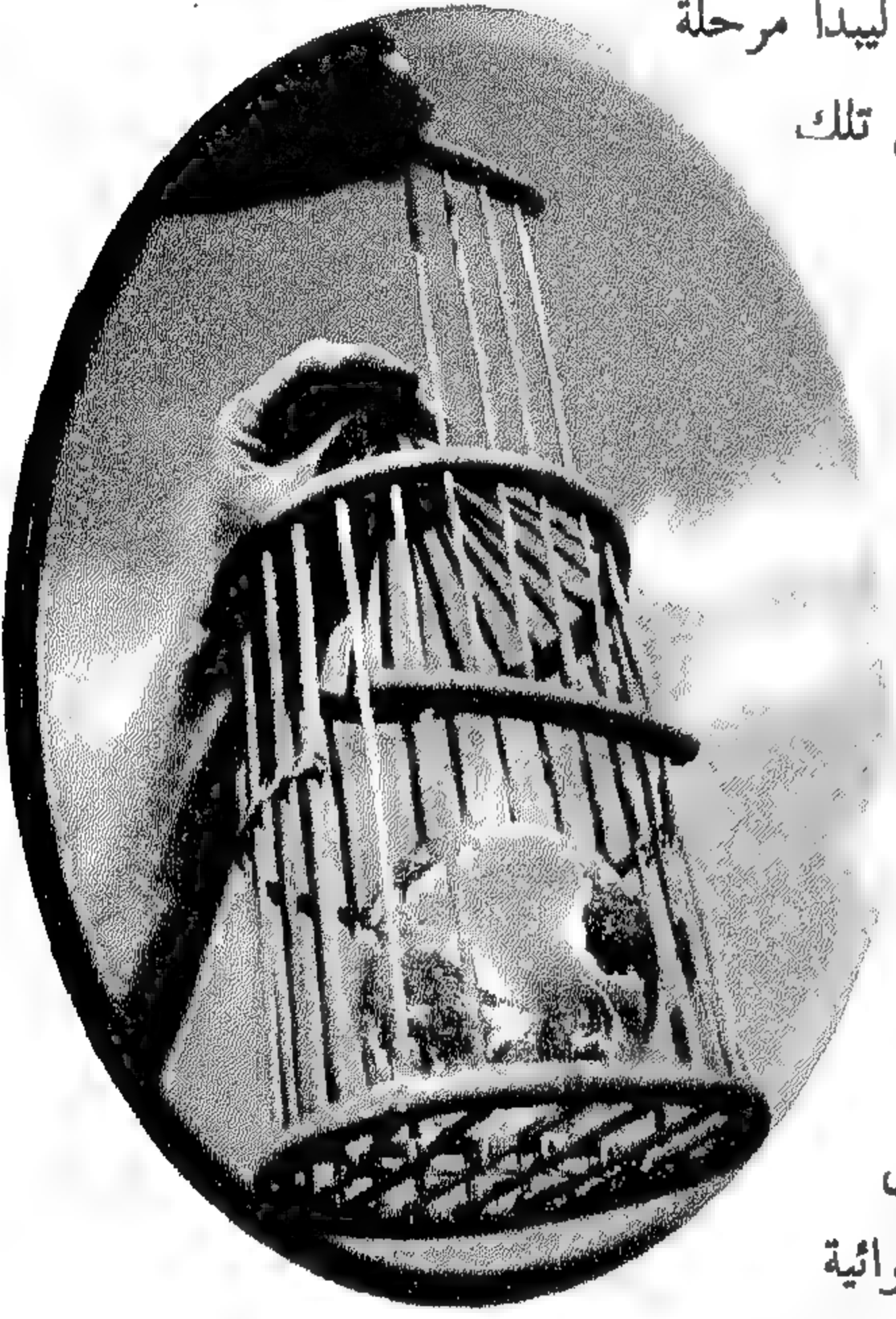
أما الشق الثاني من السؤال وهو المتعلق ببيان كون الموت أمراً وجودياً فقد قال عنه النورسي ما نصه: «إن الموت في حقيقته تسريح وإنهاء لوظيفة الحياة الدنيا، وهو تبديل مكان وتحويل وجود، وهو دعوة إلى الحياة الباقية الخالدة ومقدمة لها؛ إذ كما أن مجيء الحياة إلى الدنيا هو بخلق وتقدير إلهي، كذلك ذهابها من الدنيا هو أيضاً بخلق وتقدير وحكمة وتدمير إلهي؛ لأن موت أبسط الأحياء -وهو النبات- يُظهر لنا نظاماً دقيقاً وإبداعاً للخلق ما هو أعظم من الحياة نفسها وأنظم منها. فموت الأثمار والبذور والحبوب الذي يبدو ظاهراً تفسخاً وتحللاً هو في الحقيقة عبارة عن عجن لتفاعلات كيميائية متسلسلة في غاية الانتظام، وامتزاج لمقادير العناصر في غاية الدقة والميزان، وتركيب وتشكل للذرات بعضها ببعض في غاية الحكمة والبصيرة، بحيث إن هذا الموت الذي لا يرى، وفيه هذا النظام الحكيم والدقة الرائعة، هو الذي يظهر بشكل حياة نامية للسنبيل وللنبات الباسق المثمر. وهذا يعني أن موت البذرة هو مبدأ حياة النبات الجديدة، أزهاراً وأثماراً، بل هو بمثابة عين حياته الجديدة؛ فهذا الموت إذن مخلوق منتظم كالحياة.

وكذلك فإن ما يحدث في معدة الإنسان من موت لثمرات حية أو غذاء حيواني، هو في حقيقته بداية ومنشأ لصعود ذلك الغذاء في أجزاء الحياة الإنسانية الراقية. فذلك الموت إذن مخلوق أكثر انتظاماً من حياة تلك الأغذية.

فلئن كان موت النبات -وهو في أدنى طبقات الحياة- مخلوقاً منتظماً بحكمة، فكيف بالموت الذي يصيب الإنسان وهو في أرقى طبقات الحياة؟ فلا شك أن موته هذا سيثمر حياة دائمة في عالم البرزخ، تماماً كالبذرة الموضوعة تحت التراب والتي تصبح بموتها نباتاً رائعاً في الجمال والحكمة في عالم الهواء.

لقد استطاع النورسي من خلال هذا النص أن يغوص بفكره الوقاد وبألمعيته النادرة خلال بواطن الأشياء ليستخلص منها تصوّراً منطقياً تستطيع العقول أن تدركه وتجاوب معه، وقد اختار أن يشخص وجودية الموت انطلاقاً من مظاهر مادية لا يُخطئها النظر.

فالموت في نظر النورسي بداية رحلة جديدة من الحياة تأتي بعد أن يسلم المرء الروح ليبدأ مرحلة حياتية أشرف وأسمى من تلك الحياة المريئة المألوفة.



والموت بهذا هو قنطرة العبور وممر الخلوص إلى الحياة الأشرف. ومصير الإنسان في هذا أشبه ما يكون بمصير حبة القمح أو النواة التي تُودع الأرض وتغمر بالماء فيؤدي ذلك إلى تحولات كيميائية غير عشوائية تخضع لقانون صارم في التحول

والتغير وهي مع ذلك تبدى للناظرين مجرد حبة عفنة متفسخة، لكنها سرعان ما تنبثق عن فصيلة تحمل سنابل عديدة في كل سنبلة منها عشرات الحبات.

وهذا التجلي اليانع ليس في الحقيقة إلا حياة جديدة للحبة الواحدة الواهنة المتمزقة في أحشاء الأرض، ولولا ذلك التفسخ والاضمحلال لما وجدت الحبة إلى هذه الحياة الأوفر طريقاً أو سبيلاً. وتفسخها الذي يرى اضمحلالاً وتحللاً إن هو في واقعه إلا إشراقاً جديدة للحياة.

وإذا كان هذا الانتقال يتم بهذه الكيفية وبهذا الانضباط التام لقوانين كيميائية صارمة، فمعنى ذلك أن هناك حركة قوية منضبطة



الموت في نظر
النورسي بداية رحلة
جديدة من الحياة تأتي
بعد أن يسلم المرء
الروح ليبدأ مرحلة
حياتية أشرف وأسمى
من تلك الحياة المريئة
المألوفة.



يراها الناس اضمحلالاً وهي عمليات معقدة محكومة
بسنة الله في الخلق؛ وحين تصير حبة القمح مئآت
الحبات، فإنها قد تصير غذاء للإنسان، فتخالط منه الدم
والخلايا وتدخل في تركيبه وبنائه وتصير جزءاً من خلايا
التفكير ومن الأعصاب فيه، فتنتقل إذن لتحيا مجدداً في
صورة أشرف بكثير من صورتها الأولى. وما كان لها أن
تكون كذلك لولا ذلك الاضمحلال الظاهري الذي
يُرى في أعين الناس فناءً وعدمًا وهو في واقع وجود
جديد وتجلى أبرز من الأول.

إن صورة استعادة الحبة للحياة ليست في واقعها إلا
صورة مُقربة لاستعادة الإنسان حياته بعد أن يموت فينتقل
إلى وجود ليس الوجود الأول شيئاً بالنسبة إليه، ومفارقة
الحياة الدنيا أمر ضروري لِيُسْتَبَل حياة جديدة سالمة من
كل منغصات الحياة الأولى.

وبهذا التصور البديع الرائع استطاع النورسي أن يبلغ
الغاية من تقرير كون الموت أمراً وجودياً ما دام هذا الموت
عبارة عن تفاعلات منضبطة منسقة يُتَّج عنها استعادة
الإنسان لوجوده مرة أخرى. وهذه التفاعلات ليست
ولا شك إلا أمراً وجودياً عبّر عنه القرآن الكريم بقوله:
﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ﴾ (الملك: ٢).

إن تحليل النورسي ذو أهمية بالغة بالنسبة لدارسي
العقيدة وللمفسرين على حد سواء، وأهميته تكمن في
ملاحظة عدة: منها أنه استطاع أن يقرب بجلاء ودون
تأويلات بعيدة وجودية الموت، وهذا أمر طالما عسر
على كثير ممن تناولوا الموضوع.

وتكمن أهمية التحليل أيضاً في أنه استطاع أن يعطي
صورة غير مُرعبة عن الموت، لأن الموت بهذا ليس فناءً
ولا اضمحلالاً ولا انسحاباً، وإنما هو مجرد تحول ونقلة
إلى الأكمل والأشرف.

وتحليل النورسي ينظر إلى قول أبي العلاء المعري:
خلق الناس للفناء فضلت أمة يحسبونهم للنفاد
إنما ينقلون من دار أعمال إلى دار شقوة أو رشاد
ولقد كان الخوف من الموت دائماً مرتبطاً بتصوره
عدمًا وفناءً، فمن ثم كان الإنسان أسير ذلك الخوف،

يراه حرباً على الوجود الإنساني وهدماً لكيونته،
فيكرهه ويتحاشى أسبابه حتى ولو كانت جهاداً من
أجل الحق ودفاعاً عن العقيدة ومواجهة للباطل.

إن فلسفة الموت عند النورسي إعلان عن بقاء
الإنسان واستمراره واتصال حياته الأخرى بالأولى،
وهي رفض لفلسفة العدم والإلغاء والتشاؤم التي
أشاعتها الفلسفات المادية التي حصرت حياة الإنسان
في البعد الأول من رحلته، وأوهمت أنه الموت نهايته
ودماره فتأزم لذلك.

إن تحليل النورسي إلى جانب كل ما سبق مفيد كل
الإفادة على أكثر من مستوى؛ فهو مفيد على المستوى
العقدي، لأنه ينصب على ظاهرة الموت التي هي عتبة
اليوم الآخر، وهو جزء من الغيب الذي يؤمن به كل
مؤمن.

كما أن تحليل النورسي مفيد على المستوى النفسي،
لكونه يكسب المرء اطمئناناً وانسجاماً مع الذات وثقة
بالحياة في بعديها الأول والثاني؛ كما أنه يهون من شأن
الموت فلا يجعله ذلك الشبح المرعب الذي يفني الإنسان
ويدمره. ومثل هذا الإحساس لا يكسب الإنسان إلا
شجاعة خاصة لمواجهة المشاق واقتحام الصعاب مادام
الموت وهو أقصى ما يراود بالإنسان ليس في حقيقته إلا
رحلة نحو حياة تقرر النفس بها وتطمئن، لأن الدار
الآخرة لهما الحيوان لو كانوا يعلمون. ■

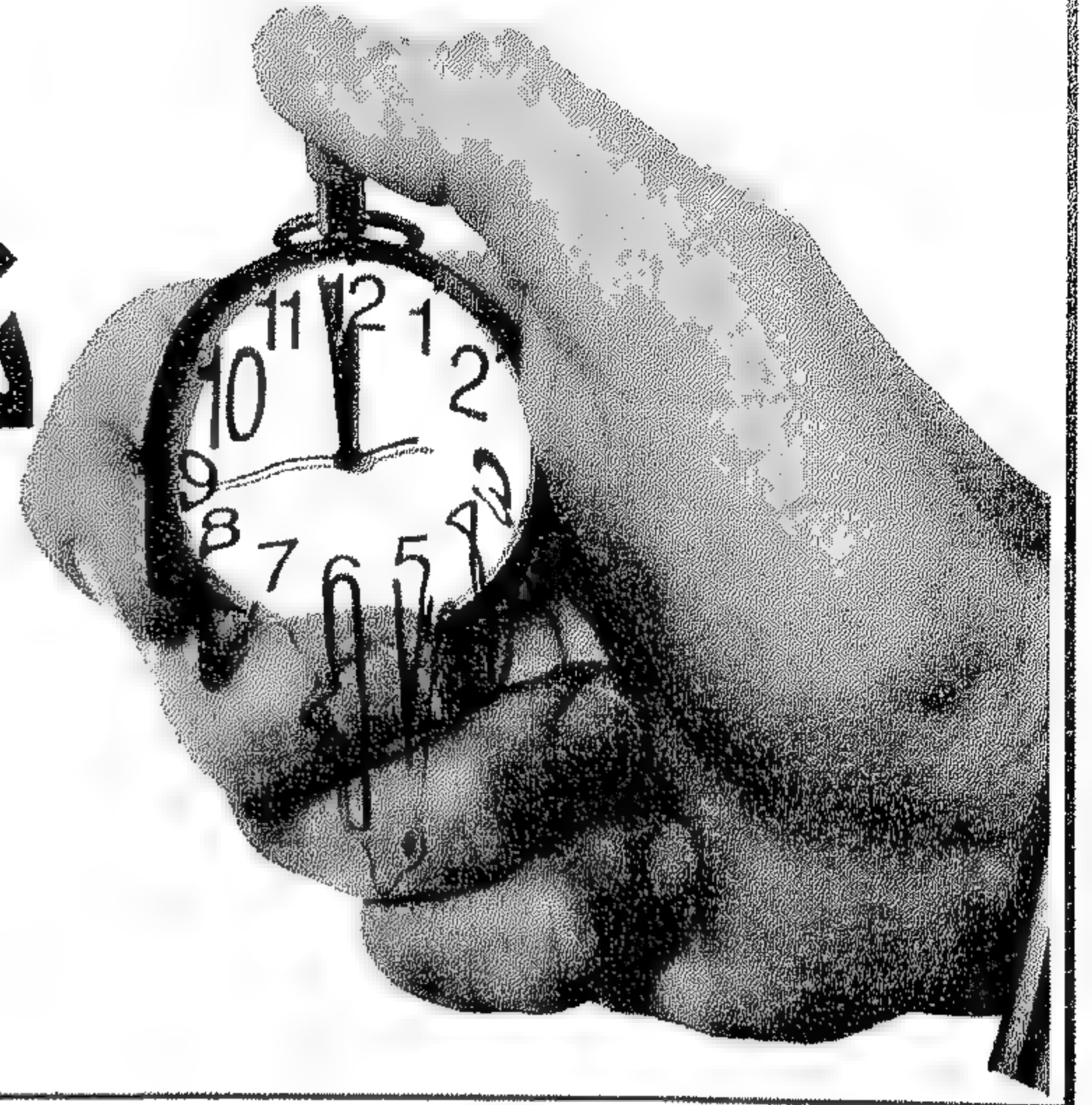
*) جامعة محمد الأول - المغرب.

الهوامش:

١. التوقيف على مهمات التعاريف لمحمد عبد الرؤوف المناوي (٦٨٣ هـ)، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر؛ مفردات الراغب الاصفهاني، ص ٤٩٧؛ التعريفات للجرجاني، ط حلبية، ص ٢١١.
٢. تفسير الفخر الرازي، ٥٥/٣٠؛ مشارق أنوار العقول للشيخ أحمد الخليلي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ٨٨/٢.
٣. مشارق أنوار العقول، ٨٨/٢؛ ويقارن بشرح الجوهرة للبيجوري، تخريج: محمد أديب الكيلاني، ص ٣٤٩.
٤. المکتوبات لبديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان الصالح، دار سوزلر، إسطنبول ١٩٩٢.
٥. المکتوبات لبديع الزمان سعيد النورسي، ص ٨.
٦. المکتوبات لبديع الزمان سعيد النورسي، ص ٩.

توقف هنيهة...

تأملات جرم صغير



د. مجدي سعيد *

الاندفاع في مداراتنا وفي مساراتنا؟ هل نتوقف هنيهة لنسأل هذا السؤال أم أن قصور الاندفاع الذاتي في مداراتنا، وجاذبية الشمس في مجموعاتنا ومجراتنا تمنعنا من ذلك فنظل في مداراتنا الشخصية أو الأسرية أو المجتمعية أو القومية ندور هكذا بلا معنى أو هدف أو حتى توقف للسؤال عن هذا أو ذاك، ما المعنى... وما الهدف؟ هل أنا في تلك المدارات والمسارات في حالة من اليقظة أم في نوم، مغمض العين... مسوق؟ لا أدري...

تذكرت وأنا في غمرة تلك الخواطر الحديث النبوي «الناس نيام... فإذا ماتوا انتبهوا»... في غمرة ساهون... في غفلة... في حالة بين النوم واليقظة، ولكن... «لِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيَهَا». ففي كل تلك المدارات والمسارات سواء استيقظ الإنسان أم نام، غفل وسها أم استيقظ وتفتحت مسام جوارح عقله وانتبه... تظل حالة الدوران والسير... رحلة لا تتوقف حتى ينتهي الأجل. والكارثة ألا تحدث يقظة البصيرة وتفتح مسام العقل وتوقف الهنيهة للسؤال قبل نقطة النهاية...

كل منا أدري بمساراته ومداراته... يحتاج إلى تأملها ومراجعتها، هل هي غائبة أم عبثية؟ وأي وجهة يوليها؟ هل يستبق الخيرات أم يستبق الأهواء والشهوات ويتقاتل على التفاهات واللذائذ؟ وأين ومتى تنطفئ شعلة جرمه في نهاية جميع مداراتها ومساراتها؟!

أظن أن الأمر يحتاج إلى التوقف هنيهة وهنيهات للسؤال فهي رحلة لن تتكرر. فكل نقطة يمر بها جرم الإنسان - زمانا على الأقل - لن يمر بها ثانية... فهلاً توقفنا هنيهة؟ ■

(*) كاتب وباحث مصري.

توقف هنيهة... هذا هو الهاتف الذي خطر على بالي وأنا أهدم بالعودة إلى النوم بعد تقلبات أيام شاقة شابتها مناقشات ومناوشات كلامية وخلوات صاخبات، وما هي في الحقيقة بخلوات.

توقف هنيهة... فبين نوم ويقظة هي في ذاتها أشبه بالنوم، بين هذه وتلك يظل الإنسان، ذلك الجرم الصغير في الفلك البشري مندفعاً مسرعاً بلا توقف... بلا هدف أو معنى أحياناً كثيرة... مندفعاً مسرعاً في دورانه حول نفسه. فكل منا بلا شك مهما اقترب من غيره أو اقترب منه غيره يظل جرماً وحده... أشبه بصندوق مغلق على ذاته، يدور أولاً حول ذاته، بينما هو جزء من مجموعة شمسية... أسرة نووية، ثم مجرة... أسرة ممتدة، فمجرة أكبر... مجتمع أوسع، فمجرة أوسع... قوم... وهكذا.

ما أشبه الأجرام والأفلاك البشرية بالأجرام والأفلاك الكونية في دوران كل جرم حول ذاته... في فلك من أفكاره وهمومه ومشاغله واهتماماته. وكل مجموعة وكل مجرة حول نفسها، وكل جرم يدور حول شمس في مجموعته... أب أو أم أو أخ أو زوجة أو صديق. الكل يدور بسرعة في تلك المدارات... وفي مسارات تطول أو تقصر بين نقطة بداية... صرخة الميلاد، ونقطة النهاية... شهقة الموت.

فإذا كانت الأجرام السماوية قد فطرها الله وخلقها هكذا جمادات بلا عقل... لكنها تعرف ربها... خالقها، فما بال الجرم الإنساني... الذي هو أنا وأنت... ألا نتوقف هنيهة لنفتح عيوننا... لا ليست عيون أبصارنا بل عيون بصائرنا لنعرف... فقط وعلى أقل تقدير إلى أين المسير؟ إلى أين

مهداة إلى أولئك الفتيان الشجعان،
الآتين من كل مكان،
إلى أرض «داغستان»،
ليقيموا فيها معاهد العلم والعرفان،
ويُعلوا منارات الهدى والإيمان.



هتاف الأرواح

أديب إبراهيم الدباغ *

وأطعموها عقولكم لتعود تتأجج من جديد وتبهر لهذا الشعب
مصاييح الهدى والإيمان.

جئتم إلى هنا مدفوعين بقوة قدرية لا تقاوم، فأنتم مبعوثو
القدر وسفراؤه إلى هذه البلاد؛ لقد اجتزتم بوابة آسيا الكبرى،
وفتحتم الطريق لمواكب الإيمان من بعدكم، ولعل حدس
أستاذكم النورسي بنهوض آسيا على صوت الإسلام من جديد
يوشك أن يصدق. فأنتم هنا هذا الصوت العظيم الذي سيتردد
صداه قريباً في عمق أعماق آسيا... فاهتفوا ولا تنوا عن الهتاف
ورجّوا الأرض بهتافكم، وهزوا الأبواب الموصدة في
وجوهكم، فمن أدام الطرق فُتح له ولو بعد حين.

لا تقولوا ما نحن؟ ومن نحن؟ وأنتى لنا أن نعيد لكلمة التوحيد
وهجها فوق هذه الأرض؟ وأنتى لنا أن نعلم أرضاً خراباً عملت فيها
معاول الهدم والتخريب خمسة وسبعين عاماً؟ وكيف لنا أن نبذر
بذرة الإيمان في أرض قاحلة جرداء؟ وبماذا نشق الأرض ولا رفش
ولا محراث؟ ونحن نقول لكم: إن عزّ المحراث فلتكن أظافركم
هي المحراث الذي به تحرثون، وإن عز الرفش فلتكن أسنانكم هي
الرفش الذي به تحفرون؛ ولأن صوت الحياة القرآنية هي التي تتكلم
في دواخلكم، فسوف تصغي إليها حبات التراب وجلاميد
الصخور، بل ستصغي إليها الأرض والسماء، وكل الكائنات
ستأتيكم طائعة منقادة. ها هي فرصتكم -يا أبناءنا- كي تعلموا

لو أصغيتم بأذان أرواحكم في سحر الليالي وفي هدوات
الأسحار، لسمعتهم هتاف أربعين صحابياً يرقدون فوق روابي
هذه المدينة وهم ينادونكم قائلين:

انتظرنّاكم طويلاً... سألنا عنكم الغادين والرائحين من
ملائكة السماء: أين فتيان الإيمان، متى يقدم حملة القرآن؟
الشوق إليكم أضنانا... والحنين للقياء عذبنا... وها أنتم اليوم
هنا... فلا أرواحنا أن تسعد، ولو حششتنا أن تأنس، ولغربتنا أن
تنأسى بكم في هذا القفر الموحش المجدب من صحاب الإيمان،
والمحل من أشقاء الروح والوجدان.

لا نقول لكم أحرقوا كل شيء يغريكم بالعودة من حيث أتيتم
كما فعل طارق بن زياد من قبل، ولكننا نقول: أحرقوا وجودكم
كله، وأشعلوا النار في أرواحكم، ثم انثروا حبات هذا الوجود
المحترق فوق هذه الأرض، فلا تغادروها -إذا غادرتموها- إلا لتعودوا
إليها، لأنها صارت جزءاً من وجودكم وقطعة عزيزة من كياناتكم.

تتساءلون ما هذه النار التي آنستم وجودها في هذا المكان من
بعيد، والتي جذبتكم للمجيء إلى هنا. ونحن نقول لكم: إنها
قبس من نور عظيم كنا قد حملناه في أفئدتنا إلى هذه الأرض،
ولكنها اليوم ذبالة مرتعشة وجلة توشك على الانطفاء إلى الأبد.
وإننا لنناشدكم -يا أبناءنا البررة- ألا تدعوا هذه الذبالة تخفت
وتنطفئ. انفخوا فيها من أرواحكم، ألقموها قلوبكم،

يا قلبي الوستان
ألم يشأ أولئك،
أعلم أنك إذا تحركت
داب الجليل،
واحصر المكان،
وأشرق الربيع،
ونفسحت أراهير الفكر والروح

البشرية كيف يمكن للإيمان والإخلاص أن يأتي بالمعجزات، وتعلموا العالم أن وجودكم هنا هو الدليل الأقوى على عالمية الإسلام وعمومية القرآن.

لا تستمعوا إلى أولئك المشبطين والمعوقين الثرثارين، وهم يتخافتون متهامسين: أيّ خيال ضبابي يتشبث به هؤلاء؟ وأي حلم وردي يُغرقون أنفسهم فيه؟ أية آمال بعيدة المنال يركضون وراءها؟

ونحن نقول لكم -يا أبناءنا- ليس الخيال هو ما نخافه عليكم، وإنما نخاف عليكم افتقاركم إلى الخيال.. فما أكثر ما بعثه الخيال من الهمم، وحفز من الأذهان، ودل وأشار إلى خفايا من الحقائق ما زال العقل يدين بها إليه. وجودنا هنا، بل وجودكم أنتم كان حلما من الأحلام، وهو اليوم حقيقة من الحقائق. وما هو خيال اليوم يكاد يكون حقيقة غدا، والأمة التي يعقم خيالها يعقم ذهنها ويتبدل وجدانها.

أحبوا «داغستان» بكل حبة من قلوبكم، وليكن همكم بها فوق كل هم، ومحبتها فوق كل محبة. فإذا أحببتموها سهل عليكم ما تلقونه في سبيلها من متاعب ومشقات، وسهلت عليكم التضحيات.

يقال إن البلبل إذا تعشق وردة وأراد أن يغنيها حبه غرز شوكتها في صدره وشرع يغني لها أشجى ألحانه وأعذبها. وأنتم كذلك -يا أبناءنا الأعزاء- دعوا بلبل الإيمان في صدوركم تغني «داغستان» أعذب الألحان رغم ما يوخز صدوركم من أشواكها. فهي وردتكم ووردة آسيا الوسطى التي يهون كل شيء من أجل أن تسمع عنكم وتصغي لكم، وهي ماسة «القفقاس» المتلألئة في تاج جمالها، لكنها تتأبى عن يرومها إلا المحبين الذين يشفع لهم عندها إخلاصهم في حبها وهداياهم إليها، وهل من هدية هي أئمن من الإيمان الذي تقدمونه إليها وتحبونها به..؟

* كاتب وأديب - العراق.



أ.د. فريد الأنصاري *

جمال الإنسان

الإنسان جميل، بل هو أجمل مخلوق في الأرض، وتلك حقيقة قرآنية ووجودية؛ ذلك أن مصادر الدين في الإسلام تحدثنا أن الله قد خلق الإنسان في أجمل صورة وأحسنها، وقارن بينه وبين سائر الحيوانات -وهي غاية في الجمال- ظاهراً وباطناً. قال عز وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ (غافر: ٦٤) وصح عن النبي ﷺ قوله: «خلق الله آدم على صورته» (متفق عليه)، ثم جعل له الكون من كل حوالیه جميلاً، وحسنه تحسیناً، عساه يكون في تدينه حسناً جميلاً. قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الكهف: ٧) فالزينة الكونية مبعث وجداني للتحلي بالزينة الإيمانية.

إن الناظر في هذا العالم الكوني الفسيح، يدرك بسرعة أن الإنسان يعيش في فضاء فني راق؛ بيئة واسعة بهية هي آية من الجمال الذي لا يبارى؛ بدءاً بالأرض حتى أركان الفضاء، الممتدة بجمالها الزاخر في المجهول، تسير في رونق الغرابة الزاهي، إلى علم الله المحيط بكل شيء. ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزِينَةً لِلنَّاظِرِينَ﴾ (الحجر: ١٦) وجعل الأرض الحية تنفس بالجمال نِعماً لا تحصى ولا تنتهي ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (الأعراف: ٣٢). وأرشد ذوق الإنسان إلى تبين معالم هذا الجمال في كل شيء: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ (النحل: ٥-٦).

ثم انظر إلى هذا الجمال المتدفق كالشلال، من الآيات التاليات؛ يقول سبحانه بعد الآية السابقة بقليل، في سياق المَن بهذه النعم الجميلة الجليلة: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (النحل: ١٠-١٢).

بانوراما الأرض

إنها صورة كلية شمولية ذات ألوان وأنوار حية متحركة، إنها «بانوراما» كاملة للأرض بتضاريسها وبحارها وأشجارها وأنهارها وأحيائها جميعاً. ثم بفضائها الرحب الفسيح بما يملأ ذلك كله من حركة الحياة، والنشاط الإنساني بكل صوره مما أتيح له في هذه الأرض وفضائها من المسخرات الحيوية. هذا كله هو قصرك الزاهي أيها الإنسان، ومجالك الواسع، محاطاً بكل آيات التسخير وكرامات التدبير، المتدفقة بين يديك بكل ألوان النعم والجمال؛ لتصريف العمر كأعلى ما يكون الذوق، وكأجمل ما تكون الحياة.

وفي سورة الأنعام صور تنبض بجمال الخصب والنماء، جمال أرضي لا يملك معه من له أدنى ذرة من ذوق سليم إلا أن يخضع لمقام الجمال الأعلى، الجمال الرباني العظيم. قال جل جلاله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا

وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر ويتبعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ﴿٩٩﴾ (الأنعام: ٩٩). ويلحق بها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (فاطر: ٢٧-٢٨).

فالصورة تبتدئ - في الآيات الأولى ثم التي بعدها - من لحظة نزول المطر، إلى لحظة خروج النبات والشجر من التربة الندية، إلى مرحلة خروج الحب المتراكب في السنبال، وخروج القنوان، (أي: العراجين والعذوق المثقلة بالفاكهة) بجمالها وبهائها، ثم ما يلامسها بعد ذلك من نضج وينع، فتراها - وقد تهيأت للقطف - متدلّية خلال خمائل الجنات والبساتين، ناظرة إلى الناس في دلال خلاب. والآيات لا تغفل الحركة الحية للألوان، في تطورها من الخضرة إلى سائر ألوان النضج والينع، مما يتيح للخيال أن يتصوره - تورداً واصفراً واحمراً - واسوداداً. . . إلخ - في الزروع، والتمور، والأعنان، والزيتون، والرمان ونحوها، إلى ما يحيط ذلك كله، أو يتخلله، من ألوان الجبال وجُدَدِهَا، وهي: مسالكها أو خطوطها والتواءاتها المتشكلة منها، وهي غالباً ما تكون ذات انحناءات مختلفة الألوان، كما قال الله تعالى بيض وحمرة إلى ما يزينها من غرايب سود، وهي الصخور الناصعة السوداء. . . إلى حركة اللون المنتشرة هنا وهناك في الحيوان والإنسان، مما لا يملك المؤمن معه إلا أن يكون من الساجدين لمن أفاض على الكون بهذا الجمال كله، الجمال الحي المتجدد. وإنها آيات تربي الذوق الإنساني على جمالية التوحيد والتفريد، مما تعجز الأقلام والألوان عن تجسيد صورته الحية النابضة، وأي ريشة في الأرض قادرة على رسم الحياة؟

وإنني لو قصدت إلى استقصاء جماليات القرآن الكريم من السور والآيات لجئت به كله، فهذه عباراته الصريحة وإشاراته اللطيفة كلها، كلها مشعة بتوجيهات ربانية لتربية الذوق الإنساني حتى يكون في مستوى تمثل مقاصد الدين البهية، بتدينه الجميل. فهل عبثاً نص القرآن على جمالية الكون والنعم والحياة؟ وهل عبثاً نبه القرآن الحس البشري الإسلامي، ورباه لالتقاط دقائق الحسن والبهاء في مناظر الفضاء والأرض والجبال والشجر والنبات والبحار والأنهار والأنوار والأطياف؟

إن الله تعالى خلق الحياة على مقاييس الجمال الإلهية الباهرة الساحرة، وأرسل الرسل بالجمال ليتدين الناس على ذلك الوزن وبذلك المقاييس. ولذلك قال النبي محمد ﷺ سيد الأتقياء، وإمام المحبين: «إن الله تعالى جميل يحب الجمال» (رواه مسلم). وفيه زيادة صحيحة: «ويحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها» (رواه الطبراني وابن عساکر)؛ مما يشير إلى أن الجمال مطلوب في أداء المسلم شكلاً ومضموناً، مبنى ومعنى، رسماً ووجداناً.

مواكب الجمال

فليكن الدين إذن سيرا إلى الله في مواكب الجمال ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٣١-٣٩). وإنها للطاقة كريمة أن يجمع الحق سبحانه في مفهوم الدين، من خلال هذه الكلمات النورانية بين جمالين: جمال الدين وجمال الدنيا: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ليكون ذلك كله هو صفة المسلم.

ولقد حرص الرسول ﷺ على تربية صحابته الكرام على كل هذه المعاني. وكيف لا، وهو أول من انبهر بجمال ربه وجلاله؛ فأحبه حتى درجة الخلّة. قال عليه الصلاة والسلام لأصحابه يوماً: «لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت ابن أبي قحافة [أبا بكر] خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الله» (رواه مسلم)، وصح ذلك عنه ﷺ في سياق آخر: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً» (رواه مسلم). وكان يعلمهم كيفية سلوك طريق المحبة بعبارات وإشارات شتى، ما تزال تنبض بالنور إلى يومنا هذا، فانظر إن شئت، إلى قوله ﷺ: «أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء، فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجّله!» (رواه مسلم) والغرة بياض في ناصية الحصان، والتحجيل بياض في يديه؛ فتلك سيم الجمال في وجوه المحبين وأطرافهم، يوم يردون على المصطفى ﷺ، وهي سيم «ليست لأحد من الأمم» (متفق عليه)، بها يعرفون في كثرة الخلائق يوم القيامة، كالدر المتناثر في دجنة الفضاء. هذه ومضة الإبراق النبوي تبشر برشح الأنوار على أطراف المتوضئين الساجدين، رشحا لا يذبل وميضه أبداً!

النبي الكريم ميز جمال المحبين وسط الزحام واحداً واحداً.

قال ﷺ: «ما من أمتي من أحد إلا وأنا أعرفه يوم القيامة! قالوا: وكيف تعرفهم يا رسول الله في كثرة الخلائق؟ قال: «أرأيت لو دخلت صبرة [محجرا] فيها خيل دهم، بهم، وفيها فرس أغر مُحجل، أما كنت تعرفه منها؟» قالوا: بلى. قال: «فإن أمتي يومئذ غر من السجود، مُحجلون من الوضوء!» (رواه أحمد) فأني تدويق فني هذا للدين؟ وأي ترقية لطيفة للشعور هذه وأي تشويق؟ ولم يفتأ النبي ﷺ يرقى الذوق على مستوى التصرف والسلوك، ليس في مجال المعاملات فحسب، ولكن أيضا في مجال الدعوة والإرشاد. وليس قوله ﷺ: «إن الله تعالى رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف» (رواه البخاري) وقوله: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا» (متفق عليه) وقوله أيضا في فرض الإحسان على المؤمن في كل تصرفاته وأعماله التعبدية والعادية: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء» (رواه مسلم)، إلا نموذجاً لعشرات الأحاديث المنضوية تحت هذا المعنى الكلي الكبير: الإحسان في كل شيء؛ في الشعور والأخلاق والمعاملات والتصرفات والسلوك.

أسس الجمالية في الإسلام

ومن هنا - بعد هذه الشواهد النموذجية والمقارنات التقريرية - يمكن أن نخلص إلى أن أسس «الجمالية» في الإسلام تقوم على أركان ثلاثة، هي: المتعة والحكمة والعبادة. وباجتماعها جميعا في وعي الإنسان ووجدانه يتكامل المفهوم الكلي للجمالية في الإسلام.

١. الحكمة: فأما الحكمة فمعناها - هنا - أنه ما من «جمال» إلا وله هدف وجودي، ووظيفة حيوية، يؤديها بذلك الاعتبار. ذلك أنه ما من جمال في هذا الكون إلا وهو رسالة ناطقة بمعنى معين، هو حكمة وجوده ومغزى جماليته. فليس جميلا لذاته فحسب بل هو جميل لغيره أيضا. فعند التأمل في كل تجليات الجمال في الطبيعة، تجد أنها تؤدي وظائف أخرى هي سر جماليتها؛ من مثل الأهداف التناسلية الضرورية لاستمرار الحياة في الكائنات من الإنسان والحيوان والطيور والنبات... إلخ. ففي هذا السياق تقع استعراضات الجمال الخارق مما وهبه الله للكائن الحي؛ لإنتاج الشعور بالجمالية مما ينتج عنه أروع التعابير اللغوية أو الرمزية، على جميع المستويات البشرية والحيوانية والطبيعية عموما، كل على درجة طبقته الفطرية من الوعي بالحياة والوجود الخلق. وما ذلك كله في نهاية المطاف إلا ضربا من

قوانين التوازن في الحياة، واستقرار الموجودات والخلائق، تماما كما هو دور قانون الجاذبية في استقرار الحياة الأرضية، وتوازن الأجرام والكواكب في الفضاء. فالإحساس الجمالي - بما فيه من عواطف جياشة لدى الإنسان مثلا - ما هو إلا وسيلة وجودية لاستمراره وتوازنه. قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢٠-٢١).

ونفس الحقيقة الجمالية التي نراها في الطبيعة والجبال والبحار والنجوم... إلخ؛ ما هي - رغم التصريح القرآني بجماليتها في مقاصد الخلق - إلا مخلوقات تؤدي وظائف في سياق التدبير الإلهي للكون؛ خلقاً وتقديراً ورعاية. ومن ذلك قوله تعالى على سبيل المثال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ (البقرة: ١٨٩). وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ (يونس: ٥) مشيرا بذلك إلى أن وظيفة الأقمار والأفلاك إنما هي إنتاج مفهوم الزمان؛ لتنظيم الحياة الكونية والإنسانية في أمور المعاش والمعاد معا، أي مجال العادات والعبادات على السواء. وكذلك ما ذكره الله من الوظيفة الجيولوجية والتسخيرية للجبال والأنهار والمسالك، في مثل قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (النحل: ١٥-١٦).

فكل المشاهد الجميلة في الحياة والكون - كما عرضها القرآن الكريم - لا تخرج عن هذا القانون الكلي، من حكمة الوجود ووظيفة الخلق.

٢. المتعة والإمتاع: وأما الركن الثاني للجمالية في الإسلام فهو المتعة والإمتاع، سواء في ذلك ما هو على المستوى الحسي أو ما هو على المستوى النفسي والدوقي، أعني العاطفي والوجداني. ومعنى ذلك أن الله جل جلاله خلق في الإنسان مجموعة من الحاجات، كحاجته إلى الطعام والشراب واللباس؛ فكانت منها حاجة التمتع والاستمتاع بالجمال من حيث هو جمال. ومن هنا سعيه الدائم إلى البحث عنه والانجذاب إليه، وهذا صريح في كثير من الآيات والأحاديث النبوية الشريفة. ومن ذلك أن تلك الحقائق الكونية نفسها، التي ذكرت في سياق هدفها الوجودي، وحكمتها الخلقية، هي عينها ذكرت لها

أهداف إمتاعية في مساقات أخرى. قال تعالى مصرحاً بفوائد الأنعام والبهائم الإمتاعية (الجمالية)، إلى جانب منافعها التسخيرية: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا يَشُقُّ الْأَنْفُسَ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ * وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٥-٨).

فقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ ثم قوله بعد: ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾، دال بوضوح - بما في السياق اللغوي من حروف التخصيص والتعليل - على قصد إشباع الحاجة الجمالية للإنسان، إلى جانب حاجته البيولوجية إلى الطعام والشراب، وسائر حاجاته المعيشية من الخدمات.

وعلى هذا يجرى ما ذكر في القرآن من مشاهد الجمال والتزيين.

٣. العبادة: وأما الركن الثالث فهو العبادة. العبادة بما هي سلوك وجداني جميل، يمارسه الإنسان في حركته الروحية السائرة نحو رب العالمين، الله ذي الجلال والجمال. وهذا من الوضوح بمكان حيث إن النصوص التي ذكرت قبل كافية في إثباته وبيانه. ذلك أنه هو الركن الغائي من خلق الجمال نفسه، بل هو غاية الغايات من الخلق كله، وما به من حقائق الزينة والحسن المادية والمعنوية على السواء.

إن إشباع الحاجات الجمالية لدى الإنسان لو تأملتتها تجدها لا تخرج عن معنى حاجة الإنسان الفطرية إلى التبعّد والسلوك الروحي. ولذلك فإن الإنسان الغربي إنما يمارس بإبداعه الجمالي ضرباً من العبادة الخفية أو الظاهرة، التي يوجهها نحو الطبيعة حيناً، ونحو ذاته أحياناً أخرى. إنه بدل أن يسلك بإنتاجه الجمالي مسلك التبعّد لله الواحد الأحد، مصدر الجمال الحق، وغايته المطلقة في الوجود كله؛ ينحرف بها إلى إشباع شهواته أو أهوائه. ثم يمارس نوعاً من الوثنية المعنوية أو المادية. ولذلك كانت فنونه الجميلة تميل إلى التجسيم والتشكيل، محكومة بمثل قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٨).

من هنا إذن أطر الإسلام الجمالية بمفهوم العبادة؛ حتى يصح

الاتجاه في مسيرة الإبداع، ويستبصر الفنان بتواضعه التعبدي مصدر الجمال الحق؛ فيكون إبداعه على ذلك الوزان، وتتجرد مواجيدته لتلك الغاية، وتلك هي جمالية التوحيد، عسى أن يستقيم سير البشرية نحو نبع النور العظيم، النور الذي هو ﴿الله نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (النور: ٣٥).

والعبادة في الإسلام سلوك جمالي محض. وذلك بما تبعثه في النفس من أنس وشعور بالاستمتاع. فالسير إلى الله عبر الترتيل والذكر والتدبر والتفكير والصلاة والصيام وسائر أنواع العبادات إنما هو سير إليه تعالى في ضوء جمال أسمائه الحسنی بما هو رحمن رحيم مَلِكٌ قدوس سلام... إلخ. وليس عبثاً أن رسول الله ﷺ كان يصف الصلاة بما يجده فيها من معاني الراحة الروحية، ويقول لبلال رضي الله عنه: «يا بلال! أقم الصلاة!.. أرحنا بها!» (رواه أحمد وأبو داود) ومن العجيب حقاً أنه عليه الصلاة والسلام ذكر متع الدنيا وجماليتها فجعل منها الصلاة، مع العلم أن الصلاة عمل أخروي لا دنيوي، وذلك قوله الصريح الواضح: «حُبَّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النَّسَاءِ وَالطَّيِّبِ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» (رواه النسائي) وتوجيه الحديث دال بسياقه على أنه ﷺ أحب من الدنيا جماليات النساء والطيب وما يوحى به الأمران من جمال العواطف والمظاهر، ويقول في السياق نفسه: «وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» أي كمال سعادتي وجمال لذتي في صلاتي لله الواحد القهار؛ وذلك لما كان يجده ﷺ من أنس وراحة تامين على مستوى الوجدان الآني الدنيوي، بغض النظر عن المآلات الأخروية؛ لأن التعبير صريح في تصنيف الصلاة في هذا السياق ضمن محبوبات الدنيا. وقد أثر عن غير واحد من السلف والزهاد تعلّقهم بالدنيا لا من أجل ذاتها ولكن من أجل ما يجدون فيها من لذة العبادة، وجمالية السير إلى الله وهذا من أدق المعاني والطف بالإشارات الوجدانية.

فالجمالية الإسلامية إنما تكتمل بهذه الأركان الثلاثة جميعاً: الحكمة والمتعة والعبادة. وعليه؛ فإن السلوك الإسلامي انطلق متحلياً بجماليته إلى جميع مناحي الحياة الفنية والإبداعية والثقافية والعمرانية والأخلاقية والاجتماعية. فكانت له في كل ذلك تجليات خاصة تتميز بخصوص المفهوم الإسلامي للجمال. ■

(* جامعة السلطان المولى إسماعيل - المغرب).

الألوان والإنسان

مليح مرد *

فضلا عن آثارها في حياة الفن، الموضة، التجارة والانفعالات النفسية والعاطفية.

على سبيل المثال تعتبر الألوان الأحمر والبرتقالي والأصفر والبنّي ألوانا ساخنة، بينما تعدّ الألوان الأزرق والأخضر والرمادي ألوانا باردة.

من هنا قيل إن الألوان الأحمر والبرتقالي والأصفر تشير البهجة والشهية وتدفع الإنسان نحو العدوانية، بينما تدعو الألوان الأزرق والأخضر إلى الحس بالأمان والهدوء والسلام. أما الألوان البني والرمادي والأسود فهي تشير الحزن والإحباط والقنوط. وبالرغم من هذا فيمكننا القول بأن هذه المفاهيم ما زالت فردية وتختلف من فرد لآخر.

فالسّن والحالة المزاجية والصحة النفسية إضافة إلى عوامل أخرى تؤثر على إدراكنا للألوان. فالأشخاص الذين يشتركون في صفات فردية مميزة غالبا ما يشتركون في إدراكهم للألوان وتفضيلهم لبعضها على بعض. ولنضرب مثلا على هذا بالأشخاص المصابين بانفصام الشخصية (الشيذوفرنيا)؛ حيث يقال إن لديهم إدراكا غير طبيعي للألوان؛ وكذلك يفضل الأطفال في مرحلة تعلم التمييز بين الألوان اللونين الأحمر أو البرتقالي.

ويؤكد الأطباء النفسيون أن تحليل استخدام المرء للألوان وتجاوبه معها يكشف لنا معلومات نفسية وثيقة الصلة بالتحليل النفسي؛ بل يذهب البعض منهم إلى أن بعض الألوان لها آثار علاجية لبعض الإعاقات النفسية والجسدية.

ففي الصين والهند واليابان تستخدم الألوان في الطب البديل، فيعتبر اللون البرتقالي مفيدا في حالات الاكتئاب،

يكشف لنا النور حين يلامس أي شيء عن عالم من الألوان. حينئذ يكتسب أثاثنا الخالي من الحياة معنى جديدا وتسري روح الحياة في الأرفف البنية، والمنضدة الرمادية، والأكواب الخضراء، والبسط والمفارش والستائر؛ حتى حقول القمح التي تكتسي باللون الأصفر وقت الحصاد والجرار الفخارية الزرقاء؛ والملابس التي تستر أجسادنا، والأشجار الخضراء الزاهية التي تحيط بها البنايات وتظللها السماء الزرقاء... كل هذا يصبح أكثر بهاء وحيوية حين تزيّن الألوان.

فلنرتحل إذن عبر عالم الألوان الرائع؛ فخلف كل لون قصة، بعضها جميل تستبين العيون الباصرة الحقيقة فيها، بينما ترى عيون أخرى فيها روح الشحنة والبغضاء وكل آفات النفس البشرية. لأجل هذا نستطيع القول إن الألوان تحمل المشاعر المتناقضة، فهي تحمل مشاعر الأمل واليأس، وترمز لمفاهيم الإثم كما ترمز لمفاهيم البراءة، ولذا يساء استخدامها حيناً ويُضحى بها حيناً آخر، يفضل بعضها ويزدرى البعض الآخر.

فاللون يُعرف بأنه ظاهرة من النور أو الإدراك البصري يمكن المرء من التمييز بين الأشياء التي لولا هذا اللون لكانت متطابقة. ولكونها إحدى الخصائص التي تمكننا من تمييز الأشياء، تعدّ الألوان معنى من معاني الحياة. وعليه، فإن قلنا إن الحقيقة تتداخل مع الحياة كان لنا أن نقول إنها -أي الحقيقة- تُرى من خلال الألوان المختلفة.

أثر الألوان على الإنسان

ربما يكون ذلك التجاوب النفسي والمبهج الذي تثيره الألوان هو أهم أثر لها في الحياة اليومية وهو ما يعرف بالإدراك النفسي،

والأصفر لمرضى السكر، والأخضر للمصابين بالقرحة والحمول الروحي، والأزرق البنفسجي لمرضى الصرع.

ما يهمنا هنا هو العضو الجسدي الذي يستقبل اللون مثل العين ومراكز الإحساس في البشرة.

فطول الموجة الخاصة بكل لون يحمل وينقل الطاقة إلى العضو الجسدي الذي يحوي ذلك اللون، وتقوم تلك الطاقة بإزالة الاضطرابات الجسدية والنفسية.

فالأشعة الملونة تؤثر مباشرة على الجهاز العصبي، لذا تتم معالجة العلل المختلفة بأشعة متنوعة الألوان لتنوع تأثيرها ولتعدد درجاتها.

وعلى الرغم من أن هذه الفوائد الطبية مازالت قيد البحث فإن الألوان تحدث رد فعل جسدي ونفسي محدد وواضح؛ فالغرف والأشياء ذات اللون الأبيض وتلك التي لها ظلال خفيفة لألوان «مبهجة» ربما تبدو أوسع من تلك التي طليت بألوان داكنة أو «دافئة». وكما يعلم المصممون ومهندسو الديكور فإن الألوان الداكنة لها أثر تقليصي؛ فالحجرة المبهجة التي تطل على اللون السماوي تحتاج إلى تثبيت منظم أضواء، أعلى من الحجرة المطلية بلون برتقالي باهت حتى يمكن الحصول فيها على نفس درجة الإحساس بالدفء.

ويعاني الأفراد الذين يتعرضون لألوان غير عادية منبعثة من مصادر خاصة من صداع واضطرابات عصبية؛ بل إن الأطعمة التي يتم تقديمها في هذا الجو ربما تصيب الإنسان بالتقزز والمرض. وعلى النقيض نجد ألوانا أخرى تدعو إلى البهجة؛ فحينما يتعرض المرء للون مبهج بعد تعرضه للون آخر داكن يزداد لديه الشعور بالسعادة بدرجة أعلى مما لو كان قد تعرض مباشرة للون مبهج فقط، ويعرف هذا الأمر بتطوير التباين المؤثر.

كيف يرى الناس الألوان

بعض اللغات لا تحوي كلمات منفصلة تعبر عن الألوان الأخضر والأزرق والأصفر والبرتقالي؛ بينما يستخدم الإسكيمو ١٧ كلمة لوصف اللون الأبيض الذي يصفون من خلاله درجات الثلج المتنوعة. وتظهر لنا مقارنة مصطلحات الألوان وجود نماذج خاصة؛ فكل اللغات تحوي أسماء محددة للونين الأبيض والأسود؛ وإذا قمنا بتمييز لون ثالث سنجد أنه الأحمر يتلوه الأصفر أو الأخضر ثم تليها بقية الألوان.

والألوان هبات ومنح ولا يجب أن تكون سببا للتشردم. يوضح لنا عالم الاجتماع «أورخان كول أوغلو» أن أتباع المذاهب والسياسات المختلفة يختارون ألوانا مختلفة؛ ففي البلقان مثلا يعتبر اللون الأبيض والأزرق ألوانا يونانية حيث يحوي العلم اليوناني اللونين الأبيض والأزرق. أما اللونان الأحمر والأسود فغالبا ما يرتبطان بالصراع السياسي والاجتماعي؛ فقد ظل الأحمر لعدة سنوات رمزا للعنف والقتل والظلم والإرهاب ومعاداة الديمقراطية. وبتعبير آخر يعني الأحمر وجهها مملوءا بالغيظ (أحمر الوجه) أو دمويا (عينان دمويتان).

أما في مجال السياسة فيشير اللون الأحمر إلى الإثارة أو الدفع نحو تغيير اجتماعي سياسي جذري مصحوبا بالقوة كما هو الحال في الثورة الحمراء وأي شيء آخر يتصل بالشيوعية مثل المربع الأحمر الخاص بالاتحاد السوفيتي السابق. بل يوجد في العالم جيشان أحمران؛ الجيش السوفيتي الذي أسس عقب ثورة ١٩١٧، والجيش الأحمر الياباني الذي أسس عام ١٩٦٩، وعرف أولهما بقوانينه ونظمه الصارمة مثل معاقبة بعض الكتائب بإرسالها في موجات انتحار جماعية، غير أن مجموعة من القوانين الجديدة سنت عام ١٩٦٠ خففت من حمرة الجيش السوفيتي؛ أما الثاني فهو عبارة عن منظمة إرهابية يابانية صغيرة بقيت ناشطة حتى ١٩٩٠.

أما الألوية الحمراء الإيطالية وهي منظمة إرهابية يسارية متطرفة فقد اختارت اللون الأحمر والعنف، في سعيها لتهيئة إيطاليا في السبعينيات لثورة ماركسية؛ كما اختار الثوريون الصينيون الذين سعوا لإنهاء الثقافة التقليدية الصينية اللون الأحمر والعنف؛ وتابعهم الثوار الكمبوديون الذين يعرفون باسم «الخمير الحمر» والذين قاموا بقتل جيل بأكمله أو ما يقارب المليون ونصف المليون نسمة من السكان البالغ عددهم ٥.٧ مليون نسمة في فترة حكم امتدت لثلاث سنوات ونصف فقط.

أما اللون الأسود فهو يستخدم للإشارة إلى الأمور الثقيلة والخطيرة (مكيدة سوداء)، أو المتسخة والملوثة (أيدي سوداء)، أو المكر والخبث والشر (أفعال سوداء)، أو الأشياء ذات الأثر السلبي (علامة سوداء في سجل المرء)، أو الأمور الغيبية أو الشيطانية (سحر أسود)، أو الأحداث والمشاعر الحزينة واليائسة والمصائب (اليأس الأسود)، أو الجوائح (السبت الأسود)، أو العداوة والغضب والتجهم (الحقد الأسود)، أو الأمور المشوهة

والسخرية الشاذة (الفكاهة السوداء)، أو عمليات الاستخبارات السرية (المهام الحكومية السوداء).

يقول طبيب علم النفس الاجتماعي «إبراهيم بالي أغلو»: «على الرغم من أننا نربط الأسود بمعان سلبية فلا يمكن أن ننكر أنه يمثل الجدية والاحترام والتبل. فهناك مواطن لا يعد فيها اللون الأبيض الذي هو لون الطهر لونا مناسباً. ولا بد أن تستخدم الألوان مع درجاتها وتجميعاتها المناسبة.»

ويرى الطبيب نفسه أن من المنطقي ربط الأبيض بالمفاهيم الإيجابية والأسود بالمفاهيم السلبية: «الأبيض والأسود كالليل والنهار، فبينما يثير سواد الليل الذعر في القلوب يشيع ضوء النهار فيها الطمأنينة والسكينة، كما أن عتمة الليل تخفي الألوان بينما يظهر النهار بريقها. والناس بطبيعتهم يميلون لحب الضوء وألوانه الساطعة، كما أننا نستخدم الضوء

الأبيض في علاج الاكتئاب.
واهتمام المرء بالألوان
الداكنة يعطينا
مفتاحاً لمزاج
هذا
الشخص،
بينما ارتداء
المريض للملابس البيضاء
يعطينا انطباعاً أنه آخذ في
التحسن».



وفي مجال الموسيقى يرتبط الأبيض بجودة النغمة الموسيقية المتميزة بنقاوتها وخلوها من التردد والاهتزاز.

أما اللون الأخضر فيحوي معنى الرحمة والطف والاعتدال (شتاء أخضر-معتدل)، ومعنى الجاذبية والبهجة، ومعنى الشباب والحيوية وعدم النضج أو الاكتمال (تفاح أخضر)، وكذلك معنى الجدة. وفي المقابل قد يعني شيئاً له مظهر باهت ومريض أو شخص حسود (أخضر من الحسد)، كما يشير هذا اللون إلى الحركات السياسية المناصرة للبيئة (السلام الأخضر)، أو الأفراد الذين يعملون من أجل الحفاظ على البيئة (حزب الأخضر).

أما الأصفر فهو يرتبط بمواد الفضائح المثيرة والأخبار المزيفة (الصحافة الصفراء)، كما يشير إلى الجبن (شيء من الجبن في شخصية الرجل).

أما اللون الزهري فيعني أن الشخص
راديكالي معتدل يحمل رؤية
اشتراكية سياسية
كانت أو
اقتصادية،
كما يعني أيضاً
الإثارة العاطفية
(زهري مبهج).

هل للألوان ألوانها الخاصة؟

المناسبة بين الألوان وتفضيل بعضها على بعض وما تمثله بعض الألوان من معان، فضلاً عن الجوانب النفسية للألوان، كلها أمور خاصة بكل أمة وتختلف باختلاف الزمان والمكان. فالأمريكان واليابانيون مثلاً يحملون نفس المفهوم حول الألوان الساخنة والألوان الباردة. وعلى الرغم من هذا يرى اليابانيون أن الأزرق والأخضر ألوان طيبة والبرتقالي والأحمر الأرجواني ألوان سيئة، في الوقت الذي يرى فيه الأمريكيان الألوان الأخضر والأصفر والأحمر ألواناً طيبة ويضعون البرتقالي والأحمر الأرجواني في مصاف الألوان السيئة. وبينما يمثل اللون الأسود لون الحزن في الغرب يستبدل به الأبيض أو الأرجواني أو الذهبي في بعض الثقافات الأخرى.

ويذهب «أورخان قورال» إلى أن المجتمعات تميل لاستخدام

ويسجل لنا التاريخ أن جماعات مثل «جماعة اليد السوداء» و «جماعة الأوجه السوداء» و «جماعة الستر السوداء» دأبت على العنف والتخريب. وتعد جماعة الستر السوداء التابعة للزعيم الفاشي موسوليني أهمها على الإطلاق. فبعد طرد هذه الجماعة على إثر انقلاب عام ١٩٤٣ تجنب الناس ارتداء القمصان السود.

أما اللون الأبيض فهو يعني الخلو من الألوان، كما يعني الضوء أو الشحوب (شعر أبيض، شفاه بيضاء، أي من الخوف)، كما يعني الخلو الانحراف الأخلاقي، ويحمل معنى بريء أو عفيف (زواج أبيض)، ومعنى غير ضار (كذب أبيض وسحر أبيض)، كما يشير إلى الأشياء السعيدة أو الأثيرة لدى المرء (أيام الحياة البيضاء)، ويعني أيضاً المحافظ سياسياً أو الشعب التقليدي الذي يقوم بإجراءات ثورية مضادة (إرهاب أبيض).

أما اللون البنفسجي فهو لون الإمبراطورية البيزنطية حيث كان الإمبراطور وحده هو من يرتدي هذا اللون، وحتى بعد موت الإمبراطور بنيت مقبرته من حجارة بنفسجية اللون. وأظهرت حفريات تيومولوس بمدينة «تكيرداغ» في تركيا أن الإسكندر الأكبر كان يرتدي غالبا اللون القرمزي. وربما يكون هذا هو السبب وراء تفضيل أباطرة الدولة البيزنطية هذا اللون بدرجاته المختلفة.

هل للأديان ألوان

يجاب عن هذا السؤال بـ«نعم» و«لا» في الوقت نفسه، فالمسلمون مثلا يفضلون اللون الأخضر حيث تغطي قبورهم وأضرحتهم بأردية خضراء، كما يشيع اللون ذاته في مساجدهم. ومن المعلوم أنه ليس للإسلام لون خاص؛ وربما يربط بعض الناس بين الإسلام واللون الأخضر حيث كان النبي ﷺ يحب اللون الأخضر، فهو يريح العين ويرتبط بالطبيعة. لكن الحقيقة هي أن النبي ﷺ أمر الناس أن يرتدوا ما صفا لونه وخلا من الدنس وأراح العين.

ونرى القساوسة الأرثوذكس الشرقيين يتشحنون بالسواد ويضعون غطاء رأس أسود اللون، بيد أن هذا الأمر ربما ليس له أي مغزى ديني، إلا أن رجال الدين والراهبات

الكاثوليكين ربما يفضلون اللون الأسود لبساطته ووقاره.

وبعض الرهبان البروتستانت (مثل اللوثريين-أتباع مارتن لوثر) يرتدون اللون الأبيض أو الرمادي ربما كرد فعل ضد الكنيسة الكاثوليكية؛ كما ترتدي بعض الجماعات اليهودية المتشددة المعاطف السوداء الطويلة والقبعات السوداء عادة في أثناء المناسبات الدينية أو الأحداث الهامة ليدلوا على أهمية الحدث.

تستخدم الألوان في أغراض شتى تتنوع ما بين الطب والفن والسياسة والأنثروبولوجيا. والألوان جزء لا يتجزأ من الحياة، ولا يهمنا كيف تستخدم الألوان، فأفضل استخدام لها نستطيع أن نراه في صنع الخالق العظيم سبحانه. ■

(*) كاتب وباحث تركي. الترجمة عن الأنكليزية بهاء الدين إبراهيم نعمة الله.

الألوان التي تتسق مع معتقداتها وثقافتها. ففي جزر بانجي الإندونيسية يعتقد المواطنون أن أسلافهم وصلوا إلى المكان في زوارق بُنيت باللون. ولذا فهم يبنون بيوتهم على هيئة زوارق طليت باللون البني، بل يذهبون إلى حد التضحية بحيوان عجل البحر لتعليق رأسه على المنازل كي يزدوا في زخرفتها، ويرتدون اللون الأحمر في أثناء الجنائز حيث يشيع هذا اللون في ثقافتهم وتمتلىء الشوارع بالمشيعين الذين يتشحنون باللون الأحمر.

أما في منغوليا فيشيع اللون الأخضر حيث يحب السكان الطبيعة والحيوانات، وفي جواتيما لا أجبر المحتل الأسباني كل قبيلة من السكان الأصليين على ارتداء لون معين كي يستطيع تمييزهم. وكان الناس أحبوا هذا الأمر وقبلوه، فما زال الأمر ساريا حتى اليوم. أما مدينة فارانسي الهندية ونهر الجانج فهما يذكران المرء باللون البرتقالي بينما يذكر كرك تاج محل باللون الأبيض.

وتقول «نوال سويندي» التي عاشت في إيران لفترة: «إن الإيرانيين يرون أن اللون الأسود لون شريف»، وترى «نوال» أن الإيرانيين والغريين كذلك يرون اللون الأسود رمزا للحداد؛ ويتشعخع الإيرانيون باللون الأسود لتذكر أئمتهم، بينما يرتدي الغريون السواد في جنائزهم لتذكر قديسيهم.

وتستطرد سويندي:

«يبدو أن الإيرانيين يرتدون ثياب الحداد على الدوام فكل بلاء تعيش داخلهم. أما الأتراك فلا يعدون اللون الأسود لونا حزينا. لذا فهم يرتدون ثيابا عادية أثناء حضور الجنائز لأنهم ينظرون إلى الموت كجزء لا يتجزأ من الحياة.

أما اللون الأحمر فهو عند الإيرانيين لون العار، وأما في تركيا والصين والهند فيعد الأحمر لون الزفاف حيث ترتدي العروس خمارا أحمر على رأسها عشية زفافها وتحيط خصرها بحزام أحمر اللون يوم الزفاف؛ كما تضع المرأة ساعة الولادة أيضا شريطا أحمر اللون كإشارة إلى أنها على عتبة مستقبل جديد مليء بالثراء والغنى.

أما الأفارقة والآسيويون فهم يحبون ارتداء الألوان المتعددة، وأرى أن هذا يرجع إلى طبيعة البلاد التي يقطنونها حيث الطبيعة والجو المشمس الساطع الذي يؤثر على أرديتهم وأمزجتهم.

(٢)

حرام

وجه أروى

أرى البوسفور يُطلع وجه أروى
فقلت: بُنيّتي... هيّا الحقي بي
لقد ترك المدينة مطمئناً
تكتفه الهدى من كل صوب
وما رغب المجاهد عن حماه
ولكن نور ربي وهو أبقي
وقامت بنت ملحان تنادي
أناساً يركبون البحر خضراً
ملاحم لم يشبها ثوب زور
تحققت البشارة يا حبيبي
فكيف يقيّد الطين انطلاقي؟
إذا ما راية رفعت لمجد
بغات الطير تأمن في حماه
وأسس ملك عدل لا يبارى

يقول: أطلت يا أبتى الغيابا
هنا الإسلام قد ضرب القبابا
أبو أيوب وامتشق الصعابا
فردّد كلّ محروم: أصابا
ولم يكسبه ترك «الدار» عابا
غدا يحدو بهمته الركابا
وخلّفت الأساور والخضابا
ملوك أسيرة ملكوا الرقابا
وكم للحق ثوب الزور شابا
فهذا البحر وطأ لي الجنابا
ويرجو النجم من وطئ الترابا
غدت يمين أورخان العُقابا
ويسورث كلّ جبار عقابا
وأعلاه اقتدارا لا انتهابا

أ.د. حسن الأمrani *



ألا يا أيها العلم المفدى
ترى الفتح المظفر خير كأسٍ
خرجت وريح جعفر خير حادٍ
وسقت الخيل تطلب المعالي
فقل يا حالما بلواء حمد
أنا الإيمان مثل الشمس يجري
ويغدو الكوخ قصراً مشمخراً
وأرسل طائري نحو المعالي
وإن الليل الموفور عشقاً
ويمنح لحنه للفجر يرجو
تأمل: «أن تكون» وليس «تبدو»
تضيق بي البلاد وباصطخابي
«ألستُ برّبكم» لي خير زاد
أدرها يا نديم فما سواها
ورشّ بها غداً قبري إذا ما

ظمئت فلم يك الإثم احتقاباً
وطاب الفتح للظامي شراباً
إلى الفردوس، تعتق الضراباً
فكان النجم منزلها غلاباً
يظلل في القيامة من أناباً
لغايته وينتظم الهضاباً
إذا ما التور للأحشاء جاباً
فيمسي في دياجيري شهاباً
يُخلف للدياجير الغراباً
من الورد استماعاً لا رضاباً
طريقٌ هدى لمن فقه الكتاباً
فتغدو السدرة الغراً مثاباً
ونور «بلى» غداً عندي شراباً
أريد... بسرّها زدني اقتراباً
يدُ الأقدار قد طوت الكتاباً

وعلمني المحبة والتصافي
على دين الحبيب يكون موتي
لقد شرف الرقيم بساكنيه
أحلّ العشق منزلةً هواه
فكيف وفي «حراء» قد تجلّى؟
أنا قطمير من قدمي حبيبي
ولو أني وقفت العمر مدحاً
لقد عرضتُ فقال: إليك عني
وقد كشف الغطاء له عياناً
فما ازداد الفؤاد به يقيناً
يهيج لي البكاء الذكر حتى
تضعض مركبي المسكين وجداً
وقال العاشق المجنون قولاً
«محمد ارتقى فأتى محلاً»
ألا قسماً لو أني يا إلهي
صعدت إلى الجبال فطاش عقلي
وكيف وقد دنا حتى تدلي

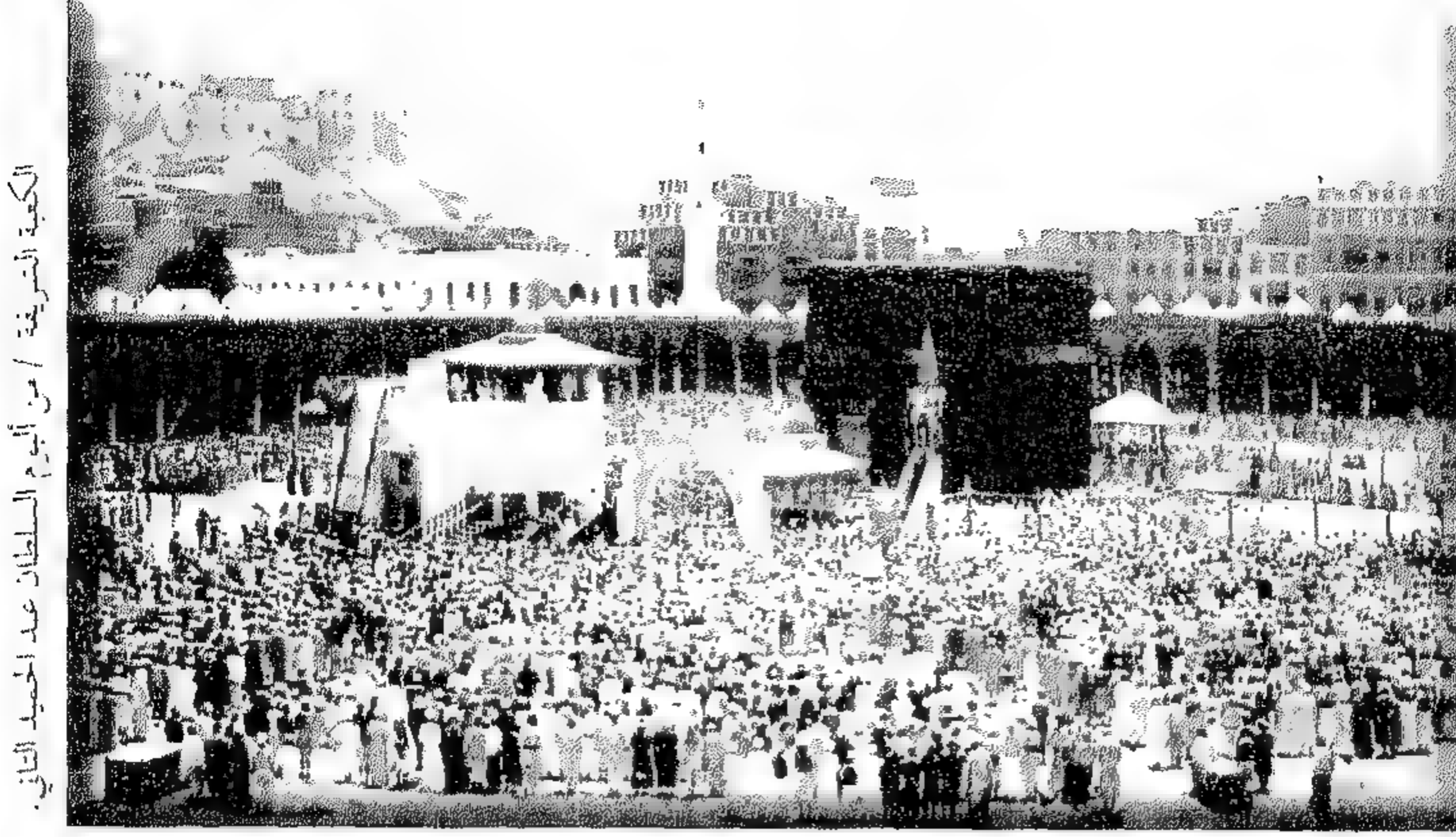
وبصّرني بها العجب العجاباً
وما الصبّ الحزين كمن تصابي
وأعلى ذكر قطمير الكلاباً
رجاها بغض من لبس الثياباً
وكيف ومن «حراء» همى شهاباً؟
أقبل عند حضرته التراباً
لما أفرغت من مدحي الوطاباً
ولا آلوك بعداً واجتناباً
وشاهد عالم الغيب اصطحاباً
إذ ازدان الكمال به اختصاباً
جميل الصبر في الأحشاء غاباً
فموج البحر يوسعني عتاباً
وعاه الكون فانشعب انشعاباً:
غدا للسدرة الغراء باباً
أتيته ما رضيت به إياباً
فكيف وأحمدُ اخترق الحجاباً؟
فصار من الحبيب الفرد قاباً؟

عندليب الكون

تملكَ عندليبُ الكونِ قلبي
أليس معلّم الأكوان ألقت
ومن غير المعلّم يرتجي من
فأسكن مهجتي مُدناً رحاباً
إليه الأمر لله احتساباً
يسوق لساحه التجب العراباً

(* رئيس تحرير مجلة المشكاة - المغرب)

إستانبول: ٣١ يوليو ٢٠٠٥ / ٢٥ جمادى الآخرة ١٤٢٦



قوافل الحج في العصر العثماني

أ.د. الصفصافي أحمد القطوري *

لقد كانت السمة الدينية من أهم السمات التي اتسمت بها تشريعات الدولة العثمانية؛ فقد كان للهيئة الإسلامية وضع معترف به، وكان يطلق على رئيسها لقب المفتي أو مفتي إستانبول، ثم تغير هذا اللقب إلى «شيخ الإسلام» الذي كان يشرف على الهيئات القضائية والهيئات ذات الطابع والنشاط الديني. وكان السلاطين أنفسهم حريصين على تدعيم سلطته، فقد كان شيخ الإسلام يصدر فتوى تجيز الحرب، دفاعاً، أو هجوماً، وعقد الصلح، وغير ذلك من الأحداث الجسام. وقد كان من مظاهر اهتمام الدولة العثمانية بالدين والعالم الإسلامي اهتمامها بمنصب نقيب الأشراف.

الحجاز في العهد العثماني

كما كان الاهتمام الكبير بالحجاز من السمات التي حافظ عليها كل السلاطين العثمانيين؛ فقد كان الحجاز وما يحويه من أماكن إسلامية مقدسة تابعا للدولة العثمانية، مما أضفى عليه مركزاً دينياً مرموقاً في جميع أرجاء العالم الإسلامي. وقد أعفت الدولة العثمانية منطقة الحجاز من أداء الضرائب، بل أقر لها سليم الأول ثلث ما كان يجبي من مصر. كما أوقف خراج اليونان

ولكن الشيء الذي أولته الدولة العثمانية جل اهتمامها، هو قوافل الحج والإشراف المباشر والفعلي على الحج، واعتبرت هذا العمل واجبا يقع على عاتقها، باعتباره الركن الخامس من أركان الإسلام، وأن عليها تيسير الحج أمام الراغبين فيه، فأنشأت قوافل الحج، واهتمت بالطرق؛ فأقامت الحصون، وحفرت الآبار على طول طرق الحج، وشجعت على إقامة الخانات، وأقامت المخافر، وكانت تشرف على قوافل الحج الرئيسية التي

كانت تخرج من أنحاء الدولة كافة في مواعيد محددة كل عام ، وتضع لها قوة تحرسها ، يقودها أحد كبار العسكريين ، الذي كان يسمى «سَرْدَارُ الحج» . وكان على رأس كل قافلة أمير للحج ، وكثيرا ما كان أمير الحج يتولى قيادة الجيش المرافق للقافلة ، وخاصة قافلة الحج الشامي .

أهم قوافل الحج

وكانت أهم قوافل الحج في العهد العثماني :

أ. قافلة الحج الشامي : وتضم حجاج بلاد الشام والجزيرة وأذربيجان والقوقاز والقرم والأناضول والبلقان ، وحجاج إستانبول نفسها ، وكان عددها يتراوح ما بين ثلاثين وخمسين ألفا .

وقد كان السلطان العثماني يشرف بنفسه على ترتيب وإعداد هذه القافلة وخروجها من مدينة إستانبول . وكانت القافلة تقطع الطريق التجاري حتى تصل إلى دمشق ، ومنها إلى أراضي الموآيين القدماء ، ومن بلاد معن عبر صحراء مزيب إلى مدائن صالح حتى تصل القافلة إلى المدينة المنورة .

وكان السلطان العثماني يصدر أوامره إلى الولاة لتسهيل مهمة مرور القافلة ، وأن يتولوا مهام حراستها حتى تصل إلى حدود الولاية المجاورة ، فيتولى الوالي الجديد استقبالها وتأمين مسيرتها عبر ولايته ، حتى تصل سالمة إلى نهاية ولايته وهكذا .

وقد كانت القافلة وعلى رأسها أمير الحج تعبر هذه الولايات وسط حفاوة واهتمام بالغ ، ويتسلم أمير الحج بصك شرعي أموال الأوقاف والهدايا المرسلة إلى أهالي الحرمين الشريفين ، وإلى الحرمين الشريفين ذاتهما ، من بسط وتحف ومصابيح وشمعدانات ومواد غذائية وما شابه ذلك .

ب. قافلة الحج المصري : وتضم حجاج مصر وشمال أفريقيا ، وكانت من أهم القوافل خلال العصر العثماني ، حيث كانت تضم الحمل المصري وكسوة الكعبة المشرفة الجديدة . وكانت تتحرك من القاهرة خلال الأسبوع الأخير من شوال من كل عام ، وسط احتفالات عظيمة تتم تحت إشراف الوالي نفسه . وتقطع المسافة في ٣٧ يوما ، سالكة طريق السويس وسيناء والعقبة ثم تلتقي في بعض الطرق مع قوافل الحج الشامي ، وفي بعض السنوات كانت تستقل السفن من السويس إلى جدة ، أو من الموانئ المصرية الأخرى المواجهة لجدة .

ج. قافلة الحج العراقي : وتضم حجاج العراق وفارس ، وتسلك

الطريق الذي يعبر جزيرة العرب نفسها . وكان كثير من حجاج فارس والخليج العربي واليمن يفضلون طريق البحر والسفن البحرية . د. قافلة الحج اليمني : وتضم حجاج اليمن والهند وماليزيا وأندونيسيا ، وينضم إليهم حجاج الحبشة والصومال والأفارقة الذين يصلون إلى مصوع وسواكن وموانيء اليمن .

كانت القوافل تضم عناصر مختلفة؛ ففيها الأمراء ، والأثرياء ، والتجار ومعهم تجاراتهم ، والفقراء والمعدمون . وكان كلٌّ حسب قدرته يرافق القافلة ، ففيها الهودج وفيها الجمال والخيول ، وفيها الرجال من البدو والفقراء .

وقد كان الولاة يقومون باستئجار الجمال والخيول لحمل مهمات القافلة ، ويتعاقدون على ذلك قبل موسم الحج بوقت كافٍ ، ويتفقون على ذلك مع مشايخ الأعراب والبدو الذين يعيشون في المناطق التي تسلكها القوافل .



من ألبوم السلطان عبد الحميد الثاني.

أهم طرق القوافل

وأهم الطرق التي كانت تسلكها القوافل بين الحرمين الشريفين هي :

١. الطريق السلطاني : أي الطريق الرئيسي ، وكان على حجاج القافلة التي تسلك هذا الطريق أن يتجمعوا عند وادي فاطمة بالقرب من مكة المكرمة للاتجاه إلى المدينة المنورة . ويتزود الحجاج فيها بما يلزمهم ، ثم يتجهون إلى بئر عسفان ، وتسلك طريقها حتى تصل إلى رابع التي تفرق عندها الطرق ، وإن كان أكثرها استعمالا هو الطريق السلطاني .

كان الحماله هم الذين يحددون أماكن التوقف ، وكانوا

للطريق السلطاني والطريق الفرعي تجعل منه معبرا مطروقا من قبل المشاة، أو من يمتطون صهوة الخيول، أو من قبل فرسان الخيالة والهجانة التابعين لقوة الدولة العثمانية، والمنوط بها حفظ الأمن وحماية مكة المكرمة والمدينة المنورة. وتورد بعض كتب التاريخ أن النبي محمداً ﷺ قد سلك هذا الطريق عند هجرته الميمونة إلى المدينة المنورة.

وهناك أيضا الطريق الشرقي الذي يربط المدينة المنورة ومكة المكرمة، وهو طريق كبير ومتسع إلى حد ما، وكثيرا ما تسلكه القوافل المترددة بين المدينتين المقدستين، وهو الطريق المفضل عند قوافل المحمل، والقوافل التي كانت تحمل الصرة، وخاصة في المواسم التي كانت تشتد فيها الحرارة، وتزداد فيها حملات الخارجين على القانون، وتسلطهم على الطرق الأخرى.

وعرف بهذا الاسم لوقوعه على الطرف الشرقي من بلاد الحجاز، وتصل القوافل التي تقطع هذا الطريق إلى مرحلة بئر الليمون بعد مسيرة أربع عشرة ساعة، ثم بئر برود الذي تفضل القوافل الاستراحة عنده، والتزود من مياه العذبة. وبعد المرور من بضع آبار ومراحل أخرى تصل القوافل إلى «بركة زيدة»، وهي البركة التي أمرت السيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد بتشييدها لتجمع فيها مياه السيول في هذه المنطقة.

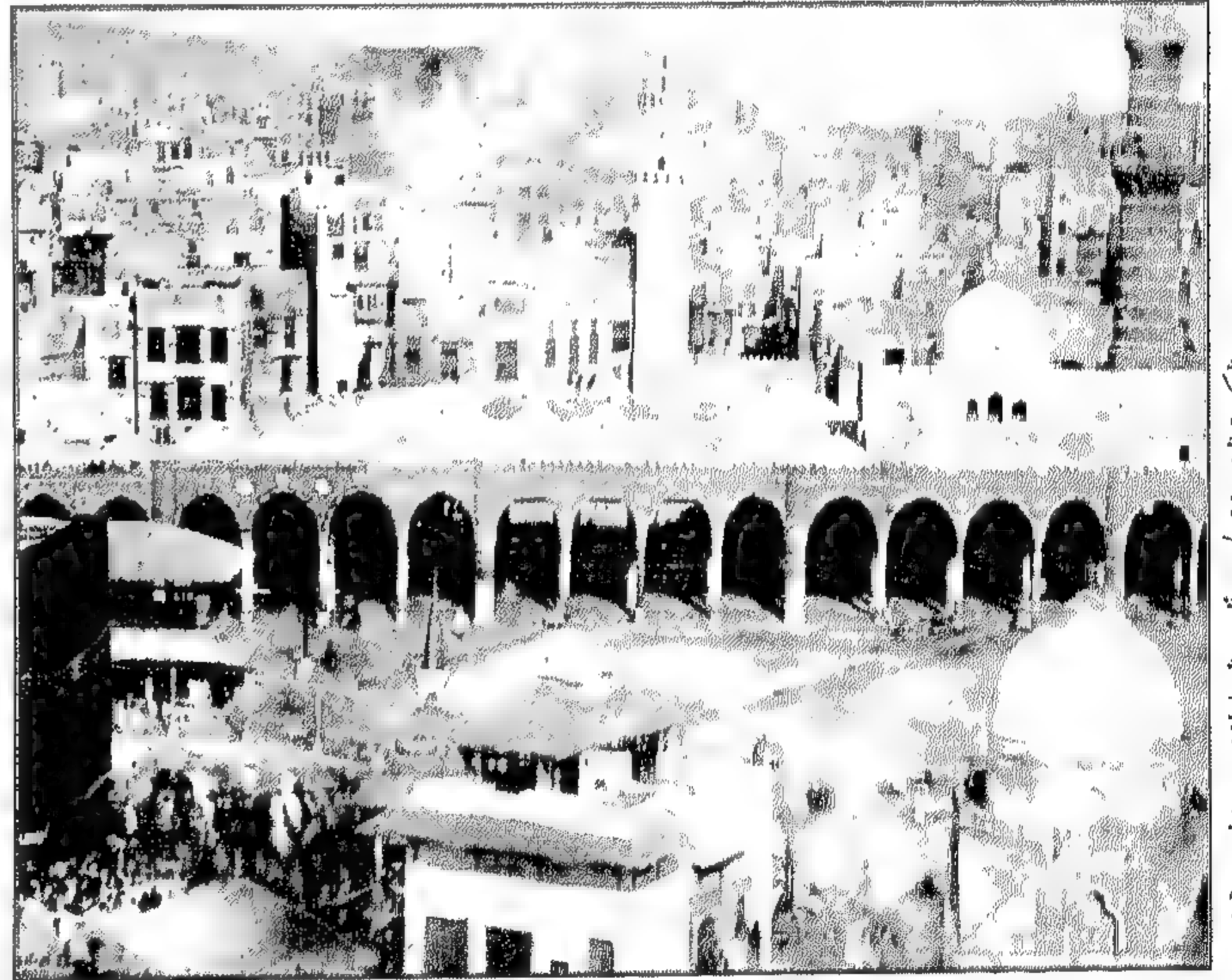
ومن الطرق الفرعية التي تسلكها القوافل بين المدينة المنورة ومكة المكرمة أيضا طريق ينبع البحر. فينبع البحر تعد مرفأ المدينة المنورة. والقوافل المتجهة إلى البلدة الطيبة تصل أولا إلى «بئر سعيد» ثم قرية «صفراء»، وعند هذه القرية يلتقي طريق ينبع البحر مع الطريق السلطاني؛ ومن ينبع حتى طيبة الطيبة خمس مراحل سيرا بقوافل الجمال. والمعروف أن المرحلة هي مسيرة يوم واحد بالجمال، أي مسيرة سبعة وعشرين ميلا. وتمر القوافل التي تسلك هذا الطريق بقرية بدر المباركة، ويقرأون الفاتحة على أرواح شهداء بدر الكبرى، وهذا الطريق سهل ومستوٍ مما يشجع القوافل على عبوره.

أشهر الطرق إلى مكة المكرمة

أما أشهر الطرق المؤدية إلى مكة المكرمة، وكانت تسلكها قوافل الحج القادمة من بلدان العالم الإسلامي فكانت سبعة طرق، وبينها كالتالي:

يفضلون تلك التي تضم آبارا للتزود بالمياه. وتعودت القوافل أن تدخل المدينة في اليوم السادس من خروجها من رابغ. وهذا الطريق السلطاني كان هو الطريق المعتاد بالنسبة لقوافل الحج وقوافل المحامل. وبالرغم من قلة مياهه فإن مطالعه ومنازله الوعرة كانت شبه معدومة، ولكن كانت تبعد عنه بعض الشيء سلاسل جبلية مكنت بعض عربان البدو من مهاجمة هذه القوافل، مما دفع قوافل الحجاج المسلمين ومواكب التجار إلى أن يسلكوا الطرق المسماة بالطرق الفرعية لعمرائها وعدم خطورتها.

٢. الطريق الفرعي: هو الطريق المؤدي من رابغ إلى المدينة المنورة عن طريق «بريدة». والذين يودون السفر عن طريق «الطريق الفرعي» يتجمعون عند «المرحلة»، التي تسمى آنذاك «بئر رضوان»، وهي تبعد مسيرة ثنتي عشرة ساعة من رابغ،



الكعبة الشريفة / من اليوم السلطان عبد الحميد الثاني.

ويتزودون بالمياه والمؤن، ثم يسلكون الطريق مارين بقرية «أبي ضياعة» و«ريان» و«أم العيال» و«مضيق» و«صمد»، ثم تمر القوافل من المنطقة المنخفضة التي تسمى الغدير التي تتجمع فيها مياه الأمطار فتحولها إلى ما يشبه البحيرة.

الطريق الفرعي الثاني المؤدي إلى المدينة المنورة هو طريق غابر، وبالرغم من أن المسافة عبر هذا الطريق كانت تقطع في خمسة أيام من مكة إلى المدينة، فإنه طريق جبلي، كثير المطالع والمنازل، مما جعله صعب المنال بالنسبة للجمال التي غالبا ما تكون محملة بأشياء ثقيلة، وتجعل قطع الطريق مرهقا، كما أن كثرة الجبال تجعله مرتعا لقطاع الطرق والأشقياء، مما يدفع الجمالة إلى الابتعاد عنه وعدم سلوكه، إلا أن قصره بالنسبة

١. طريق الشام

هو الطريق الذي كانت تسلكه قوافل الحج القادمة من الشام وكذلك قافلة محمل الشام. وكانت قافلة الشام تتحرك في أغلب المواسم في الخامس عشر من شوال تحت رئاسة أمير الحج، وكان يتولاها في العادة والي سوريا. وقبل التحرك يجري احتفال كبير ينظمه قائد الجيش الخامس، وبعد القيام بالتشريفات المعهودة في مثل هذه الأمور تخرج القافلة من الشام من «قبة الحاج»، التي كانت تعد نقطة البدء للقافلة، ومنها إلى الكسوة حيث ينضم إليها الحجاج الذين تجمعوا في «مزريب»، ثم تتجه مجتمعة إلى المراحل التالية.

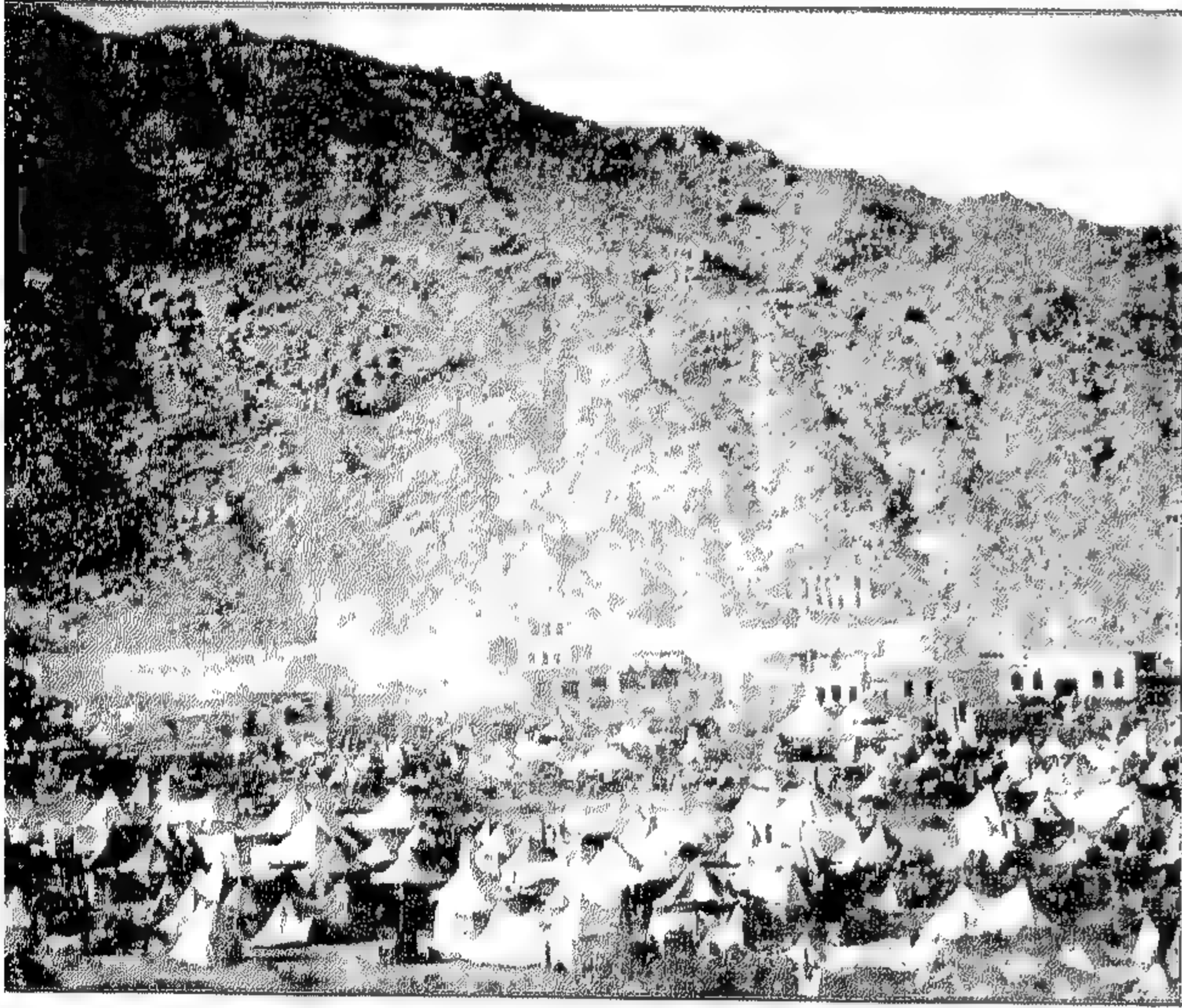
ومن المناطق التي تمر بها القافلة عبر هذا الطريق منتزه مزريب في حوران، وبجوار عين مزريب أمر السلطان سليم الأول ببناء قلعة -ما زالت أطلالها باقية حتى الآن- لحماية قافلة الحج، ثم الزرقاء فالبلقاء، ثم القطرنة حيث القلعة التي شيدها سليمان القانوني بجوار البركة التي أمر بإعادة تطهيرها بعد أن كانت قد تساوت مع الأرض. ومن القطرنة تتابع القافلة سيرها حتى الكرك، ثم عنيزة، فقلعة معان. وهذه المنطقة تسجل كتب التاريخ أنها كانت مقر إقامة بني أمية، وأمر السلطان سليمان القانوني بإقامة قلعة وحفر بئر فيها. ومن معان إلى ظهر العقبة نحو «ذات الحج»، وفي ذات الحج أو حجر هذه أمر القانوني بإقامة قلعة لحماية القوافل من غارات البدو والأعراب، وتشتهر بتمورها وثمارها الجيدة. ومنها إلى «قاع البسيط» فتبوك ثم أخضر التي تقع في منتصف المسافة بين مكة والشام.

وقد كلف السلطان سليمان القانوني عند جلوسه على العرش سنة ٩٢٦هـ - ١٥٢٠م واليه على الشام مصطفى باشا ببناء قلعة أخضر، وبعدها تصل القوافل إلى بركة المعظم، ثم جبل الطاق الذي عقرت فيه ناقة النبي صالح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام. ثم مبرك الناقة، ثم قرى صالح، ثم ديار ثمود، وهي تلك المنازل التي نحتت في الجبال، وفيها مسجد النبي صالح عليه السلام، ومنها إلى العلا التي تبعد عن المدينة المنورة بست مراحل، وهي من ملحقات المدينة المنورة؛ وأمر السلطان القانوني بتجديد قلعتها وحصنها لحمايتها من غارات الأعراب. ومنها إلى شعب النعام ومنزل فحلتين، ثم وادي القرى الذي تكثر فيه المياه والغابات، وأيار علي رضي الله عنه، وفيها يحرم الحجيج جميعاً. ومنها تمر القوافل بقبور الشهداء، ثم الجديدة وقاع البرو

وبلاد طارق وعقبة السوق؛ ومنها إلى عسفان حيث الآبار النبوية المأثورة، وبعدها تدخل القوافل إلى مكة المكرمة في أوائل ذي الحجة من كل عام، بعد أن تكون قد قطعت المسافة من المدينة في مائة وست ساعات.

٢. طريق مصر

وقد جرت العادة منذ القدم أن يصحب أمير الحج المصري المحمل وسط احتفال كبير من القاهرة متجهاً إلى بركة الحاج. وهناك يلتقي بجموع قافلة الحج المصرية، حيث يتجهون سوياً إلى هدف البويب، ثم يتجه الموكب بعد ذلك إلى الحمرا، حيث أقامت السلطات المعنية آنذاك عدة أبنية وسقاية ماء ليتزود منها الحجاج؛ ومنها إلى بركة عجرود التي تقع تجاه السويس وتسمى أيضاً «عيون موسى»، وكان بها خان كبير منذ زمن قانصوه



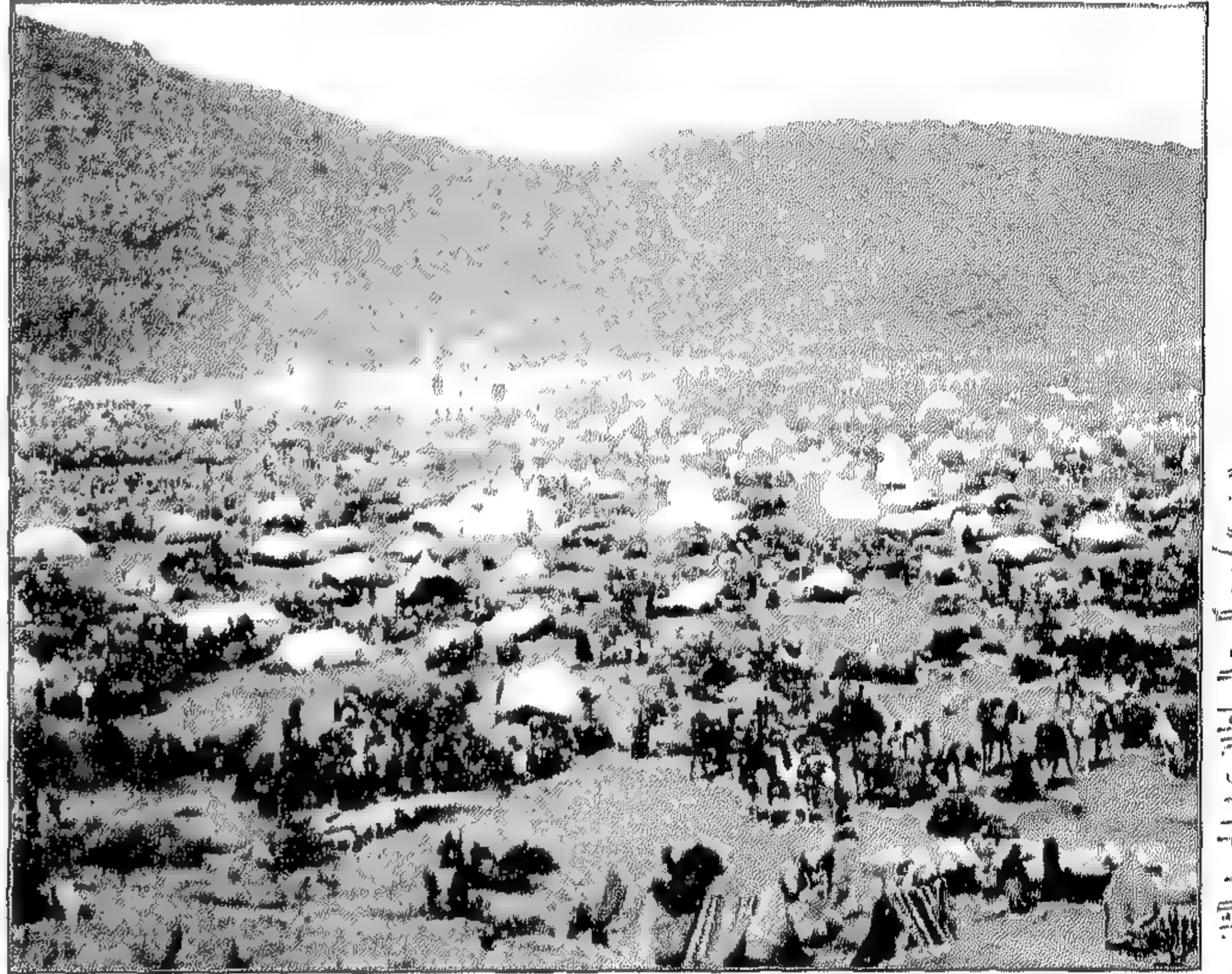
الغوري. ثم تتحرك القافلة إلى منصرف، وفيها بعض المنخفضات التي يظن أن ملوكاً سابقين قد حفروها في العصور الغابرة للربط بين البحرين الأبيض والأحمر، وهي التي حفرت مكانها قناة السويس. ومنها إلى قبيبات، ثم أول التيه حيث على الجانب الأيمن جبل الطور والجانب الأيسر جبل العريش. وفي وادي النعمان قام والي مصر علي باشا بتوسيع الحصن والسقاية لخدمة الحجاج، ويقوم الحراس بملء حوض الفسقية قبل وصول الحجاج، وبعدها تتابع القافلة سيرها حتى مغارة شعيب وعيون القصب وشرم ومويلحة، وفيها دار قايتباي، ثم بطن كبريت فأزلم فالوجه فجبل الزيت حتى ينبع، وتستمر القوافل من العقبة حتى رابع، ثم تواصل سيرها في الطريق المعروف حتى مكة.

٣. طريق عدن

تخرج القافلة وسط احتفال مشهود من الحج إلى يكرد، ثم تعز، ثم وادي الحسناء، ثم تنزل القوافل إلى «حيس». وكان المحمل اليمني يخرج من عدن عندما كانت تحت الإدارة العثمانية، ومنذ سنة ٩٦٣هـ بدأ الوزير مصطفى باشا والي اليمن في تنظيم موكب المحمل الشريف باسم محمل صنعاء اليمن على إثر صدور فرمان له بهذا الصدد.

يتحرك الموكب من حيس إلى زبيد فرقع، ومنها إلى بيت العقبة الصغير، ومنها إلى قطيع، ثم المنصورية، ثم يتابع الموكب سيره في الطريق المعهود.

أما حجاج شحر فإنهم يتجهون إلى حضرموت برا، ثم إلى صنعاء، ثم ينضمون هناك إلى قافلة صنعاء، ويتجهون سوياً إلى



«سني» من اليوم السلطان عبد الحميد الثاني.

مكة المكرمة، ومن شحر إلى حضرموت خمسة منازل، ومنها إلى صنعاء أربعة منازل. وعلى حجاج ظفار الذين يودون الاتجاه إلى صنعاء براً أن يقطعوا خمس عشرة مرحلة سيرا، ثم ينضمون إلى جموع الحجيج التي احتشدت هناك لمواصلة السير سوياً.

٤. طريق عمان

يمثل طريق عمان الطريق الرابع بين الطرق التي تسلكها قوافل الحج الإسلامية. ويتجه حجاج عمان بعد أن يخرجوا من حصن المدينة إلى «تروى»، ثم إلى «عجلة»، ومنها إلى «عصوه»، ثم بئر السلاح، وبعد ذلك تشد الرحال نحو مكة. والطريق من الحصن حتى مكة عشرون مرحلة، ولكن لصعراوته وندرة مياهه فإن حجاج عمان يفضلون التوجه والعودة بطريق البحر.

٥. طريق الحسا

وهو الطريق الذي كانت تسلكه جموع حجاج نجد والجزيرة مارين بالدرعية فشعرا ثم مرقب، ومن هناك مروراً ببعض المراحل، حتى ذات عرق حيث مكان إحرام سكان نجد فساحة الكعبة المشرفة.

٦. طريق البصرة

تتحرك القافلة من البصرة إلى الدرهمية، ثم إلى صفوان، ثم إلى منزل «جهر»، وتخط رحالها للتزود بالمياه والمؤن، ثم تتجه إلى حصن النبي موسى الموجود في «أضافا»، وبعدها تتحرك القافلة مارة بالعديد من المواقع والمنازل، حتى تصل أيضاً إلى «ذات عرق»، التي تعد ميقات حجاج نجد والبصرة، حيث يحرمون فيها ثم يتجهون إلى بستان بني عامر، فمكة المكرمة حيث بيت الله الحرام.

٧. طريق بغداد

يتجمع حجاج فارس وأذربيجان وغيرها من هذه المناطق في بغداد، وتتحرك القافلة من بغداد حتى تنزل بهضبة (صرصران)، فينضم إلى الموكب جموع أخرى من الحجاج متجهين نحو هضبة (قراشر)، ومنها إلى شط الفرات، ثم إلى الكوفة، فمشهد علي المسمى (سد بیداء النجف)، ومنه إلى «متعب»، ومن هناك إلى «فرع» مروراً بكثير من المراحل، حتى يلتقي بقافلة واسط في المكان المسمى «ثعلب»، ثم تتابع القافلة سيرها.

ويزدان الطريق من بغداد إلى مكة المكرمة بالأبنية وأسبله المياه والخانات وغيرها من الأبنية رفيعة المستوى، وخاصة تلك التي أمرت بينها السيدة «زبيدة» زوجة هارون الرشيد العباسي، والسلطان ملكشاه السلجوقي. وقد حافظ عليها وعني بها السلاطين العثمانيون جميعاً.

حماية طرق الحج

ولحماية طرق هذه القوافل كانت الدولة العثمانية تقيم الحصون والقلاع والخافر على طول الطرق، وتوفر لها القوات التي تقوم بالحراسة وكسر شوكة قطاع الطرق والبدو والخارجين عليها. وأقامت في المدينة المنورة قلعة كبيرة وفرت لها القوات اللازمة لحفظ الأمن في المنطقة. كما كان محافظ المدينة يختار من بين كبار الضباط الذين يستطيعون القيام بالمهام المنوطة بهم على أحسن وجه، وكان يجمع في يديه بين السلطتين المدنية

والعسكرية، وكان المحافظ يلقب أحيانا بشيخ الحرم النبوي. كما أنشأت الدولة العثمانية قلعة في مكان مناسب من مضيق الجديدة بناء على طلب من الأهالي لحفظ الأمن.

كما كان الجيش السابع الميداني خاصاً بولاية اليمن، وكانت وحداته كلها تتألف من عساكر نظامية، وكانت فرقة الحجاز المرتبطة بهذا الجيش عبارة عن ثلاث آيالات مشاة ونصف آلاي خيالة وبطارية مدفعية. وقد حرصت الدولة على وضع محطات حراسة بجوار آبار المياه على طرق القوافل، وخاصة قافلتَي الحج الشامي والمصري.

ولوقف التهديدات الخارجية لقوافل الحج والأماكن المقدسة قامت الدولة العثمانية بعمل حزام أمن حول الحجاز، يمتد هذا الحزام من سواكن وموانيء اليمن وخليج البصرة وجدة والسويس. ولقد وضعت الدولة في حساباتها أيضاً حماية طرق التجارة الشرقية الوافدة من الهند.

وكانت الدولة العثمانية فيما بعد تسعى لتطوير وتنظيم موانيء جدة والحديدة وينبوع، وإقامة الأرصفة والمرافئ، وجعلت هناك أسطولاً مقيماً من السفن العثمانية للعمل بشكل منتظم بين السويس وعدن. وكانت هناك تقارير تقدم من حين لآخر إلى السلاطين العثمانيين تطالب بضرورة إصلاح وتنظيم وحماية الموانيء الممتدة من العقبة حتى باب المندب؛ كما كانت هناك سفن بريدية «بوسته» تعمل بانتظام بين إستانبول والحديدة، لنقل البريد والجنود بين موانيء البحر الأحمر والحجاز.

موكب الصرة السلطانية

ثم تم استحداث «صُرَّة آلاي»، وهي القوات التي كانت تقوم بالأعداد للاحتفال لخروج الصرة والحمل وموكب الحج من أمام القصر السلطاني، ثم يناط بها الحفاظ على الصرة والحمل وقافلة الحج، حتى تصل وتعود في أمن وسلام. وكانت هذه القوات دائماً في رفقة هذه المواكب، وكانت تسير برا حتى سنة ١٨٦٤م مستخدمة الجمال والبغال والخيول. وبعد هذا التاريخ شرعت الدولة بإرسالها عن طريق السفن الحربية إلى بيروت أو السويس ومنها إلى جدة أو ينبوع، ثم تكمل رحلتها برفقة قوات الحجاز إلى أماكن الشعائر الدينية. وبعد افتتاح خط السكة الحديد الحجازي ١٩٠٨م كانت ترسل هذه القوات أيضاً برفقة هذه المؤن والهبات والأوقاف، ولا تفارقها إلا بعد أن تصل إلى

هدفها. وكانت هذه القوافل إذا ما خرجت برا تتحرك من إستانبول في الثاني عشر من رجب، ولكن بعد ما تقرر إرسالها عن طريق البحر أصبحت تخرج في الخامس عشر من شعبان من كل عام. كما كان أمين الصرة الهمايونية يُختار في معظم الأحيان من بين كبار العسكريين المشهود لهم بالتميز العسكري والتدين وحسن السير والسلوك والتقوى الورع وطهارة اليد والعدل، حتى يشرف بنفسه على القوات المرافقة للمحمل، وقافلة الحج. كما يقوم بتسليم فرمان الخاص بتوزيع أموال الصرة الهمايونية على الحرمين الشريفين وأوجه التصرف والصرف منها إلى شريف مكة ومشايخ الحرمين الشريفين، بحضور رجالات الدولة العلماء وقادة القوات الموجودة في كل من مكة والمدينة وجدة والطائف، وأمراء قوافل الحج. وكان



«عرفة» / من أيام السلطان عبد الحميد الثاني.

يشرف بنفسه باعتباره ممثلاً للسلطان العثماني على أداء المناسك وحفظ الأمن والأمان خلال موسم الحج كله، إلى أن تغادر القوافل كلها المدينتين المباركتين عائدة إلى بلادها، فيعود أمين الصرة بعد أن يكون قد أشرف أيضاً على توزيع الأوقاف والمخصصات على أهالي الحرمين، فيقدم تقريراً مفصلاً إلى الصدر الأعظم وشيخ الإسلام في الآستانة، وبعدها يمثل بين يدي السلطان ليقدّم تقريره عما أنجزه في موسم الحج ومرثياته ومقترحاته للموسم القادم. ■

(* جامعة عين شمس، كلية الآداب - مصر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ

رَبِّ شَمْسٍ مُّتَجَدِّدَةٍ

أ.د. عبد الحليم عويس *

الحضاري؛ ربيع الازدهار والعطاء، وتمتد بالتالي مساحة النور عبر الخريطة الإنسانية.

وعلى العكس، فعندما تُسيطر السكونية السلبية، ويُصبح الإنسان مجرد جزء من الزمان، يمتد الشتاء بقسوته وظلامه، وتنكمش مساحة النور، وتذبل سريعاً أزهار الربيع!

وهنا يتألق دور المؤمنين الفاعلين من خريجي مدرسة «حراء» التي هبطت عليها أشعة شمس القرآن الأولى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق: ١). إنهم مطالبون بالتغيير والتعمير والحركة باسم الله، ومطالبون برفض الجمود الذي يجعلهم كأنهم بعض الزمان وخارج الحضارة والتاريخ، ينتظرون - وهم قاعدون عاجزون - دورة السنة الطبيعية في التداول، دون أن يعملوا على تحقيق التكامل بينها وبين السنة الاجتماعية؛ سنة التغيير الداخلي انطلاقاً للتغيير الخارجي: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١). إنهم - لو كانوا مؤمنين حقاً - أسمى من أن يصبحوا جزءاً من الصيرورة والزمان. إنهم في حقيقتهم محرّكو قطار التاريخ الحضاري، وقادة «النور». وهم القادرون قبل غيرهم على حمل مشاعل الوحي وأضواء العقل. وبالتالي هم الذين يستحقّون «الاصطفاء» ليحقّقوا «الشهادة» على الناس، ويبلغوا مرتبة «العباد الصالحين الوارثين للأرض»... ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١٠).

وحتى لو عثرت بهم أحجار، عبر مسيرتهم في التاريخ،

مع كل صباح تزحف أشعة الشمس ببطء وهدوء مبددة بقايا الليل المظلم، معلنة عن مولد نهار جديد.

وأكثر الناس لا يملكون الوقت، وليس لديهم الباعث ليراقبوا زحف أشعة الشمس، وهي تكتسح ركام السحب وجبال الغيوم؛ لأنهم يعلمون أن الشمس لا بدّ أن تنتصر، وأن النور لا محالة قادم. ولأنهم - كذلك - ألفوا تداول الليل والنهار خضوعاً للسنة الكونية في كل يوم.

وهكذا تمضي سنة التداول في الزمان - دون فعل إنساني - فيعقب الليل النهار، ويعقب النهار الليل، وهكذا الأمر في الظلام والنور، والشتاء والربيع.

وقد يطول ليل الشتاء، لكن مجيء الربيع حتمية كونية، وقد تسود جحافل الظلام في غياب «النور» لكن سنة الله الكونية لا تتخلف. فسرعان ما يعود «النور» إلى الظهور!!

وهنا يظهر الفاصل بين السنتين «الطبيعية الكونية» و«الاجتماعية الحضارية»؛ فعلى الرغم من وحدة القانون، إلا أن الفعل الإنساني له دوره المؤثر في سنة التداول الاجتماعية الحضارية.

الربيع الحضاري

ففي حالة وجود الفعالية الإنسانية، والالتحام الإنساني الواعي بالسنة الطبيعية، والالتزام بثوابت الوحي وتوجيهاته العليا، في هذه الحالة ينجح الإنسان في إطالة فترة «الربيع

فهم - مع ذلك - المؤهلون للأوبة والبعث والإقلاع ،
مهما تطلَّ غيبتهم عن مسرح الحضارة والتاريخ . إن
لهم معالم يهتدون بها ، ولهم ثوابت من الوحي - لا
يأتيها الباطل - تأخذ بأيديهم إلى التي هي أقوم .

لقد غاب المسلمون حضاريًا منذ عدة قرون ،
فتقدم الأوريون - في الفراغ - وقادوا الدنيا بالعقل
وحده ، ونظروا بعين المسيح الدجال ، وكالوا
بمكائيله ، وقاسوا الأمور بمعايير المزدوجة ، وزعموا
أنَّ لهم «جنة» هي حضارتهم المادية الشَّيْثية ، ولهم
«جهنم» اخترعوا لها صوراً من الدمار

وقد قدّموا - وهذا لا يُنكر - خدماتٍ علمية ،
لكنهم أتعسوا الإنسان بالديوية والعنصرية والحروب
لأتفه الأسباب وباختراع قوانين الصدام ونظرياته
المتهافنة (١) وتوشك البشرية التي حفروا لها القبور -
حسب مقولة «رجاء جارودي» - أن تتحر انتحاراً
جماعياً عولمياً ، وتفقد ذاتها ودنياها وآخرتها .

فلا بدّ أن يستيقظ المسلمون ، وأن ينفضوا الغبار
عن أجسادهم وعقولهم ، وأن يخرجوا من
الكهف . . . مثلطفين في خروجهم ، حداة على آمال
الإنسانية ، وحماة لها من الانتحار والدمار ، بالحكمة
والقدوة والحوار .

ولا بدّ أن يعود معنى الصلة بين السماء
والأرض . . . ذلك الذي تألق في «حراء» ذات يوم
من سنة ٦١٠ م معلناً عن ميلاد جديد للإنسانية . فما
أحوج إنسانيتنا المعاصرة أن تولّد من جديد وأن تقرّ
من جديد ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ لا باسم المادة أو الصراع أو
العلم الذي لا ينفع ، والذي لا يخشى علماءه
الله . . .

لقد عاش المسلمون أكثر من عشرة قرون منذ
هبطت عليهم ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ سادة الحضارة -
كما يقول أكبر مؤرخي القرن العشرين «ول
ديورانت» - وبهم بدأت الحضارة دورة إنسانية
جديدة تخلصت فيها من ظلام استمرّ عشرة قرون هي
«القرون الوسطى» - كما يقولون - ، بل تخلصت من
ظلام هيمن على الحضارة الإنسانية عشرات القرون

قبل ظهور العصر القرآني ، في ظل حضارات وثنية
وأسطورية واستعلائية ، لم تقدر الله حق قدره إلا في
القليل النادر من الزمان . بينما اخترعت مئات الأصنام
والأوثان وخضعت لها خضوع العبيد فاقد الواعي
والإحساس .

وعندما نزلت ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ في حراء كانت
شمساً جديدة تطلّ على الكون ، جامعة في نسيج
واحد بين قراءة الوحي والعقل والكون . فتحقّق لأول
مرة في تاريخ الحضارات رسم خريطة تتناغم فيها
الربّانية والإنسانية على امتداد إشعاعات الوعي
الإنساني .

وما كان ممكناً قبل هذا الحدث الفارق أن تكون
هناك حضارة إنسانية تتصل فيها الأرض بالسماء من
خلال وسائل تتحدد فيها العلاقة الواضحة بين «الله»
المعبود الخالق وبين «الإنسان» العابد المخلوق .

لقد كان «الكون» قبل هذا الحدث الذي وقع في
«حراء» معبوداً يخشاه الإنسان ويتقرب إليه بشتي
القرايين ووسائل التعبير الدالة على الخضوع والخوف
والعبادة . فجاء «العصر القرآني» يضع الكون في
مكانه الصحيح ؛ كوناً مسخراً للإنسان ، ليستخدمه
الإنسان لتحقيق العبودية لله ، وتعمير الأرض باسم
الله ، ولتسييح الله . وبالتالي أصبح الكون الذي كان
في الوعي الإنساني الوثني معبوداً «عابداً» خاضعاً
للبحث والاكتشاف والتسخير . ورجع الكون في
الوعي الإنساني إلى حجمه الصحيح ؛ مفعولاً به ،
وليس فاعلاً ، مطبوعة لا طابعاً ، نقشاً لا نقاشاً ، متحقفاً
ومعرضاً لإظهار تجليات الخالق العظيم الذي استخلف
الإنسان وعلمه الأسماء كلها وزوّده بالوحي والعقل
والإرادة .

الإسلام والتعامل مع الكون

وما كان ممكناً قبل هذا التحول الذي قدّمه الإسلام
في التعامل مع الكون ، أن تكون هناك حضارة إسلامية
تمثل منعطفاً جديداً في تاريخ التمدّن الإنساني . وما
كان ممكناً - كذلك - أن تكون هناك حضارة أوربية أو
رقيّ إنساني . بينما الكون معطل عن التسخير ، يحتلّ

عندما تُسيطر
السكونية السلبية،
ويُصبح الإنسان
مجرد جزء من الزمان،
يمتدّ الشتاء بقسوته
وظلامه، وتنكمش
مساحة النور، وتذبل
سريعاً أزهار الربيع
فهنا يتألق دور
المؤمنين الفاعلين من
خريجي مدرسة
«حراء»

فلا بد أن يستيقظ المسلمون، وأن ينفُضوا الغبار عن أجسادهم وعقولهم، وأن يخرجوا من الكهف... متلطفين في خروجهم، حُداةً على آمال الإنسانية، وحماةً لها من الانتحار والدمار، بالحكمة والقُدوة والحوار.

مكانة «مقلوبة»، فتتعلّل مع وضعه المقلوب ملكات الإنسان، وبالتالي لا يجد الإنسان عالم «الآفاق» الذي يحقق من خلاله شروط الاستخلاف.

لقد نجح المسلمون «السلف» خلال مدة تزيد على عشرة قرون - كما ذكرنا - في أن يقدموا حضارة معتدلة الموازين والقيم، تتكامل فيها ثوابت الوحي مع حركة العقل مع الرؤية الرشيدة للكون والحياة.

فلما اختل الميزان في أيديهم وفقدوا مؤهلات القيادة الحضارية، وخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، وأهمّلوا العلم والعمل، وفقه السنة الكونية والاجتماعية، أخذ منهم الأوروبيون القيادة فتحرّكوا بالعقل وحده، مؤلّهم «المصلحة» و«المادية» في إطار الفرد والمذهب الفردي طوراً، وفي إطار الجماعة والمذهب الجماعي طوراً آخر، وكانت الآخرة والروح والجوانب الدنيوية بعيدة كل البعد عن التنظير والتخطيط والتطبيق هنا وهناك. فعادت سفينة البشرية تجنح إلى الغرق من جديد، وسيطرت «القوة»، ومع القوة «الظلم»، ومع الظلم «ازدواج المعايير»، ومع اختلال الموازين سيطرت «العنصرية» و«الأنانية»... فارتفعت بالتالي رايات الصدام والشقاء، وانخفضت رايات التعارف والسعادة.

وهنا، وعند هذا المحاط، لم يبق إلا أن يعود المسلمون إلى القيادة من جديد، متجاوزين عصر الانحطاط، دخولا في دورة حضارية أخرى ووصولاً بعون الله إلى عصر الشهادة على الناس، والخيرية، والقيادة الحضارية للإنسانية!

وكما خرج «النور» من «حراء» عندما هبط الوحي معلناً بداية العصر القرآني، «عصر تكامل القراءات السماوية والكونية والعقلية» كذلك ينبغي أن يتمثل المسلمون في دورتهم الحضارية الجديدة معاني البعث القائم على القراءات المتناغمة المتكاملة السابقة بلا تعارض أو خلل!

شمس القرآن

ومن هنا ينبغي النظر إلى شمس القرآن بعين

جديدة «أصيلة معاصرة» لا تهمل الماضي ولا تتجاهل المستقبل. وفي هذا المقام قد نجد بين أيدينا عدداً رائعاً من الرؤى التي لا يمكن الغض من قيمتها ولا الانتقاص من قدر أصحابها. هؤلاء الأعلام الذين حاولوا بعث الأمة من خلال الحياة في ظلال القرآن والحياة في فقه السيرة.

يبد أننا نرى أن لـ «رسائل النور» لبديع الزمان سعيد النورسيّ ريادة خاصة، كما نرى للمشروع الفكري السائر على درب «النورسي» الذي يقدمه بآليات معاصرة عملاقة الداعية المصلح الشيخ «فتح الله كولن» مثلاً في «النور الخالد» وفي نحو خمسين كتاباً معه ريادة خاصة كذلك.

والمشروعان لا ينفصلان، وكلاهما قدّم ما يستطيع في ظل الظروف المتاحة، وهما يصبّان في خندق واحد ويتجهان إلى غاية واحدة.

إنها غاية إنقاذ الإنسانية والمسلمين، من خلال «القرآن» ومن خلال تطبيق النبي الكريم للقرآن على الواقع، وهو النبي الكريم الذي كان «قرآناً» يمشي على الأرض والذي كان «خلقه القرآن» قولاً وفعلاً وتقريراً، بعيداً عن «المثالية» العاجزة عن التطبيق والتي حلم بها الفلاسفة الطوباويون. وأيضاً ارتفاعاً بمستوى «الواقعية» التي يهبط بها إلى «الحيوانية» الواقعيون.

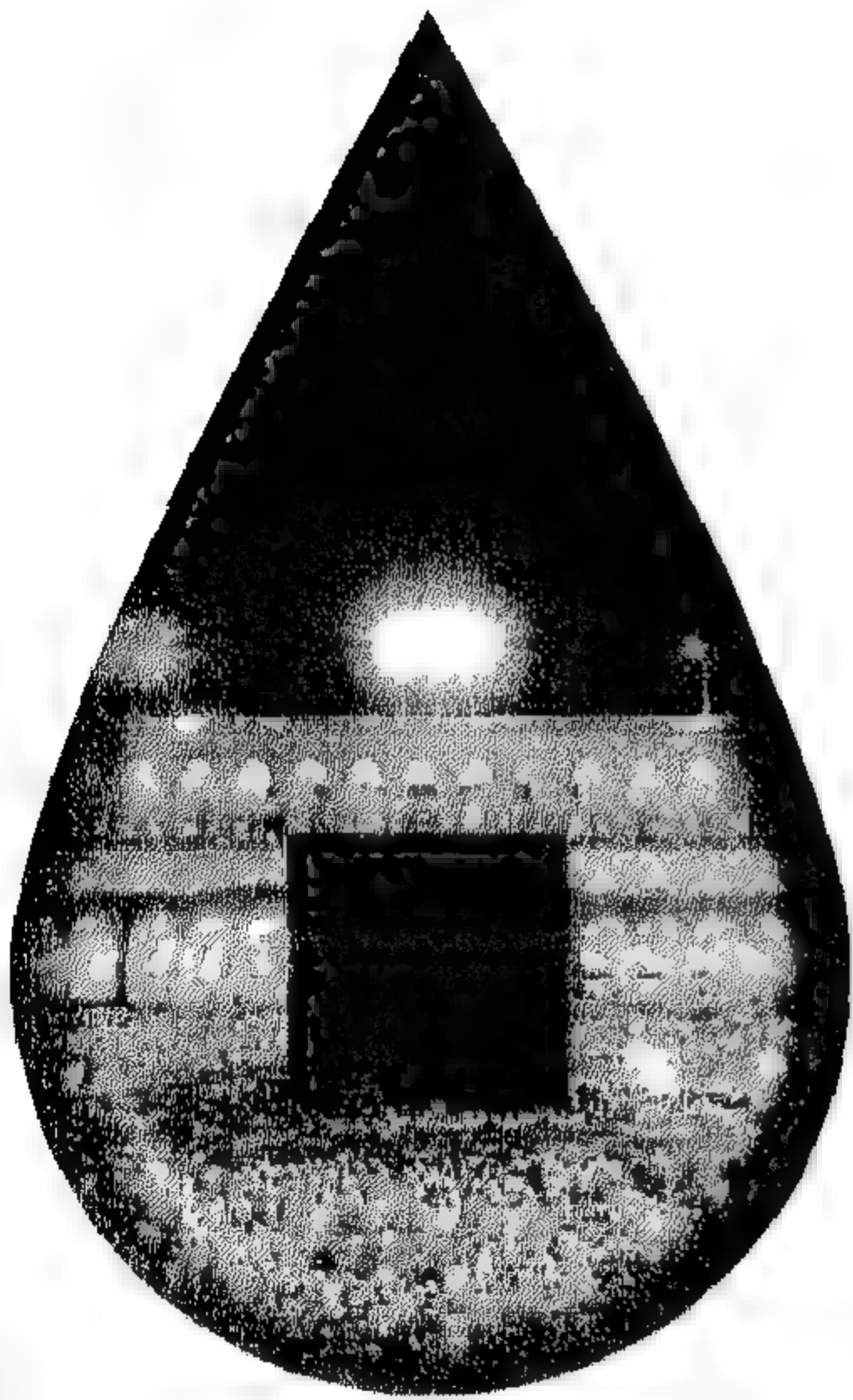
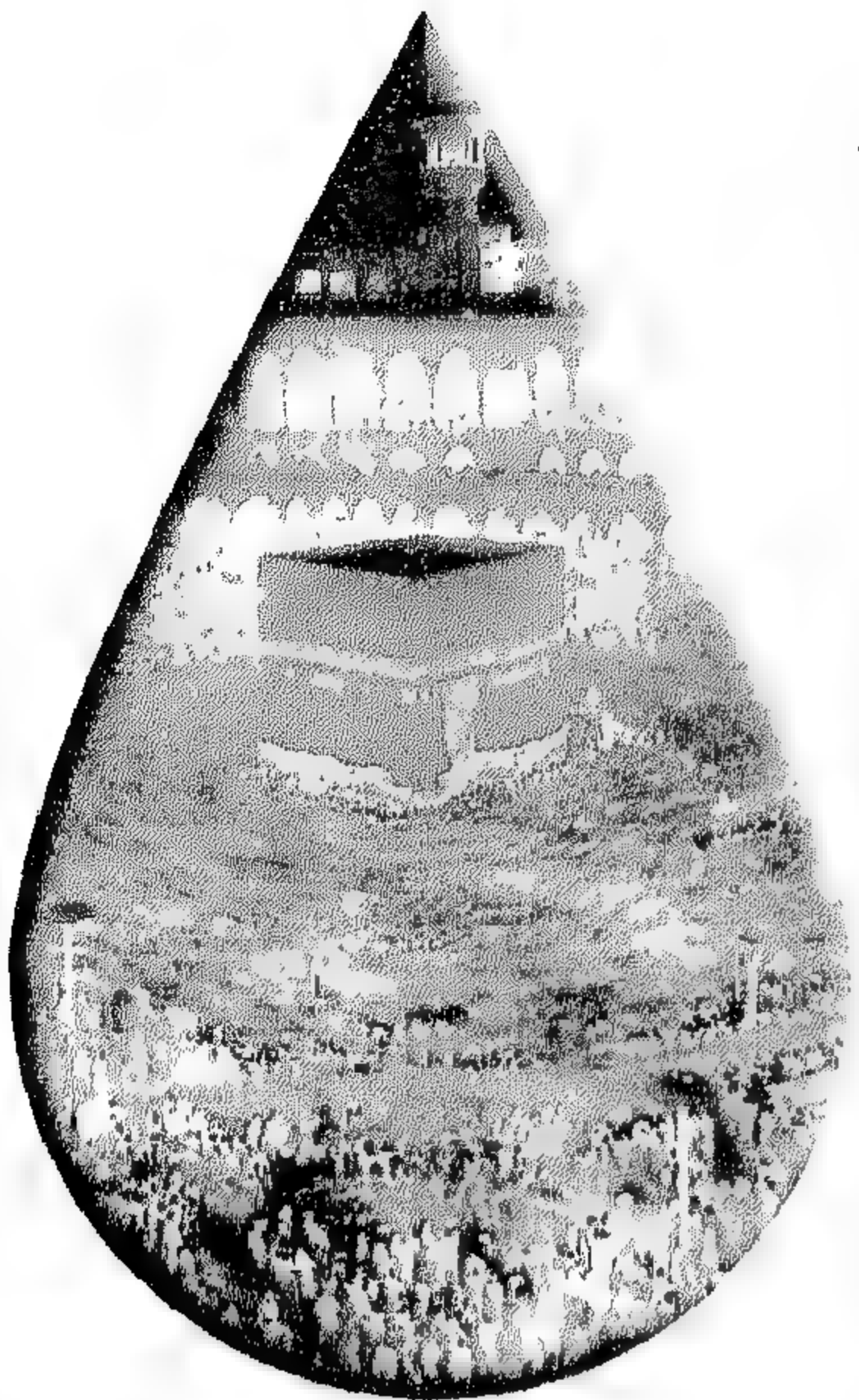
لقد قدم النبي ﷺ واقعية ترتفع إلى قريب من شمس «النور الخالد»... شمس المثالية الإنسانية التي لا يمكن أن يصنعها إلا كتاب الله فكراً وتربيةً وتنظيراً، وسيرة الرسول الكريم ﷺ فعلاً وحركةً وتطبيقاً.

وبالفكر القرآني والتطبيق النبوي تتحقق الحضارة الإنسانية التي انطلقت من «حراء»، بعد أن هبط بها جبريل عليه السلام من السماء. ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (النور: ٣٥).

وعلى المسلمين استئنافها اليوم مستعينين بالله، وما ذلك على الله ببعيد! ■

(*) أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية - مصر.

أم ما زلت ظمّانا؟!



نبيلة الخطيب *

أم هيّج الشوق في جنبك نيرانا؟
بين الشهيدين تسيحاً وتحنّانا؟
تدقق النبض في الأوصال ولهانا؟
وهل قرأت بذاك الفجر قرآنا؟
سجّادة الوصل في البداء بستانا
بغير ذي الزرع نسريناً وريحانا
ترأه يعلن بعد اليوم عصيانا؟
لقد سكنت أعزّ الأرض أوطانا
لأنت آنسُ خلق الله إنسانا
فأنت أوفرهم أهلاً وخِلانا
من الأماي أم هل بات يقظانا
ولا ادّعاء ولا وهماً وبهتاننا
وتلثم الأرض المجاداً وودياننا
ومن صدى الوجد قد صُدّعت وجدانا
بالطهر نفسي وفاض القلب إيماننا **
فيض من الشوق يحدونا، ورُكباننا
والنحرُ سيق يوم النحر قرباننا
وعشتُ أشتاقها عمراً وأزماننا
أطوفُ والدمع في خدي طوفانا
مَنْ ذا يطيق لها بيناً وهجراننا؟
أرجو وقد رانت الآثام غفراننا
ذنوبهم بلغت كالموج إحساننا
ألست يا سائر الكبوات منّانا؟
سميت نفسك يا رحمان رحماننا ■

هل طفت بالبيت، أم ما زلت ظمّانا؟
وهل سعت كما الأنفاس لاهثة
أرحت ترمّل بين الأخضرين كما
وهل سمعت يمام البيت مبتهلاً؟
علقت قلبي بخيط الفجر فانبعثت
كيف السجود الذي أرقاه يزرعني
لهجت بالحب حيث القول طاوعني
يا جاربكة طوبى للمقيم بها
تجاور البيت حين الأرض موحشة
تصافح الركن حين الناس في حرّ
ما زلت أسأل وعي أهو في سنة
أنا بمكة - إي والله - لا حلماً
عيني تعانق ما طافت شواهقها
إني ألبي وعين الله شاهدة
تجدد العمر في عرفات وانفسلت
زُلّفى إليك رجلاً، قد أفاض بنا
نرمي الجمار ويعلو الحق منتصراً
ذي كعبة الله كيف اليوم أبرحها؟
يوم الوداع وداع العاشقين لها
أرجع الطرف والخطوات حائرة
يا رامة البيت قد أرمأت معتكفاً
يا رب أنت وعدت التائبين، وإن
اليوم أبنا وذُبننا ربنا خجلاً
برحمة منك يا مَنْ قبلَ تخلقنا

(*) شاعرة وأديبة - الأردن .

(**) تزامن يوم ميلاد الشاعرة ويوم عرفة في رحلة الحج الأولى لها، فكأنما ولدت مرتين .



حين يتكلم النمل

أ.د. عرفان يلماز *

تحياتي أيها الإنسان!

لـ لك الشكر لأنك أدركت وجودي ولم تسحقني تحت أقدامك. كم تقتل كل يوم من أبناء جنسي تحت أقدامك، هل فكرت بذلك؟ من المؤكد أنك تفعل ذلك دون قصد! حسناً. إن كل نملة أو حشرة صغيرة مثلي إنما هي آية خارقة من آيات الفن والإبداع لن تستطيع الإتيان بمثليها. ربما تكون هذه الدلائل بديعة الصنعة مصدر إلهام لك. إن صنع ساعة صغيرة يتطلب من صانعها إرادة ومهارة فائقة في جمع وتركيب أدوات عديدة وأجزاء دقيقة حتى تستطيع حساب الوقت بدقة وكفاءة. أما أنا فأتفوق على هذه الآلة بدقة وكفاءة وأعتبر أقوى حيوان على وجه الأرض، فإن خلقي لا يمكن أن يتم إلا بالعلم الواسع والقدرة اللامتناهية للخالق البارئ.

قد تتعجبون وتستغربون من قلبي إنني أقوى مخلوق. ولكن هذا القول ليس بالغريب إذا ما نظرنا إلى الأمر من زاوية مبدأ التناسب. فأنتم تستطيعون حمل أثقال ضعف أوزانكم أو ثلاثة أضعافها. أما أنا فأحمل بأسناني خمسين ضعف وزني. هكذا أنا، تحفة ربانية وآية فنية رائعة.

إنني أشكل جمعاً غفيراً يُعدُّ أكبر مجموعة بين أجناس

وفصائل الأحياء. كل أربعين ولادة جديدة عندكم يقابلها عندنا سبعمائة مليون ولادة. رغم عددنا الهائل هذا، لا نسبب أي إزعاج أو إفساد في هذا العالم، بل نشتغل بأداء الواجب الإلهي المقدر لنا بكل همة وتنسيق وحسن أداء بعيداً عن أنظاركم. نجدوننا في جميع أرجاء وبقاع الأرض ما عدا المناطق القطبية، لأننا نفضل العيش في المناطق الدافئة.

نحن مخلوقات اجتماعية وجماعية النزعة. نعيش مع بعضنا ونؤدي واجباتنا المقسومة والمقدرة لنا بكل حرص وطاعة متناهية مستهدين بالمعرفة والقدرة الربانية التي توجّهنا. نؤسس مستعمرات سكنية كبيرة كالمدين العظيمة تعيش فيها ملايين منا؛ ولنا فيها مخازن لقوتنا، وبيوت لتربية صغارنا وقلاع لجنودنا. نتوزع في فصائل تتجاوز تسعة آلاف، يتألف كل فصيل بحسب المنهاج المعد في خلقه من الشغيلة العاملة في التنظيف، إلى المزارعين ومربي الحيوانات. وتتمتع كل فصيلة بصفات وميزات جسدية تؤهلها لأداء الواجب المحدد لها.

لعل ميزتنا الكبرى تتجلى في دقة التنظيم الاجتماعي الذي لم تستطيعوا أنتم البشر تحقيقه فيما بينكم حتى الآن. ورغم وجود الأنبياء والرسل بينكم، لم تصلوا إلى تأسيس مجتمع مثالي (عدا

الملكة - العاملة - الجندي

كيف بدأ تقسيمنا حسب متطلبات واجباتنا منذ بداية خلقنا ووجودنا إلى ملكات وعاملات وجنود، وكيف أتت كل هذه الفروق؟ من الذي أقنع عاملاتنا على التخصص والتفرغ للخدمة ورعاية الملكات؟ حسب نظرية التطور فإن كل فرد يفكر لنفسه فقط، وهو في نزاع وصراع دائم مع غيره للبقاء. مَنْ الذي أوكل لجنودنا مهمة الحراسة؟ مَنْ غيرُ صاحب «القدرة اللامحدودة» يمسك هذه الملايين من الأفراد ضمن مجموعة متعاونة ومتفانية؟!

تمتد سيطرة بعض ممالكنا إلى حوالي ٥, ٢-٣ كيلومتر مربع من الأرض. وتشكل كل مملكة من أربعين إلى خمس وأربعين مستعمرة تترايط فيما بينها رغم وجود مليون من الملكات وأكثر من ثلاثمائة مليون من العاملات، تعيش في تناغم وتناسق دون حدوث أي اضطراب أو إزعاج.

ملكاتنا مكلفات بوضع البيوض مدى الحياة لديمومة واستمرارية بقاء الخلية، وقد توجد أكثر من ملكة في كل خلية. واجبات الذكور المتميزين بكبير أحجامهم تنحصر في نقل الحيامن إلى الملكة خلال جولة قصيرة من الطيران، وتنتهي بعدها حياتهم إلى القناء.

جنودنا مجهزون بأسلحة كيميائية خاصة، وواجبهم الحفاظ على أمن وسلامة الخلية بما زودوا به من أسنان ورؤوس قوية. هؤلاء لا يفكرون مطلقاً بالقيام بانقلابات أو ثورات. ينحصر تفكيرهم في مستقبل دولتهم دون أن يخطر على بالهم الحصول على المنافع أو اللجوء إلى استخدام وسائل قدرة وتحت أستار الظلام. العاملات المسؤولات عن الحياة الاقتصادية لمملكتهن أناث عقيمات قاصرات عن الإنجاب.

يقوم قسم من العاملات بتغذية وخدمة الملكة والأجنّة بكل همة ونشاط. بينما تنهمك أخريات في تهيئة مساكن إضافية وحفر أنفاق للقادمين الجدد، وتخرج أخريات في مهام الكشف والتفتيش عن مصادر الطعام، ومتى ما وجدوا مصدراً جديداً

فترات قليلة مثل عصر النبوة السعيد وفترات متفرقة على شاكلته). ورغم تجهيزكم بمميزات مثل العقل والإدراك والمشاعر، إلا أنكم تمتلكون أيضاً الأحاسيس السيئة والنفس الأمارة بالسوء كأدوات اختبار وامتحان تقف عثرة أمام وصولكم إلى تأسيس المجتمع المنشود.

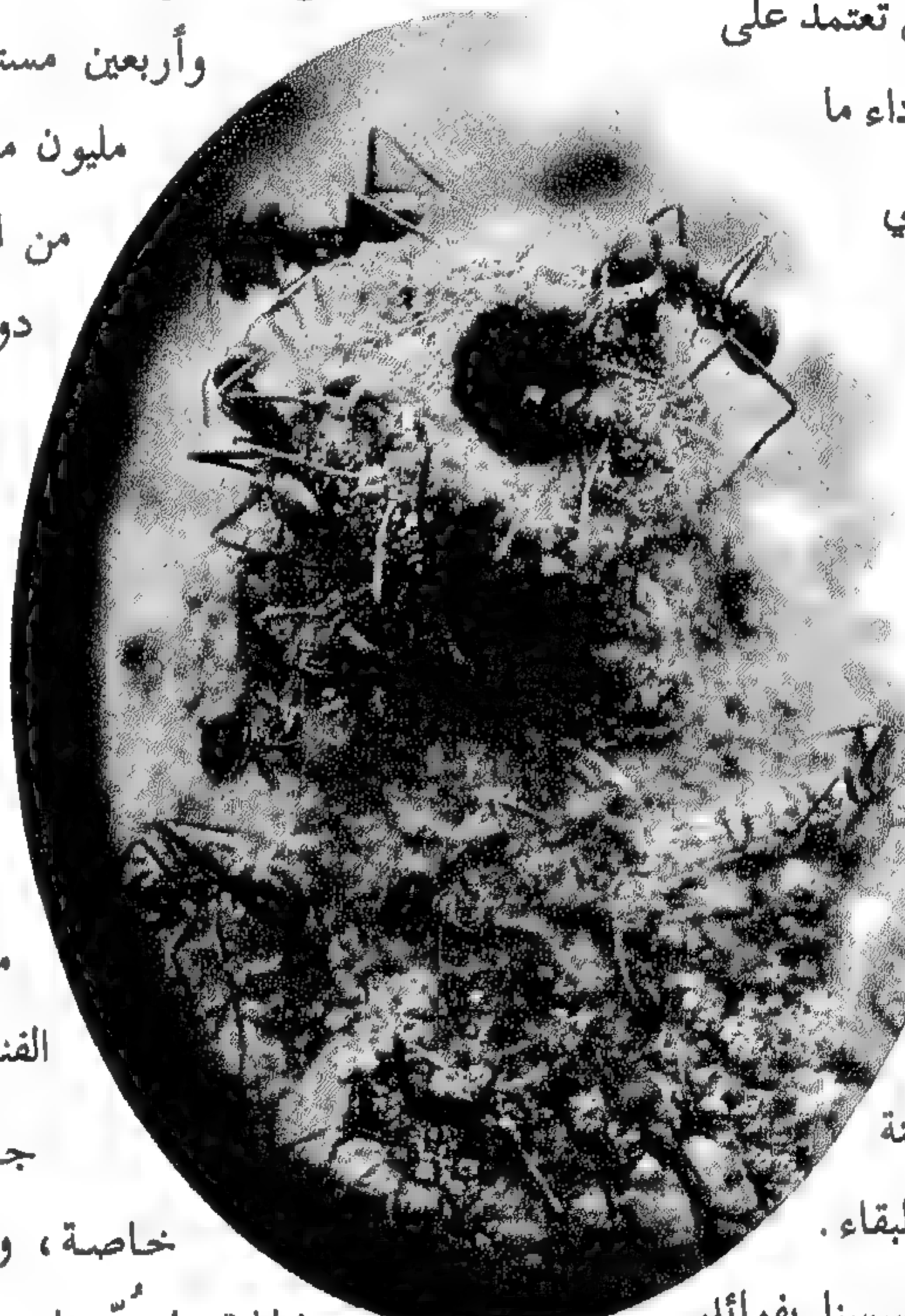
نحن مع عجزنا وضعفنا، نستند إلى ما أوحاه لنا خالقنا، وما فصله لنا من نمط الحياة، بطاعة تامة وتسليم مطلق دون تفسير أو تأويل. وبعملنا الدؤوب وهمتنا المتواصلة استطعنا تأسيس نظام مملكة ودولة ومؤسسات بالغة الكمال والتنظيم.

حياتنا الاجتماعية

هذه الحياة التي تأسست بوحى الخالق تعتمد على مبدأ التفاني والتضحية. يقوم كل فرد بأداء ما يوكل إليه من واجبات، دون التدخل في أمور الآخرين، وتتقدم مصلحة المجموع على مصلحة الأفراد وصولاً إلى حياة اجتماعية قاعدتها الذهبية «التنظيم والتنسيق».

هذه التصرفات التي تعتبر صفة امتياز لكم أنتم بني البشر لا يمكن مطلقاً تفسيرها أو تأويلها استناداً إلى نظريات التطور والتغير والانتخاب الطبيعي. إن أنصار نظرية التطور يدعون أننا تطورنا قبل ثمانين مليون سنة من نحلة برية نتيجة عوامل التنازع على البقاء.

أي كنا نعيش على شكل أفراد فأحسننا بفوائد ومزايا العيش في مجموعات كثيفة لنحافظ على ديمومتنا فقلنا لبعضنا البعض: «لنكن حشرات اجتماعية، لأن العيش في مجموعة أفضل وأصلح لنا من نزاعنا على البقاء بين الأجناس والأنواع الأخرى». لنقبل جدلاً أننا توصلنا إلى هذا المنطق والتفكير واتفقنا عليه، كيف إذن توصلنا إلى خلق أصناف متعددة، وهذا التنوع في الوظائف، ثم هذا التقسيم في المهام وما يتطلبه من مميزات وآليات بدنية خاصة لكل صنف لكي يؤدي وظيفة محددة إلى جانب آليات التكاثف؟ ليس لدينا كل هذا العلم، كما لا نملك هذه القدرة.

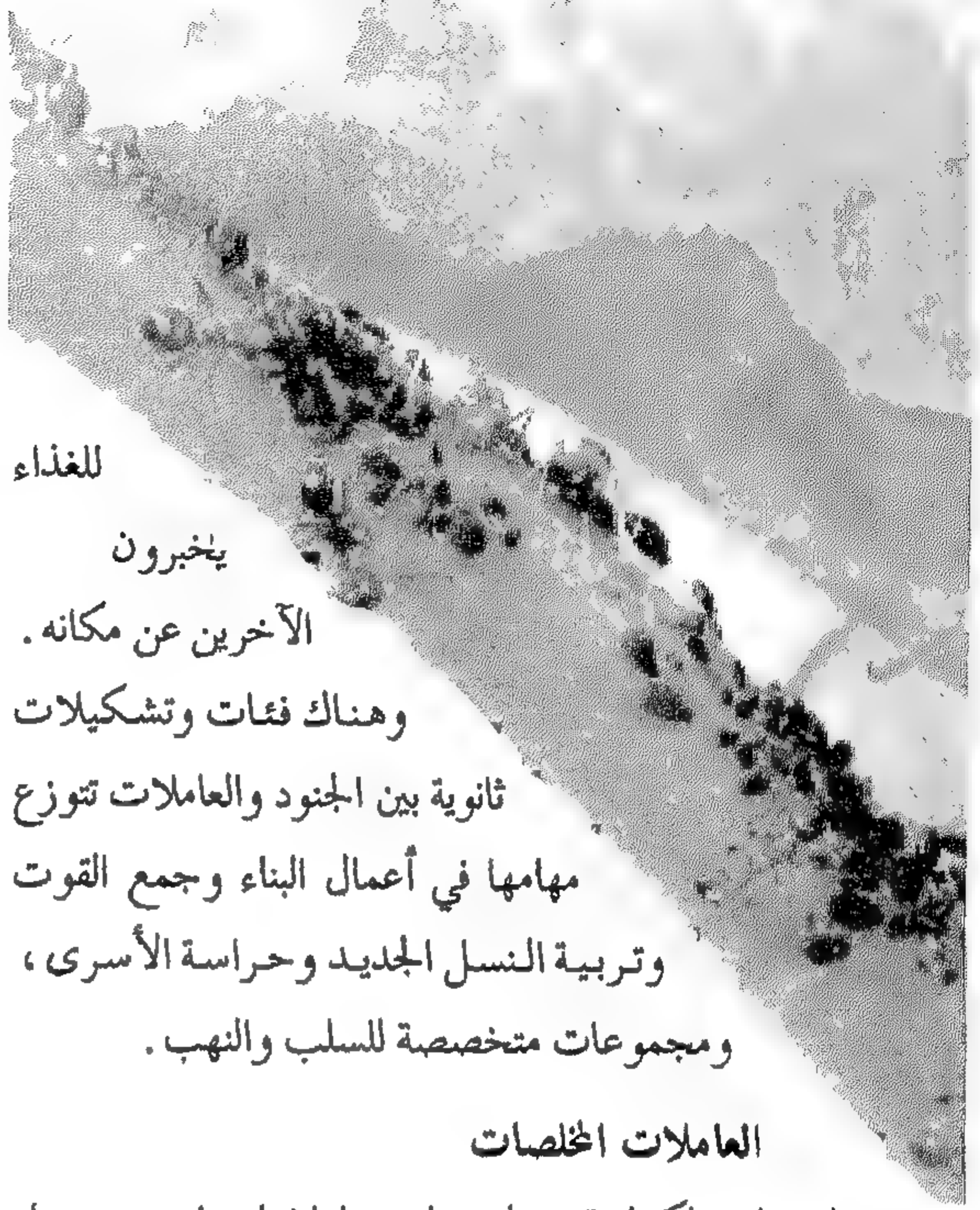


لقدرته وعلمه . فحين يشع الغذاء -مثلاً- تبادر العاملات إلى تقديم خدمات وآلية تغذية خاصة . فهي تمتلك خاصية في معدّاتها الإضافية الاحتياطية حيث تتحول المادة الغذائية إلى حالة مركزة عن طريق معاملتها بمواد كيميائية تتم بها تغذية الأفراد التي أصابها الضعف والهزال . وحالما تنتهي حالات نقص الغذاء ، ترجع هذه العاملات إلى الأوضاع الطبيعية التي كانت عليها . كيف يتسنى لمملكة تعدادها خمسون مليون فرد أن تخلو تماماً من المصاعب والخلل لولا هذه التضحيات؟

نحن نؤمن بمبدأ «الوصول إلى الهدف بأقصر طريق» . نخرج للبحث عن الغذاء بنسق واحد ونعتمد في متابعة طريقنا على الروائح التي يتركها الآخرون .

إنّ مساكننا ليست دائماً تحت الأرض . فبعض الأنواع منا تسكن فوق الأرض ، وأخرى تبني أعشاشها على النباتات والأشجار . الأنواع التي تعيش تحت الأرض لا تملك أجنحة عادة . وإنما تتحول إلى أفراد قابلة للتكاثر وذات أجنحة عندما يحصل ازدحام كبير ويتقرر تشكيل مستعمرة جديدة فتغادر المستعمرة طائراً ، ويتم تلقيح الملكة من قبل الذكور قبل أن تحط المجموعة على الأرض . وهنا ينتهي دور الذكور وتموت ، بينما تستمر الملكة بإنتاج البيوض طيلة حياتها . هنا تسقط أجنحة الملكة لعدم الحاجة إليها ، وتبني لها غرفة تضع فيها بيوضها في صفوف . وبعد ستة أو ثمانية أسابيع تفقس لتخرج منها العاملات البالغات التي تتغذى على ما تطرحها الملكة من إفرازات ، وسرعان ما تبدأ العاملات ببناء وتشيد خلايا وأماكن جديدة .

كذلك نتمتع بذاكرة قوية جداً حيث نلتقط صوراً لكافة الأماكن التي نمر بها ونحفظها ونخزنها في ذاكرتنا ، لكي نعود ثانية إلى أعشاشنا إذا ما ابتعدنا عنها . ونعتمد في ذلك على ما



للغذاء

يخبرون

الآخرين عن مكانه .

وهناك فئات وتشكيلات

ثانوية بين الجنود والعاملات تنوزع

مهامها في أعمال البناء وجمع القوت

وتربية النسل الجديد وحراسة الأسرى ،

ومجموعات متخصصة للسلب والنهب .

العاملات المخلصات

اقتصاد مملكتنا يقع على عاتق عاملاتنا . فهي تستعمل أفواهها المسلحة بفكوك متينة لتكسير وتفتيت حبات القمح رغم صلابتها ، ومن ثم طحنها وتسليمها إلى مجموعة أخرى من العاملات لكي تقوم بعجنها ونشرها لتجف تحت الشمس على شكل أقراص رقيقة تُخزن مؤونة لموسم الشتاء .

تكيف الأجواء داخل الخلية

مئات الخلايا التي تشكل مملكتنا تمتاز بوجود معايير دقيقة جداً في تأمين الظروف المناخية الجيدة داخلها . نحن الذين لم ندرس أو نتعلم علم الأنواء الجوية والمناخ أو فيزياء التكيف ، بل لا نعلم كيف يجب أن تكون شروط تهيئة الظروف المناخية الملائمة ، نجد أنفسنا ، وبتوجيه إلهي حكيم ، قد هيأنا فعلاً أجواءً وظروفاً متوازنة عجيبة . إنّ بناء مداخل الخلايا باتجاه الشمس وضبطها اعتماداً على المجال المغناطيسي للأرض ، وعزل منافذ التهوية ، وخلق أجواء مناخية داخل الخلية بالمحافظة على الحرارة المناسبة طيلة ساعات النهار ، كل هذه الأمور ليس لنا أي علم أو دراية بها . نحن لا نملك العلم الكافي لاتخاذ القرار الخاص بفتح منافذ جديدة للتهوية ، ولا بالسيطرة على توازن الحرارة والبرودة عند توسيع مساحة الخلايا لاستيعابها أعداداً إضافية جديدة ، ولا بتحديد حجم واتجاه التوسعات المطلوبة بشكل لا يحدث خللاً في أجواء المستعمرة . . . كلا فالاستقرار والسكينة يجري تأمينهما في مملكتنا بالإلهام المستند إلى التقدير الرباني الذي لا حدود





يكونوا يشيدون

مبانيهم في

أرض لم

نكن بنينا عليها

مستعمراتنا. لقد

أدركوا أننا لا نبني

أعشاشنا على تربة غير مستقرة

وغير متماسكة. كما أدرك مؤخراً

مهندسو العمارات العالية إلى ما توصلنا إليه

نحن من وسائل رخيصة وعملية في تنظيم التهوية

والحفاظة على الحرارة. ومن جهة أخرى بدأ علماء

الحاسبات في إيجاد الحلول والتصاميم الخاصة بتأمين سلامة انتقال ونقل خزانات الوقود وإيجاد وسائل تحول دون تعرضها للحوادث، كل هذا استناداً إلى برنامج خاص سمي باسمنا، مستأنسين إلى ما تتبعها مملكتنا من وسائل خاصة في إدارة شؤونها.

إنّ ما يدعو إلى أسفنا ويحزّ في نفوسنا عدم إدراككم هذه الحقائق، أنتم الذين تُسمّون بأصحاب القرآن الحكيم رغم ما تؤكد آياته عليكم من ضرورة ووجوب قراءة كتاب الطبيعة والخلق والتفكير فيه. بينما يتوصل غيركم إلى إدراك تلك الحقائق على الرغم من أنهم لا يعرفون شيئاً من القرآن.

إن جميع أنواعنا سواء تلك التي تتغذى على البقايا الحيوانية أو النباتية تؤدي خدمة جليلة وهي خدمة التنظيف، فهي أثناء عملها تنظف وجه الأرض وتحول دون تحولها إلى مزبلة كبيرة مروعة. ولكي نستطيع تأدية هذه المهمة، زوّدنا الخالق القدوس بزوجين من الفكوك في أفواهنا؛ الفك الخارجي أكبر حجماً ويفيد في حمل الطعام وحفر الأرض، بينما الفك الداخلي الأصغر يقوم بتفتيت الطعام وتقطيعه.

عزيزي ابن آدم!

وأنا أنهى كلامي، أتمنى أن تلاحظ مستقبلاً حينما تخطو على الأرض جمال هذا المخلوق الصغير وكيف أنه آية من آيات الفن الإلهي العظيم. كما أرجو منك ألا تسحق إخواني، وأن تعاملهم كما عامل سليمان عليه السلام أجدادنا. ولك مني خالص التحية والتقدير... والسلام... ■

(*) جامعة ٩ أيلول - تركيا. الترجمة عن التركية: مأمون محمد عاكف.

وهبنا الخالق «الحافظ» من مكرمة الحفظ. نمتلك أيضاً موهبة نقل وإيصال المعلومات ومنظومات تبادل الأخبار فيما بيننا. وكما ورد في الآيتين (١٨-١٩) من سورة النمل كان نبي الله سليمان عليه السلام يفهم لغتنا. نعم إن لجميع الكائنات والموجودات لغاتها الخاصة، غير أن القرآن الكريم تحدث صراحةً عن لغة الطيور، وضمناً عن لغتنا. إن ربنا الذي أنزل القرآن لتقرأوه وتدبروه وتفقهوه وتنظموا حياتكم ومعاشكم وفقه يكشف أمامكم حقائق ومعارف كثيرة تتوصلون إلى إدراكها لو أمعنتم النظر جيداً. إن الله جل جلاله سمى سورة من سور الكتاب الحكيم بـ«سورة النمل». هذا الكتاب الذي يعتبر بمثابة فهرست الكائنات والموجودات؛ أليس في تلك التسمية حكمة بالغة؟

لماذا يا ترى سميت سورة كاملة باسمي، أنا المخلوق الصغير الذي لا يكاد يرى بالعين عندما أمشي على الأرض فأعرض للسحق تحت الأقدام أحياناً؟

لنتذكر معاني الآية الثامنة عشرة من سورة النمل ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (النمل: ١٨)

سوف نتوصل إلى إدراك بعض النتائج انطلاقاً من الآية الكريمة:

١. لنا لغتنا الخاصة بنا. ٢. تحكمنا وتديرنا سلطة موحدة تخطط وتفكر وتعمل لمصالحنا وتتبع سياسة حكيمة في إدارتنا. ٣. نتحرك تبعاً لأوامر تصدر إلينا وتتخبر فيما بيننا. ٤. نمتلك حياة اجتماعية منظمة وجماعية. ٥. عندنا المخابرون والمراسلون، ومن يؤمنون التنظيم والسيطرة.

لقد توصلتُ إلى هذه الحقائق من آية قصيرة رغم إدراكي الحدود. وأنتم كذلك بإمكانكم أن تتصوروا وتدرکوا أن الأرض تهتز وتنقل أمواج الاهتزاز تحت أرجل جيش سليمان عليه السلام وتصلنا عبرها أخبارهم لو أمعنتم فقط النظر بعين عالم طبقات الأرض «الجيولوجيا» وعلوم الأحياء. لقد كنا نحسّ وندرك أقل اهتزاز يحصل على وجه الأرض بما لدينا من وسائل وإمكانات للالتقاط والاستشعار في أرجلنا وانحاءات أجسامنا في وقت لم يكن أحد قد توصل إلى معرفة ذلك أو حتى علم بها.

لقد أدرك علماء الأرض مؤخراً ومتخصصو الزلازل ومراقبو عالم الحيوان حقيقة خروجنا نحن النمل من أعشاشنا وتركنا لمستعمراتنا قبل وقوع الزلازل.

لقد كان أجدادكم أكثر انتباهاً منكم لهذه الحقائق. فلم

صباح العيد في مسجد السلیمانیة

یحیی کمال بیاتلی *

جوهرُ آمال الخيال الذي صَوَّرَ هذا المسجد،
أن يكون أجمل معبد للدين الأخير المبين...
واختار له تلاً مباركاً في أفق استانبول مكاناً،
ليشهد الأباد منه، من كل ركنٍ وصوب...
حمل المجاهدون، ورؤسائهم لبناته على أكتافهم،
وقهر صلب أحجاره آلاف الصنّاع ومهندسهم...
وإن معمار معبد النصر هذا جنديّ مقاتل،
فتح باباً من أبواب الآخرة،
من هنا نحو صفحة السماء،
نحو زمان الوطن الحر الوطيد، بليله ونهاره،
لتدخل منه جيوش الأرواح إلى الرحمة الأزلية...

* * *

أيها المعبد العتيق: أنا لم أفهمك إلا هذا الصباح!
فخوراً أنا بك الآن، لأنني ممن ورثوك...
وكنت أظنك زماناً أثراً هندسياً عظيماً!
لكني، إذ أنظر الآن إلى هذا الحشد تحت قبلك،
أنتقل إلى إقليم الغفران للأجداد،
وكم كنت أحلم به ويتوق إليه شوقي!
هنا حشود البشر انصهرت،
في لسان، وقلب، وإيمان واحد،
تُحسُّ بوحدة وجودها في مكان واحد،
إذ يذكرون الله الجليل بلسان واحد،
فيسمع التكبير ألف موج في صوت واحد،
يرتفع إيقاع أنغامه عالياً وزاخراً،
مختلطاً بألف راية، وهادراً في أعراف المس...

* * *

فاض النور في قلبي لحظة بعد لحظة...
إذ الفجر المهيب يسطع في «السلیمانیة»،
في ساعة العيد هذه، وتحت قبة السماء الزرقاء،
ترتفع ستارة الزمان المُعبرة، أنا بعد آن،
وترتسم صور للناس جميعاً، للبلاد كلها،
من تسعة قرون غابرة،

* * *

في هذه اللوحة الزرقاء...
فمنذ انحسار ظلمة الليل...
يُسمع صوت رفيف الأجنحة في السماء،
ووقع الأقدام على الأرض
إنه قدوم، وما أعظمه من قدوم،
من عالمٍ مباركٍ وعجيب...
السماء مزدحمة بالأرواح من مداها إلى مداها...
قدوم ومواكب من الآفاق كلها،
من حملات النفير في الماضي،
من بلاد، يا لها من بلاد،
فُتحت في تلك الغزوات...
وإبان امتزج الضياء بالظلام في هذا السكون...
يمشي بلا انقطاع خليط من البشر والأرواح!
يرقون من الأرض، أو يهبطون من السماء...
يلجئون من الأبواب صفوفاً إلى مسجد الله،
ويملؤون رحاب مسجد الله،
فتغدو «السلیمانیة» تاريخاً في هذه الساعة...
قد نذر هذا المعبد لله الودود شعباً كله جند...
أشد الخلق قتالاً، وأقواهم شكيمة،

* * *

ورأيت في الصف الأول جندياً عَرَفْتُهُ من لباسه،
منصتاً إلى تكرار التكبير في وَجْدٍ...
ما أنقى الصفاء في سيماء هذا الجندي المؤمن!
من ذا؟

لعله الذي بنى هذا الصرح العُلوي؟
لعله الذي صممه؟

أم هو الجندي التركي،
القادم من سهل «ملازكرد»؟
هذا الطافحُ بالعبرة عينه،
الناظرة من العمق،

هذا الذي وجهه أجمل وجوه الشجعان في الأرض،
هذا الذي يبدو على قَسَماته رَهَقٌ من عظام الأمور...
هو قوتنا التي أقامت هذا الوطن العظيم، وحارسه...
هو وجودنا، ودمنا، ولحمنا...

هو الوارث الحي للوطن، هو صاحبه،
هو سلوى الشعب في هذا الزمان،

* * *

في أرضنا اليوم، في كل أرض بقيت لنا...

وفي كل أرض فقدناها منذ أمد بعيد!

حُمْرة كثيفة تفصل الأرض عن السماء...

كَأَنَّ حدائق الورد تلتهب في الجبال التي أمامنا!

وَتَمَّ نداء التكبير كالمدافع في السماء،

تفد من الأعماق إلى الأعماق،

فهذه مئات المدن تنادي بعضها...

أهي قرية أم بعيدة النداءات؟

أَمِنْ «أسكدار»؟ أم من «الحصار»؟ أم من «قواقلر»؟

أَمِنْ «بورصة»؟ أم «قونية»؟ أم «إزمير»؟

من بعيد إلى بعيد!

ثم تتصادى أصواتنا

من جبل إلى جبل،

الآن ترتفع الأصوات تنادي من كل بُعد،
من «بايزيد»، من «وان»،
نداءً بعد نداء، أصوات المدافع نفسها،
من كل مكان...

* * *

ما أعظمه من سَحَرٍ مباركٍ ووطيد،

مشحونٍ بالمشاعر...

ورجال ونساء وولدان،

قلوبهم طافحة في كل مكان...

كلهم يُنصتون لرياح الذكريات الجميدة هذه،

لمدافع «جالديران»، بعد مدافع «موهاج».

من أين هذه النداءات التي تملأ السماء بدوي المدافع؟

لا بد أن كل نداء يعلو من نصرٍ وظفر...

من «كوسوفا» و«نيغولي» و«وارنة» و«إستانبول»...

كل نداء يتذكر في هياب وقعة من الوقائع...

من «بلغراد» و«بودين» و«اكري» و«ايوار»...

من سلاسل الجبال الشاهقة على الحدود الأخيرة!

ومن أين تنادي أصوات المدافع في آفاق البحار؟

أهو «بربروس» يعود بأسطوله من حملة؟

أَمِنْ «الجزر»؟ أم من «تونس»؟ أم من «الجزائر»؟!

عادت مِثْلاً سفينة من الآفاق الحرة...

من حيث هَلَّ الهلال، من حيث يُحدِّقُون!

من أي سَحَرٍ جاءت هذه السفن المباركة؟

* * *

لقد انصهرت في هذا المسجد العظيم بوحدة الوطن،

فحمداً لله، إذ رأيت في هذه الساعة،

تلك الأرواح التي تعايش أبدان الأحياء،

فقلبي طالع بالأنوار صباح هذا العيد...

«من كبار شعراء وأدباء تركيا، توفي سنة ١٩٥٨ م.

الترجمة عن التركية: عوني عمر لطفي أوغلو.

القصيد ذات عروض شعرية في الأصل وليست

من الشعر الحر.

« الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ تُوقِدُونَ »

(يس: ٨٠)

دور الشجر الأخضر في خزن طاقة الشمس

د. زغلول النجار *

البناء الحيوي التي يقوم بها النبات الأخضر والتي عرفت باسم عملية «التمثيل الضوئي» أو «عملية البناء الضوئي» .

والنباتات الخضراء قد خصها الخالق سبحانه وتعالى بصبغ اليخضور (الكلوروفيل) الملون لأوراق وأنسجة النباتات ذاتية الاغذاء باللون الأخضر؛ وأعطى هذا الصبغ وغيره من الأصباغ النباتية القدرة على اصطياد وتخزين جزء من طاقة الشمس التي تصل إلى الأرض ، وهي طاقة كهرومغناطيسية تتركب من موجات ذات أطوال متعددة تتحرك من أشعة جاما ، إلى الأشعة السينية ، إلى الأشعة فوق البنفسجية ، إلى الأطياف المرئية (أو أطيف النور الأبيض) ، إلى الأشعة تحت الحمراء ، إلى الموجات الراديوية بمختلف أطوالها .

وهناك ثمانية أنواع من هذه الأصباغ الخضراء التي تشبه في تركيبها الكيميائي جزيء الهيموجلوبين (الذي يعطي لدم الإنسان ولدماء كثير من الحيوانات لونها الأحمر القاني) تماما ، فيما عدا استبدال ذرة الحديد المركزية في جزيء «الهيموجلوبين» بذرة مغنيسيوم في جزيء اليخضور؛ ويشير ذلك إلى وحدة البناء كما يشير إلى وحدة الباني سبحانه وتعالى .

وتوجد الأصباغ الخضراء مادة الكلوروفيل في داخل جسيمات دقيقة للغاية تعرف باسم البلاستيدات ، ويوجد منها ثلاثة أنواع مميزة هي الخضراء والملونة بألوان أخرى والبيضاء .

الآيات السبع من خواتيم سورة يس تستدل على قدرة الله تعالى في الخلق بتلك القدرة المذهلة التي وضعها في الشجر الأخضر ومكنه من استخدام طاقة الشمس في تثبيت ذرات الكربون الموجودة في غاز ثاني أكسيد الكربون المكون للغلاف الغازي للأرض على هيئة مركبات عضوية تكون أهم مصادر الوقود على الأرض ، حتى يمكن لكل من الإنسان والحيوان الاستفادة بها . واستخدمت الآيات هذا المثل في الاستدلال أيضا على أن الله تعالى الذي خلق هذا الكون قادر على إفنائه وعلى إعادة خلقه من جديد (أي بعثه) . وفي ذلك تقول الآيات في ختام سورة يس: «أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » (يس: ٧٧-٨٣) .

حقيقة علمية مبهرة

وهذه الآيات المباركات تشير إلى حقيقة علمية مبهرة ، وواحدة من أهم العمليات الحيوية الأساسية ، ألا وهي عملية

ويبدأ تكون كل منها من أجزاء أبسط وأدق كثيرا في الحجم تعرف باسم «البلاستيدات الأولية».

و«البلاستيدات» هي جسيمات متناهية الضآلة في الحجم توجد في داخل الخلايا العمادية الطولية العمودية على جدار الأوراق النباتية، ولها حرية التحرك داخل الخلية لزيادة قدرتها على اصطلياد أشعة الشمس من أية زاوية تسقط بها على ورقة الشجر. والبلاستيدات جُسيمات بويضية الشكل عادة، يحاط كل منها بغشاءين رقيقين، الخارجي منهما أملس، والداخلي متعرج على هيئة ثنيات داخلية تفصلها صفائح رقيقة جداً؛ وتحتوي الثنيات على الأصباغ الخضراء، بينما تفتقر إليها الصفائح الفاصلة بينها، وتحتوي البلاستيدات بالإضافة إلى الأصباغ النباتية على العديد من الأحماض الأمينية، والمركبات البروتينية الأخرى كالدّهون المفسفرة وغيرها.

ويقوم الصبغ الأخضر (اليخضور) في هذه «البلاستيدات» بالتقاط الطاقة القادمة من الشمس واستخدامها في تأيين الماء إلى «الأوكسيجين» الذي ينطلق عبر ثغور ورقة النبات إلى الغلاف الغازي للأرض، و«الايدروجين» الذي يتفاعل مع غاز ثاني أكسيد الكربون الذي يأخذه النبات من الجو لتكوين السكريات والنشويات وغيرهما من الكربوهيدرات؛ وغاز ثاني أكسيد الكربون الموجود في الغلاف الغازي للأرض لا تكاد نسبته تتعدى ٣٠٪.

عملية التركيب الضوئي

وتتم عملية البناء الضوئي التي تقوم بها النباتات الخضراء على مرحلتين؛ الأولى منهما تحدث في الضوء، والثانية تحدث في الظلام. والمرحلة الضوئية يتم فيها تأيين الماء إلى مكوناته من الأوكسيجين، ونوى ذرات الايدروجين، وأعداد من الإليكترونات، وينطلق غاز الأوكسيجين فيها إلى الجو. وتستخدم كل من نوى ذرات الايدروجين والإليكترونات الطليقة في المرحلة الثانية التي تتم في الظلام والتي من نتائجها تحويل غاز ثاني أكسيد الكربون إلى السكريات والنشويات وغير ذلك من المواد الكربوهيدراتية. وعلى العكس من ذلك فإذا أحرق السكر أو أية مواد كربوهيدراتية في وجود الأوكسيجين فإنه يتحول إلى ثاني أكسيد الكربون والماء، وتنطلق الطاقة، وكأن عملية التمثيل الضوئي هي عملية تكوين السكر بخلط ستة جزيئات من الماء مع ستة جزيئات من ثاني أكسيد الكربون في

وجود الطاقة الشمسية ومادة اليخضور، فينتج عن ذلك جزيء واحد من السكر وستة جزيئات من الأوكسيجين.

وكما يأخذ النبات من طاقة الشمس بالقدر اللازم لنموه، فيحوّل تلك الطاقة الضوئية الحرارية إلى عدد من الروابط الكيميائية بتفاعلها مع كل من الماء وثاني أكسيد الكربون فيكون مختلف المواد الكربوهيدراتية (أي المكونة من الكربون والايدروجين) التي يستخدمها النبات في بناء مختلف خلاياه وأنسجته، ويخزن الفائض عن حاجته على هيئة النشويات البسيطة والمركبة، والسكريات المتنوعة؛ فإن النبات يأخذ كذلك العديد من عناصر الأرض والماء الصاعدين مع العصارة الغذائية التي يمتصها النبات من التربة بواسطة جذوره، وتنتقل هذه العصارة الغذائية إلى كل من الساق والفروع والأوراق عبر أوعية خاصة تعرف باسم الأوعية الخشبية التي تمتد في كل ورقة من أوراق النبات على هيئة عرق وسطي له تفرعاته العديدة التي تنقل تلك العصارة الغذائية إلى كل خلايا الورقة الخضراء، حيث يعاد تشكيلها على هيئة العديد من المركبات العضوية التي يحتاجها النبات؛ وتعود المركبات المصنعة في الأوراق الخضراء عبر أوعية خاصة تعرف باسم أوعية اللحاء لتقوم بتوزيعها على جميع خلايا وأنسجة النبات حسب احتياج كل واحد منها.

ومن المركبات العضوية التي تنتجها النباتات الخضراء البروتينات من مثل الزيوت والدهون النباتية، والأحماض الأمينية، والإنزيمات، والهرمونات، والفيتامينات التي تسهم في بناء مختلف الخلايا والأنسجة المتخصصة من مثل الألياف والأخشاب والزهور والثمار والبذور، والإفرازات النباتية المتعددة كالمواد الصمغية والراتنجية وغيرها.

وباستمرار عملية التمثيل الضوئي تركز بلايين البلايين من ذرات الكربون المكونة لثاني أكسيد الكربون الجوي في داخل خلايا النباتات الخضراء خاصة الأوراق. وبذلك فإننا نجد أن

وزن المادة الحية النباتية في تزايد مستمر. ولما كان كل من الإنسان وأعداد من الأنواع في مملكة الحيوان يتغذي على المواد



الأرض ، وكل من النبات والحيوان يعطي الإنسان الغذاء والطاقة ويأخذ منه فضلاته .

الدورة في الطبيعة ومساهمة النباتات فيها

والأرض تعطي كل صور الحياة مختلف العناصر التي تحتاجها ، والماء الذي يعين على إتمام كل العمليات الحيوية . والشمس تعطي كل هذه الصور الحياتية - من نباتية وحيوانية وبشرية - كل صور الطاقة التي تحتاجها ، والله يهب ذلك كله من فضله وكرمه وجوده ومنه وعطائه وبديع صنعه وعظيم حكمته . فمركبات اليخضور تختزن الطاقة في خلايا الشجر الأخضر ، ويقابلها في الخلايا الحيوانية جسيمات الميتوكوندريا التي تستهلك الطاقة المأخوذة من أي من النبات أو الحيوان أو منهما معا .

وعند جفاف الشجر الأخضر وغيره من النباتات الخضراء فإنها تتحول إلى أغلب مصادر الطاقة الطبيعية تقريبا ماعدا الطاقة النووية ، وطاقة الرياح ، وطاقة المد والجزر ، والحرارة الأرضية ، والطاقة الشمسية المباشرة . والطاقة في الشجر الأخضر أصلها من طاقة الشمس . فعند جفاف النباتات الخضراء تتحول بقاياها إلى الحطب أو القش ، أو التبن ، أو الخشب ، أو الفحم النباتي إذا أحرق ذلك بواسطة الإنسان في معزل عن الهواء .

وإذا دفنت البقايا النباتية في البحيرات الداخلية أو في دالات الأنهار أو في الشواطئ الضحلة للبحار دفنا طبيعيا فإنها تتفحم بمعزل عن الهواء متحولة إلى الفحم الحجري . وإذا زاد الضغط والحرارة على الفحم الحجري في باطن قشرة الأرض فإنه يتحول إلى غاز الفحم الطبيعي .

وعندما تتغذى الحيوانات

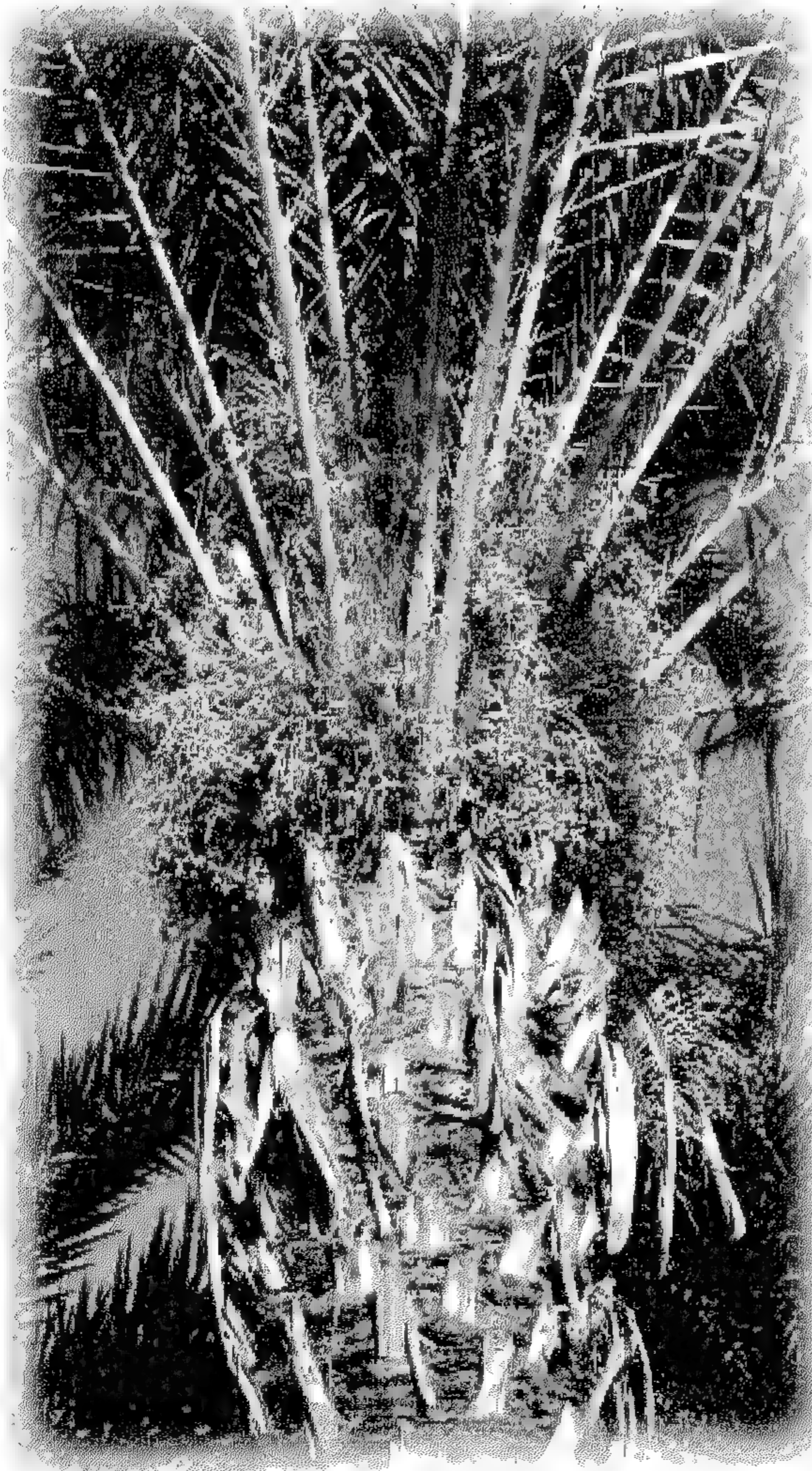
النباتية ومنتجاتها ، ويستخدم تلك الطاقة الكيميائية المخزنة فيها في تكوين مركبات كيميائية أخرى تختزن أجزاء من تلك الطاقة ، وتحول أجزاء منها إلى طاقة حرارية وحركية وكهربائية ؛ ولما كان كل من الإنسان وبعض أنواع الحيوان يأكل كلا من النبات والحيوان ، فإن جزءاً من طاقة الشمس ينتقل إلى هؤلاء الآكلين ، وبذلك يزداد كم المادة الحية بتكرار تلك العمليات الحياتية والتي يلعب النبات الأخضر فيها دوراً أساسياً ، ويصل معدل الإنتاج السنوي من المواد العضوية النباتية إلى أكثر من أربعة آلاف تريليون طن .

وتقوم النباتات الخضراء بثبيت أربع مائة مليار طن من الكربون المستخلص من غاز ثاني أكسيد الكربون الجوي في أجساد النباتات سنوياً في المتوسط . وقد لعبت هذه العملية دوراً مهماً في تكوين بلايين الأطنان من الفحم الحجري عبر تاريخ الأرض الطويل خاصة في صخور العصر الفحمي (الكربوني) .

والمنتجات النباتية هي مصدر الطاقة الحيوية في أجساد بني الإنسان وفي أجساد الحيوانات من آكلات الأعشاب . ومن فضلات كل من النبات والحيوان والإنسان تتكون جميع أنواع المحروقات ، وذلك بعد تجفيفها أو دفنها وتحللها بمعزل عن الهواء .

فالمادة العضوية في كل من النبات والحيوان والإنسان تتكون أصلاً من عناصر الأرض الأساسية ، والماء والأكسجين ، والنيتروجين ، وثاني أكسيد الكربون .

والنبات الأخضر بعملية التمثيل الضوئي يعطي الأكسجين لكل من الإنسان والحيوان بيته في جو الأرض ، ويأخذ منهما ثاني أكسيد الكربون الذي يبثانه إلى جو



أصلا من الغلاف الغازي للأرض بواسطة النباتات الخضراء.



مما سبق يتضح المضمون العلمي للآية الكريمة التي فهمها أهل البادية على عهد رسول الله ﷺ بالخشب أو الحطب، أو بكل من المرخ والعفار؛ ونفهمها اليوم في إطار كل صور الطاقة ذات الأصل العضوي من النفط والغاز المصاحب له، إلى الفحم الحجري والغازات المصاحبة له، إلى الفحم النباتي، والخشب والحطب والقش والتبن وغير ذلك من الفضلات النباتية والحيوانية التي يلعب الدور الرئيسي في تكوينها الشجر الأخضر وما وهبه الله تعالى من قدرة فائقة على احتباس جزء من طاقة الشمس يعينه على تأمين الماء، ثم اقتناص ذرات الكربون من غاز ثاني

أكسيد الكربون الموجود بنسب ضئيلة جدًا في الغلاف الغازي للأرض لا تتعدى ٣٠٪، وذلك بواسطة أيون الإيدروجين الناتج عن تحلل الماء، وإطلاق الأوكسجين إلى الغلاف الغازي للأرض، وكأن حركة الطاقة على الأرض، أو بالأحرى حركة الحياة تتلخص في تبادل ذرة الكربون بين النبات والحيوان والإنسان؛ يأخذها النبات من الغلاف الغازي للأرض بعملية التمثيل الضوئي ويهبها لكل من الإنسان والحيوان والأرض، ثم يطلقها كل من الإنسان والحيوان إلى الغلاف الغازي للأرض بعملية التنفس. وبين العمليتين يختزن لنا ربنا عز وجل كمًّا هائلًا من مختلف مصادر الطاقة تختزن فيه ذرات الكربون التي أخذها الشجر الأخضر من الجو وأعطاها للأرض إما مباشرة أو عن طريق راقات هائلة من الفحم أو مخزونا ضخما من النفط والغاز حتى يحرقه الإنسان فيرده مرة أخرى إلى الغلاف الغازي للأرض.

فسبحان القائل: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ (يس: ٨٠)، والقائل: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَنَّكُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ * نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَمَاتًا لِلْمُقْوِينَ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (الواقعة: ١٧ -

(٤٧).

(*) أستاذ علم الأرض - مصر.

البحرية، خاصة الدقيقة منها، على النباتات الدقيقة أو على فتات النباتات الكبيرة ومنتجاتها الدقيقة فإن طاقة الشمس المختزنة في تلك النباتات وفتاتها تتحول في أجساد الحيوانات إلى مواد بروتينية من الزيوت والدهون الحيوانية التي تتحلل بمعزل عن الهواء إلى النفط والغاز الطبيعي المصاحب له. وكلما زادت الحرارة والضغط على النفط المخزون في قلب قشرة الأرض تحول بالكامل إلى الغاز الطبيعي. وكل هذه المواد من مصادر الوقود الذي يحرق طلبا للطاقة الحرارية الكامنة فيه، فيتحد أوكسجين الجو مع الكربون المتجمع في تلك المصادر من مصادر الوقود محولا إياه إلى غاز ثاني أكسيد الكربون الذي ينطلق عائدا مرة أخرى إلى الغلاف الغازي للأرض.

وبذلك فإن الطاقة التي استمدتها الشجر الأخضر من أشعة الشمس الواصلة إلى كوكب الأرض، فانتزع بها ذرة الكربون من جزيئات ثاني أكسيد الكربون الموجود في الغلاف الغازي للأرض، هي نفس الطاقة التي تنطلق على هيئة اللهب الحار الناتج عن احتراق أي من مصادر الطاقة تلك في أوكسجين الغلاف الغازي للأرض (من مثل الخشب، أو الحطب، أو القش أو التبن أو الفحم النباتي أو الحجري أو الغاز الفحمي أو النفط أو الغاز الطبيعي، أو غاز الميثان الناتج عن تحلل الفضلات بصفة عامة) وبذلك تتحد ذرات الكربون المختزنة في تلك المصادر المتعددة للطاقة بذرات الأوكسجين الموجودة في الغلاف الغازي للأرض لتعود إليه على هيئة جزيئات ثاني أكسيد الكربون مرة أخرى وتنطلق الطاقة.

وعلى ذلك فإن عمليات الاحتراق على سطح الأرض هي عمليات أكسدة لذرات الكربون المختزنة في المواد العضوية لمختلف أشكال الوقود لتعود مرة أخرى على هيئة ثاني أكسيد الكربون الجوي كما كانت في أول الأمر؛ وهي تشبه عملية التنفس في كل من الإنسان والحيوان، حيث يستفاد بالأوكسجين الموجود في الغلاف الغازي للأرض في أكسدة ذرات الكربون الموجودة في المواد الغذائية لتتحول إلى ثاني أكسيد الكربون الذي انتزع

الأبعاد الروحية للصحة الإسلامية المعاصرة



د. هدى درويش *

١. البعد التصوفي

التصوف هو العلم القائم على النهج القرآني والاستئان بالسنة المحمدية، وهو أشرف العلوم وأرقاها، وهو التاج الذي تتزين به رؤوس رجاله أهل التقى السالكين إلى الله بقلوب مطمئنة ونفوس راضية مرضية وأفئدة سامية مدركة للحقيقة الإلهية.

وأهل التصوف هم المجتمع على الله همهم الذين ليس في بواطنهم لعباد الله إلا الشفقة والرحمة، الذين لا يطلبون لأنفسهم إلا ما كتب الله لها، الذين نقوا أخلاقهم حتى ذهبت عن الباطل إلى الحق، الذين يحثون الخلق على طاعة الله ويذكرون نعمه ويشكرونه كثيراً؛ هم الهينون، اللينون، المتسامحون، العافون عند المقدرة، أعزة الأنفس، المتذللون الخاضعون لله، المتعبدون، المتبتلون، أصحاب الهمم والعزيمة والإصرار والمشاعر الرقيقة والعواطف الشفيقة، المحقون الحق الرافضون للباطل، المؤتسسون بالله.

ويشهد التاريخ أن رجال التصوف هم الذين حملوا مشاعل التبليغ والإرشاد والدعوة إلى الإسلام باللين والمعاملة الحسنة

والموعظة الخالصة، هم الذين صدقوا وأخلصوا فاستطاعوا بهمهم العالية تبليغ الإسلام إلى بقاع الأرض؛ وشاهد على ذلك منطقة آسيا الوسطى والتي كان يطلق عليها بلاد «ما وراء النهر» التي دخلها الإسلام بفضل رجال التصوف الذين دخلوا إليها واختلطوا بأهلها ونشروا الإسلام بالمعاملة اللينة والأسلوب المقتنع، وكان أهل هذه البلاد من أشد المتعصبين للديانات السابقة.

كذلك تاريخ المغول الذين دخلت قبائلهم الإسلام الواحدة تلو الأخرى بفضل هداية رجال التصوف لأمرائهم حتى وصلوا إلى الصين، وواصلوا جهادهم في نشر الإسلام في العصر الحديث عندما وقعت المنطقة في قبضة الروس، فاستطاعوا حماية المنطقة من الخطر الشيوعي. وتشهد الكتابات الروسية على الدور الرئيسي الذي قام به المتصوفة في المنطقة.

ولن تكفي السطور والكتابات في حصر الأدوار التي قام بها رجال التصوف في أداء مهام رسالة الإسلام من مؤسسي الطرق ومريديها مثل الطريقة النقشبندية والقادرية والشاذلية واليسوية وغيرها الذين كانت تكاياهم رمزا للنشاط والحركة تفتح أبوابها

لايؤاء المجاهدين وإطعامهم ولقيامهم بحماية البلاد من المخاطر الخارجية ، إلى جانب دورهم في إصلاح البلاد والقضاء على أي ثورات داخلية . وكان مصدرهم جميعاً واحداً هو: العمل بكلام الله تعالى والسير على النهج النبوي الشريف ، فأقاموا الدين وحفظوه من كل باغ وعاد .

والتصوف من حيث سلوكه هو التأدب بالخلق الإلهي ، وهو التعامل السامي مع الإنسانية بمفهومها الواسع الشامل الذي لا يحده دين ولا زمان ولا مكان ، وهو التوجه بقلب سليم إلى طاعة الله ، وهو التسامح ونبد العداء والكراهية ، وهو الحب بأوسع معانيه لبني الإنسانية . والتصوف حركة دائبة لا تعرف الخمول أو الكسل ، وهو العمل والنشاط والتفاعل والاندماج في الكيان الإنساني وهو البذل والعطاء والإيثار .

هذا السلوك الصوفي وهذا الفكر وهذا التوجه الذي نجد معانيه واضحة في رجاله هو ما نطلبه في وقتنا الراهن للبرهان على عظمة الإسلام وعالميته أمام الكافة .

٢ . الهوية الدينية ومواجهة التحديات

إن الحفاظ على الهوية الدينية للأمة الإسلامية ومسايرة التحولات العالمية يتطلب من أبنائها العمل الجاد المتواصل لمواجهة التحديات التي يعانيها المسلمون في العالم ودرء الاتهامات التي تصوب نحو الإسلام . هذه التحديات لها وجهان أساسيان يتمثلان في العالم الخارجي الغربي وآخر داخلي ، ويتمثل في بعض المسلمين الذين فهموا الإسلام فهماً خاطئاً فأساءوا إليه دون أن يشعروا نتيجة لاختلاف طبائعهم ودرجة تدينهم؛ فمنهم المتشدد والمتعصب ومنهم الوسط المعتدل ، ومنهم اللين المتسامح المعطاء . فيتطلب من هؤلاء المسلمين التوحد على قلب رجل واحد ضد كل المفاهيم المغلوطة عن الإسلام .

فما يعانيه المسلمون من الغرب هو عدم فهمهم الصحيح للمبادئ والقيم التي يركز عليها الإسلام . فالتشدد والعنف والقتل والتعصب والكراهية والحقد وغيرها التي يلحقها الغرب بالإسلام من خلال كلمة واحدة وهي الإرهاب صفات يمجتها الإسلام ولا يقبلها . فالإرهاب لا دين له ولا وطن ولا علاقة له بالإسلام .

كذلك تأويل كتاب الغرب لآيات القرآن الكريم بشكل يرضي أهدافهم ، فيفسرون قول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ

وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال: ٦٠) أنها تتضمن معاني استخدام الحرب والإرهاب بينما هي تعني الدعوة للاستعداد والتأهب الدائم لمنع أي اعتداء أو اغتصاب على الأرض ، فتتعم البلاد جميعاً بالحصانة والحماية والأمان ضد العدوان . ولكل بلد حقها في الدفاع عن أرضها وممتلكاتها وسلامها وأمانها في وطنها .

الإعلام الغربي وتشويه الإسلام

ويتخذ الغرب من وسائل الاتصال والإعلام المختلفة وسيلة هامة لترويج الأفكار المغلوطة عن الإسلام على كافة المستويات سواء الفكرية - التي يغزو بها عقول الشباب عن طريق نشر مفاهيم سياسية ودينية واقتصادية وأفكار غريبة تتبع أهدافهم في تشويه صورة الإسلام وبلبله العقول غير الواعية لمبادئ الإسلام ومفاهيمه - أو الأخلاقية في محاولة لشغلهم بمواد تخرجهم عن دائرة الأخلاقيات الإسلامية ، فتأخذ عقولهم وقلوبهم في مسائل لا يرضى عنها الله ورسوله بدعوى التمدن والتحضر .

كما يسخر الغرب كل وسائله في تشويه التاريخ الإسلامي منذ عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين ، واستغلال الاختلافات الشكلية بين الفرق الإسلامية في خدمة أغراضهم ، بالإضافة إلى تدخلاتهم في حرية المرأة المسلمة واتهامها بالسلبية والتأخر .

تلك العقبات والتحديات يجب على العالم الإسلامي التيقظ لها فيقف قلباً وقالبا في وحدة واحدة ، بهدف واحد ، يؤدي دوراً حيواً في إيقاظ الوعي الصحيح بالإسلام .

مقترحات من أجل الفهم الصحيح للإسلام

ومن أهم الوسائل لتوصيل المفاهيم الصحيحة للإسلام هي:

- توحيد كلمة العالم الإسلامي بمساعدة أجهزة كل دولة إسلامية في العمل على الرد على الادعاءات المضادة للإسلام عن طريق الأجهزة الإعلامية بأساليب حديثة متطورة تظهر الأخلاقيات الإسلامية السمحة والفضائل والقيم التي يدعو إليها الإسلام .

■ التشجيع على تأسيس وحدة اقتصادية للعالم الإسلامي لمواكبة التكتلات الاقتصادية العالمية .

■ بث قنوات وإذاعات ومواقع إلكترونية تشرح أسس الإسلام ، وتوضح صحة المفاهيم المغلوطة لأمم العالم ، وتظهر عظمة الإسلام في اعترافه بالأديان ومعاملته السمحة مع مختلف الديانات .

عن ترويع عمر بن الخطاب له .

كذلك كانت معاملة الرسول ﷺ للنصارى ، ويظهر ذلك من خلال رسالة الرسول الكريم إلى النصارى والتي أشهد عليها صحابته وكتبت في اليوم الثالث من المحرم في السنة الثانية من الهجرة وهذه الرسالة ورد فيها:

«متى كان راهب أو سائح مجتمعاً في جبل أو واد أو مغارة أو معمر أو سهل أو كنيسة أو معبد فنحن من ورائهم وهم في ذمتنا . فلا يسلب أحد سياحهم ، ولا يهدم بيتاً من بيوت كنائسهم ، ولا يتلفه ، ولا يدخل شيئاً منه إلى بيوت المسلمين . . . وإني أحفظ ذمتهم في البر والبحر والمشرق والمغرب والشمال والجنوب أينما كانوا . وهم في ذمتي وميثاق أمانتي من جميع ما يكرهون» . كما ورد عنه ﷺ في هذه الرسالة قوله: «لا يكلفهم أحد بسفر ، أو يلزمهم بحرب أو نقل سلاح ، إنما المسلمون يحاربون عنهم ولا يجادلونهم إلا على أحسن وجه ، فيعيشوا مرحومين ، ويمنع عنهم ما يكدرهم أو يضيق عليهم أينما كانوا ، وتحترم كنائسهم فلا يمنعون من تعميرها أو ترميمها ، ولا أحد من الأمة يخالف هذا العهد إلى يوم القيامة» .

تلك هي معاملة رسول الله ﷺ لليهود والنصارى ، ولنا في رسولنا أسوة حسنة .

الدولة العثمانية وروح التسامح

ومن مظاهر السماحة الإسلامية التي سارت على النهج القرآني والسنة النبوية الشريفة معاملة الدولة العثمانية لأهل

■ إقامة المؤتمرات والندوات التي يشترك فيها الدعاة المثقفون القادرون على التحدث بلغة الآخر بطلاقة والتمكّن من الرد على الاستفسارات المتعلقة بالقضايا التي يختلط فهمها على الغير .

■ العمل على نشر الكتب والأبحاث المبسطة والمترجمة التي تنشر الوعي الصحيح بالإسلام ، وتظهر روح الإسلام وجوهره ودعوته إلى السلام ، وتشرح بأسلوب واضح الفضائل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية التي يحث عليها الإسلام .

■ إبراز دور المرأة المسلمة العملي والإيجابي في مختلف مجالات العمل والحياة مع احتفاظها بأخلاقيتها وسلوكها القويم وعدم تبرجها ، وتلك السلوكيات للمرأة تنادى بها كافة الأديان .

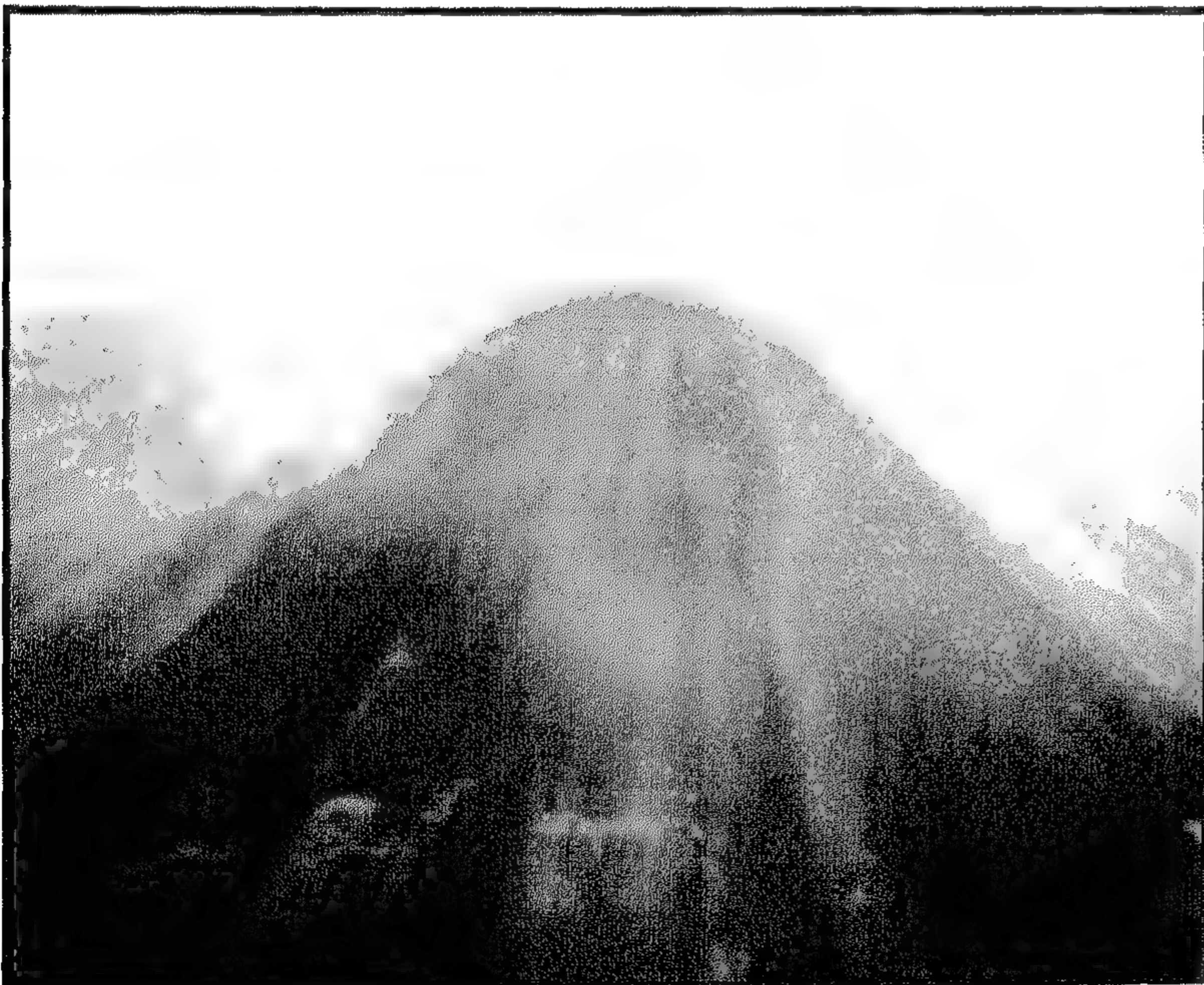
■ أهمية بروز دعاة على مستوى عال من الهمة والمسئولية في حمل الأمانة في تبليغ الدعوة بالمنطق الواعي والحجج والبراهين القوية الثابتة ، يسايرون روح العصر ، وعلى مستوى عال من الثقافة الدينية المتفهمة لكافة الأديان يتحدثون بلغتهم بأسلوب هادئ وواضح لا يدخل فيه التعصب أو التحيز .

دعاة غير تقليديين

والواجب على هؤلاء الدعاة أن يكونوا دعاة غير تقليديين يحملون للعالم الفكر الإسلامي في ثوب عصري ، يتعامل مع الآخر بثقافة عالية ، ويقدم الأدلة والبراهين بروح عصرية جديدة ، فيصبحوا سفراء للإسلام يؤثرون بكلمتهم ومنطقهم الراجح وعقليتهم الناضجة .

ومهمة هؤلاء الدعاة هو إبراز جوهر الإسلام العالمي الذي يؤمن بالرسالات السماوية جميعاً . وذلك بإبراز مبدأ التسامح الإسلامي مع الأديان والبرهنة عليه ببعض الأحداث الإسلامية ، ومنها معاملة رسول الله ﷺ لليهود؛ ومثال ذلك نجده في مسألة اليهودي الذي كان يضع الأقدار أمام بيت رسول الله ﷺ كل يوم ، وعندما لم يجد الرسول الأقدار أمام بيته كالمعتاد سأل عنه فعلم أنه مريض ، فعاده الرسول ليطمئن عليه .

كذلك قصة اليهودي الذي أساء إلى رسول الله ﷺ لأخذ دين عليه فقام عمر بن الخطاب بمنعه عن رسول الله بشدة ، فعاتبه الرسول وأمر أن يدفع لليهودي أكثر مما له من دين تعويضاً



الديانات . تلك الدولة التي وصلت بالإسلام إلى مشارف فيينا في أوروبا ، كيف كانت معاملتها مع أهل الكتاب من نصارى وكاثوليك وأرثوذكس ويهود وغيرهم بسماحة وعدل لم يسبق مثيلها لأي دولة أخرى القيام به بشهادة الغرب والكتاب والمؤرخين الغربيين .

ومثال على ذلك السلطان محمد الفاتح الذي أدهش العالم الغربي بمعاملته واحترامه لأهل الديانات غير المسلمة بالعدل والرحمة والإكرام . إنها السماحة التي ضربت الأمثلة في كيفية معاملة الإسلام للأديان الأخرى .

■ تشجيع مراكز البحوث في العالم الإسلامي على نشر الكتابات التي تشرح أخلاقيات الإسلام مع عامة البشر ، وسرد معاملة الرسول الكريم مع أهل الملل الأخرى ، وصفاته الحميدة في معاشرته لأهله وأصحابه والناس جميعاً ، وعظيم تسامحه في معاملة الآخر .

■ قيام المفسرين والعلماء المسلمين والهيئات العلمية الإسلامية بإفراد مؤلفات خاصة تشرح الآيات القرآنية والسنة النبوية والأحداث الإسلامية التي حاول الغرب تشويه مفهومها وتلك التي تتحدث عن القيم الإنسانية النبيلة في الإسلام .

■ العمل على إشاعة الحب بين البشر ، فرسالة الإسلام هي الحب والسلام .

■ نشر التاريخ الإسلامي الصحيح وحياة الرسول ﷺ وأقواله وأفعاله وأحواله وسير الصحابة الأجلاء والتابعين والسلف الصالح وسير علماء الإسلام الذين لهم إسهاماتهم في الدعوة الصحيحة .

■ الاقتداء بأفعال وأحوال ونعاملات أهل الطرق الصحيحة الواعية الذين يهبون حياتهم للعلم والعمل ؛ وهم على اختلاف مسمياتهم مصدرهم واحد وثابت ، فالكل من رسول الله ﷺ ملتزم ، وطريقهم القرآن يسرون مع الله وبالله والله .

تلك هي بعض الوسائل التي يمكن اتخاذها من أجل توضيح مبادئ وأخلاقيات الإسلام الشامل العالمي .

رسالة الإسلام العالمية

وعلى الرغم من محاولات الكثير من الدعاة والرجال الذين حملوا على عاتقهم هموم العالم الإسلامي ، إلا أنه لا يزال التقصير سائداً في عدم تبليغ الإسلام بمفهومه السليم إلى العالم أجمع ؛ ولا يزال كثير من الشعوب لم يصل إليها مفهوم الإسلام

الصحيح على الرغم من أخذ العهد على كافة المسلمين من رسول الله ﷺ بتبليغ رسالة الإسلام ، قال تعالى في سورة التوبة: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ (التوبة: ٦) .

إن تبليغ رسالة الإسلام العالمية لمهمة عظيمة تقع على عاتق حاملي رايات النهضة والتنوير التي يغفل عنها الكثير . وقد قام كثيرون منهم على مدار التاريخ في إظهار عزة الإسلام مثل «الإمام شامل» الذي استطاع أن يضرب لنا مثال القائد الصوفي الذي قهر الروس وقت احتلالهم للشيشان ، والإمام المجاهد «نصر الله الطرازي التركستاني» الذي استطاع بكتاباته وقلمه إظهار الدعوة الإسلامية الحقة .

والعالم الإسلامي الآن في حاجة ماسة إلى الدعاة المجددين لنشر الفكر الإسلامي الصحيح وتعميمه . ولا ننسى في هذا المضمار الأعمال الجليلة التي قدمها رجال الدعوة الإسلامية المجددون أمثال الإمام «سعيد النورسي» والإمام «سليمان حلمي» ، ودعوة الإمام المجدد «فتح الله كولن» التي تعد نموذجاً للدعوة الإسلامية التجديدية المعاصرة .

والإسلام في حاجة لإبراز دور المتصوفة على مدار التاريخ وإزاحة كل ما يشوب التصوف من بدع أو انحراف أو اتهام بالخنوع أو الخضوع أو التراخي ؛ فالتصوف الصحيح هو سلوك أخلاقي حركي فعال وصحيح إلى طريق الله ؛ وعبر التاريخ أثبت التصوف الدور الإيجابي في الحفاظ على الهوية الإسلامية .■

(*) جامعة الزقازيق ، معهد الدراسات الآسيوية - مصر .

المصادر:

■ السيد محمود أبو الفيض ، نهضة الإسلام ، مطبعة حجازي ، القاهرة/ ١٩٤٩ م .

■ هدى درويش ، بحث دور جامعة المستقبل في توجيه خطاب ديني موحد ، المؤتمر السنوي العاشر لمركز تطوير التعليم الجامعي ، جامعة عين شمس ، ٢٧-٢٨ ديسمبر ٢٠٠٣ م .

■ هدى درويش ، دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز ، عين للدراسات والبحوث ، القاهرة/ ٢٠٠٤ م .

■ هدى درويش ، الحجاب بين الأديان والعلمانية ، عين للدراسات والبحوث ، القاهرة/ ٢٠٠٥ م .

■ مجلة لواء الإسلام ، مؤسسها السيد محمود أبو الفيض المنوفي ، العدد الأول ، مصر ، ٣ يوليو ١٩٢٤ ، ص ١٦ ، ١٧ .

المنقذ المرتقب

نجيب فاضل *

سيرفع هذا المنقذ ذراعيه صارخا: «لا... لا» في وجه الجمود والتأخر، وفي وجه التقليد الغربي الذي بدأ منذ عهد «التنظيمات» ووصل إلى ذروته في عهد «الجمهورية». سيقول: «لا... لا» في وجه إنكار واحتقار مقوماتنا وشخصيتنا، وتسليم هذه الشخصية إلى الغرب بتقليد سطحي يتناول مظاهر الأشياء.

سيرف هذا المنقذ العالم الغربي بكل جوانبه وبكل أزماته أفضل من أي مفكر غربي، ويعرف العالم الشرقي بكل نقاط ضعفه وكل قواه الخفية، ويعرف السر الموزون والمحسوب بين هذين العالمين ويرفعه في يده كشعلة وهاجة.

سيقدم هذا المنقذ إلى هذه الأمة المقياس الذي تستطيع بواسطته تمييز الأبطال الزائفين الذين ظهرُوا في عهود الجمود والتأخر والانحطاط عن الأبطال الحقيقيين، ويكشف بذلك خداع ونفاق الذين قدموا الزائف في صورة الحقيقي.

سيبحث هذا المنقذ وسيدافع عن حقوق الإيمان والأخلاق والتاريخ، وعن حقوق مؤسسات الأمة، وسيرسي قواعد البيت والعائلة، وعلاقات وحقوق الرجل والمرأة والطفل، والمدرسة والمزرعة والمصنع، والدولة وكرسي العدالة والجيش على قواعدها الأصلية الحقيقية.

سيُظهر هذا المنقذ في أجلى صورة ما فقدته الذين انقلبوا المفاهيم عندهم في «التقدمية»، وما خفي عنهم في «الرجعية». سيرتفع هذا المنقذ بالروح، وسيجمل ويزين المادة تحت إمرة الروح.

سيعلن بكل قوة أن ما يبحث عنه هو في الإسلام، ولن يأخذ عن الغرب غير العلوم والمعارف المجردة، وغير حق العقل في فحص المادة وتدقيقها؛ وبذلك يقدم أحسن أنموذج يشق إلى القرن العشرين. وبكلمة واحدة فإن هذا المنقذ سيكون الممثل الحقيقي للإسلام بكل ما فيه من أصالة وصفاء اليوم وغدا.

وبنسبة مأساة وسفالة انحطاطنا ستكون نسبة ارتفاعنا وصعودنا على يد هذا المنقذ البطل.

حسب السنن الإلهية وقوانينها...

لا بد أن يأتي هذا البطل...

بما أن هذه الأمة ستبقى...

إذن فهو آت لا محالة. ■

(*) من كبار شعراء ومفكري تركيا. لُقّب بـ«سلطان الشعراء» توفي سنة ١٩٨٣م. الترجمة عن التركية: أورهان محمد علي.

لا أدري أين هو الآن... في صلب أي رجل... في رحم أي امرأة... على كرسي أي دائرة... في صف أي مدرسة ابتدائية أو متوسطة أو عالية... على رأس أي فوج، أي سرية، أي فصيل... في أي زاوية هادئة من زوايا أي مسجد... في أي ركن هادئ من أي مكتبة... أين هو... أين؟ لا أدري.

أياتي عن طريق الانتخاب... أيا يظهر وهو يقود الجماهير... أم يصل بواسطة منظمة جديدة؟... أيقفز من المظلة أم ينزل من صحن طائر؟... كيف يأتي؟... كيف؟ لا أدري.

أ يكون سلاحه القلم أم السيف؟... إبرة التطعيم أم قنينة الدواء؟... ما هو سلاحه؟... ما هو؟ لا أدري...

ولكن الذي أومن به كبديهيّة رياضية هو أن هذه الأمة ذات التاريخ العريق منذ آلاف السنين والتي وجدت أعلى شرفها وعزتها في الإسلام تنتظر وتبحث عن البطل الذي يجدد لها إيمانها وأشواقها؛ وإنها ستجد ما تبحث عنه بلا شك ودون ريب.

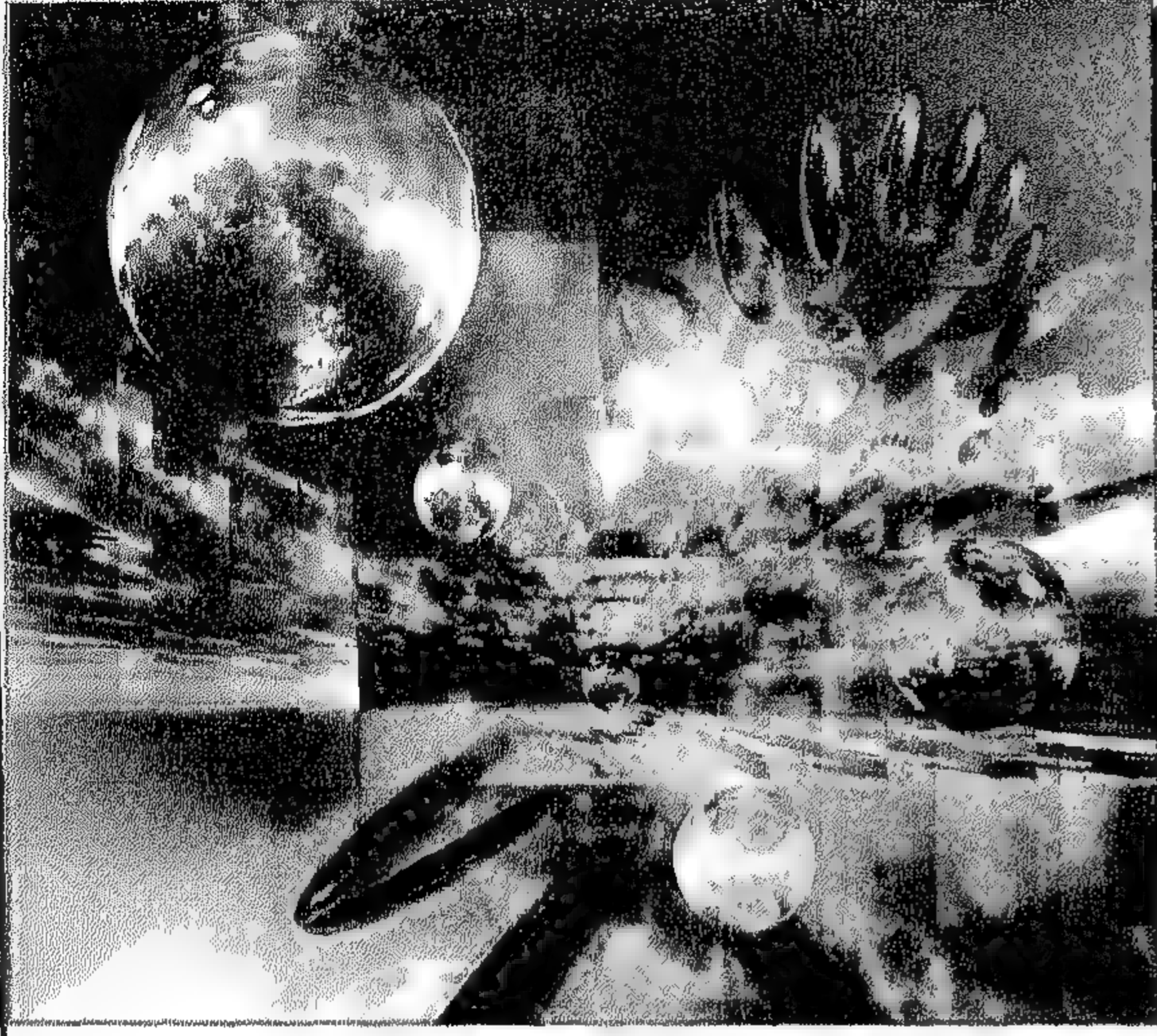
أجل! إن الشيء الذي أعلمه هو أن هذا الوطن بجماده ونباته وحيوانه وإنسانه... هذا الوطن بأجمعه ينتظر منقذه مثلما تنتظر السنبلة الملوحة بالشمس قطرات الماء... مثلما ينتظر المريض الدواء... مثلما ينتظر البريء العدالة... مثلما ينتظر العاشق الموله معشوقته... هكذا تنتظر هذه الأمة منقذها.

إن هذا انتظار من نوع آخر، بحيث حتى إن لم يكن هناك من يأتي، ولو لم يكن هناك من يتوقع مجيئه فإن هذا الانتظار من القوة بحيث يعطي له وجودا... يولده وينشئه ويربيه ويصقله.

أجل! نحن ننتظر هذا البطل... هذا البطل الذي ستشكله في رحم أمه شدة رغبتنا ولهفة انتظارنا له.

وبخلاف تيار السطحية والتعصب وجفاف القلب والروح، وجفاف الشوق والوجد سيدافع هذا البطل عن معاني وعن روح المقاييس المقدسة بجميع جبهاتها ومفاهيمها الظاهرة منها والباطنة.

رجل العلم الحقّ هو الذي يجمع بين أصدق ما نزل من السماء وأصدق ما على الأرض، فيورثه ذلك تمام الإطمئنان. أما النفوس الخرومة التي ترى بعين واحدة، فسرعان ما تُغير طريقها وتبدّل وجهتها وتقضي عمرها في إطلاق الحشرات والأنين لأنها تبقى حبيسة أوهام النظرة الواحدة.



الكون في قلب ذرة:

الهولوجرام

د. زينب جوناي أونالان *

الرئيسية وراء ذلك هي ضوء الليزر. هيا نرى كيف نحصل على هولوغرام لزهرة؛ لكي نحقق ذلك يجب فصل شعاع الليزر إلى شعاعين عن طريق فاصل للأشعة، ثم يسقط أحد الشعاعين مباشرة على فيلم حساس للضوء، بينما ينعكس الشعاع الآخر من الزهرة ثم يسقط على نفس الفيلم، وعندما يتداخل هذان الشعاعان سوف يشكلان نمطا متداخلا على الفيلم وهو ما يسمى بـ«الهولوجرام». وهذا النمط -الذي يشبه التموّجات التي تشكلها قطرات المطر على بركة من الماء- من الممكن رؤيته فور تضيئ الفيلم، وتظهر صورة ثلاثية الأبعاد للزهرة بمجرد أن يُضاء الهولوجرام بضوء ليزر آخر، وذلك لأن الرسالة الكلية لجميع الجوانب البصرية للزهرة ملفوفة على سطح الفيلم ثنائي الأبعاد، وما يحدث في الحقيقة هو إظهار معلومات الزهرة كما هي مخزنة في النمط المتداخل.

إن السمة العجيبة هي أننا إذا قمنا بقطع الهولوجرام نصفين ثم قمنا بإضاءة إحدى القطعتين بالليزر، فإننا سنظل قادرين على إخراج الصورة الكاملة. وحتى إذا ظللنا نقوم بتقطيع الفيلم إلى قطع أصغر وأصغر فإن كل قطعة أخرى سوف تظل تمتلك جميع المعلومات الخاصة بالزهرة. وبالإضافة إلى هذا يمكننا أن نرى الجوانب المختلفة من الزهرة عندما ننظر إلى صورتها من زوايا مختلفة، حيث يعطينا هذا وهما مقنعا لرؤية شيء ثلاثي الأبعاد.

ما هو الكون؟ كان البحث عن إجابة هذا السؤال الأساسي بمثابة نقطة ابتداء للفلسفة والعلوم، غير أن المؤمنين يلجأون للدين بحثا عن إجابة نهائية. وقد نظر معظم المفكرين المسلمين إلى أسماء الله الحسنى باعتبارها الأشياء الأولية التي ينبغي إدراكها، والتي نستطيع من خلالها اكتساب معرفة الكون. وعلاوة على ذلك هناك أعداد متزايدة من الناس يشيرون إلى الكون باعتبار أنه هولوغرام يقدم لنا صورة حقيقة أعلى. وأول سؤال يتبادر إلى الأذهان هو: هل يمكن لتجليات أسماء الله -كما توضحه النصوص الصوفية- أن تكون مؤيدا لفكرة الكون الهولوجرافي؟ غير أن هذا المقال لا يهدف إلى الإجابة على هذا السؤال، بل يهدف إلى توضيح أن النموذج الهولوجرافي للكون قد يغذي تخيلاتنا بالشكل الذي يساعدها على تصور تجلي أسماء الله في كل شيء. ولهذا الغرض فسوف نركز أولا على الخصائص الرئيسية للهولوجرام، كما سنكشف ماذا نعني بكون هولوجرافي، ثم سنستخدم هذه الاستعارات في فهم الكون في علاقته بأسماء الله الحسنى.

ما هو الهولوجرام؟

الهولوجرافيا هي أسلوب تصوير يشبه الفوتوغرافيا كثيرا، إلا أن صورة الشيء تكون ثلاثية الأبعاد في الهولوجرافيا، والأداة

الكون الهولوجرافي

إن فكرة أن الكون يمكن أن يكون هولوجراما جاءت من حقيقة أنه ليست أمواج الضوء فقط تستطيع أن تعرض سلوك التداخل، ولكن أمواج المادة أيضا تستطيع هذا. وقد ظهر مستوى أعمق من تفسير الكون الهولوجرافي من خلال النماذج النظرية التي تحاول أن تشرح الفعل المتناسق للقوى الأساسية الأربعة في الطبيعة. وهذه النظريات تقترح أحد عشر بُعدا من الزمكان (المكان-الزمان)، والذي يظهر عمليا رباعي الأبعاد على المستوى البشري؛ وهذا يمكن، بطريقة ما، أن يشير إلى أن معلومات الحقيقة في أحد عشر بُعدا يتم إسقاطها على أسس الزمكان الذي نعيش فيه. ومع هذا فإنه بمساعدة «المبدأ الهولوجرافي» الذي قال به (جيرارد هوفت) تظهر الطبيعة الهولوجرافية لكل النظم الفيزيائية؛ حيث إن هذا المبدأ يشرح كيف يمكن وصف نظام فيزيائي ثلاثي الأبعاد بواسطة نظرية مبنية على منطقة ذات سطح ثنائي الأبعاد. وبهذا فإن فكرة «الكون الهولوجرافي» خرجت إلى النور بمجرد أن تم تطبيق هذا المبدأ على الكون، وهو أكبر نظام فيزيائي نعرفه.

ومع النموذج الهولوجرافي للكون يأتي إدراك أن كل نقطة في الكون تحتوي على الكون بأكمله في ذاتها، وكل حبة رمل ترتبط بكل كوكب في الكون، تماما كما تتضمن الجزيئات الأصغر من الذرة شبكة من الترابطات تصبح بها متشابكة مع الخلية البشرية. و«ديفيد بوم» هو أحد علماء القرن العشرين المعروفين بإدراك هذه الكلية في الطبيعة. وقد جاء تفسير «بوم» للكون كهولوجرام في شرحه لتجربة عام ١٩٨٢ قام بها «ألان أسبيكت» وفريقه، والتي كشفت مدى سرعة تواصل الجزيئات الأصغر من الذرة مع بعضها البعض. وفي الحقيقة أنه قد اكتُشف أن هذا الاتصال سريع للغاية، وأنه أسرع حتى من سرعة الضوء، كما لو كانت الجزيئات «تعرف مصائر بعضها». وقد أشار بوم إلى أن الجزيئات ليست في حاجة إلى أية إشارة من أجل التواصل مع بعضها، هذا ببساطة لأن الانفصال بينها هو مجرد وهم. والانفصال الظاهر هو تصور من مستوى أعلى للحقيقة، وهو ما يسميه النظام المتضمن، حيث كل شيء مرتبط، وتتصرف الجزيئة كما لو كانت تعرف مصير الجزيئة الأخرى؛ وذلك لأن لديها المعلومات الخاصة بالجزيئة الأخرى داخلها.

وثمة عالم آخر رأى أن الهولوجرافيا فعالة ومؤثرة وهو «كارل

بريبرام» المتخصص في علم وظائف الأعصاب. وقد كان بريبرام يحاول التوصل إلى المواقع المحددة في المخ التي تقوم بتخزين ذاكرتنا، وقد كشفت تجاربه أنه لا توجد مركزية في هذا الأمر. ويزعم بريبرام أن النموذج الذي يشكله تداخل الإشارات الكهربائية من كل خلية عصبية في المخ هو، في الحقيقة، المكان الذي يتم فيه «تخزين» الذاكرة.

تجليات الأسماء الإلهية والهولوجرام

وصف العديد من المفكرين المسلمين، من الغزالي إلى ابن عربي، الله -عز وجل- بأنه «النور»، كما عبروا عن كل الكيانات في الكون باعتبارها تجليات لهذا النور. ويؤكد القرآن هذا المدخل في آيات عديدة من أشهرها قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (النور: ٣٥). ومع هذا وبما أن الله - سبحانه وتعالى - ليس له مثل ولا شبيه بين مخلوقاته، فإن هذا النوع من الوصف لا ينبغي أن يُعتبر تشبيها بالنور الذي نعرفه، ولكن ينبغي فهمه باعتباره استعارة. ورمزية النور تُستخدم بشكل أساسي لشرح العلاقة بين الله -تعالى- وبين المخلوقات، ولكن ينبغي على المرء ألا أن يكون لديه علم عن الأسماء الحسنى لكي يفهم هذه العلاقة.

إن الآيات في القرآن بوجه عام تنتهي بذكر لبعض الأسماء الحسنى: المحيي، المميت، الغفور، المقيت، العليم، الخالق، وغيرها. ونحن ندعو الله عز وجل باسم الخالق -مثلا- بعد أن شهدنا آثار هذا الاسم في الخلق؛ كما أننا نشهد رحمته سبحانه بالخلق، ولهذا فنحن ندعوه «الرحيم». وكل شيء من الكائنات الطبيعية إلى العلوم يبرهن على أسماء الله تعالى بطريقة أو بأخرى؛ فكل أنواع السمع ناشئة من كونه «السميع» سبحانه وتعالى؛ واسمه «العدل» يُظهر في الطريقة التي وضعت فيها الكواكب في مداراتها؛ بينما يمكننا أن نرى اسمه «المقيت» في الطريقة التي بقيت فيها سبحانه كل حيوان وكائن؛ ويعكس الطب اسمه «الشافى»، بينما تعكس الهندسة اسمه «المقدر».

وفي شرحه لتجليات أسماء الله تعالى أعطى بديع الزمان سعيد النورسي مثالا بالشمس وضوئها في كلمته السادسة عشرة، حيث شبه النور القادم من الشمس - والله المثل الأعلى - بنور الله تعالى وصفاتها بصفات الله عز وجل. فمثلا يمكننا أن نمثل حرارة الضوء الأبيض بقوة الله تعالى، وأن نمثل سطوعه بعلم الله، عز وجل. وعندما تنعكس الشمس، على مرآة مثلا، فإن

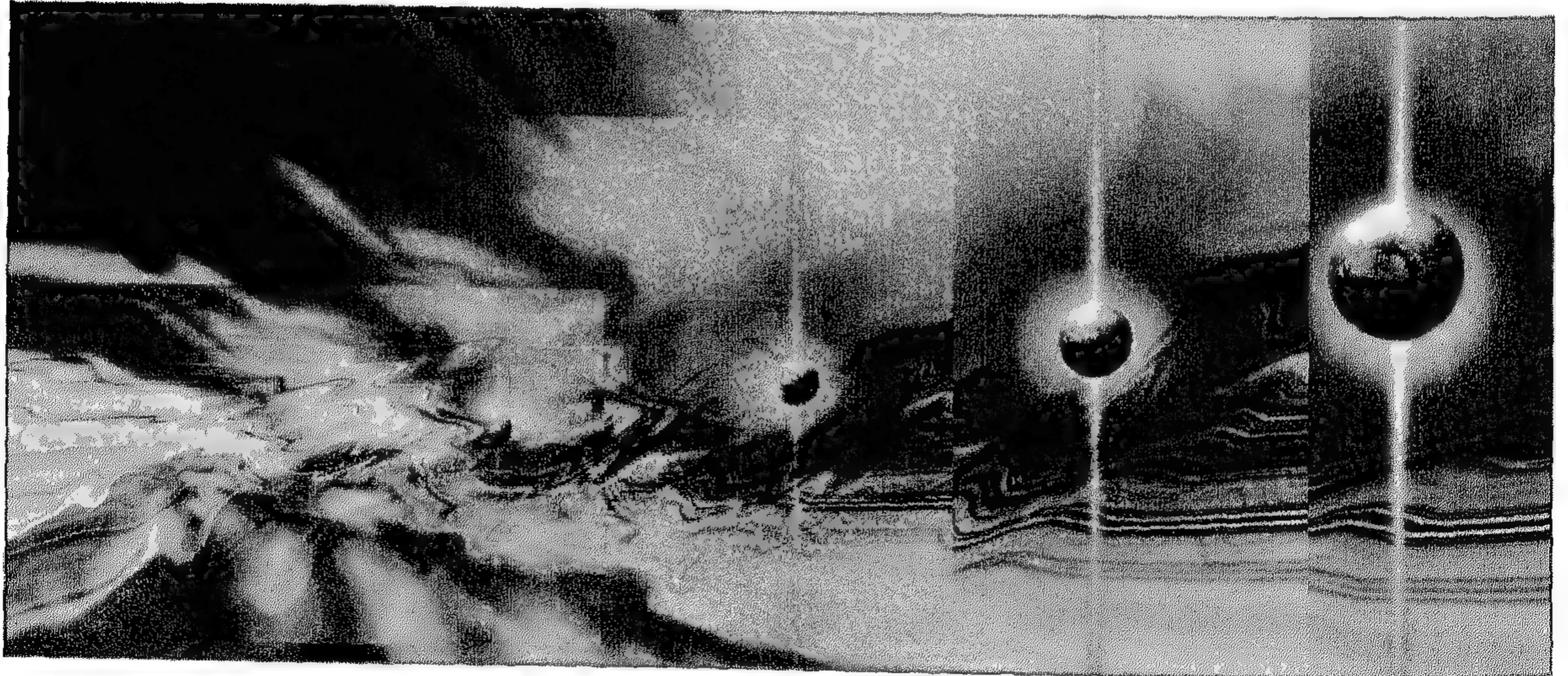
حرارتها وسطوعها موجودان أيضا بالإضافة إلى صورتها. وبالمثل -ولله المثل الأعلى- فإن الله عز وجل يتجلى في كل الكائنات بكل صفاته سبحانه، ومع هذا فإن هناك درجات لهذا التجلي، وهو ما يعتمد على قدرات الكائن ومنزلته. ويمكننا أن نستخدم القياس على الضوء لنرى كيف يمكن أن تعطي المنازل المختلفة ظهورا مختلفا؛ فالمرآة المسطحة لديها القدرة على إنتاج صورة الكائن بحجمه وشكله الطبيعي، بينما يمكن أن تتسبب المرايا في أماكن التسلية والمرح في إحداث تشوهات تعتمد على درجة الانحناء. وفي التصوف يتم تقديم حقيقة أن الأسماء الحسنى متعددة وأنها تتجلى بدرجات مختلفة باعتبارها السبب وراء التنوع في الكون وفي البشر. وبهذا فإن البشر، الذين خلّقوا ولديهم أكثر القدرات تعقيدا، يحتلون المرتبة العليا في هذا التدرج؛ بينما يُعتبر القلب، وهو القدرة الأكثر دقة في الإنسان، هو مركز هذا التجلي.

وباتخاذ القياس على الضوء مرة أخرى، وباستخدام الاستعارة الخاصة بالهولوجرام، يمكننا بشكل أفضل أن نتصور العلاقة بين الله والكون وفكرة تدرج تجلياته سبحانه. وفي هذا القياس الذي نقدمه -ولله المثل الأعلى- يمثل ضوء الليزر صفات الله تعالى، ويمثل (فيلم) الهولوجرام الزمكان رباعي الأبعاد، في حين أن نموذج التداخل يقابل التداخل مع أسماء الله عز وجل. وبهذا فإن كل شيء في الكون يمكن أن يُنظر إليه كنموذج لتجلي أسماء الله الحسنى مغطى خلال المكان والزمان. والنتيجة التي يمكن أن نخرج بها هي أن الأسماء الحسنى في الحقيقة تمثل أثرا لهذا التداخل، مثلما هو الحال مع ضوءين متداخلين. وصفات الله تعالى - ولله المثل الأعلى - هي التي ينتج عنها كل الأشياء

الموجودة مثلما ينتج الهولوجرام عن تداخل ضوء الليزر. وهذا القياس يتسق مع النصوص الصوفية التي تقوم بالتمييز بين أسماء الله تعالى وصفاته. ويؤكد الإمام الرباني السهرندي، وهو عالم مشهور، على هذا التمييز في مكتوباته؛ فالصفات الإلهية (مثل الوجود، والقِدَم، والبقاء، ومخالفته تعالى للحوادث، وقيامه بذاته، والحياة، والعلم، والقوة، والكلام، والقدرة، والسمع، والبصر، والخلق) هي صفات لا يمكن أن تنفصل عن ذات الله عز وجل. وعندما يتجلى الله تعالى، فإن آثار الصفات العليا تظهر، ونسمي هذه الآثار «الأسماء الحسنى»، وهذا يعني، باختصار، أن الصفات هي مصدر الأسماء، كما أن الضوء هو مصدر التداخل.

وبالإضافة إلى هذا، ومع قياس الزمكان على الهولوجرام، فإذا قمنا بقطع الزمكان إلى عدد لانهائي من القطع، فإن الكون بأكمله سوف يكون حاضرا في كل موقع. ويُعبّر «محمود سبستري» بشكل تام عن هذا التواصل والوحدة في كل الخلق في قصيدته «كولشن راز» (حديقة الزهرة الصوفية) حيث يقول:

اعلم أن العالم مرآة من رأسه إلى قدميه،
ففي كل ذرة مئة شمس مستعرة،
وإذا شققت قلب حبة ماء واحدة،
سيخرج منها مئة محيط نقى المياه،
وإن فتشت في كل حبة رمل،
ربما رأيت ألف آدم في قلبها،
والبعوضة في هذا العالم مثل الفيل،
وقطرة المطر تصبح في منزلة النيل. . .



إن قلب حبة الشعير قد يساوي حصاد الحنات ،
فالعالم يسكن في قلب حبة من ذرة ،
وعلى جناح بعوضة يرقد بحر الحياة ،
وفي سواد العين تجدد سماء ممتدة . . .

إن هذه الطريقة في النظر إلى كل الأشياء ربما تقود إلى الإيمان بوحدة الوجود ، وهو ما ينتج عنه إنكار وجود العالم ؛ بسبب الاعتقاد بأن الشيء الوحيد الموجود هو الله . وثمة ملاحظة ضرورية في هذه النقطة ، وهي أن هذا ربما يبدو أشبه بمذهب الحلولية ، ولكن هناك تمييز حاسم وهو أن ما يتم إنكاره في مذهب الحلول هو الله وليس العالم . وفي الواقع أن العديد من الناس ، في محاولتهم لدمج منظور الكون الهولوجرافي بالتصوف ، يتبنون الاعتقاد الصوفي في «هه مه أوست» ، وهو اسم آخر لوحدة الوجود ، ويعني أن «الكل هو» .

ولكن الاستعارة الهولوجرافية ، كما قدمناها آنفاً ، ربما تساعد أكثر في محاولتنا لفهم توحيد الله عز وجل ، دون إنكار العالم . فالاعتقاد بأن كل الكائنات هي أثر لتداخل أسماء الله تعالى هو اعتقاد يتسق مع الإيمان بأن كل كيان هو مرآة للتجليات الإلهية . ومع ذلك فينبغي أن نلاحظ أننا فرقنا بين الأسماء الحسنى والصفات العليا ، وكل مخلوق يظل في الوجود من خلال أسماء الله تعالى ؛ فأسماء الله هي الحاضرة في كل بقعة من هذا الكون ، وهو سبحانه مصدر هذا الكون . إن الله تعالى باقٍ ، بينما الكون ينتهي وجوده بمجرد انقطاع اتصاله بالله تعالى ، ويشار إلى وجهة النظر هذه في التصوف بـ«هه مه أز أوست» ، والتي تعني «الكل منه» . وفي وجهة النظر هذه لا يجري إنكار وجود العالم ، ولكن يمكن التساؤل حول مستوى هذا الوجود . فإذا تم تعريف الوجود الحقيقي باعتباره الوجود المطلق لله تعالى فإن الكون ليس له وجود حقيقي ، ولكنه لا يزال في شكل من الوجود المؤقت والطارئ . ويشرح المفكرون الإسلاميون هذا التحدي الوجودي من خلال ضرب أمثلة بالظل ؛ فالعلاقة بين الخلق والخالق تشبه تلك العلاقة بين الظل والشكل الحقيقي ؛ وبالتالي فإن التشبيه الذي رأيناه في الظل وفي الهولوجرام هو تشبيه يمكن منه أن نبني فكرة عامة عن تجلي أسماء الله الحسنى ، علماً بأنه سبحانه ليس محدوداً بهذه الأبعاد .

الهولوجرام والكشف الروحي

وفي الحقيقة أن التشبيه الخاص بالهولوجرام يمكن أن يساعدنا على إدراك الكشف الروحي ؛ فنماذج التداخل الناشئة عن كائنات مختلفة يمكن أن يتم تسجيلها على نفس الفيلم ، من خلال إسقاط أشعة الليزر على زوايا مختلفة ومتغيرة . وفي هذه الحالة سوف تظهر صورة مختلفة ثلاثية الأبعاد ، وهذا بناء على اتجاه وتردد الشعاع الذي نرسله من خلال الفيلم . وثمة نقطتان للتأكيد وهما أن استخدام ضوء الليزر ضروري لرؤية أعلى فيما يتعلق بالأبعاد ، وأن المرء يستطيع أن يرى حقائق مختلفة .

وبطريقة مشابهة يحتاج السالك في رحلته الروحية إلى أن يكون لديه إشراف من نور الله ليكون قادراً على رؤية أبعاد أخرى . ومع نور الله تعالى يحدث الكشف الروحي وربما يرى السالك حالات مختلفة من الواقع ، وهذا ينبنى على مدى معرفته لله وقربه منه ، وأي من الأسماء الحسنى يقوم بتأمله أو ذكره ، وغير ذلك . وبهذا فإن المعلومات المعقدة التي تقول بأن كل عنصر في العالم يمكن أن يكشف عن كل كائن آخر ، تعتمد على حقيقة أن أسماء الله الحسنى تدل على بعضها البعض . ويمكننا بالإضافة إلى هذا أن نستخدم فكرة التداخل لوصف مفهوم التدرج في تجلي أسماء الله تعالى . وفي نموذج التداخل لا يكون لكل النقاط نفس السطوع ، وتعتمد درجة السطوع على موقع كل من الضوءين وطريقة تداخلهما ، حتى أنه توجد نقاط لا يمكن ملاحظة أي ضوء عليها . ومع ذلك فإن هذا لا يعني أنه لا يوجد ضوء هناك ، ولكنه ببساطة لا يمكن رؤيته لأسباب مختلفة .

ولإيقاف هذا الحبل من الأفكار ينبغي علينا أن نجد إجابة لسؤال غامض وهو: إذا جاء كل شيء في الزمكان رباعي الأبعاد إلى الوجود بمجرد إسقاط حقيقة أعلى بواسطة نور الله على فراغ الظلام ، فما هي إذن تلك الحقيقة الأعلى متعددة الأبعاد؟ إنها الحقيقة التي يمكن أن يشهد بها فقط أولئك الذين يرون ما وراء ظاهر الأشياء ، هؤلاء الذين يحررون أنفسهم من الدنيا المادية والشهوات الجسدية . إن هذا في النهاية سؤال لا يستطيع أن يجيب عليه إلا هؤلاء الذين طهروا قلوبهم ويستطيعون أن يروا ما وراء الأشياء . ■

(*) جامعة ميشيغن - الولايات المتحدة . الترجمة عن الأنكليزية: بهاء الدين إبراهيم نعمة الله .

الآثر والإنسان...!

كثيرٌ همُ الراحلون كُلَّ يومٍ،
وقليلة هي آثارهم الباقيات بعد الرحيل،
منذ أزمانٍ سحيقة،
رُسمَ على الأرض آثار خطوات،
استعصت على رياح الزمن،
فما اندرس رسمها،
وما انمَحَتْ.
التاركون على الأرض ظلالهم،
الراسمون على الأرض آثارهم،
كم من سالكٍ سلكها دون مَشَقَّة،
وكم من عابرٍ طريقٍ مرَّ فوقها بسلام.
أما المسالك الملتوية،
والآثار المعوجة،
ذات الفجاج الضيقة،
كم أضَلَّتْ من سالك،
وكم أهلكتْ من عابر...
وكم على الطريق من آثار،
عليها فأسكَبُ العَبَرَات،
وبترابها فَمَرَّغُ وجهك،
لأنها مَعْلَمٌ هداية،
وآثار سلامة...
أيها المسافر إلى بعيد،
أيها الماضي من قريب،
تُرى أيَّ نوعٍ من الآثار،
ستترك بعدك؟...



الغاية من العلم اتخاذه مرشداً وهادياً لتنوير طرق ارتقاء الفرد نحو الكمالات الإنسانية. فالعلوم التي لا تلتفت إلى الجانب الروحي للإنسان تكون عبثاً على صاحبها. وكل معرفة لا تأخذ بيد الإنسان نحو الأهداف السامية ليست إلا عبثاً على القلب والفكر لا تجدي نفعاً.

ثلاثة أجيال أمام المحكمة

أورخان محمد علي *

كانت طرابلس الغرب وبنغازي قد احتلتا من قبل إيطاليا، وكانت الدولة العثمانية في ضائقة مالية وعسكرية كبيرة، وهي تعاني من سيطرة حزب الاتحاد والترقي عليها بعد عزل السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٩٠٩. لم تكن الدولة العثمانية قادرة على مواجهة إيطاليا عندما قامت في ١٩١١م بغزو ليبيا فجأة ودون سابق إنذار. كل ما كانت تستطيعه هو إرسال بعض المجاهدين لمساعدة إخوانهم الليبيين. لم يتردد هؤلاء المجاهدون الثلاثة... الجد والابن والحفيد... تقدموا وسجلوا أنفسهم في المجموعة الفدائية التي أطلق عليها اسم «الضباط الفدائيون». وعلى الرغم من جميع الشروط والظروف القاسية، ومن قلة العدد، وقلة الأسلحة والمعدات، وقلة التمويل، وطول الطريق، فقد وصلوا سرا إلى ليبيا حيث التقوا رؤساء العشائر وأشرف البلد وبدأوا بتدريب البدو وأبناء العشائر على فن القتال. لم يكونوا يملكون أسلحة ثقيلة، لا مدافع ولا دبابات ولا رشاشات، بل مجرد بضعة مئات من البنادق القديمة. كان عدد الضباط العثمانيين وكذلك المتطوعين من أفراد العشائر الليبية قليلين، وكان مطلوبا منهم القتال ضد جيش إيطالي مجهز بالأسلحة الثقيلة وبالطائرات، ويفوقهم بعشرات بل بمئات المرات في العدد والعدة. كانوا يعتمدون في الحصول على

ألقي رئيس المحكمة الإيطالي كارو تورللي نظرة ثابتة على المتهمين الثلاثة الماثلين أمامه، شيخ وكهل وشاب في مقتبل العمر، كانوا يمثلون أجيالا ثلاثة متعاقبة. والغريب أنهم كانوا من عائلة عثمانية واحدة... كان الشيخ هو الجد والكهل ابنه والشاب حفيده.

كانوا آتين من مكان بعيد بعيد... من وراء آلاف الكيلومترات... من الأناضول إلى بنغازي في ليبيا. ما الذي دفعهم ليقطعوا كل هذه المسافة ليصلوا خفية إلى ليبيا؟ لم يكن رئيس المحكمة يجهل سبب مجيئهم... إنه داعي الجهاد الذي لا يزال المسلمون متمسكين به... داعي الجهاد هذا هو الذي دفع هذا الشيخ وابنه وحفيده وهو في ميعة الصبا إلى ترك مدينتهم وبيتهم ويقطعوا كل هذه المسافة ليصلوا إلى ليبيا من أجل مساعدة إخوانهم الليبيين والجهاد معهم ضد إيطاليا التي احتلت ليبيا.

كان الشيخ هو الميرلواء (الجنرال) المتقاعد محمد باشا... وابنه الميرالاي أحمد علاء الدين محمد... والحفيد هو الشاب محمد... فما قصة هؤلاء المجاهدين من الجد والأب والحفيد؟



الأسلحة على الهجوم المباغت الذي يشنونه على العدو ويحصلون على أسلحة الفارين والمقتولين منهم .

في إحدى الهجمات التي كبدوا فيها العدو خسائر كثيرة طُوقوا وحوصروا من قبل مدد جديد للجيش الإيطالي وأسروا . وها هم اليوم يمثلون أمام محكمة عسكرية إيطالية .

كانت أيديهم موثقة بالحبال بقوة بحيث أدمتها ، كانوا يلبسون اللباس الليبي المحلي ، وعلى رأس كل منهم طربوش عثماني . كانت التهمة ثابتة عليهم في نظر المحكمة ، فقد أسروا وهم يقتلون ورائحة وأثر البارود لا يزال على أيديهم .

بعد معاناة وألم شديد استطاع العقيد أحمد إخراج ورقة من طيات ثوبه بيديه الموثقتين :
- هذا هو الأمر الرسمي لتعييني .

أخذ الحاجب الورقة الرسمية من يد العقيد وسلمها إلى رئيس المحكمة الذي بدأ يفحصها بدقة بينما تابع العقيد كلامه :

- إن قام مترجمكم بترجمة هذه الورقة الرسمية لكم فسترون أنها أمر رسمي بتعييني قائدا للواء الثاني من الفدائيين العرب في ولاية طرابلس وهو صادر من السَّرْعَسُكْرَ العثماني (وزير الحرية العثماني) .
كان من المفروض أن يؤدي هذا التطور الجديد في سير المحكمة إلى تغيير مجراها من محكمة تحاكم لصوصا هاجموا الجيش الإيطالي إلى محكمة عسكرية تنقيد بالقوانين الدولية حول محاكمة الأسرى العسكريين . ولكن مثل التقيد بالقوانين الدولية لمحاكمات العسكريين ومراعاتها كان أمرا بعيدا عن هذه المحكمة التي كانت قد أصدرت قرارها مسبقا وقبل بدء المحاكمة . وتظاهر رئيس المحكمة بأنه لا يصدق ادعاءات المتهمين ، لذا فلم يكن يعدهم أسرى حرب ، وكان دليله أنهم لم يكونوا يلبسون البزة العسكرية عند إلقاء القبض عليهم ، بل كانوا بزيّ محلي .

ذكر رئيس المحكمة هذا الأمر للمتهمين نافيا كونهم عسكريين عثمانيين . أجاب العقيد العثماني :

- نظرا لكوني قائدا لمقاتلين لا يلبسون البزة العسكرية فإنني

ولكن الشيء الوحيد الذي كان يزعج رئيس المحكمة هو وجود صحفيين أحدهما بريطاني والآخر فرنسي حضرا لمتابعة المحكمة . سألهم رئيس المحكمة :

- من أنتم ؟

وقبل أن يقوم مترجم المحكمة بترجمة إلى المتهمين تقدم الكهل خطوة إلى الأمام وقال بلغة إيطالية سليمة :

- اسمي الميرالاي (العقيد) أحمد علاء الدين الضابط العثماني في خدمة مولاي السلطان . . . وهذا (مشيرا إلى والده) والدي الميرلواء (جنرال برتبة لواء) المتقاعد محمد باشا . . . وهذا (مشيرا إلى ابنه) ابني محمد الجندي المتطوع في الجيش العثماني .

استولى الدهول على أعضاء المحكمة وعلى الحاضرين في المحكمة وتبادل الصحفيان نظرة حائرة . جنرال متقاعد يتطوع في الجيش وتحت إمرة ابنه ويقا تل العدو كأبي جندي آخر ! ثم أي عائلة هذه التي يجتمع فيها الجد مع الابن مع الحفيد في معركة يائسة بعيدة عن وطنهم ؟!

أحس رئيس المحكمة أن الوضع أصبح أكثر حساسية فقد ظهر أن المائلين أمامه عسكريون . . . ضابطان وجندي عثماني .

قرر رئيس المحكمة إلقاء الشبهة على هذا الأمر فقال مستجوبا العقيد :

- هل لديك أوراق رسمية تثبت ما تقول ؟

فضلت أن ألبس مثلهم ولا ألبس البزة العسكرية لعقيد عثماني .

قرأ المدعي العسكري التهمة الموجهة إليهم وهي قيامهم في ٢٦ من شهر تشرين الأول من تلك السنة بمهاجمة الجيش الإيطالي وضربه من الخلف ضربة خائنة .

أنكر العقيد أحمد علاء الدين هذه التهمة:

- لم أضربكم من الخلف ، بل هجمنا عليكم ، هذا كل ما في الأمر ، علماً بأننا كنا قلة قليلة .

- لم تكونوا قلة ، بل هجتم بأعداد كبيرة .

- بل كنا قلة ، كل ما كنا نملكه كان عبارة عن ٤٠٠ بندقية .

- أين هذه البنادق الآن؟

- لا ترعجوا أنفسكم من هذه الناحية . . . ستجدون أن

٣٥٠ بندقية ستصوب إليكم في القريب . أما البنادق الباقية وهي ٥٠ بندقية فقد استشهد ١٥ مجاهداً من حاملها ، وتم القبض على ٣٥ مجاهداً مع بنادقهم وأعدموهم من قبل محكماتكم هذه .

كان رئيس المحكمة يصر على أن هؤلاء المتهمين تابعون للحكومة الإيطالية ولكنهم أعلنوا العصيان عليها ، لذا فهم مجرد شقاة عصوا دولتهم . وما دام الأمر هكذا فالحكم واضح . أما العقيد العثماني فقد أصر على موقفه قائلاً:

- لم نكن نحن تابعين لكم في يوم من الأيام . . . ولم يكن المجاهدون العرب تحت قيادتي تابعين لكم . . . نحن جميعاً مواطنون عثمانيون ، لذا لا نعترف بكم .

ظهر الانزعاج واضحاً في وجه رئيس المحكمة العسكرية ، لذا حول مجرى الأسئلة إلى أسئلة قصيرة تتطلب أجوبة سريعة وقصيرة:

- هل شاركتكم في الهجوم يوم ٢٦ من شهر تشرين الأول لهذه السنة (١٩١١م)؟

- لقد قدت أنا ذلك الهجوم .

- وهل اشترك هذان (مشيراً إلى والده وابنه) أيضاً في ذلك الهجوم؟

- أجل! إن ابني جندي ، ووالدي جنرال عثماني متقاعد تطوع في وحدتي جندياً!!

أطرق رئيس المحكمة بنظره وتظاهر بأنه يدقق بعض الأوراق . ثم استأنف أسئلته:

- وهل قاتلتم جميعاً دون بزة عسكرية؟

- أجل! وقد شرحت السبب .

- هل اشركت تحت قيادتكم أي أفراد من سكان طرابلس المحليين؟ وهل دربتهم؟

- إن ولاية طرابلس ولاية عثمانية ، وسكانها مواطنون عثمانيون ، وقد ألحقتم بوحدي ودربتهم وقدتهم .

- يكفي هذا .

انتهت المحكمة وصدر القرار فوراً . . . الإعدام رمياً بالرصاص .

قام رئيس الكتاب في المحكمة وهو من مدينة نابولي الإيطالية واسمه أنطونيو أو انكلي بقراءة قرار المحكمة الذي كان قد كتب قبل انعقاد المحكمة قائلاً في الختام: «وصدر القرار الآن وسجل في السجل ولا يوجد حق تمييز للمتهمين» .

يقول أحد الصحفيين اللذين كانا في المحكمة: لم تبتهت الابتسامة التي كانت مرسومة على شفاه المتهمين لدى سماع القرار بل هتف العقيد العثماني بصوت واثق:

- يحيا السلطان!

أما والده الجنرال العثماني المتقاعد فقد هتف: الله أكبر!

أما الحفيد الشاب فقد بقي صامتا احتراماً لوالده ولجده .

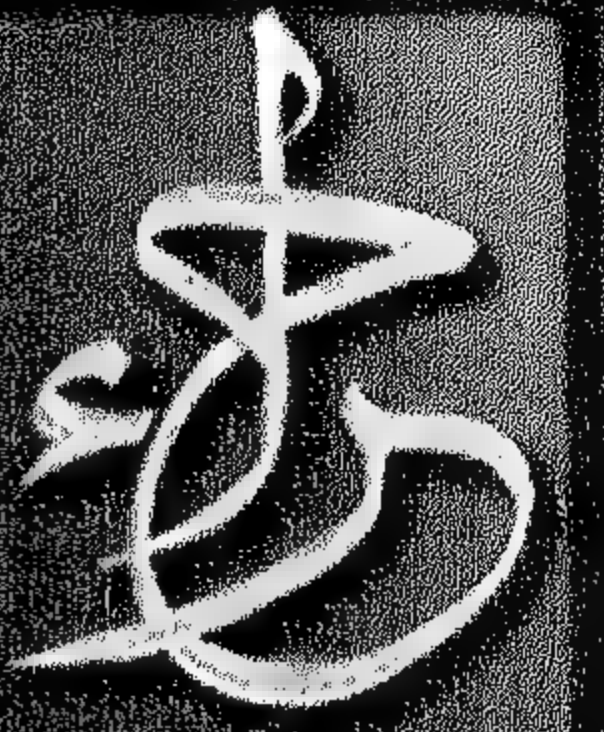
قاد الجنود المتهمين من قاعة المحكمة . . . وبعد فترة قصيرة سُمع أصوات طلقات أطلقتها ثلة من الجنود ، فقد نفذ الحكم فيهم بسرعة وبعد خروجهم من المحكمة مباشرة .

أما رئيس المحكمة فقد دمدم قائلاً:

- أحضروا المتهمين الآخرين!

قال هذا وقد حول وجهه الأحمر جانبا لكي لا يلتقي نظرات الصحفيين اللذين قاما تحية للمتهمين عندما مروا أمامهما إلى ساحة الإعدام وهما يحملان قبعتيهما في يديهما . ■

(*) كاتب وباحث تركي . قصة مستلهمة من مجلة «سزنتي» التركية عدد ٣٠٨ سنة ٢٠٠٤ .



مجله عالمية ثقافية فنية

العدد ١

الأشهر

الكتاب

عناوين المجلة

حول المجلة

هذا العدد

الصفحة الرئيسية

www.hirammagazine.com

اقرأ جميع أعدادنا...

ساهم بقلمك وإبداعك...

اكتب تعليقاتك واقتراحاتك...

تابع كل ما يستجد حول المجلة...



لمسة زرقاء





يا وردة الحريين...



يا وردة حولت الصحراء القاحلة إلى جنان
أشريقي على قلبي بألوانك الساحرة
آن الألوان، لتكفكفي عيوني الدامعة
يا وردة حولت الصحراء القاحلة إلى جنان



تقرير مؤتمر

مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي

الجمعية الإسلامية العالمية

الطبعة الأولى: ١٤٢٥ هـ





المشاركون

- أ.د. أحمد الطيب / مصر
أ.د. طارق البشري / مصر
د. مصطفى أوزجان / تركيا
د. محمد سليم العوا / مصر
د. نادية مصطفى / مصر
د. محمد عمارة / مصر
د. عالية المهدي / مصر
د. رضوان السيد / لبنان
د. محمد كمال إمام / مصر
د. أبو يعرب المرزوقي / تونس
د. سيف الدين عبد الفتاح / مصر
د. زينب الخضيري / مصر
د. إبراهيم البيومي غانم / مصر
د. أرجون جابان / تركيا
د. كمال المنوفي / مصر
أ. نوزاد صواش / تركيا
د. جيل كارول / الولايات المتحدة
د. سمير بودينار / المغرب
أ. محمد أنس أركنه / تركيا
د. محمود الكردي / مصر
د. رجب قيمانجان / تركيا
د. فتحي ملكاوي / الأردن
د. محمد صفار / مصر
د. فائزة شاكر / السعودية
د. عمار جبدل / الجزائر
د. يوهان هانفر / ألمانيا
أ. أيمن شحاتة / مصر
د. ليونيد سكيانان / روسيا
أ. عبد الله عرفان / مصر
د. صلاح عرفة / مصر
د. باكينام الشرفاوي / مصر
د. حسن أبو طالب / مصر
أ. عصام سلطان / مصر
د. عبد الحميد مذكور / مصر
د. ناهد عز الدين / مصر
د. هبة رؤوف عزت / مصر
د. هدى درويش / مصر

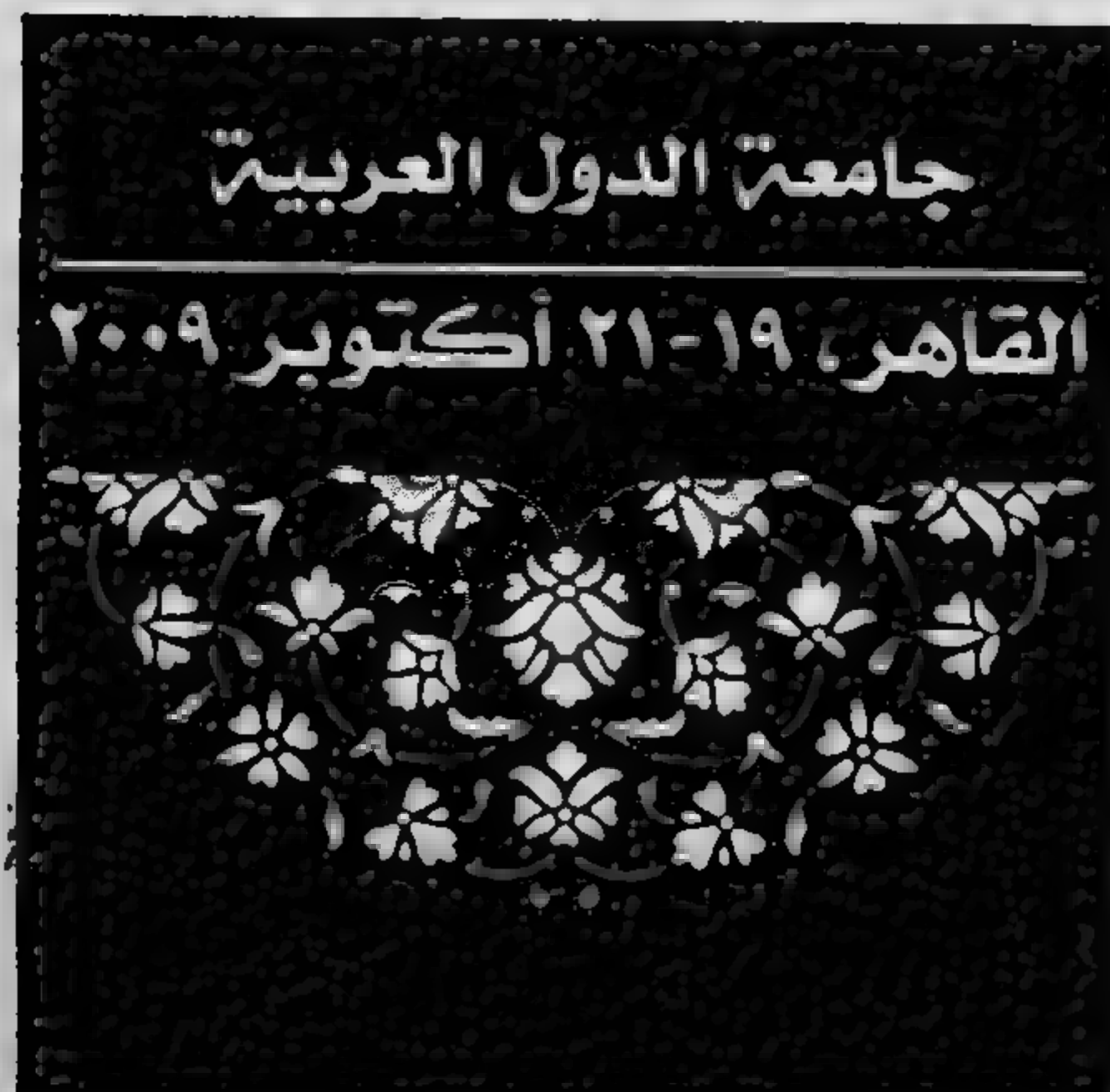


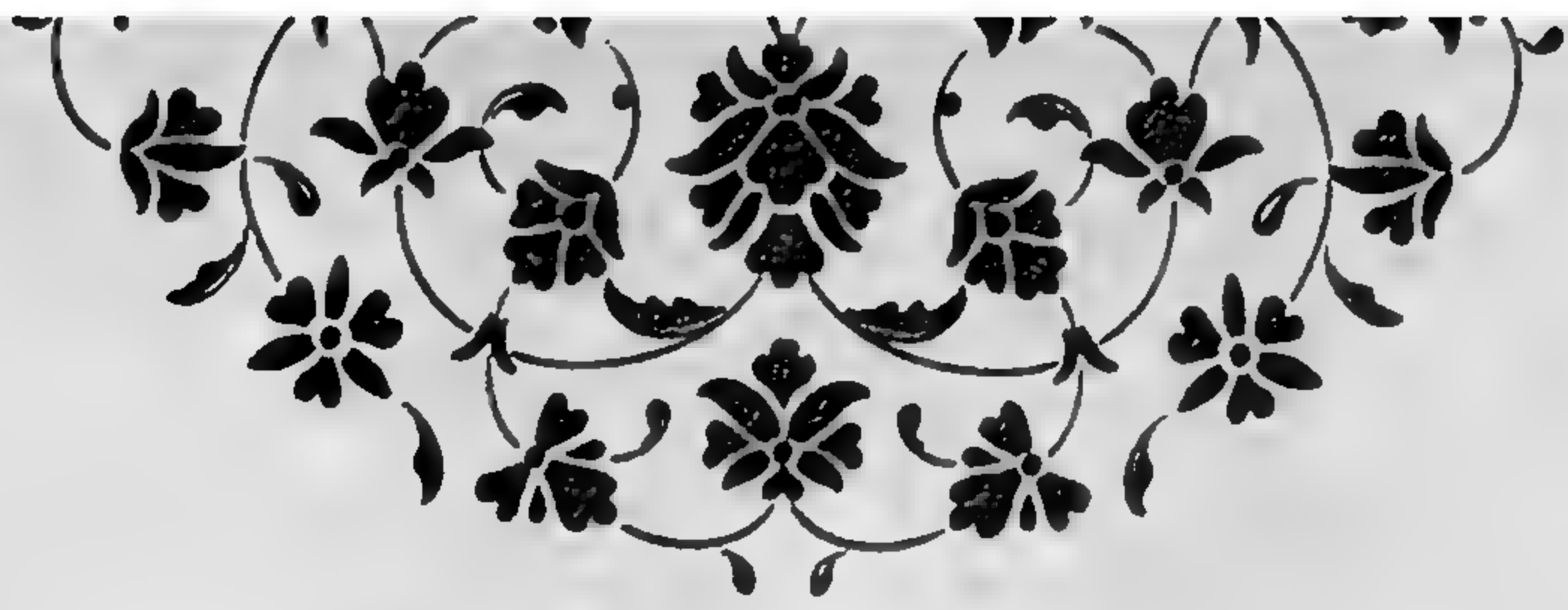
ملحق

مجلة حراء

مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي

خبرات مقارنة مع حركة
فتح الله كولن التركية





الإنسان

في قلب الإصلاح الإسلامي

أ.د. نادية مصطفى*

تابعتُ مجلة حراء منذ صدورها، تابعتها شكلاً ومضموناً، قريباً أو بعيداً عمّن كانوا وراء ميلادها ونموها. انجذبت إلى روحانية ووجدانية معانيها والمجدولة بعقلانية ورشادة إسلامية؛ مما جعل منها -في نظري- معيناً إيمانياً وروحانياً لكل عازم على المشاركة في إصلاح أمتنا. تمنيت أن أتمكن من المشاركة على صفحاتها... ولكن كيف وأنا أستاذة علوم سياسية وموضوعات حراء تبدو أنها بعيدة عن السياسة؟

ولكن كنت أعرف أنني يجب أن أشارك في هذه الصفحات؛ لأن الروحانية والوجدانية هي أساس تربوي يلزم كل عمل عام لصالح الجماعة والأمة والإنسانية. وهكذا يجب أن نفهم "السياسة". ومن ثم فالسياسة حاضرة هنا ولكن ليس بالمفهوم الحدائي الوضعي الواقعي، الذي يعكس كل أنماط الصراعات المادية منقطعة الصلة عن الله وعن الإنسان ومجتمعه؛ لذا فإن السياسة المقصودة هنا إنما هي السياسة بالمفهوم الإسلامي الحضاري، الساعية للعمران من خلال الرعاية، فهي منتج لمنهج تربوي شامل، يبدأ بالإنسان ويصبّ في عافية الأمة كلها، وتشارك فيها الأمة كلّ بما يُستَر له. إذن السياسة ليست الحكم والسلطة من أعلى فقط، كما دَرَجَ الناس على فهم

* رئيس برنامج حوار الحضارات، ومدير مركز البحوث والدراسات السياسية / مصر.



الأستاذ فتح الله كركلي



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجمهورية العربية السورية



نوعه لتقديم هذه الخبرة الفكرية والحركية من الدائرة التركية في الحضارة الإسلامية إلى الدائرة العربية منها. ولقد بذل الأستاذ الدكتور إبراهيم البيومي والأستاذ الدكتور باكينام الشرقاوي المنسقان العلميان كافة جهدهما لتحويل فكرة المؤتمر إلى واقع ملموس. فإذا كانت حِراء تقدم طاقات الإيمان والوجدان والروح اللازمة لتحريك وتفعيل العمل والحركة، فهي تعد منبراً يجسد ويعكس أهداف حركة فتح الله كولن وفي قلبها فكر هذا المفكر المصلح المعاصر الذي خرج وحركته من قلب تركيا الحديثة، مولّداً آثاراً مهمة ليس على صعيد تركيا فقط ولكن على صعيد الأمة الإسلامية والعالم. وعلى نحو فجّر الاهتمام بالتعرف على هذا الفكر وهذه الحركة.

ولقد كانت خبرة مركز الدراسات الحضارية مع حِراء، من خلال لقاءات متبادلة في القاهرة وإسطنبول

السياسة باعتبارها فقط سلطة إدارة الحكم من أعلى. وجاءتني الفرصة مع هذه الصفحات التي أقدم من خلالها خبرتي مع المؤتمر الدولي "مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي؛ خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية"، وهو المؤتمر الذي عُقد في القاهرة في مقر جامعة الدول العربية في تاريخ ١٩-٢١ أكتوبر ٢٠٠٩، بالتعاون بين مركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافات بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية-جامعة القاهرة، وبين وقف أكاديمية البحوث والإنترنت، ومجلة حِراء بإسطنبول.

وهو المؤتمر الذي شارك في جلساته عبر ثلاثة أيام ما يزيد عن ألفي مشارك من الشباب والإعلاميين وأساتذة الجامعات والناشطين المدنيين والسياسيين. وعلى هذا النحو، من حيث نمط المشاركين ومكان الانعقاد ونطاق الحضور، فإن المؤتمر كان الأول من

(٢٠٠٥/٢٠٠٩) بمثابة التمهيد للطريق الذي قادنا إلى المؤتمر، وهو الطريق الذي انجدلت عبره أواصر التعارف الجميل بنماذج أعضاء الحركة وإسهاماتها، واكتشفنا خلالها موضع "الإنسان" وطبيعته في فكر "كولن" وحركته.

الإنسان والإنسانية ومذهب الإنسانية كلمات تتردد على ألسنة كثيرة، وتحمل معاني عدة: الإنسان الذي تماهى مع الطبيعة أو المادة، الإنسان الذي تلاشى في العدمية والوجودية، الإنسان العقلاني الرشيد، الإنسان الرومانسي الحالم .. وهكذا. ولكن الإنسان الذي نصبو إلى إصلاحه -باعتباره حجر الزاوية في عملية "إصلاح إسلامي" وفق مرجعية إسلامية وسطية تعارفية حضارية- هو الإنسان الذي يملأ فكر فتح الله كولن، وتجسده نماذج حركة فتح الله كولن والتي هي "نماذج من ذاتها". إنه الإنسان الجديد الذي وصفه كولن بأنه من "الجيل الذهبي" الذي يتربى بهويته الذاتية ويتزين بمقوماته التاريخية، إنه من أطباء الروح والمعنى، إنه المخ المدبر يصل إلى جميع وحدات المجتمع ويمتد تأثيره إلى جميع خلايا جسم الأمة. إنه يمس شيئاً من الروح ومن المعنى، إنه من قادة أركان الروح ومهندسي العقل وعمال الفكر، إنه من أبطال يصونون مصير الوطن ويحمون تاريخ إنساننا ودينه وأعرافه وتقاليده ومقدساته كلها، إنه واحد من "حفنة المجانين" الذين يمكنهم إعادة تجديد الأمة...

هكذا تحدث الشيخ فتح الله كولن عن الإنسان؛ سواء على مستوى القيادة المطلوبة لإحداث الإصلاح أو على مستوى الشجرة وثمارها، هذا الإنسان هو الغاية والهدف، هو المنطلق والمبتدأ، وهو المآل والنتيجة. وما عدا ذلك هي وسائل وآليات، سبل سعي وراء هذا الإنسان، ومن منظومة إيمانية إسلامية تجد جذورها ومصادرها في الإسلام، كما عاشه واحتواه فتح الله كولن عبر مسار حياته الممتدة.

وهذه المنظومة وهذه الجذور وهذه المصادر يتشارك فتح الله كولن وحركته قسماً منها مع أفكار وحركات إصلاحية إسلامية عبر أرجاء العالم الإسلامي وعبر مراحل تاريخه. فلم تغفل هذه الأفكار وهذه الحركات، على تنوعها وتعددتها، أن الإنسان -في الرؤية الإسلامية- هو مكن الصلاح أو مناط الفشل في هذه الأمة، مستدعيًا بعد ذلك بقية العوامل والمصادر الأخرى، أي المادية منها. ولكن ماذا عن جوانب التميز في فكر وحركة الشيخ فتح الله كولن وماذا عن التمايز بينها وبين غيرها من الأفكار والحركات الإصلاحية الإسلامية المعاصرة والسابقة؟ سؤالان كان لابد من طرحهما في دائرة الفكر والحركة الإصلاحية الإسلامية في العالم العربي وهي تتفاعل وتتعارف مع فكر وحركة فتح الله كولن، ولكن بعد أن توطد تعارف الغرب وأرجاء أخرى من العالم مع الحركة وقائدها.

فلقد حظيت الحركة وفكرها اهتمام دوائر فكرية وأكاديمية وسياسية غربية، وانهقدت لها المؤتمرات وصدرت عنها الكتب والمقالات في الولايات المتحدة وأوروبا وروسيا. ولقد اعتبرت هذه اللقاءات في مجملها أن حركة فتح الله كولن من أهم الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي خلال النصف الثاني من القرن العشرين؛ ومن ثم اعتبارها من أكثر الحركات الاجتماعية والمدنية تأثيراً على العالم في القرن الواحد والعشرين، ولقد قدمت هذه الأعمال الحركة من منظور اهتمامات الغرب بوضع العالم الإسلامي في العالم وبالتأثيرات الخارجية

بدراسة الإشكاليات التي تثور أمام المهتمين بفكر وحركة رواد الإصلاح والتجديد الإسلامي بصفة عامة وفكر وحركة فتح الله كولن بصفة خاصة، سواء في إطارها التركي أو الإسلامي أو العالمي.

والأطروحة الفكرية الرئيسة التي ينطلق منها هذا المؤتمر هي: أن التنوع في نماذج الإصلاح يعتبر من أبجديات "المرجعية الإسلامية" التي يؤمن بها رواد الإصلاح والتجديد، ويسترشدون بمبادئها في اجتهداتهم، ويسعون للتجديد والنهوض بمجتمعاتهم في ضوءها. بهذا المعنى يمكن القول إن التعدد

والعالمية لحركة فتح الله كولن؛ انطلاقاً بالطبع من طبيعة الإطار الوطني التركي.

وفي المقابل كان لابد أن يكون لاقتربنا من حركة فتح الله كولن وفكره خصوصية، مقارنة باقتراب المؤتمرات العالمية الأخرى التي عقدها الغرب.

ولذا فإن مؤتمر القاهرة، وسعيًا أيضًا للإجابة على السؤالين السابق طرحهما عاليًا عن أوجه تميز الحركة في مجال الإصلاح الإسلامي، قد حدد اقتربًا وهدفًا ورسم معمارًا لموضوعه وانهقد في سياق متميز وتوصل إلى نتائج ذات دلالة.



في إطار وحدة المرجعية ليس فقط مقبولا؛ بل هو ضروري ولازم، وهو من مظاهر التعبير عن فهم الإسلام بوصفه نظامًا شاملاً. المنطلقات واحدة إلا أن تعدد جوانب الحياة والتنوع في المشكلات والقضايا وتغيرها من فترة لأخرى، ومن مكان إلى آخر؛ كل ذلك يقود إلى اختلاف الرؤى وتعدد برامج الإصلاح. هذا التنوع في الرؤى والبرامج الإصلاحية على أساس المرجعية الإسلامية؛ إنما يعبر عن أصل الأشياء، وينسجم مع حقائق الوقائع الاجتماعية والسياسية، ويعكس جوهر الفطرة الإنسانية التي تتأبى على التنبيط والقبولة وتنزع دومًا للتنوع وتتألف مع حقائق

أولاً- هدف المؤتمر وفكرته ومنطلقاته

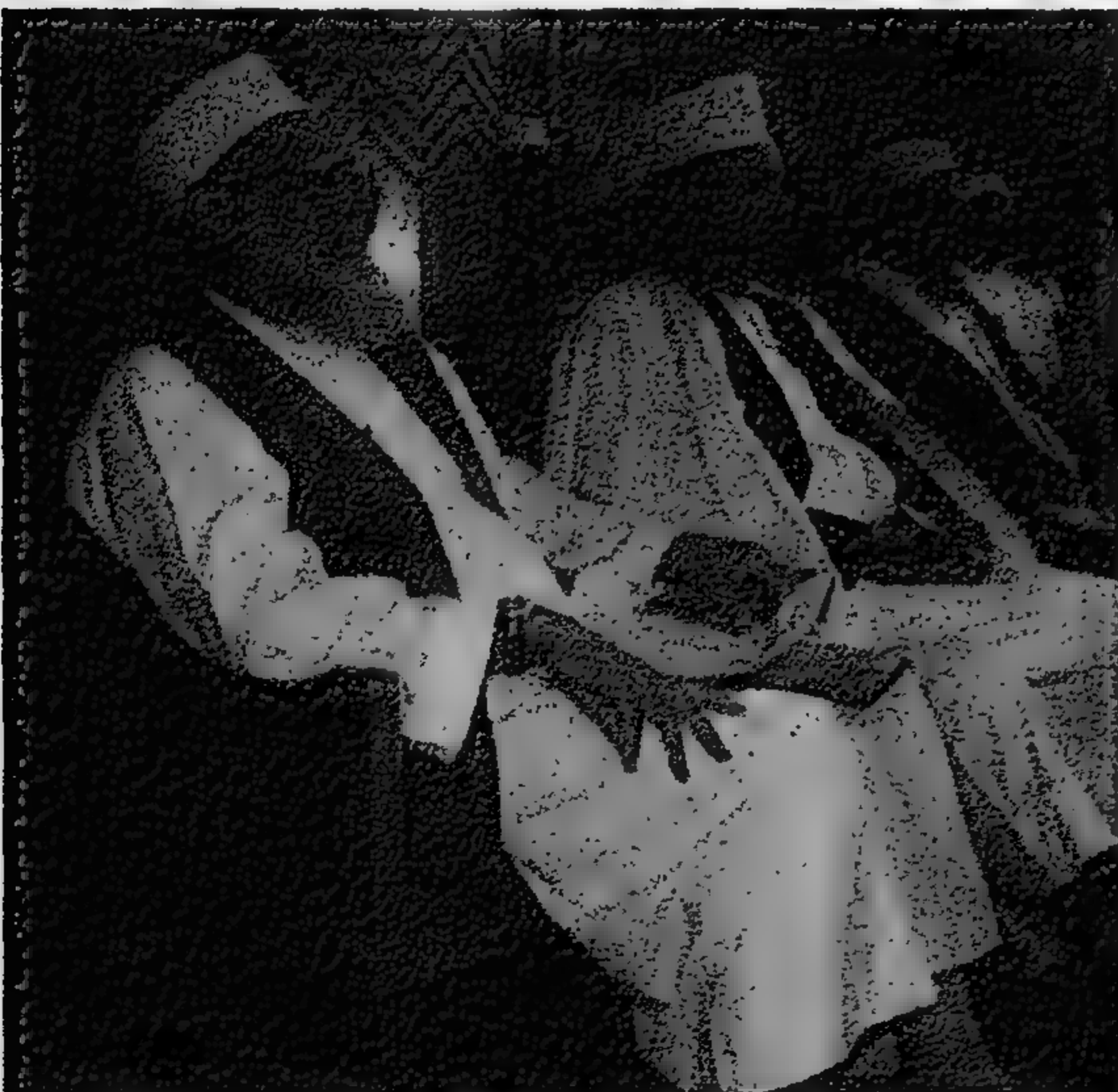
إن هدف المؤتمر يترجم خصوصية اقترابنا نحن في الدائرة العربية من خبرة تركية مثل التي نحن بصدددها. فلقد كان اقتراب الإصلاح والتجديد في المجال الحضاري العربي والإسلامي في النصف الثاني من القرن العشرين هو المنطلق الذي تمت الموافقة عليه لعرض وتحليل فكر فتح الله كولن وخبرة حركته -داخليًا وخارجيًا- مقارنة بخبرات ورؤى إصلاحية أخرى في العالمين العربي والإسلامي. خلال نفس الفترة الزمنية. وهذا الاقتراب يعكس فكرة أساسية ينطلق منها المؤتمر كما ينبثق عن أهداف عدة ترتبط



أ. محمد أنس أركنه / تركيا



د. عمار طالبي، د. عمار مساعدي / الجزائر



الأستاذ مطيع الرسول / كينيا

التعدد في الكون وفي معطيات الحياة الاجتماعية. المرجعية الإسلامية ذاتها هي التي تفتح الأبواب المغلقة، وترحب بجميع الاجتهادات التي تشتبك مع الواقع وتهدف لإصلاحه وتطويره.

إن الوضع المثالي هو التعدد على أرضية واحدة وليس التقيد بخبرة واحدة بذاتها دون غيرها. ويرتبط ذلك بخصوصية الرؤية الإسلامية النابعة من شموليتها، حيث لا يمكن الفصل بين الديني وغير الديني، فالديني يغطي بطرق متفاوتة أبعاد الحياة الإنسانية على كثرتها، ومن بينها السياسي؛ خاصة إذا ما تم تبني تعريف شامل وواسع لماهية السياسي. وعندما تبدأ مراجعة حقيقية وجادة لأهمية الوصل وليس الفصل بين الديني وغير الديني - حيث لا توجد في الأصول المرجعية ما يدعم فكرة الفصل - ستكون خطوة مهمة قد أنجزت في سبيل رفع مستوى فعالية وإنجاز أي عملية إصلاحية في العالم الإسلامي.

وانطلاقاً من تنوع وتعدد نماذج الإصلاح المستندة للرؤية الإسلامية، يبرز سؤال المؤتمر الرئيسي: ما هي مداخل التغيير المتنافسة في سبيل الإصلاح والنهضة في مجتمعات العالم الإسلامي المعاصر؟ وأين موضع حركة فتح الله كولن منها؟

تشير تجارب الإصلاح والتجديد على امتداد العالم الإسلامي المعاصر إلى وجود عدد من الرؤى الاجتهادية، كما تشير إلى أن كلاً منها له زاوية اهتمام رئيسية تختلف عن زاوية اهتمام الرؤى الأخرى، وله مزاياه وإنجازاته، كما أن له نواقصه وإخفاقاته. من هذه الرؤى ما يركز على أن الإصلاح يبدأ من أعلى، وأن إصلاح السلطة السياسية مقدم على الإصلاح الاجتماعي والتربوي، في مقابل رؤية أخرى تؤكد على أن البداية الصحيحة يجب أن تكون من القاعدة الاجتماعية، ويجب أن تركز على التربية والتنشئة والتنمية الروحية والأخلاقية. وهناك رؤية يعتقد أصحابها أن الإصلاح رهْنُ



الإصلاح والتجديد، وأيضًا بين الحركات والتيارات الإسلامية على نحو يخلق استقطابًا ثنائيًا مصطنعًا بين ما هو سياسي وما هو غير سياسي في حركات وتيارات الإصلاح.

أما كيف تتحول طاقة المشروع الفكري إلى قوة حركة للتغيير الحضاري، وليس السياسي فقط، فهذا هو الحاضر الغائب في كل جهود الإصلاح الإسلامي عبر القرنين الماضيين، أو على الأقل هذا هو الحاضر الغائب في القراءات المقدمة عن هذه الحركات والتيارات وعن مآلها حتى الآن.

ولعلنا نستطيع أن نقول أيضًا إن من أهم ملامح التوافق بين الأدبيات التي قوّمت جهود الإصلاح والتغيير من أجل النهوض، والتي تعاقبت عبر قرنين، هو عدم تحول المشروع الفكري إلى برامج وخطط حركة، بل وإلى مؤسسات تقوم بأدوار متكاملة



حد اتجهت جهود واجتهادات رواد الإصلاح إلى ما هو أبعد من مجرد الإصلاح الديني أو الفقهي إلى الإصلاح المجتمعي، بل وإلى الإصلاح العالمي؛ أي إصلاح حال الإنسانية باعتبار أن المسلمين جزء منها، وإن اختلف بالطبع مفهوم "الإنسانية" من فلسفة حضارية إلى أخرى. بعبارة أخرى، ما هي الامتدادات الخارجية لمشروعات الإصلاح الإسلامية، التي تأسست في أطر وطنية وإقليمية محددة؟ وما هي غايات وأهداف وآليات وأدوات هذا الامتداد؟ وهل اقتصر على المناطق الإسلامية ومشاكلها فقط؟ إذا كانت الأدبيات -التي تزخر بها الساحة الأكاديمية والفكرية عن رواد وتيارات الإصلاح الراهنة والسابقة في العالم الإسلامي- قد اجتهدت لتصنيف هذه الجهود ودراسة محتوى ومضمون أفكار رموزها، فهل تمثل الإشكالياتان السابقتان جديداً في هذا المجال؟ وخاصةً من حيث تعديلهما الخطوط الفاصلة بين الفكر والمجتمع والسياسة. وهذا ملمح من ملامح الدراسات الحضارية من مدخل العلوم السياسية، فهي ليست بالدراسات السياسية التقليدية أو الاجتماعية التقليدية أو الفلسفية والفكرية التقليدية، ولكن تحاول أعمال المؤتمر من خلال هاتين الإشكاليتين

في مجالات مترابطة تُشكّل في مجموعها المنظومة الحضارية ابتداءً من منظومة قيم التربية والتعليم والثقافة والاقتصاد والإعلام والسياسة وصولاً إلى الهياكل والمؤسسات التي تهتدي بهذه المنظومات في برامج حركتها.

وإذا كانت الخبرة التركية مع فتح الله كولن تبدو أنها تقدم نموذجاً عن كيفية ملء هذه المنطقة الوسطى غير المملوءة عادة في مشروعات إصلاحية سابقة أو راهنة، ألا وهي المنطقة الوسطى بين الفكر التربوي وبين الحركة الاجتماعية وصولاً إلى الحركة السياسية، بعبارة أخرى، المنطقة الوسطى بين تربية الفرد ومنه إلى المجتمع ومنه إلى السياسة، فكيف تتحقق هذه العملية؟ وما شروطها؟ فبدون ادعاء، بل مع تأكيد عدم الارتباط بالسياسة، فكيف كان لحركة الإصلاح التربوية الحديثة في تركيا مردود اجتماعي واقتصادي وسياسي؟ ومن ثم فإذا كان جانب من أعمال المؤتمر يحاول الإجابة عن هذا السؤال إلا أن استدعاء تجارب أخرى للمقارنة حول نفس الإشكالية سيمثل جانباً آخر من هذه الأعمال.

التساؤل الثاني عن العلاقة بين عالمية الرسالة الإسلامية وإنسانيتها وبين خصوصيتها: فإلى أي

أن تقدم جديدًا. وتمثل حركة الخبرة التركية في ظل تأثيرات حركة فتح الله كولن وفكره ساحة أساسية لاختبار هاتين الإشكاليتين مقارنة بالرؤى والخبرات الإصلاحية الأخرى.

ثانيًا- معمار المؤتمر؛ المحاور والموضوعات وانقسمت محاور المؤتمر إلى ثلاثة، تناولتها أربع عشرة دراسة عبر سبع جلسات ثم جلسة ختامية. المحور الأول عام وتمهيدي يرسم خرائط حركات الإصلاح في العالم الإسلامي عبر نصف القرن الأخير وامتداداتها التاريخية السابقة، ويتناول منظومة المفاهيم المتصلة: الاجتهاد، التجديد، الإصلاح.

ولقد أسهمت المحاضرة الافتتاحية للمؤتمر التي قدمها الدكتور أحمد الطيب رئيس جامعة الأزهر في هذا الجانب التأسيسي للمؤتمر والذي تبلور في موضوعات دراسات كل من الأستاذ الدكتور أبو يعرب المرزوقي والأستاذ الدكتور سيف الدين عبد الفتاح، والأستاذ الدكتور رضوان السيد، والأستاذ الدكتور محمد سليم العوا، وتعقيبات الأستاذ الدكتور محمد عمارة والأستاذ الدكتور محمد كمال إمام والأستاذ الدكتور عبد الحميد مذكور عليها.

ومن أهم الإشكاليات التي نوقشت على صعيد جلسات هذا المحور: إشكالية الثابت والمتغير، وإشكالية تصنيف حركات الإصلاح، وإشكالية آفات الإصلاح وشروطه ومقوماته، ونماذج الإصلاح بين الفكر والحركة، ومجالات الإصلاح.

المحور الثاني قدم تعريفًا بالشيخ "فتح الله كولن". وساهمت دراستي الأستاذ الدكتور أرجون جابان والأستاذ الدكتور إبراهيم البيومي غانم في التعريف بحياة الشيخ وانتماءاته الاجتماعية وبيئته ومصادر تكوينه الفكري وخبراته العملية وطبيعة النموذج الذي يقدمه باعتباره شيخًا ومفكرًا وقائد حركة مدنية ومصلحًا اجتماعيًا وناشط سلام وأديبًا وشاعرًا. وبينت الدراستان ثنائية مصادر تكوين الشيخ: الأصول الإسلامية والتراث الإسلامي، إلى جانب الاطلاع

الواسع على الفلسفات والعلوم المعاصرة ناهيك عن التكامل بين الفكر والحركة. ولقد أبرزت الدكتورة أماني صالح في تعقيباتها أهمية القيادة الإصلاحية وأهمية ما يميز الشيخ كولن عن غيره من مصلحي النصف الأخير من القرن العشرين، ألا وهو نقل فكره إلى الناس وتحويله إلى حركة دافعه في مجالات الإصلاح مؤكدًا على أهمية البعد الإيماني في الحركة ليس بوصفه مجرد دافع ولكن الغاية والهدف التي تكتمل بالخدمة.

ومن ثم فإن المحور الثاني من المؤتمر ما كان ليكتمل بدون بيان طبيعة نمط حركة فتح الله كولن للتغيير الاجتماعي، وباعتبارها ليست مجرد حركة تركية، ولكن حركة عبر قومية وعالمية للتربية ولعبور الجسور بين الأقوام والأديان تحقيقًا لنهوض الأمة الإسلامية وحرير الإنسانية جمعاء. ومن ثم فإن بحوث هذا الجانب من المحور الثاني قدمت تعريفًا ببرنامج الحركة من حيث أهمية التعليم ومقاومة الجهل والفرقة والفقر، ومن حيث آليات ووسائل هذه الحركة ومجالات عملها داخل تركيا وعبر العالم (المدارس، الجامعات، الإعلام، رجال الأعمال، وقف الصحفيين والكتاب، مؤسسة أبحاث للحوار، وقف البحوث الأكاديمية والإنترنت).

ومن ثم أبرزت أيضًا هذه البحوث فلسفة الحركة ومفهوم الخدمة (العزيمة، الإخلاص، الهمة) في المجال العام. وهي الخدمة التي تستند إلى موارد بشرية بالأساس مدعومة بموارد الوقف والإنفاق من جانب "الأصناف".

وحيث لم تكن حركة فتح الله كولن إلا حركة تركية ابتداء، فإن فهم طبيعتها تزداد وضوحًا ببيان وضعها في الإطار السياسي-المجتمعي للإسلام في تركيا الحديثة. ومن ثم كانت دراسة الأستاذ علي بولاج بعنوان "الدين في تركيا والتغيير الاجتماعي وحركة فتح الله كولن"، وكذلك دراسة الأستاذ أنس أركنه "حركة فتح الله كولن بين الحركات التركية للتغيير".



وقدم كل من الأستاذ الدكتور محمود الكردي والأستاذ الدكتور أحمد زايد، وهما من رواد مدرسة علم الاجتماع في مصر، رؤاهما للحركة باعتبارها حركة تحديث إسلامية تجمع بين الحداثة والإسلام في ظل نظام علماني تطورت على صعيده العلاقة بين الدين والدولة التركية.

ولقد طرحت دراسات ومناقشات هذا المحور الثاني، حول فكر "كولن" ونمط حركته في إطارهما التركي إشكاليات أربع، وهي: إشكالية علاقة الحركة بالعمل السياسي، وإشكالية موقفها من العلمانية التركية التي تطورت منذ منتصف القرن العشرين ومدى كون الحركة تعبيرًا عن تعايش بين الدين والعلمانية، تلك الأخيرة التي يرى "كولن" أنها إطار يحقق التعايش بين التيارات المختلفة في وطن واحد، وإشكالية العلاقة بالغرب، وأخيرًا علاقة القيادة بالحركة ومدى أهمية التركيز على الحركة وليس فقط على شخص القيادة. والمحور الثالث تناولت بحوثه مجالات العمل وخبرات الممارسة في التعليم وفي الحوار والتصدي للفرقة وفي مكافحة الفقر: من المحلية إلى العالمية، وهي مجالات ثلاثة يمتد إليها نشاط الحركة داخل تركيا وخارجها؛ مقدمة نموذجًا فريدًا من الحركات الإصلاحية الإسلامية ذات الامتدادات الخارجية والتي تكتسب ذاتيتها ليس فقط من داخل حدود وطنها الأم - تركيا - ولكن من خلال هذه الامتدادات نحو الأمة وفي العالم. وتناولت دراستان قضية التعليم، قدمهما كل من الدكتور سمير بودينار بعنوان "فلسفة التعليم: السباحة في المجال الحيوي"، والدكتور رجب قيقماقجان بعنوان "التعليم ومنظوماته المؤسسية: من المحلية إلى العالمية".

فقد أكد الدكتور سمير بودينار في ورقته على أن التعليم مثل المجال الأساسي الذي بدأت منه حركة كولن مسيرتها الإصلاحية. ذلك أن التعليم يمكن الحركة من بناء ما يسمى "النموذج الذاتي"؛ أي بناء الإنسان وتربيته على القيم التي تقوم عليها الحركة... كما يمكن الحركة من تحقيق "مهمة التبليغ"، التي يعتبرها كولن المهمة الأساسية لكل مسلم في الحياة.

ويحقق التعليم بناء ذلك النموذج الذاتي استنادًا إلى عناصر ثلاثة؛ أولها الإنسان الجديد، الذي يتسم بحرية التفكير والإرادة، الجمع بين الإيمان والعلم، استخدام وسائل الاتصالات الحديثة للوصول إلى عقول وقلوب الناس، عمق الجذور الروحية، حراسة القيم الإنسانية، الأصالة مع البعد عن التقليدية... أما العنصر الثاني الداعم لبناء النموذج الذاتي فيتمثل في قوة الإسلام ذاته، المستمدة من خصوصية رسالته، وتجاوزها لقوانين الزمان والمكان، والتكامل بين عناصره مع فعاليته لتحقيق مقاصده. وثالث تلك العناصر هو المرحلة الراهنة أو العصر، الذي أحسنت الحركة استغلاله والاستفادة من معطياته المتمثلة في العولمة والمناداة بحقوق الإنسان والحريات وغير ذلك.

وإذا كان الدكتور بودينار، ركز في كلمته على أهمية مجال التعليم في حركة فتح الله كولن، فقد جاءت كلمة الدكتور رجب قيقماقجان لتركز بشكل أكبر على رؤية كولن حول التربية والتعليم، وأساسها رفض الرؤية الحداثية للتعليم، التي تركز على الجوانب المادية والعقلية في العملية التعليمية فحسب منكرة الجوانب الروحية. وفي المقابل يطرح كولن رؤية تعليمية بديلة تقوم على التزاوج والجمع بين الروح والمادة.

ومن ثم فإنه يرفض القول بوجود تناقض بين العلم والدين، بل إنه يبحث -على العكس- على تشجيع البحث العلمي، ولكن مع عدم تجاهل القيم الروحية. وجاءت رؤية كولن تتوافق مع ظهور بعض الاتجاهات في الغرب ترفض الرؤية المادية البحتة للتربية، وتدعو إلى الرؤية الكلية للإنسان.

وعن كيفية تطبيق تلك الرؤية التربوية لفتح الله كولن في المدارس على أرض الواقع، أكد الدكتور قيمانجان أن ذلك لم يكن بصياغة مناهج مخصصة أو إضافة مناهج دينية إضافية، بل باتباع نفس المناهج المحلية في كل بلد، والتركيز بدرجة أكبر على تقديم رؤية قيمة من خلال تلك المناهج، وتقديم برامج تربوية موازية للمناهج الدراسية عن طريق المعلمين، والأنشطة المدرسية المختلفة.

هذا، وفي تعقيب الأستاذ الدكتور فتحى الملكاوي على مجال التعليم في حركة فتح الله كولن، أبرز الأمور المهمة التالية؛ من ناحية: أن الحركة وجدت في التغييرات العالمية فرصة وليس مجرد تحدٍ، وأن التغيير على الساحة التركية الذي أفرز أزمة بين المجتمع والدولة قد ولد بدوره فرصة انتهزتها الحركة. من ناحية ثانية: اختار كولن خيار المدرسة المدنية وليس الدينية، وبالرغم من نقده للنمط المعاصر لكل منهما إلا أنه وضع شروطاً لتفعيل المدرسة المدنية. ومن ناحية ثالثة: الفلسفة التربوية الكلية قد فشلت نتيجة تغير وضع المدرسة في المجتمع، وفلسفة ما بعد الحداثة ليست بالفلسفة الكلية وكلا الفلسفتان الكلية وما بعد الحداثة لا يتواءمان مع أهداف مدارس كولن. ومن ناحية رابعة: أهمية المناهج الإضافية الضمنية في مجال القيم، ومن ثم فإن الثقافة المدرسية والبيئة المدرسية تحققان غرساً أكثر فعالية للقيم.

المجال الثاني لحركة فتح الله كولن هو الحوار والتصدي للفرقة، وتناولت دراسة الدكتور ياسين أقطاي خبرات حوار الداخل والمواطنة التركية. ولقد مثلت تجربة وقف جمعية الكتاب والصحفيين إحدى

هذه الخبرات، ولقد التف حول نداء فتح الله كولن جميع التوجهات السياسية والفكرية وقبلت به حكماً في الحوار الداخلي، كذلك لعب الشيخ وحركته دوراً في تدشين الحوار مع الأقليات داخل تركيا.

كما مثل منتدى أبات ملتقى يجمع أطرافاً فكرية وسياسية مختلفة تناقش قضايا تركيا والعالم والإنسانية. وتبين الدراسة جميع هذه الخبرات وتوضح مدى ما تمتلكه حركة كولن من رأسمال إنساني يستطيع أن يجمع به أطرافاً مختلفة لتجلس معاً وتتعارف وتتمكن من بلورة رؤية أعمق.

أما الحوار مع غير المسلمين، فلقد تصدت له دراسة الدكتور محمد صفار انطلاقاً من المقارنة بين سيد قطب وفتح الله كولن. فقد اشتركا في تشخيص الأزمة التي يمر بها الإنسان؛ فأرجعها سيد قطب إلى الانفصال النكبد بين العلم والدين، وهو نفس ما يشير إليه كولن حين يتحدث عن الانفصال المزدوج.

فمما يجمع بين كولن وقطب فكرة معايشة الوحي عبر تجاوز زمني لاستعادة عصر التنزيل في عصر التأويل، وهو ما يتمثل في فكرة الشجرة والظل عند قطب، والرسول الشجرة عند كولن. وأشارت دراسة الدكتور صفار إلى أن قطب يخاطب العصبية المؤمنة، أما كولن فيتحدث إلى براعم الإيمان. كما يجمع بين الاثنين عناصر توجه صوفي، يتمثل في الأدب مع الله، وحديثهما عن مهرجان التسبيح الكوني.

وتناولت الدراسة أيضاً جوانب الاختلاف بين المفكرين، فأشارت إلى أن قطب رأى حتمية الصراع بين المجتمع المسلم والمجتمع الجاهلي، بينما يؤمن كولن بالحوار وقبول الآخر وقبول الاختلاف مع الحفاظ على الذات. كما أن لكل منهما تصوراً مختلفاً لشكل الزمان.

وفي تعقيبها على الورقتين، أكدت الدكتورة باكينام الشرقاوي على منهج التقارب الذي انتهجته حركة فتح الله كولن في حوارها داخل تركيا وخارجها. وأوضحت أن كلمة السر في نجاح الحركة هي فكرة

الموازنة بين ثنائيات كثيرة: العلم والدين، الشرق والغرب، القلب والعقل... إلخ. وأشارت إلى أن هناك عدة أسباب لنجاح الحوار داخل تركيا:

١- السياق الذي عملت فيه الحركة؛ حيث تتطور العلمانية في تركيا نحو مزيد من الليبرالية، كما أن التطور الديمقراطي رسخ دولة القانون في تركيا حيث الكلمة الفصل بين الحكومة والمعارضة هي للقانون، كما استخدمت الحركة البعد الخارجي بشكل نموذجي مما خلق بيئة دولية ترفع الداخل لإعطاء مجال أكبر للحركة مما أتاح لها فرصة للتطور.

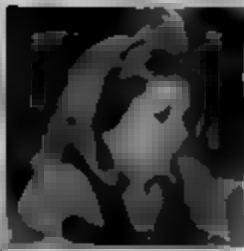
٢- استجابة كولن؛ حيث ركز على إصلاح الفرد كمقدمة لإصلاح المجتمع، وفعل المناخ الصوفي في تركيا وعمل على تنشيطه وإخراجه من الكسل وتحويله إلى فعالية حركية اجتماعية. كما امتلك كولن المؤسسات التي تحول رؤيته إلى حركة وفعل عبر التعليم والإعلام.

٣- ويقدم كولن، رؤية أشمل ويعتمد المفاهيم التي يتبناها الفرقاء ويعطيها مضامين جديدة مكملة. فالإسلام مكمل للديمقراطية، والحدثة تحتاج للدين في المجال العام. هذا ولقد أثارت المداخلات حول دراسات هذا المحور مسألة موقف الغرب من حركة كولن وترحيبه بها؛ حيث رأى البعض أن خطاب كولن يتناول قضايا تهم الإنسانية





للحماية والإغاثة والمصالحة و



ت مكانته الشعر في تركيا ومصر وبركزت على جهودها في فتح كبر

مواهب على المستوى المحلي

منها نالها وياشغلها في جميع النواحي

التي في جامعة الفنون العربية: الحزبي والدلالة

منها من أفريقيا

في العلاقات بين الأنواع المصرية والأ

الأتراك في إسطنبول والممتدة منذ ٢٠٠٥، واتسمت دائماً بالدفء وصدق النوايا وإخلاص العزيمة وابتغاء مرضاة الله؛ من خلال العمل الدؤوب لإعادة اللحمة بين شعوب الأمة الإسلامية التي فرقها نوازل السياسة والتدخلات الخارجية.

٢- ليس من قبيل المصادفة أن يكون لكل من مكان انعقاد المؤتمر، وشعار المؤتمر والمحاضرة الافتتاحية مغزاه ودلالته، فبالنسبة لانعقاد المؤتمر في الجامعة العربية، فالإسلام والعروبة صنوان ومستقبل الإصلاح في العالم العربي يقع في قلب مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي، ولقد مثلت أركان الأمة (مصر وتركيا وإيران) عبر تاريخها أعراق وأقوام الأمة المتنوعة.

ومن ثم أنوه إلى أن القاعة الكبرى الرسمية في الجامعة تتصدر قمتها ثلاث آيات قرآنية تقدم الكثير بالنسبة لصميم موضوع المؤتمر. الآية الأولى هي: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ وهي تتوسط الآية الكريمة: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ وآية: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾.

إن قيمة التغير ابتداء من النفس والذات إلى قيمة خيرية هذه الأمة ليس بمجرد إيمانها ولكن أيضاً بحضورها وشهودها، وإعلائها قيمة الوحدة والتضامن، ثلاث قيم أساسية ترتكن إليها فلسفة المؤتمر وهدفه. وتقدم لنا حركة فتح الله كولن -مقارنة بحركات الإصلاح الإسلامية الراهنة والسابقة- دلالات مهمة بشأن كيفية تفعيل هذه القيم الثلاث المتصلة بالذات وبالأمة.

أما شعار المؤتمر فيضيف أموراً أخرى حول أهداف المؤتمر وموضوعاته. فإذا كان الإسلام رسالة ودعوة للعالمين فإن مستقبل إصلاح العالم الإسلامي يمثل مدخلاً مهماً في مستقبل إصلاح العالم، بل هو أيضاً شرط له؛ وذلك على ضوء أوجه تميز النموذج المعرفي والحضاري الإسلامي (الوسطي التعارفي التعددي) في مقابل النماذج المادية الصراعية الاستثنائية. كما أن حالة العالم وطبيعة من يقوده سياسياً

وفكرياً تنعكس على درجة سلامة هذا العالم وورخائه واستقراره، بل ودرجة ما يعكسه من قبول التنوع والتعدد الحضاري. هذا ولقد كانت مصر وتركيا ركنين أساسيين في كافة مراحل تطور وضع العالم الإسلامي وموضعه من النظام الدولي، قوة أو ضعفاً، صعوداً وهبوطاً، ودائماً كانت الرموز الفكرية والدعوية والسياسية من المصريين والأتراك تقوم بأدوارها القيادية في الحركات الإصلاحية. وها هو الشيخ فتح الله كولن، بما حققه وحركته من إنجازات خلال النصف القرن الأخير، ينضم إلى هذه السلسلة الذهبية من الأعلام والمجددين والمصلحين، الذين وإن اختلفت تجاربهم وتنوعت، إلا أنهم تركوا بصماتهم على مسار هذه الأمة.

وعلى ضوء ما سبق، يتضح مغزى حماسة السلام التي تصدر شعار المؤتمر من ناحية محلقة فوق رمزين من أهم رموز مصر وتركيا، ومن ناحية أخرى؛ تنجلي من وراء أشعة الضوء ملامح الشيخ فتح الله كولن. وأخيراً، فإن مشاركة الأستاذ الدكتور أحمد الطيب بمحاضرة افتتاحية للمؤتمر تعكس ما يجب أن يكون للأزهر الشريف، جامعاً وجامعة، من دور في عملية الإصلاح في العالم الإسلامي.

٣- كل هذا جرى في رحاب جامعة الدول العربية التي استضافت المؤتمر، وأحاط الأمين العام للجامعة السيد عمرو موسى ومدير مكتبه السفير هشام يوسف الإعداد للمؤتمر وانعقاده بكامل رعايتهم. كما قدم المسؤولون عن إدارة المؤتمرات في الأمانة العامة للجامعة كل التسهيلات الممكنة.

وفي الجلسة الافتتاحية التي شارك فيها كل من الأستاذة الدكتورة عاليا المهدي عميدة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، والأستاذ الدكتور أحمد الطيب رئيس جامعة الأزهر، والدكتور مصطفى أوزجان مستشار وقف أكاديمية البحوث والإنترنت بإسطنبول، كان من قبيل المفاجأة السارة أن وجه الأستاذ فتح الله كولن كلمة طيبة إلى المؤتمر قرأها الأستاذ نوزات صواش.



وكان محور كلمة الشيخ فتح الله كولن هو الإنسان، ولذا ليس من قبيل المصادفة ما عنونت به مقالتي هذه.

يقول الشيخ كولن:

"الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها السادة الكرام.. أعضاء هذا المؤتمر العلمي المبارك، من باحثين وعلماء ودعاة ومفكرين، أيها الأحبة الأوفياء...

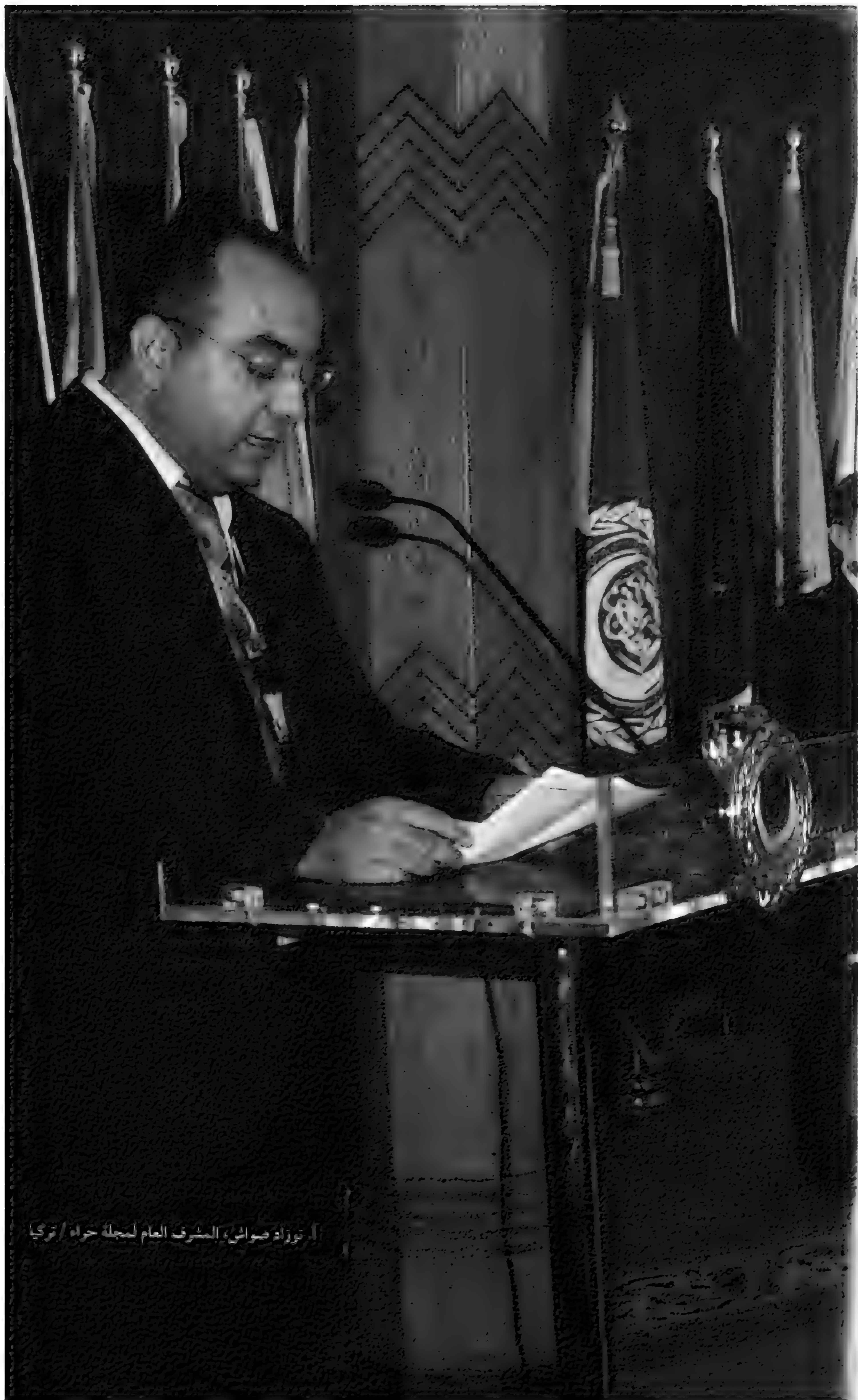
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

إن مؤتمركم هذا جدير بأن تُشدَّ إليه الرحال. ولولا ظروف صحية تمنعني من مغادرة إقامتي، لكنت أول الحاضرين معكم، ولتربعت جالساً بين أيديكم، مستمعاً إلى عروضكم القيّمة، ألتقط درر أفكاركم وتوجيهاتكم. وما ذلك إلا لأن هذا الذي اجتمعتم اليوم من أجله هو قضية الأمة الأولى، إنها قضية الإصلاح. هذا المفهوم الذي كان ولم يزل أكبر إشكال واجهه الفكر البشري بمختلف تصوراتهِ ورؤاه. ورغم ما كُتب في موضوعه على المستوى الفكري الصرف؛ فقد بقيت كثير من أسئلته الفلسفية والاجتماعية معلقةً في أفق العقل المعاصر. والدليل على ذلك وضع العالم اليوم، المتخبط في متاهات الحيرة والاضطراب، بعد استهلاك كثير من نظريات الإصلاح هنا وهناك، ولكن دون جدوى.

أيها المحضون الكريم،

رجوكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حيون بمناخ الأمل وغباب ينهض بالمشعة والسلام
ومن ثم فإن إصلاح الأجيال، مرتكز بإصلاح تعليمه



الوزراء صواحي، المشرف العام لمجلة حواء / تركيا

فهو في خط الحياة الممتد على مدى فصولها من الحس إلى الفكر، ثم إلى الحياة العملية، يتنفس النظام دومًا، ويشغل بحس البناء والإنشاء أبدًا. إنه ولي الحق اللدني الذي يُعدّ "قادة أركان" الروح ومهندسي العقل وعمال الفكر، بدلاً عن استخدام القوة المادية لفتح البلاد ودحر الجيوش".

وهذا الفكر الذي تنطلق منه الحركة ليس إلا فكرًا إسلاميًا يبدأ من القلوب من داخل الإنسان ليشع الإيمان عملاً. وفي هذا يقول أيضًا محمد فتح الله كولن في مقاله "الخصوصيات الأساسية للفكر الإسلامي" (١٩٩٩):

"منذ أن نصب الإسلام سرادقه في الأرض، توجه إلى القلوب بأشد قوته، وسعى لفتح القلوب، ورسم صورته في كل وجدان، ثم حمل على وحدات الحياة كلها. فثم تناسب دائم بين تعمقه في الصدور وتأثيره في فصول الحياة. فبقدر عمق تغلغله في الأرواح وتأصله فيها، يطفح فيض تأثيره في حياتنا وانعكاساته فيما حولنا. بل نستطيع القول بأن الآمال والأشواق ومسلمات القبول المستيقظة فيما حولنا باسم الإسلام، تتحقق تمامًا، بالتناسب مع عمق هذه الصورة الداخلية وسعة إحاطتها. فكلما تعمق القبول الابتدائي هذا في دواخل البشر، زادت قوة تأثيره في البيئة المحيطة، وتحددت الوجهة التي يوليها المجتمع في حياته الأخلاقية والاقتصادية والسياسية والإدارية والثقافية. ذلك في كل زمان وبقدر هذا الإذعان الداخلي. نعم، المجتمع -من كل الوجوه- يحمل في سيماء خطوطا مهمة منه، ويظهر الفن والأدب على محياه ألوان هذا المحتوى الداخلي وزخارفه، ويُسمع ويُستشعر في كل مكان بين سطور الوجود والأشياء صوت هذا المحتوى الداخلي ونفسه وأداؤه، ويشجي كل شيء مرثي أو خاف أسماعنا بأنغام رائعة يلحنها لسان هذا المحتوى الداخلي الصامت بلا صوت ولا كلام".

إذن المطلوب هو الفعل المقرون بالإيمان والإخلاص. وفي هذا يقول أيضًا الشيخ فتح الله

الاجتماعي، ناهيك بالطبع عن المدخل العقدي. ومن ثم فإن تحديات الوضع الراهن من ناحية ودواعي التفكير الاستراتيجي في متطلبات الاستجابة الفاعلة لهذه التحديات، من ناحية أخرى، تفرض البحث في تفسير هذه الظاهرة؛ أي عدم الانسجام بين هذه المداخل والبحث في النماذج التي تجاوزت هذا الوضع، وكيف أدركها وعالجها الرواد والمصلحون المعاصرون خلال النصف قرن الأخير، وأين دلالة النموذج التركي في هذا السياق؟

ومن ثم باستدعاء ما حدده المؤتمر من غايات وأهداف، وما طرحته البحوث والمناقشات من قضايا وأفكار، حددت الجلسة الختامية مجموعة من النتائج طرحها تفاعل المصريين مع خبرة حركة فتح الله كولن (فكرًا وممارسة):

الإشكالية الأولى: العلاقة بين الفكر والحركة، حقيقة هناك قواسم مشتركة بين فكر "كولن" الراعي لإصلاح الإنسان وفكر أعلام آخرين انطلقوا من نفس المنطلق؛ نظرًا للاشتراك في مرجعية واحدة.

ولكن يظل الفارق هو أن كولن لم يكن مجرد مفكر ولكنه مصلح نقل الفكر إلى مجال الحركة وبطريقة مؤسسية منظمة ومتعددة المستويات ومتعددة المجالات، وعلى نحو يمثل شبكة من التفاعلات المتعاضدة التي يقوم بها وعليها "حفنة من المجانين" تقدم طاقاتها البشرية وليس المالية فقط، استجابة لفكر قيادة إيمانية. وفي هذا يقول فتح الله كولن في مقال "إنسان الفكر والحركة" (أكتوبر ١٩٩٤):

"إنسان الفكر والحركة هو رجل الانطلاقة والحملة، الحركي المخطط الذي يقوم ويقعد على خفقان شد العالم بالنظام مجددًا، ويمثل حركة إقامة صرح الروح والمعنى من جديد بعدما آل إلى السقوط ومنذ عصور، ويُفسر قيمنا التاريخية ككرة أخرى، ويستخدم بمهارة مكوك الإرادة والمنطق في الفكر والحركة، وينقش على قماش روحنا ومعنانا زخارف مستظرفة وجديرة تناسبنا.

كولن: "لو أن المرء طلب الإخلاص واليقين في اليوم مائة مرة فما هو من المكثرين. لكن كيف ينبغي أن يكون الطلب؟ دعاء قول أم دعاء فعل؟ أرى أن دعاء الفعل هو الأصل، لكنه لا يمنع من دعاء القول. أما الأفضل فدعاء قول يلزمه دعاء فعل. وإذا كان لنصيحتي مكانة عندكم، فنصيحتي الأولى والأخيرة هي أن تطلبوا مرضاة الله تعالى. فقد تنسون طلب الجنة في دعواتكم أو الاستجارة من النار، لكن حذار أن تنسوا طلب الإخلاص واليقين بالحاج؛ لأن الأمر لا يحتمل النسيان. إذا تلاشى الإخلاص وضاع اليقين لدى الفرد فقد تدحرج في فراغ مخيف؛ إذ أقواله لا تتجاوز حنجرته، وأفعاله لا تعبر عن أي معنى نبيل".

إذن مصدر الفكر التجديدي ومبدعه، الشيخ فتح الله كولن، يريد حركة مقرونة بإيمان وإخلاص ولا مفر أن يقوم عليها "حفنة من المجانين"، وفي هذا يقول أيضًا الشيخ فتح الله: "مجانين أريد، حفنة من المجانين.. يثورون على كل المعايير المألوفة، يتجاوزون كل المقاييس المعروفة. وبينما الناس إلى المغريات يتهافتون، هؤلاء منها يفرون وإليها لا يلتفتون. أريد حفنة ممن نسبوا إلى خفة العقل لشدة حرصهم على دينهم وتعلقهم بنشر إيمانهم؛ هؤلاء هم "المجانين" الذين مدحهم سيد المرسلين؛ إذ لا يفكرون بملذات أنفسهم، ولا يتطلعون إلى منصب أو شهرة أو جاه، ولا يرومون متعة الدنيا ومالها، ولا يفتنون بالأهل والبنين... يا رب، أتضرع إليك... خزائن رحمتك لا نهاية لها، أعط كل سائل مطلبه، أما أنا فمطلبي حفنة من المجانين... يا رب يا رب...".

إن أهمية وتفرد هذه العلاقة بين الفكر والحركة في منظومة الشيخ فتح الله كولن (والتي محورها إعادة بناء "الإنسان الجديد") قد نوه إليها المستشار طارق البشري (المؤرخ والمفكر الإسلامي، ونائب رئيس مجلس الدولة المصري الأسبق) في المحاضرة الختامية للمؤتمر. حيث بدأها مؤكدًا أن الواقع هو مفتاح فهم المستقبل، وأن أسئلة الحاضر الممتد هي

التي تصوغ رؤيتنا المستقبلية في الفكر والحركة. وأنا حين ندرس خبرات الإصلاح لا ندرسها لنسخها في بلادنا دون مراعاة لاختلاف السياقات الزمنية والمكانية والاجتماعية والثقافية، وإنما ندرسها للاستفادة منها مع مراعاة هذه الفروق الدقيقة؛ وأن مشكلة الأمة تتمثل في أن "أذرعنا لا تعمل جيدًا، وأرجلنا لا تسير جيدًا، وهي مشكلة حركية تتعلق بالقدرة على جعل أهدافنا تتوافق مع مصالحنا ماديًا ومعنويًا".

وخلص المستشار البشري في نهاية محاضراته إلى أن مشكلتنا الحقيقية التي يعاني منها واقعنا الآن لا تكمن أبدًا في ضعف الأفكار، وإنما تكمن في ضعف التنظيم، وعلينا أن نواجهها بما يملك أصحاب القدرة على الحركة والتحريك من إمكانيات القيام بها.

الإشكالية الثانية: العلاقة بين الواقع والاجتهاد، الاستجابة لتحديات الواقع وإدراك ما يقدمه من فرص وما يفرضه من قيود وضغوط، دون التخلي عن الثوابت. وبينت حركة فتح الله كولن وفكره الارتباط الوثيق بالواقع المحيط ومن ثم عدم الاكتفاء بالأطروحات الفكرية والنظرية، ولكن التوجه إلى وضع خطط وبرامج عملية للالتحام بهذا الواقع من أجل تغييره وفقًا للمرجعية الإسلامية وباجتهاد وتجديد في الطرائق والسبل بما يستجيب للإطار الوطني والإطار العالمي ولا يبقى دعاوى الإصلاح حبيسة الآمال والأحلام أو فريسة الصدام والتصفية. وفي هذا يقدم فتح الله كولن في مقاله "الإنسان الجديد" (مارس ١٩٩١) تحليلًا واعيًا بمسيرة تاريخ الإنسانية منذ القرن الثامن عشر الميلادي، مبشرًا بأن القرن الواحد والعشرين سيكون قرن الإيمان والمؤمنين وعصر انبعاثنا ونهضتنا من جديد. كما يقدم في مقاله "نحو عالمنا الذاتي" (أكتوبر ١٩٩٣) تصوره عن كيف يمكن أن نفتتح للعالم صفحة جديدة بالتوصل إلى تفسير جديد للكون من خلال الإحساس بالروح الإسلامي ومعناه. وهو يقول أيضًا في مقاله "نحو عالم الغد" (يوليو ١٩٩٣) "أن أساس حياتنا الروحية قائم على الفكر الديني... والذين

في مجتمعاته، أضحى للفكر الإصلاحي والحركات الإصلاحية الإسلامية امتداداتها الطبيعية في الغرب أيضاً، وليس في أرجاء العالم الإسلامي فقط.

وإذا كان الداخل التركي قد مارس تأثيره على ما تواجهه هذه الحركة من فرص وقيود، فمما لا شك فيه أن الاهتمام المتنامي في الغرب بفكر الأستاذ فتح الله كولن وحركته، وتصنيفها بأنها تعبير عن نمط من إسلام ليبرالي أو إسلام حدائي وعلماني يحقق الالتقاء بين العالم الإسلامي والغرب له دلالات أخرى.

هذا النمط من الاهتمام الغربي أثار تساؤلات، وأحياناً شكوك واتهامات حول "الثابت والمتغير" في اجتهاد هذه الحركة التجديدية الإصلاحية، وهو أمر تكرر ظهوره مع جميع حركات الاجتهاد والإصلاح خلال قرون ماضية، وهذا ما نوه إليه كل من الدكتور محمد عمارة والدكتور محمد سليم العوا خلال المؤتمر. الإشكالية الرابعة: مدى تحقيق الانسجام بين الأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية لخبرات الإصلاح من أجل تحقيق هدف النهضة.

إن كان الغرب قد درج على تصنيف حركات الإصلاح وتيارات فكره الإسلامي بقدر ابتعادها أو اقترابها من نموذجه، ومن هنا كانت تصنيفات المعتدل، الراديكالي، الحديث، السلمي، العنيف... فإن تصنيفات أخرى في العالم العربي والإسلامي قد درجت على التصنيف وفق مجال الإصلاح. ومن هنا برزت ثنائية ما هو سياسي، وما هو لإسباني، وفقاً للمفهوم الحدائي الوضعي العلماني للسياسة، باعتبارها صراعاً من أجل السلطة والحكم بالأساس، كذلك برز الفصل بين جوانب الحياة، كما لو أن الإصلاح يمكن أن يتحقق على جانب تاركاً الآخر. في حين أن الحقيقة أمر آخر، ألا وهي أن جميع مجالات الحياة -وفق الرؤية الإسلامية- تتحاضن وتصب في بعضها البعض، وإن كان الأمر يقتضي اختيار منطلق للبداية. ويظل منطلق إعادة بناء الإنسان اختياراً لا بد أن يقود إلى الاختيارات الأخرى.

يختلفون صداماً بين الدين وبين العلم والمحاكمة العقلية، هم بؤساء جهلوا روح الدين والعقل... لنضع جانباً بلبله التكوينات الجديدة في العالم، نحن لا نصدق بولادة شيء جديد من الكيان الرأسمالي القديم، أو أحلام الشيوعية أو تكسيراتها الاشتراكية أو هجينها الديمقراطية الاجتماعية، أو خرق الليبرالية التالية. الحقيقة هي أنه إن كان ثم عالم مشرع الأبواب لنظام عالمي جديد فهو عالمنا نحن...".

إذن فإن "كولن"، ومنذ نهاية الحرب الباردة وسقوط الشيوعية ودخول العالم مرحلة تحولات جديدة، قد أدرك حقيقة هذا الواقع وتهاوي فلسفاته المادية ودخول المجتمع التركي من ناحية -والمجتمع العالمي من ناحية أخرى- مرحلة مراجعة تستشعر فراغاً يتطلب من يملأه، وقدم فتح الله كولن اجتهاده الإسلامي ليس لتركيا فقط ولكن للعالم كله.

الإشكالية الثالثة: العلاقة بين الداخلي (الوطن) والبيئي (الأمة الإسلامية)، والخارج (العالم). فالإصلاح في العالم الإسلامي خلال المرحلة الراهنة من تطوره يواجه تحديات العولمة وتزايد اختراق الخارجي للداخلي؛ بحيث لا تنفصل معطياته الداخلية عن هذه التحديات، وقدمت حركة كولن استجابة لمتطلبات المجتمع التركي في علاقته بالدولة، كما مثلت وعياً بأن الداخل التركي جزء من الأمة الإسلامية، وأن على تلك الأخيرة واجب نحو الإنسانية والعالم لإيجاد حل لأزمة الحضارة المادية؛ ومن ثم تقدم بديلاً للإنسانية من مرجعية إسلامية.

فباستقراء تاريخ حركات الإصلاح الإسلامي، وتيارات الفكر الإسلامي، خلال القرون الثلاثة الأخيرة، على الأقل، يمكن ملاحظة أنه كان لها امتداداتها خارج نطاق ظهورها، وأنه كان لها انعكاسات في دوائر ومستويات متداخلة، إلا أنه في ظل العولمة وثورة المعلومات وفي ظل التكاليف الاستعماري الجديد على العالم الإسلامي، وفي ظل تدفقات هجرة المسلمين إلى الغرب وتبلور الوجود المسلم



شرنقة عن فراشة في "سوكود" في القرن الرابع عشر الميلادي. وأظن أن كرامة القرن الحادي والعشرين ستظهر بملء شعبنا والشعوب المرتبطة به مكانه اللائق في الموازنات الدولية. وسيدور هذا التكون الجديد الذي يغير وجهة تاريخ العالم ومسيرته، في أفلاك الروح والأخلاق والعشق والفضيلة. نعم، نؤمن أننا بهذا الجهاد المعنوي الذي يمكن تسميته بكفاح العلم والأخلاق والحق والعدل أيضًا، سنلم شعث أشلاء "أمتنا" المباركة الممزعة البثينة والمشردة في أرجاء الأرض المختلفة، لتجتمع الأجيال التي ظلت بلا راع ولا غاية حتى اليوم في ظل الفكر، فتعيش "الانبعاث بعد الموت" من جديد من نشوة الوصل بـ"لواء الحمد".

كذلك يقول الشيخ في مقال "الخصوصيات الأساسية للفكر الإسلامي" (أبريل ١٩٩٩):

"إن الهمم الفكرية والتخطيطية والفنية تولد ابتداءً في ذات الإنسان، ثم تتشكل صورها، ثم تتوسع وتنشط إذا وجدت المناخ الملائم للنمو

وإذا كان قد شاع عن الشيخ محمد عبده مقولته الشهيرة "لعن الله السياسة" فلا بد وأن نستحضر أيضًا قوله -غير الشائع- أنه بدون تربية وتعليم ستكرر الانقلابات والثورات بلا نتيجة. بعبارة أخرى، إذا كان قد ركز الغرب والمسلمون على الإسلام بوصفه قوة سياسية وجهادًا عسكريًا، إلا أن تلك القوة لم تتحقق، ولن تتجدد بدون النهوض بالإنسان ابتداءً؛ أي ما أسماه الشيخ فتح الله كولن "الجهاد المعنوي". وأرى أنه الأساس للإسلام الحضاري الشامل لكل جوانب الحياة وليس مجرد ما يسمى الإسلام السياسي أو الإصلاح التربوي أو غيرها من التصنيفات الجزئية.

فيقول الشيخ في مقال "الشعور بالمسؤولية" (يوليه ١٩٩٥):

"لقد كان لكل عصر كرامة. فولدت الإنسانية من جديد بالإسلام في القرن السادس الميلادي، وعاد كثير من أقوام الترك إلى الحياة كرامة أخرى بالإسلام في القرن العاشر الميلادي، وانشقت بالاستحالة

والتطور. فكذلك أيضًا العبادات والأخلاق والحياة الروحية والثقافية والمناسبات البشرية الأخرى كافة يُستشعر بها بداية في عمق الإنسان إيمانًا وإذعانًا، ثم تنمو لتحيط بالحياة كلاً، وتسربل بصبغتها التصرفات البشرية كافة، فتكون مُعِينًا ومُوجِّهاً أساسيًا لكل همة وحملة وحركة وفعالية، مشعراً بنفسه وبوجوده في كل الأحوال... ومن الحق أن حقيقة الإيمان المتأصلة في عالمنا الداخلي، إنما تديم وجودها بقدر تناميها وتوسيعها في الحياة الواقعية... فإذا بُذرت بذور الإيمان وترعرعت واخضرت في القلوب، ثم تحولت إلى استقامة ووثوق في التصرفات، وانقلبت إلى وقار وخشوع في الصلاة، ورفدت وازع الحقائق والعدل في علاقاتنا الاجتماعية؛ فذلك يعني أن الأفق منبسط أمامه إلى اللانهاية للتطور والتوسع.

خلاصة القول

لقد قدمت مجموعة النتائج العامة السابقة مقرونة باستشهادات من فكر الشيخ فتح الله كولن، وذلك ليس إلا لمجرد ضرب الأمثلة من الخريطة العميقة لفكر هذا الشيخ المصلح. حرصت على هذا لبيان أن المؤتمر، مهما كانت دلالاته، إلا أنه لم يستطع أن يقدم قراءة عميقة في خرائط فكر الإنسان، الشيخ، العالم، المفكر، الفقيه، المصلح، الناشط، الصوفي... فتح الله كولن، وتجلياتها العملية في مجالات الحركة الإصلاحية، سواء داخل تركيا وخارجها، في أنحاء الأمة الإسلامية، وبقية أرجاء العالم. كما لم يستطع المؤتمر بالطبع أن يعكس حقيقة جهود المتممين لهذه الحركة، ومدى ما يمثله الفكر والحركة من جديد أو من استمرارية مقارنة بخبرات إصلاحية أخرى في العالم الإسلامي.

ولقد أجمعت الشهادات التي قدمها في الجلسة الختامية للمؤتمر كل من الدكتور حسن أبو طالب، الدكتورة ناهد عز الدين، الدكتورة هبة رؤوف، الدكتورة هدى درويش، أستاذ عصام سلطان على هذا. حيث ركز الدكتور حسن أبو طالب على اهتمام

الحركة بتقوية الروح والنفس، مع اهتمامها بالتنظيم وإقامة المؤسسات والابتعاد عن الشخصية. أما الأستاذ عصام سلطان، فأشار إلى إيمان الحركة بشمولية الإسلام والتخصص في العمل. أما الدكتورة ناهد عز الدين، فأشارت إلى اهتمام الحركة بالشباب وتناولت مفاهيم أساسية في الحركة وهي: الخدمة، والهمة، ومفهوم "المتولي" الذي يقتدي به الطلاب. وأشارت الدكتورة هبة رؤوف إلى أن هناك "روحاً تسري" في الحركة تفسر ما يقوله البعض عن الحركة بأنها تنظيم ولا تنظيم. وركزت على "الأدب" الذي تتسم به الحركة وأعضاؤها حيث الحرص على استعادة البعد الأخلاقي في بناء الإنسان. كما استعرضت الدكتورة هدى درويش بعض المبادرات والأنشطة التي قامت بها الحركة. أما الدكتور يوهان (أكاديمي ألماني)، فركز على كيفية تعامل الحركة مع أسئلة: لماذا نصلح، وما الذي نصلحه، وكيف نصلحه؟ كذلك أبرزت هذه الشهادات الحاجة إلى مزيد من الانفتاح والتفاعل العربي التركي مع الأخذ في الاعتبار خصوصيات الأطر الداخلية لكل من الجانبين.

هذا ولقد ركزت محاضرة المستشار طارق البشري في ختام المؤتمر على مدلولات خبرة العلاقات العربية التركية التاريخية بالنسبة لواقع هذه العلاقات ومستقبلها. فلقد شدد البشري على أهمية التجربة العثمانية، ولفت الانتباه إلى أن فترة الحكم العثماني للدول العربية كانت المعوق الرئيسي لتجديد الحركة الصليبية في منطقتنا، لأنه على مدى التاريخ كان خط الدفاع الرئيسي لهذه المنطقة يتكون من نقاط ثلاث: دمشق، القاهرة، الحجاز، وما من دولة رمت إلى الوحدة والنهوض إلا وسعت إلى التكامل مع هذه النقاط التي تحولت إلى "سور الإسلام العظيم" بانضمام إسطنبول والأناضول، فأصبح هذا السور خطأ رادعاً لأية أطماع خارجية.

وعرض المستشار البشري لبعض المحطات المهمة في علاقة مصر والحركة الوطنية المصرية بالدولة



العثمانية: فبمعاهدة لندن ١٨٤٠ صار لـ"مصر" تاريخ شبه مستقل عن الدولة العثمانية حيث ضعف التأثير المتبادل، لكن الصلات الحضارية لم تنقطع بين إسطنبول والقاهرة. وظلت الحركة الوطنية المصرية تستقوي معنويًا بالدولة العثمانية ضد الاستعمار حتى عام ١٩١٤. وبعد معاهدة "لوزان" ونجاح أتاتورك في تركيا تعاطف معه المصريون العلمانيون.

وبعد ثورة ٢٣ يوليو، اتجهت تركيا إلى حلف الأطلسي لتأمين حدودها من الخطر الروسي الذي يهدد الأمن القومي لها، في حين كان الخطر الذي يواجه مصر هو إسرائيل مما أدى إلى توتر العلاقات مع الغرب الداعم لها. وأشار إلى أن الدرس المهم هنا هو أن تقسيم بلداننا إلى أقطار صغيرة أدى إلى تباين السياسات في حفظ أمن الجماعة الذي هو الوظيفة الأولى للدولة.

وفيما يخص مستقبل العلاقات العربية التركية، أكد المستشار البشري على ضرورة دراسة الأوضاع الأمنية العامة والمشاركة للخروج باستراتيجية واحدة جامعة.

تناول البشري مشكلة التجزئة والتقسيم وأشار إلى أن الأمة كانت دولة واحدة في عهد النبي ﷺ، ثم تحولت إلى دولتين في العصر الأموي والعباسي، ثم إلى ثلاث في العهد العثماني والصفوي والمملوكي، ثم تناثرت إلى ما آلت إليه الآن، وأن هذا التقسيم لم يعكس مصالحنا، وإنما عكس مصالح الدول الغربية والاستعمارية

داخل بلادنا، حيث وضعت حدود مصر الحديثة في مؤتمر لندن ١٨٤٠، وحدود الشام في مؤتمر "سايكس بيكو"، وحدود إفريقية في مؤتمر "برلين". وأشار إلى وقوف كثير من الدول الغربية في وجه أي محاولة عربية للوحدة ولو بين دولتين إما بالمؤامرة أو بالغزو المسلح. ومشكلة التجزئة هذه تعاني منها أيضا الحركات الإسلامية التي لا بد أن تكون اندماجية وليست مفتتة. فحل مشكلة التجزئة يكون بالتآزر.

وإذا كان المؤتمر على هذا النحو بمثابة تعريف بالشيخ "كولن" والحركة وموضعهما من حركات الإصلاح في العالم الإسلامي الآن، إلا أن الأمر يستلزم متطلبات أخرى بعد المؤتمر، وذلك على ضوء القضايا الكامنة في البحوث وفي المناقشات والتي تهم جمهور المسلمين، وتثير خلافاتهم، كما تبرز طموحاتهم وهم يسعون إلى إصلاح أحوالهم من داخلهم ابتداء، وتحت ضغط وتأثير الخارج وتدخله. ومن أهم هذه القضايا: الشورى، تطبيق الشريعة، الدولة الإسلامية، الخلافة، الجهاد، وحدة الأمة. إن العلاقة بين جميع هذه القضايا وبين عملية التربية الإيمانية والوجدانية والفكرية التي تمثل المنطلق والأساس يشع آثاره على جميع مجالات الحياة، تلك العملية التي تقع في قلب فكر الشيخ "كولن" وحركته، وكيفية تأثيرها على المجتمع والدولة في تركيا، ما زالت تستدعي منا مزيد تدبر لنؤصل مفهوماً جديداً من "السياسة" المأمولة في العالم الإسلامي؛ وهي السياسة التي يقع في قلبها "للإنسان الجديد" كما قدمه الأستاذ فتح الله كولن وكما تبذل الحركة "الخدمة" للوصول إليه، إحياء وتجديداً للأمة وللإنسانية.

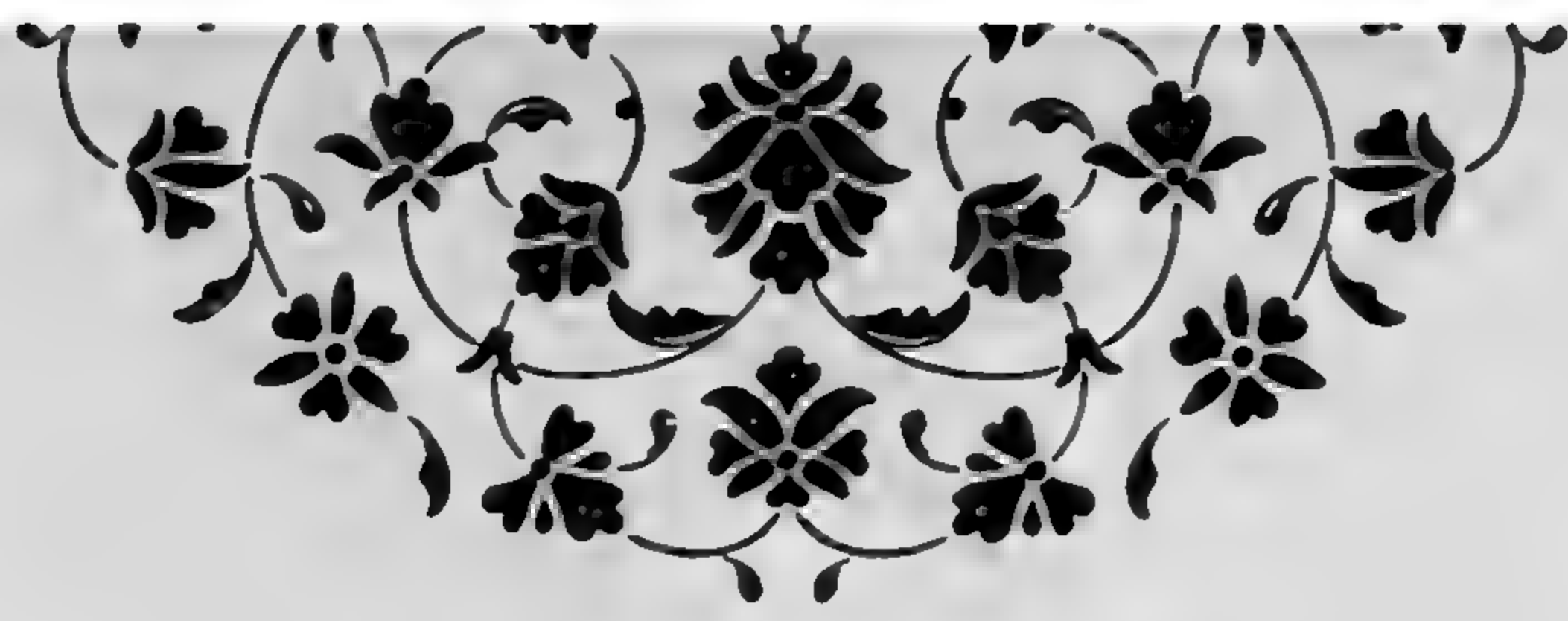




د. سيف الدين عبد الفتاح / مصر



د. سمیر بودینار /
د. لیونید سکیانان /



مقتبسات

من أروقة المؤتمر

د. سمير بودينار، مدير مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية بـ "وجدة" / المغرب

إن "حركة" الأستاذ فتح الله كولن ليست في الواقع حركة مركزية عضوية، ولا تنظيما ولا جماعة أو طريقة، حيث يفسر الأستاذ كولن نفسه المسار الذي مضت عليه دعوته وتأسيس المؤسسات الكثيرة بتأثير من تلك الدعوة بأن ما فعله هو أنه اقترح على الناس فكرة وأنهم يطبقونها بناء على "معقولة الفكرة". والدليل الواقعي على ذلك هو أن الرابط بين كافة مؤسسات تلك الحركة -بما فيها مؤسسات التعليم- هو الفكرة وحدها مع استقلال كل مؤسسة منها بشكل كامل.

إن المنظور الذي يحكم المنهج الإصلاحي للأستاذ "كولن" يقدم إطارا فكريا لحقل التعليم، وذلك في مستويات ثلاث تمثل مفاتيح في فهم خصائص المنظومة التربوية وعناصر نجاحها في عالم اليوم. وهذه المستويات الثلاث هي: خاصية الإنسان وبشكل أدق ما يسميه الأستاذ كولن "الإنسان الجديد"، وخاصية الإسلام، وخاصية المرحلة أو العصر. وتكمن أهمية هذه المستويات الثلاث في كونها العناصر الأساسية لفهم منظور الأستاذ "كولن" الإصلاحي الشامل، بما في ذلك مجال التعليم، وبالتالي فإن أي محاولة لفهم مشروعه الدعوي وتجلياته في حقل التعليم خاصة، لا يمكن إنجازها بمعزل عن إدراك تلك الأضلاع الثلاثة لمنظومة التغيير وفق ذلك المنظور.

أصبحت شبكة المدارس الواسعة التي أنشأها محبو الأستاذ "كولن" في مختلف أنحاء العالم تحقق مستويات عالية في مستويات



د. عمار جیدال / الجبال

التكوين والمردودية التربوية. وتبعاً لذلك أصبحت السمعة العلمية لبعض هذه المؤسسات تضاهي في سمعتها الأكاديمية بعضاً من أعرق المؤسسات التعليمية في العالم. وإذا كان هذا الأمر مفهوماً في بعض الدول النامية من العالم الثالث (تم منذ ثلاث سنوات في "ليبريا" فتح مدرسة وفي السنة الثانية أصبحت أحسن مدرسة في البلد)، نتيجة لحمل خبرات في التعليم من مختلف دول العالم؛ فإن الأمر لم يختلف كثيراً في دول معروفة بسعة تجربتها في مجال التعليم بما في ذلك تركيا نفسها المعروفة بجودة بعض مؤسسات التعليم فيها بشكل عام. وحين تتم دراسة تجربة هذه المدارس عن قرب فإن أهم الخلاصات التي يخرج بها الباحث أن لهذا النجاح أسباباً لا أسراراً، بمعنى أن هذا النجاح فضلاً عن النموذج الإنساني المتميز الذي يقف وراءه بجد واستماتة منقطعة النظير، فهو نجاح مستحق لجهد من الإعداد الفني والاستعانة بكل ما قد يساعد عليه من أسباب ووسائل وخبرات وتجارب، سواء منها ما يتعلق بالمستوى المادي من حيث البناء والتجهيز، أو ما يتصل بالأطر التربوية والإدارية، وخاصة معايير الاختيار ومسارات التكوين المستمر للمدرس، أو متطلبات العملية التعليمية من وسائل ومناهج.

د. عمار جيدل، كلية العلوم الإسلامية

جامعة الجزائر / الجزائر

حركة فتح الله كولن ليست تنظيمياً بالمعنى المشهور المتداول في الفضاء الحركي الإسلامي، ولكنها في الواقع "فكرة" قوامها فلسفة واضحة بيّنة عمدتها تشجيع ثقافة "الخدمة الإيمانية"، وكلّ ما أمّس (مدارس، جامعات، أسواق، مصانع، شركات، مستشفيات، مؤسسات إعلامية...) بناء عليها وفي مختلف الحقول (التعليم، التجارة، الصناعة، الإغاثة، الطب، الإعلام...) لا يربطه بباعث الفكرة في المجتمع التركي رابط تنظيمي عضوي، بل لتلك المؤسسات في إطار فكرة "الخدمة" مطلق الحرية في التحرك في الفضاء الذي

تتحرك فيه، وفق ما يسهل لها عملية التكيف التنظيمي والقانوني مع المعطيات القانونية التي تحكم المكان والزمان الذي تتحرك فيه مؤسسات "الخدمة". تقوم حركة فتح كولن على فكرة مركزية تُعرّف في أدبيات الحركة بـ "الخدمة الإيمانية". والخدمة الإيمانية فلسفة حركية مهمة ودستور للحياة، تجعل المؤمن في حركية دائبة؛ فهو في حركة عندما يعمل، وفي حركة عندما يرتاح.. الخدمة دعوة حركية شاملة تستغرق الإنسانية والأسرة والمجتمع والفرد في تكامل دائم. لهذا من مظاهر الخدمة أن نرى في العالم كلّ، وقبل ذلك في قرانا وأريافنا وقصباتنا عاملين على خدمة الخلق من منطلق إيماني. وإذا فرغنا مما بين أيدينا من خدمات، تعلّقت هممنا باكتشاف نوع أو مجال آخر للخدمة. لهذا فإن فكرة "الخدمة الإيمانية" حركية تتحرك في شعاب الحياة؛ فهي فكرة للتحقق والتحقيق، وليست فكرة للتداول الأدبي أو الوعظي بقدر يطلب أن تكون في التفاصيل اليومية لحياة الناس.

إذن، هناك أفكار مفتاحية في الأستاذ "كولن" وهي أن الحركة ليست تنظيمياً، بل هي "فكرة". وعندما نقول فكرة، فهذه لها دلالاتها العميقة؛ فهي غير قابلة للاستنساخ، بدليل أن الرجل لا تربطه أي علاقة تنظيمية عضوية بينه وبين مجموع المدارس والمؤسسات المعبرة عن هذه الفكرة في فضاءات كثيرة، فكيف لنا أن نتحدث عن الحركة بالمعنى التنظيمي؟ إذن هي فكرة بالدرجة الأولى. لهذا فهو يعمل على إدخال الأمة جميعها في دائرة تسمى دائرة "الخدمة"، من دائرة فارغة إلى دائرة الخدمة. فإذا دخل الناس إلى رحاب دائرة الخدمة، فدائماً يبحثون عن رحاب جديد من أجل أن يجسدوا الفكرة. عندما يمتلئ القلب بالخدمة الإيمانية يصبح فيها التعب كأنه مقصود، إذ عندما يكون الهدف عظيماً جداً يخفف عليك التخمل، لذلك الأستاذ "كولن" يريد أن يربط الأمة بفكرة مركزية هي فكرة "الخدمة الإيمانية"، أي أن يتحرك كل إنسان في الفضاء الذي هو فيه من أجل الخدمة

الإيمانية. وإذا أردت أن تحصل فكرة الرجل لقلت فتح الله كولن يساوي الخدمة الإيمانية. فضلاً عن ذلك، الأستاذ "كولن" يقر بأن الخدمة الإيمانية طريق عمومي، لذلك هو يشجع كل من سلك هذا المسلك، لأنه مسلك عام، ولا يريد أن يكون بديلاً عن أحد، ولا بديلاً لأحد.

د. أماني صالح / مدرّسة العلوم السياسية في جامعة مصر الدولية / مصر
إن سيرة الأستاذ فتح الله كولن تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك قضية محورية في المنظور الإسلامي وهي الصلة الوطيدة بين صلاح الفرد وصلاح الأمة. إن صلاح الأمة يبدأ بصلاح الفرد قائداً، وينتهي بصلاح الأفراد من آحاد الناس. ومدخل صلاح الفرد المؤدي إلى صلاح الجماعة هو درس إسلامي أصيل بدأ بسيرة الرسول ويمر بعشرات السير الرائعة إلى سيرة الأستاذ "كولن" التي نتعرف عليها اليوم. سيرة الأستاذ "كولن" تثير قضايا تربوية عديدة في زمن صار فيه الجميع ينعي أجيالنا الصاعدة؛ ومن بين تلك القضايا محورية المثل الأعلى في بناء وجدان ونفسية وطموح الأطفال والشباب.

د. إبراهيم البيومي غانم، أستاذ العلوم السياسية في جامعة القاهرة / مصر
مبلغ القول أنني حاولت أن أرسم -بالكتابة- بعض الملامح العامة لرجل يلقيه الأثر "خوجة أفندي" (السيد الأستاذ) تعبيراً عن عميق تقديرهم واحترامهم له، ونادراً ما يستخدمون لقبه العائلي "كولن"، الذي يعني بالعربي "البسّام"، وأكثر ما يثير الدهشة هو أنك ترى البسمات والضحكات لا تفارق محيّا تلامذته ومحبيه، وهم يعملون ليل نهار بجهد وعزيمة لا تفتر؛ أما حضرة "خوجة أفندي البسّام" فلا يزال يبكي بعد أن جاوز السبعين بكاءً وهو في العشرين؛ يبكي أحوال أمته والإنسانية، ولا يزال يتضرع إلى الله تعالى ويسبح بحمده، وقد وهن العظم منه واشتعل الرأس شيباً.

يحرص تلامذة الأستاذ فتح الله كولن ومحبه على إنكار ذواتهم عند الحديث عن "الإنجازات" التي يحققونها في شتى المجالات داخل تركيا وخارجها، ويرون أن الفضل بعد الله ﷻ، إنما يرجع إلى توجيهات وإرشادات "خوجة أفندي"، أي الأستاذ كولن. بينما يرى هو عكس ذلك، ويؤكد على أن الفضل لله أولاً وأخيراً، وأن من كرم الله عليه وعليهم، قيامهم (هو وهم) بالخدمة. وتشمل هذه الإنجازات عشرات، بل مئات "المؤسسات" والمشاريع والبرامج التي تغطي مجالات: تربية النشء وتعليمه، والإعلام والفنون والثقيف العام، والعلاج والرعاية الصحية، ومحاربة الفقر ومساعدة ذوي الحاجة، وأعمال الإغاثة والمساعدات الإنسانية، والحوار بين أتباع الديانات وأبناء الحضارات والثقافات المختلفة.

د. أحمد الطيب، رئيس جامعة الأزهر / مصر
الأمر الذي لا ريب فيه هو ضرورة التجديد، بحثاً عن الإجابة على أسئلة من قبيل من نحن؟ ومن الآخر؟ وكيف نحاوره ونصمّد أمامه؟ ولعل مركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافات بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة يجد متسعاً في رحابه لانطلاقة موفقة في



مجال مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي، والبحث في حركة الأستاذ فتح الله كولن التركية، ولعله يجد فيها المفتاح الضائع لهذه القضية المغلقة التي قد ضل مفتاحها.

د. محمد عمارة، المفكر والكاتب الإسلامي / مصر

لأن العقل -في حضارتنا الإسلامية- هو نور أودعه الله في القلب... ولأن العلامة الأستاذ فتح الله كولن هو ثمرة طيبة من ثمرات هذه الحضارة، فلقد جمع بين حكمة العقل وبصيرة القلب...

ولأن القرآن الكريم هو الذي صاغ منهاجه في الفكر والحياة، فلقد صار كلمة طيبة، أصلها ثابت، وفروعها ممتدة، تؤتي أكلها كل حين بإذن الله...

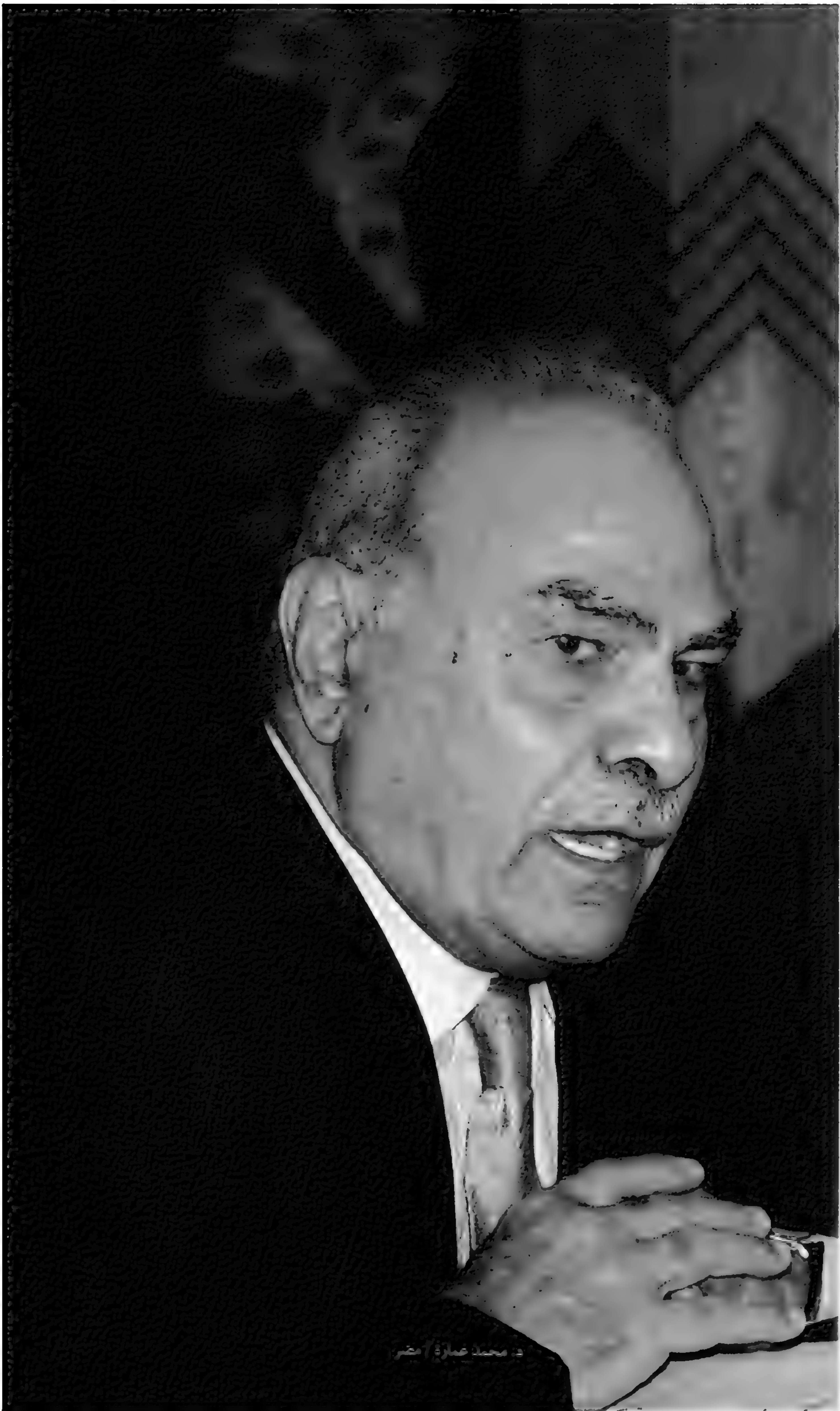
ولأن الوحي القرآني قد قرن دائماً بين الإيمان والعمل، فإن كلمات هذا العالم الرباني قد تجسدت -به وبإخوانه الكرام- أبنية شاهقة، وحياة خصبة، تزدهر بها كثير من بقاع هذا الكوكب الذي نعيش فيه. مد الله في عمره... وبارك في عطائه... ونفع به... آمين.

عبد الله محمد عرفان، كلية التجارة، جامعة الأزهر / مصر

يقترّب الشيخ فتح الله كولن من معالجة قضية التنمية والفقر بمقتربات غير تقليدية من جهة شمولها وفعاليتها وحركيتها، فهو يقوم في البداية بإعادة تعريف الفقر بإدماج الأبعاد المعنوية والروحية والفكرية به، ليحقق التوازن بين الروح والمادة، ويصبح مثلما هناك فقر في المادة، يكون هناك فقر في الروح كما قد يكون هناك فقر في الفكر أيضاً. وكما أن فقر المادة بحاجة إلى مكافحة وتنمية، فإن فقر الروح والفكر بحاجة إلى تنمية أيضاً. ويحدد "كولن" المشكلة في الأفكار وفي علاقة الأفكار بالحركة، ولهذا فإنه يحاول أن يعيد جلاء أوجه الفعالية في المفاهيم الإسلامية التي ألهمت قلوب الصحابة الكرام وألهمت فكرهم وحركتهم فحققوا ما حققوه من مجد وعظمة خالدة، مثل مفهوم الاستخلاف والتدبر والفهم والجهاد والقدر والإرادة والمسؤولية والتضحية؛ فمن خلال شعور الإنسان بحقيقة استخلافه في الأرض وحقيقة دوره فيها وعلاقتها بالآخرة، تنضبط علاقته بالكون بكل مشتملاته من بشر وحيوان وجماد. كذلك، فإنه يشعر بالحاجة إلى التدبر والفهم لهذا الكون بغرض التعرف على الله ﷻ ويقصد التعمير في الأرض، ويتطلب هذا جهاد مستمراً وواعياً للنفس، ومجاهدة مستتيرة للصعوبات والمشاق ومحاربة للكسل والدعة بقوة الإرادة التي تتغذى دوماً بمزيد من الشعور بالمسؤولية تجاه النفس والعالم.

د. ناهد عز الدين، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة / مصر

الحركة التي أسسها فكراً وحدد لها خط السير والمنطلق والمنهج والمرجعية الأستاذ فتح الله كولن، تتميز بدرجة رفيعة من التوازن. فهي تراعي بدقة وسلاسة معادلة الدين والدنيا، وتمزج بين الروحانيات والسمو الخلقي والمعنوي من جانب، والعقلانية والواقعية والمنطقية العلمية من جانب آخر، حتى يبدو كل من الجانبين وكأنهما جناحان متكاملان للحركة يجمعهما الانسجام والتآلف أكثر من التعارض أو التناقض. وكأن العلاقة بين الدين والعلم هي نفس



د. محمد عمارة / مصر

استقلالية يعتد بها عن شخص الأستاذ المنتج له، وخرج عن نطاق الشخصانية (وهي مرض من الأمراض شبه المزمنة التي أصابت الحركات وعطلت المؤسسات في كثير من مجتمعاتنا العربية والإسلامية عن النمو والتطور فاخفت باختفاء الأب المؤسس) ليكتسب وجوده وكيانه المستقل، ويستمد قوته من قوة الفكرة ذاتها، وليس من ذات المفكر. وعليه، لم يعد السؤال حول المآل مبعثا لكثير من اللغط، وليس ثمة غموض كبير يحيط باستمرارية التجربة وقدرتها على البقاء تحت أي ظروف أو مستجدات. فالمشروع ماض في طريقه ويزداد حضوره قوة أيا كان مصير الأشخاص، وهم في نهاية المطاف بشر زائلون.

د. عالية المهدي، عميد كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة / مصر

يشدد العديد من المفكرين والمثقفين من المتمين إلى الدائرة العربية والإسلامية على أهمية مراعاة الخصوصيات الثقافية للمجتمعات التي تطبق فيها برامج الإصلاح، وذلك على ضوء برامج الإصلاح والتجديد التي يقدمها الفكر الإسلامي التراثي والمعاصر، وكذلك على ضوء خبرة الحركات الإصلاحية المتنوعة التي شهدتها العالم الإسلامي عبر القرنين الماضيين، وتأثرت كل منها من حيث طبيعتها ونتائجها، بالزمان والمكان. وهنا مكن التميز في دراسة حركة فتح الله كولن في النصف الثاني من القرن العشرين؛ فهي حركة اجتماعية ذات مرجعية إسلامية راعت مقتضيات الزمان والمكان، حيث نشأت في ظل نظام سياسي علماني، ولكن ساعدت الأطر القانونية والديمقراطية في تركيا في تحقيق فعالية هيئات المجتمع المدني باختلاف مرجعياتها. ومن ثم استطاعت حركة فتح الله كولن أن تقدم في هدوء وسلاسة أفكاراً عملية نجحت في تطبيقها داخل البلاد وامتد تأثيرها إلى الخارج؛ متحدية ومتخطية المعضلة الدائمة بشأن العلاقة بين الفكر والحركة، بين النظرية والتطبيق.

علاقة وجهي العملة الواحدة. والفضل في ذلك يعود إلى أسلوب الطرح ومنهجية التفكير وأعمال العقل التي اختارها المفكر المؤسس وأسهم في صياغتها من بين بدائل وخيارات أخرى عديدة كان من الممكن أن تقود من يأخذ بها لنتائج عكسية تماماً.

على نفس المنوال، توازن الحركة -بعبارة الذهب كما يقولون- بين الفرد والجماعة والمجتمع الأوسع. فكل يجد له مكاناً ودوراً، وكل يحمل أمانة؛ فلا فردية تذهب لحد الأنانية، ولا ترجيح لكفة الجماعة يقهر الفرد، ويلغي إبداعه، ويصادر على تميزه واستقلاليته وكرامته، ولا إغفال للمصالح العليا للسياق المجتمعي الأوسع الشامل والمحيط بكليهما. وقد تجلّى ذلك عبر تسليط الضوء الكاشف عن الوجه الإنساني للإسلام، فهو إسلام الأمة وإسلام الجامع وإسلام الرسالة العالمية الموجهة خطابها إلى البشرية بأسرها وإلى الجميع على السواء ودون استثناء، وقوامها الرحمة والعدل والتسامح ورحابة الصدر وسعة الأفق والعطاء والبذل بلا شروط ودون انتظار مقابل.

إجمالاً، جاءت الحركة في وقتها المناسب والمثالي تماماً لتملاً فراغاً شاسعاً، وتلبي احتياجا ملحاً، وتطرح "البديل". والشاهد أنها تجربة حية، ومؤسسات تتحرك وتعمل كخلية النحل، وتوسع من دوائر ومساحات ورقعة حركتها لتغطي بقاع الأرض. وهي بذلك تحل عقدة غياب البديل الملائم، وافتقار البدائل المطروحة على الساحة للصلاحيّة والمواءمة والقابلية للتطبيق، والتي من شأنها أن تجعل تبني أي منها مخاطرة أو مغامرة غير محسوبة النتائج، فهي جميعها لم تغادر مرحلة كونها رهن الاختبار.

لفت أنظارنا كذلك مستوى النضج المؤسسي كملمح آخر مميز للتجربة وعلامة على تفوقها واجتيازها مرحلة التأسيس من أعلى والمبادرة الشخصية التي قام بها فرد أو مجموعة المحيطين به، وبلوغها محطة المأسسة بما يضيف عليها معالم الاستدامة والاستمرارية. فالمشروع الفكري أنجز



أ.د. طارق البشري / مصر

د. حسن أبو طالب، مستشار مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام / مصر

عن حركة فتح الله كولن يمكن القول إنها تبدو كتنظيم وفي الوقت نفسه لاتنظيم. فمن شروط التنظيم الانضباط ووضوح القيادة، ومن علامات اللاتنظيم انفراط العقد وترهل القيادة، بل وغيابها. ففي حركة فتح الله كولن التركية لا يوجد تنظيم بحسب ما رأينا، بل حركة اجتماعية تقوم على مبادئ إيمانية نظر لها وصاغها فتح الله كولن نفسه، واقتنع بها محبوه الذين أصبحوا مرجع النظام العام للحركة. إذن نحن أمام نظام متكامل فكري وسلوكي يتداخل مع درجة عالية من الانضباط ووضوح الدرجات في التعامل بين العناصر المشكلة للحركة والنظام معا. وفي أحد الأوصاف فهي شبكة علاقات ومؤسسات متداخلة ومستقلة في آن واحد.

جوهر الحركة في شقها السلوكي هو "الخدمة" - ذلك التعبير الذي صبَّه الأستاذ كولن- والتي تستهدف تغيير أحوال البيئة المعاشة، وهي الجامع بين القادر والمحتاج، بين صاحب المال وصاحب الحركة وصاحب الفكرة. بهذا المعنى فإن الخدمة هي نظام التفاعل بين الفرد والجماعة والحركة، هي أساس التناغم بين الفرد كأحد أعضاء المجموعة وبين الهدف الأكبر وهو إصلاح حال الأمة الإسلامية على امتداد وجودها المكاني الجغرافي، كمقدمة لإصلاح حال الإنسانية. وكل من تعرفنا عليهم في "الخدمة" يشعرون بأنهم يؤدون رسالة إيمانية بالدرجة الأولى، واجتماعية مدنية بالدرجة الثانية، وأنهم جميعاً أصحاب قدر واحد، ومن هنا حالة التضامن الشديدة بينهم.

في حركة "كولن" يعد مفهوم الحوار دعامة أساسية، ليس كلقاء عابر، بل كمنظومة عمل وحياة، وبما يعكس التعددية التي يحترمها الإسلام والتي هي سُنَّة من سنن الطبيعة التي خلقها الخالق سبحانه من أجل النظر والتدبر والتأمل في عظمة الخالق. ومن مؤسسات الحوار هناك "مؤسسة أبانت"، ووقف

الصحفيين والكتاب، مع ملاحظة أن تركيا اعتادت لفترة طويلة العلمانية الإقصائية للدين، فكان طرح الحوار كمبدأ ومأسسته هو من نوع التعامل مع العلمانية وتحيدها وصولاً إلى استيعابها في مرحلة لاحقة يحدث فيها التمكن، وهو ما نجد بشائره في المجتمع التركي الراهن.

كان يلح علينا أن نعرف هل تلعب الحركة في السياسة أو تتدخل في توجهات الناخبين، فقول: "لا شأن لنا بالسياسة، نحن فقط نربي ونعلم ونتحاور ونترك الاختيار لكل فرد في "الخدمة" أن يصوت لمن يراه مؤمناً وملتزماً وقادراً على خدمة الوطن والدين معاً". وتلك بدورها قمة السياسة لكن بلا استفزاز.

المستشار طارق البشري / مصر

إن المشكلة في عالم الإصلاح اليوم ليست عدم وجود الأفكار والمشروعات الإصلاحية، ولكن المشكلة في الحركة ذاتها، وتحويل هذه الأفكار إلى مشروعات عملية، وهذا ما يميز تجربة فتح الله كولن التركية.

د. فائدة شاكر، أستاذة جامعية متخصصة في علم الاجتماع السياسي / السعودية
لا شك أن الأستاذ فتح الله كولن يدلنا على طرف الخيط... ولكن هل نحن مستعدون حقيقة أن نمسك به ونخوض التجربة... تجربة "التربية الوجدانية" و"الخدمة الإيمانية" كما يسميها هو؟

ويبدو دور التنشئة الاجتماعية واضحاً وقوياً في التكوين الإنساني والوجداني لشخصية الأستاذ "كولن".. كما وضحت أهمية التربية الوجدانية جنباً إلى جنب لدى الإعداد العلمي والفكري المنفتح على كل مجالات العلوم. هذا الإعداد وتلك التربية هي التي أنتجت إنساناً اتجهت كل مشاعره وحواسه ونبضاته فكراً وروحاً صوب شخص "الإنسان الكامل". فتبدو شخصية الأستاذ كولن كشجرة طيبة... ضاربة جذورها في أرض وزمن النبوة والصحابة، وممتدة إلى الفضاء الكوني الفسيح، تؤتي ثمارها لكل

من أمده الله بالاستعداد لتذوق هذه الثمار.

الدكتور محمد عمارة يرى في تجربة فتح الله كولن منعطفا تاريخيا مبشرا، وهي بالفعل كذلك. ولكن ما هو دورنا نحن الآن؟ هل سيقصر على المؤتمرات والندوات؟ ما هي الخطوات التالية لهذا الملتقى الحيوي والملهم بالأفكار والمحرك للأمل الذي يكاد أن يطفأ في النفوس؟

إن الغرب يفتح ذراعيه لفكر وحركة الأستاذ "كولن" قبل العرب، لماذا؟ بعيدا عن نظرية المؤامرة التي نتخذها درعا للتفوق، فلنجابه الواقع؛ إن الغرب يفتح ذراعيه لكل ما يمكن الاستفادة منه ماديا، علميا، فكريا، وأيضا روحانيا. والإنسان الغربي، وخاصة الأمريكي، يعاني من حيرة نفسية وفراغ روحاني كبير لم تشبعها المكاسب العلمية والمادية معا. ظل يبحث عما يملأ هذا الفراغ ويجلي هذه الحيرة. وقد وجدوا الكثير من الإجابات في عالم الأستاذ فتح الله كولن، كما وجدوها وما زالوا في فكر الإمام محمد عبده وغيره من العلماء ممن اجتمع لديهم العقل والوجدان معا. أرى ألا نسجن أنفسنا في هذه الحركة والاكتفاء بوجودها، أو أن نرى فيها ردا لاعتبارنا الإسلامي المجروح. كما أرى ألا نسجن هذه الحركة في حدود أطرنا الفكرية والنفسية المشبعة بالخوف والإحباط واليأس. أرى أن تفجر الحركة فينا الطاقات، وتشحذ فينا الأمل واليقين بأن هذا القرن هو بالفعل قرن الإيمان. يجب أن يكون هذا القرن قرن إعادة اكتشاف الذات الإسلامية وإبتكار رؤى مكملة للعمل والخدمة الإيمانية كمسلك خاص وعام.

د. جيل كارول، الولايات المتحدة

لقد أتيت من الغرب وأنا مهتمة للغاية بمعرفة كيف سيكون رد فعل العالم العربي لحركة الأستاذ "كولن" ومنظورهم عموما بشأن الغرب. لقد سمعت الأمر واليوم السابق كثيرا من المداخلات تعكس تشككا من حركة "كولن" بسبب نجاحها في الغرب. وقد كنت شاهد عيان للعديد من المبادرات التي قامت بها الحركة في

الولايات المتحدة، لأنني كتبت كتابي الخاص بالأستاذ فتح الله كولن، وكان لي الشرف أن أتجول عبر الولايات المتحدة، وكندا، وأوروبا، وتركيا وأماكن مختلفة من العالم. ولكن خصوصا فيما يتعلق بالمبادرات التي قامت بها الحركة في الغرب وفي ما يقارب (٤٠) مدينة بالولايات المتحدة وكندا وبعض أجزاء أوروبا. وعبر الأماكن المختلفة التي تنشط بها الحركة هناك، أود أن أوضح لماذا نجحت الحركة في الغرب. أظن أن هناك تفسيرات تجيب على هذا التساؤل. وتلك التفسيرات تتعلق بمواقف الأستاذ "كولن" إزاء دور الدين وأهدافه، وكيف يحقق تلك الأهداف، باعتبارها أفكارا ذات أهمية مركزية لفكر الأستاذ "كولن". فهو يقول: إن الدين أي دين لابد أن يتوجه إلى الأبعاد غير المتغيرة من حياة الأفراد، تلك الأمور التي تتعدى حدود الزمان والمكان والخبرات البشرية النسبية. فهذا هو المجال الذي يتحرك فيه الدين ويتركز فيه. إن كل دين -بما في ذلك الإسلام- يقدم بالتأكيد خطوطا عامة لكيفية أداء الدولة لأعمالها والهيكل السياسية بها، ولكنه لا يقوم بتقديم نموذج محدد وثابت للنظام السياسي يتعدى حدود الزمان ويصلح لكل المجتمعات، بل يقدم في المقابل خطوطا عريضة، بناء على الطبيعة الأبدية وغير المتغيرة للخبرة الإنسانية. وهذا يوفر خلفية عامة من القواعد للعديد من الهياكل المجتمعية والسياسية تصلح لمختلف بقاع العالم ومختلف الأزمنة والمجتمعات البشرية، بحسب الظروف والملابسات والمحددات الثقافية النسبية التي نجد أنفسنا داخلها عبر الزمن.

وهذا ما يوضحه الأستاذ "كولن" بشكل صريح، فهو لا يتبنى بمحاضراته ومواعظه وكتبه المفهوم الغربي للفصل ما بين الدين والدولة، ولكنه مع ذلك، يتناسب فهمه لدور الدين مع نفس الأسلوب الذي يمارس به في بعض المناطق بالغرب؛ فالغرب متنوع في داخله ولا يمثل كتلة واحدة صماء، كما هو الإسلام كذلك. فدور الدين في بعض المناطق



د. جيل كارول - الولايات المتحدة

كيفية تحقيق "الخلاص"، ولابد أن نبقى المجالين منفصلين ليحقق كل منهما أهدافه، ثم نترك كلا منهما يتفاعل حين يحيد أي منهما عن الطريق الذي يؤدي من خلاله مهمته.

هذا المنحى الفلسفي مختلف تماما عما عليه الحال في فرنسا وأثناء فترة من تاريخ تركيا، وقد حققت حركة "كولن" قدرا كبيرا من النجاح في الغرب لهذا السبب؛ وهو أنها تفهم أن دور الدين هو تركية للأفراد، وأن هذا يحدث فقط حينما يعيش الناس - جماعات وأفراد - هذا الإيمان/الفضيلة بشكل فعال. ومن ثم يقوم هؤلاء "المجانين" كما وصفهم أحد المشاركين بالأمس نقلا عن الأستاذ "كولن"، بتأسيس مبادرات للمجتمع المدني، وتوحيد الناس جميعا على مبادئ هي بالتأكيد فاضلة. فهذا هو الشاهد الحقيقي للإيمان، وهو ما يحفز الآخرين لتبني تلك القيم الإنسانية العميقة في قلوبهم وأفكارهم.

في أوروبا شديد الاختلاف عن الولايات المتحدة، فهناك أنواع متعددة لممارسة "العلمانية"، وليس هناك نوع واحد من العلمانية. نجد مثلاً في فرنسا وفي فترة من تاريخ تركيا نموذجا مختلفا للممارسة العلمانية باعتبارها فلسفة تشكك في الدين ابتداء، وتنتهي بالعداء له. لكن هذا النموذج ليس الوحيد القائم في العلمانية الغربية، وليس النموذج المطبق في الولايات المتحدة. فنحن لا نمارس هذا، بل نراه في المقابل أمراً مشكلاً. إن الجذور الفلسفية لمفهوم العلمانية في الولايات المتحدة تعود إلى كتابات الفكر الإنجليزي "جون لوك" في القرن السابع عشر، وهو يرى أن الدولة والدين يعملان في مجالين أو مملكتين مختلفتين؛ فالدولة تتمثل أهدافها في حماية الأفراد من الأضرار وتحصينهم ضد الأعداء، والتفاوض حول معاملات الأفراد المالية مثل تحويل الملكية والأعمال التجارية، فهذا هو دور الدولة. ودور الدين هو أن يرشدنا إلى

د. باكينام الشرقاوي، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية،
جامعة القاهرة / مصر

يقوم الحوار عند فتح الله كولن بشكل كبير على إعلاء قيمة التسامح وتخطي العقبات، ونسيان الماضي الأليم إذا كان هناك خبرات تاريخية كبرى، وهذا منهج للتقارب. وقد ينظر البعض إلى هذا المنهج على أنه منهج تقل فيه المصارحة/المكاشفة/الشفافية، ولكن إذا ما نظرنا إليه في إطار البيئة التي ظهر فيها والضغط والقيود التي يفرضها المناخ التركي وأيضاً العلاقة مع الغرب بشكل عام، نجده في النهاية محاولة لتقريب الفجوة ما بين أطراف للحوار ليسوا في النهاية متساوين في القوة. أعتقد أن منهج الحوار نفسه، والتركيز على التسامي على الخلافات مع التكريس على القاسم المشترك حتى ولو كان ضئيلاً.. أعتقد أن هذا منهج هام جداً، بالذات في سياق معين يكون فيه الأطراف غير متكافئين بحساب موازين القوة بشكل كبير. كما أنه فكرة قائمة على الدعوة، ودائماً فكرة الدعوة لا تسعى لهزيمة الطرف الآخر المتحاور وطرحه أرضاً، بقدر ما تسعى لإحداث عملية تغيير مشتركة ما بين كافة الأطراف طويلة المدى. ربما أنا أنظر نظرة أخرى لفكرة التعايش، وأعطيها بُعداً أكثر إيجابية؛ فهي ليست فقط عملية تعايش بين الاختلافات، ولكن أراها عملية طويلة المدى تسعى لإدخال الأفراد في عملية تغيير مشتركة على هذا الأمد من خلال تغيير هذا الواقع. يعني قراءته في البداية قراءة واقعية سليمة من أجل إنزال الواقع على الفكر حتى يأتي الفكر مواكباً مع الواقع قادراً على تغييره فيما بعد.

أعتقد أن كلمة السر في نجاح حركة الأستاذ "كولن" ليس فقط في تبنيها لقيم الإخلاص والتضحية.. إلخ، فهي في غاية الأهمية، ولكن أعتقد أنها أيضاً في فكرة الموازنة بين كثير من الثنائيات التي تحكم حياتنا المعاصرة في العالم العربي بشكل خاص والعالم الإسلامي بشكل عام، بين العلمي والديني، بين العلماني والديني، بين الشرقي والغربي، بين القلب

والعقل، بين الوجداني والمنطقي.. فكرة التوازن ما بين هذه الثنائيات مع إعلاء قيمة العمل، أعتقد هذا هو مفتاح السر في تجربة "كولن"، وفكرة أن الحركة ربما تكون هي الدافعة للفكر، وأظن هذه نقطة تميز هذه الحركة بشكل أو بآخر.

طوال المؤتمر كثر الحديث عن أن هذه الحركة تبتعد عن السياسة، وأنها ترفض المنطق التفريقي النزاعي الصراعى الذي تمليه السياسة. هذا صحيح إذا ما تبينا التعريف الضيق للسياسة باعتبارها الحكم، الدولة، الوصول إلى السلطة.. إلخ. ولكن إذا نظرنا إلى السياسة باعتبارها ما يرتبط بكل ما هو حياتي ويومي ويشكل النمط العام للحياة، فهذا هو ما أعتقد أنه السياسة، ولكن بمفهوم أشمل. ولو تبينا هذا المفهوم، أرى أن هذه الحركة تتعامل بالسياسة. وفي النهاية إن التغيير يأتي من الفرد ثم المجتمع، ثم يخلق مناخاً عاماً؛ فالهدف ليس مخاطبة الدولة، ولا تغييرها، ولا تحديها، بقدر ما هو التأثير على المجال العام وتغييره بشكل تدريجي، وأنا في رأيي، هذه هي السياسة بمعناها الشامل والأوسع. عندما أقرأ الأخبار والتطورات في تركيا، أجد نفسي أمام سيمفونية رائعة، وكيف أن هذه الحركة توازن ما بين الواقع والفكر. في رأيي إنها ممارسة تقود إلى تغيير المناخ العام في تركيا، هي لا تطمح إلى أهداف صادمة أو طموحة أو راديكالية بقدر ما تسعى في هدوء وسلاسة وذكاء وحكمة وصبر إلى خلق مناخ جديد. ولا يجب أن نهون من فكرة خلق المناخ، فهو بداية لتغييرات هامة. أيضاً تقديم الأستاذ "كولن" لرؤية أشمل؛ مثلاً

يعتمد المفاهيم التي يتبناها الآخرون، ويبدأ في إعطائها مضامين جامعة بينه وبينهم؛ فكرة الديمقراطية، فكرة الحداثة، والتحدث عن الديمقراطية على أنها نظام رفيع، ولكنها في النهاية تحتاج إلى الإسلام، لأن الإسلام أقدر على تلبية الاحتياجات الروحية، فهو مكمل للديمقراطية؛ وفي الواقع السياسي أن الديمقراطية هي التي حمت الإسلام وحمت المشروع

منه من غير ان يكون له نصيب من الثروة
التي هي ملك للمجتمع ككل

وهذا هو المبدأ الذي يجب ان نلتزم به
في كل وقت

وهذه هي الفكرة التي يجب ان نلتزم بها
في كل وقت

وهذه هي الفكرة التي يجب ان نلتزم بها
في كل وقت

بأنه لا بد من ان يكون للمجتمع نصيب
من الثروة التي هي ملك للمجتمع ككل

وهذه هي الفكرة التي يجب ان نلتزم بها
في كل وقت

وهذه هي الفكرة التي يجب ان نلتزم بها
في كل وقت



د. عبد الحليم مدكور / مصر

د. محمد سليم العوا / مصر



أذهانهم ويحملهم على تصديقه. إذا استطاع أحد أن يبلور هذه الأحلام، يستطيع أن يحرك هؤلاء الرجال. فصناعة الرجال هي عصب هذه التجربة، وهي عصب أي تجربة، وليس المال والمؤسسات فحسب.

د. هدى درويش، جامعة الزقازيق / مصر

بعد الجولة التي أخذناها في منظومة حركة فتح الله كولن الموجهة إلى الإنسانية والإصلاح والتجديد في الفكر الديني المعاصر، أدركنا أن هدف الحركة الأسمى هو إنشاء إنسان جديد بفكر جديد يستطيع الموازنة بين العقل والقلب، والثابت والمتغير، وأن ذلك الهدف كان القاعدة الحصينة الراسخة وراء نجاح حركة المفكر الإسلامي فتح الله كولن في تكوين مدرسة إنسانية عالمية قائمة على أسس أخلاقية وقيم عليا.

د. عبد الحميد مذكور، كلية دار العلوم

جامعة القاهرة / مصر

ما يحدث عادة هو أن الفكرة تتحول إلى شخص، وعندما يُضرب الشخص تسقط الفكرة وينتهي الأمر. على عكس ذلك، ما حدث عند الأستاذ فتح الله كولن هو أن الشخص تحول إلى فكرة.. فحركة.. فواقع.. فحركة مؤسسية في مختلف نواحي الحياة تقدم تصورا صحيحا للإسلام بجوانبه المتعددة العملية، وليس التجريدية.

د. هبة رؤوف عزت، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية،

جامعة القاهرة / مصر

لقد لفت نظري في أسفار مختلفة ومن خلال التلاقي مع شباب من العالم التركي أمر أعتقد أنه هو جوهر حركة الأستاذ فتح الله كولن وما يميزها عن حركات كثيرة. ويمكن أن يوجز هذا الأمر في كلمة واحدة وهي "الأدب"، ويعني ذلك استعادة البعد الأخلاقي الذي تتأسس عليه أي حركة اجتماعية أو حركة سياسية.. أي صياغة الإنسان صياغة تجعله نموذجا لكل المعاني التي يمكن أن يدركها الإنسان من القراءة متجسدة في أفراد هذه التجربة، كل فرد على حدة؛

أخرى؟ لأن خطاب فتح الله كولن يخاطب مخاوف الغرب بلغة يفهمها، وفي نفس الوقت لا يتخلى عن الثوابت الإسلامية، وهذه براعة يجب أن تشهد له. أضف إلى أنه امتلك المؤسسات والرؤية التي توصل فكره؛ وذلك لأن كثيرا مما طرحه الأستاذ "كولن" تم طرحه فيما بعد من قبل كتاب إسلاميين كثيرين، ولكن لماذا كان له هذا الصدى في الغرب؟ إنه نتيجة للبعد الحركي لفكره، لأن هناك المؤسسات، الطباعة، الفضائيات، الإصدارات، المدارس... كل هذا استطاع من خلاله أن يوصل فكره بشكل أقرب إلى الغرب. وفي النهاية أقول إن اختيار طريق الحوار، هو الاختيار الأصعب، لأنه يحتاج إلى تكامل الأدوات وتوظيفها في الواقع، واللعب على الفرص التي ي طرحها الواقع، وتلافي قيوده؛ ورغم أنه الأصعب، يظل هو الخيار الأنجح لتحقيق أي مشروع إصلاحي في المستقبل.

أيمن شحاتة، باحث وممارس في مجال التنمية

الاجتماعية والاقتصادية / مصر

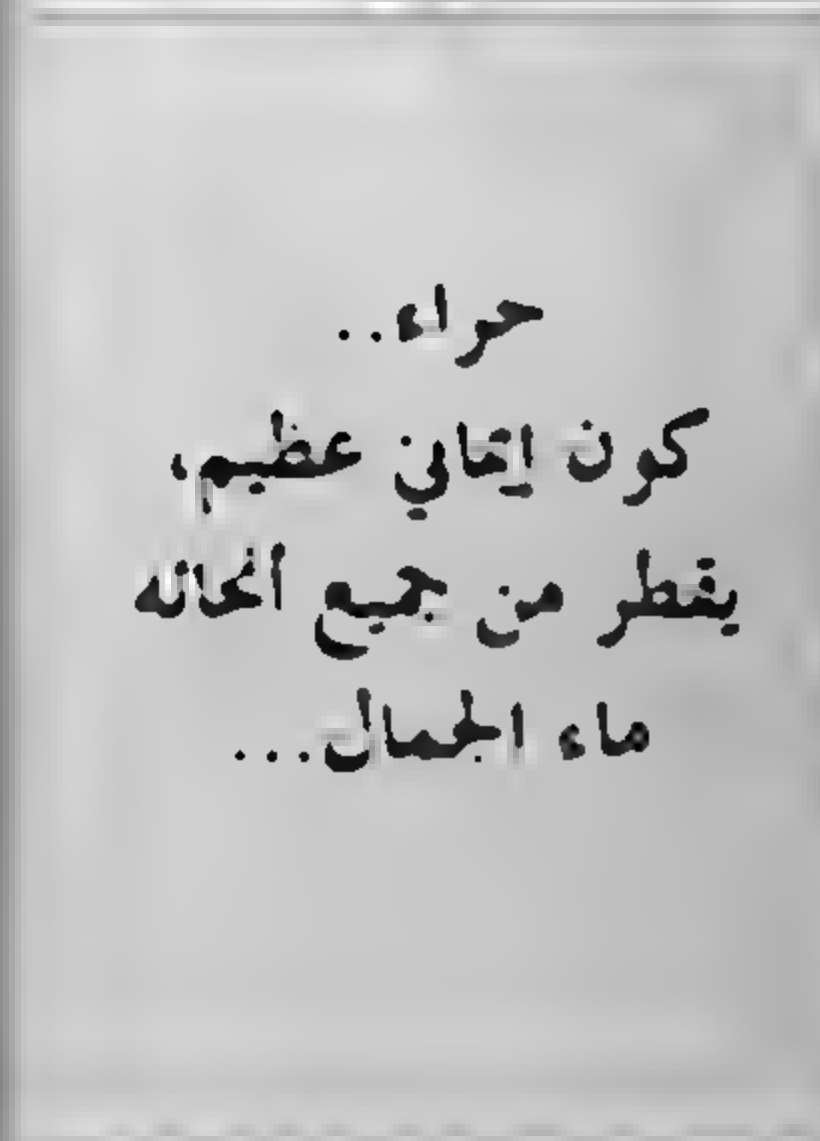
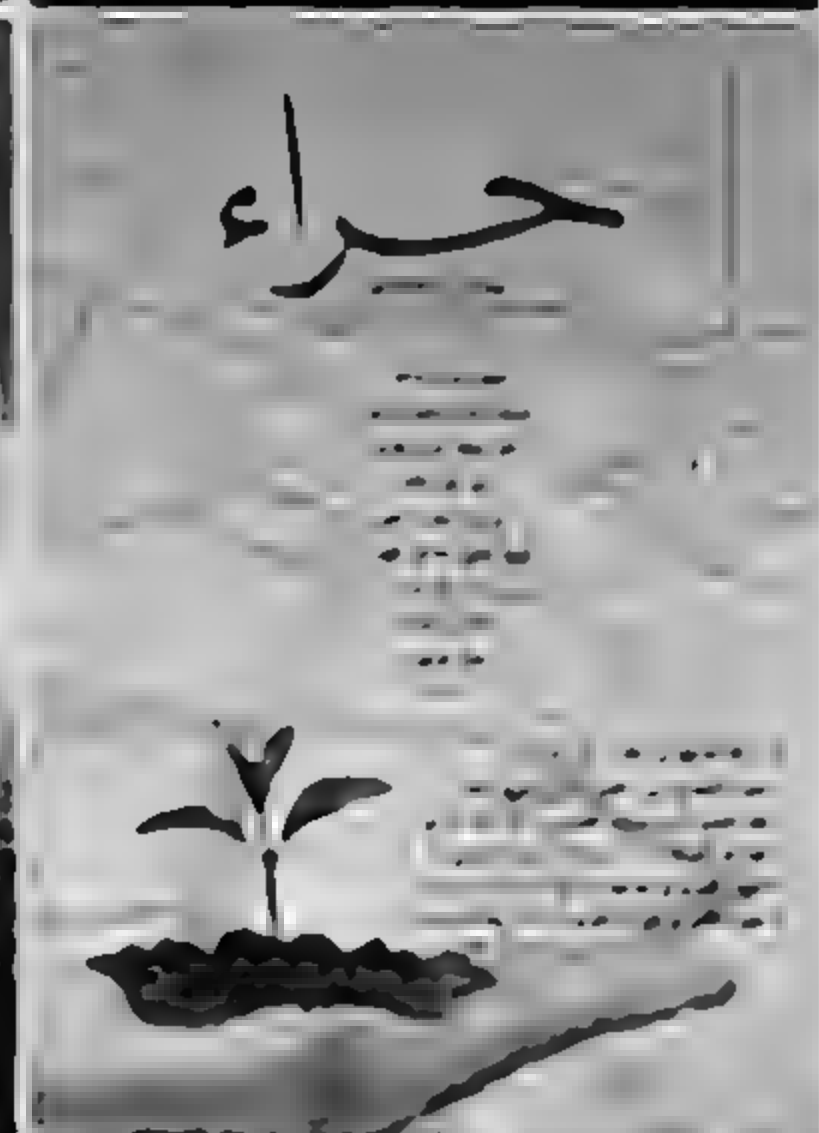
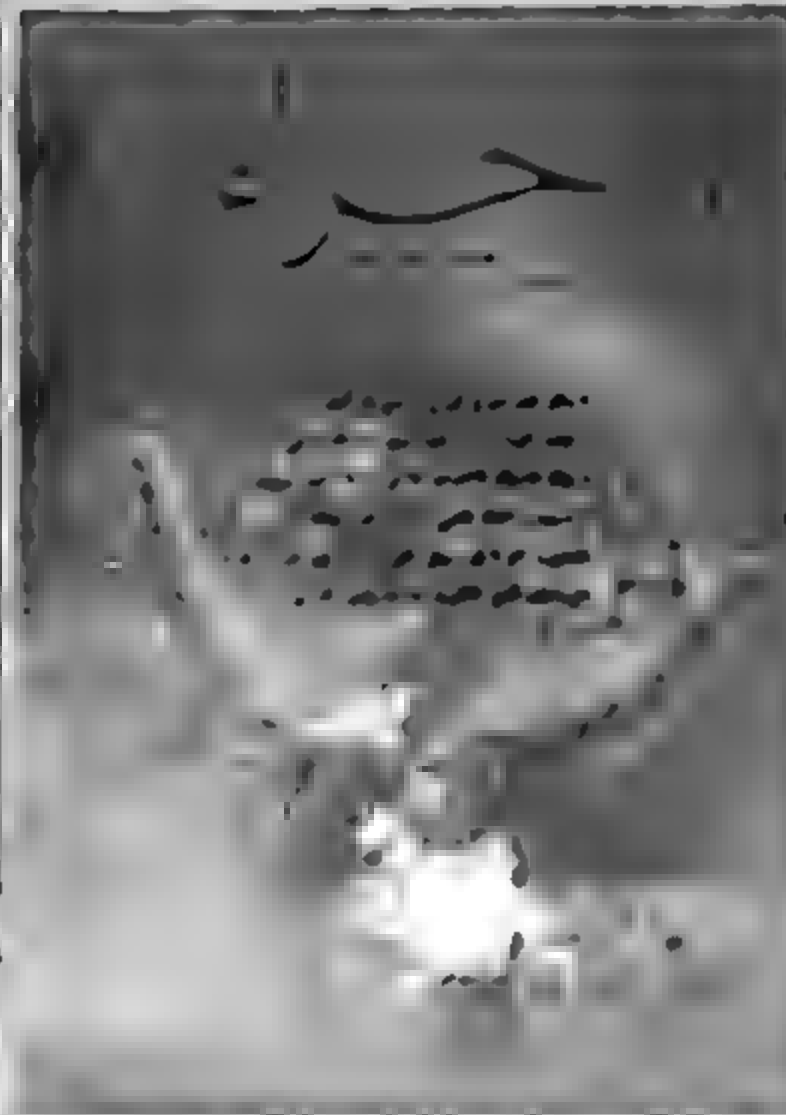
في حوار مع أحد التجار الأتراك يتحدث أن الأستاذ فتح الله كولن عنده أهداف وأحلام ومشاريع تفوق الخيال، و"بعقلي السليم قررت أن أخوض هذه الأحلام معه، لأن هذه الأهداف هي أهداف إسلامية إنسانية عالمية، والمال في النهاية هو مال الله". هنا في صناعة الرجال، تم تحويل حلم هذا الفرد من مجرد جني المال وإعطاء جزء منه في سبيل الله، إلى أن يحيا الحلم، وتحيا الفكرة. إذن وجد له من يعطيه حلما جامعا يجد من خلاله تحقيقا للذات، وأصبح تحقيق الذات ليس فقط جمع الأموال وإحراز المناصب، ولكن في أن يتبنى هذا الحلم. وحلم الأستاذ فتح الله كولن ليس إصلاح تركيا، ولكن حلمه هو مبني على روح بعثة النبي ﷺ "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين"، ووظيفة الإنسان البلاغ؛ فهي من ثم عالمية وأثرها عالمي. نجح الأستاذ في أن يقنع هؤلاء الناس أن يتلمسوا وأن يستشعروا هذا الحلم، وأن يقربه إلى

هذا التكامل الإنساني، هذه المصادقية، هذه الشفافية، هذه الدماثة، هذا التماسك النفسي والأخلاقي... وفتح الله كولن تمكن من أن يستثمر ذلك في البناء ويكون أصنافا مختلفة من البشر. أعتقد أن تجربة فتح الله كولن هي وريثة الحركات الإسلامية في العالم العربي التي أخفقت إخفاقا بينا في أن تحقق ما حاولت حركة "كولن" أن تفعله. فكيف نرى في هذه التجربة أخطاءنا أو تقصيرنا.. هذا ما نحتاج أن ندرسه لكي نخرج ببعض الدروس، ليس فقط على المستوى الفكري أو الثقافي أو التحاوري، وإنما بدءا من بناء الإنسان، إلى بناء الوجدان، إلى بناء مستوى العرفان، إلى بناء مستوى الجنان والعقل والفكر والثقافة، إلى بناء المؤسسات والبنیان، إلى الحركة من أجل صياغة نموذج العمران.

عصام سلطان، محامي / مصر

إذا سألت سؤالا من هم هؤلاء؟ ستجد كثيرا من العناوين، يمكن أن تقول عنهم صوفيين، تلامذة "كولن"، خدام المجتمع.. إلخ. وإن دل ذلك فإنما يدل على أنهم لا يتمسكون بالأسماء، ولا يتمسكون بالعناوين، ولا يضعون المظاهر في أكبر من مكانها الطبيعي، بل يقدمون مصلحة أمته على مصلحة ذواتهم.. إنهم يتأخرون خطوة إلى الخلف ويضعون الأمة أولا ثم هم. لا يتمسكون باسم، ولا يتمسكون بتنظيم، ولا جماعة ولا حزب ولا هيئة ولا شيء من هذا؛ بل يذوبون في هذا المجتمع. هم "روح يسري في جسد هذه الأمة".. إنهم روح الأمة التركية، لا تجد لهم أسماء لامعة، ولا تجد لهم عناوين براق، ولا شعارا واحدا في كل مؤسساتهم التعليمية والتربوية والعلمية والإعلامية والصحية.. لم أجد لهم شعارا واحدا، دلوني على شعار واحد في هذا المؤتمر... لا يوجد شعار، وإنما توجد روح هي أكبر من كل شعار، وأقوى من كل شعار وأهم من كل شعار.





حراء..
كون إيماني عظيم،
يقطر من جميع أنحاء
ماء الجمال...

حراء

حراء

حراء..
أشواق أمة،
وحياة إيمان،
واستنهاض حضارة...



حبر

كل سنة في

المناسبات

التي

- جميع صياف الألبسة للفتى
- يستعملون يجر الصناديق
- مظهر حلال للزينة في الق
- مدرسة علاج الشعر
- يمكنه العديد من

من

من

حراء

مجلة علمية ثقافية فصلية

www.hiramagazine.com

العدد السادس عشر - السنة الرابعة (يوليو - سبتمبر) ٢٠٠٩

مجلة علمية ثقافية فصلية تصدر عن:

Işık Yayıncılık Ticaret A.Ş.

İstanbul / Türkiye

صاحب الامتياز

مصطفى طلعت قاطرجي أوغلو

المشرف العام

نوزاد صواش

nsavas@hiramagazine.com

رئيس التحرير

هانئ رسلان

hraslan@hiramagazine.com

مدير التحرير

أشرف أونن

conen@hiramagazine.com

المخرج الفني

مراد عرباجي

marabaci@hiramagazine.com

المركز الرئيس

HIRA MAGAZINE

Emniyet Mah. Huzur Sok.

No:5 34676 Üsküdar

İstanbul / Turkey

Phone: +902163186011

Fax: +902164224140

hira@hiramagazine.com

مركز التوزيع

٧ ش الرامكة - الحي السابع - م. نصر القهرة

تليفون وفاكس: +20222631551

هاتف الجوال: +20165523088

جمهورية مصر العربية

نوع النشر

مجلة دورية دولية

Yayın Türü

Yaygın Süreli

رقم الإيداع

١٨٧٩-١٣٠٦

للاشتراك من كل أنحاء العالم

pr@hiramagazine.com

دار الجمهورية للصحافة

التصور العام

- حراء مجلة علمية ثقافية فصلية تعنى بالعلوم الطبيعية والإنسانية والاجتماعية وتجاوز أسرار النفس البشرية وآفاق الكون الشاسعة بالمنظور القرآني الإيمان في تألف وتناسب بين العلم والإيمان، والعقل والقلب، والفكر والواقع.
- تجمع بين الأصالة والمعاصرة وتعتمد الوسطية في فهم الإسلام وفهم الواقع، مع البعد عن الإفراط والتفريط.
- تؤمن بالانفتاح على الآخر، والحوار البناء والهادئ فيما يصب لصالح الإنسانية.
- تسعى إلى الموازنة بين العلمية في المضمون والجمالية في الشكل وأسلوب العرض، ومن ثم تدعو إلى معالجة المواد بمهنية عالية مع التبسيط ومراعاة الجوانب الأدبية والجمالية في الكتابة.

شروط النشر

- أن يكون النص المرسل جديداً لم يسبق نشره.
- ألا يزيد حجم النص على ٢٠٠٠ كلمة كحد أقصى، وللمجلة أن تلخص أو تختصر النصوص التي تتجاوز الحد المطلوب.
- يرجى من الكاتب الذي لم يسبق له النشر في المجلة إرسال نبذة مختصرة عن سيرته الذاتية.
- تخضع الأعمال المعروضة للنشر لموافقة هيئة التحرير، ولهية التحرير أن تطلب من الكاتب إجراء أي تعديل على المادة المقدمة قبل إنجازها للنشر.
- المجلة غير ملزمة بإعادة النصوص إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر، وتلتزم بإبلاغ أصحابها بقبول النشر، ولا تلتزم بإبداء أسباب عدم النشر.
- تحتفظ المجلة بحقوقها في نشر النصوص وفق خطة التحرير وحسب التوقيت الذي تراه مناسباً.
- النصوص التي تنشر في المجلة تعتبر عن آراء كتّابها، ولا تعتبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- للمجلة حق إعادة نشر النص منفصلاً أو ضمن مجموعة من البحوث، بلغته الأصلية أو مترجماً إلى أي لغة أخرى، دون حاجة إلى استئذان صاحب النص.
- مجلة حراء لا تمنع في النقل أو الاقتباس عنها شريطة ذكر المصدر.

يرجى إرسال جميع المشاركات إلى هيئة تحرير المجلة على العنوان الآتي:

hira@hiramagazine.com

إشكالات الحياة وغاية الوجود

القضية المضنية التي أضنت العقول، وأقضت المضاجع هي قضية معنى الحياة وغاية الوجود، وقد كرّس لها الأستاذ "فتح الله كولن" العديد من كتبه ومقالاته، وراح يتأملها متجاوزاً الحلول السطحية التي لا تلامس الوجدان البشري ولا تتعمق في طوابعها، فمطالب هذا الوجدان رفيعة جداً، وأشواقه ومطامحه عالية جداً، تتجاوز المحدوديات ولا تتوقف إلا عند اللامتناهي والمطلق الإلهيين... ومن هذه النقطة يأتي مقال الأستاذ "كولن" الموسوم بـ "الخصوصيات الأساسية للفكر الإسلامي" ذاهباً معه إلى جذوره في أزليته الأولى وأبديته اللاهائية. وفي هذا الفكر تكمن الأجوبة على كل التساؤلات التي يثيرها العقل ويشعر بها الوجدان.

وجذور هذا الفكر الماورائي لا يعني بأي حال من الأحوال أنه لا يحسن معالجة إشكاليات الواقع الاجتماعي، فمقال الأستاذ "محمد عمارة" عن الفرد والطبقة والأمة، يأتي رداً على مَنْ يذهب به الوهم إلى حد اتهام الإسلام بالقصور عن معالجة إشكاليات المجتمعات البشرية أفراداً وطبقات وأماً، لأن "الوحي" بنظره الشمولي والجمعي لا يمكن أن يُغفل الجوانب الاجتماعية وما تتردى فيه من إشكاليات.. وكما للفرد أحلامه فإن للأمة كذلك أحلامها، ولعلّ واحداً من أعظم أحلامها هو "سكة حديد الحجاز"، هذا الخط الذي كرست الدولة لإنجازه والسلطان عبد الحميد الثاني نفسه كل الإمكانيات الفردية والشعبية من مال وجهد وعرق وتعب. وقد كتب الأستاذ "صالح كولن" عن هذا الخط المهم، وكيف بدأ حلماً ثم انتهى واقعاً.. والدكتور "عمار جيدل" في مقاله الموسوم "الطريق السريع، المسلك والسالك" يهدينا إلى أقصر الطرق كما هو عند الأستاذ النورسي لنفعم وجودنا الأرضي بالجهد والعرق وتجاوز العقبات بأسرع ما يمكن للوصول إلى ذلك الشعور المشتق من الإيمان كأفضل ملاذ للروح التي تناضل من الخروج من ظلمة الشرور الدنيوية إلى نور الأخروية الأبدية...

وفي باب "دراسات إسلامية" يتحفنا الأستاذ "فريد الأنصاري" بمقاله الموسوم "كلمة الله في معركة السلام" مبيناً فيه أن عصرنا عصر "الكلمة" وأنها مفتاح لكل المغاليق والإشكالات. فالكلمة فكر متحرك ووجدان مشع، فالكلمة القرآنية يمكنها أن تغذي روح الخليقة بأجمعها ومن جذوتها الخفية تنقد شعلة الخلود والأبدية منيرة عوالم الإنسان الفكرية والوجدانية وباعثة للسلام والأمان في أرجاء الروح...

وبعد، نرجو أن نكون قد وفقنا في إعطاء قرائنا الأعزاء ملامح من موضوعات هذا العدد المتنوعة، مع الاعتذار للأخوة الأساتذة الذي لم يتح لنا التنويه بمقالاتهم على أهميتها، والله الموفق... ■

المحتويات

مراء

مجلة علمية ثقافية فصلية
www.niramagazine.com

- ٢..... الخصوصيات الأساسية للفكر الإسلامي / فتح الله كولن
- ٨..... الفرد والطبقة والأمة / أ.د. محمد عمارة
- ١٣..... منهجية الاستمداد التكاملي لمعارف الوحي / أ.د. سعيد شبار
- ١٨..... سكة حديد الحجاز / صالح كولن
- ٢٣..... شمس القلوب أبداً لا تغيب / السنوسي محمد السنوسي
- ٢٤..... البيروني رائد علم الجيولوجيا / أ.د. بركات محمد مراد
- ٢٩..... الطريق السريع، المسلك والسالك / أ.د. عمار جيدل
- ٣١..... كلمات الله في معركة السلام / أ.د. فريد الأنصاري
- ٣٥..... أنت للإحسان أهل / أنس إبراهيم الدغيم
- ٣٦..... الجهاز العصبي يتكلم / أ.د. عرفان يلماز
- ٤١..... المسلمون بين الشدائد والبشائر / أ.د. الشاهد البوشيخي
- ٤٦..... مظهر جلال الربوبية في القرآن / أ.د. محمد سعيد رمضان البوطي
- ٤٩..... إنشاء حدائق الإبداع الحضاري / أ.د. عبد الحليم عويس
- ٥٣..... الأكوان المتعددة / صالح آدم
- ٥٨..... سجناء الوجود / أديب إبراهيم الدبّاغ
- ٦١..... مدرسة صلاح الدين الدولية / أ.د. محمد الأحدي أبو النور

EGYPT

7, el-Baramaka st, off al-Tayaran st. al-Hay al-Sa
Nasr City-Cairo/EGYPT
Tel-Fax: +20222631551 Mobile: +2016552308

TÜRKİYE

Emniyet Mahallesi, Huzur Sokak, No:5
34676 Üsküdar-İstanbul/TÜRKİYE
Phone: +90(216) 318 60 11 Fax: +90(216) 422 41

USA

The Light, Inc.
26 Worlds Fair Dr. Unit C Somerset,
08873 New Jersey, USA
Phone: +1 732 868 0210 Fax: +1 732 868 0211

SAUDI ARABIA

AL Watania Distribution الوطانية للتوزيع
P.O.BOX 8454 Riyadh Zip Code: 11671 Saudi
Tel: +966 1 4871414
GSM: +966 504358213

SYRIA

GSM: +963 944 355675

MOROCCO

الدار البيضاء ٧٠ رفقة سحلماسة
Société Arabo-Africaine de Distribution,
d'Edition et de Presse (Sapress)
70, rue de Sijilmassa, 20300 Casablanca / Morocco
Tel: +212 22 24 92 00

YEMEN

دار النشر للجامعات
لجمهورية اليمنية، صنعاء، الخط الدائري الغربي، أمام الجامعة القديمة
Tel: +967 1 440144
GSM: +967 711518611

ALGERIA

GSM: +213 770 625650

SUDAN

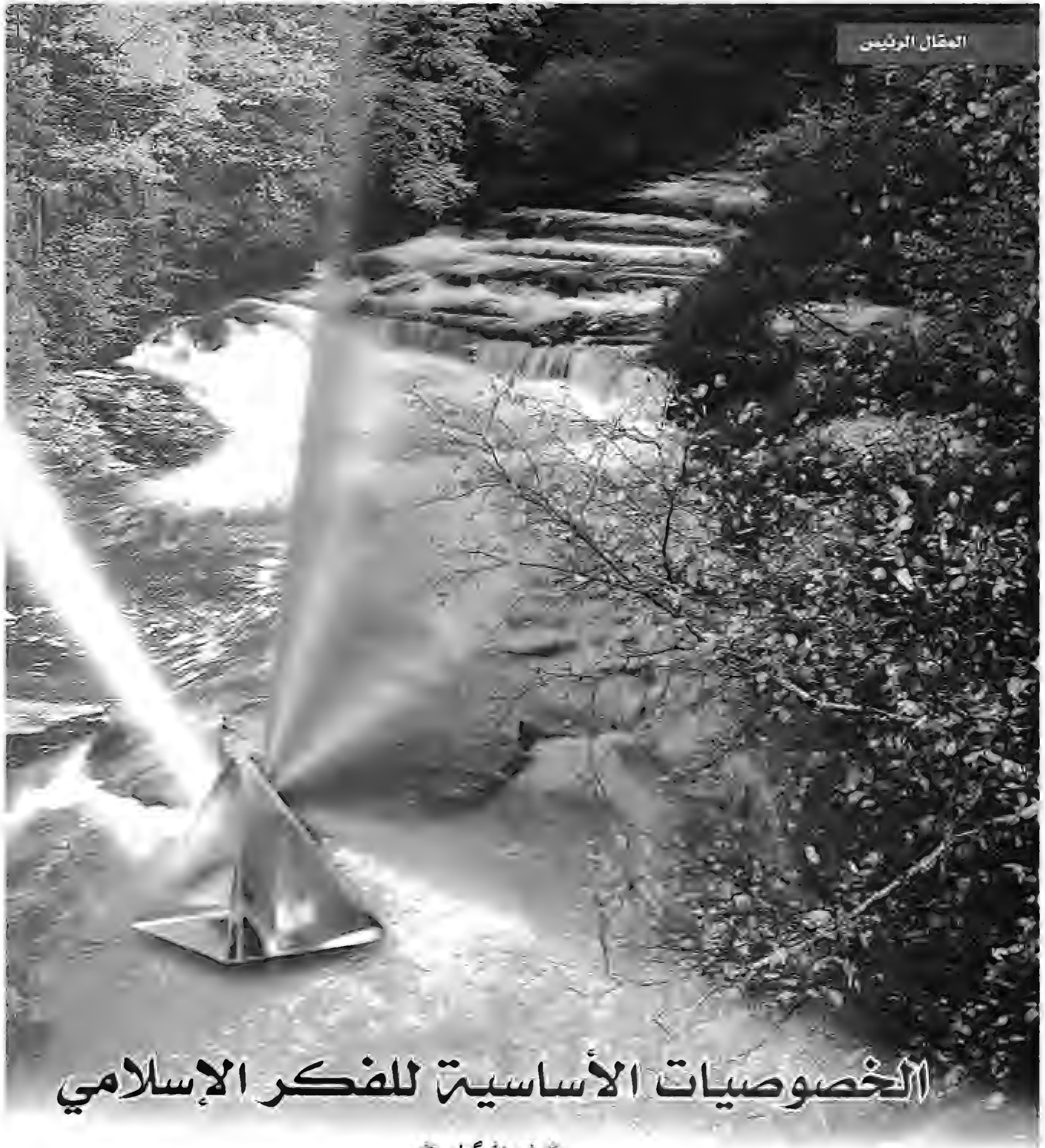
Tel: +249 918248388

JORDAN

GSM: +962 776 113862

UNITED ARAB EMIRATES

دار الفقيه للنشر والتوزيع
ص.ب. 6677 أبو ظبي
Tel: +971 266 789920



الخصوصيات الأساسية للفكر الإسلامي

فتح الله قلوبكم

وعنوان النظام السماوي المنزل لفتح مغاليق القلوب جميعاً
ابتداءً من قلب أشرف البشر في الأرض ﷺ، وانتهاءً بقلب
البشرية التواق إلى "الخلود".

منذ أن نصب الإسلام مرآته في الأرض وظف طاقاته كلها في
مخاطبة القلوب، واستطاع أن يرسم صورته في كل وجدان، متفاعلاً

إن حضور الإسلام لأغلبية فوق الزمان والمكان،
والمخاض في الإسلام هو قلب الإنسان الذي
يسمع السموات والأرض بسعة النعوية، وهدفه

السعادة الدنيوية والأخروية
الإسلام، اسم الضابط المستقيم المنفذ من الأرض إلى الأبد،



مع وحدات الحياة كلها.. فثم تناسب دائم بين تعمقه في الصدور وتأثيره في مفاصل الحياة؛ فبقدر عمق تغلغله في الأرواح وتجزئه فيها، يطفح فيض تأثيره في حياتنا وتزداد انعكاساته فيما حولنا. بل نستطيع القول بأن ما نلاحظه في محيطنا من الشوق والرغبة والتلقي بالقبول نحو الإسلام إنما تتحقق متناسبة طردياً مع عمق هذه الصورة الداخلية المشرقة ومدى سعة إحاطتها، وهذا يعني أنه كلما كان هذا القبول المسبق ضارباً في أغوار أعماق الإنسان يقوي تأثيره في محيطه. وفي ضوء ما يمل به هذا الإذعان الداخلي يأخذ المجتمع وجهته في مسيرة حياته الأخلاقية والاقتصادية والسياسية والإدارية والثقافية.

نعم، إن المجتمع -من كل الوجوه- يحمل في ملامحه خطوطاً مهمة من هذا الوازع الداخلي، وينعكس الفن والأدب إلى الخارج حاملين ألوان هذا المحتوى الداخلي ونقوشه، ويُسمع ويُستشعر في كل مكان بين سطور الوجود والأشياء صوت هذا المحتوى الداخلي ونفسه وأداؤه، ويشجي كل شيء مرئي أو خافٍ أسمعنا بأنغام رائعة يلحنها لسان هذا المحتوى الداخلي الصامت بلا صوت ولا كلام.

ومن هذا السر فإن أصحاب القلوب التي فتحت بالإيمان ما يلفظون من قول إلا وتسمع منهم نغمات من الوجود السرمدى.. وهؤلاء كلما يلقون نظرة إلى ما حولهم يحسبون أنفسهم في ممرات زمردية تؤدي بهم إلى سفوح الجنة، وهم بذلك يمزجون وعشاء السفر بالسعادة التي سيلقونها في نهاية المطاف.. ففي كل مظان التأفف تراهم يسيحون قائلين: "مرحى... مرحى".

إن الكلمة المفتاحية لفتح القلوب هي "لا إله إلا الله، محمد رسول الله"، بحيث إن كل الخصائص الإيمانية -حسب الإسلام- تتأسس على هاتين الجملتين الوجيزتين اللتين هما تعبير عن حقيقة لها وجهان؛ أحدهما: غاية، والآخر: وسيلة. فالإيمان الذي هو كـ "شجرة طوبى" تنشأ من هذه البذرة فتغطي بما تؤتي من ثمار المعرفة سماء حس الإنسان وشعوره وإدراكه، ثم تستحيل العلوم والمعارف كلها إلى العشق والاشتياق والحرص بحملة داخلية وشعور وحس داخلي، ليحاصر ذاك الإنسان من كل جهة، فيصير إنساناً جديداً قائماً على محور الوجدان... فتعكس هذه الحال على كل سلوكيات هذا الإنسان العاشق المشتاق. فتحمل عبادته وطاعته سمات ترسم بخطوط هذه العلاقة والرابطة، وذلك

العشق والاشتياق، وتصير مناسباته البشرية انعكاسات لهذه اللدنية... وتتمحور حملاته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإدارية كلها، حول هذه القوة الجاذبة "إلى المركز"... فتتشكل فعاليات الفينة وأنشطته الثقافية بهذه المقومات الداخلية، وتتوسع بها، وتبرز بألوان القلب وأدائه الجميل تماماً. ولئن كان الحاصل الظاهر أثراً فنياً أو كتاباً أو رسماً أو شعراً أو لحناً، فإنه يهتف بمشاعر وأحاسيس القلب المتغذي بهذا النموذج والجوهر الداخلي... فيهتف معبراً عن الهيجان أو الخفقان المرتشف من واردات القلب لصاحب الأثر، وعن عشقه، ووصاله أو هجرانه. وكذلك الحال حال الروح المشبع بالإيمان والمعرفة والمحبة والأذواق الروحانية، إذ تبدي رسمها الداخلي على الفن والثقافة والأنشطة الأخرى، وتهتف بمعاني (الإنسان - الكائنات - الله)، المتحولة في أعماق الروح إلى "خلاصات" أو "عصارات" رائعة وتسعى دوماً إلى "نظم" المعاني الغائصة في بواطنها العميقة.

قد لا يكون الإنسان في كل أحواله قاصداً هذا القصد أو متحريراً هذا الأمر، إلا أن حركة النظم الإيمانية في قلبه تقود كل تصرفاته، بإرادته أو من غير إرادته إلى هدف معين. ومن طبيعة الحال أن تنعكس ألوان "حركيته" الداخلية وأداؤها على نوع حياته وأسلوبه وشخصيته ومناسباته الاجتماعية... وكذلك تبرز تلك اللهجة والأداء والأسلوب في أعماله الفنية وأنشطته الثقافية، لأن موقع الإنسان في الوجود، وغاية خلقه، ومقصود فعالياته، وتداعيات الفكر عن هذه الغاية وذلك المقصود، ووظيفته ومسؤولياته، ستحيط مع الزمان بكيانه وتحصره، وتوجهه في كل ساعة نحو التميز والفائقة إزاء الوجود الأوسع والأعلى بأشد المشاعر حيوية وتأثيراً.

هذا الفكر الأول الموجّه، يتمادى في تأثيره على أنشطته الذهنية والفكرية والعلمية... وبعد مدة، سيحقق حصول "جبلية ثانية" فيه. هذه الجبلية تلفت الأنظار إلى نفسها من البواطن في كل صفحات حياته: معتقداته وعباداته، وأخلاقه وعلاقاته الاجتماعية، وارتباطه بربه وسلوكياته. والحقيقة أن الإنسان يرسم حدود عالمه الحقيقي الذاتي بمقدار ما ينمي هذه الموهبة الأولى الموجّهة.

وإن هذا الذي توجه وطمح إلى ذرى الحياة القلبية والروحية لهو على بصيرة من أمره؛ لذا فهو يعرف كيف يفكر ويتحرك ويعمل،



ومن أين يبدأ... فهو حساس في العبادات، ولديه استشعار عظيم بالأخلاق، وهو منفتح على المراقبة ومحاسبة النفس، ومنهمك في الشعور بالرهبة من الذنوب في مراقبة دائمة.

فمن استقر وتوطد شعوره وتفكيره بهذا القدر، فستكون الحياة بكل وحداتها بالنسبة له كأنها شلال وجد مجراه، ينحدر مواراً أبداً ليلبغ البحر، وهو في هذا الشلال يعيش نشوة العشق والوصال أبداً. الإيمان - بمقدار توسعه وعمقه - مولد الطاقة (الدينامو) الأساس لإنسان الحركة هذا، والعبادة سنده

ومحركه الحافظ، والأخلاق ومجموع العلاقات الإنسانية علامته الفارقة وفيصله المميز. والثقافة غدت سحبة من سحايها. والفن بدا انعكاساً لاستطلاعها وتفحصه وحده الداخلي ومشاهداته الباطنة. وأستطرد لأذكر موضوعاً ليس مكانه هنا... لكن أقول عن الفن الإسلامي إنه يحتوي رحاباً واسعة خصوصية بتحريره "التنوع في فلك التجريد". فهو إذ يؤكد على التوحيد، يتخذ موقفاً بيناً ضد التشبيه والتجسيم.. وبحكمة إبقاء باب التأويل مفتوحاً أبداً، يريد أن

يُري بحراً في قطرة، ويصور شمساً في ذرة، ويشرح كتاباً في كلمة واحدة. أما الثقافة الإسلامية المتشكلة بتأثير هذا الدينامو الرئيس وهذه المقومات الأساسية - ولا نبش الآن عن مقولة أن الثقافة ميراث إنسانية عموماً -، فهي منفتحة على كل الأنشطة الفكرية والذهنية المرتبطة بواقع الإنسان، وخلاصة وعصارة للخلطة المشتركة لتلك الأنشطة. ونحن نستشعرها بكل شيء يخصنا بأمسنا ويومنا، وبكامل حيويته، فنعيشه، ونطوره، ثم نودعه أمانة لدى الوجدان الاجتماعي، العارف المتأهل لما يُقدّر ويوقّر. لذلك، فإن الواجب علينا اليوم هو أن نكافح من أجل الحفاظ على ذاتيتنا بالارتباط بمنظومتنا العقدية والفكرية والتوجه نحو ثقافتنا ونتائجها.. وأن نقوم بتحقيق ألوان جديدة من الفكر والعرفان - إذا اقتضى الأمر - فوق أطلسنا الفكري.

نعم، ينبغي أن نبذل قصارى جهدنا للالتزام بمصادرنا الذاتية أبداً، وأن نحصر الذهن في بلوغ البحر بمجرانا الذاتي، ونحرص على التطلع إلى الوجود من تحت قبة سمائنا، وقراءته ككتاب، وتفسيره إذ نقرؤه، واستنباط أفكار جديدة منه.

ومعلوم أن الإسلام منفتح على اقتباس ما يمكن اقتباسه من قيم الأمم الأخرى؛ فالإسلام يبحث عن كل فائدة ومصلحة حتى وإن كانت في أقصى بقاع الأرض، ويطلبها أنى يجدها. وكما اقتبس في الماضي من علوم الفيزياء والكيمياء والرياضيات والفلك

والهندسة والطب والزراعة والصناعة والتقنيات الأخرى أينما وجدها، ثم قومها وطورها وأودعها أمانة للأجيال الآتية، فالיום أيضا يأخذ كل ما يمكن أخذه أينما وجدته، وينميّه ويطوره - إن استطاع - ويودعه أمانة للوارثين الجدد. وكون الإنسان خليفة الله في الأرض يستوجب على المسلم أن يكون عاشقاً للحقيقة وحريصاً على العلم والتحري وشغوفاً بالبحث. لكن ينبغي أن يتقي المؤمن ويحذر من الاتكاء على المصادر الأخرى في الأمور المتعلقة

بالنظم العقديّة والفكرية، والموضوعات المرتبطة بالكتاب والسنة وبكل ما يتعلق بالرسول ﷺ وسيرته، وطرائق التحليل والبحث في السيرة وتاريخ الإسلام، والفن والأدب ونحوها... ذلك، لأن الذين أقاموا بنيانهم الفكري على معاداة الإسلام، والناظرين إلى الإسلام وكأنه خارج الوحي السماوي، لا يُرجى منهم التصرف بحسن النية وطلب الخير للمسلمين وتمني التقدم لهم. أما العلم والتكنولوجيا - وهما خارج إطار ما ذكرناه - فقد عهدناهما في أخذ وعطاء بين الأمم في الماضي، وستستمر المبادلة فيهما مستقبلاً، وتنتقل أمانة ووديعة في أيدي حائزيها. فالعلوم والتكنولوجيا ليست حكراً لدين أو أمة. لذلك، تستطيع كل أمة سليمة المشاعر والفكر والمعتقدات، ومنتصبة على ساقها بثبات ورسوخ، أن تعتصر هذه العلوم الصرفة وتقطرها في روحها،

إن الإسلام صوت كتاب الكائنات
ونفسه وتفسيره وإيضاحه، كذلك
هو رسم ماضي الكائنات وحاضرها
ومستقبلها، وصورتها وخارطتها،
ومفتاح سرّي لأبوابها التي قد تظن
أنها مغلقة. الإسلام "كل" يعبر عن
هذه الأمور والشؤون جميعاً.

فتجعلها صوت قلبها ونَفْسَه، ووسيلةً توصل البشر إلى الله تعالى. والمؤلم أن فلسفة العلم في أوروبا -وعلى تقيض المرونة في عالمنا الفكري- قد أوقعت الغرب كله في صراع دائم بين العلم والدين لأُمور وأوضاع خصوصية، فخلّف ذلك انفصلاً بين العقل والقلب. هذا المشكل هو السبب الرئيس للمعضلات المتتابعة منذ عصور في النظم الغربية كلها. بل لقد تفاقمت الأزمة من خاصمة جبهة العلم والفلسفة للدوغماتيات الكنسية، إلى مخاصمة "المفاهيم" الدينية كافة بمرور الزمان... فكأن العلم والفلسفة حامية ومدافعة عن الإلحاد. وقد أصاب -للأسف الشديد- الفكر الإسلامي البريء شيء من هذا العداء ضد الدين، إذ عُرض إلى أشنع ظلم وأبشع غبن، ووضع في قفص الاتهام مع الكنيسة التي هي المعنية في الأصل بهذه الخصومة.

انقلبت هذه الحركة المعادية لدوغماتيات الكنيسة، والقائمة أصلاً على حرية الفكر والعلم، إلى معاداة الله والدين والتدين... ثم إلى تحمس في أرجاء العالم كله لإسكات المتدينين وإحباطهم وتضييق الخناق عليهم، بل إزالتهم من الوجود تماماً. ولم يكن للعالم الإسلامي مشكلة البتة مع العلم أو حرية الفكر، ولكن زمراً من أعداء الدين تغاضوا عن هذه الحقيقة الفارقة، واتخذوه غرضاً لمراميمهم العدائية الدينية مقاييسين له على المسيحية الكنسية...

والحال أن الإسلام كان -ولم يزل- يقدم للإنسانية جمعاء نظاماً للحياة جديداً وفريداً... نظاماً لا نظير له في الماضي، ويبدو رمزاً للمثالية والتفرد في الآتي. فهو قد نظم وينظم بأسسه حياة جديدة لنوع البشر، ويضع تفسيراً جديداً لعوالم الدنيا وما بعد الدنيا، والعالم المادي وما وراءه، ويرتب -من جديد- الوشائج بين الإنسان والكائنات والباري عز وجل... يرتبها من وجهة خصوصيات الظواهر وبشكل مميز وفريد، ويقطع دابر النقائص في "الإلهيات"، وتستجيب القيم التي أوجدها بإشباع كامل ومُطمئن لكل متطلبات البشرية حول الموت والحياة، ويسد كل الثغرات العقلية والمنطقية والفكرية والحسية في قلوب المخاطبين وعقولهم. كان الإسلام -وما يزال- حيويًا وحركيًا من كل وجهة... يتوسع وينبسط في واقع الحياة، ولم يؤجل النظر إلى أي مشكلة واجهته. يدخل إلى أضيق المعابر في الحياة الفردية والعائلية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، ويجول في وحدات الحياة كلها بصوت العصر الذي هو فيه، ويلفت النظر في كل

وحدة من وحداتها بصورة أشد إحكاماً من أحكم شيء واقعي. ولم يكن الإسلام "أيديولوجية مثالية" بمعناها المعروف في الغرب، ومحال عليه أن يكون؛ لأن هذا المعنى كان شمساً خيالية بزغت في السهوب المجهولة خلف جبل "قاف" شمس لا ينعكس شعاعها قط في واقع دنيانا المعيش، ولا يمكنها الظهور حتى في أصغر وحدات الحياة. فهي بأضوائها الكاذبة تصطدم بالخيال وتتكسر عليه كمثالية غير واقعية، وترنو إلى الحياة وحقائق الحياة الواقعية، من أفق بعيد كنوع من أنواع الأحلام اللذيذة (١) - ووصفها باللذيدة يعود لمن يتأولها.

أما الإسلام، فقد وعد -ويعد- البشرية بنظام فريد في نوعه، قابل للتنفيذ في كل مجال، مالك لوسائل تحقيقه بديلة في التنفيذ. فيجد فيه الذين يلبون ندائه نشوة وتلوّن وأداء نظام قد نما في رحم واحدة متوافقة مع طباعهم وجبلتهم. فهو بسعة العناية بكل شيء، ابتداءً من القبول المسبق في الوجدان إلى المسائل الأخلاقية في الحجرات النهائية للحياة، ومن أدق المسائل الفردية والعائلية إلى أعظم المعضلات الاجتماعية، يقدم حلولاً فريدة، ولا يخيّب رجاء المنتسب إليه مهما كان ضيق الصدر أو قصير الشأو. الإسلام يبدأ بالعمل في الوجدان الفردي، وإذا يستقر فيه، يطفح منه بفائتيته الخاصة الذاتية، ويفيض من محيطه وبيئته، ويجعل كل مكان حقلاً فسائلاً، فيصطبغ كل مكان بصبغة روحه، ويبدل أينما انتشرت جذوره لون الحياة وأداءها، ويُسمع القلوب نداء الوجود الأبدي، وقد كان -ولا يزال- كل نداء منه ترنماً للسلام العالمي، وتناغماً للانسجام الاجتماعي، ونفساً للتسامح والحوار. أما الصخب والوحشية والصلف والحقد والبغض، فهي من الغثيان المنعكس من البناء الروحي لخصومه في الخارج، وعسر هضم جهلة المنتسبين إليه. لكن هذا النور انكشف حيناً بجائل من أحد خصومه، وانخسف أحياناً بتفريغ الفريقين معاً الظلمات فوقه. ولو فتر العدو قليلاً في الجفاء، وبذل الخليل قليلاً من الوفاء، لكان الإسلام قد محا وكنس أنواع الظلمات من الأرض مثل البغض والغيظ، بفوران "عن المركز" كالبراكين أو بحزم الضياء من أطراف النور، ولجعل الأرض جنان اطمئنان تمتد حافاتها حتى تصل الجنة... ففي ظله ينسى العراك والجريمة والإرهاب والاضطراب، وتُشتم نساء الحُب والتوقير والانسجام والحبور في كل الأرجاء. وإن القلب الذي يتوطد فيه الإسلام، يمتلئ



بالحب والاهتمام والتسامح إزاء المخلوقات من أجل الخالق،
والمصنوعات من أجل الصانع.

نعم، لن يجتمع في القلب إيمان وارتباط بالله مع الحقد
والكره والغیظ. ولا يُحتمل مطلقاً أن يبقى باب القلب مفتوحاً
لتلقي العداوات خصوصاً مع الحفاظ على جلاء روحه ورونقه
بتجديد إيمانه وانتسابه للحق تعالى وميثاقه، كل يوم وأسبوع
وعام، بأنواع العبادات. فإن كل تصرفاتنا الإسلامية تحفز
فيها شعور التحرك المسلم، وتقودنا إلى الحياة الإيمانية. وبتواتر

انعكاس مكتسباتنا الوجدانية
ووارداتنا القلبية على سلوكياتنا،
تتكون خيوط أخلاقنا وتتلون
بألوان. وبدوام تدفقها من
تصرفاتنا تتكون مرجعيات ثقافتنا،
فتؤمّن لنا البقاء بذاتنا وشخصيتنا.
وهكذا التكامل الإنساني المتوطد
بالله والإيمان والاعتماد والاطمئنان
في قلب الإنسان، يطفح إلى المحيط
والبيئة حباً واهتماماً وإخلاصاً
ووداً، فيخرج الفرد المسلم من
الفردية بفضل هذه الجاذبية القدسية
التي يحوزها، فيكاد يكون أمة.

إن الهمم الفكرية والتخطيطية والفنية تولّد ابتداءً في
ذات الإنسان، ثم تتشكل صورها، ثم تتوسع وتنسب إذا
وجدت المناخ الملائم للنمو والتطور. فكذلك أيضاً العبادات
والأخلاق والحياة الروحية والثقافة والعلاقات البشرية الأخرى
كافة... يُستشعر بها بداية في عمق الإنسان إيماناً وإذعاناً،
ثم تنمو لتحيط بالحياة كلاً، وتسربل بصبغتها التصرفات
البشرية كافة، فتكون مُعَيَّناً ومُوجَّهاً أساسياً لكل همة وحملة
وحركة وفعالية، حاضراً بنفسه وبوجوده في كل الأحوال.
يتميز الإسلام عن النظم الدينية والفلسفية الأخرى قاطبة،
بأنه رسم للإنسانية صورة فكرية وحياتية ذات بُعد عالمي، لكن
بسماء خاصة به في الوقت عينه... وحمل المنتسبين إليه مسؤولية
أن يجعلوه حياة يحيوها وأمرأ ينفذونه. ولذلك يسعى كل مسلم
يعرف هذه الحقيقة لكي يتصرف ضمن إطارها في أعماله وعلاقاته
الفردية والعائلية والاجتماعية، ويخطط لمستقبله وفقاً لهذا الفهم،

ويستجمع همته ما استطاع وسنحت له الأحوال للإيفاء بحق هذه
المسؤولية. ولا يخفى أن الأفكار والغايات المأمولة تبقى أحلاماً
وردية رفرافة، ما لم تؤيد بحملات وأفعال حركية لوضعها موضع
التنفيذ بقدر ما تسع الأحوال... فإن قصرنا، فسوف تستمر
كمآشة الواقع الفعلي تسحقنا بين فكيها.

ومن الحق أن حقيقة الإيمان المتأصلة في عالمنا الداخلي، إنما
تدسم وجودها بقدر تناميها وتوسعها في الحياة الواقعية... فإذا
بُذرت بذور الإيمان وترعرعت واخضرت في القلوب، ثم تحولت
إلى استقامة ووثوق في التصرفات،
وانقلبت إلى وقار وخشوع في
الصلاة، ورفدت وازع الحقانية
والعدل في علاقاتنا الاجتماعية،
فذلك يعني أن الأفق منبسط أمامه
إلى اللانهاية للتطور والتوسع. وكما
يكون إيمان كهذا الإيمان في الإنسان
مصدراً لا ينفد للقدرة والحيوية،
كذلك يكون قاعدة ومنصة للارتقاء
به باسم "خلافة الله في الأرض" إلى
حق "التدخل في الأشياء"، وتشكيل
صور البيئة المحيطة حسب مشاعره
وأفكاره، والانفتاح على اللانهاية في

الإسلام يربط أحكامه وأوامره
بمعطيات الحياة المعيشة وبإمكانية
التطبيق، ولا يبني الأحكام في دنيا
الأحلام. الإسلام متواجد وحركي في
الحياة بكل مساحاتها، من المعتقدات
إلى أنشطة الفن والثقافة.

محور التوحيد والتجريد بالملاحظات الجمالية والروح الفنية في
طبيعتيهما الذاتية. ذلك لأن الإيمان يوجد روحاً فنية مكينة في
الأرواح المنفتحة على الجمال يدعو إلى العجب والانبهار. نعم، إن
الفنان المؤمن يصل إلى الماهية المجردة في منشور الوجود اللاهثي،
ويرسم ألوان الأبدية، برقوش وخطوط عديدة على اللوحة بضربة
فرشاة من غير تعب أو رهق... حتى إن الناظر يحسب نفسه
أمام أنموذج نقش مصغر للوجود في كل تأمل في اللوحة الفنية،
فتأخذه نشوة مطالعة اللانهاية في المعطيات المحدودة، والبحر في
القطرة، والكائنات في الذرة، في عالم الخطوط السحري، ضمن
تصور ملاحظات التوحيد والتجريد بلسان الفن.

ونحن لا نريد أن نفهم الفن الإسلامي بحصره في رفض
موضوعات ذاتية أو موضوعية، أو إعلاناً وإبرازاً للمهارات... بل
تأليفاً - من جهة - بين الروح والمعنى والمحتوى فيما يشاهد من
علائق الوجود والحوادث فيُستشعر، وما يتحسس منها فيفهم أو

من أجالك كان قد نزل!

فيما مضى

كان القرآن نص وجدالك،

وايقاع كلماته حقق فؤادك،

فحملته، وكلامه إلى العالم أهدته،

أما اليوم، فيسيف الجفاء جدلوك،

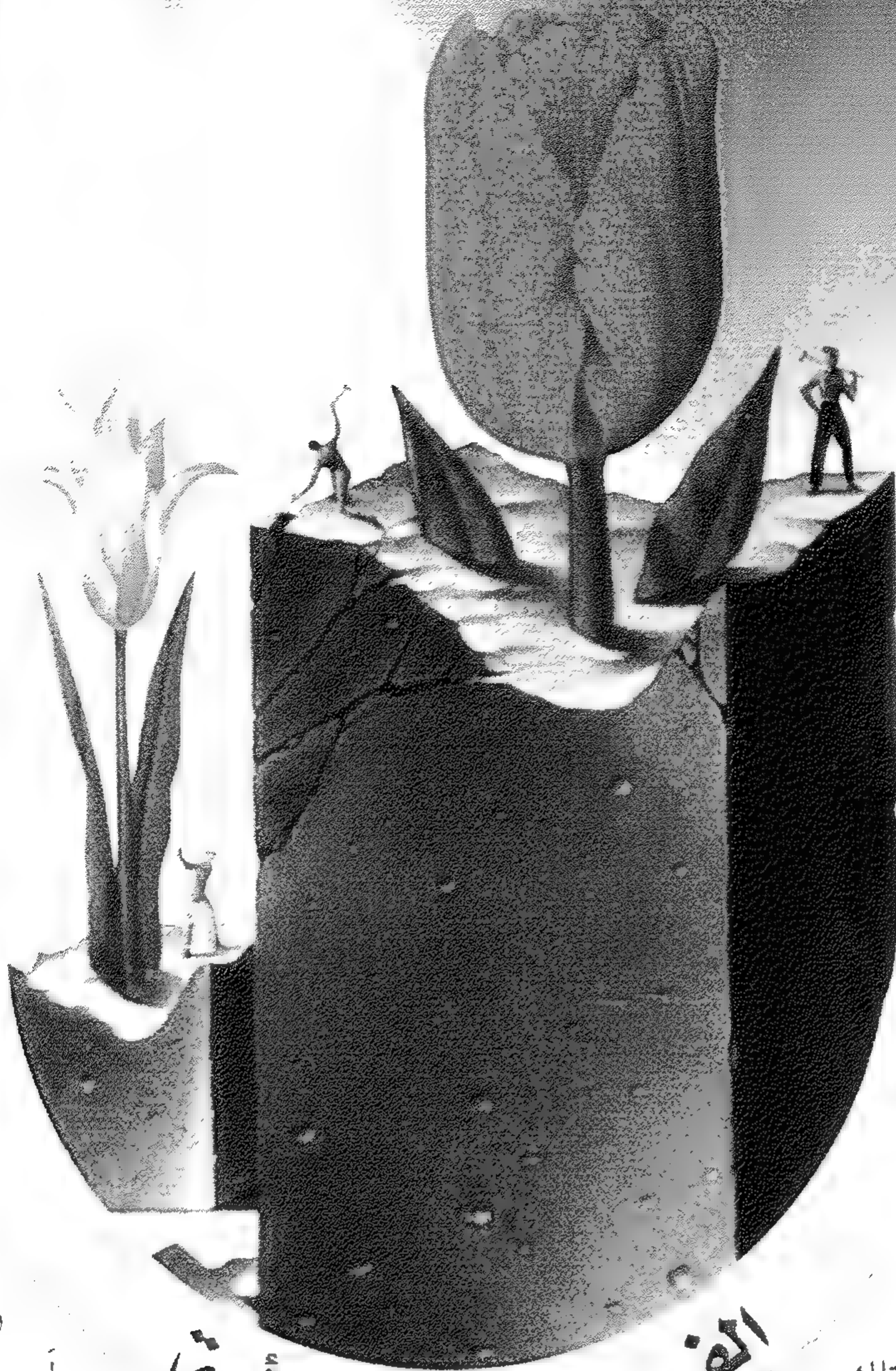
فانقرط عقدك، وتشتت عمرك

ما يُتَحَسَّس وينبغي أن يُفهم، وبين لسان القلب والشعور والحس -من جهة أخرى-... فيتمكن -من ثم- أن يرشد على الدوام إلى الموجود الذي ليس كمثله شيء بالإيماء والإيجاء من مختلف المستويات والترتيبات -ولكن بلا حيد عن خط مستقيم واحد تشير إليه بوصلة القبلة-، وفي مرونة تشعر بالحقيقة الواحدة الثابتة المطلوب فهمها -ولكن يبعد جديد مختلف في كل نظرة وتطلع-، فيشهر الوحدة في الكثرة، والكثرة في الوحدة بخطوط سحرية في هذا الإطار أو فيما يتجاوز هذا الإطار.

الحاصل أن الإسلام صوت كتاب الكائنات ونفسه وتفسيره وإيضاحه، كذلك هو رسم ماضي الكائنات وحاضرها ومستقبلها، وصورتها وخارطتها، ومفتاح سرّي لأبوابها التي قد تظن أنها مغلقة. الإسلام "كل" يعبر عن هذه الأمور والشؤون جميعاً. "كل" يستحيل تجزؤه، ويستحيل أن يُحمّل جزؤه القيم المحمّلة على الكل. فإن تجزئته إلى أجزاء، ثم محاولة استنباط فهم كامل وتام من الأجزاء، غلطٌ وخطأ وإهانة لروحه. وسوف يبقى من يريد أن يفهمه أو يحصره في تفسير آيات وأحاديث معدودة بأسلوب وعظي، مهزوز الوجدان بأحاسيس نقص حقيقي، ومعانٍ من خواء روحي دائم؛ مهما كدّ وسعى لسماع مجموعة الأنغام الرائعة هذه.

الإسلام إيمان، وعبادة، وأخلاق، ونظام يرفع القيم الإنسانية إلى الأعلى، وفكر، وعلم، وفن. وهو يتناول الحياة كلاً متكاملاً، فيفسرها، ويقومها بقيمه، ويقدم لمنتسبيه مائدة سماوية من غير نقص. وهو يفسر أداء الحياة دوماً ممتزجاً مع الواقع، ولا ينادي ألبتة بأحكامه في وديان الخيال بمعزل عن الحياة. يربط أحكامه وأوامره بمعطيات الحياة المعيشة وبإمكانية التطبيق، ولا يبيّن الأحكام في دنيا الأحلام. الإسلام متواجد وحركي في الحياة بكل مساحاتها، من المعتقدات إلى أنشطة الفن والثقافة... وذلك هو أهم الأمارات والأسس لحيويته وعالميته الأبدية. ■

(*) الترجمة عن التركية: عوني عمر لطفي أوغلو.

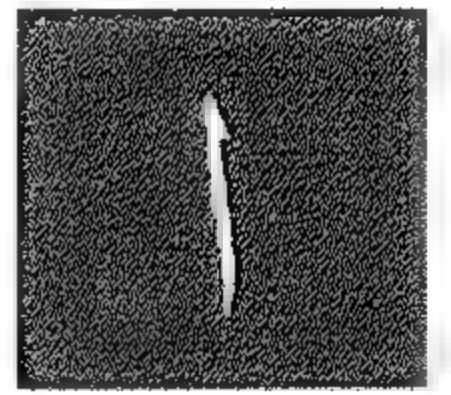


أ.د. محمد عمارة *

الإسلام

دين الجماعة.

أي الأمة، تلك



الفرد والطبقة والأمة

هو نسق التكاليف الدينية،
والرباط بينها عضوي، حتى
ليستحيل على الفرد - بسبب من
مدنيته واجتماعيته - أن ينهض بتكاليفه

الفردية (فروض العين) إذا أصاب الخلل النظام
الاجتماعي بتخلف الفروض الاجتماعية. فإذا انعدم الأمن في
المجتمع أو عزّ فيه القوت، فأنتى للعابد أن يعبد الله ويؤدي فرائضه
العينية؟! لقد قال الفقهاء: إن صلاة الخائف والجائع لا تصلح؛ لأن
الحضور فيها - وهو شرط إقامتها - لا يتأتى إلا بالأمن الاجتماعي
وتوافر الأقوات. ولقد أصاب الإمام الغزالي عندما حدد الضرورات
الاجتماعية التي يستحيل بدون توافرها إقامة الدين، فقال: "إن
نظام الدين لا يصلح إلا بنظام الدنيا؛ فنظام الدين بالمعرفة
والعبادة، لا يتوصل إليهما إلا بصحة البدن وبقاء الحياة وسلامة
قدر الحاجات من الكسوة والمسكن والأقوات والأمن. فلا ينتظم
الدين إلا بتحقيق هذه المهمات الضرورية. إن نظام الدنيا شرط
لنظام الدين.."^(١) ولذلك كانت فروض الكفاية (الاجتماعية)
في المنهج الإسلامي أكد من فروض العين (الفردية)، للارتباط

خصيصة من خصائص المنهج الإسلامي.

وكون الأمة هي الجامعة الأساسية - في المنظور

الإسلامي - لا يعني الإجحاف بحقوق "الفرد"، ولا الإنكار
لوجود "الطبقة" - بالمعنى الاجتماعي - في إطار "الأمة"، وإنما
هي العلاقات التي أقامتها الوسطية الإسلامية الجامعة بين "الفرد"
و"الطبقة" و"الأمة" على نحو متميز وفريد.

فالمسؤولية في الإسلام في الكثير من التكاليف، وفي الحساب
والجزاء عليها مسؤولية فردية، نقل الإسلام بها هذا الفرد من
وضع الذوبان الكامل في إطار القبيلة والعشيرة، لكن هذا الإنسان
الفرد هو مدني بالجبلة، اجتماعي بالطبع، يستحيل عليه أن يحيا
فردا وفي حدود النزعة الفردية.

نسق التكاليف الدينية

والتكاليف في الإسلام منها الفردي (فروض العين) ومنها
الاجتماعي (فروض الكفاية)، وهي جميعا ينتظمها نسق واحد،



العضوي بينهما في النسق التكليفي الواحد، ولترتب التمكن من أداء كثير من فروض العين على تحقيق كثير من فروض الكفاية.

مركزية دور الفرد

لكن تحقيق الفروض الاجتماعية لا يغني عن ضرورة الفروض العينية؛ لأن مكانة الأمة والجماعة في التصور الإسلامي لا تلغي دور الفرد ومكانته، فالمسؤولية والتكليف والحساب والجزاء فردي، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (الإسراء: ١٥) في التكليف الفردية، لكن البلوى الاجتماعية إذا عمت طالت من لا يد له فيها. ولذلك دعانا الله إلى اتقاء الفتنة التي لا تصيب الذين ظلموا دون سواهم ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ (الأنفال: ٢٥). إن النهوض بالمسؤوليات والتكليف الفردية هو السبيل إلى إقامة التكليف الاجتماعية.. كما أن إقامة التكليف الاجتماعية هو الذي يهيئ للفرد الوفاء بحقوق تكاليفه العينية. وهذا الترابط بينهما هو التعبير عن ارتباط الفرد بالأمة في منهج الإسلام.

الفرد لبنة كيان الأمة

وفي ضوء هذه الحقيقة نقرأ صياغتها عند الماوردي عندما يقول: "واعلم أن صلاح الدنيا معتبر من وجهين: أولهما: ما ينتظم به أمور جملتها. والثاني: ما يصلح به حال كل واحد من أهلها. فهما شيان لا صلاح لأحدهما إلا بصاحبه؛ لأن من صلحت حاله مع فساد الدنيا واختلال أمورها، لن يعدم أن يتعدى إليه فسادها ويقدر فيه اختلالها؛ لأنه منها يستمد ولها يستعد. ومن فسدت حاله مع صلاح الدنيا وانتظام أمورها لم يجد لصلاحها لذة ولا لاستقامتها أثراً؛ لأن الإنسان دنيا نفسه، فليس يرى الصلاح إلا إذا صلحت له، ولا يجد الفساد إلا إذا فسدت عليه؛ لأن نفسه أخص وحاله أخص، فصار نظره إلى ما يخصه مصروفاً، وفكره على ما يحسه موقوفاً."^(١)

فالفرد هو نقطة البدء، وهو بواسطة الأسرة والعشيرة يعد لبنة في كيان الأمة، ولا مكان للفردية المغالية في المنهج الإسلامي؛ لأن صلاح اللبنة موقوف على كونها جزءاً من البناء الكبير.

الأمة في التصور الإسلامي

والأمة في التصور الإسلامي ليست مجرد جمع "كمي" يساوي عدد الأفراد فيها، وإنما هي كيان جامع، له حالة (كيفية) جديدة تفوق كفاءات وقدرات أفرادها متفرقين. إنها كيان متميز، له ما ليس للأفراد المتناثرين. إن الخيوط المتفرقة ليست لها القوة المتحصلة منها ذاتها إذا هي اجتمعت. وقطرات الماء المتفرقة لا

تحدث الري الذي تحدثه عند الاجتماع. والأفراد المتفرقون ليست لهم حصافة الرأي ورجاحة العقل وكياسة النظر التي تتأتى لهم بشورى الاجتماع. ولذلك لم يمنع جواز الضلال على كل فرد من أفراد الأمة، أن تكون لهذه الأمة العصمة عند الاجتماع والإجماع. ويشهد على هذه الحقيقة الموضوعية حديث رسول الله ﷺ: "إن الله وعدي في أمي وأجارهم من ثلاث: لا يجمعهم بسنة، ولا يستأصلهم عدو، ولا يجمعهم على ضلالة" (رواه الدارمي). فللأمة في الإسلام مقام فريد، يعلو بها عن مجرد الجمع العددي والتراكم "الكمي" لما لدى أفرادها وآحادها. ولقد أبصر الماوردي وهو يتحدث عن مذاهب الأمم في "الشورى" كيف أن الحضارات التي مالت كفتها لحساب "الفرد" قد جذبت "الشورى الفردية"، بينما جذبت الحضارات التي مالت كفتها لحساب المجموع "شورى الاجتماع". ثم أضاف الجديد الذي تميزت به حضارة الإسلام وشوراه، عندما جمعت بين الاثنين (الفرد والمجموع) فقال: إن مذهب الإسلام في "الشورى" هو الجمع بين "شورى الفرد" و"شورى الاجتماع"، فحيث تكون القضايا مما تحتاج إلى الاجتهاد وإعمال الفكر واستنباط الأدلة تكون شورى الأفراد؛ لأنها شورى الاجتهاد. وحيث يكون المراد هو الكشف عن ثمرات الاجتهاد الفردي، فإن الاجتماع والمواجهة (شورى الاجتماع) تكون هي السبيل القويم.^(٢) فللارتباط بين الفرد والمجموع كان جمع الشورى الإسلامية بين نمطي شوراها جميعاً.

التمايز الطبقي

وكما أن دار الإسلام تتألف من أوطان وأقاليم يجمعها جامع الإسلام: العقيدة والشريعة والحضارة؛ فكذلك أمة الإسلام تتألف من الشعوب والقبائل التي تعارفت بالإسلام وعليه، فغدت أمة الإسلام التي لا تمزق وحدتها التمايزات القومية والعرقية والبيئية؛ لأنها تمايزات الواقع الذي لا يناقضه الإسلام، وإنما يهذب فينظمه في نسق العقيدة الواحدة والحضارة الواحدة.

وإذا كانت مكانة الفرد في المنهج الإسلامي قد شهدت بتميزها المسؤولية الفردية، والتكليف الفردية.. وإذا كان القرآن الكريم قد أبرز مكانة الأمة ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٩٢) ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١٠) ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة: ١٤٣).. فإن المنهج الإسلامي لا ينكر وجود "الطبقة" ولا التمايز الطبقي في إطار الأمة وفي داخلها؛ فالتفاوت الاجتماعي - بنظر الإسلام - حقيقة من حقائق الواقع، نابعة من تفاوت الخواطر والقدرات



و"التكنوقراط" (أي الدولة) التي امتلكت سلطات الفكر والحكم والمال بدلا من ملاكها السابقين. تغيرت الأسماء، ولم تلغ الطبقية في المجتمع الذي ظنوه لا طبقيًا، حتى ليتحدثون عن حاجة مجتمعهم هذا إلى ثورة لإزالة ما به من تناقضات.

الإسلام لا يتجاهل الواقع

لكن الإسلام الذي لا يقفز على الواقع ولا يتجاهل حقائقه - ومنها التمايز الطبقي النابع من التفاوت الاجتماعي الطبيعي - يجاهد لإبقاء هذا التفاوت في حدود الأسباب المشروعة، ويعمل على أن لا تتجاوز آفاقه لحظة التوازن، التي هي درجة العدل (الوسط).. فإذا تجاوز هذه الآفاق واختل التوازن وحل الظلم الاجتماعي محل العدل الاجتماعي، فلا حرج في الإسلام أن يشهد المجتمع دفعا طبقيًا، بل لقد رآه الإسلام سنة من سنن الله في المجتمعات، تقود الظاهرة الاجتماعية من درجة الخلل ولحظة الظلم إلى درجة التوازن ولحظة العدل بين الطبقات؛ ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: ٢٥١)،^(١) و"من أريد ماله بغير حق فقاتل فقتل فهو شهيد" (رواه الترمذي). فهذا الدفع الاجتماعي الذي هو سنة من سنن الله في المجتمعات هو أداة العودة بالعلاقات - إذا هي خرجت من دائرة التمايز المشروع والطبيعي في الرابطة الجامعة إلى دائرة التناقضات العدائية والممزقة لجامع الأمة وتضامنها - هو أداة العودة بالعلاقات الطبقيّة من إطار الخلل والظلم إلى إطار التوازن والعدل؛ لتظل الأمة هي الجامعة، حاملة رسالة الإسلام: العقيدة والشريعة والحضارة. وليست الطبقة هي حاملة الرسالة البرجوازية - ورسالتها "الليبرالية - الرأسمالية"، والبروليتاريا - ورسالتها "الشمولية - الشيوعية".

علاقة الطبقة بالأمة

ثم إن هذا الموقف المتميز للمنهج الإسلامي من علاقة الطبقة بـ "الأمة"، هو الآخر مؤسس على مفهوم متميز لمعنى "الطبقة" في منهج الإسلام؛ فإذا كانت "الطبقة" هي الشريحة المتميزة اجتماعيا في إطار الشعب أو الأمة، وإذا كان هذا التعريف لها هو مما يمكن الاتفاق عليه في مختلف المذاهب والحضارات، فإن خلاف المنهج الإسلامي مع المناهج الغربية يأتي في العامل والمعيار الذي يميز هذه الشريحة فيجعلها طبقة اجتماعية متميزة عن غيرها من الطبقات. ففي الحضارة الغربية نجد أن الوضع المادي (الاقتصادي) هو الأساس الأول والمعيار الأعظم في تمييز الطبقة اجتماعيا. وما نوع العمل في ذلك المنهج إلا سبيل لتحديد مستوى هذا الوضع المادي والاقتصادي.. أما في المنهج الإسلامي فإن معايير تمايز الطبقات

والجهد المبذول والذكاء الذي يستخرج الثمرات.. والإسلام لا يقفز على حقائق الواقع ولا يتجاهلها ولا يعاديه، ولكنه يهذبها ويضبطها كي تظل في إطار "المشروع" ونطاق "العدل" الذي لا يعني المساواة التامة وإنما يعني "التوازن" بين فرقاء متفاوتين.. التوازن (الوسط) العدل، الذي ينكر الظلم ويقرب بالتفاوت إلى حيث درجة التوازن ولحظة العدل، التي يكون فيها التفاوت مؤسسا على ما هو ضروري ومشروع وطبيعي من العوامل والأسباب. ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِصْمَةِ اللَّهِ يُجْحَدُونَ﴾ (النحل: ٧١). فإذا تأسس التفاوت والتمايز الاجتماعي والاقتصادي على ما هو مشروع من الأسباب، وإذا أحدث هذا التفاوت تمايز الأمة إلى طبقات اجتماعية متميزة، فإن الإسلام لا يرى في وجود الطبقات إخلالا بالأمة، ولكنه كما أقام علاقات الترابط بين الفرد وبين الأمة، كذلك يهذب من حدود التمايز والتفاوت الطبقي ويضبط جموحه ويرسم آفاقه، على النحو الذي يجعل علاقات الطبقات الاجتماعية في لحظة التوازن ودرجته ومستواه؛ لأن هذا التوازن الذي يجمع بروابط التساند الطبقات المتعددة هو العدل الوسط في منهج الإسلام.

أما إذا اختل هذا التوازن الاجتماعي بين الطبقات في أمة الإسلام؛ فإن الخيوط الجامعة بين الطبقات تخلي مكانها لعوامل التناقض والصراع بين هذه الطبقات. وتلك هي الأخرى حقيقة موضوعية، وواقع اجتماعي، لا ينكره المنهج الإسلامي ولا يستنكره ولا يتجاهله ولا يقفز عليه. لكنه يضع أيضا لهذا الصراع الضوابط، ويحدد له الغايات والآفاق؛ فالهدف منه هو العودة بالعلاقات الطبقيّة إلى درجة التوازن ولحظة العدل الوسط. وليس الهدف منه أن ينفي قطب القطب الآخر تماما، وأن تلغي طبقة الطبقة النقيض كلية وتقتلعها من الوجود؛ فهذا المفهوم للصراع الطبقي هو خصيصة غريبة، لأن لهم مفهومهم الخاص لآفاق حرية الطبقة في التمايز والامتياز.. وهي آفاق قد لا تعرف الحدود. فالبرجوازية سعت إلى نفي الإقطاع، والبروليتاريا سعت وتسعى إلى نفي البرجوازية. وما حديث "الشمولية - الشيوعية" عن المجتمع اللاتبقي إلا حديث عن المجتمع الذي تنفرد فيه طبقة واحدة بسلطات الفكر والحكم والمال.. لكنهم يكتشفون أن التمايز الطبقي الطبيعي حقيقة موضوعية من حقائق التوازن الاجتماعي (أي العدل الاجتماعي) وضرورة من ضروراته. فما ظنوه اقتلاعا للبرجوازية، لم يكن أكثر من استبدال الطرف الذي يتمتع بامتيازاتها؛ فبدلا من الملاك الرأسماليين حل "الحزب"

متعددة ومتنوعة، ولا تقف عند العامل المادي وحده. فنوع العمل ووظيفته في المجتمع ومكانته في الهيئة الاجتماعية يثمر تميز الطبقة اجتماعياً حتى مع غيبة التماثل المادي والاقتصادي داخلها، لأن شرف العمل أو وضاعته، وخطره أو ثانويته، تثمر رباطاً يصنع ويميز الطبقة اجتماعياً عن غيرها من الطبقات، وابن الفلاح الذي ينفلت من طبقة الفلاحين مهنيًا طبيباً أو مهندساً أو عالماً أو رجل دولة أو قائداً عسكرياً، إنما يدخل في طبقة اجتماعية جديدة تميزه اجتماعياً، حتى ولو لم يتجاوز مادياً المستوى الاقتصادي الذي يوجد عليه أبوه الفلاح، وحتى مع بقائه عضواً في أسرة فلاحية. فليس بالعامل المادي والاقتصادي وحده تمييز الطبقات. كما أن هذا التمايز، لأنه في إطار الجامعة الأعظم جامعة الأمة، لا يعرف الفواصل الحادة، على النحو الذي عرفته الحضارة الغربية في العلاقات ما بين الطبقات.

مفهوم العدل في الإسلام

هكذا أقام المنهج الإسلامي وقيم العلاقة بين الفرد والطبقة.. وبين الطبقات - في إطار الأمة - على النحو الذي يحقق فيه الكل ذاته ورسالته، وعندما يكون التوازن والعدل والوسط هو ميدان الاجتماع والالتقاء. فإذا اختل الأمر كان الدفع الاجتماعي والجهاد لإعادة العلاقات إلى صحتها، ونفي عوامل المرض وجراثيمه منها، وليس لينفي طرف من الأطراف الطرف الآخر حالاً بالانفراد والاستغناء. إن الاجتماع والاشتراك (الأمة) والتأليف والتساند بين الفرقاء المميزين هو العدل.. أما الانفراد - من الفرد أو من الطبقة في السلطة السياسية أو بسلطان المال - فهو عين الظلم وذات الطغيان. وصدق الله العظيم حين يقول: ﴿كَأَلَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ۚ أَن رَّآهُ اسْتَعْتَىٰ ۚ﴾ (العلق: ٦-٧).

إن هناك حداً أدنى للعدل لا بد أن يتوفر للفرد هو الإنصاف في القانون والحكم، والإنصاف في أمور المعاش. وفي كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه حول القضاء إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، يقول: "وبحسب المسلم الضعيف من العدل أن ينصف في الحكم والقسم".^(٥) هذا هو الحد الأدنى من العدل للفرد الضعيف في منهج الإسلام. وفي العهد الذي كتبه الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى واليه على مصر (الأشتر النخعي) حديث عن التمايز الطبيعي والواقعي بين طبقات الأمة، وعن واجب الدولة الإسلامية حيال هذا الواقع الطبقي، وعن السبيل لإبقاء العلاقات في درجة التوازن ولحظة العدل. يقول الإمام علي رضي الله عنه لواليه: "واعلم أن الرعية طبقات، لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض، فمنها:

جنود الله، ومنها: كتاب العامة والخاصة، ومنها: قضاة العدل، ومنها: عمال الإنصاف والرفق، ومنها: أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها: التجار وأهل الصناعات. ومنها: الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة (أي العاجزون عن الكسب والتحصيل).. فالجنود حصون الرعية، وسبل الأمن. ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج. ثم لا قوام للذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب. ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار وذوي الصناعات".^(٦)

فالمطلوب لتحقيق العدل ليس الصراع الذي تنفي فيه طبقة بقية الطبقات، بزعم أن العدل مرهون بالمجتمع اللاطقي. وإنما العدل المطلوب سبيله إقامة التوازن بين الطبقات التي تعد وظائفها ضرورات اجتماعية تحقق للمجتمع ثمرات من الكسب المادي والفكري، والكسب الحافظ على المجتمع قدرته وحركته ومنعته. لأن هذه الطبقات - كما يقول الإمام علي -: "لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض".

ولعل هذا التساند الطبقي، والارتفاق الذي لا غنى عنه بين الطبقات، لعله أن يكون التفسير الأدق لقول الله تعالى: ﴿وَنَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (الزحرف: ٣٢). فالتمايز والتفاوت الطبقي والمحدد بأنه درجات، هدفه - وهذا هو المعنى المناسب لـ ﴿سُخْرِيًّا﴾ - هو التساند والارتفاق، وأن تكون كل طبقة هي للأخرى مرفق وسند وعماد. وليس المراد سخرة الاستعباد والإذلال التي هي عين الظلم الذي تنزه الله عن فعله وعن إرادته للناس. فالطبيعة وظواهرها وقواها قد سخرها الله للإنسان يرتفق بها ويستعين على عمارة الأرض وتزيينها. وكذلك التمايز الطبقي ضرورة للتساند والارتفاق، عندما تكون العلاقات الطباقية في لحظة التوازن ودرجة العدل؛ لتكون الأمة بأدائها الاجتماعي كالفرق وكالجسد الواحد، الذي وإن تكن من أعضاء متميزة إلا أن العلاقات والروابط الصحيحة بين أعضائه المتعددة تحقق له - بتنمية الحوافز وإثارة الهمم - أداء موحداً لجسد واحد، حتى إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

ولأن هذه هي "فلسفة الإسلام الاجتماعية" وجدنا القرآن الكريم يجعل "المال" مال الله تعالى في ذات الوقت الذي يجعله مال الناس بحكم خلافتهم فيه عن الله، فلقد قال خالقه وواهبه لخلفائه فيه: ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ﴾ (الحديد: ٧). فجعل ملكية الرقبة الملكية الحقيقية له سبحانه، وجعل للإنسان

فيه ملكية المنفعة للملكية المجازية المحققة لمقاصد الاستخلاف في هذه الأموال، وذلك حتى يفتح الباب -دائما وأبدا- أمام حركة الدفع الاجتماعي وأنصار العدل الاجتماعي كي يعيدوا أوضاع الامتلاك والاختصاص والحيازة في الأموال إلى درجة التوازن ولحظة العدل التي تنفي الخلل والظلم وتُحقق مقاصد الاستخلاف. فإذا غدا المال ﴿ذُوْلَةَ بَيْنِ الْأَغْنِيَاءِ﴾ (الحشر: ٧) جاز -بل وجب- إعادة التوازن بين الفرقاء، بتأسيس التفاوت بينهم على المشروع من الأسباب والحلال من الثمرات.

وفي نطاق المستخلفين وجدنا القرآن الكريم يضيف مصطلح "المال" إلى ضمير "الجمع" في سبع وأربعين آية ﴿أَمْوَالُكُمْ﴾ و﴿أَمْوَالُهُمْ﴾ وإلى ضمير الفرد في سبع آيات ﴿مَالُهُ﴾ ﴿مَالِيَّةُ﴾، فلا ينفرد جانب دون الآخر بحق الاستخلاف.

ولعل في تأمل الآية الكريمة التي تشرع لنوع العلاقة بين المستخلف في المال وبين الله الذي استخلفه، ثم بينه وبين أصحاب الحقوق في هذا المال -وهي علاقة الوساطة والسبب بين الواهب وبين أصحاب الحقوق-.. لعل في تأمل الآية التي تشرع لذلك فتقول: ﴿وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ (النور: ٣٣) ما يجسد هذا المعنى الذي نلح على إبرازه. فالمال مال الله، وهو قد آتاه حائزة ليؤتي منه أصحاب الحقوق. فالحائز "واسطة"، والحيازة وظيفة اجتماعية واقتصادية لمصلحة المجموع.

ثم لتأمل صنيع عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع الصحابي بلال بن الحارث رضي الله عنه، و"الإقطاع" الذي أقطعه إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد سأل بلال الرسول أن يقطعه أرضا واسعة، فأقطعه له، وكان ذلك سبيلا لإحياء الأرض الموات أو زراعة الأرض التي لا صاحب لها، ولكن بلالاً حجز هذه الأرض دون أن يزرعها بحجة أنه صاحبها يفعل فيها ما يريد. لكن عمر رأى أن في ذلك إخلالا بالتوازن والعدل الذي يجب أن يحكم علاقات الملكية والحيازة في الأموال كي لا تكون دولة بين الأغنياء، يحوزون أكثر مما يطبقون ويحتاجون، بينما لا يجد الآخرون ما يحتاجون. فأراد عمر العودة بهذه العلاقة بين بلال والأرض من درجة الخلل إلى درجة التوازن والعدل، وذلك بأن تقتصر حيازته على ما يطبق زراعته، وأن يعطى الزائد لمن يحببه ويستثمره. ولما جادل بلال في ذلك قسره عليه عمر، بل وسنن قانونا ينظم أمر هذه الإقطاعات، ويضمن إعادة العلاقة بالأموال -إذا هي اختلت- من درجة الظلم والخلل إلى درجة العدل والاتزان.

لتأمل صنيع عمر هذا من خلال كلمات الحوار الذي دار عنيقا بينه وبين بلال ابن الحارث رضي الله عنه، والذي بدأه عمر رضي الله عنه فقال لبلال:

إنك استقطعت رسول الله أرضا طويلة عريضة، فقطعها لك. وإن رسول الله ﷺ لم يكن يمنع شيئا يسأله، وأنت لا تطبق ما في يدك. - أجل.

- فانظر ما قويت عليه فأمسكه، وما لم تقدر عليه فادفعه إلينا نقسمه بين المسلمين.

- لا.. لا أفعل، هذا شيء أقطعنيه رسول الله.

- إن رسول الله ﷺ لم يقطعك لتحتجزه عن الناس، وإنما أقطعك لتعمل، فخذ منها ما قدرت على عمارته ورُد الباقي.

- لا أفعل.

- والله لتفعلن.

وأخذ عمر من بلال ما عجز عن عمارته فقسمه بين الناس. ثم خطب الناس: "من أحيا أرضا ميتة فهي له.. ومن عطل أرضا ثلاث سنين لم يعمرها فجاء غيره فاعمرها فهي له".^(١)

فنحن هنا أمام تطبيق خلاق لفلسفة الإسلام في استخلاف الناس في الأموال عن الله، وتحديد آفاق ملكيتهم وحيازتهم لها بحدود عهد الاستخلاف. وأمام تجسيد لمذهب الإسلام في الإقرار بالتمايز الاجتماعي والطبقي، مع الحرص على أن تكون علاقات التمايزين طبقيا عند لحظة التوازن والعدل (الوسط). فإذا حدث الخلل والظلم عاد المنهج الإسلامي بهذه العلاقات -كما صنع عمر مع بلال بن الحارث- إلى درجة التوازن والعدل. فهو لم يبلغ حيازة بلال للأرض إلغاء كاملا، وإنما وقف بها عند حدود التوازن العادل. "خذ منها ما قدرت على عمارته، ورد الباقي إلينا نقسمه بين المسلمين".

هنا تنشأ وتصح العلاقات بين الفرد، والطبقة، والأمة، وتظل الوسطية الإسلامية الجامعة المعيار الذي يرشد هذه العلاقات، ويضمن لها البقاء في درجة التوازن ولحظة العدل، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: "الوسط: العدل، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة: ١٤٣)" (رواه أحمد).^(٢)

(١) كاتب ومفكر إسلامي / مصر.

الهوامش

(١) الاقتصاد في الاعتقاد، للغزالي، مطبعة صنيح، القاهرة، ضمن مجموعة، بدون تاريخ.

(٢) أدب الدنيا والدين، للماوردي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٧٣م، ص: ١٣٤.

(٣) أدب الدنيا والدين، ص: ٢٩٣.

(٤) وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صُلُوحُ رَبِّيعٍ وَصَلَوَاتُ مَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٣٩-٤٠).

(٥) تاريخ الطبري، لابن جرير الطبري، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٣ / ٤.

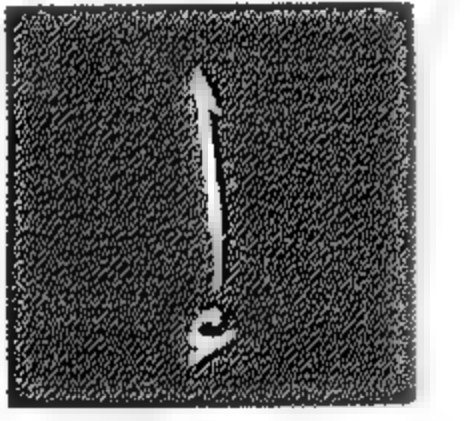
(٦) نهج البلاغة، للإمام علي بن أبي طالب، دار الشعب، القاهرة، ص: ٣٣٧.

(٧) الخراج ليعني بن آدم طبعة القاهرة، ١٣٧٤م، ص: ٩١-٩٣؛ الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام، طبعة الشروق، القاهرة، ١٩٨٩، ص: ٣٨٢-٣٨٤.



منهجية الاستمداد التكاملي لمعارف الوحي

أ.د. سعيد شبار *



صورة المبرهن التمثيلي". لذا فهو يرى "أن أعظم سبب سلب منا الراحة في الدنيا وحرَم الأجانب من سعادة الآخرة وحجب شمس الإسلام وكسفها، هو سوء الفهم وتوهم مناقضة الإسلام ومخالفته لحقائق العلوم. فيا للعجب كيف يكون العبد عدو سيده، والحادم خصم رئيسه، وكيف يعارض الابن والده! فالإسلام سيد العلوم ومرشدها ورئيس العلوم الحقة ووالدها". فالإنسان -حسب النورسي رحمه الله- مزود بقدرات مهمة وإن لم تكن نهائية، وتوظيفها بتوازن في النظر والاستنباط للتحقق بواجبات وتكاليف الدين هو المطلوب، إذ الإنسان مسؤول عن كل أجهزته وموازينه المنعم بها عليه من فطرته، والتي تحيله على عوالم لا متناهية في التعرف على خالقه وعلى نفسه وعلى الكون المحيط به، كما يدل على ذلك صريح الآية ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٦).

ولهذا كما كان النورسي رحمه الله مدمن النظر في آيات النص المسطور، كان كذلك في آيات الكون المنظور. وكما يقول عنه تلامذته كان دائم المطالعة والقراءة لكتاب الكون، له تعامل خاص مع سائر المخلوقات والموجودات. وكان يسألهم: "أتقرؤون كما

إن التفريق في الاستمداد بين مصادر المعرفة (نصا وعقلا وواقعا) باعتماد بعضها دون الآخر ينتج على الفور نزعات فكرية أكثر مما ينتج معرفة متكاملة. وهذا سبب من أسباب الفرقة والخلاف والنزاع بين طوائف وتيارات الفكر الإسلامي ذات النزوع النصي الحرفي، أو العقلاني الصرف أو الدهري الواقعي جدا، ومثلها الباطني الغالي وهكذا. فالأصل في المعرفة أن تنال حظا من هداية وإرشاد الوحي، وحظا من اجتهاد ونور العقل، وحظا من حاجات ونوازل العصر والواقع. تلك وحدها المعرفة القابلة للاستمرار والمقبولة عند ذوي العقول والفطر السليمة.

نجد العلامة النورسي رحمه الله يدافع عن هذا الاختيار التكاملي بين مصادر المعرفة، باعتباره موحدا لفكر الأمة من جهة، ومحققا شرط كسبها الاجتهادي لزمانها من جهة أخرى، ومحققا لثمرات وجودها الواقعي من جهة ثالثة. يقول -رحمه الله- معبرا عن امتزاج نظره العقلي بيقينه القلبي ومشهودات الواقع الحسي: "اعلم أن عقلي قد يرافق قلبي في سيره، فيعطي القلب مشهوده الذوقي ليد العقل، فيبرزه العقل على عادته في

أقرأ؟". يقول في "الآية الكبرى": "مشاهدات سائح يسأل الكون عن خالقه" في بيان قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (الإسراء: ٤٤). "إن آيات كثيرة في القرآن الكريم - أمثال هذه الآية العظمى - تذكر في مقدمة تعريفها لخالق هذا الكون "السموات" التي هي أسطح صحيفة للتوحيد، بحيث ما يتأمل فيها متأمل إلا تغمره الحيرة ويغشاه الإعجاب فيستمتع بمطالعتها بكل ذوق ولذة".

ولا يخفى أن الجمع بين القراءتين محدد منهاجي أساس في التعامل مع آيات الكتابين فهما واستنباطا وتعرفا واستكشافا، باعتبارها دلائل متجانسة متناسقة على الخالق سبحانه. وعلى امتداد رسائل النور نجد الشواهد حاضرة وقوية من الكتابين معا وهو ما أضفى عليها خصوصية الجدة والتفرد والإقبال الكبير.

ملاحظ منهجية

وللنورسي رحمه الله ملاحظ منهجية كثيرة من خلال القرآن الكريم تمهد السبيل أمام هذا الضرب الجامع من القراءة، نذكر منها مسألة مهمة جدا تتعلق بهيمنة الجزئي على الكلي، والفروع على الأصول، والحاجيات على الضروريات؛ إذ بذلك تشعبت الآراء واختلفت وتمايزت وتعددت حتى لا تكاد تلمس بينها أصلا ناظما يوحدنا. ومن هنا كان إلحاحه على الانتباه إلى القرآن الكريم في عرضه للأصول وللكتليات الشاهدة والمسددة لحركية الفروع والجزئيات الضابطة لتغيرها وتبدلها زمانا ومكانا؛ فـ"إن هناك خطرا عظيما في مزج الضروريات الدينية مع المسائل الجزئية والفرعية والخلافية وجعلها كأنها تابعة لها". ولهذا يرى أنه "لو كان قد بُيِّنَ القرآن الكريم ضمن بيان الضروريات الدينية مباشرة، لكان الذهن ينتقل انتقالا طبيعيا إلى قدسيته ولأثارت الشوق إلى الاتباع ولنبهت الوجدان إلى الاقتداء، وعندها تنمو ملكة رهافة المشاعر لدى المخاطب بدلا من صممها أمام حوافز الإيمان وموقفاته". وعلى الكتب الفقهية في هذا السياق: "أن تكون شفافة لعرض القرآن الكريم وإظهاره، ولا تصبح حجابا دونه كما آلت إليه بمرور الزمان - من جراء بعض المقلدين - وعندئذ تجدها تفسيراً بين يدي القرآن وليست مصنفات قائمة بذاتها". وهذه ملاحظة منهجية مهمة توضح أمرين أساسيين:

١- كون كتب الفقه والتفسير وغيرها من الكتب الدائرة

حول القرآن الكريم يجب أن تكون شفافة؛ معناه أن تنعكس فيها وعليها حقائق القرآن وخصائصه، وأن لا تحجب شيئا من ذلك فتبرز أجزاء دون أخرى. وهذا ما حدث للأسف، إذ نجد الأحكام المستنبطة من القرآن ما هي إلا جزء يسير منه، فلم يُنظر إلى كون كل آية فيه حُكم وحكمة ودلالة واعتبار وتصديق وإيمان... ولهذا لم تبلور أحكام علوم كثيرة أخرى أهمها علوم الإنسان وعلوم العمران رغم حضورهما القوي في القرآن الكريم، بل نُظر إليها وكأنها شيء آخر خارج نطاق الإيمان والأحكام بل والقرآن.

٢- الشفافية تقتضي ألا يتحول الفرع المبين إلى أصل متبع بدل الأصل، بل ينبغي أن يكون دالا على عليه كاشفا عن مكنونه ومحिला قارئه عليه.

يوضح النورسي منهجية القرآن الكريم أكثر في عرض هذه الحقائق التي ينبغي أن تكون دليلا مساعدا للمستنبط والمستمد من القرآن عموما، بالشكل الذي لا يقرأ به هذا الكتاب قراءة عسرين، فتبقى أصول المعرفة مهيمنة على فروعها ويبقى أصل الوحدة ضابطا لمظاهر التجزيء بقوله: "اعلم أن من مزيات القرآن إيراد مذكرات الوحدة خلف مباحث الكثرة، والإجمال عقيب التفصيل، وترديف بحث الجزئيات بدساتير الربوبية المطلقة ونواميس الصفات الكمالية العامة الشاملة، بذكر فذلكات كالتناج والتعديلات في آخر الآيات، لأجل ألا يتغلغل ذهن السامع في ذلك الجزء المذكور، فينسى "عظمة مرتبة الألوهية المطلقة" حتى يخل بلوازم آداب العبودية الفكرية لذي العظمة والهيبة والكبرياء. وكذا ليسط ذهنك من ذلك الجزئي إلى أمثاله وأشباهه. وكذا يريك القرآن بهذا الأسلوب ويفهمك أن في كل جزئي - ولو حقيرا وزائلا - سبيلا واضحا وصراطا مستقيما ومحجة بيضاء إلى معرفة سلطان الأزل والأبد وإلى شهود صلوات أسماء الأحد والصمد".

تكامل العلوم وانتظامها المنهجي في الوحي

وهذا المبحث فرع تابع للمبحث السالف لأنه بتكامل مصادر المعرفة تتكامل العلوم والمعارف، إذ لكل مصدر علوم تنبثق عنه وتدور حوله بيانا وتوضيحا وبناء وتأسيسا، والأصل فيها التداخل والتكامل، لوحدة الغاية والمصدر، وليس التقابل والتنافر والانحباس في دوائر خاصة لا تطل على غيرها ولا تتواصل معها. وهذا الذي حدث تاريخيا - كما ألمحنا سلفا - من حيث التأطر في المذاهب والفرق والطوائف، إنما هو من التحيزات والأفهام الخاصة التي



جعلت كل طائفة تستقل عن الأخرى دون القدرة على التكامل معها. وكان لعامل تصنيف العلوم وتمييز بعضها عن بعض -تسهيلا لتلقيها والتعرف على أحكامها- أثر كذلك في هذا الانقطاع. إذ تحول هذا الاعتبار المنهجي إلى واقع موضوعي يصعب الانفكاك عنه بالممارسة والتداول التاريخي، خصوصا بين العلوم المسماة "عقلية ونقلية"، "عبادية وعادية"، "حكمة وشريعة".. وتطور هذا التمييز ليأخذ أشكالا أخرى في فكرنا الحديث والمعاصر في ثنائيات من قبيل: "حديث/قديم"، "ديني/مادي"، "شرعي/عقلي"، "أصيل/معاصر".. وكأنه لا علاقة لأحدها بالآخر. أدرك النورسي -رحمه الله- هذا الواقع، ولهذا سعى جاهدا ومجاهدا إلى الدعوة إلى بناء جامعة على غرار الأزهر، يكون لها من السمعة والإشعاع والتكوين والتعليم في القارة الآسيوية، ما له في مصر والقارة الإفريقية. جامعة كما يقول: "تتصافح فيها العلوم النابعة من الفلسفة مع الدين، وتتصالح الحضارة الأوربية مع حقائق الإسلام مصالحة تامة، وتتفق المدارس الحديثة

وتتعاون مع المدارس الشرعية". مدرسة يتم فيها "مزج العلوم الكونية الحديثة ودرجتها مع العلوم الدينية؛ [ف] ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة فتتربى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين، وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى والحيل والشبهات في الثانية".

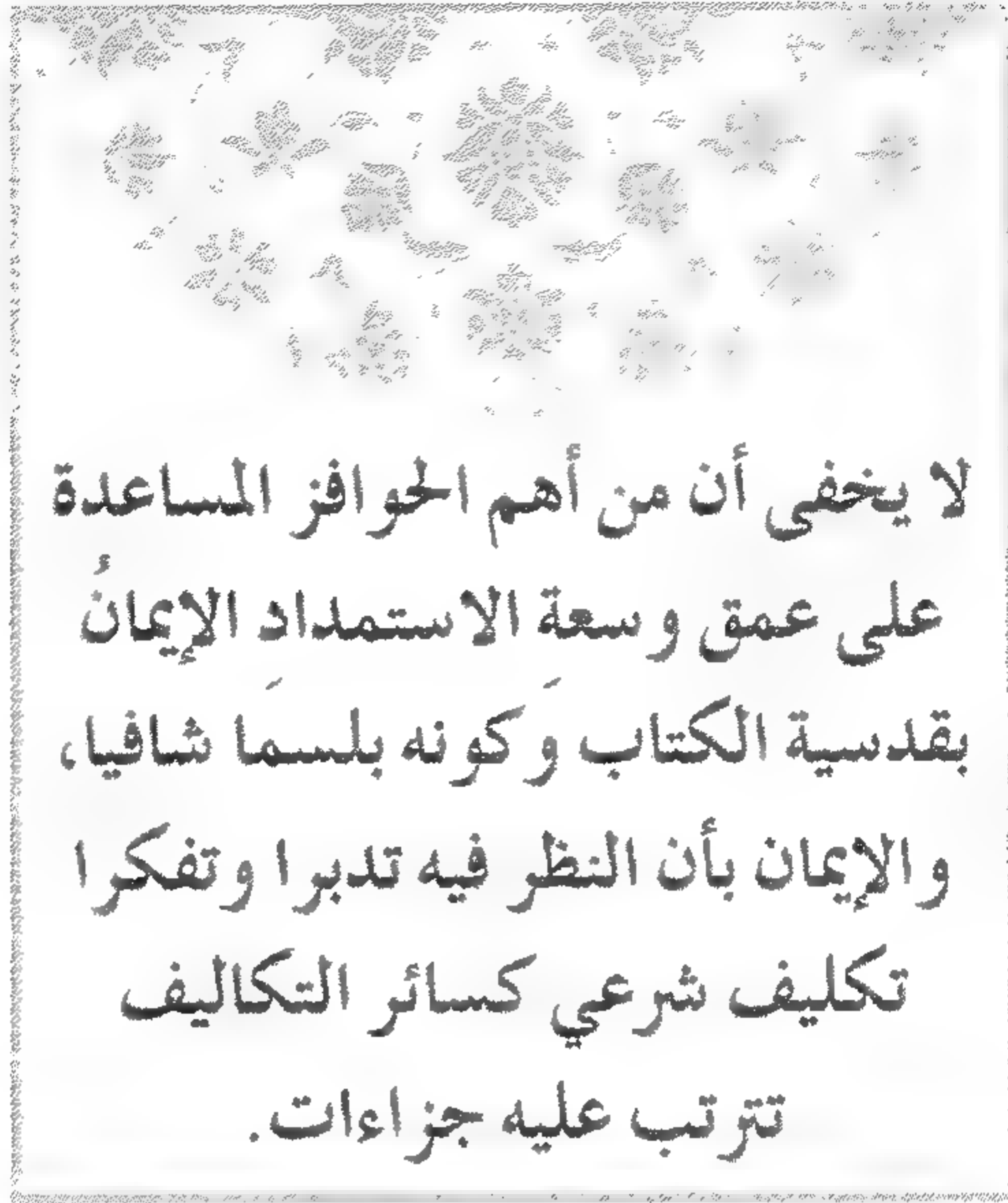
وبهذا تتكامل دوائر العلوم الحديثة وتثمر، كما يصبح محصلها متحققا بالعلم والمعرفة على حقيقتها وليس بصور متوهمة منها. كما يكون التعرف على الخالق أكمل والارتباط به أوثق، من خلال الحبال المتعددة الممدودة إلى أصل واحد، وهو قانون سني سار في الكون، من أخذ به قام ومن أهمله نام.

وبخصوص تكامل العلوم وإمكان استيعابها فهو يقرر من جهة "أن علوما كثيرة تتزاحم في كتاب واحد، فبسبب تعانقها وتجاوبها بإمداد بعضها بعضا وإنتاج بعضها بعضا يحصل تشابك إلى حد

كبير، بحيث لا تكون نسبة مسائل العلم الذي ألف الكتاب فيه إلا زكاة محتواه". ويقرر من جهة أخرى أن: "من الحقائق التاريخية، أن الشخص الواحد لا يستطيع أن يتخصص في أربعة أو خمسة من العلوم ويكون صاحب ملكة فيها"، وإنما "[يتخذ] المرء أحد العلوم أساسا وأصلا و[يـ]جعل سائر معلوماته حوضا تخزن فيه". ف"كما لا تشتري لوازم البيت المتنوعة من صنّاع واحد فقط، بل يجب مراجعة المتخصص في صنعة كل حاجة من الحاجات، كذلك لابد من توفيق الأعمال والحركات مع ذلك القانون الشامخ بالكمالات (قانون الفطرة)، ألا يشاهد أن من انكسرت ساعته، إذا راجع خياطا لخياطتها فلا يقابل إلا بالهزء والاستخفاف".

أكثر من هذا، نجد عند النورسي رحمه الله تفاؤلا كبيرا بخصوص هذه العودة المحمودة إلى هذا الأصل التكاملي، إذ يراه انتصارا للحق وبرهانا عليه وسبيلا من سبل عودته للظهور. يقول: "ولما كان المهيم هو الحق والبرهان والعقل والشورى في خير القرون وعصور السلف الصالح، لم يكن للشكوك

والشبهات موضع. كذلك نرى بفضل انتشار العلوم في الوقت الحاضر وهيمنتها بصورة عامة، وفي المستقبل هيمنة تامة إن شاء الله ﷻ، سيكون المهيم هو الحق بدلا من القوة، والبرهان بدلا من الطبع، والهدى بدلا من الهوى"، ف"من محاسن سلطان الفكر أن تخلصت شمس الإسلام مما كان يحجبها من غيوم الأوهام والخيالات. بل أخذت كل حقيقة منها بنشر نورها، حتى المتعفين في مستنقع الإلحاد أخذوا يستفيدون من ذلك النور". و"ما جعل الإسلام يتجلى دوما وتنكشف حقائقه وتنسبط بنسبة انبساط أفكار البشر، إلا تأسسه على الحقيقة وتقلده البرهان ومشاورته العقل واعتلاؤه عرش الحقيقة ومطابقته دساتير الحكمة المتسلسلة من الأزل إلى الأبد ومحاكاته لها. أفلا يشاهد كيف يحيل القرآن الكريم في فواتح أكثر الآيات وخواتمها البشر إلى مراجعة الوجدان واستشارة العقل بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ﴾ (الغاشية: ١٧)".



استشارة الجوانب المكونة في النص

لا يخفى أن ثمة خللاً كبيراً في قضية استمداد الأحكام من الوحي، إذ نُظر إلى الأحكام من خلال دائرة ضيقة، لا تكاد تتجاوز قضايا المكلف الفرد والجماعة. ولهذا نُظر إلى آيات الأحكام منحصرة في بضع مئات على الأكثر (حوالي ٥٠٠)، أو في بضع عشرات على الأقل (حوالي ٨٠). وما تبقى من القرآن هو للأخبار والوعظ والتذكير.. إلخ. في حين أن كل آية هي حُكمٌ ناطقٌ وحكمة بالغة ووعظ واعتبار وهداية وإرشاد.. سواء كانت حكماً تكليفياً مباشراً أو خبراً اعتبارياً أو غير ذلك.

تبتدئ المسألة عند النورسي باستعداد القارئ نفسه وقوة إرادته وعزمته في النظر والاستمداد. أي أن ينظر كل في مجال اختصاصه وأهليته حيث بإمكانه الإبداع والعطاء. فعنده أن "ترك المستعد لما هو أهل للقيام به وتشبّه بما ليس أهلاً له، عصيانٌ كبير وخرقٌ فاضح لطاعة الشريعة الكونية (شريعة الخلقة)، إذ من شأن هذه الشريعة انتشار استعداد الإنسان ونفوذ قابليته في الصنعة واحترام مقاييس الصنعة ومحبتها وامتنال نواميسها والتمثل بها".

توسيع دائرة الاستمداد

وفي توسيع دائرة الاستمداد والنظر في القرآن الكريم وأهلية الإنسان لاستشارة جوانبه المختلفة يقول: "إن في القرآن الحكيم حوادث جزئية، لكن وراء كل حادث يكمن دستور كلي عظيم، وإنما تذكر تلك الحوادث لأنه طرف من قانون عام شامل كلي وجزء منه. فالآية الكريمة ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة: ٣١) تبين أن الأسماء معجزة من معجزات سيدنا آدم عليه السلام تجاه الملائكة إظهاراً لاستعداده للخلافة. وهي وإن كانت حادثة جزئية إلا أنها طُرف لدستور كلي وهو: أن تعليم الإنسان -المالك لاستعداد جامع- علوم كثيرة لا تحُد، وفنونا كثيرة لا تحصى، حتى تستغرق أنواع الكائنات، فضلاً عن تعليمه المعارف الكثيرة الشاملة لصفات الخالق الكريم سبحانه وشؤون الحكمة.. إن هذا التعليم هو الذي أهل الإنسان لينال أفضلية، ليس على الملائكة وحدهم، بل أيضاً على السموات والأرض والجبال في حمل الأمانة الكبرى".

فالنظر إلى القرآن إذن نظر كلي مستوعب وإن تعددت الجزئيات، يطول كل الكائنات ويستوعبها، يؤسس لكل العلوم ويرشدها، يعرف بالخالق ويظهر جليل وجميل صنعته. يضيف في هذا الاتجاه موضحاً: "أن في كل مصنوع وجهين: وجه ينظر إلى ذاته وصفاته الذاتية، ووجه ينظر إلى صانعه وإلى ما تجلّى

إليه من أسماء فطره. والوجه الثاني أوسع مجالا وأكمل مآلاً، إذ إن كل حرف من كتاب يدل على نفسه بمقدار حرف وبوجه واحد، ويدل على كاتبه بوجوه كثيرة، ويعرف كاتبه ويصفه للناظر بمقدار كلمات كثيرة.. كذلك إن كل مصنوع الذي هو حرف من كتاب القدرة، يدل على وجوده ونفسه بمقدار جرمه وبوجه واحد هو وجوده الصوري. لكن يدل على نقاشه الأزلي بوجوه متنوعة كثيرة، وينشد من أسمائه المتجلية على ذلك المصنوع بمقدار قصيدة طويلة (...). فمن هذا السر ترى كتب الفلاسفة أحكم فيما يعود إلى الكائنات في أنفسها، مع أنها أوهن من بيت العنكبوت فيما يعود إليها بالنسبة إلى صانعها. وكلام المتكلمين مثلاً لا ينظر إلى المسائل الفلسفية والعلوم الكونية إلا بالمعنى الحرفي التبعي والاستطرادي للاستدلال فقط".

فالقرآن الكريم عند النورسي "خطاب إلهي شامل لجميع طبقات الجن والإنس ولكل العصور والأحوال والظروف كافة". و"ذكر القرآن لبعض الغايات الراجعة إلى الإنسان إنما هو للإخطار لا للانحصار، أي لتوجيه نظره إلى الدقة في فوائد نظام ذلك الشيء ذي الغاية في انتظامه الدال على أسماء صانعه، إذ الإنسان إنما يهتم بما له علاقة ما به، فيرجح ذرة ما إليه على شمس ليست إليه؛ مثلاً في قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ (يس: ٣٩)، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ (يونس: ٥)، هذه غاية من ألوف غايات تقدير القمر وليس المراد الانحصار. أي إنما خلق ذلك لهذا. بل إن هذا هو المشهود لكم من ثمرات ذلك".

فالقرآن المجيد إذن معطاء عطاء غير مجذوذ، لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه، يحيل الجزء منه على الكل، والكل على الجزء في علاقة نسقية بديعة. وإنما يتطرق القصور والإهمال من جهة نسبية ومحدودية النظر الإنساني، خصوصاً إذا عمد هذا الناظر إلى وضع سياجات وحدود حول النص لا تسمح بأن يفهم منه إلا ما فهمه هو. فبدل أن يبقى النص رسالة مفتوحة للعالمين تستوعب الزمان والمكان، تتحول بأفهام قاصرة إلى دوائر مغلقة لا تكاد تعبر عن آراء طائفة من الناس. وقد كان النورسي -رحمه الله- شديد النكير على هذا الصنف من المضيّقين واسعا والمعترضين على غيرهم بما فهموه. كما يرجع النورسي هذا الإهمال لشمول الأحكام في الفقه إلى الاهتمام بالقضايا الفرعية والخلافية وترك الأركان والكليات التي هي الأعمدة والأصول. وهو تنبيه منه -رحمه الله- إلى أن





لا تعاكسيني يا عاصفات الليالي

تكسر قفصي، انفتح بابه،
وداعاً يا أيام الاغتراب،
إلى أجواء الحرية خلقت،
ومن مخلوك أيامي تخلصت،
هيهات هيهات...
فلتأت ألف عاصفة...
فلن تعيدني للقفص من جديد...



الرجوع إلى العزة والمنعة، ومقومات النهضة والتوحد في الأمة، إنما يكون بالاستمسك بالأصول والأركان وجعلها مدار حركة الإنسان والعمران، بدل الإيغال في الفروع والجزئيات غير المنضبطة إلى ضابط أصل يستوعبها ويرشد حركتها. فالجزئية الشاردة عن مجموعتها كالجندي الشارد عن فريقه، كلاهما خارج نظام العمل الجماعي النسقي المتكامل. يلفت النورسي كذلك النظر إلى مسألة غاية في الأهمية بخصوص علاقة الإنسان بالقرآن وهي قدسية هذا الكتاب الحاملة على الانقياد له، ف"الذي يسوق جمهور الناس إلى الاتباع وامتنال الأوامر هو ما يتحلى به المصدر من قدسية، هذه القدسية هي التي تدفع جمهور الناس إلى الانقياد أكثر من قوة البرهان ومنانة الحجة".

خلاصة

نخلص مما تقدم إلى أن منهج الاستمداد من الوحي منهج متكامل وتداخل فيه عناصر متعددة، على رأسها التزود بالعلوم المساعدة، وعلى رأسها - كما قال الشاطبي مختصراً من غير تطويل - العلم باللغة العربية وبمقاصد الشريعة، لكنه يحتاج مع ذلك إلى إخلاص ونية وتجرد، وإقبال بمشكلات وهموم التماسا لحلها، وبحث عن المكنون وامتداداته. كما لا يخفى أن من أهم الحوافز المساعدة على عمق وسعة الاستمداد الإيمان بقدسية الكتاب وكونه بلسم شافيا، والإيمان بأن النظر فيه تدبرا وتفكرا تكليف شرعي كسائر التكاليف تترتب عليه جزاءات. ففي القرآن الكريم معالم منهاج استمدادي متكامل هو الذي درجت عليه السنة النبوية في بياتها، وكان عليه الصدر الأول. لكن ما جاء بعد من تراكم في العلوم والمعارف الدائرة حول هذا الأصل، وإن شكلت إبداعا متفردا للأمة بين سائر الأمم، فإنها - أو جانب منها على الأقل - شكل عوائق وموانع حالت دون استمرار الاستمداد على منهاج القرآن والسنة. وهذا الذي حاولنا فيما تقدم الكشف عن بعض جوانبه، باعتبارها مشكلات تحتاج إلى مراجعة وإعادة بناء. سواء تعلق الأمر بمصادر المعرفة في تكاملها، أو تكامل دوائر العلوم وإمسك بعضها ببعض وارتباطها بالأصل، بما يحقق أصل الوحدة والتوحد على مستوى الفكر والثقافة ويدراً آفة الجزئية والتجزئية فيهما، التي طالت واقع الأمة الاجتماعي والسياسي كذلك. ■

(٥) جامعة السلطان مولاي سليمان، كلية الآداب، بني ملال / المغرب.

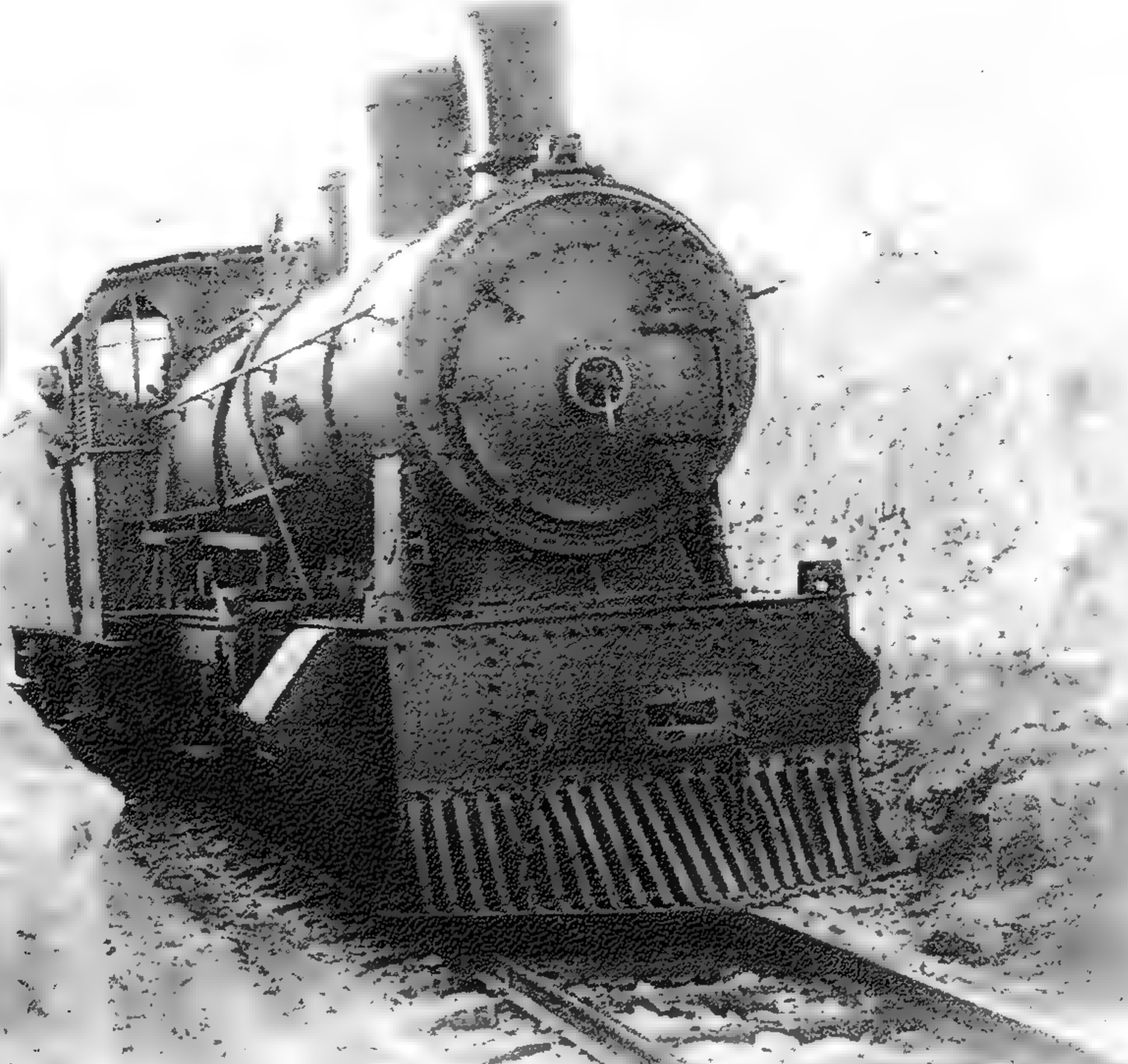
المصادر

- (١) كليات رسائل النور، لبديع سعيد النورسي. ترجمة: إحسان قاسم الصالح، الأجزاء:
١- الكلمات، ٤- الشعاعات، ٦- المثوي العربي النوري، ٨- صيقل الإسلام،
٩- سيرة ذاتية.



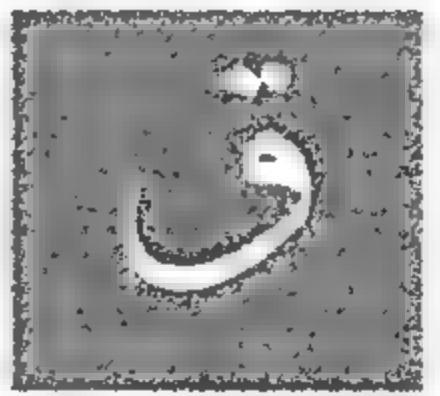
الإيمان وجيب قلب، وهزة جنان، وعقيدة في تلافيف دماغ، وإقرار
باللسان، ومعرفة بالله وقرآنه، ورسوله وسنته... مرآته العبادات، على
الجوارح تنعكس، وفي الضمائر تستقر...

* * *



سكة حديد الحجاز

صالح كولن *



فكرة المشروع
عُرف خط حديد الحجاز في السجلات العثمانية باسم "خط
شندفر الحجاز"، أو "خط حديد الحجاز الحميدي"، وامتد بين
الشام (دمشق) والمدينة المنورة. حيث ينطلق الخط من الشام ماراً
بعمّان ومعان ثم بتبوك ومدائن صالح وصولاً إلى المدينة المنورة.
وكان في خطة المشروع الحجازي أن يمتد بعد ذلك إلى مكة
المكرمة ومن هناك إلى جدة، بيد أن أياً من ذلك لم يتحقق.
وإن تكن فكرة إنشاء الخط الحجازي قد طُرحت أول ما
طُرحت في عهد السلطان عبد العزيز، إلا أنها تحققت في عهد
السلطان عبد الحميد الثاني. ولما كانت جهود السلطان عبد
الحميد الثاني منصبة على العمل من أجل إيقاف تمزق الدولة
العثمانية وانحيارها أو تعطيلة على الأقل، فقد أخذ على عاتقه
إنجاز مشروع الخط الحجازي.

قبل قرن كامل مضى، وبالتحديد عام ١٩٠٨م،
كانت القطارات البخارية تنطلق من محطة قطار
"حيدر باشا" بإسطنبول إلى المدينة المنورة، معلنة
أن حلماً صعب المنال قد أصبح حقيقة تدرّكها الأبصار والأسماع.
فقد كان الأول من سبتمبر عام ١٩٠٨م، هو يوم اكتمال خط
حديد الحجاز وانطلاق رحلته الأولى بعد ثمانية أعوام من عمل
شاق متواصل أسفر عن خط سكة حديدية تجاوز طوله ١٤٠٠
كم. فاستحال به خريف عام ١٩٠٨م - مع ما فيه من الأزمات
والمشكلات - مسرحاً تراحمت فيه آمال المسلمين وطموحاتهم
في شتّى ربوع الأرض مستبشرين ببعث جديد. وأضحى حلم
مشاهدة سحب الدخان الكثيفة وهي تنبعث من القطار البخاري
المنطلق من إسطنبول إلى الأراضي الحجازية، حقيقة قد تجسدت
على أرض الواقع بعد أن كان ضرباً من الخيال.

أوكل السلطان عبد الحميد الثاني مهمة تنفيذ هذا المشروع العملاق لـ "أحمد عزت باشا العابد" والمعروف في التاريخ باسم "عزت باشا العربي". ويتضمن المشروع، إنشاء خط سكة حديد الحجاز ليربط بين خط سكة حديد الأناضول وخط سكة حديد بغداد، وكذلك تأسيس شبكة اتصال تلغرافية بمحاذاة ذلك الخط الحديدي؛ حيث كان السلطان عبد الحميد الثاني يؤمن بأن هذا سيحقق له سهولة وسرعة في عمليات الاتصال والمتابعة بين مركز الدولة العثمانية وولاياتها في الشام والحجاز.

البواعث والأهداف

ثمة مجموعة من البواعث والأهداف دفعت السلطان عبد الحميد الثاني لإنشاء الخط الحجازي والشبكة التلغرافية. وتنوعت هذه الأهداف بين دينية وعسكرية واقتصادية وحضارية وسياسية. ويأتي الهدف الديني في مقدمة هذه الأهداف، حيث استهدف مشروع الخط الحجازي خدمة حجاج بيت الله الحرام من خلال توفير وسيلة سفر يتوفر فيها الأمن والسرعة والراحة، وحماية الحجاج من غارات البدو ومخاطر الصحراء التي كانوا يتعرضون لها في الطريق البري ومن هجمات القراصنة في الطريق البحري، إضافة إلى توفير إمكانات وفرص أكبر للراغبين في أداء فريضة الحج نتيجة انخفاض تكلفة الحج الذي سيحققها ذلك المشروع، مما سيزيد من عدد حجاج بيت الله الحرام.

ويحتل الهدف العسكري مكانة متميزة بين أهداف الخط الحجازي، إذ كان يستهدف تسهيل التحركات العسكرية وحشد الجيوش بغية التصدي لأية هجمات خارجية قد تتعرض لها مناطق الحجاز والبحر الأحمر واليمن، وإحكام السيطرة على البقاع الجغرافية ذات التوتر السياسي الدائم. وبهذه الكيفية تشعر المنطقة بقوة الإدارة المركزية للدولة العثمانية.

أما الهدف التجاري فتمثل في إنعاش الاقتصاد الراكد بالمنطقة من خلال تحقيق نهضة تجارية واقتصادية لمدن الحجاز وكافة المدن الواقعة على امتداد الخط، وإحداث عملية رواج للمنتجات التجارية والزراعية من خلال نقلها نقلاً سريعاً بالقطار إلى المناطق الأخرى، بل وكان من المخطط له مد الخط الحديدي تجاه أحد موانئ البحر الأحمر؛ ما يؤدي إلى زيادة الأهمية الاقتصادية والتجارية للخط زيادة واضحة. وبهذه الكيفية كانت طرق التجارة ستنقل من قناة السويس إلى خط حديد الحجاز. ومع إنجاز هذا المشروع العملاق بتمويل وكوادر عثمانية، كان سيثبت للدول التي تظلم إلى تفريق الدولة العثمانية وتريد

التهامها وعلى رأسها الدول الأوروبية، أن ثمة منجزات حضارية عظيمة يمكن للعثمانيين تحقيقها دون الحاجة إلى اللجوء إليها. وكان للسلطان عبد الحميد الثاني أهداف سياسية مهمة وراء إنشاء الخط الحجازي. إذ اعتقد بأن إنجاز هذا المشروع يعني تحقيق قدر من الاستقلالية للدولة العثمانية عن أوروبا، عسكرياً وسياسياً واقتصادياً وتقنياً. فالسلطان عبد الحميد الثاني والذي عُرف بتميزه عن سابقه بحرصه على بقاء الخلافة العثمانية وحمايته لها، كان يبذل ما بوسعه بغية توحيد صفوف المسلمين وتشكيل "اتحاد إسلامي" لمواجهة الأطماع الأوروبية الاستعمارية وهجماتها الغاشمة على الدولة العثمانية، إضافة إلى دعمه لحركة "الجامعة الإسلامية" التي دعت إلى تكتيل جميع المسلمين داخل الدولة العثمانية والمناطق المختلفة من العالم خلف راية الخلافة العثمانية. ولعل خط حديد الحجاز يعتبر من أروع إنجازات السلطان عبد الحميد الثاني الرامية إلى الحفاظ على وحدة أراضي الدولة العثمانية.

الإنشاء والتنفيذ

يتحدث السلطان عبد الحميد الثاني عن الخط الحجازي في مذكراته بقوله: "أخيراً تحقق الخط الحجازي؛ ذلك الحلم الذي طالما راود مخيلتي. فذلك الخط الحديدي لم يكن فقط مصدراً اقتصادياً للدولة العثمانية، بل كان في الآن ذاته يمثل مصدراً بالغ الأهمية من الناحية العسكرية من شأنه تعزيز قدرتنا العسكرية على امتداده". وقد أصدرت الإدارة السلطانية الخاصة قراراً بالبدء في إنشاء خط حديد الحجاز في الثاني من مايو عام ١٩٠٠م، وفي الأول من سبتمبر عام ١٩٠٠م، والذي يوافق العام الخامس والعشرين لجلوس السلطان عبد الحميد الثاني على عرش الدولة العثمانية، تم تدشين العمل في خط الحديد بين الشام ودرعا في احتفال رسمي مهيب. ووصل خط الحجاز إلى عمان عام ١٩٠٣م، وإلى معان عام ١٩٠٤م. وفي الأول من سبتمبر عام ١٩٠٥م اكتملت المرحلة الأولى من خط الحجاز، وانطلقت أولى رحلات القطار بين الشام ومعان لنقل الركاب والبضائع. وفي الأول من سبتمبر ١٩٠٦م وصل الخط إلى مدائن صالح، ثم في ٣١ أغسطس ١٩٠٨م وصل إلى المدينة المنورة. وخلال الثمانية أعوام التي جرى فيها تنفيذ خط الحجاز وصل طول الخط إلى ١٤٦٤ كم. ومع إضافة الخطوط الفرعية الأخرى في المراحل اللاحقة بلغ طول الخط ١٩٠٠ كم عام ١٩١٨م. وكان الجيش العثماني هو المصدر الرئيسي للقوة العاملة في



الخط الحديدي. كما كان لتدين الجنود العثمانيين وحبهم للنبي ﷺ دوره البالغ في إنجاز هذا العمل في فترة تُعد قصيرة، حيث قاموا بشق الطرق عبر الفيافي والقفار والجداول والوديان. ولعل الفضل في إنشاء هذا الخط الحديدي يرجع إلى أولئك الشجعان البواسل الذين قدموا من الأناضول لإنشاء وتركيب تلك الخطوط الحديدية في صحاري شبه الجزيرة العربية.

وإذ يقوم أولئك البواسل بنصب قضبان السكك الحديدية وأعمدتها وتشبيد محطاته، كانوا ينصبون أيضاً الشواهد لقبور شهدائهم؛ حيث استشهد خلال إنشاء خط السكة الحديدية الكثير من الجنود العثمانيين، إما عطشاً تحت نيران الشمس الحارقة بسبب نقص المياه، وإما من سوء التغذية، فضلاً عما عمن استشهدوا بسبب حوادث العمل أو غارات البدو. ولقد انتشرت شواهد قبور هؤلاء الشهداء العثمانيين البواسل على امتداد خط السكة الحديدية حتى المدينة المنورة جنبا إلى جنب مع محطات القطار. وإن تكن آثار وبقايا هذا الخط الحديدي لا تزال موجودة إلى اليوم، فإن قبور معظم أولئك البواسل وأسماءهم قد طوحتها صفحة النسيان ولم يعد لها وجود. فيكفي أن نعلم أن عام ١٩٠٨م وحده قد شهد أكثر من ١٢٦ غارة من غارات البدو على خط حديد الحجاز، فضلاً عن مشكلات نقص المياه وظهور بعض الأمراض وتدخلات الدول الأجنبية.. وهو ما يعطي لنا مؤشراً مهماً لفهم أسباب البطء في تنفيذ المشروع.

الموقف الأوربي

تلقت أوروبا الإعلان عن الخط الحجازي بدهشة بالغة، واعتبرت إقدام الدولة العثمانية على مشروع مثل هذا ضرباً من الخيال، حيث كانت الدولة العثمانية آنذاك في وضع اقتصادي متدهور أوشكت فيه على الإفلاس بسبب ديونها الخارجية والداخلية؛ حتى أن بعض الصحف الأوربية آنذاك قد تناولت عبر صفحاتها

إنشاء خط حديد الحجاز. وسأهم أيضاً في إنشاء هذا الخط عمال توافدوا من مناطق جغرافية مختلفة من العالم الإسلامي في مقدمتها سوريا والعراق. ولما كانت أعداد أولئك العمال الوافدين محدودة، فقد تحمل الجنود العثمانيين معظم أعباء ذلك المشروع. وكان الجنود يتقاضون أجوراً ضئيلة خلال فترة عملهم في المشروع، في مقابل السماح لهم بالانتهاء من الخدمة العسكرية قبل عام من موعدها المحدد.

تولى منصب كبير مهندسي الأعمال الفنية، مهندس ألماني يُدعى "مايسنر باشا"، وعمل تحت قيادته أربعة وثلاثون مهندسا، سبعة عشر منهم عثمانيون والآخرون كان معظمهم من الألمان، بالإضافة إلى مهندسين من إيطاليا وفرنسا والنمسا وبلجيكا واليونان. وبعد وصول الخط الحديدي إلى محطة مدائن صالح أصبح الجزء المتبقي من الخط داخل حيز المنطقة الحرام. ولما كان من المحظور شرعاً دخول غير المسلمين إلى هذه المنطقة، فقد جرى إنشاء الخط الواقع بين مدائن صالح والمدينة المنورة كله بأيدي مهندسين وعمال مسلمين.

ومع تقدم العمل في المشروع ازدادت خبرة العثمانيين، وعليه قلت أعداد المهندسين الأجانب في المراحل المتقدمة منه أمام أعداد المهندسين المسلمين التي كانت تزداد يوماً بعد يوم. ومن ثم تميز خط حديد الحجاز بوصفه مشروعاً عمل فيه الكثير من المهندسين المسلمين، قياساً بخط حديد الأناضول وخط حديد بغداد.

تضحيات بطولية

استغرق إنشاء الخط الرئيسي لطريق الحجاز ثمانية أعوام، وعمل فيه نحو خمسة آلاف عامل معظمهم من الأتراك وبعضهم من العرب وبعضهم من أجناس مسلمة أخرى. ولا شك أن قيام الجنود العثمانيين بالعمل في هذا المشروع قد خفف كثيراً من النفقات. وهو ما يأتي في مقدمة العوامل المهمة في إنجاز هذا

على المشروع والسلطان عبد الحميد الثاني بالاستهزاء والسخرية، وخصصت لذلك أخباراً مطولة ورسوماً كاريكاتيرية بديئة.

ومع التقدم في إنشاء الخط وإظهار القائمين عليه لتضحيات كبيرة، أخذت الدول الأوربية تضع العراقيل للحيلولة دون إكمال العثمانيين لهذا المشروع. وكانت بريطانيا وفرنسا في مقدمة هذه الدول. فأسرعت تلك الدول ولا سيما بريطانيا للحيلولة دون مساندة الشعوب التي تخضع للاستعمار البريطاني لهذا المشروع، حيث قامت بنشر الشائعات بين المسلمين الهنود الذين يقومون بالتبرع لإقامة الخط الحجازي، وأطلقت شائعات مثل أن "التبرعات لا تُستخدم في إنشاء الخط الحجازي". بيد أن هذه المحاولات قد باءت بالفشل التام، واستمر المسلمون الهنود في جمع التبرعات وإرسالها إلى الدولة العثمانية. كما حظر الاستعمار البريطاني على مسلمي الهند تعليق "وسام خط حديد الحجاز" الذي يُمنح لكبار المتبرعين.

وقد سعت بريطانيا إلى استعمال شتى الطرق من أجل انسحاب العثمانيين من الأراضي المقدسة بعد الحرب العالمية الأولى. ومما يلفت النظر هنا أن تعطيل خط حديد الحجاز كان أول ما قامت به بريطانيا بعد انسحاب العثمانيين من مكة والمدينة المنورة؛ إذ كانت تنظر إلى الخلافة العثمانية باعتبارها التهديد الأكبر ضد طموحاتها الإمبريالية في الشرق الأوسط والشرق الأقصى، ومن ثم فقد شعرت بارتياح شديد بعد أن قامت بقطع الروابط بين الأناضول وشبه الجزيرة العربية من خلال تعطيل الخط الحجازي. أما فرنسا فقد سعت لفرض القيود والعقبات أمام إنشاء خط حديد الحجاز من خلال الموائم التابعة لإدارتها؛ حيث فرضت ضرائب جمركية باهظة على مستلزمات خط الحديد، وعطلتها داخل الموائم فترات طويلة.

وإن تكن كل هذه العقبات قد أبطأت من معدل إنجاز الخط، إلا أنها لم تستطع أبداً إيقاف عجلة التقدم نحو الانتهاء من تنفيذ المشروع. واكتمل خط حديد الحجاز رافعاً راية العصيان والتحدي في وجه الاستعمار الأوربي، ومعلنًا أن قلب "الرجل المريض" لا يزال ينبض بالحياة.

المصادر المالية

كان فترة سلطنة السلطان عبد الحميد الثاني من أصعب فترات الدولة العثمانية من الناحية الاقتصادية. ولم يأل السلطان عبد الحميد جهداً من أجل سداد الديون الخارجية الضخمة التي ورثها عن أسلافه. ورغم أنه قد اضطر للحصول على قروض خارجية

ضئيلة في بعض الأوقات، إلا أن ما قام بسداده كان يفوق بكثير ما اقترضه. وكان يدرك أن الديون الخارجية ترزغ هيمنة الدولة، والديون الداخلية ترزغ سلطتها. ومن ثم لم يفكر في الحصول على أي قروض خارجية لتمويل إنشاء خط حديد الحجاز. وكانت التبرعات -وللمرة الأولى في تاريخ الدولة العثمانية- هي المصدر الأول لتمويل هذا المشروع الضخم. فكان تمويل خط حديد الحجاز من تبرعات المسلمين في شتى أنحاء العالم دون أن تشوبه أي مساهمة من الدول الأجنبية على النقيض من خطي سكة حديد الأناضول وبغداد اللذين أقيما بتمويل أجنبي.

وكانت الدولة العثمانية قد خصصت ١٨٪ من ميزانيتها لإنشاء هذا الخط، بيد أن تلك النسبة اعتُبرت ضئيلة للغاية عندما تم الإعلان عن أن إنشاء الخط سيتكلف نحو ثمانية مليون ليرة عثمانية. ومن ثم برز الاحتياج الشديد للأموال اللازمة لتنفيذ المشروع. ذلك المشروع الذي اعتبره المسلمون بمثابة "مسألة عزة وكرامة" أمام أوروبا. وأراد السلطان عبد الحميد أن يجتنب دولته المزيد من الاستدانة، وأن يكون تمويل المشروع الحجازي بأموال إسلامية تماماً. فوجه نداءً إلى العالم الإسلامي من أجل التبرع للمشروع، ليدشن بذلك حملة تبرعات قل أن يجد لها نظيراً في تاريخ العالم.

وبدأت حملة التبرعات الأولى في مايو عام ١٩٠٠م، بأن تبرع السلطان عبد الحميد الثاني من جيبه الخاص بخمسين ألف ليرة عثمانية، ودعا المسلمين كافة للمشاركة في هذه الحملة، سواء كانوا ممن يعيشون في الأراضي العثمانية أو في غيرها. ومن بعد السلطان تبرع الباشاوات العثمانيون، ثم أقبل موظفو الدولة والتجار والبائعون والجنود والشعب على المشاركة في هذا التنافس الخيري. ولقي نداء السلطان عبد الحميد استجابة تلقائية وفورية بين كافة المسلمين في شتى بقاع العالم، حيث اقتطع المسلمون من أقواتهم ومدخراتهم للمساهمة في تمويل الخط الحجازي. بل إن دولة ذات صراع تاريخي مع الدولة العثمانية مثل إيران قد جمعت أيضاً مقداراً من التبرعات -وإن كان ضئيلاً- وأرسلته إلى إسطنبول. وانهالت التبرعات التي جاءت من مناطق مترامية الأطراف مثل الهند وأفغانستان، ومن دول أخرى مثل الجزائر والسودان وتونس وليبيا وإندونيسيا وماليزيا. وتدفقت التبرعات من كافة أرجاء العالم؛ فجاءت التبرعات من الشعوب التركية في آسيا الوسطى، ومن مسلمي أوروبا وأفريقيا وأمريكا. وذلك رغم كل المحاولات التي قامت بها الدول الأوربية لصرف

هذه الشعوب المسلمة عن هذا المشروع وإقناعهم بعدم جديته. وأصبحت التبرعات التي تم جمعها من الضخامة ما تكفي لإنشاء ثلث الخط الحجازي.

وحرصت الدولة العثمانية على تكريم المتبرعين من خلال منحهم نياشين وأوسمة مصنوعة من الذهب والفضة تخليداً لذكرى الخط الحجازي. وإضافة إلى ما تم جمعه من تبرعات، فقد اضطرت الدولة العثمانية إلى الاقتطاع الإجباري من مرتبات موظفي الدولة من أجل الإسهام في إنشاء الخط. وجدير بالذكر هنا أننا لا نكاد نجد شكوى واحدة من أولئك الموظفين بسبب هذا الاقتطاع الإجباري من رواتبهم. وهو ما يُعد إشارة واضحة على أن الأمة التي تلتف حول هدف واحد، قادرة على التضحية بكل غال ونفيس في سبيل تحقيق ذلك الهدف. وتاريخ الأتراك في الفترات اللاحقة يشهد على أحداث مشابهة لتلك التضحيات، تجلت فيها هذه الروح والفكرة والعقيدة دون أن يعتربها خلل أو عطب. كما حرصت الدولة أيضاً على اقتطاع جزء من دخلها العام لتمويل المشروع الحجازي، فأصدرت طوابع تمغات متعددة الفئات المالية في كافة دوائرها الحكومية والبيروقراطية، وجمعت جلود الأضاحي وباعتها وحملت عائداتها إلى ميزانية المشروع. إضافة إلى أن نظام البدء الفوري في تشغيل رحلات الركاب والبضائع في الأجزاء التي اكتملت من الخط الحديدي، كانت مصدراً آخر من مصادر التمويل.

هذه الشعوب المسلمة عن هذا المشروع وإقناعهم بعدم جديته. وأصبحت التبرعات التي تم جمعها من الضخامة ما تكفي لإنشاء ثلث الخط الحجازي.

وحرصت الدولة العثمانية على تكريم المتبرعين من خلال منحهم نياشين وأوسمة مصنوعة من الذهب والفضة تخليداً لذكرى الخط الحجازي. وإضافة إلى ما تم جمعه من تبرعات، فقد اضطرت الدولة العثمانية إلى الاقتطاع الإجباري من مرتبات موظفي الدولة من أجل الإسهام في إنشاء الخط. وجدير بالذكر هنا أننا لا نكاد نجد شكوى واحدة من أولئك الموظفين بسبب هذا الاقتطاع الإجباري من رواتبهم. وهو ما يُعد إشارة واضحة على أن الأمة التي تلتف حول هدف واحد، قادرة على التضحية بكل غال ونفيس في سبيل تحقيق ذلك الهدف. وتاريخ الأتراك في الفترات اللاحقة يشهد على أحداث مشابهة لتلك التضحيات، تجلت فيها هذه الروح والفكرة والعقيدة دون أن يعتربها خلل أو عطب. كما حرصت الدولة أيضاً على اقتطاع جزء من دخلها العام لتمويل المشروع الحجازي، فأصدرت طوابع تمغات متعددة الفئات المالية في كافة دوائرها الحكومية والبيروقراطية، وجمعت جلود الأضاحي وباعتها وحملت عائداتها إلى ميزانية المشروع. إضافة إلى أن نظام البدء الفوري في تشغيل رحلات الركاب والبضائع في الأجزاء التي اكتملت من الخط الحديدي، كانت مصدراً آخر من مصادر التمويل.

ورغم الانتهاء من إنشاء المشروع الحجازي، وانسحاب العثمانيين من المنطقة مع حلول عام ١٩١٨م، وتخريب الخط ونسف جسوره وانتزاع قضبانه مع نشوب الثورة، إلا أن التبرعات لم تتوقف وظلت تتدفق من مختلف أنحاء العالم. ولا ريب أن هذه المهمة العالية والتنافس في فعل الخيرات قد أظهر للعالم كله مدى عمق الأخوة الإسلامية وقوتها ورحابتها.

حركة القطار

في الأول من سبتمبر عام ١٩٠٨م والموافق للعام الثاني والثلاثين من جلوس السلطان عبد الحميد الثاني على عرش الدولة العثمانية، قام بافتتاح خط حديد الحجاز وسط مراسم رسمية مهيبه. وكانت قبل ذلك "لجنة خط حديد الحجاز" قد قامت نيابة عن السلطان بافتتاح المحطات الممتدة على خط سكة الحديد في احتفالات رسمية أيضاً. وكان لغزير المسلمين أيضاً الحق في استخدام المحطات البنية الموجودة على خط حديد الحجاز، غير أنه لم يكن من المسموح

الدلالة الدينية

قد تكون نظرنا قاصرة إذا نظرنا إلى البعد الديني للخط الحجازي في نقله للحجاج فحسب. فالقطار الحجازي كان يؤدي في الوقت ذاته مهمة عريقة، ويحافظ على تقليد يضرب بجذوره في التاريخ وهو إرسال "الصرة السلطانية" إلى الحجاز. وكان السلاطين العثمانيون كلهم تقريباً يقومون بتجهيز قدر كبير من الأموال عُرف بـ "الصرة السلطانية" وإرسالها إلى الحجاز. وهو تقليد يرجع بجذوره إلى العباسيين ثم إلى العثمانيين اعتباراً من السلطان العثماني "يلديزم بايزيد".

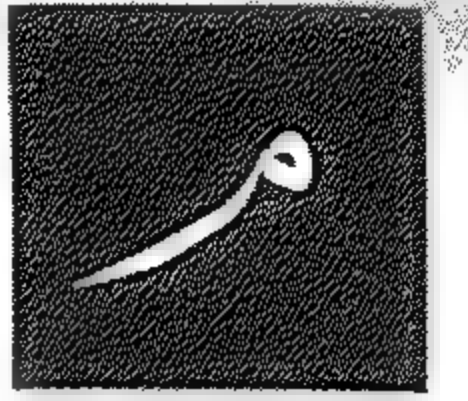
وكانت "الصرة السلطانية" قديماً تبدأ رحلتها في بداية كل ثلاثة أشهر عبر الطريق البري. وعرفت الطريق البحري مع استخدام السفن البخارية منذ عام ١٨٦٤م، ثم أصبح لها مكانها الخاص في القطار الحجازي بعد عام ١٩٠٨م. وكانت أموال "الصرة السلطانية" مخصصة للإنفاق على كافة الخدمات في مكة المكرمة والمدينة المنورة، مثل شؤون الإعمار والإصلاح وغيرهما، ودفع رواتب العاملين هناك. كما كانت أيضاً مصدراً من مصادر توفير الراحة وتيسير مناسك الحج لزوار بيت الله الحرام. إضافة إلى أن القطار الحجازي قد وفر لوفد "الصرة السلطانية" رحلة سريعة ومريحة وآمنة.

وأخيراً وبهذه المناسبة نتوجه بخالص العرفان بالفضل والدعاء بالرحمة لأولئك الذين عملوا على إنشاء خط سكة حديدية الحجاز، وأولئك الذين سقطوا شهداء خلال أداء واجبهم فيه، وأولئك الذين اقتطعوا من أقواتهم ومدخراتهم للمساهمة فيه، وأولئك الذين بذلوا النفس والنفيس بكل تجرد وإخلاص لذلك المشروع. ■

(٥) كاتب وباحث تركي. الترجمة عن التركية: د. طارق عبد الجليل.

شمس القلوب أبداً لا تغيب

السنوسي محمد السنوسي



في الدنيا والآخرة، وفرّج الله همّه وأذهب عنه حزنه وسدّ دينه ورزقه من حيث لا يحتسب.. وفوق ذلك، جعله من الذاكرين والذاكرات الذين أعدّ الله لهم مغفرةً وأجرًا عظيمًا.

وما يزال المؤمن بأذكاره يتقلب في روضة من رياض الجنة، يشم رائحتها الزاكية، ويقطف من ثمارها اليانعة، ويركن إلى ظلها الوارف، وينعم بمعية الله؛ فهو لا ينفك في أحواله - وإن اختلفت أو تقلبت - ذاكرًا شاكرًا صابرًا محتسبًا.. فهو مع الله، والله معه، وهذا ما يومئ إليه الحديث القدسي: "أنا جليس من ذكرني". فإذا أحب الله عبدًا، ألهمه شكره وشغله بذكره آناء الليل وأطراف النهار.. ولعمري، إن هذا التوفيق من الله نعمة تستحق الشكر، وجزاء - على الذكر - كفى به جزاء.. ينبهنا ابن عطاء الله السكندري بحسّ مرهف إلى هذا المعنى اللطيف فيقول: "كفى من جزائه إياك على الطاعة، أن رضيك لها أهلاً؛ كفى العاملين جزاءً، ما هو فاتحه على قلوبهم في طاعته، وما هو مورده عليهم من وجود مؤانسته".

ولذلك، كان ذكر الله نوراً تستضيء به القلوب ويغمر الجوارح، فيسكب عليها سكينة وطمأنينة وخشوعاً.. ولئن غابت الشمس فأظلم الكون بغياهما، وافترق الناس إلى وجودها.. فإن ذكر الله "شمس القلوب" لا يغيب بحال عن المؤمن، وهو ينير قلبه ما تحركت به شفتاه، وسكنت جوارحه لأمر ربها:

إِنَّ شَمْسَ النَّهَارِ تَغْرُبُ بِاللَّيْلِ

—، وشمس القلوب ليست تغيب. ■

مع نسمات الصباح وجمال الغروب يحلو للمسلم أن يرطب فؤاده بأذكار الصباح والمساء. يستفتح يومه بميلاد فجر جديد فينطلق لسانه بالذكر، وجوارحه بالصلاة والتسبيح رجاء أن يكون يومه خيراً من أمس، وشاهداً له لا عليه.

إن المسلم حين يلهج لسانه بذكر الله صباحاً ومساءً، فإنه بذلك يقرّ الله بالربوبية ويشهد له بالعبودية، وينضم لقافلة المسبّحين في أرجاء الكون الفسيح.. من الشجر والحجر والطير والدواب: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (الإسراء: ٤٤).

ثم حين يذهب إلى السوق أو عمله، فهو صورة صادقة لما يحمل من منهج، وما يعتنق من مبادئ.. فلا غش ولا كذب، بل صدق ووفاء وحسن خلق وأمانة.. يتوكل على الله.. يأكل من رزق الله، وينفق فيما أحل الله.. وبين الحين والحين يدلف للمسجد.. يجدد إيمانه ويضاعف نشاطه ويلتمس في جنباته زاد الحياة ورحيقها.

إن ذكر الله - عند طلوع الشمس وغروبها - يُشعر المرء دائماً بلحظات الميلاد والموت، البدء والانتهاء، للكون واليوم والإنسان والحياة.. وضرورة أن يكون البدء والانتهاء وما بينهما لله، وبالله، ومن الله.. فهو سبحانه خالق الحياة، ومبتدئ الأشياء، وإليه المرجع والمآب ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴿

(الأنعام: ١٦٢-١٦٣).

(*) كاتب مصري.

من حافظ على أذكار الصباح والمساء كانت له نوراً وبرهاناً



البيروني

رائد علم الجيولوجيا

أ.د. بركات محمد مراد *

ازدهرت الحياة العقلية والروحية في عصر البيروني ازدهارا بالغا. فكان انطلاق مفكري الإسلام وعلمائه في كل ساحات الفكر وميادين العقل غير عابئين بالعراقل والتقاليد القديمة بعد أن أعطاهم الإسلام حرية فكرية خصبة، وحرر عقولهم من كل قيد إلا قيد الحقيقة والتزام الصدق والموضوعية. وبعد أن ترجموا كل ما ورثوه عن الحضارات الهندية والفارسية واليونانية، أخذوا يعملون عقولهم في كل ما ترجموه ونقلوه بعد أن مزجوه بالروح الإسلامي. فجاءت كتاباتهم ومؤلفاتهم دليل خصب على حضارتهم وتميزها عن كل ما جمعه من السابقين، وتمثلوه من الحضارات المعاصرة لهم، فأثبتوا بذلك أنهم واسطة العقد في حضارات الإنسانية.

ومن هنا أقبل العلماء المسلمون على التأليف والكتابة في مختلف فروع المعرفة العلمية، حيث تكلموا في التطور، وإن نسب إلى "دارون" في القرن التاسع عشر. وتحدثوا في الجاذبية بين السرعة والثقل والمسافة وإن نسب كل ذلك إلى "نيوتن" دون سواه، وقد ثبت أن "الحازن" وغيره كتبوا في ذلك قبل نيوتن بمئات السنين. وتحدثوا في أثر البيئة على الأحياء قبل "لامارك". كما شرح ابن النفيس الدورة الدموية الصغرى قبل "هارفي" ببضعة قرون. وكذلك الحال في طبيعة الضوء وسرعته وانكساره، والذي أثبتته ابن الهيثم

في مؤلفاته قبل علماء أوربا. كذلك قاسوا محيط الأرض وسجلوا الاعتدالين، وقدروا حجم الكواكب وما بينها من مسافات قبل "جاليليو" و"كبلر" و"كوبرنيك"، وأضافوا إلى المعارف الفلكية الشيء الكثير، وهذا واضح عند علماء من أمثال البيروني والبتاني والفرغاني والكندي والخوارزمي والصوفي وغيرهم..

العلماء المسلمين ومناهج البحث العلمي

ويرجع كل ذلك إلى استلهم علماء المسلمين لروح حضارتهم التجريبية والتي خالفت الروح اليونانية. يقول "جورج سارتون" أعظم مؤرخي العلم في القرن العشرين في اعترافه بفضل المسلمين على رواد المنهج العلمي الحديث: "عند نهاية القرن الثالث عشر، استعدت عقول بعض أعظم حكماء العالم النصراني، منهم "ألبرت الكبير" و"روجر بيكون" و"ريمون لال" إلى الاعتراف بتفوق الثقافة الإسلامية، وربما كانت المأثرة الأساسية التي تمخض



عنها الجهد في العصور الوسطى هي تريب الروح التجريبية. وترجع هذه المأثرة بديا إلى جهد المسلمين حتى آخر القرن الثاني عشر ثم انتحلها النصارى".

هذه الروح التجريبية والتي تمثل "المنهج" تجسدت في "الاستقراء" (Induction) الذي أصبح حجر الزاوية في "المنهج العلمي" الحديث. ومن هنا فلم تعد قضية العلم عندهم قضية تأمل فلسفي أو استدلال منطقي ينطلق منهجيا من فكرة الاتساق الداخلي ويعتمد على قانون الهوية، ولكنها أصبحت قضية ملاحظة نشطة ومشاهدة واقعية وتجارب تجرى على مختلف الظواهر الجزئية، تعتمد على قوانين العلية وتستقرأ المواد الطبيعية والكونية فتصل إلى التفسير العلمي الصحيح.

البيروني، العالم الطبيعي الموسوعي

وقد كان البيروني أنموذجا لذلك العالم التجريبي المسلم، الذي يعتمد الملاحظة والملاحظة العلمية أساسا منهجيا ويتوسل بالاستقراء طريقا إلى معرفة قوانين الطبيعة ونواميس الكون. وتؤكد مؤلفاته المتنوعة ذلك، حيث كتب في كثير من العلوم الطبيعية، وبحث في مختلف الظواهر الكونية. فنجد مؤلفه "الصيدنة في الطب" يؤسس به علم الأدوية والعقاقير أو الفارماكولوجي، ونجده في كتابه "الجواهر في معرفة الجواهر" يؤسس لعلم المعادن والبلورات ويحدد الأوزان النوعية لكثير من الجواهر والأحجار والمعادن، ونجده في كتابيه "القانون المسعودي" و"الآثار الباقية" يؤسس لكل من الرياضيات الفلكية وعلم الجيولوجيا والطبقات الرسوبية. وكما كان مؤسسا لعلم مقارنة الأديان ومنهج البحث العلمي التاريخي بكتابه "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة" نجده يؤسس بكتبه "تحديد نهايات الأماكن" و"إفراد المقال" و"التفهيم لأوائل التنجيم" لعلم المساحة أو الجيوديسيا. ويتمكن بوضعه لقانون رياضي فلكي من قياس محيط الأرض.

وأتيحت للبيروني، إضافة إلى علاقاته الشخصية مع العديد من الباحثين والحكماء المسلمين والنصارى والهندوس المعاصرين له، فرصة الاطلاع على العديد من النصوص العلمية اليونانية والبابلية والمائوية والزرادشتية القديمة. وفي الحقيقة لا يمكن النظر على كتاب "القانون المسعودي" على أنه مرجع للفلك الإسلامي فقط، بل هو مصدر أيضا لكثير من العلوم اليونانية والكلدانية القديمة التي لم يعثر على نصوصها الأصلية. ثم إن البيروني كان قد قرأ أيضا عددا لا بأس به من الملفات التي لها علاقة "بالفلسفة

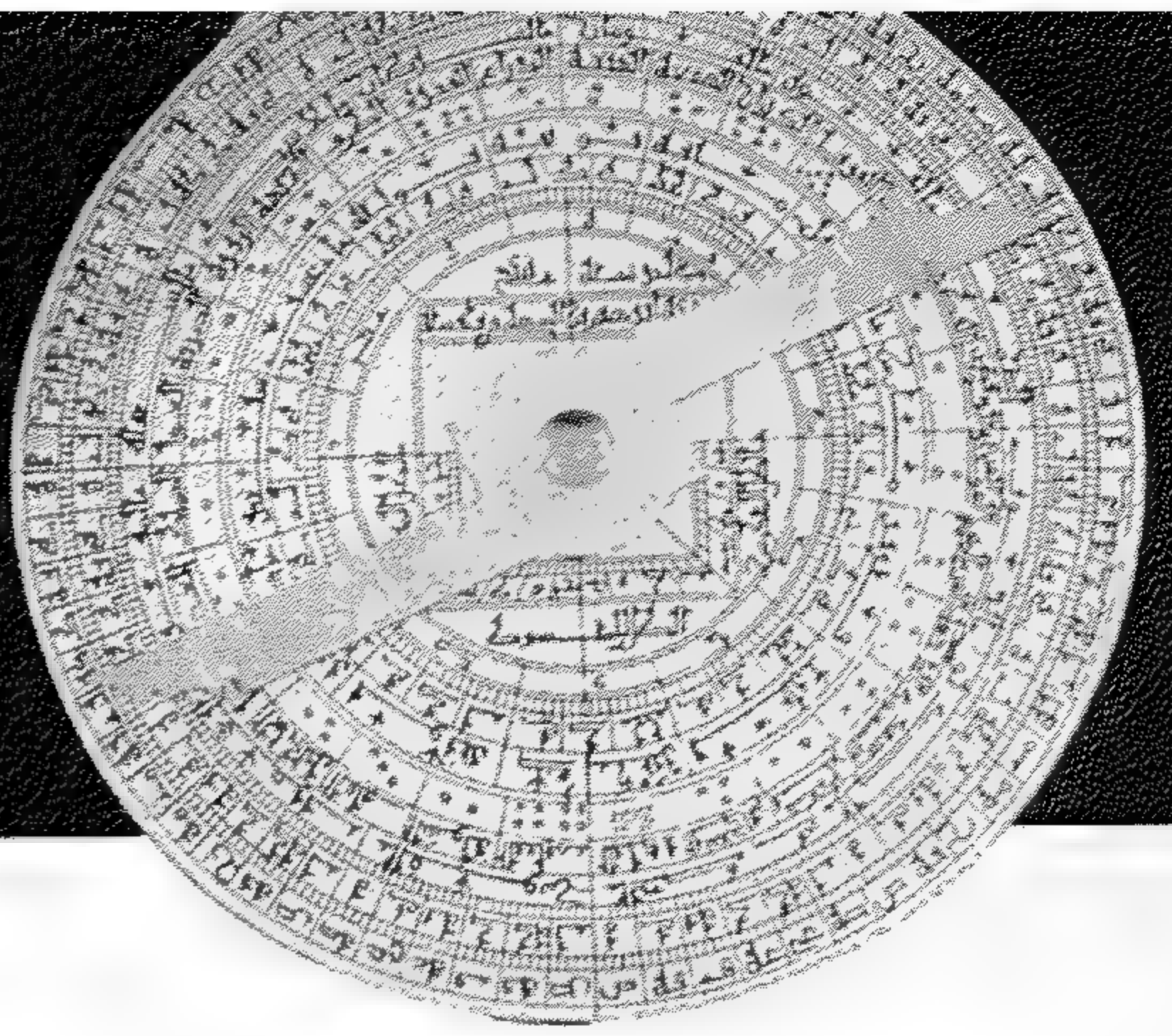
الطبيعية" والتاريخ إلى جانب معرفته الكاملة بالنصوص الفلكية-الرياضية كالمجسطي والعناصر ومختلف أشكال السند هند وغيرها من المصادر الهندوسية الأخرى. وتضمن كتاب "الجواهر في معرفة الجواهر" الذي هو من أكثر المصادر الإسلامية شمولية في تناوله لعلم المعادن، أسماء علماء مسلمين مثل الكندي والجاحظ ومحمد زكريا الرازي وجابر بن حيان، وأسماء شخصيات أدبية وتاريخية وجغرافية مثل نصر بن يعقوب الدينوري وأبي العباس العمالي، إضافة إلى أسماء مؤلفين يونان مثل أرسطو، وأرخميدس، وأبولونيوس، وديسكوريدس، وبلوتارخوس، وجالينوس، وبولس ديمقريطس، وأفلاطون، وهيرقليدس، وديوجينيس.

ويستشهد البيروني أيضا بالشعر العربي-الإسلامي والجاهلي-وبالمصادر الفارسية والهندية والسريانية والإسكندرية. وهو كثيرا ما يورد في كتاب "الجواهر" وغيره من المؤلفات نصوصا من الكتب المقدسة كالعهدين القديم والجديد والأفيسا والقرآن الكريم الذي كان -بالطبع- على معرفة كاملة به. وبالجملة، لم يدع البيروني علما من علوم عصره فيما خلا عددا ضئيلا منها إلا وتعرض له ودرسه. غير أنه وبسبب صدف الترجمة، لم يكن معروفا في الغرب اللاتيني أو لم يكن له ذات التأثير الذي كان لمعاصره ابن سينا. يقول الباحث سيد حسن نصر: "فقد بقي البيروني سيد علوم الفلك والنجوم والجغرافية والرياضيات في العالم الإسلامي بلا منازع".

جيولوجي العصور الوسطى

إذا كان علم الجيولوجيا هو العلم الذي يبحث في الأرض من حيث نشأتها وهيأتها وتركيبها وما يحيطها وما يظهر عليها من أنواع الحياة وما أثر فيها من عوامل، فقد جاءت علوم الأرض الحديثة في أوروبا امتدادا لإسهامات المسلمين في هذا الحقل. وهو ما يظهر واضحا عند ليونارد دافنشي، وجوهان شذلر، ونيكولاس ومسينو، وروبرت هول، الذين اهتموا بتقسيم الصخور إلى طبقات لها معنى زمنيا، ووضعوا نظريات لتفسير نشأتها وتكوّنها. ولم تكن علوم الأرض أو الجيولوجيا منفصلة عند البيروني عن العلوم الطبيعية الأخرى كالفلك والجغرافيا والفيزياء، بل كانت مرتبطة بها، يتناولها خلال دراساته لتلك العلوم. لأن علم الجيولوجيا لم يتميز عن بقية هذه العلوم إلا حديثا.

وقد احتوت مؤلفات البيروني العلمية أبحاثا عميقة حول موضوع تكون القشرة الأرضية، وما طرأ على اليابسة والماء من



عند اليونان ولا منتشرة بين معاصريه. ويمكننا أن نعهده لذلك من رواد العلوم الجيولوجية، خاصة وأن هذه الأفكار العلمية الصائبة لم تنتشر في أوروبا وتأخذ طريقها إلى أبحاث علماء النهضة كليونارد دافنشي وأمثاله إلا بعد وفاة البيروني بعدة قرون.

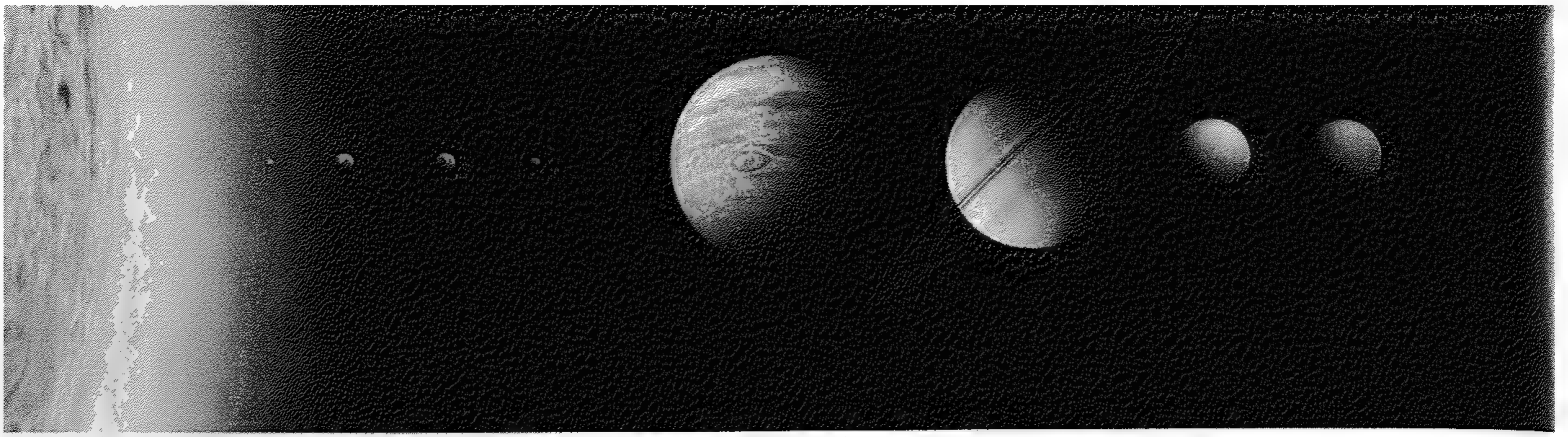
في كتابه "تحديد نهايات الأماكن" يقول البيروني عن ظاهرات تلك الرسوبيات التي تكونت خلال العصور الجيولوجية الطويلة: "ولا نعلم من أحوالها إلا ما يُشاهد من الآثار التي تحتاج في حصولها إلى مدد طويلة وإن تناهت في الطرفين، كالجبال الشاخنة المتركة من الرضراض الملّس المختلفة الألوان المؤتلفة بالطين والرمل المتحجرين عليها". ثم يشرح لنا بتفسير علمي دقيق العملية الجيولوجية التي تكونت عبرها تلك الرسوبيات، مركزاً تفسيره على عوامل التعرية التي هي المؤثر الرئيس في تلك التكوينات التي تشكل على مر العصور البيئة الجغرافية للأرض. وهي عمليات الانصداع والانصدام وجريان الماء الذي يسببه تحرك الرياح واحتكاكها، وقوة إذابة الماء وجريانه، وهي العوامل الأساسية في التعرية.

ثم يفسر لنا البيروني التراكمات الرسوبية التي تتكون على مر العصور تفسيراً علمياً قريباً مما نعلمه الآن من علم الرسوبيات (Sedimentology) من خلال كتابه السابق، ويشرح لنا بوضوح، أن تلك العمليات الجيولوجية تحتاج إلى أزمان طويلة جداً، كما أن كيفية تكوّنهما ترجع في أساسها إلى تأثير الجاذبية من باطن الأرض على المكونات الخارجية للغلاف في القشرة الأرضية. ولا ينسى أن يبين تأثير التكوينات الرسوبية على عمارة الأرض أو ظهور الصحاري وما يعرف الآن بانحراف التربة وتصحر الأراضي الخصبة، مما يؤدي إلى سيطرة الصحراء وطغيانها على العمران والتربة الزراعية. كما يقدم لنا البيروني تفسيراً علمياً دقيقاً لتلك الظواهر الجيولوجية التي تتاب القشرة الأرضية، ويعطي تعليلاً صحيحاً لتكون البحار والبحيرات وظهورها واختفاؤها. وهذا يظهر واضحاً في تفسيره لأصل سهل الهندستان وتكونه.

تطورات خلال الأزمنة والأحقاب الجيولوجية المتطاولة. وكانت له نظريات في قدم الأرض وغيرها، وما اعترأها من ثورات وبراكين وزلازل وعوامل تعرية غيرت من وجهها الطبيعي على مر العصور. وهذه النظريات وتلك الآراء لم تكن معلومة في عصره أو سائدة في زمانه، وهي مما يُعد اليوم من دعائم علم الجيولوجيا. وقد أشار البيروني في كتابه "الجماهر في معرفة الجواهر" إلى أن "الحصاة قد ينحتها جريان الماء"، وتناول بالشرح والتحليل لتقطع الجبال بالجرفات وإسالة السيول إلى السفوح. كما أشار إلى تكون السهول الرسوبية وضرب لها أمثلة بأرض مصر وبراري السودان، وأنها كانت بحراً ثم انحسر عنها البحر، حيث قال: "وبراري السودان كلها، فإنها في الأصل من حمولات السيول المنحدرة من جبال القمر والجبال الجنوبية عليه منكبة كانكباس أرض مصر بعد أن كانت بحراً، وتلك الجبال مذهبة وشديدة الشبه". وقد سمى البيروني ظاهرة الترسيب وانحسار ماء البحر "انكباساً" كما مر. وقد عدد أحد الباحثين المتخصصين في الجيولوجيا، العلوم التي تحتويها أبحاث البيروني الجيولوجية فشملت "علم التضاريس" و"علم الطبقات" و"كيمياء الأرض" و"المعادن والبللورات" و"الجيولوجيا التاريخية".

نظريات البيروني الجيولوجية

للبيروني نظريات في علم الطبقات والأزمان الجيولوجية، أو ما يطلقون عليه حديثاً "علم الطبقات" (Stratigraphy) و"علم الأحافير" (Paleontology) و"الجيولوجيا التاريخية" (Historical Geology). وتقرب نظرياته في هذه العلوم من النظريات الحديثة، حيث إن له آراء صائبة حول موضوع تكوين القشرة الأرضية، وما طرأ على اليابسة والماء من تطورات وتغيرات خلال الأزمنة والأحقاب الجيولوجية المختلفة. ولم تكن هذه النظريات معروفة



رواسب الخشب والحشيش المخالفة لطبيعة ذلك المعدن نفسه. وما يذكره البيروني هنا هو تفسير علمي صحيح لا تخلو منه كتب الجيولوجيا في العصر الحديث.

ويبين البيروني دراسته للتغيرات الجيولوجية على ما حفظته طبقات الصخر من سجلات. فهو كثيرا ما يكتب حول التغيرات البطيئة للأحوال التي حفظت الصخور وآثارها. ولا نعلم من أحوالها إلا ما يشاهد من الآثار التي يحتاج في حصولها إلى مدد طويلة وإن تناهت في الطرفين كالجبال الشامخة المترتبة من الرضراض الملئس المختلفة الألوان المؤتلفة بالطين والرمل المتحجرين عليها. وكل تلك الأحوال بالضرورة ذوات أزمان مديدة غير مضبوطة الكمية.

ونظرا لدقة التغيرات، فقد تمكن خلال أسفاره المتعددة من مشاهدة عدة مناطق ذات تراكيب جيولوجية مختلفة. كما أدرك التغيرات الهائلة التي حدثت قبل خلق الإنسان وبعده وحتى الآن. حتى إنه لاحظ وجود طبقات التوائية مزاحة في بعض الجبال. وقد عزى ذلك إلى حركات باطنية اندفاعية حديثة. وهناك الكثير من مثل هذه الملاحظات المثيرة للاهتمام، إحداها تدور حول اكتشافه للمستحاثات التي يعرفها - مثل إخوان الصفاء - بأنها بقايا حيوانات بحرية عاشت فيما مضى في الموضع الذي تحول الآن إلى يابسة. وكما يخبرنا عن ذلك: "وعلى مثله ينتقل البحر إلى البر والبر إلى البحر في أزمنة، إن كانت قبل كون الناس في العالم فغير معلومة، وكانت بعده فغير محفوظة لأن الأخبار تنقطع إذا طال عليها الأمر وخاصة في الأشياء الكائنة جزء بعد جزء وبحيث لا يفطن لها إلا الخواص".

فهذه بادية العرب وقد كانت بحرا فانكبس حتى أن آثار ذلك ظاهرة عند حفر الآبار والحياض فإنها تبدي أطباقا من تراب ورمال ورضراض، ثم يوجد فيها من الخزف والزجاج والفظام ما يمتنع أن يحمل على دفن ذلك قاصدا إياها هناك، بل يخرج منها أحجار إذا كسرت كانت مشتملة على أصداف وودع وما

وهو تفسير علمي دقيق في نظر علماء الغرب، حيث يتصل بعلم التضاريس أو الجيومورفولوجيا، حيث كان في مكان هذا السهل - في نظر البيروني - قاع بحر، ثم أخذت تتخلف فيه رواسب طمي حتى سوت منه سهلا.

كما يتناول البيروني ظاهرة الهوابط والصواعد ورواسب ماء البحر، حين يتناول تلك الرسوبيات المعدنية التي يجدها في مناطق انحسر عنها الماء، وبقيت فيها الرواسب معدنية متحجرة حلت محل الرواسب العضوية للكائنات البحرية. كما يحدثنا في كتابه "الصيدنة في الطب" عن أصل تحجر المعادن والتي كانت في نشأتها سائلة، ثم تجمدت حين يتحدث عن حجر "الدهنج" الذي أكثر ما يكون وجوده في معادن النحاس، كما يكون الزبرجد في معادن الذهب.

الثورات الجيولوجية

والبيروني كثيرا ما يتحدث عن الثورات الجيولوجية التي تنتاب القشرة الأرضية، وما كانت تفعله فيها من التواءات وارتفاعات وانخفاضات، كونت سلاسل الجبال، أو حفرت فجوات البحيرات، كما في بحيرات الأردن وبحيرات مصر. ويذكر البيروني كثيرا في مؤلفاته حقائق علم الجيولوجيا ونظرياته فيما يخص تكون الحفريات للكائنات الحية، سواء حفظ الكائن بجميع أجزائه، كحفريات النمل والبعوض وبعض الحشرات والحشائش التي توجد متحجرة ومحفوظة في مادة الكهرمان، أو تكون بقايا الأجزاء الصلبة الهيكلية فقط كأصداف المرجان وعظام الحيوانات، أو تفنى مادة الحيوان الأصلي وتستبدل مادتها بمادة معدنية أخرى، أو تكون الحفريات أثرا لبقايا الكائن الحي في الصخور التي يعيش فيها، وعندما تتصلب تحتفظ بهذه الآثار.

أما ما يخص شرح عمليات التحفر بالتحجر (Petrifaction) والتحفر بالاستبدال المعدني، فنجد للبيروني إشارات كثيرة إلى أصول هذا العلم، حين يتحدث عن الأحجار الكريمة كالبلور الذي كان في أصله سائلا ثم تحجر لاحتواء كثير من مواده



يسمى بأذان السمك إما بقايا على حالها، وإما بالية قد تلاشت وبقي مكانها خلاء متشكلا بشكلها. كما يوجد بباب الأبواب على ساحل الخزر، ثم لا يذكر لذلك وقت معلوم ولا تاريخ البتة. ومن الملاحظات المتميزة للبيروني تلك التي تتعلق بتحديد طبيعة سهل الغانج في الهند حيث اكتشف أن هذا السهل هو من النوع الرسوبي. وبالرغم من تأكيده على الطبيعة التدريجية للعوامل المؤثرة في سطح الأرض، فإن البيروني يؤمن، مثل معظم علماء العصور الوسطى، بالجوائح التي تصيب الأرض من وقت لآخر. وناقش البيروني علاقة هذه الجوائح بتواتر التاريخ العام وقيام الدول وسقوطها فكتب يقول: "إن الآفات التي تنبتاها (أي الأرض) من فوق ومن تحت مختلفة في الكيفية وفي الكمية، وأنه ربما غشيها منها ما يفرط في إحداها أو كليهما، فلا ينفع معه حيلة ولا عنه مهرب واحتراس، فيأتي عليها ذلك كالطوفان المغرقة والرواحف المهلكة بالخسف أو التغريق والتحريق بما يفور منها من المياه أو يرمي به من الصخور المحماة والرماد، ثم الصواعق والهدات والعواصف، ثم الأوبئة والأمراض والموتان وما أشبه ذلك.. فإذا خلت بقعة عريضة عن أمتها ثم انتعشت بعد هلكتها عند انكشاف تلك الآفة عنها اجتمع إليها قوم متفرقون، كأمثال الوحوش المعتصمين قبل ذلك بالمخابئ ورؤوس الجبال، وتمدنوا متعاونين على الخصم، سواء كانوا من السباع أو كان من الأنس ومساعدين بعضهم بعضا على تزجية العيش في أمن وسرور إلى أن يكثرُوا فينغص التنافس المرفوف عليهم بجناحي الغضب والحسد طية عيشهم". وهكذا يمكننا استنتاج بأن هناك ترابطا وثيقا بين واقع المجتمع الإنساني وبين المحيط الكوني يشبه إلى حد كبير الترابط القائم بين الإنسان والعالم. وتقود مناقشة الأمور الجيولوجية بشكل طبيعي إلى دراسة التقسيمات الجغرافية للأرض. وما تقسيم العالم إلى سبعة أقاليم الوارد ذكره في القرآن الكريم والمعروف عند كل من اليونان والفرس في فترة ما قبل الإسلام، إلا انعكاس لصورة الأفلاك السماوية السبعة على الأرض. ولم يكن ذلك اعتباطا بل عبر على الأصح عن حقيقة كونية معينة، مثله في ذلك مثل جميع جوانب الجغرافية المقدسة، ولا يختلف البيروني أحد أعظم جغرافي الإسلام، عن الكثير من معاصريه في تبنيه التقسيم السباعي للأقاليم. وقد اتبع في مصطلحاته التقسيم الفارسي القديم للعالم.

وفي سؤاله الرابع الذي وجهه إلى ابن سينا حول الطبيعيات،

يقدم البيروني سؤالا حير الجيولوجيين المحدثين تماما، كما حير العديد من مؤرخي العصور الوسطى الطبيعيين. والسؤال هو "لماذا ذلك الربع من الأرض هو مكان الزراعة وال عمران بينما يبقى الربع الشمالي الآخر، وكذلك الربعين الجنوبيين غير مأهولة. بالرغم من أن القوانين الفلكية للربعين الجنوبيين تماثل تلك التي للربعين الشماليين؟". غير أنه يقر بوجود تناسق في تصميم العالم، إذ نراه يقول أنه "من الممكن، لا بل من المرجح، أن كل زوج من أرباع الأرض يشكلان وحدة متماسكة ومتصلة أحدهما، هو القارة، والآخر هو المحيط". وقد أورد في كتابه "تحديد نهايات الأماكن" مخططا جمع فيه جغرافية العالم التي عرفها مسلمو العصور الوسطى في شكل واحد معقول.

يقول "إيرو بوب" إن من المستحيل أن يكتمل أي بحث في تاريخ علم المعادن (Mineralogy) دون الإقرار بمساهمة البيروني العظيمة، خاصة وأن البيروني سيتمكن من معرفة الوزن النوعي لعدد كبير من المعادن بدرجة عظيمة من الدقة، وقد أثبت معرفته التجريبية والعلمية في هذين الكتابين، أي كتب "الجواهر في معرفة الجواهر"، ورسائله في المعادن.

إيمانه بقوانين الطبيعة المطردة

ولا ننسى إيمان البيروني -وهو العالم الطبيعي الدقيق- بقوانين الطبيعة المطردة. فقد كان يؤمن إيمانا عميقا بوجود قوانين طبيعية ثابتة، قد بثها الله تعالى في الكون وجعل الخليقة تسير بمقتضاها وهي مسخرة في ذلك دائما لا تتخلف. وهو ما يتضح مثلا في قوله: "العلل التي ليست بأجسام كالأشياء التي يسميها الفلاسفة الطبيعة" والعقل" و"العلة الأولى" لا تنقل النظام إلى اللانظام، بل شأنها أن تنقل اللانظام إلى النظام، أو تمسك النظام على النظام". ولذلك يقول أحد المتخصصين في هذا العلم: "إن العلماء المسلمين قد أضافوا لعلوم الأرض مواد علمية وآراء جديدة في الظواهر الجيولوجية من قرون عديدة قبل "جيمس هاتون" و"وليم سميث" رواد الجيولوجيا الغربية، وأن الباحث المتأمل لأقوال العلماء المسلمين مثل البيروني ولأقوال "سميث" و"جيمس هاتون" في علم الطبقات مثلا، يرى التقارب بين الرأيين، مما يبعث على الشك في أن علوم المسلمين كانت بين أيدي الأوربيين إبان نهضتهم العلمية". ■

(٥) رئيس قسم الفلسفة والاجتماع، كلية التربية، جامعة عين شمس / مصر.



الطريق السريع المسالك والسالك

أ.د. عمار جيل * ❖

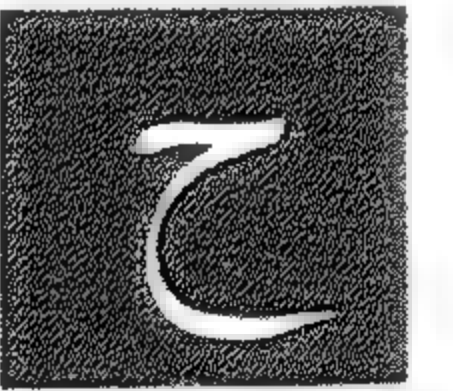
تبلغه المقصد المدعى (المشيخة والقطب والمربي والمسلك)، لهذا يضطر أن يترجل في طريق سريع لأنه لا يملك من الخصال ما يخول له نيل فضل الله في اكتساب مطية سريعة.

تُلمس السعادة في الدارين من الطريق السريع المتميز عن سائر الطرق بمواصفات التجدد الذاتي المستمر المعبر عن الإيمان والإسلام والإحسان في الوقت نفسه، وذلك وفق الدلالات الاجتماعية المثمرة لتصرفات منضبطة بالشرع قابلة للمعانية.

طلب أحد السالكين من الإمام الرباني -مجدد القرن الثاني عشر الهجري- طريقا سريعا في الاسترشاد، فقال الشيخ كلمته المشهورة: "وحد القبله". ومعناها اجعل القرآن الكريم أستاذك الحقيقي، على قول الأستاذ بديع الزمان، الذي يقر في مقام آخر أن شعاع السنة المطهرة هو الإكسير النافذ. فالسنة المطهرة كافية ووافية لمن يتبغى الطريق السريع طريق النور، فلا داعي للبحث عن نور في خارجها.

حدد الشارع الحكيم معالم الطريق السريع للعروج إلى رباط العبودية لله تعالى، المسلك المحقق للمعاني الإنسانية المعاني في التصرفات قولاً وعملاً وخلقا؛ فليست كلمات للتباهي في المجالس واستعراض ألفاظ وفقرات مستلة من كلام الغير دون إسنادها إلى أهلها -وفي هذا التصرف ما فيه من الناحية الأخلاقية-، لأجل ابتزاز أهل الجاه والمال المتعلقين بأهل الفضل بالتماس مع أهلهم -أهل الفضل- كأن التماس بهم مصيدة لأهل الفضل والمتعلقين بهم. فكم من متماس مع أهل الفضل لا فضل له ولا فضيلة، يعرف تصنعه أقرب الناس إليه، وخاصة في الأماكن التي لا يتقنع فيها (الأسرة، الجيران، والإخوة، والطلبة، من هم تحت سلطته...) رغبة في الهيمنة على بصائر وأبصار المتفتين طمعا في رغيف إضافي أو وظيف.

معلوم أن شخصا بالمواصفات الآنف ذكرها يُعدّم المطية التي



مميزات الطريق السريع

يتميز الطريق السريع بانتظام الموجودات، وهو طريق حري بأن يكون أساس النظرة الإسلامية والإيمانية والإحسانية للكون في عناصره المادية والمعنوية. فيعم التصور والتعامل الإحساني العوالم كلها، وهو -زيادة إلى ما سلف- طريق الفطرة واليسر والواقعية، فليس طريق نخبة. ولهذا لا تعقيد فيه، طريق قصير واضح لا يزيغ عنه إلا هالك، جالب للسعادتين الدنيوية والأخروية..

جامع بين القلب والعقل، مؤسس لفكرة التمحيص والمراجعة المستمرة للمكاسب الروحية والمعرفية والعملية على حد سواء. فليس من مسالكه إسلام القلوب والعقول لآخرين، إنما إسلامها لله تعالى، وحوّلت له هذه الصفة استحضار المضامين الاجتماعية للإحسان. معرفة الطريق السريع لا يجدي نفعا ما لم يكن السالك راكبا مطية وقودها العجز والفقر والشفقة والتفكير. ولا يذهبن بك سوء الفهم إلى الخطأ؛ فالمقصود بالعجز والفقر والتقصير إنما هو إظهار ذلك كله أمام الله سبحانه، وليس إظهاره أمام الناس، كما قال الأستاذ بديع الزمان: "الإحساس بالعجز مفتاح رئيس لفعالية العبادة في حياة المؤمن، وهي إضافة إلى ذلك أساس الدعاء، واكتشاف الإنسان ذاته العاجزة".

العجز بمنعزل عن الإيمان موت مستمر وداء ملازم، علاجه وباعث الحياة فيه بإذن الله الإيمان. ذلك أن أقصر طريق لبلوغ ذلك العلاج هو الإطلال من نافذتي "العجز والفقر" اللتين تفتتحان بتمزيق المرض المادي لحجاب الغفلة، واللّتين جُبل الإنسان عليهما. يؤسس العجز والفقر في الطريق السريع للشفقة على خلق الله، وكلما تزايدت تنبسط الروح، وتدفع إلى الاستكثار من الخير، وينعش نموها خدمة البشر وتدفع إلى التعاون والتعارف؛ وأما الشفقة الناشئة من الغفلة والمبنية على توهم المالكية فبتزايدها ينقبض الروح ويتألم القلب.

تربط الشفقة القلب بالله سبحانه ليوصل صاحبه إلى الله جل

وعلا بأقصر طريق وأصفى شكل، وبلا مشكلات، مؤسسا على التفكير الإيماني؛ فالإنسان بالتفكير المتعبد يصبح إنسانا حقا، يذيب الغفلة به ويظهر الكون أمام بصره وبصيرته شاهدا واحدا موحدا دالا على حقيقة تعرف بوحدة الشهود في الدلالة على الطريق السريع.

الطريق السريع مسلك قصير وسبيل سوي، بشرط تزود راحلة (قلب) السالك بوقود العجز الموصل إلى "المحبوبة" بطريق العبودية، والفقر الموصل إلى اسم الله "الرحمن"، والشفقة الموصلة إلى اسم الله "الرحيم"،

والتفكير الموصل السالك إلى اسم الله "الحكيم". قال بديع الزمان مرددا لما قاله أحد الصالحين: "لقد رأيت أحد المتقين من أهل القلب في زاوية التكية" يزاول السير والسلوك، ولكن بعد مضي بضعة أيام شاهدته في المدرسة بين طلاب العلوم الشرعية، فسألته: لِمَ تركت الزاوية التي تفيض الأنوار وأتيت إلى هذه المدرسة؟ قال: هؤلاء النجباء ذوو

الطريق السريع مسلك قصير وسبيل سوي، بشرط تزود راحلة (قلب) السالك بوقود العجز الموصل إلى "المحبوبة" بطريق العبودية والفقر الموصل إلى اسم الله "الرحمن"، والشفقة الموصلة إلى اسم الله "الرحيم" والتفكير الموصل السالك إلى اسم الله "الحكيم".

لدى هؤلاء والفضيلة والهمة عندهم"، وهؤلاء يصدق فيهم ما قاله أستاذنا محمد المهادي الحسني نقلا عن العلامة محمد المبارك في قوله المشهورة: "تصويف السلفية وتسليف الصوفية"، بشرط أن يكون لكل منهما مطية (قلب) يسعفه في نيل المراد، لأن من افتقد الراحلة لم يبلغ المراد مهما بالغ في مدحه، ولا يمكن أن يرى عليه التواضع والتلطف الحقيقي المؤسس على الشفقة بالخلق وعلى رأسهم المخالفين في الملة فضلا عن الموالفين فيها، وإن تحلى بها فهي لضرورات اقتضتها حيلة التعلق بالدنيا بعنوان الآخرة، مخالفا بما مسلك الصالحين، في قولهم: "الحيلة في ترك الحيل". ■

(١) كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر / الجزائر.

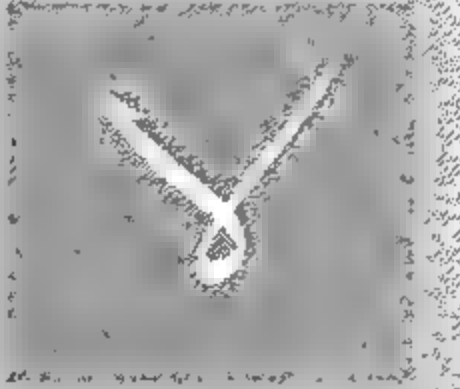


القرآن... نوره في سماء القلوب يتوهج، وعليه الأرواح تحوم، وبه
تهتدي... حق وحقيقة كله، لا يسبزو غوزه، ولا يدرك وسعه... من
يعشه ير جمال الوجود في زهرة، وطوفان الأرض في قطرة..

كلمات الله في معركة السلام

أ.د. فريد الأنصاري *

لا تحرير للأمة اليوم في معركة هذا العصر إلا بالقرآن، لأن طبيعة المعركة
الجديدة قائمة على "الكلمة"، والقرآن العظيم هو الكلام القاهر فوق كل
كلام. ولكن بعد أن نفهم السؤال الإشكالي: ما حقيقة "الكلمة"، وما
دورها في معركة العصر الجديدة؟



إن "الكلام" ليس "قولا" وحسب؛ إذ "القول" دال على كل ملفوظ، سواء أفاد معنى أم لم
يفده، كما هو معلوم من تعريفات النحاة، بينما "الكلام" لا يكون إلا لفظا مفيدا لمقصود مراد
للمتكلم، سواء أفاد خيرا أم أفاد شرا، على وزن قول ابن مالك: كلامنا لفظ مفيد كاستقم.
ومن هنا تنطلق من هذا التقعيد النحوي المدرسي البسيط لنجزم بعد ذلك بأن الكلام - على
هذا المعنى المؤصل في قواعد العربية - لا يكون إلا فعلا جاريا في الواقع، وحدثا جالبا لأثر في التاريخ.
إن الكلمة - أي كلمة - إنما هي فعل من الأفعال، هذا على المستوى الوجودي. وتأمل
كيف أن الخطاب مهما يصدر من منتجته فإنه لا بد يؤثر في الواقع ولو على المستوى النفسي
ابتداء، ثم يكون له بعد ذلك أثر فعلي. وأقل الأثر أن يعود على صاحبه بالخير أو بالشر. ولا
يتصور في الواقع والعادة الجارية في الخلق كلام بلا أثر مطلقا ألبتة. وهذا يبدأ من مستوى
الخلق والإنشاء والتكوين، مما ينسب إلى الله جل جلاله من الأفعال والأقدار، إلى مستوى الفعل
الإنساني والإنجاز البشري في الواقع والتاريخ.

فمثال الأول: قول الله تعالى فيما عرّف به حقيقة نبيه عيسى عليه السلام، واصفا إياه بأنه
﴿كَلِمَتُهُ﴾ قال جل جلاله: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ
مِّنْهُ﴾ (النساء: ١٧١). فكان عيسى ههنا هو "كلمة الله" جل علاه، أي إنه راجع إلى أمره القدري
التكويني. إنه إذن خلق الله لأن "الكلمة" راجعة إلى فعله تعالى المتعلق بتدبير شؤون الربوبية خلقا

وتقديرًا وقِسْوْمِيَّةً. وهذا المعنى شامل في كل خلق أو تصرف إلهي، وفي كل قضاء وقدر. لا شيء من ذلك كله يخرج عن "كلمة الله". وما يدل عليه أيضا أن "الكلمة" في القرآن أمرٌ واقعٌ حتماً قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ (هود: ١١٠)، وقوله سبحانه: ﴿وَوَعَدْتُ كَلِمَةً رَبِّكَ لَا مُلَانَ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (هود: ١١٩). ومثل هذا في القرآن كثير لمن شاء أن يتبعه. فكل ذلك ونحوه مما تضمن ضميمه ﴿كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ دال على معاني الخلق والإنشاء والتكوين والتصيير، وسائر أفعال القضاء والقدر الإلهيين. وليست "الكلمة" قولاً يقال لمجرد القول وكفى، بل هي إنجاز حتمي لا يتخلف توقيعه أبداً. فمتى قيلت "الكلمة" - بهذا السياق - كان معناها أنها فُعِلَتْ. ومن هنا لم تخرج "كلمة الله" عموماً عن معنى فعل الله جل وعلا، وهو ﷻ لا يخلف القول ولا الميعاد.

أساس الناطقية والاستخلاف

ومثال الثاني قول الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة: ٣١). فالأسماء - مهما اختلفت في تفسير معناها - فإنه لا اختلاف في أنها "كلام" بالمعنى الشرعي والوجودي للكلمة، ولا يمكن أبداً أن تتصور "الأسماء" على أنها لغو أو عبث. فهي أساس الناطقية التي فُطِرَ عليها الإنسان، والتي تُشكّل جوهرها أساسياً من ماهيته الوجودية ووظيفته الكونية، والتي كانت - بعد ذلك - أساس الاستخلاف له في الأرض. ومثلها قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ عِلْمُهُ الْبَيَانَ (الرحمن: ٣-٤). ومن هنا كانت مسؤوليته عما يتكلم به كبيرة جداً، وهي مسؤولية لا تخرج عن عموم الأمانة التي أنيطت بالإنسان في قول الله جل وعلا: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ (الأحزاب: ٧٢). فالكلام البشري كله محصّي عليه كلمة كلمة، يستوي في ذلك إنشاؤه وخبره، لأنه كله يوزن بميزان التحقيق بين الصدق والكذب.

وعليه؛ فتعريف البلاغيين "الخبر" في الدرس البلاغي بأنه "ما احتمل الصدق والكذب" - بزعمهم - تعريف غير مانع أبداً، بالمعنى الوجودي لكلمة "خبر"، لا بالمعنى اللغوي العادي. فتعاريف البلاغيين راجعة إلى موازين المنطق الأرسطي الصوري، وقد علّم ما فيه من خلل منهجي في تحديد المفاهيم والتصورات، إذ هو قائم على تحديد الماهيات بحدود عقليات خاضعة لمنطق

العقل المجرد عمن معطيات الوحي، ولا يمكن لمثل تلك الموازين إلا أن تكون "صورية" فعلاً كما عبروا هم أنفسهم. فإلى أي حد تطابق الصورة الحقيقة؟ تلك هي المشكلة. ومن هنا فحد "الخبر" عندهم هو وإن جمع المقصود فإنه لا يمنع دخول غيره فيه، أي معنى "الإنشاء"؛ أرأيت لو أن شخصاً نادى غيره، أو أمره، أو نهاه، وهو لا يقصد ذلك ألا يكون كاذباً؟ بلى والله! فإنما الكذب مخالفة العبارة لمقتضى الواقع، وهذا منه؛ لأن المنادي، أو الداعي، أو النادب، أو المستغيث، أو الأمر، أو الناهي.. إلى آخر ما صنفوه في معنى الإنشاء؛ كل ذلك إذا لم يصادف إرادة في نفس المتكلم وقصداً فهو كذبٌ محض. فالإنشاء إذن - بهذا المعنى الوجودي - يحتمل الصدق والكذب أيضاً. وهل يتوجع المتوجع لغير وجع؟ وهل يستغيث المستغيث لغير فرج؟ فإن قصد به معنى آخر من مجاز وغيره، كان ذلك المعنى الجديد المعدول إليه هو أساس الصدق والكذب بعد ذلك، وإنما العبرة بالخطاب قصد المتكلم وإرادته. فلا شيء من الإنشاء إلا وهو يحتمل الصدق والكذب أيضاً.

حظ اللسان في الأحكام

وأزعم أنه لا شيء من الكلام الطبيعي للإنسان إلا وهو يحتملها، ومن هنا قول الله تعالى الجامع لكل ذلك: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق: ١٨). وقوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٩). ويدخل في ذلك قطعاً كل ما تلفظوا به من قول. ولذلك فقد نال اللسان الحظ الأوفر في الاعتبار في أحكام الشريعة؛ فكانت العقود كلها سواء كانت عقود الإيمان والإسلام، من بيعة شرعية، أو تعهد ومعاودة، أو نكاح أو طلاق، أو كانت من المصارفات المالية من بيع وإيجارات وأكرية وغير ذلك مما يمكن أن يتصوره الذهن كلها إنما هي عند التحقيق "كلام" وليست مجرد لعب أو لهُو من الأقوال، لأنها قائمة على معنى "مفيد"، أي مقصود مراد للمتخاطبين؛ بما فيها من إيجاب وقبول وما جرى مجراها من معاني التراضي والإقرار. ومن هنا قول الله تعالى في محكم كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (المائدة: ١)، وقوله سبحانه في سياق بيان أن الإنسان محاسب على كل ما يصدر منه من الأقوال، مما أوردناه قبل قليل: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق: ١٨). وفي



الحديث: "إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفعه الله بها درجات. وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم" (رواه البخاري). ومن ثم لم يكن جدُّ رسول الله ولا مزاحه ﷺ إلا حقاً وصدقاً، ولم يكن فيه كذب قط، حاشاه، عليه الصلاة والسلام.

إن الكلام مؤثر جداً في إنتاج الفعل الإنساني بل هو عين الفعل الإنساني، ولا شيء من فعله إلا وهو حاصل بالكلام مباشرة أو نتيجة أو توجيهها أو تفاعلاً، وإنما بدء التكليف الإلهي للإنسان كَلِمَةً، وآخره كَلِمَةً، منذ قال له: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ (آل عمران: ٥٩)، إلى أن علَّمَهُ ﴿الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ إلى أن أنزل عليه "كلامه" القرآن الكريم.

وأول الوزن وزن الكلام

فالذي لا يعبر للكلام -أي كلام- الخطورة التي يستحقها فهو جاهل بحقائق الدين وحقائق الوجود معاً. وكثير من العقوبات في الإسلام والحدود والتعازير والآثام.. إلخ إنما ترتبت شرعاً عن مجرد "كلام" يتكلم به الإنسان باطلاً، بدءاً بكلمة الكفر إلى كلمة القذف، إلى ما شابه ذلك من كلمات الغيبة والنميمة وعبارات السخرية والتنازع بالألقاب وهلم جرا.

كما أن بدء الخير كله "كلمة" انطلاقاً من كلمة الإخلاص: "لا إله إلا الله"، وما يتممها من "شهادة أن محمداً رسول الله"، إلى أبسط كلمات الإيمان والإحسان، كإفشاء السلام، وتشميت العاطس، وإرشاد السائل... وما بين هذا وذاك من كليات الكلام وجزئياته؛ فإنه جميعاً يؤول -في النهاية- إلى بناء عمران الحياة الإنسانية، القائمة على العدل والسلام؛ لأن ذلك كله هو الذي ينتج فعل الخير بمعناه المطلق، ويحقق غاية الوجود البشري في الأرض. ومن هنا كانت أول نعمة امتن الله بها على الإنسان بعد نعمة الخلق أنه علمه البيان. ولذلك كان القرآن بين يديه -وهو كلام الله- الأداة الكلامية الفاعلة لإقامة الحياة في الأرض بالقسط والميزان. فتدبر قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ * الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ * وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ * وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ (الرحمن: ١-٩).

وأول الوزن وزن الكلام، الذي هو حقيقة "البيان"، فإذا خسر خسرت كل الموازين بعده بدءاً بموازين السياسة -بمعناها العام- وما تتضمنه من موازين الإدارة والاقتصاد، إلى موازين

التجارة وسائر المصارفات المالية والاجتماعية الجزئية والكلية... إلى كل طبائع العمران وتحليات الحضارة البشرية، إلى كل ما يمتد إليه ذلك من فقدان توازن الحياة الإنسانية والبيئية والكونية.

اللغة وصناعة الحياة

إن اللغة تصنع الحياة أو تدمرها. ومن هنا كانت مسؤولية الكلمة في الإسلام جسيمة جداً، والإعلام اليوم هذا الذي يسمونه "السلطة الرابعة" ليس في واقع الأمر إلا السلطة الأولى، لأن المتسلط على الخلق، الحاكم أمرهم بالحق أو بالباطل، إنما وصل إلى مبتغاه من التسلط والتحكم بالكلمة. فحتى عندما يكون الأسلوب المتبع في التسلط قهرياً فإنما صنع الطاغية أدوات قهره وتجبره في البداية بالكلمة، ولا شيء يبدأ قبل الكلمة، فبدء الوجود والخلق والتكوين في القرآن الكريم إنما هو كلمة، إنها كلمته ﷻ: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ قال جل شأنه: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدَأُ الْمَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يس: ٨١-٨٣).

إن الكلمة هي التي تصنع الصورة وتنتجها، بل هي جوهرها وحقيقتها؛ فلا يغرنك أن الإعلام اليوم صار يركز أساساً على الصورة، فإنما هذه -رغم خطورتها- بنت تلك في نهاية المطاف. ولولا الكلمات لما كانت الصور في الوجود أصلاً. أضف إلى ذلك أن الصورة تُعرض حينما تُعرض في العادة الغالبة مسبوقاً بالكلمة أو مقرونة بها أو ملحقة بها أو كل ذلك جميعاً. فلا تأتي إذن إلا من خلالها. وحينما نتوهم أننا نتلقى صوراً بغير كلمات، فإنما هي لعبة الكلمة المتخفية خلف الصورة. إنك لا تسمعها، نعم؛ ولكنها تتدفق إلى خواطرك في صمت، وتسكن اعتقادك بقوة. ومن ذا الذي قال إن الكلمة هي الصوت فقط؟ إنما الكلمة "مفهوم" يتواصل به الإنسان عبر اللغة الطبيعية، الصوتية أو الإشارية أو الصورية أو السيميائية، إلى غير ذلك مما في الوجود من رموز وأشكال نصبت للدلالة على معنى. كل ذلك كلام.

الكلمة هي الوجود

إن الكلمة هي الوجود وما سواها صور. ومن هنا ترى عمق الآية الكريمة: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة: ٣١)؛ فانظر -في ضوء ذلك- إلى هذا الكلام الإلهي العظيم، كم هو فعلاً يضرب في



عمق الحقيقة، وإلى أي حد هو يوغل في مجاهيل الوجود... إن الإعلام اليوم كما كان من قبل في التاريخ - رغم اختلاف الأشكال والتحليلات - ليعتبر أخطر وسائل التحكم، وأرعب أدوات الصراع الحضاري، وأقوى آليات التدافع العمراني في الأرض. إن الذين قهروا الناس في الأرض عبر التاريخ لم يكونوا بشرا فوق البشر في أبدانهم ولا في عقولهم، ولا كانوا "آلهة" في واقع الأمر، وإنما هم "متكلمون" فقط. أسسوا أسطورة من الكلام في أذهان الناس وسحروهم بها، أو ورثوا رصيда كلاميا عن آبائهم وأجدادهم واستمروا في إنتاجه وتحديدته حتى تعيش الأسطورة في شعوبهم إلى الأبد؛ فكان منهم "ابن الشمس" و"حفيد الرب"، و"وكيل الآلهة"، وغير ذلك من سائر أنواع الكلام مما يدخل في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ (الأعراف: ١١٦).

وما كان طغيان فرعون في الأرض واستئلال أهلها إلا من بعد أن أوهمهم بأنه هو ربهم الأعلى؛ فلم يكن يريهم إلا ما يرى ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى ۖ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (النازعات: ٢٣-٢٤) ومن هنا لما خالفه قائل الحق من رجاله نطق بقوة فقال، كما حكى الله تعالى عنه: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر: ٢٩). فكان بذلك مثالا لكل طغيان وتآله وتجبر! ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدِّخِ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَجِيبُ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصاص: ٤). إنه قهر القوة والسلطان الباطل، الذي يصنعه - فقط - سحر الكلام. وانظر إن شئت إلى هذا البيان السحري الرهيب الذي ألقاه فرعون على قومه من بعد ما زلزلت عرشه آيات موسى عليه السلام؛ قال تعالى: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۖ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ۖ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ۖ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (الزخرف: ٥١-٥٤). وتأمل جدا ما أعقب الله به خطاب فرعون: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ فهو إنما استخف في الواقع عقولهم.

ولقد قرأت قصة طريفة مترجمة عن الكتابة الفرعونية القديمة رواها أحد أطباء فرعون. وذلك أنه تسلط ذات يوم على أحد الأغنياء فأراد أن ينتزع منه ضيعته، فلما أبى أن يتنازل عنها نكل

به فرعون تنكيلا، فقطع أيديه وأرجله من خلاف، وألقاه على حافة الطريق، فصادف أن كان الطبيب مارا بعربته فوجده يئن في الظلام، فلما عرفه رَقَّ لحاله وحمله إلى بيته، ثم عاجله من آثار جروح البتر. ثم انقطعت صلته به بعد ذلك إلى أن مات فرعون. ولما كان يوم مراسم التحنيط والدفن على -عادة قدماء المصريين- والكاهن يلقي كلماته في رثاء فرعون، بما يصبغه عليه من رداء الربوبية المزيفة والألوهية المدعاة والعظمة المكذوبة، ويذكر من شيمه ما لا قبل للبشر به، إذا بالطبيب يجد من بين الحاضرين الرجل الغني الذي نكل به فرعون من قبل، وقطع أيديه وأرجله من خلاف، وجده يبكي بحرارة ويقول: ما كنت أعلم أن فرعون كان إلها مقدسا إلى هذا الحد، وكأنما يبكي ندما على ما فرط في جنب فرعون، ولم يكن له من الطائعين ومن عباده الصاغرين. إن الإنسان لما يتوهم أنه مغلوب على أمره، أو أنه لا يستحق أن يكون حرا يخضع بصورة تلقائية لمن غلبه بهذه الأكذوبة.

من هنا كانت معجزة هذا العصر هي القرآن، القرآن بما يملكه من قوة خارقة في تحرير الإنسان من عبودية الشهوات التي تثقله إلى التراب، وتلمي عليه تقديس الحياة الفانية، وتخضعه لمن يهدده بالقتل والتشريد فيها. القرآن بما يملكه من سلطان رباني على النفوس يجعلها تبصر حقيقة أنه لا إله إلا الله الواحد القهار حركة حية أبدية في الكون وفي التاريخ، وأن كل استكبار من دولها هو محض افتراء وهراء. القرآن بما له من خاصية التحويل الوجداني العميق لمسار الإنسان؛ من جرم جزئي ضئيل يدور في فلك قصير من متاع الدنيا الشهواني؛ إلى كائن كوني كبير يدور في فلك الملوك الرباني الفسيح، في سيره العظيم إلى الله.. حيث يرى بعين القرآن واستعلاء الإيمان كيف أن كيد الشيطان كان ضعيفا حق ضعيف، وكيف أن المعركة كونية، يقودها الله رب العالمين. ■

(٥) جامعة مولاي إسماعيل، ورئيس المجلس العلمي بـ"مكناس" / المغرب.

الهوامش

(١) قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق: ١٨) هو من العام الذي أريد به الخصوص، إذ عُلِمَ في الدين أن القول غير المبني على قصد لا يدخل في دائرة المحصي على ابن آدم، ولذلك فالقول المقصود هنا هو الكلام المفيد قصداً ومعنى.

أنت للإحسان أهل

عن أنس إبراهيم الدمشقي

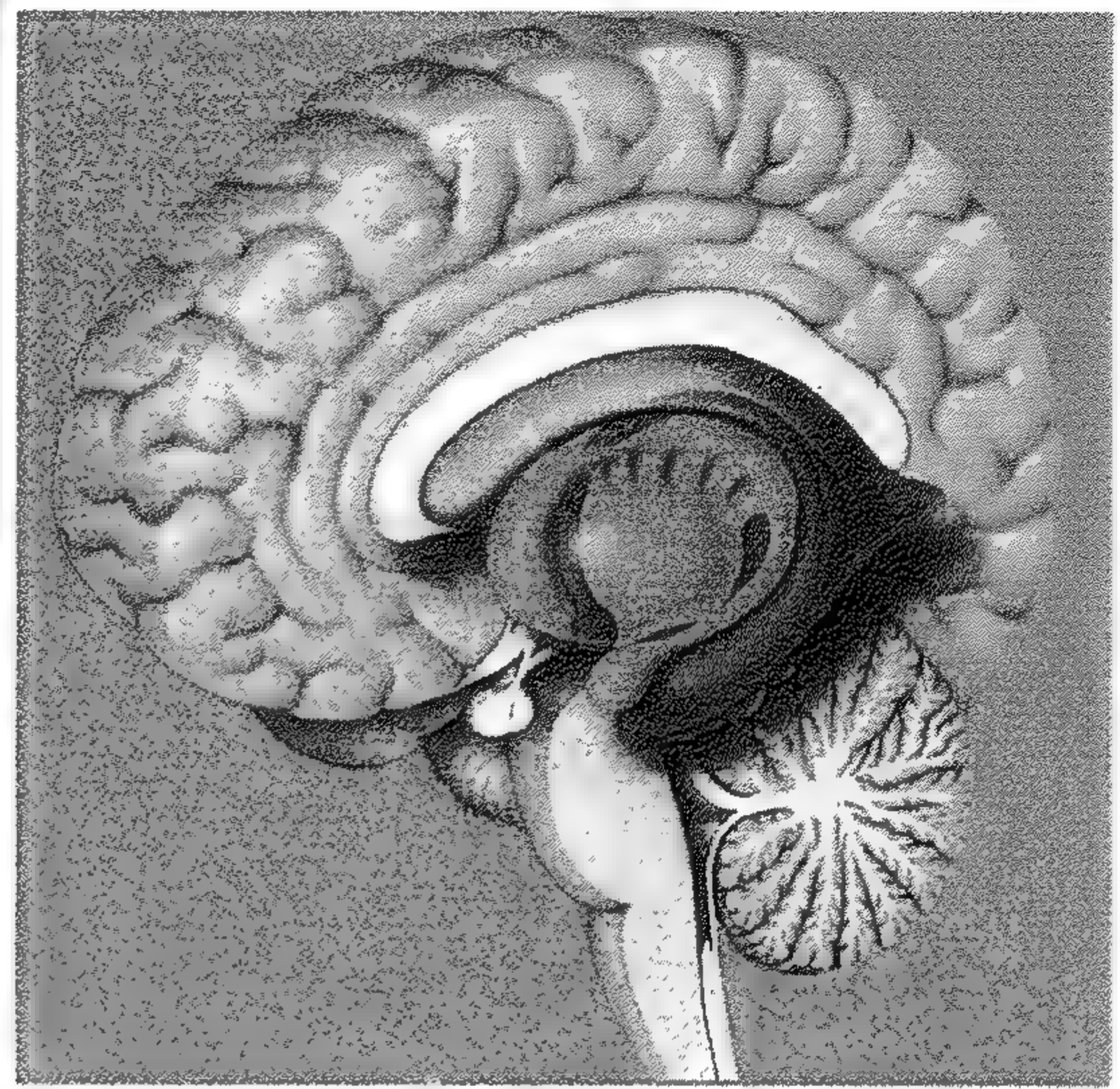
تَبَّ عَلَى قَلْبِي فَإِنِّي
طالما أنأى وتدنو
كلما جئت إلَيَا
وسمعت الروح تشدو
ما شدا القمريُّ إلا
ليس "قيماً" كلُّ من لم
كم تجلَّيت عليَا
قالا لي في عتاب
كلما النور تجلَّى
طار قلبي في سناه
كلما أنست نارا
جذوة تحمي فؤادي
زاد يا مولاي وحدي
لا تدعني يا حيي
يا حيياً لا يراني
فاحفظ اللهم نفسي
كلُّ ما أبغيه وصلُّ
أكبر الآمال عندي
بين بعدي واقتراي
إن تكن حسي فإنني
غلقت كل المسالك
قلت يا مولاي خذني
كلُّ ما أخشاه قرب
في طوَّبات الليالي
أغني يا ربُّ بالحسـ
أنت للإحسان أهل

غارق في حسن ظني
فعمساك اليوم تدني
عاد ققر القلب ربا
(طلع البدر عليا)
هاج دمي فاستهلا
يحترق في نار "ليلي"
واحتواني منك نور
(يا حيياً لا يزور)
قاب قلبي وتدلِّي
هاتفاً أهلاً وسهلاً
طار نحو النور قلبي
إن تكن من طور ربي
من تسابحي وحدي
بين إقبال وصد
حيث يرجو أن أكون
من ضلال وفنون
منك يُدني إليكَ
أن أرى بين يديكَ
ما يشاء العاذلون
غالب في كل حين
غير باب ما يزال
قال يا عبدي تعال
منك يُنسي أنبي
واحتراقي وحيي
لي وجلني بفضلك
وأنا من بعض أهلك

الشاعر سوري

تعرف إلى ذاتك، وبنورها استتر، فإن عرفت عرفت ربك... أما سيئو
الحظ، فلا أعماقهم لمسوا، ولا جواهرهم أدركوا، ولا ربهم عرفوا...
مثلهم كمثل حمال على ظهره كنز يسوء بحمله لكنه لا يعرف قيمة
ما يحمله... فقيرا يبقى وتعبسا يظل وشقيا يموت.

الجهاز العصبي يتكلم



✻ أ.د. عرفان يلماز ✻

ساق الدماغ. وكما أن المركز يكون أهم شيء في جميع الأنظمة، فكذلك المركز العصبي في جسمك الذي يتكون من فصي الدماغ والمخيخ وساق المخ مهم جدا. ويأتي بعد ذلك في الأهمية الحبل الشوكي الذي يعتبر أيضا من النظام المركزي للجهاز العصبي، ولكنه لا يوجد داخل القحف، بل ضمن القناة الداخلية للسلسلة الفقرية. وإذا أصاب الحبل الشوكي أي ضرر فهذا يكون مهما، لقربه من المركز العصبي. وأي ضرر أو جرح يصيب الأقسام المتكونة من الأعصاب الخارجة من المركز إلى الخارج يؤدي إما إلى شلل أو إلى عطل في وظيفتها، ولكنه لا يؤدي إلى خطر فقد الحياة.

أرقام مذهلة

عزيزي عبد الله... والآن سأعطيك بعض الأرقام التي ستذهلك؛ إن مجموع طول الشرايين الدموية يبلغ ١٢٠ ألف كم (أي يبلغ هذا الطول ما يكفي للدوران حول محيط الكرة الأرضية ثلاث مرات)، بينما يبلغ مجموع طول الأعصاب عندي ٧٨٠,٠٠٠ كم، وهذا الطول يبلغ ضعف المسافة بين الأرض والقمر. و٤٠٠,٠٠٠ كم من هذا الطول هو مجموع طول الأعصاب المنتشرة في أجزاء الجسم. أما الباقي (أي ٣٦٨,٠٠٠ كم) فهو مجموع الأعصاب العائدة إلى المركز العصبي. ويقرب عدد

عزيزي عبد الله...

أنا من أروع الأنظمة والأعضاء التي شرحت لك نفسها؛ فأنا الذي أؤمن الارتباط بين جميع الأنظمة والأعضاء لتكمل وظائفها. فكما تنتشر الأوعية الدموية في جميع أجزاء الجسم لنقل الأكسجين؛ كذلك أقوم أنا بتغطية جميع أجزاء جسمك كشبكة لكي تكون على علم بكل ما يحدث. وإذا أصبت بأي خلل أو مرض في أي عضو داخلي قمت بإخبارك حالا، بل بحثك على السعي للعلاج.

و"النظام العصبي" شبكة من الخلايا العصبية، ولكن هذه الشبكة مخلوقة ومرتبطة بشكل معقد جدا. فأهم المراكز الرئيسية موضوعة داخل القحف قريبة من بعضها البعض على شكل كتل كبيرة. أما امتدادات النظام العصبي والمراكز الفرعية الأخرى فمنتشرة وموضوعة في مناطق مختلفة من الجسم.

ولكي تفهم هذا النظام بشكل أسهل وأفضل فمن المفيد تقسيمه إلى قسمين. فالقسم الأول هو المركز العصبي الذي يتكون من المهاد البصري، وما تحت المهاد البصري، والمخيخ، والنخاع الشوكي. أما القسم الآخر فهو النظام العصبي المحيط والشبيهة بكوابل الألياف الضوئية.

والدماغ يتكون من قسمين كرويين كبيرين، بالإضافة إلى

ع

المخيخ

هو المركز الذي يؤمن التوازن وتناغم الحركات دون أي خطأ أو انحراف. علاوة على أن هذا القسم لا يملك شعورا إراديا، فإن تغيير وظائفه بشكل إرادي غير ممكن. إن بصلة الحبل الشوكي (النخاع المستطيل) التي تشبه الهرم تصل القسم الأوسط من الدماغ. وهي تشكل مع جسر "فارول" ساق الدماغ الذي يدخل من الثقب الخلفي الموجود في القحف إلى السلسلة الفقرية. توجد هنا مراكز عديدة تقوم بضبط نبض القلب وتنظيم التنفس وضبط فترات الهضم وغيرها من الفعاليات المستقلة للأعصاب. إن السيطرة على ردود الفعل، وتنظيم الجو الداخلي للأعضاء والسيطرة على الحركات تكون بالمخيخ، وترتيب الأحاسيس الآتية من الأعضاء الداخلية والسيطرة على بعض الوظائف المهمة كالانفعالات والنوم يتم بالاستعانة بالمهاد البصري.

المهاد البصري

يقع المهاد البصري بين بصلة الحبل الشوكي وفصي الدماغ، ويقوم بمهمة مثل مهمة محوّل اتجاه القطارات في السكك الحديدية أو مهمة المحطات الثانوية. وتقوم هذه المنطقة بجمع كل التنبيهات الآتية إليها من الحواس ما عدا الشم، وتنقل المعلومات إلى "القشرة الدماغية العلوية" لكي تنعكس إلى المستوى الشعوري، مثل التمييز بين الإحساس باللمس والألم والأصوات حيث يتم تقييم هذه الأحاسيس بشكل شعوري. ويُعتقد أنه يقوم أيضا بتنظيم حالات الصحو واليقظة والنوم، وأنه يلعب دورا في التغيرات الشعورية التي تظهر.

ما تحت المهاد البصري

هو مركز مهم يقع تحت المهاد البصري ويقوم بالسيطرة على الأحاسيس الجنسية والآلام ومشاعر الاستحسان والجوع والظمأ وضغط الدم وحرارة الجسم والعديد من وظائف الأعضاء الداخلية. وله وظيفة هامة في تنظيم إفراز الهرمونات. والألياف العصبية المتشابكة التي تأتي إلى هذا المركز من فص الشم عندي ومن المهاد البصري ومن فص الجبهة تصل إلى المراكز التي تسيطر على الفعاليات المستقلة وإلى البنية الشبكية الشكل.

لمعلومات الواصلة من خلية واحدة مائتي ألف معلومة. وهذا يعني أن مئات الآلاف بل الملايين من المعلومات تمر من داخل خليتي من المركز إلى المحيط، ومن المحيط إلى المركز. وأنا أملك ثلاثين مليار خلية؛ عشرة مليارات منها في محيط القشرة، وعشرة مليارات تقريبا منها في قشرة المخيخ، أما الباقي فيشكل أجزائي الأخرى. ومن أجل الإيضاح أقول: يملك دماغ البعوض مائة ألف خلية، ودماغ الفأر عشرة ملايين خلية. ولكي يتم تبادل المعلومات بين خلاياي البالغة ثلاثين مليار خلية هناك نقاط اشتباكات عصبية يبلغ عددها مائة تريليون نقطة. أما عدد المخابرات والاتصالات التي يمكن لهذه الاشتباكات العصبية إجراؤها مع بعضها البعض فيزيد على عدد ذرات الكون.

في المرحلة الأولى لأي فعالية ذهنية تدخل ما بين ١٠-١٠٠ مليون خلية في النشاط الذهني، فإذا استمرت الفعالية وتعمقت طفر هذا العدد إلى أرقام كبيرة. ويتم تبادل التنبيهات والرسائل بين فصي الدماغ بعدد ٤ مليار تنبيه في الثانية الواحدة.

وبينما كنت جنينا بعمر بضعة أسابيع كانت بنيتي عبارة عن ماء بنسبة ٩٢٪، وعندما ولدت أصبحت هذه النسبة ٩٠٪ وعندما تصل إلى سن النضوج تصبح النسبة ٧٧٪، ف ٧٧٪ من الماء والباقي عناصر مختلفة.

إن الله تعالى بقدرته وضعني في رأسك، وبواسطتي تقوم أنت بإنشاء الحضارات وبالاكتشافات، وبالتفكير في خالقك، وتدرك معنى الكون والحياة. وأنا الوسيلة لك في إدراكك وشعورك لمختلف المناظر والأصوات والروائح والطعوم، وذلك بتقييم الموجات الكهربائية التي ترد إليّ بأطوال وترددات مختلفة من حواسك. فكل شيء عمله يمر أولا من عندي، وأنت لا تحس ولا تشعر به؛ فعندما تمشي أو تأكل أو تتكلم أو تنام تأتي لي رسائل ومعلومات من كل نقطة في جسمك. وبتقييم هذه المعلومات أعطي أجوبة مناسبة لها.

عزيزي عبد الله... إن ما تعرفونه عني ليس إلا شيئا يسيرا؛ فكل قسم من أقسامي له وظائف حيوية وواسعة جدا، ودعني أخبرك بأهم الوظائف التي يقوم بها كل منها بشكل موجز:



ومع أن فُصِّي المخ يتشابهان تماماً في منظرهما إلا أن هناك بعض الفروق بين وظائفهما؛ فمثلاً المراكز المسؤولة عن النطق عند أكثر الناس في الفص الأيسر، بينما المناطق التي تسيطر على الإحساس بالمكان في الفص الأيمن. وعندما تحتاج إلى إجراء عمليات منظمة (مثل الجمع والطرح أو عند ترزير قميصك) تقوم باستعمال الفص الأيسر. أما إن كنت تفكر بالاستعانة بالرسم فتستعمل الفص الأيمن. ولولا الألياف العصبية الغليظة التي تربط بين فصّي المخ لاستطعت قراءة كلمة "السّمكة" ولكنك كنت ستعجز عن تمثيل السمكة أمام عينيك. لذا لا بد من استعمال الفص الأيمن.

المادة السنجابية

هي القشرة التي تغطي فصّي المخ وتحتوي على تلافيف والتواءات كثيرة. والقشرة تحتوي على القسم الأكبر من خلاياي. أما المادة الموجودة تحتها فلونها أفتح، ويطلق على المنطقة التي توجد فيها امتدادات خلاياي اسم "المادة البيضاء". ومنطقة القشرة (اللحاء) تتكون من ست طبقات، وخلاياها مختلفة. وتشكل مركزاً يقوم بتقييم وتحليل التنبهات الواردة إليها من الحواس، وبالسيطرة على الحركات الإرادية للعضلات والتفكير والتذكر والتعلم. والفصان اللذان يشكلان المخ الرئيسي (الكبير) يشكلان ٨٥٪ من جميع الدماغ.

نمو النظام العصبي

عندما ولدت كان وزني أربعمئة غم، وفي سنة واحدة وصلت إلى ثمانمئة غم. وعندما بلغت سن الرابعة كان وزني ١٢٠٠ غم. وتباطأ نموي بعد السابعة. وعندما بلغت العشرين أصبح وزني ١٣٧٩-١٤٣٤ غم. أما في النساء فيكون أقل قليلاً، وأصل إلى وزني النهائي عند النساء في وقت أبكر مما أصنه عند الرجال (المتوسط عند النساء ١٢٣٠-١٣٠٦ غم). وبعد سنوات الشباب تقلص كل سنة بمقدار غم واحد في المتوسط. وعندما تبلغ الخامسة والسبعين من عمرك أكون قد تقلصت بنسبة العشر بالمقارنة مع وزني عندما كنت في سن العشرين. وسبب هذا أن خمسين ألف خلية عصبية تقريباً تموت كل يوم أو تصبح غير ذات فائدة بعد العشرين.

ومع أن خلايا الجسد تملك قابلية تجديد نفسها بعمليات الانقسام وزيادة أعدادها إلا أن الخلايا العصبية ما إن تبلغ العدد المكتوب في قدرك بعد مراحل التطور الأولى في الرحم حتى تفقد

خاصية التكاثُر. ولكن عدد الارتباطات بين الخلايا يزداد، لذا يزداد وزني. وذلك بسبب ما يرد إلى هذه الرابطة من الغذاء من الخارج. وعندما يتقدم العمر يقل عدد هذه الرابطة. وفي مرحلة الشباب عندما تقرأ أو تشاهد أي شيء أو تمر بأي تجارب.. كل هذه الأمور تزيد من عدد هذه الارتباطات. وهذا يؤدي إلى زيادة قابليتي في التفكير. وإذا داومت في مرحلة الشيخوخة على هذه الفعاليات الذهنية من قراءة ومطالعة وكتابة، ولم تنقطع عن فعالياتك الاجتماعية استمرت الزيادة في عدد هذه الارتباطات.

مناطق الدماغ ووظائفها

عندما نقوم برسم خريطة للقشرة التي تغطي المخ الرئيسي نرى أن هناك مناطق مختلفة للحواس وللفعاليات الأخرى تتكاثف فيها بؤر معينة لها حدود معلومة بمقياس لا بأس به. فمثلاً قسمي الموجود في المنطقة القذالية الواقعة خلف رأسك تماماً هو قسم الرؤية، أما أقسامي الموجودة في منطقة الجبهة فهي للسمع. وعلى اليسار توجد منطقة التكلم (هذا في الأغلب)، وفي منطقة الجبهة (الفص الأمامي) يوجد في الجدار الأمامي للأخدود الوسطي المركز الأول المسؤول عن تخطيط حركات الإنسان، ففي القسم العلوي من المنطقة الأمامية مركز مسؤول عن الحركات المعقدة، وخلفه مباشرة وفي وسط المنطقة الجانبية مركز مسؤول عن الحركات البسيطة. أما المنطقة الموجودة خلفه والمجاورة لحاسة السمع والتي تمتد إلى الأعلى فمسؤولة عن حاسة اللمس. ولكن جميع هذه الساحات والمناطق ليست محددة بشكل قاطع، بل هي في وضع مبثر وتملك شبكة من الارتباطات المعقدة. أما الساحات الموحدة القريبة من هذه المناطق فمسؤولة عن تحويل التنبهات الآتية من الحواس إلى معانٍ وصور.

النخاع الشوكي

يمتد النخاع الشوكي بعد خروجه من القحف في العمود الفقري، وهو المركز الذي ترتبط به التنبهات الآتية من مناطق الجسم الموجودة تحت الرقبة. ومع أن المادة السنجابية تكون في الخارج (القشرة) والمادة البيضاء في الداخل، إلا أن المادة السنجابية تكون داخل النخاع الشوكي في الداخل في شكل فراشة. أما المادة البيضاء فتكون في الخارج وتشكل غلافاً يحيط بالمادة السنجابية، ويؤمن هذا المركز جميع ردود الأفعال في الحبل الشوكي بواسطة التنبهات الآتية من المحيط -ولا سيما من الجلد والعضلات-

بواسطة عُقد الاتصال (الخلايا الرابطة) الموجودة بين الخلايا العصبية. وبينما يقوم قسم من الخلايا الرابطة بالإجابة على ردود الأفعال يقوم القسم الآخر بنقل هذه التنبيهات إلي. وهكذا تظهر القرارات الإرادية.

يخرج من الحبل الشوكي ٣١ زوجا من الأعصاب يسارا ويمينا. أما من المنطقة داخل القحف فيخرج ١٢ زوجا. وجميع هذه الأعصاب تخرج من مركز الجهاز العصبي وتوزع على مختلف الأعصاب، فهي إذن منظومة عصبية لمحيط الجسم. وباستثناء العصب العاشر الذي يخرج من المخ وهو "العصب التائه" تقوم جميع الأعصاب الخارجة من المخ بالسيطرة على فعاليات الحركة والإحساس لمنطقة الرأس والعنق. أما الأعصاب الخارجة من الحبل الشوكي فيخرج كل عصب من الثقب الموجود في جانب كل فقرة من العمود الفقري. ولكل عصب من هذه الأعصاب جذران: أحدهما جذر عصب الإحساس ويقوم بإيصال التنبيه، والآخر عصب الحركة ويقوم بنقل أمر الحركة. وما إن يخرج هذان الجذران من فقرة العمود الفقري حتى يتحدا في الخارج. وهكذا تظهر الألياف العصبية المحدولة التي تنقل الأحاسيس وتنقل أوامر الحركات أيضا. ومن هذه الألياف العصبية تنتقل فروغ نحو كل عضو من الأعضاء؛ فمثلا إن غرست إبرة في يدك قامت الخلية العصبية التي تنقل التنبيهات والأحاسيس بإيصال هذا التنبيه إلى الحبل الشوكي عن طريق ذراعك. والجواب الوارد من الحبل الشوكي هو رد فعل يجعلك تسحب يدك حالا. ورد الفعل هذا يصل إلى عضلات الذراع وعضلات اليد.

عناية ربانية

تنقسم هذه الخلايا في المنظومة العصبية العائدة إلى محيط الجسم إلى مجموعتين: المنظومة الجسدية المنتشرة في عضلات العمود الفقري، والمنظومة العصبية المنتشرة في الأعضاء الداخلية. ومعظم فعاليات المنظومة الجسدية تكون إرادية وشعورية، أما الأخرى فمعظم فعاليتها تكون لا إرادية ولا شعورية. وأما الفعاليات اللاشعورية فهي تسيطر دون أن نشعر على العضلات المستقيمة التي تنظم ضربات القلب وإنتاج عصارات الغدد وإفرازها وعضلات الشرايين الدموية وعضلات التنفس والهضم والإفراغ والتناسل.

عزيزي عبد الله...

لو أعطي كل شيء تحت إمرتك وسيطرتك هل كنت تستطيع تدبير كل هذه الأعمال العديدة وإنجازها؟ إن إرادتك تعمل حتى

حين قيامك بوضع لقمة في فمك. ولكن جميع عمليات إفراز الغدد الهضمية وجميع حركات المعدة والأمعاء، وجميع فعاليات الإفراغ تجري كلها خارج إرادتك بشكل آلي. فحركة تنفسك لا تتوقف عندما تنام، ولا تتوقف كليتك عن فعاليتها لكونك نائما، ولا يقوم قلبك بالتوقف عن عمله وأخذ قسط من الراحة عندما تنام، ولا يتوقف كبدك عن نشاطه، ولا يتوقف البنكرياس عن إفراز الأنسولين. وجميع أعضائك الداخلية وشرايين دمك مستمرة في أداء أعمالها بالتعاون مع العضلات المستقيمة في كل وقت ومكان. وتجري كل هذه الفعاليات والأنشطة دون أن تشعر بها، والحقيقة أنك لو قمت بأدائها شعوريا لتعبت بعد خمس دقائق فقط، إذ لا تستطيع الاستمرار في التركيز فيتشتت انتباهك.

الألياف العصبية

تنقسم الألياف العصبية في المنظومة العصبية في الإنسان إلى قسمين: أولهما القسم السمبثاوي، والثاني نظير السمبثاوي. وقد خلُق هذان القسمان بحيث يجب أحدهما الآخر بشكل متقابل وتمتد بشكل سائب. ويقوم أحدهما بتحفيز العضو للعمل السريع والإنتاج الكثير، بينما يقوم القسم الآخر بتهدئة العضو وتبطيئه وتقليل الناتج. وبين هذين التنبيهين يقوم العضو - حسب ظروفه وأوضاعه - بأنسب إيقاع عمل وأفضله. والقسم السمبثاوي يهيئ الجسم في الأغلب لمواجهة الظروف المتوترة وظروف الصدمات. فمثلا تعود زيادة ضغط الدم وزيادة مستوى السكر في الدم وزيادة التعرق وتوسّع حدقتي العين وسرعة جريان الدم في العروق إلى تأثير الألياف العصبية السمبثاوية. أما القسم نظير السمبثاوي فيعمل على إعادة الأحوال الهادئة للأعضاء الداخلية وإلى تخفيض ضغط الدم لكي تستطيع هذه الأعضاء القيام بوظائفها.

الخلايا العصبية

تحدثت منذ البداية عن أقسام وتنبيهات مختلفة، ولكني لم أتحدث عن خلتي العصبية التي تعد الأساس في المنظومة العصبية ولا عن كيفية عملها. فالخلايا العصبية التي يبلغ عددها ٣٠ مليار خلية هي الوحدات الأساسية التي تعمل في جميع أقسام المنظومة العصبية. والخلية العصبية تتكون من جسم الخلية ومن الامتدادات العديدة التي تخرج من جسم الخلية مثل الأغصان المتشابكة للشجرة. ونحن نطلق اسم "المحور العصبي" على جسم الشجرة وعلى امتداده الوحيد والغليظ. أما أغصان الشجرة وتفرعاتها الدقيقة فتدعى

"الزائدة الشجرية". والتنبيهات التي تسير بشكل تيار كهربائي تنتقل من المحاور العصبي نحو هذه الزوائد الشجرية. ونقطة الارتباط بين محور خلية عصبية والزائدة الشجرية لخلية عصبية أخرى يتم عن طريق إفراز مادة كيميائية تدعى "نوروترانسmitter" إلى الفراغ الموجود في نقطة الاشتباك. وما إن تصل هذه المادة إلى جدار الخلية الموجودة تجاهها حتى يحصل تيار كهربائي. وكما يحدث في أحجار الدومينو حيث تسقط هذه الأحجار بالتتابع، أو كما يحدث في بعض المباريات عندما يرفع المتفرجون أيديهم بالتتابع محدثين حركة تماوجية، كذلك تنتقل الرسائل التي يحملها التيار الكهربائي بسرعة كبيرة من طرف الخلية إلى الطرف الآخر، ثم تنتقل إلى الخلايا المجاورة. وبينما تملك الخلية في حالة سكوتها (-70 mV) طاقة مدخرة يمكن بتيار كهربائي شدته ($+30$) إلى ($+40\text{ mV}$) نقل جميع المعلومات المطلوبة. وكل خلية تستطيع نقل ألف إشارة في الثانية الواحدة.

الذاكرة

أما الذاكرة التي لا نعرف تماماً ماهيتها حتى الآن، فهي تقوم بخزن مئات التجارب كل يوم وتستطيع إرجاعها إلى ذاكرتنا. وهناك عدة نظريات تحاول تفسيرها وتفسير كيفية عملها. ولكننا نعلم أن جواب هذا السؤال لا بد وأنه يكمن داخل خلاياي العصبية. وبالنسبة للذاكرة فمن الصعب تحديد مركزها تحديدا قاطعا. وربما كانت هناك علاقة لجميع المراكز العصبية بالذاكرة. والذكريات المخزونة تكون على أنواع: فمنها صوتية، ومنها صور ومشاهد، وبعضها تتعلق بالروائح، وبعضها تتعلق بالخيال، وأخرى بأحاسيس الغضب أو الفرح.

وأنت لا تستطيع حتى تخيل مدى سعة الذاكرة عندي؛ فأنا أملك نوعين من الذاكرة؛ أحدهما على المدى القصير، والآخر على المدى البعيد. ففي المدى القصير أستطيع في كل مرة حفظ تسعة أشياء مختلفة كحد أقصى. ومعظم الناس لا يستطيعون حفظ أكثر من سبعة أشياء في ذاكرتهم. وفي الذاكرة على المدى القصير لا يبقى شيء أكثر من بضع دقائق. وما تتذكره للمدد التي تزيد على هذا يعود إلى الذاكرة على المدى البعيد حيث يسجل هناك، فيبقى هناك أياما وأسابيع وشهورا بل ربما لسنوات. وما تتعلم أو تعلم من شيء إلا وهو محفوظ في الذاكرة على المدى البعيد. وما إن تبلغ الثامنة من عمرك حتى يبلغ حجم المعلومات المخزونة في ذاكرتك ما يساوي المعلومات المدونة في مليون مجلد من دائرة

المعارف. ومع ذلك فهذا المقدار يعد شيئا ضئيلا، لأن ذاكرتك على المدى البعيد تملك سعة غير محدودة ولا يمكن ملئها؛ فحتى لو تجاوز عمرك المئة عام فإن ذاكرتك مستعدة لحفظ أشياء جديدة على الدوام. إن فعاليات التعليم في الصغر (مثل حفظ القرآن الكريم أو تعلم لغة) تكون أسهل، وتتحقق بشكل سهل ورصين. ومثل هذه الفعاليات التعليمية في الصغر تقوي الذاكرة.

اللاشعور

أما تذكر حادثة فهو تكرار الشفرة الكهربائية التي سجلت تلك الحادثة في أثناء حدوثها. فأحيانا نحاول تذكر اسم شخص فلا نستطيع، مع أنك تشعر أن الاسم على طرف لسانك، ثم تيأس وتترك محاولة التذكر. ولكن ما إن يمر يوم أو يومان حتى يخطر ذلك الاسم على بالك فجأة فتفرح. فهل تعرف كيف يحدث هذا؟ عندما نحاول جاهدا تذكر الاسم فأنت في الحقيقة تستعرض جميع خلاياي العصبية للتوصل إلى الملف الذي خزنت فيه ذلك الاسم، ولكنك لا تجده عند بحثك واستعراضك لمليارات الخلايا العصبية؛ لأنك إما لم تستعمل ذلك الملف كثيرا، أو لم تضعه في مكان أمين لعدم أهميته بالنسبة لك. ولكنك لا تنسى أبدا اسم والدك، لأنك تعدّه شيئا مهما وتستعمله بكثرة، لذا فهو موجود في ملف أمام عينيك.

ولكن عندما تيأس وتتخلى عن محاولة التذكر تبدأ آلية أخرى بالعمل يطلق عليها اسم اللاشعور، وهي آلية حافلة بأسرار أكثر. تبدأ هذه الآلية بالعمل دون أن تشعر بها، وتخرج لك ذلك الملف وتضعه أمامك فتذهل وتتعجب. فاللاشعور مكان مخوف بالأسرار ويؤثر في جميع جوانب حياتك. ولا يسجل في اللاشعور سوى المشاعر الصادقة والحقيقية الخالية من الرياء والأفكار الحقيقية. ثم هناك الذكريات الأليمة وذكريات الذنوب التي تهزك من أعماقك.. ومثل هذا الشعور بالذنب الموجود في اللاشعور وعقدة النقص تنعكس في العديد من سلوكك. ولكن مثل هذه المشاكل نتيجة لا يمكن للإنسان الهرب منها، ولكن الخلاص منها بيدك. فإن كنت رجل إرادة وشغلت نفسك بصبر بأعمال الخير نجحت في تغليب فطرتك السليمة فلا تعود تلك الذكريات القبيحة مؤذية لك، فتنجح في إصلاح هذا الأمر. ■

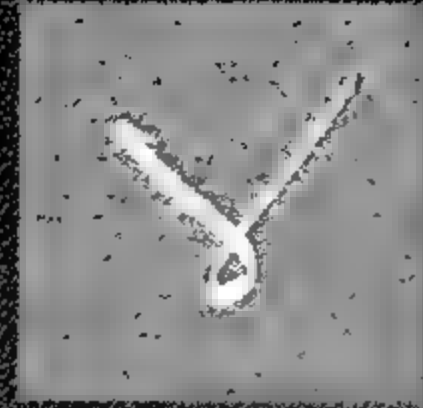
(٥) جامعة ٩ أيلول / تركيا. الترجمة عن التركية: أورهان محمد علي.



المسلمون

بين الشدائد والبشائر

أ. د. الشاهد البوشيخي



لا بد من التمسك لأي سلعة، وبما أن سلعة الله الجنة فمنها غال جدا، لأن الجنة هي مستقر الرحمة، قال رسول الله ﷺ: "إن لله مائة رحمة، فمنها رحمة بها يتراحم الخلق بينهم وتسعة وتسعون ليوم القيامة" (متفق عليه). فبقسمة واحدة يتراحم جميع الخلائق منذ كانت الدنيا حتى تقضى، جميع مظاهر الرحمة التي ترى في علاقة الآباء بالأبناء، والمؤمنين بعضهم ببعض، والوالد بولده، والوالدة بولدها، وعلاقة جميع الكائنات، وجميع مظاهر الرحمة والرأفة والحنان كلها تدخل في قسمة واحدة، وهي مجلى صفة الرحمن ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: ١٥٦)، وتسعة وتسعين للرحيم ﴿فَسَاءَ كُتِبَها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٦). شاع بين الناس أن الله رحيم الدنيا ورحيم الآخرة وذلك له شواهد ومناها هذا. الرحيم لشدة الرحمة، والرحمن لسعتها، والرحمة لسعتها يدخل فيها جميع الخلائق كفارا كانوا أم مؤمنين، أحياء كانوا أم غير أحياء، أم جمادات، أما اسمه الرحيم، فهو للمؤمنين ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (الأحزاب: ٤٣)، تلك الرحمة تتجلى أساسا في الجنة، وفيما أعد الله لأهل الجنة، ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (يونس: ٢٦)، ﴿وَلَدُنَا مَزِيدٌ﴾ (ق: ٣٥)، هذا الثواب العظيم جدا الذي نفيس الغائب فيه على الشاهد؛ فإذا كانت الرحمة الواحدة من المائة من رحمة الله قد غرق فيها جميع الخلائق فكيف هي هذه الرحمة؟

ومن ثم فالفرح أساسا بفضل الله وبرحمته ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ (يونس: ٥٨)، "ما من أحد يدخله عمله الجنة" فقيل: "ولا أنت يا رسول الله؟" قال: "ولا أنا، إلا أن يتغمدني ربي برحمة" (رواه مسلم). ومن تغمده برحمته التوفيق إلى فعل ما يوجب رحمته ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ٤٣). فإذا هذه السلعة عظيمة الشأن جدا، شيء لا يتخيله الدهن حتى إذا أراد تخيله لا يستطيع تخيله، فلا بد أن يكون ثمنه كذلك مرتفعا، لا بد أن يكون عاليا "إلا إن سلعة الله غالية، إلا إن سلعة الله الجنة" (رواه الترمذي). المؤمنون ما كان يحركهم وما يحركهم ولن يحركهم حق التحريك إلا مثل هذه السلعة، فهم عن الدنيا وفيها زهدوا، لأنها

فانية بكل ما فيها، فكيف يمكن التعويل على أي شيء فيها. تدبرْتُ في الأمر فوجدتها تتلخص في هذا: لابد من ثمن يكافئ الثمن، يكافئ السلعة التي ستشتري، وبما أن هذه السلعة هي الجنة فتحتاج إذا إلى ثمن باهظ، ولكنه أيضا يسير على من يسره الله عليه، كما في الحديث الصحيح (رواه الترمذي).

التربية بالأخطاء

البشائر بالنسبة للمؤمنين كثيرة جدا، فيها العام وفيها الخاص وفيها القريب وفيها البعيد. وأعظمها هذه البشرية، بشرى الجنة، ورضوان الله ﷻ؛ فالله وعد المؤمنين بالنصر وجعله حقا عليه ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم: ٤٧)، وقال: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ (محمد: ٧) في أي لحظة تاريخية وأي بيئة وأي وسط ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾، إذا لم تجد جواب الشرط فاعلم أن الشرط فيه خلل، أما جواب الشرط فلا يمكن أن يتطرق إليه خلل مع وجود الشرط. فإذا رأينا في الخارج ما لم يعجبنا، فلتتأمل جميعا قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ (آل عمران: ١٦٥) ليس من جنس خارجي، ليس من اليهود ولا من النصارى كما يحدث عادة في التحليل لأوضاع وأحوال المسلمين، الكل لا أصل له، التعليل والتحليل الصحيح القرآني السنني دائما داخلي. وما أصاب المسلمين في السيرة النبوية لا في أحد، ولا في حنين، ولا في أي وقت إلا بما كسبت أيديهم، وذلك لظروف عظيمة تنبني على ذلك. فالتربية بالأخطاء هي وجه من وجوه التربية العظيمة، لأن الإنسان قبل أن يصيبه جزاء الخطأ تقريبا قد يكون سكران ساهيا، ولا يصحو إلا بعد نزول الصفعة، إذ ذاك يتهاى نفسيا للتلقي. صحيح كما قال ﷺ "السعيد من وعظ بغيره" (رواه مسلم)، ولكن هذه درجة عالية، ومن أجلها قص القصص ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (يوسف: ١١١)، لأن في القصص وفي غير القصص، في أمور الكون التي يفكر فيها، ما يكفي للدلالة والإرشاد، لكن لمن كان فيه ما يلزم من الاستعداد. أما إذا لم يكن ذلك الاستعداد فإنه لابد من تهيب ظروف الاستعداد بأشكال

من الصفع والضرب والركل وما أشبهها، تتجلى بأشكال مختلفة لتهيئ الجو للتلقي، وإن ما حدث للمسلمين بصفة عامة في القرنين الأخيرين هو من النقم التي في طيها كثير من النعم، فهي نقم فيها عدل الله وفضله؛ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (فصلت: ٤٦) لأن ما أصابنا فيها كان على السنة ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ (الشورى: ٣٠). فظاهرة الاستعمار جملة في العالم الإسلامي، كل ذلك بما كسبت أيدينا. وبما أن الذين كلفوا بحمل الأمانة ووكل إليهم أمر الشهادة على الناس، ما حملوا الأمانة وفرطوا فيها، وأخلدوا إلى الأرض واتبعوا هواهم فابتلاهم الله بأشكال من الابتلاءات. وأقول: فيه عدل الله ﷻ، وفضله، ومن ذلك الفضل هذا الوجه الثاني للأمر، وهو أن هذا السكر بالدنيا لا سبيل إلى إيقاف المسلمين منه إلا بمثل هذه الصواعق المحرقة، وهذه الكوارث، لأنه لولا مثل هذه الصواعق ما استطعنا أن نستيقظ، وما كان ما يتحدث عنه اليوم بالصحة الإسلامية التي نرجو أن ترشد وأن تتسع وأن يمكن الله لها في الأرض بجوده وكرمه. فإذا الله وعد ووعد صادق، ولكن ما وعد الله وعدا إلا مشروطا، وعوده بالنصر العام، أو بالتخصيص بالنصر في الدنيا مثل ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (غافر: ٥١) و"الذين آمنوا" حتى ولو لم يكونوا الرسل ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ "في الحياة الدنيا" بالتحديد، و"إن" و"لننصر" كلها تأكيدات. ثم جمع هذا الأمر في صورة السنة الماضية الكونية في صورة ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥) سواء كانت "الأرض" بمعنى صغير كما ذهب بعض العلماء بأنها بمعنى "فلسطين" فقط ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (المائدة: ٢١)، أو كانت الأرض هذه الدنيا الكرة الأرضية كلها، أو كانت الأرض هي الجنة ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ (الزمر: ٧٤) المعاني لا يوجد لها مخصص في الآية ولا داعي للتخصيص، بل ما جاء من الآيات بعد جاء موضحا لأشكال الأرض، فهي سابقة على الأولى، وسابقة على الثانية، وسابقة على الثالثة.



العبادة بالاختيار

فإن الله وعد في الذكر الأول وفي الزبور وفيما جاء مما نزل من الكتب، وحتى نزول الكتاب كله وهو القرآن، وعد بأن الأرض يرثها عباد الله الصالحون، قال الله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا هَذَا أَمْرًا قَدْ كُتِبَ وَفَرَّغَ مِنْهُ، وَلَكِنَّ الشَّرْطَ دَائِمًا حَاضِرًا﴾ عِبَادِي الصَّالِحُونَ ﴿عِبَادِي﴾، إن هذه اللفظة - لفظة عبد الله - ليست لفظة عادية، لفظة فيها كثير من الأهمية والخطورة، فالله سبحانه حين أراد أن يمدح محمدا ﷺ سماه "عبد الله" ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ (الإسراء: ١) ما قال: "برسوله"، ولا قال: "بنبيه"، بل قال "بعده". فلفظة "عبادي"، وليس "عبيدي" أيضا فيها سر، لأن هناك "العبادة بالاضطرار"، وهناك "العبادة بالاختيار"، ولفظ "العبد" في الغالب، إلا في بعض السياقات يذهب عادة إلى العبادة بالاضطرار فالكل ﴿آتَى الرَّحْمَنُ عَبْدًا﴾ (مرم: ٩٣) ولكن العابد لله بالاختيار هو الذي جعل من نفسه عبدا، هو اختار من نفسه عبدا لله، هو عبد الله بطبيعة الحال، ولكن بمعنى الاختيار جعل نفسه عبدا لله، "عبد الله" هذا يجمع على "العباد"، على "عباد الله"، و"عباد الرحمن"، ليس و"عبيد الرحمن"، هذا من "العبادة" وليس من "العبدية". فالعبادة ببساطة أن تجعل من نفسك عبدا لله باختيارك، إذا جعلت من نفسك باختيارك عبدا لله فأنت عابد لله، وأنت من هؤلاء: "عبادي" الذين يرثون.

الصالحون المصلحون

شرط آخر: ﴿الصَّالِحُونَ﴾ هذا مزيد من البيان، وإلا فعباد الله فيها كل شيء، تماما مثلما يقول الله ﷻ: "الله"، ثم يأتي بعد ذلك بالأسماء الحسنى، وكلها مضمنة في "الله". فعباد الله فيهم صفات كثيرة، لخص تلك الصفات ههنا في "الصالحين" فمن هم الصالحون؟ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ (العنكبوت: ٩). فالصالحون هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات، و"الباقيات الصالحات" هي كل شيء، الباقيات الصالحات جميع الأعمال، فهذا الوعد كبير وعام، كوني لكن يحتاج إلى شرطين:

١- شرط الإيمان. ٢- شرط الصلاح والأهلية.

الصلاح في هذه الأمة متمثل أساسا في إصلاحها للناس، لأنها

أخرجت أساسا للناس، إذ لها خصوصية لكن الآية عامة.

صناعة التوحيد والإيمان

ثم البشري في الآخرة بالجنة وردت في أماكن ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (يونس: ٦٢-٦٤). وفي سورة الصف جاءت البشري ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٣)، حين نسمع لفظ ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ في القرآن مستقلا عن أي شرط، نعلم علم اليقين أن ما سواه يدخل فيه، وما يأتي بعده كله داخل فيه، لو قال الله: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (العصر: ١-٣) فقط وسكت، فاعلم علم اليقين أنه يدخل فيها: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾. فحين يذكر الإيمان وحده فهو يشمل العمل، لأنه لا يتصور إيمان بدون عمل، إنما في أذهان الناس وفي عقل المتكلمين، أي الذين اشتغلوا بصناعة التوحيد لا في صناعة الإيمان، إذ كان رسول الله ﷺ مشغولا بالإيمان فيمارس الإيمان ويتكلم بالإيمان وعن الإيمان وفي أهل الإيمان، وجاء الناس بعد وتكلموا في التوحيد وتكلموا في الكلام، وبقي الكلام مع الكلام وصارت الأمة إلى ما صارت إليه. فالإيمان بالتعبير القرآني يستلزم العمل إلزاما، ويستلزم العمل الصالح، إلا أنه نظرا إلى أن الناس يحتاجون دائما إلى مزيد من البيان والتكرار والتوضيح فالله ﷻ بين ووضح حتى قطع الحجة، ومن أجل ذلك أرسل الرسل، وضرب الأمثال، وقص القصص، بين كل شيء ﴿لَعَلَّأ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (النساء: ١٦٥). وانقطاع الحجة بالرسل باعتبارهم يعطون المثل البشري للتطبيق الشرعي؛ تراه أمامك ماثلا يمشي على رجله، ها هو مطبق، وتطبيقه له لا من جهة كونه رسولا، وإنما من جهة كونه بشرا، بمعنى أنه أطاق ذلك وهو بشر، لم يطقه لأن فيه قوة خاصة جاءته وهو ملك، لا، وإلا ما صار قدوة للناس ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١) لأنه فعل ما يفعله البشر ويطبقه البشر، والله كلف البشر بما في وسعهم ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦).

الحن والمنح

فالبشائر كثيرة ووعد الله عظيم للمؤمنين في أي فترة وفي أي

مرحلة، ولكن تلك الوعود جميعا لا نفاذ لها، ولن تكون إلا إذا وجدت شروطها وأمتتها. والأئمة عندما ندخل إلى الثمن يتبدى المفهوم الآخر وهو الذي يتبدى بقوله تعالى في آيات تم الكلام عنها: ﴿الْم أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (العنكبوت: ١-٣)، والفتن في العربية: وضع المعدن (الذهب أو الفضة) على النار الشديدة حتى يذوب وتطفو الشوائب فيصفى من تلك الشوائب ويبقى المعدن ذهباً خالصاً أو فضة خالصة. فإذا المؤمن فيه شوائب قبل تصفيته بالفتن، فالفتن ضروري وسنة ماضية، وبه يتميز الناس. ما أشبه الإيمان بمنحة ربانية يعطاها الناس الذين أكرمهم الله دون سابق عمل؛ فليس منح الإيمان منحة خالصة لا يسبقها عمل هي جزاء لهم؛ فقد يكون الإنسان كافراً ثم يصبح مومناً، لم يفعل عملاً صالحاً قبل، لأنه لا قبول للعمل الصالح دون وجود الإيمان، فهي منحة. تصور أن أبا -ولله المثل الأعلى- عنده أبناء متعددون أعطاهم دفعة واحدة مليون درهم ثم قال لهم اذهبوا، تصرفوا؛ فبعضهم نَمَى ذلك المال، وبعضهم أكله من ليلته قامر به، وبعضهم لهُ عنده حتى سرق له. كُلُّ له تصرف فيه، فكذلك الناس -و الله المثل الأعلى- يُمنحون الإيمان، ويمنحون القدر الضروري الذي إن نَمَوه زكت نفوسهم ووصلوا إلى أعلى الدرجات مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة: ١١)، ولكن هناك ناس لا يزكون ذلك ولا ينمونه فيتناقص حتى يذهب. فكم من ناس كانوا مؤمنين فكفروا وارتدوا. حتى في زمن رسول الله ﷺ وقع هذا، وفي كل زمان يقع هذا ويمكن أن يقع. وإن كل نعمة هي في الحقيقة منحة، انظر إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ (النور: ٢١)، ولذلك قال رسول الله ﷺ "اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها" (رواه مسلم) رغم أنه قال لنا: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها﴾ ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس: ٩-١٠) وأنه أعطانا التصرف ولكن التوفيق منه ﷺ. فكل نعمة هي في أصلها منحة،

وتحتاج إلى تنمية أيضاً، بالزكاة، بالزكاة تربو النعمة وتزداد، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْزِئِينَ﴾ ﴿الْبَقَرَةُ: ٢١٤﴾ مثل الزلزلة التي تحدث عنها القرآن ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا﴾ (الأحزاب: ١١) وقوله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ (الزلزلة: ١) زلزلت القلوب من شدة الرعب، والهول والضيق، ولكن مع الإيمان القوي تثبت والله المثبت، ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (إبراهيم: ٢٧). ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ﴾ هذه التي تحدثنا عنها أن فيها تسعة وتسعين من الرحمة التي رأينا نموذجاً واحداً، التي نحس بواحد على ما لا نهاية بالتعبير الرياضي تقريبا من سعة هذه الرحمة وعظمة هذه الرحمة الموجودة في الكون الآن. فهي مجرد قسمة، فتلك التسعة والتسعين مثل وضعف لذلك الضعف، ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ (يوسف: ١١٠) اشتدي أزمة تنفرجي. فإذا سنة البلاء سنة كونية حياتية حين قال الله: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ ثم لحق ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ﴾ (المائدة: ٢) ليست فقط في الحياة، بل حتى الموت نحن مع الفتنة ﴿وَنَبْلُوَكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (الأنبياء: ٣٥). فالإنسان حين يكون في عافية لا يظن أنه ليس في فتنة أو ليس مبتلى، بل هو مبتلى إذ ذاك، حين يكون مبتلى بتلك العافية هل يشكر نعمة الله أو لا يشكر؟

تمييز الخبيث من الطيب

وهنا نقطة أحسبها في غاية الأهمية وهي أن الله أسس الأمر على البلاء والفتن، وعلى أساسه تكون الرتب عند الله وفي الدنيا، ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحشر: ٨). ووسام الصدق أعلى وسام، ولذلك طلب الله من جميع المؤمنين أن يكونوا مع هؤلاء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩).

سنة البلاء هذه -بصفة عامة- تقوم على الفتن، والفتن يؤدي إلى تمييز الخبيث من الطيب، وإن في المؤمنين الخبيث والطيب؛ كما

أنواع البلايا

والبلايا أنواع؛ فيها ما يطلب وفيها ما لا يطلب. نحن لا نطلب المرض مثلاً، "فاسألوا الله العافية" (رواه الطبراني)، وهناك نوع من البلاء يطلب، كبلاء الجهاد بجميع صورته، طُلب منا أن نطلبه وهو بلاء. الاستشهاد آخر صور الجهاد، فأن تجاهد نفسك في ذات الله، وأن تجاهد شهوتك وولدك وتجارتك... حتى تجاهد روحك التي بين جنبيك في سبيل الله وتعطيها راضياً في سبيل الله وابتغاء مرضاة الله، إن قدّمت هذا برغبة منك في ذلك، هذا عوّضك النوع الآخر، وإلا طُهرت بالنوع الآخر، والله الذي يختار ﷻ، فقد يختار من هذا وهذا، وقد يختار من هذا دون هذا ﴿وَرُبُّكَ يُخَلِّقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ (القصص: ٦٨)، لكن إن تأملنا حال الصحابة، وتأملنا عدداً من الأحوال نجد أن الإنسان بفضل الله تعالى إن صدق الله ورسوله وأخلص، ولا يكون ذلك إلا ببذل، ليس الصدق أمراً نفسياً خالصاً وكفى، لأن الصدق دليله في الجهاد، دليله في الواقع، في التضحية، إن حدث ذلك الله يدفع بذلك إداة أخرى من نوع آخر، وها هو يقول "ولا يزال البلاء بالعبد المؤمن حتى يلقي الله وما عليه خطيئة" (رواه الترمذي)، حتى يطيب، يصير طيباً، يعني قد تمياً تماماً لاستقبال الملائكة له، فيقال له: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (الزمر: ٧٣). والمقصود أن نكون عبيداً لله بالاختيار لا بالاضطرار وأن نختار نحن أن نقدم ما أعطانا هو راضين برغبة منا بدل أن ينتزع ذلك منا اضطراراً وكرهاً وهو يجرنا إلى الله ﷻ كما قال ﷻ: "عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل" (رواه البخاري) يعني يجرنا إليه جراً إلى رضوانه بطريقة أخرى، حين أراد سبحانه بنا الخير. ولا أعلم في الصيغ التي استعملها رسول الله في أمر الإصابة والخير إلا صيغتين:

- "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين" (متفق عليه).

- "من يرد الله به خيراً يُصَبِّ منه" (رواه البخاري).

فهما متكافئتان؛ مَنْ فقه في الدين يطلب هذا الذي أمر الله به راضياً مختاراً، ومن يرد الله به خيراً يصب منه، من طلب ذلك راضياً مختاراً نتج عنه أجور، والأجور ينتج عنها تكفير للخطايا. ■

قال الصحابة بعد نزول الآية: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (آل عمران: ١٧٩)، قالوا: ما كنا نظن أنه يوجد خبيث وطيب في المؤمنين. فإذا فينا خبيث وطيب، والخبيث يحتاج إلى نار الفتن لحرقه في الدنيا رافة بالمؤمن حتى لا يحرق في الآخرة، لأن كل خبيث في المؤمن بعد لقيا الله ﷻ لا بد من أن تحرقه النار إلا أن يشاء الله شيئاً بفضله وكرمه. السنة العادية أنه لا يدخل الجنة إلا من يقال له: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ (الزمر: ٧٣)، و"إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً" (رواه مسلم). ولا يدخل داره دار السلام إلا الطيبون، أولئك يقال لهم: ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (الزمر: ٧٣)، أما قبل أن تطيبوا لا دخول، أما إذا وجد في المؤمن جوانب طيبة وجوانب خبيثة، فلا يخلوا من أمرين:

- إما أنه في هذه الدنيا ينقى بالفتن بأشكال يختارها الله.

- وإما أنه - لا قدر الله - يؤخر ذلك إلى يوم القيامة وينقى بعذاب جهنم ثم يدخل الجنة بعد. لكن لا بد أن يطهر، لا بد أن يطيب.

الأشباح في يد الأرواح

هذا الفتن ضروري في عملية التصنيف هنا وهناك، وهو رحمة بالمؤمنين، وتنقية لصفوفهم وقلوبهم، وتركيز لأرواحهم، وتقوية لهم أيضاً، لأنهم كلما طابوا خفت أجسامهم وأرواحهم، فخفت أجسامهم، لأن الأشباح في يد الأرواح؛ لماذا يحس الإنسان بالثقل إذا طلب منه أن يجاهد بماله أو بوقته أو بنفسه؟ أو إذا قيل له جاهد بدرهم يعطيه بيسر، بعشرة دراهم، ربما يعطيه ربما يبدأ في الإحساس بالثقل، خمسين درهماً، البعض ما زال يحس بالخفة، البعض بدأ يحس بالثقل، حتى ربما يثقل الجميع ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَاقُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ (التوبة: ٣٨)، هذا الثقل سببه ما في النفس مما ليس بطيب، فالروح حين تزكوا تخف وتصبح كالطائر، وتسهل عليه أن تطير إلى الله ﷻ، فحين قال ﷻ: "إنكم لتكثرلون عند الفزع وتقلون عند الطمع" (رواه العسكري في الأمثال)، لأنهم ربطوا أنفسهم بالآخرة، يكثرلون عند الفزع لأنه فيه البلاء، فكأنهم يرغبون فيما عند الله مما تكره النفس، أما حين يكون الأمر أمراً دنيوياً خالصاً، فهم يقلون.

وهذا الفتن له صورتان: صورة وهي أن العبد تنزل عليه بلايا نزولاً، وصورة أنه هو يطلبها.

(٥) الأمين العام لمؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) / المغرب.

مظهر جلال الربوبية في القرآن



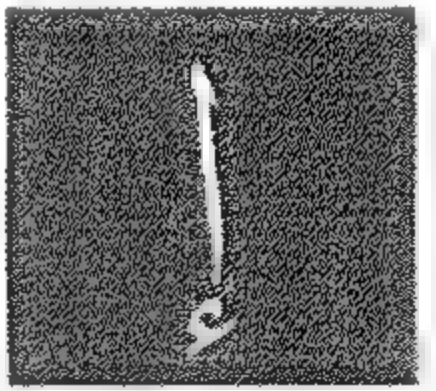
أ.د. محمد سعيد رمضان البوطي

عليها كتاب الوحي بأمر ومراقبة من رسول الله ﷺ، ثم بالكتابة الثانية التي قام بها زيد بن ثابت بأمر من سيدنا أبي بكر وكان الهدف منها جمع القرآن لأول مرة بين غلافين، ثم بالكتابة الثالثة التي أمر بها سيدنا عثمان بن عفان وعهد بذلك إلى أربعة من كبار قراء القرآن وحفاظه وهم زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن حارث بن هشام رضي الله عنهم، فكتبوا سبع نسخ ملتزمين بكتابة زيد بن ثابت الذي التزم بكتابة كتاب الوحي، واعتمد فيما كان يكتب على السماع من شاهدين اثنين من حفظة القرآن، بالإضافة إلى اعتماده على ما كان قد كتبه كتاب الوحي في بيت النبوة. فوزع عثمان النسخ السبعة على أمهات الأمصار آنذاك: الكوفة، والبصرة، والشام واليمن ومكة والبحرين، واستبقى عنده المصحف الإمام وهو ذاك الذي كتبه زيد بن ثابت في خلافة أبي بكر.

فأي خير أو كتاب سار خلال القرون في مثل هذا النفق

إن الصفات التي يتميز بها كتاب الله (القرآن) عن سائر الكتب السماوية كثيرة ومتنوعة. ولكني أحب أن ألفت النظر إلى مزيتين اثنتين، هما من أبرز مظاهر إعجازه، لم يرق على شأوهما أي كتاب آخر.

أما أولى هاتين المزيتين؛ فما نعلمه جميعاً، من أنه وصل إلينا من فم رسول الله ﷺ ضمن سلسلة متصلة من التدوين الكتابي الدقيق، والتلقي الشفهي السليم، ساراً جنباً إلى جنب إلينا في تطابق واتفاق، واستمر ذلك إلى هذه الساعة من يومنا هذا، لا نرى على طول هذه السلسلة الممتدة حلقة مفقودة أو ثغرة ينفذ منها الشك أو اختلافاً يبعث على الرية. فلكأننا من هذا الكتاب الرباني أمام شمس واضحة مشرقة تسير أمام أعيننا في قبة السماء الصافية، ليس في طريقها مزقة سحاب تفشي عليها، وليس بيننا وبينها أي زوبعة أو ضباب يمكن أن يحجب شيئاً من ضيائها عنا. والحديث هنا لا يتسع للتذكير بالكتابة الأولى التي عكف



العجيب من الحفظ والوقاية ثم لم تستطع أي يد أن تدنو بأي عبث غليه أو تغيير لكلمة منه، على الرغم من كثرة من ابتغى ذلك. اللهم إن العقل لا يدرك أي موجب لهذه الوقاية إلا أن المصداق الدقيق الذي أعلنته القرون لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩) ولقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۚ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: ٤١-٤٢).

وأما المزية الثانية، فهي تلك التي ينبغي أن تُسمى "مظهر جلال الربوبية" في القرآن.

والها لأبرز مظهر من مظاهر إعجاز القرآن. إنه المظهر الذي

يسري الشعور به إلى العامة الذين لا يتمتعون بدراية واسعة للغة العربية، بل يسري الشعور به حتى إلى نفوس كثير من الأعاجم الذين لا يملكون من الثقافة القرآنية إلا إيمانهم العميق بالله ﷻ.

إن مظهر جلال الربوبية في القرآن، يعني خلوه من الطباع والصفات البشرية كلها، إنك إن تأملت في الآيات التي تقرأها أو تصغي إليها من القرآن، رأيتها مرآة لجلال الربوبية وصفات الألوهية. ومهما تأملت، فلن تجد في شيء منها إلا ما

يضاد الطبيعة والحاجات البشرية ومظاهر الضعف الإنساني التي يفيض بها كلام الإنسان أيا كان، وأيا كان نوع الحديث الذي يتناوله. إن من المعلوم أن الكلام مرآة دقيقة لطبيعة المتكلم وصفاته واحتياجاته، وما تتجلى الأغوار النفسية لشخص ما على شيء، كما تتجلى على ما يكتبه أو يقوله. لذا فإن من العسير أن يقلد كاتب كاتباً آخر في أسلوبه إذا كتب.. لقد حاول كثيرون أن يقلدوا أسلوب الجاحظ مثلاً، فلم يتأت لهم ذلك، لأن الأسلوب ليس طريقة معينة في صوغ العبارة فقط، بل الأسلوب - قبل ذلك - مرآة دقيقة لنفسية صاحبه، فلئن استطاع أحدهم أن يقلد الآخر في صوغ العبارات، فهيئات أن يستطيع تقليده في خصائصه النفسية وطبائعه البشرية.

فإذا كان هذا واضحاً، فأحرى - في باب البدهة والوضوح - أن لا يستطيع الإنسان - أيا كان - أن يتجرد عن بشريته وصفاته

الإنسانية، ثم يجعل من نفسه إلهاً يتصف بكل ما لا بد أن يتجلى في ذات الله من مظاهر الربوبية المضادة للطبيعة البشرية، ثم ينطق بكلام تبرز فيه هذه الألوهية بكل ما فيها من كبرياء وجلال. إن هذا مستحيل بلا شك، لأن الطبيعة البشرية لا يمكن أن تتخلى عن صاحبها لحظة من حياته.

براءة القرآن من المظاهر البشرية

ولكن القرآن مبرأ من سائر مظاهر البشرية والضعف الإنساني وحاجاته الفطرية. إنه الكلام العجيب الذي يشع بجلال الربوبية ومظاهر الألوهية من خلق وإيجاد وإحياء وإماتة وسيطرة وإحاطة.. وإنه لشعاع بين يخرق إلى السامع والقارئ حواجز اللغة وفوارق ما بينها.

إليك هذه النماذج من الآيات التي تنزل من علياء الربوبية، وليسأل كل منا عقله: أفيمن أن تكون هذه الآيات مما يستطيع أن ينطق به بشر من الناس؟! ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًا ۖ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًا ۖ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًا ۖ وَإِنْ

عندما يهيمن القرآن، ويأخذ بمجامع النفس، ويملاً الفؤاد هيبة وتعظيماً له، فإن الذي يبعث ذلك كله في النفس، إنما هو مظهر جلال الربوبية فيه، وهو من أجلى مظاهر إعجازه.

مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ۖ ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا ۖ﴾ (مرم: ٦٨-٧٢) ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (طه: ١٤) ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا ۖ وَلَوْلَا أَن تَبْتَئَا لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ۖ إِذَا لَادَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ۖ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْزِفُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ۖ سَنَّةٌ مِّنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٣-٧٧) ﴿نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۖ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ (الحجر: ٤٩-٥٠) ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۖ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ

لا مستحيل مع الإيمان

حدّد هدفك، وارسم خطتك،

واجترأ أعالي الجبال،

واعلّ فوق التلال،

فلا وعر يصدك،

ولا شاق يمنعك...

تزود لطريقك...

فلا زاد أغنى من الإيمان،

ولا هتاف أعذب من الابتهاج،

وفي الطريق إياك أن تسهو،

وعن قراءة الكون حذار أن تغفل...

رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ﴿٥٦﴾ (الذاريات: ٥٦-٥٧) ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي
وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٥٨﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ
حَشَرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ
فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٣-٤٥﴾

فلنتأمل في هذه الآيات وأمثالها، ولنتبين ما يشع فيها من
جلال الربوبية والسطوة الإلهية، ثم دعونا نتساءل: أفيمكن أن
يكون هذا الكلام مما يمكن لبشر من الناس أن يصطنعه اصطناعاً،
وأن ينطق به تمثيلاً أو أن يتحلّى به تزويراً؟

أما إن الطبع لغلاب، وليقم أي فرعون من الفراعنة المتأهلين
أو المتجبرين، ثم ليحرب أن ينطق بمثل هذا الكلام الذي ينزل
من علياء الربوبية، ويغمر نفس السامع والقارئ بمشاعر الهيمنة
والجلال، فإن لسانه سيدور في فمه على غير هدى، مهما حاول،
فسيأتي بكلام يكشف بعضه بعضاً، فيه محاولة التمثيل، ولكن
بشريته ومظاهر ضعفه الإنساني تعريه وتكذّبه.

وعندما يهيمن القرآن، ويأخذ بمجامع النفس، ويملأ الفؤاد
هيبة وتعظيماً له، فإن الذي يبعث ذلك كله في النفس، إنما هو
مظهر جلال الربوبية فيه، وهو من أجلى مظاهر إعجازه.

صفحة مشرقة

وإليكم هذه الصورة التي تبرز هذه الحقيقة في هذا الواقع المشاهد
الذي سجله التاريخ:

نزل عثمان أرطوغرل جد الخلفاء العثمانيين، ضيفاً على قريب
له في "بورصة"، ولما حان وقت رقاد، ودخل عثمان الغرفة التي
هيئت له لينام فيها، رأى شيئاً معلقاً على أحد جدرانها، فدنا
منه ليتبينه، وإذا هو مصحف يزّين الجدار، فاتخذ منه موقف
الجندي من قائده، وأثبت كفاً على أخرى ملصقتين ب صدره،
وبقي كذلك واقفاً لا يتحرك إلى الفجر.

ذلك هو سلطان جلال الربوبية، تجلّى أثره في شخص عثمان
أرطوغرل، وفعل فعله في كيانه. أما ثمرة ذلك على شخصه
الإيماني وكيانه الوجداني، فقد برزت في سلالته الطاهرة التي
أورثها الله مقاليد الخلافة الإسلامية، ووجد بها عهد الازدهار
الإسلامي في بقاع الدنيا. ■

(٥٩) كلية الشريعة - جامعة دمشق / سوريا.

الأستاذ فتح الله كوتن وانشاء حدائق الابداع الحضاري

أ.د. عبد الحليم عويس

قال الراوي:

كانت خريطة الأرض يوشك أن ترسم بريشة الألحاد،
ونظير "عوجه أفندي" حوله وتساءل أليست ورائة الأرض

للمصالحين؟

واتخذ قراره لن تترك الأرض لظلمة الإيمان... وراح يقوص في جهود أبطال
الإحياء، والبعث بالإيمان..

قرأ إحياء علوم الدنيا في تراث الأسلاف، وقسراً إحياء علوم الدين للغزالي،
وحجة الله البالغة للدهلوي، وأبحر في عالم المعاصرين المحددين في تركيا
والشام والهند والجزائر... وأسعدته تلك القراءات المعاصرة للقرآن، تلك
التي جمعت بين التفسير، والتربية والفقه والتذكير... قسراً التحرير والتنوير لابن
عاشور، ومجالس التذكير لابن باديس، وقرأ الظلال، وقرأ -قراءة عميقة-
"رسائل النور" لأنها الأقرب إلى نفسه، في الزمان والمكان والتحديات.
وقد أتيح لصاحب رسائل النور -نتيجة ظروفه- أن يعيش مع الطبيعة، وأن
يتصل بالكون، ويخالق الكون، من خلال كلمات الله الكونية... فحات رسائل
النور كأنها تنزل من التنزيل.. ونقذت أشعتها -مع أشعة الشمس- إلى قلوب
الناس وكيانهم وعقولهم... فتأصلت... وحملت العناية الربانية كللمات الرسائل
وبدورها الإيمان مع الرياح السائرة هنا وهناك، لتسقط منها حبة هنا، وحبات هناك.

قال الراوي:

والآن يا صاحب الرسائل، يا معبدنا الجديد!

ها أنت تودع الأصحاب، وملايين الطلاب، بعد أن واجهت -بالأمل في مستقبل
الإسلام- وبالثقة الكاملة في وعد الله ﷻ على الدين كله (سورة الحديد: ٢٨)..
وبانتصار عالم القرآن على كل فلسفات الإلحاد والمادية.

والآن، يا كلى دعاء الإيمان، يا أفغاني، يا محمد عهدي، يا رشيد ونياء يا

أرسلا، ليتم كل منكم في قبه ماجوراء مسرورا

وأنت يا صاحب الرسائل:

والآن، بعد ذهاب القرارة السوداء.

نم مسرورا في قبرك وتنعم،
فالوعد الحق سيجعل قبرك إشعاعا من فكرك، قبرا محقورا
في الأعماق.

فرسائل نورك مصباح لك في دنياك وأخراك،
في ساعة يُسرك أو عُسرك!
ياصاحب الرسائل، يا زارع البذور في حقول الإيمان!
ها أنت هنا مسرّحا من وظائف الفناء،
كما علمتنا في رسائل الضياء.
ها أنت هنا تعيش ناعماً في عالم البقاء،
عابراً دونما إبطاء ودونما انقطاع،
مُبْحَرا من عالم الشقاء والصراع.

أحلام قبورية

ياصاحب الرسائل! إخلاصك حتى في قبرك نورانية...
ذات ليلة - ياسيدي،
يوم كنت تغوص في رسائل الإمداد،
تكتب بالعين والسمع والفؤاد،
تنقل من عالم العطاء والإسعاد،
غفوت والنور في راحتك.
رحلت بروحك من عالم الأشياء.
ورحت تكلم الموتى مع الأحياء..
لا جسم لك..
لا جرم لك، لا نسمة من الهواء.
ها أنت هنا تعيش في عالم القبور...
قبرك من نور.

وفؤادك يرنو للبيت المعمور
يرنو للوح المحفوظ المسطور.
يسأل في لهفة حب وسرور
وأنت قهرول حول اللوح، وتجري وتدور:
يالوح الكون ويا قلم القدرة، يا مخزن أسرار الكون المستور.
ترفع صوتك في قبرك، في الملاء الأعلى، وتنادي:
أخبرني عن أهلي، عن مليار مقهور
يؤمن بالله ويشهد بالتوحيد، ويصلي، ينتظر البعث المقدور
يؤمن بالنصر الآتي. لكن، لا يعرف كيف يسير!
أخبرني يا لوح الغيب الأعلى، عن يوم النصر المبرور.

في الغفوة وبإحساس القلب المقهور.
في تلك الومضة واللحظة،
ظهرت في القبر ملامح عصر يأتي، يُبعث الإنسان المسلم،
إنسان النور.

- ها هي - يا سبحان الله - مظاهر أحلامك.
أقوى من كل الأحلام...

رسالة من القبر

وهتفت بأنشودة آمال رمزية...
وتقول لإنسان الإيمان المنتظر الأعلى:
يا من يختفي خلف عصر شاهق.
لما بعد ثلاثمائة سنة يستمع إلى كلمات النور بصمت
وسكون.

يا من تتسمون بسعيد وبمحزنة، وعمر
وتدعون بعثمان وطاهر أو يوسف أو أحمد.
إني أتوجه بالخطاب إليكم:
ارفعوا هاماتكم وقولوا:
"لقد صدقت"... وليكن هذا التصديق دينا في أعناقكم.
إني أتكلّم معكم عبر أمواج الأثير
المتدة من الوديان السحيقة للماضي المسمى بالتاريخ.
إلى ذرى مستقبلكم الرفيع..

ما حيلتي...

لقد استعجلت وشاءت الأقدار،
أن آتي خضّم الحياة في شتائها..
أما أنتم فطوبى لكم وألف طوبى..
ستأتون إليها في ربيع زاهر كالجنة.
إن ما نزرعه الآن يُستتب من بذور النور،
فتفتح أزاهير يانعة في أرضكم.
نحن ننتظر منكم لقاء خدماتنا،
أنكم إذا جئتم لتعبروا إلى سفوح الماضي،
عرجوا إلى قبورنا، واغرسوا بعض هدايا ذلك الربيع
على قمة "القلعة" المستضيئة لرفاتنا وعظامنا...
سنوصي الحارس ونذكره.. نادونا..
ستسمعون صدّي "هنيئا لكم" ينطلق من قبورنا...
لقد كانت هذه الكلمات "الأخروية" أنشودة نورانية ذات

وقع خاص، وكان لها تأثيرها الكبير في النفوس طلاب الآخرة،
طلاب الإيمان، البارزين الزارعين الزاهدين العابدين لله...

كولن، وحدائق الإبداع الحضاري
قال الراوي:

كانت كلماتك -يا صاحب الرسائل- آمالا علوية.
كانت أدعية خاشعة ترشح بالإخلاص.
في قبرك لم تنس الأمة. فتقلب وجهك في الأفق الأعلى...
تدعو بلسان الروح،
لسان القلب المجروح...
فتقبلها الله، وحققها في أرض الناس... ليس بعد ثلاثمائة سنة،
لكن في سنوات خمسين..
أجل.. فقط، في سنوات خمسين..
منحة رحمن وكريم!
هبت ريح الإيمان،
وظهر الفيض الرباني، وتجلّى في "فتح الله"..
منحة رب رحمن، لإمام يحيا في "النور الخالد"..
يعشق أعظم إنسان، معجزة الإنسانية..
أحلامه أكبر من كل الأحلام،
أقوى من كل الآلام.
يعرف كيف يجب على "أسئلة العصر"، ويحل الألغاز
السحرية...

جاء يخاطب كل الناس...

ويجاور عقل العالم، بوسائله العملاقة..

فالعقل المسلم قادر.. -يأخذ بالألباب- لو عرف "الموازن"
و"أضواء الطريق"، وتسلح بـ"النور الخالد" وبـ"طرق الإرشاد
في الفكر والحياة" العملية.

وهناك تألق "فتح الله" يبيّن ويقيم صروحا للروح، في كل
الأيام وكل الأعمال...

يصعد بالقانعين السفوح، إلى عالم "التلال الزمردية" ليعيشوا
بالكلمة والعقل: حياة القلب والروح معا، في توازن غابت معالمه
منذ عقود!

بناء إنسان النور الخالد

ولما كان الناس قد اختلطت لديهم حقيقة الجهاد وروحه، وجروا

الإسلام إلى معارك فوضوية، حتى في داخل البيت المسلم نفسه،
وأعطوا الفرصة لتعاون الداخل مع الخارج في تشويه الإسلام
والتربص بالعاملين له..

فقد كتب الأستاذ الواعظ الإنسان كتابه عن "روح الجهاد
وحقيقته في الإسلام" مبينا وظيفته الحضارية وأطره الإنسانية
ودفاعه عن المقيهورين ونشر المعاني الواسعة له، جهادا بالعلم
والمال والفكر والبناء الحضاري...

وهكذا عمد الأستاذ الواعظ "خوجه أفندي" "العالم
الإنساني" إلى العمل على بناء إنسان جديد من خلال عدد كبير
من الدراسات التي ترجم أفلها إلى العربية ومازال أكثرها حبيس
اللغة التركية، مع أن العرب أحوج من غيرهم إليها ليدركوا-
من خلالها- كيف تكتشف "أضواء القرآن في سماء الوجدان"
ويدركوا حقيقة الخلق الإلهي، ودحض "نظرية التطور" التي
سيطرت على العرب عدة عقود...

وليعرفوا -كذلك- أبعاد مشكلة "القدر والقضاء، في ضوء
الكتاب والسنة"، وكيف أنه لا يسلب الإرادة الإنسانية، ولا تفتر
بالعقل عن إرادة البناء الحضاري...

وكيف أن الإيمان الحق به عنصر فاعل إيجابي، يدفع إلى
الكسب والأخذ بالأسباب دون عبادة الأسباب أو نسيان قدرة
مسبب الأسباب، الذي لو شاء لأوقفها لحكمة يريد لها ولإظهار
تجليات قدرته ^{عز وجل}.

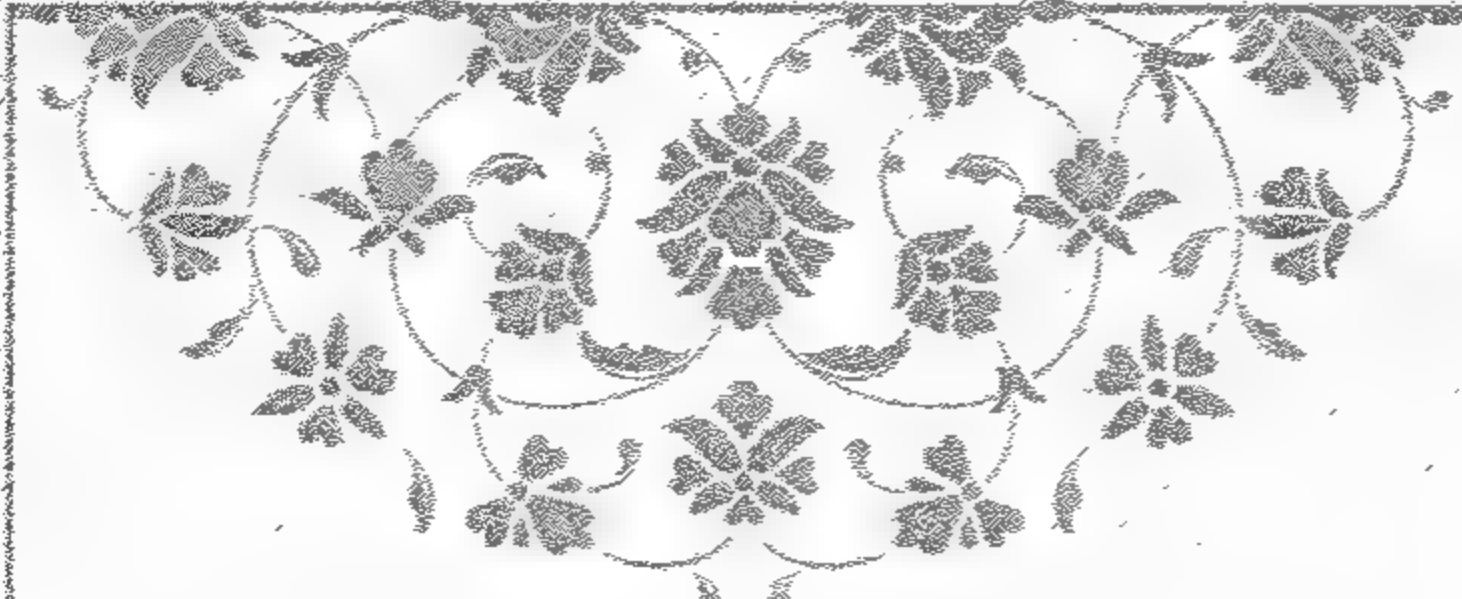
عبور الفجوة وملء الفراغ

كان العالم قد انتهى بنهاية الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-
١٩٤٥م) إلى وضع مأساوي، وسيطر اليأس على العالم.
وبدلاً من أن يلجأ إلى العدل والرحمة توحشت لديه معاني
القوة، وأصبحت فلسفة نيتشة و(الفارستية) -القائمة على البقاء
للأقوى- هي المسيطرة..

وضاع معنى الحق أمام القوة، ومعاني العدل والرحمة أمام
الجشع الذي أقبل عليه المنتصرون.

وسحبت كل الوعود الخداعة (بالعدل والمساواة والحرية) التي
بذلت أثناء الحرب وقبيلها للشعوب المغلوبة على أمرها والقوى
المستضعفة -بالطبع- لاعتبارات مصلحة توجبها الحرب.

وانفجر الموقف العالمي، وعمت الثورات، بعد أن خدع



كانت خريطة الأرض بين يده وهو
يعالج أمراض إنسانية عجزت
عن وجود من يهتم بإنسانيتها،
ويضع الدواء لأمراضها الأخلاقية
والحضارية، ويعيد للإنسان
"الموازن" الصالحة لتحقيق حياة
أفضل يتعاقب فيها الإيمان مع التقدم
مع الأخلاق.

وهناك جامعات ومدارس مبنوثة
في العالم التركي وخارجه. وتتميز
بالعصرية وبالأصالة التي تقرها
القوانين. وهذه مدن جامعية.
وهذه مستشفيات على أفضل
وجوه عرفت الحضارة الحديثة.
وكانت خريطة الأرض بين يده
وهو يعالج أمراض إنسانية عجزت
عن وجود من يهتم بإنسانيتها،
ويضع الدواء لأمراضها الأخلاقية
والحضارية، ويعيد للإنسان
"الموازن" الصالحة لتحقيق حياة
أفضل يتعاقب فيها الإيمان مع التقدم
مع الأخلاق، ويتم فيها التكامل بين
الحق والقوة.

كان الأستاذ-بيقين- قد قرأ أحلام دعاة التغيير والتمكين،
التي كل منهم أمل أن يرى استجابتها الحية في حياته أو في
قبره، ويهني أصحابها الذين استحقوا من الله التمكين، والذين
سيتمرون أمامه ويشاهدون من قبره فيرى بشائر انتصار الإسلام
على وجوههم.

وعندها يطلب منهم الدعاء، لأنه وتلامذته هم الذين بذروا
البذور. وعاشوا شتاء الحياة في ظل الإلحاد وعانوا الكثير.
وها هم الحاصدون للزرع القادمون الوارثون للأرض الذين
يعيشون ربيع الإيمان.. يعمرون أمامهم ويشاهدونهم وهم في
قبورهم، فيفرحون، ويسعدون بهم، ويقولون لهم: هنيئاً لكم...
اذكرونا، أسألوا الله لنا الرحمة والفردوس الأعلى؛ فنحن السابقون
الزارعون للبذور في الشتاء القاسي، وأنتم اللاحقون الوارثون
للأرض في ربيع الإيمان...

فالنور يلد نورا.. وصدق ربنا:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا
عِبَادِي الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥).
﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٦).
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧). ■

(٥) أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية، ورئيس تحرير مجلة البيان / مصر.

العالم باتفاقيات سلام.. لكن
الأمر كان تقسيماً للتركة العالمية بين
الأقوياء والمنتصرين على حساب
المقهورين الذين عدوا ذلك خيانة
وغدرا ونكثا للعهود. فأصبحت
الأخلاق الإنسانية في الصميم..
وهنا وجد الأستاذ "فتح الله
كولن" أن البشرية لم تعد مرشحة
لإنشاء قوى تعمل على العدل
والرحمة. لقد فقدت الإنسانية عقلها
وقلبها ورشدها.

مقاومة الغارة على الإنسانية
ونظر الأستاذ فلم يجد أمامه إلا الفكر
الإنساني التربوي النبوي الشريف

وأفكار السائرين في الطريق نفسه. ورأى أنه في مواجهة هذه
القوى العالمية لا معنى للصدام أو الثورات أو الصراع، بل لابد
من طريقة إنسانية نبوية لمخاطبة الإنسان نفسه.. قلبه وروحه وما
بقي يقظاً من عقله.

ووجد الأستاذ أن العالم المنتصر بعد أن هزم المقهورين بقوته
العسكرية بدأ يغزو كل إنسان وكل بيت، فلم تعد كتائب
المستشرقين، ولا قوافل المنصرين، ولا قوى النفاق الداخلية كافية
لتحقيق "عولته" والعبث بالعالم كله، بكل رجل وكل امرأة وكل
شاب، كما يشاء، يصوغهم كما تصاغ التماثيل المنحوتة على
النسق الذي يهواه فتاتها.

وفي هذا السياق انتشرت أجهزة التلفاز والقنوات الداخلية
والفضائيات الموجهة.

وانتشرت الإذاعات والصحافة عابرة القارات ودور النشر
العملاقة. وانتشر ما هو أخطر من كل هذه على الحياة وهو
"الإنترنت".

ولم يأس الأستاذ، بل قرر أن يكون مصباحاً يجوب العالم،
وينافس الظلام في كل واقعه. وبارك الله له في نيته، وفي رجال
الخدمة والأقوال والأعمال. فسخر الجميع كل جهودهم لتنمية
بذور الإيمان. وانطلقوا إلى العمل في كل المجالات، فهذه جريدة
يومية مليونية، وهذه مجلات أسبوعية بالتركية وغير التركية.

وهذه قنوات تلفزيونية قادرة على إنتاج تمثيلاتها وبرامجها.

أنموذج جديد الأكوان المتعددة

✦ صالح آدم ✦

هـ

النظرية النسبية

أما حسب النظرية النسبية الخاصة والعامة التي وضعهما ألبرت أينشتاين فالفضاء والزمان نسبيان. فإذا كانت هناك حادثة تستغرق ساعتين حسب مراقب، فهي قد تستغرق في نظر مراقب آخر ثلاث ساعات أو ثلاث ساعات ونصف. وإذا كانت هناك حادثتان حدثتا في مكانين مختلفين (أحدهما في إسطنبول والأخرى في أنقرة مثلاً)، وكان هناك مراقب في منتصف المسافة تماماً بينهما، ولنفرض أن الحادثتين تقعان في اللحظة نفسها، فالحادثتان لن تكونا في وقت واحد لمراقب يتحرك؛ فإن كان المراقب يتحرك نحو الحادثة على يمينه، أي يتعد عن اليسار فسيرى أن الحادثة في يمينه تتحقق قبل الحادثة الموجودة على يساره. وإذا كان العكس، أي إن كان المراقب يتحرك نحو اليسار ويتعد عن اليمين، فسيرى أن الحادثة في يساره تقع قبل الحادثة في يمينه. إذن فالزمن يختلف في الفضاء حسب موقع المراقب.

وحسب النظرية النسبية العامة (التي قال عنها أينشتاين بأنها أكثر نظرياته إسعاداً له) فإن للمادة تأثيراً معيناً على الفضاء والزمان.

هناك نقاط تحولات كبيرة في تاريخ علم الفيزياء في صدد فهم الألفاظ المحيطة بخلق الكون. فهناك الآن نقطتا انطلاق لإيضاح الكون الذي خرج من العدم إلى الوجود، وهما تحتويان على جميع زوايا النظر في هذا الصدد: الأولى: أن هذا الكون ظهر إلى الوجود من قبل خالق له قدرة وعلم وإرادة محيطية بكل شيء.. والثانية: تشير إلى أن الكون ظهر نتيجة مصادفات عشوائية، أو تدعي أن الكون نفسه أزلي وأبدي، فهو لا يحتاج إلى خالق. وهذه هي نظرة من ينكر وجود الخالق. إن علم الفيزياء الذي يتم تدريسه في المدارس فيزياء نيوتن. والكون حسب هذه الفيزياء مثل الساعة، أي هو جهاز يعمل حسب معادلات رياضية معينة، ويطلق عليها اسم "قوانين الفيزياء". ويستند عمل الكون إلى قواعد معينة، لذا لا مكان هنا لأي احتمالات أو مصادفات. والفضاء والزمن حسب فيزياء نيوتن مسطحان ولا نهائيان. فإذا كانت الساعة عندنا ١٠,٣٤ مثلاً، فهي أيضاً ١٠,٣٤ في المشتري وفي مجرة أندروميда. والزمن في فيزياء نيوتن يشبه نهرًا يسيل بتدفق منتظم.



المتعددة" وكأنها تشكل بديلا. فالعديد من الألغاز والمسائل التي لم يكن لها حل أصبح في الإمكان إيضاحها في إطار منطقي.

ما هي "الأكوان المتعددة"؟

في سنوات الخمسينيات قام الفيزيائي "إفرت" (Everett) وبعض الفيزيائيين الآخرين بتقديم نظرية "الأكوان المتعددة" لإزالة الألغاز والتناقضات التي فتحتها الفيزياء الكمية في دنيا الفكر والمنطق، وطرح نظرة جديدة لكيفية حدوث الحوادث في الكون. فالكون الموازي لكوننا يحمل صفات مشابهة له، وهو (أي الكون الموازي) يتكون أيضا من الفضاء والزمن والمادة والمجرات والنجوم والإنسان.. بل يمكن القول بأن هذين الكونين متداخلان ويشغلان الفضاء نفسه. والمواد الموجودة في هذين الكونين تتبع قوانين الفيزياء الكمية، أي هناك أكوان عديدة مثل كوننا. فمثلا بينما تقرأ هذه المقالة الآن ربما أنت تنزه في غابة في كون مواز آخر.

التواريخ البديلة

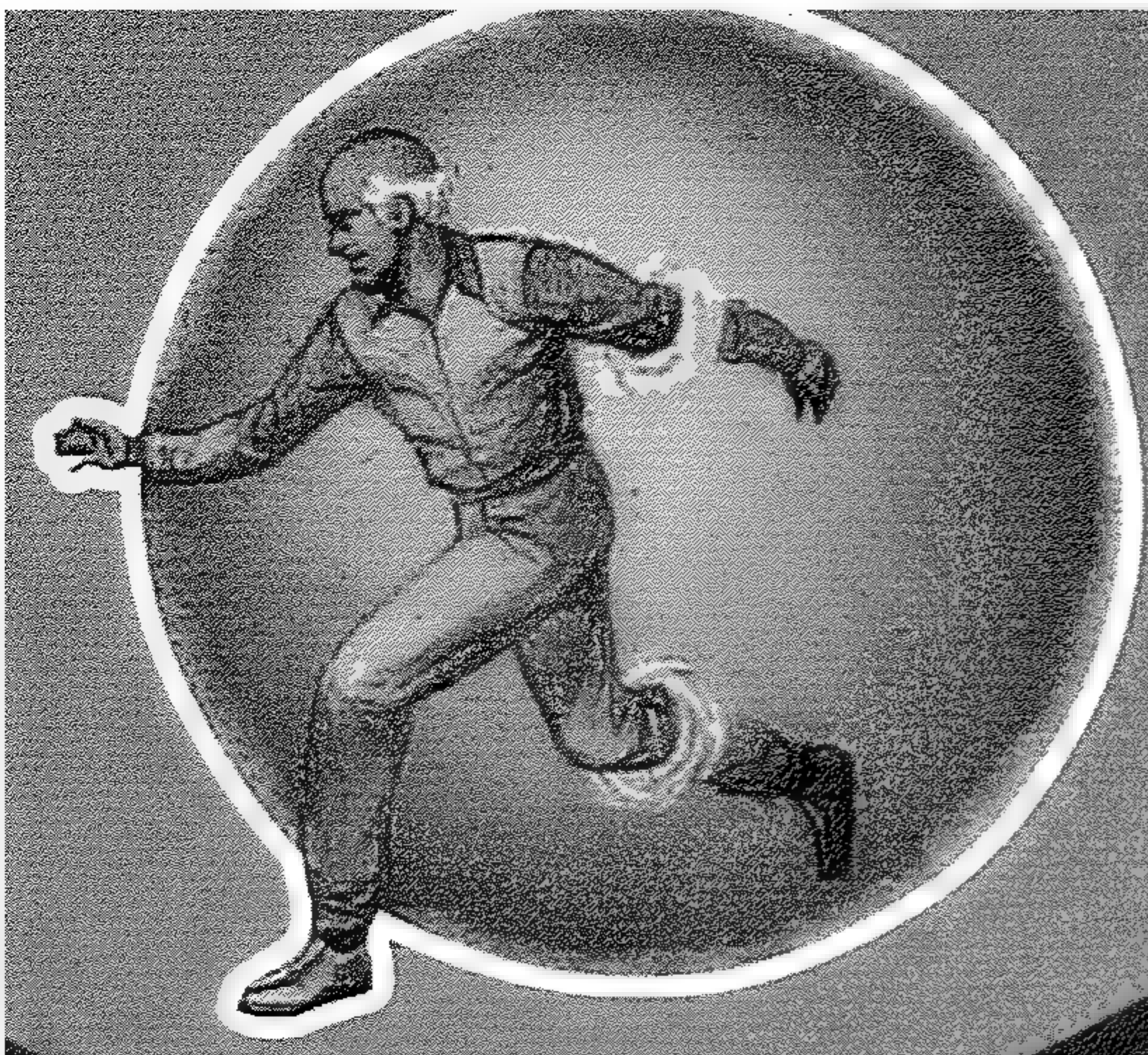
والتواريخ البديلة تشكل مثالا جيدا في فهم الأكوان المتوازية بشكل أفضل. فلو كان الجيش العثماني قد نجح في فتح مدينة "فيينا" فكيف كان التاريخ سيتغير؟ ولو استطاع محمد الفاتح فتح روما كيف كانت الدنيا ستتغير؟ أو لو كسب هتلر الحرب العالمية الثانية فماذا كان سيحدث؟ كل احتمال من هذه الاحتمالات تحقق في كون مواز، وكل عالم مختلف ترد صورته على ذهن، وكل ما يخطر على البال من تواريخ مختلفة فهو موجود في مكان ما وفي كون ما. وعندما نفكر فيما نقوم به من اختيار وترجيح بإرادتنا نفهم الأكوان المتعددة. فمثلا من رجح واختار دراسة الطب وقدم امتحانا ونجح في الجامعة أصبح طبيبا. ولو اختار دراسة علم الأحياء لأصبح عالما في البيولوجيا. ولو

وتقوم المادة -حسب الكتلة التي تملكها- بالتأثير على هندسة الفضاء وعلى سرعة الزمن الجاري. فمثلا يكون تحذب الفضاء حول الثقوب السوداء -التي تملك مادة كثيفة جدا- لانهايا. وهذه النظرية التي لها مثل هذه النتائج الغريبة تملك بنية رياضية مدهشة، وهي تتوافق حتى الآن مع جميع المشاهدات والتجارب. أما الجواب على سؤال: هل الكون نهائي أم غير نهائي؟ فهو يتوقف -حسب هذه النظرية- على مدى كثافة المادة التي يملكها الكون.

الفيزياء الكمية

ومع أن نظريات أنشتاين تبدو كاملة، إلا أنها لا تستطيع وحدها تفسير كيفية نشأة الكون ففي اللحظة التي حدث فيها "الانفجار الكبير" لم تكن القوانين الفيزيائية سارية. لذا تبقى الأسئلة حول تلك اللحظة وما قبلها دون جواب. فلماذا حدث الانفجار الكبير؟ وكيف حصل؟ وماذا كان يوجد قبل الانفجار؟ للإجابة على مثل هذه الأسئلة، أو في الأقل التخلص من لغز الكون وذكر بعض الأشياء عن نشوئه فنحن نحتاج إلى الفيزياء الكمية. يستمر وجود النموذج الساعة في فيزياء نيوتن في نظريات أنشتاين، وكذلك يستمر وجود السببية، أي العلاقة بين السبب والنتيجة، أو أن لكل حادثة سببا. ولكن الفيزياء الكمية التي تبحث عن طبيعة الذرة وعن طبيعة أجزائها، تمثل تغييرا جذريا أكثر. فهي تدخل المشاهد أو المراقب في العملية، وتربط الأحداث بالاحتمالات. والظاهر أنه لكي نؤسس نظريات موثوقا بها حول بداية الكون فلا بد من الاستعانة بالفيزياء الكمية، كما يستعان بهذه الفيزياء في فهم ما يجري في مستوى أجزاء الذرة. ولكن كيف يمكن التأليف والتوفيق بين النظرية النسبية والنظرية الكمية، فهو غير معروف حتى الآن. هنا تبدو نظرية "الأكوان





أن رجلا اختار الزواج من امرأة لمجرد حسناتها وجمالها لفشل في حياته الزوجية ولمّا استطاع التفاهم معها. بينما لو اختار امرأة متدينة ومناسبة ويمكن التفاهم معها لعاش حياة سعيدة. لذا فالاختيارات المختلفة التي نقوم بها تتحقق في أكوان أخرى مختلفة.

الخيال العلمي والأكوان المتوازية

وقد تناول العديد من أفلام وكتب الخيال العلمي موضوع الأكوان المتوازية؛ فمثلا نرى في مسلسل "ستارترك" (startrick) أنه بينما كان الكابتن كيرك وكادره يتهيؤون للانتقال من إحدى الكواكب إلى سفينتهم الفضائية بعملية "التأين" الروتينية، صادف دخولهم إلى غيمة غاز متأين. فوجد الكابتن كيرك وكادره أنهم في سفينة مشابهة تماما لسفينتهم ولكنها مختلفة عنها إلى درجة مدهشة؛ فمثلا وجد أن "مسترسبوك" هنا مع أنه يشبه نظيره في السفينة الأخرى، ولكنه شخص شرير تماما مع أنه رجل منطقي. وعلى عكس أفراد سفينة "إنتربرايز" فإن أفراد هذه السفينة الفضائية "إنتربرايز" الجديدة كلهم أشرار. وفي هذه الأثناء كان الكابتن "كيرك" الشرير وطاقمه قد نقلوا إلى سفينة "إنتربرايز" القديمة وتم سجنهم هناك من قبل "مستر سبوك". وبعد وقت قصير سيفهم كل من سبوك الشرير وسبوك الخير ما حدث. فعندما تعرضت السفينة الفضائية "إنتربرايز" إلى عاصفة متأينة من الغاز صادف وجود هذه السفينة مع نظيرتها أو مع نسختها الأخرى في كون مواز. وعملية الاستنساخ عملية فائقة الدقة إن صرفنا النظر عن أن عملية الاستنساخ أبدلت الأشخاص الخيرين إلى أشخاص شريرين، وعدا ذلك فالاستنساخ دقيق وقريب من الكمال، ولو لم تقم العاصفة الأيونية بإنشاء علاقة زمانية ومكانية لما علم أفراد كلا الكونين أي شيء عن وجود الآخرين. لقد تم تبديل مكان الكابتن كيرك مع نسخته السيئة ووجد الكابتن كيرك السيء نفسه سجينا في السفينة الفضائية إنتربرايز للكادر الجيد. أما الكابتن كيرك الخير فقد وجد نفسه في سفينة إنتربرايز السيئة وضمن طاقمه الشرير. وفهم بعد وقت قصير بأن عليه أن يتظاهر بأنه أيضا من

الطاقم الشرير، وذلك لكي يستطيع القيام بإصلاح بعض الأمور. وفي مغامرة من مغامرات أحد أفلام سلسلة "غيش الظلام"، نشاهد امرأة تنتظر في موقف الحافلات، فإذا بها تواجه نسختها أو نظيرتها الأخرى التي تركت كونها وأتت إلى هذا الكون. ونرى أن هذه المرأة الآتية من كون آخر تريد أن تحل محل المرأة الأصلية، وتنجح في هذا، بينما يكون مصير المرأة الأصلية قضاء عمرها في مستشفى المجاذيب.

وفي قصة "لقاء ليلة أغسطس ٢٠٠٢" وهي إحدى قصص "من يوميات مريخي" (أي شخص يعيش في المريخ) نرى أن شخصا من هذه الدنيا اسمه "توماس كوماز" سكن في المريخ وصادف هناك كونا موازيا. وبينما كان يعبئ سيارته بالبنزين تمهيدا لسفر سمع شخصا يقول له: "إن وجدت صعوبة في قبول المريخ كما هو تستطيع الرجوع إلى الدنيا، فكل شيء هنا مختلف؛ التربة.. الهواء.. القنوات.. السكان الأصليون" أنا لم أر أيًا منهم حتى الآن ولكني سمعت أصواتهم "الساعات... حتى ساعتي تعمل بشكل غريب، هنا حتى الزمن مختلف". وعندما كان توماس يسير في الطريق رأى آلة غريبة تشبه فرس النبي وبلون أخضر -أزرق- يقودها مريخي ذو عيون ذهبية فقال له: مرحبا. وأجابه المريخي بلغته: مرحبا. لم يفهم أي واحد منهما الآخر. جاء المريخي ولمس توماس، ولكن توماس لم يشعر بلمسه، ولكن بدءا يتحدثان بلغة واحدة. وعندما أرادا أن يتصافحا دخل يد كل منهما في داخل جسم الآخر وكأفهما لا يملكان يدا. يرى أحدهما الآخر ولكن لا يستطيع أي منهما لمس الآخر، فعلما أنهما يوجدان في كونين متوازيين متقاطعين، كل منهما يحس بجسمه، ولكنه يرى الآخر كشبح، وحاولا أن يفهما السبب في



أن دنيا كل منهما تؤثر في الآخر تأثيراً متقابلاً، ولكنهما مع هذا لا يستطيعان التماس، ولا يصلان إلى نتيجة. عندما ينظر المريخي حواله يرى مدينة جميلة حافلة بأشياء خارقة. أما توماس فهو لا يرى حواله سوى بقايا مدينة متهدمة تحولت إلى صحراء صامته. صاح بالمريخي: "هذه القنوات فارغة كلها" أجابه المريخي: "إنها مملوءة بشراب أرجواني اللون". لقد أدركا أن ما صادفهما في لقائهما يعود إلى سبب متعلق بالزمن، ولكنهما لم يستطيعا الوصول إلى قرارٍ أيٍّ منهما بقي في الماضي وأيٍّ منهما هو في المستقبل. ويتصور كل منهما أن عالمه هو العالم الحقيقي وأن عالم الآخر هو عالم الخيال. وهذه القصة

التي تبدو غريبة يمكن إعطاؤها بعض الصحة من زاوية الفيزياء الحديثة.

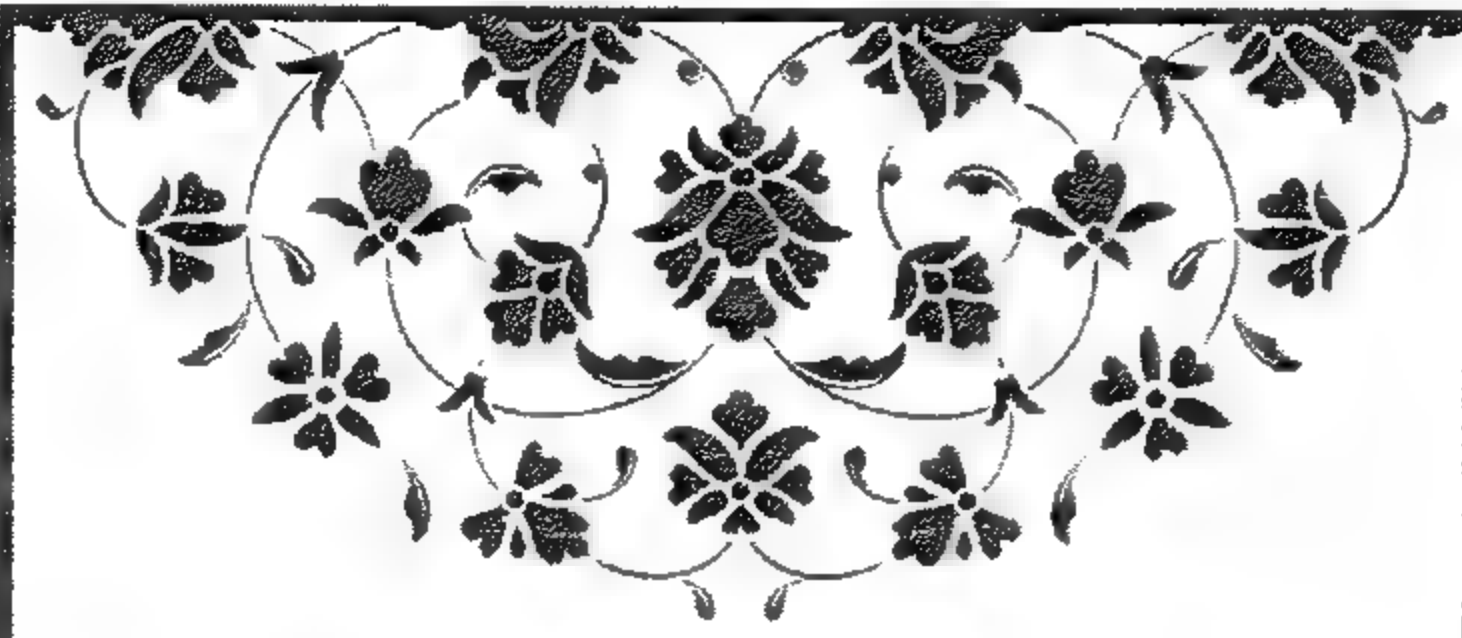
الفيزياء الحديثة والأكوان المتعددة تعد تجربة "الشقين" من أهم التجارب التي توضح الصفات المميزة للفيزياء الكمية. يوجد في التجربة مصدر يبعث أجزاءً دون ذرية (مثلاً يبعث فوتونات أو إلكترونات). وأمام هذا المصدر لوحة فيها شقان متقاربان لمرور هذه الفوتونات أو الإلكترونات، وهناك خلف هذه اللوحة شاشة تصطدم بها هذه الفوتونات. فعندما يكون الشقان مفتوحين تتكون على

الشاشة زخرفة معينة هي عبارة عن مناطق مظلمة وأخرى مضيئة بشكل متعاقب. ولكن إن وضعنا الزخرفة التي تتكون عندما نسد أحد الشقين فوق الزخرفة التي تتكون عندما نسد الشق الآخر لا نحصل على الزخرفة الأولى، أي على المناطق المظلمة والمضيئة المتعاقبة، أو عندما نقوم بعمل قياس لمعرفة من أي شق تمر منه هذه الفوتونات نرى أن هذه الفوتونات تبدو وكأنها تمر من أحد الشقين، وهذا يؤدي إلى إفساد شكل الزخرفة الأولى. والنتيجة التي نحصل عليها هي أن حركة هذه الفوتونات تتغير وتختلف عندما يكون أحد الشقين مسدوداً عن حركتها عندما يكون كلا الشقين مفتوحين.

وتفسّر الفيزياء الكمية هذه الحادثة الغريبة بالتأثير المتقابل الذي يحدثه احتمال مرور هذه الفوتونات من أحد الشقين على احتمال مرورها من الشق الآخر؛ أي إن الفوتونات تبدو وكأنها تمر من الشقين في آن واحد مع أنها فوتون واحدة. والتفسير المنطقي الوحيد هو أن هذه الفوتونات تمر من أحد الشقين في كوننا هذا، وتمر من الشق الآخر في كونٍ آخر. هذه هي الأكوان المتوازية التي حاولنا حتى الآن إيضاحها بشكل تدريجي. وعندما تصطدم بالشاشة تتحد هذه الأكوان وترجع كونا واحداً.

قطعة شورودنجر

ومثال آخر يُظهر لنا الأكوان المتوازية هو تجربة اسمها تجربة "قطعة شورودنجر". صممت هذه التجربة كما يأتي: هناك غرفة مغلقة وبدخلها قطعة، وهناك في الغرفة مادة مشعة مع مادة سامة. ولنفرض أن احتمال تحلل المادة المشعة هو ٥٠٪ حسب الفيزياء الكمية، وأن هناك آلية تقوم بإطلاق المادة السامة حالما تبدأ المادة المشعة بالتحلل، وهذا يؤدي إلى موت القطعة. والآن هناك احتمال بنسبة ٥٠٪ بأن المادة المشعة تتحلل فتموت القطعة، وهناك احتمال بنسبة ٥٠٪ أن المادة المشعة لا تتحلل، أي تبقى القطعة سالمة ولا تموت.



إن وجود أكوان متعددة ينير الطريق أمام علماء الكونيات الذين يهتمون بخلق الكون وبنيته. ومن أهم المسائل التي تحتاج إلى إيضاح في علم الكونيات هي مسألة أن بنية الكون قائمة على توازنات دقيقة وحساسة جداً.

والآن -حسب الفيزياء الكمية- فالقطعة (حتى فتح باب الغرفة والنظر إلى وضع القطعة) تكون ميتة بنسبة احتمال ٥٠٪، وحية بنسبة ٥٠٪. أي هي في وضع مركب فيها الحياة مع الموت. وهذا طبعاً وضع لا يتماشى مع المنطق ولا يمكن إيضاحه، أما في أنموذج الأكوان المتعددة فنقول: إن القطعة حية في كون، وميتة في كون آخر، أي يقوم هذا الأنموذج بحل هذه المعضلة.

الثقوب السوداء وعلم الكونيات

إن نظرية النسبية العامة التي طورها أنشتاين هي التي طرحت موضوع الثقوب السوداء في الساحة العلمية. وتتكون الثقوب



لسوداء عندما ينهار نجم كتلته ثلاثة أضعاف كتلة الشمس في الأقل بعد أن ينفد وقوده. وهي تملك بنية زمانية ومكانية تقوم بابتلاع كل شيء حتى الضوء، إذ لا يستطيع حتى الضوء الخروج منها. وعندما يقترب شيء من ثقب أسود تتغير بنيته الزمانية والمكانية نتيجة قوة الجاذبية الهائلة للثقب الأسود. ويرى بعض علماء الفيزياء أن الثقوب السوداء ممر مفتوح نحو الأكوان المتوازية، وهم يقولون بأننا لو استطعنا المرور من خلال ثقب أسود لوجدنا أنفسنا في كون آخر.

إن وجود أكوان متعددة ينير الطريق أمام علماء الكونيات الذين يهتمون بخلق الكون وبنيته. ومن أهم المسائل التي تحتاج إلى إيضاح في علم الكونيات هي مسألة أن بنية الكون قائمة على توازنات دقيقة وحساسة جدا بحيث ساعدت على وجود الأحياء ووجود الأحياء العاقلة والمدركة؛ أي تم اختيار كون واحد من بين العديد من الأكوان المحتملة ليكون مهذا ومقرا للأحياء العاقلة. ولو كانت خواص الكون مختلفة لما كان هناك أي احتمال ولا أي إمكانية لعيش الأحياء العاقلة فيه. فمثلا تكاد الجاذبية في الكون تكون مساوية لطاقة التوسع الكوني، كما أن هناك معايير دقيقة جدا في الثوابت الكونية. ولو دققنا هذا الموضوع لعلمنا بأن الكون قد تم تهيئته وتحضيره ليكون مناسباً وملائماً لنا ولوجودنا. إن نظرية الأكوان المتعددة تقول بأن جميع احتمالات الأكوان موجودة. وفي هذا المضمار هناك أكوان لا توجد فيها أحياء، وإن سبب مشاهدتنا بأن كل شيء مضبوط بدقة يعود إلى أننا نعتقد بعدم وجود أي كون (أو أكوان) لا يقوم على توازنات دقيقة؛ بينما تدل الشواهد على وجود أكوان وعوالم أخرى مختلفة. وقد أشار القرآن الكريم إلى مثل هذه العوالم عندما أشار إلى وجود الملائكة والجن وهم مخلوقات لا تُرى بالعين. كما وصف القرآن المؤمنين بأنهم يؤمنون بالغيب. إن وجود مراتب مختلفة للحياة يحياها بعض الناس، وكذلك وجود العديد من المعجزات والكرامات والرؤى الصادقة التي تخبر عن المستقبل تدل على وجود عوالم أخرى غير عالمنا هذا، فنحن مثلاً لا نعرف أبعاداً وخواص عوالم أخرى كعالم القبر والبرزخ، ولا عوالم الجنة والنار. فهذه العوالم موجودة في الوقت نفسه ولكن في أبعاد زمانية ومكانية مختلفة، وهذه الأبعاد الزمانية والمكانية

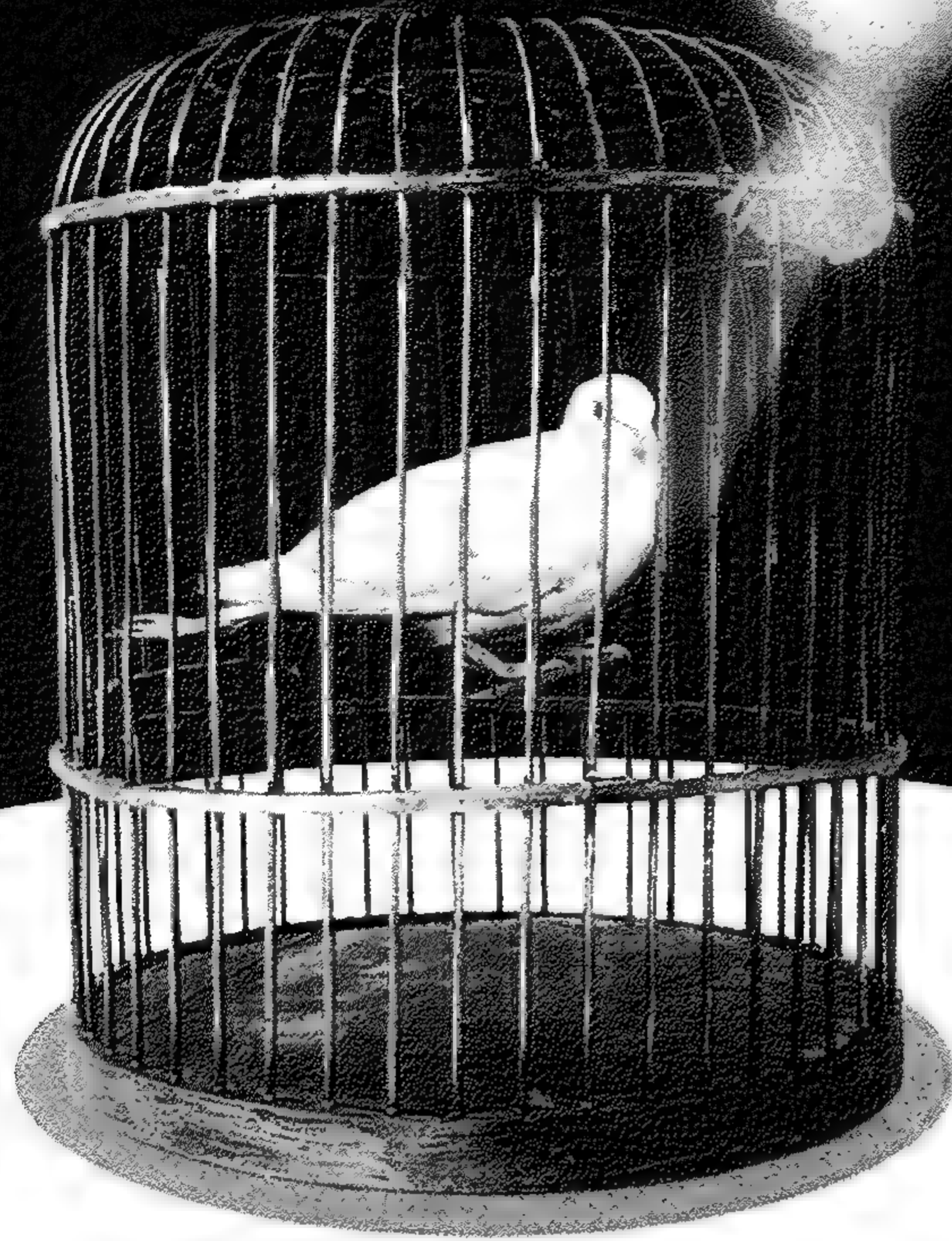
هي خارج الوجود المادي الذي نعرفه وخارج تصوراتنا، مثلاً قد تكون في عالم الأثير أو عالم الفوتونات والأجزاء دون الذرية. أو حتى في عالم لا ندرك ماهيته أبداً، وهناك عوالم سنلقى فيها الحساب ثواباً أو عقاباً. مثل هذه العوالم أصبحت قريبة حالياً من أذهاننا بواسطة علم الفيزياء الحديث. والحقيقة أن أسس العديد من مواضيع العقيدة تعتمد على الإيمان بالقدر، والموت، والآخرة، والبعث، والنشور، ويوم الحساب. هذه الأسس لا يمكن للوجه البارد لعلم الفيزياء الوضعي تفسيرها أو التدليل عليها، وهي لا تحتاج إلى مثل هذا التأييد والتدليل أصلاً.

نشأة هذه الفكرة

إن فكرة الأكوان المتوازية بدأت أولاً في كتب الخيال العلمي، ثم أصبحت موضوعاً للفيزياء الكمية، وهذه إشارة مهمة؛ ففي السابق كان العديد من الحوادث التي كنا نجد صعوبة في تفسيرها أصبحت الآن في عالمنا الحقيقي شيئاً عادياً. مثلاً خزن جميع الصور والأصوات في حاسبات عملاقة، ثم وضعها كشاهدة أمام الإنسان، أي أصبح من السهولة فهم وتصوير إمكانية حفظ جميع أعمالنا في حياتنا، وتسجيلها في عالم آخر خارج عالمنا هذا. إذن فما كان خيالا في السابق أصبح حقيقة. فكل ما يخطر على البال أو لا يخطر يكون ممكناً، لأن قدرة الله تعالى الذي خلق كل شيء قدرة لانهائية وعلمه لانهائي ويستطيع فعل كل شيء. وعندما يخبرنا الله تعالى بهذا في كتابه المحفوظ الذي لم يتغير فيه حرف واحد لا يبقى عندنا أي تردد أو شك. وسنرى عندما يأتي أجلنا كيف أن روحنا ينتقل من هذا العالم إلى عالم آخر بكل سهولة وكأننا انتقلنا من غرفة إلى أخرى. على أننا يجب ألا ننسى بأن سهولة هذا الانتقال أو صعوبته متعلقة بما سنواجهه في ذلك العالم الآخر من مواقف ومناظر، وذلك حسب أعمالنا في هذه الدنيا. وسنعلم عندما نواجه الحقائق في ذلك العالم كيف أن قولنا: "الحمد لله" بعد تناول تفاحة ينقلب في كون آخر وفي عالم آخر إلى شجرة أو إلى قصر منيف. ■

(٥) باحث في جامعة الفاتح / تركيا. الترجمة عن التركية: أورهان محمد علي.

سجناء الوجود



أديب إبراهيم الدباغ*

هذه القضية من توكيدات النورسي رحمه الله، تناولها بقلمه من زوايا فكرية متعددة في أكثر من مكان من رسائله "رسائل النور" وهي تشكّل -بالقطع- واحداً من أعمدة فكره العملاق، حيث استطاع من خلالها أن يحلّ إشكالات الوجود عامةً ووجود الإنسان خاصةً ويجيب على سرّ الخلق والإيجاد.

فسرّ الخلق -عند النورسي- الحبّ والجمال؛ ففي الحب قوة الخلق، فهو تعالى فياض بالحب والخلق معاً. ولأنه تعالى أحبّ الإنسان خلّقه، واصطفاه لنفسه ليكون مرآة صافية تشرب جماله الأقدس في أسمائه الحسنی وتعكسه إلى الآخرين من المشاهدين، وهذه المدركات العميقة للجمال الإلهي الأقدس تمنح الإنسان السيادة على نفسه، ثم السيادة على العالم.

السقوط في المحدودية

إنّ أشدّ ما يخافه "النورسي" على الإنسان السقوط في المحدودية

نحن البشر مكبّلون بالوجود، ومشدودون إليه، ومقيّدون بأحكامه، لا نستطيع أن نفكّ أنفسنا عنه، أو أن نتحرّر منه، وحتى لو أردنا أن نعود -كما كنّا- عندما محضاً فما من وليجة في جدار الوجود نلج منها إليه. ومنذُ قدّر لنا أن نرتدي الوجود، أو أن يرتدنا الوجود ونحن سجناءُ أردنا أم لم نرد، وحبيسو إرادته وفعله فينا أردنا أم لم نرد. فنحن في علم الله تعالى موجودون قبل أن نوجد، وما دمنا موجودين في علمه تعالى فنحن إذن مسكونون بالوجود من قبل وجودنا ومن بعده، غير أنّ هذه "الموجودية" تتشكل بأشكال مختلفة، وتظهر بصور متعددة، فنحن موجودون قبل الحياة وبعد الحياة، وفي الموت وبعد الموت، ومهما ارتقت صور "وجودنا" من أدنى درجاته الترابية إلى ذروته الأخروية، فهو واحد لا يتغير ولا يزول ولا يعترية العدم، لأنه مرصود بالأساس للبقاء والخلود.



في الوقت الذي أهله خالقه لكي يحوم فوق آفاق المطلق الإلهي. فالإنسان البطولي لا يذهلنا ويثير إعجابنا ومحبتنا إلا إذا رأيناه منعكسا لجلال الخالق وجماله، وهذا هو الإنسان الذي ينبغي أن نحرص على رؤيته والتقرب منه، لأن النظر إلى وجهه عبادة كما يقول علماءنا.

إن حرصنا على كشف الجوهر الجمالي في تكوين الإنسان يقودنا إلى عوالم الجمال الماورائية، والتعرف على أمداء عمقها في النفس والكون. وهذا الجوهر الجمالي لا يكشف عن نفسه إلا من خلال ما يخوضه الإنسان من تجارب إيمانية مركزة تصهر طبيعته الطينية في أتونها لتخرج بعد ذلك مبرأة من شوائبها.

فإنسان من هذا النوع هو قوة للحياة يزيد في عمقها وغناها، أو قل هو الحياة بقوتها واتساعها. فأى حياة إذا خلّت من خطوة جديدة في سلم الإيمان فهي حياة خاوية غير جديرة بأن يحييها الإنسان. إن النضال الروحي الممتد امتداد حياته هو شكل من أشكال الوجود المركز ينتج عنه حبّ فهم لكونية الإنسان ولعظمة قواه الوجودية المتجذرة في أعماق الوجود، ويظل الإنسان محرابا يتعبّد فيه الوجود خالقه ما لم ينكص على عقبيه فيعمل معوّله هدمًا في المعبد والمحراب في ساعة من ساعات جنونه ليتحول هو نفسه إلى أنقاض إنسان، وشظايا مخلوق لا معنى له ولا هدف.

فالإنسان فكرة سامية في ذهن الوجود قبل أن يكون أي شيء آخر. فلا يستطيع داهم الفناء أن يدهمه، ولا عناصر العدم أن تطاله. فإذا ما أدرك الإنسان حقيقة وجوده، وعرف أنه مصون الوجود، محفوظ للخلود شعر بأهمية وجوده، وأحس بأنه راسية من رواسب الأرض الشائخات، تنهار الأرض إذا انهار وتهاوى الدنيا إذا تهاوى. فالوجود بقدر ما هو ثوب إلهي ألبسه الإنسان، وإكرام له، وإنعام عليه، فهو كذلك مسؤولية عظيمة توجب على الإنسان صيانة "موجوديته" والحفاظ على طهارتها وقديسيتها. فلا يأتي من السلوكيات والمعتقدات ما يتنافى وشرف هذه "الموجودية" حتى يلقى بها بارئها كما كانت في أول تلبسها به، وهذا هو ما تسعى إلى تحقيقه كافة الأديان. ويحذر "النورسي" الإنسان من أن يعيش محصور الذهن بـ "هنا، والآن"، ويأبى أن يعرف شيئا عن "هناك" وعمّا بعد "الآن" تاركًا "ما ورائيات" هذا العالم وراء ظهره، مستهينًا بكونه حبيس الوجود، ومرصودًا للخلود ومأمورًا بالخلاص من إसार الزمن لينطلق حُرًا نحو الآماد الموعلة في بعدها الأخروي فيحظى بالقرب والمشاهدة.

فالجمالية السرمدية تأبى أن تُشاهد بعين زمنية محدودة الرؤية، وقاصرة عن الإحاطة والإدراك، فتتشبّه في الإنسان نوعًا من السرمدية لكي يكون قادرا على استشعار هذه الجمالية وتشرّبها كفاء أشواقه الملتهبة إليها كما يشير "النورسي".

الانتحار الوجودي

مرة وعلى حين غرة صرخ مفكر غربي في حومة من اليأس البئيس: "لو كنت موجودا فأخبرني من أنا؟ ولماذا أنا موجود؟". إن هذه الصرخة المفزعة تكاد تكون لسان حال جمهرة لا يستهان بهم من مفكري الغرب المعنيين بشؤون الإنسان الفكرية والروحية. إنها إشارة غير مقصودة إلى تدهور حضاري بدأ يأخذ أبعادا مختلفة في شتى مناحي الحياة. وهو شعور غامض بالانفصال عن دورة الحياة وعجلة الفاعلية الوجودية، والحدار سريع للعقل نحو ظلمات "اللاجدوى" وانتحار عقلي مخيف. وكل ذلك بسبب المحدودية الزمانية والمكانية التي وضع فيها نفسه والانكفاء على "هنا، والآن" وغياب الأخرية عن الحضور لدى عامة البشر. وهذه هي مأساة العالم اليوم.

المرعوبون

إن مثالية الإنسان وألمعيته وعنصره الكريم يوجب على كل مُحِبّ له أن يسارع ليحجز بينه وبين السقوط في مهاوي محدوديات فكرية ونفسية تمنعه من الاندياح الروحي والفكري نحو آفاق المطلق الإلهي على الرغم من أن الاستشراف الفطري في دواخله يهيب به في كل مرة أن ينهض من تحت قهر محدودياته ليلا مس قِمم المعاني العظيمة التي يعلي الدين من شأنها في النفس والكون. أمّا المرعوبون من وجودهم، والمنسحقون تحت ثقله وتبعاته أولئك السوداويون المكتئبون المساطون على الدوام بشواظ من جحيم كيافهم الداخلي، كيف تنتظر منهم فكرا جادا يثري الإنسان ويغني حياته، وأنتى لهم القدرة على الإتيان بجديد روحي قادر على التأثير بمسارات العالم المادية...؟ بينما يبقى إيمان الإنسان بخلود وجوده يعزز قوى روحه، ويشجذ طاقات فكره، ويفجر ينبوعا دائم التدفق من الغبطة الجذلى بالحياة.

إن الترايين الذين لا يجدون في المصير التراي الذي سيؤولون إليه -في زعمهم- ما يوجب الرعب، ولا يرون في ضياع أفكارهم وأحلامهم وآمالهم بالحق والعدل والخير والجمال ما يبعث على الاحتراق أسفا، ولا تهمهم أشواق أرواحهم ولا أفكار أفئدتهم...



أولئك المبشرون بالفناء، والمترنمون بالعدم... كم جلبوا على البشرية من خطايا، وأتوا على الإنسان من عذابات، وجرّعوا العالم من ويلات... فكم من مظهر من مظاهر قوة الله وعظمته مرّوا عليها بعيون عمي، وكم من ينبوع من الجمال الأقدس لم يرشفوا منه - على شدة ظمأهم - ولو رشفة واحدة، وكم من سطور على صحيفة الكون خطّها القلم العلوي لكنهم لا يحسنون القراءة.

الجذب الروحي

إنّ خطورة "الجذب الروحي" أنه لا يتوقف عند حد، بل يمتدّ في صحره حتى يأتي على منابع الفكر والإدراك، ويحتاج بِسْمُومِهِ حديقة الوجدان. وعند ذلك لا يأتي من الإنسان شيء ذو بال، بل لا يمكننا أن نتصور إلى أيّ درك يمكن أن يتردّى إليه مثل هذا الإنسان المجدب من كل مكان. بل ما جدوى ما أنجزه الإنسان من عظام الأمور، وحققه من جلائل الأعمال، إذا كان مصير ذلك الزوال والعدم؟! ومن ثمّة فما جدوى وجوده هو بالذات؟ وما جدوى الوجود بأسره الذي يبدو - من غير الحياة الآخرة - فارغا من المعنى والمغزى؟! فالموت عندنا نحن المسلمين، هو تلك النقطة من الحياة التي يصل إليها الإنسان لسبب ما وينعدم عندها وزن الزمن الدنيوي عليه، فينفلت من جاذبيته، وينفك من قيده، ليلج فضاء الزمان الأخروي الأبدي والسرمدى، مثله مثل الفضائي الذي لا بُدّ له من المرور في نقطة "انعدام الوزن" قبل أن يتيسر له الانطلاق منفلتا نحو الأعماق من أمداء الكون المهول.

لقد كان هذا المفهوم عن "الموت" حاضرا دائما الحضور في أذهان المسلمين الأوائل، وكانوا في أوج حسهم الأخروي يوم خرجوا على الدنيا بحضارتهم الزاهية التي أثّرت الروح الإنساني، وأمدّت شجرة الحضارة بالحياة والرواء قرونا عدّة، ولم يجدوا أنفسهم أبدا في حاجة إلى خنق هذا الحسّ، وإيقاف نبضه من أجل أن يحسنوا التفكير، ويجيدوا الإبداع، ويزيحوا الأستار عن أسرار الأشياء، بل كان الأمر على العكس من ذلك تماما، حيث غدا هذا الحسّ دافعا ومحفزا لرغبات المسلمين في الخلود عبّر أعمالهم وأفكارهم ومعارفهم، ما دامت ستكتسب شرف رضا الله وقبوله والثواب عليها في حياتهم الأخروية.

الاعتناق من أسر المحدود

وقد استطاع "النورسي" رحمه الله تعالى أن يشخص أزمة

المسلمين منذ البدايات الأولى للقرن العشرين وعزاها إلى فقدان القابلية الحضارية فيهم على التواصل ومواكبة الزمن، بسبب تعطل المحرك لهذه القابلية بخمود لهب التوق للاعتناق من أسر "المحدود" والامتداد بأفكارهم وأعمالهم في "اللامحدود" وبهمود حماسهم في كسر قيد الزمن الدنيوي عن أفكارهم وأعمالهم، بحيث تكتسب شرف الامتداد في الزمان الأخروي الذي تُصَبُّ في حافظته جميع الأعمال والأزمان، ولم يعد "الخلود" هاجسهم الأول ومحركهم الدائم في العمل والفكر، فلم يدعوا مثلما كان يدع أوائلهم، ولم يستطيعوا أن يضيفوا في الفكر أو العمل شيئا مهما يمكن أن يسجل باسمهم خلال ذلك القرن.

"والنورسي" يرى أن خلق الإنسان وإلباسه لباس الوجود كرم إلهي، وعطاء رحماني، لا يمكن عقلا وحدها أن يستردّ الكريم هباته، أو يسترجع عطايها، فطالما أعطانا الوجود - جلّ شأنه - فلن يسلبه مِنّا.

والنورسي لا يني يؤكد على طهر الحياة وقدسيتها، وأنها أصل الخلق والوجود، بينما "الموت" خلُق عارض ليس له قوة إلغاء الحياة، أو إيقاف مدّها الزخّار إلى بحر الأبدية والخلود، فالوجود له صورة معنوية في علم الله تُمثل مُقدّراته الحياتية، وهي تُلازم صورته المادية وتنتقل معها في مراحل نموها، ثم تتبدل تلك الصورة والمقادير مع مسيرة حياته تبدا يلائم الحكمة في خلقه، وينسجم كليا مع المصالح المركبة عليه.

فبقدر ما في نفوسنا من توق وحنين فطري إلى مشاهدة الجمال والأنس به والانجذاب إليه، فإنّ الجمال نفسه يبادلنا هذا التوق والشوق، ويطلب لنفسه صفوة من المشاهدين الذواقين الذين يحسنون المشاهدة، ويتأنقون في حضرته، ويظهرون أحاسيسهم ويهذبونها بين يديه. وإنه ليفرح بانشداه أرواحهم ورعشة أفئدتهم بإزاء ما يلمسونه من فخامة جماله وعظمة معناه، ويدعوهم لكي يصغوا إلى نغم ألوانه وأضوائه، ونبل لغته.

وفي تعمقه في سرّ الجمال والجميل يكتشف "النورسي" سرّ الخلود الموعودين به في عالم الغيب، فيلخص هذا السرّ بهذه العبارة الوجيزة: "أبدية الجمال تستلزم أبدية المحب المشتاق". ■

(١) كاتب وأديب عراقي.



ترجم إيمانك إلى عمل واجمع بينهما تكن مؤمنا حقا... ووض
نفسك على ذلك، وارفع مشاعرك إلى أفلاك السموات... إن فعلت
ذلك، أتاك العالم متطامتا بين يديك تحركه كيف تشاء...

مدرسة تركية في مصر

مدرسة صلاح الدين الدولية

د. محمد أحمد أبو البراء

هذه المدرسة، روضة لخدمة اللغة، هبة للدين العام
والزهد، ما هنا أصبح أملا... صلاح الدين الدولية
التي في قلب كل مصر، مسج حب الوطن...

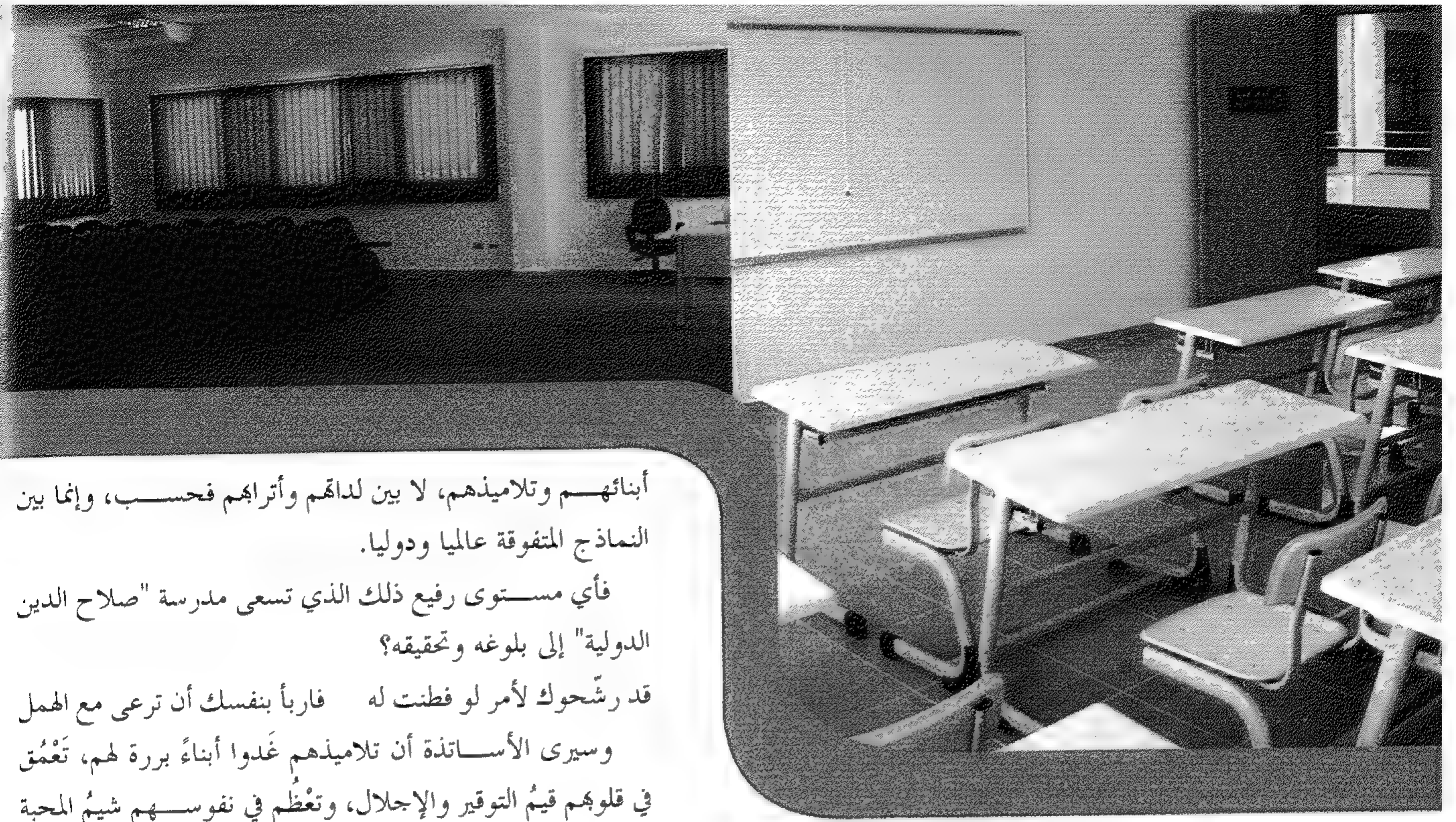
هـ

لعمري اللقب لم يكن السحر، فله ووسطا وقلادة

من لا... كافر ثلاث... المدرسة... صلاح الدين... الدولية

من هه... مدرسة قيمة حضارية، مسقة، على الناحية للموا...
... مع مجتمع نموذجي يضم الطلائع الذي سيلدوا...
... من أطرافها ليحفظوا... ربيعة المستوي... هه





أبنائهم وتلاميذهم، لا بين لداهم وأتراهم فحسب، وإنما بين النماذج المتفوقة عالميا ودوليا.

فأي مستوى رفيع ذلك الذي تسعى مدرسة "صلاح الدين الدولية" إلى بلوغه وتحقيقه؟

قد رشحوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الحمل وسيرى الأساتذة أن تلاميذهم غدوا أبناء بررة لهم، تعمق في قلوبهم قيم التوقير والإجلال، وتغظم في نفوسهم شيم المحبة والإكبار لمعلميهم الآباء، وآبائهم المعلمين الذين أعطوا المثل في الثقافة الواسعة، والعلم الغزير والأبوة الحانية.

وأكد أوقن أنه سيكون لهذا وذاك رد فعل حميد بل ودود لدى السادة المدرسين؛ يدفعهم إلى مضاعفة الجهد، وبذل أقصى ما يستطيعون لتنمية مهارات أبنائهم، يغمرهم الرضا ويحدوهم الأمل، ويحتويهم مزيج من السعادة والثقة.

وعندئذ سنرى كيف ستعود للمدرس هيئته، وكيف ستعظم مكانته الأثيرة في نفوس تلاميذه وبنيه.

أجل، وسيلمس المدرس -وهو في المدرسة- كأنما هو في بيته يحوطه بنوه بما يجب عليهم نحوه من بر وتوقير لقاء ما يلقيهم -هو- من عطف ومرحمة، وتعليم وتربية، وحرص حريص على أن يبلغ بهم أرفع مستوى علمي وأخلاقي معا.

أبوة الأستاذ وبنوة التلميذ

هذا وذاك، أعنى الأبوة من الأستاذ والبنوة من التلميذ هما مفتاح النجاح والتطور والإبداع في العملية التعليمية.

وقد اصطفى الله تعالى نبيه محمدا ﷺ معلما للدين، ومزكيا للخلق كما قال تعالى ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (آل عمران: ١٦٤)

وإذا فقد بعث الله نبيه ﷺ معلما، كما بعثه متمما لمكارم الأخلاق؛ وفي الأمرين عز الدنيا وسعادة الآخرة.

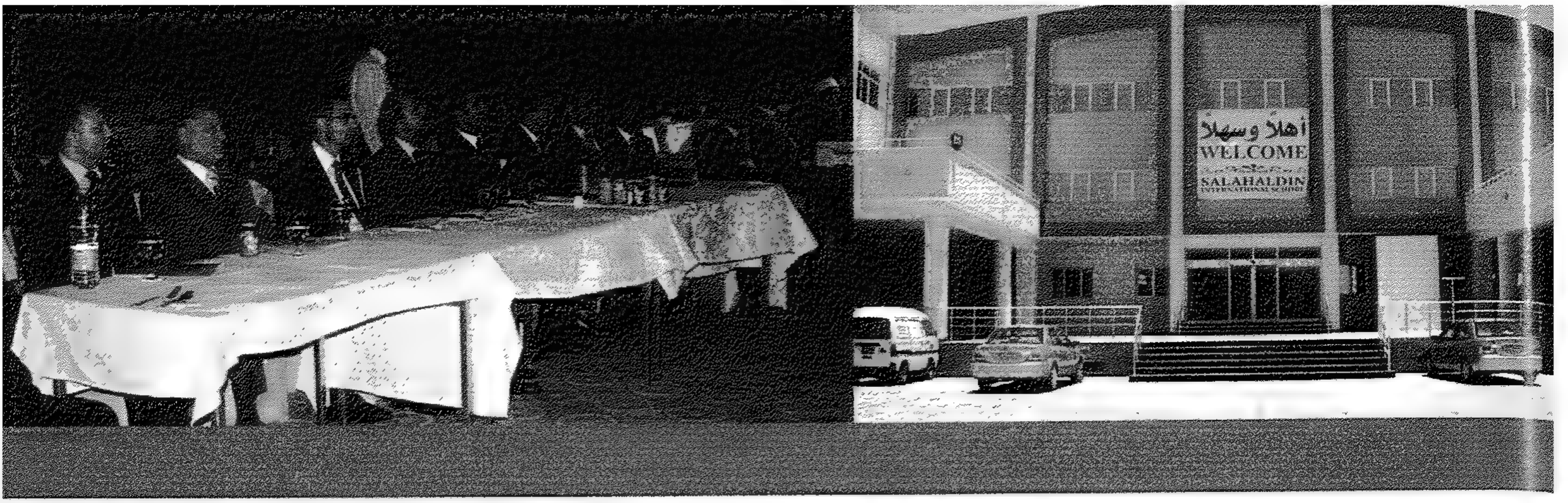
شخذ الهمة، بتوقد العزيمة، باكتشاف الموهبة، باستثمار هذا وذاك في تنمية علاقات التنافس العلمي، والتآخي الإنساني والتعاون العالمي، والذي ينشأ في مراحل هذه المدرسة ليتساق مع طموحات أبنائها حتى بعد أن يتخرجوا فيها مهما تضاءت بهم الأقطار، أو تنوعت فيهم التخصصات، أو تفصل بينهم الزمن.

أساتذة وطلاب

وأحسب أن مجتمع المدرسة سيمثل بأطيافه الدولة مصغرة؛ ويوجه إلى نهج التعاطي والتفاعل الذي ينبغي أن تكون عليه العلاقات بين المواطنين؛ الأمر الذي سيراه الطلاب مطبقا في هذه المدرسة ذات السمات المتميزة، والتي سيرون فيها اختلاف المواد، وتنوع التخصصات، بيد أنهم سيعلمون عن أساتذتهم قوة التلاحم بين أصول هذه المواد، وعمق التآخي بين غاياتها. وذلك لتكوين المواطن الصالح أسريا ومجتمعيا، والطالب النموذج علميا وأخلاقيا، والتلميذ الإنسان محليا ودوليا.

وأحسب أن الأساتذة -هنا- سيمثلون بأفاقهم الثقافية الرحبة وبأخلاقهم الإنسانية السمحة مثلا عليا يجد فيها الطلاب نعم الأسوة ونعم المثل! كما أحسب أن عاطفة الأبوة ستكون صاحبة القدح المعلن في المدرسة لدى مدرسيها. وسيلمس الطلاب مدى حرص أساتذتهم على إفادتهم علميا، وعلى تركيتهم أخلاقيا، بل سيرون هؤلاء المدرسين أشد ما يكونون حرصا على تفوق





بن أيوب المظفر صلاح الدين الأيوبي، الملك الناصر (٥٣٢-٥٨٩هـ/١١٣٧-١١٩٣م).

أصله من أذربيجان، وولي أبوه أعمالاً في بغداد والموصل ودمشق، هذه المدينة التاريخية التي كانت حاضرة الخلافة الأموية، وبها نشأ صلاح الدين، وترعرع بين أفيائها العلمية وتفقه وارتوى من الأدب، وروى الحديث بها والإسكندرية، فبينه وبين كل شاد في الفقه والأدب والحديث صلة حميمة، وآصرة وثيقة، وشيخة تاريخية. نذكر له بكل الفخر والاعتزاز أنه رغم قساوة الظروف السياسية -آنذ- وتجمّع الغرب كله على الشرق ما وهن ولا ضعف ولا استكان، وبفضل الله عليه ثم بعمق إيمانه، وصدق يقينه، ورأى ثقافته الفقيهة والحديثية والأدبية استطاع أن يقود الأمة ويعبر بها من الفرقة إلى الوحدة ومن الضعف إلى القوة ومن اليأس إلى الأمل، وكوّن القوة العلمية والإيمانية والعسكرية، كما شحذ عزائم الجيوش، وجنّد طاقات الشعوب حتى دانت له البلاد من آخر حدود النوبة جنوباً إلى برقة غرباً، ومن بلاد الأرمن شمالاً إلى الجزيرة والموصل شرقاً، فرد الأعداء على أعقابهم حتى ولّوا مدبرين، واسترد عكا وطبرية ويافا والساحل الشمالي إلى ما بعد بيروت، كما حرر بيت المقدس.

وكم لذكرى صلاح الدين من حقوق، وكم لصلاح الدين علينا من واجبات: أن ندرس تاريخ الشرق، وإبائه المشرف لتتملى دروسه وما فيها من عبرة.

أيضاً نأخذ من صلاح الدين العلم والعمل لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين يعتدون على المسلمين هي السفلى والله عزيز حكيم.

صلاح الدنيا بصلاح الدين

يبد أننا نأخذ "صلاح الدين" بمفهوم الكلمة المركبة وليس فحسب بمفهوم أنها علّم على الملك الناصر... صلاح الدين، أي صلاحية

يبد أن نجاح المعلم يكمن في حرصه الحريص على هداية من يعلمهم ثم في رافته بهم وحنوه عليهم، ولا يتم ذلك إلا بالأبوة الحانية التي ينبئ عنها قوله ﷺ "إنما أنا لكم مثل الوالد، أعلمكم" (رواه أحمد). وبالتناغم بين الأبوة والتعليم فيها تجسّد لنا المدرسة أمراً من أمد بعيد:

كان حُلماً، فخطراً، فاحتمالاً ثم أضحي حقيقة لا خيالاً أعني ما سبق أن تغنّى به الشعراء، وتمنى تحقيقه الآباء، عرفانا بحق المعلم، وتوخياً لحسن الإفادة منه، وقياماً بما يجب له من حق؛ حيث قال قائلهم:

قم للمعلم وفّه التبجيلاً كاد المعلم أن يكون رسولا
أعلّمت أشرف أو أجلّ من الذي يبني وينشئ أنفسا وعقولا
وسندرك بعدئذ أن المواهمة بين المحلية والدولية، وبين الدين والدنيا، وبين العلم والخلق، وبين التربية والتعليم، وبين الأبوة والتدريس... إلى آخر ما تتميز به هذه المدرسة... سندرك أن هذه المواهمة هي التي ستُظفّرنا من الطلاب بالنموذج الفريد في بيته، والمتميز في ثقافته، والبار بآبائه في بيته ودراسته، والصديق النافع لمجتمعه وبيئته، والسفير بعلمه وإبداعه إلى العالم -بعدئذ- من حوله.

وهذا النموذج الفارد من الطلاب، هو الذي يرى فيه القاصي والداني: أن يكون منه بمشيئة الله وعونه: العبقري والمبتكر والمفكر والمخترع، مع نبل في النفس، وزكاء في الخلق، وسمو في السلوك. وهذا النموذج الفريد هو الذي سيتجدد لنا به خطاب الدين متسقاً مع العقل والعلم والحكمة مبشراً بحاضر مشرق وغد واعد مصداقاً لنحو قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧). ذلك وقد أحطنا بالركيزة الأولى خيراً.

إحياءات من اسم "صلاح الدين"

أما الركيزة الثانية فهو أنها مدرسة صلاح الدين. وهو يوسف



الدين لسياسية الدنيا في كل زمان ومكان.. صلاح الدين، أي إصلاح الدين لدنيا الناس بالحكمة وحسن الموعظة وبالنصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم. وليس بأي سلوك آخر؛ فقد أمر الله أن نقول للناس حسنا، وقد هوى الله أن نجادل أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن.

وحين يتذاكر أبناء المدرسة هذه المعاني فسيترجمونها عزائم متقدمة، وإرادات فاعلة، وآمالا لا تخبو لتحقيق ما يصبون إليه من غاية، وما يرنون إليه من تخصص، وتفعل كل منهم ما آمن به من أنه كمؤمن ينبغي أن يأمنه الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم، ومن أنه كمسلم يلزمه أن يسلم الناس من أذى لسانه ويده، ومن أنه كمهاجر إلى الله ينبغي أن يهجر ما هوى الله عنه، ومن أنه كطالب ودارس للعلم ينبغي أن يعد نفسه ليتفوق في تخصصه ثم ليكون سفيرا لمبادئه وقيمه، فيكون عنوانا للأمن والعدل والسلام في مجتمعه خادما للثقافة والمعرفة أنى كان، تطبيقا منها للسماحة والتآخي والرحمة والتكافل والتعاون على البر والتقوى حيثما كان، لا على الإثم والعدوان.

عالمية الرسالة

إن رسالة الطالب في مدرسة صلاح الدين الدولية والتي يعد نفسه لها بالعلم والتفوق فيه، وحسن الخلق والتطبيق له.. إن رسالته ليست محلية، إنه بعد فترة سيكون -ياذن الله- خريج هذه المدرسة الدولية، وهذه هي الركيزة الثالثة التي تقوم دليل صدق كل من أسهم وخطط وبنى وشيّد.

إن طابع العالمية واضح وطابع الإيثار بالخير للغير أكثر وضوحا، وطابع حب الإنسان لأخيه الإنسان أنى كان أوضح من أين يحتاج إلى برهان.

ثم إن طابع العمل لإسعاد الناس مهما نأت بهم الدار أو اشتط بهم المزار غدا أوضح من الشمس في رابعة النهار.

الأخوة التركية-المصرية

فماذا نقول في الإخوة الأعزة أشقائنا الأتراك الذين تمكنوا من سويداء القلوب، وتربعوا على عروس النفوس حبا لهم وإكبارا لمكانهم وإعزازا لمكانتهم.. إنهم فتية آمنوا برهم، وأنكروا ذواتهم، وضحووا كثيرا وكثيرا من أجل إسعاد غيرهم...

إنهم فتية آمنوا برهم وزادهم الله هدى وآتاهم تقواهم. ولا غرو فقد تخرجوا في حراء، بدءا من النجم الأول: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ

رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق: ١-٥)، ثم أخذوا يدرسون يحفظون القرآن والسنة، ويتفقهون في الدين ويعملون بما حفظوا وفقهوا وعلموا إلى آخر نجم أنزل الله سبحانه فيه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).

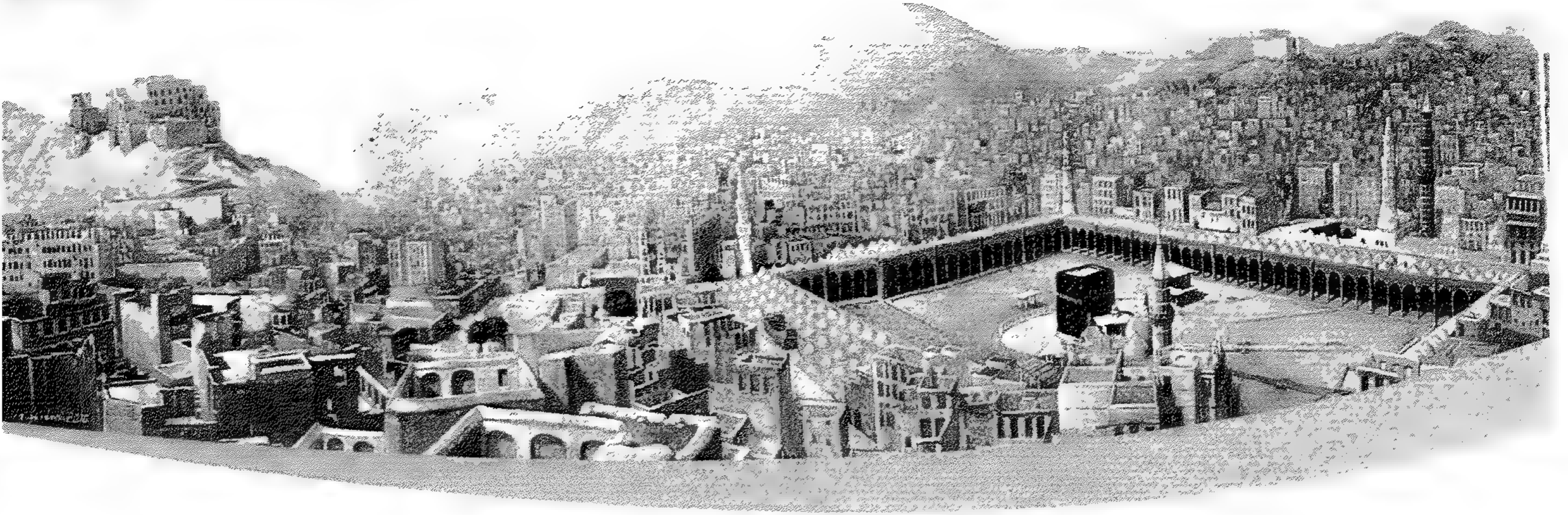
ومنذ النجم القرآني الأول كان العلم والعمل والتعليم؛ فكانت الربانية علما وعملا، ثم تبوءوا الدار عن بعد والإيمان عن قرب، فأحبوا كل من هاجر إلى الله وكل من يهاجر إلى الله، وأعادوا السيرة العطرة للأنصار فأحبوا وآثروا وصبروا وصابروا وآووا ونصروا وكفلوا وآزرُوا كل طالب علم مهما كان لونه أو لسانه أو فكره أو قطره، ونشروا الإيواء لطلاب العلم أينما كانوا، ونصروا التقدم العلمي حيثما همم به ذووه، وأحبوا كل محب لله ورسوله وبذلوا دون مقابل، وتكفلوا دون توقف على كافل، ولا تكاد تطلع منهم على قيادة أو قاعدة كأنما كلهم قادة أو كأنهم كلهم قاعدة لا رئيس فيهم ولا مرعوس، أذاب الحب في الله الفوارق وأبدلهم بها حبا وتفانيا وإيثارا وعملا لله لا للنفس، فأبي إحسان بعد هذا الإحسان، وأي إيثار بعد هذا الإيثار؟ وأي حب لله ورسوله، وأي حب في الله ورسوله اتسم به هذا الفريق التركي في شمله التنظيم وأمره الجميع، وتضحياته الفريدة؟! لمثل هذا فليعمل العاملون، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

اللهم أيدهم بأيديك، وشُدْ أزرهم بجندك، وهبهم لهم ولنا من أمرهم وأمرنا رشدا. لقد قلتَ وقولك الحق: "﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾" (النساء: ٦٩)، وأذنت لنبيك محمد ﷺ أن يقول: "المرء مع من أحب" (متفق عليه).

اللهم آثم تقواهم، اللهم أسعدهم بشمار أعمالهم هذه الصالحة في دنياهم ثم في آخراتهم. اللهم إنا نحسب أنهم ممن علموا فأحسنوا، وأبلوا كذلك فأحسنوا. اللهم اجعلهم من الذين قلت في جزائهم: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (يونس: ٢٦)، ومن قلت فيهم: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ (النحل: ٣٠)، وتقبل عنهم أحسن ما عملوا، وأنعم عليهم بميعة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا. ■

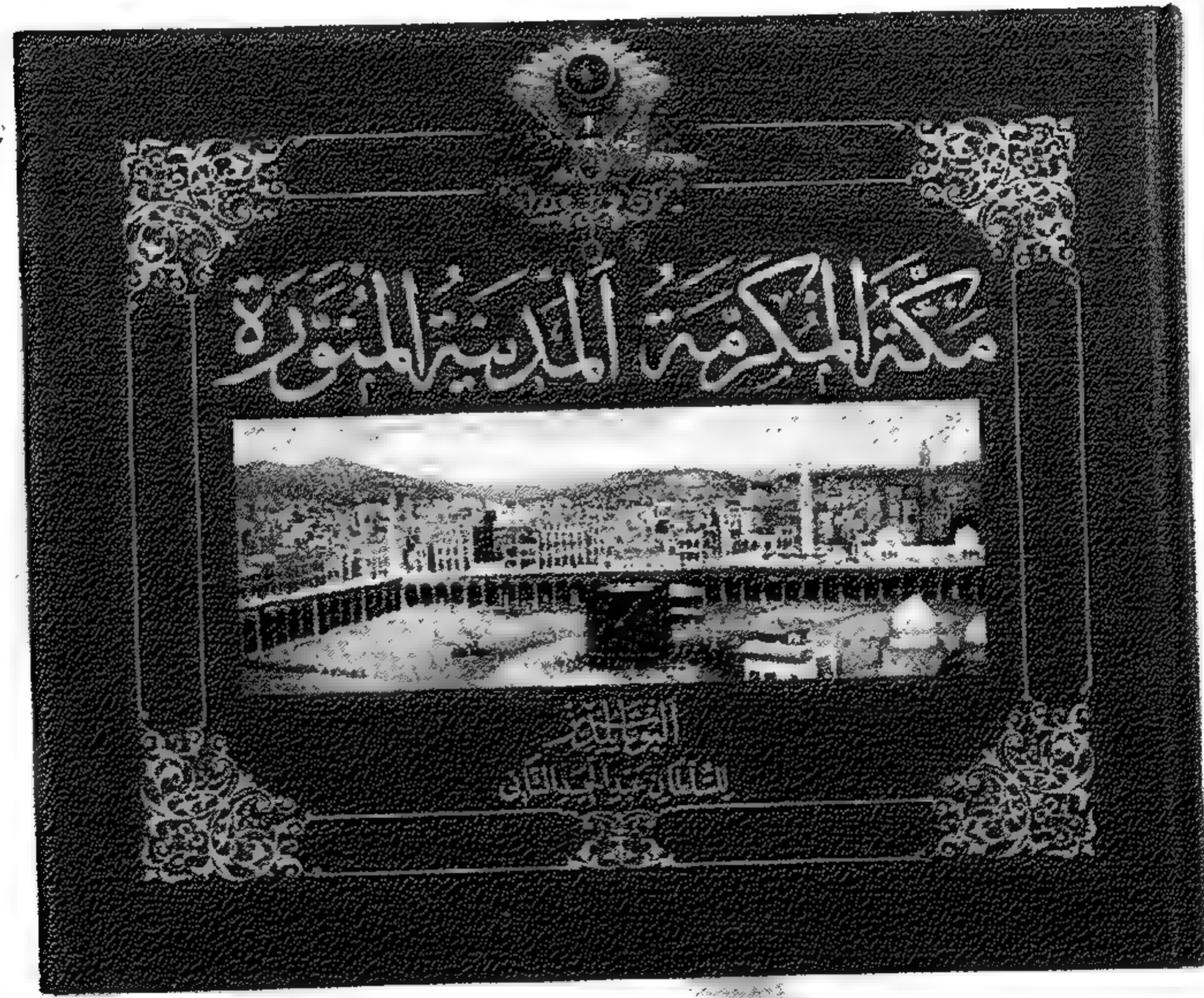
(٥) عضو مجمع البحوث الإسلامية ووزير الأوقاف الأسبق / مصر.





مكتبة المكفمة المدينة المنورة

ألبومات يلديز
للسلطان عبد الحميد الثاني



- صور تاريخية نادرة للحرمين الشريفين التقطت قبل 130 عام.
- ما أن اخترعت آلة التصوير حتى أرسل السلطان عبد الحميد أفضل المصورين إلى الأراضي المقدسة ليلتقطوا صور المشاهد المباركة.
- طبعة فاخرة تتضمن معلومات دقيقة عن الأماكن الشريفة.

مركز التوزيع فرع القاهرة : ٧ ش البرامكة، الحي السابع، مدينة نصر - القاهرة / مصر

تليفون وفاكس : +20222631551 هاتف الجوال : +20165523088

www.makfma.com

دار النبيل

أوروبا: ٣ يورو • أمريكا: ٤,٥ دولار

حراء

مجلة حقوق الإنسان
العدد ١٠٠ - ٢٠٠٩



إن الواجب علينا اليوم هو أن نكافح من أجل الحفاظ على ذاتيتنا بالارتباط
بمنظومتنا العقدية والفكرية والتوجه نحو ثقافتنا ونتاجها.. وأن نقوم بتحقيق
ألوان جديدة من الفكر والعرفان فوق أطلسنا الفكري.

ISSN 1306-1879



16 9 771 306 187 009

www.hiramagazine.com

حراء

مجلة علمية ثقافية فصلية

www.hiramagazine.com

العدد الرابع/السنة الأولى/(يوليو - سبتمبر) 2006

- لدى استكشافنا خط السير - فتح الله گولن
- روح الحضارة الإسلامية - أ.د. محمد عمارة
- والبحر المسجور - أ.د. زغلول النجار
- علاقة المعرفة بالقيم - أ.د. خالد الصمدي
- البحث عن فرس إسطنبول - فريد الأنصاري



العدد الرابع / السنة الأولى

(يوليو - سبتمبر) ٢٠٠٦

التصور العام

- حراء مجلة علمية ثقافية فصلية تعنى بالعلوم الطبيعية والإنسانية والاجتماعية وتجاوز أسرار النفس البشرية وآفاق الكون الشاسعة بالمنظور القرآني الإيمان في تألف وتناسب بين العلم والإيمان، والعقل والقلب، والفكر والواقع.
- تجمع بين الأصالة والمعاصرة وتعتمد الوسطية في فهم الإسلام وفهم الواقع، مع البعد عن الإفراط والتفريط.
- تؤمن بالانفتاح على الآخر، والحوار البناء والهادئ فيما يصب لصالح الإنسانية.
- تسعى إلى الموازنة بين العلمية في المضمون والجمالية في الشكل وأسلوب العرض، ومن ثم تدعو إلى معالجة المواد بمهنية عالية مع التبسيط ومراعاة الجوانب الأدبية والجمالية في الكتابة.

شروط النشر

- أن يكون النص المرسل جديداً لم يسبق نشره.
- ألا يزيد حجم النص على ٢٠٠٠ كلمة كحد أقصى، وللمجلة أن تلخص أو تختصر النصوص التي تتجاوز الحد المطلوب.
- يرجى من الكاتب الذي لم يسبق له النشر في المجلة إرسال نبذة مختصرة عن سيرته الذاتية.
- تخضع الأعمال المعروضة للنشر لموافقة هيئة التحرير، ولهية التحرير أن تطلب من الكاتب إجراء أي تعديل على المادة المقدمة قبل إجازتها للنشر.
- المجلة غير ملزمة بإعادة النصوص إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر، وتلتزم بإبلاغ أصحابها بقبول النشر، ولا تلتزم بإبداء أسباب عدم النشر.
- تحتفظ المجلة بحقوقها في نشر النصوص وفق خطة التحرير وحسب التوقيت الذي تراه مناسباً.
- النصوص التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- للمجلة حق إعادة نشر النص منفصلاً أو ضمن مجموعة من البحوث، بلغته الأصلية أو مترجماً إلى أي لغة أخرى، دون حاجة إلى استئذان صاحب النص.
- مجلة حراء لا تمنع في النقل أو الاقتباس عنها شريطة ذكر المصدر.
- يرجى إرسال جميع المشاركات إلى هيئة تحرير المجلة على العنوان الآتي:

hira@hiramagazine.com

«الكلمة» - مسموعة أو مقروءة - طاقة محرّكة لقوى الإنسان الفكرية والوجدانية، تعمل في صمت وخفاء، وتؤثر في الإنسان أيّاً كان نوع هذا التأثير. وعلى قدر ما تشعه من روح الصدق والحق يظل هذا الأثر قائماً وقلماً يغادره.

فالإنسان - في الحقيقة - ابن الكلمة... هي التي تبني فكره وتهندس وجدانه، وتثير مخيلته... و«الكلمة الصدق» فيها من روح صاحبها شعاع نافذ إذا سرى فليس له من دون الإنسان دافع أو مانع.

و«الكلمة» لا تكون عظيمة التأثير في المتلقي إلا إذا أشاعت من حوله أجواء إيجابية تستدعي معاني جديدة تتجاوز معناها القريب الذي يتبادر إلى الذهن لأول وهلة. فقوة «الكلمة» ليست بالكلمة نفسها بل بما تروحيه للمتلقي من أفكار، وبما يتناسل منها من معاني أكثر سعة وأكبر أثراً.

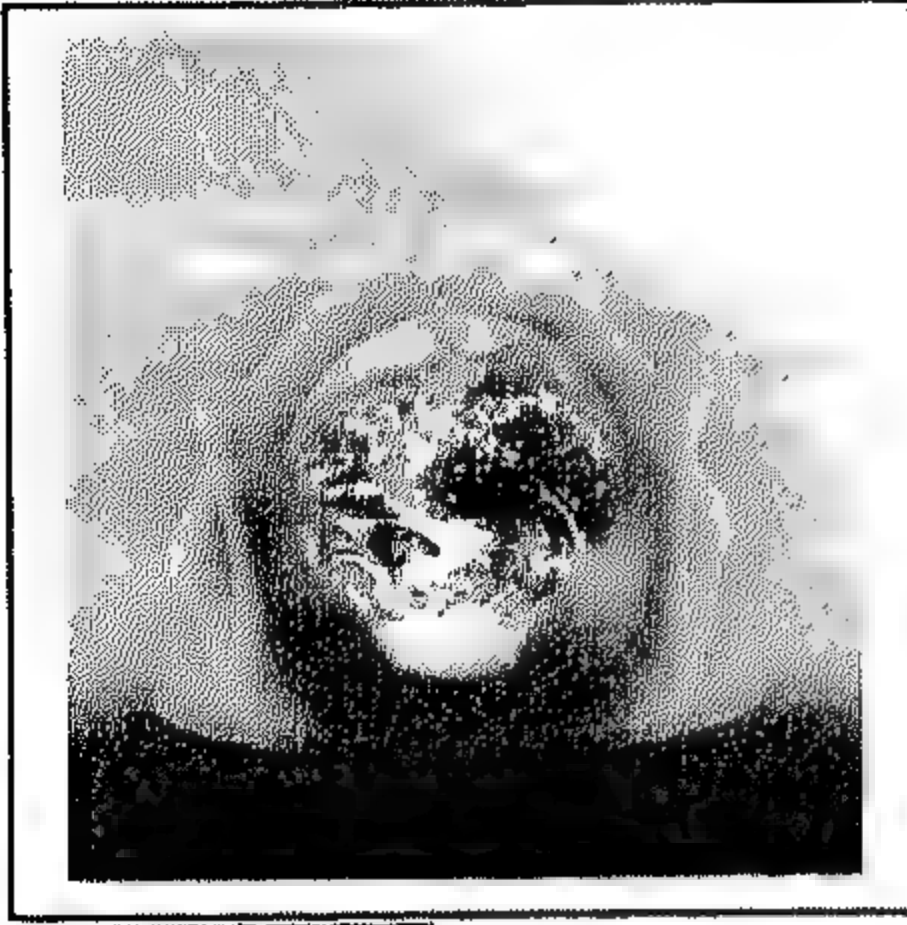
والقلم المبدع الذي يتفجر فكراً إبداعياً جديداً هو ما تسعى إليه «حراء» وترغب أن تراه فيّاضاً بإبداعاته على صفحاتها. و«حراء» باستقطابها لمثل هذه الأقلام المبدعة سستتحول مع الزمن إلى مدرسة فكرية مرموقة إن شاء الله، تحمل على عاتقها مهمة إثراء القارئ الكريم بلون جديد من الفكر.

فمقالات هذا العدد من «حراء» تكاد تصبّ في هذا الاتجاه، غير أن الطريق للوصول إلى هذا الهدف المرجو لا زالت بعيدة، وتحتاج إلى مزيد من الوقت، وقد وصفها الأستاذ «فتح الله» في مقاله الموسوم «لدى استكشافنا خط السير»، وعلم عالم، ووضع إشارات، وحدّد حدوداً كي لا يتيه عنها الرواد الراغبون في سلوكها.

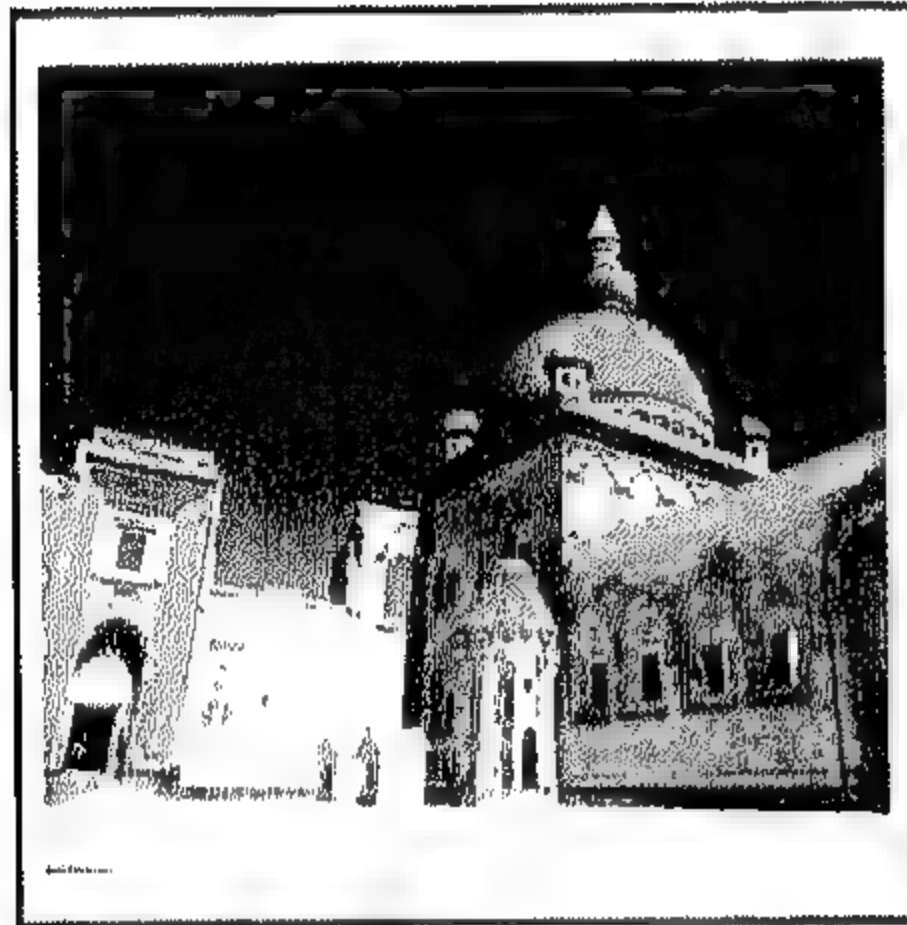
وإن عملاقاً كبيراً من أمثال «الشيخ البوطي» في مقاله «الإسلام بين العقل والقلب» يفتح طريقاً جديدة لفهم الإنسان من خلال الإسلام، وهل الإنسان أكثر من عقل وقلب؟! أما المفكر الكبير وفيلسوف المغرب الشهير الأستاذ الدكتور طه عبد الرحمن فمقاله القيم عن «فلسفة البشر وحكمة القرآن»، فهو فريد في باب، ويسعدنا أن يتحفنا في كل عدد بوحدة من درره الفكرية المتألقة. وأما الكاتب الإبداعي الذي هو ملء الفكر في العالم العربي والإسلامي فضيلة الأستاذ الدكتور «محمد عمارة» فيتحفنا بمقاله الخطير المبين عن روح الحضارة الإسلامية، هذه الروح التي تكاد تختفي معالمها. علاوة على ما سيطالعه القارئ الكريم من لمسات أدبية وشعرية... وإلى دراسة جديدة في أسلوب تذوق الفن الإسلامي، إلى غير ذلك من المقالات الابتكارية في الشكل والمضمون.

إن هذه المجموعة المباركة من كتاب هذا العدد من «حراء» تبعث في القارئ الأمل بأن عالمنا الإسلامي لا زال يزخر بطاقات فكرية هائلة في شتى صنوف المعرفة، وإن التقاءهم على صفحات «حراء» مسألة قدرية ذات مغزى عميق قد يأتي تفسيره في القابل من الزمن، وما ذلك على الله

بعزيز.



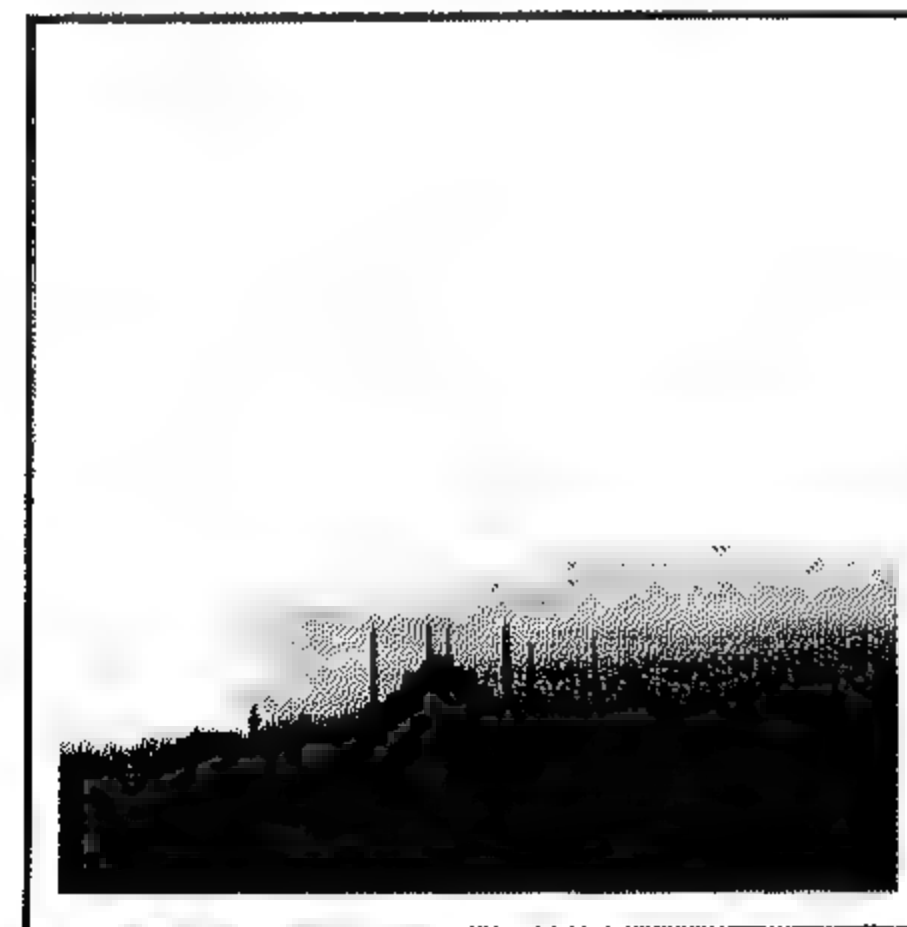
المقال الرئيس ٤



دراسات إسلامية ٢٣



علوم ٣٠



شعر ٦٤

لدى استكشافنا خط السير

فتح الله گولن..... ٤

الإسلام بين العقل والقلب

أ.د. محمد سعيد رمضان البوطي..... ٧

التوازن العجيب في جسم الإنسان

أ.د. عمر عارف آغا أوغلي..... ١١

فصل المقال فيما بين فلسفة البشر وحكمة القرآن من الانفصال (٢)

أ.د. طه عبد الرحمن..... ١٤

إليك سآوي «شعر»

نبيلة الخطيب..... ١٩

التربية ودفع المشاعر

محمد حسين محمد..... ٢٠

روح الحضارة الإسلامية

أ.د. محمد عمارة..... ٢٣

انتصار القيم الإنسانية في الفتوح الإسلامية

عوني عمر لطفي أوغلو..... ٢٧

والبحر المسجور

أ.د. زغلول النجار..... ٣٠

الإنسان محور التنمية في المنهج القرآني

أ.د. محمد بن موسى باباعمي..... ٣٤

نعمات على بوابة العشق «شعر»

حسن الأمراي..... ٣٨

الفنان المسلم بين النافع والجميل والأخلاقي

أ.د. بركات محمد مراد..... ٤٠

تأملت نظرية التطور

أورخان محمد علي..... ٤٤

تذوق الفن الإسلامي من الناحية التقنية

د. جواد محمد مصباحي..... ٤٨

أنا قلب عبد الله

أ.د. عرفان يلماز..... ٥٠

تأملات جديدة في علاقة المعرفة بالقيم

أ.د. خالد الصمدي..... ٥٤

عودة الغريب

أديب إبراهيم الدباغ..... ٥٩

في الطريق إلى الحياة الأبدية

نور الدين طوبجو..... ٦١

البحث عن فرس إسطنبول «شعر»

فريد الأنصاري..... ٦٤

واحة القراء..... ٦٦



مجلة علمية ثقافية فصلية تصدر عن:
Işık Özel Eğitim Tic. Ltd. Şti.
İstanbul / Türkiye

صاحب الامتياز

أنس أركنه

mergene@hiramagazine.com

المشرف العام

نوراد صواش

nsavas@hiramagazine.com

رئيس التحرير المسؤول

حسام الدين السيد

hosam@hiramagazine.com

مدير التحرير

أشرف أونن

eonnen@hiramagazine.com

وحدة البحوث والتنمية

أجیر إيشي يوق

eisiyok@hiramagazine.com

الإخراج الفني

أسيد إحسان الصالحی

usalih@hiramagazine.com

المركز الرئيس

HİRA MAGAZİNE

Emniyet Mah. Huzur sok.

No:5 34676

Üsküdar - İstanbul/Turkey

Phone: +902163186011

Fax: +902163184202

e-mail:

hira@hiramagazine.com

الإشتراكات/مركز التوزيع

٧ ش. البرامكة - الحي السابع - م. نصر/القاهرة

تليفون وفاكس: +2022619204

المحمول: +20127874552

جمهورية مصر العربية

sub@hiramagazine.com

الطباعة

Bediralp Mat. Tic. San. AŞ.

Litrosyolu No: 4/1 Blok

Topkapı/İstanbul

Tel: 02126124359

رقم الإيداع

1306-1879

Yayın Türü: Yaygın süreli yayın

لدى استكشافنا خط السير

فتح الله غولن



نبرح تحبطنا في البحث عن سبل الخروج من الحفرة التي سقطنا فيها في غير مظاهها، فإننا نخدع أنفسنا ونعرض الأجيال القابلة إلى الانكسار مرة أخرى.

إحياء الفكر الإسلامي

لذلك، لا مناص من إحياء الفكر الإسلامي والتصور الإسلامي من أجل الاقتراب من فهم الوجود بنظر إسلامي، وتقييم الأشياء كلها بالمنطق نفسه. ويلزم لذلك؛

أولاً: الاستشعار، فالتعقل، بالكائنات والإنسان والحياة بمعلومات سليمة، مناسبة لنفس الأمر، ثابتة المحور في مبدئها وغايتها، متساندة بعضها مع بعض، منفتحة الأجزاء فيما بينها، فكأنها نغم مسبوك من أصوات متنوعة بأسلوب واحد تعبيراً عن طابع معين، أو نقش مركزي تحيط به نقوش أخرى لا بد لها من روابط معنوية تشدها إلى المركز.

ثانياً: أن يحمل الإنسان العقل والفكر إلى تفهم المناسبات بكلية وجمعية في عموم الأشياء وعموم الوقائع المعروضة لمطالعنا، بمعان ومحتويات وحكم لا تحصى، ككتاب لمنظومة حكم غير متناهية... أو كأثر فني يعكس ملايين الألوان للشؤون الإلهية فيغرق العيون ببريقه وتلألؤه، وبرؤية وبصيرة ثاقبة تبصر من خلال الجزئيات ما وراء ستار الكليات، من

تعرض الإسلام منذ حرماننا من إرث الأرض إلى معاملة يتفطر لها القلب في برزخ ضعف المنتسبين إليه وتعدي خصومه وعدم إنصافهم. وليس مستغرباً أن يكون الظلم والغدر شعار الطرف الآخر، لكن ضعف المسلم لا يحتمل ولا يطاق. ولعل رسول الله ﷺ يشير إلى هذا، حين يستعيد بالله من جلادة الفاجر وعجز المتقي.

لا ينكر أن اهتزاز الفكر المسلم والمنطق المسلم، وتباطؤهما، وخمودهما، بل تكدرهما وفسادهما، قد أبعد المسلمين عن الصراط المستقيم ذي الهدف القرآني والفلك النبوي... وحجب ضوء الشمس عن عالمية الإسلام، وعطل أداء وظيفة الدين المحيط بالعالم. ويبدو واضحاً أن إزالة واقعة الانحراف هذه، الزمنة والمستقرة بهذه الدرجة المشهودة في مسلمي القرون الأخيرة، وفي المرشدين المسلمين خاصة، لن يتحقق بافتتاح بضع مدارس، أو عقد بضع مؤتمرات وندوات، ولا بمواعظ ونصائح مسكينة.

إن إزالة هذا الانحراف الهرم، الماد جذوره إلى عصور خلعت، الممدد بالعلم والتكنولوجيا في عصرنا، بحاجة إلى اكتشاف أنفسنا من جديد، والعثور على ذاتنا، وإثارتنا للشعور الإسلامي من جديد بمنطق إسلامي وعقل إيماني، وإلى جهد متواصل وهمة أصيلة وزمان كاف وصبر غير نافذ وأمل حيوي وإرادة صلبة وتأن بعد تأن. وبخلاف هذا، إن لم نجد أسلوبنا الذاتي، ولم

غير أن تتعثر بحوادث جزئية ومنفردة منها؛ ومن خلال الكليات تبصر الامتداد إلى أبعد تجمعات الجزئيات. ذلك، كيلا ينقض، أو يُذوي، أو يضاد، قسم من جهدنا لقسم آخر منه، أو جزء من فكرنا لجزء آخر، أو مدة من زماننا لمدة أخرى.

ولا ينبغي أن يظن بهذا الكلام أننا لا ندعو إلى التخصص أو التفرع. فالخير في أن يتخصص امرؤ في فرع من الفروع، ثم يرتقي إلى ذروة عرش الكمال فيه، ويسعى إلى نيل أرقى المنى في تلك الساحة... لكن مع العناية بمعنى الكل ومحتواه وحاله، بل بمقصده وغايته، في أثناء سعيه وجده. ولا بد أن يتحقق هذا، سواء بالشعور التضامني المشترك، أو بسائق العلم والحس، أو بعمل منسق متكامل، أو بالدهاء العقلي. فلا شبهة ولا شك في حاجتنا الماسة إلى هذا النظر الكلي والشمولي، والتقييم العمومي والموضوعي.

الحاجة إلى العقل الموضوعي

نعم، الحاجة ماسة في أيامنا إلى عقل موضوعي يتصور الأمس واليوم معاً، قادر على التمعن في الكائنات والإنسان والحياة دفعة واحدة، موهوب في الموازنة والمقارنة، منفتح على بُعد أسباب الوجود وعلله، محيط بظهور الأمم والجماعات واطمحلالها، حَكَمٌ فيما يغلط فيه علم الاجتماع وعلم النفس أو يصيب، رقيب على تحول أحوال الحضارات بالولادة والموت والتقهقر، مقتدر في التمييز بين الغاية والوسيلة، مالك لسلامة الوجدان واستقامة الفكر، محترم للمقصد، خبير بحكمة التشريع ومراد صاحب الشريعة، عالم بالأسس المحضة لأحكام الدين، مُستَقْبِلٌ للواردات الإلهية.

إن أبطال الإدراك الذين يؤدّون وظائف مثل فتح الآفاق أمام نظامنا الفكري المغلق... ويشغلون تبلّدنا في المحاكمة العقلية المتقدمة المبتعدة عن السماوية بتدويرها في الفلك القرآني... ولا يغفلون أثناء ذلك عن المناسبة المفعمة بالسر بين الكائنات والإنسان والحياة... ويمثلون أنموذجا للدين يجسد إحياء الأوامر الدينية وتحقيقها بحرص

بالغ، إلى جانب مراعاتهم أصلاً مهماً من أصول الدوام والتمادي في السبل السلوكية، وهو التوافق مع آفاق صاحب الشريعة في التيسير والمواءمة والمسامحة، حتى تكون سمته فيضان التبشير وترك التنفير... وإنهاء العقم المزمّن منذ قرون بتسليم قوة العلم والتفكير لإمرة الإسلام وتفسيره... وتحويل كل مكان، مدرسة أم معبد، شارعاً أم مسكناً، إلى مرصد ترصد الحقيقة الكامنة خلف الوجود والحياة والإنسان... وتشغيل منافذ الرؤية المتأملّة في اللاهاتية، والتي يمتد زمان تعطلها إلى قرون، بل إلى رده أبعد من قرون... وتقديم أجندة حضور الإسلام في مراتب النظر دوماً وفي وحدات الحياة كلها... وتحكيم الحساسية في قضية السبب والنتيجة حسب مبدأ تناسب العلّة، والتصرف الرياضي والعقلاني... هؤلاء، هم من يعينوننا في التحدد، ويعلموننا أركان الحضور والوجود الدائم الأبدي.

الاهتمام بالأسباب

وقد يستنكر ويكره بعضهم هذا الاهتمام بالأسباب المؤفي إلى مباحاتها بنفسها وسوء أدبها. وأنا أشارك في هذا الذهاب والتوجس شيئاً ما. ينبغي على الإنسان أن يقوم بوظيفته وواجبه، ولا يتدخل في لوازم شأن الربوبية. الوظيفة مسؤولية تقع علينا، والتوسل بالأسباب هو مراجعة في حكم الدعوات المرفوعة إلى أبواب الحق تعالى. إن قبول هذه المسألة على هذا الوجه من لوازم الصفات الإلهية الجليلة وأنا مخلوقون وهو الخالق. لكن الوجه الآخر للمسألة هو أن الله تعالى قد أمر بقبول شيء يرجع إلينا، شبيه بأمر اعتباري،^(١) كداعية إلى إرادته ومشيئته، وجعل لها أهمية، ووعد بتحقيق أعظم الأعمال بناء على هذا المخطط، وحققها... وقد خلق هذا الشيء الاعتباري وسيلة للإثم والثواب، وجعله أساساً للجزاء عقاباً ومكافأة، وقيله فاعلاً في إسناد الخير والشر... ومع أن هذا الأمر الاعتباري ليس مُعَبِّراً عن أي قيمة في ذاته، لكنه سبحانه وتعالى أرجع إليه - باعتبار

إن الإسلام طرح عناصر منسوجاته المهمة على العقل والوجدان والروح والجسد، فغزل ذاك القماش الزاهي ذا البعد الدنيوي والعقبوي الغائر في الأعماق. ولئن تقدم واحد منهم على غيره في مستوى معين أحياناً، فليس في قدرة أي منهم أن يصور الإسلام وحده أو يمثله أو يُعَبِّرَ عنه.

عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما علم»^(١).

الإسلام والعقل

إن الإسلام، إذ ينظم بالكتاب والسنة حياة الدنيا والعقبى للمؤمن، وحال اعتقاده وعمله، وكيفية عبادته وأخلاقه، يهمس في الوقت نفسه من خلال الأسطر بأشياء أخرى من عالم الامتداد إلى الأبعاد، في أذن دنيا الإنسان الروحية والعقلية والقلبية والوجدانية والحسية، مولداً في أغوار ذاته أنساماً أخروية ومشاعر لاهوتية التلون، ليحييه في كل آن مرة أخرى في بُعد آخر. يحيه، ليجد الإنسان نفسه في موقع خلافة الله تعالى، وحال المداخل في الأشياء، ومقام الفهم والاستقراء لأسرار سنة الله. ثم يرى ويستشعر في كتاب الكائنات النابع من مصدر الإرادة والمشیئة، وبيانه المبين المترشح من نبع كلامه تعالى، كأفهام وجهان لواحد... ويوازن تصوّره وفكره، وحياته وتصرفاته، وملاحظات دنياه وأخراه، بالموازنة التي في الأرض والسماء.

نعم، إن الإسلام طرح عناصر منسوجاته المهمة على العقل والوجدان والروح والجسد، فغزل ذاك القماش الزاهي ذا البعد الديني والعقوي الغائر في الأعماق. ولئن تقدم واحد منهم على غيره في مستوى معين أحياناً، فليس في قدرة أي منهم أن يصور الإسلام وحده أو يمثله أو يُعبّر عنه.

من الممكن أن ينتقل الإسلام الذي هو أعم عطية من الخالق للكل، إلى منظومة فعالة بواسطة إحسان آخر مما يُعدّ من أوائل إحساناته، وهو الفهرست المعنوي للوجود كله، المتشكل من العقل والوجدان والروح والجسد واللطائف. وسوف نشرح هذه المسائل في مواضعها. ﷻ

(*) الترجمة عن التركية: عوني عمر لطفي أوغلي.

الهوامش:

- (١) المقصود هنا هو الإرادة الجزئية الموكلة إلى الإنسان. وهو أمر اعتباري لا وجود له خارج العقل. (المترجم)
- (٢) البخاري، الطب، ٣٠؛ مسلم، السلام، ٩٨
- (٣) الترمذي، كتاب صفة القيامة.

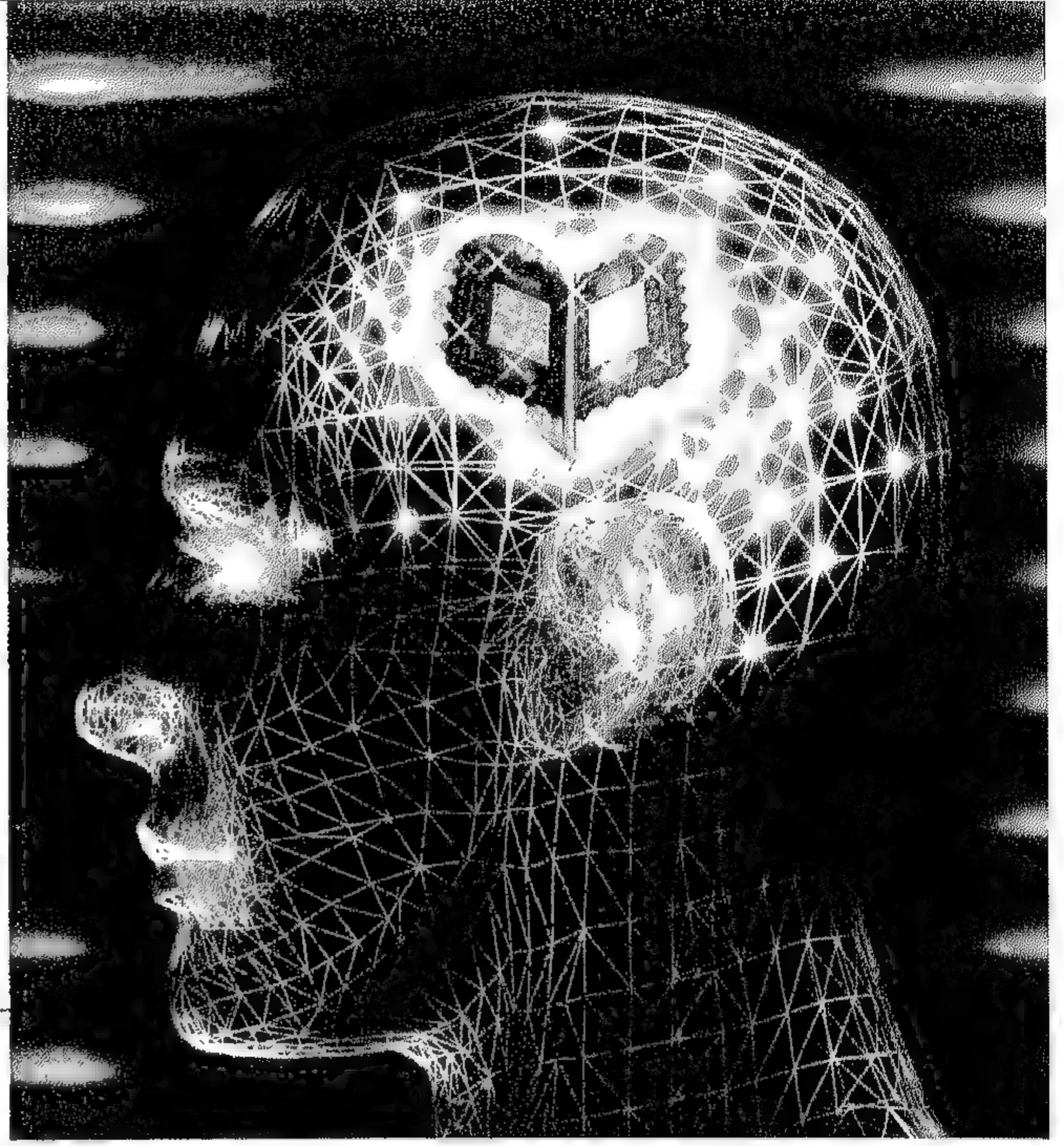
النتائج المترتبة عليه - قيماً فوق قيم. ولو لم يكن كذلك، لتوقفت الحياة تماماً، وسقط الإنسان إلى درك الجماد، وبطل التكليف وذهب كل شيء انجراراً إلى العبث. فلا بد من إيلاء الاهتمام به، ومراعاة متطلباته. فإن الله تعالى يُظهر بُعداً خفياً من أسرار قدرته يجعل ذلك شرطاً عادياً في إعمار الدنيا والعقبى، ووسيلة مرعية وشبيهة بزر سحري لعملية كهربية تضيء العوالم، فيوجد بجرأ في قطرة، وشمساً في ذرة وعالمًا من عدم.

إن حكم الأسباب أو أي شيء آخر لا يجري على الله تعالى، ولا يقيد إرادته ومشیئته الإلهية. الله يحكم كل شيء. الله هو الحاكم الأحد المطلق. ومراعاة الأسباب وعَدُّ العلل وسائل صغيرة ليس إلا بأمر الله تعالى. فنؤمن بهذا الاعتبار بأن الإنسان سيعاقب إن خالف الشريعة الفطرية المعروفة بسنة الله عقاباً معظّمه في الدنيا وقسم منه في الآخرة. وما أحكم جواب الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «نَفَرَّ من قَدَر الله إلى قَدَر الله»،^(٢) حينما استشكل توافق امتناعه عن دخول مدينة انتشر فيها الوباء مع الرضا بالقضاء والتسليم للقدر!

فالأصل أن برجة الجهود والعمل الحركي حسب النتيجة، وتحويلها إلى غاية المني، والوقوع تحت عبئها، يورث قلقاً وعذاباً، ويبعد عن توقير الله تعالى - حاشاه - وكأنها عملية مساومة معه. وإن تعطيل الإرادة والاختيار، وانتظار النتيجة بسلسلة من الخوارق في عالم لا يأبه بالمعتاد هو قناع للأحلام والمسكنة. ألا يندرنا القرآن الكريم مراراً وتكراراً ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة: ١٧) ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (التوبة: ٨٢) وأن ما يلقاه الإنسان من خير وشر هو بعمله وفعله وتصرفه؟ ألا يُعلمنا أعظم أنموذج لموازنة القلب والعقل والوجدان وصورة فخر الإنسانية وسيد الأنام ﷺ، بالارتباط الوثيق والتناسب الخفي بين السبب والنتيجة والعلة والمعلول والسعي والثمرة حينما يذكرنا قائلاً: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن

ينبغي على الإنسان أن يقوم بوظيفته وواجبه، ولا يتدخل في لوازم شأن الربوبية. الوظيفة مسؤولية تقع علينا، والتوسل بالأسباب هو مراجعة في حكم الدعوات المرفوعة إلى أبواب الحق تعالى. إن قبول هذه المسألة على هذا الوجه من لوازم الصفات الإلهية الجليلة وأننا مخلوقون وهو الخالق.

بين العقل والقلب



أ.د. محمد سعيد رمضان البوطي *

الدافعة والمحركة. ولا بدّ في كلّ عمل أو بناء من التخطيط المنظم له أولاً، ثمّ الأداة المنفّذة له ثانياً. ونظراً إلى أن الإسلام هو جامع الفضائل كلّها، فقد كان لا بدّ للقيام بعمله هذا من الاعتماد على كلا هذين الجهازين العظيمين. فمن أجل ذلك جاء الإسلام يخاطب العقل والقلب معاً: يخاطب العقل ليدرك ويتدبّر، ويخاطب القلب ليحبّ ويتأثر. وإنك لتجد آيات الكتاب المبين تتجه إلى تحريك نياط القلب في الوقت الذي تتجه فيه إلى إيقاظ مدارك العقل، وذلك لينهض كلّ بعمله، وليُسهم كلّ منهما في تحقيق إنسانيّة الإنسان، ثمّ في إقامته على صعيد من العبوديّة التامة لله ﷻ.

وإنك لتجد ذلك أيضاً في أحاديث رسول الله ﷺ. فقد كان يأبى عليه الصلاة والسلام دائماً إلّا أن يقرن الإيمان العقلي بالمحبة القلبية. ألم تسمعه يقول في الحديث المتفق عليه: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من ماله وولده والناس أجمعين». وفي الحديث الآخر المتفق عليه أيضاً: «ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه ممّا سواهما. وأن يحبّ المرء لا يحبه إلّا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر، بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يُقذف في النار».

حقيقة الإيمان

ثمّ إنك تجد هذا المعنى أيضاً ممثلاً فيما اتفق عليه جمهور علماء المسلمين من أن الإيمان يزيد وينقص، وأن المسلم مطالبٌ

خلق الله الإنسان، وجّهزه بحقيقتين عظيمتين، هما: العقل والقلب، وأقام كلاهما على وظيفة لا يتأتّى أن يقوم بها غيره، ولا يصلح من دون تحقيقها شيء من أمر الدنيا أو الآخرة.

أمّا العقل، فوظيفته أن يُقبل على الأشياء فيدركها على حقيقتها، وأن يستدلّ بظواهر الأمور على ما وراءها، وأن يتوصّل من وراء ذلك إلى معرفة الله ﷻ، وإلى الإيمان بوحدايته وربوبيته المطلقة.

وأما القلب، فوظيفته أن يسير من وراء هدي العقل، فيحبّ الخير الذي أثبت العقل أنه خير، ويكره الشرّ الذي أثبت العقل أنه شرّ، ويجعل ملاك ذلك كله في سبيل مرضاة الله ﷻ واتباع شرعه.

ولا بدّ لعمارة الكون وتحقيق النظام فيه من عمل كلّ من هذين الجهازين، فلولا العقل لامتزجت نزوات النفس وأهواؤها بخفقات القلب وعواطفه، وتلاقى السفل والعلو على إيقاد شرّ مستطير من شأنه أن يفسد كل شيء: ﴿وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ (المؤمنون: ٧١). ولولا القلب، لما وجد الخير إلّا في دنيا الوهم والخيال، ولظلّ بنیان الفضائل والمثل العليا مجرد رسوم وخطوط على الورق، أو كلمات وجمل حلوة على الشّفاه.

فالعقل إذن هو القدرة الكاشفة والمخطّطة، والقلب هو القوة

بالعمل على تقوية إيمانه وزيادته. وبدهي أن مجال هذه الزيادة لا يمكن أن يكون العقل؛ ذلك لأن العقل إذا ارتقى في إدراك الشيء إلى درجة التصديق والإذعان، فقد وصل إلى النهاية التي لا يمكن أن يتجاوزها، إذ الإدراك للشيء لا يعدو أن يكون تصوراً أو تصديقاً، والتصديق نهاية عقلية عليا لا تقبل التفاوت والتشكيك. لا جرم إذن أن التصديق العقلي غير قابل لأي زيادة أو نقصان؛ ولكن مجال هذه الزيادة إنما هو القلب. ففي القلب سُلم من العواطف لا تكاد تنهاى درجاته، وفيه وقود هائل من الأشواق العارمة لا يقوى على وصفه أي قلم أو بيان. ففي هذه البوتقة ينضج الإيمان ويطرعرع، وفيه تتوالد معجزات الإيمان التي طالما سمعنا بها قديماً وأجدبت منها حياتنا حديثاً.

وانظر إلى البيان الإلهي، كيف يصور هذا المجال القلبي لتقوية الإيمان وزيادته، وتأمل في قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ (الحجرات: ٧) وأنت خبير أن كلمتي: «حَبَّبَ» و«زَيَّنَ» إنما يعرفهما قاموس القلوب، فهما يأتیان من وراء العقل وإذعانه.

حقيقة المحبة

ثم إن هذه المحبة ليس معناها الحقيقي الاتباع والسلوك العملي، كما قد يتصور بعض الناس، بل هي مستعملة في معناها الحقيقي نفسه، فليس الاتباع إلا أثراً من آثارها. وكيف تكون محبة الله ورسوله هي الاتباع العملي؟ إن الاتباع نفسه يحتاج من وراء اليقين العقلي إلى محبة قلبية دافعة. ومن البدهة بمكان أن شيئاً من صور التضحيات الرائعة التي قدمها الصحابة بالنفس أو المال لم يكن المحبة نفسها، وإنما كان أثراً من آثار المحبة العارمة التي فاضت بها قلوبهم، وإلا كان مجرد التصديق بشيء ما هو وحده سر التضحية في سبيله، وإذن لكان من اللازم العقلي أن يتساوى المسلمون كلهم في صفة البذل والتضحية والفداء. ومن الذي يقول هذا؟ ومن الذي زعم أن المسائل العقلانية وحدها من شأنها أن تؤثر في العواطف والقلوب؟ وهل سمع أحد من الناس أن رجلاً ضحى بحياته إيماناً منه بقاعدة رياضية أو مسألة من مسائل الجبر؟!

الفضيلة والرذيلة

وكم كان «جان جاك روسو» على حق يوم أخذ يسخر

ممن يظن أن الإيمان المجرد بالفضيلة يُعتبر انتصاراً لها وتحقيقاً لمبادئها. إنه يقول: «كم قيل وأُعيد القول عن الرغبة في إقامة الفضيلة على العقل وحده، ويا له من أساس متين. أي أساس هذا؟! إن الفضيلة كما يقولون هي النظام، ولكن هل يستطيع الإيمان بالنظام أن يتغلب على مسرقي الخاصة؟ إن هذا المبدأ المزعوم ليس إلا لعباً بالألفاظ، فالرذيلة هي حب النظام بشكل مختلف».

وانظر، فلقد أدركت أمريكا يوماً ما، ما في الخمر من الأضرار الجسيمة المختلفة، وآمنت بذلك إيماناً عقلانياً قائماً على مختلف الأدلة التجريبية والعلمية القاطعة، وأقدمت الحكومة الأمريكية بناءً على ذلك على إصدار قانون بتحريم الخمر... ولكن ما الذي تم بعد ذلك؟ لم تمض فترة حتى أخذت رؤوس أولئك المقتنين أنفسهم تتمايل من ألم الحرمان.. ثم ما هو إلا أن عادوا فنكصوا على أعقابهم، ومزقوا القانون الذي كانوا قد أصدروه، وراحوا يعكفون على أقذارهم يترعونها من جديد.. أما في المدينة المنورة، وقبل أربعة عشر قرناً، حيث جماعة من الأميين قامت حياتهم منذ أمد طويل على الخمر والشمس والماء والهواء، يقتاتون دنان الخمر كما يقتات الناس زكائب الحنطة، فقد وقعت المعجزة هناك بسر آية واحدة لم تزد على بضع كلمات.

ما كاد أولئك المؤمنون يسمعونها، ويسمعون قول ربهم ﷻ في ختامها: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (المائدة: ٩١) حتى أريق الدنان، وحطمت الأقداح، وتعال الصيحات: «انتهينا يا رب!». وفي ساعة واحدة تحولت الخمر من عنصر من عناصر الحياة - كانت ضرورتها من ضرورة الشمس والماء والهواء - إلى رجس مستقذر شنيع. وفي ساعة واحدة نسخت عادة متمكنة أصيلة، كأن لم تكن بالأمس، وكأن لم تكن لها جذور بعيدة راسخة.

فما الفرق بين أمريكا التي آمنت عن تجربة ودراية وعلم، وبين أصحاب رسول الله ﷺ الذين استقبلوا الأمر تلقياً وآمنوا به غيباً؟!

هنالك يقين فكري أعزل لا تشايعه النفس ولا يؤيده الهوى. وهنا شيء وقر في القلب بعد أن استقر في الفكر. والقلب سيد هذا الكيان الإنساني كله، يقوده كما يحب، وفي السبيل التي يريد.

ثم إن القلب كالمرآة، لا يمكن أن يخلو من صورة تظهر على صفحتها.. فإما أن تثبت فيه صور من عكر الدنيا وأهوائها،

وإِذَا أَن يَشْرُقَ بِالمَحَبَّةِ الإلهية الصادقة، وإذا فاض القلب بعكر الشهوات والأهواء، فهيهات أن يصبح الاعتقاد وحده حاملاً لصاحبه على أي عملٍ من أعمال التضحية أو الفداء.

المحبة الإلهية

فما هو السبيل إلى تزكية القلب وغرس المحبة الإلهية فيه حتى يزداد بذلك الإيمان، وتتوفر مقومات التضحية والبذل والجهد؟

والجواب: إن لك إلى ذلك سبلاً كثيرة. فمن أهم هذه السبل أن تخلو إلى نفسك بين كل فترة وأخرى مدة من الزمن، تتأمل فيها بنفسك وحقيقتها ومنشئها، ومدى حاجتها إلى عناية الله وتوفيقه، في كل لحظة من لحظات الحياة، وفي النعم المتنوعة الكثيرة التي يُكرمك الله بها في سائر أحوالك وتقلباتك؛ ثم في الناس، ومدى ضعفهم أمام الخالق ﷻ، وعدم أي فائدة من وراء مدحهم أو قدحهم أو الاعتماد عليهم؛ ثم أن تتفكر في مدى عظمة الخالق ﷻ، وفي مظاهر آلائه ورعايته المختلفة التي لا تُحصى، وكيف أسبغ عليك رداء ستره، فحجز عن الناس عيوبك، وأبقاها سرّاً بينه وبينك، ثم أشاع فيهم مناقبك وفضائلك دون قصد منك إلى ذلك؛ ثم أن تتبع ذلك بالإكثار من ذكره، وتسبيحه بالقلب واللسان، والإكثار من تلاوة القرآن.

ومن أهم هذه السبل أيضاً أن تُكثر من التأمل في سيرة المصطفى ﷺ، وأخلاقه، وطريقة حياته، ومعاملته للناس. فإن ذلك كله جزء من مظهر نبوته ﷺ، ومن شأن التأمل في ذلك تقوية الإيمان وترسيخه في القلب.

ثم إن القلب من شأنه أن يخفق بحب الفضائل، والمثل العليا. ومهما بحثت فإنك لن تجد الفضيلة والمثل العليا ومظاهر الرقة والجمال النفسي والخلقي مجتمعة كلها في كيان واحد، إلا كيان أفضل المخلوقات محمد ﷺ. فلا غرو أن يكون مهوى أفئدة المفكرين والمتأملين، وقدوة جميع العقلاء المنصفين.

ومن أهم هذه السبل أيضاً، الإكثار من العبادات عامة والصلوات خاصة، والاستقامة عليها في خشية وحضور؛ فذلك هو الغذاء الذي يُبقي على العقيدة وينمّيها، ويقوي جذورها في النفس والقلب. ولا والله لن تتساقط الآفات المختلفة التي تتعلق بالنفس، ولن يحيا القلب بنور المحبة والعرفان إلا بعد أن يزداد التعبّد والتبتّل في حياة المسلم، حتى يمتد أثرهما إلى النفس

والقلب فيهما هزاً، ويدفعهما مدّاً وجزراً، بين طرفي الخوف والرجاء؛ فعند ذلك تتساقط تلك الآفات العالقة بالنفس، وتبتدّد تلك الغاشية العكرة الممتدة على صفحة القلب.

فإذا سار المسلم في هذا السبيل، وتهيأ له القيام بهذه المهام، نبتت له من ذلك في قلبه محبة إلهية عارمة، تجعله لا يخشى أي عظيم، ويحتقر كل مغرية من المغريات، ويستتهين بكل إيذاء وعذاب، ويستعلي فوق كل إذلال أو استهزاء. ولعمري تلك هي العدة الكبرى التي جهّز الله بها حبيبه محمداً عليه الصلاة والسلام، للقيام بأعباء الدعوة الإسلامية، وهي العدة التي ينبغي أن يتسلّح بها من بعده كل مسلم.

أريد أن أضع يدك بعد هذا الذي ذكرت، على مكنم الداء العضال في حياتنا الإسلامية اليوم:

الداء العضال

إنّ داءنا المستحكم العضال، أننا مسلمون بالفكر والعقل، لا بالحب والقلب، أي إننا نمارس إسلاماً عقلاً بدلاً من بعيداً عن جواذب القلب ومؤثراته. ومثل هذا النوع من الحياة الإسلامية قد يُثمر ثروة فكرية عظيمة، أو مكتبة إسلامية واسعة، ولكنه لن يُثمر أبداً السعادة الإسلامية المنشودة.

إنّ أقلّ تجسيد لهذه الحقيقة التي أقولها، أنك قد تجتمع مثلاً بجماعة من المسلمين لهم مركز الصدارة في الفكر والقيادة الإسلامية في المكان الذي يوجدون فيه، ويبدأ الحديث بينهم عن الإسلام، وكيفية الدعوة إليه، والنهوض به، وواجب المسلمين في هذا العصر؛ ويغوصون في هذا الحديث في نشاط ولبّة وحماس، ويتعالى صوت مؤذن على مقربة منهم يؤذن للصلاة، والحديث لا يزال موصولاً وينتهي صوت الأذان، ويندوب في ضوضاء الحديث وصخبه!

ويمتد وقت طويل بعد ذلك والقوم مشغولون عن الاستجابة للأذان، والقيام إلى الصلاة، بالحديث عن الإسلام والاهتمام بشأنه.. ويوشك وقت الصلاة أن يخرج والقوم لا يزالون في شغلهم وحديثهم. وأخيراً يقترح أحدهم استراحة دقائق ليقوموا إلى الصلاة.. وتبدأ صلاة سريعة، قد لا تزيد على ركعات الفرض وحده، وتتأمل في مظهر صلاتهم، فلا تشك أن كل واحد منهم منصرف بتفكيره إلى الحديث الذي قاموا لتوهم عنه!

وما هو إلا أن يسلموا يمنة ويسرة، حتى يلتفتوا، بعضهم

إلى بعض مرة أخرى وقد تذكر هذا في الصلاة ما كان قد نسيه أثناء الحديث، وقام في ذهن الآخر إشكال تصوّره عند قراءة الفاتحة.. ويعود الحديث بينهم عن الإسلام ومشكلاته، وما يتعلق به، وقد نسوا أن من وراء الصلاة التي فرغوا منها تسبيحاً وذكرأ ودعاءً، وأن لها تتمّة من الرّواتب والنّوافل، وأن كل هذا الذي يخوضون فيه من الحديث إنما هو وسيلة إلى هذه الغاية العظيمة! وهكذا دواليك.. وقس على هذه الصورة غيرها من أشباهها.

غير أن الذي هو أهم من هذه الصورة نفسها، أن الكثيرين من المسلمين اليوم يدافعون عنها، ويتفلسفون في الدعوة إليها، ويقتنعون ويؤمنون أن الإسلام ليس إلا هذا المظهر الحركي الذي ينطبع شكله في البحوث الفكرية، والمناقشات النظرية، والتنظيمات الشكلية؛ ويظلّون يقلّلون من أهمية العبادة، والتبّتل والأذكار، ويوهمون أنها بضاعة العامة والجهال الذين لا شغل لديهم حيث يملؤون بها فراغ وقتهم.

وإني لأذكر حفلاً حاشداً في إحدى بلادنا العربية، كنتُ أحد الحاضرين فيه، وأذكر أن أحد المفكرين من العلماء الفضلاء خطب في ذلك الحفل، فكان مما قال: «إن مشكلة كثير من المسلمين اليوم ما يحسبونه من أن الإسلام هو أن يُكثر الإنسان من الصلاة، أو أن يُكثر من التّعبّد.. مع أن الإسلام هو العمل والبناء».

ولقد أخذتُ ألفتُ إذ ذاك عن يميني ويساري أنظر في وجوه الحاضرين، ثم رحتُ أتأمل في نفسي طبيعة أهل تلك المدينة كلّها، فما هدّنتي عينايا ولا أرشدني خاطري إلى أن ثمة أقواماً انقطعوا عن الحياة الدنيا في كهوف قاصية للعبادة والصلاة.. وتأملت، فوجدتُ أن أعظم متعبّد فيهم هو ذاك الذي يحافظ على فرضه يؤدّيه جماعة في وقته، وقد يُتبعه بركعات خفيفة من نوافله المتّمة.. فما وجه الحاجة إلى هذا الكلام، وما الضرورة الدّاعية إلى التّكرير بالصلاة أو الدّعوة إلى التخفيف من العبادات، وما في الحاضرين كلّهم والبلدة بأسرها إلا مقصّر عن الحد الأدنى في ذلك؟

والعجيب أن ندعو بعد ذلك إلى العمل والبناء والتّضحية. فما الذي ينهض بالمسلمين إلى القيام بذلك كلّهم، وهم مقيّدون بأثقال وأغلال من الشهوات والأهواء والمطامع الدنيوية المختلفة! ما الذي يحملني على استدبار شهواتي

وأهوائي، وإن قلبي ليخفق بحبّها والتعلّق بها؟

إن الأمر يحتاج ولا ريب إلى مساعد ومعين، فأين هو المساعد والمعين وما هو؟ لقد أجاب البيان الإلهي على هذا، ووضع بين أيدينا المساعد والمعين، وذلك في قوله جل جلاله: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (البقرة: ٤٥)، وطالما وضع البارئ جلّ جلاله هذا الدّواء المساعد بين يدي حبيبه المصطفى ﷺ، كلّما حزبه أمر، أو أطبقت عليه شدة، أو استيقظت في نفسه بعض المشاعر البشرية؛ تأمل مثلاً قوله تعالى لنبيّه عليه الصلاة والسلام: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ (ق: ٣٩-٤٠).

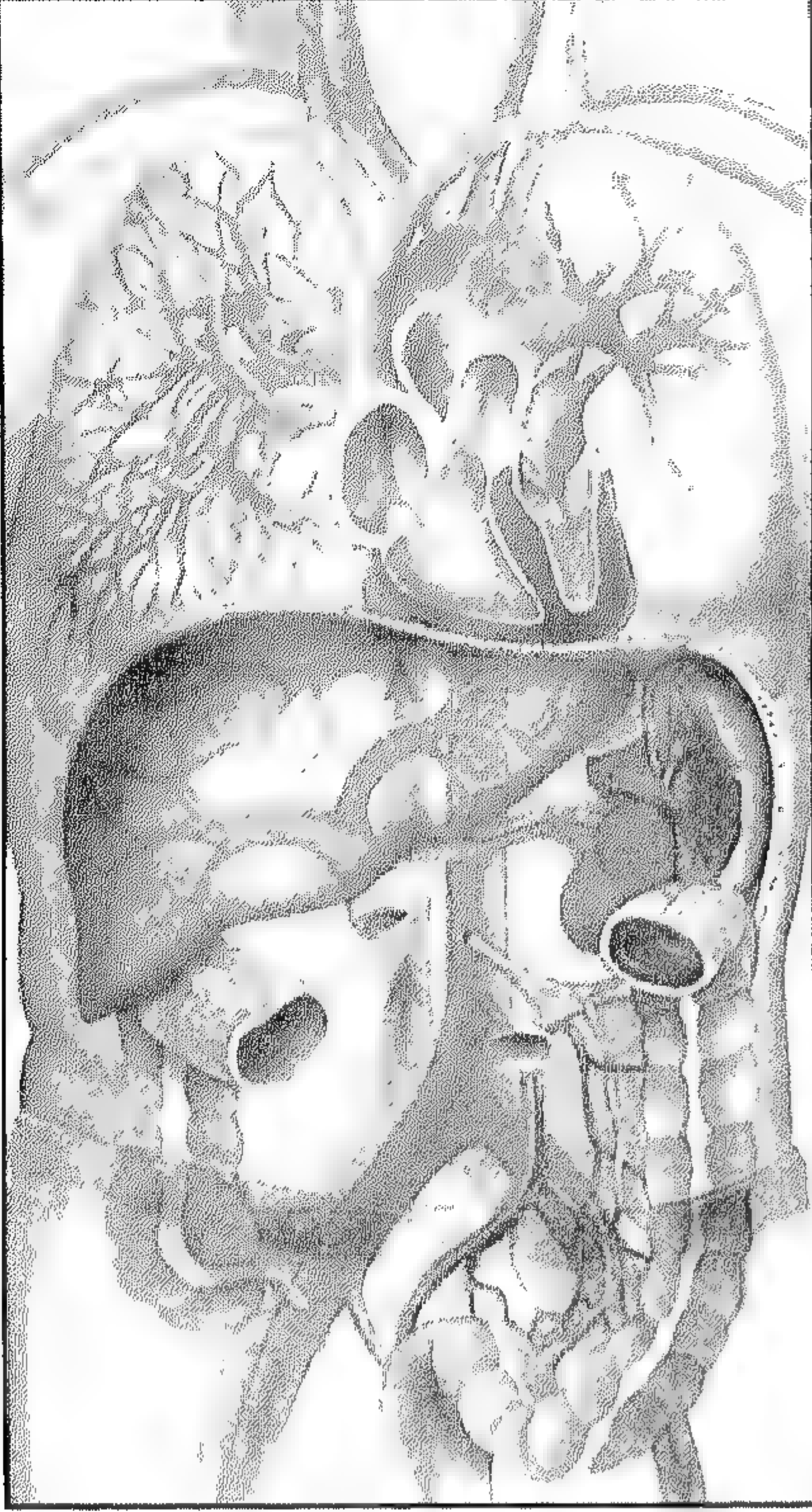
وأمعن النظر في هذه الآيات الأخرى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ واذكر اسم ربك بكرةً وأصيلاً ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ (الإنسان: ٢٤-٢٦) ومعاذ الله أن يكون أسلافنا من المسلمين الذين شادوا صرح هذا الدّين يبطولاتهم وجهادهم وتضحياتهم، قد نجحوا في شيء من ذلك إلا أن أزاحوا عن أنفسهم أثقال الشهوات، وأغلال الأهواء، بسلاح من العبادة والتبّتل، والوقوف على الأقدام بين يدي ربهم السّاعات الطّوال، في جُحج الليل، يسكبون دمعاً ساخناً ويناجونه في دعاء خاشع، ويذكرونه بقلب واجف.

ولا والله، لن يستطيع مسلمو اليوم أن يسيروا وراء حُطى أجدادهم بالأمس، إلا إذا غمرت اللّوعة قلوبهم، وتلظّت الأشواق الإلهية بين جوانحهم، وملؤوا أكوابهم بتلك الخمرة العلوية التي تنشلهم من قفاه هذه الشهوات والأهواء، وتساموا بوجدانهم إلى مستوى الحقيقة العليا.

إنّ لوعة الحبّ وحدها هي السّوط السائق، والتّيّار المحرّك. والمحبّ هو وحده الذي يبذل الجهد شوقاً إلى المحبوب؛ فيسهل بذلك عليه الصّعب، ويقرب له البعيد، وتفنى لديه القسوى، وتذوب فيه الحياة، ولا يرى أنه قد أوفى بعهد المحبة، أو قام بواجب شكر النّعمة.

ويوم يعمر هذا الحبّ قلوب المسلمين اليوم، يتكامل البنيان كلّهُ، ويتوفّر العمل جميعه، وتتجلّى معجزات التّضحية والبذل والجهاد، وتنزل معجزات النصر والعزة والتأييد. ﴿﴾

(*) كلية الشريعة، جامعة دمشق - سوريا.



التوازن العجيب في جسم الإنسان

أ.د. عمر عارف آغا أوغلي *

نُدرِك من البَيان المُعْجِز للقرآن الكريم الذي يُعلن أنه خلق كل الأحياء من الماء، مدى أهمية الماء للحياة ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (الأنبياء: ٣٠). وكذلك فإن ٦٠٪ من أجسامنا تقريباً ماء. عندما نعلم أن كل الأحداث الحيوية والكيميائية والفسيولوجية التي في جسمنا تجري في وسط مائي، وعندما نرى تعطل وفساد ردود الأفعال في الخلايا ما لم يكن هناك ماء... إذا ما أدركنا ذلك، فهمنا حكمة البيان الإلهي؛ لو فرضنا أن الشخص البالغ يزن ٧٠ كيلو جراماً، فإن مجموع الماء الموجود في جسمه يبلغ ٤٢ لتراً تقريباً؛ منها ٢٨ لتراً داخل الخلايا، وأما الـ ١٤ لتراً فموجودة خارج الخلايا. إن جسم الإنسان البالغ يحتوي على ١٠٠ تريليون خلية تقريباً. وجميع هذه الخلايا محاطة من جميع جوانبها بوسط سائل، وأطراف كل هذه الخلايا التي تبدو وكأنها ملتصقة ببعضها البعض في الأنسجة مُحاطة بسائل رقيق جداً. وإن محتويات هذه السوائل الداخلية هي نفسها في كل أطراف البدن. بمعنى أن كثافة المواد الموجودة داخل هذه السوائل من فيتامين وأوكسجين أو جليكوز أو غيرها من المواد هي الكثافة نفسها سواء أكانت هذه السوائل تحيط بخلايا الكبد أو خلايا المخ. وربما يخطر على البال في الوهلة الأولى أن سائل الدم والمخ والنخاع الشوكي، والسوائل الموجودة في فراغات الأمعاء والمعدة وإفرازات كيس الصفراء وغيرها تقوم بتغيير الوضع الداخلي لهذه السوائل؛ ولكن كل هذه السوائل الموجودة خارج الخلايا قد خلقت من أجل أداء وظائف ومهام معينة في الأعضاء التي ترتبط بها. لذا فإن تركيب الوسط الموجود داخل الخلايا متجانس ويمتلك الخاصية نفسها. وينطبق هذا على كل الخلايا. ومن أجل استمرار حياة الخلايا في هذا الوسط، توجد كميات معينة من الأوكسجين والمواد الغذائية والأيونات والفيتامينات والهرمونات.. الخ.

إن كثافة المواد الأخرى التي بداخل الماء الذي يُشكل المادة الأساسية للوسط الداخلي للسوائل (مثل الأملاح والجلوكوز) وثبات تلك الكثافة من ناحية الظروف الفيزيائية الموجودة في هذا الوسط أو استمرار وضع السكون، يُطلق عليه عملية الاتزان البدني، أي الاتزان بين عناصر الكائن الحي المختلفة. ولكن لا يمكن أن نقيس حال ذلك السكون بالأوضاع الثابتة والتي لا تتغير قط للموجودات الجامدة أي الجملادات. إن حالة السكون أو الاستقرار الموجودة في الأحياء هو سكون أو استقرار ديناميكي ووضع يتغير داخل حدود معينة في كل آن. إن أي نقص أو زيادة في المقادير الصغيرة التي تدور حول المعدل الذي يمكن أن نسميه عادياً أو في المتوسط لا بد من استمراره في حالة مثالية بالمراقبة المستمرة في كل آن للمعدلات الواجب مراعاتها واتخاذها كأساس. ومن هذا المنطلق فإن هذا الاتزان البدني مهم جداً، لأن بقاءنا أحياءً مرتبط باستمرار هذا التوازن حول المعدلات الثابتة المحددة. وعند اختلال التوازن الديناميكي الحساس هذا في الوسط الداخلي لأسباب شتى، وإذا ما زادت كثافة المادة الموجودة في المحيط الداخلي أيضاً، فإن ذلك يُسبب المرض. فمثلاً؛ عند زيادة كثافة الأوكسجين الذي يُعد غاز الحياة، عن الحد المعتاد، فإن الخلايا تموت بالتسمم الأوكسجيني. أما على العكس من ذلك، لو انخفض عن المقدار اللازم توافره، فلا يمكن إنتاج طاقة من الأغذية، وتموت الخلايا أيضاً. ومن ثم فإن اختلال التوازن البدني، يمكن أن يكون سبباً

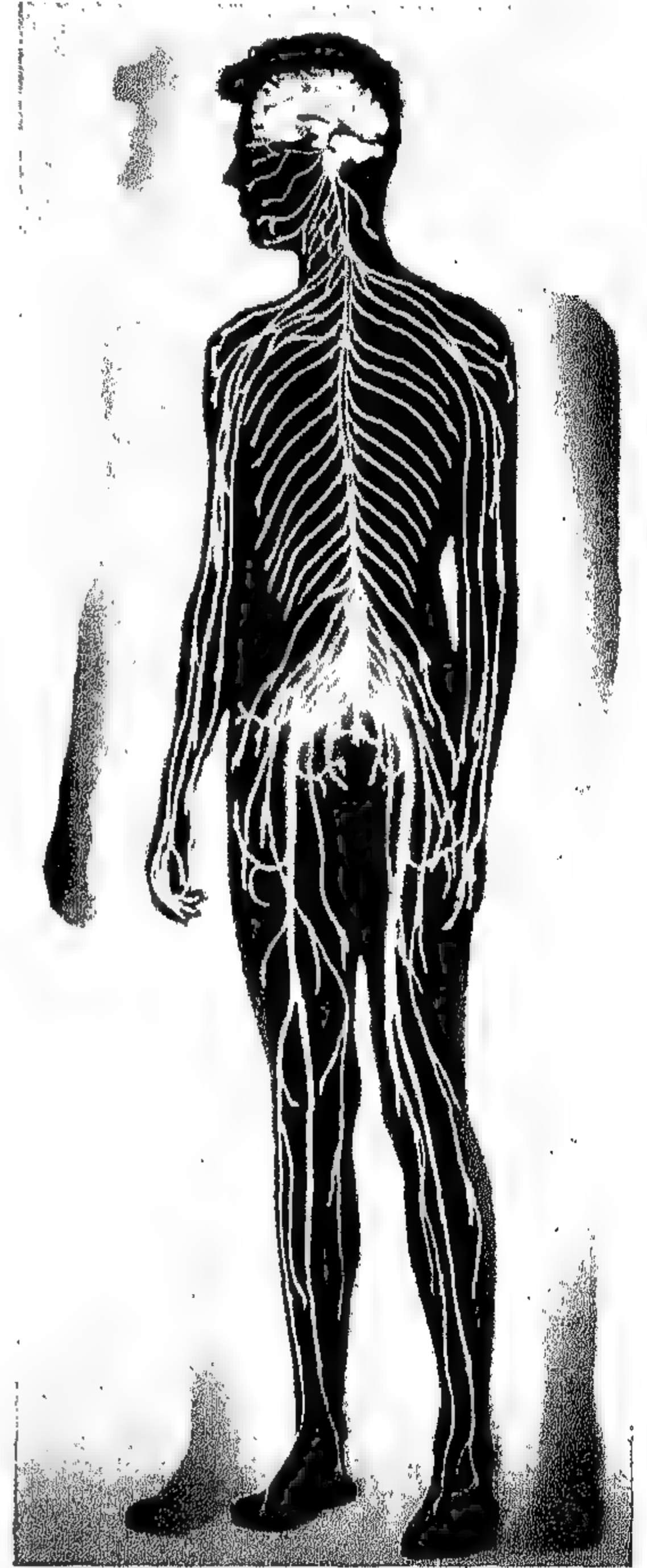
في ظهور أمراض تنتهي بالموت.

إن كل الخلايا والأنسجة والأعضاء والأنظمة، تعمل من أجل استمرارية التوازن والاتزان بين العناصر المختلفة للكائن الحي. وليس هناك أي عضو قط، يدور في فلك العمل الطبيعي، يمكن أن يثور على الأسس والقواعد التابع لها منذ خلقه، ويسعى إلى إفساد التوازن والاتزان البدني. ولو أوكل إلينا ضبط عيار الوسط الداخلي لخلايانا لتحولت الحياة إلى شيء لا يطاق، حيث يتوجب علينا احتساب كل ما نأكله أو نشربه من مواد حتى أصغر وأدق مقاديرها، وإرسال كل ذرة منها

إلى مكانها المناسب، ولو حدث أي خطأ - مهما كان صغيراً في التوزيع أو أخطاء مليجرامية في المقادير - لسوف يكون ذلك سبباً لإنهاء حياتنا. ولكن دون أن ندري تحفظ هذه التوازنات وتُسَيَّر بدون أي تعويق في كل الخلايا والأنسجة.

إن الأغذية الطبيعية تساعد على استمرار التوازن البدني، بينما التي فقدت خواصها الطبيعية بالتصفية أو بتعريضها لعمليات مختلفة أو الكحوليات أو السجائر أو الإفراط في الأكل، هذه كلها يفسد التوازن

بين عناصر الكائن الحي. وينبغي تشغيل ثلاث آليات بشكل جيد للحفاظ على هذا التوازن.



١- التجانس الداخلي

إن تأمين التجانس في الوسط الداخلي أمر واجب. فمثلاً عندما نطبخ طبقاً من الشورية فما لم يتم التقليب فلن يكون هناك تجانس؛ فيحترق أسفلها ويتجمع الماء أعلاها، والدهن في ناحية، والدقيق في ناحية مكوناً تكوُّرات من العجين. مثل هذا تماماً، فمن أجل تأمين التجانس داخل الوسط الداخلي

للخلية يلزم استمرارية التقليب. ومن أجل تشغيل هذا التقليب واستمراره فقد تم تكليف نظام القلب والشرابين بذلك. وإن هناك أخذاً وعطاء مستمراً فيما بين السائل النسيجي الموجود فيما بين الخلايا والشعيرات الشريانية التي هي وسيلة لحمل كل أنواع الأغذية والمياه والأملاح المعدنية والأوكسجين والسائل الدموي. إن هذا الأخذ والعطاء التبادلي في الشعيرات الشريانية يتم بسرعة مذهلة، حتى إن ذرات المياه خلال فترة مرورها من الشعيرات الشريانية تدخل وتخرج ثمانين مرة إلى الخلايا الموجودة في أي نسيج.

٢- تخزين المواد الغذائية الزائدة

إن الأوكسجين والمواد الغذائية الموجودة في الوسط الخارجي للخلية، تُستخدم بصفة مستمرة من قبل الخلايا. وفي النهاية لكي لا يحدث نقص أو تقليل في مقدار هذه المواد، فيجب تأمين الأوكسجين والغذاء بصفة مستمرة للوسط السائل خارج الخلية. ولما كانت كل الخلايا تحت السيطرة المستمرة لدوام هذا التشغيل، ففي حالة حدوث أي خلل أو نقص، فيتم أولاً إعلام النظام وإخباره. وفيما بعد تصدر الأوامر إلى الأعضاء المختصة مثل المعدة والأمعاء والرئة للتحرك الفوري، ويتم تأمين القيام بعملية دفع الغذاء والأوكسجين اللازم. ولعدم الإخلال أو إفساد الاتزان بين العناصر المختلفة في الكائن الحي يتم إعطاء الأوكسجين اللازم للوسط الخارجي للخلية بالتشغيل المستمر للرئتين، وتُكَلَّف الأمعاء أيضاً بتقديم المادة الغذائية للوسط الداخلي. ومن هذا المنطلق فقد تم تحميل الكبد بمهام ومسؤوليات مهمة جداً. ففي خلال فترات الشَّبَع يتم تخزين المواد الغذائية الزائدة الكمية في الكبد، وهكذا لا يُسمح بإخلال الاتزان البدني، وتُرفع المواد الغذائية في الدم إلى حالتها القصوى. بالإضافة إلى ذلك فإن المواد الغذائية التي تم تخزينها في الكبد عند الشَّبَع تُقدَّم إلى الدم كنوع من السيطرة في حالات الجوع، ولا يُسمح قط بانخفاضه إلى ما دون المقدار المحدد.

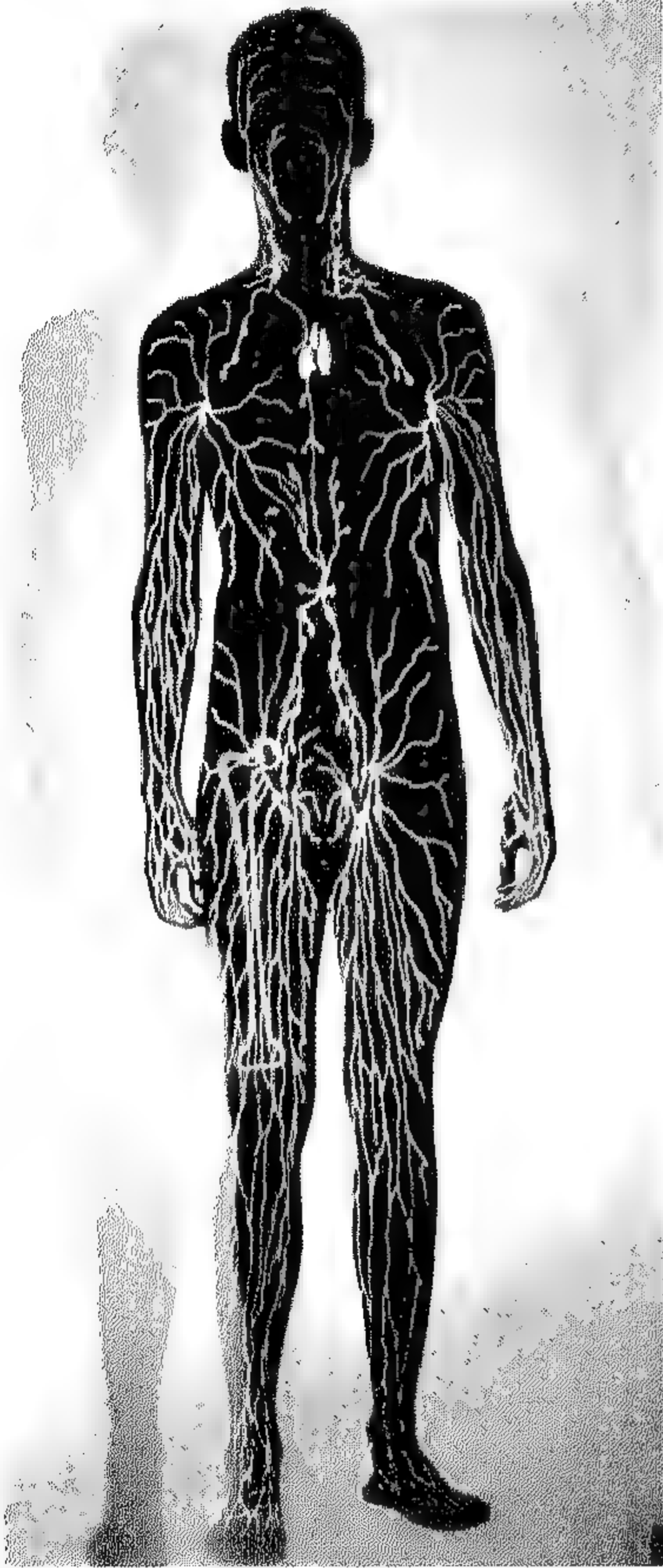
٣- طرح الفضلات

إن من أهم وظائف الخلايا ومسؤولياتها، -بعد أن يتم استنزاف المواد الغذائية- هو إرسال ثاني أكسيد الكربون والمواد الغذائية الزائدة الأخرى إلى الوسط السائل خارج الخلية. فكما أننا لا نستطيع استخدام المدفئة التي نُشعلها بالخشب أو الفحم في منازلنا إذا لم نتخلص من أتربتها، فإننا كذلك، إذا لم

المنخفض، ويمكن أن يكون سبباً لموت المريض. كما هو واضح، فإن آلية التغذية المرتجعة السالبة تلعب دوراً مهماً في تأمين الاتزان البدني بين عناصر الكائن الحي.

من أجل حماية الاتزان البدني، أي الموازنة الداخلية الحساسة في البدن الإنساني فهناك حاجة ماسة لحماية تنظيم وتثبيت الغازات الموجودة في الجو لتتناسب معنا. فمثلاً، لكي نحتفظ بنسبة الأوكسجين الموجود في الوسط الداخلي بشكل ثابت، يجب أيضاً الحفاظ على نسبة الأوكسجين الموجود في المناخ ثابتة أيضاً. هذا النظام الحساس يُشير إلى سلطة واسعة جداً.

سلطة حاکمة ومسيطر
بحيث تستطيع أن
تتحكم في كل الذرات
والجزيئات الموجودة في
جسم الإنسان لتأمين
الاتزان البدني بين كل
عناصر الكائن الحي
من ناحية، ومن ناحية
أخرى تؤمن السيطرة
على التفاعلات الذرية
الجارية في الشمس والتي
توفر توهجها واشتعالها
ملايين الأعوام. إذن فإن
الخالق عَلَّاهُ الذي خلق
كل هذه الموجودات،
لا بد وأنه حاكم
ومسيطر على الشمس
وعلى الكائنات الحية بل



وعلى الخلايا الموجودة في تلك الكائنات من ناحية، ومن ناحية أخرى حاكم ومسيطر على الجزيئات والذرات الكائنة داخل تلك الخلايا أيضاً. ولا يمكن القبول أبداً أن تكون هذه العمليات الحارقة والحساسة والمتوازنة تحدث مصادفة أو بشكل تلقائي.

إن المصادفات يمكن أن تتولد عنها بالكاد مصادمات ومفاسد واختلالات. ومن أجل تأمين هذه الموازنة الحساسة فيشترط أن تكون كل الجزيئات والذرات التي تدور في المحيط الداخلي

تحت أمر من يقول للشيء ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس: ٨٢).

(*) كاتب وباحث تركي. الترجمة عن التركية: أ.د. الصفصافي أحمد القطوري.

نتخلص من المواد الزائدة الموجودة في خلايانا، فإنها ستتراكم، وتكون سبباً رئيساً في الإخلال بالاتزان بين العناصر المختلفة في أبداننا. فمثلاً لو تراكم البول الذي هو إخراج نيتروجيني، لظهر الخلل الذي يُسمى «مرض تَبَوُّلُ الدم». والرئتان في الكائنات الحية تقومان بوظائف إخراج نفس الغاز النيتروجيني بصفة مستمرة، ذلك الغاز الذي يخرج جسمنا بشكل يُشبه إخراج ثاني أكسيد الكربون من مدخنة مدفنتنا، وهكذا.. فبينما يتم إخراج قسم كبير من المواد الزائدة من الجسم بواسطة الكلى، فإن القسم الأقل يتم إخراجها إلى خارج الجسم عن طريق المصارين بعد أن تمر ببعض العمليات التي تقوم بها الكبد.

نظام التغذية المرتجعة السالبة

من أجل الحفاظ على الاتزان بين عناصر الكائن الحي المختلفة، فإن هناك آلية مهمة جداً قد استقرت في جسمنا، ألا وهي نظام التغذية المرتجعة السالبة. هذه الآلية يمكن تشبيهها بعمل الترموستات في أجهزة التكييف؛ فعند انخفاض حرارة غرفتنا عن المستوى المطلوب، فإن النظام الآلي يُعيد تشغيل المكيف ويبدأ في تدفئة غرفتنا من جديد. وعلى نفس المنوال لو حدث أي خلل في عيار مقدار أي مادة موجودة في الوسط الداخلي لخلايانا، فإنه يتم تصحيح الخلل بنظام خارق للعادة. فإذا تم تجاوز الحد الأعلى لأي مادة في الوسط الداخلي لجسمنا، فعلى الفور يتم تنبيه نظام آخر يعمل في محتوى عكسي، ويتم البدء في التشغيل آلياً بهدف إزالة هذا المقدار الزائد. فلو زاد السكر في البيئة الخارجية للخلية، فإن هذه الزيادة في السكر، تكون هي الوسيلة لتحفيز غدة البنكرياس لإفراز هرمون الإنسولين اللازم، وذلك للحيلولة دون ارتفاع السكر بزيادة دخول السكر للخلايا. في هذا الوضع يظهر الامتلاء عند الشبع، والامتلاء يزيد إفراز الإنسولين. لهذا السبب يُطلق على الإنسولين «هرمون الشبع». وإذا لم يعمل هذا النظام، عند ارتفاع السكر، ولم يُفرَز الإنسولين، يرتفع السكر، ويظهر مرض السكري. أما في حالة الجوع فإن سكر الدم ينخفض، ويكون ذلك سبباً في إفراز هرمون «الجلوكاجون». وبهذا الهرمون تتم الحيلولة دون انخفاض السكر. وذلك بتأمين تقديم السكر إلى الوسط الخارجي للخلية من مخازن السكر، وفي مقدمتها الكبد. وفي الوسط السائل خارج الخلية، فإن السكر الزائد كما أنه يفتح الطريق أمام الوفاة كنتيجة مباشرة لإغماء السكر فإن انخفاض السكر، يفتح الطريق أمام إغماء السكر



فصل المقال

فيما بين فلسفة البشر وحكمة القرآن من الانفصال عند الحكيم بديع الزمان

أ.د. طه عبد الرحمن *

أصله استغراباً، ولم يكن أبداً استعجاباً، أوقع المتفلسف في محذورين:

أحدهما، سد طريق الاعتبار: إذا كانت الفلسفة لا تتعجب من العاديات والمألوفات، فإنها لا تمكن صاحبها من استخراج العبر والعظات منها.

والثاني، فتح طريق النكران: إذا كانت الفلسفة تُلقي بغطاء الإلفة على الأشياء، فإنها تحول دون معرفة القدرة الإلهية والإقرار بأفضالها غير المتناهية.

ولما كان الاستشكال الفلسفي تساؤلاً غير منضبط، أفضى إلى أمرين كلاهما حرمان هالك:

أحدهما، فقدان سر التوحيد: إن كثرة الأسئلة بدون مقاصد موجّهة ولا أجوبة مُرضية تدل على أن صاحبها محروم من سر التوحيد، إذ إنه لو كان متحققاً بهذا السر، لدارت أسئلته على مقاصد محددة، وظفر بالأجوبة عليها ضمن هذه المقاصد التوحيدية.^(١)

والثاني، فقدان الشعور بالسعادة: إذا لم يجد المتفلسف أجوبة على أسئلته المتفرقة ولا استجابة لمطالبه المتباينة، فلا بد من أن يشقى شقاء عظيماً.^(٢)

ثم لما كان الاستدلال الفلسفي سلسلة مهددة بالوهم، أفضى إلى أمرين كلاهما شر بالغ:

أحدهما، التعلق بالأسباب دون المسبب: تقتصر الفلسفة في استدلالاتها على الكائنات دون المكوّن سبحانه، أي باصطلاح بديع الزمان تأخذ بالنظر الاسمي، لا الحرفي؛^(٣) يلزم على ذلك أنها تُوقع المشتغل بها في عبادة الأسباب.^(٤)

ولننعطف الآن على الضرب الثاني من الوصل بين الفلسفة والحكمة، وهو الضرب التصاحبي، فنبين كيف مارس عليه بديع الزمان هذا النقد المثلث، مع العلم بأن هذا الضرب يقوم على مبادئ ثلاثة هي: «مبدأ الاندهاش» و«مبدأ الاستشكال» و«مبدأ الاستدلال».

٢، ١، ٢. نقد التصاحب بين الفلسفة والحكمة

أ- النقد المنطقي: فبالنسبة لمبدأ الاندهاش الفلسفي، الصواب أن الفلسفة لا تصدر عن الشعور بالعجيب الخارق، وإنما عن الشعور بالغريب الشاذ؛^(١) وشتان بين الشعورين، فالأول مداره على كمال الخلقة الذي في الأشياء، بينما مدار الثاني على نقص الخلقة الذي فيها؛ والدليل على ذلك أن الفلسفة لا تتأمل المألوفات، بل تحسب كل مألوف معلوماً، بل إن أكثر معلوماتها مبنية على المألوف والعادي، وليس على المعجز والخارق.^(٢)

وأما عن مبدأ الاستشكال الفلسفي، فالصواب أنه غير مضبوط في مقاصده المتعلقة بالكائنات، فيقع في الخبط والانتشار في كل اتجاه؛ كما أنه غير مشفوع بالجواب المطلوب، فيقع صاحبه في الحيرة البالغة، بل في العذاب الشديد.^(٣)

وأما عن مبدأ الاستدلال الفلسفي، فالصواب أنه سلسلة من القضايا التي يتهدها الوهم على الدوام؛ فلو فرضنا أننا نريد أن ندفع عنها هذا التهديد، فحينئذ يلزم أن نستدل على كل قضية من هذه القضايا بسلسلة أخرى من القضايا يتهدها بدورها الوهم، وهكذا دواليك؛ فلا نكاد ندفع الوهم عن سلسلة حتى نجلبه إلى سلاسل من دونها بلا انقطاع.^(٤)

ب- النقد الأخلاقي: لما كان الاندهاش الفلسفي في

والثاني، التعلق بالذات دون غيرها: كما ينظر المتفلسف من الكائنات إلى أسبابها الطبيعية، فكذلك ينظر إلى نفسه نفس النظر الاسمي؛^(٩) يلزم من ذلك أنه يقع في عبادة النفس.^(١٠)

ج- النقد الإشاري: إن مثل الفيلسوف القائل بالتصاحب بين الفلسفة والحكمة عند بديع الزمان كمثّل من يسلك طريقاً على وجه الأرض في صحراء شاسعة، فتأتيه الأهوال من كل جانب بين غضب البحر وتهديد العاصفة وظلمة السماء، فتصير أشلاء مبعثرة على حافة الطريق، وتكون منزلته في القرآن الحكيم منزلة «المغضوب عليهم».^(١١)

وإذا قارنا بين هذا النقد الإشاري للتصاحب والنقد الإشاري السابق للتداخل، تبين أن القائل بالتصاحب أسوأ حالاً من القائل بالتداخل، ذلك أن في سلوك الأول لطريق فوق الأرض، أي طريق تحت السماء -التي هي رمز الوحي- وتحت الشمس -التي هي رمز النور-، إشارة إلى أن تحديه لربوبية الحكيم يزيد درجات عن غرور الثاني؛ فهذا لا يسلك إلا طريقاً تحت الأرض، لا يرى فيه شمساً ولا سماء؛ كما أن في إلقاء البحر أشلاء الأول على جانب الطريق إشارة إلى أن عمله أشبه بعمل فرعون، فاستحق أن يلقي نفس المصير موتاً واعتباراً،^(١٢) بينما لا نظير من الثاني إلا بشبح، فلا يكون عبرة للناس ببدنه، وإنما بآثاره وحدها.

من ثم، يصبح الفيلسوف المشائي الكبير الذي لم يرد اسمه على لسان بديع الزمان إلا قليلاً، وهو: ابن رشد، معدوداً عنده في زمرة المغضوب عليهم،^(١٣) إذ كان يقول بالتصاحب بين الفلسفة والحكمة ويعمل على مقتضاه، وهو عمل فسق به فسوقاً أشبه بتمرد اليهود؛^(١٤) ولما كان بديع الزمان قد انخدع بدعائه هو الآخر -على حد تعبيره- واعتقد الصحة في رأيه، كاد أن يتعرض هو نفسه لغضب الله لولا أن الله تجلّى عليه باسمه «الرحيم»، فهذه الصراط المستقيم.

وعلى هذا، فإن العمل بمبدأ تصاحب الفلسفة والحكمة يُنتج إنساناً غير بصير ولا معتبر ولا معترف ولا سعيد ولا ناج.

وبعد أن أقمنا الكلام عن الجانب النقدي في الموقف الانقلابي الذي اتخذته بديع الزمان من العلاقة بين الفلسفة والحكمة، نمضي إلى بيان عناصر الجانب البنائي في هذا الموقف الجديد.

٢,٢. انقلاب بديع الزمان والقول بالفصل بين الفلسفة والحكمة؛ يتمثل الجانب البنائي من هذا الانقلاب الفكري في

كون بديع الزمان يستبعد كلا الجمعين المذكورين بين الفلسفة والحكمة -أي جمع التداخل وجمع التصاحب- ويأخذ بضده، أي يأخذ بفصل أو تفريق مخصوص بينهما، متوسلاً في ذلك بآلية خطائية محددة.

٢,٢,١. الفصل الاستباعي بين الفلسفة والحكمة: يستبعد بديع الزمان جمع التداخل الذي يُنزل الفلسفة والحكمة رتبة واحدة ما لم تتعارضاً، ويأخذ بتفريق -أو فصل- في الرتبة بينهما ولو لم تتعارضاً، ممارساً آلية القلب على المبدئين اللذين يتقوّم بهما هذا الجمع، أي «مبدأ التأسيس العقلي للنقل» و«مبدأ التوسل بالعقل في النقل»؛ ومقتضى القلب، كما هو معروف، تغيير الرتبة، فإن كان الشيء مقدماً، صير مؤخراً، وإن كان مؤخراً، صير مقدماً؛ وحينئذ، يصبح المبدآن اللذان يبنى عليهما هذا الفصل هما بالذات: «مبدأ التأسيس النقلي للعقل» و«مبدأ التوسل بالنقل في العقل»؛ وبيان ذلك كما يلي:

أ- مبدأ تأسيس العقل على النقل: يذهب بديع الزمان إلى أن العقل -أي العقل الدائر بين الناس- والنقل -أي النقل في معناه الأعم- كليهما يحتاج إلى التأسيس، ولا يمكن أن يأتي التأسيس من هذا العقل الناقص كما لا يمكن أن يأتي من النقل العام، بل لا بد من طريق ثالث لا يكون فيه نقصان العقل ولا عموم النقل، بل يجمع إلى العقل الأكمل النقل الأحص؛ وليس هذا الطريق الثالث إلا القرآن الحكيم، ففيه من أسباب كمال العقل ما يؤهله لتأسيس العقل الدائر بين الناس، وفيه من أسباب خصوصية النقل ما يؤهله لتأسيس النقل عامة.^(١٥)

ب- مبدأ التوسل بالنقل في العقل: يذهب بديع الزمان إلى أن العقل -وتمثله الفلسفة البشرية خير تمثيل- لا يقدر على أن ينفع الناس وأن يحقق لهم السعادة حتى يتوسط بالنقل -وتمثله الوحي الإلهي أفضل تمثيل-؛ وبدون هذا التوسط، لا يخلو العقل من أسباب النفع والإسعاد فحسب، بل ينقلب بالضرر على الإنسان ويبلغ فيه هذا الضرر أقصاه،^(١٦) لأنه لا مفر من أن يضل الطريق ويتعرض لغضب الله.

وبهذا، يصير النقل -ممثلاً بحكمة القرآن- هو الأصل، والعقل -ممثلاً بفلسفة البشر- هو الفرع متى ثبتت موافقته لما جاء به النقل؛ لذا، جاز أن نسمي التفريق -أو الفصل- في الدرجة بين الحكمة والفلسفة الذي قابل به بديع الزمان الوصل التداخلي بينهما باسم «التفريق -أو الفصل- الاستباعي»، حيث

إن الفلسفة تصبح تابعة للحكمة وخادمة لها؛^(١٧) وهذا بالذات ما يستفاد من تمييز بديع الزمان بين الفلسفة النافعة والفلسفة الضارة في رسالة موجهة إلى طلاب الفلسفة الحديثة^(١٨) الذين أقبلوا على رسائل النور؛ فبصرف النظر عن الاعتبارات الظرفية التي قد تدعوه إلى مثل هذا التمييز كـرغبته في استمالة هؤلاء الطلاب المتفلسفة وتشجيعهم على المضي في قراءة هذه الرسائل واتقاء شر الخصوم، فإنه يجعل الفلسفة النافعة خادمة لحكمة القرآن كما لو كانت متفرعة عليها، نظرا لأنها «تخدم الحياة الاجتماعية البشرية، وتعين الأخلاق والمثل الإنسانية، وتُمهد السبل للرفيقي الصناعي».^(١٩)

ومن شأن العمل بهذا الفصل الاستتباعي أن يُخرج لنا إنسانا راسخ الإيمان قوي الحجة ناكرا لذاته غير متعلق بالظاهر ولا تائها عن الطريق، أو قل بإيجاز إنسانا مهديا.

٢, ٢, ٢. الفصل الاستبدالي بين الفلسفة والحكمة: يستبعد بديع الزمان أيضا جمع التصاحب بين الفلسفة والحكمة، ويأخذ بتفريق -أو فصل- في النوع (أو الطبيعة) بينهما، ممارسا لآلية الاستبدال عليهما؛ ومقتضى الاستبدال هنا هو جعل الشيء بدلا من غيره، بحيث يصير البديل قائما بوظائف المبدل منه على أحسن وجه؛ وحينئذ، تصبح الحكمة عند بديع الزمان بدلا عن الفلسفة، ناهضة على أفضل وجه بالمبادئ الثلاثة التي تدعي الفلسفة الاختصاص بها، أي «مبدأ الاندهاش» و«مبدأ الاستشكال» و«مبدأ الاستدلال»؛ وتوضح ذلك كما يلي:

أ- مبدأ الاندهاش: يرى بديع الزمان أن الصورة الأبلغ والأكمل لمبدأ الاندهاش تتحقق في حكمة القرآن المبين، وذلك من وجهين:

• أن القرآن يخرق ستار العادة المسدول على الأشياء في أنفسنا وفي الآفاق من حولنا، فيجعلنا نتعجب من الأسرار المودعة فيها ونكتشف ما تنطوي عليه من خوارق القدرة الإلهية وعجائبها العظيمة.

• أن القرآن كلام معجز، ومعلوم أنه لا صفة أبلغ من «الإعجاز» في إثارة الاندهاش، فما بالك إذا كان إعجازا من قبيل الإعجاز القرآني! فعندئذ، لا بد أن يبلغ اندهاش المرء نهايته.

وعلى هذا، فإذا كان التفلسف، كما قيل، يبدأ بالاندهاش، فإن الاندهاش الذي هو بداية الحكمة ليس فوقه اندهاش، حيث إنها تحظى به في تأمل إعجاز القرآن الداعي إلى منتهى الاندهاش،

بما أنه هو مجلّى اسم الحكيم من أسماء الله الحسنى؛ ومن هنا، ندرك لم بدأ بديع الزمان مساره في الحكمة بالاشتغال ببيان إعجاز القرآن، عملا بالرؤية الصادقة التي رآها، وهي رؤية انفلاق الجبل المذكورة أعلاه، إذ جاءه فيها شخص عظيم بأمر مخصوص، قائلا: «يُبين إعجاز القرآن».^(٢٠)

ب- مبدأ الاستشكال: يرى بديع الزمان أن الصورة الأصح والأتم لمبدأ الاستشكال تتحقق هي الأخرى في حكمة القرآن، وذلك من وجهين هما:

• أن القرآن يحدد أفضل نطاق يمكن أن توضع فيه الأسئلة، ذلك أن السؤال لا يستقيم إلا إذا دار على مقصد مخصوص، والقرآن له مقاصد أصلية هي: «التوحيد» و«الوحي» و«الآخرة» و«الاستقامة» أو بتعبير بديع الزمان، «إثبات الصانع» و«النبوة» و«الحشر» و«العدالة»؛^(٢١) فما من آية من آياته البينات إلا وتتعلق بمقصد واحد أو أكثر من هذه المقاصد الأربعة، بل إن الآية الواحدة، على قصرها، قد تشتمل عليها جميعها، نازلة بذلك منزلة القرآن كله؛ وأما ما جاء فيه من مقاصد أخرى تتصل بالكائنات وخصائصها، فهو تابع لهذه المقاصد الأربعة وخادم لها؛ وعلى هذا، ينبغي أن تدور أسئلة الحكيم على هذه المقاصد وحدها، ولا تخرج إلى التساؤل عن الخواص الطبيعية للموجودات إلا أن يكون ذلك بغرض تبين هذه المقاصد الأصلية من ورائها.

• أن القرآن يجيب على أفضل وجه عن الأسئلة الموضوعة، فقد تقدم أن هذه الأسئلة ينبغي أن تتعلق بالمقاصد الأربعة المذكورة، أي أن تكون كالتالي: «من أين؟ وبأمر من تأتون؟ من سلطانكم ودليلكم وخطيبكم؟ وما تصنعون؟ وإلى أين تصيرون؟»؛^(٢٢) والقرآن هو وحده القادر على إيراد الأجوبة الصحيحة على مثل هذه الأسئلة والتي تكون شفاء لما في الصدور.

ج- مبدأ الاستدلال: يرى بديع الزمان أن الصورة الأشمل والأيقن لمبدأ الاستدلال تتحقق هي الأخرى في القياس التمثيلي الذي تأخذ به حكمة القرآن، وذلك من الوجوه الآتية:

• أن هذا القياس يفيد في إقناع كافة الناس ولا يقتصر على فئة معدودة منهم، كما أنه يتسع لفنون مختلفة ولا ينحصر في فن واحد منها،^(٢٣) نظرا لأنه يلبس الحقائق المخبر بها لباس مألوفات الجمهور ومتخيلات، ولا يكلفه إدراكها على صورتها المجردة.^(٢٤)

• أنه يُمكن من تحصيل منظور تقريبي لما يجاوز طور العقل المجرد من الحقائق الإلهية وشؤون الربوبية،^(٢٥) فيكون أقدر من هذا العقل.

• أنه يؤمن طاعة الخيال للعقل، فيُحد من تشكيكاته وتقويماته التي تتهدد عادة استدلالاته غير التمثيلية،^(٢٦) فيكون أقوى من هذه الاستدلالات.

• أنه يجمع بين الطريقتين الإدراكيين المتقابلين للإنسان، وهما: طريق العقل وطريق الوجدان،^(٢٧) فيكون استدلالا متكاملًا.

• أنه يُثبت قانونا كليًا بإظهار حالة خاصة منه في صورة مثال جزئي؛^(٢٨) ومعنى هذا أن المثال عند بديع الزمان ليس مجرد شيء مشابه للشيء المُمثل، بل يحكمه نفس القانون الذي يحكم هذا الشيء، بحيث يكون التمثيل عنده أقرب إلى الاستقراء منه إلى الاستنباط (أو القياس الجامع).^(٢٩)

ومما تقدم، يتبين أن الحكمة لا يمكن أن تجتمع مع الفلسفة، لأن الخير والحق يصيران كلُّهما في جانب الحكمة والشرُّ والباطل يصيران كلُّهما في جانب الفلسفة، فتكونان متباينتين تباين النوعين؛ لذا، صح أن نسمي هذا الفصل النوعي بينهما باسم «الفصل الاستبدالي»،^(٣٠) إذ تصبح الحكمة البديل الذي لا غنى عنه.

ومن شأن العمل بهذا الفصل الثاني أن يُخرج لنا إنسانا متبصرا ومعتبرا ومعتزفا وسعيدا وناجيا، أو قل إنسانا مَرُضيا عليه.

وإذا اجتمعت للإنسان الهداية والرضى، كان إنسانا منعما عليه؛ فإذا الحكيم الذي يختص بكونه يجعل الحكمة تسود الفلسفة، بل يجعلها تستغني كليًا عن خدمة الفلسفة يكون حقًا من أولئك الذين أنعم الله عليهم.

وخلاصة القول من هذا التحليل لموقف بديع الزمان من العلاقة بين الفلسفة والحكمة هي أن بديع الزمان انقلب من حال الفيلسوف الذي يوافق فلاسفة الإسلام في القول بالوصل بين الفلسفة والحكمة، إما وصل تداخل يجلب الضلالة أو وصل تصاحب يجلب غضب الله، إلى حال الحكيم الذي يقول بضرورة الفصل بينهما، إما فصلا استتباعيا يجلب الهداية، فتكون الفلسفة في خدمة الحكمة، أو فصلا استبداليا يجلب رضى الله، فتكون الحكمة بديلا عن الفلسفة.

وواضح أن هذا الانقلاب انقلاب «كوبيرنيكي» بحق؛ فبعد أن كانت الفلسفة تُعدّ موصولة بالحكمة، صارت تُعدّ مفصولة عنها؛ وبعد أن كانت الفلسفة تستتبع الحكمة في حالة الاختلاف بينهما، أصبحت الحكمة هي التي تستتبع الفلسفة في حالة الاتفاق بينهما؛ وبعد أن كانت الفلسفة تضاهي الحكمة وجودا، أضحت لا تضاهيها في هذا الوجود، بل أضحت تفقده بوجود الحكمة.

وحينئذ، لا نستغرب أن يلح بديع الزمان أيما إلحاح على وجود طورين متضادين في حياته: سعيد القديم وسعيد الجديد؛ ولذا، نعتقد أن العناصر التي تفرّق بين هذين الطورين ينبغي البحث عنها في الموقفين المتعارضين اللذين وقفهما من العلاقة بين الفلسفة والحكمة، بحيث يكون الوصل بينهما هو المعيار الذي نحدد به فكر سعيد القديم ويكون الفصل بينهما هو المعيار الذي نحدد به فكر سعيد الجديد.

لكن هذا الانقلاب «الكوبيرنيكي» هو نقيض للانقلاب «الكوبيرنيكي» الذي قام به «كانط»؛ فإذا كان «كانط» قد جعل الحكمة تابعة للفلسفة في حال اتفاقهما، فإن بديع الزمان، على العكس من ذلك، يجعل الفلسفة تابعة للحكمة في الحال ذاته؛ وإذا كان «كانط» قد جعل الفلسفة بديلا عن الحكمة في حال تعارضهما، فإن بديع الزمان، على العكس من ذلك، يجعل الحكمة بديلا عن الفلسفة في الحال ذاته.

ومن هنا، يظهر جليًا أن البعد الذي يكتسبه إنتاج بديع الزمان لا ينحصر في تركيا حيث آثار الفلسفة «الكانطية» قد فعلت فعلها وبدلت قيم أهلها تبديلا، ولا هو ينحصر في الأمة الإسلامية التي تفككت أوصالها وفقدت وجهتها، وإنما يتعدى ذلك إلى العالم بأسره ليُنقذ الإنسان، خاصيته وعاميته، من سلطان فكر فلسفي أضرب بوجوده في هذا العالم؛ ومن كان هذا عمله، فما أجدر به أن يُعدّ في حكماء العالم الذين رفعوا همة الإنسان إلى الاضطرلاع بأمور روحه كاضطرلاعه بأمور جسمه، ومهدوا الطريق إلى تجديده، فاستوى إنسانا آخر في عالم آخر. ❏

(*) كلية الآداب، جامعة محمد الخامس - المغرب.

إذ هو شارح «أرسطو» الأكبر؛ ولا نريد أن نخوض هنا في الأسباب التي تكون قد دعت به إلى هذا التكتم، وإنما يكفي أن نقول بأنه يجوز أن يفعل ذلك، إشفاقاً عليه ورفقاً باتباعه المعاصرين.

(١٤) إشارات الإعجاز، ص ٣٦.

(١٥) يقول: «القرآن المبين أسمى وأغنى من أن يفتقر إلى تركية العقل والنقل اللذين ألقيا إليه المقاليد، لأنه إن لم يركبهما، فشهادتهما لا تُسمع»، صيقل الإسلام، ص ٣٦.

(١٦) يقول: «فمضى استجارت الفلسفة بالدين وانقادت إليه وأصبحت في طاعته، انتعشت الإنسانية بالسعادة وعاشت حياة اجتماعية هنيئة؛ ومضى انفرجت الشقة بينهما وافترقنا، احتشد النور والخير كله حول سلسلة النبوة والدين وتجمعت الشرور والضلالات كلها حول سلسلة الفلسفة»، الكلمات، ص ٦٣٩.

(١٧) لتلاحظ أن الفصل الاستنباعي بين الحكمة والفلسفة، لما كان فصلاً في الدرجة فحسب، جاز أن تجتمع فيه الحكمة والفلسفة اجتماع التابع مع المتبوع، بحيث يكون وضعه المنطقي أشبه بوضع ما يُسمى بـ «رابط الفصل الجامع»، وهو الفصل الذي يمكن أن يصدق فيه الطرفان المفصولان معاً؛ ولا ينفع الاعتراض بأنه نوع من الوصل التداخلي، ذلك لأنه لا يشارك هذا الوصل إلا في هذه الحال من حالات الصدق، ويختلف عنه في إمكان أن يصدق بصدق أحد المفصولين دون الآخر، أو قل بإيجاز إن الجمع الذي يكون مع تخيير ليس كالجمع الذي لا تخيير معه.

(١٨) يرى بديع الزمان أن الفلسفة الحديثة أقل ضرراً من الفلسفة القديمة، لأنها أكثر منها أخذاً بأسباب العقل والنقد والعلم؛ انظر صيقل الإسلام، ص ٤١، وأيضاً ص ٣٥-٣٦.

(١٩) الملاحق، ص ٢٨٦-٢٨٧.

(٢٠) المكتوبات، ص ٤٧٥؛ الملاحق، ص ١٨٣.

(٢١) إشارات الإعجاز، ص ٢٤؛ صيقل الإسلام، ص ١٢٠.

(٢٢) صيقل الإسلام، ص ٢٩؛ وأيضاً، إشارات الإعجاز، ص ٢٣.

(٢٣) صيقل الإسلام، ص ٣٢٠.

(٢٤) صيقل الإسلام، ص ٥٩.

(٢٥) المكتوبات، ص ٣٧٦.

(٢٦) يقول: «ولقد أكثر القرآن الكريم من التمثيلات إلى أن بلغت الألف، لأن في التمثيل سراً لطيفاً وحكمة عالية، إذ به يصير الوهم مغلوباً للعقل والخيال مجبوراً للانقياد للفكر...»، إشارات الإعجاز، ص ١١٣.

(٢٧) إشارات الإعجاز، ص ١٢٦.

(٢٨) الكلمات، ص ٧٣٥-٧٣٦.

(٢٩) معلوم أن فقهاء العلم اختلفوا كثيراً في تحديد البنية المنطقية لقياس التمثيل، فبعضهم جعلها بنية مستقلة وبعضهم جعلها أشبه ببنية الاستقراء في حين جعلها غيرهم أشبه ببنية الاستنباط، ورأينا أنها بنية كبرى مركبة من بنيتين فرعيتين: بنية استقرائية وبنية استنباطية، انظر التفاصيل في كتابنا: تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص ٦٥-٦٦.

(٣٠) لتلاحظ أن الوضع المنطقي للفصل الاستنبالي أشبه بوضع ما يُسمى بـ «رابط الفصل المانع» (أو «الفصل الاستبعادي»)، ومعلوم أن هذا الرابط لا يصدق إلا بصدق أحد المفصولين دون الآخر.

(١) يقول: «إن الفلسفة التي توصل إليها الإنسان تحجب معجزات القدرة الإلهية وخوارق رحمته تعالى بستار العادات، فلا ترى دلائل الوجدانية المضمرة تحت تلك العاديات وتلك النعم الجليّة، ولا تبينها ولا تدل عليها، بينما إذا ما رأت ما هو خارج عن العادة من جزئيات خاصة، تتوجه إليه وتهتم به»، الملاحق، ص ٣٥٨.

(٢) يقول: «أما حكمة الفلسفة، فهي تخفي جميع معجزات القدرة الإلهية وتستترها تحت غطاء الإلفة والعادة»، الكلمات، ص ١٥٠.

(٣) يقول: «إذا تحبّط ذلك العقل في وحل الضلالة والكفر، فإنه يصبح آلة تعذيب ووسيلة إزعاج، مما يجمع من آلام الماضي الحزينة ومخاوف المستقبل الرهيبة»، الشعاعات، ص ١٩.

(٤) يقول: «إن الفرق بين طريقي في «قطرة» الاستفادة من القرآن وطريق أهل النظر والفلاسفة هو أنني أحفر أينما كنت، فيخرج الماء؛ وهم تشبثوا بوضع ميازيب وأنايب لمجيء الماء من طرف العالم ويُسلسلون سلاسل وسلاسل إلى ما فوق العرش لجلب ماء الحياة، فيلزم عليهم بسبب قبول السبب وضع ملاين من حفظة البراهين في تلك الطريق الطويلة لحفظها من تخريب شياطين الأوهام»، المثنوي العربي النوري، ص ١٧٠.

(٥) يقول: «وبسر التوحيد [...]»، ينكشف السر المغلق للأسئلة المحيرة: من أين يأتي سيل الموجودات وقافلة المخلوقات؟ وإلى أين المصير؟ ولم جاء؟ وماذا يعمل؟...»، الشعاعات، ص ١٤.

(٦) «فلولا التوحيد لأصبح الإنسان أشقى المخلوقات وأدنى الموجودات وأضعف الحيوانات وأشدّ ذوي المشاعر حزناً وأكثرهم عذاباً وألماً»، الشعاعات، ص ١٨.

(٧) يقول: «فالنظرة القرآنية إلى الموجودات تجعل الموجودات حروفاً، أي إنما تعبر عن معنى في غيرها، بمعنى أنها تعبر عن تجليات الأسماء الحسنى والصفات الجليّة للخالق العظيم المتجلية في الموجودات؛ أما نظرة الفلسفة -المادية- الميتة فتتنظر في الأغلب بالنظر الاسمي إلى الموجودات، فتزل قدمها إلى مستنقع الطبيعة...»، الملاحق، ص ٩٠.

(٨) «أما الفلسفة، فإنما تنظر من الموجودات إلى وجوها الناضرة إلى أنفسها وأسبابها»، المثنوي العربي النوري، ص ٧٧.

(٩) الكلمات، ص ٦٤٦.

(١٠) «إن أهل الضلالة في هذا العصر قد امتطوا «أنا»، فهو محبوب بهم في وديان الضلالة؛ فأهل الحق لا يستطيعون خدمة الحق إلا بترك «أنا»، وحتى لو كانوا على حق وصواب في استعمالهم «أنا»، فعليهم تركه، لئلا يشبهوا أولئك، إذ يكونون موضع ظنهم أنهم مثلهم يعبدون النفس»، المكتوبات، ص ٥٤٩.

(١١) «والطريق الثاني المشار إليه بـ «الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ»، فهو مسلك عبدة الأسباب والذين يحيلون الخلق والإيجاد إلى الوسائط ويسندون إليها التأثير، ويريدون بلوغ حقيقة الحقائق ومعرفة واجب الوجود ﷻ عن طريق العقل والفكر وحده كالحكماء المشائين»، الكلمات، ص ٦٥٠.

(١٢) وذلك مصداقاً للآية الكريمة: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ (يونس: ٩٢).

(١٣) تحاشى بديع الزمان أن يذكر ابن رشد باسمه -على خلاف ما فعل مع الغارابي وابن سينا- ولكنه نبه عليه بالصفة التي اشتهر بها، وهي «المشائي»،

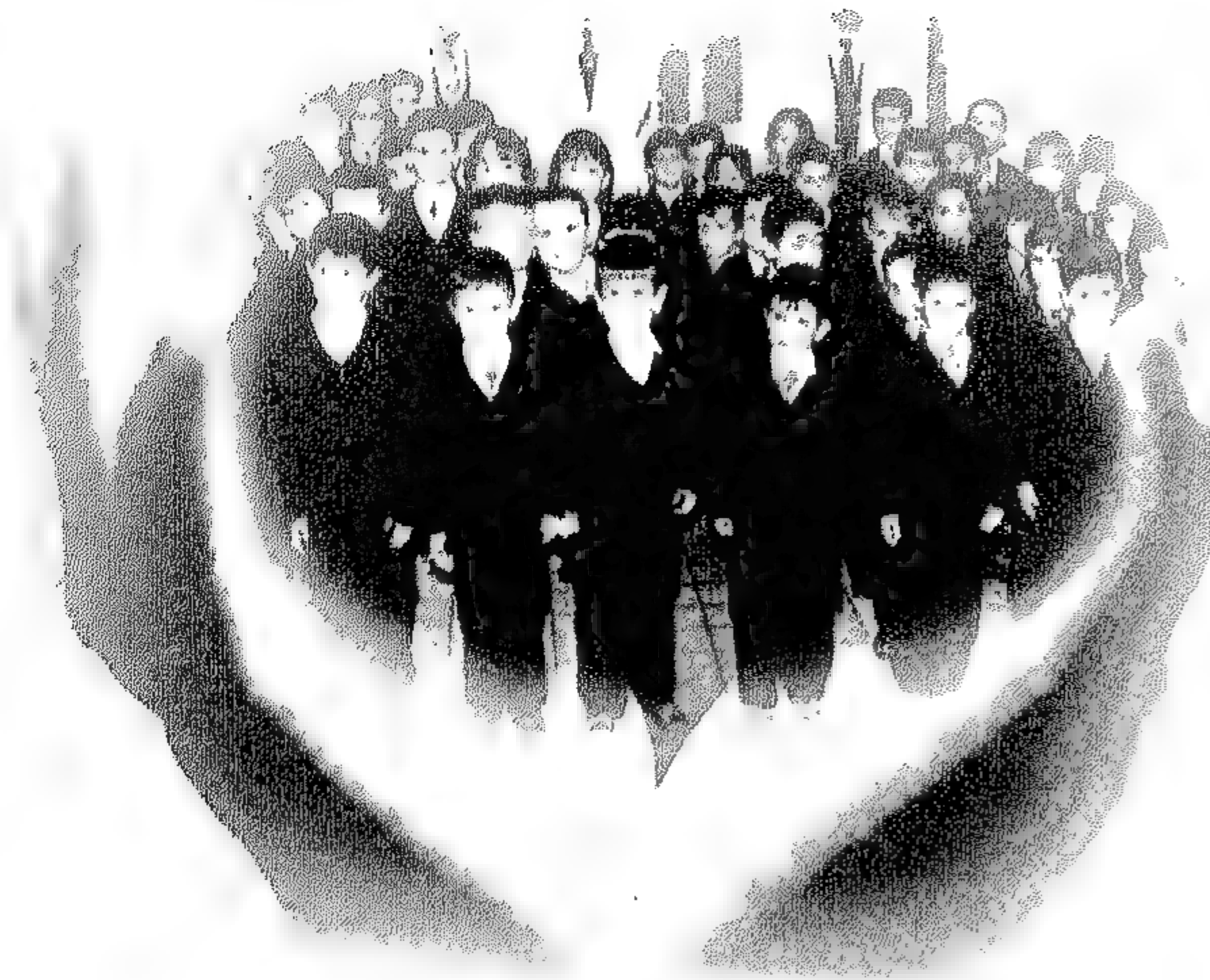


نبيلة الخطيب *

إليك سآوي

إليك سآوي
إذا ما تخففت
من كل هذا الأديم
كما السهم..
من بؤرة القوس
أرنو لميعاد عهدٍ قديمٍ.. قديم،
فأنت الفضاء
إذا ضاقت الأرض
أنت الرفيق
إذا سافر العمر
ثم إذا خلت الدار
أنت النديم،
إليك أفر
ولست بخائفة غير منك
لديك أقر..
أجرني..
فإني نفضت عن القلب
وهم العذابات
والذكريات التي لا تليق
وأدركت أني غفوت طويلاً
على غرق من سديم عتيق
أجرني..
لقد عدت يا سيدي
بين جنبي وهج
يذيب صقيع الذوائب
كي يشعل الروح شوقاً
يسر بل قلبي هوئى سرمدى
وإني وقد فرقتني المسافات

أمسيث أهفو إلي
فأين تراني
إذا لم أجدني سأغدو
وقد أهكتني الأعاصير ليا؟
حفاة أتينا
ونمضي حفاة
فما بالنا بين هذا وذاك
نطيل السباتا؟
ألم يدرك القوم
من عهد قارون
أن الذين يروحون
لا يهجون بما يهجون؟
وأن المسافر
يستدبر الدار عند الرحيل
ويستقبل الفيء عند المقيـل؟
هنيئاً لمن مكنوا الحرث
قبل انهمار السماء
وبالزيت طفت قناديلهم
حينما أغمض الليل جفن الضياء
أيا سيد النفس!
تشاقلك النفس
تهفو إليك
فإما يؤذن في الروح لحن رخم
سأنفك عن صفحة الطين عجلي
وآتي..
فدعني جوارك
في روضة
من نعيم مقيم. 



التربية ودفع المشاعر

محمد حسين محمد *

فإذا حرم الطفل هذا الحب والإحساس بالأمان لأي سبب من الأسباب فإنه يصيبه القلق وتضطرب شخصيته ويصبح عرضة فيما بعد للإصابة بالخوف والتوتر الذي قد يؤدي إلى المرض النفسي. وقد حث الرسول ﷺ الناس جميعهم على الحب والمودة، وذلك أن نبأ بحب الله ورسوله؛ وقد كان من دعائه ﷺ: «اللهم ارزقني حبك وحب من ينفعني حبه عندك، اللهم ما رزقني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب، اللهم وما زويت عني مما أحب فاجعله لي قوة فيما تحب» (رواه الترمذي).

إن حب الإنسان لله تعالى هو المنبع الرئيسي لكل مشاعر الحب التي يشعر بها الإنسان لكل شيء آخر في الوجود؛ فمن حب الإنسان لله تعالى ينبعث حبه لرسول الله ﷺ ثم حبه لتلاميذه بل لجميع مخلوقاته وحبه لفعل الخير وحب كل من يقربه إلى الله تعالى. ويظهر هذا بوضوح في قول الرسول ﷺ: «من أحب لله وأبغض لله وأعطي الله ومنع الله فقد استكمل الإيمان» (رواه أبو داود).

وإذا أحب المعلم المؤمن تلاميذه وحنأ عليهم وأحاطهم بحبه وأشعرهم به، فربّت على كتف هذا، وابتسم في وجه هذا، ولم يعنف هذا، وشجع هذا، وعزز أداء هذا، فإن رد الفعل لتلاميذه أنهم يطيعونه؛ فالمحب يطيع محبوبه ويحترمه ويقدر دوره في حياته، وإذا استشعر التلميذ بأن حب المعلم له نابع من حبه لله ورسوله زاد في سلوكياته السوية وزاد في إخلاصه لمعلمه ولزملائه. وبهذا يصبح الطلاب أفراداً يتمسكون بتعاليم دينهم ومبادئه، ويلتفون حول معلمهم يتعلمون منه ويقتدون

إن صياغة عقل التلميذ وتشكيل وجدانه الإنساني منوطان بالسنوات الأولى من حياته المدرسية. فما لم يكن المعلم دافئ المشاعر ورقيق الأحاسيس، ومفعم الوجدان بحب الإنسان وعشق الطفولة، فإن العملية التربوية برمتها يمكن أن تتعرض للإخفاق. فالمعلم والتلميذ قطبا العملية التربوية.

أولاً: المعلم ودفع المشاعر

«المعلم هو حجر الزاوية في العملية التعليمية»، هذه مقولة يرددونها ويؤكد عليها التربويون. وذلك لأن المعلم الفعال الناجح هو القادر على تحويل المناهج الصلدة إلى مواقف تعليمية وأنشطة مؤثرة تهّي المجال لنمو الطفل في جميع النواحي: الوجدانية والمعرفية والنفسية والحركية. ومهما كانت الإدارة المدرسية ناجحة، ومهما كان نمو المناهج والبيئة المعرفية في تطور واستمرار دائم، وكان ذلك في وجود معلم ليس على قدر من الإيمان بالعملية التربوية والحنكة (الخبرة) الفنية؛ فإن العملية التعليمية لن يكتب لها النجاح ولن تحقق الهدف المرجو منها.

المربون جميعاً متفقون على أن المعلم المتصف بـ«دفع المشاعر» هو مؤسس الأمم. فالحب عامل هام في تكوين العلاقات السليمة بين الناس، وهو الذي يؤلف بينهم، ويدفعهم إلى التفاعل والتماسك والتكافل. والمعلم الممتلئ بالمحبة لتلاميذه يقوم بالدور الأساسي في تكوين شخصيتهم. وإحاطة المعلم للطفل بمشاعر المحبة والحنان والعطف يثبت في نفسه الشعور بالأمن والطمأنينة التي هي أساس الحاجات النفسية الأخرى من رغبة في النجاح وتقدير الآخرين وإثبات الذات...

به، ويأتمرون بأمره، مما يجعلهم في المستقبل صفاء واحداً وقلباً واحداً في مواجهة تكاليف الحياة.

أ- كيف يحب المعلم تلاميذه وكيف يجعلهم يحبونه؟

- أن يكون على طبيعته وسجيته، وأن يُفصح عن شخصيته وما يحب وما يكره، وأن يعبر عن آرائه.
- أن يشجّع التلاميذ على الاقتراب منه، وعلى الصراحة والوضوح معه، مع حرصه على أن يحافظ على أسرارهم.
- أن يؤثر فيهم ويسهم في علاج مشكلاتهم.
- أن يستخدم الاقتراب الفيزيقي للتلاميذ غير المهّدد، ويمكن استخدام الاقتراب من التلاميذ كوسيلة للتعبير عن الإحساس بالثقة والانفتاح.

- أن يستخدم روح الدعابة مع التعبير عن الإحساس بالثقة والانفتاح.
- أن يشجّعهم على إبداء آرائهم والتعبير عن مشاعرهم وأفكارهم.
- أن يكون قدوة حسنة لهم في كل أعماله وسلوكه مقللاً من الإرشادات العلاجية والانتقادات.

- أن يستخدم حواسه كلها في التقرب إليهم.
- أن يحرص على زيارة تلميذه إذا مرض.
- أن يكون مستمعاً جيّداً لتلاميذه ويشجّعهم على الكلام وإبداء آرائهم.
- أن يُشعر الطالب بأهميته عنده.

ب- اختلاف جنس المعلم حسب المرحلة التعليمية

في مرحلة ما قبل المدرسة التي تعرف باسم الروضة المرأة هي الأنسب لهذه المرحلة (4-6 سنوات)، فهي امتداد لدور الأم في عملية التنشئة الاجتماعية، حتى لا يشعر الطفل بأي فرق في حياته المنزلية وحياته المدرسية الجديدة. فالإشباع النفسي

وبث الطمأنينة وشعوره بالأمن يجعله بعيداً عن الخوف والقلق والتوتر كما يجعله يشعر بالرضا والغبطة والسعادة، لأن تكوينها الجسمي والنفسي مؤهل لذلك؛ فهي تسعى إلى تحقيق الطمأنينة لأفراد في حاجة إلى الأمن والطمأنينة. وفي هذا الجو الآمن تبدأ العلاقات الاجتماعية للطفل فيكتسب الشعور بقيمته وبذاته، وفي هذا الجو تتكون خبراته الأولى بالحب والحماية والأمن والطمأنينة، كما يزداد تفاعله مع جماعة الفصل، وهكذا تتبلور شخصية الطفل في جو صحي.

أما في المرحلة الثانوية سواء البنين أم البنات فالطالب في حاجة إلى صديق يثق فيه ويستمتع إليه ويوجهه.

ج- التصرفات التي يجب أن يتجنبها المعلم حتى يحبه التلاميذ

يأتي على رأس التصرفات التي يجب أن يتجنبها المدرس التفرقة في المعاملة وذلك أن أساس المعاملة في الإسلام هو العدل، يستوى في ذلك الصغار والكبار على السواء، لذا أكد النبي ﷺ على ضرورة مراعاة العدل بين الأبناء فقال: «اعْدِلُوا بين أبنائكم، اعْدِلُوا بين أبنائكم» (رواه النسائي).

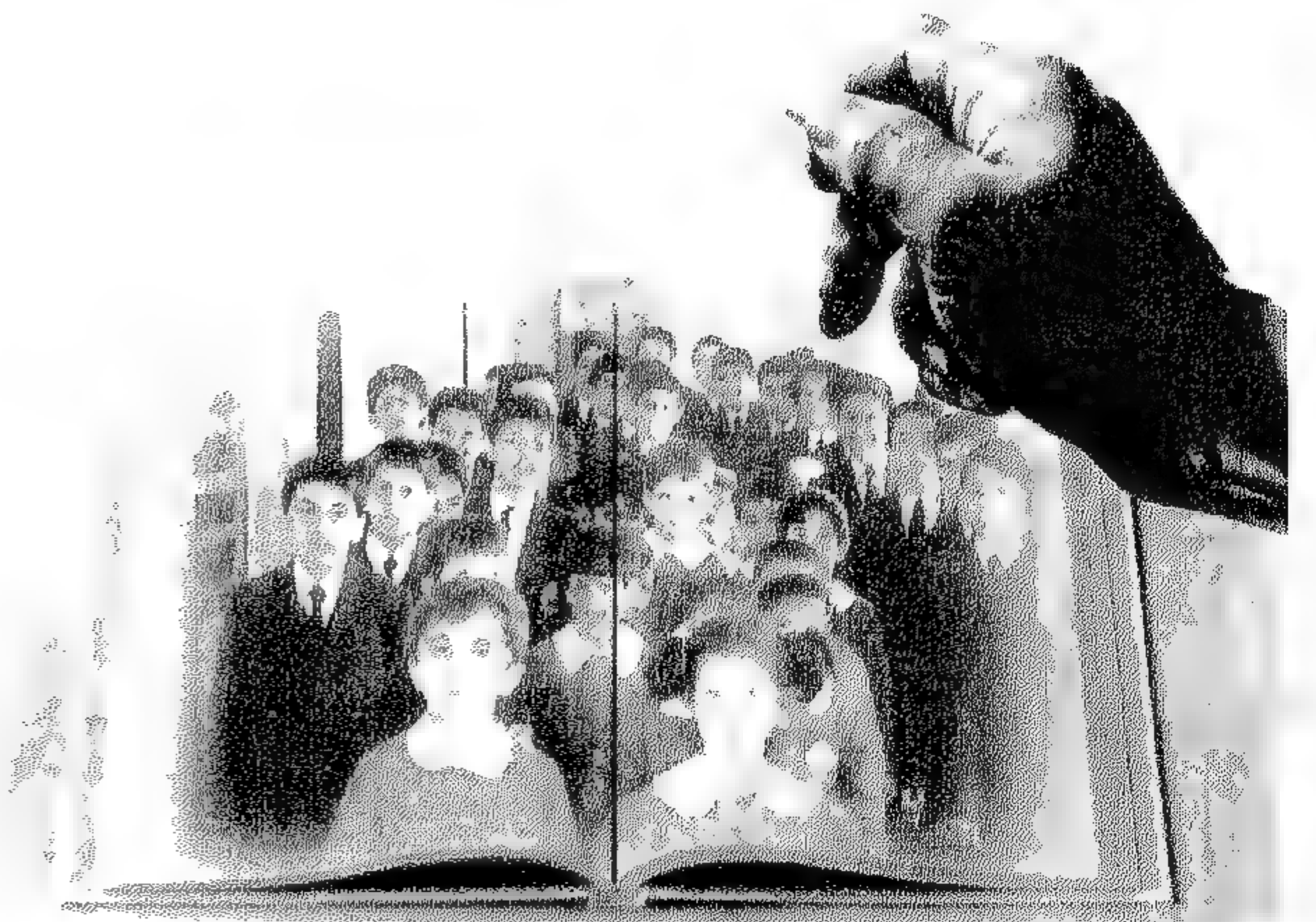
وقد يُفرط المدرس في معاملة تلميذه، ويدلّله كثيراً ولا يظهر الحزم في المواقف التي تحتاج إلى حزم، أو يثير الغيرة بينه وبين غيره من تلاميذ فصله؛ فيكثر من الموازنات بينهم أو خلُق جو يشعر التلاميذ بالتفرقة فيما بينهم في التقدير والمعاملة.

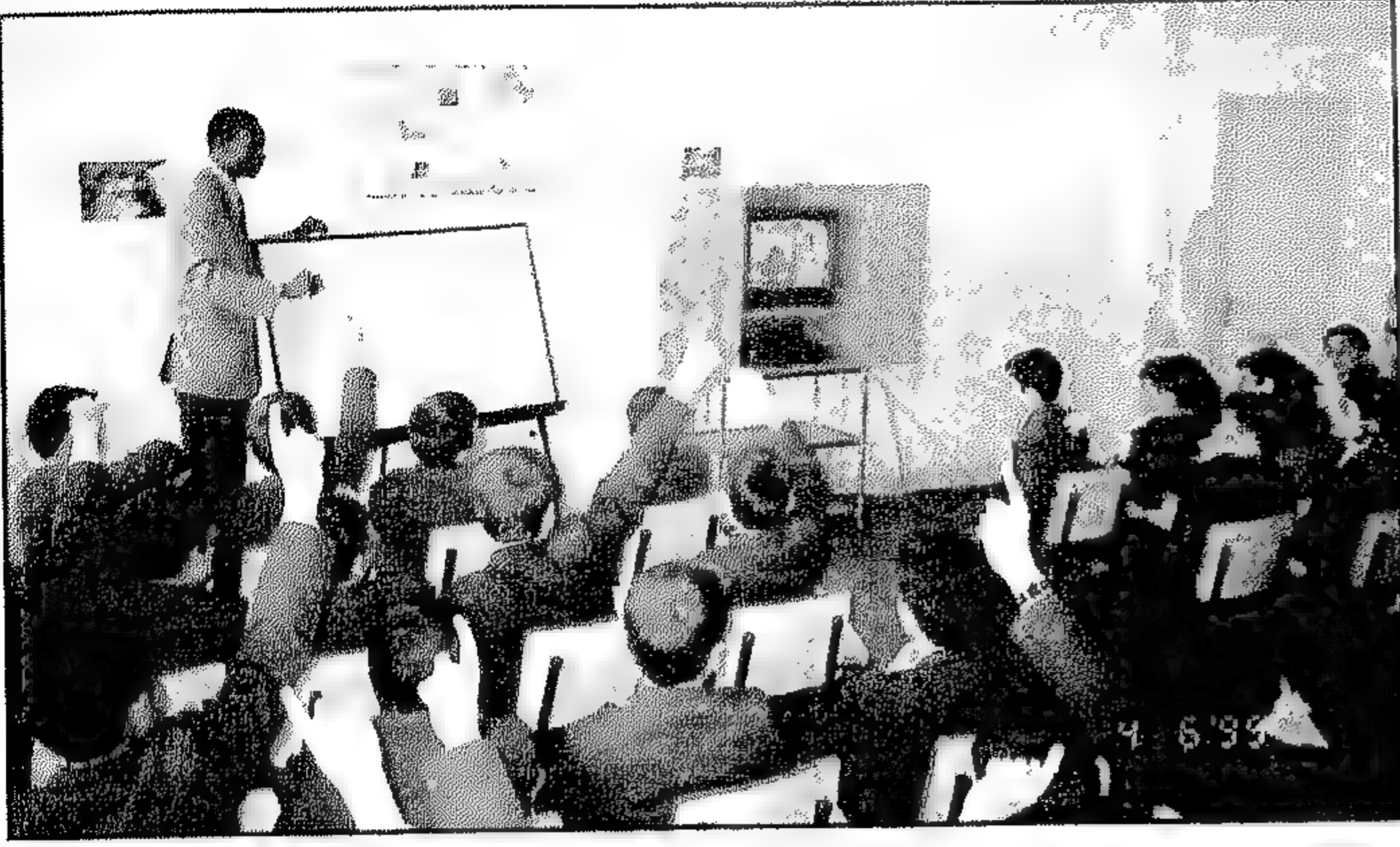
كما يجب على المعلم ألا يُشعر أي تلميذ في الفصل بأنه يتجاهله؛ فالإنسان يكره أن يهمله أحد أو يتجاهله. ففي مشاعر كل إنسان رسالة صافية تقول: «من فضلك زكّي! من فضلك تقبل وجودي، لا تمر عليّ غير أبيه بي، أرجوك الاعتراف بكياني».

ثانياً: دفء المشاعر عند الوالدين واستكمال المعلم لهذا الدور

حب الطفل لأمه هو أول حب يشعر به عند ميلاده، وذلك لارتباط الأم بإشباع جميع حاجاته الأساسية وما يصاحب إشباعها من شعور بالمتعة واللذة. ثم يتكون بعد ذلك حبه للآخرين المحيطين به كالأب والإخوة والأصدقاء والأقارب والجيران والناس عامة.

وكما يشعر الطفل بحبه لوالديه ولأفراد أسرته، فإنه يشعر كذلك بحبهم له وعطفهم وحنانهم عليه واهتمامهم به ورعايتهم له. وهذا الجو المشبع بالحب المتبادل الذي ينشأ فيه الطفل عامل





هام في تكوين شخصيته السوية وشعوره بالأمن النفسي والثقة بالنفس والسعادة.

ويلعب المعلم دور الأب أو الأم في المدرسة، فهو باقترابه من الطفل والإحساس به والشعور بالحب نحوه تكمل المسيرة في عملية التربية، بل ويؤكد للطفل استمرارية الجو المشبع بالحب في الحياة.

والطفل الذي ينشأ هذه النشأة السوية يشعر عادة بحبته للناس جميعهم ويتودد إليهم، ويحسن معاملتهم ويعطف على من يحتاج منهم إلى عطف، ويقوم بمد

يد العون إلى من يحتاج منهم إلى عون أو مساعدة. ومحبة الإنسان للناس ومساعدتهم ومد يد العون إليهم من العوامل الهامة التي تجعل الإنسان يشعر بالانتماء إلى المجتمع وبأنه عضو نافع فيه. وإن من شأن ذلك أن يجعله يشعر بالرضا عن نفسه وبالغبطة والسعادة. وقد أدرك المحللون النفسيون المحدثون أهمية العلاقات الإنسانية في الصحة النفسية للإنسان.

ثالثاً: دفء المشاعر في الجو المدرسي

لا يكفي المعلم وحده في إشاعة جو المحبة في المدرسة، بل لا بد من تضافر جهود الجميع لتحقيق ذلك. فالحب مسؤولية جميع العاملين، ولكي يسود الجو المدرسي الحب والألفة والمحبة يمكن الأخذ بالتوصيات الآتية:

• أن يكون المعلمون قدوة حسنة في أفعالهم وأقوالهم.

• أن يشعر العاملون بالمدرسة بأن روح الحب والألفة والمودة تنتشر بينهم، وقد علمنا رسول الله ﷺ أن نخبر من نحبنا له فقال: «إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه» (رواه أبو داود).

• الابتسامة والملاطفة بين كل العاملين تدخل السرور على قلب كل من يعمل في المدرسة، فهكذا كان خلق رسول الله ﷺ. قال جرير بن عبد الله ﷺ: «ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رأيته إلا ضحك» (رواه مسلم). وما قاله عبد الله بن الحارث ﷺ: «ما رأيته أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ» (رواه الترمذي). فالابتسامة هي انفراج الأسارير عن انفعالات صادقة داخل النفس تحرك الوجدان، وتعبيرات الوجه تتكلم بصوت أعمق أثراً من صوت اللسان.

• أن يكون شعار كل العاملين: «إذا أردت أن يحبك الناس فازهد فيما عند الناس»

• البعد عن سوء الظن والبغضاء امثالاً لقوله ﷺ: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا

ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً» (رواه مسلم).

• أن يحرص العاملون على التزاور، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله ناداه مناد أن طيب وطاب ممشاك وتبوأ من الجنة منزلاً» (رواه الترمذي). فالزيارة وسيلة لزيادة الصلات ولزيادة المودة والتآلف بين القلوب.

• أن يسود الجو المدرسي التسامح. فالواجب على المسلم أن يتخلق مع الناس بخلق الحلم والعفو والتسامح. فإن الصدود وإضرار الانتقام وانتظار الرد بالمثل تزيد حرارة القلب حتى تدعه قلقاً مضطرباً. وكان ﷺ يغرس في نفوس المسلمين دوماً خلق العفو والتسامح وإن قوبل بالصد والإعراض والقطيعة قال تعالى: «وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» (النور: ٢٢).

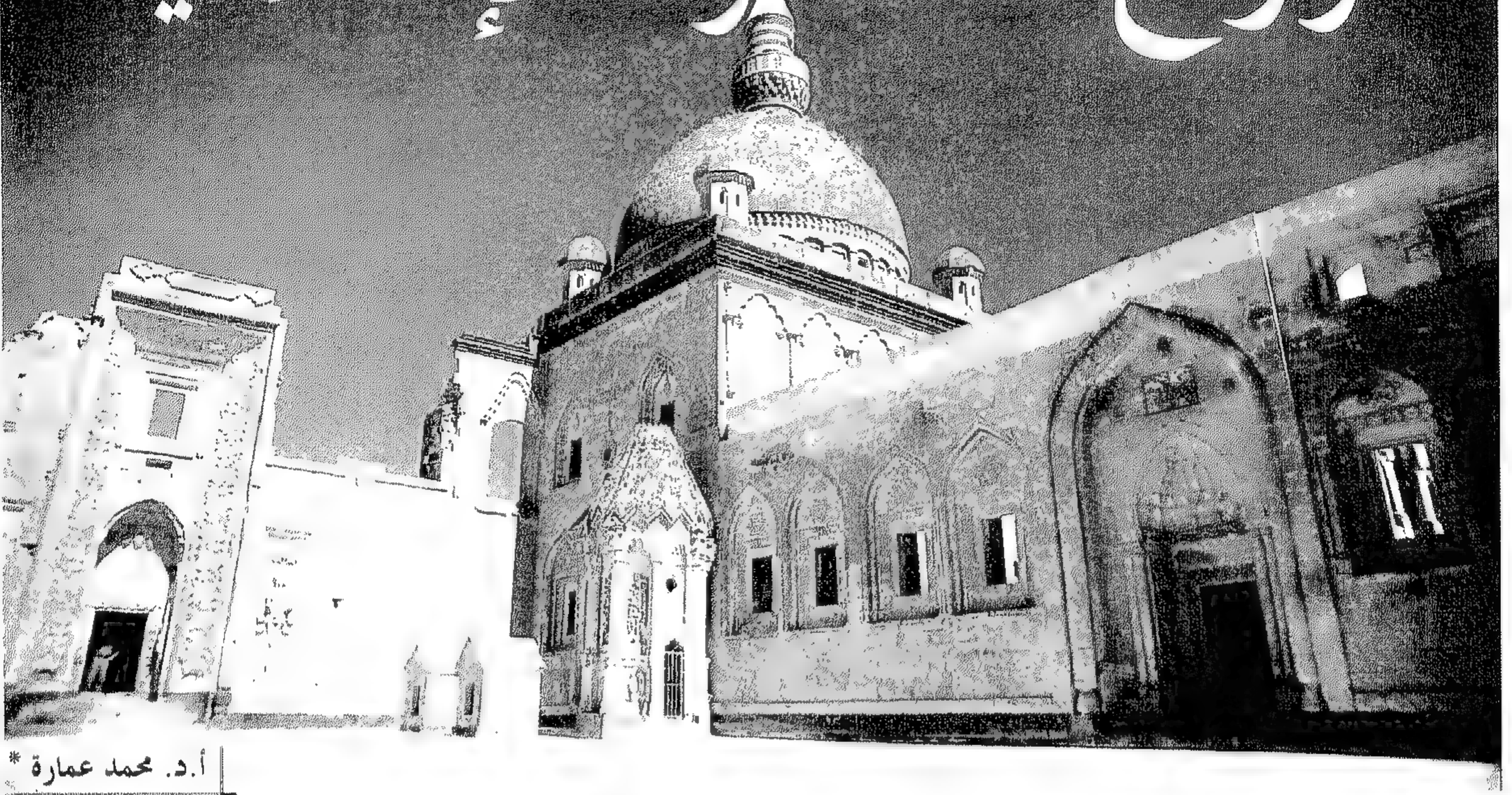
• أن يضع كل من يعمل في المدرسة نفسه في خدمة أخيه وزميله، ويمد له يداً مخلصه نافعة مجردة من الأنانية والمصلحة الذاتية. والنبى ﷺ يقول: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلّمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه بها كربة من كربة يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة» (رواه مسلم).

• أن يظلل تعاملنا مع أولياء الأمور وغيرهم من زائري المدرسة الآية الكريمة: «خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ» (الأعراف: ١٩٩).

وبعد، هذا ما حضرني من أفكار حول العمل التربوي الإسلامي والإنساني، آمل أن أكون قد أسهمت ولو بقسط لا بأس به في رسم معالم العلم التربوي المطلوب. هذا وفوق كل ذي علم عليم. ﷻ

(*) مستشار البحوث التربوية بوزارة التربية والتعليم بمصر سابقاً، والمستشار التربوي لجمعية مصر المحروسة.

روح الحضارة الإسلامية



أ.د. محمد عمارة *

الإنسان، وتحقيق عبوديته لله بالشعائر المعبرة عن الإيمان القلبي، والمفصحة عن علاقته بالسماء.. وإنما امتدت هذه الدعوة لتحقيق ائتلاف هذا الإنسان بالأمة والمجتمع والكون، فتوحدت في نفس هذا الإنسان عوالم الغيب والشهادة، وائتلفت فيها وتوازنت علاقات الفرد بالمجموع، والخاص بالعام؛ فتدنت الدنيا، مع بقائها دنيا، عندما صاغ الإسلام نفس الإنسان المسلم ووجدانه وعقله تلك الصياغة التي ائتلفت فيها وتوازنت آيات الله في الوحي السماوي بآياته في الأنفس والآفاق.

إن دين الإسلام لا يقوم ولا يقام بالتبطل الفردي والخلاص الذاتي، وإنما لا بد لإقامته وتحقيق كامل فرائضه من أمة ووطن واجتماع ومجتمع، وفروض اجتماعية، يتوجه الخطاب فيها والتكليف بها للأمة. وهذه الفروض الاجتماعية أهم وأكد من الفروض الفردية، بدليل أن إثم التخلف عن الفريضة الفردية يقع على الفرد وحده، بينما إثم التخلف عن الفريضة الاجتماعية يقع على الأمة جمعاء.

وفي دين الإسلام، اقترنت الهجرة في سبيل الله بتأسيس الدولة، وإقامة المجتمع، وتطبيق القانون، وإقامة نسيج اجتماعي بين الرعية يحقق المواخاة، لا في الحقوق الدينية المجردة فقط، وإنما في أمور المعاش الدنيوية أيضاً؛ بل لقد امتد هذا النسيج

لقد كانت الصناعة الثقيلة التي بدأت الدعوة الإسلامية فأقامتها، منذ المرحلة المكية، هي صناعة الصياغة الإسلامية للإنسان الذي تدين بدين الإسلام..

وكانت «دار الأرقم بن أبي الأرقم» في مرحلة سرية الدعوة الإسلامية، أي منذ فجر تلك الدعوة هي أولى المؤسسات التربوية التي أقامها رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام.

وقبل فتح المسلمين للمدائن والأمصار والأقطار، وقبل إقامة الدولة، وتغيير الواقع وتطبيق القانون وبلورة العلاقات الدولية كان الفتح الإسلامي للقلوب والعقول بهدي القرآن الكريم. ذلك الذي أصبح خلق سلوك وممارسات، وسجية للحياة التي يحياها المسلمون، بل إن أولى المدن التي فتحها المسلمون قبل الهجرة النبوية وقبل الدولة الإسلامية -وهي المدينة المنورة- قد فتحها المسلمون بالقرآن الكريم.

وبعد إنجاز الصياغة الإسلامية -بالتربية- للإنسان، جاءت كل الإنجازات والفتوحات، في ميادين الحضارة وعلومها والثقافة وآدابها وفنونها، فكانت تجسيدا لهذا الذي سبق وتم إنجازه في نفس الإنسان.. جاءت جميعها مصاغة بمعايير الإسلام، التي سبق وصاغت نفوس وعقول وقلوب الذين اهتموا بهدي الإسلام.

إن الدعوة الدينية في الإسلام لم تقف عند حدود تدين

بمعايير المواطنة، وحق الاختلاف حتى في الدين، إلى حيث ضم هذا النسيج غير المسلمين مع المسلمين.

فألهجرة إلى الله ليست رهبانية، تخلص فيها وبها الذات، بمعزل عن الحياة والناس.. بل إن رهبانية الأمة الإسلامية هي الجهاد، الذي هو فريضة اجتماعية تستلزم وجود الأمة والوطن والاجتماع.

لقد أحدثت الدعوة الدينية الإسلامية أثراً تكوينياً تربوياً في شخصية الفرد المسلم، أصبح عاملاً نفسانياً، حقق ائتلاف العناصر الفردية في المجتمع الإسلامي، الطبيعي منها والشرعي، المدني منها والديني، العقلي منها والنقلي، المادي منها والمجرد.. فكان ذلك الائتلاف حضارة إسلامية، أبدعها الإنسان الذي صاغته الدعوة الإسلامية. وتلك خصيصة من خصائص الدين الإسلامي والحضارة الإسلامية؛ فالرسالات الدينية التي سبقت رسالة الإسلام الخاتمة، إما أنها تزامنت مع حضارات غير متدينة، فتعايشت معها، دون أن تغيرها وتصبغها بصبغتها؛ بسبب وقوف تلك الرسالات عند حدود خالص الدين، وإما أن تلك الحضارات السابقة على الحضارة الإسلامية قد عاشت في أزمنة الفترة التي خلت من رسالات الدين..

بينما تميز الإسلام بكونه ديناً فجر حضارة، وصاغ مدنية، وأثر اجتماعاً إنسانياً، وألف في نفس الإنسان -بالمناهج التربوي الشامل- ذلك الائتلاف المتوازن، الذي جعل هذا الإنسان يدع الحضارة المصطبغة بصبغة الدين. لقد حقق الدين الإسلامي الائتلاف والتوازن والأمن في نفس الإنسان المسلم، فجاء الإبداع المدني لهذا الإنسان -أي الحضارة الإسلامية- ثمرة مجسدة لهذا الذي أحدثه الدين في نفس هذا الإنسان.. فلما حدث وبعثت هذه الحضارة وثقافتها عن هذه الصبغة كان هذا الخلل الذي نشكو منه، والذي حدث منذ قرون، والذي تطبّ لدائه كل دعوات وحركات الإصلاح في أمة لإسلام

وإذا كان الإسلام هو سبب تقدم المسلمين، وهوضهم الحضاري، وازدهارهم الثقافي.. فما سبب التخلف الذي أصاب المسلمين، مع بقاء الإسلام كما هو، على حاله الذي كان عليه عندما فجر ينابيع التقدم في الحياة الإسلامية؟

إن السبب هو غيبة «الروح» (روح الدين الإسلامي) عن الحضارة (الحضارة الإسلامية)، هو انقطاع الاتصال بين الإسلام وحضارة المسلمين.. هذه الروح التي جعلت الحضارة

إسلامية، بل والتي فجرتها وصبغتها بصبغة الإسلام..

لقد جلس الحسن البصري إلى واعظ من الوعاظ، فلم يتأثر قلبه بموعظته، فسأل الحسن الواعظ: «يا أخي، أبغضت مرض أم بقلبي؟». إن انقطاع الاتصال، لغيبة الروح، هو سبب المرض والمأزق الحضاري، الذي تطب له وتبحث عن علاجه مختلف مدارس الإصلاح.

فما هذه الروح التي جعلت الإسلام -دون الديانات الأخرى- يصنع حضارة وثقافة، ولا يقف عند مجرد الدين؟! وأين موطن الخلل الذي عطل الفعل الإسلامي في الحضارة والثقافة؛ فتراجعت الحضارة الإسلامية، وضمرت الثقافة الإسلامية، مع بقاء الإسلام «الدين» كما هو، وبقاء الإيمان به والاستمساك بعراه؟

لقد عرض الشيخ محمد الفاضل بن عاشور لهذه القضية المحورية عندما تحدث عن الأمور التالية:

بناء الحضارة والثقافة

تميز الإسلام «الدين» بإفراز الحضارة، وبناء الثقافة: «فإذا كان الإسلام، باعتباره ديناً، يشترك مع غيره من الأديان في القضايا التي هي موضوع الديانات عامة، فإن للإسلام نواحي ينفردها عن تلك الديانات، التي اشترك معها في القضايا الدينية بصفة عامة، إذ تكون له جهات اتصال بالثقافات والحضارات ليست لغيره من الأديان الأخرى.. فهذه التي نسميها الحضارة الإسلامية، أو تلك التي نسميها الثقافة الإسلامية، إنما هي سلاسل من الأحداث والأوضاع والكيفيات الاجتماعية والذهنية، كان الإسلام مبدأ نشأتها وسبب تكوينها. فلم يقف الإسلام عند التعايش مع العلم، وإنما أصبح كل موضوع علمي ذا صلة بالعقيدة الدينية، وصار الارتباط بين الدين والمعرفة العقلية، أو بين علم الطبيعة وعلم ما وراءها ارتباط التفاعل والتمازج. ونشأ من ذلك اتجاه نحو الحياة والسلوك فيها، يدفع به العامل الديني الاعتقادي في كل وجه من وجوهه، وسبيل من سبله؛ فصار الداعي الديني يتجلى فيما يصنع العالم، وما ينتج الأديب، وما يصوغ صاحب الفن. وصارت المعرفة العلمية سندا لكلام المتكلم، وفقه الفقيه، وتصوف الصوفي، على الصورة التي ربطت عناصر المعرفة، وأخرجت كتب العقيدة الإسلامية جامعة للمعارف الطبيعية والرياضية والإنسانية، مع الحقائق الاعتقادية؛ يتجانس فيها العلم مع الدين، ويتساند العقلي والنقلي. لقد تكون المجتمع

ما أسباب التخلف؟

لكن ما الذي حدث حتى تخلفت الحضارة الإسلامية وتقهلت ثقافتها، مع بقاء الإسلام -الذي صنعهما وحقق لهما الازدهار الذي دام لعدة قرون، كانا فيه منارة للعالمين- على ما هو عليه؟! «لم يكن المصائب العزيز هو الإسلام، وإنما كان الثقافة الإسلامية والحضارة الإسلامية. وكانتا تتطلعان إلى الإسلام بذاته، تحنان إليه، وترجوان شفاءهما عنده. وكان القريب والبعيد يدركون أن ما نزل بالمجتمع الإسلامي، في حضارته وثقافته، ليس إلا أمراً آتياً من انحراف عن الأصل، وانقلاب في الوضع، وانفلات عن العامل التربوي الأصلي الذي لزم الأصول، وأحكم الأوضاع؛ فلقد أصاب الحضارة والثقافة ما عزلها عن صدق الاستمداد من الإسلام، ومتين الاعتماد عليه، حتى مال عمادها، واضطربت أوتادها..»

فالخلل لم يحدث في ذات الإسلام؛ وإنما في توقف عقيدة الإسلام عن أن تكون روح الحضارة، وانكماش الإرادة الاعتقادية البناءة للحضارة، وغربة الحضاري عن الديني، وتفكيك الدين عن الدنيا: «وإن تبين الناحية التي أصابها العلة من العقيدة، هو الذي يكشف عن الأسباب التي قضت بضعف الحضارة وتقهلتها. إن الذي حدث في العقيدة الدينية، وقضى بتضعف الحضارة، إنما هو انكماش صدها عن أن تخلع من روحها على الحضارة، فأصبحت الحضارة خائرة جامدة، لا تتقدم. وما كان ذلك الانكماش إلا أثراً من آثار الضعف، الذي أصاب العقيدة في جوهرها. إن الإرادة الاعتقادية البناءة هي التي خارت وضعفت؛ فأصبحت الأوضاع الاجتماعية، والآثار المدنية تصدر عن غير ما كانت تصدر عنه، فصارت هي في واد والعقيدة الدينية في واد. وبقي المسلم وفيّاً لعقيدته الدينية، غيوراً عليها، من جهة، متقبلاً لحياته العملية، مطمئناً إلى واقعها من جهة أخرى. حتى أصبح المبدأ النظري والواقع العملي عنده متباينين، وتولدت من ذلك نظرية تفكيك الدين عن الدنيا، باعتبار أن الدين خيرٌ غير واقع، والدنيا شر واقع، وأن العبد المسلم يحمل بين جنبه ديناً لا يؤثر فيه إلا لماماً، ويعيش في دنيا لا يعرف فيها إلا كل ما يبعد به عن الدين. ثم هجمت عليه في حياته العملية مدينيات أجنبية عنه، فيها العلم، وفيها الصناعة، وفيها القوة، وفيها الحكمة؛ فلم يجد من إرادته الدينية ما يتناول به هذه المدنية، كما تناول المدينيات التي احتك بها من قبل، يوم كانت إرادته الدينية قوية سليمة، فوقف أمامها

الإسلامي بإثر دعوة دينية، إنه مجتمع ديني بالمعنى الأخص، كان الدين فيه العامل الأول المباشر. ومن دعوة الدين، والإيمان بها، اكتسب الشعب الذي استجاب لتلك الدعوة وامتاز بذلك الإيمان خللاً نفسية جديدة. لم يستفد علماً ولا صناعة ولا قوة مادية، ولكن الذين اكتسبوا من الخلال طوع العلم والصناعة والقوة المادية؛ فكانت المدارك الدينية وحدها هي التي فتحت أمام نظر المسلم آفاق الكون للتأمل والاعتبار، والمعرفة والإيمان. فالحقيقة الاعتقادية الإلهية، هي الأساس لكل ما بنت الحضارة الإسلامية من هياكل حسية ومعنوية. وإنسان هذه الحضارة، بالدين فكر، وبالدين تحضر، وبالدين أنتج آثار حضارته، وبالدين أقام الدولة الصائنة للمجتمع وحضارته. وكذلك استمرت مظاهر الحضارة متصلة في نفسه بالدين، وعوامل الدين فعالة في مظاهر الحضارة.»

التوازن والانسجام

كذلك امتازت هذه الحضارة الإسلامية وثقافتها بالتوازن والانسجام؛ لأنها ثمرة لامتياز الإسلام بتحقيق التكامل والتوازن والانسجام في مصادر المعرفة الإنسانية: «فكل الحقائق، المتصلة بالمادة والمتصلة بما وراءها، هي في متناول الإنسان، يستطيع أن يتوصل إليها بمداركه العديدة المدرجة، المستند بعضها إلى بعض، في غير تنافر ولا تدابر ولا تناثر. فالمدركات الغريزية، وراءها المدركات الحسية. ثم المدركات الحسية، وراءها المدركات العقلية. ثم المدركات العقلية، تؤدي إلى المقدمات المفضية إلى تلقي المدركات الغيبية، الآتية من طريق الوحي، وإلى التسليم بها، والإذعان لها. وتبقى هذه المدركات كذلك متعاونة متساندة، لا يمكن أن يحصل بطريق واحد منها ما يتناقض مع الحاصل من طريق مدرك آخر، إلا أن بعض ما يقصر عن الإحاطة به أحد هاتيك الطريق، يمكن أن يتصل به طريق آخر منها، حتى تنتهي إلى الإذعان للمدركات الحاصلة بالطريق الخارق للعادة، وهو طريق الوحي. فعقل الإنسان وعقيدته، وحسه المادي، وعواطفه الغريزية، كلها متجانسة متعاونة، لا يخشى بعضها بعضاً، ولا يقطع أحد سبيل الآخر. لقد كانت الحضارة الإسلامية من أثر إنسان اكتسب وضعاً منسجماً في ذاته، آمناً إلى نفسه، فصنع على مثال نفسه حضارة أكسبها مما اكتسب، وأفاء عليها مما أفاء الله عليه، حتى فاقت بما فيها من انسجام غيرها من الحضارات.»

جامداً، واعتبرها من جملة صور الحياة التي كان من قبل آمن بانفكاكها عن الدين...».

ذلك هو موطن الخلل الذي كان ابن خلدون من أفضل من أدركه، وحلله.. «لقد حلل ابن خلدون المشكلة تحليلاً دقيقاً، عندما جعل شؤون السياسة والعمران والصناعة والعلم في الدولة الإسلامية، تبعاً لشأن الدين. وجعل الحقيقة الأولى للدين، التي هي العقيدة الفردية أصلاً وأساساً لذلك كله، فأخذ يدرس مشكلة فساد الدولة، وركود العمران - في عصور الإسلام اللاحقة عن عصوره السابقة - وانتقاص الصنائع، وتلاشي ملكات العلوم، واختلال طرائق التعليم في الأمصار الإسلامية لعهد، جاعلاً ذلك كله راجعاً إلى اختلال الحقيقة الأولى للدين، التي هي أساس العمران الناشئ به، والدولة القائمة عليه، أعني العقيدة الدينية، فرد ذلك كله إلى صورة تكوّن الفرد تكوّنًا إيمانياً، يرتبط من جهة بالدين الإسلامي في عقيدته، ويسري منه إلى كل ما انبثق عن تلك العقيدة من مظاهر عمرانية وصناعية وفكرية. وإذا كان الناس يكتفون بأن يمثلوا ما بدا في حياة المجتمع الإسلامي وحضارته من إخلال، بما يرجع إلى نظم الحكم، وصور الدول، وما شاع من فساد الخلق، وتفكك الروابط الاجتماعية، فإن ابن خلدون يطلب لهذه العلل عللاً، ويرد هذه الأسباب إلى أسباب وراءها. فانقلاب الخلافة إلى ملك ليس العلة، وإنما هو عرض لعلّة تغير الوازع الديني إلى مقاصد التغلب والقهر، والتقلب في الشهوات والملذذ، وحلول عصبية الدولة محل عصبية الدين. لقد أرجع ابن خلدون الحضارة الإسلامية إلى أصلها وأساسها، أو بالأوضح روحها، وهو العقيدة الدينية».

حجم المشكلة

وإذا كانت هذه هي المشكلة، فما هو حجمها؟ وما هو عمرها؟ إن حجم هذه المشكلة ليس بالهين، وعمرها ليس بالقصير. «وإذا كنا لا ننكر أن الحضارة الإسلامية قد تقاصرت وتراجعت وتخلخلت، وأن الثقافة قد ذوت وانكمشت واصفرت، وأوشكت أن تصير حطاماً، فإن ذلك ليس وليد الأمس، ولا أمس. ولكنه الأدواء التي استفحلت في القرون الأخيرة، حتى أعضلت، وعز دواؤها، ثم لم تزل تنمو وتشدد وتتفاقم آلامها وأخطارها حتى انتهت إلى الوضع المفزع، الذي ضج قرننا الحاضر منه بالشكوى...»

ما هو الحل؟

وأخيراً وبعد تحديد روح الحضارة الإسلامية، وتشخيص

موطن الخلل الذي أصاب حضارتنا وثقافتنا؛ فما هو الحل الحقيقي لهذه المشكلة؟ والمخرج من هذا المأزق الذي يأخذ بخناق الأمة؟ إن الحل هو في العودة إلى الروح التي صنعت الحضارة المزدهرة والثقافة المتألقة. إنه عودة الروح الدينية لتصوغ النهضة الحضارية المتميزة والمستقلة. وهذا هو المعنى الحقيقي لمقولة: لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها. «فلولا التكوّن الفردي المكّي، والتكوّن الاجتماعي المدني، لما كانت آثار الحضارة التي تبدت في عواصم الإسلام. فإذا كان الناس اليوم يحنّون إلى عهود ذهبية، ازدهرت بها تلك العواصم، ويتحرّقون إلى إحيائها وتجديدها، فأجدر بهم أن يعودوا إلى العامل الأصلي الذي ولّد تلك العصور الذهبية، والذي بدونه لن تعود زهرة تلك العصور وينعتها، ألا وهو العامل التربوي الإسلامي، الذي كوّن الفرد قبل أن يكوّن المجتمع، ومهد للثقافة طريقها قبل أن يتناول عناصر المعرفة التي ألّفت كيائها».

أما إذا وقفنا عند «استقلال العلم والنشيد»، دون حقيقة «الاستقلال الحضاري»، الذي هو ثمرة للصبغة الإسلامية المتميزة، فلن نخرج من هذا المأزق الذي نعيش فيه. «لقد خرج العالم الإسلامي من تحت حكم الغير، واسترجع سيادته الذاتية، لكن هل هو مستطيع أن يعاود حضارته، ليضطلع بأعبائها من جديد، وليمثل للناس صورة جديدة من الثقافة والحضارة، منطبعة بطابع شخصيته الإسلامية، ومنبثقة عن المبادئ الاعتقادية الإسلامية، التي انبثقت عنها الصورة الماضية التي عرفها التاريخ من ثقافة الإسلام وحضارته؟ إن نهضة اليابان ليست بوذية، ولا نهضة الصين نهضة كونفوشية، ولا نهضة اليونان نهضة بيزنطية، ولا أفلاطونية، ولا أرسطوطاليسية، بل ولا هي يونانية على الحقيقة بأي حال من الأحوال. فهل سيكون شأن الإسلام مقصوراً على هذا الوضع؟ أو أن حضارة إسلامية الروح، وثقافة إسلامية الطابع، ستبدوان من بين ذلك القدر المشترك المؤلف بين شعوب الأمة الإسلامية، الناهضة المستقلة؟ إن روح تلك الحضارة هي الموقع الرئيسي للمشكلة».

تلك بعض من قضايا وأفكار ومحاور المعضلة التي حار ويحار فيها المصلحون، روح الحضارة الإسلامية، التي صنعت وميزت الحضارة والثقافة في عصور النشأة والازدهار، وموطن الخلل الذي جعل الحضارة تتراجع، والثقافة تتهلهل. والحل والمخرج

من هذا المأزق الحضاري الذي تعيشه أمة الإسلام. ﴿

(*) كاتب ومفكر إسلامي - مصر.

انتصار القيم الإنسانية في الفتوح الإسلامية

وثيقة «غَلَطه» أنموذجاً



عوني عمر لطفي أوغلو *

س سطعت شمس الإسلام على الأرض عدلاً وسماحةً ورحمةً لينقل البشرية نقلة نوعية من مرحلة إلى مرحلة؛ فما كان من «الوجدان الإنساني والمفاهيم العقلية والقيم البشرية» قبل الإسلام وبعده أمران مختلفان! فقد ارتقى النوع الإنساني من حال الانحطاط والتدهور أسفل فأسفل، إلى حال التعالي والتسامي أعلى فأعلى. ولما أشرعت جيوش الإسلام في المشرق والمغرب أسنة رماحها، وأشهرت سيوفها، لم تخرج أشراً ولا بطراً؛ بل ترسيخاً للقيم والمثل، ونشراً للرحمة والنبيل والتسامح. فلم تشع السيوف بشهوة المطامع، ولم تقعع من أجل معارك جوفاء، بل لإعلاء كلمة الله، الذي أنزل علينا كتاباً يأمرنا فيه بإطلاق حرية الضمير، والتعايش مع هذه الحرية، بشرط

توقير حرية المسلم ومعتقدده. فلم يزين لنا ديننا سفك الدماء بغريزة الحقد على الباطل، أو حتى الثأر من المعتدي. ومشهورٌ ذاك الخيار (متى لزم القتال) بالإسلام، ليخلى إرادة الإنسان حين تقبله القلوب بفطرتها؛ أو بالجزية، إقراراً لتوقير هذا الدين الذي يطلق العدل من عقالاته؛ أو القتال حتى لا تكون فتنة تمسك بتلابيب الضمائر البشرية. إذن القتال في الإسلام ينبض بنبضات حرية الضمير وانطلاق العدل وضمائم المعتقدات على نقيض ما شهدت البشرية في الحروب، وحتى في هذا العصر الموصوف بالتنوير!

ديننا لا ينهانا عن أن نبرّ من لم يقاتلنا - فيكون قد قاتل العقل والحرية والقيم الإنسانية - وإن كان مشركاً. فغاية ما

يريده المسلم أن يُوقَّر هذا الدين، ويُوقَّر إيمانه، وحرية في الدعوة إليه. هذا هو شرطه ليعايش الملل والنحل. ولا يقلق غير المسلم على معتقداته، إذ يضمن المسلم شرط توقير دينه. ذلك بأن حقوق غير المسلم مكفولة في دينه بقواعد يتعبد بها المسلم ولا يملك دونه فكاكاً، على خلاف ما عند غيره! وإذا يسعى المؤمن لإعلاء كلمة الله وتوقير دينه، يملأ فراغاً لا يمتلكه غيره. فغيره مضمون بضمان دين المسلم، وليس العكس صحيحاً! وضمان المسلم لحرية معتقدات الملل الأخرى محكوم بقواعد شرعية مرعية في الحرب والسلم. ومهما كان حكمه عقيدياً في تلك المعتقدات، فهو مأمور بالتعايش معها، والتسامح والوفاء والحسنى في الأخذ والعطاء وإقرار حرية العبادة حتى من موقع التحكم والقوة، وإن كان يرى بطلانها وشططها وزيفها. فالقوة والمكنة لا تبيح له التسلط على الضمائر والإكراه في الدين. والإسلام ضمان لذلك، وليس للمسلم في غير الإسلام ضمان لدينه. فمن هنا يتولد شرط توقير الإسلام والسعي في ذلك بمختلف الوسائل.

وهذه الوثيقة التي تنشر بالعربية - لأول مرة حسب علمي - واحدة من الشواهد على ما قلته آنفاً. فهي عهد من محمد الفاتح لذيَمِي «غَلَطَه». وغلظه حي على الضفة الشمالية لخليج القرن الذهبي في مواجهة أسوار إسطنبول القديمة، على مرمى حجر منها. ويقوم بين ضفتيها جسر في الموقع معروف. وهي التي ذكرت باسم (غلاطية) في رسالة بولص الرسول في العهد الجديد - السفر الرابع - الإصحاح السادس عشر. وكانت حائزة على أهمية تجارية وعسكرية منذ عهد البيزنطيين. فقد سورها قسطنطين الأول (٣٢٤-٣٣٧م) بسور. وسماها ثيويدورس الثاني (٣٧٩-٣٧٥م) بهذا الاسم نسبة إلى سكانها في أرجح الآراء. وقد أقام الجنويون برجها الشاخص حتى اليوم في عهد تباروس (٥٧٨-٥٨٢م). وتناوب الجنويون والبنادقة الهيمنة على تجارتها وأسواقها. وكانت بينها وبين العثمانيين اتفاقات لتسهيل شؤون التجارة قبل الفتح ومنذ سنة ١٣٨٧م. وتدل المصادر على أن الجنويين أرادوا حماية مصالحهم بلزوم الحياد، وأظهروا هذه الإرادة إبان فتح إسطنبول سنة ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م. ومن أجلها ضمنوا عهد الأمان هذا من السلطان محمد الفاتح.

حول مضمون الوثيقة

ومن المفيد أن نقدم الوثيقة بملاحظات وجيزة تتعلق بشيء

من شؤونها:



١- إنها وثيقة مهمة تبرز مبادئ في القانون الدولي الإسلامي وحقوق الحرب. وتبرهن أيضاً على ثبات العمل بهذه المبادئ والإلتزام بها على مرّ العصور. نقول ذلك استناداً إلى المقارنة بين نصوص هذا العهد وبين نصوص عهد الأمان لأهل إيلياء (القدس) التي أعطاها عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فمعاني كلا العهدين متماثلة إلى درجة إقتران نص بنص، مع تفاوت الزمان بينهما. فتاريخ الوثيقة العُمريّة في سنة ١٥ هـ، وتاريخ هذه الوثيقة في سنة ٨٥٧هـ. وبينهما ٨٤٢ سنة هجرية! لكن مبادئ القانون النافذة منذ فجر الإسلام إلى هذا التاريخ واحدة لم تتبدل، وملتزم بها ومرعية، وليست سطوراً مسطورة في الكتب، بل واقعاً قائماً وحياة شاخصة. وأحسبها اليوم أيضاً جديرة بالإحياء بالتأمل في حاجة البشرية إلى الوجدان الصادق الذي تتولد من هذه المبادئ.

٢- إنها وقّعت في أحوال الحرب، والحرب تثير نوازع النفس إلى العدوان والتجاوز. فرعاية الحقوق والالتزام بالمبادئ أشق في هذه الأحوال. إذ إن القائد المنتصر في أوج الشباب وفي سنّه الثالث والعشرين، وعلى رأس جيش جرار من مائة ألف مقاتل شديد البأس صار أسطورة في التاريخ، واستحق هو وقائده مديح النبي ﷺ وبشارته، وأسقط أمنع مدينة في عالم ذلك الزمان بعد كفاح مرير دام أشهراً، فهو ينتظر عطاءات النصر الذي يدوّخ الرؤوس ويطيّش بالعقول. وغلظه أو (غلاطية) يسيرة المال أمام هذا القائد وجيشه الذي قوض في حياته إمبراطوريتين وأربع ممالك وإحدى عشرة إمارة ودوقية، وهي الضيعة الغنية بالأموال والأنفس. لكن القائد أمسك بزمام نفسه، ولم يهتز أمام الهوى والطمع، وآثر لزوم مبادئ الدين الحنيف الذي يأمر بالعدل والإحسان. فهذا العهد يكتسب قوة معنوية أعظم في الدلالة على خُلُق الإسلام وسماحته وعمقه في ضمير المسلمين.

٣- إنها كتبت بالرومية - وليس بالتركية - في أصلها. وقد ختم السلطان بختم توقيعه على أصلها الرومي تسكيناً لخواطر أهل «غَلَطَه» الهائجة. فكأنهم لا يصدقون أن يعاملوا بمثل هذا السماح والعدل في تلك الأحوال من الأحوال. فزادهم محمد الفاتح بالتوقيع على الأصل الرومي تطميناً لهم. ولذلك تجد في هذا العهد ألفاظاً من القسم هي أقرب إلى ألفاظهم ومفاهيمهم للتغليظ عليه في اليمين. ولم يجد الفاتح بأساً فيها - مع فهمه

للرومية في قول - ما دام القصد تسكين خواطرهم.

وهذه ترجمة الوثيقة:

عهد إلى ذمّي «غَلَطَه»^(١)

هذا عهد ذمّي «غَلَطَه». أُعطي العهد لِمَا فتح أبو الفتح السلطان محمد خان إسطنبول.
كُتب بالرومية وختمه السلطان بالطغراء.

أنا السلطان الكبير والشاه العظيم السلطان محمد خان بن السلطان مراد. أقسم بالله خالق السموات والأرض، وبحقّ روح حضرة الرسول عليه الصلاة والسلام الطاهرة المنورة المطهرة، وبحقّ المصاحف السبع، وبحقّ روح جدي، وبحقّ روح أبي، وبحقّ حياتي، وبحقّ حياة أولادي، وبحقّ السيف الذي أمتنطقه، إذ يُرسل أهل «غَلَطَه» وناسُها مفتاح القلعة المذكورة طلباً للسلم، إلى عتبي العليا، مع «بابلان براويزين» و«ماركيز ده فرانكو» وترجمانهم «نيكوروز بابوهو» معلنين الطاعة والانقياد لي، فإني:

١. قبلت أن يقيموا عباداتهم (طقوسهم) وأزكائهم على الوجه الجاري حسب الأسلوب القديم القائم في عاداتهم وطقوسهم، وأن لا أهاجمهم لهدم وتخريب قلعته.
٢. وأمرت أن يُقرّ في أيديهم أموالهم وأرزاقهم وأملاكهم ومخازنهم وبساتينهم وطواحينهم وسفنهم وقواربهم وعموم أمتعتهم ونساؤهم وأولادهم وعبيدُهم وإماؤهم، ولا تُعرض إلى شيء، ولا تُكرههم على شيء في ذلك.
٣. وعليهم أن يعملوا، ولهم أن يسافروا برّاً وبحراً مثلما في سائر ممالك، فلا يَمْنَعهم أو يزاحمهم أحد، وأن يؤمنوا ويسلموا.
٤. وأن أضع عليهم الخراج يؤدونه عاماً بعد عام مثل غيرهم. وأن أرفعهم بنظري الشريف فأحميهم مثل ممالك الأخرى.
٥. وأن تكون كنائسهم مُلك أيديهم ويقرأوا حسب طقوسهم، ولكن لا يدقوا جرساً أو ناقوساً، وألاّ أستولي على كنيسة لهم لأجعلها مسجداً، وهم لا يبنون كنيسة جديدة.
٦. وأن يُقبل أو يغادر تجارُ جنوة بحراً وبرّاً، ويدفعوا جُمرتهم على العادة الجارية، ولا يعتدي عليهم أحد.
٧. وأمرت ألاّ يُشغل دُورهم صقاراً أو خادماً، وأن يسلم ويُعفى أهل القلعة المذكورة وتجارتها من عمل السخرة.^(٢)

ليعلموا على هذا الوجه ويعتمدوا علامتي الشريفة.

تحريراً في أواخر جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثمانمائة.

(*) كاتب وباحث تركي.

الهوامش:

(١) متون القوانين العثمانية وحكم الشرع فيها، أحمد آق كندوز، ٤٧٨/١.

(٢) الصقارون: صنف من الجيش العثماني. والمقصود بالخادم أو العبد في المصطلحات العثمانية: الموظف المكلف بخدمات الدولة في درجات الوظائف كافة مدنية وعسكرية. وعمل السخرة من الأعمال المفروضة لإنجاز بعض المصالح العامة للدولة من غير أجر، كضريبة مالية مقررة لغرض سد احتياجات الدولة والجيش، وتخفيفاً للعبء المالي عن كاهل الرعية في البلاد المفتوحة، وبدلاً عنها.

وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ

(الطور: ٦)

أ.د. زغلول النجار *

هذا النطاق باستمرار مع الارتفاع حتى تصل إلى ستين درجة مئوية تحت الصفر في قمته.

وهذا النطاق يحوي حوالي ثلثي كتلة الغلاف الغازي للأرض والمقدرة بأكثر قليلا من خمسة آلاف مليون مليون طن، وهو النطاق الذي يتكثف فيه بخار الماء الصاعد من الأرض، والذي تتكون فيه السحب، وينزل منه كل من المطر والبرد والثلج، وتتم فيه ظواهر الرعد والبرق، وتتكون العواصف والدوامات الهوائية وغير ذلك من الظواهر الجوية. ولولا تبرد هذا النطاق مع الارتفاع ما عاد إلينا بخار الماء الصاعد من الأرض أبدا. وحينما عاد إلينا بخار الماء مطرا وثلجا وبردا، انحد على سطح الأرض ليشق له عددا من المجاري المائية، ثم فاض إلى منخفضات الأرض الواسعة ليكون البحار والمحيطات. وبتكرار عملية التبخر من أسطح تلك البحار والمحيطات ومن أسطح اليابسة بما عليها من مختلف صور التجمعات المائية والكائنات الحية بدأت دورة المياه حول الأرض، من أجل التنقية المستمرة لهذا الماء وتلطيف الجو وتفتيت الصخور وتسوية سطح الأرض وتكوين التربة وتركيز عدد من الثروات المعدنية، وغير ذلك

من المعاني اللغوية للبحر المسجور هو المملوء بالماء، والمكفوف عن اليابسة، وهو معنى صحيح من الناحية العلمية صحة كاملة كما أثبتته الدراسات العلمية في القرن العشرين. ومن المعاني اللغوية لهذا القسم القرآني المبهر أيضا أن البحر قد أوقد عليه حتى حمي قاعه فأصبح مسجورا، وهو كذلك من الحقائق العلمية التي اكتشفها الإنسان في العقود المتأخرة من القرن العشرين، والتي لم يكن لبشر إمام بها قبل ذلك أبدا، وهذا ما نفضله في الأسطر التالية:

البحر المسجور: المملوء بالماء والمكفوف عن اليابسة

الأرض هي أغنى كواكب المجموعة الشمسية بالماء الذي تقدر كميته بحوالي ١٣٦٠ إلى ١٣٨٥ مليون مليون كيلو متر مكعب، وهذا الماء قد أخرجه ربنا ﷻ كله من داخل الأرض على هيئة بخار ماء اندفع من فوهات البراكين، وعبر صدوع الأرض العميقة ليصادف الطبقات العليا الباردة من نطاق التغيرات الجوية والذي يمتد من سطح البحر إلى ارتفاع حوالي ستة عشر كيلو مترا فوق خط الاستواء، وحوالي عشرة كيلو مترات فوق قطبي الأرض، وتنخفض درجة الحرارة في

من المهام التي أوكلها الخالق لتلك الدورة المعجزة التي تحمل ٣٨٠,٠٠٠ كيلو متر مكعب من ماء الأرض إلى غلافها الجوي سنوياً، لتردها إلى الأرض ماءً طهوراً؛ منها ٣٢٠,٠٠٠ كيلو متر مكعب تتبخر من أسطح البحار والمحيطات، و ٦٠,٠٠٠ كيلو متر مكعب من أسطح اليابسة؛ يعود منها ٢٨٤,٠٠٠ كيلو متر مكعب إلى البحار والمحيطات، ٩٦,٠٠٠ كيلو متر مكعب إلى اليابسة التي يفيض منها ٣٦,٠٠٠ كيلو متر مكعب من الماء إلى البحار والمحيطات، وهو نفس مقدار الفارق بين البخار والمطر من وإلى البحار والمحيطات.

هذه الدورة المحكمة للمياه حول الأرض أدت إلى خزن أغلب ماء الأرض في بحارها ومحيطاتها حوالي ٩٧,٢٪، وإبقاء أقله على اليابسة حوالي ٢,٨٪. وبهذه الدورة للماء حول الأرض ملحت ماء البحار والمحيطات، وبقيت نسبة ضئيلة على هيئة ماء عذب على اليابسة (٢,٨٪ من مجموع كم الماء على الأرض)؛ وحتى هذه النسبة الضئيلة من ماء الأرض العذب قد حبس أغلبها (من ٢,٠٥٢٪ إلى ٢,١٥٪) على هيئة سُمك هائل من الجليد فوق قطبي الأرض وفي قمم الجبال، والباقي مختزن في الطبقات المسامية والمنفذة من صخور القشرة الأرضية على هيئة ماء تحت سطحي (حوالي ٠,٢٧٪ إلى ٠,٥٪)، وفي بحيرات الماء العذب (حوالي ٠,٣٣٪)، وعلى هيئة رطوبة في تربة الأرض (من ٠,٠١٪ إلى ٠,١٨٪)، ورطوبة في الغلاف الغازي للأرض تتراوح بين (٠,٠٠٠١٪ إلى ٠,٠٣٦٪)، وما يجري في الأنهار والجداول (حوالي ٠,٠٠٤٧٪).

وتوزيع ماء الأرض بهذه النسب التي اقتضتها حكمة الله الخالق قد تم بدقة بالغة بين البيئات المختلفة بالقدر الكافي لمتطلبات الحياة في كل بيئة من تلك البيئات، وبالأقدار الموزونة التي لو اختلت قليلاً بزيادة أو نقص لغمرت الأرض وغطت سطحها بالكامل، أو انحسرت تاركة مساحات هائلة من اليابسة، ولقصرت دون متطلبات الحياة عليها.

ومن هذا القبيل يحسب العلماء أن الجليد المتجمّع فوق قطبي الأرض وفي قمم الجبال المرتفعة فوق سطحها إذا انصهر (وهذا لا يحتاج إلا إلى مجرد الارتفاع في درجة حرارة صيف تلك المناطق بحوالي خمس درجات مئوية) فإنّ كم الماء الناتج سوف يؤدي إلى رفع منسوب المياه في البحار والمحيطات إلى أكثر من مائة متر فيغرق أغلب المناطق الآهلة بالسكان والممتدة حول شواطئ البحار والمحيطات. وليس هذا من قبيل الخيال العلمي، فقد مرت بالأرض فترات كانت مياه البحار فيها أكثر غمراً

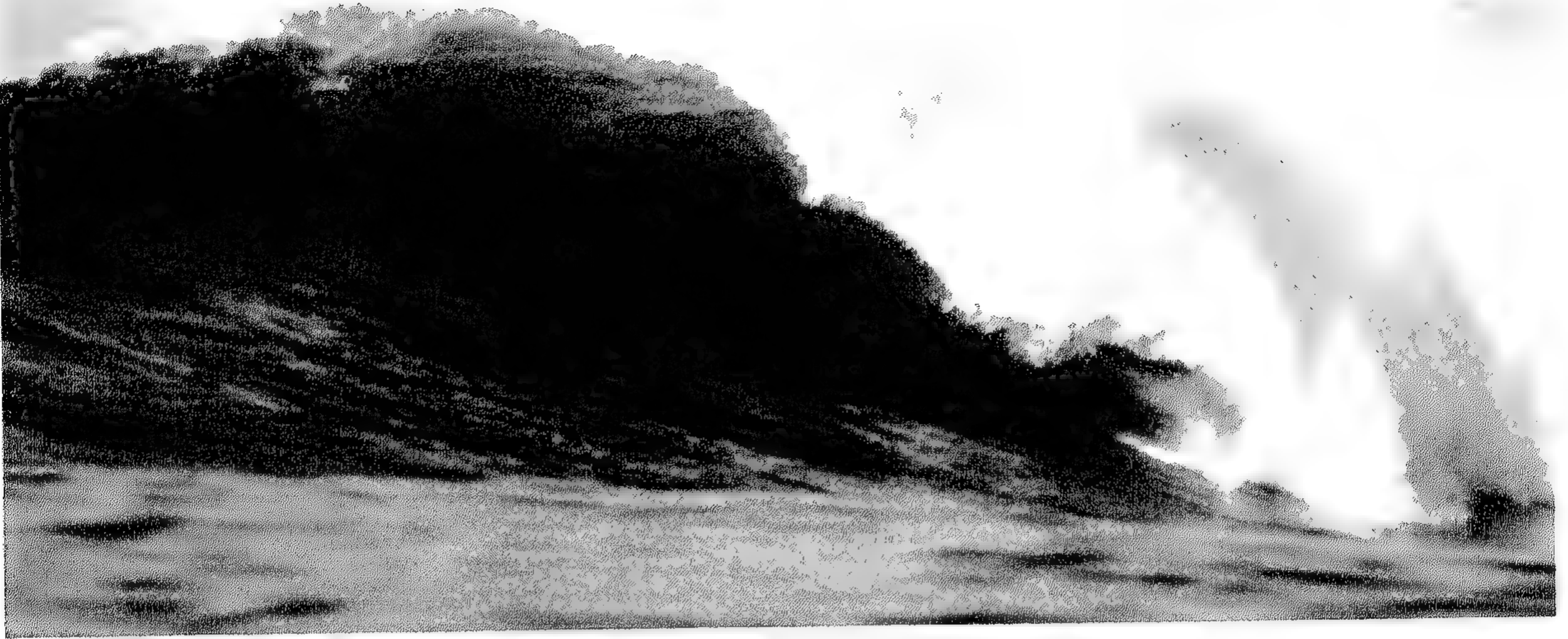
للإبسة من حدود شواطئها الحالية، كما مرت فترات أخرى كان منسوب الماء في البحار والمحيطات أكثر انخفاضاً من منسوبها الحالي مما أدى إلى انحسار مساحة البحار والمحيطات وزيادة مساحة اليابسة. والضابط في الحاليين كان كمّ الجليد المتجمع فوق اليابسة، فكلما زاد كمّ الجليد انخفض منسوب الماء في البحار والمحيطات فانحسرت عن اليابسة التي تزيد مساحتها زيادة ملحوظة، وكلما قلّ كمّ الجليد ارتفع منسوب المياه في البحار والمحيطات وغطت على اليابسة التي تتضاءل مساحتها تضاًؤلاً ملحوظاً.

من هنا كان تفسير القَسَم القرآني بـ«البحر المسجور» بأن الله تعالى يمن علينا -وهو صاحب الفضل والمنة- بأنه ملاً منخفضات الأرض بماء البحار والمحيطات، وحجز هذا الماء عن مزيد من الطغيان على اليابسة منذ خلق الإنسان، وذلك بحبس كمّيات من هذا الماء في هيئات متعددة أهمها ذلك السمك الهائل من الجليد المتجمع فوق قطبي الأرض وعلى قمم الجبال، والذي يصل إلى أربعة كيلومترات في قطب الأرض الجنوبي، وإلى ثلاثة آلاف وثمانمائة من الأمتار في القطب الشمالي، ولولا ذلك لغطى ماء الأرض أغلب سطحها، ولما بقيت مساحة كافية من اليابسة للحياة بمختلف أشكالها الإنسانية والحيوانية والنباتية وهي إحدى آيات الله البالغة في الأرض، وفي إعدادها لكي تكون صالحة للعمران.

من هنا كان تفسير القَسَم بـ«البحر المسجور» بمعنى المملوء بالماء المكفوف عن اليابسة ينطبق مع عدد من الحقائق العلمية الثابتة التي تشهد للقرآن الكريم بأنه كلام الله الخالق، وتشهد لسيدنا محمد بن عبد الله ﷺ بالنبوة وبالرسالة.

البحر المسجور: القائم على قاع أحته الصهارة الصخرية المندفعة من داخل الأرض

في العقود المتأخرة من القرن العشرين تم اكتشاف حقيقة تمزق الغلاف الصخري للأرض بشبكة هائلة من الصدوع العملاقة المزدوجة والتي تكون فيما بينها ما يعرف باسم أودية الخسف أو الأغوار، وأن هذه الأغوار العميقة تحيط بالكرة الأرضية إحاطة كاملة، ويُشبّهها العلماء باللحام على كرة التنس (مع فارق التشبيه)، وتمتد هذه الأغوار في كافة الاتجاهات لعشرات الآلاف من الكيلو مترات، ولكنها تنتشر أكثر ما تنتشر في قيعان محيطات الأرض، وفي قيعان عدد من بحارها، ويتراوح عمق الصدوع المشكلة لتلك الأغوار بين ٦٥ كيلومتراً، و ٧٠



البركانية، وقد ترتفع قممها في بعض الأماكن على هيئة أعداد من الجزر البركانية من مثل جزر كل من أندونيسيا، ماليزيا، الفلبين، اليابان، هاواي، وغيرها.. وفي المقابل تصطدم ألواح الغلاف الصخري عند حدودها المقابلة لمناطق اتساع قيعان البحار والمحيطات، ويؤدي هذا التصادم إلى اندفاع قيعان المحيطات تحت كتل القارات وانصهارها بالتدريج مما يؤدي إلى تكون جيوب عميقة عند التقاء قاع المحيط بالكتلة القارية تتجمع فيها كميات هائلة من الصخور الرسوبية والنارية والمتحولة التي تطوى وتتكرر لترتفع على هيئة السلاسل الجبلية على حواف القارات من مثل سلسلة جبال الإنديز في غربي أمريكا الجنوبية، وهنا يستهلك قاع المحيط بالتدريج تحت الكتلة القارية، وإذا توقفت عملية توسع قاع المحيط فإن هذا القاع قد يستهلك بأكمله تحت القارة مما يؤدي إلى تصادم قارتين ببعضهما. وينشأ عن هذا التصادم أعلى السلاسل الجبلية من مثل جبال الهيمالايا التي نتجت عن اصطدام الهند بالقارة الآسيوية بعد استهلاك قاع المحيط الذي كان يفصل بينهما بالكامل في أزمنة أرضية سحيقة.

ويصاحب كلاً من عمليتي توسع قاع المحيط في محوره الوسطي، واصطدامه عند أطرافه عددٌ من الهزّات الأرضية، والثورات والطفوح البركانية.

ويبلغ طول جبال أواسط المحيطات أكثر من أربعة وستين ألفاً من الكيلومترات في الطول، بينما يبلغ طول الصدوع العميقة التي اندفعت منها الطفوح البركانية لتكون تلك السلاسل الجبلية في أواسط المحيطات أضعاف هذا الرقم. وتتكون هذه السلاسل

كيلومتراً تحت قيعان البحار والمحيطات، وبين ١٠٠ و ١٥٠ كيلومتراً على اليابسة (أي في صخور القارات)، وتعمل على تمزيق الغلاف الصخري للأرض بالكامل، وتقطّعه إلى عدد من الألواح الصخرية التي تطفو فوق نطاق من الصخور شبه المنصهرة يسمّيه العلماء باسم نطاق الضعف الأرضي، وهو نطاق لدن، عالي الكثافة واللزوجة، تتحرك بداخله تيارات الحمل من أسفل إلى أعلى حيث تبرد وتعاود النزول إلى أسفل، وهي بتلك الحركة الدائبة تدفع بكل لوح من ألواح الغلاف الصخري للأرض إلى التبعاد عن اللوح المجاور في أحد جوانبه (في ظاهرة تسمى ظاهرة اتساع قيعان البحار والمحيطات)، ومصطدماً في الجانب المقابل باللوح الصخري المجاور ليكون سلسلة من السلاسل الجبلية، ومنزلقاً عن الألواح المجاورة في الجانبين الآخرين.

وباستمرار تحرك ألواح الغلاف الصخري للأرض تتسع قيعان البحار والمحيطات باستمرار عند خطوط التباعد بينها، وتندفع الصهارة الصخرية بملايين الأطنان في درجات حرارة تتعدى الألف درجة مئوية لتساعد على دفع جانبي المحيط يميناً ويسرة، وتملأ المسافات الناتجة بالصهارة الصخرية المندفعة من باطن الأرض على هيئة ثورات بركانية عارمة، تحت الماء، تسجر قيعان جميع محيطات الأرض، وقيعان أعداد من بحارها، وتجدد مادتها الصخرية باستمرار.

وقد أدى هذا النشاط البركاني فوق قيعان كل المحيطات، وفوق قيعان عدد من البحار النشطة إلى تكون سلاسل من الجبال في أواسط المحيطات تتكون في غالبيتها من الصخور

ظواهر الأرض إظهارا للعلماء في زماننا، وهي حقيقة لم يتمكن الإنسان من اكتشافها إلا في أواخر الستينات وأوائل السبعينات من القرن العشرين.

ومن الغريب أن رسول الله ﷺ - هذا النبي الأمي الذي لم يركب البحر في حياته الشريفة مرة واحدة، فضلا عن الغوص إلى أعماق البحار - قال في حديث شريف: «لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غاز في سبيل الله، فإنَّ تحت البحر نارا، وتحت النار بحرا» (سنن أبي داود). وجاء الحديث في مصنف ابن أبي شيبة بالنص التالي: «إن تحت البحر نارا، ثم ماء، ثم نارا».

ويعجب الإنسان المتبصر لهذا سبق في كل من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة بالإشارة إلى حقيقة من حقائق الأرض التي لم يتوصل الإنسان إلى إدراكها إلا في نهايات القرن العشرين. هذا سبق الذي لا يمكن لعاقل أن يتصور له مصدرا غير الله الخالق الذي أنزل هذا القرآن الكريم بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وعلم هذا النبي الخاتم والرسول الخاتم ﷺ من حقائق هذا الكون ما لم يكن لأحد من الخلق إلمام به قبل العقود الثلاثة المتأخرة من القرن العشرين، لكي تبقى هذه الومضات النورانية في كتاب الله، وفي سنة رسوله ﷺ شهادات مادية ملموسة على أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق الذي حفظه ﷺ على مدى أربعة عشر قرنا أو يزيد، وإلى قيام الساعة بنفس لغة الوحي (اللغة العربية) كلمة كلمة، وحرفا حرفا في صفائه الرباني، وإشراقاته النورانية، دون أدنى تغيير أو تبديل أو تحريف، وأن هذا النبي الخاتم والرسول الخاتم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم كان موصولا بالوحي ومعلما من قبل خالق السماوات والأرض.

فسبحان الذي أنزل في محكم كتابه من قبل ١٤٠٠ من السنين هذا القسم القرآني بـ «البحر المسجور»؛ وسبحان الذي علم خاتم أنبيائه ورسله بهذه الحقيقة فقال قولته الصادقة: «إن تحت البحر نارا، وتحت النار بحرا»؛ وسبحان الذي أكد على صدق القرآن الكريم، وعلى صدق هذا النبي الخاتم ﷺ في كل ما رواه عن ربه، فأنزل في محكم كتابه قوله الحق: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فُصِّلَتْ: ٥٣).

(*) أستاذ علم الأرض - مصر.

أساسا من الصخور البركانية المختلطة بالقليل من الرسوبيات البحرية، وتحيط كل سلسلة من هذه السلاسل المندفعة من قاع المحيط بواد خسيف (غور) مكوّن بفعل الصدوع العملاقة التي تمزق الغلاف الصخري للأرض بعمق يتراوح بين خمسة وستين كيلو مترا وسبعين كيلو مترا ليخترق الغلاف الصخري للأرض بالكامل ويصل إلى نطاق الضعف الأرضي الذي تندفع منه الصهارة الصخرية بملايين الأطنان في درجة حرارة تزيد عن ألف درجة مئوية لتسجر قيعان كل محيطات الأرض، وقيعان عدد من بحارها النشطة باستمرار.

وهذه الصدوع العملاقة التي تمزق قيعان كل محيطات الأرض، وقيعان عدد من بحارها (مثل البحر الأحمر) توجد أيضا على اليابسة، ولكن بنسب أقل منها فوق قيعان البحار والمحيطات. وتعمل على تكوين عدد من الأغوار (الأودية الخسيفة) والبحار الطولية (من مثل أغوار شرقي أفريقيا والبحر الأحمر) التي تعمل على تفتيت الكتل القارية باتساعها التدريجي لتتحول تلك البحار الطولية مثل البحر الأحمر إلى بحار أكبر ثم إلى محيطات تفصل بين الكتل القارية التي كانت متصلة على هيئة قارة واحدة. وتحاط تلك الخسوف القارية العملاقة بعدد من القمم البركانية السامقة من مثل جبل «أرارات» في شرقي تركيا، ومخروط بركان «إتنا» في شمال شرقي صقلية، ومخروط بركان «فيزوف» في خليج نابولي بإيطاليا، وجبل «كيليمينجارو» في تنجانيقا (٥٩٠٠ متر)، وجبل «كينيا» في جمهورية كينيا.

بذلك ثبت لكل من علماء الأرض والبحار - بالأدلة المادية الملموسة - أن كل محيطات الأرض (عما في ذلك المحيطان المتجمدان الشمالي والجنوبي)، وأن أعدادا من بحارها (من مثل البحر الأحمر)، قيعانها مسجورة بالصهارة الصخرية المندفعة بملايين الأطنان من داخل الأرض عبر شبكة الصدوع العملاقة التي تمزق الغلاف الصخري للأرض بالكامل وتصل إلى نطاق الضعف الأرضي، وتتركز هذه الشبكة من الصدوع العملاقة أساسا في قيعان البحار والمحيطات، وأن كمّ المياه في تلك الأحواض العملاقة - على ضخامته - لا يستطيع أن يطفئ جذوة الصهارة الصخرية المندفعة من داخل الأرض إطفاء كاملا، وأن هذه الجذوة على شدة حرارتها (أكثر من ألف درجة مئوية) لا تستطيع أن تبخر هذا الماء بالكامل، وأن هذا الاتزان الدقيق بين الأضداد من الماء والحرارة العالية هو من أكثر

الإنسان محور التنمية

في المنهج القرآني

أ.د. محمد بن موسى باباعمي *

والقرآن في عرضه لمختلف مجالات التنمية وأنواعها «دقيق» كل الدقة، «واضح» غاية الوضوح، لا لبس فيه ولا إبهام، فمن ذلك مثلاً قوله تعالى، في الحديث عن التنمية الزراعية: ﴿وَأَيُّ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ (يس: ٣٣-٣٥) فالآية أبرزت حدود عمل الله تعالى، ولم تلغ عمل الإنسان وجهده وعلمه، شأن بعض الفهوم الخاطئة لسنن الكون؛ ذلك أن نتاج الإنسان من أسباب الازدهار المنشود، وأن عمله من مقدمات التنمية الحقّة؛ فقوله تعالى: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾، أي لياكلوا مما عملت أيديهم وهو الغروس والحروث التي تعبوا فيها.

ثم إن «الشكر» كذلك سبب من الأسباب ومقدمة من المقدمات، وبالتالي؛ فإن الشطر الأول -أي العلم والعمل- مفهوم وواضح لدى كل الشعوب والمجتمعات، حتى وإن كانت كافرة أو ملحدة، أمّا الشطر الثاني فيحمل إضافة بارزة وبديعة، ألا وهي: «شكر النعمة»، وهنا يتضح الفرق الجوهرى بين المنهج القرآني والمنهج الفكرية الأخرى.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (إبراهيم: ٧) وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا عَمَلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ (يس: ٧١-٧٣). وما غاص باحث في آية من آيات التنمية في القرآن الكريم إلا وبهرته هذه «الدقة» وذلكم «الوضوح»، فهذه سمة ثانية من سمات منهج القرآن في معالجته لموضوع التنمية.

أول ما يتبادر إلى ذهن الباحث وهو يعيد النظر في «مناهج التنمية في القرآن الكريم»، أهمية الموضوع وخطورته، ثم شموليته لجوانب الحياة جميعها، ولتخصصات العلوم دون استثناء، من جهة؛ وهو من جهة أخرى موضوع دقيق ومركّز؛ وبخاصة إنه يتناول «الشكل والمنهج» لا «الموضوع والمحتوى»، وبالذات في القرآن الكريم، دون غيره من مصادر التشريع الإسلامي، مثل السنة والإجماع.

الإسلام والتنمية

ولسائل أن يسأل: «ما الحكمة من كون مناهج التنمية في القرآن الكريم ومفاهيمها الأساسية وصيغها وأسباب انعدامها وكل المحاور المرتبطة بها، غير مبينة في سورة واحدة، أو تحت عنوان واحد، بل هي مبثوثة في كامل القرآن الكريم، بصيغ مختلفة، وصور متباينة؟».

لا شك أن القرآن الكريم كتاب «حياة»، وليس من طبيعة الحياة التجزؤ ولا الانحياز، فالحديث عن التنمية حديث عن جوانب «الحياة» كلها. التربوية منها والاقتصادية والفكرية والاجتماعية والسياسية. ومجرد حشر التنمية تحت عنوان واحد أو سورة واحدة خروج عن المنهج الأمثل في التعامل مع هذا الموضوع الخطير.

وبالتالي، فإن «شمولية التنمية وتكاملها» هي أبرز سمة من سمات التنمية في القرآن الكريم. فمنهج معالجتها ينبغي أن يكون بالتبعية منهاجاً شمولياً متكاملًا، ولا يفهم من هذا -بالطبع- أن يغرق الموضوع في عموميات لا نهاية لها، ولا أن ينظر إليه على أنه مرادف لكل المواضيع؛ يأخذ منها ويرجع إليها، حتى وإن كانت بعيدة؛ ذلك أن مثل هذا التعميم كفيلاً بتضييع المنهج والمبنى، وإفساد المقصد والمعنى.



عناصر التنمية في قصة ذي القرنين

في قصة ذي القرنين التي جاءت مفصلة في أواخر سورة الكهف، نجد عناصر التنمية الأساسية واردة بصيغ مختلفة، وهي من أفضل النماذج التي تلج بنا إلى هذا الموضوع. فمن ذلك أن ذا القرنين لما بلغ ﴿بَيْنَ السُّدَيْنِ﴾ (الكهف: ٩٣) أي بين الجبلين، وجد قومًا ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ (الكهف: ٩٣) وهو الذي مكن الله تعالى له، وآتاه من كل شيء سببًا.

وهنا نلاحظ التقابل بين قوم ينتمون إلى مجتمع غير نام، ورجل عظيم جاء من محيط نام، فالقوم متصفون بصفات الضعف والوهن، والتخلف والجهل، ولم يقدروا على ردّ يأجوج ومأجوج الذين تسلطوا عليهم وأفسدوا أرضهم. أما ذو القرنين فقد بلغ ذروة التنمية، فمكن الله تعالى له في الأرض، وآتاه من كل شيء سببًا، أي «سلطانًا وطيد الدعائم، ويسر له أسباب الحكم والفتح، وأسباب البناء والعمران، وأسباب السلطان والمتاع... وسائر ما من شأن البشر أن يمكنوا فيه في هذه الحياة».

﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا﴾ (الكهف: ٨٥) أي سحر ما وهب له من النعم في خدمة غايته وهدفه، ولم يضيع ذلك هباء. ومن المؤكد في

من هنا نسجل أن أبرز السمات في المنهج القرآني للتنمية أربعة، هي: «الشمولية» و«التكامل» و«الدقة» و«الوضوح».

و«التنمية» من مدخلها الاقتصادي مرحلة متطورة تأتي بعد مرحلة النمو الاقتصادي، الذي يعني ارتفاع النسبة المئوية للإنتاج العام مقاساً بالأسعار الثابتة، أي الارتفاع الحقيقي للدخل القومي. إذن يمكن للبلد الذي يعتمد اقتصاده على إنتاج وتصدير النفط والغاز والفحم والقهوة أو الحديد، أن يحقق نمواً اقتصادياً عن طريق رفع إنتاج هذه المواد (طبعاً شريطة أن لا تنخفض أسعار هذه المواد في الأسواق العالمية). لكن هذا النمو السريع، وغير الثابت لا يؤدي بالضرورة إلى التنمية الاقتصادية، التي تعرف من خلال ثلاث مصطلحات: «الخطّة»، والدخل القومي الحقيقي، والأجل الطويل».

ف«التنمية الاقتصادية» لا ينبغي أن تفهم على أنها تغيير كمي سطحي مرحليّ عابر يقتصر على عنصر معين من عناصر التنمية، إنما هي «خطّة» معقدة ومتشابكة تستهدف تغييراً جوهرياً في البنيان الاقتصادي، يمتد ليمس كافة العلاقات الاقتصادية، ويسفر عن رفع معدل الإنتاجية بقدر كفاءة استخدام الموارد القومية والعالمية والمستوى التكنولوجي المتاح.

عناصر التنمية في القرآن الكريم

يصعب حصر جميع عناصر التنمية الواردة في القرآن الكريم، لكنّ عملية مسح أولية تُبرز لنا عدداً منها، ولعلّها هي الأهم، وهي على التوالي: رأس المال، والثروات الطبيعية والآلية (أو التكنولوجيا كما تعرف اليوم) والإنسان والشكر والوقت والغيب والإدارة والتخطيط والعلم والعمل وتوجيه الطاقة.

لا شك أننا لو حاولنا تصنيف هذه العناصر تصنيفاً منهجياً، فسنجد أنها تنقسم إلى محاور ثلاثة هي:

الموارد: وتمثل في رأس المال، والثروات الطبيعية، والوقت. الغيب: ويتمثل في مشيئة الله تعالى وقدرته، وفي شكر نعمه. الإنسان: ويندرج ضمنه كلٌّ من الإدارة، والتخطيط، والعلم، والعمل، وتوجيه الطاقة.

نركز هنا على «محورية الإنسان في التنمية، بناءً على المنهج القرآني»، وسنطلق من نماذج بلغت الذروة في التنمية، ونستنبط منها هذه العناصر، حسب السياق، مع مراعاة أصول التفسير وقواعده. وبنفس الطريقة يمكن أن يتم التعامل مع نماذج أخرى: والعناصر هي كالاتي:

علم الإدارة أن توجيه الطاقة وضبط الغاية وتحديد الأهداف هي أهم مراحل التخطيط والتخطيط الاستراتيجي، من أجل تنمية مستدامة وشاملة.

والملفت للنظر أن هؤلاء القوم كانوا يملكون المال، والدليل على ذلك قولهم ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ (الكهف: ٩٤)، وكانوا يملكون اليد العاملة، لذلك أمرهم ذو القرنين بقوله ﴿فَاعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ (الكهف: ٩٥)، ثم قال لهم أوان بناء السد ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ (الكهف: ٩٦)، ثم قال ﴿انْفُخُوا﴾ (الكهف: ٩٦)، ثم قال ﴿آتُونِي أَفْرَغَ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾ (الكهف: ٩٦). غير أنهم يفتقرون إلى أهم أسباب التنمية على الإطلاق؛ يفتقرون إلى تمكين الله تعالى وإلى العلم والتكنولوجيا والتخطيط وإلى وضوح الغاية والأهداف.

وقراءة أولية لواقع المسلمين اليوم، وتخلفهم عن سُلَّم الحضارة، وواقع الغرب وتمكنه، تجعلنا نفهم هذه الآيات فهما عميقا، وتُجَلِّي لنا المنهج القرآني في بناء تنمية شاملة، أساسها الإنسان الكفء والفعال، حتى وإن كان غير مالك للمادة والوسائل.

وهذا ما نقرؤه في المقارنة التي

عقدها ذو القرنين بين «رأس المال المعبر

عنه بالخروج» وبين «التمكين»، فقال: ﴿مَا مَكَّنِي فِيهِ

رَبِّي خَيْرٌ﴾ (الكهف: ٩٥). فرغم اختيار بعض المفسرين أن هذا التمكين يقصد به المال واليسار إلا أن الصواب -والله أعلم- في توجيهه معنى التمكين هو تقديمه للروح الإيمانية، والقدرة العلمية، وكذا التمكين التكنولوجي.

إذن، فـ«الإنسان» بكل أبعاده هو محور التنمية في هذه الآيات.

عناصر التنمية في قصة سليمان عليه السلام

لقد بلغ سليمان عليه السلام من التطور الحضاري، والتنمية في جميع المجالات، مبلغا لم يرتق إليه أحد قبله، ولن يرتقي إليه أحد بعده؛ وما ذلك إلا للعلم الذي آتاه الله تعالى، وامتن به

عليه، حتى برز أباه، قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ (الأنبياء: ٧٩)، وقال: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (النمل: ١٦).

ولقد برز سليمان عليه السلام في مجالات العلم والمعرفة، مثل السرعة، وفهم لغة الطير، والقتال والحرب، وفنون الإدارة، والحوار والجدل، والسياسة، والعفو والصفح، والعدل والحكم... أي في كل ما من شأنه أن يصنع حضارة مثالية شاملة متكاملة الجوانب، تفوق واقع الدول المتطورة اليوم بأشواط؛ ذلك أنها تملك التقنية والآلية، وتفتقر إلى العدل والروح والشكر والأخلاق، وتعدم القيم الحضارية غير المادية. فالغرب يبنى أسس تنميته على العلم وحده، ويعتقد أن «من يملك العلم يملك

القرار، هذا هو المستقبل، ومن

تنقصه المعرفة تنقصه القدرة

على اتخاذ القرار». أما

من حيث افتقاد الغرب

للأسس القيمة فيقول

المفكر مهاتير محمد:

«وحسب تقييمنا، فإن

أية دولة لا تصبح دولة

متقدمة إذا كانت غنية،

ولديها التكنولوجيا، ولكن

تنقصها القيم الأخلاقية. وهناك

مجتمعات غربية كثيرة على سبيل المثال

متفسخة أخلاقيا».

لكن المؤسف من جهة أخرى، أن الدول الإسلامية تفتقر إلى جميع القيم الحضارية التي تعلي من شأن الإنسان، وهذه الأمم تناقض دينها وتسير في غير هدى؛ فلا هي تملك التكنولوجيا والعلم، ولا هي تتحكم في الأبعاد الإيمانية والأخلاقية؛ وسوف لن يغنيها نقل مناهج الغرب في التنمية حرفيا، لكن عليها أن تفرّق بين الروح والشكل.

ولعل السؤال المحير بحق هو «ما الذي دفع بسليمان عليه السلام

إلى أن يسأل الله تعالى ملكا لا ينبغي لأحد من بعده؟ أليس هذا

من قبيل حرمان الناس من عطاء الله؟! والحق أن قول سليمان

عليه السلام: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي

جدول تقديري حول عناصر التنمية

ثمة مفارقة محيرة هي:

- كون «الإنسان القرآني» إنسانا حقق جميع متطلبات الحضارة، حتى وإن ضعف أحيانا في الجانب المادي، إلا أنه لا يتأثر، بل يؤسس على الجانب الأهم.

- أن «الإنسان المسلم» اليوم رغم كون القرآن يتلى بين ظهرانيه، إلا أنه متخلف من جميع الجوانب، ولم يستفد من كتابه في بناء حضارة عالمية مشهودة.

- أن «الإنسان الغربي» اليوم حقق انتصارات متوالية في الجانب المادي، وبني مدنية عالمية، غير أنه يفتقر إلى الأخلاق، والقيم، والشكر. من هنا يجب أن تفكر البشرية اليوم في تنمية شاملة، وحضارة متكاملة، لا تشبه النمط الغربي كلية، بل يجب أن تبني على النموذج القرآني بأن يستفيد مما أنتجه الغرب من رقي، وتضيف إليه الروح والعمق.

الإنسان القرآني	الإنسان المسلم المعاصر	الإنسان في الغرب	
+++	+ -	+ -	الأخلاق
+++	+ -	++	الإدارة
+++	-	++	البحث العلمي
+++	-	++	التخطيط
+++	-	+	التخطيط الاستراتيجي
+++	+ -	+++	التكنولوجيا
+++	-	+	توجيه الطاقة
++	++	+++	رأس المال
+++	+	-	الشكر
+++	-	++ -	العلم
+++	+	++	العمل
+++	-	++	استثمار الوقت
++	+++	+	الموارد الطبيعية
+٣٦	+١٠ -٩	+٢٢ -٣	المجموع

رغم أن هذا الجدول تقديري قيمي، يمكن مراجعته وتصحيحه؛ إلا أنه يظهر مدى اكتساب الغرب للعناصر المادية والعلمية في التنمية، وتبين مدى افتقاره إلى الأسباب الأخلاقية والإيمانية؛ أمّا المسلمون اليوم فيضعفون في جميع الجوانب، غير أن الإنسان القرآني إنسان متكامل الجوانب، قوي ماديًا، ومكين روحيا وأخلاقيا. فالذي تعدمه البشرية اليوم هو هذا التوازن المفقود بين المادة والروح، بين الدنيوي والأخروي، بين العاجل والآجل.

إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾، يتجاوز حدوده البشرية، ويأتي ضمن المقاييس العليا؛ يأتي من العزيز الوهاب. ولعل الحكمة من ذلك أن الله تعالى جعل أعلى قمة في التمكن والرقى والملك، هي قمة شاكرة للنعم، غير كافرة بالله تعالى، ولا متنكرة لنعمائه وآلائه؛ حتى لا يقول أحد بعد ذلك: «ما دمت أنا الأفضل والأقوى والأغنى... فإني لا أرى مبررا لأن أشكر أحدا أو أعترف بآله». أما وإن سليمان قد بلغ ما بلغ، وهو من الشاكرين، فإن الحجة قد قامت على جميع الناس، دون استثناء.

من هنا نستنتج أن السبب الأقوى من أسباب التنمية الحقة هو «الشكر»، ولقد قال تعالى عن آل داود: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سبا: ١٣) كما كان أبسط موقف في الحياة يدفعه إلى الشكر. وهذا ما حدث في قصة النملة: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٩﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ (النمل: ١٨-١٩).

هذه نماذج من عناصر التنمية في المنهج القرآني، وهي جميعا مؤسسة على محورية الإنسان. والقرآن طافح بنماذج أخرى، تحتاج إلى دراسات وتحليل عميق؛ فمن ذلك مثلا: التخطيط، في قصة يوسف عليه السلام، والتفاني والعمل في قصة موسى عليه السلام، واستثمار الوقت في مراحل السيرة النبوية الطاهرة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

(*) مدير معهد المناهج، الجزائر العاصمة - الجزائر.

المصادر:

- ١- الإسلام بين الشرق والغرب، علي عزت بيغوفيتش (ترجمة محمد عدس)، مؤسسة بافاريا، ١٩٩٧م ألمانيا.
- ٢- الإسلام والتنمية الاقتصادية، محمد علي الحسيني، مقال في مجلة البناء، عدد ٥٨.
- ٣- في ظلال القرآن، سيد قطب.
- ٤- التعليم العلمي والتكنولوجيا في إسرائيل، صفا محمود عبد العال، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٢م القاهرة.
- ٥- صوت آسيا، مهاتير محمد، نشر دار الساقى، ١٩٩٨م لبنان.

منمات على بوابته العشق

حسن الأمراي *

فتجلّت عرائس في الجنان
لا تقل: «والظلام ليس بفان»
بقايا.. فالأفق أحمر قان
أذكى اللّظى مهب الدخان
وبكى، فانتشى به الخافقان
حطباً يابساً جليّ الهوان
ويدنو: «يا نعيم الدّاني
قد تلتها من عاشق زفرتان
ولهيب مقدّس الهيجان
فهوى في قرارة الأحزان
ما لنا في دفع الهموم يدان
وجرت فوق وجنتي دمعتان
فإني مشّت الأذهان
رضي البيع، قال: خذ عنواني
خرّ موسى.. هل يدرك الثقلان؟

شمس تبريز أشرقت في كياني
أي شمس أهي وأعلى مقاماً؟
فعلى الأفق من دماء الشهيدين
سبح الله، مَنْ من الشجر الأخضر
مست الناي نارُ عشق فغنى
كان قلبي من قبل مسّ لظاه
فاستوى كالشهاب يخرق الأفق
وجع الناي شهقة ليس تبلى
هو صحو وسكرة.. وظلال
إن برق الحجاز هيج قلبي
فأقلّوا العتاب يا أهل نجد
قلتُ والحُب خير زاد المعنى
دّلني! من أين الطريق إلى النور،
قال: «إن الله اشترى» قلت: قلبي
ومشى خطوة فلما تحلّى

صعقة العشق زلزلت من سناها
هو إن غصت فيه شلال نور
أيّ كأسٍ سقت عروق المعنى
ألف ليلي جنت.. وألف سعادٍ
«أنت تغلو يا قيس» كلا! عيوني
وجه ليلي إشارة، وسناها
وأنين التّوباد ليس سوى تكبير
أوبي يا جبال، فالطير حنت
وعلى درب العاشقين دماءً
حرّكت أوتار المحبة في الروح
والفراشات لم تزل تعشق النور
حجبتني الأوزار عن رؤية النور
والضعيف الضعيف من كان مثلي
طاف قلبي دهرًا فلما تداعى
سيقول الغلاة إنك تغلو
هيه يا نفسي الدليلة هونا
لا تمدي عينيك.. ربّ خوان
واهتفي: إنني ظمئت إلى النور
أين من همة المحب إذا ما
أين منها بيارق السلطان
كل شيء يفنى وليس بياقٍ

أضلع الطور فهو في خفقان
وعطايا وجد، ووحى بيان
فهو في نشوة بديع المعاني
ليس تدري الذي بجوف الدّنان
ما رأت غير بارئ الأكوان
قبس فاض عن يد الرحمن
عبد أفضى بغير لسان
وكؤوس الحنين صنو الحنان
ودم العشق قبلة الحيران
يدّ جالت من وراء الجنان
وترضى الإبحار في النيران
وهدت مسحاتها أركاني
مقل القلب، موهن البنيان
سقت رحلي إلى «بديع الزمان»
كيف يدري الخليّ فكّ المعاني؟
وخذي الحكم من يد الحرمان
عرضته.. يكون شرّ خوان
فجدّد يا بارئي إيماني
همت الكأس وانتشت شفتان
خافقات وصوله الصولجان
غير نور المهيمن الديان

(*) رئيس تحرير مجلة المشكاة - المغرب.

الفنان المسلم

بين النافع والجميل والأخلاقي

أ.د. بركات محمد مراد *

ويقوم بتحقيق منافع عملية وحياتية لا تنكر بالنسبة للفرد والأمة على السواء.

الفن الجميل والفن النافع

ونجد أن «جويو»^(١) يرى أن الفن نشاط «جدي وثيق الصلة بالحياة، فلا يمكن أن تكون الأعمال الفنية مجرد مظاهر ترف أو موضوعات كمالية، بل هي ضرورات حيوية وأنشطة جادة وموضوعات نافعة، والموضوع النافع يولد بعض المشاعر الجمالية ليس لأنه نافع، بل لأنه في الوقت نفسه موضوع جميل».

وهذا ما دفع «جون ديوي» إلى الربط بين النظر والتطبيق وبين الفن الجميل والفن النافع؛ إذ رأى أن أي فلسفة أو فهم للفن محكوم عليها بالفشل إذا شيدا على أساس من الثنائيات الزائفة بين الفن والطبيعة أو الفن والعلم، والفن الجميل والفن النافع.

ولكي يكشف هذه الثنائيات الزائفة رأى ضرورة المضي نحو فهم حقيقي للفن يدمج هذه الثنائيات في وحدة. وقد كان حرصه على ربط الفن بالخبرة هو الذي جعله يقيم هذه العلاقة (أو الوحدة) بين النافع والجميل على أساس أنهما يمثلان مظهرين من مظاهر النشاط الإنساني الواحد. فالفنون الجميلة ذات أهمية عملية، من وجهة نظر «ديوي» لا تقل عن بعض الصناعات التكنولوجية.

إذن فالفرق بين العمل الفني والعمل الصناعي لا يرجع إلى خصائص محددة في العمل الفني أو العمل الصناعي وإنما يرجع إلى نظرنا نحن أو إلى موقفنا تجاهه، فقد يكون موقفا عمليا تارة وموقفا

الفن بالمعنى العام هو جملة من القواعد المتبعة لتحصيل غاية معينة، جمالا كانت أو خيرا، أو منفعة، فإذا كانت هذه الغاية هي تحقيق الجمال سمي بالفن الجميل، وإذا كانت تحقيق الخير سمي بفن الأخلاق، وإذا كانت تحقيق المنفعة سمي الفن بفن الصناعة.^(١)

وإننا نجد من خلال تعريف الفن وتصنيف الفنون والعلوم في العصور القديمة والوسطى أن التصور العام للفن ينطبق على الفن التطبيقي والفن الجميل، وكان معنى «فن» تدرج تحته مجموعة كبيرة من الحرف والمهن والعلوم التي تتسم بسمه تطبيقية وعملية واضحة، وأنها وسيلة لمنفعة أو فائدة.

وهذا كان واضحا جدا في الفنون والحرف الإسلامية عبر كثير من عصورها. ورغم تباين المواقع الجغرافية فيها، فإننا لا نجد فيها تمييزا بين كل من الفنون الجميلة والفنون التطبيقية، حيث كان كل منهما يؤدي وظيفة جمالية واضحة،

تأملنا جماليا تارة أخرى. وهذا يفضي بالطبع إلى أنه قد يمكن للآنية التي نشرب فيها أو الحذاء الذي نلبسه أن يتحول إلى عملين فنيين بمجرد أن نجعل منهما موضوعا للنظرة التأملية الجمالية.^(٣)

الفنون الإسلامية

وفي الحقيقة لم تعرف الفنون الإسلامية تلك التفرقة بين فنون جمالية وأخرى تطبيقية، فقد كانت كل الفنون في الحضارة الإسلامية تُراد لمنفعتها مثلما تراد لتحقيق غايات جمالية تساعد على تحقيق متعة بريئة للإنسان في مختلف تجليات حياته، تمثل هذا في صفحات المصحف الصغير الذي يقرأ فيه قرآنه أو في ذلك المسجد الكبير الذي يضمه للعبادة.

ولذلك عاش الإنسان المسلم فنونه، وتمثل هذه الفنون في كل وسائله الحضارية وأدواته اليومية، بل في أسلحته التي يستخدمها للحرب والقتال، ومسكوكاته المعدنية التي بواسطتها يحيا حياته الإقتصادية. ولا أدلّ علي صحة هذا وصدقه من أننا نجد الطابع الجمالي والعبقريّة الفنية واضحة وجلية في كل مقتنيات الإنسان المسلم في الحضارة الإسلامية، تجلّى هذا واضحا في عمارة مدينته وبناء قصوره وحدائقه، وفي المنسوجات التي كان يرتديها، وفي السجاجيد التي كان يفرشها أو يلصقها على حوائط غرفاته، أو في القوارير والآواني الزجاجية والفخارية التي كان يستعملها في حياته اليومية.

وقد تنوعت الفنون الإسلامية، وتغلّغت في كل مناشط الحياة المختلفة، ما بين تصوير وزخرفة ونسيج ونقش على الخشب، وتشكيل في الزجاج والخزف والفسيفساء وغيرها؛ فضلا عن الموسيقى. وهذا التنوع يعكس تعاظم المد الفني واتساقه مع المد الثقافي والاقتصادي، وتغلغل الفن في الصناعات المعروفة بالفنون الصغرى في الحضارة الإسلامية.

فاللباس والفرش والبسط والتحف والمشكاوات وأواني الطعام والشراب وغيرها كانت تكتسي قيمة جمالية أبدعتها قريحة الفنان المسلم؛ إذ لم تكن الزخرفة مجرد وسيلة لملأ الفراغ أو تغطية أشكالها، إنما هي أصول جوهرية لدقة الصناعة ومهارة الصانع، بدونها يعد الأثر الفني ناقصا.^(٤)

الفنون الحرفية

ومن المعروف أن الفنون الإسلامية أقرب إلى الحرف منها إلى الفنون المجردة، لمحاولتها تحقيق وظيفة إنشائية ونفعية في المقام

الأول، إضافة إلى الصبغة الجمالية التي تسعى إلى تحقيقها في نفس الوقت، هذا من ناحية؛ ومن ناحية أخرى اكتسبت هذه الصبغة بسبب طريقة إعداد الفنان، وهي في جوهرها لا تختلف كثيرا عن الوسيلة التي تتبع في إعداد الصانع الفنيين التقليديين، ويعتمد فيها علي تتلمذ عدد من الأطفال والصبيان على يد صانع ماهر يتدربون تحت إشرافه وإرشاده علي الأعمال الفنية مبتدئين من أبسطها ومنتهين بأكثرها صعوبة وتعقيدا.

كذلك كان الشأن في تعليم المصورين إذ يلتحق عدد من الصبيان بمُرسِم مصور ماهر ويتعلمون منه كيفية تحضير الألوان وتجهيز الورق، ويتمرنون في نفس الوقت على نقل نماذج معينة من رسوم يعلّمها لهم، وعليهم أن يحذقوا رسمها من الذاكرة قبل الانتقال إلى رسم ما هو أصعب منها، وهكذا ينتقل التلميذ من رسم الخطوط إلى الأشجار إلى الحيوانات إلى الأشخاص.

وكان لهذه الطريقة أثرها الواضح في التصوير؛ فهي أولا تعود المصور الناشئ على رسم نماذج معينة، فضلا عن أنه كان يتعلم تكوين الصورة عن أستاذه بواسطة الورق المخرم، ولذلك نلاحظ المحافظة على تكوينات معينة تستمر من عصر إلى عصر، وتنتقل من مصور إلى آخر، مما أكسب التصوير الإسلامي شيئا من الجمود، بل إن هذه الطريقة كانت أحيانا تقتل المواهب عند الناشئين، وهذا هو الأثر الثاني لها، ولذلك فالذي يمتاز منهم عن غيره إنما يمتاز بفضل إتقانه مزج الألوان وتفوقه في إكساب صوره مسحة من الجمال والرقّة، أو حفظ النسب بين الأشياء بعضها بعضا أو صدق تمثيل الطبيعة أو التوفيق في التعبير عن الحركات، ولكن كل هذا داخل الإطار العام للعصر.^(٥)

ولم يكن عمل المصور الإسلامي -مثلا- بالأمر الهين، بل كان عملا شاقا مضنيا، يستلزم منه وقتا طويلا ويستنفد مجهودا عظيما، إذ لم يكن مقصورا على الرسم فقط، بل كان عليه أن يحضر بنفسه أدواته كالفرشاة والألوان، والأصباغ والورق المزخرف، وكل ما هو في حاجة إليه في عمله.

وما يحدث في التصوير يحدث مثله تقريبا في كل الفنون الإسلامية التطبيقية مثل صناعة السجاد والزجاج والخزف وحتى صناعة المسكوكات المعدنية. ومن الملاحظ أن بعض الفنانين كانوا يسجلون أسماءهم علي قطعهم الفنية.

اختلاف الألسنة

إن اختلاف الألسنة يحول بيننا وبين أفكار الفلاسفة والمفكرين والشعراء في لغة غير لغتنا، أو في بلد غير بلدنا، إلا عن طريق

الترجمة. وإن هذه الأفكار حتى بعد ترجمتها لا تستغني عن التفسير التوضيحي الطويل؛ أما مبتكرات المعماري والمصور والخزاف والنساج والخطاط وغيرهم من أرباب الفن، فهي على اختلاف بلادها سهلة النطق والفهم لإشباع حاسة الجمال فيها.

والفن مطلب ضروري للإنسان يندفع إلى تحقيقه، سواء جلب له منفعة عاجلة، أم عجز عن أن يجلبها له، وهو كالمعرفة الخالصة في التفسير. وإذا كانت غاية المعرفة هي «التفسير العقلي للظواهر» فغاية الفن هي استبطان الشعور الحي وتجسيمه، و«المشاركة الحيوية» التي هي ضرب من التماس الوجداني والتفاعل مع الصور الحيوية. وإذا كان العالم لا يخلع ذاته على الظواهر التي يحاول تفسيرها لتحقيق الموضوعية، فإن الفنان على العكس منه، يجعل ذاته نقطة انطلاق ومحطة وصول. فالإبداع الفني ينبع من ذات الفنان، ليحتك بعد هذا الجهد الحيوي العام، فيكشف عن صور الحياة في تماسها مع ذاته.

اليد المعجزة

وإذا كان التراث الفني الإسلامي قد اندفع إلى الوجود عن طريق «العقل» و«الوجدان»، فقد سبقتهما في ذلك «اليد» التي أبدع الله تكوينها وصاغ شكلها، وأودع أطراف أصابعها سر الوجود وحقيقة الحياة ومستقبل الإنسان. وهذه اليد كالقلب والعقل، ذكرها الله في محكم آياته في مائة وعشرين آية، جاءت متفرقة في العديد من السور القرآنية.

وتأخذ حقيقة «اليد» كما خلقها الله فيما تأخذ لتكون صانعة لاستمرار الإنسان ودوامه، ومكوّنة لحضارته وممهدة لوجوده ومثبتة لحياته على هذه الأرض، كأرقى المخلوقات، وهي وحدها لا العقل والوجدان التي عبرت عن حقيقته الأولى، حيث استطاع إشعال النار واستعمال الأدوات المستمدة من الأحجار والعظام وفروع الأشجار. وفي عصور لاحقة حيث عملت يده في أعمال فنية، كصناعة الفخار والرسم على جدران الكهوف. هذه قصة «اليد».

و«الخط» لسان اليد، فهي التي كتبت وأبدعت، وشكلت الفنون. ولذلك فلا غرابة أن يصبح «الخط العربي» وبخاصة حين يأخذ مادته من القرآن الكريم هو الفن السائد في المجتمعات الإسلامية خلال كثير من العصور. وقد استطاع الخط العربي مثل الأرابيسك أن ينقل البيئة الأساسية للفهم المنطقي - أعني الرموز الفكرية الأبجدية - إلى مادة فنية تصويرية، إلى بيئة فنية يصبح الوعي الجمالي فيها أصليا لا ثانويا، قائما بذاته لا بغيره.

الفن والجمال

لقد استخدم الفن دائما للتعبير عن «الجمال» في كل مجاله ومظاهره، وخاصة في الحس والشعور الإسلامي، وبالضرورة حين يكون عنصر الجمال عميقا في هذا الوجود ومقصودا لذاته يتبدى واضحا في كل كائناته «الجامدة» وغير الجامدة، والإنسان - وهو خليفة الله في الأرض - مُطالب بأن يفتح حسه لهذا الجمال ليلتقي أجمل ما في نفسه - وهو حاسة الجمال - بأجمل ما في الكون، ويُنتج من هذا اللقاء تلك الألوان المتنوعة من الفنون والإبداع، فتصير تلك الفنون أنواعا من التعبير عن ذلك الجمال. ومن هنا كان التلازم بين الجمال والفن؛ فلا تصور للفن بلا جمال ولا تصور للجمال بلا فن.

وسواء أكان الفنان بإزاء لوحة تشكيلية، أم بإزاء مقطوعة موسيقية، أم بإزاء قصيدة غنائية فإنه في كل هذه الحالات إنما يقدم لنا «موضوعا جماليا»، عيانا، مكتملا، متينا، متحددا. والفنان الحقيقي يقدم لنا إعجازا فنيا، يجعل الفكرة تتجسّد في الطبيعة لكي تستحيل إلى فكرة باطنية تنبع من أعماق وجودنا. فإذا بنا نستشعر نضارة الربيع ونشوة الحياة، وكأن جسدنا نفسه قد أخذ يتراقص على سحر تلك الفكرة التي مسنا بها الفنان.

ولقد مارس الفنان المسلم عمله بحرية مطلقة، كما يقول المستشرق «غرابار»، هذه الحرية المطلقة التي جعلت أي عنصر قابلا للتطور في أي اتجاه: «وهكذا كانت للفن العربي الإسلامي في بداية الإسلام إمكانية نمو جديدة لا توجد لها، وإمكانية تطور كبير، تشهد عليها واجهة «قصر المشتى» بوضوح، مما يعطي فكرة عن خاصية مميزة للفن الإسلامي في عهد تكوينه، وهي «الحرية». فليس هناك نهاية وليست هناك حدود أخرى سوى إرادة الفنان».

وتجلت عبقرية الصانع المبدع في الفن الإسلامي المجرد في تزيين أغنى بها القطع الاستعمالية المصنوعة من الخزف أو من الخشب أو الزجاج أو السجاد. ولقد بدأ هذا التزيين الذي تجمعت فيه حصائل لا حد لها في متاحف العالم، والمقتنيات الخاصة، بأشكال وطرق تختلف باختلاف المادة التي صُنعت منها.

العلاقة بين القيمة الجمالية والقيمة الأخلاقية

فإذا ساءلنا الفن الإسلامي، هل من علاقة بين القيمة الجمالية والقيمة الأخلاقية؟ أو بعبارة أخرى هل يمكن اعتبار «الخير» صورة من صور «الجمال»؟

فإننا نجد الفن الإسلامي يرى أن الفلسفة التقليدية كانت

هو الذي ينتزع من نفوسنا كل إحساس بالصراع أو التمزق، وكأن الإحساس بالجمال يقتصر في نفوسنا بإحساس أخلاقي هو الشعور بالسلم أو الطمأنينة أو التوافق النفسي.

وقد حققت الفنون الإسلامية كل تلك الأبعاد الأخلاقية متجسدة في مختلف الصور، بل أكثر من هذا، فقد مزجت أيضا بين الجميل والنافع، ولم تفصل بينهما كما فعلت بعض فنون الغرب، والتي دعت إلى «الفن للفن» أو الجمال لذات الجمال، مفرقة بين الفن والصناعة.

إن كلمة «الفن» المتداولة اليوم تحمل معنى الصناعة نفسه في كتب المؤلفين العرب والمسلمين، ومع ذلك لم تكن الصناعة عند المسلمين نوعين، رفيعة وصغرى، بل إن جميع الصنائع هي آثار فنية. فلم يكن ثمة تمييز في قيمتها على أساس المنفعة، لأنها كانت نافعة وممتعة بطرافتها ودقتها وجمالها؛ وعلى العكس

مما يبدو في آثار الفن التشكيلي الغربي (اللوحات والتماثيل) التي لا يُقصد من ورائها الاستعمال النفعي، بل التمتع فقط. وينحرف العمل الفني عن الفن إذا اقتصر الهدف منه على المنفعة. ولكن الفن الإسلامي - وكما أدرك ذلك بحق الباحث الكبير عفيف البهنسي - يوحد بينهما فتبدو السجادة والمُمنمة والفسقية والإناء، ليست مجرد أشياء استعمالية يتحكم في صنعها الغرض النفعي والاستعمال، ولكن أكثرها

آيات يتحكم في تنميقها ورقشها أو نقشها وتلوينها حس جمالي، أي إن الأثر الإسلامي كان فنا ومتاعا في وقت واحد، ولم يتعارض في يوم من الأيام مع القيم الدينية والأخلاقية. ﴿



على حق حينما جعلت من القيمة الأخلاقية شكلا من أشكال الجمالية. حقا إن «الجميل» مكتف بذاته، لأنه يملك في ذاته تعبيرا قويا لا حاجة به إلى ترجمة أخرى، سواء أكان ذلك بلغة الأخلاق أم لغة الدين. ولكن من المؤكد مع ذلك أن للجميل طابعا دينيا هو الذي جعل حقائق الدين المقدسة تلمس في شتى الفنون أسمى تعبير عنها. ولن يتناسى الإنسان هذا الطابع الديني للجمال إلا حينما ربط الفن بأهوائه وانفعالاته وعواطفه، وكأن الفن مجرد أداة للمتعة أو اللذة، في حين أن الفن قد ارتبط من قديم الزمان بأقدس عقائد الإنسان وأسمى أفكاره وأرفع قيمه.

وقد أدرك ذلك منذ زمن مبكر كثير من المفكرين والفلاسفة، وعلى رأسهم أرسطو بنظرية في «التطهير» أو «الكاترسيس»؛ فنراه يقرر أن للفن مضمونا أخلاقيا يتمثل

في التسامي بأرواحنا، ومساعدتنا على مقاومة أهوائنا. ومعنى هذا أن للفن صبغة تطهيرية تجعل منه أداة فعالة لتنظيم البدن، وتصفية الأهواء، وتنقية الانفعالات. ويضرب أحد فلاسفة علم الجمال مثلا بالموسيقى فيقول: «إن النغم صورة مهذبة من الصباح، بحيث إن الموسيقى تبدو بمنزلة تنظيم تلك الأصوات التي يصدرها الإنسان حين يئن أو يصيح، أو يتأوه، أو ينتحب». وهكذا الحال أيضا

بالنسبة إلى الغناء، والرقص، وغيرها من الفنون، فإن الإنسان لا يتخذ من التعبير الفني - في كل هذه الحالات - سوى مجرد أداة لتنظيم انفعالاته.

الفن والشعور بالذات

إن من شأن الفنون أن تساعدنا على الشعور بذواتنا، والتعرف على حقيقة مشاعرنا، فهي أشبه ما تكون بمرآة حقيقية للنفس، تنعكس على صفحاتها كل أهوائنا وعواطفنا وانفعالاتنا وأفكارنا. والواقع أنه إذا كانت هناك علاقة وثيقة بين الفن والأخلاق، فما ذلك إلا لأن الفنون الجميلة تطهر أهواءنا وتنقي انفعالاتنا، وتحقق ضربا من التوافق بين أحاسيسنا وأفكارنا، أو بين رغباتنا وواجباتنا، إننا نشعر بضرب من السعادة العميقة حينما نرى الشيء الجميل. لأننا نستشعر عندئذ توافقا عجيبا

(*) أستاذ الفلسفة الإسلامية، جامعة عين شمس، كلية التربية - مصر.

الهوامش:

(١) المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٩م بيروت، ١٦٥/٢.

(٢) الفنان والإنسان، د. ذكرى إبراهيم، مكتبة غريب، ١٩٧٧م القاهرة، ص ١٣.

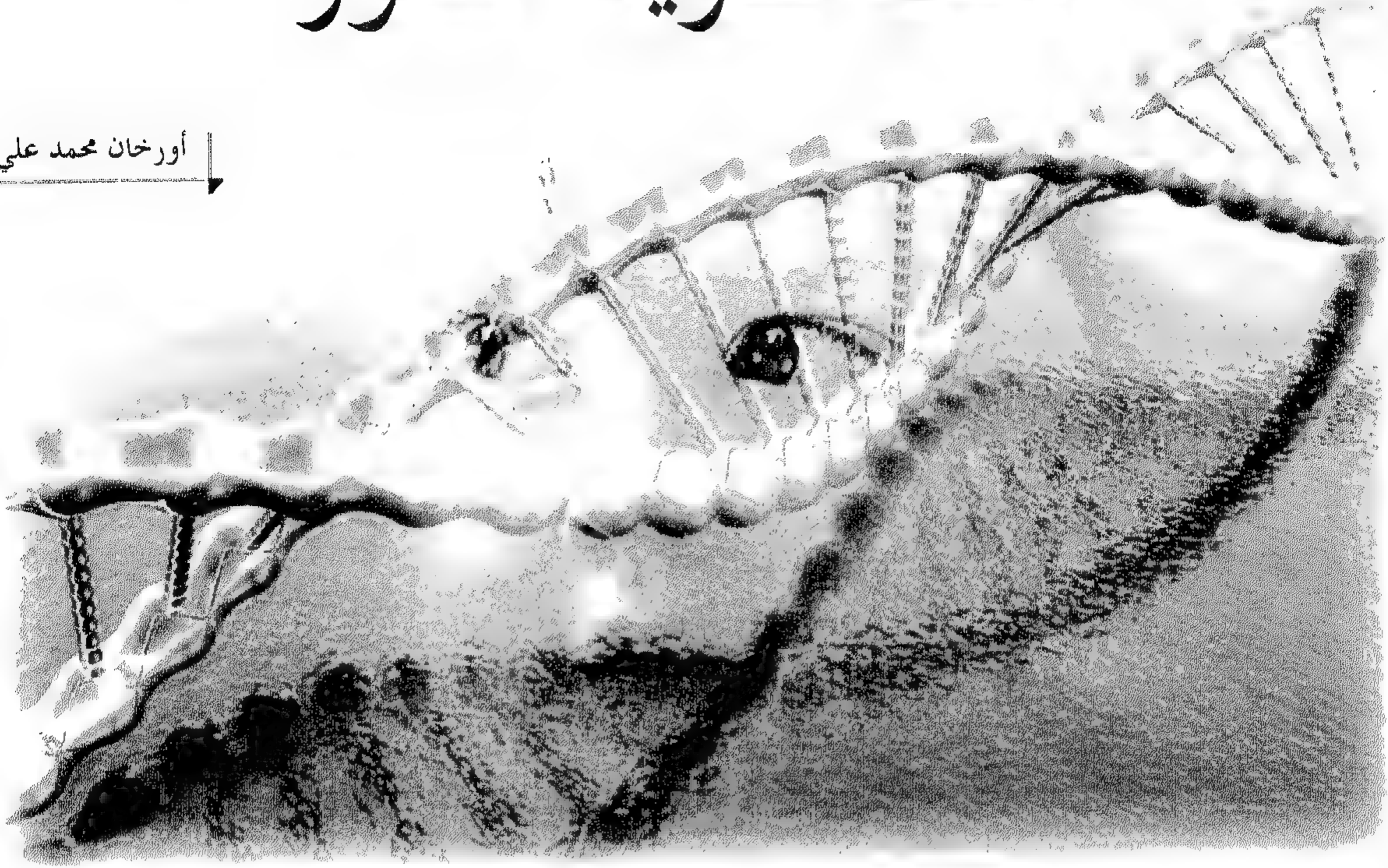
(٣) مقدمة في علم الجمال، د. أميرة مطر.

(٤) تراث الإسلام في الفنون الفرعية والتصوير والعمارة، كرسيتي (الترجمة العربية)، ١٩٨٤م دمشق، ص ١٢.

(٥) التصوير الإسلامي ومدارسه، د. جمال محمد محرز، ١٩٦٢م مصر، ص

ثقافت نظرية التطور

أورخان محمد علي *



علاقة الفلسفة بالعلم

ولكن العلوم والنظريات العلمية مع كونها منفصلة منذ قرون عن الفلسفة إلا أنها تعد - كما ذكرنا - أهم عامل وموجه لجميع المدارس الفلسفية، بل سبباً في نشوء مدارس فلسفية عديدة؛ فمثلاً نرى أن القوانين التي اكتشفها «نيوتن» أثرت في جميع فلاسفة عهده وفيمن جاء من بعدهم بقرون، حيث أصبحت صورة العالم بعد اكتشاف هذه القوانين كأنها آلة ضخمة في كون ساكن ولا نهائي بثلاثة أبعاد تسير حسب قوانين محددة ومعلومة، وترسخ مبدأ «السبب - النتيجة» ترسخاً كاملاً، حتى قال بعضهم: «أعطني جميع المعلومات وأنا أسجل لك سير الكون حتى نهاية عمره».

وبعد اكتشاف «النظرية النسبية» من قبل «أنشتاين»، و«النظرية الكمية» من قبل «ماكس بلانك» و«هايزنبرغ» وغيرهما من العلماء، اضمحلت تلك المدارس الفلسفية وظهرت مدارس فلسفية أخرى حسب المنظور الجديد لكون ذي أبعاد أربعة (بعده الرابع هو الزمان)، وتزلزل المبدأ السابق في «الحتمية» واختلفت النظرة إلى العالم في مقياسه الصغير (أي الذرة) وفي مقياسه الكبير أيضاً (أي

كانت الفلسفة في بداية نشوئها وتطورها تبحث في كل شيء وتهتم بكل شيء ومن ضمنها العلوم المختلفة، أي كانت العلوم ساحة من ساحات الاهتمام الشامل للفلسفة؛ فمثلاً نرى أن «أرسطو» - بجانب اهتمامه بإرساء قواعد المنطق - يهتم بجميع العلوم المعروفة في عهده بدءاً من الرياضيات وانتهاءً بعلوم الأحياء؛ ونرى «أفلاطون» - أستاذ أرسطو - يكتب على مدخل مدرسته: «من لا يعرف الرياضيات فلا يدخل إلى هنا».

وعندما اتسعت العلوم اتساعاً كبيراً وتشعبت، لم يعد هذا ممكناً ولم يعد في وسع أحد أن يحيط بجميع العلوم إضافة إلى اشتغاله بالفلسفة، فانفصلت ساحة العلم عن ساحة الفلسفة تدريجياً. أي إن علوم الطبيعة والنفس والرياضيات والفلك كانت فصولاً من مبحث واحد هو الفلسفة. فلما اكتمل نموها أصبحت علوماً مستقلة كما نراها اليوم.^(١) وقد اشتغل أرسطو وألف في الأخلاق والسياسة والمنطق والبلاغة والفلك وعلم الحيوان. كما كان الفلاسفة المسلمون أمثال «الفارابي» و«ابن سينا» من هذا النمط الموسوعي، فلم يقتصر نشاطهم في ساحة الفلسفة والمنطق بل تعداها إلى الرياضيات والفلك والموسيقى والطب واللغة.

الكون)؛ أي إن العلم أصبح يقود الفلسفة ويوجهها. ومن هنا تأتي الأهمية الفائقة للنظريات وللقوانين العلمية من الناحية الفكرية والفلسفية إضافة إلى أهميتها في التقدم التكنولوجي الذي يساهم في زيادة رفاهية الإنسان وتقدمه في مضمار المدنية.

تأثير نظرية التطور

وكذلك من هنا تأتي أهمية «نظرية التطور» لـ «دارون». ذلك لأنها أثرت تأثيراً بعيداً في جميع المناحي الفكرية للإنسان؛ أثرت في الفلسفة وفي علم الاجتماع وفي علم النفس وفي السياسة. وقال عنها «كارل ماركس»: «إن هذه النظرية هي تطبيق فلسفتنا في صراع الطبقات في الطبيعة» مشيراً بذلك إلى فكرة «الانتخاب الطبيعي» في نظرية دارون، فأثر هذه النظرية واضح في العديد من المدارس الفلسفية. فبعد انتشار هذه النظرية وذيوعها نرى أن العديد من الفلاسفة بدأوا بسحب هذه النظرية من إطارها في عالم الأحياء ليطبقوها على مستوى الكون. لذا نرى ولادة تعابير فلسفية جديدة بعد ظهور هذه النظرية وشيوعها مثل «التطور الانبثاقي» للفيلسوف البريطاني «لوي مورجان» و«التطور الخلاق» للفيلسوف الفرنسي «هنري برغسون».

والشيء نفسه نلاحظه عند الفيلسوف الأسترالي صمويل ألكساندر. الذي قال بأن هناك تطور على مستوى الكون، وأن المادة كانت في صورة بسيطة في أول أمرها ثم تطورت إلى مادة لها خواص معينة كاللون والرائحة، ثم ظهرت الحياة وبعدها العقل، وأن الله يمثل المرحلة النهائية للعقل؛ أي إن الله - تعالى الله علواً كبيراً - ليس إلا نتيجة هذا التطور الذي بدأ منذ الأزل في هذا الكون الذي عدوه قبل عقود من الزمن لانتهاءً من ناحية الزمان والمكان. هذا عند طائفة من الفلاسفة المؤمنين بوجود الله، أما المنكرون والملحدون من الفلاسفة فقد قالوا بالمصادفة؛ أي إن المادة وهي تتقلب في أدوار وأطوار وحالات مختلفة أنتجت هذا النظام الرائع المشاهد في الكون وفي الحياة وهذا يخالف قانون «الاحتمالات الرياضية».

كما استندت كثير من النظريات السياسية كالنازية والفاشية إلى نظرية التطور مستخدمة إياها كسند علمي لأيدولوجياتها البعيدة عن الإنسانية، فما دامت الحياة صراعاً يبقى فيها الأقوياء ويزول من مسرحها الضعفاء، فمن حق العناصر القوية (كالعنصر الجرمني في النازية وكالرجل الأبيض عند العنصريين البيض) أن تملي إرادتها على العناصر الأخرى وأن تفعل بها ما تشاء إلى حد الإبادة.

كما كانت هذه النظرية خلف ظاهرة الإباحية الأخلاقية أو ما سميت بـ «الثورة الجنسية» التي اجتاحت العالم الغربي والعديد من بلدان العالم. لأن الإنسان ما دام سليل حيوانات فما عليه إلا اتباع غرائزه وعدم كبتها، وما الخلق والضمير إلا قشور زائفة صنعها المجتمع، وهي لا تستحق الالتفات إليها أو الاهتمام بها. لقد شهد القرن التاسع عشر ميلاد ثلاث نظريات أثرت في الحياة الإنسانية تأثيراً خطيراً وسلبياً وهي: «النظرية الماركسية» و«نظرية دارون» في التطور و«نظرية فرويد» في التحليل النفسي. ولعل نظرية التطور لدارون هي أخطر هذه النظريات، لأنها حاولت البرهنة على «حيوانية الإنسان». وعندما يتم إثبات هذه الصفة الحيوانية في الإنسان ويدمغ بها فمن السهل قبول النظرية الماركسية التي ترى أن الهم الوحيد للإنسان هو حاجاته المادية وما يشبع بطنه. وكذلك يسهل قبول نظرية فرويد التي أرجعت جميع نشاطات الإنسان وغاياته إلى غريزته الجنسية.

تحول النظرية إلى أيدولوجية، وعمليات التزوير

وهناك ظاهرة تلفت النظر في موضوع نظرية التطور، وهي أن هذه النظرية خرجت من كونها نظرية علمية قابلة للصواب أو الخطأ، إذ تحولت إلى «أيدولوجية» يدافع عنها أنصارها، ولا يترددون حتى في القيام بعمليات تزوير مشينة من الناحية العلمية والأخلاقية، وهذا ما لا نراه في النظريات العلمية الأخرى؛ فلا نرى عالماً في الفيزياء أو في الكيمياء أو في أي علم من العلوم يقوم بعملية تزوير لإثبات صحة نظريته أو صحة القانون الذي اكتشفه، لأن غاية العلم هي الوصول إلى الحقيقة. بينما نرى أن عمليات التزوير العلمية منحصرة في موضوع نظرية التطور فقط.

وأولى عمليات التزوير هذه قام بها العالم الألماني «أرنست هيغل» وكان من أنصار نظرية التطور. ولما رأى أن صور الأجنة لا تتطابق تماماً مع هذه النظرية قام بعمليات رتوش وحذف في صور الأجنة البشرية لكي تتطابق مع نظرية «التلخيص» (وهي إحدى النظريات السابقة التي قُدمت كبرهان على نظرية التطور ثم نفى العلماء أيديهم عنها بعد ثبوت خطئها). ولكن أحد العلماء اكتشف عملية التزوير هذه وأعلنها في إحدى الصحف، وتحدى فيها «أرنست هيغل» الذي لم ير بداً من الاعتراف بجريمتة العلمية والأخلاقية بعد فترة صمت وتردد، فاعترف في مقالة كتبها في ١٤/١٢/١٩٠٨ وقال فيها: «إن ما يعزّيه هو أنه لم يكن الوحيد الذي قام بعملية تزوير لإثبات صحة نظرية التطور، بل إن هناك المئات من العلماء والفلاسفة قاموا بعمليات

تزوير في الصور التي توضح بنية الأحياء وعلم التشريح وعلم الأنسجة وعلم الأجنة لكي تطابق نظرية التطور».

إذن فهناك مئات من عمليات التزوير - وليست عملية واحدة أو عدة عمليات - تمت في علم الأحياء وفي علم التشريح وعلم الأنسجة وعلم الأجنة قام بها العلماء من أنصار التطور.

أجل! على مثل عمليات الغش والتزوير هذه قامت نظرية التطور وانتشرت، وتمت بها أيضاً عملية غسيل دماغ الجماهير في هذا الموضوع، وأصبح من لا يؤمن بها رجعيًا وجاهلاً!!.

وهناك حادثة «إنسان نبراسكا» فقد عثروا على سن واحدة ليعلنوا أن صاحب هذه السن هو الحلقة المفقودة التي يبحثون عنها، ونشروا صوراً خيالية لهذا الإنسان، بل حتى عن حياته العائلية، وقدم علماء التطور هذه السن كدليل في محكمة «سكوبس»^(١) عام ١٩٢٥. وعندما اعترض الطرف الآخر سخروا من جهله! ومع أن المحكمة أصدرت قرارها بإدانة السيد «سكوبس» إلا أن الضجة التي أثارها أنصار التطور في الصحافة وفي المحافل العلمية جلبت عطفاً كبيراً على المتهم، وغضباً على المحكمة.

وفي هذه المحكمة قدم علماء التطور هذه السن كدليل لا ينقض على صحة التطور، لأنهم اخترعوا من هذه السن الواحدة إنساناً أسموه «إنسان نبراسكا» وأطلقوا عليه اسماً لاتينياً رناناً ليسبغوا عليه صبغة علمية.

ولكن تبين فيما بعد أن هذه السن لا تعود لإنسان، ولا لقرد، بل لخنزير بري! نعم خنزير! إذن تأملوا مدى المبالغات الموجودة في تفسيرات علماء التطور للمعطيات العلمية أو للمتحجرات التي يعثرون عليها، ومدى انحرافهم عن النهج العلمي الذي يجب أن ينطلق من مبدأ «الموضوعية» في تفسير المعطيات والظواهر العلمية والطبيعية، بينما ينطلق هؤلاء العلماء من فكر مسبق، وهو أن نظرية التطور صحيحة. لذا يقومون بليّ عنق هذه الظواهر والمعطيات العلمية لكي تتوافق مع ما يعتقدونه من فكر مسبق. ولا يترددون - كما رأينا - حتى من القيام بعمليات تزوير معيبة ومشينة أخلاقياً وعلمياً في هذه السبيل. وهناك أمثلة أخرى كثيرة في هذا الصدد لا نورد هنا خشية الإطالة.

لقد خرجت نظرية التطور من كونها نظرية - أو فرضية - علمية يمكن دراستها ووضعها على المحك مثل النظريات العلمية الأخرى، وأصبحت «أيدولوجية» عند علماء التطور يدافعون عنها حتى ولو تطلب الأمر القيام بعمليات تزوير مشينة.

ولكن لماذا أصبحت نظرية التطور أيدولوجية؟ لأنها النظرية

العلمية الوحيدة التي يمكن أن تؤدي إلى الإلحاد، لكونها تدعي القيام بتفسير الكون والحياة دون الحاجة إلى الخالق. فإذا ظهر أن كل نوع من أنواع الأحياء خلق على حدة، وأن الحياة لم تظهر نتيجة مصادفات عشوائية، لأن هذا أمر مستحيل، وأن الأحياء لم تتطور عن بعضها البعض فلا يبقى هناك أي مجال أمام جميع العلماء سوى الإيمان بالله تعالى.

شواهد علمية على قهات هذه النظرية

وإذا أردنا الإشارة باختصار إلى بعض الشواهد التي تقف ضد نظرية التطور قلنا:

١- عجز النظرية: إن كل نظرية علمية تسعى إلى تفسير كل أو معظم الظواهر المتعلقة بها. فمثلاً عندما تضع نظرية حول الجاذبية الأرضية فيجب أن تقوم هذه النظرية بتفسير جميع الظواهر المتعلقة بها. وعندما تضع نظرية حول ماهية الضوء وخصائصه يجب أن تقوم هذه النظرية بتفسير كل ما يتعلق بالضوء وخصائصه. وعندما تشذ أي ظاهرة من الظواهر عن النظريات الموضوعة لتفسيرها تتم محاولة اكتشاف نظرية أخرى أكثر شمولاً من النظرية السابقة.

إذا نظرنا إلى نظرية التطور من هذه الزاوية نرى أنها نظرية قاصرة جداً في هذا الصدد. وندرج أدناه بعض المواضيع التي لم تقم هذه النظرية بتقديم أي تفسير لها:

أ- أصل الحشرات: لا تقدم هذه النظرية أي تفسير لأصل الحشرات مع أنها تمثل ٨٠٪ من مجموع الحيوانات.

ب- أصل وتطور القوارض غير معروف، مع أن أعدادها هائلة وتزيد على أعداد الثدييات الأخرى.

ج- أصل الطيور بجميع أشكاله غير معروف تماماً. فكما هو معلوم فهناك أربعة أنواع من الحيوانات الطائرة: الحشرات، الطيور، بعض اللبائن (كالخفاش)، بعض الزواحف الطائرة (انقرضت). لا تقدم نظرية التطور أي جواب حول سؤال: كيف ظهر الطيران عند هذه الحيوانات؟

إذن ما بالك بنظرية لا تقوم بتفسير ٩٠٪ من الظواهر التي من المفروض تناولها ولا تستطيع تسليط الضوء عليها؟ وما دامت هذه النسبة الكبيرة من الظواهر غير معروفة وغير مفسرة من قبلها فكيف يمكن عدّها نظرية صحيحة؟ وهل هناك نظرية علمية أخرى غير هذه النظرية أبدت عجزها عن تفسير ٩٠٪ من الظواهر التي تصدّت لتفسيرها؟ وهل يمكن أن تقبل الأوساط العلمية مثل هذه النظرية؟


٢- الحياة في الخلية الأولى: كيفية ظهور الحياة في الخلية الحية الأولى غير معروفة، والقول بالمصادفة ليس جواباً علمياً، بل جواباً يصادم العلم؛ لأنه كلما زادت معلوماتنا عن الخلية الحية ومدى تعقيدها تأكد لنا أكثر وأكثر استحالة ظهورها مصادفة. ويكفي أن نعلم أن جزيئات D.N.A الموجودة في الإنسان تحتوي على معلومات لو قمنا بتسجيلها على الورق لاحتجنا لـ ٩٠٠ ألف صفحة تقريباً، وهذا يعادل ٣٤ ضعف المعلومات الواردة في دائرة المعارف البريطانية. فكيف يمكن إذن أن تظهر الخلية إلى الوجود مصادفة؟ وقد عُلم من تطبيق قوانين الاحتمالات الرياضية استحالة تكوّن جزيئة واحدة من البروتين عن طريق المصادفة خلال أضعاف عمر الكون، فكيف يمكن ظهور خلية واحدة حيّة بطريق المصادفة؟

٣- الحلقات المفقودة: تدعي هذه النظرية أن الأحياء قد تطورت من خلية واحدة إلى أحياء ذات خلايا متعددة ثم تشعبت مساراتها في التطور حتى ظهرت الأحياء الحالية التي تبلغ أعدادها عدة ملايين. لذا فحسب هذه النظرية لا بد من وجود عشرات الحلقات الوسطى أو الحلقات الانتقالية بين كل نوعين، أي إن أعداد الحلقات الوسطى يجب أن تزيد بعشرات المرات على عدد الأحياء الموجودة حالياً. أي إن أحياء الحلقات الوسطى يجب أن تبلغ عشرات ومئات الملايين، ولكن لم يتم العثور حتى الآن على أي حلقة وسطى. ولم يصح الزعم القائل بأن طائر «الأركيوباتريكس» يمثل الحلقة الوسطى بين الزواحف والطيور، لأنه تم العثور على متحجرة طائر في نفس العهد الذي عاش فيه «الأركيوباتريكس» وهو العهد الجوراسي (أو العهد الطباشيري) من قبل البروفسور «جون أروستروم» من جامعة «ياللا»، وكتب مقالة مفصلة عن هذا الطائر في مجلة الأطباء العلمية (المجلد رقم ١١٢ في ٢٤ أيلول/١٩٧٧). لذا لا يمكن أن يكون طائر «الأركيوباتريكس» جدّاً وسلفاً للطيور، بينما كانت هناك طيور حقيقية تعيش معه.

كما قدّم التطوريون بعض الجماجم التي تعود لقروء - كانت تعيش سابقاً ثم انقرضت - وكأنها الحلقات المفقودة بين الإنسان والقرد. وكل هذه الجماجم مدار شكّ ونقاش حتى من قبل علماء التطور أنفسهم. ولو كانت نظرية التطور صحيحة لكان المفروض أن نعثر على مئات الآلاف من متحجرات الأحياء التي تمثل الحلقات الوسطى الانتقالية بين الأنواع؛ لأنه تم العثور على مئات الآلاف، بل ربما الملايين من المتحجرات في

المائة والخمسين سنة الأخيرة وامتألت بها المتاحف الطبيعية. وهذا الفشل الذريع في الحصول على هذه المتحجرات (لأنها غير موجودة أصلاً) هو الذي دفع بعض علماء التطور إلى البحث عن مخرج من هذه الورطة الكبيرة التي تهدد بإعدام نظرية التطور، لذا قام هؤلاء بوضع نظريات مختلفة. وبجمل هذه النظريات الأخيرة هو أن التطور حصل فجأة ودون مراحل انتقالية (مثلاً حدث أن زاحفاً وضع بيضة خرج منها طائراً) ولم يستطيعوا أن يقدموا لهذه الفرضية الخيالية البعيدة عن كل قسطاس علمي أي دليل يمكن أن يكون له وزن. وبهذا دخلت نظرية التطور في طريق مسدود.

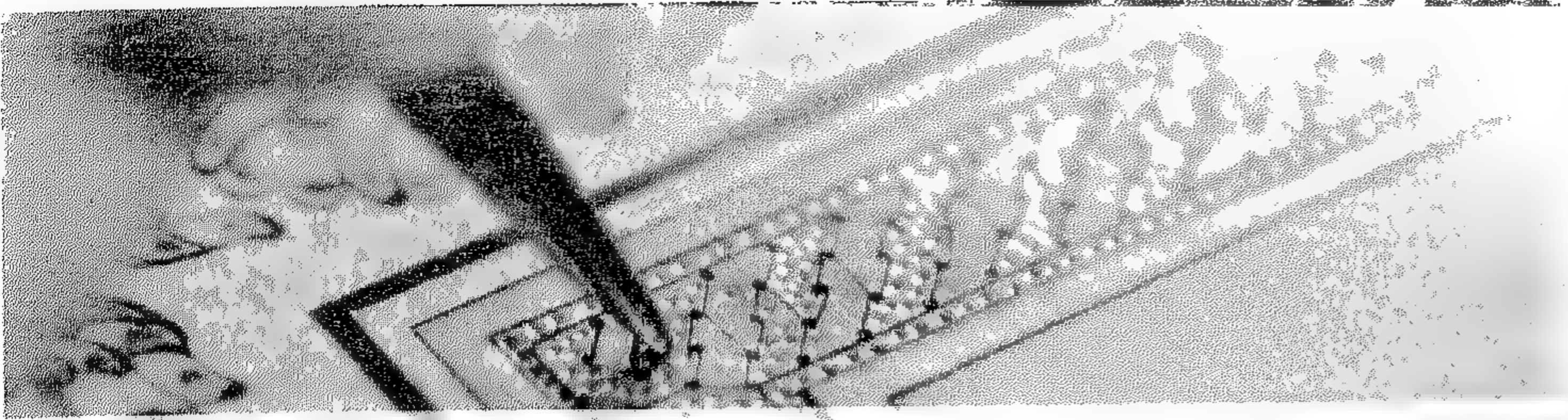
٤- الزمن عامل هدم لا عامل بناء: وفي السنوات الأخيرة بدأ نقاش حاد بين أنصار التطور وأنصار الخلق حول قانون فيزيائي يرى أنصار الخلق أنه ينقض نظرية التطور من أساسها وهو القانون الثاني من «الديناميكية الحرارية».

فهذا القانون يشير إلى أن الكون منذ خلقه يسير نحو الانحلال ونحو التدهور ونحو الموت الحراري، فالنجوم تبعث طاقة حرارية وضوئية وإشعاعية ووقودها ينفد، ونحن نرى أن كل شيء يترك لحاله ينحل ويفسد؛ فإذا تركنا قطعة لحم أو فاكهة نراها تفسد بعد مدة. وإذا تركت بيتاً أو سيارة لحالها دون عناية وخدمة أسرع إليها البلى... وهكذا. أي لا يوجد هناك شيء يتطور أو يتحسن حاله إذا تركته لحاله ولم تتدخل بعلمك وإرادتك في تحسين وضعه؛ مثلاً تستطيع القيام ببناء بناية أو صنع آلة، ولكن العملية هنا عملية مقصودة تدخل فيها العلم والإرادة الإنسانية، وليست عملية تلقائية. أي إن الزمن عامل هدم وليس عامل بناء، لأن الأشياء إن تركت لحالها مالت إلى الانحلال والانهدام والتفتت، ولا تتطور ولا يزداد تعقيدها أو درجة نظامها. لذا ففي مثل هذا الكون، وفي ظل هذا القانون الفيزيائي لا يمكن أن يكون هناك تطور تلقائي مستند إلى المصادفات، لأن هذا الكون متوجه للانحلال وليس للتطور. 

(*) كاتب وباحث تركي.

الهوامش:

- (١) قصة الفلسفة اليونانية، لأحمد أمين وزكي نجيب محمود، ص ٦.
- (٢) محاكمة «سكوبس» عقدت في مدينة دايتون، في ولاية «تنسي» الأمريكية في صيف ١٩٢٥ وثارَت حولها ضجة كبيرة حتى أن عدد الحاضرين إلى المحكمة زاد عن عشرين ألف مستمع. وخلاصة القضية أن حكومة ولاية تنسي أقامت الدعوى على أستاذ يدعى «سكوبس» لأنه عارض صحة الإصحاح الأول من سفر التكوين عن خلق الإنسان، وقدّم نظرية التطور لدارون كرفس بدليل لقضية الخلق.



تذوق الفن الإسلامي

من الناحية التقنية

د. جواد محمد مصباحي *

والعمل الفني كلفة، هو إبداع إنساني تتوارثه الإنسانية بغض النظر عن معتقدات الإيمان أو درجات التطور والرقى، كل حسب منظوره. وهذا لا يمكن التخصيص في الأشكال والنماذج الزخرفية الفنية، وربطها بحضارة أو دين ما. وكمثال على هذا قد نجد أن النجمة السداسية أو الثمانية استعملت بشكل ما في الممارسات الفنية لحضارات قبل ظهور الإسلام، ولا زالت تستعمل في إبداعات الفن الإسلامي الذي انفرد وتميز بسلوك نمط التجريد التخيلي (الزخارف النباتية أو التوريق كما يطلق عليها في المغرب) أو التجريد العقلاني (الزخارف الهندسية أو التسطير كما يطلق عليها في المغرب) وكذا الخط العربي بحكم أنه الشكل المنظور للغة القرآن، في ترسيخ فكرة التوحيد، بخلاف فنون الحضارات السابقة التي كان تركيزها بالأساس على نمط التجسيم لإيصال الفكر الديني.

فالفنان المسلم ومن خلال التوجهات الفنية الإسلامية المنبثقة على الأنماط التالية بتأويلاتها:

- الزخارف النباتية (التوريق): الإسقاط التأويلي للعناصر النباتية من أوراق وأغصان وأزهار وثمار في تشكيلات إبداعية.
 - الزخارف الهندسية (التسطير): الإسقاط التأويلي لتكوينات ومواقع النجوم والكواكب، والقراءة الهندسية للمعادلات الرياضية.
 - الخط العربي (الكتابة): ركوب الحرف العربي (هو رسم للغة القرآن) لتبليغ عبارات الشكر والتبجيل أو المدح والتذكير.
- الفنان المسلم يُخضع دائما إبداعاته للقناعة الدينية، بالتركيز على التدليل وإثبات أبدية وسرمدية الوجود الإلهي الواحد الأحد، مبتعدا عن فكرة مضاهات الخالق في الخلق، متقربا إليه من خلال تواصلية الخط وعدم انقطاعه كيفما كان، مُنحيا (الزخارف

في سبيل بناء الفكرة التذوقية للتحف الفنية ضمن إطار الفنون الإسلامية تحضري إشكالية الاستقراء من خلال الإجابة على السؤالين التاليين:

١- هل كل فن يتوجب إخضاعه للمرجعية الدينية التي يعتقد بها المجتمع المبدع لهذا الفن؟

٢- خضوع مجتمع ما لدين جديد، هل يسمح باستقراء ممارساته الفنية داخل إطار هذا الدين؟

من خلال مقارنة بسيطة يتضح أن الإجابة على الإشكال الأول تكون في مجملها بالإيجاب؛ فبدءً بالمجتمعات البدائية ومرورا بالحضارات المتقدمة يبرز الخضوع الإجمالي للمبادئ والمرتكزات العقائدية / الدينية بشكل لا يحتاج لتمحيص.

أما فيما يخص الإشكال الثاني، فقد تبقى الأعمال الفنية بمقوماتها ومفاهيمها الـ«ما قبل خضوع المجتمع للدين الجديد»، لكن هذا الأخير قد يؤثرها بنظرياته فيخضعها للتحويل الكلي أو التجديد، وقد يتركها على ما هي عليه إذا كانت لا تتعارض مع مبادئه العقائدية. وعليه تصبح هذه الإبداعات مصهورة في بوتقته ولا يسع القارئ إلا ركوب الفكر الديني للاستقراء الصحيح والتأويل المضبوط للطرح الفني لهذه الإبداعات.

ففيما يخص الفن الإسلامي، ففكرة التسامح والتعايش الاجتماعي من صلب العقيدة الدينية، طبعت الممارسات الفنية بميزة التحويط؛ أي تأطير العمل الفني -حتى إذا كان بأيدي غير مسلمة- بمسلمات العقيدة ومرتكزها الأساسي (التوحيد). وبهذا المبدأ تتجلى فكرة الوحدة في الفنون الإسلامية رغم شساعة الرقعة الجغرافية للامتداد الإسلامي الشيء الذي كذلك طبع هذه الفنون بطابع التنوع.

النباتية) أو مُستقيما (الزخارف الهندسية). فالناظر لأي إبداع من النمطين السالفين تسرح عينه في الشكل التواصلي لبنية التكوين النابع من خلال مرتكز «التكرار والتماثل»، وكذلك «الرؤية الجمالية الشاملة» للخط المؤسس لهذا الإبداع.

هذان المرتكزان في الإبداع هما أساس كل نتاج فني تتمحوره العين على امتداد الرقعة الجغرافية من أقصى الشرق إلى أدنى الغرب، ما يثبت التواجد المتكرر والرؤية المتماثلة لدلائل الفن الإسلامي (مبدأ الوحدة) مع اختلاف التقنيات (مبدأ التنوع).

وقد حرص الفنان المسلم على التزامه وركونه لخط جمالي موحد أخذت فيه تمثيل ثنائية الوجود (الظل والنور) المركز الأساسي. ففي مسار استقراء التذوق الجمالي للفن الإسلامي غالبا ما تلبس المتأمل أحاسيس مشحونة بمتعة التعرف واكتشاف رمزية كنه المنظور من خلال لعبة الظل والنور، الأبيض والأسود، الكتلة والفراغ.. هذه المفاهيم التي تطلبت لترسيخها وجعلها كائنا ملموسا في الإبداع، الارتكاز إلى ما يلي:

١. المعرفة: وتنقسم إلى ثلاث تصورات:

أ- التصور الفني الكلي: المعرفة التامة بمادة الاشتغال، والتقنيات الضرورية لها، وكذلك المعرفة القبلية للشكل النهائي للتحفة المبدعة. فهناك على طول خطوط الإبداع والخلق الفني وجود حتمي لمفهوم التوازن.

ب- التصور الاحتياجي: المعرفة التامة بالحاجة النفعية للقطعة الفنية. وعليه بناء التصور الجمالي مراعاة لذلك.

ج- التصور الجمالي: المعرفة الكلية بارتباط التحفة والمكان. وعليه الاشتغال ضمن مساق إبداعي متكامل.

٢. حيثيات الاشتغال: وهي على مرتكزين:

أ- المادة المشتغل عليها: نظرا لشساعة الرقعة الجغرافية للوجود الإسلامي ألم الفنان المسلم ومنذ البدايات الأولى بمعرفة التركيبات المفردة أو الكلية للكثير من المواد سواء كانت أرضية أو بحرية، واستطاع أن يستشف من الخامات بنيات تشكيلية زخرفية ممتطيا صهوة الرمزيات الدينية في كيفية الاستعمال وتراتبية التكوين الإبداعي.

ب- النماذج الزخرفية: بالدخول في بنية التراكيب الزخرفية للفن الإسلامي لا يجد المتأمل نفسه إلا وكأنه في متاهة لا حدود لها، ففي هذا الفن الذي يؤسس له بمطلع القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي وإلى الوقت الحالي وما شاء الله من الزمن، هناك وحدة في العناصر البنيوية للزخرفة وتنوع في التراكيب المظهرية

لنماذج / الأشكال الزخرفية، تطبع هذا الفن بطابع الديمومة والتميز، وتعطيه دفعا ذاتيا متواترا.

٣. التمكن التقني: وهي ثقافة مكتسبة يتمكن منها الفنان بالتعلم والممارسة، دافعه الداعم دعوة الدين الخفيف وحنه على العلم والتعليم، وكذا تقدير اليد العاملة المجدة والمتقنة للعمل.

٤. الأدوات الرمزية: للتعبير عن قناعات التخيل الداخلي، وللوصول إلى أرقى درجات السمو الروحي في محاولة لإدراج العطاء / الإبداع ضمن مقومات التقديس والتبجيل للذات الإلهية، وعلاقة الدنيوي بالأخروي، وكذلك علاقة الخلق بالخالق، جاء الارتكاز على مجموعة مفاهيم رمزية لتأويل كل مكون من مكونات الجملة الإبداعية، سواء كان الفعل عطاء (الابتكار والإبداع الفني) أو تلقيا (التذوق والاستقراء).

فبخلاف ارتباط الممارسات الفنية لما قبل الإسلام بالذات الإنسانية ومخاطبة الغرائز في البعض منها، وكذلك الارتكاز على العقل فقط في الاستقراء والتأويل، الفن الإسلامي له ارتباط وثيق بالتوحيد، والفعل ورد الفعل لهما نفس المنطلق ونفس المرجع (الوحدانية والتوحيد) ضمن توصيف مبني على:

• الإطار: محاولة التقرب من الخالق بالخلق في احترام النسب الجمالية والتأويل الرمزي.

• السند: كل مقومات الفكر الديني للوصول قدر الإمكان إلى قمة التوحيد والتبجيل للذات الإلهية.


• المادة: البحث والتمحيص للرقى بمادة الاشتغال من البساطة (الحالة الدنيوية) إلى الكمال (الحالة الأخروية).

• التقنية: مجموعة الأفعال ورداتها على كل إشكالية تعترض العملية الإبداعية.

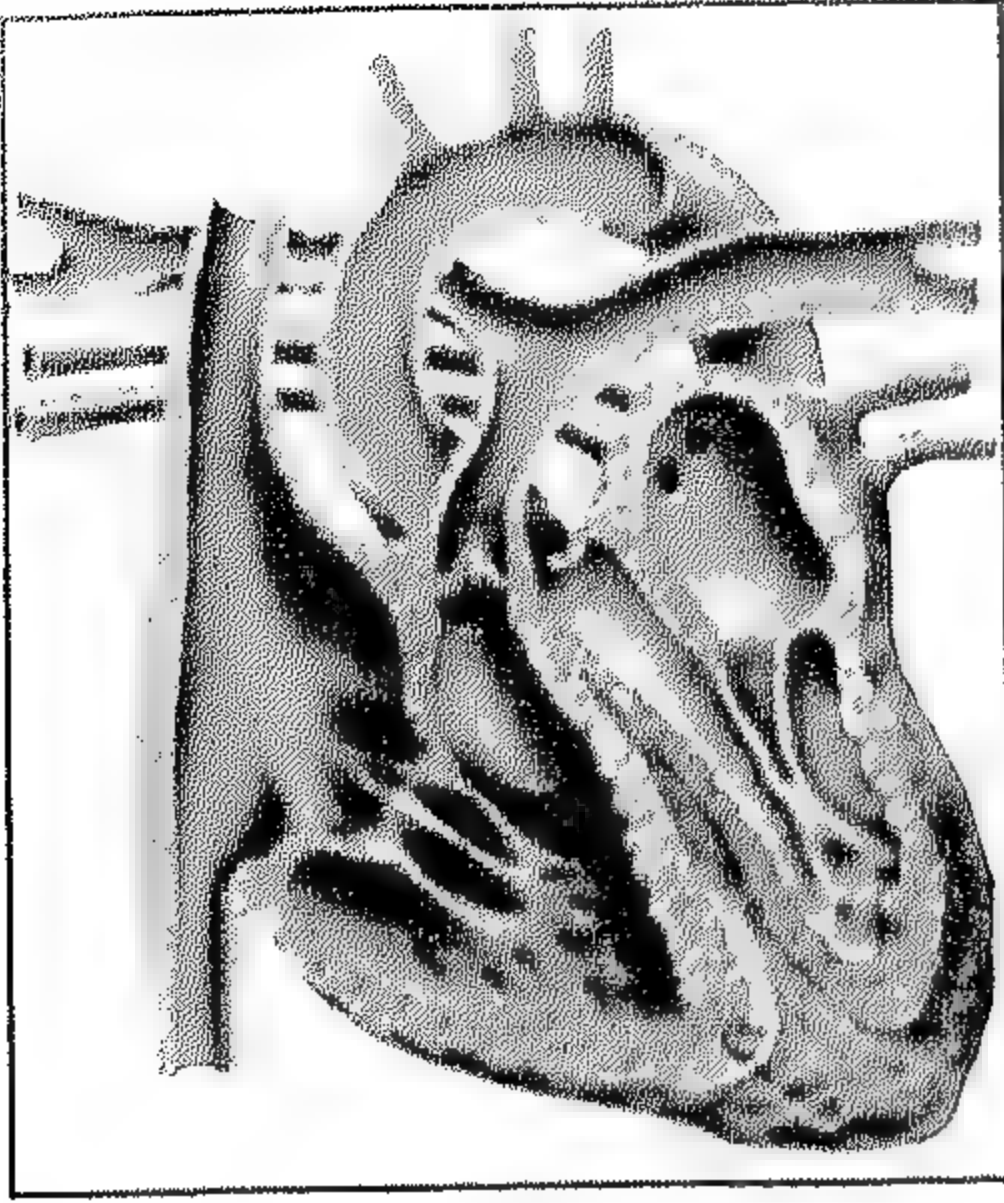
• التاريخ: جدلية الخلق والابتكار، وعدم الخصوصية، فالقطعة الفنية هي ملك للتاريخ وليس للشخص المبدع.

• الفكرة الأساسية: طريقة التعبير عن التعبد والتوحيد وإلزامية اليقين بـ «لا إله إلا الله».

• العمل الفني: قطعة إبداعية رغم تحديدها وتأطيرها هي انفتاح على اللانهاية للدلالة على السرمدية والأبدية.

• الإشكالية: تشخيص ثنائيات الوجود، وأخص بالذكر - كما سلف - الظل والنور، البياض والسواد، الكتلة والفراغ لإلزامية ذلك في خلق التوازن الجمالي داخل الوحدة الصغيرة (القطعة الفنية) لتكون امتدادا للوحدة الكلية (الكون) دون نشاز. 

(*) جامعة البلقاء التطبيقية، كلية الفنون الإسلامية - الأردن.



أنا قلب عبد الله

أ.د. عرفان يلماز *

وهبني له؟ أي عدم تفكيره في الخالق تعالى الذي خلقتني وأهداني إليه. وهذه هي الغفلة التي لا أستطيع قبولها، مع أنه يدرس الآن في المدرسة الثانوية ويتلقى هناك بعض المعلومات عني في درس علم الأحياء (البيولوجيا). والذي يغيظني أكثر أن هذه الدروس تصوري وكأني مجرد مضخة اعتيادية، علما بأنه لولا قيامي بضخ الدم إلى دماغه لما استطاع أن يحرك إصبعاً من أصابعه. ولكني سأقوم اليوم بدعوة عبد الله إلى التفكير وإعلامه بأنني لست مجرد قطعة لحم، وأدعوه للتعرف على خالقه وإلى الاهتمام بجانبَي المادية والمعنوية كذلك، وإلا فإن نهايته ستكون وخيمة؛ لأنني صديقه، وقد يكون كلام الصديق مؤلماً في بعض الأحيان، ولأنني أريد أن يلم نفسه ويستجمعها وهو لا يزال في مستقبل العمر ونضارة الشباب.

متى أتوقف

إن جميع الخلايا (وهي تبلغ ١٠٠ تريليون خلية تقريباً) يجب أن تقوم بعمليات التغذية والتنفس والهضم وبطرح الفضلات والقيام بوظائف خاصة. كل هذه الخلايا في حاجة إليّ، ترى لماذا؟ لأن كل هذه الحاجات تُلبى بفضل عملي الدائب. لذا أقوم بالعمل قبل جميع الأجهزة والأنظمة الأخرى الموجودة في الجسم منذ المرحلة الجنينية؛ أي منذ كون الإنسان جنيناً في بطن أمه. ولا أدري مقدار المدة التي سأعمل فيها؛ لأنني - وإن كنت في صحة وعافية - فإن الملك الذي يأتي بالأمر من ربه إن قال لي: «قف!» اضطررت إلى الوقوف والتخلي عن القيام بوظيفتي. ولكن ملك الموت لا يوقفني عن العمل في العادة دون سبب، فلا بد من وجود سبب.

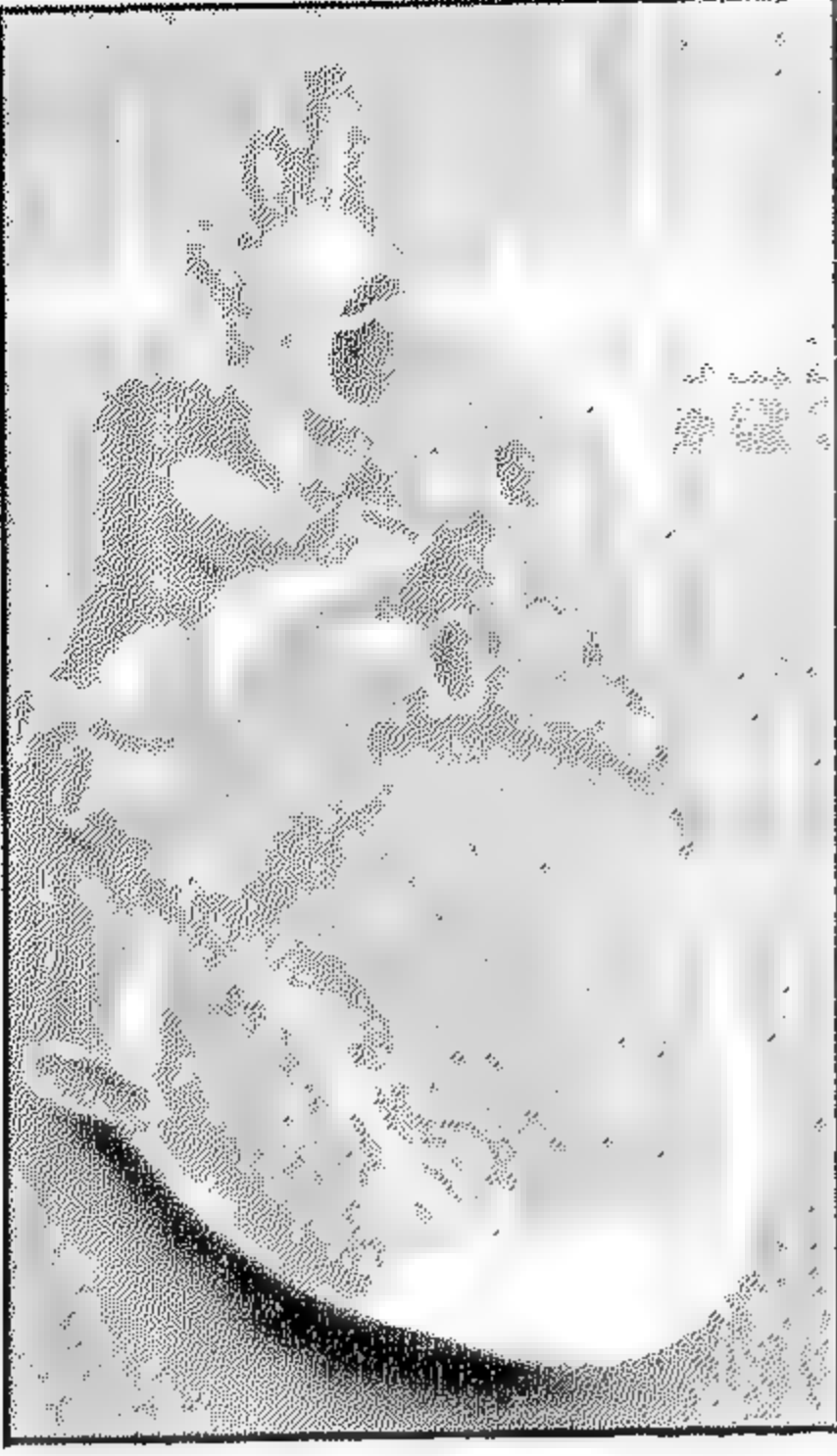
وهناك أسباب عديدة جداً لتوقي، ولا سيما في هذا العصر. والحقيقة أنني أيضاً مذهول من كيفية عملي. وهناك بعض التدابير التي أدخلت في البرنامج الذي تم وضعه في داخلي ضد

لقد بدأت بالعمل قبل أن تولد أنت بشهور. ولا أدري هل فكرت واستمعت لي وقلت: «ما هذا الذي ينبض في صدري على الدوام دون أن يرتاح دقيقة واحدة؟» إنني عضو في صدرك وأعد محرك جسدك وقد سموني بـ«القلب».

لقد أحسست الآن وأدركت بعد مضي سنوات عديدة أنك لم تقم فيها بالاستماع إليّ، ولم تحمل فضولاً وشوقاً لمعرفة. لذا رأيت أن هناك حاجة لقيامي بنصيحتك.

بعد مضي ١٩ يوماً فقط على كونك جنيناً في رحم الأم بدأ خلقي من كومة خاصة من الخلايا. كنت في أول الأمر شبيهاً بأنبوبة، ثم بدأت ألتف شيئاً فشيئاً، وبدأت عملية خلق خلاياي والأوعية الدموية المجاورة لي. والحقيقة أننا خلقنا مع سائر خلايا الجسم تدريجياً من خلية واحدة، ثم بدأ ظهور الاختلافات بين الخلايا والتخصصات فيما بينها. وتغير أصدقائي من الخلايا الأخرى وهي ولا زالت بعمر بضعة أيام، لكي تقوم كل منها بوظائف مختلفة ولتتحول إلى جلود وغضاريف وعضلات... الخ. أما خلاياي فقد تمت برمجتها بشكل خاص، وعندما بلغت في اليوم الثاني والعشرين إلى عدد معين وصارت كتلة معينة تلقينا أمراً بالبدء في عمل لا نعرف متى ينتهي. وأنتم تُطلقون اسم «النبض» أو «ضربات القلب» على الصوت الناتج من الحركة الجماعية لأنكمماش خلاياي.

صحيح أن عبد الله لا يلتفت ولا ينتبه لنبضنا هذا. ولكنني أضطر إلى زيادة هذه النبضات أو الضربات عندما يركض عبد الله، لكي أوفر لعضلات رجله كمية أكبر من الدم. عند ذلك فقط ينتبه عبد الله إليّ، ولكنه لا يُعير أي اهتمام لهذه المسألة، ويخال - لغفلته - أنني سأقوم بهذه الوظيفة إلى الأبد وكأنني لا أتعب. لنقل إن هذه غفلة بسيطة نتيجة حداثة سنه وشبابه، ولكن غفلته الكبرى هي أنه لا يفكر: كيف وجدني؟ ومن



موجودة في كل اتجاه بشكل كرة من نسيج معقد، فإنني أقوم بحركات الانكماش والانتفاخ بسهولة ودون أن يتغير شكلي بصورة كبيرة. وهكذا أستطيع العمل في مكاني الموجود في التجويف الصدري براحة ويسر. ولكي تتم الحيلولة دون هَرُؤ وتآكل سطح جداراني - في أثناء حركاتي - بسبب

احتكاكها بالقسم الداخلي من القفص الصدري الذي يقوم بحمايتي وينحني عليّ مثل سقف حافظ، فقد تم تغليف هذه الجدران بنسيج ذي طبقتين، ووضع سائل بين هاتين الطبقتين. وهكذا يقل تأثير الاحتكاك إلى الحد الأدنى، وتتم الحيلولة دون تآكل هذه الجدران. وأنشدك الله يا عبد الله! فكر قليلاً وقل لي: من يستطيع أخذ كل هذه التدابير؟

كيف أعمل

وعلى غرار السيارة التي تعمل بمحركات أربع فإنني أعمل كمضخة فيها أربع غرف، ويطلق اسم «الأذين» على الغرفتين العلويتين. ويدخل إلى الغرفة اليمنى منهما الدم الفاسد الآتي من الجسم، بينما يدخل إلى اليسرى الدم النظيف الآتي من الرئة. وقابلية الضخ لعضلات هاتين الغرفتين ضعيفة ولا تكفي إلا لدفع الدم إلى الغرفتين السفليتين. أما عضلات جدران الغرفتين في الأسفل (ويطلق عليهما البطين) فهي قوية وسميكة، وتستطيع تقلص بقوة كبيرة وتوليد ضغط كبير، علماً بأن قوة تقلص الغرفة الموجودة على اليسار أكبر وجدرانها أسمك. وعندما تقلص هذه الغرفة تدفع كل الدم الموجود فيها بقوة كبيرة وترسله إلى جميع أنحاء الجسم. وأنا أرسل الدم بواسطة الشريان الرئيسي الكبير ذي الجدران السميكة (ويدعى الشريان الأهر) إلى جميع أعضاء الجسم بالكمية وبالسرعة اللازمين. ومن المهم جداً تقلص هذه الغرف الأربع الواحدة منها تلو الأخرى في وتيرة زمنية ملائمة، وانتفاخ الصمامات الموجودة بينهما في هذه الأثناء بالضبط واندفاع الدم بين هذه الغرف، أو اندفاعها إلى الشريانين الرئيسيين في الوقت المناسب تماماً، كما أنه يجب انغلاق الصمامات في الوقت الملائم تماماً كي لا يعود الدم من الأماكن التي أرسل إليها. ويتم تنظيم هذه

فقد الدم في حوادث المرور أو عند حصول الجروح أو عند انقطاع بعض الشرايين. ولكن إن لم يتم تعويض الدم المفقود بعد مدة من حصول الجرح ولم يتم سد هذه الجروح فإنني قد أتعب وأتخلى عن القيام ببعض وظائفني.

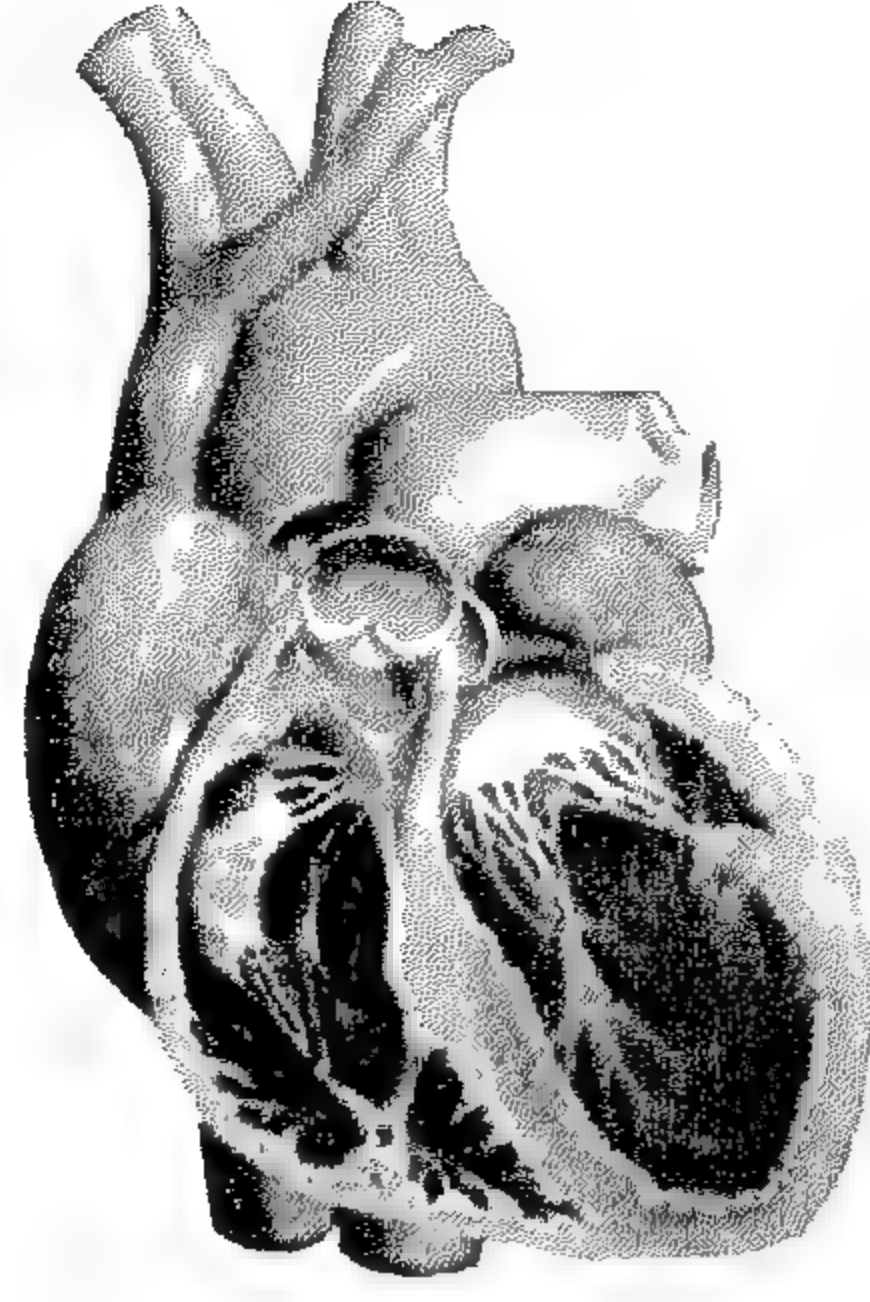
انتبه يا عبد الله! أقول لك مرة أخرى، إن أكبر إساءة إليّ تصدر منك. وعندما أتعب في يوم من الأيام وأتوقف عن أداء عملي فلا يحق لك أن تشتكي مني أو تعاتبني. أنت مشغول على الدوام بأكل الأغذية الدهنية، لذا فإن جدارتي المعدة تشكو منك على الدوام، لأنك تملؤها كثيراً. وعندما تنتفخ المعدة تتقدم بطلب المساعدة مني وهذا يُتعبني. ولا أدري ألم تسمع الحديث النبوي «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشربه وثلث لنفسه» (رواه الترمذي). أنا لا أعترض على تناولك الخضراوات. ولكن ما هذا النهم للمعجنات، وللحلويات الدسمة، وللمقليات ولأنواع الكباب؟! انتبه وكن حذراً وإلا فإنني سأضع قائمة طويلة من نقاط المحاسبة أمامك. ولكن قد يكون الآوان قد فات آنذاك. أجل! إنني أفهم أن تأخذ نصيبك من متع الدنيا، ولكن لكل شيء حدود وضوابط. ولو واصلت على هذا المنوال لصعب على صماماتي القيام بالحركة نتيجة تراكم الدهون عليها، ولانسدت أوعية الدم الرئيسية عندي. ونظراً لأن الشريان التاجي عندي رقيق فهو معرض للانسداد في مدة قصيرة، وهذا سيؤدي إلى أنني سأواجه أزمة نتيجة عدم -أو قلة- وصول الأغذية إليّ. وهذا تنبيه هام لك.

تنبيهات هامة

أنت تجلس يا عبد الله أمام التلفزيون من الصباح إلى المساء، أي إن حركاتك قليلة ومحدودة، ولولا خجلك ممن حواليك لذهبت إلى البقال بالسيارة. وأنا أنصحك أن تقوم كل يوم وفي ساعات محددة ببعض التمارين الرياضية. وهناك بعض من أصدقائك عندما يقومون بعبادة خالقهم يقومون بحركات تحفظ صحتي وعافيتي، وإن كانت في حدها الأدنى. أي إنهم يؤدون وظيفة العبودية لخالقهم بروح مطمئنة من جهة، ومن جهة أخرى يجعلونني في وضع أفضل. ونظراً لقيامهم في شهر معين من شهور السنة بالامتناع عن الطعام والشراب في ساعات معينة من اليوم، فإنني أجد فرصة للراحة، حيث يتيسر آنذاك حرق بعض الدهون كذلك.

ونظراً لأن الألياف العضلية التي تشكل معظم جسدي

التوقيتات بواسطة عقدة عصبية تعمل بشكل آلي وهي موجودة على سطحي، وتعمل هذه العقدة على إنتاج تيار كهربائي منظم. ولو حدث أي خطأ في توقيت فتح وغلق هذه الصمامات، أو إذا لم تفتح أو تغلق هذه الصمامات بشكل جيد نتيجة تراكم وزيادة الكلس أو الدهون وتم تهريب بعض الدم. فهذا يعد أحد أمراض القلب، أي أحد أمراضه.



ولمنع تراجع الصمامات الموجودة بين الأذين والبطين إلى الخلف نتيجة الضغط المسلط عليهما رُبِطت هذه الصمامات بجلال ملصقة بأسفلها بالقسم أو الوجه الداخلي لجدران البطين بشكل قوي ومتين. وطبعاً أنت لا تدري شيئاً عن هذا. وأنا أستمّر في العمل حتى في أوقات نومك. ومن الطبيعي أنني أغيّرت من حين لآخر سرعة عملي (أي سرعة نبضي) حسب العمل الذي تقوم به. فعندما تكون نائماً تكون هذه السرعة منخفضة، وعندما تستيقظ أو تتناول الطعام تزداد هذه السرعة. أمّا إن عدّوت أو مارست رياضة عنيفة فالسرعة تزداد أكثر فأكثر لكي أرسل الدم إلى كل أعضائك.

وقد تسأل عن الوقود الذي أحرقه في عملي فأقول بأنني أستمع في غالب الأحوال بعض الأحماض الدهنية مثل حامض اللاكتيك والسكريات. وبفضل عمليات الأيض الخاصة بي فإنني لا أشعر بالتعب.

وبين كل عملية تقلص وانسحاب أرتاح لمدة عُشر الثانية. وهي مدة قصيرة جداً كما ترى. ولكي أستطيع القيام بتوليد ضغط فعال يجب تقلص ألياف العضلات جميعها في وقت واحد ثم انبساطها كذلك، وهذا يستدعي ورود أوامر التقلص والانبساط في دورات زمنية محسوبة بدقة شديدة. والحقيقة أنني أيضاً لا أعرف بالضبط كيفية إنجاز هذه العملية الدقيقة. فلكي تقوم الخلايا الموجودة في المركز الصغير المودع في إنتاج الإشارات الكهربائية، يجب وجود فرق في توازن الأيونات بين خارج وداخل خلاياي، ثم إعادة تشكيل هذا التوازن مرة أخرى. وتتم هذه الأنشطة والتفاعلات في زمن قصير جداً يبلغ واحداً من ألف من الثانية. ومع أن هذه الخلايا تقوم بإنتاج الكهرباء وبتشغيلي فإنني لا أعدّ حراً تماماً، لأن من العوامل المهمة التي تؤثر على عملي وجود بعض الأعصاب المرتبطة بالدماغ. لذا فعندما تخاف أو تغضب أو تحزن يصاب نظام عملي بالخلل.

ورغم أن الحزن والغضب يحصلان في الدماغ إلا أن تأثيرهما يظهران عندي وهذا هو -في الغالب- السبب وراء ظن الناس السابقين بأن مراكز العديد من الأحاسيس موجودة في القلب.

مسك الختام

سأسألك يا عبد الله سؤالاً بسيطاً: «أهناك مهندس قام بصنع التلفزيون الذي تجلس أمامه؟ وهل هناك أناس كتبوا المقالات في المجلة التي تمسكها بيدك ونضدوا كتابتها ورسومها رسومها ووضعوا كلا في مكانها الصحيح؟ هم موجودون أليس كذلك؟ إذن ألا يستدعي هذا وجود من خلقي وخلق الشرايين والأوردة المتصلة بي بصورة تلي جميع حاجاتك وهو أمر أكثر تعقيداً وكماً بالآلاف المرات من التلفزيون؟

مرحى لك يا عبد الله! فكما أقوم أنا بإيفاء وظيفتي دون خلل لكي تستمر في الحياة، قم أنت الآن بإغلاق هذا التلفزيون وخصّص عشر دقائق لخالقك الذي خلّقك في أكمل صورة. وهكذا أستطيع أن أبذل عني بعض الضيق الذي أصبت به من جراء توترك النفسي، وأرتاح قليلاً.

لم أستطع يا عبد الله في هذه الصفحات القليلة إلا شرح واحد بالألف من دقة خلقي ومن النظام الدقيق لبنيتي، ومن خطورة المهمة التي أقوم بأدائها. أما الشرح الكامل والمفصل فلا أستطيعه ولا يكفي لذلك علم الأطباء والحكماء. ولكن جزاهم الله خيراً فهم يحاولون شرح الأسرار الموجودة عندي.

والآن هيا يا عبد الله وقم بمطالعة دروسك وكن في المستقبل عالماً مرموقاً، وحاول اكتشاف بعض أسرار المجهولة، وقم بنصح الناس حول أفضل الطرق للتعامل معي واستعمالي. ولكن قبل هذا، عليك أن تملك فضولاً وفكراً ورغبة في معرفة الحقائق، ثم التفكير الصحيح، وأن تتعلم النية الصحيحة والنظر الصحيح. أي عندما تقوم بتدقيقي، عليك أن تتعود قول: «ما أجمل خلقه!!» بدلاً من: «كم هو جميل». وبدلاً من التوقف عند ملاحظة النقوش والفنون الجميلة الموجودة في، عليك أن تصل إلى أفق التفكير في سؤال: «من الذي صنع كل هذه النقوش؟». فعند ذلك سيتيسر كل شيء، وسيكون لكل شيء في الحياة معنى خاص، وستتذوق حلاوة هذا الأمر وتصل إلى الطمأنينة وتكتسب قوة وقدرة تستطيع بها تحدي الكون كله. ﴿﴾

(*) جامعة ٩ أيلول - تركيا. الترجمة عن التركية: أورهان محمد علي.

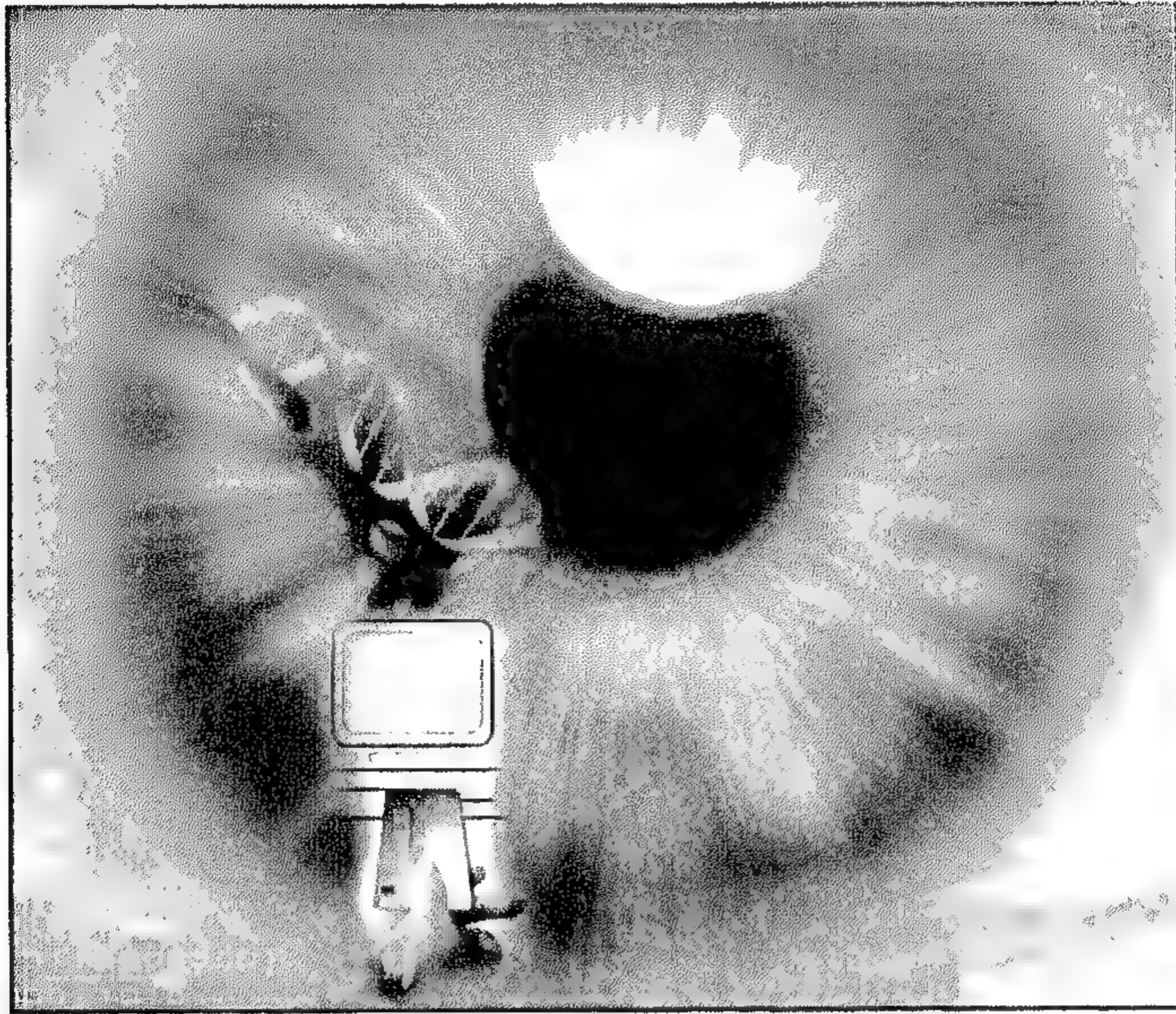
موازين

أيها الشاب! توقف لحظة...
استمع إلى نبضات قلبك وأنفاس
وجدانك، وتهيأ لمحاسنة نفسك.
انفض واستقم بنور الإيمان المشع في
أعماقك، وسر في طريق النور المنبثق
من روحك والممتد إلى حضرة
الحق سبحانه. فهذا الطريق الذهبي
يتجاوز الزمان والمكان. ولن تعرف
الحقيقة التي تحتضن روحك أو الغاية
المقدسة التي تتلأأ في قلبك إلا في
هذا الطريق.

أيها الشاب! لتكن خطواتك
الأولى في هذا الطريق اكتشاف
حقيقتك... اعرف من أنت ومن
تكون، ثم سر على بركة الله ولا
تراجع قيد أنملة... إن كل جهد
في هذا الطريق يبعث في قلبك
أبحادا نسيته، ويكشف عن حقائق
تراكمت عليها الرمال، وترى في
ضوء الإيمان المشع في قلبك أن
أرجاء الزمان والمكان قد استضاءت
بأمواج الأنوار الساطعة من الآفاق
البعيدة.

أيها الشاب! إذا عازمت على
سلوك هذا الطريق الشاق اللذيذ
فحدد هدفك أولا. وتبين طبيعة
عملك جيدا، وضع لنفسك نظاما
محكما، ثم امض بجِد لا نكوص
بعده، وثبات لا تهاون فيه. آنذاك
لن تحار أثناء السير ولن تتوه أبدا،
ولن تثبط العقبات عزيمة، ولن يجد
اليأس إلى قلبك سبيلا.





أ.د. خالد الصمدي *

علاقة المعرفة بالقيم

الذي يرتبط في البعد الاصطلاحي بالتربية، يجعل الإسلام لا يقر بفائدة أي علم منفلت عن القيم.

ومن هنا ارتبطت العلوم بشئ فنونها كإنتاج للمعرفة في المنظور الإسلامي بالقيم، وتكون فائدتها في تدبير شؤون الحياة أكثر فائدة حين تتجاوز منطق السيطرة على الكون وإخضاعه لسلطة الإنسان، إلى العلم بالخالق وخشيته. وبذلك تضع نتائج المعرفة الباحث (الإنسان) على سكة الترقى نحو القيم المطلقة من الإسلام إلى الإيمان إلى الإحسان.

و حين تقف نتائج العلوم عند حدود سيطرة الإنسان على الكون بمعزل عن القيم، فإن هذه السلطة تتحول إلى توهم السيطرة، وتوهم السيطرة تجلّي في عقلية قارون حين قال مزهوا بممتلكاته ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ (القصص: ٧٨). فكان التعقيب الإلهي ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ (القصص: ٨١). فالعلم الذي اكتسبه ضخم أنانيته فتوهم القدرة والسيطرة، فتحول العلم في هذه الحالة من مدرج مفتوح للترقى نحو القيم المطلقة، وانحبس في كنف المادة مما ينافي طبيعة العلم ذاته. والمادة وسيلة للعلم وليست غايته ومقصده، ومن طبيعة العلم الانطلاق نحو السباحة في الملكوت، وهو يتجاوز الإنسان إلى

من حكمة الخالق البالغة أن بدأ رسالة الإسلام باختبار القيم في سلوك أول جيل من أجيال البشرية (ابن آدم) قال تعالى ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٠٠﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسٍ يَدِي إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (المائدة: ٢٨).

ولم تكن القرايين إلا نتيجة المعرفة المكتسبة لكل من الأخوين، والتي ارتبطت عند الثاني بالقيم حين قال ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾. فالتقوى عاصمة من تحويل العلم والمعرفة إلى سلطة شر، وانفصلت عن القيم عند الأول الذي قال لأخيه ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ معتبرا أن الخبرة المعرفية كافية لقبول العمل دون اعتبار قيمة التقوى والخوف من الله.

وقد طبع النموذجان مسيرة البشرية إلى قيام الساعة، ولذلك لم تفتأ الرسالات السماوية تعمل على ترسيخ النموذج الذي يربط المعرفة بالقيم عن طريق التربية، وتحذر من النموذج الذي يفصل بينهما لما له من آثار سلبية في الحال والمآل، ولذلك ختمت هذه الرسالات، برسالة محمد ﷺ التي كانت أول آية نزلت فيها قوله تعالى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق: ١). وهذا الربط في الرسالة الخاتمة بين القراءة واسم الله (الرب)

سائر ملكوت الله، ولا يملك الإنسان من العلم المطلق إلا مقدار الماء العالق بالمخيط إذا أدخل البحر.

والخلاصة أن العلم وسيلة لتدبير شؤون الحياة، وهو في الآن اللازم وسيلة لمعرفة الخالق. والترابط بين الوسيلتين يجعل العلم في خدمة الإنسان، والانفصال بينهما يؤدي إلى انتكاسات تغرق البشرية في حمات من الكوارث. والنماذج تترى في مسيرة البشرية، ويكفي أن نذكر في عصرنا الحديث باستخدام نتائج البحث العلمي في إنتاج أسلحة الدمار الشامل وإلقائها على الأبرياء في هيروشيما ونكزاكي وفلسطين والعراق والشيشان وأفغانستان وغيرها من بؤر التوتر في العالم. ولا يزال العالم يتوقع أمثال هذه الممارسات في وقت تزداد الهوة فيه اتساعا بين المعرفة والقيم ولا يقيم فيه وزن للأخلاق والتربية، بل ويعتبر البعض كل ذلك معيقا لحرية المعرفة، في حين نرى أن حصر مقاصد المعرفة في تلبية غريزة السيطرة لدى الإنسان يعتبر أكبر معيق في وجه تطورها وانطلاقها.

ومما يتفرع عن هذه النظرة من نتائج أن كل علم من علوم تدبير الحياة بما فيها ما يصطلح عليه بعلوم الشريعة الإسلامية، ترتقي درجته ويرتب في سلم الأوليات بالنسبة لحاجة البشرية بقدر ما يسهم في تيسير سبل الحياة، ويسعى في نفس الآن إلى الترقى في سلم القيم المطلقة في رحلة العودة من الأرض إلى السماء، وتلك رسالة التربية ودورها كما سنوضح بتفصيل في رؤيتنا الجديدة لفلسفة التربية الإسلامية كمساحة لحركة المفاهيم بناء وممارسة.

الإطار الفلسفي للتربية الإسلامية

معلوم أن النظرية التربوية الإسلامية من حيث أسسها ومبادئها العامة أسهمت بشكل كبير في صياغة نظرة الإنسان إلى نفسه ومن ثم إلى الكون والحياة والمصير، سواء أكان مسلما مؤمنا بأصول هذه النظرية ومنقادا لأحكام الإسلام بفهم سديد ورأي رشيد، أو مستفيدا من هذه النظرية من باب الاطلاع على التجارب والخبرات المختلفة كما نجد عند كثير من المفكرين والكتاب المهتمين بالتربية المنتمين إلى مختلف المدارس الفكرية وخاصة المفتحة والمنصفة منها. ونجد أنفسنا في هذه التأملات نثير تساؤلات نتلمس معالم الإجابة عنه في مقاصد الشريعة الإسلامية فنقول:

• ما علاقة القيم الإسلامية بالأحكام الشرعية؟ وهل يمكن الاتصاف بالقيم دون الالتزام بالأحكام؟

• لماذا شرعت الأحكام وكلف الإنسان بها؟ وهل المقصود شرعا هو إتقانها والالتزام بها في حياة الإنسان فقط أم أن هناك مقصدا أسمى؟

• هل تستهدف التربية الإسلامية تربية النشء على أداء الشرائع والأحكام في بعدها المعرفي والتطبيقي، أم إن الشعائر والأحكام ليست إلا وسائل قد تحقق التربية إن قدمت بمنهج يمزج بين المعرفة والوجدان والسلوك وقد لا تحققها إن قدمت بالمنهج المعرفي الصرف؟

• إذا كانت إعادة التربية هي الوسيلة التي تعيد الإنسان إلى مركز الفلاح (الجنة) الذي تبوأه قبل هبوط آدم من الجنة، فما هي المحطات الأساسية لمسيرة العودة وما دور الأحكام الشرعية فيها؟ وهل دعوة الرسل كانت إلى الأحكام كمقاصد أم كوسائل للترقى نحو القيم؟

للمساهمة في الجواب عن هذه الأسئلة نسوق هذه التأملات.

فلسفة إعادة التربية من الاختبار إلى المصير

إن هذه السؤالات وما يمكن أن يتفرع عنها يعيد من جديد سؤال التربية إلى الواجهة وفق سلم يقتضي كثيرا من التفكير والتحليل ثم إعادة البناء بما يمكن أن يعيد تشكيل العقل المسلم ويرتب أولياته ويركز مجهودات الإصلاح على الأهم فالأهم.

وتفسير ذلك أن الإنسان نزل من الجنة لخلل أصاب جهازه التربوي عند الاختبار (مخالفة سلوكية) رغم قوة التكوين المعرفي، قال تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة: ٣١) وغاية نزوله إلى الأرض إعادة تصفية جهاز القيم عن طريق التربية وغسل درن المخالفة بالهدى، قال تعالى ﴿فَإِذَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (طه: ١٢٣) ليعود من تفوق في اختبار إعادة التربية إلى مكانه الأصلي الطبيعي (الجنة) وقد صفت قيمه، وتنفي النار درن المخالفة عن المخطئين في تطبيق وصفة العلاج (الأوامر والنواهي الشرعية)، كما تنفي الصدا عن الحديد، ليعودوا بعد مغفرة الله ومنه إلى الجنة، لأن نظام القيم لدى المخطئ يظل متماسكا وإن أصابه درن مخالفة بعض الأحكام، أما الخاطئ المنكر لها ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ (الحاقة: ٣٥-٣٧)، خالداً مخلداً مادام نظام القيم قد انهار لديه ولم يعد قابلاً للترميم، وذلك هو مصداق قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ (النحل: ١٠٨).

وهكذا بعث الله الرسل مبشرين ومنذرين يملكون أمهر الوسائل وأرقى درجات الحكمة مزودين بتوجيهات وأوامر إلهية تقرب من القيم وتنهي عن سلوكات ومخالفات تبعد عن القيم. وقد بعث الله تعالى لكل أمة رسولا وجعل الرسل ترى في الزمان، وختمهم برسالة محمد ﷺ حين نضجت وسائط التواصل بين البشر وأصبحت المجموعات البشرية أكثر احتكاكا وقربا، فناب العلماء عن الرسل في القيام بواجب التوجيه والإرشاد.

ولم تكن الشرائع والأحكام إلا وسائل للتربية وليست مقصودة لذاتها، ولذلك علم رسول الله ﷺ الناس الصلاة وقال «صلوا كما

رأيتُموني أصلي» (رواه البخاري)، ولكنه قال للمصلين «مَنْ لَمْ تَنْهَ صَلَاتَهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَمْ يَزِدْ مِنْ اللَّهِ إِلَّا بَعْدًا» (رواه الطبراني في «الكبير»). وأمر الناس بالزكاة وبين لهم أنصبتها ومقاديرها وأوجه صرفها ثم قرأ عليهم قوله تعالى ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (التوبة: ١٠٣)، وعلمهم الصيام وفرائضه وسننه ثم قال لهم «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ شَرَابَهُ وَطَعَامَهُ» (رواه الإمام أحمد في المسند) وقس على ذلك.

وقد يقول قائل: ما دامت الأحكام والتشريعات وسائل للتربية على القيم وليست مقصودة لذاتها، أفلا يمكن أن تكون وسائل أخرى

قد تكون اجتهادية بشرية محققة لهذا المقصد؟ وهنا يفتح باب الاجتهاد على مصراعيه ما دام الأمر يتعلق بقيم إنسانية عالمية كالعدل والصدق والأمانة والوفاء وغيرها لخوض تجارب إنسانية متعددة قد توجد في الكنفشيوسية أو البوذية أو لدى عبّاد الأصنام أو الصابئة أو حتى الذين يدينون بديانة الإلحاد ما دام التدين ضرورة بشرية لا يتخلف عنها أي إنسان.

والجواب عن هذا التساؤل واضح من خلال القرآن الكريم؛ فقد أقرّ بوجود كل الديانات والمذاهب، واحترم حق

الاختلاف وفسح المجال أمام الإنسان ليختار معتقده ومسيرته، قال تعالى ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون: ٦) وقال تعالى للرسول ﷺ ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٩٩)، وقال تعالى ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (الكهف: ٢٩).. وبذلك وضع الخالق ﷻ الإنسان أمام اختبار الاختيار وذكر القرآن الكريم كثيرا من الديانات الوضعية وناقشها بقوة العقل وحجة المنطق، وبين أنها وصفات دواء لا تمكن الإنسان من الترقى نحو القيم المطلقة المفضية إلى الجنة.

وبناء على ذلك يمكننا أن نقسم سعي الإنسان نحو القيم إلى قسمين:

قسم يسعى إلى قيم «العاجلة» النسبية، فهو ينال حظه ونصيبه منها من غير ظلم ولا بخس، قال تعالى ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ (الشورى: ٢٠)؛ فمن ابتغى العدل كقيمة في بعدها الإنساني النسبي نال نتيجة سعيه في الدنيا وما له في الآخرة من نصيب مادام لا يؤمن بها ولا يسعى إليها بمحض اختياره.

وقسم يسعى إلى قيم «الآخرة» المطلقة ويعلم أن الدنيا مزرعة للآخرة فهو يرقى في سلم القيم إلى ما هو أسمى من قيم «العاجلة»، وبذلك يكون تمسكه بقيمة العدل مثلا أقوى وأبقى أثرا، لأنه يعلم أن الفائدة المادية حاصلة في الدنيا من انتشار العدل وهي خطوة للفوز والفلاح في الآخرة، وهو هدف أسمى لدى المؤمن.

ثم إن الترقى في سلم القيم المطلقة للعودة إلى الجنة لن يكون إلا وفق ما أمر الله تعالى في القرآن الكريم وبين رسوله ﷺ، ومن ثم كانت شريعة الإسلام الوسيلة الوحيدة للترقى نحو هذه القيم المطلقة، وباقي الوسائل الاجتهادية الأخرى تقف عند سقف قيم «العاجلة»، قال تعالى ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا



مَذْخُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ (الإسراء: ١٨-٢٠).

وغاية الشريعة الإسلامية أن توضح هذا السبيل ولا تلزم الناس به ولا تنفي باقي السبيل، فالله تعالى يقول ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) (هود: ١١٨-١١٩). وتلك هي عظمة الاختيار في الإسلام، لأن صقل القيم بالتربية لا يكون قسرا غير عرض النموذج الواحد، وإنما يكون بوضع الخيارات المتعددة مع توضيح وبيان أنجح الطرق وأفضل الخيارات بقوة العقل والبرهان؛ وللإنسان أن يختار ويتحمل بعد ذلك مسؤولية اختياره.

وحين يصل الإنسان بالحكمة والموعظة الحسنة إلى الالتزام بالأحكام والتشريعات الإسلامية كوسيلة للترقي نحو القيم يصل إلى التزكية، وهي الخطوة الأخيرة في مسيرة العودة إلى مقر الفلاح (الجنة) المقر الأصلي الطبيعي للإنسان ذي القيم الصافية، قال تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (الشمس: ٩-١٠).

مفهوم الأمر والنهي في ضوء فلسفة القيم

إن منظورنا لعلاقة الأحكام بالقيم وهي - كما قررنا - علاقة السبب بالمقصد، تُحيلنا إلى تحليل بنية الأحكام الشرعية إلى جزئيات الأوامر والنواهي كما وردت في القرآن الكريم وفي سنة وسيرة الرسول الأكرم ﷺ والنظر إليها في سلم الترقى نحو القيم.

أما الأوامر الإلهية فهي توجيهات على طريق الوصول إلى القيم تسدد الخطى وتسرعها بقدر درجة الالتزام بها؛ فالحرص على الفرائض منها فقط أقل سرعة وحركة من الحريص على الفرائض والنوافل، ومعلوم أن السرعة مطلوبة للوصول إلى المقصد في أقل وقت ممكن ما دام العمر محدودا وساعة كل فرد علمها عند ربي في كتاب، ولا شك أن العاقل سيختار الوسيلة الأسرع. وفي هذا السياق نفهم قوله تعالى ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٩٥).

أما النواهي فهي لدرء المحرمات والتي تعتبر في سياق الترقى

نحو القيم معيقات تضيق على الواقع في شراكها الجهد والوقت، ولذلك سماها الله تعالى بالسبيل حين قال في محكم التنزيل ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (الأنعام: ١٥٢) والدخول إلى السبيل الضيقة الصغيرة قد يكون سببا في التأخر في انتظار التوبة والعودة إلى الطريق المستقيم، وقد يكون سببا في الضياع فينتهي الزمن المقدر لحركة الإنسان نحو القيم (العمر) وهو عالق في السبيل كسفينة جانحة في الصخور لم تتمكن طواقيم الإغاثة من انتشالها فعلاها الصدا وتاكلت ألواحها وهوت إلى قاع البحر.

وهكذا يعتبر النهي عن المحرمات في سلم الترقى نحو القيم ترشيدا لمسيرة الإنسان وليست قضاء على شهوة أو تكليفا بما لا يطاق، فمن نظر إلى المحرمات بهذا المنظور تجلّى له بلا شك نعمة الخالق في النهي عنها، وسارعت نفسه إلى اجتنائها، لأن المعادلة الواضحة في ذهنه تدعو إلى ضرورة تجنب كل معيقات الوصول إلى القيم في صراع حقيقي مع الزمن المحدود.

ميزان الأعمال في ضوء فلسفة القيم

ويتفرع عن هذا التصور وضع ميزان للأعمال الصالحة والطالحة انطلاقا من فلسفة القيم، ذلك أن العبرة في هذا الميزان بنوعية العمل لا بكميته، ولنوعية العمل دور حاسم في الدلالة على نضج القيم في نفس الإنسان. ولذلك كان الفعل الصغير من الأوامر قوة هائلة دافعة نحو القيم وعلامة بارزة على نضجها في النفس، وكان الفعل الحقير من النواهي علامة كبرى على ضмор القيم في النفس وسببا في السقوط في الهاوية والعودة إلى نقطة الانطلاق مما يعني ضياع كل الجهود السابقة.

ويتضح هذا من التأمل في قول رسول الله ﷺ «إن رجلا رأى كلبا يأكل الثرى من العطش فأخذ الرجل خفه فجعله يغرف له به حتى أرواه فشكر الله له فأدخله الجنة» (رواه البخاري) وأن «امرأة دخلت النار في هرة ربطتها فلا هي أطعمتها ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض» (متفق عليه).

ونستنتج من هذا أن الغاية ليست هي طبيعة العمل، فالرجل حين سقى الكلب قام بحركة بسيطة والمرأة ربطت الهرة لساعات، ولكن كل عمل من العملين دليل على درجة الترقى في سلم القيم؛ فالرجل الذي سقى الكلب لم يدفعه لذلك - وقد كان لوحده في الصحراء - إلا نضج قيمة الرحمة وقيمة ابتغاء مرضاة الله في نفسه، فدفعه كل ذلك إلى الإحسان فعبد الله كأنه يراه، وذلك

أرقى صور نضج القيم وسلامتها، وفي المقابل انمحت من نفسه رذائل القسوة والرياء والاحتقار وغير ذلك مما يكون عادة سببا في العزوف عن القيام بالكثير من الأعمال الجليلة القدر البسيطة الشكل.

وأما سلوك المرأة فدل على ضعف قيمة الرحمة في نفسها وحضور القسوة والجفاء مكان ذلك، وقوة دافعية البخل على قيمة البذل والكرم، والأخطر من كل ذلك أنها لم تستحضر رقابة الخالق سبحانه وتعالى في فعلها فهي لا زالت تعتقد أن لا رقيب يحاسبها على عملها ذلك، وهذا أكبر خلل في منظومة القيم وعلامة خطيرة على انهيارها.

منهج الترقى نحو القيم من المعرفة إلى العمل

إذا كنا قد عرفنا أن نوعية العمل هي العملة الوازنة في ميزان القيم فكيف يتوصل الإنسان إلى اختيار العمل النوعي؟ وكيف يرتب أولويات عمله في ضوء ذلك؟

نتصور أن هذا المنهج ينبنى على أربع قضايا كبرى هي: البحث عن المعرفة، وطرق اكتسابها ونشرها، وانعكاس أثرها تطبيقا في السلوك، ومقومات الاستمرار والثبات على هذا السلوك. وكل قضية لها وجهان فقد تكون دافعة في اتجاه الترقى نحو القيم كما قد تكون في الوجه الآخر معيقا ومثبطا. ونكتفي ببيان الوجه الأول لأنه دال على الثاني بالضدية والتقابل.

فأما المعرفة فقد تكون دافعة حين تكون موثوقة المصدر تجمع بين قراءة الوحي وقراءة الكون معتمدة على كتاب الله وما صح من سنة رسول الله ﷺ واجتهادات العلماء العاملين المشهود لهم بالورع والتقوى وسعة الإطلاع. ولذلك يطلب من الإنسان أن يبني معرفته عن طريق التحري والسؤال، وهو مسؤول عن المعرفة الصحيحة التي يكتسبها ويترجمها إلى سلوك دافع نحو القيم، وهذا هو سياق تفسير الإمام البخاري لقوله تعالى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (محمد: ١٩) في ترجمته لكتاب العلم في صحيحه قال «باب العلم قبل القول والعمل» وتلك هي المعرفة الدافعة نحو القيم.

أما في طرق اكتساب ونشر المعرفة فهي: تلك المسلكيات اللفظية والمادية التي يعتمد عليها العالم والمتعلم في نقل واكتساب المعرفة، فالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن هي أنجح الوسائل التي ترغب الناس في تقبل المعرفة والتوجه نحو الطريق السوي وهم راضون مطمئنون تدفعهم الرغبة في السلوك، وذلك هو منهج القرآن الكريم في حفز الهمم نحو القيم.

أما العمل والتطبيق فهو بدوره قوة دافعة للترقي في سلم القيم إن كان صالحا، أو معيق إن كان طالحا؛ فأما الصالح فميزانه الاعتدال والوسطية اقتداء بسنة رسول الله ﷺ وتكليف النفس بما تطيق، والمداومة على العمل الصالح والترقي فيه بتدرج.

أما مقومات الاستمرار والثبات فهي الجانب الوجداني والنفسي والعاطفي بما يوفره من شحنات قوية تغذي الدافعية نحو القيم، فكثيرا ما كان الحماس الفياض والعاطفة الجياشة والغيرة الحية دافعا نحو التضحية من أجل المبدأ، شريطة أن تكون مبنية بناء سليما متدرجا وفق المنهج السالف الذكر. فالوجدان والتعاطف المبني على معرفة صحيحة مستقيمة، وسيلة وطريقة حكيمة، وعمل وسطي، فيؤدي إلى التمازج والاندماج ويصبح قناعة راسخة غير قابلة للتغيير، ولذلك كان أحب الدين إلى الله أدومه وإن قل.

وبهذا يكون تقوية الجانب الوجداني والعاطفي على أسس متينة وقودا للسالكين طريق الحق ومحفزا للثبات عليه، ويكون ضعف هذا الجانب أو بناؤه على أسس غير سليمة، مثبطا ومنفرا يخلق الاضطراب والاغتراب.

إن بناء هذه الدعائم الأربعة لمنهج الترقى نحو القيم (المعرفة السليمة، والطريقة الحكيمة، والتمثل العملي الوسطي، والوجدان المحفز) هي صميم المجال النظري والتطبيقي للنظرية التربوية الإسلامية التي تربط بين المعرفة والقيم من أجل تنمية إنسانية شاملة ومتكاملة تضمن سعادة الدارين. ﷻ

(*) رئيس المركز المغربي للدراسات والأبحاث التربوية الإسلامية بالمدرسة العليا للأساتذة بتطوان - المغرب.

العلم وسيلة لتدبير شؤون الحياة، وهو في الآن اللازم وسيلة لمعرفة الخالق. والترابط بين الوسيلتين يجعل العلم في خدمة الإنسان، والانفصال بينهما يؤدي إلى انتكاسات تغرق البشرية في حمات من الكوارث.

عودة الغريب...!

أديب إبراهيم الدباغ*

«بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء» (حديث نبوي)

إنسانيّتي بعد أن أنضجت المَحَنُ ذاتي، وأصلبت صروف الأيام عُودي، وتركت الأحداث الضخام في نفسي وروحي جراحات ظلت تروي جنبات أرضكم من دمي، وتسقي ثراكم بعصارات قلبي النازف... فيا روعة القلب المثخن بجروحه كيف يسمو على عمود من أنوار دمائه ليزرع الفرخ في كل قلب؛ ويا عظمة الروح المُخَضَّبِ بالنجيع كيف يتعالى على سُلم من وَهَجِ آلامه ليمسح أوجاع الحزائي، ويواسي آلام البائسين والخياري.

خائفون أنتم مني يا أشقاء روحي، صادون أنتم عني يا إخوة فؤادي، ولكن شوقي إليكم يتدفق هتافاً حاراً: «أنا ينبوع النور يا كلّ المظلّمين، أنا نهر الضياء يا كلّ الظالمين، أنا أنداء الفجر يا زهرات البشرية المصوّخة، أنا سماء الشروق يا ليل الإنسان المحتضر، أنا أقباس الحقيقة النيرة يا ركام الأباطيل، أنا ربيع الإيمان يا أشتاء الحضارات، أنا أصداء القرآن يا أصمّاء.»

غريب أنا بينكم يا أبناء أمّي؛ إنسان، يلفني الغموض في زعمكم، ويلفني الضباب في ظنكم، أسطورة كبرى تملأ خيالكم، وترهب أحلامكم. صوتي غريب بينكم لأنه ليس كما تعودتم سماعه من أصوات، نبرة صوتي مبرأة من كل مسخ وزيف، حتى لكأن الحياة بكل أصالتها وعمقها وقداستها هي التي تهتف بلساني، وتحدّر من بين شفقي شلال نشيد علوي يغسل القلوب من أدرانها، ويطهر الأرواح من أوصالها. وفي صوتي إرعاد كإرعاد قلب السماء المشحون بالأضواء في طيات الغيوم، وفيه إبراق كالسنة الوميض المندلعة على حواشي الليل المحلولك السواد.

آت أنا يا صُراخ الإنسان المتوجع من أعماق هاوية الظلام؛ قادم أنا يا أنات الروح الإنساني المحترق باتون العذاب؛ مُقبل أنا يا عويل النفس المصلوبة على أعمدة الأسى، والمعلقة على أعواد شجر هذا الخريف الحضاري الرهيب؛ عائذ أنا يا نزيف الجرح المفتوح في ضمير الإنسان على أشواك الشك والخيرة والقلق؛ مُتسالك أنا - كأنداء الفجر - على صحارى النفوس، وظمأ الأرواح يا لهاث الإنسانية الراكضة وراء مفاوز السراب والضياع!

لقد استفزني صُراخكم - يا أبناء الأرض - واستثار هتافكم الحار اللهيف مكان الشوق إليكم في مطاوي نفسي؛ وألّمني نضوب النور في أرواحكم، وجفاف ينبوع في قلوبكم؛ وأحزني ما اجتاحت نفوسكم من نوازل، وما عصفت في جنباتها من عاصفات كاسحات اجتثت بقسوة أصالة الإنسان فيكم، وخنقت بوحشية صوت الفطرة في أعماقكم، وعطلت بغدر مشكاة الإيمان في قلوبكم... فسَادَ الظلام، وانسرب موجه الحالك إلى أغوار النفوس؛ فإذا الإنسان ضائع في مجاهل نفسه، تائه في صحارى قلبه، ضال في ليل روحه؛ يتعالى صوت حزنه، ويرتفع أنين وجدانه، وتمتد يد يأسه تفرغ كل باب، وتنقر كل نافذة بعطش شديد إلى قطرة من نور، وغرفة من ينابيع الضياء.

فها أناذا - يا إنسان الضياع - تهزني آلامك، وتشجيني أحزانك، ويحرك صُراخك الأليم عقربي ساعتي، ليقترّب زمي ويُطلّ يومي. أنا إنسان القرآن والإيمان، أعود إليكم يا إخوة

موازين

أيها الشاب! عندما نريد قراءة كتاب ما، نبدأ بفصول سهلة، وأجزاء مثيرة تساعدنا على الاستمرار. فإذا اعترضتك جبال شاهقة، وتلال متعاقبة، ومفاوز شاسعة في الطريق، فأنصحك أن تقسمها إلى أجزاء صغيرة يسهل اجتيازها؛ وإلا فسوف يبدو لك الطريق ممثداً إلى لاهية، فيدب اليأس في قلبك، وتضعف عزيمتك، وتخور قواك، فتستسلم لهزيمة مريرة.

أيها الشاب! اعلم أن إحياء كيانات الفردي والاجتماعي الذي تداعت أركانه على مر العصور، لن يتحقق بقفزة واحدة أبداً. فذلك سراب ضائع. والحل أن نبدأ عملية الإحياء خطوة بخطوة إلى أن تتكامل الأركان، فتعود حيوية الروح والجسد إلى سابق عهدها. وذلك سيبعث الأمل الخامد في القلوب، ويقوي العزائم المكنونة في النفوس، وسنرى فجأة أننا قد قطعنا مسافات شاسعة، وبلغنا نهاية الطريق، فتنتطلق ألسنتنا بالحمد لله سبحانه.

أيها الشاب! إياك أن تسير في طريق بلا غاية، فذلك جهد ضائع في سبيل لا شيء، وخطر عظيم يؤدي بصاحبه إلى مهاو مظلمة. إن غياب الغاية في السير يطفئ الأمل، ويميت الهمم، ويصيب العقيدة في صميمها.

إني أتلاً - يا إخوتي - بنور الله، إني أحترق باللهب الأنوس الذي تُفجّرهُ كُلُّ كلمة تنوهج على شغاف قلبي من كَلِمِ الله.. أنا عبد الله؛ تَوَقَّلتُ قِمَمَ الحكمة بقلبي الجريح المتعب، وارتقيتُ بجناحي الكسيرين سلام المعرفة، وتسَلَّقتُ بدمي النازف خيوط الشمس المعلقة بقلب السماء، ودخلت كهف الضياء كهف الغربة الروحية والربيع الإلهي الضحيان، بحرقة قاتلة، وبظمأ مميت؛ لأهل من منابع القرآن، وأترشف من جداول ضيائه، وأُعَبِّ من عيون أنواره، ثم أنحدر بذات متوحدة لا تعرف الانقسام، وبنفس يُظَلِّها سلام الله فلا تعرف الاحتراب، وبكيان متساوق لا يعرف النشاز؛ لكي أضع يدي على نبض العالم المريض، وأسكب في قلبه بروق الوحي، وأصُب في روحه المدنف إرعاد القرآن؛ ليتنفذ العالم من غفلته، وتصحو البشرية من أوهامها على جلجلة صوتي الذي لن يصمت بعد اليوم؛ لأن في صمته موتاً للحقيقة في قلبي، وموتاً لقلبي الذي تقتله الحقيقة المحبوسة بين جدرانها.

ومع هدأة الصفاء في صوتي، ومع موج النور المتساكب من أغوار كُلِّ كلمة يطلقها لساني، ومع الحرف الذي يتحدّر إلى سماء القلب المظلم ليتألق فيه كنجمة الصباح، مع صوت الصدق والأصالة والعمق، يرتفع صوت ألف «مسيلم» من أنبيائكم الكذبة هاتفاً في جموعكم الخيري: «طارِدوا الغريب، أبعُدوه، ارجعوا هذا الطارئ على عالمنا بالحجارة، املأوا فمه تراباً، وحَصَّنوا أبواب قلوبكم دون كلامه، وسُدُّوا منافذ نفوسكم بصفائح الظلام، واملأوا مسارب أرواحكم أمامه بمذاب الليل من أوهامكم، واحذروا من أن تقع كرة أرضكم - مرة أخرى - بين ذراعيه فيلهب أشواقها الخامدة إلى السماء من جديد.»

أعبروني أسماعكم أيها المتشوقون لصواعق الحق المحرقة، فأنا سماء الحق التي تُمطر أرض أباطيلكم بجمراتها، وتلهب غابات أوهامكم بجرائق من شفق أصباحها.

انتبهوا! فإن الروح الذي يخاطب أرواحكم مرصود للهيمنة على الروح الإنساني العام، ليعيد إليه نضارته، ويستتب فيه من جديد شجرة الشوق إلى الله، ويرتفع بهذا الروح إلى القمم الشاهقة من الوعي المتفتح على عوالم الإنسان العميقة الشاسعة أو على آفاق الفكر الكوني الملهب بشمس محبته لله رب العالمين.

أنصتوا جيداً - يا بني أمي - فإنني أنشر على الأرض فجر حضارة جديدة تصحح النفس الإنسانية؛ وتضيء ما أظلم من معاني الحياة؛ وتصل بشريان نوراني بين نبض العالم ونبضات الوحي؛ وتسكب في قلب الأرض المتحجر القاسي دفقاً رحيماً من خفقان قلب سيدنا محمد ﷺ الأمين على أصالة الحياة وكرامة الإنسان.

في الطريق إلى الحياة الأبدية



نورالدين طوبجو *

فقد كنتم تبكون عليّ لأنكم لم تكونوا تعلمون إلى أين ذهبت، أما أنا فقد عشت في الحياة لمثل هذا الموت، وقد وصلت إلى أجلي. عندما كنت بينكم كنت مثلكم أخشى الموت لأنني كنت أحبكم وكنت أكره أن أفارقكم جميعاً. وعندما انحنى عليّ ملك الموت لم تلاحظوا الابتسامة التي ارتسمت على وجهي، وبدوري لم أستطع أن أقول لكم شيئاً عن حالي.

لقاء الأعبة

ولم يستغرق انتقالي من دنياكم إلا لحظة قصيرة، وبعد أن دفن جسدي قلت للرسول: «إلى أين نحن ذاهبون؟» لم يقل لي: «إلى حيث تريد» وإنما أجابني قائلاً: «إلى حيث كنت قد أردت» ثم أضاف: «إن الحياة التي عشتها لم تكن إلا هيئة لك لحياتك الحقيقية هنا، وما ستلقى هنا إلا الأشياء التي طلبتها في تلك الحياة». سألته: «وهل أجد كل ما كنت أطلبه؟» قال: «ستلقى كل ما كنت تطلبه بإيمان وحب ووجد، كل ما كنت تطلبه بحق». فرغبت أن أكون مع والديّ ومع روحين عزيزين توفيا قبلي. كيف بلغت وأفهمت هذه الرغبة؟ لست أدري. غير أنه أجابني في التو: «ولكنك معهم الآن». ملكتني الحيرة، لم أكن أصدق عيني، لقد كنت معهم. نعم كانوا هم أنفسهم. إن الوسائل التي تأكدت وعرفتهم بواسطتها كانت أقوى من الوسائل الدنيوية ألف مرة؛ كانوا في أجمل وأحب أحوالهم، في الصورة

أنتم تعلمون يا أصدقائي بأني عندما مت كنتم مجتمعين حول فراشي، كانت نظراتكم مسمرة عليّ كما لو كنتم تشاهدون لأول مرة إنساناً يموت، ولكن الحقيقة هي أنكم كنتم تحبونني لأول مرة. أما أنا فقد كنت سعيداً إذ أرى حولي أول اجتماع مفعم بالحب الخالص؛ هذه اللحظة التي لا يحصل عليها الإنسان إلا عندما يكون في طريقه إلى الموت.

كنت عطشاً إلى حياة مثالية عندما فارقتمكم، ولكنني مع ذلك كنت قد مللت دنياكم المملوءة بالألم والشقاء. كنت تعباً إلى درجة أنني كنت أحس بحاجة إلى أن أنسلخ من الوجود وأن استريح في حضن اللاهية ألوف السنين. وفي المساء بعد ثلاثة أيام عندما حسبت الأنوار الخافتة حولي نجوماً في السماء، وبعد أن ودّعتكم كلكم واحداً واحداً ابتسمت للملك الذي حضر ليأخذني.

ومع أنني فارقت بدني إلا أنني حملت معي بعض أحواله. أما أنتم فقد فعلتم بجسدي ما لم يفعل به عندما كنت حياً؛ انحنيت عليه وبكيتكم، ثم حملتموه على أكتافكم. لم تكونوا ترونني ولكنني كنت أراكم. وعندما دفنتموه في التراب الذي جاء منه، أحسست أنه يلقي حياة جديدة لا مثيل لها، كنت أحس بأن جسدي الذي اختلط بالتراب لا يزال يحمل مني أشياء وأشياء، كان يحس من هذا اللقاء لذة لم يتذوقها أبداً في الحياة. أما أنتم

وضع ذنوبي في كفة الميزان، ووضع وجدي ورحمتي في الكفة الأخرى، فرجحت الأخيرة ونالتني المغفرة الكبرى.

عالم الأبدية

وعندما بدأت رحلة الحياة الأبدية في جنان الخلود رأيت الجميع هنا يعيشون في أجمل وفي أحب الأحوال إلى قلبي. كان الإنسان يتكلم مع جميع الأشياء، وجميع الأشياء تتكلم مع الإنسان. هناك إنسان متمدن وهو يعانق جبلا، وآخر يسيل مع الماء ويتأمله في الوقت نفسه. بعضهم ملتحفون بألوان الشفق الوردية، وقافلة أخرى فتحت أجنحتها نحو السحاب جالسة على عين كبيرة نابغة من حضن غابة عبقة الأرجاء، يشاهدون جميع الوجوه الجميلة ويستنشقون عبير الزهور جميعها أمام المياه الباردة النابغة من الأعماق وكأنها أنوار تفور. أمامهم جميع الوجوه التي حلموا برؤيتها، فحققوا آمالهم بالصحبة الكريمة التي تمنوها طوال حياتهم، فوصلوا إلى اللذة الأبدية لجميع الأشياء التي أحبوها وتمنوها والتي ذاقوا منها -ولو قليلا- ورغبوا فيها في الحياة الدنيا. لقد استطاعوا في الدنيا أن يجدوا طريقا لنقل أجسادهم إلى دنيا الروح، وأن ينظروا إلى عالم الحقائق وإن كان من كوة ضيقة. كان هؤلاء أرواح الذين لم تكن عبادتهم عن خوف ولا عن عادة، وإنما كانت عن تأمل وعن حب وعن وجد وعشق. قد هياؤا أنفسهم لهذا اليوم عن علم، فجميع أفعالهم وحركاتهم في الدنيا كانت عبادة. والحقيقة أن الحياة الأبدية نتيجة ضرورية للتهيؤ المستمر الدائم في الحياة الدنيا، وليست منظرا ينكشف في لحظة واحدة خاطفة من وراء الأستار. والإنسان يستمر على الوتيرة نفسها التي انتقل بها من هناك. إن الآثار التي أنجزناها حتى موتنا ما هي إلا جذور للشجرة التي ستستمر بعد الموت، أما أغصان وثمار هذه الشجرة فتابعة لنوع هذه الشجرة التي زرعناها في الحياة. ويستمر الروح في النضوج من النقطة التي كان قد وصل إليها قبيل الموت؛ والعبرة هي في الوصول الصحيح إلى الموت، أو بتعبير أحد الحكماء: «معرفة كيفية الموت».

أما الأشياء والأمور التي رأيتها في عالم الأرواح التي وصلت إلى شاطئ السلامة فهي تجلُّ عن الوصف. رأيت الرجال والجمال يتسامرون. رأيت الجداول وهي تتكلم مع الناس وتقب لهم مذاق جميع الأشربة دون أن تكون هناك حاجة إلى الشرب. رأيت الأرواح التي بلغت أمنيائها تسبح في أودية واسعة برذاذ المياه التي كانت كتل الثلوج الناصعة ترشها عليهم. رأيت

التي لا يمكن رؤيتها إلا في الأحلام. ولكن أكنت أرى بالعين وأسمع بالأذن وألمس باليد؟ كلا. إن وسائل معرفتي أصبحت ملكة وقابلية عندي؛ بهذه الملكة كنت أرى أقوى من رؤية العين، أسمع أقوى من سماع الأذن، ألمس أقوى من لمس اليد.

المحكمة الكبرى

سألت رفيقي: «ومتى سنقف أمام المحكمة الكبرى؟» قال: «نحن الآن هناك. انظر حواليك!». كنا في ميدان كبير ليست له نهاية، وكانت القوافل الإنسانية بمختلف هوياتها وأحوالها تملأ جوانبه، وفي الوسط كانت فسحة كبيرة حيث كانت جميع القوافل الإنسانية وجميع الأفراد يأتون هناك ويحاسبون فردا فردا. كان ينادى على كل فرد عندما يحين دوره للمثول أمام المحكمة حيث كان يعترف بلسانه وبوجهه وبلحمه وبجلده ما اقترفه في



الحياة الدنيا. لم تكن هناك حاجة إلى شهود، إذ إن كل شيء وكل ذرة كانت تنطق عندما يحين وقت الكلام، بل إن الحادثة نفسها والفعل نفسه كانا ينطقان. وعندما جاء دوري دُعيت إلى مكان الحساب الذي كنت أرقبه برهبة وإشفاق. تكلمت ذنوبي نفسها، أما أنا فقد خجلت، وأحاط بي جميع الذين كنت قد أسأت إليهم، وكان أكثر خجلي من الذين ظلمتهم. آه! كم كنت ظالما دون أن أدري. لقد كنت أحسب نفسي رحيما رقيق القلب. كم كنت مقترفا الظلم بلساني إن لم يكن بيدي، وبقلبي إن لم يكن بلساني. ومن حسرتي وقسوة شعور الخجل الذي أحسست به في حضور الذين ظلمتهم. تمنيت لو أنني ظلمت في الدنيا ولم أظلم، أو لو أنني قُطعت إربا إربا ولم أظلم. أما صاحب المحكمة الكبرى فقد كان يرى ويشاهد حالي.

مرات في الدنيا دون عذاب ولا انتظار. سألت رفيقي الملك الذي ظهر بجاني في تلك اللحظة: «أين هو؟» قال: «ولكن ألا تراه؟» قلت: «إن هذه الموجودات التي أراها هي نفسها التي كنت أراها في الدنيا ولكنها الآن في وضع الكمال وفي أشكالها الأبدية المطلقة، ولكن أين صاحبها؟ إن لكل مُلك صاحبًا، وأنا الآن أبحث عن صاحب هذا الملك». ولكن دليلي أسكتني -وكأنه قلب تعرض لإهانة- بلسان تمتزج فيه الرحمة مع الحيرة والتهديد قائلاً: «أأنت مجنون!!...! يمكن أن يكون هناك شيء «سواه»؟ وأمام هذا التنبيه رجعت إلى نفسي: أجل! في كل شيء هو هو هو، لم أكن منتبها من قبل. ففي كل موجود كانت تطل أعين قدرته. لقد كنت في الحضرة العظمى، اهتزت بعنف قائلاً: «يا رب!»، قيل: «تكلم!..»



ليس بكلمات، ليس كإنسان، بل كشعور لانهائي وكقدرة لانهائية، لا زمان عنده ولا مكان لسواه؛ لا جديـد ولا قديم، لا مولود ولا ميت، لا غير ولا شبيه، لا بادئ ولا منتهى، لا سبب ولا نتيجة، لا «لا»، ولا شك. كنت في سعادة وفي فرحة كفرحة من يولد ولادة أبدية، فرحة لا يوجد مثلها أبداً في الدنيا. بلا صوت وبلا اهتزاز وبلا سبب، كأن جميع المخلوقات كانت تُخلق في تلك اللحظة، وكأن كل فرحة هذا الخلق تملأ وتفيض من نفسي. في أي حال كنت؟ أين كنت؟ نسيت كل هذا، لأن جميع الأشياء كانت قد انمحت. كنت قد غبت عن نفسي. في هذا العالم الذي انمحي فيه الزمان والمكان. كان هناك شيء واحد... شيء حقيقي واحد فقط: «هو».

(*) من كبار المفكرين والأدباء في تركيا، توفي سنة ١٩٧٥. الترجمة عن التركية: أورهان محمد علي.

الغابات التي لم تطأها من الأزل أقدام الآثمين تتماوج في أرجائها وتمتزج ببعضها أنوار الشموس الخضراء والوردية مستغرقة في تأمل آلاف العوالم. رأيت الشموس التي تذكر كل واحدة منها روحاً صالحاً يعيش في عوالم ثملة من الوجد والعشق، في عوالم لها وضوح العلم وحرارة الحب ووسعة الأمل.

عجائب الجنة

أحياناً كانت رؤية جمال وجه تُغرق هذا العالم بأجمعه في الجمال، وأحياناً كان ميلاد ذكرى جليلة يغمر جميع الأرجاء بضياء الشموس؛ إذ إن أي عبادة في الدنيا تجعل كل شيء أدياً. وعالم الجنة هذا مكان للذين كانوا يجدون الطمأنينة وراحة البال في أقل الأشياء، وليس للذين تكثرت مطالبهم ولا تنتهي. رأيت الصابرين يتبأون هنا أعلى الدرجات. وكنت قد تلوّقت نماذج من هذا الجمال -وإن كان بمقياس أقل- في الحياة الدنيا. والحقيقة أن أسعد لحظات حياتي كانت لحظات التأمل الذي كان مظهرها خارجياً للطمأنينة الروحية عندي. رأيت هنا الرحمة المنهمرة من الأعالي التي لا نهاية لها إلى الأرض التي لا نهاية لها. حضرت مجالس الصحبة بين الأنبياء والأولياء. شاهدت حكمة قوانين الكون التي كانت المعجزة الوحيدة التي تعرفونها في دنياكم، وشاهدت توزيع العدالة الإلهية هنا في ميدان القدر. ومع أنكم كنتم غافلين عنها فإن هذه العدالة كانت مقسمة بأكمل وجه في الدنيا. تأملت بكل شوق ولذة وجه «الخير» الذي هو وراء كل عمل حق. علمت أن الدنيا -التي كنتم تحسبونها داراً للشقاء والألم- ما هي إلا ممر للبصيرة وللحكمة. استرحت على الجسر الموصل من الروح إلى الله. تخلصت من الوحدة القاتلة. تخلصت من هذه الوحدة التي كانت أكبر عذاب لي في الحياة الدنيا، والتي كانت تمزقني بين كل شيء وبين كل موجود، والتي كانت تفصلني عن نفسي. لم يكن لي هناك من بينكم صديق حقيقي. عشت وحيداً بينكم، أسيراً لهذا العذاب. كنت وحيداً في الليل وفي النهار، في طفولتي وعلى فراش الموت، في غرفتي وبين الناس. عندما تُدعيت وعندما مُدحت، في الغربة وبين أحبائي. كانت الوحدة هي الداء الذي لم أجده له دواء في الدنيا، لكنني عشت لها وثمرت الموت دائماً للخلاص منها. هذا هو الداء الذي تخلصت منه هنا.

الشوق إلى الله

وأخيراً اشتقت إلى «الرب» الذي مكثني من المثل بين يديه

البحث عن فرس إسطنبول

فريد الأنصاري *

إلى وارث السر الأستاذ «فتح الله گولن»

مرجانة من نور
أو صدفة تخرج من لؤلئها
هدية لها؛ لعلها تعرفني
فتشرق «إسطنبول» من جديد!
وقيل لي: قد خرجت من متحف قديم
واخترقت - يا عجا - كل العيون
وأنشدت على «أبي أيوب» حزنها
حتى بكى الحمام حولها
واصدع السور القديم!
فلم يُعرها أحد بعض الأسي..! ثم اختفت!
وقيل لي: قد رحلت.
وزعموا أن فتى شاهدها تركض في «إزمير»
ثم اختفت بين الكروم!
ويحي، أنا الملعوب المجنون!
أكلما التقطت من أخبارها خيط السن
خطفه الظلام..
«ولي كبد مقروحة من يبيعي
بها كبدًا ليست بذات قروح؟»
«أبأها علي الناس لا يشترونها
ومن يشتري ذا غلة بصحيح؟»

يا سيدي البوسفور!

تلك الرياح مرفتي بين شاطئيك موجه

هل غادر الغدير بض صخره؟
أم هل جفاه غاضبا سناء برقه؟
فأيتها.. تلك التي كانت هنا
ما بين مائه وعطره؟
تشرب من أشعة الندى...
وتلثم الثمر..
أليس ههنا رأيته تسكن في معابر الشجر؟
وذات غفوة.. تبددت أطياؤها خلف الربي..
كأنما امتطت شعاع الشمس ثم غربت
فأصبحت أفئدة الأشجار فارغة!
وأرسل الغدير بينها أغرودة الحزن!
قيل لي: مرت بها الخيول عند بابة السرى
وركضت يسكنها الصهيل!
وقيل لي: قد رُئيت عند المساء عارية
تدخل بحر «مرمرة»
وتركت على الرمال حافراً مرقماً
وأثراً يشبه غصن شجرة..

يا سيدي البوسفور!

بريك الذي براك بين خافقين!

تنقل من رسائل المحبة السلام

القسمة أن تصغي إليك!

أو حيرةً من رجفة الخريف...

فأخبرني عن سفينة

قد قيل لي: مرت هنا تحمل غابة صنوبرية

فلم تزل تمخر حزن البحر

حتى رست على مساء «التلة العليا»

ثم ارتقت معراج ريح عابر..

واندثرت!

وقيل لي: بل غادرت إلى غروب «الدردنيل»!

حيث الشمس لا تنام أبداً..!

وإنني أذكر من غرامها حب الشعاع

فلم تزل تقطف من سنائه ورْد الصباح

حتى أضعت طيفها وأحسرتي..!

بغفوتي!

يا سيدي البوسفورا

وذات ليلة رأيته تصلي فجرها..

فقمْتُ كالحصان راكضاً

حتى أتيت حيّ «فاتح»

وقلت للإمام: سيدي أنا المريد دُلني!

فقال لي: أفي الصلاة؟

يا سيدي! قلبي الذي قد كان وحدة

مزقه حبُّ البحار خفقةً فخفقةً!

يا سيدي أنا المريض دُلني!

فقال لي: ويحك يا وجه الردى!

أأنت من يجيء من «فاس» مهاجراً؟

يحمل في عينيه مهرها؟

قلت: نعم؛ فأينها؟

فقال لي: قدرك الأسفار تترى دونه يا ولدي..!

مآذن «إسطنبول» أيقظت دموعها...

فرحلت!

وما لنا من أثر سوى الذي ترى!

فاركب خيول الحزن إنما هناك

تعيش في «بارلاً» وتشدو وجدها

على غصون القطران

فلم تزل بخلوة الأشجار

تشهد ذوب الشمس في بحيرة الأسرار!

وقيل لي لربما تكون غادرت سرّاً إلى «إزمير»

لتقرأ الحروف خفية

على سنا الأقمار

في أسطر الكروم

والتين والزيتون

يا سيدي الإمام دُلني!

فإنني أنا الحيران بين أنجم السفرا!

وقيل لي -يا سيدي البوسفور- ربما تجيء من طريق «وأن»

تحمل من غيرها ذكرى انجذاب الروح

وتنثر الأزهار في الطريق للرياح

وقيل: بل لغابة «إسبارطا» جمال يجذب الأطيّار والأمطار..

فاركب لهاث القلب نحوها

فربما ليلاك في سفوحها تحوطها الغزلان

مخطوفة الأبصار من جماها..

وقيل لي: بل هي في «بورصة»

تلتقط النجوم والحجارة الكريمة

تخط فوق قمة الثلوج (نون

والقلم وما يسطرون)

يا سيدي البوسفورا!

ها غيمك الجليل يزدهي بدره الجميل

فاقرأ سلام البرق للشيطان في مدائن الأحزان،

وقل لهم: سنلتقي بموعِد الأذان!

إذا تحرك الحجيج في مسيرة النخيل

يكبر الإمام أولاً

ويشرع الصهيل...!

(*) جامعة مولاي إسماعيل ورئيس المجلس العلمي بمكناس - المغرب.



واحة القراء



حراء، ذلك الغار الذي آوى سيدنا رسول الله ﷺ وهو يتحنث فيه... وهذه المجلة شعرت بها ملاذا لكل مسلم فكرا وعلماء وصفاء... أشكر أسرة التحرير على جهودها وجزاهم الله خيرا..

خالد قنطش / سوريا

شاءت الأقدار أن أرى عددا من مجلتكم الغراء «حراء» في أنواكشوط. وقد أعجبت به كثيرا، نظرا لما تضمنه من مواضيع جمعت بين المتعة والإفادة بأسلوب ربّاني رصين يسمو بالقلوب إلى محبة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام. فجزاكم الله خيرا عنا. وهي في الحقيقة تمثل إضافة كبيرة للمجتمع الموريتاني المحب لنهج المصطفى وسيرته العطرة المرتبط بالدين الإسلامي وتاريخ وأجداد هذه الأمة.

محمد إبراهيم / موريتانيا

ربما تكون تلك هي المرة الأولى التي تُصدر فيها مؤسسة تركية مجلة موجهة للجمهور العربي بعد انقطاع طويل عن اللغة العربية التي تم محاربتها منذ عام ١٩٢٤.

يأتي صدور مجلة «حراء» بسماها الإيمان في وقت تشدد الحاجة فيه إلى التمسك بالإيمان، حيث تعصف أنواء أخلاق السوق والعولمة بخيام الإيمان والأخوة. ووقت ارتفع فيه منسوب التدين الشكلي الظاهري وانخفض فيه منسوب حقيقة الإيمان وأخلاقه في نفوس أبنائه. كما يأتي أيضا صدور المجلة متزامنا مع محاولات يقوم بها العقلاء من أبناء الأمة الإسلامية لمد جسور التعارف والتفاهم والتقارب.

ومن ثم فإن المجلة تأتي وكأنها استجابة لشعور متبادل على ضفاف الأمة بالشوق إلى اللقاء عبر تلك الجسور، وبقي أن يرد العالم العربي بخطوة وخطوات على الجسر في الاتجاه المقابل.

فالسوق الثقافية فوق الجسر تشكو من فقر في المترجمات العربية إلى التركية فضلا عن المترجمات التركية إلى العربية، كما أنها تشكو فقر الإطلاقات الثقافية العربية على القارئ التركي من خلال صحف أو مجلات أو مواقع موجهة إلى القارئ باللغة التركية.

مجدي سعيد / إسلام أون لاين نت - مصر

إلى كل القلوب الحزينة، إلى كل الأرواح الحائرة إلى الإنسانية... هاهو ميلاد نور جديد ينير لنا معالم الطريق والطريقة المحمدية. ببركاتكم تستمر أعمالكم والله خير موقفا وحافظا.

محمد الحسيني / مصر

كنت في غاية الفرح والسرور لما اطلعت على العدد الثاني من مجلة حراء، والتي تعد تجديدا في الصحافة الإسلامية. وكم سرني أن تكون هذه الموضوعات الشيقة والإخراج المميز. وإن شاء الله تكون إضافة جديدة في عالم الصحافة وأرجو أن أراها في كل الأسواق العربية.

خليل محمود الصمادي / فلسطين

أصحاب المعالي «حراء».. جزى الله خيرا القائمين عليك وأناهم خيرا بخير. أما بخصوص ما نشر في صفحاتك فهو شيء يبشّر بخير ونجاح، ويسد ثغرا لم يكن لأحد أن يقف عليه، ويساهم في غلق باب كان مفتوحا أيضا. نتمنى المسارعة في إصدارات أعداد جديدة.

منير أديب / مصر

أيها الإخوة الكرام

ما أشد فرحتي أن يبادر إخواننا الأتراك بمد جسور للتواصل بين إخوانهم في الدين عن طريق مجلتكم الكريمة. لقد كنت أتمنى أن تمد الجسور من زمن بعيد، وأسأل الله أن يوفقكم إلي ما يحب ويرضى.

أحمد / مصر

لقد حظي العددان الأول والثاني من مجلة حراء باهتمام كبير منا. إنهما بحق مثار إعجاب وتقدير لدى أوساط المثقفين الذين أعرفهم. متمنياتي لمجلة حراء بالتوهج الدائم، مع رجائي لفريق التحرير كله بدوام العافية والطمأنينة.

د. الحسن الغشتول / المغرب



قراءات في رسائل النور

النورسي أديب الإنسانية

تأليف: أ.د. حسن الأمراي

• أهو مفكر قبل أن يكون أديباً؟

أم هو أديب قبل أن يكون مفكراً؟

• التوحد الكامل بين النازع الديني والأدي في وجدان "النورسي".

• فكر مصاغ بقلب أدي وشعري .



دار النيل للطباعة والنشر والتوزيع

مركز التوزيع

فرع القاهرة

القاهرة/جمهورية مصر العربية - م. نصر - الحي السابع - ش البرامكة ٧

تليفون وفاكس: 002022619204

آراء

مجلة علمية ثقافية فصلية

www.al-araa.com



شتان بين ناظر وناظر

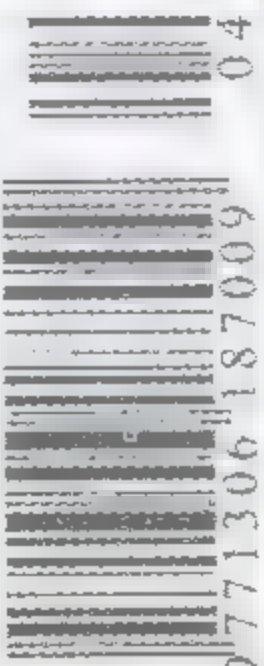
كل شيء غني عن البيان

فالكل رسالة من الرحمن

آه لكم من محروم من هذا العرفان

يلهث وراء الغير وهو عن الخالق غفلان

ISSN 1306-1879



04

9771306187009

حزب



مطلوب كمال لغاد في ندمهم حالص

حق ندم حلالهم في الإفلاس و تاء الإفلاس و جعل معاصيهم

١



• الإسلام كماله في كمال

• سنة التبرع في الإصلاح و كماله

• مفهوم الإسلام في الإسلام

• نبينا في الله

• تشييد الفكر في الإسلام كماله في كماله



المحتويات

الأحياء المائية

هل من تعاون بين الإسلام والعلوم الطبيعية؟ د. محمد عبد الحليم

عزيمه المصور جيري هاف

طهران، فکر، روح، فکر، روح، مع الفصحى إلى الله. هـ. مراد الأسدي

يؤثر المناخ لم حل الفار الصحراوي و سطح ارض

دوره اولی . عصر طلایی

كثيرا، فالتجارب لدى المحترفين تترك بصمات عميقة في

مفهوم فرائض في الإسلام - د. احمد بكري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بعد الخروج إلى الإصلاح ٧ عهد غيتو:

المعهد العالي للدراسات الإسلامية - القاهرة ١٩٨٤

U جلد ۱۰، نمبر ۱۵۷، ۲۰۱۸ء

مساهم الإجمالي في تطويره تسوية هذه الأساطير العربية

منهج التمهيد في كتاب الإسلام 3.4 منه مرجع وسطا لاجل

تحت مدي إشراف من المزارع،

عَمَّ هَيْبُ الْوُجُوهِ عَمَّا سَمِعَتْ

پروفیسر علی احمد خان

في العمل عليه مصر. الشهيد لعمري وجب التمس والرجوع إلى
الرجوع، إن شاء الله، كما قالوا: لنفعل ما نريد في ما نريد
الطريق ونحوه. وموقع الحركة ساجد لتدريج من اللزوم، والتمساح.
وهو في موكب طريق السامية مستودع خدأ وبه كواثر
لله تعالى. حين إذا صمدت معاهير الفريجات اسلموا. شدة
فوه حب الحق. يجد موجه إليه طرفان لئلا. البصيرة آثار في
ر. ح. فرمات الطب قسطة. وكم لعمري يصر إليها عامة
التي تسمى تصاو. هو منها ما يضيء في كنهه ينفذها في
بصره. يذبحه لآفاقه ليعلم في بعده الطوبى بطول أمه
جودت أحوال الخصال فيرى. يهزم على ساجد مصر. يصر
فوق الخمر من زبداء الأرباب في تفرغها لتفاهي. يصر
لست عيناك بالحوالات لتفريجة. يفتح ريعي في موكب طواف
بتحليل صير. يصر في صمد. يفرغها في يديها في حصة
عامة ما. يصر في يديها. يصر في يديها.

يصر في يديها. يصر في يديها. يصر في يديها.
يصر في يديها. يصر في يديها. يصر في يديها.
يصر في يديها. يصر في يديها. يصر في يديها.
يصر في يديها. يصر في يديها. يصر في يديها.

خطاه القلب والروح

يصر في يديها. يصر في يديها. يصر في يديها.
يصر في يديها. يصر في يديها. يصر في يديها.
يصر في يديها. يصر في يديها. يصر في يديها.
يصر في يديها. يصر في يديها. يصر في يديها.
يصر في يديها. يصر في يديها. يصر في يديها.
يصر في يديها. يصر في يديها. يصر في يديها.
يصر في يديها. يصر في يديها. يصر في يديها.
يصر في يديها. يصر في يديها. يصر في يديها.

يصر في يديها. يصر في يديها. يصر في يديها.
يصر في يديها. يصر في يديها. يصر في يديها.
يصر في يديها. يصر في يديها. يصر في يديها.
يصر في يديها. يصر في يديها. يصر في يديها.

يصر في يديها. يصر في يديها. يصر في يديها.
يصر في يديها. يصر في يديها. يصر في يديها.
يصر في يديها. يصر في يديها. يصر في يديها.
يصر في يديها. يصر في يديها. يصر في يديها.

يصر في يديها. يصر في يديها. يصر في يديها.
يصر في يديها. يصر في يديها. يصر في يديها.
يصر في يديها. يصر في يديها. يصر في يديها.
يصر في يديها. يصر في يديها. يصر في يديها.

يصر في يديها. يصر في يديها. يصر في يديها.
يصر في يديها. يصر في يديها. يصر في يديها.
يصر في يديها. يصر في يديها. يصر في يديها.
يصر في يديها. يصر في يديها. يصر في يديها.

يصر في يديها. يصر في يديها. يصر في يديها.
يصر في يديها. يصر في يديها. يصر في يديها.
يصر في يديها. يصر في يديها. يصر في يديها.

الحوائط

يصر في يديها. يصر في يديها. يصر في يديها.
يصر في يديها. يصر في يديها. يصر في يديها.
يصر في يديها. يصر في يديها. يصر في يديها.
يصر في يديها. يصر في يديها. يصر في يديها.





علم من تطويع بيت

الإسلام والتقدم الحضاري

د. أحمد محمد عيسى

--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--



والسمع البصر والقول

كأن طغلت دعوى بحسرى لقول بطرس . أميت الطمير

جاءه

جاءه

شأنه من

للتأنيب لا يلقى منها شيء عاقل . بأحد الحفارة الثانية حلة

مرفوض لا يهاد بسى بخاص لا عه . يتعاقب

عنه

بما

في تلك الحصة

لقول بأحد الصانع

فوق الصانع

منه

الإعجاب على هذا في الإسلام

بعضه

ناب

المؤرخة موضوعة من

جاء

بأنه

بعضه

بما

بما

الحضرة الإسلامية بمصادرها الطائفة الفكرية

وإن ما يجب بالنظر

على الوحي الإلهي

عنون من أي

فهر قابل لمطابق

الإسلام

في تفرمت الصنع

وإن أصبح

وهذا

جاء

من

للتسوية

إلى جانب هذه للنهج القرآنية وهي
وبما أن الإنسان
بما
سنة

وقد اضطلع رجال الأديان برأى
الإنسان
أوروبا
سنة في الطب
الكيمياء

وهو
بروحه
في
يكنى
وهو
ورد
سنة

على
بما
الكلمة
للمسألة
بما
بما

بعض العقل

لقد
إلى
في

إن
بما
بما
بما
بما
بما



لولا القمر



نوراني بطلان

• ربه جلالي القدر في سائر عسر هجره
حياء به هذا الكوكب ليدل قضيته على الأناك
بين قمر حبه على ظهره ليدل حبه على قمره
— من نسر كـ قمره على حماره فكلو نسر
عشقاً. عندانه ليدل به: نسر حماره كـ: قمره
عـ . . . قمره قمره قمره . . . قمره قمره
قمره قمره . . . قمره قمره قمره قمره
قمره قمره . . . قمره قمره قمره قمره

قمره قمره قمره قمره قمره قمره قمره قمره
قمره قمره قمره قمره قمره قمره قمره قمره

قمره قمره قمره قمره قمره قمره قمره قمره
قمره قمره قمره قمره قمره قمره قمره قمره
قمره قمره قمره قمره قمره قمره قمره قمره
قمره قمره قمره قمره قمره قمره قمره قمره
قمره قمره قمره قمره قمره قمره قمره قمره
قمره قمره قمره قمره قمره قمره قمره قمره
قمره قمره قمره قمره قمره قمره قمره قمره
قمره قمره قمره قمره قمره قمره قمره قمره

قمره قمره قمره قمره قمره قمره قمره قمره
قمره قمره قمره قمره قمره قمره قمره قمره



لوح الحنون ومعراج التصوف إلى الله

عظمة القرآن كمال لسانه الى كلام الله العظيم

و ما بعد الاستدلال على ذلك ويظهر مستفاد ان قصيدته هي من المقامات المهيبة بحيث يستحيل على القلب اقتصري عمل من غير هذا. يدعى بالتدوير في هذا الفكر التوسيع المتدبر في هذا المعنى

تدويره في نفسه

تدويره في نفسه

تدويره في نفسه

تدويره في نفسه

تدويره في نفسه

تدويره في نفسه

تدويره في نفسه

تدويره في نفسه

تدويره في نفسه

تدويره في نفسه

تدويره في نفسه

تدويره في نفسه

تدويره في نفسه

تدويره في نفسه

تدويره في نفسه

العظيم فله يومية تالفة بكل معنى المصنوع والاختراع

الاستدلال ذلك ان القرآن من حيث هو كلام من العليين

تصميمه من يومية بديهة لكل عناصر الكون ابتداءً وبهر

تدويره في نفسه

تدويره في نفسه

تدويره في نفسه

تدويره في نفسه

تدويره في نفسه

تدويره في نفسه

تدويره في نفسه

تدويره في نفسه

تدويره في نفسه

تدويره في نفسه

تدويره في نفسه

تدويره في نفسه

تدويره في نفسه

تدويره في نفسه

تدويره في نفسه

نہایت

1262017 01091

● 44 ●

۱۰۰
 ۱۰۱
 ۱۰۲
 ۱۰۳
 ۱۰۴
 ۱۰۵
 ۱۰۶
 ۱۰۷
 ۱۰۸
 ۱۰۹
 ۱۱۰
 ۱۱۱
 ۱۱۲
 ۱۱۳
 ۱۱۴
 ۱۱۵
 ۱۱۶
 ۱۱۷
 ۱۱۸
 ۱۱۹
 ۱۲۰
 ۱۲۱
 ۱۲۲
 ۱۲۳
 ۱۲۴
 ۱۲۵
 ۱۲۶
 ۱۲۷
 ۱۲۸
 ۱۲۹
 ۱۳۰
 ۱۳۱
 ۱۳۲
 ۱۳۳
 ۱۳۴
 ۱۳۵
 ۱۳۶
 ۱۳۷
 ۱۳۸
 ۱۳۹
 ۱۴۰
 ۱۴۱
 ۱۴۲
 ۱۴۳
 ۱۴۴
 ۱۴۵
 ۱۴۶
 ۱۴۷
 ۱۴۸
 ۱۴۹
 ۱۵۰
 ۱۵۱
 ۱۵۲
 ۱۵۳
 ۱۵۴
 ۱۵۵
 ۱۵۶
 ۱۵۷
 ۱۵۸
 ۱۵۹
 ۱۶۰
 ۱۶۱
 ۱۶۲
 ۱۶۳
 ۱۶۴
 ۱۶۵
 ۱۶۶
 ۱۶۷
 ۱۶۸
 ۱۶۹
 ۱۷۰
 ۱۷۱
 ۱۷۲
 ۱۷۳
 ۱۷۴
 ۱۷۵
 ۱۷۶
 ۱۷۷
 ۱۷۸
 ۱۷۹
 ۱۸۰
 ۱۸۱
 ۱۸۲
 ۱۸۳
 ۱۸۴
 ۱۸۵
 ۱۸۶
 ۱۸۷
 ۱۸۸
 ۱۸۹
 ۱۹۰
 ۱۹۱
 ۱۹۲
 ۱۹۳
 ۱۹۴
 ۱۹۵
 ۱۹۶
 ۱۹۷
 ۱۹۸
 ۱۹۹
 ۲۰۰
 ۲۰۱
 ۲۰۲
 ۲۰۳
 ۲۰۴
 ۲۰۵
 ۲۰۶
 ۲۰۷
 ۲۰۸
 ۲۰۹
 ۲۱۰
 ۲۱۱
 ۲۱۲
 ۲۱۳
 ۲۱۴
 ۲۱۵
 ۲۱۶
 ۲۱۷
 ۲۱۸
 ۲۱۹
 ۲۲۰
 ۲۲۱
 ۲۲۲
 ۲۲۳
 ۲۲۴
 ۲۲۵
 ۲۲۶
 ۲۲۷
 ۲۲۸
 ۲۲۹
 ۲۳۰
 ۲۳۱
 ۲۳۲
 ۲۳۳
 ۲۳۴
 ۲۳۵
 ۲۳۶
 ۲۳۷
 ۲۳۸
 ۲۳۹
 ۲۴۰
 ۲۴۱
 ۲۴۲
 ۲۴۳
 ۲۴۴
 ۲۴۵
 ۲۴۶
 ۲۴۷
 ۲۴۸
 ۲۴۹
 ۲۵۰
 ۲۵۱
 ۲۵۲
 ۲۵۳
 ۲۵۴
 ۲۵۵
 ۲۵۶
 ۲۵۷
 ۲۵۸
 ۲۵۹
 ۲۶۰
 ۲۶۱
 ۲۶۲
 ۲۶۳
 ۲۶۴
 ۲۶۵
 ۲۶۶
 ۲۶۷
 ۲۶۸
 ۲۶۹
 ۲۷۰
 ۲۷۱
 ۲۷۲
 ۲۷۳
 ۲۷۴
 ۲۷۵
 ۲۷۶
 ۲۷۷
 ۲۷۸
 ۲۷۹
 ۲۸۰
 ۲۸۱
 ۲۸۲
 ۲۸۳
 ۲۸۴
 ۲۸۵
 ۲۸۶
 ۲۸۷
 ۲۸۸
 ۲۸۹
 ۲۹۰
 ۲۹۱
 ۲۹۲
 ۲۹۳
 ۲۹۴
 ۲۹۵
 ۲۹۶
 ۲۹۷
 ۲۹۸
 ۲۹۹
 ۳۰۰
 ۳۰۱
 ۳۰۲
 ۳۰۳
 ۳۰۴
 ۳۰۵
 ۳۰۶
 ۳۰۷
 ۳۰۸
 ۳۰۹
 ۳۱۰
 ۳۱۱
 ۳۱۲
 ۳۱۳
 ۳۱۴
 ۳۱۵
 ۳۱۶
 ۳۱۷
 ۳۱۸
 ۳۱۹
 ۳۲۰
 ۳۲۱
 ۳۲۲
 ۳۲۳
 ۳۲۴
 ۳۲۵
 ۳۲۶
 ۳۲۷
 ۳۲۸
 ۳۲۹
 ۳۳۰
 ۳۳۱
 ۳۳۲
 ۳۳۳
 ۳۳۴
 ۳۳۵
 ۳۳۶
 ۳۳۷
 ۳۳۸
 ۳۳۹
 ۳۴۰
 ۳۴۱
 ۳۴۲
 ۳۴۳
 ۳۴۴
 ۳۴۵
 ۳۴۶
 ۳۴۷
 ۳۴۸
 ۳۴۹
 ۳۵۰
 ۳۵۱
 ۳۵۲
 ۳۵۳
 ۳۵۴
 ۳۵۵
 ۳۵۶
 ۳۵۷
 ۳۵۸
 ۳۵۹
 ۳۶۰
 ۳۶۱
 ۳۶۲
 ۳۶۳
 ۳۶۴
 ۳۶۵
 ۳۶۶
 ۳۶۷
 ۳۶۸
 ۳۶۹
 ۳۷۰
 ۳۷۱
 ۳۷۲
 ۳۷۳
 ۳۷۴
 ۳۷۵
 ۳۷۶
 ۳۷۷
 ۳۷۸
 ۳۷۹
 ۳۸۰
 ۳۸۱
 ۳۸۲
 ۳۸۳
 ۳۸۴
 ۳۸۵
 ۳۸۶
 ۳۸۷
 ۳۸۸
 ۳۸۹
 ۳۹۰
 ۳۹۱
 ۳۹۲
 ۳۹۳
 ۳۹۴
 ۳۹۵
 ۳۹۶
 ۳۹۷
 ۳۹۸
 ۳۹۹
 ۴۰۰
 ۴۰۱
 ۴۰۲
 ۴۰۳
 ۴۰۴
 ۴۰۵
 ۴۰۶
 ۴۰۷
 ۴۰۸
 ۴۰۹
 ۴۱۰
 ۴۱۱
 ۴۱۲
 ۴۱۳
 ۴۱۴
 ۴۱۵
 ۴۱۶
 ۴۱۷
 ۴۱۸
 ۴۱۹
 ۴۲۰
 ۴۲۱
 ۴۲۲
 ۴۲۳
 ۴۲۴
 ۴۲۵
 ۴۲۶
 ۴۲۷
 ۴۲۸
 ۴۲۹
 ۴۳۰
 ۴۳۱
 ۴۳۲
 ۴۳۳
 ۴۳۴
 ۴۳۵
 ۴۳۶
 ۴۳۷
 ۴۳۸
 ۴۳۹
 ۴۴۰
 ۴۴۱
 ۴۴۲
 ۴۴۳
 ۴۴۴
 ۴۴۵
 ۴۴۶
 ۴۴۷
 ۴۴۸
 ۴۴۹
 ۴۵۰
 ۴۵۱
 ۴۵۲
 ۴۵۳
 ۴۵۴
 ۴۵۵
 ۴۵۶
 ۴۵۷
 ۴۵۸
 ۴۵۹
 ۴۶۰
 ۴۶۱
 ۴۶۲
 ۴۶۳
 ۴۶۴
 ۴۶۵
 ۴۶۶
 ۴۶۷
 ۴۶۸
 ۴۶۹
 ۴۷۰
 ۴۷۱

قلبى لاجلهم فى العبد فى ١٥/١٠/١٩٥٠

[illegible]

كذلك كما وجد في جوف الحمار

[illegible][illegible]

هناك عوامل جديدة في بقاء الإنسان بعد التطور الذاتي

إنسان لا عرف العديد من المفردات المهمة في ثقافتها في عالم
عزلة، حضارة، ولا يحظى على تحدياته كالمهنة، لم يترك
...أيا

نظير لأن الأثر المهمة تعالمت خصائصها لم تكن في
مجرد معرفة، فهي لا تترك سيطرة لا تترك التي تتأخرت وأما
...أيا

فيما كان من ... عند هذا الصدد ...
...أيا ...
...أيا ...

...أيا ...
...أيا ...
...أيا ...

...أيا ...
...أيا ...
...أيا ...

...أيا ...
...أيا ...
...أيا ...

...أيا ...
...أيا ...
...أيا ...

...أيا ...
...أيا ...
...أيا ...

...أيا ...
...أيا ...
...أيا ...

...أيا ...
...أيا ...
...أيا ...

...أيا ...
...أيا ...
...أيا ...

في هذه الأيا ...
...أيا ...
...أيا ...

...أيا ...
...أيا ...
...أيا ...

...أيا ...
...أيا ...
...أيا ...

...أيا ...
...أيا ...
...أيا ...

...أيا ...
...أيا ...
...أيا ...

...أيا ...
...أيا ...
...أيا ...

...أيا ...
...أيا ...
...أيا ...

...أيا ...
...أيا ...
...أيا ...

...أيا ...
...أيا ...
...أيا ...

...أيا ...
...أيا ...
...أيا ...

...أيا ...
...أيا ...
...أيا ...

...أيا ...
...أيا ...
...أيا ...

[illegible]



بوصلته لا تخطئ

تعيين الاتجاه لدى الحيوانات

بما أننا نعلم أن بعض الحيوانات تستطيع تحديد اتجاهها بدقة عالية، فإننا نلاحظ أن بعض الحيوانات تستطيع تحديد اتجاهها بدقة عالية.

الطير، وعين الاتجاه

حيوان مسمى الطير، يستطيع تحديد اتجاهه بدقة عالية. وهذا يرجع إلى أن الطير يمتلك عينا في شكله، حيث أن العينين ليستا في نفس المكان، بل إحداهما أعلى من الأخرى. وهذا يجعل الطير يستطيع تحديد اتجاهه بدقة عالية. كما أن الطير يمتلك أيضا عينا في شكله، حيث أن العينين ليستا في نفس المكان، بل إحداهما أعلى من الأخرى. وهذا يجعل الطير يستطيع تحديد اتجاهه بدقة عالية. كما أن الطير يمتلك أيضا عينا في شكله، حيث أن العينين ليستا في نفس المكان، بل إحداهما أعلى من الأخرى. وهذا يجعل الطير يستطيع تحديد اتجاهه بدقة عالية.

بما أننا نعلم أن بعض الحيوانات تستطيع تحديد اتجاهها بدقة عالية، فإننا نلاحظ أن بعض الحيوانات تستطيع تحديد اتجاهها بدقة عالية.

الطير، وعين الاتجاه

حيوان مسمى الطير، يستطيع تحديد اتجاهه بدقة عالية. وهذا يرجع إلى أن الطير يمتلك عينا في شكله، حيث أن العينين ليستا في نفس المكان، بل إحداهما أعلى من الأخرى. وهذا يجعل الطير يستطيع تحديد اتجاهه بدقة عالية. كما أن الطير يمتلك أيضا عينا في شكله، حيث أن العينين ليستا في نفس المكان، بل إحداهما أعلى من الأخرى. وهذا يجعل الطير يستطيع تحديد اتجاهه بدقة عالية.



١٠ ١١
 ١٢ ١٣
 ١٤ ١٥
 ١٦ ١٧
 ١٨ ١٩
 ٢٠ ٢١
 ٢٢ ٢٣
 ٢٤ ٢٥
 ٢٦ ٢٧
 ٢٨ ٢٩
 ٣٠ ٣١
 ٣٢ ٣٣
 ٣٤ ٣٥
 ٣٦ ٣٧
 ٣٨ ٣٩
 ٤٠ ٤١
 ٤٢ ٤٣
 ٤٤ ٤٥
 ٤٦ ٤٧
 ٤٨ ٤٩
 ٥٠ ٥١
 ٥٢ ٥٣
 ٥٤ ٥٥
 ٥٦ ٥٧
 ٥٨ ٥٩
 ٦٠ ٦١
 ٦٢ ٦٣
 ٦٤ ٦٥
 ٦٦ ٦٧
 ٦٨ ٦٩
 ٧٠ ٧١
 ٧٢ ٧٣
 ٧٤ ٧٥
 ٧٦ ٧٧
 ٧٨ ٧٩
 ٨٠ ٨١
 ٨٢ ٨٣
 ٨٤ ٨٥
 ٨٦ ٨٧
 ٨٨ ٨٩
 ٩٠ ٩١
 ٩٢ ٩٣
 ٩٤ ٩٥
 ٩٦ ٩٧
 ٩٨ ٩٩
 ١٠٠ ١٠١

[illegible][illegible]

مما هو نواصب في الإسلام ه هي — الاختنا ،
التي هي لآخر عجبنا سمحنا نطمان جنة*

١٠٠
 ١٠١
 ١٠٢
 ١٠٣
 ١٠٤
 ١٠٥
 ١٠٦
 ١٠٧
 ١٠٨
 ١٠٩
 ١١٠
 ١١١
 ١١٢
 ١١٣
 ١١٤
 ١١٥
 ١١٦
 ١١٧
 ١١٨
 ١١٩
 ١٢٠
 ١٢١
 ١٢٢
 ١٢٣
 ١٢٤
 ١٢٥
 ١٢٦
 ١٢٧
 ١٢٨
 ١٢٩
 ١٣٠
 ١٣١
 ١٣٢
 ١٣٣
 ١٣٤
 ١٣٥
 ١٣٦
 ١٣٧
 ١٣٨
 ١٣٩
 ١٤٠
 ١٤١
 ١٤٢
 ١٤٣
 ١٤٤
 ١٤٥
 ١٤٦
 ١٤٧
 ١٤٨
 ١٤٩
 ١٥٠
 ١٥١
 ١٥٢
 ١٥٣
 ١٥٤
 ١٥٥
 ١٥٦
 ١٥٧
 ١٥٨
 ١٥٩
 ١٦٠
 ١٦١
 ١٦٢
 ١٦٣
 ١٦٤
 ١٦٥
 ١٦٦
 ١٦٧
 ١٦٨
 ١٦٩
 ١٧٠
 ١٧١
 ١٧٢
 ١٧٣
 ١٧٤
 ١٧٥
 ١٧٦
 ١٧٧
 ١٧٨
 ١٧٩
 ١٨٠
 ١٨١
 ١٨٢
 ١٨٣
 ١٨٤
 ١٨٥
 ١٨٦
 ١٨٧
 ١٨٨
 ١٨٩
 ١٩٠
 ١٩١
 ١٩٢
 ١٩٣
 ١٩٤
 ١٩٥
 ١٩٦
 ١٩٧
 ١٩٨
 ١٩٩
 ٢٠٠

سورة الفاتحة

الأساس الاقتصادية والصورة المأخوذة للقوانين في الإسلام

١٦٦
١٦٧
١٦٨
١٦٩
١٧٠
١٧١
١٧٢
١٧٣
١٧٤
١٧٥
١٧٦
١٧٧
١٧٨
١٧٩
١٨٠
١٨١
١٨٢
١٨٣
١٨٤
١٨٥
١٨٦
١٨٧
١٨٨
١٨٩
١٩٠
١٩١
١٩٢
١٩٣
١٩٤
١٩٥
١٩٦
١٩٧
١٩٨
١٩٩
٢٠٠
٢٠١
٢٠٢
٢٠٣
٢٠٤
٢٠٥
٢٠٦
٢٠٧
٢٠٨
٢٠٩
٢١٠
٢١١
٢١٢
٢١٣
٢١٤
٢١٥
٢١٦
٢١٧
٢١٨
٢١٩
٢٢٠
٢٢١
٢٢٢
٢٢٣
٢٢٤
٢٢٥
٢٢٦
٢٢٧
٢٢٨
٢٢٩
٢٣٠
٢٣١
٢٣٢
٢٣٣
٢٣٤
٢٣٥
٢٣٦
٢٣٧
٢٣٨
٢٣٩
٢٤٠
٢٤١
٢٤٢
٢٤٣
٢٤٤
٢٤٥
٢٤٦
٢٤٧
٢٤٨
٢٤٩
٢٥٠
٢٥١
٢٥٢
٢٥٣
٢٥٤
٢٥٥
٢٥٦
٢٥٧
٢٥٨
٢٥٩
٢٦٠
٢٦١
٢٦٢
٢٦٣
٢٦٤
٢٦٥
٢٦٦
٢٦٧
٢٦٨
٢٦٩
٢٧٠
٢٧١
٢٧٢
٢٧٣
٢٧٤
٢٧٥
٢٧٦
٢٧٧
٢٧٨
٢٧٩
٢٨٠
٢٨١
٢٨٢
٢٨٣
٢٨٤
٢٨٥
٢٨٦
٢٨٧
٢٨٨
٢٨٩
٢٩٠
٢٩١
٢٩٢
٢٩٣
٢٩٤
٢٩٥
٢٩٦
٢٩٧
٢٩٨
٢٩٩
٣٠٠
٣٠١
٣٠٢
٣٠٣
٣٠٤
٣٠٥
٣٠٦
٣٠٧
٣٠٨
٣٠٩
٣١٠
٣١١
٣١٢
٣١٣
٣١٤
٣١٥
٣١٦
٣١٧
٣١٨
٣١٩
٣٢٠
٣٢١
٣٢٢
٣٢٣
٣٢٤
٣٢٥
٣٢٦
٣٢٧
٣٢٨
٣٢٩
٣٣٠
٣٣١
٣٣٢
٣٣٣
٣٣٤
٣٣٥
٣٣٦
٣٣٧
٣٣٨
٣٣٩
٣٤٠
٣٤١
٣٤٢
٣٤٣
٣٤٤
٣٤٥
٣٤٦
٣٤٧
٣٤٨
٣٤٩
٣٥٠
٣٥١
٣٥٢
٣٥٣
٣٥٤
٣٥٥
٣٥٦
٣٥٧
٣٥٨
٣٥٩
٣٦٠
٣٦١
٣٦٢
٣٦٣
٣٦٤
٣٦٥
٣٦٦
٣٦٧
٣٦٨
٣٦٩
٣٧٠
٣٧١
٣٧٢
٣٧٣
٣٧٤
٣٧٥
٣٧٦
٣٧٧
٣٧٨
٣٧٩
٣٨٠
٣٨١
٣٨٢
٣٨٣
٣٨٤
٣٨٥
٣٨٦
٣٨٧
٣٨٨
٣٨٩
٣٩٠
٣٩١
٣٩٢
٣٩٣
٣٩٤
٣٩٥
٣٩٦
٣٩٧
٣٩٨
٣٩٩
٤٠٠
٤٠١
٤٠٢
٤٠٣
٤٠٤
٤٠٥
٤٠٦
٤٠٧
٤٠٨
٤٠٩
٤١٠
٤١١
٤١٢
٤١٣
٤١٤
٤١٥
٤١٦
٤١٧
٤١٨
٤١٩
٤٢٠
٤٢١
٤٢٢
٤٢٣
٤٢٤
٤٢٥
٤٢٦
٤٢٧
٤٢٨
٤٢٩
٤٣٠
٤٣١
٤٣٢
٤٣٣
٤٣٤
٤٣٥
٤٣٦
٤٣٧
٤٣٨
٤٣٩
٤٤٠
٤٤١
٤٤٢
٤٤٣
٤٤٤
٤٤٥
٤٤٦
٤٤٧
٤٤٨
٤٤٩
٤٥٠
٤٥١
٤٥٢
٤٥٣
٤٥٤
٤٥٥
٤٥٦
٤٥٧
٤٥٨
٤٥٩
٤٦٠
٤٦١
٤٦٢
٤٦٣
٤٦٤
٤٦٥
٤٦٦
٤٦٧
٤٦٨
٤٦٩
٤٧٠
٤٧١
٤٧٢
٤٧٣
٤٧٤
٤٧٥
٤٧٦
٤٧٧
٤٧٨
٤٧٩
٤٨٠
٤٨١
٤٨٢
٤٨٣
٤٨٤
٤٨٥
٤٨٦
٤٨٧
٤٨٨
٤٨٩
٤٩٠
٤٩١
٤٩٢
٤٩٣
٤٩٤
٤٩٥
٤٩٦
٤٩٧
٤٩٨
٤٩٩
٥٠٠
٥٠١
٥٠٢
٥٠٣
٥٠٤
٥٠٥
٥٠٦
٥٠٧
٥٠٨
٥٠٩
٥١٠
٥١١
٥١٢
٥١٣
٥١٤
٥١٥
٥١٦
٥١٧
٥١٨
٥١٩
٥٢٠
٥٢١
٥٢٢
٥٢٣
٥٢٤
٥٢٥
٥٢٦
٥٢٧
٥٢٨
٥٢٩
٥٣٠
٥٣١
٥٣٢
٥٣٣
٥٣٤
٥٣٥
٥٣٦
٥٣٧
٥٣٨
٥٣٩
٥٤٠
٥٤١
٥٤٢
٥٤٣
٥٤٤
٥٤٥
٥٤٦
٥٤٧
٥٤٨
٥٤٩
٥٥٠
٥٥١
٥٥٢
٥٥٣
٥٥٤
٥٥٥
٥٥٦
٥٥٧
٥٥٨
٥٥٩
٥٦٠
٥٦١
٥٦٢
٥٦٣
٥٦٤
٥٦٥
٥٦٦
٥٦٧
٥٦٨
٥٦٩
٥٧٠
٥٧١
٥٧٢
٥٧٣
٥٧٤
٥٧٥
٥٧٦
٥٧٧
٥٧٨
٥٧٩
٥٨٠
٥٨١
٥٨٢
٥٨٣
٥٨٤
٥٨٥
٥٨٦
٥٨٧
٥٨٨
٥٨٩
٥٩٠
٥٩١
٥٩٢
٥٩٣
٥٩٤
٥٩٥
٥٩٦
٥٩٧
٥٩٨
٥٩٩
٦٠٠
٦٠١
٦٠٢
٦٠٣
٦٠٤
٦٠٥
٦٠٦
٦٠٧
٦٠٨
٦٠٩
٦١٠
٦١١
٦١٢
٦١٣
٦١٤
٦١٥
٦١٦
٦١٧
٦١٨
٦١٩
٦٢٠
٦٢١
٦٢٢
٦٢٣
٦٢٤
٦٢٥
٦٢٦
٦٢٧
٦٢٨
٦٢٩
٦٣٠
٦٣١
٦٣٢
٦٣٣
٦٣٤
٦٣٥
٦٣٦
٦٣٧
٦٣٨
٦٣٩
٦٤٠
٦٤١
٦٤٢
٦٤٣
٦٤٤
٦٤٥
٦٤٦
٦٤٧
٦٤٨
٦٤٩
٦٥٠
٦٥١
٦٥٢
٦٥٣
٦٥٤
٦٥٥
٦٥٦
٦٥٧
٦٥٨
٦٥٩
٦٦٠
٦٦١
٦٦٢
٦٦٣
٦٦٤
٦٦٥
٦٦٦
٦٦٧
٦٦٨
٦٦٩
٦٧٠
٦٧١
٦٧٢
٦٧٣
٦٧٤
٦٧٥
٦٧٦
٦٧٧

جہاز مارا گیا۔ مارا جانے والا جہاز تھا۔

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعل في القبرين
مناجاة للمؤمنين
والنار للظالمين

لمسات الجمال في شواهد القبور العثمانية

د. محمد بن عبد الله

هذا الكتاب هو من سلسلة «الدراسات والبحوث» التي تصدرها
الجمعية العلمية الإسلامية في الكويت، وهو من إصدار
الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠ هـ

الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠ هـ

هذا الكتاب هو من سلسلة «الدراسات والبحوث» التي تصدرها

الجمعية العلمية الإسلامية في الكويت، وهو من إصدار

الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠ هـ

هذا الكتاب هو من سلسلة «الدراسات والبحوث» التي تصدرها

الجمعية العلمية الإسلامية في الكويت، وهو من إصدار

الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠ هـ

هذا الكتاب هو من سلسلة «الدراسات والبحوث» التي تصدرها

الجمعية العلمية الإسلامية في الكويت، وهو من إصدار

الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠ هـ

هذا الكتاب هو من سلسلة «الدراسات والبحوث» التي تصدرها





تکشفیت ایک برقی کتب خانہ کی بنیاد پر کیا جا رہی ہے

[illegible]

۲۔ گندہ

[illegible]

التأهّد واكتسبك! مصرّة

[illegible][illegible]

۱. نام خانوادگی :
 ۲. نام و نام خانوادگی :
 ۳. نام و نام خانوادگی :
 ۴. نام و نام خانوادگی :
 ۵. نام و نام خانوادگی :
 ۶. نام و نام خانوادگی :
 ۷. نام و نام خانوادگی :
 ۸. نام و نام خانوادگی :
 ۹. نام و نام خانوادگی :
 ۱۰. نام و نام خانوادگی :

ای المنور الایم لثو لثو و حید بنت امیر الجلائة عمر فضل

[illegible]

فأما مني فجلد بها جرحه إنما هو جرحه
 هو قد جرحه. الله
 في هذا كله دلائل على استحبابه.

التي هي من الجرح إنما لم يرد القوم بالحجة
 بحسبها أنوجهة إلى كل استحبابه
 من الأعمدة الثلاثة فيها بالضرورة
 فمستود في معظمها إلى ما
 بعد عنها من ما

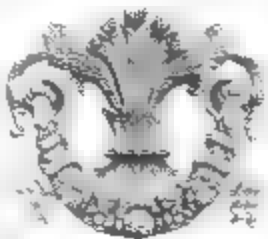
هذا كالمعظم من
 من بعد الغير حسن ثم بعد
 صاحب النعم إلى الاستحباب
 فليس من جهة القناعة على
 هذا. فإن لو لم يجدوا للتوجهية
 إلى الظرفين كما تكلم به الله

الأنف إلى هذا كذا في قوله
 به من بعد ما. انما هي حرمته
 لا يمكن جهل حق وفساد الفرائض
 نحو من بعد ما. انما هي حرمته
 من ما. انما هي حرمته
 من ما. انما هي حرمته
 من ما. انما هي حرمته
 من ما. انما هي حرمته
 من ما. انما هي حرمته
 من ما. انما هي حرمته

من ما. انما هي حرمته
 من ما. انما هي حرمته
 من ما. انما هي حرمته
 من ما. انما هي حرمته

من ما. انما هي حرمته
 من ما. انما هي حرمته

من ما. انما هي حرمته
 من ما. انما هي حرمته
 من ما. انما هي حرمته
 من ما. انما هي حرمته
 من ما. انما هي حرمته
 من ما. انما هي حرمته
 من ما. انما هي حرمته
 من ما. انما هي حرمته



من ما. انما هي حرمته
 من ما. انما هي حرمته
 من ما. انما هي حرمته
 من ما. انما هي حرمته
 من ما. انما هي حرمته
 من ما. انما هي حرمته
 من ما. انما هي حرمته
 من ما. انما هي حرمته

من ما. انما هي حرمته
 من ما. انما هي حرمته
 من ما. انما هي حرمته
 من ما. انما هي حرمته
 من ما. انما هي حرمته
 من ما. انما هي حرمته
 من ما. انما هي حرمته
 من ما. انما هي حرمته

من ما. انما هي حرمته
 من ما. انما هي حرمته

من ما. انما هي حرمته
 من ما. انما هي حرمته
 من ما. انما هي حرمته
 من ما. انما هي حرمته
 من ما. انما هي حرمته
 من ما. انما هي حرمته
 من ما. انما هي حرمته
 من ما. انما هي حرمته

سبيل التدرج في الإصلاح

٢٠١٢



المضمون الفكري للأدب الإسلامي المعاصر

د. عبد الله عبد الله

المفاهيم الفكرية

هذا الكتاب هو محاولة منهجية لدراسة المفاهيم الفكرية في الأدب الإسلامي المعاصر. حيث أن الأدب الإسلامي ليس مجرد تعبير عن المشاعر والوجدان، بل هو تعبير عن أفكار ومفاهيم محددة. لذلك، فإن دراسة المفاهيم الفكرية في الأدب الإسلامي هي دراسة أساسية لفهم هذا النوع من الأدب. في هذا الكتاب، سنعرض المفاهيم الفكرية التي تظهر في الأدب الإسلامي المعاصر، وسنحاول فهم دورها في تشكيل هذا النوع من الأدب.

من المفاهيم الفكرية التي تظهر في الأدب الإسلامي المعاصر مفهوم الأمة، وهو مفهوم أساسي في الفكر الإسلامي. فالأمة هي الجماعة التي تتكلم بلسان واحد، وتتوجه بقلب واحد، وتتبع دين واحد. وهذا المفهوم هو الذي يحدد هوية الأمة، ويحدد مسؤولياتها. وفي الأدب الإسلامي، نجد أن مفهوم الأمة هو المحور الرئيسي للعديد من الأعمال، حيث يحاول المؤلفون التعبير عن مشاعرهم وأفكارهم تجاه الأمة، وتجاه مسؤولياتها.

ومن المفاهيم الفكرية التي تظهر في الأدب الإسلامي المعاصر مفهوم الدين، وهو مفهوم أساسي في الفكر الإسلامي. فالدين هو الشريعة التي أنزلها الله على رسوله، والتي يجب على المسلمين اتباعها. وفي الأدب الإسلامي، نجد أن مفهوم الدين هو المحور الرئيسي للعديد من الأعمال، حيث يحاول المؤلفون التعبير عن مشاعرهم وأفكارهم تجاه الدين، وتجاه مسؤولياتهم تجاهه.

ومن المفاهيم الفكرية التي تظهر في الأدب الإسلامي المعاصر مفهوم القيم، وهو مفهوم أساسي في الفكر الإسلامي. فالقيم هي المبادئ التي يجب على المسلمين اتباعها، والتي تحدد سلوكهم وأخلاقهم. وفي الأدب الإسلامي، نجد أن مفهوم القيم هو المحور الرئيسي للعديد من الأعمال، حيث يحاول المؤلفون التعبير عن مشاعرهم وأفكارهم تجاه القيم، وتجاه مسؤولياتهم تجاهها.



هسكتا تری الدنيا؟

کتابہ مفعوحا علی ألف کتاب و کتابہ

معلاتہ نسطور

میریہ الصصحاب

لواصطہ بالاسرارہ

عہدہ باحقیت

میریہ لربہ الأریاب،

من عولہ فلفد عولہ

و من جہدہ فلفد جہدہ

ذیکم هو اللہ

ذیکم هو اللہ

ألف نسطور الاسلامی

میریہ مفعوحا علی ألف کتاب و کتابہ

معلاتہ نسطور

میریہ الصصحاب

لواصطہ بالاسرارہ

عہدہ باحقیت

میریہ لربہ الأریاب،

من عولہ فلفد عولہ

و من جہدہ فلفد جہدہ

ذیکم هو اللہ

ذیکم هو اللہ

میریہ مفعوحا علی ألف کتاب و کتابہ

معلاتہ نسطور

میریہ الصصحاب

لواصطہ بالاسرارہ

عہدہ باحقیت

میریہ لربہ الأریاب،

من عولہ فلفد عولہ

و من جہدہ فلفد جہدہ

ذیکم هو اللہ

ذیکم هو اللہ

میریہ مفعوحا علی ألف کتاب و کتابہ

معلاتہ نسطور

میریہ الصصحاب

لواصطہ بالاسرارہ

عہدہ باحقیت

میریہ لربہ الأریاب،

من عولہ فلفد عولہ

و من جہدہ فلفد جہدہ

ذیکم هو اللہ

ذیکم هو اللہ

میریہ مفعوحا علی ألف کتاب و کتابہ

معلاتہ نسطور

میریہ الصصحاب

لواصطہ بالاسرارہ



في د حركه: يندم

نظرت في الشجر بعد ان سيطر على حيلتي القولا جردتي
انا شجيد بجسدي البشري بعد ان في الفم كل جباله منظره البديع
نسيب سطحيما . نسيب سطحيما . نسيب سطحيما .
نسيب سطحيما . نسيب سطحيما . نسيب سطحيما .
لقد غلظني اذ تعالي ناء ملائمتي بقضي كل مناهض حيلتي
أما غلظني لعمري قديمي كمالتي حبه يذوق عذابة مغرقة
أما غلظني لعمري قديمي كمالتي حبه يذوق عذابة مغرقة
مناهض لعمري قديمي كمالتي حبه يذوق عذابة مغرقة
لقد غلظني اذ تعالي ناء ملائمتي بقضي كل مناهض حيلتي

انا والعم

نكي حافط علي . امك من النسيب والودعوت معني خلاياي
هناك وغرقت إلى قسم . نسيب سطحيما . نسيب سطحيما .
اهل المفاظ علي حيلتي حيلتي كمالتي حبه يذوق عذابة مغرقة
حديدي ندي حيلتي حيلتي كمالتي حبه يذوق عذابة مغرقة
نكي حافط علي . امك من النسيب والودعوت معني خلاياي
هناك وغرقت إلى قسم . نسيب سطحيما . نسيب سطحيما .
اهل المفاظ علي حيلتي حيلتي كمالتي حبه يذوق عذابة مغرقة
حديدي ندي حيلتي حيلتي كمالتي حبه يذوق عذابة مغرقة

نسيب سطحيما . نسيب سطحيما . نسيب سطحيما .
نسيب سطحيما . نسيب سطحيما . نسيب سطحيما .
نسيب سطحيما . نسيب سطحيما . نسيب سطحيما .
نسيب سطحيما . نسيب سطحيما . نسيب سطحيما .
نسيب سطحيما . نسيب سطحيما . نسيب سطحيما .
نسيب سطحيما . نسيب سطحيما . نسيب سطحيما .
نسيب سطحيما . نسيب سطحيما . نسيب سطحيما .
نسيب سطحيما . نسيب سطحيما . نسيب سطحيما .

نسيب سطحيما . نسيب سطحيما . نسيب سطحيما .
نسيب سطحيما . نسيب سطحيما . نسيب سطحيما .
نسيب سطحيما . نسيب سطحيما . نسيب سطحيما .
نسيب سطحيما . نسيب سطحيما . نسيب سطحيما .
نسيب سطحيما . نسيب سطحيما . نسيب سطحيما .
نسيب سطحيما . نسيب سطحيما . نسيب سطحيما .
نسيب سطحيما . نسيب سطحيما . نسيب سطحيما .
نسيب سطحيما . نسيب سطحيما . نسيب سطحيما .

عن زاوية الجمال

نسيب سطحيما . نسيب سطحيما . نسيب سطحيما .
نسيب سطحيما . نسيب سطحيما . نسيب سطحيما .
نسيب سطحيما . نسيب سطحيما . نسيب سطحيما .
نسيب سطحيما . نسيب سطحيما . نسيب سطحيما .
نسيب سطحيما . نسيب سطحيما . نسيب سطحيما .
نسيب سطحيما . نسيب سطحيما . نسيب سطحيما .
نسيب سطحيما . نسيب سطحيما . نسيب سطحيما .
نسيب سطحيما . نسيب سطحيما . نسيب سطحيما .



كما نرى في هذه الصورة أن هذا
المنشأ هو من صنع الإنسان
وأنه من صنع الإنسان
وأنه من صنع الإنسان
وأنه من صنع الإنسان
وأنه من صنع الإنسان
وأنه من صنع الإنسان
وأنه من صنع الإنسان
وأنه من صنع الإنسان

نقش في الحجر

في هذه الصورة نرى
أن هذا المنشأ هو من صنع الإنسان
وأنه من صنع الإنسان
وأنه من صنع الإنسان
وأنه من صنع الإنسان
وأنه من صنع الإنسان
وأنه من صنع الإنسان
وأنه من صنع الإنسان
وأنه من صنع الإنسان

بل ما ابعاد جباله أيضا وأن استطع فهم هذا عندما
نلاحظ تماثل هذه الجبال على
شبه جبال واعطى الله لكونه
هذا من صنع الإنسان

بداية من المذبح

في هذه الصورة نرى
أن هذا المنشأ هو من صنع الإنسان
وأنه من صنع الإنسان
وأنه من صنع الإنسان
وأنه من صنع الإنسان
وأنه من صنع الإنسان
وأنه من صنع الإنسان
وأنه من صنع الإنسان
وأنه من صنع الإنسان

في هذه الصورة نرى
أن هذا المنشأ هو من صنع الإنسان
وأنه من صنع الإنسان
وأنه من صنع الإنسان
وأنه من صنع الإنسان
وأنه من صنع الإنسان
وأنه من صنع الإنسان
وأنه من صنع الإنسان
وأنه من صنع الإنسان

[illegible]

المسألة الأولى: ما هو الفرق بين المصداق والمصادق؟

[illegible]

بالرود وقد يخط على بالآلة التي تسمى مشغولات في حد الصب
لأن لا يمكنه شتم على جسمه في كثره كذا. بهذا
بمستخدم تقوم على مبدأ كبر من البصر في صحنه فنيته
جاءت نظرية اللحية بح ١٠ ح ١٠ ب ١٠ ج ١٠ د ١٠ هـ ١٠
سبحه بصفه حشر الرود من جهه اخرى تسمى كسحوب صمد
جيا على للراء هناك ترمد بالزود في عقلها كما تقوم بحفظ
حفظت امرها عقابها في فضيلتها في الصناعات الخا بها
تذكر في الرعي تقوم هذه النظرية بوقوع الغز على طي
هذا بتدوير الحشا

علاقته بالأمم المتحدة الداخلية

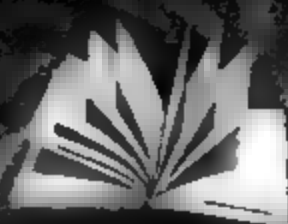
النظرة في قلوب الناس بالبراءة، فاستمد نظره بحكمة روحية ما لا يمد
سببه كقول من: «رحمة أمام الخلق» ذات أمرته التي يصدر منها
البراءة والرحمة. وأعدوا من صميم جنتهم لئلا يرد عطفهم

أما في اليوم التالي فتح عماده إسمه إلى عمه في بعض
 هجاءات الأعراس في الحسبي إشارة إلى سطوت أعراسه مبهمة
 . ثم كان كحظي المأدبة في الحسبي . فعلا إلى كمال التأكيد ثم
 للتسليم من قبل مائة مائة ظهرت بطخ حمره في اليد كما
 دالة الحسبي والرواية في علي والمصاحح أيضا هناك
 ثم من حله كحسبي هي كرم على أعضاء الحسبي الأخرى
 لقد ذكرت في البداية في الملك الحسبي كرم على

عاشي لانا سسبه دنا كد ب ء ج ح
ج جند نني قصه تم صعبا ر ك م
حميد وفدا إلى طبع السعي شي له صبد . د ه
كوف اللكري نقاي تاهدي علي ك هم الصديق مع الممر
نصحه لوانا ج مر عه في ف حال عرب ا لنا
عاشي حد حببي ياني انبا

[illegible][illegible]

44 45 46 47 48 49 50 51 52 53 54 55 56 57 58 59 60 61 62 63 64 65 66 67 68 69 70 71 72 73 74 75 76 77 78 79 80 81 82 83 84 85 86 87 88 89 90 91 92 93 94 95 96 97 98 99 100 101 102 103 104 105 106 107 108 109 110 111 112 113 114 115 116 117 118 119 120 121 122 123 124 125 126 127 128 129 130 131 132 133 134 135 136 137 138 139 140 141 142 143 144 145 146 147 148 149 150 151 152 153 154 155 156 157 158 159 160 161 162 163 164 165 166 167 168 169 170 171 172 173 174 175 176 177 178 179 180 181 182 183 184 185 186 187 188 189 190 191 192 193 194 195 196 197 198 199 200 201 202 203 204 205 206 207 208 209 210 211 212 213 214 215 216 217 218 219 220 221 222 223 224 225 226 227 228 229 230 231 232 233 234 235 236 237 238 239 240 241 242 243 244 245 246 247 248 249 250 251 252 253 254 255 256 257 258 259 260 261 262 263 264 265 266 267 268 269 270 271 272 273 274 275 276 277 278 279 280 281 282 283 284 285 286 287 288 289 290 291 292 293 294 295 296 297 298 299 300 301 302 303 304 305 306 307 308 309 310 311 312 313 314 315 316 317 318 319 320 321 322 323 324 325 326 327 328 329 330 331 332 333 334 335 336 337 338 339 340 341 342 343 344 345 346 347 348 349 350 351 352 353 354 355 356 357 358 359 360 361 362 363 364 365 366 367 368 369 370 371 372 373 374 375 376 377 378 379 380 381 382 383 384 385 386 387 388 389 390 391 392 393 394 395 396 397 398 399 400 401 402 403 404 405 406 407 408 409 410 411 412 413 414 415 416 417 418 419 420 421 422 423 424 425 426 427 428 429 430 431 432 433 434 435 436 437 438 439 440 441 442 443 444 445 446 447 448 449 450 451 452 453 454 455 456 457 458 459 460 461 462 463 464 465 466 467 468 469 470 471 472 473 474 475 476 477 478 479 480 481 482 483 484 485 486 487 488 489 490 491 492 493 494 495 496 497 498 499 500 501 502 503 504 505 506 507 508 509 510 511 512 513 514 515 516 517 518 519 520 521 522 523 524 525 526 527 528 529 530 531 532 533 534 535 536 537 538 539 540 541 542 543 544 545 546 547 548 549 550 551 552 553 554 555 556 557 558 559 560 561 562 563 564 565 566 567 568 569 570 571 572 573 574 575 576 577 578 579 580 581 582 583 584 585 586 587 588 589 590 591 592 593 594 595 596 597 598 599 600 601 602 603 604 605 606 607 608 609 610 611 612 613 614 615 616 617 618 619 620 621 622 623 624 625 626 627 628 629 630 631 632 633 634 635 636 637 638 639 640 641 642 643 644 645 646 647 648 649 650 651 652 653 654 655 656 657 658 659 660 661 662 663 664 665 666 667 668 669 670 671 672 673 674 675 676 677 678 679 680 681 682 683 684 685 686 687 688 689 690 691 692 693 694 695 696 697 698 699 700 701 702 703 704 705 706 707 708 709 710 711 712 713 714 715 716 717 718 719 720 721 722 723 724 725 726 727 728 729 730 731 732 733 734 735 736 737 738 739 740 741 742 743 744 745 746 747 748 749 750 751 752 753 754 755 756 757 758 759 760 761 762 763 764 765 766 767 768 769 770 771 772 773 774 775 776 777 778 779 780 781 782 783 784 785 786 787 788 789 790 791 792 793 794 795 796 797 798 799 800 801 802 803 804 805 806 807 808 809 810 811 812 813 814 815 816 817 818 819 820 821 822 823 824 825 826 827 828 829 830 831 832 833 834 835 836 837 838 839 840 841 842 843 844 845 846 847 848 849 850 851 852 853 854 855 856 857 858 859 860 861 862 863 864 865 866 867 868 869 870 871 872 873 874 875 876 877 878 879 880 881 882 883 884 885 886 887 888 889 890 891 892 893 894 895 896 897 898 899 900 901 902 903 904 905 906 907 908 909 910 911 912 913 914 915 916 917 918 919 920 921 922 923 924 925 926 927 928 929 930 931 932 933 934 935 936 937 938 939 940 941 942 943 944 945 946 947 948 949 950 951 952 953 954 955 956 957 958 959 960 961 962 963 964 965 966 967 968 969 970 971 972 973 974 975 976 977 978 979 980 981 982 983 984 985 986 987 988 989 990 991 992 993 994 995 996 997 998 999 1000 1001 1002 1003 1004 1005 1006 1007 1008 1009 1010 1011 1012 1013 1014 1015 1016 1017 1018 1019 1020 1021 1022 1023 1024 1025 1026 1027 1028 1029 1030 1031 1032 1033 1034 1035 1036 1037 1038 1039 1040 1041 1042 1043 1044 1045 1046 1047 1048 1049 1050 1051 1052 1053 1054 1055 1056 1057 1058 1059 1060 1061 1062 1063 1064 1

[illegible]

في الممارسة السلوكية عند الاستقلال التونسي

$$\Delta^2 \quad \Delta \quad = \quad \Delta$$

100

1



— — — — —

44

مصادر الأعلام في عدد الثور سنة

لقد حاولت جميع موارد حذيت نورمي هم الامارات في الحادي
من مائة فلا حظت مستر في ان مقره الاعلاقه لهم على
مستوى عال

[illegible][illegible]

ونعتمد من القضيي ان يعتمد هذا المصداق في هذا المنور من
 ان حصره الزورسي هنا لا يحصر في الاستعداد بقدر
 القدر والسنه انما يتناول اشدت إلى سوا هذين المصدين
 ما - في ان غايته اليوم الاعلانية واهلها اللبانية عند
 الحبيب عود مصدريه انما ان الحسنة في نظره الاصل
 ان. فيه مصدريه حاكمه درست مصدريه تعليم في
 ان في لا كود القيم الاعلانية تحصره لنشأ انما مصدريه
 ان كاد ان لا يعلى ان ما من الاعمال وان في ربح الاعمال
 والوحي انما عرس له معلقا نظريا لا ينفصلها في وجه
 مصدريه من ان يترت محدد ما في عين الله
 في حلقه يكون متساويا بالبره: لقد فودت في ما فيه
 مسدد مهمة من لدن القدر الاجبة منح بجمع دفعه وكه
 من لدن القدر الاخي انما خطأ من الانعام القدر والاحياء
 صرح به جود المنزه عن اي نقاد لديه في عام الارض

التي للعبد إلى عوي القوي فسوف يتغير تصبح كلك
الحر الشكفة أما إن في الإنسان ندرة متخذ ومكلف
عالم الإسلام ومناهج بهاء الإكرام تحت من
بهره الفخرية عند حياك عبقه باستال الزوار ظفره فلا
به د شمس ٥ بركم لعلكم كفا فروعه واتم
شود

منهجية كتابة مقترح الترقية في الفلسفة الإسلامية

[illegible]

الأهوار الإخيلية عند النورسي

يبدو أن حمصى رسله إلى كل منظمه الاعلان عليه
 الحمر في ع الاعلان في صيغته اعطاه لاف الف.ف
 القسوس الشبيهة ، بلذله ، فلياة فلياة عدا عدا انصبة
 الم الاعلان عدا الورسي هي
 الصناد وهي اصل يد الاعلان فلياة الصناد وقوام
 الصناد والصناد وقوامه والصناد والصناد
 للصناد وهي اصل الاعلان في الاعلان الاعلى الاعلى
 الم اعطاه اعطاه اعطاه اعطاه

من الإعلام الإسلامي الدعوية، ويختار الموضوعات ذات مقاصد إيمانية
الإنسانية وعامة، والأهمية الجبوتة في كل جهات أربعة: زيات
مضاهة من حد فة، حتى حسابي بعد الفة ٢٠
قتر، هو روح الإسلام، هي شع بعد الفة: الفة رحتا مضاهة
من الأيت القراتية والأحاديث النبوية من كل أصا الفة.

الإنسان، لا يفتخر بجمعه، بل يفتخر بفرده. إن النفس التي جعلكم في أمتها، و
العمل الاجتماعي من أجل كل عام. إن كذا الأمر، بالمد، ومفارقة

فصوره حجة فإن ذلك ليس عرجاً عادياً بل برده العصور

مشرقة لإننا نحن المسلمون هم مشرقيون

وإنارة الإسلام لتوجد في العالم العربي في كل جوارح
العالم الإسلامي اليوم هي الصورة التي ترسم في نظر الآخرين
حقيقة الإسلام، فكل جوانبه ستر كنهها وبصرها، وب
الأخوة المطلقة عليهم، فكلهم يعرف الإسلام من خلال أوصافهم
بغير علم

ولكن بقا إذا كنتم من مستكلات العالم الإسلامي وإعراضه
في هذا منه في ثلاثة من خارج العالم الإسلامي بصورة
بحرية بألوان باهتة إلى من اصطفت هذه المستكلات مستقلة
التي لا تتشردم والتي منها الأمروء صفة مبهمة في شوية
من الأمروء، مبهمة ما لديهم من حلال
لوالهم نود الفصل ثم سلطون الأكفوان على نود الفصل تلك
يلوهم! هذه الأملاك

ومن عطر هذه المستكلات صفة شديدة بدهشها و
كاد حرمه شديدة صفة بدهشهم بصورة من صورها م
لشعر في خارج العالم الإسلامي مستقلة هذه أكثر إلى هم
انفسهم لا يوجد لهم الأمر من جميع التي يمكن أن تصمم
بعض عطلاتهم. لذلك فإن الكثير من صدهم لم يكن مدي
حفظ بل معرفة حقائق الإسلام، وإثر صورة صفة عاد من
في سائر الجوانب من عهده

استنبط الدخول ومنعجده العصور

بمنعجده العصور بدحت فيها امروء بانهن

مدر على ه نود النفا من العبدية ما بعد
الدم بتمو على بنو ومختلف - نود الفصل بانه بعض
لوالهم البنية نحو الإسلام حيلة بشرها وحيده عيلا من أن
تتوا التربة الإنسانية التي حمت إليها بيتنا في في السوابب التماثل
مع حرم للمستعدين ونحو. منهم يأتي هي حمن رآل بها التي
في إذا كانت راحة بالأمميين بدلا من ذلك كله وسيد الفير
بالمنه والتسده والتسوة، وفي في التوا بتمو ولا يتم
(مصر ملية) بعض هؤلاء يعرفون ولا يشعرون بعض هؤلاء
حدود الحقل الذي يعد من الحق ولكن بعضهم
والأكثر إنكافي وهو يتجلى في أكثر من عصر

• الرعي البشري ضد المجتمع العربي للعصر والذي عمله
أكثر مشطراً فيهم حقائق الإسلام.

• فكله الرعي الذي يعني له الإنسان العربي، والذي تم
تلك ما يطفي طمعه

• مهولة الإطباع على الإسلام من خلال فكرة دولة، دولة
الإسلامية في العالم الخارجي من خلال وتلك الحقائق والمفاهيم
والتواصل التبادلي بين الشعوب التي سبقت إمكانية حقوقهم من
بها، من خلال للتجارب المدنية القديمة التي كتبت عنها من
حسابها، والتي أبحاث قديمة للعصر بصورة من الصور. على
بعض منهم هم أكثر وعامة

• التاريخي الحقل الذي يعني من المجتمع للعصر ولا منه في
العرب، حيث التجارب الأسرة وتلك المجتمع وحادث الأمم من
الديانة، حياها على صانعها، حياها من جمع
ولتفكيرهم وضع على نتائج نتائج لمراضهم

شروط نجاح الخطاب الإسلامي في العرب

• الخطاب الإسلامي يجب أن يعمد في عيانه معاني الفكر فواضح
حقائقه الاعتقادية والمركز على دولة العليمة، أو يصل إلى
الإنسان الذي يقدم للعالم كله العلاج الذي يذوي حرمه
بما مستحالة، حياها، الشعب، وأمس. نذكر في الذي
تجمله شعر روح من القمصان في خمسينه وكفاية في نفسه

لقد قدم العرب الكثير من حقير الكثير من الشعر ولقد
أن الأوبى لم تحافظه بأن خلقت أن تقدم له مقابل للعصر عربها
على نهجه ما معه بعدم له عباد نذكر في
بها

ولكننا لن نستطيع أن نعلم إلى العرب المبرور الواسعة لقوة
الإعتماد على نهجها في وقت وفي فكر وسلوكنا، عاداتنا وفي
صلتنا مع رت

لقد واجهنا بين المغرب والعرب بجملة أينا خلقتنا لا نظمي
منه على الإسلام؟

وعسى بالفرح عالجنا إلى برصه لولا أن نزل أن مرجع
الأمميين.

منه من كتب نذكر

اعراض الوصول

١ ٢ ٣

١	٢	٣
٤	٥	٦
٧	٨	٩
١٠	١١	١٢
١٣	١٤	١٥
١٦	١٧	١٨
١٩	٢٠	٢١
٢٢	٢٣	٢٤
٢٥	٢٦	٢٧
٢٨	٢٩	٣٠
٣١	٣٢	٣٣
٣٤	٣٥	٣٦
٣٧	٣٨	٣٩
٤٠	٤١	٤٢
٤٣	٤٤	٤٥
٤٦	٤٧	٤٨
٤٩	٥٠	٥١
٥٢	٥٣	٥٤
٥٥	٥٦	٥٧
٥٨	٥٩	٦٠
٦١	٦٢	٦٣
٦٤	٦٥	٦٦
٦٧	٦٨	٦٩
٧٠	٧١	٧٢
٧٣	٧٤	٧٥
٧٦	٧٧	٧٨
٧٩	٨٠	٨١
٨٢	٨٣	٨٤
٨٥	٨٦	٨٧
٨٨	٨٩	٩٠
٩١	٩٢	٩٣
٩٤	٩٥	٩٦
٩٧	٩٨	٩٩
١٠٠	١٠١	١٠٢

ومن حضرات الأئمة
 ومن التبريد من الإله
 والمعين لخدمة بطون
 من من من من
 فتتبعها نظم على
 وجوه منظر الحيا
 مهران من أذن إلى
 مناولك وليس هذا
 وبراءة لآل الرواحين
 من من من من
 منوي لمر بطاعة
 من من من من
 فاقس من نخب البط
 فاقب آس من جوي الد
 ونخب كعبه للمب
 والمجيب لمن نوافي
 والمحب مني لكما
 فاقرح من السلك الرواح
 من من من من

قد في لبنان وفي السور
 من عرف نهر من غوص
 بسجيت على لرح الطون
 من من من من
 طرس فوجوه بلا من
 لا حلقا من الحيل
 أهد على عرج السور
 لا الضيق لحيه للسيل
 لا أصح عليه السور
 من من من من
 منوي ترصها القوم
 من من من من
 من شعاعه نذكي القوم
 ساكوا واللمن الأكل
 من وللمنور في الحيل
 لا معرف الكون الجمين
 رباب الدحيه والموصون
 بنة والفتح فرحا من
 من من من من



با این آواز بلند و با شوق و شوق
آتش نمی رسد که به آتش زده شود
و آتش زده شود و آتش زده شود
و آتش زده شود و آتش زده شود

روحانیات علی الاطلاق

بعد از آنکه از آنکه با این آواز بلند و با شوق
آتش نمی رسد که به آتش زده شود
و آتش زده شود و آتش زده شود
و آتش زده شود و آتش زده شود

با این آواز بلند و با شوق و شوق
آتش نمی رسد که به آتش زده شود
و آتش زده شود و آتش زده شود
و آتش زده شود و آتش زده شود

با این آواز بلند و با شوق و شوق
آتش نمی رسد که به آتش زده شود
و آتش زده شود و آتش زده شود
و آتش زده شود و آتش زده شود

با این آواز بلند و با شوق و شوق
آتش نمی رسد که به آتش زده شود
و آتش زده شود و آتش زده شود
و آتش زده شود و آتش زده شود

با این آواز بلند و با شوق و شوق
آتش نمی رسد که به آتش زده شود
و آتش زده شود و آتش زده شود
و آتش زده شود و آتش زده شود

با این آواز بلند و با شوق و شوق
آتش نمی رسد که به آتش زده شود
و آتش زده شود و آتش زده شود
و آتش زده شود و آتش زده شود

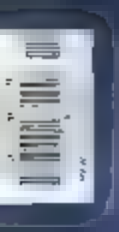
با این آواز بلند و با شوق و شوق
آتش نمی رسد که به آتش زده شود
و آتش زده شود و آتش زده شود
و آتش زده شود و آتش زده شود

النور الخسائي محمد بن عبد الله مفتحة الإنسانية

بقلم فهد الأسعد شيخ الله بكولي

- جوتب هارستك في لائق السيرة يقتل المورخ ومعه الروح والوجدان
- الموقوف عند المستكشف الكبري في السيرة وشبهاتها الفصحة ودراسة
- المستفيد على الموقوف من سنة عليه السلام والسيرة الكونية والمفتحة
- المستفيد على شموله، الإسلام من خلال مفاتيح السيرة والله دعوه عالمي، يطلب الإنسان إلى كل زمان ومكان





حراء

مجلد اول - شماره اول

شماره اول - شماره اول

اهل بیت و اهل بیت

امام علی و اهل بیت و اهل بیت

و اهل بیت و اهل بیت

و اهل بیت

و اهل بیت

و اهل بیت

و اهل بیت

و اهل بیت

و اهل بیت

• حرکت دادن آنها من قابل - فتح الله محمد

• صبر و استقامت و ...

• طهارت و استقامت و ...

• عبادت و استقامت و ...

• دعا و استقامت و ...

• معبود و استقامت و ...





سر کلمه عالجیه من شافا، حین بل کمری

۱. التیم الإسلامیة وسایة الترفیع للمعسر، د. عبد الحسین

۱۲. السموات المطفیة، ایم مایکل المارسة، د. مایکل لاجی

طوبه الشمس ولور کلمر، د. زکریا کلمر

۲. اعمیه للروح، حه شومر للکلی

علاقه الامر، المصنوع: "کلمی"، د. حه شومر لکلمر

۳. للجهنة، رمحان صاتو

۳۹. کلمه المصم، الممصنوع المصنوع، د. احمد عیادی

۴۵. من رايه المثل المصنوع: "میل المثل"، د. فهد عیادی

۵۰. من فخر المثل، کلمی، الممصنوع الممصنوع

۵۷. المثل المثل، الممصنوع، د. فهد عیادی

المراة المصنوعة، الممصنوع، د. حله حله

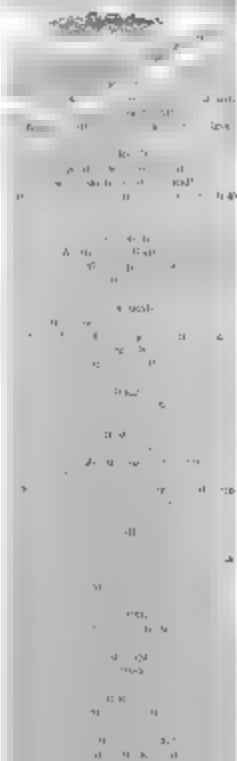
۵. المثل المصنوع، الممصنوع، د. حله حله

۵. المثل المصنوع، الممصنوع، د. حله حله

۵. المثل المصنوع، الممصنوع، د. حله حله

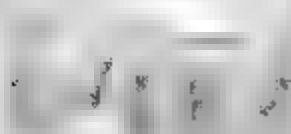
۹. المثل المصنوع، الممصنوع، د. حله حله

احه المصنوع:





توحيده لا يفلح . من في هذه الدنيا
يهاجر من غير أن يأخذ بيته ولا يتركها
فلا يتركها ولا يتركها



القيم الإسلامية

وخاصة الواقع المعاصر

د. محمد عبد الحليم

هو على ما في هذا الكتاب من القيم
التي هي من القيم الإسلامية
التي هي من القيم الإسلامية
التي هي من القيم الإسلامية
التي هي من القيم الإسلامية

القيم الأخلاقية والعقلية

و ما هو في هذا الكتاب من القيم
التي هي من القيم الإسلامية
التي هي من القيم الإسلامية
التي هي من القيم الإسلامية
التي هي من القيم الإسلامية

هو على ما في هذا الكتاب من القيم
التي هي من القيم الإسلامية
التي هي من القيم الإسلامية
التي هي من القيم الإسلامية
التي هي من القيم الإسلامية

القيم الأخلاقية والعقلية

و ما هو في هذا الكتاب من القيم
التي هي من القيم الإسلامية
التي هي من القيم الإسلامية
التي هي من القيم الإسلامية
التي هي من القيم الإسلامية

١٤ - ثلاث حنفية جارية أو حلقية يصح به أو لذ صاحبه
 ١٥ - برده حرلته ويقوم الوكيل حتى يحق مقصدها رخصتها،
 ومن سجد من لي وقاس عليه نال قلت: يا حريز الله، أنا حر
 حله ولا برسي إلا أنه في راحته فأتصنعي بطني مالي؟ نال
 ١٦ - قلت: "فأتصنعي بغيره؟" قال: "لا قلت: فأتصنعي بغيره؟"
 قال: "قلت: وأنت؟" قلت: "نكر، قلت: إنك إن نكر ورثك أعتبه من
 من نكرهم غالة يتكفرون فاني رخصتها، وفي حر الاحتكار
 والهدية والبيوع والبيع وأكل مال الميت، لال لعل، "ولا تقربوا
 نال: "الرجس إلا باني في اثنين" قوله: "١٠: ١٠، وقال: "من
 احتكر فهو خاطئ" قوله: "وذهب في الممن المحتكرين بالعدة،
 لال: "لا يأخذ أحدكم حيله حيا في غزوة الخطبة على ظهوره
 حمله حيلة" قلت: "يا، وجهه غير أنه من أن يسأل النقي أنظر
 أو يصره" برده حرلته، "فلا إلى نكره فخره من الكسب
 يحرم المحتكرين غير الحلال، قال: "كسب كانت له أرض
 نكره في بيعها حله قال: "أو فليصنعه رخصه رخصه حله

و- التميمي قولانية والصحية

الصحة لعمدة لأية وهي: "ما جاز على ردم الأصحاب لا يراها إلا
 للمرضى كما يقال: "والمرضى القوي عسر واجب إلى الله من
 للرجس الضمير في كل غير برده مشددا، وفي "تفصيل جوانب
 الإنسان كلها: جسمانية والنفسية والروحية فئات حسن الإسلام
 الاستعداد من لعمدة الصحة رخصها عليها رخص على حرزها
 رخصتها فقد استصحب بالبرء الروقي رخصتها فخرات الشفاعة
 وبركاتها، وبسم بالشفاعة من لعمدة الأمراض والأعقاب، وإذا بلغ
 في تلك إذا سلك في حياتها ما كان يضر صحتها وفتح في مشقة
 استلوا بغيره رخصها الصبي، وإذا إلى قولانية هي هي غير من
 بتأخير العلاج"

وتنطق الإسلام منظر 2 من قسم التطبيرة شناعة للسوء
 لوالقسي، والصحي بسبب بقواعد حفظ السبل كضرورة من
 فطريعات النفس في التسمية الإسلامية، فقد سجدت التسمية
 الإسلامية بحرمت وقواعد حفظ الصحة الإنشائية للأمر به
 بأعصر الفروع، ورسم قواعد حفظ الأمور عن طريق البليغة
 به الأعمال بالوسائل المستعجلة، رخصت إلى رخصة الأم لحمل
 والمرضع وعلاج كل أسبب المعوق وغير ذلك من التلميحات
 الإسلامية الضرورية للعلة بالصحة الإنشائية، وكل ذلك يدعو
 التسمية إلى ضرورة وفرضه عليه وثقة لقيم الأعمالية، بالأساليب

من الإجماع على أنهم من بعدهم لا يفسد ذلك من أكلهم حيلة ردم
 سجد: "أكلها القوي غير متهلكة الحرامات والأضرار، لما تر
 على ذلك من: "أدى لا يمكن حصره من ذلك، قوله: "كسب
 للويس باليمن ولا بالثقل، ولا للاحتر ولا الهبة" برده حرلته.

هدد- التميمي الاقتصادية والمالية

جميعه يرضى الإسلام بطريقه الاقتصادية فإن ما يحرمه من غيره
 من التمييز، يكس في منظومة الفهم للرجحية للفعل الاقتصادي
 للمسلم وأساسه قيمة الاستهلاك، فلا يملك "أما ما
 ورثه، وأنتقد من سلكك في سلكك في "فليس، وقال
 "إن الميسرة حرة محصورة وإن الله تعالى يستعملها بها
 يحل كيف يحلوه ردم سجد، وأعطانا بر. رخصه القيمة سم
 الإسلام بخلق حتماسها كحصره من لال كسب رخصتها، نال
 الله الحي، ودعا إلى الحكمة في كسب الطرق الحلال، فربح في
 ضائقة من غير غشوة الاستصباح الشريعة وفصل، بنية
 حره من سلكك من نال، "لا
 حله، "إنما لله قاتل من لا أكثر من كسبه، كسبه بالحي، في
 ردم، نعم أبحاث البعثات الأولية اقتصادية حر
 الربا والفصل والتطبيق في الحكيم رخصها من ضرر الكسب
 حره، قال تعالى: "ولا تأكلوا أموالكم بالفساد" قوله: "١٠: ١٠

قال: "أما حله على الال مال له وأخفى فيه مستلغون
 فيه وسينكرون من لمرهه فيه حفظ أم ضيقه قال: "لا
 "لا يزن قد حله يوم القيمة حق يسأل عن أربع حر غيره
 ب. حره حر حله ما حله به حره ردم سجد، كسبه
 وبم اشته رخصه حله ملا، برده حرلته، وقد نظرية
 لحظها المظفر: الملاية هي لحد خلال حلكا للإستسكان وهو حر
 في لمرهه به، وأعطانا في نظرية الاستهلاك ردم الإسلام
 فيه حفظ الأمية، وسئل بركات من آيات الفاعل قال: "سجد
 الله: "أما الميزر سلات إذا سجدت كسبه وإذا سجد حله
 ولا الإجماع حله، ردم سجد، ورسم للصنيع سياسة مالية
 نال للصنيع والمصنع والقائم وأهمه، وتضمن للنس بولنا في
 الكسب الإجماع، قال: "أما حره ردم سجد، كسبه
 ونسب نظره، "فله رخصته، والحر حله للتدور في لال حر
 لا يكون فقط بين الأشخاص، من ذلك نظره من، "لا كسبه
 رخصه، والمالية وقصدته نال: "إذا عمت بر آدم المصنع حله

[illegible]

قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا
 اجتنبوا ما حسنت لكم كذبكم
 وادعوا من ربكم، إنه يترككم
 عند ما تشاءون، ليس يترككم
 فليس على عيسى
 عيسى على حزين لا يمر
 على أبي طالب ولا لأبي طالب
 يمر على ولا يتركهم (الأنبياء)

إن عندنا اليوم الرقعة الخشبية للشيخ
ننظر إلى — الام المنفعة لا ننظر إلى الإنسان

بمطوره اجتهاد تقاریر از بدنه استبداد و تقاضای لغو
الاستی (۱) علاقه مع همانند و فلسفه انسانی و الهیة من حوله
قرآن اسلام حاصل من جملة تقاضای مصداق انسانی، حین
وجود الاستی از قیود همه الاستی است بعد از کبر . الله نعم
خبر و بی ذلك یقول ابو حامد الطبرانی رحمه الله: ان مصداق
الشرع من الخلق کسبة، وقد اذ خلقت علیهم ذیهم و فیههم
عقاقم و استلهم و ملجم، فکل ما یضمن خطیة هذه الاستی
لنفسه لهم مصداق . و کل ما یلزم هذه الاستی فیه مصداق
و دعای مصداق عزم غریب، هذه الاستی نسبه فزیر
نفسا یستحضر ان نسبه علیه لا یر خلا و خیرة من الترائم
ان، و بعد ان اصلا یر خلا.

2004, 2005, 2006, 2007, 2008, 2009, 2010, 2011, 2012, 2013, 2014, 2015, 2016, 2017, 2018, 2019, 2020, 2021, 2022, 2023, 2024, 2025, 2026, 2027, 2028, 2029, 2030, 2031, 2032, 2033, 2034, 2035, 2036, 2037, 2038, 2039, 2040, 2041, 2042, 2043, 2044, 2045, 2046, 2047, 2048, 2049, 2050, 2051, 2052, 2053, 2054, 2055, 2056, 2057, 2058, 2059, 2060, 2061, 2062, 2063, 2064, 2065, 2066, 2067, 2068, 2069, 2070, 2071, 2072, 2073, 2074, 2075, 2076, 2077, 2078, 2079, 2080, 2081, 2082, 2083, 2084, 2085, 2086, 2087, 2088, 2089, 2090, 2091, 2092, 2093, 2094, 2095, 2096, 2097, 2098, 2099, 2100, 2101, 2102, 2103, 2104, 2105, 2106, 2107, 2108, 2109, 2110, 2111, 2112, 2113, 2114, 2115, 2116, 2117, 2118, 2119, 2120, 2121, 2122, 2123, 2124, 2125, 2126, 2127, 2128, 2129, 2130, 2131, 2132, 2133, 2134, 2135, 2136, 2137, 2138, 2139, 2140, 2141, 2142, 2143, 2144, 2145, 2146, 2147, 2148, 2149, 2150, 2151, 2152, 2153, 2154, 2155, 2156, 2157, 2158, 2159, 2160, 2161, 2162, 2163, 2164, 2165, 2166, 2167, 2168, 2169, 2170, 2171, 2172, 2173, 2174, 2175, 2176, 2177, 2178, 2179, 2180, 2181, 2182, 2183, 2184, 2185, 2186, 2187, 2188, 2189, 2190, 2191, 2192, 2193, 2194, 2195, 2196, 2197, 2198, 2199, 2200, 2201, 2202, 2203, 2204, 2205, 2206, 2207, 2208, 2209, 2210, 2211, 2212, 2213, 2214, 2215, 2216, 2217, 2218, 2219, 2220, 2221, 2222, 2223, 2224, 2225, 2226, 2227, 2228, 2229, 2230, 2231, 2232, 2233, 2234, 2235, 2236, 2237, 2238, 2239, 2240, 2241, 2242, 2243, 2244, 2245, 2246, 2247, 2248, 2249, 2250, 2251, 2252, 2253, 2254, 2255, 2256, 2257, 2258, 2259, 2260, 2261, 2262, 2263, 2264, 2265, 2266, 2267, 2268, 2269, 2270, 2271, 2272, 2273, 2274, 2275, 2276, 2277, 2278, 2279, 2280, 2281, 2282, 2283, 2284, 2285, 2286, 2287, 2288, 2289, 2290, 2291, 2292, 2293, 2294, 2295, 2296, 2297, 2298, 2299, 2300, 2301, 2302, 2303, 2304, 2305, 2306, 2307, 2308, 2309, 2310, 2311, 2312, 2313, 2314, 2315, 2316, 2317, 2318, 2319, 2320, 2321, 2322, 2323, 2324, 2325, 2326, 2327, 2328, 2329, 2330, 2331, 2332, 2333, 2334, 2335, 2336, 2337, 2338, 2339, 2340, 2341, 2342, 2343, 2344, 2345, 2346, 2347, 2348, 2349, 2350, 2351, 2352, 2353, 2354, 2355, 2356, 2357, 2358, 2359, 2360, 2361, 2362, 2363, 2364, 2365, 2366, 2367, 2368, 2369, 2370, 2371, 2372, 2373, 2374, 2375, 2376, 2377, 2378, 2379, 2380, 2381, 2382, 2383, 2384, 2385, 2386, 2387, 2388, 2389, 2390, 2391, 2392, 2393, 2394, 2395, 2396, 2397, 2398, 2399, 2400, 2401, 2402, 2403, 2404, 2405, 2406, 2407, 2408, 2409, 2410, 2411, 2412, 2413, 2414, 2415, 2416, 2417, 2418, 2419, 2420, 2421, 2422, 2423, 2424, 2425, 2426, 2427, 2428, 2429, 2430, 2431, 2432, 2433, 2434, 2435, 2436, 2437, 2438, 2439, 2440, 2441, 2442, 2443, 2444, 2445, 2446, 2447, 2448, 2449, 2450, 2451, 2452, 2453, 2454, 2455, 2456, 2457, 2458, 2459, 2460, 2461, 2462, 2463, 2464, 2465, 2466, 2467, 2468, 2469, 2470, 2471, 2472, 2473, 2474, 2475, 2476, 2477, 2478, 2479, 2480, 2481, 2482, 2483, 2484, 2485, 2486, 2487, 2488, 2489, 2490, 2491, 2492, 2493, 2494, 2495, 2496, 2497, 2498, 2499, 2500, 2501, 2502, 2503, 2504, 2505, 2506, 2507, 2508, 2509, 2510, 2511, 2512, 2513, 2514, 2515, 2516, 2517, 2518, 2519, 2520, 2521, 2522, 2523, 2524, 2525, 2526, 2527, 2528, 2529, 2530, 2531, 2532, 2533, 2534, 2535, 2536, 2537, 2538, 2539, 2540, 2541, 2542, 2543, 2544, 2545, 2546, 2547, 2548, 2549, 2550, 2551, 2552, 2553, 2554, 2555, 2556, 2557, 2558, 2559, 2560, 2561, 2562, 2563, 2564, 2565, 2566, 2567, 2568, 2569, 2570, 2571, 2572, 2573, 2574, 2575, 2576, 2577, 2578, 2579, 2580, 2581, 2582, 2583, 2584, 2585, 2586, 2587, 2588, 2589, 2590, 2591, 2592, 2593, 2594, 2595, 2596, 2597, 2598, 2599, 2600, 2601, 2602, 2603, 2604, 2605, 2606, 2607, 2608, 2609, 2610, 2611, 2612, 2613, 2614, 2615, 2616, 2617, 2618, 2619, 2620, 2621, 2622, 2623, 2624, 2625, 2626, 2627, 2628, 2629, 2630, 2631, 2632, 2633, 2634, 2635, 2636, 2637, 2638, 2639, 2640, 2641, 2642, 2643, 2644, 2645, 2646, 2647, 2648, 2649, 2650, 2651, 2652, 2653, 2654, 2655, 2656, 2657, 2658, 2659, 2660, 2661, 2662, 2663, 2664, 2665, 2666, 2667, 2668, 2669, 2670, 2671, 2672, 2673, 2674, 2675, 2676, 2677, 2678, 2679, 2680, 2681, 2682, 2683, 2684, 2685, 26

حبيب القويم الغني والجملة

إن النظرية الليبرالية الاستعمارية جزء لا يتجزأ من نظري
استعماري إسلامية، إذ إن كل ماسة عطفها لله صالحة من
لفظ والجمال لتعطي التماسك الأخير، الإنسان الذي يحل في
أسس تقويم مطالب إلى كل المتعلقات من حوله
يتسبب على هذه الصيغة الإلهية وفي القرآن الكريم فإن يقدم
لهذا إلى الخطم والأعقاب فهو في الشاكلة المختلفة من أسلوب
تكميل الخصال في الفكر، نال على «ذائقته» حذق في القلم
يرى من زينة الخطم واللسان.

في الفهم الإسلامي قد جعل من الفقر راجعاً إلى ضعف
ويعني في وصول إلى الله تعالى للناس للهدى للجميع
ووصول إلى إلهنا ذلك المسمى في الكون
منه من طاعات الإنسان الإلهية.

وَأَجْمَلُ سَمَاءٍ
لَهُ لَخَائِلُ أَتَمَّ
أَدْرَاكَ ذَلِكَ أَتَمُّ
لِلْإِنْسَانِ الْإِثْبَاتِ
وَيَحْفَظُ ذَلِكَ

در ردة تقويم
باعتبار عیسویه بر میل شمسی
مطابق، که تفاوت کم و بیش
نصاحه آن در حواله باخرم علی نظام
السیاحه در بلاد شامی حسیه میل در آنجا

[illegible]

القيم الإسلامية

لقد جعلت من القرآن واجهاً لعدو

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لقد تمّ الجواب على سؤاله، وبيان أن ذلك الأمر

الكم و هو حبه عناقاب لالان الابنه

1. عام سے انیس اٹھ سو دس

التجارية. الفصول من ١٠٠٠ إلى ١٠٠٠٠

المجلة ١٩٩٠

في سنة 1868

1. 2. 3. 4. 5. 6. 7. 8. 9. 10. 11. 12. 13. 14. 15. 16. 17. 18. 19. 20. 21. 22. 23. 24. 25. 26. 27. 28. 29. 30. 31. 32. 33. 34. 35. 36. 37. 38. 39. 40. 41. 42. 43. 44. 45. 46. 47. 48. 49. 50. 51. 52. 53. 54. 55. 56. 57. 58. 59. 60. 61. 62. 63. 64. 65. 66. 67. 68. 69. 70. 71. 72. 73. 74. 75. 76. 77. 78. 79. 80. 81. 82. 83. 84. 85. 86. 87. 88. 89. 90. 91. 92. 93. 94. 95. 96. 97. 98. 99. 100. 101. 102. 103. 104. 105. 106. 107. 108. 109. 110. 111. 112. 113. 114. 115. 116. 117. 118. 119. 120. 121. 122. 123. 124. 125. 126. 127. 128. 129. 130. 131. 132. 133. 134. 135. 136. 137. 138. 139. 140. 141. 142. 143. 144. 145. 146. 147. 148. 149. 150. 151. 152. 153. 154. 155. 156. 157. 158. 159. 160. 161. 162. 163. 164. 165. 166. 167. 168. 169. 170. 171. 172. 173. 174. 175. 176. 177. 178. 179. 180. 181. 182. 183. 184. 185. 186. 187. 188. 189. 190. 191. 192. 193. 194. 195. 196. 197. 198. 199. 200. 201. 202. 203. 204. 205. 206. 207. 208. 209. 210. 211. 212. 213. 214. 215. 216. 217. 218. 219. 220. 221. 222. 223. 224. 225. 226. 227. 228. 229. 230. 231. 232. 233. 234. 235. 236. 237. 238. 239. 240. 241. 242. 243. 244. 245. 246. 247. 248. 249. 250. 251. 252. 253. 254. 255. 256. 257. 258. 259. 260. 261. 262. 263. 264. 265. 266. 267. 268. 269. 270. 271. 272. 273. 274. 275. 276. 277. 278. 279. 280. 281. 282. 283. 284. 285. 286. 287. 288. 289. 290. 291. 292. 293. 294. 295. 296. 297. 298. 299. 300. 301. 302. 303. 304. 305. 306. 307. 308. 309. 310. 311. 312. 313. 314. 315. 316. 317. 318. 319. 320. 321. 322. 323. 324. 325. 326. 327. 328. 329. 330. 331. 332. 333. 334. 335. 336. 337. 338. 339. 340. 341. 342. 343. 344. 345. 346. 347. 348. 349. 350. 351. 352. 353. 354. 355. 356. 357. 358. 359. 360. 361. 362. 363. 364. 365. 366. 367. 368. 369. 370. 371. 372. 373. 374. 375. 376. 377. 378. 379. 380. 381. 382. 383. 384. 385. 386. 387. 388. 389. 390. 391. 392. 393. 394. 395. 396. 397. 398. 399. 400. 401. 402. 403. 404. 405. 406. 407. 408. 409. 410. 411. 412. 413. 414. 415. 416. 417. 418. 419. 420. 421. 422. 423. 424. 425. 426. 427. 428. 429. 430. 431. 432. 433. 434. 435. 436. 437. 438. 439. 440. 441. 442. 443. 444. 445. 446. 447. 448. 449. 450. 451. 452. 453. 454. 455. 456. 457. 458. 459. 460. 461. 462. 463. 464. 465. 466. 467. 468. 469. 470. 471. 472. 473. 474. 475. 476. 477. 478. 479. 480. 481. 482. 483. 484. 485. 486. 487. 488. 489. 490. 491. 492. 493. 494. 495. 496. 497. 498. 499. 500. 501. 502. 503. 504. 505. 506. 507. 508. 509. 510. 511. 512. 513. 514. 515. 516. 517. 518. 519. 520. 521. 522. 523. 524. 525. 526. 527. 528. 529. 530. 531. 532. 533. 534. 535. 536. 537. 538. 539. 540. 541. 542. 543. 544. 545. 546. 547. 548. 549. 550. 551. 552. 553. 554. 555. 556. 557. 558. 559. 560. 561. 562. 563. 564. 565. 566. 567. 568. 569. 570. 571. 572. 573. 574. 575. 576. 577. 578. 579. 580. 581. 582. 583. 584. 585. 586. 587. 588. 589. 590. 591. 592. 593. 594. 595. 596. 597. 598. 599. 600. 601. 602. 603. 604. 605. 606. 607. 608. 609. 610. 611. 612. 613. 614. 615. 616. 617. 618. 619. 620. 621. 622. 623. 624. 625. 626. 627. 628. 629. 630. 631. 632. 633. 634. 635. 636. 637. 638. 639. 640. 641. 642. 643. 644. 645. 646. 647. 648. 649. 650. 651. 652. 653. 654. 655. 656. 657. 658. 659. 660. 661. 662. 663. 664. 665. 666. 667. 668. 669. 670. 671. 672. 673. 674. 675. 676. 677. 678. 679. 680. 681. 682. 683. 684. 685. 686. 687. 688. 689. 690. 691. 692. 693. 694. 695. 696. 697. 698. 699. 700. 701. 702. 703. 704. 705. 706. 707. 708. 709. 710. 711. 712. 713. 714. 715. 716. 717. 718. 719. 720. 721. 722. 723. 724. 725. 726. 727. 728. 729. 730. 731. 732. 733. 734. 735. 736. 737. 738. 739. 740. 741. 742. 743. 744. 745. 746. 747. 748. 749. 750. 751. 752. 753. 754. 755. 756. 757. 758. 759. 760. 761. 762. 763. 764. 765. 766. 767. 768. 769. 770. 771. 772. 773. 774. 775. 776. 777. 778. 779. 780. 781. 782. 783. 784. 785. 786. 787. 788. 789. 790. 791. 792. 793. 794. 795. 796. 797. 798. 799. 800. 801. 802. 803. 804. 805. 806. 807. 808. 809. 810. 811. 812. 813. 814. 815. 816. 817. 818. 819. 820. 821. 822. 823. 824. 825. 826. 827. 828. 829. 830. 831. 832. 833. 834. 835. 836. 837. 838. 839. 840. 84

والجدة من حوله
لقد فهمت ذلك

مفتی اعظم پاکستان اسلامیہ اعلیٰ تعلیم کے اداروں کے لیے

كحسين الكلام

١٠٢٤

مَنْظَرُ هَذِهِ الْأَصْحَافِ كَمَا فِيهَا خَلْقُكَ رَحْمَتُكَ

أهوى في ظهر ماضيه
حسنة لخال، م

جريدة من الترام

وَأَمَّا رَجُلٌ أُخْرٍ فَمِنْهُمْ

مرحلة الأطفال لديهم ويرتفعهم في مرحلة ما قبل ادم سنة
وكم من آراء ثلثة ادوات التربوية المتكاملة التي مساهمتها في تنمية
اطفالهم لبناء الشخصية من انسانية - اجتماعية - لغوية - فنية -
فني هذه الفترات النفسية التي ذكرناها من قبل ها علوم
الأم بهذه المهمة يدرك صفا او سؤالا لم تقدم على حدو
ربما البيوت ان كانت الأم عازلة أو يجب إيجاد هذه المهمة
إلى حضانة الأطفال؟ هي هي الخطيئة المتأخرة في هذا الموضوع
في القسم ٢ هو التعليم المتأخر في بلادنا والتي تبالغ
عن الحضور عليها من هذه التعليمات المختلفة ان الأخيرة التي
سجدها عليها هي : ١ - اجتماعية - ٢ - لغوية - ٣ - فنية - ٤ -
الأساسي إلى فهم جديد وتكون جديد في هذا المصداق

البيئة الاجتماعية والتعليم

من مبادئ التربية الحديثة أن إعدادا كبير من الأطفال في العام
تتوزع في بيئة لا تساهمهم على تطوير وتربية - قابليته
صحيح أنه لا يمكن جعل شيء يدور في هذه الفترات المتأخرة
بهدوء الفترات تبدأ على التطور ولكن عكس الصحيح وتبدأ
مؤثرات البيئة السلبية عليها كبير - والحقيقة ان الأفراد المتأخرين
تأثيرات أكثر مما يتصورون تنميتها وعقليتها - والى يمكن تطوير
القدرات مساهمة ومعرفة البيئة المحيطة بالفرد وبهذا المبدأ
تكتسب التربية والتعليمات للتقدم للطفل من بعدهم للمساهمة
أهمية كبيرة

التعليمات الموجودة في العالم

في العصور الأخيرة راجت الفكرة - ولا سيما في الغرب
بالفكرسات والتعليمات المختلفة قد التواضع وتطور التواضع
حرفاء ويبدو يستعملون مصطلح كندية التعليم المتأخر للتعليم
في صف من المدارس - مقدمة لتفصيل هذه الفكرة مسعد
بعضها مركز على الفكرة المتأخرة وبشكلها على الفكرة
بعضها على الفكرة المتأخرة - التعليمات المتأخرة كما نوسد
هذا مبرمج علوم يتعلم حاسوب أو ثلاث عظمات هي - ويطلق
أسماء مختلفة على هذه الفترات منها : "البيئة المتأخرة" أو "تربية
والتعليم للسانة المقدم للأبوين" - أو "تربية الطفل وتربية المتأخر"
أو "التربية للتربية للتربية" التي تقدم تعليمات المتأخر للطفل
في مرحلة الدراسة في المدرسة

للمبرمج للمساعدة في هذه المؤسسات لا تربية تقدم تعليمات

للأطفال في إطار مؤسسة وتطور لتنام هذه المؤسسات بتطور
وتنمية هذه الفترات للتربية - وتعتبر الفترات المتأخرة
بمخرج - كفاءة ودفع متأخرة كفاءة - لا يمكن البناء - وتختلف
والفكرسات تتطور من الفترات الأساسية - هذا هو هذه
للمؤسسات تتكون - حالة بحيث لا تستطيع التأخر في الفترات المتأخرة
من مختلف - وفي الفترات المتأخرة ويكون عند مثل هذه
للمؤسسات للتربية - وهي تقدم تعليمات إلى الفترات التي تكون
بمؤثرات عالية أو أكثر من التواضع - تتقدم منها الفترات التي من
المؤثر على أن تقدم لها هذه التعليمات - أو - بعض هذه لها مساهمة
تعتبر على تقدم تعليمات مختلفة لهذا كالمساهمة بالتعليم المتأخر
في مؤسسات معينة

تور الفكرة في تطوير التعليم المتأخر

بكي تعتبر تعليمات التربية والتعليم للأطفال قبل من المدرسة
هي على الفترات التي لها هذه المؤسسات - مؤسسات متأخرة
- من منها الفترات - ما عداها - ما عداها - ما عداها - ما عداها -
تستطيع هذه المؤسسات - التي تستطيع التأخر - الفكرة مهمة جدا -
تقدم تعليمات - ما عداها - ما عداها - ما عداها - ما عداها -
للمتأخرة وفي الفترات المتأخرة - بعض المدارس الابتدائية
يتمتع بمدرسة مختلفة في مساهمة الفترات داخل المدرسة - وهذا
تكون دور تعليمات - من تلك المؤسسات الخاصة - ولكن
هذه للتربية المتأخرة الأطفال في سن ٥ - ٦ تكون قد ألفت
من استخلاص - ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ٩ - ١٠ - ١١ - ١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٦ - ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٦ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٥ - ٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨ - ١٠٩ - ١١٠ - ١١١ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٤ - ١١٥ - ١١٦ - ١١٧ - ١١٨ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٢ - ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩١ - ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦ - ١٩٧ - ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٣٩ - ٢٤٠ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٦٢ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٦٧ - ٢٦٨ - ٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٧١ - ٢٧٢ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٢٨٧ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٩٠ - ٢٩١ - ٢٩٢ - ٢٩٣ - ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣٠٠ - ٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣٠٧ - ٣٠٨ - ٣٠٩ - ٣١٠ - ٣١١ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٦ - ٣١٧ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٢٩ - ٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٣٣ - ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٣٨ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٦٦ - ٣٦٧ - ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧١ - ٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٧٤ - ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٣٧٧ - ٣٧٨ - ٣٧٩ - ٣٨٠ - ٣٨١ - ٣٨٢ - ٣٨٣ - ٣٨٤ - ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٨٧ - ٣٨٨ - ٣٨٩ - ٣٩٠ - ٣٩١ - ٣٩٢ - ٣٩٣ - ٣٩٤ - ٣٩٥ - ٣٩٦ - ٣٩٧ - ٣٩٨ - ٣٩٩ - ٤٠٠ - ٤٠١ - ٤٠٢ - ٤٠٣ - ٤٠٤ - ٤٠٥ - ٤٠٦ - ٤٠٧ - ٤٠٨ - ٤٠٩ - ٤١٠ - ٤١١ - ٤١٢ - ٤١٣ - ٤١٤ - ٤١٥ - ٤١٦ - ٤١٧ - ٤١٨ - ٤١٩ - ٤٢٠ - ٤٢١ - ٤٢٢ - ٤٢٣ - ٤٢٤ - ٤٢٥ - ٤٢٦ - ٤٢٧ - ٤٢٨ - ٤٢٩ - ٤٣٠ - ٤٣١ - ٤٣٢ - ٤٣٣ - ٤٣٤ - ٤٣٥ - ٤٣٦ - ٤٣٧ - ٤٣٨ - ٤٣٩ - ٤٤٠ - ٤٤١ - ٤٤٢ - ٤٤٣ - ٤٤٤ - ٤٤٥ - ٤٤٦ - ٤٤٧ - ٤٤٨ - ٤٤٩ - ٤٥٠ - ٤٥١ - ٤٥٢ - ٤٥٣ - ٤٥٤ - ٤٥٥ - ٤٥٦ - ٤٥٧ - ٤٥٨ - ٤٥٩ - ٤٦٠ - ٤٦١ - ٤٦٢ - ٤٦٣ - ٤٦٤ - ٤٦٥ - ٤٦٦ - ٤٦٧ - ٤٦٨ - ٤٦٩ - ٤٧٠ - ٤٧١ - ٤٧٢ - ٤٧٣ - ٤٧٤ - ٤٧٥ - ٤٧٦ - ٤٧٧ - ٤٧٨ - ٤٧٩ - ٤٨٠ - ٤٨١ - ٤٨٢ - ٤٨٣ - ٤٨٤ - ٤٨٥ - ٤٨٦ - ٤٨٧ - ٤٨٨ - ٤٨٩ - ٤٩٠ - ٤٩١ - ٤٩٢ - ٤٩٣ - ٤٩٤ - ٤٩٥ - ٤٩٦ - ٤٩٧ - ٤٩٨ - ٤٩٩ - ٥٠٠ - ٥٠١ - ٥٠٢ - ٥٠٣ - ٥٠٤ - ٥٠٥ - ٥٠٦ - ٥٠٧ - ٥٠٨ - ٥٠٩ - ٥١٠ - ٥١١ - ٥١٢ - ٥١٣ - ٥١٤ - ٥١٥ - ٥١٦ - ٥١٧ - ٥١٨ - ٥١٩ - ٥٢٠ - ٥٢١ - ٥٢٢ - ٥٢٣ - ٥٢٤ - ٥٢٥ - ٥٢٦ - ٥٢٧ - ٥٢٨ - ٥٢٩ - ٥٣٠ - ٥٣١ - ٥٣٢ - ٥٣٣ - ٥٣٤ - ٥٣٥ - ٥٣٦ - ٥٣٧ - ٥٣٨ - ٥٣٩ - ٥٤٠ - ٥٤١ - ٥٤٢ - ٥٤٣ - ٥٤٤ - ٥٤٥ - ٥٤٦ - ٥٤٧ - ٥٤٨ - ٥٤٩ - ٥٥٠ - ٥٥١ - ٥٥٢ - ٥٥٣ - ٥٥٤ - ٥٥٥ - ٥٥٦ - ٥٥٧ - ٥٥٨ - ٥٥٩ - ٥٦٠ - ٥٦١ - ٥٦٢ - ٥٦٣ - ٥٦٤ - ٥٦٥ - ٥٦٦ - ٥٦٧ - ٥٦٨ - ٥٦٩ - ٥٧٠ - ٥٧١ - ٥٧٢ - ٥٧٣ - ٥٧٤ - ٥٧٥ - ٥٧٦ - ٥٧٧ - ٥٧٨ - ٥٧٩ - ٥٨٠ - ٥٨١ - ٥٨٢ - ٥٨٣ - ٥٨٤ - ٥٨٥ - ٥٨٦ - ٥٨٧ - ٥٨٨ - ٥٨٩ - ٥٩٠ - ٥٩١ - ٥٩٢ - ٥٩٣ - ٥٩٤ - ٥٩٥ - ٥٩٦ - ٥٩٧ - ٥٩٨ - ٥٩٩ - ٦٠٠ - ٦٠١ - ٦٠٢ - ٦٠٣ - ٦٠٤ - ٦٠٥ - ٦٠٦ - ٦٠٧ - ٦٠٨ - ٦٠٩ - ٦١٠ - ٦١١ - ٦١٢ - ٦١٣ - ٦١٤ - ٦١٥ - ٦١٦ - ٦١٧ - ٦١٨ - ٦١٩ - ٦٢٠ - ٦٢١ - ٦٢٢ - ٦٢٣ - ٦٢٤ - ٦٢٥ - ٦٢٦ - ٦٢٧ - ٦٢٨ - ٦٢٩ - ٦٣٠ - ٦٣١ - ٦٣٢ - ٦٣٣ - ٦٣٤ - ٦٣٥ - ٦٣٦ - ٦٣٧ - ٦٣٨ - ٦٣٩ - ٦٤٠ - ٦٤١ - ٦٤٢ - ٦٤٣ - ٦٤٤ - ٦٤٥ - ٦٤٦ - ٦٤٧ - ٦٤٨ - ٦٤٩ - ٦٥٠ - ٦٥١ - ٦٥٢ - ٦٥٣ - ٦٥٤ - ٦٥٥ - ٦٥٦ - ٦٥٧ - ٦٥٨ - ٦٥٩ - ٦٦٠ - ٦٦١ - ٦٦٢ - ٦٦٣ - ٦٦٤ - ٦٦٥ - ٦٦٦ - ٦٦٧ - ٦٦٨ - ٦٦٩ - ٦٧٠ - ٦٧١ - ٦٧٢ - ٦٧٣ - ٦٧٤ - ٦٧٥ - ٦٧٦ - ٦٧٧ - ٦٧٨ - ٦٧٩ - ٦٨٠ - ٦٨١ - ٦٨٢ - ٦٨٣ - ٦٨٤ - ٦٨٥ - ٦٨٦ - ٦٨٧ - ٦٨٨ - ٦٨٩ - ٦٩٠ - ٦٩١ - ٦٩٢ - ٦٩٣ - ٦٩٤ - ٦٩٥ - ٦٩٦ - ٦٩٧ - ٦٩٨ - ٦٩٩ - ٧٠٠ - ٧٠١ - ٧٠٢ - ٧٠٣ - ٧٠٤ - ٧٠٥ - ٧٠٦ - ٧٠٧ - ٧٠٨ - ٧٠٩ - ٧١٠ - ٧١١ - ٧١٢ - ٧١٣ - ٧١٤ - ٧١٥ - ٧١٦ - ٧١٧ - ٧١٨ - ٧١٩ - ٧٢٠ - ٧٢١ - ٧٢٢ - ٧٢٣ - ٧٢٤ - ٧٢٥ - ٧٢٦ - ٧٢٧ - ٧٢٨ - ٧٢٩ - ٧٣٠ - ٧٣١ - ٧٣٢ - ٧٣٣ - ٧٣٤ - ٧٣٥ - ٧٣٦ - ٧٣٧ - ٧٣٨ - ٧٣٩ - ٧٤٠ - ٧٤١ - ٧٤٢ - ٧٤٣ - ٧٤٤ - ٧٤٥ - ٧٤٦ - ٧٤٧ - ٧٤٨ - ٧٤٩ - ٧٥٠ - ٧٥١ - ٧٥٢ - ٧٥٣ - ٧٥٤ - ٧٥٥ - ٧٥٦ - ٧٥٧ - ٧٥٨ - ٧٥٩ - ٧٦٠ - ٧٦١ - ٧٦٢ - ٧٦٣ - ٧٦٤ - ٧٦٥ - ٧٦٦ - ٧٦٧ - ٧٦٨ - ٧٦٩ - ٧٧٠ - ٧٧١ - ٧٧٢ - ٧٧٣ - ٧٧٤ - ٧٧٥ - ٧٧٦ - ٧٧٧ - ٧٧٨ - ٧٧٩ - ٧٨٠ - ٧٨١ - ٧٨٢ - ٧٨٣ - ٧٨٤ - ٧٨٥ - ٧٨٦ - ٧٨٧ - ٧٨٨ - ٧٨٩ - ٧٩٠ - ٧٩١ - ٧٩٢ - ٧٩٣ - ٧٩٤ - ٧٩٥ - ٧٩٦ - ٧٩٧ - ٧٩٨ - ٧٩٩ - ٨٠٠ - ٨٠١ - ٨٠٢ - ٨٠٣ - ٨٠٤ - ٨٠٥ - ٨٠٦ - ٨٠٧ - ٨٠٨ - ٨٠٩ - ٨١٠ - ٨١١ - ٨١٢ - ٨١٣ - ٨١٤ - ٨١٥ - ٨١٦ - ٨١٧ - ٨١٨ - ٨١٩ - ٨٢٠ - ٨٢١ - ٨٢٢ - ٨٢٣ - ٨٢٤ - ٨٢٥ - ٨٢٦ - ٨٢٧ - ٨٢٨ - ٨٢٩ - ٨٣٠ - ٨٣١ - ٨٣٢ - ٨٣٣ - ٨٣٤ - ٨٣٥ - ٨٣٦ - ٨٣٧ - ٨٣٨ - ٨٣٩ - ٨٤٠ - ٨٤١ - ٨٤٢ - ٨٤٣ - ٨٤٤ - ٨٤٥ - ٨٤٦ - ٨٤٧ - ٨٤٨ - ٨٤٩ - ٨٥٠ - ٨٥١ - ٨٥٢ - ٨٥٣ - ٨٥٤ - ٨٥٥ - ٨٥٦ - ٨٥٧ - ٨٥٨ - ٨٥٩ - ٨٦٠ - ٨٦١ - ٨٦٢ - ٨٦٣ - ٨٦٤ - ٨٦٥ - ٨٦٦ - ٨٦٧ - ٨٦٨ - ٨٦٩ - ٨٧٠ - ٨٧١ - ٨٧٢ - ٨٧٣ - ٨٧٤ - ٨٧٥ - ٨٧٦ - ٨٧٧ - ٨٧٨ - ٨٧٩ - ٨٨٠ - ٨٨١ - ٨٨٢ - ٨٨٣ - ٨٨٤ - ٨٨٥ - ٨٨٦ - ٨٨٧ - ٨٨٨ - ٨٨٩ - ٨٩٠ - ٨٩١ - ٨٩٢ - ٨٩٣ - ٨٩٤ - ٨٩٥ - ٨٩٦ - ٨٩٧ - ٨٩٨ - ٨٩٩ - ٩٠٠ - ٩٠١ - ٩٠٢ - ٩٠٣ - ٩٠٤ - ٩٠٥ - ٩٠٦ - ٩٠٧ - ٩٠٨ - ٩٠٩ - ٩١٠ - ٩١١ - ٩١٢ - ٩١٣ - ٩١٤ - ٩١٥ - ٩١٦ - ٩١٧ - ٩١٨ - ٩١٩ - ٩٢٠ - ٩٢١ - ٩٢٢ - ٩٢٣ - ٩٢٤ - ٩٢٥ - ٩٢٦ - ٩٢٧ - ٩٢٨ - ٩٢٩ - ٩٣٠ - ٩٣١ - ٩٣٢ - ٩٣٣ - ٩٣٤ - ٩٣٥ - ٩٣٦ - ٩٣٧ - ٩٣٨ - ٩٣٩ - ٩٤٠ - ٩٤١ - ٩٤٢ - ٩٤٣ - ٩٤٤ - ٩٤٥ - ٩٤٦ - ٩٤٧ - ٩٤٨ - ٩٤٩ - ٩٥٠ - ٩٥١ - ٩٥٢ - ٩٥٣ - ٩٥٤ - ٩٥٥ - ٩٥٦ - ٩٥٧ - ٩٥٨ - ٩٥٩ - ٩٦٠ - ٩٦١ - ٩٦٢ - ٩٦٣ - ٩٦٤ - ٩٦٥ - ٩٦٦ - ٩٦٧ - ٩٦٨ - ٩٦٩ - ٩٧٠ - ٩٧١ - ٩٧٢ - ٩٧٣ - ٩٧٤ - ٩٧٥ - ٩٧٦ - ٩٧٧ - ٩٧٨ - ٩٧٩ - ٩٨٠ - ٩٨١ - ٩٨٢ - ٩٨٣ - ٩٨٤ - ٩٨٥ - ٩٨٦ - ٩٨٧ - ٩٨٨ - ٩٨٩ - ٩٩٠ - ٩٩١ - ٩٩٢ - ٩٩٣ - ٩٩٤ - ٩٩٥ - ٩٩٦ - ٩٩٧ - ٩٩٨ - ٩٩٩ - ١٠٠٠ - ١٠٠١ - ١٠٠٢ - ١٠٠٣ - ١٠٠٤ - ١٠٠٥ - ١٠٠٦ - ١٠٠٧ - ١٠٠٨ - ١٠٠٩ - ١٠١٠ - ١٠١١ - ١٠١٢ - ١٠١٣ - ١٠١٤ - ١٠١٥ - ١٠١٦ - ١٠١٧ - ١٠١٨ - ١٠١٩ - ١٠٢٠ - ١٠٢١ - ١٠٢٢ - ١٠٢٣ - ١٠٢٤ - ١٠٢٥ - ١٠٢٦ - ١٠٢٧ - ١٠٢٨ - ١٠٢٩ - ١٠٣٠ - ١٠٣١ - ١٠٣٢ - ١٠٣٣ - ١٠٣٤ - ١٠٣٥ - ١٠٣٦ - ١٠٣٧ - ١٠٣٨ - ١٠٣٩ - ١٠٤٠ - ١٠٤١ - ١٠٤٢ - ١٠٤٣ - ١٠٤٤ - ١٠٤٥ - ١٠٤٦ - ١٠٤٧ - ١٠٤٨ - ١٠٤٩ - ١٠٥٠ - ١٠٥١ - ١٠٥٢ - ١٠٥٣ - ١٠٥٤ - ١٠٥٥ - ١٠٥٦ - ١٠٥٧ - ١٠٥٨ - ١٠٥٩ - ١٠٦٠ - ١٠٦١ - ١٠٦٢ - ١٠٦٣ - ١٠٦٤ - ١٠٦٥ - ١٠٦٦ - ١٠٦٧ - ١٠٦٨ - ١٠٦٩ - ١٠٧٠ - ١٠٧١ - ١٠٧٢ - ١٠٧٣ - ١٠٧٤ - ١٠٧٥ - ١٠٧٦ - ١٠٧٧ - ١٠٧٨ - ١٠٧٩ - ١٠٨٠ - ١٠٨١ - ١٠٨٢ - ١٠٨٣ - ١٠٨٤ - ١٠٨٥ - ١٠٨٦ - ١٠٨٧ - ١٠٨٨ - ١٠٨٩ - ١٠٩٠ - ١٠٩١ - ١٠٩٢ - ١٠٩٣ - ١٠٩٤ - ١٠٩٥ - ١٠٩٦ - ١٠٩٧ - ١٠٩٨ - ١٠٩٩ - ١١٠٠ - ١١٠١ - ١١٠٢ - ١١٠٣ - ١١٠٤ - ١١٠٥ - ١١٠٦ - ١١٠٧ - ١١٠٨ - ١١٠٩ - ١١١٠ - ١١١١ - ١١١٢ - ١١١٣ - ١١١٤ - ١١١٥ - ١١١٦ - ١١١٧ - ١١١٨ - ١١١٩ - ١١٢٠ - ١١٢١ - ١١٢٢ - ١١٢٣ - ١١٢٤ - ١١٢٥ - ١١٢٦ - ١١٢٧ - ١١٢٨ - ١١٢٩ - ١١٣٠ - ١١٣١ - ١١٣٢ - ١١٣٣ - ١١٣٤ - ١١٣٥ - ١١٣٦ - ١١٣٧ - ١١٣٨ - ١١٣٩ - ١١٤٠ - ١١٤١ - ١١٤٢ - ١١٤٣ - ١١٤٤ - ١١٤٥ - ١١٤٦ - ١١٤٧ - ١١٤٨ - ١١٤٩ - ١١٥٠ - ١١٥١ - ١١٥٢ - ١١٥٣ - ١١٥٤ - ١١٥٥ - ١١٥٦ - ١١٥٧ - ١١٥٨ - ١١٥٩ - ١١٦٠ - ١١٦١ - ١١٦٢ - ١١٦٣ - ١١٦٤ - ١١٦٥ - ١١٦٦ - ١١٦٧ - ١١٦٨ - ١١٦٩ - ١١٧٠ - ١١٧١ - ١١٧٢ - ١١٧٣ - ١١٧٤ - ١١٧٥ - ١١٧٦ - ١١٧٧ - ١١٧٨ - ١١٧٩ - ١١٨٠ - ١١٨١ - ١١٨٢ - ١١٨٣ - ١١٨٤ - ١١٨٥ - ١١٨٦ - ١١٨٧ - ١١٨٨ - ١١٨٩ - ١١٩٠ - ١١٩١ - ١١٩٢ - ١١٩٣ - ١١٩٤ - ١١٩٥ - ١١٩٦ - ١١٩٧ - ١١٩٨ - ١١٩٩ - ١٢٠٠ - ١٢٠١ - ١٢٠٢ - ١٢٠٣ - ١٢٠٤ - ١٢٠٥ - ١٢٠٦ - ١٢٠٧ - ١٢٠٨ - ١٢٠٩ - ١٢١٠ - ١٢١١ - ١٢١٢ - ١٢١٣ - ١٢١٤ - ١٢١٥ - ١٢١٦ - ١٢١٧ - ١٢١٨ - ١٢١٩ - ١٢٢٠ - ١٢٢١ - ١٢٢٢ - ١٢٢٣ - ١٢٢٤ - ١٢٢٥ - ١٢٢٦ - ١٢٢٧ - ١٢٢٨ - ١٢٢٩ - ١٢٣٠ - ١٢٣١ - ١٢٣٢ - ١٢٣٣ - ١٢٣٤ - ١٢٣٥ - ١٢٣٦ - ١٢٣٧ - ١٢٣٨ - ١٢٣٩ - ١٢٤٠ - ١٢٤١ - ١٢٤٢ - ١٢٤٣ - ١٢٤٤ - ١٢٤٥ - ١٢٤٦ - ١٢٤٧ - ١٢٤٨ - ١٢٤٩ - ١٢٥٠ - ١٢٥١ - ١٢٥٢ - ١٢٥٣ - ١٢٥٤ - ١٢٥٥ - ١٢٥٦ - ١٢٥٧ - ١٢٥٨ - ١٢٥٩ - ١٢٦٠ - ١٢٦١ - ١٢٦٢ - ١٢٦٣ - ١٢٦٤ - ١٢٦٥ - ١٢٦٦ - ١٢٦٧ - ١٢٦٨ - ١٢٦٩ - ١٢٧٠ - ١٢٧١ - ١٢٧٢ - ١٢٧٣ - ١٢٧٤ - ١٢٧٥ - ١٢٧٦ - ١٢٧٧ - ١٢٧٨ - ١٢٧٩ - ١٢٨٠ - ١٢٨١ - ١٢٨٢ - ١٢٨٣ - ١٢٨٤ - ١٢٨٥ - ١٢٨٦ - ١٢٨٧ - ١٢٨٨ - ١٢٨٩ - ١٢٩٠ - ١٢٩١ - ١٢٩٢ - ١٢٩٣ - ١٢٩٤ - ١٢٩٥ - ١٢٩٦ - ١٢٩٧ - ١٢٩٨ - ١٢٩٩ - ١٣٠٠ - ١٣٠١ - ١٣٠٢ - ١٣٠٣ - ١٣٠٤ - ١٣٠٥ - ١٣٠٦ - ١٣٠٧ - ١٣٠٨ - ١٣٠٩ - ١٣١٠ - ١٣١١ - ١٣١٢ - ١٣١٣ - ١٣١٤ - ١٣١٥ - ١٣١٦ - ١٣١٧ - ١٣١٨ - ١٣١٩ - ١٣٢٠ - ١٣٢١ - ١٣٢٢ - ١٣٢٣ - ١٣٢٤ - ١٣٢٥ - ١٣٢٦ - ١٣٢٧ - ١٣٢٨ - ١٣٢٩ - ١٣٣

من جهة أخرى بدأت بعض دور النشر بربطي الشركات
 بتبعية مستوردة والمصالح وبرنامج حول التمييز قبل المرحلة
 الدراسية وأخذت يوجد في الأسواق منتجات متنوعة للأطفال
 منسوبة للطلقات والتمهيدات بألوان متنوع ومقابل وحول
 الاستفادة وحسن طهيبة وحسن الله ورسوله ومع أن أعداد هذه
 الكتب ليست كثيرة إلا أنها موجودة بأعدادها ومتنوعاتها في
 الواقع مستمر ولتقوم الكثير من المبررات والأدوات للمادة
 لتزويدها للثروة بالنسبة دور إيجابي في تطوير القدرة الاجتماعية
 والقدرة للطفل إلا أن على الأخصاء القيام بمحاولة الأطفال في
 استيعاب هذه المواد. فالأطفال عمومهم يطرح أسئلة عديدة
 وهم يتعلمون هذه المواد أو يقرأون هذه القصص ويحبها
 الإجابة على هذه الأسئلة بشكل صحيح وذو شأن في ذلك.
 بهذه الأخيرة على، تحسن الطفل وتكرره وروحه فإن
 تعلمت في هذه العصور ويستطيع الاستفادة الكاملة منها
 ولكن المؤسسات المختصة بتربية الطفل تستطيع الاستفادة من
 هذه المواد بشكل أفضل ضمن خطة معينة لتعليم الطفل على
 الاستفادة الكاملة منها.

تأثير التعليم قبل المرحلة الدراسية

إن وضع معلوم جديد لتقديم نتائج التعليم قبل المرحلة الدراسية
 يعد مشكلة مهمة ومع هذا فقد استحدثت مبادئ جديدة في
 هذا الصدد منها مدى نجاح الطفل في دراسة الدراسة مما
 يصنع. وكذلك مدى نجاحه في الحصول على صواب في مدى عمله
 عن تركيزه في الملاحظات الطولية. فقد اهتمت مثلا في الولايات
 المتحدة الأمريكية بتركيز على آلاف الأطفال الذين هم من مثل
 هذه البرامج، وأثبتت هذه الدراسات أن الأطفال الذين تلقوا هذه
 البرامج اهتموا أكثر في هذه البرامج، كانوا أسرع في تعلم
 وأكثر نجاحا في حلحلة الأمور للدراسة التالية. بالإضافة إلى
 أن تفكيرهم الاجتماعي كان أفضل، وسبب حصولهم على أفضل
 بعد التخرج أكثر. وبسبب لتفكيرهم بقرائن لكل كذا في الواقع
 المصغر على النجاح أكثر وعلى وظائف قيمة في منتهى أكتبيهم
 شخصية مستقرة وأكثر إيجابية أي حصول على مكاسب للنسبة
 منها. وقد تم عزو كل هذه النتائج الإيجابية إلى أكثر هذه البرامج
 في تطوير تفكيرهم في التحصيل وإلى حواسل عديدة أخرى مثل

حوسب الملم والمثالية فيه والفاعلية للثقافة هذه الحواسل
 ويرجع إلى الأطفال الذين تلقوا هذه البرامج التعليمية الجسدية
 قبل المرحلة الدراسية تطورت تفكيرهم منذ البداية في الحياة
 وتمت خيالهم في هذه المدة بسهولة على جانب زيادة تفكيرهم
 من تعليمهم، فهم يأخذوا اهتماما خديعة بتربية وفئة أكثر
 كما تمت عندهم القدرة للعمل الاجتماعي

إذ لا تلك المعلومات ولا تفرقت حول مدى تأثر هذه
 البرامج التعليمية قبل المرحلة الدراسية على توجيه وتنشئة
 انتشار الاستعدادات في الحياة لدى الطفل كالاتجاهات والخصائص
 وحسن العمل. حسب المستند والوقاء، وذكر هناك لفتاة سافرة
 بشأن هذه المدة لمرحلة قصيرة هي أكثر لتدريس قبلية على أكثر
 وعلى تشكيل شخصية الطفل

في السويد التي تمتد من الفصل الأول في تعليم الأطفال
 بعد التخرج للتركيز في أرقى مستوى. ظهر أنه كلما طالت
 عتبات هذا التعليم بشكل أكبر للأطفال، كانت النتائج إيجابية
 إيجابية النتائج تتناسب طرديا مع مدى جودة مستوى الدراسة
 في تخرج هذه الفئة

التعليم للتركيز والآثار الاجتماعية

لكل مجتمع حاجة عظيمة في عتبات الأطفال فالهجرة مثلا لكي
 يتأقلموا وحواسلهم في المجتمع وفي العام، لتدريس تعليمهم
 الالتحاق بالأسواق في عام الهجرة. فالأمر تحقيق
 التوافق في العلاقات الإنسانية بعد وصولهم إلى بلدانهم أطفالهم هذه
 المصاعب والتأقلم بعد وصولهم إلى البلد. فالأمر تحقيق
 عتبات أطفالهم بحيث يتمكنون بسرعة مع أهل البلد في الحياة
 الأكرام الإنسانية فيرى في اتصال المصاعب النفسية والارتباط
 بالوطن أهم عوامل التأقلم والقيم التي يجب أن يتأقلم عليها الأطفال
 من كذا في أهم المبررات. تعليمهم الاجتماعي الذي
 تعلم هذه العلاقات في حرية الأطفال في طبيعة التوافق والاندماج
 والوقاء، ولأنهم للحد من الآخرين وسهولة التأقلم معهم وبعد هذه
 المصاعب والتأقلم. أنهم العلاقات بالوصف أخرى كتنمية القدرة
 التفكير. والتأقلم، والارتباط بالقيم الخديعة الخديعة
 وحرية التفكير وسهولة التأقلم عن باقي النعم بالسهولة
 وهناك علاقات تعلم في مرحلة ما قبل الدراسة لتطوير القدرة

التصميم في العنق، كسرحة تعلمه الاستعداد والجهد للزلازل،
ومرعا علما بعض المصطلحات والأحكام، وبخلافه إن هذا هو
جزء من ثقافة الإنسان هذا الفرد عندما قد تعبر قضية حرية
الطفل وتعليمه بتشكيل كلى، وبخاصة في الاقتصاد، حتى يعلم
القيمة للنسبة ذكاء الطفل سيؤدي إلى تنمية الآثار الإيجابية
للأمر الضرورية الأخرى، فلا إن تقهر تلك الطفل بجمعه قد
يصبح الطريق إلى نصر في البناء لتقديم في الفاحية الثقافية،
يسود في تلك الطريق الآخر إلى تقليل فحمة ذلك كانه إلى حيرة في
اشباع للرسي، ولذا فنل في سفل حياه لنا يجب ألا نحر
الطفل في هذا فنل على سفل الحياه ميتة، رأيا يوضع في ممراته
!، بانه مع غيره.

تطوير الحقة بالثقل لدى الطفل

لكي يطور الطفل تلك طبعه ويوجد حليس الجاهزة، وتصرنا
بشكل معطل على كارب عهد ستماني إلى -ولاسيما
انه مستخدم ومساعدته في هذا الأمر فإن كان الطفل يتلقى
التعليم في مؤسسة تعطي التعليم المبكر يجب إعطاء هذه الجاهزة
رشدًا به للطفل من قبل هذه المؤسسة بالتعاون مع حالته فإن
تم يكن في استطاعته الاستفادة من كل مدة للمؤسسة التعليمية
بشكل إعطاء الجاهزة الموجه التعليمية فليكنه لأطفاله ولكن
لا يوجد في ذلكا مثل هذا الطفل، انه للفرح حياه فهو امتراك
الجاهزة في الفنون والاسماع إلى محاضرات كتاب هذه الأمور
أو معاهدة البرامج التلفزيونية أو الاستماع إلى برامج في الإذاعة
تتكون هذه المنفعة، وعلى -تسمى- إلى اشاعت للجاهزة
سرب كهيئة تصرف مع الأطفال، ولكن لا يمكنه عد هذا الأمر
وناهي من برامج التعليم.

بعد أن ينع الطفل السنة الأولى من عمره يقرر شجاعة إلى
تجربة انسيبه جديدة، لذا يحتاج إلى اللعب مع أطفاله في سنه ثم
أكثر من سنه فحينما ينع الطفل هذا الأمر ويكرر الأجسام
المولوسي له قد تكمل عند اللعب مع لقرانه وتقبل حية الألق
عندما يردد سيم أو يربط اللعب معه كذا أنه يحصل في حده
لحظة الصغرة إلى عمل الأمر القصي عند الجاه من سفل
لفظه إلى المؤسسات التعليمية التي تظم كل شيء منسجه جاهزة
الأطفال عند مسهولة من اللعب معه، لأن للقيمة يسر وتظم

هذا الأمر، إن أثناء اللعب مع كراته يستطيع ان يقهر حلقه
وما يستطيع عمله والبناء، ويكتسب عادة الجاه له حيلة مع
غوره والأشغال معهم في اللعب، وعندها يلعب مع خيرة سبدر
لحبه قوامه اللعب، يفسر على ضرورية التوافق والتعاون مع
الأخرى، وعندها يرى أنه لا يستطيع في كل مرة عند اللعب إلى
بدو حيلة له، يتبدل لغيره وتصبح، وعندها يقوم بصياغة صورة
بعض ضرورية حياه، خلق الآخرى، يقدم عبد للشاركة كما
يطلب من مراقبه اصلا، كيد يأكل وحده وكيف يسر عمله
بعضه، ويكتسب عدد السمات، وهكذا يصبح الطفل بـ فسر
بشكل سفل وح في هذه فاهة اجتماعية، وتزداد الفاهة في
تصير من قبه يدرى عورله من الكلمات.

ونستطع عند تلك سيات التعليمية في سبل الأطفال بالبحر
الغنى والظن من أنفسهم، فكل من سعة أخرى يتصور
الأطفال بتدليل كسره انهم، إلى هناك أنل انان أكثر
حية في تلك كرات، أي أكثر اجتماعية.

الصحية

أهم الأمهات العائلات، زيادة الطفاق في سماعات حملهم إلى
أخرى لتتالية اسم، الطم قد يسر رعائهم لطفه في انسيبه
برعاهم، لذا فإنه بدلا من إيداع الطفل عند حالته، يكون من
الأفضل حسن لاجية تطوير قلوبها من جميع الأم، هي -تفهمه
في مؤسسة تعليمية ذات مستوى حية يمكن المراقبه -، حتى
الأمهات ذو الممارسة في حياه إلى مثل هذه تلكا، وليس
سمن الصحيح قيام للمصنع باتباع هذه الأم على أساس لها لا
يستطيع لمانا بطفل وحده، وإنما لا تقهر بالضرورة لمانه ولا
تقوم بتبسيها بتربيته وتعليمه بل تدع هذا الأمر إلى مؤسسة
مثل هذا التوم حمر صحيح ولا معنى له، لأن الطفل عندما يلعب
مع كراته ضمن نظام سفل وحمر حرية تفهمه مع، ضمن
حبه كطور قلوبها، ولهم هذا ليس لمانه جانب الطفل لوال
أبوابا بل حمر، الاهتمام بالعناية به ولو ذلكا حفرى حدة،
ولذلك يجب له رعاية حالته، مثل حله للغة العربية -، إلى
يجب تخصيصه له لإنشاء لطور نسبته سمته له متور
لهاك دون ذلك. ■

هذه كلمة بدمع، في فحمة من فحمة، يربطه سفل



الضوء الأبيض والأخضر

والضوء الأبيض هو جسدهم جميعاً من موجات ذات أطوال
مختلفة جميعها من الكمية على بعضها البعض ولكن عيناها لا يفرقها
في تنوع، ومعاني أو هو ذلك من أسود أبيض، طبيعي، وقد
يسمى التعرف على جميع من تلك الموجات، أنتم ما هو العلم
الطبيعي، أن يقرر طرق معرفة من 2 المختصين، انهما
من الطبيب الآخر أو يقرب طرق معرفة من 4 المختصين
بينهما انفرادي، والأصغر والأصغر والأدرك وهم ذلك من
الطوبى لخدمة في بينهم عينا بين تلك الموجات السبعة، وأن كانت
حين الإنسان لا يستطيع أن يمر منها سوى هذه الأجزاء قليلة

المنهجيات ذات الكمية الظاهرة

تصبح طائفة المسلمين من عمدة الإنعاج القوي والي يتم فيها
تخصد أربعة من ذوي كرامات الأئمة حين تفتح بوابة دافعه من
مورد كرامات الميامين، يظن الفرق بين مجموع كلا الأربع ذوي
الكرامات الأندلسيين وكلمة مودة التبرير مع معنى خيرة طائفة وتساوي
٢٠٧ وعنده ذرية ذلك تفاهل!! وهذه الطائفة تتباهى من
تتلق المصيدة يكون غافلياً على حيلة منسجمة جاداً حوالي ١٩٦٠
جاء قتل علي حجة الخوارج بدماء *Al-Buhārī* (في حدود ١٩٦٠)
ومر حالاً لا تصوب لخدمة جاداً إلى حوزة جنباً قارب الميوريات
في الحال الغد

يرشد القرارات المتخذة في هذا المجال للتوضيح ضد هذا
التركيب الكيميائي. على غرار، الإندوسين (إسول) (٢.٩)،
رافينوسوم (سول) (٢.٩) مع آثار طفيفة من تناسل أموري على
التركيب الطي، حيث أن التركيبين في حدود (٢.٩)

ولمّا تكرر لتسليمي تلك الوثيقة المنزّية بدأت فريضة حاروا
من الإكراه، وبحثت وصون الحمر، إلى الملبوس، درجة دعوة بدأت
محبّة الانسجام فتروني في التعامل، وأقبلت الفطنة الحرة للتمسّس
في ريفت درجة حاروا فحرره بها إلى أكثر من ٥ عنوان درجة
تكونوا رفعت حرة حرة سطحية إلى ٩ درجة مفرقة
وخطية الانسجام فتروني في جسد التمسّس حبة مفردة
لكنها بولا حامي للدمج، في فصلها حاروا، لا يجب على الحار
من حبة التماس، ولكن عملة على القصة في الإكراه ينسب
غير في قلب التمسّس من ٩ إلى حوالي ٥، إلى علاج طلبة
التمسّس لفظة في القلب فكبر مفادها، الذي ردد الأرض

[illegible]

وعلى ذلك فإن مصادر الطور هي مصدر مادية لها
عائل من مصطلحات لغوية لتشار بواسطة رفع حزمة لغوية
من نسل الإنكليزية ذات وجودها من اللغات الأوربية للعامة رافد
مصادر الطور بالشيء له وأعلى الكثرة في القسم ذي أوجهها
من عملة الكمال في اللغة.

والمناسبات الفكرية التي تتجلى في ضوء من طرفين بسبب ذلك
من مفاهيم الإبداع، ركزت في جانب دراسة بقرارة زادت كمية
الصور المستعملة وارتفعت معدلات تردد مفرداته ونظم الفعلية
تتغير في ظل المسرع، وارتفاعه بواسطة احتكاك الزيت (أمر مثل
بيت الخزون، أو الخط الكورمور، أو الكورمور) فيفتح برسمه
الترددات التي تنحصر في كلاً، وتلعب درجة حرارته وارتفاعه
على مستوى الصور، لذلك يزداد كمها الضوء الصادر عنها
تدريجياً، وبالتالي تدور

وعلى ذلك فإن الجسم الذي عندما يسخن فإنه يمتد يمتد إلى أعلى فرفع درجة حرارته بآلة و سطة متحركة
تجذب السطح المتحرك إلى أعلى في درجات الحرارة العالية
والسفن التي تبتلع أي من الطوفونات في المحيطات يتم
تسديد خلاص عربات الطيف الكوني، متطابقين ومنها
محطات الفضاء التي مع بعضها البعض تتعامل كما كانت
في حوض الكون في القوس غير المتطرفة، لأن الوسائط
الكهرومغناطيسية ترفع درجة ارتباطها مع بعضها
وسواء التفسير عند مرور في الطبقات العليا من الغلاف



الحادي للأرض وتصوره الجديد من سميات

الانتماءات التي كانت لأسماءكم في

كل من هيكليات الدار وقطرات

لذلك بالذات وجرت أحوالكم

لوجوده في حال حب

في هذا سر من التلازم

الذي يسهل من جعلكم

هناك الأسماء التي هي

الذي يسهل من جعلكم

من القدر

كلما كنت تتعرض له

فإنه من المهم أن

صنعت التشتت والاعتماد

عندما يسقط على سطح القمر

للحكمة بالقدرة من الطاقات الخارجية

والتي هي من طاقات الأرض هذا المصطلح

الذي هو المصطلح على سطح القمر

بوجوده من سر من التشتت

لا ضرة في ذلك كما يمكن أن

التي هي من طاقات الأرض هذا المصطلح

الذي هو المصطلح على سطح القمر

بوجوده من سر من التشتت

لا ضرة في ذلك كما يمكن أن

التي هي من طاقات الأرض هذا المصطلح

الذي هو المصطلح على سطح القمر

بوجوده من سر من التشتت

لا ضرة في ذلك كما يمكن أن

التي هي من طاقات الأرض هذا المصطلح

الذي هو المصطلح على سطح القمر

بوجوده من سر من التشتت

لا ضرة في ذلك كما يمكن أن

التي هي من طاقات الأرض هذا المصطلح

الذي هو المصطلح على سطح القمر

بوجوده من سر من التشتت

لا ضرة في ذلك كما يمكن أن

التي هي من طاقات الأرض هذا المصطلح

الذي هو المصطلح على سطح القمر

بأنه من طاقات الأرض هذا المصطلح

الذي هو المصطلح على سطح القمر

بوجوده من سر من التشتت

لا ضرة في ذلك كما يمكن أن

التي هي من طاقات الأرض هذا المصطلح

الذي هو المصطلح على سطح القمر

بوجوده من سر من التشتت

لا ضرة في ذلك كما يمكن أن

التي هي من طاقات الأرض هذا المصطلح

الذي هو المصطلح على سطح القمر

بوجوده من سر من التشتت

لا ضرة في ذلك كما يمكن أن

التي هي من طاقات الأرض هذا المصطلح

الذي هو المصطلح على سطح القمر

بوجوده من سر من التشتت

لا ضرة في ذلك كما يمكن أن

التي هي من طاقات الأرض هذا المصطلح

الذي هو المصطلح على سطح القمر

بوجوده من سر من التشتت

لا ضرة في ذلك كما يمكن أن

التي هي من طاقات الأرض هذا المصطلح

الذي هو المصطلح على سطح القمر

بوجوده من سر من التشتت

لا ضرة في ذلك كما يمكن أن

التي هي من طاقات الأرض هذا المصطلح

الذي هو المصطلح على سطح القمر

بوجوده من سر من التشتت

لا ضرة في ذلك كما يمكن أن

التي هي من طاقات الأرض هذا المصطلح

الذي هو المصطلح على سطح القمر

بوجوده من سر من التشتت

لا ضرة في ذلك كما يمكن أن

التي هي من طاقات الأرض هذا المصطلح

الذي هو المصطلح على سطح القمر

بوجوده من سر من التشتت

لا ضرة في ذلك كما يمكن أن

التي هي من طاقات الأرض هذا المصطلح

الدقة العالية في التفريق

في المصطلحات من جسم مفتوح

بمعنى مصطلحات من جسم مفتوح

على جسم من جسم مفتوح

لا يمكن أن يكون لها مصدر من قبل ألف وأربعمائة

منه إلا أنه حالي في الفروق الدقيقة لم يذكره

العلماء إلا في الفروع الخاصة ولا يزال في

رأينا كثير من الناس لا يدركونه

التي هي من طاقات الأرض هذا المصطلح

الذي هو المصطلح على سطح القمر

بوجوده من سر من التشتت

لا ضرة في ذلك كما يمكن أن

التي هي من طاقات الأرض هذا المصطلح

الذي هو المصطلح على سطح القمر

بوجوده من سر من التشتت

لا ضرة في ذلك كما يمكن أن

التي هي من طاقات الأرض هذا المصطلح

الذي هو المصطلح على سطح القمر

بوجوده من سر من التشتت

لا ضرة في ذلك كما يمكن أن

التي هي من طاقات الأرض هذا المصطلح

الذي هو المصطلح على سطح القمر

بوجوده من سر من التشتت

لا ضرة في ذلك كما يمكن أن

التي هي من طاقات الأرض هذا المصطلح

الذي هو المصطلح على سطح القمر

بوجوده من سر من التشتت

لا ضرة في ذلك كما يمكن أن

التي هي من طاقات الأرض هذا المصطلح

الذي هو المصطلح على سطح القمر

بوجوده من سر من التشتت

لا ضرة في ذلك كما يمكن أن

التي هي من طاقات الأرض هذا المصطلح

الذي هو المصطلح على سطح القمر

بوجوده من سر من التشتت

لا ضرة في ذلك كما يمكن أن

التي هي من طاقات الأرض هذا المصطلح

الذي هو المصطلح على سطح القمر

بوجوده من سر من التشتت

لا ضرة في ذلك كما يمكن أن

التي هي من طاقات الأرض هذا المصطلح

الذي هو المصطلح على سطح القمر

أغنية للروح

يحيى + المرحا

مدد مدد مدد

غيبك في الوجود لا

الآن القلبين اند و لاند

سبح الممالك

والعكايا

لا سريلت وه وله

اسم الجمال الكمال

واسلام

والصمود

• • •

مدد مدد مدد

حين نصيق الروح في الجسد

زنتنض العبد من شهادته الحبيب

فأش صحنه الحسد

بهذه القباب في مدى الروح

نعتري الحياة عمه

مظلمه من الكمد

ومفك كسر اسلاك في النهر

ونصرح لآله

ولا حد

• • •

مدد مدد مدد

يا حيا في السجود

اشعري كبره

ولا عدد

ولا اعد

و كلما رسم مصوء على الخلق

هواه لعمري د نعد

وحف صوب الباني

في ضمير الليالي

و تقعد او نأ نهم

عز حفا د سرود

د

مدد مدد مدد

النام في كبد

انما هي د سبها د و حياه

ولا مند

ليس لسحب مخا في صحارانا

ندد

الدمعري حتى

و لهم عي لقصه و ابعد

يا عيشي

مدد مدد مدد

علا

د

د





علاق الأديب العثماني "قنصولي"

4444

[illegible]

۱۰۰
 ۱۰۱
 ۱۰۲
 ۱۰۳
 ۱۰۴
 ۱۰۵
 ۱۰۶
 ۱۰۷
 ۱۰۸
 ۱۰۹
 ۱۱۰
 ۱۱۱
 ۱۱۲
 ۱۱۳
 ۱۱۴
 ۱۱۵
 ۱۱۶
 ۱۱۷
 ۱۱۸
 ۱۱۹
 ۱۲۰
 ۱۲۱
 ۱۲۲
 ۱۲۳
 ۱۲۴
 ۱۲۵
 ۱۲۶
 ۱۲۷
 ۱۲۸
 ۱۲۹
 ۱۳۰
 ۱۳۱
 ۱۳۲
 ۱۳۳
 ۱۳۴
 ۱۳۵
 ۱۳۶
 ۱۳۷
 ۱۳۸
 ۱۳۹
 ۱۴۰
 ۱۴۱
 ۱۴۲
 ۱۴۳
 ۱۴۴
 ۱۴۵
 ۱۴۶
 ۱۴۷
 ۱۴۸
 ۱۴۹
 ۱۵۰
 ۱۵۱
 ۱۵۲
 ۱۵۳
 ۱۵۴
 ۱۵۵
 ۱۵۶
 ۱۵۷
 ۱۵۸
 ۱۵۹
 ۱۶۰
 ۱۶۱
 ۱۶۲
 ۱۶۳
 ۱۶۴
 ۱۶۵
 ۱۶۶
 ۱۶۷
 ۱۶۸
 ۱۶۹
 ۱۷۰
 ۱۷۱
 ۱۷۲
 ۱۷۳
 ۱۷۴
 ۱۷۵
 ۱۷۶
 ۱۷۷
 ۱۷۸
 ۱۷۹
 ۱۸۰
 ۱۸۱
 ۱۸۲
 ۱۸۳
 ۱۸۴
 ۱۸۵
 ۱۸۶
 ۱۸۷
 ۱۸۸
 ۱۸۹
 ۱۹۰
 ۱۹۱
 ۱۹۲
 ۱۹۳
 ۱۹۴
 ۱۹۵
 ۱۹۶
 ۱۹۷
 ۱۹۸
 ۱۹۹
 ۲۰۰

هو من اعظم شعراء الترك المصنف كما يعرف من شعره
انه يهوى علمه في شعر العرب فهو من سلكه الاصفا
وخرى دون شعر التركي الملتزم في تأليفه عطف بلع فيما
تأليفه حتى عده العلامة حسنة في العصر في كتابه
"الطوبى للبتاني" ثمه علي المصنف التركي رفوف المصنف
باني "نظوي" سافر ملتزم في عهد عهده بالعلم والفن بقدر
في حقله فيوجه المصنف في "إلا الشعر فهو علم سحر لم غير
المصنف" وحده ألا يتعد" ويقدر في بيت له "كأن من يرفع
كلامه برمه بالصدق، وفي علم الكلام يتدبر دله" شعره غلب
بالصوف والمعمور بالحب ومتصور بالمشقة. والواقع رطام
القلب معطرب بالعلم ونفسه في علمه بالوصول والمقام
رفع المشقة في أحاسيسه الإنسانية إلى مغزج تصريفه وإليه
هو يشد بعض الأحيان ذوقه في "تغزلت باني" شعره صوفيا
إن لداني في سلكه المصور عنها تتلذذات في الأذن وفي الشعر
خاصة من عود الشعر القديم من عصر رائي، ينادي بـ "مر
في بيت من عصر من الكلام متدعة ومركبة" "طوبى" غير من
جميع هذه التقوى في شعره بل يحاذي من يرجع المعاني إلى الغلبة في
كل بيت من أبيات شعره، فليتلوه مليا وعرضا في التذلل.

التعميد: ١٠٠٠

[illegible]



فقه المجتمع نحو استئناف التأسيس

✽ د. محمد حمدي ✽

فقه المجتمع في الإسلام يمثل من غطاء نظري بسيط ما ناله هذا الفكر من إراث الفقه التقليدي، وهذا في ظاهري كذا الاهتمام به ضابطاً عملاً الأو. ثم جاء العهد التنظيمي للمصادر كما في عهد اجتماع علي سنجريته ويجوز صائر الأمر قلبي في عهد الميرزا في عهد الأكراد، إل يصطفا صاير في تنظيم تقدي عملها كثر طاعية مشروية. وهذا امر به سبب ما يندرج بها ان للمجتمع عظم الأثر في حياة سببها. كونهما هذا كان الفكر قبل الإسلام يتطعم في اسرهم وحسنهم وبالله، وهي من كانت تقوم على امراد قليلة سببها. انوارا وضع مع علم الأمية. شعور مع الأفراد فلا سوى الفرد ولا قد تملحها امراد في الكلاص. بعض هذا كنهه بعضه تقاير مجادية، والتمه من أكثر من هذا طائفي انتمى به هذا المظهر معاجلة عرجود واحد المصداق ولا يرى معر اعياض مع من عند الأمة إلى الآن.

من هنا فإن المبدأ اللباني الذي ساد في التنوع الإسلامي هذه المبادئ كما كلفه، و منه بالتالي قلبي الإضراب، فكثرة اللوس. في الكتاب والسنة في ترحيل بينوه فقه مجتمع والاد لا في عملة الوجهات كالأمر بالتشيرك. عجز على الأمر بالعودة وانتهي من لذلك التكاثر والانعصر من بها الإصاها بالي في

وهي توجهات علاجية في هذات الظروف من أجل خبرته على
اتباعه في حفظها ونيتها في احتاج إلى جهود مستأنف
لاستدراك الضرر الذي فيه

٢٠ - الاستعداد على إقامة الميثاق في القنوس فهدد للمسلم
من ضبط المؤسسة وبشره فيه خاص ما يستحق من الأحكام
التي يوظفها في حذات ثلثة مكاتب أكثر مما ينبغي فلما ضغط
الفرزح القديسي وكثرت التكريرات طفت الأوامر على المصطح
وعدم كبره ما يجرى للدين بيقين في المعبر حديث كثر
من التفرار والتشتيتات المتوعدة عليهم لهدد المزع الذي يركه
لصغرهم وقصورهم عن الاجتهاد بارة فله نستجمع وعطش

١٧ -

٢١ - بعد عهد الخلافة القليلة بقدر في للمصطح الإسلامي
وفي قتها في كتاب عبر لأبي موسى الأحمري في الله فيها
في القطعة سبلا - بعد على ثلثة إذ فيه توجهات إلى الله
والاستعداد كتاب فيه دعم وتمويل للمؤسسة القضائية في
كتاب مؤسسة قضائية مستقلة هي الدولة قائمة بالحد
والحد من من ربه لعب لأبي - الصلح في - (نعمه)
مطالب إلى ذلك الجهاد القضاء رقمهم وهو ما يحل فيه عبر
الله في كتابه إلى أبي موسى الله ما في قدر

لقد شهد عصر عمر الله فيها قديسي عظام القوي كما
شهد نهج مؤسسية الجهد في قتها في قدر عمر طار بمرره
لقد خاص ما من ذلك على مسبقا فلتلا - سعة للحد القصوى
السي ولما الميثاق فيها من لطف في ربة الفهر - فاذ على
مؤ في ما في أم للدين حلقة - في الله منها في صر لارة
على ربهما حيث ايمان بان لارة لا عصر على - وها أكثر
أربعة أشهر

الاعتراف بالثوري

بعد ان المرافقة كبر في هذا المسار يسجل بعد تلك في الفرزح
من الدولة الإسلامية قد على إلى الانشغال بالمصطح وضبابه
انتقال للقوي في طلة القوي، وانكم في الدولة القليلة على
أغراض دولة - ومع على الدولة المستقلة وحورج، وبناء عليها
رجع حرج - والمضبوط في رجاها مضبوط وحرج محرجة، ثم
انتقال سبلا الدولة من الناجل بالمقررات والمقررات للضمان

كسومرة المراسلة، والوجود، والاستعداد بالتمسك لتمام الدولة
القاضية في مصر - ومن ترقى الدولة السياسية وبره
الدولة القاضية جله جور للماليك وعدم ح

التيان نفسه في المرحب، حيث كان الامويون في الأندلس
إلى حين عهد المراسلة، والوجود، والتمسك بالتمسك بين ملوك الطوائف
في الطوائف السنية، السنية للتمسك في للمراسلة - الأندلس - ما في
بشكرا عام

٢٢ - اختصاره - يمكن من الاختصار بالمصطح هو للمراسلة في
رأى الاختصار بالتمسك أو بغير "باللات" - ومنه للمصطح في
نفسه - باللات - ما في - كان المرحد سبلا للدولة - فقد كان
الاختصار - كمال الاختصار - وانما في الترسمة الإسلامية - وتعليم
القوي - وإلى المرحب، والتمسك - والإستعداد - والمادة
رطوع السياسية على المراسلة معاملات للمصطح رتوجه لتكثف
الاختصار في -

٢٣ - بعد هذا بين أن الدولة الإسلامية كان تاريخها يخرج من
الوضوح - والاختصار - وإن - كما في - على - حلق - له صلة
لوضوحه - رأى فلا على معطاء للمسلمين حلال المراسلة - وهذا
أمر لا يمكن - وكان يمكن ان يكون - نولا - ذكرنا رأس
أخرى - لا يسع للقاء لكرها

المرحلة من التوجه الثوري

٢٤ - مخرج قديسي المرحد كانت جهود المصطح - مصبة على تطور
قصة المرحد - وتخصيصه لأن الدولة التهيبت بعد لفترة - اراسته
لما غير حرج - في - تمديد التهيبت في عمل مسؤولياتهم في
المصطح - وقديسي - وإن - أشهر - ما في - بالمرحلة - في الدولة
مخرج - المرحد - المراسلة - بعد كل المرحد في المرحد
قديسي، فاصبح الناس كثرهم في عمل للثوريات - وبشكرا
أمر بالمعروف والنهي عن المنكر - وبكلمة مختصرة - صار اصبح
الناس أكثرهم - المرحد - في - على - حرجة - رجاها
- ع - في - المرحد - الذي - بعد هذه الأم - في - حرج
الناس - المرحد - - إلى - تشر بالمعروف والنهي عن المنكر
قديسي - ورسول الله - في - في - المرحد - المرحد
رأى - منكم - حرج - بعد - في - المرحد - إن - في
بشكرا - وذلك - المرحد - المرحد -

فلما حلت هذه الوجوه بعد مقاومة الطبع فيها (١٧) من محرم
من الزمعة كالمسجد في علي ضي الله حينما وجد الله في
الزمر طي الله عنهما، وسعيد بر حرم الله الله وغوهم
واسم المسرولون لأعسهم بمرحهم، أمهم لهم. مسرولوا
سكرة مسرعة حسم

مضامح النور

صباح السنين بكتب حياته
عنى انشراح يسرى في حنة
وعنى كآوت الفان
ويكبر معني ابنه بدر يده
والاخيرين يعضو وغيره
الحب صبح لا يوار
وعظم الاكلما!

فاد العر مع تنانيد

والا اذات تناسيل

فد مع فضل على معني حبه بتعصي

وما من غلام عمر بمر القدر يستعني

ونشا اذ قلته التجميع رؤسائه بيلة على التجميع،
ومطالعا من الرتبة فوالصداه انهم الراحم قلته التوليد ومعهم
التوليد هم يترك وينشد بشارتات الطراوة والرسائل خات
قلته الأثر في قلته قبلت بشكل عامي؟ إذ لم يكر هم فتنهم
للحياة في الجملة الدنيا. يا. يعني انواعها على عرفت قلته
وهم استبعدوا الاستكثار الخاصة بتلك هم للتجميع. يظهرها على
بني هم التوليد قتلها قتل

وعند ما. هاج من أسباب ظفر هذا قلته وطبريد قلته
مصلحة قلته ما هو موجود منه مما ينبغي أن يتصور وينتقله
واخي لأمل إلى الاعتقاد بان قلته للتطور وهذا الاستطرد لا
يمكن إطلاقا أن يتم خارج الحركة السياسية، وأخرج إطاره من
امانات ومسؤوليات طبقية قلته لم تترك من مسؤوليات
الأمة. من قلته من غير قلته قلته، مقتصر بمصلحة شريته
لتأخير حصة الخبز في كل عصر وعصر. حين تكون للأمة
مستلزمات الأموال وكلما اكتسبها القوي الملازم مولادة وسيدية
وتجريد وتقليد. إلا قلته نغزو الاستعدادات أن يكون نظريه
عالمية. تطلقه بتجديد غير الانتدال. مقتضيه به جوده
للمستلزمات المتخصصة والمهنية التي تحتاج إلى استعدادات خاصة
بها. وهي استعدادات لا عرو صواب تكون ابتداء طلب سحر في
الأرض. وتظهر في تجارب الآخرين واستفاد منها

الله استبينوا ■

١٤ أول من قام للزراعة السابعة للبلاد في غرب

للمحس

١٥ بعد الحزم غرضه لأن قديمه ١٤

١٦ من الغربي، تلكا قرأت سياسة العرب في القلعة حيد ١٩٩٢ م. ٧



العرب ومنه انتقل إلى المشرق واسمها. ويرجع الخطر الأول
لثلاثة آراء الأول: أن هذا الفن ظهر في بابل، وأن بابل الفل
التي هي مصطلحاته يرجعون إلى اللغة البابلية القديمة. كما أن
مصر كانت هذا النوع تنحدر إلى ألف سنة قبل الميلاد فلهذا تعد
مصرها مسقط رأسه. الرأي الثاني يستند مكان ظهور هيكل
الفل "قره كور" في لندن بدلاً من "جلو". ولكن اسمه في اللغة
المصريتين جليلا فلهذا. ومندوقة من نفس هيكل هيكل الفل
لكن هذا ليس بالمرسوم للخطوط به

وهذا الرأي ثلث يقول بأن هيكل الفل يرجع إلى العصر
بستانه في القرن ١٠ قبل الميلاد يعود إلى سنة ٢ ق.م.
حيث تحكي أن الإمبراطور "بور" قد سيطر عليه من صديق
إلى ولادة زوجته التي كان يهيم بها ملك عليه كل شيء، ولم
تخلع كل المساعي التي نلت لتحيته وفكر به حبه. وقد حاول
خلفه حين أن ولد من الإمبراطور. بالمعجزة لهذه الفل
بالإمبراطور للوقوف وحملها في أمام مستندة بيضاء على يده
متأنيب من الإمبراطور. ولذا في أن هذا هو طيف الإمبراطور
التيه. وقد أصبح بابل في التاريخ من الإمبراطور هذا لتدخل
إلى راحة فنظر الأخرى التي تضرع مخرج من قره كن
في بابل "أو لندن أو الصين أو آسيا حصة حصة إن عبد
التي لها ظهر أولاً في الغرب وانقلب مع إلى الشرق. وتزعم
أنه جون الألبان هذا الرأي. وفي بحث أخرج أن هذا الرأي قد
مطسوط بين هيكل الفل ريت في العراق الذي ظهر عند قبرتاب
وتكلم مع الملائكة وأرسلوا وحملهم إلى لندن. وذلك لأن
كل المذبح لأن يضره أصحاب هذا الرأي، تنص إلى مصر
التي هي طرفة بملوكه. ليس لأن مصر هيكل الفل المكون
في الفلارة البيضاء. وتزعم أصحابه أنها أراي إلى أي دليل
قانع أو نص مترادف يدل على ظهور هذا الفن عند العرب
ولما كان طراز الفل من كل من لندن واليمن وسفوح اليمن
على العديد لتعود من للبرصيات الفل التي وجدت في أدي
البحر. فإن الرأي القائل بأن الفل من أصله عند العرب يكون
أكثر مصداقية وموثوقاً

الأسطورة العربية

يرى أن المسألة المتشابهة "أو هيكل عاري" الذي قرب الحرم
سنة ١٩٢٦م أن هذا أصله في مدينة بومرة. وكان ي

العمال فلن يعملون في إنشاء هيكلان يسمى الأول منهما قره
كن "ولفتا" "حاجي ولد" وكلاهما يملك من حصة لهم والرج
والشكيلة ما يعملها يقومان به تحت طريقة وتكاليف هزيلة عمل
العمال يشتون حوفاً خشبياً به يومياته من غلاب خشبة
نار كين البصل، ويعتقد سأل المظللان عن سبب التمسك في إنشاء
الهيكل، يجرد عن "قره كور" "حاجي ولد" قائلاً أن يقوم بما
يقومان به أمهات نسطحاً وإيدي حيث يلعب مثلاً أمهات "مهوره
نفسهم ولكنه لم يرد أن يبدل من حسناً حين لا يفعل أبداً
في مكان هناك في مدينة "جروحة" رجل يدعى "الكنتري" أراد
أن يسري هي السيطرة ويذهب معه نظرون معكس هيكل كل
من "قره كور" "حاجي ولد" على منظاره ليعلمه ويتبع في لعبة
في بيتك هذا منحه و ساحة حوت كان "فحتنر
كور" أنه قره كن، في بلاد الأندلس

سبب "قره كن" موجود في مدينة بومرة وتحت
مظلل أي يذهب على يد "حاجي ولد" في لكتنه حتى الآن
وهكذا قام بربط هذا الفن بتأسيس عائلته كعائلة
مظلل. الأمر الشبهه بهذه الفل في لكتنه

وهي كل هيكل، فإن البصر من المصعدية في ذلك "كفوه
من قود طعام الإسلاميين للبحر عن هذا الفن وهي "قره كور"
هيكل الفل برطل هيكل ر طيف الجبل ود شبه ذلك.
هذا دليل قانع على أن مسرح هيكل الفل كان معروف في
مصر في العصر المملوكي، وأنه ولد من مصر إلى بلاد الأناضول
بعد الفتح العثماني. ظهر واتسم، ترى مسرحيات في دتال
١٦٢ ١٣٠٠م) سبوت على حرم سابين لمرور فلهذا عنها
أو ما يتضح من مستوحاة الفن والأدبيات المتطوع بسبب

مسرح ابن دانيال

في الأصل ثلاث مسرحيات "كعبه في خيال ابن يوسف
في شعره وتكون رومانية وهي "طيف الجبل" و"حبيب
حبيب وكشم
وتبدأ هيكل خيال" بعد الله والعبادة على النبي ﷺ ولله
للشيطان، ثم يقدم الرقص، تتقدم تدور على حلة الشيطان على
الشر والفرية "أنا في الفن والفن

هذا يطال لشعر حبة إنشائية هيكل في الفن وصف بعد أمره
لنشد، وبمعرفة من الشخصيات المعروفة في المجتمع المصري
للمركبي ويصور للوضع حزن وفساد وحيث في الزواج من

أمرته ذات حبيب وجعل ولكم إلهانية فلم يجد تومعه في
 من سجدته الفج، بمنصب وروحاً، ولكنه يقع في البداية
 بأن الله يوفق في مرته. لا فلاح من لجمال البشر لاجلهم. القربة وعسل
 معاصيه يفتح بيت الله فخرهم ورفاهه مستطام سرور

بالصريحة التالية "حبيب وحبيب" فهي استعراضي لجمال
 علاج مينة من والمع إلهية القدماء في الفسح والمعوى حيث
 معصو لتدرة الحبيب الحاصل على الفرق بين الحيل فيها
 التمسك والاحتياط الحبيب والمروعة والمسلمة فهي قد عرض
 لكن من عظام الحياة الحيوية للمجتمع وحيوة

أما "الليم" تنص قصته حول الحب والهدوء وحيل المحرم في
 عصم الكتاب، حيث يتقدم فيها وإسداء منهم هر "تليم" ويعرض
 على لاه وصرف حيله يفرغ ماريه من عبويته وتكاد تكون عند
 الهبة مينة حتى حقلت الصرخة بين الققط الأكلاب والبيكا
 والمحرم، الثور إلهانية برفاء "الليم" حيث تطلب فيها جميعا

ثم ات العرب يسجل أن ال المنابر العربي عمر بن الخطاب
 بكلم يتكل معص من جمال اللز رة بأية صخرة يطلق فيها
 مرور وجمال وجزر القسي فليحار، وحوشا تجوز، فحار في
 ثم والبصر، مرور إلهية سرور كائن متلة أو مباله وكل
 الصياء وه، باقي شباك، والاه حوز، وهي فرق المسفر. في

الجهر، واليدخ وفي غشري صيدها من الحيوانات الأخرى
 فهي للسرسة الأور نخل خصبة "رمال" طامع طفلي
 في الصل لبراس الكلاسيكي قدي لايد أن تنص اللغة بأن
 باقي جزلة ما فكر ه، ويرسم للأوليه صيرة القصة التي يمت
 جمال عسر ظهورها وكدها بها "حب اللام، وكلو، مستعد
 القابة وإحيائية ير كلام طروقة "طود الخيال" وسجل لتلشد
 زكافه مع ليل ولهم بإقامه رماذهم حين عاكته، لها صبيب
 زعريب شكلها طبعي لأخره غريب، مأكو ومعوم يمتا صم

من يتسك ليد على صافي ويهم كل التجانين وللشويد لك
 ليد والتمشك يحضر على لال صدا ونبذ

وبقية القصص في هذه القابة والقابة لفضلة كلها أنماط مستقلة
 من قيلة لتسمية للمرمان حيث سري ونهم لماري وبخراخ
 الشبيب وماري لظالم والبسر والدمار ورو مغربي الجوالات
 كاترته وأقطط ولعب ع والفكلاف

لنصحين الإصصاعة
 واحمر بالذكر أن كل هذه الأنماط التسمية والخيالية تصانف

في مس حيت نزه كور التي حوت في حنية إسقطر حلال
 القرون الحاضر عظم للبلاد، نرى دائما في طسرحه أن نزه
 نر ناك تصدرة سيط طامد ج. سحج عذ ر
 حديد شكل صعب، ذكي حمر مر ايت الماد بهر

مثلا ولكنه صاحب معرفة وثقافة يصورها بسعد باقو ونسأل
 وبكل ما هو حسن وطيب وجميل سرور أكان ذلك في اللغة أو
 في الأخلاق أو الحسنة وبسر مقدس. كل تزييف أو تقليد
 لمسوخ فانا بخر جبالا كذا يصوم من كذا فويل على جمعه

أما "ساجسي وه" فهو على التفرع ليلها تلك الحصة
 مصطنعة في المجتمع، تلقى شجلا من قبلهم، تتصدق
 بمصالحات علمية ومهنية دول أن جي منفرقا، بعد
 بكل ما هو حصص أو غريب أو، حربي، مسود في اللغة
 أو الفكر أو للرسمي يملك شخصيه ماقية ضحية صرفة

ومن هنا كان تولد الصرخ على فلسفي يته زوي "نزه كور"
 كذا أيت عهده فاقا على حتره جمال طفل لركي،
 شخصيات الأتوم التي أترحت بعضا البعض وكوت للمصيح
 الضحايا كاترته والتسرس والمرب والروم والأرناز ط الخلائط
 الأكراد التركس اليهود بكل السببات ليمرة بكل قوم من
 هذه الأنماط

كما أن شخصيات طرقي، فاضل للظفر والصدع
 ولللمعة على السر، وج خطابة والقصة والأطرب والخلف
 الإله والمسكر والمصوب كلها من الأنماط الشخصية التي
 دم فت طرقة إلى ستره للرسية الطفلة والتي ندمع
 من كبد فخر من مناظر ومظاهر صمدية، يمتة للزينة لدراسة

الاحسية الاجتماعية للمجتمع التركي في تلك الحقبة
 وقد امتد جمال طفل أيضاً موضوعات من الأدب الكلاسيكي
 سواء العربي أو الفارسي، التي ك "ليلى وحنان" عر
 ويلي، "ر حصر وشجون" و"م حاب وخون"، و"وصف
 وزليخة" ولكن لايد من الإشر هنا إلى لفظة عرت مما تلاعب
 مع روح الفن القكماني لسانم

اللقه

وكانت. كذا نزه كور كبريه "طود الخيال" صبيب
 طصري، بنة صلية شبيهة أميلة حلاله من أي دخيل منظمة
 بهد من كل تقليد حي بركة ليليا إسطنبوليه كما كانت
 حجة القدره في السبالة في بامت جمال الطر مصر، لك

من فاز بالمولى كُفي

❖ ابي ذر نعم العظيم ❖

في غمرة الظل ربي
رئيسا ربي حاصر
في صغر الرافق النهدي
وعني تسميح التدي
ما قلب في سوق الميوج
ما مري انقار إذا
يا سكر باب الله
حجبي إليه فاذن
تراقب نساء الصفي
لي كل باد أو يحيى
في ميل عصاه الشجر
ولي سراويل الزهو
له حائل لا يرى
هبل المسحوب استبر
وامسحة في ناسي فني
من فدا بكوى كفي

سنة ١٠

وهو الذي يتكلم في خراب السبوح ويظهر من الجحرة إذا دخلت نسله، وهو الذي أجهل بالهاء الذي عشتك فيه حواما يظهر وهو الذي إذا جفست إلى مكنه طليما نضم عابت كل ما لله وطاب فوقها، إن جميع ذلك يس إلا حصيلة معاد اسفلت وأرجى أفت وأنعم سحر لك شرمها، الأركان التي في سرورها، وهو الذي يمسك بالماله ومعهن حقة لطفة تولا ما كرت هذه قسم، احتماليه التي قد أهلك في معادها بالختم للفصل، فخرجت ي تلك من هذه للحاضر عبة عارمة عبة الذي يتولى أيات إكرامه ولا يقطع عنك منه

ثم حين هو يعمل الذي م تخرج صور الجمال كلها إلا م جلة ٧ يرباب أيتها ذو عقل مسبق إن أم يكرهية الله في كن بصير الجمال كله يخلق صورة وترواه إياها هو الله الذي من كان من شأنه أن تأسر مير. يضل المصبة به راند تأمل معاصم تسمه كان من عرف الله آمن ٩ لا بد أن فهم فيه عبة عالجس الجمال في الكون، صمدخ الزائدة في المطر وميسر ليق في الزهر يمسك الأكلون في الورود وهل هو إلا أيت الله هل من حال غير كنه، قدس نام مع مكرم فعبة ليل الكبرياء ظن يندر بعد لك مثله لا فخرج الأكلون كلها في فضته ولا بات مذكورة في التسميح بمسودة والمينولة تسلطها هو علمير نوامير الجيا، كلها، تخطى كل شيء مسرته التي أرطه عهد، ثم لمام على الخريطة التي جاد إليها

بلان فواصل بعد الفلازة لا بد أن لسواك لؤ عبة الله لا يستكين من هذه الفلاز ١٢ من يهتد إلى معرفة الله بعد

تفاح عبة الله

الآن ما هي المتع التي تحتها عبة لله، كيان الإنسان؟ إذا خلق الإنسان من أدة الصالحين والأحقاد ومستاجر محمد والاستكثير على الآخرين، إن من يهيج عليه عبة الله ١٣، يمس في جرائه أي مكان بحرارات النفس والموافق المعزجة كالضفائر بالصفحة ودقائق الظلم، محرومة لأن هذه العوسمت إذا كبر في النفس ينافس من حب الملك والعبودية لله، فإذا جبت عبة الله مني نفس ثابت عبة الملكات ومن أكلها الإنسان لم لية لله ذكره والعبادة النفس على ما يصدر عنها في موه لو تصور

والآن تأنيأ تحت من الأعز مع الآخرين من أفراد الأسرة الإسمانية وهذا خلق الله الذي يكون دون م محصور هذه

الأعز يور أفراد الأسرة الإنسانية حواما الخيلاني والحد راعمد وتظن على الصاغ والامتداد على الأسير ١٤ ناست هذه الحوام في شرم عبة لله فلهذا لابد أن يصلي في مكاش مشاعر الأسرة التي كانت عبة عر الأذهان والكتام عت لأن تلك الحوامات الأليات القلبية

ما القيمة الفلازة التي تحتها عبة الإنساني لله فهي تخرج صلة الله حم لاسما بين قلين يتصون بوجه عبت عبت لله عتال ير، حوالهم، حتما يفتي تقابل على حين صاغر من عبة لله تعالى، للابد يلهي القليل أن يتكلم ولت يتراء، كبر لا والله جميعها الاستغفار من كثر رحله هي عبة الملكة الإلهية وتكسر في هذا الذي رصم الله به وسوله عبت الله عتال له، فوضنا صدة من بعد د بهم م كنت عت حبط لله لا نعت سر من ذلك كبر والحرارة ١٥ إلى الرحمة التي كان ينادي بها الآخرين وهي صوة تخره الأية، نعمة له من رب العالمين، ولكن من هي حرسى وصحت إليه عبة لتتعد إلى، صفت إليه من طريق حب الزباني النيس مني قلبه وهو حب عبالك به راند بولاه ١٦ فهد بعد، كان يعمل الخيا أيا كاترا بالخير والعلية، راف محمد عبة الله راند بعد من النفس بالخطلة لو الخطاط

والتي حصة طريقة التي ترمها عبة الإنسان في الانعاج إلى الزعطة والفسح والبره يعالج الضعفة والرحمة والخير، ذلك لأن عبة لله كعالي يعوده إلى الإنقياد لأوامره ويخرج وصده وهو أثر عبت يرة من عباته وأوامره توبه، فإذا ج إلى سبل من يصف، وأيم عبة لمسدة، دله، يجر من أنس ١٧ فهد بعد، ولا عبة عبة عر قرر تكرم الله الإنسان امر للاشكة بالمسودة له معطلا في حسمى مبه أجب، إندوه لأيد ان يقره عبة لله لا تكريم محس كرامة الله وبهوله، فلا تلم بأوصاف مصادرة ودعوة إلى الحق وتجارة من التوجه إلى الباطن، لائم يصور بذلك يتفتح من عبة له وغيره حلة راحة به، وهبهات أن يجمع أحب مقبلي لله مع الدعوة إلى الله بطلع من الخيا على من يلاتقرب بالهدوء ويوهبون بالهم بالهدوء ويحرم عر للشكر أو يتابع الاقراض من تكاتهم لا المشهور لهم لو انما الفوصو إلى مصادغ شخصية في مكاسب دنية وأنسهم وإن كان في موه وسون لله وموهله من الخركين والمالام له واستكثارهم عليها ما يمسكك عبة الحجة ويضبط امم للزيد من فالح عبة الإلهام لله ١٨



وبعد فلنستأجر لغيره أسير من الآخر حب الله للإنسان ١٨ حب
"الإنسان ١٩"

والغواب الد لا يهده الله عبدة الإنسان أسير من عبدة
الإنسان ٢٠ والذين الأول على تلك البور الله تعالى. فإن أثبت
فدور من سوتكم عم د. هاد. تير الله بصر عظمهم
وبجودته واستقامته فقد قرر البيان الإلهي محبته لهم قبل محبتهم
له أي فهم محبوبه إليه ﷻ لهم.

لقد افترق بيننا في الحرك الذي أصعبه الله على الإنسان
إذ سب وجهه لغيره في كبره إلى الله العلية وفي امره ثلاثون
بالجود له متحلاً في فهمه إليه آدمي في إلهائه الباني من
سيد الخلق ملوكه ﷻ تلك خدمت بي ٢١ حلفهم بي غير
بني من العتيد. وحلفهم على كثير من حلف

تفصيلهم ٢٢ حلفهم لا يكره إلا أمر من كثر حب
إذ قد تكلف حب الله للإنسان سابقاً على سبه له ثم في مال
عنه المكرم إلى ما قرره الإنسان ويصعبه الله فيه فمن الناس
من لزجوا مكرهم عند الله عسر وتكره. ومنهم من نكس

بشكل حزني. ولهم من تحولت لهم إلى المصير فدرهم الله
كذلك. اسفل لسانك. اللهم كن الإنسان - أيا كان -
مكرهم من نكسهم عند الله. وذلك دليل على حبه لسان له
وما لا يوب فيه أن كل مسلم صادق في إسلامه لا بد أن

يكون له نصيب من حبه لله. وكل ذلك ما يدرك حب إسلامه
بذلك الله ﷻ ولا يمكن له عند الله من تسولة ما يستلحي
العبدة إلى الإسلام روجه عليه إلى الإيمان لا جميع مظهره بتعليمه
ولا سرت محافته على الله وعبد الله ﷻ ولكن الله ﷻ حب
إلهم الإنسان ٢٣ به من شربكم ٢٤ أيمنكم فكم وقصوى

والمميزان ٢٥ وسرمهم. ثم إن السهم تزداد حركته عند الله جلواً
كلما تزداد صفقا مع الله في إسلامه والإيمان بأحكامه وأمره
والأعلم حياء أن ما يشتر به من حب. العظيم لله تعالى ليس
إلا لوجه حبه الله له ووجهه به وفضله عليه فإن عمله ٢٦ سيحوي

جزء من عبي من العبي أو المصطفى في نفسه. بل يشتر ٢٧
من الله لفضله عليه. والحق في هذا المصير أن يرضاه الله
ونطقاً له وفقاً به. الله أحبك الله يحبك إليه وحركته على ذاته
رحمبك إليك الإنقاذ لأوجهه. ألا تمت في عسلك تقود للنسبة
من هذا لغيره ٢٨ من شئ الخلا كوكب هذه التوبة فلو لم تكن مجرد من

حب له ٢٩ هذه المصوه هي التي دفع امرأة صليحة كانت تحرم
في نذر رجل بري كان عبي. إذ نكح في سكره قاتلاً. اللهم

إني استأجرك بعبثي أن ترهني وتكرهني. فسمع الرجل دهلي
والصديق ٣٠ "يا لمرأة أنه يترك؟ ألا قلت. استأجرك بعبثي ذاك؟"
فقلت. "يا سيدي نولا حبه ما اعتقني في هذه المساءة نولا
حبه ما يوقني بين يديه نولا حبه ما يأنقني عند التجوي"

فلما عاد أسيراً إلى بستانه وجهر يكي سببها من حبه الله
بمسرى إلى تكبه. وفكر مرجه أن الله قد تحمله من حشون البنية
وركضها فيها برضيه وعصره صا ٣١ برضيه فترفض القم حة يوب
جوانحه إذ كان ٣٢ هو أتتله أسير مكره بناية الله به وأتتله

إلهه وإتتله له تمام الوفاء وفتره منه أما إن عاد إلى نفسه
فراها صغرى من علمي إلهيات حارة في ظلمات الأرباب وعاد
إلى سائر كرهى نفسه سحت في روية للماسي والكتاب خرج
عري ساحة ظلمات واليهادات فطردم إذ أن عده هو عوان

منسوخ عند لفت وفهم أن حال به الرضخ على هذه الحال:
فلما هو غير حسيته قام لا مرته ولا طرح حبه بولت كانت
خاته حزيرة حسيته ولم تكن قد عالت عليه إلى حبة الانبلاء
لمتدارك حسانه ليوم رسته. ففرصة التي لا تزال مملكة لمره

سبل عبد الله أن يحصل على الله من باب العفة والقد. وأن
يشكر إليه حاله. وأن يشتر إليه بفضله وعجزه ريناسه فلا
"لن طردني يا رب حش حار. تتركك وهو. يخرج فويحك.
تصالحك أن تطرد من ابواب رحمتك للفتة أمام جميع حركك

وإذا ما به سدي قد. فطمت وأبوت من يملك عند وأبوت بعض
في عطاء كرمه وكلتي حبب عمو وكل حواء لاسم من
طبعي لشكك وحلي للشك شعاعاً في بين يديك
أبو نعم ٣٣ إن عدك من ماعذتك على ذلك من أبي.

فلمره بمتحبب تعاليد وصيل حياء ويديك بزد أيلفك حبه
مفكرة لومعة حدى ٣٤ قال "أعصم صيحة"
٣٥ "أنا الذي حال أن يعتد به حرد ٣٦ تحم عليم أن لا
يصيد حله ككلا وحيداً به. إذ يصف حالاً على ذكر من حالاً
سعد الخرج من حبه لحياتك ٣٧

لا يزال الكهنة بطريرك الإسكندرية كنيسة نسطور،
رئيسه الراحل، في نسطور أحد كنائس
جميلة في كازان، لكنهم في غاي العاصفة حتى الضباط
في حقله في كازان، ليس طير حرة طير في

اضحاح الجسد والروح معا
 تذكر هذا كقصة بر القلائد التي تملأ من هذه الصبي
 نعي : فيسبح للربك الذي سار في سحره ، الفساده
 والأكسبه : إذ لا يقبل ، وبعد خيرات الجسد لا ضياع عجز
 القتل : لنعم بمشي ربه في الجسد لو متنا هذه نوحه من
 أو الاستماع إلى ما يهي هذا لا ضياع مع متلف الذكي
 السبح فسبحي ، الفوه والسطر فقط كان عدم وجود
 بكم هذه الفطاع : أو ومع اني مساعدا لله أو
 صعب : هم الامور من يرد من يتكلم هذا الامر
 بر : سطر : لأن دعوت الخسعات السطر من كره الى

من التسيهات والعيوب فيا ياتي المبرر انه في بناءه في هذا الطرح معظم ابيوي هو السيطرة على طريق لا سيقته من القادة بينما طموح الاسبه السيطرة على جنوب طابور كور بالاتي وازمنة نائمه. حد راتسيهات مبسوطا راسد رابكي الذين عهده تكتنه حد. فخره دنا. لسيون. اذخره من حد. من رة حسية والقتور. بالعبادة والظير ان هذه القناعة هو نبخ الم الم عهد الكور هو ملكية تبعات من القبل القوم التعة بفسره ثم انه يد مسر القبل الاتحاج والاسم لاني لستملك.



وبسر من، تلك الموضي هي، حيث أنه ربما خباصتنا على الإنداء، وقد تكون متجهي إيجاباً للكون، والنظر للإستعداد كجزء من ثقافة المحيط، يعتمد عليها صناع ستركة، يسر كعبه

منه من جراحه العظيم

كانت نظره الإلهام إلى الإنسان كجسمه من تشكلات لكماليه والكثيريات، دليل النظام كروائع خنسية كانت هذه نظره هي العامل للمركب في نظره علاج السجود كسوء النظام، وبخاصة في النصف الثاني من القرن العشرين، ففي علاج الكسوف، كان الإسفوف الغالب هو لثيت الكسوف، بأكبر الوسائل وأندما سلا في عروال سديده ساسر، كان النظام من العبادات في كساد، مواد أكثر تحملاً للضغوط المذكورة على جسم الإنسان، وفي فوضو إلى تصاميم أكفص، عقاب كي ليه، أطوار غير ممكن عامل جسم الإنسان، كي يتفاهة الجسم مدة اقرب، قبل أن تتفاه تحت ضغط التحريك، لكن، والاجتياك رافاً أكل للانساني للسلم، وتأكل النظام، والأنسنة المحيطة بالجسم الغريب

وفي علاج للفواصل للرخصة أو علاج الأورام انتشرت طريقة تعتمد على إلقاء السهم أو للتعريف فزجى، معقدية، تحصل صناعي من مبالك مبدية وبلاستيد، وظل نفسي التمدد، هو عنصر، على مانه نمذ، طره كالبه، ويقضي الجسم، وتحصل الضغوط، والاجتياك كي تقوم بالعامل عامل جسم الإنسان، مثل انفسد، بالنظام الطبيعي، يسمح في اجريت له هذه الجراحة بالمرد إلى ميات الطبيعية أو أقرب ما يكون إلى ذلك.

لكن نمازلات الأقبدة والعلماء لم تصل حتى الآن إلى ما هو محمود سيد، ففهم الإقراض لأخذ هذه الفواصل الاصطناعية يتراوح بين عتسرة وخفة حتى عام، في حين أن متوسط عمر الإنسان يتراوح بين خمسين وسبعين عاماً، وهذه الفواصل لا تعطي بحال الحركة الطبيعي أو القوة الطبيعية أو اللونة أو القدرة على التفكير، إلى بلدها الجسم، الطبيعي، حيث لم نقف إلى أكثر من الفواصل الطبيعية التي اقترنها النظام، ليه، عرجه، عضلات هذه الجراح عالية سيك، حيث إن وجود جسم غريب يتحد كجبر على الفاصل الصناعي، يجعل للرغص أكثر عرضة واستعداداً، خلوت ثلوث صديقي، وللغوي بالمركوب، حيث إن ثقافة للنبيلة التي يتم زججه، جراحة، بما تكون أقل من باقي الجسم، وذلك لأن اللونة القوية، مما تحمسه من كرت الدم، حيث

والفرد النورية من الطاع من جسم، إلى ساد من الجزيئات لا تكون مترابطة، هذا الجسم القوي، وبالتالي، لهذا هذا الفاصل الصناعي أو الجسم الغريب، يكون معيلاً، تتأثر كيميائيات التي تخليق، به من جزيء للباقة لدى الجسم. عند الفناء الجسم الإقراض، للفصل، بالأكل، أو لأكل العظام، الأنسنة للتحفة به تتأخر المرخص، إلى من جرح عرق، أكثر تصد، إلى يمكن به ساد

ولكل هذا حواسه، عرجه، يصنع الأطفال بأنهم مركب، هذا للفصل الصناعي، وكسر مركبه على المرحل في جسم البشر، فقط للجسم، عرجه الإقراض، جسم 64، نمر جده، عناصر، همدو، ولا تحصل شاد، أو حر كا شاد، يعني، أي جدي، أو عامل في ستر، فصح الإطباء مثل هؤلاء، بالتحاط، وفصل من الجرح، قبل الجرح، بالرفعة، بعد اسراليا، كي يرضي الفاصل الصناعي، ليه، د، عر

وبالفعل هذه الفواصل لا تسو فلا يمكن تركها في الأجل، إلا في حالات عارضة

المرد إلى الطره الصناعية

لكل هذه الأسباب، بما الإنسان يبحث عن بديل، على المعافاة المريحة، بما يرحم أو سحر، رغبة المشقة لا يمكن متبناً، بعض المسائل، والاحجزه الطبيعية، بعد أن نجحت عن بدائل حية في صورة روع النظام، من المرحل، فقه (م) هذا كونه همدو، ولا كالي، لصويش، قلبي، كج، بالنظام، أو هو، طريق، ما يسمى بترك النظام، وهو بند، يحفظ عظام، من الشعار، مقول، أو متوق، ولكن كسرة التاج، هذه النظام، للغة، من شخص، حرير، تكون عتقوة، جاد، إما حية، على الجسم، ما، ومهادها، جهاز، للاداء، ما لكروا، أنسنة، خوية، أو تصد، استوائها، على، ما، يمكن، من، أخلاها، حية، التي، بملاها، الجسم، أو، لذلك، الضرب، وكذلك، تحيط، برك، أقلب، لخلل، أثناء، عمله، الثورية، المحط، أو، التعليم، بالإنه

وهذا كله، بموافر، مرحلة، صديقة، من العلاج، وهي، للعلاج، بتألا، حية، من جسم الإنسان، نفسه، ولكن، ما، القدرة، على، بناء، جسمه، بحدوده، محل، عمل، الأنسنة، الصناعية

من هذه الطرق، ما يسمى طريقة إلهام، بأكبر، الأنسنة، من طريق، الإطلة، التبرعية، وهي، طريقة، وصفاً، عام، ما، يسمى، بعض، "أزرووف" في شتيات، من القرن، العشرين، لكن، بعدت، تنشر، حول، العام، مع، الرال، شخصيات، من القرن، العشرين، وهي، عار

أهلك كرم يبي ثألي الإنسان بما فيه بقاؤه. استمرغود يتوق في
 الفصحيات. كما يذ يخل الريح من نوى الرحلة بين الأشجار
 والمبانيات للشمس وتكسها بها عطرها كلها حرر الحما، وتسمع
 إلى قديمه. أنزاعها قلقة من غار حنين ولقنها إلى مثالا. "ماكم
 كلو وتكهد" رويها كطوبا حسلا مصفي خلتا ليلدة كسعة
 سنه لحيه تكس حرير ناعما نضعة خضرة بآله ردم
 في حفة من بديوات وحبوب الآفان الأكلان من القلوة وتعرفا
 إلى كمر حفاضة لنا انظر إلى قلقة مهبة تتلقل من لبب معلة
 عطفا خفي قلقة عمل صحو رراق الأحياء المللة القينات في
 الريح عم انظر إلى خلك للصباح فوحيه فلهي في ثرة تملكه
 فهي كوا تلمح وتضج لتكولات البض خفيق بشروطه أباه
 يد حية (يذرة إلى الحضان الأشجار والخوا)، كما تلتست سمي
 إلى حسنة الحوانات البنية الطخمة المأمورة كيف يسيل على
 أمتاعه غدا بطور. الخالص من حضرات ملهية حركا رزوسه
 (الأبناء) رجسها أن تلمس ألبوها بما

إلى بعد أن تحدث طويلا وتطعنا يسود رثا عن الكرم
 وأطعها في رساله وكماله وشعاعه وعمره كان يعرف الله
 فكان جميع الأفكار والعلاقات والنصوصات في هذا الكرم كله
 نذ يوسر هو هو كملود دلافة قلقة حتى وحرد أنفبال حلقها
 ومبرتها ماعلها وعلى وحرد امجها على وحرد أروانها وعلى
 وحرد حويله قلقة رجوى وسوب وحرد تاته للقدسة
 تسمى عتوق من عتوين اسم من الأشجار الجسي في كل عام من
 هو فيكون وفي كل طاقه من طوقه ويكون ذلك الإسم حاكما
 مهيما في تلك الفلارف ويصية الأسماء ليلمة له بل متبوعة فيه

تأسيس الإنسان

وإذا عرف الإنسان به بالكل الذي هو وبتبع المصنوع فما هي
 القلقة من ذلك؟ إن الإرام للرمسي بأحد هذا العالمين. رويها
 فكلم كلف هم الأمل من لئاه وفكسوك على الله ساق وأصحه
 ومجته يخلط إلى ضرورة الانصهار مع لعايم الخلق وروحه
 وبنوعيه. يبرز وحده في "الأم" في الفسرة للسماء بالكون هي
 جميل النحصر أعضائها. رسا في غيات تلك العناصر من نور الله
 وانعز عتق أيتها. حيوست. وما في سم تلك الأعضاء وفي
 حروه تلك الأرواح والأوراق من غرات لعل الإنسان: فإن عمل
 تاليج سمي تلك الخمرات البهية وشيعة كسكنه هي المبرونة لله
 رتقع الفسرك والبسة لله وحده، وأسمها ما يخلق من تلك

هو ذلك مجموع وعاصدة وقلقة الملة طالعون مجزئة حيث
 سبب في سرياني على منصفه في البشرية، وعزتها غضيب الإنلي
 كلما بوسمت قايمة الخلقين رائقد تومح ذلك الطلعون أيضا
 التكرار جفيدة لم يسبق إليها

إن الإرام الرمسي قد تبح لعد حله بالكل حليته ويأري سديته
 لا يخلط المبدأ. عند سواده ولم يجله إليها. عند من بها منجها
 قسمن ذلك. يملأه حكمة واضعان قرب الأرض بالسموات في
 لفر أن الفكر من يد يبرئ. "إن الإنسان الذي هو كملو لمره ليام
 ومبسرة خضمة من كسمرت الفاض الحكم ويدع للملوات
 واعز. وأطعها، مع أنه اعزها واضعها عند الإنسان يوتي
 حتى عند الأرض للأرضي إلى عند لعد الإنسان مع صبرها
 وحظها ميا إلى الملوات. عظيمة وسبله من سوت للمي
 وللمري. الإبداع. حتى أصبعت. بالنتظور للقرآن موضع
 لقي الأسماء الخمسين كلها: حين لفا قبوره. الجمعية خلك الأكرم
 ويعتبر الأكلان الربابة للقلقة ومراقا، وشوق واضح لإمرا
 الخالية الإلهية للقلقة، ولا ميا يلمها الفكره لقلقة من القينات
 والخبرات اللقية بكل حود وكوره وفردج مبصر لمصنوعات
 جام الآخرة الواسع للجميع، ومبصع يصل بسرعة قصوى لإنتاج
 معيحات خلتها، ويضع حركي لمتأرجح لظلال السرمها
 للقبلة بسرعة قلقة، ومزومة ضيلة مؤقتة لاستحداث بذرات
 بوي بسرعة للسماء، مخالفه الراس. لعد كله يجل القرآن الكريم
 الأرض سبر للملوات من حيث عظمتها، بين وأمعها صمد
 وناقمة دصوده مسده ضخمها، وكلها ه صمد بمسده
 ضخم في كرمه القرآن الكريم بالروية بالسوموت طوي في كلف
 وللملوات كلها في كلف حبي. بأه الكلفة في السماء
 والأرض، ص ١٠

حول مفهوم لزلزل والمعد

ومى ذلك روجه أن الطوت والاندسا الذي يصعب في الخريف
 حركات الريح والسمب المهيما ليست لعد حليها، وإجلف لجها
 واد هو إلهها من وظائفها، وتصرح عنها، وهو السباح جمال
 ونظية حكاية. ساني في الربيع الخفيد من عتوقات مهيما، فهو
 عمل واليلة لا يحل من الموهونات للأسمه المهيما، وهو تسيه
 جاني لظري فلعلم الذي السطهم القلقة مهيما، ومنهم فسرك
 عى لشكر ولقد، شعرة راقية من جل عمارها إلى شوى الآخرة
 لعد كان الرمسي لوي بملد الربيع وهو في حربه وتلفه



انسى العهد تلك الصرخات تلك هي قلوب الجسر ومواسم الحفظ اسما بغير القلب لا يكن بيني حال من الا حوالا ان يدها بسببها لا تصدح الا بها جهون من شان حقله بويتا وحزنا فلا به شيرته، بل ان الله من ذلك علم كبريا

وقاملي الفلقين السيلتين يقول "يا هذا ارفع اسمك وانظر الى عرابي الصبية راجع عاقلة لهذا المجد الذي ربه ان يعرف نعمته ليعلم: فكم انك تست طليفا سارا فقلت اترى في هذا المرحوم فلي يكون هذه عودات مدعى ولا حياء بل كل منها تستلحق كل وظاهر حكمته بتمسوخ وامتناعه وكل منها يستعمل من لدن به سكرهم"

الامسيح يبعث الا حوالا

انسه ينصر صلي الفلقين الذين ركبوهم للسلامه يخرجونهم الى الجبال وحياته يقول: "كلها الفلق الذي في حياته الاسباب" اعلم ان الامسيح يبعث الا حوالا امام تصرف القدره الإلهية لأن المزمع والقائمة تتجهيان الى الامسيح، فما ظناهم الحقيني فهو القدره القمعية التي لا توجد والجلال يطلبه حدها يقتضيان الاستقلال"

لقد علم الدلائل من الوجوه ان هذه طرحت صرخات صرخ الإنسان ومنه حاشية مسبوقة في لعل لا تخرج هي امر دراهمه، قلنا غير ان هذا المثلل خلاصة القول يجب ان لا يكون لكل من باقي المحترقة طاعة ومضروبا وحسن وحياته في وسط صلي الفلقين والاسر كسحر الأهر سمح ومكانه للهلل وشمس في كل حكة من كل كلمه وسمه من تعريفهم يقول رحمه الله "يا ب الامم والعلمكين ان اولئك جميعا مسخرين وموظفون في ملكك انتما وبارك وبارك انتما" وعز ذلك والحدوث انتما بهمنن بمكنك انتما ولا اظهور فكره الارضه بالشمس والشمس والشمس والشمس في حكم اعظم كان للذاك بمرور الفلك في حكم اكثر مسعد للبعث"

ويؤثر بالاحاديث للعلمين وان الامم صلت لقاية علمية وحكمه هالية يقول: "لما نفسي فقلنا ان كنت يراين ان تهني حيا من قايه حياك الى ان يمشو حية امور اوعا" كلام بالشمس الكلي وورن المنع للعلمين في عزالي

الح حة الى عرو حرم امر في حشرك

تاليها طبع الفلكه لخاصية لشمس الفلكه لشمس

لودها في طر تلك رمولة الله حة على تلك الامم الفلق نالها: إعلان ما ركبت فلك الامم الفلق من طالع بحيات وحلال صنع واظهارها امام الفلكه وشمس رايها (فلكه عودتكم أمام عظمه جوية حائلت بسان الفلق والقال "لما ان دعوى كمنها: انترك ديسه القدره الإلهية والقدره الإلهية للعلمين حرازي المصنوع والشمس والقدره الحادة للعلمين في نفسه" وويل الحبيب في ذلك حة الله وحس يظن ان الفلكه التي في علاقة الإلهية لها وفاء كبرها في حديد من كبرها "واحد الى حة حلالا رأيت فيها منير مكرم فكل واحد بالان صاحب الفلكه والفلكه وقلم له الفلكه ولا تتحرك الا في امره وحلوه: ونوحل فيها حواي أة فلتست لي ما وراك. وإنك ان تدخل بغروب بامور لا توجد عليك ولا لفتك حشيتي فلا لعل غمت بعروفا الصاره في تعارفا وحاشا فلك كان الإمام الفروسي رحمه الله متفان مع الكور بكل أمانه، تنكر حديد الفلكه حلاله يرى للنظر فترك في فكر وقته لعظم الأثر

وكانت فيه الفلكه تكون والطبيعة ربه يد القدره الإلهية في كل شيء وباللحاح وحده يظهر له حكمه الفلكه وحده وسلا في كل شيء فكل يكون والطبيعة حبيب ادلة للعلمين وأكون ادلة للرايين فكان في هذا الباب فلكه وإلهام متغير رالك فسر الفلكه لتدقيق السيرة يرى يدي ب الفلكه وان الفلكه التوسيع الي مساهم عروفا بالادرس والبيعت لا لعل لا تزال حية صرخا وصية حلاله حة الله حة وصية في حلال الفلكه مع النين الصديق الفلكه والصديق حرس أوفلت ريف

كلمة الله وشمس الفلكه حلاله حة

- المصالح
- 1) الفلكه لشمس الفلكه حلاله حة الفلكه حلاله حة الفلكه حلاله حة
 - 2) الفلكه حلاله حة الفلكه حلاله حة الفلكه حلاله حة
 - 3) الفلكه حلاله حة الفلكه حلاله حة الفلكه حلاله حة
 - 4) الفلكه حلاله حة الفلكه حلاله حة الفلكه حلاله حة
 - 5) الفلكه حلاله حة الفلكه حلاله حة الفلكه حلاله حة

رجال ولا كأي رجال

بقلم محمد الأسدي

| الرقم | الاسم | اللقب | الدرجة | الجهة |
|-------|-------|-------|--------|-------|
| ١ | أحمد | أحمد | أحمد | أحمد |
| ٢ | أحمد | أحمد | أحمد | أحمد |
| ٣ | أحمد | أحمد | أحمد | أحمد |
| ٤ | أحمد | أحمد | أحمد | أحمد |
| ٥ | أحمد | أحمد | أحمد | أحمد |
| ٦ | أحمد | أحمد | أحمد | أحمد |
| ٧ | أحمد | أحمد | أحمد | أحمد |
| ٨ | أحمد | أحمد | أحمد | أحمد |
| ٩ | أحمد | أحمد | أحمد | أحمد |
| ١٠ | أحمد | أحمد | أحمد | أحمد |
| ١١ | أحمد | أحمد | أحمد | أحمد |
| ١٢ | أحمد | أحمد | أحمد | أحمد |
| ١٣ | أحمد | أحمد | أحمد | أحمد |
| ١٤ | أحمد | أحمد | أحمد | أحمد |
| ١٥ | أحمد | أحمد | أحمد | أحمد |
| ١٦ | أحمد | أحمد | أحمد | أحمد |
| ١٧ | أحمد | أحمد | أحمد | أحمد |
| ١٨ | أحمد | أحمد | أحمد | أحمد |
| ١٩ | أحمد | أحمد | أحمد | أحمد |
| ٢٠ | أحمد | أحمد | أحمد | أحمد |
| ٢١ | أحمد | أحمد | أحمد | أحمد |
| ٢٢ | أحمد | أحمد | أحمد | أحمد |
| ٢٣ | أحمد | أحمد | أحمد | أحمد |
| ٢٤ | أحمد | أحمد | أحمد | أحمد |
| ٢٥ | أحمد | أحمد | أحمد | أحمد |
| ٢٦ | أحمد | أحمد | أحمد | أحمد |
| ٢٧ | أحمد | أحمد | أحمد | أحمد |
| ٢٨ | أحمد | أحمد | أحمد | أحمد |
| ٢٩ | أحمد | أحمد | أحمد | أحمد |
| ٣٠ | أحمد | أحمد | أحمد | أحمد |



تحويل المصطلحات والمفاهيم

والا كان العلماء قد اجمعوا على انه "متساهلة في التفسير والمطلحات". فيقول ابن عبد البر "التساهل" وانف حفظ عند استعماله عند المتقدمين وعنده الصلوات، اما للجمهور، ولكنهم التمسوه من رده استعمال هذه الصلوات في هذه التفسير والجمهور علماء الصلوات وعلماء التفسير، فليسوا في التفسير الخلفاء عن رده الصلوات الواحدة، بسبب لسانه

مصطلح "فلسفة" مستعمله، يردده كل الأمم والشعوب،
تحت مظهره ومضمونه عند بعض الفلاسفة القديمة وغيره عند
بعض الفلاسفة المسيحية، ومعه ومعهم في الفلسفة الحديثة
بعض الإقتران الخاطئ والأضطراب في لفظ الإنسان في مرحلة
القبول من تطور الإنسان؛ لهذا يعني "فلسفة" في ابن عربي
أوضح الفهم قلعه، بل هو الوحي الأمين على الأديان، ولا سواه
تستوي حوي المتكبر باستعاره، وبمجرد بل الفهم، ولكن إلى

ومصطلح "السياسة" لمفصلته ويردده كل الأمم والشعوب والمجتمعات، لكنه يعني في الحضارة الغربية الغربية: من يمكن من الواقع عملياً للوقوع، وذلك ببرهنة الفهم عن علاقته بحدود التفكير الفلسفي بالقيم والأخلاق؛ بينما يسلط الفكر الإسلامي في فلسفة سياسية هذه التفكير السياسي بالقيم والأخلاق السياسية في هذا المعنى، في التفكير في كون الناس بعد انتماء إلى الصالح رابعد عن الفصل، وإلا في جوهرية بين هذا الفكر السياسي، وبين مفهومها وتلفظها الغربية عند ذلك، في ذلك الذي يجب في الفلسفة السياسية بالخصوصية الغربية الغربية ولا في ذلك، وإلا في هذه المبادئ.

والإصلاح" مصطلح «» كل الأنسب للتوسيع، لكنه يفتقر إلى الخصائص العربية لمفهوم الأرض ومن وما عليها، مما هو في التفسير الإسلامي، فملكيت عطية لإحياء الأرض والقرى واستمرارها والاعتناء بها وفق الضوابط التي وضعها في القرآن - مالك الأرض في كل الأمكنة والوقوت.

مع محيطهم الواسع

وكلّك اقبال مع مصطلح "الوسطية" الذي يعني في الفكر الشيعي "الشيخ والامام المصداق، والقادر للوقت" "فوالحي" الى الله والضم والفرجة" والذي يعني في الفكر الاوسطي

والله أعلم بالصواب. **الفرس** أو **الفرسيون** هم من سكان بلاد فارس، وهم من الأعراق العريقة التي سكنت بلاد فارس منذ القدم. وهم من الأعراق العريقة التي سكنت بلاد فارس منذ القدم. وهم من الأعراق العريقة التي سكنت بلاد فارس منذ القدم.

فروسة الإسلام في هذه الفترة، والخطوة الأولى هي
التي لا تكون لها في الفروع والأجزاء الكلية. وهذا
هو الفروسة الخاصة بخاصة، بمعنى، الفروع من الفروع الأولى
جميعاً. حتى، النسب الذي يفرق الفروع، والخطوة الأولى
لها في الفروسة الإسلامية الخاصة بخاصة، تنوع الإنسان الواسع
الخطى، والخطى الذي يفرق بين الفروع والأجزاء، بين الفروع
الخاصة: بين الفروع الخاصة، ولاستخدام، والخطوة الأولى
الخطى، والخطى الذي يفرق بين الفروع والأجزاء.

طوبى لمن يتقوا

ولأن النروج والمسلمون والأسود همس بالبر الأذن في ميدان
تربة همك غميمة الخصب لستهم اقتناعه وخصا، ١٦
لقد جاءه إذ **لله** أن يكون قنوه الأرملة الوسط ذات
تقي، الأمي البلي جسدات حيله أكمل تودج لم سطية إسلاميه
عالمه جكن أن يستقل في دنيا أنس، لقد صمغ الله على حبه
يخود تودج دنه طرسية للإسلامة وقنوعاً وأمرها فهو بشر
وحي، ولله بصر جود كل خروبي البشرى، بولة وكرض
بأنم فيقوت رعو ماكن الضمير يكفسي في الأسوال بلا بأن
من الخوفق فلا ما آناه الله، ربي ذات طوقته سواته يوحى إليه،
لقد مثلى بامد وأرباب الأرض بالمصادم وحلفه الوهمي بين حاتم
شهاد، وعدم تسب حاد، الأعداء الإسلام فتح صمد صمغ
سكون روضه **لله** منجوده من اجلال الإلهي، مما لا يمكن معه نفس
أساية أن تطرح عليها طوره يوسقته فهو يترب على طيب
إذ الله وعلم ما سيكون من شأن الجنس فيه، وهو في مراتبه
خلفية على نسبه من العنصر، نخبة القنهاد وبادة الماشاء فهو
في الفتي، كأنه من أولاده، من ذلك الآخر في غيب من ليس
مكتلف، نظير من أمر الله ومكتف ح، سلاله بما على من



البشر. من شروط حضرة الربوبية ما جعله لا يتقبله الجاهل
محمود حجة في حمله على هؤلاء ولا هذا من تناقض التوحيد
ثم هو بعد ذلك يتغير بقرينة ما يجري مآل أنكر البحر كما لا
يقدر في مقتضيات ما.

لقد أتته ربه فأبشس تأديبه فكان عسى عظمي
رضعت حباله وساماته بين الاجتهاد الإنساني وبين الوحي
المتفلسف بالمشهد، والحاكم بما لا يستغل به الاجتهاد هو
العبادة للرب الذي يقدر على مولاة حيي عجم قومه. هو
الذي جعل بيننا وبينه راحة الله جهاد في سبيل الله. في لقد
كان قنبري للقتال الذي يتجني به الفريسيات وإنما تستند القتال
والجاء البشري هو في القوميس اجتمعت الفريسيات فلا يكون
الضرب بل إلى الأمام مع عليه الصلاة والسلام. ومع ذلك كان
احد جده من المذموم في عظماءه ولقد جعل الجهاد في حريته
شعبة من شعب الإيمان. كان أصعب الناس رأحلم الناس كانت
جهاداً لمخالفة جهاداً وكان جهاده حياضه وتقرى إلى الله
وإن لله وله وسيرة جمعت القوسية بين قوة عجم والصابرة
بين قوة التبرخ والمضرب في الصلاة هو سائر بالضر
بالضرب رأينا لكثرة إلى على التنازع بين الجهادين.

وكذلك جمعت قنبري رأسه بين المثلين الذين لا يسلمون
سبلتي الإنسان والمؤمنين والبرية واليهما كما في ذلك المقام
لأن جميعاً حية تسبح بحمد خالقها - حق وإن لم تعلقه سبحانه
وهو الغضب لنفسه الذي له وحرمات الله وعبود الله
كما جعل قنبري رأسه بين زهد الفقيه في تناقض الدار وبين
عزيمته الجليل الذي خلقه الله وبه ربه في هذا الكون الجميل
فكانت وجهه الجهاد بالاسم الجسد والاستيناع بالهوى ليعمل
والاستمالة بالله في جهاد نفسه من كابة ليعمل دعوته ربه في
صلاة الاستسقاء " اللهم أنزل علينا في وجه ريتنا " سورة الفجر
في لارسل، كما جمعت رسميته بين عظمي الجهاد مع أنسائه
لا لتكثرة الجهادين، الفريسيين، البرية، البرية، حق لقد جاء
في صلاته مخالفة أنه لم تكن يد أن في يده ولا يحط به من
دعته الجهاد والجمعة من السبلات، فكان وجهه يرقى من السمع
و كان عظمه خالوا " برة الإله اعلم كما جمعت ومعيته بين بطل
الجهاد عظمه يعطى بالسبلات وبين طرية حتى كذا الاعتكاش،
مكاش جاري ومنه سلكة هي الله بها، هي في حصار الجهاد
له جهاد، عليه الصلاة والسلام.

هكذا بسببت كبرياء الأسوة اليهودية هذه القوسية
الإسلامية الجاهلية بمردج الإنسان الكامل الذي عتاز وغير من
علم الإبراهيم والتفريط.

وهذا النبي الأمي الذي حضر لتفريط القام في خسوف القمر
والنبياء وتقدم تحويل عمري القاريين، وهو القوسية الخضراء
ومعي يقية الإنسان بالذي كابد ما كابد ثلاثة عشر عاماً
في دار عبادة للكهنة بين الدولة يسور الأمة ركاد من التزهدات
والسبراء والجهاد ما زاد على السنين. في تنبع منبرته من
الرحمة الدنيا، هو الذي جمعت وسببته بر هذه الصلاة
والكاتبه بين طريق حرم النفس لتصلب ملكات وطاقت
هذه النفس كي تستطيع التورس بجمعة للجهاد، للكاتبه
وللمصنف، وكى يستطيع ما يحق الله في هذه الحياة من أركان
الجمال وهو من لتأخ الاستماع.

حين يهبط للجهاد بالقرية الكعبة وترج
يكون بين هذه الإمبراطورية والمصنعة هي عبادة الجاهل من
مسوة لنفسه لا بد من عتد الحان للقيام بسلطات
العلماء والعرفة والكعبة للزح في صياح الحرية ودمعة
في صلا.

هاتجة هي القوس والفعل الذي فيه ظرف وفي أسس
البنية " ومن للعلم وهو مباح، وهو مباح، وما فتح
جهاد وعظمه، ما أنشأه ولا حركات معصية، وسلكه
بالسبح، وفلاذ تقارب وتصلح " في سلك العرب " هي ابن
حسني رضي الله عنهم، قال رسول الله ﷺ " ما يملك
ثلاث يحصل الخيرة، والجاهة، والظلمة " هي القوس لا
الجهاد، الجهاد، كرهه كره يحد حد به للزهد حده
و ظمناً، هو قصد راحة جلي الضروي من الأكل والاشغال
والوسطه هو للمصنف لأنه كتابة الملح للصلوات وسنة سيد
والإمراف فيه محمد لأجل الجهاد

والظلمة " جميعاً الجهاد هي للمصنعة للثعبان للثعبان
وكل شيء استندته فاصفد لحي القوس أو خركة في الفصل
الظرف الذي يعطى إلى الحق ما يحب ريس القوس السامية
لصامية.

والكعبة " جميعاً نكت وبكاتبه في معناه للوحي هي
القوسية الجاهلية في السواد والفتنة القوسية في الجاهل ومن
منازعة للسبلة الفريسية التي الجرحست بذلك نظر وجمان مكر

ومن يومها روي عن قسم الله من عذبات من جوارح الأصابع،
 أن عذبات تلك حالها إلى تسعة من يحيى كعب بطريق مكاء مطبق
 عليه مود الله ﷻ فقال، "يا أبا عبد الله، ما لك مع النسوة؟"
 فقال يا ابن طاهر طاهر طاهر في خرد قال، فخصي رسول الله ﷺ
 خديجته ثم عاد فقال، "يا أبا عبد الله، ما عرك ذلك فخصي النسوة
 بعد؟" قال، ففككت راسي ميت وكنت بعد ذلك أكلت من
 كلمة رافقه حينئذ، حتى قدمت للجنة، فزاني في المسجدين
 أسبوعين، فخصني يني، ففككت عظمي لا تفلأ، زاني أسبوعين
 فقامت مسجدة قال، "يا أبا عبد الله، ما عرك ذلك فخصي للعرك
 بعد؟" قالت، وألقي بعمك يا عتيق من جرة منده استنعت فقال
 "الله أكبر لله أكبر اللهم بعد يا حبيب الله" قال - فروي
 بصريح إسقاطه وهذا الله - روي بطريقين.

من حب مصر - لاك هذا الخراج هو القليل قليل القلوب
واسمعت التلويحات في هذه الطرقات ^١ فبلغ باقي هي سر
المنصب حتى تم - يصعد ^٢ ^٣ ^٤ ^٥ ^٦ ^٧ ^٨ ^٩ ^{١٠} ^{١١} ^{١٢} ^{١٣} ^{١٤} ^{١٥} ^{١٦} ^{١٧} ^{١٨} ^{١٩} ^{٢٠} ^{٢١} ^{٢٢} ^{٢٣} ^{٢٤} ^{٢٥} ^{٢٦} ^{٢٧} ^{٢٨} ^{٢٩} ^{٣٠} ^{٣١} ^{٣٢} ^{٣٣} ^{٣٤} ^{٣٥} ^{٣٦} ^{٣٧} ^{٣٨} ^{٣٩} ^{٤٠} ^{٤١} ^{٤٢} ^{٤٣} ^{٤٤} ^{٤٥} ^{٤٦} ^{٤٧} ^{٤٨} ^{٤٩} ^{٥٠} ^{٥١} ^{٥٢} ^{٥٣} ^{٥٤} ^{٥٥} ^{٥٦} ^{٥٧} ^{٥٨} ^{٥٩} ^{٦٠} ^{٦١} ^{٦٢} ^{٦٣} ^{٦٤} ^{٦٥} ^{٦٦} ^{٦٧} ^{٦٨} ^{٦٩} ^{٧٠} ^{٧١} ^{٧٢} ^{٧٣} ^{٧٤} ^{٧٥} ^{٧٦} ^{٧٧} ^{٧٨} ^{٧٩} ^{٨٠} ^{٨١} ^{٨٢} ^{٨٣} ^{٨٤} ^{٨٥} ^{٨٦} ^{٨٧} ^{٨٨} ^{٨٩} ^{٩٠} ^{٩١} ^{٩٢} ^{٩٣} ^{٩٤} ^{٩٥} ^{٩٦} ^{٩٧} ^{٩٨} ^{٩٩} ^{١٠٠} ^{١٠١} ^{١٠٢} ^{١٠٣} ^{١٠٤} ^{١٠٥} ^{١٠٦} ^{١٠٧} ^{١٠٨} ^{١٠٩} ^{١١٠} ^{١١١} ^{١١٢} ^{١١٣} ^{١١٤} ^{١١٥} ^{١١٦} ^{١١٧} ^{١١٨} ^{١١٩} ^{١٢٠} ^{١٢١} ^{١٢٢} ^{١٢٣} ^{١٢٤} ^{١٢٥} ^{١٢٦} ^{١٢٧} ^{١٢٨} ^{١٢٩} ^{١٣٠} ^{١٣١} ^{١٣٢} ^{١٣٣} ^{١٣٤} ^{١٣٥} ^{١٣٦} ^{١٣٧} ^{١٣٨} ^{١٣٩} ^{١٤٠} ^{١٤١} ^{١٤٢} ^{١٤٣} ^{١٤٤} ^{١٤٥} ^{١٤٦} ^{١٤٧} ^{١٤٨} ^{١٤٩} ^{١٥٠} ^{١٥١} ^{١٥٢} ^{١٥٣} ^{١٥٤} ^{١٥٥} ^{١٥٦} ^{١٥٧} ^{١٥٨} ^{١٥٩} ^{١٦٠} ^{١٦١} ^{١٦٢} ^{١٦٣} ^{١٦٤} ^{١٦٥} ^{١٦٦} ^{١٦٧} ^{١٦٨} ^{١٦٩} ^{١٧٠} ^{١٧١} ^{١٧٢} ^{١٧٣} ^{١٧٤} ^{١٧٥} ^{١٧٦} ^{١٧٧} ^{١٧٨} ^{١٧٩} ^{١٨٠} ^{١٨١} ^{١٨٢} ^{١٨٣} ^{١٨٤} ^{١٨٥} ^{١٨٦} ^{١٨٧} ^{١٨٨} ^{١٨٩} ^{١٩٠} ^{١٩١} ^{١٩٢} ^{١٩٣} ^{١٩٤} ^{١٩٥} ^{١٩٦} ^{١٩٧} ^{١٩٨} ^{١٩٩} ^{٢٠٠} ^{٢٠١} ^{٢٠٢} ^{٢٠٣} ^{٢٠٤} ^{٢٠٥} ^{٢٠٦} ^{٢٠٧} ^{٢٠٨} ^{٢٠٩} ^{٢١٠} ^{٢١١} ^{٢١٢} ^{٢١٣} ^{٢١٤} ^{٢١٥} ^{٢١٦} ^{٢١٧} ^{٢١٨} ^{٢١٩} ^{٢٢٠} ^{٢٢١} ^{٢٢٢} ^{٢٢٣} ^{٢٢٤} ^{٢٢٥} ^{٢٢٦} ^{٢٢٧} ^{٢٢٨} ^{٢٢٩} ^{٢٣٠} ^{٢٣١} ^{٢٣٢} ^{٢٣٣} ^{٢٣٤} ^{٢٣٥} ^{٢٣٦} ^{٢٣٧} ^{٢٣٨} ^{٢٣٩} ^{٢٤٠} ^{٢٤١} ^{٢٤٢} ^{٢٤٣} ^{٢٤٤} ^{٢٤٥} ^{٢٤٦} ^{٢٤٧} ^{٢٤٨} ^{٢٤٩} ^{٢٥٠} ^{٢٥١} ^{٢٥٢} ^{٢٥٣} ^{٢٥٤} ^{٢٥٥} ^{٢٥٦} ^{٢٥٧} ^{٢٥٨} ^{٢٥٩} ^{٢٦٠} ^{٢٦١} ^{٢٦٢} ^{٢٦٣} ^{٢٦٤} ^{٢٦٥} ^{٢٦٦} ^{٢٦٧} ^{٢٦٨} ^{٢٦٩} ^{٢٧٠} ^{٢٧١} ^{٢٧٢} ^{٢٧٣} ^{٢٧٤} ^{٢٧٥} ^{٢٧٦} ^{٢٧٧} ^{٢٧٨} ^{٢٧٩} ^{٢٨٠} ^{٢٨١} ^{٢٨٢} ^{٢٨٣} ^{٢٨٤} ^{٢٨٥} ^{٢٨٦} ^{٢٨٧} ^{٢٨٨} ^{٢٨٩} ^{٢٩٠} ^{٢٩١} ^{٢٩٢} ^{٢٩٣} ^{٢٩٤} ^{٢٩٥} ^{٢٩٦} ^{٢٩٧} ^{٢٩٨} ^{٢٩٩} ^{٣٠٠} ^{٣٠١} ^{٣٠٢} ^{٣٠٣} ^{٣٠٤} ^{٣٠٥} ^{٣٠٦} ^{٣٠٧} ^{٣٠٨} ^{٣٠٩} ^{٣١٠} ^{٣١١} ^{٣١٢} ^{٣١٣} ^{٣١٤} ^{٣١٥} ^{٣١٦} ^{٣١٧} ^{٣١٨} ^{٣١٩} ^{٣٢٠} ^{٣٢١} ^{٣٢٢} ^{٣٢٣} ^{٣٢٤} ^{٣٢٥} ^{٣٢٦} ^{٣٢٧} ^{٣٢٨} ^{٣٢٩} ^{٣٣٠} ^{٣٣١} ^{٣٣٢} ^{٣٣٣} ^{٣٣٤} ^{٣٣٥} ^{٣٣٦} ^{٣٣٧} ^{٣٣٨} ^{٣٣٩} ^{٣٤٠} ^{٣٤١} ^{٣٤٢} ^{٣٤٣} ^{٣٤٤} ^{٣٤٥} ^{٣٤٦} ^{٣٤٧} ^{٣٤٨} ^{٣٤٩} ^{٣٥٠} ^{٣٥١} ^{٣٥٢} ^{٣٥٣} ^{٣٥٤} ^{٣٥٥} ^٣

[illegible]

ولا يلي من الإعراف في هذا اللقائ إلى سبب آخر من أسباب الاستمرار ليدل على الآية الأخرى في سورة النحل قال الله عز وجل : **وَمَا تَلَا مِنْهُ شَيْءٌ مِنْهُ نَافِلَةٌ** .
 كل واحد وحده مع الله قد تلهه ما بعد الله وحده .
 كسب بعضه بعضا .
 من اعطى الإيمان واحتسب العمل الصالح وحصل الشكر وحل عمله شيء آخر معه الثواب **فَكُلٌّ مِنْهُمْ نَفْلٌ** . هذا الأمر متناهي . به احدثت بهد الليل هذا تحدث عن نوحه حصول الأمان لكن جامعة الإعراف إلى أن تقرأ النعمة بسبب لعمدة الأمان طاعة الله يعني الأمان لكن يتبع لا يتم الشكر عن هذه النعمة فإن تقطع

فالأمم تأتي بقرود عديدة تخلصها من الله على كل حاله وبأني
 بالجماد وبقتل الصالحين لكي هل يستمر؟ لا يستمر؟ لا يستمر
 هي خلقت هو أب الأمان يستمر بكسر الحصى ويضع بكسر
 الجسماء وهذا تأتي بل المقرفة كالمسرى التي هي في دواع الأمن
 فسب الذي صنع الأمم في يكره بالقرود وفي بحالة العامة للأمة

هو انهم الامم

في الحقيقة من خلال آية منها يمكن أن نحس ثلاثة موانع هي:

نَقَطُوا بِكَ لَكِبًا وَمِنْهُ ۖ وَ كَلَّ لِلْمُؤْمِنِينَ أَمَانًا ۖ عَسَىٰ نَعْمَ الْبِرُّ
بِالسَّوْدَةِ خَرَامًا ۖ

وهذا الأمانة السطحي التي احضرت إليه الأمانة الكبرى بالحب
لأنهم بنوا على ما سمعوا في أوقات الجور والظلمة من
التي في ذلك الوقت من أجل ما كان عليه من
في صميمه أنه أنه في ذلك الوقت من أجل ما كان عليه من
أمانة الاستخلاص الخاصة للأمانة العظمى هكذا على الاستخلاص هي
أمانة الاستخلاص في الأرض من بين آدم ثم من بعدهم من بعدهم
ما سمعوا من بعدهم من بعدهم من بعدهم من بعدهم من بعدهم
أن الله عليه وآله وأمانة الاستخلاص لها أمانة أخرى أعظم
منها وهي شدة "أشهد على الناس" بالعبادة لله الأمانة حاصلة
لأن الأمانة العظمى كانت لله الذي يريد أن يخلصه كان نفعه
كان عظمه من المسلمين قبل ما في الأرض من بعدهم من بعدهم
من عظمه من المؤمنين كمال المسلمين أثناء ذلك أمانة لكن لم
يكونوا مكملين من بعدهم من بعدهم من بعدهم من بعدهم من بعدهم
المرسل وانتهت النبوة، ومرت الأمانة كلها مشكلة بما كان
مشكلة به من بعدهم من بعدهم من بعدهم من بعدهم من بعدهم
المرسل من بعدهم من بعدهم من بعدهم من بعدهم من بعدهم

[illegible]

و عندما يورد الشيخان قولهم في الأمانة يأتي الأمر الثالث بصيغة

واحدة القراء

هذه سرود نعتي هذه الأرض بالسماء لعن أنكم حسنت
 اختيار هذه الكلمة جامعة وأنكم عقدتم لغة القرآن
 الكريم، واختاروها لغة لتصلحها، ونظر هذه السلطة في
 حالها العربي والإسلامي، وحسد الله كيف حفظنا هذا للتاريخ
 من حيث أنه مدخل نحو تلك الأرض الإسلامية التي
 يتم عليها أمر للإسلام.

ه اخذ علي الإمام
 معشيتان رئيس الجمهورية السودانية لتعزيب العاهل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
 حرمه - سركت بصبره نفوست إلى حقائق ذات
 بعدة وسروره - قائد مزجت بين العلم والدين والتاريخ
 وتعضيره والقيم والأصمير والفكر، الطاعة، أشكر جميع
 أفراد ومشتري السلطة وأمسالة معجالة الشدايح والقصص
 في الأضواء من باتتلكر للأعداد بالعقيد بكل سرور
 فيم ضامه المراق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
 من ادري كبر - بدءا لكي اصمت من استعير لسلطة
 حرمه التي تضم كل العلوم وتجو عن سطوة لمة كانت
 هي المسئلة في زدهد وتطوير كل العلوم، فالسلطة جعل
 الشريعة يذكر دعيا في مبدع الكون وفي اللامع فيالسمان
 فعم شيء في الفردود وهو القفل والفرع الذي يفرد لما
 إلى كان عند هر للمواد : حكم
 د حلة لتطور الأمور الثمن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
 بالجميل لخصلا شعري صيري والحمد عني بالكلية من
 نلست لملونات الأدبية الإجابة بعينة في - شتم
 كل الذكر والدور - مناصو سيري امير - لعمري
 وسحر
 ه هاشم إبراهيم السويدي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
 لمعبرت حياي حرمه يا كنتي رحلة بعد وبع اراضي
 مستعد كي - كان المند الزود ومن ثم التامع
 ودموه في حطلي فيخول ما بينهما - لكي انه كنت ان
 المور - يمسح من "حرمه" - تمدين إلى خورما تلك الأكلام
 :تيرة ذات الفكر الإسلامي العفيم والأسلوب فرتي
 عد للحدود - انه ذو لرواحكم - يا تهتم لأمن هذا
 جليا بين ضاية القزاة - جزاكم جبري الخرجوس الأممي
 راجالي المند

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
 ليد استعير أسسور في قضة جلال "حرمه" ومتمها في
 ه حرمه - قد اصعبد إلى لخصلا جلال لا فيها
 ماوا من التبحر - حرمه - اعلم اعتمد المقصد راند
 بكنبو ولكم الله وادركم.

د عبد الله محمد البخاري الهمن



هذا الكتاب

١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦

4. 10. 1991 20. 10. 1991 30. 10. 1991

سلاطین مریدان
موجبات القلب والروح

مکتبہ اسلامیہ



مركز التوزيع فرع القاهرة : ٧ في التوسكا، الفي هسليم، مدينة نصر - القاهرة / مصر
 تيلفون ولاكس : 212222631551 - الفاكس : 2111655230881



قَتَّبِعْ أَفَارِدَ ۞

هتة تلتة حها : كلافه الحريقني

لا شك في هذا

تلفظ: نجر ي ٣/٤

2. 2

نمبر ۵۰ دیپان لڑ چکے

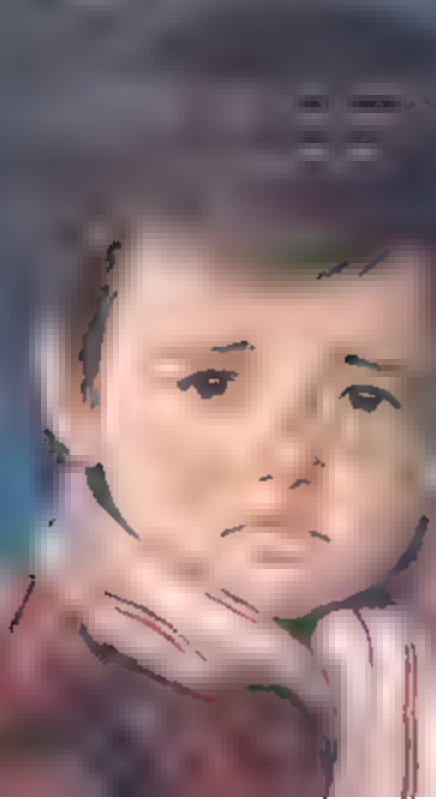
1997 年 12 月

4E 17 1A7

5 6 7



حیدر





• • • • •

مطابق المذکور بالا، اگرچہ ایسی ہیئتیں ہیں جن کے لیے ان کے

اسی طرح تو عید الفریزال جہاز لقمہ دے

هذه الكتب الأربعة هي التي عليكم التمسك بها

مستند شهید علی اکبری طریقی

2000

الأولاد الثلاثة في الإصدار الأخير 3.4: برنامج الـ *glibc* ...

سنة ١٤٠٠ هـ

الاستراتيجية العامة في نظام المحاسبة

— 4 —

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين

• • • • •

— ۱۰۰ —

٢٠٢١ م ١١١١ هـ

6. 3d 2010 2011 2012



2. ٢٠٠٠

سفرنامه



سفرنامه

سفرنامه

سفرنامه

سفرنامه

سفرنامه

سفرنامه

سفرنامه

سفرنامه

سفرنامه

سفرنامه

سفرنامه

سفرنامه

سفرنامه

سفرنامه

سفرنامه

ع



[illegible]

محيط. خلافاً لبلع الحكمة هذه التناقض من الوفاء والصدق، وكان درجة
صداقة خارجي، رجب من صلاتات في القسوة، يعني للزم أن
يرجوه ناهية الأيدي^٥. يقتضيه إلى «مطلق الأيدي» في معنى
السرعة الكفاءة، وأدّى بمقدور من تفرقة حجة الرباهة والاعتماد
ذلك التناقض المظن للزم أن إلى سره رغب

إن جمع الميراث لدى أصحابه لقبح مجرأته مذلة كمثل نضج
 شيخ ^{كبير} فيها من بهتة الروح في الاحتضار البتة، وكمل ما
 دعتنا تنصير به الأضي القاطعة، ونضطر بفقرنا وكنا
 بقصره وقنائه، وإن السعداء قدس. أبو إلى ملوات الليل
 متحيرة عن الجاد للكنسولة على به الجهاد فلو فوجها
 حاله نناد له حصه حمر حار صلب . مير
 في الأثر رجاء من غيرة سرف يصحبه مير الجاه خنفة
 في اليوم فوجده ويتون الفروح خلة أيتها زوايا وخلفاء
 عند حيدر . بسجالات انصاف طمأن إلى الإله ملذبة

التحليل النوعي

إلى أستاذي

الأندلسية ومحبو لا إله إلا الله

صدر منها مطبوعون بدمع الكعبی

و انہیں انفسِ آدمیٰ میں شےء ممکن

انما يتزكاه بحرفه الهو د ولبعه نصير

بِأَقْصَى مَرَجَةٍ وَاسْمِي بَقَاءُ حُلُلٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



Salmon

Salmon is a popular fish, known for its rich flavor and health benefits. It is a good source of protein, omega-3 fatty acids, and vitamins. Salmon can be prepared in many ways, including grilling, baking, and broiling. It is also a popular choice for sushi and sashimi.

Salmon is a good source of protein, omega-3 fatty acids, and vitamins. It is a good source of protein, omega-3 fatty acids, and vitamins. It is a good source of protein, omega-3 fatty acids, and vitamins.

Salmon is a good source of protein, omega-3 fatty acids, and vitamins. It is a good source of protein, omega-3 fatty acids, and vitamins. It is a good source of protein, omega-3 fatty acids, and vitamins.

Salmon is a good source of protein, omega-3 fatty acids, and vitamins. It is a good source of protein, omega-3 fatty acids, and vitamins. It is a good source of protein, omega-3 fatty acids, and vitamins.

Salmon is a good source of protein, omega-3 fatty acids, and vitamins. It is a good source of protein, omega-3 fatty acids, and vitamins. It is a good source of protein, omega-3 fatty acids, and vitamins.

بعض السمات في كل عهد فائلك كما جعلت مفسلا جعلت حريات
تطاول في حقبة للتسعين باطالها كانت هذه الحريات مصنوعة
من صفائح خولانية رقيقة يوجد بها مخلوق حيوانيات مجتمعة ومع
ذلك لم يور ذلك حتى يتدركوا بالفرح من كونه الملاك عكسا
معهودا عند الطبقات للتغاضب لاجابات الكيمياء

ويعلم البعض الآخر هذه المرونة بل قدوة محاذية في حياضه
فلمع لدى هذه الحيوانات والحيوانات بحيث سمع الفسحات
في لموسن الزنبرال في باطن الارض وفي سطح البيض نظرية
الغسائية لمخرطة لدى هذه حيوانات لمرقة حمور التي يحدث
على النقص تدويرا ايضا يحصل البعض بمسألة ان يرب
عده الحيوانات الفذكية لمخرطة في "المعزعة الغسائية" وكثيرا

ما يعلق بعد سرد شواهد حية في الموضح بقره
لاحتج بأن هذه المراتز حياضه وهي غوى بوجه
يدرك هذه السمات "أنا تطبق في
عاري فصح عنه منادله نقلة لدم

ثم عند التمسك السدي بعد
صاحبه لم يد حداث
فانما على حد الحلال دلا .
فانما يربها "دراك" رعبه
في سرى حركه يده
لدى "الديا" عن لعت
هذه الفس كيدت انقرب به منادله
عز فاضره حد حد شمام فولا في
عده "أنا" نيتة حـ

فما يور في سلوك كيات محرم لهذه وغريبة لا
تصل الحلة بالظن في النهاية بعدد

لا عدواني في الكيوب
اما دعوى كيمسكية والمسي الذي لا حديق من رايه لا
محرث له في وحد هذه الفم الا "فشا دعوى يردنا بشر بسيط في
روحه مثل تلك التصرفات البسوكية التي تقوم به تلك الكائنات
داو تكلم غلط في طريقة ناه الطاهر الضمو لبيتته الفالح يتسائل
جويلا من الملة لدمر كذا هذه الميزة القويمة هي التي علم هذا
الطير ذلك نفس الفرمق؟ ولذا كتبه جميع الاحتفال التي منها
الطير من هذا النوع؟ الا لا . بل الميزة مظهر حرة في ذلك
قد يد عرجا من الفسول، بل أنا في الواقع تعد (دالة) مرتبة
لكسر الفسرة كما هي هذه المراتز "محر كها عجيبي" و

هي ما عتبه "مخلوقا" للكم من اللطف ومن الإصاف أن ربي
أنا لمر الله كماله في سوا كيت هذه الكائنات: أين خلقه
هولاء وفي القواين ومن عاص لا يكدأ ناك من كنهه شيئا
زنه لله القديم الذي يظهر آثار قدره، وسام سيكته ومظاهر
حده من حوثك إنه الله الذي خلأ الكون رخصته ومعهه هذا
للطوق البشري التي كرمه من ربي مائل للملوك فادته انليس
هذا بطوبى للريح ذن أولي وأخرى هذا الإنسان فاجدا؟ إن
ذلك هو ما يوصل إليه كل ر العلماء المتخصص في سلوكيات
الكائنات الحيوانية "أنا" الله القديم سبحانه من أجله خلق
التميز لدمر الذي يولد تسمة الاتان يترك كلامه المقطوع في
نظمهم، إنه كذا هذا الإنسان المبني بالله سبحانه يولد في

احسان هؤلاء العلماء الذين من وراءه كبح الفسولة
العصب عند الطائر العصفور في سلال
أنا "أنا" كذا "أنا" كذا
هو هم فته في أنا حمة أنا كذا

حده "أنا" كذا "أنا" كذا
فانه في كذا "أنا" كذا
فهم من عتبه لا يربن نيتة
في تبيط به فرحمه يرب لله
في كذا "أنا" كذا
في كذا "أنا" كذا
لله فوه له فاشك حمة
في كذا "أنا" كذا

كانت هذه الإيمان القوي بالله فالتقى العلم
مبصرا يتفر في فلوبنا من حلال فابنا في عتبه
السلوك العصب من عد الطائر الضمو فدهو . إن
قدم بوله إلهية أكثر بارة فاشك فيها أنا فله رجا سبحانه
عز الطير في سلوك كيات الكائنات لدمر من حوثا: عيسى له
فلا ب معه "أنا" فسر هذه المراتز عيوانه الواضحة عره أخرى
فكتم به ر عتبه المتعصب

لقد يرد لفتاز العلمك مسيحات هذه الكائنات بل تلك الفراز
بل فله بحت هي النعسة والإعصاف معاً حتى إذا تبتث في
تصرف فنجوت فلال وهو يلهم عملا هندسها هذا، الفس في
فهم عتبه فتم كتمت بها تلك من فاشك وعصوده الفهم
في الله عتبه، إلا هذه الفسرة الصغيرة تسبح بمرعها بصوره
تطبق كل مره مع الوضع الذي تبد لنفسه فيه ويؤلف مصرعة

[illegible]

المطبخ : المطبخ

[illegible]

الموسم الكفافي الثاني

معايير البحث الأخروي
في فكر النونسي



— and —

24 400

100

1997

1. *Journal of the American Medical Association*, 1997; 277: 1033-1038.

1997

| Age | Sex | Height (cm) | Weight (kg) |
|-----|-----|-------------|-------------|
| 18 | M | 175 | 75 |
| 22 | F | 160 | 55 |
| 25 | M | 180 | 80 |
| 28 | F | 165 | 60 |
| 32 | M | 170 | 70 |
| 35 | F | 155 | 50 |
| 38 | M | 175 | 75 |
| 42 | F | 160 | 55 |
| 45 | M | 180 | 80 |
| 48 | F | 165 | 60 |
| 52 | M | 170 | 70 |
| 55 | F | 155 | 50 |
| 58 | M | 175 | 75 |
| 62 | F | 160 | 55 |
| 65 | M | 180 | 80 |
| 68 | F | 165 | 60 |
| 72 | M | 170 | 70 |
| 75 | F | 155 | 50 |
| 78 | M | 175 | 75 |
| 82 | F | 160 | 55 |
| 85 | M | 180 | 80 |
| 88 | F | 165 | 60 |
| 92 | M | 170 | 70 |
| 95 | F | 155 | 50 |
| 98 | M | 175 | 75 |
| 100 | F | 160 | 55 |

[illegible]

١٠٠
١٠١
١٠٢
١٠٣
١٠٤
١٠٥
١٠٦
١٠٧
١٠٨
١٠٩
١١٠

١١١
١١٢
١١٣
١١٤
١١٥
١١٦
١١٧
١١٨
١١٩
١٢٠
١٢١

١٢٢
١٢٣
١٢٤
١٢٥
١٢٦
١٢٧
١٢٨
١٢٩
١٣٠
١٣١
١٣٢

١٣٣
١٣٤
١٣٥
١٣٦
١٣٧
١٣٨
١٣٩
١٤٠
١٤١
١٤٢
١٤٣

١٤٤
١٤٥
١٤٦
١٤٧
١٤٨
١٤٩
١٥٠
١٥١
١٥٢
١٥٣
١٥٤

١٥٥
١٥٦
١٥٧
١٥٨
١٥٩
١٦٠
١٦١
١٦٢
١٦٣
١٦٤
١٦٥

١٦٦
١٦٧
١٦٨
١٦٩
١٧٠
١٧١
١٧٢
١٧٣
١٧٤
١٧٥
١٧٦

١٧٧
١٧٨
١٧٩
١٨٠
١٨١
١٨٢
١٨٣
١٨٤
١٨٥
١٨٦
١٨٧

١٨٨
١٨٩
١٩٠
١٩١
١٩٢
١٩٣
١٩٤
١٩٥
١٩٦
١٩٧
١٩٨

١٩٩
٢٠٠
٢٠١
٢٠٢
٢٠٣
٢٠٤
٢٠٥
٢٠٦
٢٠٧
٢٠٨
٢٠٩

٢١٠
٢١١
٢١٢
٢١٣
٢١٤
٢١٥
٢١٦
٢١٧
٢١٨
٢١٩
٢٢٠

٢٢١
٢٢٢
٢٢٣
٢٢٤
٢٢٥
٢٢٦
٢٢٧
٢٢٨
٢٢٩
٢٣٠
٢٣١

٢٣٢
٢٣٣
٢٣٤
٢٣٥
٢٣٦
٢٣٧
٢٣٨
٢٣٩
٢٤٠
٢٤١
٢٤٢

٢٤٣
٢٤٤
٢٤٥
٢٤٦
٢٤٧
٢٤٨
٢٤٩
٢٥٠
٢٥١
٢٥٢
٢٥٣

٢٥٤
٢٥٥
٢٥٦
٢٥٧
٢٥٨
٢٥٩
٢٦٠
٢٦١
٢٦٢
٢٦٣
٢٦٤

٢٦٥
٢٦٦
٢٦٧
٢٦٨
٢٦٩
٢٧٠
٢٧١
٢٧٢
٢٧٣
٢٧٤
٢٧٥

٢٧٦
٢٧٧
٢٧٨
٢٧٩
٢٨٠
٢٨١
٢٨٢
٢٨٣
٢٨٤
٢٨٥
٢٨٦

٢٨٧
٢٨٨
٢٨٩
٢٩٠
٢٩١
٢٩٢
٢٩٣
٢٩٤
٢٩٥
٢٩٦
٢٩٧

٢٩٨
٢٩٩
٣٠٠
٣٠١
٣٠٢
٣٠٣
٣٠٤
٣٠٥
٣٠٦
٣٠٧
٣٠٨

٣٠٩
٣١٠
٣١١
٣١٢
٣١٣
٣١٤
٣١٥
٣١٦
٣١٧
٣١٨
٣١٩

٣٢٠
٣٢١
٣٢٢
٣٢٣
٣٢٤
٣٢٥
٣٢٦
٣٢٧
٣٢٨
٣٢٩
٣٣٠

٣٣١
٣٣٢
٣٣٣
٣٣٤
٣٣٥
٣٣٦
٣٣٧
٣٣٨
٣٣٩
٣٤٠
٣٤١

٣٤٢
٣٤٣
٣٤٤
٣٤٥
٣٤٦
٣٤٧
٣٤٨
٣٤٩
٣٥٠
٣٥١
٣٥٢

٣٥٣
٣٥٤
٣٥٥
٣٥٦
٣٥٧
٣٥٨
٣٥٩
٣٦٠
٣٦١
٣٦٢
٣٦٣

٣٦٤
٣٦٥
٣٦٦
٣٦٧
٣٦٨
٣٦٩
٣٧٠
٣٧١
٣٧٢
٣٧٣
٣٧٤

٣٧٥
٣٧٦
٣٧٧
٣٧٨
٣٧٩
٣٨٠
٣٨١
٣٨٢
٣٨٣
٣٨٤
٣٨٥

٣٨٦
٣٨٧
٣٨٨
٣٨٩
٣٩٠
٣٩١
٣٩٢
٣٩٣
٣٩٤
٣٩٥
٣٩٦

٣٩٧
٣٩٨
٣٩٩
٤٠٠
٤٠١
٤٠٢
٤٠٣
٤٠٤
٤٠٥
٤٠٦
٤٠٧

٤٠٨
٤٠٩
٤١٠
٤١١
٤١٢
٤١٣
٤١٤
٤١٥
٤١٦
٤١٧
٤١٨

٤١٩
٤٢٠
٤٢١
٤٢٢
٤٢٣
٤٢٤
٤٢٥
٤٢٦
٤٢٧
٤٢٨
٤٢٩

٤٣٠
٤٣١
٤٣٢
٤٣٣
٤٣٤
٤٣٥
٤٣٦
٤٣٧
٤٣٨
٤٣٩
٤٤٠

٤٤١
٤٤٢
٤٤٣
٤٤٤
٤٤٥
٤٤٦
٤٤٧
٤٤٨
٤٤٩
٤٥٠
٤٥١

٤٥٢
٤٥٣
٤٥٤
٤٥٥
٤٥٦
٤٥٧
٤٥٨
٤٥٩
٤٦٠
٤٦١
٤٦٢

٤٦٣
٤٦٤
٤٦٥
٤٦٦
٤٦٧
٤٦٨
٤٦٩
٤٧٠
٤٧١
٤٧٢
٤٧٣

٤٧٤
٤٧٥
٤٧٦
٤٧٧
٤٧٨
٤٧٩
٤٨٠
٤٨١
٤٨٢
٤٨٣
٤٨٤

٤٨٥
٤٨٦
٤٨٧
٤٨٨
٤٨٩
٤٩٠
٤٩١
٤٩٢
٤٩٣
٤٩٤
٤٩٥

٤٩٦
٤٩٧
٤٩٨
٤٩٩
٥٠٠
٥٠١
٥٠٢
٥٠٣
٥٠٤
٥٠٥
٥٠٦

٥٠٧
٥٠٨
٥٠٩
٥١٠
٥١١
٥١٢
٥١٣
٥١٤
٥١٥
٥١٦
٥١٧

٥١٨
٥١٩
٥٢٠
٥٢١
٥٢٢
٥٢٣
٥٢٤
٥٢٥
٥٢٦
٥٢٧
٥٢٨

٥٢٩
٥٣٠
٥٣١
٥٣٢
٥٣٣
٥٣٤
٥٣٥
٥٣٦
٥٣٧
٥٣٨
٥٣٩

٥٤٠
٥٤١
٥٤٢
٥٤٣
٥٤٤
٥٤٥
٥٤٦
٥٤٧
٥٤٨
٥٤٩
٥٥٠

٥٥١
٥٥٢
٥٥٣
٥٥٤
٥٥٥
٥٥٦
٥٥٧
٥٥٨
٥٥٩
٥٦٠
٥٦١

٥٦٢
٥٦٣
٥٦٤
٥٦٥
٥٦٦
٥٦٧
٥٦٨
٥٦٩
٥٧٠
٥٧١
٥٧٢

٥٧٣
٥٧٤
٥٧٥
٥٧٦
٥٧٧
٥٧٨
٥٧٩
٥٨٠
٥٨١
٥٨٢
٥٨٣

٥٨٤
٥٨٥
٥٨٦
٥٨٧
٥٨٨
٥٨٩
٥٩٠
٥٩١
٥٩٢
٥٩٣
٥٩٤

جليل المنفعة القومية

[illegible]

ابن و، التی

ابن جرير الطبري

القصر وهداه لا يكفى

تحتج دراجات السعي للتحمل من عفاة:

کجا افندی پست مژده لا ٲله

چونکہ یہ ایک ایسا ہیرو ہے جس کی زندگی بھر کے لیے اس نے اپنے آپ کو وقف کر دیا ہے۔

ما لا يهمل من الاستعدادات الجسدية

هنا لا يعطى من الإسهال أدوية

في روح الامانة والتجارب فلا بد ان يرسى

في عهد علي بن أبي طالب

هذه الأساليب في علاج حمى وجع / جعده

هذه الأساليب في علاج حمى جيب / جيب ظهر

الإيمان عظمه الله فهو نور

الإنسان عظيم لذاته

بالایمید و مرشدی

في اشارة الى ان

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible][illegible]

U. S. Department of the Interior, Bureau of Land Management, 1015 North 3rd Street, Anchorage, Alaska 99503

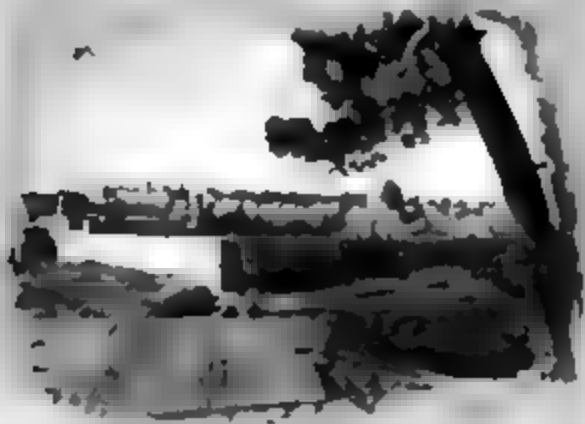
[illegible][illegible]

س: في الآية ١٩ قلنا لا تفسدوا ما في الارض فانه ... (الطه) ...

[illegible]

إفلا نعوذ بالله : لا حول ولا قوة الا بالله : الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

بصائر عذنية على الأقيص الشريف



بصائر عذنية على الأقيص الشريف



١٠٠
 ١٠٠
 ١٠٠
 ١٠٠
 ١٠٠

١٠٠
 ١٠٠
 ١٠٠
 ١٠٠
 ١٠٠

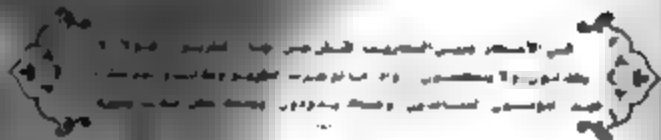
تكملة في النحو والكلام

١٠٠
 ١٠٠
 ١٠٠
 ١٠٠
 ١٠٠

١٠٠
 ١٠٠
 ١٠٠
 ١٠٠
 ١٠٠

١٠٠
 ١٠٠
 ١٠٠
 ١٠٠
 ١٠٠

١٠٠
 ١٠٠
 ١٠٠
 ١٠٠
 ١٠٠



أمام الفروسيّة الاسلاميّة



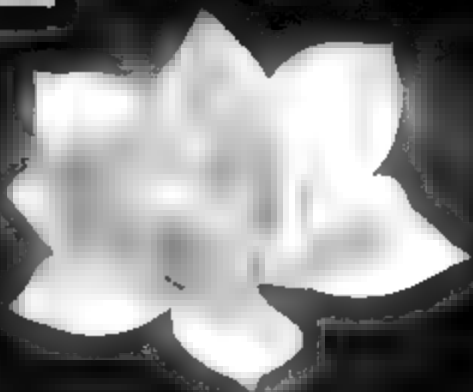
و قد ساهم في ذلك إلى التلبية بعدى من عقد ٢٠٠٠ م،
 من أهم حتى إقامة الدولة الإسلامية الأولى ببلادهم الليرة
 بينهم فيها سنة ٢٠٠٠ م. وأقام الدولة التي تسمى
 للشعرية وعلمها وهي مسمى بالعلمى بحسب هذا العلم
 ذلك الشعرية من قبل خلقهم العرب واليهود لا حتى
 لتسمو في عصرهم الحديث من بعد التسمية على عصر الإسلام
 على الدولة في اللغة المسلمون عرصة الإسلام
 وقت أذناه ﷺ كسوتين التي تسمى في بلادهم وسميت منهم
 شواظهم وأمرهم من قبلهم. أكد هم في القتال ردا للصون
 ليوصل وضاهي الدين والوطن والقوة ذلك للنسب يتأثرون

مصر بحري للبحر الأبيض وحرم الزفير حين بالأعضاء أداء الفتاة
 من الشهور تحت القطر اجزوا بك ما حب الخلق الأعلام
 رجايد ازاد قرمروا للفقائل نعر معاد هذه البستور
 محفور باسم الله في ميل لغة تفلتون من كهر ماء لا قطو
 وتجربوا ولا تقسرو ولا تمكرو ولا تتكلموا ولها من سبي
 كما أعطى هذا المستور . مستور الفرسية الإسلامية
 الأمي والامات للربان والنساء الصافي المتصور أي لكل
 من لا يتعرف في كل للسبب بل أعطى هذه بقرة حين للجنة
 والبرعاته في بكل كواك الفهمان

ولأنّ المسلمين قد عجزوا بطريقنا⁴ عن إحياء عبادة

25. ²⁶ علي بن ابي طالب





الأبعاد الإنسانية
في الأعمال الخيرية

1998, 1999, 2000, 2001, 2002, 2003, 2004, 2005, 2006, 2007, 2008, 2009, 2010, 2011, 2012, 2013, 2014, 2015, 2016, 2017, 2018, 2019, 2020, 2021, 2022, 2023, 2024, 2025, 2026, 2027, 2028, 2029, 2030, 2031, 2032, 2033, 2034, 2035, 2036, 2037, 2038, 2039, 2040, 2041, 2042, 2043, 2044, 2045, 2046, 2047, 2048, 2049, 2050, 2051, 2052, 2053, 2054, 2055, 2056, 2057, 2058, 2059, 2060, 2061, 2062, 2063, 2064, 2065, 2066, 2067, 2068, 2069, 2070, 2071, 2072, 2073, 2074, 2075, 2076, 2077, 2078, 2079, 2080, 2081, 2082, 2083, 2084, 2085, 2086, 2087, 2088, 2089, 2090, 2091, 2092, 2093, 2094, 2095, 2096, 2097, 2098, 2099, 2100, 2101, 2102, 2103, 2104, 2105, 2106, 2107, 2108, 2109, 2110, 2111, 2112, 2113, 2114, 2115, 2116, 2117, 2118, 2119, 2120, 2121, 2122, 2123, 2124, 2125, 2126, 2127, 2128, 2129, 2130, 2131, 2132, 2133, 2134, 2135, 2136, 2137, 2138, 2139, 2140, 2141, 2142, 2143, 2144, 2145, 2146, 2147, 2148, 2149, 2150, 2151, 2152, 2153, 2154, 2155, 2156, 2157, 2158, 2159, 2160, 2161, 2162, 2163, 2164, 2165, 2166, 2167, 2168, 2169, 2170, 2171, 2172, 2173, 2174, 2175, 2176, 2177, 2178, 2179, 2180, 2181, 2182, 2183, 2184, 2185, 2186, 2187, 2188, 2189, 2190, 2191, 2192, 2193, 2194, 2195, 2196, 2197, 2198, 2199, 2200, 2201, 2202, 2203, 2204, 2205, 2206, 2207, 2208, 2209, 2210, 2211, 2212, 2213, 2214, 2215, 2216, 2217, 2218, 2219, 2220, 2221, 2222, 2223, 2224, 2225, 2226, 2227, 2228, 2229, 2230, 2231, 2232, 2233, 2234, 2235, 2236, 2237, 2238, 2239, 2240, 2241, 2242, 2243, 2244, 2245, 2246, 2247, 2248, 2249, 2250, 2251, 2252, 2253, 2254, 2255, 2256, 2257, 2258, 2259, 2260, 2261, 2262, 2263, 2264, 2265, 2266, 2267, 2268, 2269, 2270, 2271, 2272, 2273, 2274, 2275, 2276, 2277, 2278, 2279, 2280, 2281, 2282, 2283, 2284, 2285, 2286, 2287, 2288, 2289, 2290, 2291, 2292, 2293, 2294, 2295, 2296, 2297, 2298, 2299, 2300, 2301, 2302, 2303, 2304, 2305, 2306, 2307, 2308, 2309, 2310, 2311, 2312, 2313, 2314, 2315, 2316, 2317, 2318, 2319, 2320, 2321, 2322, 2323, 2324, 2325, 2326, 2327, 2328, 2329, 2330, 2331, 2332, 2333, 2334, 2335, 2336, 2337, 2338, 2339, 2340, 2341, 2342, 2343, 2344, 2345, 2346, 2347, 2348, 2349, 2350, 2351, 2352, 2353, 2354, 2355, 2356, 2357, 2358, 2359, 2360, 2361, 2362, 2363, 2364, 2365, 2366, 2367, 2368, 2369, 2370, 2371, 2372, 2373, 2374, 2375, 2376, 2377, 2378, 2379, 2380, 2381, 2382, 2383, 2384, 2385, 2386, 2387, 2388, 2389, 2390, 2391, 2392, 2393, 2394, 2395, 2396, 2397, 2398, 2399, 2400, 2401, 2402, 2403, 2404, 2405, 2406, 2407, 2408, 2409, 2410, 2411, 2412, 2413, 2414, 2415, 2416, 2417, 2418, 2419, 2420, 2421, 2422, 2423, 2424, 2425, 2426, 2427, 2428, 2429, 2430, 2431, 2432, 2433, 2434, 2435, 2436, 2437, 2438, 2439, 2440, 2441, 2442, 2443, 2444, 2445, 2446, 2447, 2448, 2449, 2450, 2451, 2452, 2453, 2454, 2455, 2456, 2457, 2458, 2459, 2460, 2461, 2462, 2463, 2464, 2465, 2466, 2467, 2468, 2469, 2470, 2471, 2472, 2473, 2474, 2475, 2476, 2477, 2478, 2479, 2480, 2481, 2482, 2483, 2484, 2485, 2486, 2487, 2488, 2489, 2490, 2491, 2492, 2493, 2494, 2495, 2496, 2497, 2498, 2499, 2500, 2501, 2502, 2503, 2504, 2505, 2506, 2507, 2508, 2509, 2510, 2511, 2512, 2513, 2514, 2515, 2516, 2517, 2518, 2519, 2520, 2521, 2522, 2523, 2524, 2525, 2526, 2527, 2528, 2529, 2530, 2531, 2532, 2533, 2534, 2535, 2536, 2537, 2538, 2539, 2540, 2541, 2542, 2543, 2544, 2545, 2546, 2547, 2548, 2549, 2550, 2551, 2552, 2553, 2554, 2555, 2556, 2557, 2558, 2559, 2560, 2561, 2562, 2563, 2564, 2565, 2566, 2567, 2568, 2569, 2570, 2571, 2572, 2573, 2574, 2575, 2576, 2577, 2578, 2579, 2580, 2581, 2582, 2583, 2584, 2585, 2586, 2587, 2588, 2589, 2590, 2591, 2592, 2593, 2594, 2595, 2596, 2597, 2598, 2599, 2600, 2601, 2602, 2603, 2604, 2605, 2606, 2607, 2608, 2609, 2610, 2611, 2612, 2613, 2614, 2615, 2616, 2617, 2618, 2619, 2620, 2621, 2622, 2623, 2624, 2625, 2626, 2627, 2628, 2629, 2630, 2631, 2632, 2633, 2634, 2635, 2636, 2637, 2638, 2639, 2640, 2641, 2642, 2643, 2644, 2645, 2646, 2647, 2648, 2649, 2650, 2651, 2652, 2653, 2654, 2655, 2656, 2657, 2658, 2659, 2660, 2661, 2662, 2663, 2664, 2665, 2666, 2667, 2668, 2669, 2670, 2671, 2672, 2673, 2674, 2675, 2676, 2677, 2678, 2679, 26

[illegible]

الحج في مكة المكرمة
في شهر ذي الحجة
من سنة ١٤٢٠ هـ

والله اعلم
بما نزلنا
من كتاب
والله اعلم
بما نزلنا
من كتاب

والله اعلم
بما نزلنا
من كتاب
والله اعلم
بما نزلنا
من كتاب

والله اعلم
بما نزلنا
من كتاب
والله اعلم
بما نزلنا
من كتاب

والله اعلم
بما نزلنا
من كتاب
والله اعلم
بما نزلنا
من كتاب

والله اعلم
بما نزلنا
من كتاب
والله اعلم
بما نزلنا
من كتاب

والله اعلم
بما نزلنا
من كتاب
والله اعلم
بما نزلنا
من كتاب

والله اعلم
بما نزلنا
من كتاب
والله اعلم
بما نزلنا
من كتاب

والله اعلم
بما نزلنا
من كتاب
والله اعلم
بما نزلنا
من كتاب

والله اعلم
بما نزلنا
من كتاب
والله اعلم
بما نزلنا
من كتاب

والله اعلم
بما نزلنا
من كتاب
والله اعلم
بما نزلنا
من كتاب

[illegible]

١ - الحاصلات التقديرية التي تقدم للفترة موسمية. وخاصة في
الاحياء والنماذج القديمة، او عندما تم في ذوات مساحتهم إليها
الحاصلات القيمة التي تقسم الطول والارتفاع والكتلة،
بعض الجوانب الإنتاجية لمحافظة البحارة وللأولاد، وهي
تقدم للفترة الراشدين موسمية ايضا في ذوات مساحتهم إليها
الاحياء والنماذج القديمة

■ تصديقات بنظر عریہ اذاعہ کی

 $\frac{1}{2}H_2O$

١- "بسم الله الرحمن الرحيم" (In the name of Allah, the Most Gracious, the Most Merciful)
 ٢- "الحمد لله رب العالمين" (Praise be to Allah, the Lord of the worlds)
 ٣- "والصلاة والسلام على من لا نبي بعده" (And the prayer and peace be upon the one who has no prophet after him)
 ٤- "وبعد، فقد حضر هذا الاجتماع" (And after that, this meeting was held)
 ٥- "في يوم الاثنين الموافق ١٠/١٠/١٤٢٥هـ" (On Monday, 10/10/1425 AH)
 ٦- "بمقر الجمعية العامة" (At the General Assembly)
 ٧- "وشارك في الاجتماع" (Participated in the meeting)
 ٨- "السادة: ..." (The honorable: ...)
 ٩- "وقد تم مناقشة" (It was discussed)
 ١٠- "البيان التالي" (The following statement)
 ١١- "وتم التوصل إلى" (It was agreed upon)
 ١٢- "القرار التالي" (The following decision)
 ١٣- "بأن" (That)
 ١٤- "تتم" (To be carried out)
 ١٥- "العملية" (The process)
 ١٦- "بموجب" (In accordance with)
 ١٧- "القرار" (The decision)
 ١٨- "الذي" (Which)
 ١٩- "تم" (Was)
 ٢٠- "تخويله" (Delegated)
 ٢١- "إلى" (To)
 ٢٢- "السادة" (The honorable)
 ٢٣- "المختصة" (The competent)
 ٢٤- "بذلك" (By that)
 ٢٥- "القرار" (The decision)
 ٢٦- "الذي" (Which)
 ٢٧- "تم" (Was)
 ٢٨- "تخويله" (Delegated)
 ٢٩- "إلى" (To)
 ٣٠- "السادة" (The honorable)

١٠ - تاريخ التعلّم في دار الحديث، كتاب في التاريخ، ١٩٨٤، ص ٦٤
١١ - تاريخ التعلّم في دار الحديث، كتاب في التاريخ، ١٩٨٤، ص ٦٤
١٢ - تاريخ التعلّم في دار الحديث، كتاب في التاريخ، ١٩٨٤، ص ٦٤



[illegible]

وكانت ذكرت في سورة لقمان أن بابي الدنيا ميني فطبع بحر من
الكرشمي أنه كان يسر لفت يوم حثلة من اللامعة على شاطئ
دخلة قراي استعمر في دحل في دجلة سبعة عله لطف من

عمل في الخفاء من يحوز غلاما كان الإسلام باق هو للمسلم الذي لا يعمل عن إيق القسما، وهذا كان الإسلام إذا جاءه ولد وانقسم المسلم في العام، فليبدأ شرح فيها: القتال في بلد؟ ولماذا عرفت بمحوه المسلمين بأمره إلى كل جهات الدنيا؟

واعلن ان كل انقضي من قسمة أبي لا بد منه
حماية حياة؟ اننا كالي القدر. هو الصبي الذي لا بد منه

حراء

مجلة ثقافية عربية

الاستقواءات البهرية

محمّد بن عبد الله

محمّد بن عبد الله

محمّد بن عبد الله

محمّد بن عبد الله

محمّد بن عبد الله

محمّد بن عبد الله

محمّد بن عبد الله

محمّد بن عبد الله

محمّد بن عبد الله

محمّد بن عبد الله

محمّد بن عبد الله

محمّد بن عبد الله

محمّد بن عبد الله

محمّد بن عبد الله

محمّد بن عبد الله

محمّد بن عبد الله

محمّد بن عبد الله

محمّد بن عبد الله

محمّد بن عبد الله

محمّد بن عبد الله

محمّد بن عبد الله

محمّد بن عبد الله

محمّد بن عبد الله

محمّد بن عبد الله

١٠. عهدي الذي سره الله في حرمي
 ١١. لا تتركه لا تتركه لا تتركه
 ١٢. لا تتركه لا تتركه لا تتركه
 ١٣. لا تتركه لا تتركه لا تتركه
 ١٤. لا تتركه لا تتركه لا تتركه
 ١٥. لا تتركه لا تتركه لا تتركه
 ١٦. لا تتركه لا تتركه لا تتركه
 ١٧. لا تتركه لا تتركه لا تتركه
 ١٨. لا تتركه لا تتركه لا تتركه
 ١٩. لا تتركه لا تتركه لا تتركه
 ٢٠. لا تتركه لا تتركه لا تتركه

البري بين السلام والاضلال

١. البري بين السلام والاضلال
 ٢. البري بين السلام والاضلال
 ٣. البري بين السلام والاضلال
 ٤. البري بين السلام والاضلال
 ٥. البري بين السلام والاضلال
 ٦. البري بين السلام والاضلال
 ٧. البري بين السلام والاضلال
 ٨. البري بين السلام والاضلال
 ٩. البري بين السلام والاضلال
 ١٠. البري بين السلام والاضلال

١١. البري بين السلام والاضلال
 ١٢. البري بين السلام والاضلال
 ١٣. البري بين السلام والاضلال
 ١٤. البري بين السلام والاضلال
 ١٥. البري بين السلام والاضلال
 ١٦. البري بين السلام والاضلال
 ١٧. البري بين السلام والاضلال
 ١٨. البري بين السلام والاضلال
 ١٩. البري بين السلام والاضلال
 ٢٠. البري بين السلام والاضلال

محمّد بن عبد الله

محمّد بن عبد الله



کابل کانگریس سود چھری مظلوم و غلام ایک ایکسپوزیٹری کمیٹی کی طرف سے

✽ د. علی جمالی ✽



من مكونات عقل المسلم — اعاد لي الصحابي مع الكود ربهمة

۱۰۰ + ۱۰۰ = ۲۰۰ (۲۰۰ گرام) کما آیتا عکس ای نقطہ دحل فیجاء

٥٠ المصطفى بكلا الكتابين لا هي ههنا في الموضوع

مع انضمام آغا خان مسعود ثالث، راجسٹرار، محکمہ نذر کد، علی ان دربار

مع: المحترم

المادة ١٠٠ : لا يجوز للمحكمة أن تدين المدعى عليه بغير دليل مقبول أو بغير دليل كافٍ.

الم

μ σ τ

على ما استقر في الفكر الاقربى من فكره
بما كانه وانتهى الإتصال في النهاية عليها

أكرم الله الذي سألوني به والأمر به
الليل والليل أن يلى صبحاً آية الليل وضلنا أمة لا نهم

تحتاج إلى لهم صديق مستعد للتكامل لأن في فهمها الحق

بسر الذكر والأنثى على أفعال مختلفة لتكامل خلاص

على ذلك لأن تصدق في رجل ليس على دعوه

تحدثت لظهور الأضواء ونظامها. حينئذ لا يبقى حيث

مبدأ. فلا مجال **﴿الترتيب﴾** في المبدأ ذاته

تدبرها فاحصل انفسك رها. **﴿بما وسمت يوفون عليه من
ذلك المبدأ سيجزى نافع ريثق مظهر. كذلك ينضرب لظ
الحسن المتعالي فأتينا انزله فذهب عنها: بأننا ما نتبع القلي
فيمكنك من الترتيب كذلك ينضرب عطف الانكشاف ويزعمه
لأن سيق به هذه النام ونكون مالمه بالمسبح الذي يمتز
بغير والشمع الرخاء فهم لا يحق حواء الاستبانة التي**

تلك ذوات في الرسالات لمسانة قبل الفناء. فلا مجال

تتحدى المبالغة **﴿إلا في حياء التلاميذ﴾**

ومن اجل تحقيق ذلك كتب لك في كونه تلك لغة الحق
بما معناها أنتكافا. موهف امر الحق نهدا وأقبل لغما.

﴿سنة العزلة﴾

وعندما كان عال **﴿ووليمو﴾**

**﴿فمنه لاني انزل اليك انزل بالحق والمبدأ في هذه
وظال تعالى. فلهذا ارسلك مسكنا بالحق انزلك معهم**

بصهي إليه التسلط الإنساني بعد الحق الذي وقا به. ولا
عندنا هم على هذه السنة. هذا انه سنة كونه سنة قهية

التفكير موهف من موهوم المبدأ موهف لنا التباد فلهذا
الأشهر. المبدأ والحق على حد الله سبحانه قال
فلهذا بالحق

والحال سبحانه **﴿وإلا في رويته﴾**
والذي لا بد للإنسان أن يعمل به ثم ياتي الشكله على
وقد هذه السنة مظهر إلى أن الشكله بالأسلاك مظهر

تتحلى حدها. **﴿الوصول إلى مباحثها وقرب عال**

﴿فلهذا الشكل والمبدأ ولا يتخصص في

تفسد في الأرض بقدر إصلاحها ذلكم سيجزى لكم في كتم

قالوا: **﴿الوصول إلى المبدأ والحق على كل الأص**

وجدا فترسط هو من مباحثها هذه الأمة الموهف لثباته

يعود على **﴿وذلكم حلقناكم لثة وسطا فتكونوا شهداء**

على القلي يكونوا قوسوا حلقهم بهذا **﴿وهم**

والترسط هو الأصول للحد والأعلى كذلك يقول من

كن في تسموه **﴿والمبدأ هنا: بقدر الأصول كما**

ترتبط به فترسط بها **﴿بما: أي: موهفهم وكان رسول**

الموهف في الترتيب ساهم في ناه للمبدأ

ترتبط العقل سليم فتمتد الخلق عظمه وروحه وقد

فلمت ووجه الأولاد والفتوة الإسلامية بقوله النكوب في

عهد ويرى: **﴿لأنك الذكي عبد الله مظهر للجنات مع**

فتوى والموهف. وموهف عليه سنة عما هو للمبدأ

بالله الإسلامية كلها. والذي كان ياله الانهاض من

فصيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر والذي تأكد وتزايد في

صالح مظهر للزور الإسلامي في حياء النكوب في حياء

سنة ١٤٧٦ هـ. والذي بقدر أكثر من موهف عام **﴿سنة**

مرجع من مراجع الحق الإسلامي في العام

فتوى في سنة إلهة تعلم بهذا الفكر صلح منها

الانصاف وروى الحق في القصب والرشاء وتعلم منها **﴿سنة**

فلهذا القصب صلح منها بناء المظهر العلمية. وتر



لا تذهب يا أبت..

✻ كاسو غود ✻



الشمع مع المضيء لم يترك سرور شعاع كعراق أهدى
 نألف على الأرض في إحدى القرى، يا بني، سم في...
 كان... الزمر... بعد ذلك... معك...
 هذه الفضة... ينحني الأثر...
 الفلمية... رافاً...
 ثم علم بالموافقة...
 الصاعقة على ذلك الفضة...
 بعد...
 بعد...
 ثم بعد ذلك...
 عندها...
 ثم بعد ذلك...
 عندها...
 ثم بعد ذلك...
 عندها...

الشمع خرب المرح في الفلم...
 المرحلة...
 في الفلم...
 يا حمدا...
 جئت...
 لا شحنة...
 ثم ألقى...
 كان...
 أي صوت...
 فلا بعد...
 انشأ...
 وغير...
 لكن...
 ثم بعد ذلك...
 عندها...
 ثم بعد ذلك...
 عندها...



بالقرآن تسعد القلوب وتأنس النفوس



[illegible]

كَلَيْبُ الْعَصْرِ الْهَامُ ابْنُ الْوَجُودِ، الْإِنْسَانُ

[illegible]

المسجد الشريف عقيقه في عمان

[illegible]

بعد استقلاله عليه الأخوة الإسماعيلية

[illegible][illegible]

عن أبي الهيثم و بنز الأحمري

بصیرت نعلی^۱ و از اینجانب —————

وقد أثار ذلك حواره في بعض الأماة التي عاينته في
 مكة إذ يقول في أثناء الحصة الخاصة به : «ما وجدته
 ثم لا أعرفه» حينئذ ينادي حواره الخيرة نعم
 الامم الإسلامية بعد ذلك يصح : «عند الظفر انه ان
 خرجت يومها» كما يلاحظ في م على صفة ما يقوله
 بقوله : «لا على حق فيقولون : لا» : «وغير الموجود» بالخط
 الخطي . في هذا العدد يحتوي على ثلاثة فصول هي :
 تحت إشراف مكتب العلاقات العامة بالكلية .

يسعدنا التوصل إلى إتمام القرآن الكريم بسلامة منصوص
وحي القرآن قد صارت من معرفة الله تعالى في كل ما
له من عظمة وجلالة في كل ما له من عظمة وجلالة
في كل ما له من عظمة وجلالة في كل ما له من عظمة وجلالة
في كل ما له من عظمة وجلالة في كل ما له من عظمة وجلالة
في كل ما له من عظمة وجلالة في كل ما له من عظمة وجلالة
في كل ما له من عظمة وجلالة في كل ما له من عظمة وجلالة
في كل ما له من عظمة وجلالة في كل ما له من عظمة وجلالة

[illegible][illegible]

لنظام بها حكمة لتسليط الاستعماري ثم عولمة لاكثر مني ، حكمة
 بتربية القصادية صرفا وهو غاى - - - - - مع ذلك غير ان ترويح
 - - - - - للمحتل - - - - - صور ان يوحى خداعا من ان - - - - - للتقنيات
 متاعا من بسبب هذا خداعا لتوكيد عدم انسلاب من تصار
 فاجي فلا حكمة تالووه لتجدهم - - - - - حافة تحايل
 في ربح هذا شئى بتعبية غامضة
 * انفاق المدعوية المصطنعة

هذا هو ذلك الفكر - - - - - مبعاه على بسببه المنحى
 المدعوي او التجنوبي وهو شئى لا تكاد يوت على - - - - - ظن
 فيكون ان ينفذ في للسياسة كما يمكن ان ينفذ في الإسلام او في
 لتعود على قوته في - - - - - لتدبر - - - - - لتدبر
 في ربح الخوف في هذا تصار وبنو تصدق تشكيبا
 بل هو ما يكون مستهدفا ضم ذلك على هذا مضاعف

٣ - الخوف المصطنع

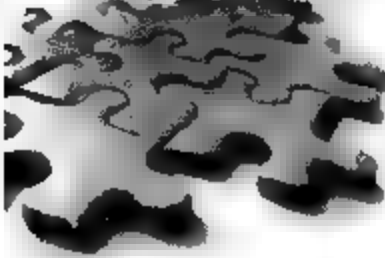
الحس الثالث في التحايل عند الاستعمار على المستعمرة
 انكاملتي حيث يعنى به - - - - - منعمرة - - - - - الخوف
 خطباء تصادى حيث خدع به له خداعا منعمرة
 في ربح الخوف من تصار الخوف في هذا خداع له تصار في
 لتعود على قوته في - - - - - لتدبر - - - - - لتدبر

٤ - الخوف المصطنع المصطنع لتسليط الصلابة

هذا الخوف في - - - - - التحايل في هذا هو - - - - - حيث
 عند الالتقاء ولهم عند شئى كذا مع الخوف - - - - - ما
 في ربح الخوف المصطنع هو ذلك في ربح الخوف المصطنع
 في ربح الخوف المصطنع هو ذلك في ربح الخوف المصطنع
 في ربح الخوف المصطنع هو ذلك في ربح الخوف المصطنع
 في ربح الخوف المصطنع هو ذلك في ربح الخوف المصطنع
 في ربح الخوف المصطنع هو ذلك في ربح الخوف المصطنع

٥ - الخوف المصطنع المصطنع

في ربح الخوف المصطنع هو ذلك في ربح الخوف المصطنع
 في ربح الخوف المصطنع هو ذلك في ربح الخوف المصطنع
 في ربح الخوف المصطنع هو ذلك في ربح الخوف المصطنع
 في ربح الخوف المصطنع هو ذلك في ربح الخوف المصطنع
 في ربح الخوف المصطنع هو ذلك في ربح الخوف المصطنع
 في ربح الخوف المصطنع هو ذلك في ربح الخوف المصطنع
 في ربح الخوف المصطنع هو ذلك في ربح الخوف المصطنع



هذا الخوف هو برعي هو الخوف هو - - - - - مبعاه على بسببه المنحى
 هذا الخوف هو برعي هو الخوف هو - - - - - مبعاه على بسببه المنحى
 هذا الخوف هو برعي هو الخوف هو - - - - - مبعاه على بسببه المنحى
 هذا الخوف هو برعي هو الخوف هو - - - - - مبعاه على بسببه المنحى
 هذا الخوف هو برعي هو الخوف هو - - - - - مبعاه على بسببه المنحى
 هذا الخوف هو برعي هو الخوف هو - - - - - مبعاه على بسببه المنحى
 هذا الخوف هو برعي هو الخوف هو - - - - - مبعاه على بسببه المنحى

هذا الخوف هو برعي هو الخوف هو - - - - - مبعاه على بسببه المنحى
 هذا الخوف هو برعي هو الخوف هو - - - - - مبعاه على بسببه المنحى
 هذا الخوف هو برعي هو الخوف هو - - - - - مبعاه على بسببه المنحى
 هذا الخوف هو برعي هو الخوف هو - - - - - مبعاه على بسببه المنحى
 هذا الخوف هو برعي هو الخوف هو - - - - - مبعاه على بسببه المنحى
 هذا الخوف هو برعي هو الخوف هو - - - - - مبعاه على بسببه المنحى
 هذا الخوف هو برعي هو الخوف هو - - - - - مبعاه على بسببه المنحى

هذا الخوف هو برعي هو الخوف هو - - - - - مبعاه على بسببه المنحى
 هذا الخوف هو برعي هو الخوف هو - - - - - مبعاه على بسببه المنحى
 هذا الخوف هو برعي هو الخوف هو - - - - - مبعاه على بسببه المنحى
 هذا الخوف هو برعي هو الخوف هو - - - - - مبعاه على بسببه المنحى
 هذا الخوف هو برعي هو الخوف هو - - - - - مبعاه على بسببه المنحى
 هذا الخوف هو برعي هو الخوف هو - - - - - مبعاه على بسببه المنحى
 هذا الخوف هو برعي هو الخوف هو - - - - - مبعاه على بسببه المنحى

[illegible]

فقد مر حدي إلى الكعبة فوجدتها ممتلئة من الناس فخرجت منها
فوجدت فيها جماعة من المشركين واليهود والنصارى فخرجت منهم
ووجدت في البيت المقدس جماعة من النصارى واليهود فخرجت منهم
ووجدت في مكة جماعة من المشركين واليهود والنصارى فخرجت منهم

الواقع المحيطي في مجال الادب المقارن

يتم تسمية حلال عند التبرع للمعنى في حلال أو الحج البشري في حلال الأديان الثلاثة. فكل واحد حلال إلى مكتبة موريل، أو مكتبة - تصوير أو مكتبة، خاصة محمد الخامس، ولتحت م صور الأسماء في المبيعات المختلفة، سواء بعد أن تدرج جميعها أو ما عشتي ضمن المقامات الثلاثة الأخرى كـ رتب بعد أن البحوث في تدرج ضمن أبحاث في مجلة كلبا. إن أبحاث خاصة بديت مع التبرع ولا حرج.

[illegible][illegible]

١١- التخصيص الخلقية التي يستدعي العلاج التي التخصيص الخلقية





يا دنيان العجوز

في هذه الظروف البديل ضمن حالة الفقرة بهما ز وهو الأمر الذي يجب تناوله بالاعتبار بعد العمل الاجتماعي في العمل البعدي

بعد أن لعبت لأكثر من ١٠ سنوات في فرق مختلفة، قررت أن أترك كرة القدم وأتفرغ لدراسة الطب. وبعد التخرج من الجامعة، عملت في مستشفى لمدة ٥ سنوات، ثم قررت أن أكون طبيبة عامة. وأنا الآن أعمل في عيادة خاصة، وأستمتع جداً بعملتي.

الركن الأول، وهو حود علي مذكورة في مطلع هذا الفصل
ومعناه رجب يوافق في هذا النكوب إلا في رجب محلو
مستطاعا، ونكي يكون كصاف، فلا بد أن نذكر لهذا القدره علي

والأصل منه حتى يستطيع التعامل والتعامل والتعاون الإيجابي على أنه
محمداً يستطيع أن يكون على هذا النحو لا يمكن

على ضرورة القيام بالبحث والدراسة، وتحرير قسمي ثلاثة أقطار في
هذا الركن الثاني، وهو الركن الموقفي

مؤخر هذه المراسلة الموقرة على طيحه الجليل، التحية والبركات

وذكرت في بعض النسخ: "وإني أرى أن لا بد من أن يكون هذا الكتاب من تأليفه".

... ..

من المفاهيم الصعبة في لغز الفجوة والكوتبة؟ ربما العلامات
والعلامات استهكية أم، ففي لا زال هذا العدد اسود في

بعضها غريبة وفي بعضها

الاسرار

التميز العظيم وقضية الأمان

في ظلّ هذه الظروف، فإنّ الأمن أصبح من أهمّ القضايا التي تواجهها المجتمعات الحديثة، ولا يمكن تجاهلها أو إغفالها. فمع التطور التكنولوجي السريع، أصبحت التهديدات الأمنية أكثر تعقيداً وتنوعاً، مما يتطلب من الحكومات والمؤسسات اتخاذ تدابير فعّالة لضمان سلامة مواطنيها وحماية ممتلكاتها.

من بين التحديات التي تواجه الأمن في عصرنا، نذكر على وجه الخصوص: الإرهاب، الجريمة المنظمة، القرصنة الإلكترونية، والتجسس. هذه التهديدات لا تقتصر على الحدود الوطنية، بل أصبحت عالمية، مما يتطلب تعاوناً دولياً وثيقاً لمواجهةها.

بالإضافة إلى ذلك، فإنّ الأمن السيبراني أصبح جزءاً لا يتجزأ من الأمن القومي، حيث أصبحت الأنظمة الإلكترونية عرضة للاختراق والتلاعب. لذلك، يجب تعزيز البنية التحتية للأمن السيبراني وتطوير القوانين التي تحمي البيانات والمعلومات الحسنة.

في ختام هذا المقال، نؤكد على أهمية الأمن في حياتنا، ونحثّ الحكومات والمؤسسات على اتخاذ خطوات جادة لضمان سلامة مواطنيها وحماية ممتلكاتها.

عمله يتهد حياة القوي كما يصوره ادي إصناة؟ وإنما جازت م
عند رب الكون تحمل الكثير من أسر الملك للذكوات، وهي
أجسامها ستاح ثلاث الأبرار لا يهبط من عوارق دبوراك لقوى
الروح القلبية من عدم انقب إلى عالم الشهادة وتدرج من الله
تعالى ﴿وَمِنْ أَمْرِ اللَّهِ أَنْ يُمْسِكَ الْفَرْقَ وَأَمَّا عَلَى قَوْمٍ
فَكَانَ إِسْمَاعِيلُ الْأَوَّلُ ٢٦

مجيئى معنى غلظه يذكره امية * قل نزلت لذي بقلن
تدرا بالأنبياء أنه كلا غلو حيا بعد اذن: ١-١٠

إن الذي يظن انه مختلفا يقر القرآن يه كلامه كمي معني
كلماته مع لغوه كمي معني الأصوات مع الريح فله لا يتم
القرآن سلام لا هو عرفا هناك إنما قدي يمزج ويخون من
تلاوته إذ هو لذي يرضع به يخرج عمر بعد سه الف إلى آفاق
الكونه يستعمله م حائل للذكوات ما لا عين رأت ولا
سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذاك تكون رمى عنك
وورد قاة تم آتو كان هؤلاء المستبدون يمشون وعلمك
حل وعلا إذ قال ﴿فِي سِرِّهِ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَبِّهِ
إِلَّا قَلِيلٌ بِهِ يَسْتَوُونَ﴾. م لصدا به سره على العباد
لأنه كتمان. كذا هي التي ابتدئت من هذه العبادات التي
تلوها إلى نفس ما يمكنه يصوره خيال، فلهذا من أن يعيد
به نصو. يتري من معامل الوجود إلا تقوى في كتاب الله ثلاث
سورجا حياء فقر يد ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ من شجرة القلام

الله مخلوق باسم ملكوت الله في عمله في الأرض؟ نحن
وهم النصر الذين من البقاء إلى الشكس وهذا عرويه من
بنية الآن، ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا فِي السَّمْعِ﴾ إنهم لهم
منصورون * في حناة لهم المكونين من ١٧-١٨
تدرج بهم أن كملته فعال هي له القوي فأنك حمله
الرائع انه ذلك ان كلامه طرف كذا كلام: إن كلامه لذي علق
الكرير والشار. إنه صمم سلكي للمودعات والكلمات جميعا

الذي يده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون ﴿يَسْأَلُ
عَنْ حُلِيِّهِمْ مَا فِي كَفِّهِمْ مِنْ رِجَالٍ﴾ مكي ان جعل
وأنه وجود الشيء يوجد باليمن رزما كل ملك تعال في خلق
الصنع والمكرين بمسره كلفة لك فعل الأم ﴿كُنْ﴾ الامر
بأنكوا الشكرين وحسلي من العلم إلى قرص

ان كلمة ساق لا تتم مدي الكون: إلا مسرعا يصور
عند جعل حائه تحت علمه دواب وم كات في تدوير شروق العلك
للذكوات في كلامه تعال إذ عسل وتغير وار وبهم
رج هنا كان صبر الله شمس القلام كد سبق حاته
أله كلفة الله ﴿إِنَّمَا يَسْبِغُ حَمِيمِي ابْنِ عَزِيمٍ﴾ مود الله
كلمته القوي رأى مريم روح من الله السعداء. ولما جاء ذلك
بها سباق الرد عن الله حمر اله التكرار ابن

لأنك علم كبره فقول ﴿كَلِمَةً﴾ حل على انه تجلي عرفه
الله من الحلا. ولذكور: هو ما بينه عان في الآية الأخرى
﴿إِنْ مِثْلَ عَيْنِي﴾ عند كفتي أتم حلقه من لاد شام علا
لا كثر حكرين ﴿مَرِيَمَ﴾ ربي هنا كانت لم تسرع ربي
كلمة كلمة صبرتي عري للاربع. وفي سورجا شاعنا في
دارك خيسو فلا تعان ﴿وَلَا تَالِمْ﴾ ملامكة يا

الاعرة ومن التكرار: مود الله: هناك للمصير القوي
لكلمة القضية إنك هي في. ﴿وَكُنْ﴾ مكي. في كلمة الله
كلام الله تعال هو قصبه من راده الحلي التكرار: والحمر
عس قصه الرباني وقدره الوجودي: ولذا هذا القرآن العظيم هو
برهان الأري دسترة الأدي

من الهين إلى الصكين

فأيس انتهى هذا القرآن إنك؟ إنه لا ينهي أبدا وعماك يا
صباح، أبى مسلم ان كلام التكم صفة صر حمانه؟ ومي
كانت صغار. الله صبا هاد: وهو حل جلالة، وهو سلطان
رب العالمين، فليحيط بكل عسيه، فكيف ياذ حمر. فمما في هذا
لقرآن وعلم به في معصه ور حلقه رصارت حمر حقيق من
م كذا القرآن في الفهم الوجودي، وهذا المبرر ان تلك صفة
حقيقته؟ نوبى حقا قد صار سورجا من القدر الإلهي الذي
لا يتصور مودة الله نوبى له علم حيا بالهين من حود

١٠ نو يا موسى ١٢٠

عني حال، ياها لصع رجالا ١٠٠ من علة الأرض ذلك
لما صعد الوحدات الفردية والشمسي والشمالي الإنساني،
عن الله ووجهاً يخرج من ذلك كله يوم غدو ١٠٠
الله والله وحده ١٠٠ بعد يتدو ١٠٠ في كل الله الذي لا
يرتد مسي في السماء ولا في الأرض عوجي الله ١٠٠
الكوني في التاريخ. بولك، انني صعدت ١٠٠ من الله ١٠٠

نقلهم من الأرض
فأشبهه فاشي

١٠٠ الصالحات منهم مغفرة ١٠٠
كلمات القرآن في الصلاح ١٠٠

١٠٠ كل من يعملها ١٠٠ من بياض ١٠٠
تسبب الإحسان ١٠٠

١٠٠ كل من يصنع ١٠٠
صنع كل ما يكون ١٠٠
إلى المستطاع ١٠٠
بالفرق ١٠٠
نفس ملاح ١٠٠
بدمع باطل ١٠٠
تفرغ ١٠٠
حادي ١٠٠
للادب ١٠٠
ثم هو ١٠٠
بما لا يدع ١٠٠
١٠٠

١٠٠ القرآن من الكون ١٠٠
به القرآن من الكون ١٠٠

١٠٠ من الله ١٠٠
إد القدر ١٠٠
صبا ١٠٠
وإعلامية ١٠٠
نار ١٠٠
بذلك أنت ١٠٠

١٠٠ لا يتلخ ١٠٠
بجها ١٠٠
من مصوب ١٠٠

١٠٠ كبر ١٠٠
الجزر ١٠٠
إن تلك ١٠٠
تقبل ١٠٠
إن القصد ١٠٠
عبد ١٠٠
الأفروا ١٠٠
الذي ١٠٠
الطعام ١٠٠
إد ١٠٠
١٠٠

١٠٠ مع ١٠٠
١٠٠
١٠٠
١٠٠

١٠٠ كلمات ١٠٠
لهم ١٠٠

يُؤْتِيكَ تَقَاتُلَ الْقَلْبِ كَرِيهِ مِنَ الْبِلَادِ تَقَاتُلَ عَمَلٍ نُوْأَتُهُ

وَحَسْبُ وَحَسْبُ قَمْعُهُمْ كَرِيهِ عَمَلُهُمْ ١٤٦٦-١٤٦٧. بِكُلِّ مَسَاطِينِ الظُّلْمَةِ

وَمَا يَكْرَهُهُ مِنْ عَمَلٍ حَسْبُ وَقَلْبُهُ فِي خِلَافٍ مِنْ دَمِهِ إِلَى رَضَى

تَعْرِيفُهُ وَتَقَاتُلَ كَلِمَةُ كَرِهَتْ مَدِينًا مَحْلُولًا فِي حَرْفٍ حَسْرَةٍ

عَلَى الْوَحْدَةِ لَا يَرْمَعُ يَتَسَمَّوْنَ رَايَةَ الْفَرَاكِ يَكُونُ مَصِيرُ

الْمُضْطَرِّبَاتِ وَالْإِمْدَانِ الْاِقْتِصَادِيَةِ الْمُضْطَمَّةِ الْيَوْمِ وَمَدِينَهَا لِإِهْلَامِهِ

بِأَبِ الْمُسْلِمَةِ لِلْمُسْكِنَةِ. وَفِي نَسْبِ عِلَاقِي الْخَلِيفَةِ إِلَى

نَصْرِ مَحْمُودٍ. وَاتِّمَامِ هِدَايَةِ الْقَصْرِ بِمَعْنَى الْمُلَاحَظَةِ وَفِي الْبَرِّ الْبَرِّ تَكْرَرُ

حَسْرَةٍ بِمَعْنَى الْفَقْرِ كَتَرُ إِلَى سَهْنٍ مَعْرُودٍ ١٤٦٨-١٤٦٩

الْأَمْرُ بَعِي يَمِينُ وَيَمِينُ الْوَلَدِ أَنَا وَابْنُ خِيَامَتِهِ الْكُتَابُ

بَعْدُ؟ تَقَاتُلَ رِقَابَهُ؟ وَحَرْفُهُ مَعْنَى الْفَتْحِ تَحْرِيْرُ حَوَاتِنَ عَيْنِ

الْبَيْتِ مِنْ هَذِهِ الْوَقْعَةِ بِأَمْرِهِمْ لَوْ هَذَا الَّذِي الْوَهْمِي الْمَعْلُومِ

السُّوَيْدِ بِأَمْرِهِمْ الْوَلَدِ الْأَوَّلِ حَتَّى الْإِهْلَامِ التَّحْدِيدِ لِلْمُسْلِمِينَ

وَالْبَنَانِ مَصِيرُ الْخَطْبِ لِمُسْلِمِي الَّذِي يَرِي الْأَحْيَالِ عَلَى التَّحْدِيدِ

عَلَى الْوَلَدِ وَتَجْعَلُ كَلِمَةَ الْبَعْدِ لِقَابَةِ الْوَلَدِ وَتَحْصِيَاتُ الْوَلَدِ

تَقَاتُلَ مَصِيرُ الْاِقْتِصَادِ الْاِسْتِهْلَاقِي لَتَرِ حَتَّى الْمَدْرُ بِكُلِّ تَحْوِي

الْأَمْرُ بَعِي يَمِينُ وَيَمِينُ الْوَلَدِ أَنَا وَابْنُ خِيَامَتِهِ الْكُتَابُ

أَبَا لَا أَلْ تَرُدُّدِي؟ وَرَبِّ نَحْوِ الْوَلَدِ الْاِقْتِصَادِي وَفَدَحِلْ

السَّيْمِي وَكَلِمَةُ الْاِقْتِصَادِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ لَتَرِ حَتَّى الْوَلَدِ الْوَلَدِ

الْمَعْلُومِ بِطَبْعِ تَبْلِيغِ عَمَلِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ

مَتَمِّمٌ كُلٌّ مِنْ مَتَمِّمَاتِ بِي مَتَمِّمَاتِ

بِمَعْنَى الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ

الْأَمْرُ بَعِي يَمِينُ وَيَمِينُ الْوَلَدِ أَنَا وَابْنُ خِيَامَتِهِ الْكُتَابُ

يَتَجْعَلُ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ

الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ

مَتَمِّمٌ كُلٌّ مِنْ مَتَمِّمَاتِ بِي مَتَمِّمَاتِ

بِمَعْنَى الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ

الْأَمْرُ بَعِي يَمِينُ وَيَمِينُ الْوَلَدِ أَنَا وَابْنُ خِيَامَتِهِ الْكُتَابُ

يَتَجْعَلُ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ

بِمَعْنَى الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ

الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ

بِمَعْنَى الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ

الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ

بِمَعْنَى الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ

الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ

بِمَعْنَى الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ

الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ

بِمَعْنَى الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ

الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ

بِمَعْنَى الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ

الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ

بِمَعْنَى الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ

الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ

بِمَعْنَى الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ

الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ

بِمَعْنَى الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ

الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ

بِمَعْنَى الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ

الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ

بِمَعْنَى الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ

الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ

بِمَعْنَى الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ

الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ

بِمَعْنَى الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ

الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ

بِمَعْنَى الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ

الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ

بِمَعْنَى الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ

الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ

بِمَعْنَى الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ

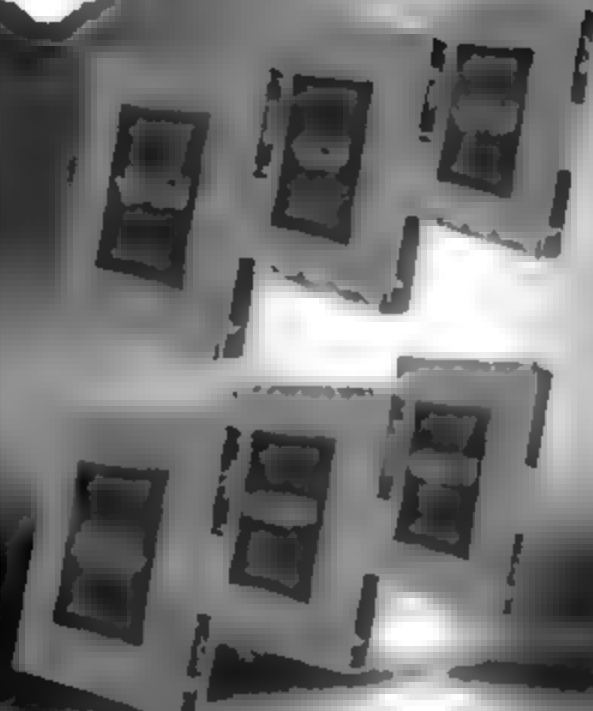


كليات ومراكز الدراسات

بجامعة القاهرة

الطبعة الأولى: ١٩٨٥

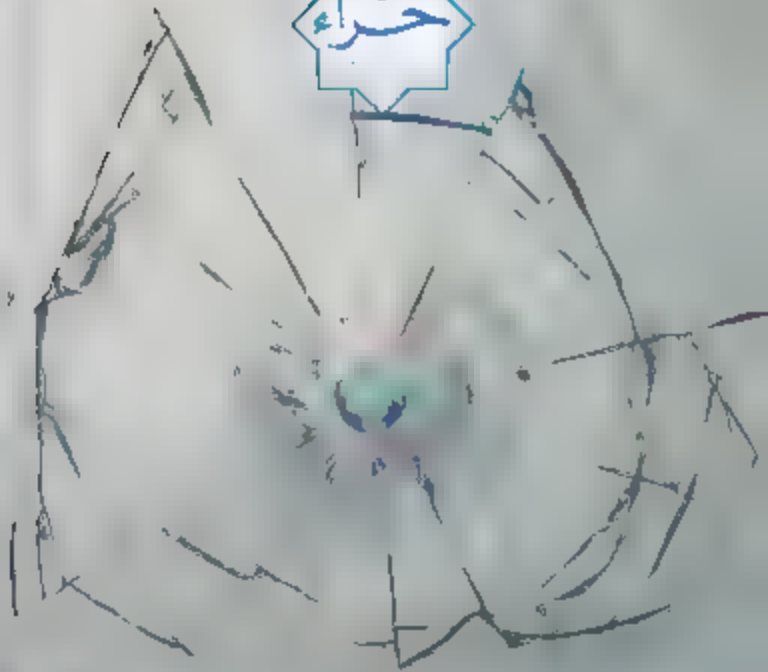
الطبعة الثانية: ١٩٨٥



الطبعة الأولى: ١٩٨٥

الطبعة الثانية: ١٩٨٥

الطبعة الثالثة: ١٩٨٥



حرارة
 حرارة
 حرارة
 حرارة
 حرارة

www.hiramagazine.com

العدد الأول / السنة الأولى / أكتوبر 2005



مجلة علمية ثقافية فلسطينية

- **تأملات حول العهد** د. منى الخوري
- **ظاهرتان تبعثان على الدهشة في كتاب الله عز وجل** د. محمد عبد الحميد الوطى
- **الإيمان والشفاء** د. القاسم البشير
- **مفهوم الحمالية بين الفكر الاسلامي والفلسفة الغربية** د. فريد الأصغري
- **حقيقة الجهاد والقتال والإرهاب** د. محمد عمارة
- **حجراء (شعر)** د. حسن الأمري

بِسْمِ اللَّهِ تَسْتَهْلِكُ شَيْئاً... كان «الإنسان» ما قبل «حراء» عائماً في خواء روحي رهيب، ذاهاً عن نفسه، مجذب الجوانب، محل الوجود، خامد الجذوة، مقفر الروح، طافياً على سطح الحياة غير معني بجوهرها؛ إنه لا يحيا إنما يعيش، حتى لكأن حياته خلو عن الحياة، فأسلمه ذلك كله إلى نوع من الشلل العقلي والروحي.

وفجأة وفي لحظة زمنية هي أضواء لحظات الزمن، تحرك التاريخ سراعاً ليأتي «حراء» ويقف على بابه، منتظراً خروج الرجل المتحنت فيه، ليضع بين يديه روح الإنسان وعقله ويأتمنه عليهما. ولم يكن الرجل غير محمد صلى الله عليه وسلم، ذاك الأمين المصطفى المختار الذي لم يجد الحق أظهر من قلبه ليتنزل عليه ويقيم فيه. ومنذ تلك اللحظة الوضاعة في جبين البشرية، تجرد «حراء» من مكانيته وزمانيته، وغدا روحاً عظيماً محلقاً فوق الزمان والمكان، فخالط دم كل مسلم وسرى في وجدان كل مؤمن.

إن الآيات التي استهل القرآن نزولاً بها في غار «حراء» رسمت المنحى الفكري والروحي للمسلم كما يريده الله سبحانه وتعالى. ف«اقرأ» هذا الأمر الإلهي يعطي دفعة قوية للكسل الذهني، ويستفز العقل لكي يقرأ ويتدبر.

فالإنسان إذا شئنا أن نصفه بكلمة واحدة قلنا إنه «مخلوق قارئ». فالأمر الإلهي شامل لكل أنواع القراءات؛ فللقراءة قراءة، ولللغة قراءة، وللكون والطبيعة قراءة، وللتاريخ قراءة، وللنفس الإنسانية قراءة، ولكل ما يتحسس الإنسان بحواسه الخمس قراءة، وإن لم يفعل أصيب بالعسر العقلي وتبلد إحساسه وشعوره.

فالكون والكائنات كتاب مفتوح سطره قلم القدرة، غير أنه مكتنف بالكثير من الغوامض والأسرار. وعلى الإنسان أن يستوحي قلم القدرة فيما يكتب، وأن يسعى لفتح أبواب تلك الأغوار السحيقة من المعاني. فإنشاء الأفكار وبناء صروح المعارف من مهمات هذا القلم الذي ربما يستطيع أن يهيمن في وقت ما على ثقافات العصر.

إن كثيراً من الغشاوات التي تمنعنا من الرؤية العميقة النافذة تنتظر هذا القلم القدير لكي يزيحها عن أعيننا لنرى بشكل أوضح وأعم وأشمل. ولهذا أقسم رب العزة بالقلم في أمكنة أخرى من القرآن، وعلمه الإنسان. وكل قلم بيد الإنسان هو ظل من ظلال قلم القدرة، وقبس من أقباسه، ومن هنا تقدس القلم، وعظم من يمسك به، ومن هنا كذلك يجيء احترامنا وانحنائنا للأقلام النزيهة الملتزمة بالحق والحقيقة.

ولهذه الإيحاءات الروحية والفكرية التي يستثيرها اسم «حراء» في ذهن المسلم ووجدانه، ارتأينا أن يكون «حراء» اسماً لجلتنا، نستوحي منه - كتاباً وقراءاً - المعاني العظيمة في رسم الطريق إلى المعرفة الإيمانية التي نريدها لمسلم هذا اليوم. وهذه المعرفة - كما نرى - لا تستوي على عرشها، ولا تؤتي تمارها إلا إذا قامت على القرآن والكون والإنسان. فالإنسان المسلم كوني لا يكبح تطلعه، ومعرفي لا يقف عند حد، وقرآني الكينونة والوجود؛ فهو بين العقول صاحب العقل الأرقى وبين الفهوم صاحب الفهم الأوسع، وبين المدرجات صاحب المدرك الأعم والأشمل. وهذا هو ما تسعى هذه المجلة أن تكرر نفسها له، وهو ما نحسب من أصحاب الأقلام أن يعينونا عليه. وقد حاولنا - جهد المستطاع - في مستهل هذا العدد الأول من المجلة أن نختار من المقالات والأبحاث ما يتفق مع خطة المجلة وأهدافها المذكورة آنفاً، وقد شاء الله أن يكون عددنا الأول في شهر رمضان المبارك، شهر حراء شهر القرآن، فنسأل الله السداد والتوفيق.

والله تعالى من وراء القصد.



العدد الأول السنة الأولى

(أكتوبر-نوفمبر-ديسمبر) ٢٠٠٥

شهر رمضان المبارك ١٤٢٦

التصور العام

• حراء مجلة علمية ثقافية فصلية تعنى بالعلوم الطبيعية والإنسانية والاجتماعية وتحاور أسرار النفس البشرية وآفاق الكون الشاسعة بالمنظور القرآني الإيماني في تألف وتناسب بين العلم والإيمان، والعقل والقلب، والفكر والواقع.

• تجمع بين الأصالة والمعاصرة وتعتمد الوسطية في فهم الإسلام وفهم الواقع، مع البعد عن الإفراط والتفريط.

• تؤمن بالانفتاح على الآخر، والحوار البناء والهادئ فيما يصب لصالح الإنسانية.

• تسعى إلى المزاورة بين العلمية في المضمون والجمالية في الشكل وأسلوب العرض، ومن ثم تدعو إلى معالجة المواد بمهنية عالية مع التيسير ومراعاة الجوانب الأدبية والجمالية في الكتابة.

شروط النشر

• أن يكون النص المرسل جديداً لم يسبق نشره.

• ألا يزيد حجم النص على ٢٠٠٠ كلمة كحد أقصى، وللمجلة أن تلخص أو تختصر النصوص التي تتجاوز الحد المطلوب.

• يرحى من الكاتب الذي لم يسبق له النشر في المجلة إرسال نبذة مختصرة عن سيرته الذاتية.

• تخضع الأعمال المروضة للشر لموافقة هيئة التحرير، ولهية التحرير أن تطلب من الكاتب إجراء أي تعديل على المادة المقدمة قبل إحازتها للنشر.

• المحلة غير ملزمة بإعادة النصوص إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر، وتلتزم بإبلاغ أصحابها بقبول النشر، ولا تلتزم بإبداء أسباب عدم النشر.

• تحتفظ المجلة بحقوقها في نشر النصوص وفق خطة التحرير وحسب التوقيت الذي تراه مناسباً.

• النصوص التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

• للمجلة حق إعادة نشر النص منفصلاً أو ضمن مجموعة من البحوث، بلغته الأصلية أو مترجماً إلى أي لغة أخرى، دون حاجة إلى استئذان صاحب النص.

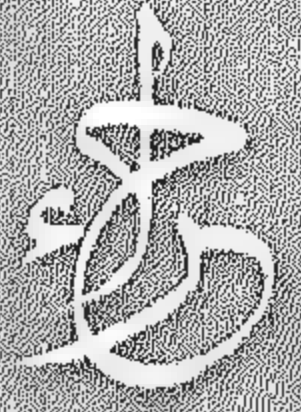
• مجلة حراء لا تمنع في النقل أو الاقتباس عنها شريطة ذكر المصدر.

• يرجى إرسال جميع المشاركات إلى هيئة تحرير المجلة على العنوان التالي:

hira@hiramagazine.com

سعر السجل: مصر (١٠) جنيهات، المغرب (١٥) درهماً، الأردن (١٠) دينار، الإمارات (١٠) دراهم، البحرين (١) دينار، السعودية (١٠) ريال، السودان (٣٥٠) دينار، قطر (١٠) ريال، الكويت (١) دينار، ليبيا (٢) دينار، الجزائر (١٥٠) دينار، سوريا (١٠) ليرة، لبنان (٣٠) ليرة، تونس (٢٠) دينار، اليمن (٣٥٠) ريال، العراق (٢٠) دينار، تركيا (٤) ليرة، أوروبا وأمريكا (٤) دولار.





مجلة علمية ثقافية فصلية تصدر عن:

Isık Özel Eğitim Tic. Ltd. Şti.

صاحب الامتياز

أنس أر كنه

mergene@hiramagazine.com

رئيس التحرير

نوراد صواش

nsavas@hiramagazine.com

مدير التحرير

أشرف أون

gonen@hiramagazine.com

شارك في الترجمة

د. صفصافي أحمد القطوري

أورخان محمد علي

نباه الدين إبراهيم عمدة الله

محمدي السبتي

الإخراج الفني

أسيد إحسان أنصاري

عنوان المراسلة

Kaymak Publishing Group
Emniyet Mah. Huzur Sok. No:5
34636 Çekirgeci İstanbul Turkey
Phone: +902163180011
Fax: +902163185314
e-mail: info@hiramagazine.com

الاشتراكات/مركز التوزيع

٧ من الرامكة حي الباع د. نصر القاهرة

تلفون وفاكس ٠٢٠٢١٦٣١٨٠٠١

أخبر ٠٢٠٢١٦٣٧٨٥١٩٢

جمهورية مصر العربية

sub@hiramagazine.com

الطباعة

International printing house
P.O.BOX 312
Public Free Zone, Nasr city
Tel: 02022740740
Heliopolis, Cairo
Egypt

رقم الإيداع

١٣٠٦٠١٨٧٩

تأملات حول العيد

م.فتح الله كولن..... ٤

ظاهرتان تبعثان على الدهشة في كتاب الله عز وجل

أ.د. محمد سعيد رمضان البوطي..... ٧

قيارة البعوضة

أ.د. عرفان يلماز..... ١١

نظر الفجر إلينا «شعر»

مولاي الحسن الحسيني..... ١٤

كيف نكون الحس الديني لدى الأطفال

صلى الدين أيدر..... ١٥

الإفتاح

٤

الإيمان والشفاء

د. ألفونس ويليمز..... ١٨

مفهوم «الجمالية» بين الفكر الإسلامي والفلسفة الغربية

أ.د. فريد الأنصاري..... ٢٢

أحمل الشريف... أشواق إلى ديار الحبيب

نوراد صواش..... ٢٦

العثمانيون والأماكن المقدسة في القدس الشريف

أ.د. الصفصافي أحمد القطوري..... ٣٠

علم النفس

١٨

الإيمان
والشفاء

وردة المدينة المنورة «شعر»

م.فتح الله كولن..... ٣٤

رمضان وفلسفة الصوم

أديب إبراهيم الدباغ..... ٣٦

حقيقة الجهاد والقتال والإرهاب

د. محمد عمارة..... ٣٨

في بلاد الثلج

محمد سداد..... ٤٣

جمالية المضمون العلمي في رسائل النور

أ.د. محمد الروكي..... ٤٤

فكر وفلسفة الصوم



٣٦

الأمة الإسلامية.. مفهوماً وخصائص

د. سمير بودينار..... ٤٨

حراء «شعر»

أ.د. حسن الأمراي..... ٥٢

حدوث الكون.. حقيقة قررها الدين وأثبتها العلم

أورخان محمد علي..... ٥٤

لحج النار

أشرف أون..... ٥٨

كيف يفشل الاختيار الطبيعي في التصميم؟

د. آلب أوسلان دوغان..... ٦٠

من وحي حراء «الرمز والدلالة»

أ.د. عمار جبدل..... ٦٤

علوم

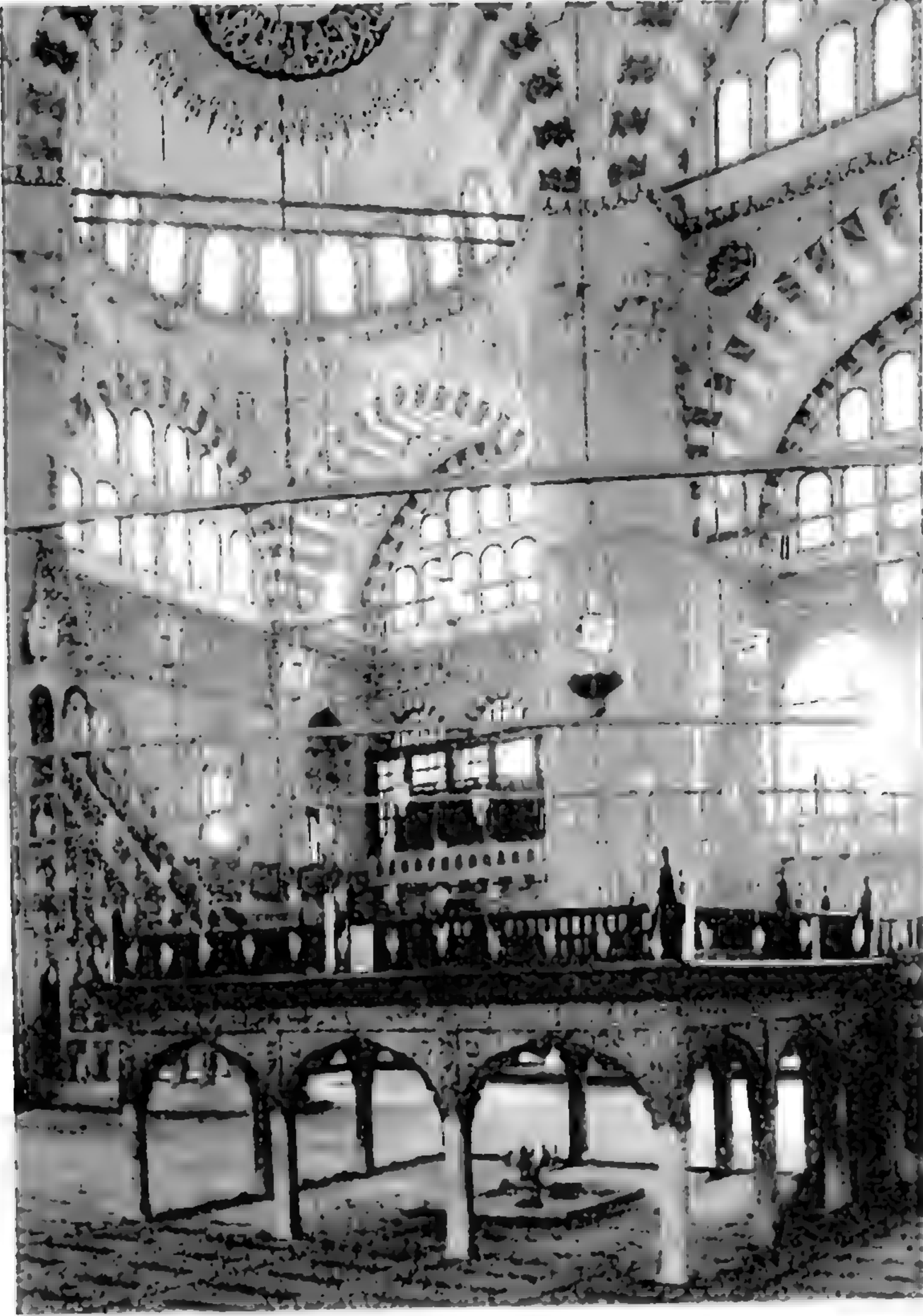
٥٤

حدوث الكون

حقيقة قررها الدين وأثبتها العلم

www.hiramagazine.com

تأملات حول العيد



م. فتح الله كولن

من بركة الشهر الكريم الذي أصبح منه قاب قوسين أو أدنى حق الاستفادة ويستثمره حق الاستثمار. فكأنه نهض من غفوة فأثر الناس لا يزال في عينيه، وكلمات من بقايا بحلم على لسانه، فيستجمع جهده لتركيز انتباهه وتجميعه حول هذا الموضوع، وتصيّد النعمة القدسية المتألّفة مغ هذا التوجه ومع هذا القصد.

عندما تمنلى القلوب بالمشاعر، وتبلغ الأرواح قوامها، يولد شهر

الأشهر المباركة التي تتقدم على رمضان وتبشرنا بإشراقه هي بمثابة مؤشرات وعلامات صامئة وهادئة على قدوم أيام مباركة وظهور بشائرها في الأفق. . . أيام مليئة بفيوضات تقبل كالسيل الهادر وتحتضن القلوب. ومع اليوم الأول من هذه الأشهر المباركة يحس صاحب كل قلب مؤمن أنه مغمور في جو رمضان. فتجده من اليوم الأول مستعرضاً جميع مشاعره المتعلقة بعبوديته مدققاً لها لكي يستفيد

رمضان من رحم الهلال ، ولكن بقوة ضياء البدر من خلف البشائر المتعاقبة لهذه الأيام . ويهب كألطف نسيم ، ويحيط بقلوبنا ويلطف أرواحنا وأجسادنا برقة الحرير ، ويملاً أعيننا بصور الجمال الشبيهة بجمال سفوح الربيع ، ويثير في أفئدتنا رغبة التسامي ، ويدع في صدورنا انتفاضة حلوة كانتفاضة عصفور بلله القطر .

وأخيرا تنتهي هذه الضيافة التي تدوم شهرا ، ويودعنا شهر رمضان الذي قدم بعطاياه الكثيرة . . . يودعنا ولكن الأرواح التي وصلت إلى حياة جديدة والتي اقتبست من نوره ، والقلوب التي استغرقت خلاله في التأمل والتفكير ، والتي ارتجفت من خشية الله ، والقلوب الهائمة التي خرجت تبحث عن مسالك وطرق الوصال؛ تحتضن بدفء أيام العيد هذه المرة . وكما يرى الإنسان المبحر بعد قليل أن المياه تحيط به من كل الجوانب ، نجد أنفسنا في العيد بعد انقضاء الأشهر الحرم الثلاثة في جو من الاطمئنان والسكينة . . . نحس هذا في أعماقنا ، وبكل كياناتنا ، وبكل ماهيتنا الإنسانية .

تبدو صلوات العيد وأصوات التهليل والتكبير وصدقات الفطر لأصحاب القلوب المؤمنة كمنافذ إلى عالم خيالي رائع ، فينطلقون كقوارب أطلقت أشرعتها للرياح . أجل ، إن الجو العام في العيد ، والسحر الذي يحيط به وبكل التصرفات والأصوات والحديث يجعل الإنسان يشعر وكأنه يرتفع نحو السماء ببطء ويتعد عن محله ومكانه الذي انطلق منه ، ويعيش في مثل هذا الجو الساحر الذي تنهمر فيه الأضواء والأنوار .

في العيد نعيش الماضي والحاضر والمستقبل معا . يهياً إلينا وكأن هناك سحرا غريبا في الأصوات المرتفعة من المعابد وفي المنازل التي نزورها وفي الأيدي المباركة التي نقبلها . . . سحرا ما أن نلمسها حتى تتفتح أمامنا منافذ عديدة للماضي . فنجد أنفسنا داخل مسجد قديم لمجلس في صف واحد مع أجدادنا وأجداد أجدادنا . وحينما تلتقي شفاها بالأيدي الطاهرة نشعر وكأننا قد قبلنا معات الأيادي المباركة فننتشي بفرحة غامرة . وعندما نهئ أصدقاءنا وأحبابنا ونضمهم إلى صدورنا نحس وكأننا نضم أحبائنا الذين عاشوا قبلنا وقبل هؤلاء في عهود

سابقة . كل حركة في العيد وكل فكر وكل تصور وكل كلمة أو حديث وكل تصرف يبعث شريطا زمنيا من أشرطة الماضي ، ويحيا ويحيط بكياننا ، ويملاً أفقنا ، ويصبح ملكنا ، ويهب -حسب درجة ووسعة خيال كل منا- أتمودجا للبعث بعد الموت .

الأعياد في الحقيقة ترانيم قادمة إلينا من أمجاد أجدادنا ومن جذورنا المباركة . بسحر هذه الترانيم نصل في كثير من الأحيان إلى عوالم ما كنا لنصل إليها من قبل ، إذ ندخل إلى كل مكان بسهولة الأحلام ، ونتجول في كل الأماكن بسرعة الخيال طاوين الزمان الذي نعيشه بأزمنة متداخلة بعضها في بعض . أجل ، إن الماضي يعود إلينا بكل مجده السابق بدرجة تعايشنا مع سحر شهر رمضان ، ويعود كل ما فقدناه من قبل ، وننتفس من جديد رائحة تلك الأيام النقية ونستنشقها بعشق لمتلى بها صدورنا ، ونرتشف من الينابيع الفياضة الماضية ، فنحسب أنفسنا في عالم آخر . وقد يبلغ بنا الاستغراق مبلغا نخال وكأن جميع من في القبور قد بعثوا ، وكل شيء ممزق ومبعثر هنا وهناك أشلاء قد تجمع وتوحد من جديد ، ويرجع شتات الزمن الذي انقضى من أعمارنا ليحتضن أرواحنا ، ونعيش -بجانب ما نعيشه اليوم وما عشناه بالأمس في أعماق الأذواق وأوسعها- في ذكريات لذائل روحية ساحرة ، حتى إن عناصر اللذة والأذواق في هذه النقطة -كما هي في الأحلام- تكون متغيرة على الدوام حسب نياتنا وأفكارنا وميولنا ، وتتجدد على الدوام حسب رغباتنا ، وتلبس الحال التي نريدها ، وبينما كانت هناك رغبة واحدة إذا بها تنقلب إلى ألف . فكل ما شاهدناه وكل ما سمعناه وكل ما أحسنا به نراه يتغير -بفضل سحر خارق- من شكل إلى شكل . وبذلك نديم حياتنا بتلونات عديدة من حس لحس ، ومن فكر لفكر ومن لذة للذة أخرى .

عندما ينشق فجر يوم العيد تنطلق أصوات التسييح والتمجيد من المآذن ، وفي الدقائق التي يبلغ الجو الروحاني الذروة في كل مكان نشعر بأحاسيس غامضة وسرية تثير خيالنا وتأخذنا إلى الأعماق ، بل إلى أعماق

عندما ينشق فجر يوم العيد تنطلق
أصوات التسييح والتمجيد من
المآذن ، وفي الدقائق التي يبلغ
الجو الروحاني الذروة في كل
مكان نشعر بأحاسيس غامضة
وسرية تثير خيالنا وتأخذنا إلى
الأعماق ، بل إلى أعماق
الأعماق ، وتهمس لقلوبنا بمشاعر
لم يفصح عنها من قبل ، ولا
يمكن بحال من الأحوال التعبير
عنها بأي كلمات ولا بأي لغة .

الأعماق، وتهمس لقلوبنا بمشاعر لم يفصح عنها من قبل، ولا يمكن بحال من الأحوال التعبير عنها بأي كلمات ولا بأي لغة.

أجل!.. إن نعمة وصوت الأذان عندنا، النابع من عواطف وأفكار الموسيقيين السابقين الكبار أمثال «العطري» و«دّه أفندي»، وأصوات التكبير والتمجيد والتهليل وأسلوبها وطعمها وجمالها، هو اللسان الخاص لهذه الأمة، ولغتها ذات الأبعاد المتنوعة الكثيرة السارية في عروقها. هذه الموسيقى التي تهز عواطفنا وتعبّر عن مشاعرنا كأنها نغمات تهبّ على أرواحنا من آفاق ما وراء الزمن.

المؤذن بهتافه المتلاحق وكأنه يصدر أوامر، والإمام الذي يرتجف صوته ويغن بكلمات سماوية، وجماعة المصلين الذين يهدرون معاً مثل أوركسترا... كل هذا يجري بدرجة من الأصالة والمهابة ويبعث القشعريرة في الأجساد. وعندما نتمتع بهذه الأصوات المرتفعة من المعابد ونهمس بها نحس من جديد بماضٍ طويل مجيد، بل أكثر من هذا بحقيقة عالمية شاملة، ونظرة تمتد من الأزل إلى الأبد، فنغرق في جو من السعادة.

إن المعبّد -ولا سيما في أيام العيد- يمثل بجوّه الرقيق الناعم كالحرير، والدافئ دفء عش الطير، والمملوء حيوية... يمثل صفاء المشاعر، وراحة الوجود والاطمئنان، وغاية العيش، ومغامرة الحياة، وجذور المعاني لأمتنا، وأسس ثقافتنا وخلود ديننا، وموسيقى لغتنا، ونظرتنا للحياة، ورأينا في الدنيا وأسلوبنا ولهجتنا، ويهمس لنا ليرينا الطرق المؤدية إلى الإنسان الحقيقي.

إننا نشعر على الدوام بهذه الأصوات التي تتردد في جوانب المعبد، ونجد في هذه الأصوات الدافئة انحناء السماء نحو الأرض، وتكامل الأرض مع السماء، وغمز النجوم لزهور الأرض وورودها، وبسمة الورود لأهل السماء، ونحس بالتواصل السري والسحري الدائم بين السماء والأرض ونكاد نراه رأي العين.

هذا الصوت وهذا المنظر وهذا الهمس الذي ينقل كل شخص -حسب قابلية روحه وعمق خياله- إلى عالم آخر يبعث في القلوب المؤمنة صورا رائعة من

الجمال ترتعش لها الأفئدة وترق لها العواطف. وعندما تنتهي الصلاة وتختتم السجدة السماوية، ويودع المسجد مؤقّتا، يعود الإنسان إلى الناس من جديد كأنه آتٍ من ضيافة الرحمن بعد أن اكتسب بُعداً وعمقاً جديدين، ويحتضنهم ويبادلهم التهاني، ويتقاسم مع كل من يصادفه في السوق والشارع، وفي البيت ومكان العمل، وفي المدرسة والمعسكر هذه الهبات والأعطيات التي أخذها واستلمها وامتلأ بها. وهكذا تكتسب أجزاء الزمان المحدودة ضمن بضعة ساعات، بدرجة سعة القلب وعلو الروح، صفة فوق الزمان، فكأنه اكتسب خلوداً. ويتوضح لدى الإنسان كيف أنه وهو في الدنيا قد أسس علاقات عميقة مع الأبدية وما وراء هذا العالم.

ولا أدري كيف كان من الممكن وما الزمان المطلوب أو النظام الذي يمكن الاستعانة به لكي يحس المسلمون صغيرهم وكبيرهم بكل هذه المشاعر وهذه الأحاسيس والخيالات، وبكل هذه العواطف المتأججة، وتنعكس كل هذه الأصدا في أرواحهم، لو استعانوا بطرق أخرى أو سبل غير هذه السبل. وأنا لا أعتقد إمكانية هذا الأمر ولا نجاحه في الوصول إلى كل هذه الروحانية الشفافة. لأن بهجة الأعياد وفرحتها وسعادتها ولذتها لا تنبع فقط من هذه الحياة المعاشة، بل من أبعاد الحياة التي سوف نحياها في دار العقبي. فكل من يعيش في خيال البرج العاجي لقلبه، يلقي هناك سحر سيحسه وسيذوقه في المستقبل إلى جانب ما ذاقه اليوم. ويتجول في عالم رؤى المستقبل الأكيدة التي تبدو لعالمه الداخلي أكثر ملاءمة ودفئاً ونعومة. والإنسان في الحقيقة مجبول على التطلع والانتظار، يقضي معظم عمره في انتظار عوالم الأمل وأخيلته. ومعظمنا في انتظار جنة مرتبطة بمعنى لصيق بماهيتنا وذاتنا. وليس هذا الانتظار نابعاً عن عدم استحساننا أو عدم قبولنا ورضانا عن الحياة التي نعيشها، بل انتظار لمفاجآت إلهية لا تستوعبها خيالاتنا كبشر، ولا خطرت ببالنا، ولا على أسماعنا، ولم نذقها. والأعياد ألسنةً بليغة تهمس بصواب هذا الأمر من منافذ قلوبنا إلى أعماق أرواحنا. ❏

وعندما تنتهي الصلاة وتختتم
السياحة السماوية، ويودع
المسجد مؤقّتا، يعود الإنسان
إلى الناس من جديد كأنه آتٍ
من ضيافة الرحمن بعد أن
اكتسب بُعداً وعمقاً جديدين،
ويحتضنهم ويبادلهم التهاني،
ويتقاسم مع كل من يصادفه
في السوق والشارع، وفي
البيت ومكان العمل، وفي
المدرسة والمعسكر هذه الهبات
والأعطيات التي أخذها
واستلمها وامتلأ بها.

من فهم القرآن حق الفهم تصبح البحار الواسعة كقطرة ماء أمام ما يركب إلى صدره من إلهام. من يملك صوت القرآن كتبت فيه الحياة وكأنه سمع صور إسرافيل. والقلب الذي يصغى إلى معانيه يتوثب حركته وكأنه سمع نغمات جبريل.



ظاهرتان تبعثان على الدهشة في كتاب الله عز وجل

أ.د. محمد سعيد رمضان البوطي *

هذا الكتاب الرباني المبين ، كثيرة ومتنوعة شتى ، تتصل بسائر المعارف والعلوم والثقافات والفلسفات على اختلافها . ولقد وجدتني من هذه الحقائق التي يستخرجها رحمه الله ويجليها من كتاب الله عز وجل ، أمام فيض كبير بعثني على الحيرة فيما ينبغي أن أختاره منها ، لأجعل منه متناً أشرحه أو شروحاً أهمش عليه

إن للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله سياحة واسعة وعميقة في خضم القرآن وبحره . بل إن رسائله كلها ، المعروفة برسائل النور ، إنما كان يستبينها على ضوء القرآن ويستوحي حقائقها من نوره . وإنك لتنظر فتجد أن الحقائق التي استخرجها رحمه الله من كنوز

وأزیده جلاء أمام بصائر الباحثين والمتدبرين .

غير أنني تحررت من هذه الحيرة عندما قررت أن أنتقي من هذه الحقائق القرآنية الكثيرة التي يستخرجها ويلفت النظر إليها، تلك التي لم يسبق إلى بيانها من قبل، أو تلك التي كان نصيبها من الدراسة والبحث لدى العلماء والباحثين المتقدمين مقتضياً أو غير ناضج ومتكامل .

ولقد وقعت من هذا الذي بحثت عنه على حقيقتين قرآنتين هما من الأهمية بمكان:

أولاهما جديدة على سمع الدارسين والباحثين، لا أعلم أن في السابقين من العلماء والباحثين من تنبه ولفظ النظر إليها .

والثانية نالت كلاماً مقتضياً من بعض الباحثين السابقين الذين عكفوا على دراسة علوم القرآن وجوانب الإعجاز فيه، ولكن يعوزه مزيد من البيان والدعم بالأدلة والبراهين .^{٥٥}

وها أنا أضع أمامكم ما يقوله رحمه الله في بيان كل منهما، بنصه مترجماً إلى اللغة العربية . ثم أجعل منه، كما قلت، متنأً أشرحه بما يزيده جلاء، وبما يكشف عن مصداقه في واقع عصرنا اليوم وفي بحوث الكاتبين اليوم على اختلاف مشاربهم وتنوع عقائدهم من مؤمنين وجاحدين .

الحقيقة الأولى: تلك التي يسميها محافظة القرآن على التوازن الموجود بين الحقائق الإلهية السامية كلها . يقول في بيان هذه الحقيقة بأن هذه المحافظة والموازنة والجمع، خاصية لا توجد قطعاً في أي أثر من آثار البشر، ولا في نتاج أفكار أعظم المفكرين كافة، ولا توجد قط في آثار الأولياء الصالحين، ولا في كتب الإشرافيين الموهوبين في بواطن الأمور، بل كل فريق من أولئك قد تشبث بغصن أو غصنين فحسب، من أغصان الشجرة العظمى للحقيقة، فانشغل كلياً مع ثمرة ذلك الغصن وورقه، دون أن يلتفت إلى غيره من الأغصان، إما لجهله به أو لعدم التفاته إليه، وكأن هناك نوعاً من تقسيم الأعمال بقصد الاختصاص فيما بينهم .

نعم، إن الحقيقة المطلقة لا تحيط بها أفكار محدودة مقيدة . إذ لا بدّ لها من نظر كلي كنظر القرآن الكريم ليحيط بها . فكل ما سوى القرآن الكريم، لا يرى تماماً بعقله الجزئي المحدود إلا طرفاً أو طرفين من الحقيقة الكلية، فينهمك بذلك الجانب ويعكف عليه وينحصر فيه، فيخلّ ذلك بالموازنة التي بين الحقائق، ويزيل تناسقها إما بالإفراط أو التفريط .

ثم يضرب الأستاذ رحمه الله المثل لذلك بكنز عظيم يحوي جواهر شتى عثر عليه الغواصون في قعر أحد البحار، ونظراً إلى أن

كل واحد منهم تعرّف على جانب صغير من ذلك الكنز الواسع الكبير، منفصلاً عن الجوانب الأخرى منه، فقد تخالفت بل تناقضت تصوراتهم له . ثم يقول: «فالقرآن الكريم الذي هو بحر الحقائق، آياته الجليلة غواصة كذلك في البحر تكشف عن الكنز، إلا أن عيونها (أي عيون الآيات القرآنية) مفتحة بصيرة تحيط بالكنز كله وتبصر كل ما فيه» .

أعتقد أن هذه الحقيقة العظمى التي يلفت بديع الزمان بصائرنا إليها في هذه السطور، تحتاج إلى شيء من الشرح والبسط، لا سيما وقد تجلّى مصداق هذا الذي يقوله الأستاذ تماماً، في الحيرة البالغة التي غدت اليوم جامعاً مشتركاً لدى سائر العلماء الغربيين بل سائر الباحثين الشاردين عن هدي القرآن وضيائه، تجلّى في اعترافات متكررة ظهرت في ثنايا كتاباتهم أو محاوراتهم، كما سنجد بعد قليل .

اسمحوا لي إذن، أن أشرح هذا الكلام الجامع المركز، وأبسطه في البيان التالي:

كثيرون هم الذين يتصورون أن هذا الكون الذي نعيش فيه، يغور بحقائق متنوعة شتى . والواقع أن هذا التصور وهم باطل، فالكون لا يحتضن أكثر من حقيقة واحدة . وإنما المتعدد والمتنوع أجنحة هذه الحقيقة وزواياها .

أي إن الذي ينصرف إلى دراسة الأنواء والفلك، والذي يعكف على دراسة طبقات الأرض، والذي يتتبع علوم الحياة الحيوانية، والذي يختار دراسة التاريخ أو التاريخ الطبيعي، والذي يتفرغ لدراسة علم النفس والفلسفة والأخلاق . . . كل هؤلاء إنما يفرقون في جوانب شتى من جسم الحقيقة الكونية الواحدة . ولكن عظم هذه الحقيقة بما لها من جوانب وجهاً مترامية الأطراف، يخيل لكثير من الناس بمن فيهم كثير من المثقفين والعلماء المتخصصين أنها حقائق علمية متعددة ومستقلة بعضها عن بعض . لذا يجيز كل منهم لنفسه أن لا يُعنى بما انصرف إليه الآخرون، وأن يحصر همه في دنيا الحقيقة المستقلة التي تخيلها .

ومن هنا تأتي معلومات هؤلاء الناس عنها مبتورة، لا بل مضللة أيضاً، ثم إنها لا تروي لهم ظمأ ولا تشبع لهم تطلّعاً، بل تزيدهم في شأنها حيرة واضطراباً، لأنهم كلما ازدادوا فيها تعمقاً فاجأتهم منها عروق وخيوط تتجاوز بهم دائرة بحثهم ومجال دراستهم، وكلما تتبعوا منها مجهولاً أسلمهم إلى نطاق أوسع وخيوط أكثر تشابكاً وتعقيداً .

إن هذه المعارف الجزئية التي تبدو حقائق مستقلة بعضها عن بعض داخل هذا البنيان الكوني المتناسك، أشبه ما تكون بفصول متعددة

كثيرة من كتاب كبير ذي موضوع علمي واحد. فماذا عسى يفيد من وقع على أحد فصوله تلك، ثم عكف على دراسته في تأمل ودقة؟ بل ماذا عسى أن يفقه منه من درس فصوله كلها، ولكن على غير ترتيب وتناسق، ودون الرجوع إلى أي رابطة بين الواحد منها والآخر؟ من الثابت يقيناً أن هذا الإنسان لن يعود من دراسته تلك، مهما كانت دقيقة معمقة، إلا بمفاهيم مهشمة ومعارف مبتورة. وهي في مجموعها ليست إلا لوناً من أسوأ ألوان الجهل المركب وإن بدا أنها معلومات جزئية صحيحة.

فكذلك هذا الكون، إنه كتاب علمي واحد، ذو فصول مترابطة ومتناسقة شتى، وإن بدت لدى النظرة العجلى أنها مستقلة متباعدة من بعضها.

وآية هذا الذي أبرزه بديع الزمان في كلماته مركزاً موجزاً، ونحاول أن نحلله وأن نبسطه هنا مشروحاً مبيناً، ما نعرفه جميعاً من أن جلّ العلماء والفلاسفة الذين ملأت أسماؤهم وشهرتهم الدنيا، عادوا في أيامهم الأخيرة يشكون الجهل وينشدون المعرفة ويتبرمون بالحيرة ويعانون من الاضطراب.

لقد رأينا «برتراند رسل» يشكو فيما يقصه علينا من سيرته الذاتية، أنه على الرغم من كونه حقق كثيراً مما كان يحلم به ويسعى للوصول إليه، ومن ذلك الحب والسلام، إلا أنه لم يعد من سعيه وراء أمنيته الأولى، وهي المعرفة، إلا بأوكس الحظوظ.

كما رأينا من قبله «أنشتاين» -وهو الذي ابتدع نظرية النسبية وحدد قوانين الفضاء والزمن والجاذبية- يشكو المعضلة ذاتها، ويعلن لصديقه الكاتب الأمريكي «جورج فيرك» أن معلوماته التي جمعها عن الكون لم تستطع أن تقدم له إلا لغزاً مقفلاً يستعصي على الحل. قال له ذلك عندما سأله «جورج فيرك» عن الموت، فقال: لا أدري!!

ويعبر «أنجلز» في كتابه «أنتى دوهرنغ» عن حيرته في قضايا الكون بكلام طويل، يقول فيه: «كم هي زهيدة معرفتنا بأصل الكريات الدموية...! وكثيراً ما تحدث بعض الاكتشافات، كالاكتشاف الخلوية مثلاً فتضطرنا إلى مراجعة كاملة لسائر الحقائق الأخيرة والنهائية المقررة من قبل، في مجال علم الحياة، وإلى وضع أكوام كاملة منها في سلة المهملات دفعة واحدة...!». ثم يضيف فيقول: «وإن الحقائق الأبدية تعاني مأزقاً أشد حرجاً من ذلك في المجموعة الثالثة من العلوم، وهي المجموعة التاريخية. وهكذا فإن معرفتنا في مجال التاريخ الإنساني لأشدّ تخلفاً أيضاً منها في ميدان علم الحياة. وأغلب الظن أن الذين سيأتون من بعدنا سيصححون معارفنا أكثر مما يفيدون منها».

بل إنني لعلى يقين بأن ظهور المذاهب الفلسفية المتطرفة، من مثالية

وجودية وذرئية ونحوها، ليس إلا ثمرة اضطراب نتج عن معرفة مقطعة مجزأة عن تصور الهيكل الكلي لهذا الوجود، هذا مع افتراض أنها جاءت معارف جزئية صحيحة.

إذن، فالمعرفة لا تكون صحيحة بحيث تقنع العقل وتطمئن إليها النفس، إلا إن جاءت على أعقاب معرفة كلية شاملة تحيط بين بنيان هذا الوجود كله، متمثلاً في كل من الإنسان والكون والحياة ووجه العلاقة السارية فيما بينها. وليس المهم في هذه المعرفة الكلية أن تكون عميقة دقيقة، لاسيما في بادئ أمرها. إنما المهم جداً أن تكون صحيحة وشاملة.

وأذكر كم في هذا الصدد بالقاعدة العلمية التي يجب أن تسترعي انتباهنا، كبرهان على ما نقول، وهي أن دراسة ٢٠٪ من كتلة ذات أجزاء مترابكة، ليس من شأنها أن تؤدي بالضرورة إلى معرفة صحيحة لـ ٢٠٪ من حقائق تلك الكتلة. بل إن مثل هذه الدراسة لا تؤدي حتى إلى معرفة ١٪ من تلك الحقائق على وجه صحيح، أو قد توصل إلى تصورات مشوشة عن مجمل تلك الكتلة. ولا عبرة بما قد يعود به هذا الباحث من أوهام يحسبها معارف وعلومًا، وإلا فأخبرني كم هي نسبة المعارف الصحيحة التي يعود بها ذاك الذي أقبل إلى خارطة، فوضع منظاراً مكبراً على رقعة منها، ثم راح يحصر نظره وفكره في دائرة ذلك المنظار، ويتأمل في الألوان الساطعة والخطوط الكبيرة التي تحت عينيه، أي قبل أن يتعرف على الخارطة بمجموعها الكلي وقبل أن يتبين خطوط الطول والعرض فيها؟ نعم إنه قد يعود من ذلك بما يسمى في اللغة معرفة، عندما يدرك الألوان على حقيقتها، ويقرأ أسماء المدن التي تبدو تحت منظاره قراءة صحيحة، ويلاحظ تعاريج الخطوط ما هي، ولكنها تسمى في هذا المقام معرفة ميتة، إذ لا صلة لها بشيء من المعارف التي تتضمنها تلك الخارطة في مجموعها الكلي.

فتلك هي حقيقة المعارف التي يعود بها من قد حصر فكره من بيان هذا الوجود الكوني في زاوية من زواياه أو جزء من أجزائه. إنها بكل تأكيد معارف ميتة، لا صلة لها بشيء مما توحى به المجموعة الكونية كلها من المعارف والمعلومات. وهي لذلك أعجز من أن تمد صاحبها بشيء مما ينشده الباحث من طمأنينة اليقين العلمي.

والآن، ما السبل إلى هذه المعرفة الكلية الشاملة؟ وبتعبير آخر، أين يمكن العثور على تلك الخارطة التي تصور لنا المنظور الشامل لبنيان هذا الهيكل الكوني كله، وتكشف لنا نوع العلاقة السارية بين جوانبه وأركانها الكبرى؟

من الثابت يقيناً أننا لن نعثر على هذه الخارطة إلا في القرآن، كما يؤكد بديع الزمان رحمه الله. بل هي المهمة الأساسية الكبرى التي

تنزل القرآن من أجلها، والتي يتوقف عليها تعرف الإنسان على ذاته وإمكان نهوضه بالمسؤوليات التي كلف بها وخلق من أجلها.

ويوسعنا جميعاً أن نعلم بأن القرآن لو لم يكن كلام صانع هذا الكون ذاته، لما أمكن أن يحوي بين دفتيه الصورة الكاملة الشاملة لوحدة هذه المصنوعات المترابطة والمتشابكة في تناسق عجيب.

فمن عكف على دراسة القرآن بتدبر وتجرد وإمعان، وجد أن هذا الكتاب يبدأ فيعرف الإنسان على ذاته وخصائصه ومهامه في هذه الدنيا التي خلق فيها. ثم يعرفه على حياته التي يتمتع بها وعلى ما فيها من جوانب التفاهة والأهمية معاً، ويصّره بمبدئها ومنتهاها، وعلاقتها بما وراءها، ثم يعرفه على المظاهر الكونية التي تموج من حوله وعلى صلة ما بينه وبينها بشكل شمولي وإجمالي، وهو ينبه من خلال ذلك إلى ما في تلك المظاهر من السنن الراسخة التي لا تخضع لأي تطوير أو تغيير، وإلى ما فيها من الرموز المتطورة المسخرة لمصالح الإنسان.

وتلك هي العناصر والأركان الكلية الكبرى لبيان هذا الوجود: الإنسان، الحياة، الكون، أي سائر المكونات الأخرى، وإذن فتلك هي ينابيع المعرفة كلها.

وهكذا يتمثل الهيكل الكوني أمام بصيرة الإنسان، من خلال تدبره لهذا الكتاب الرباني العجيب، كما تتمثل شجرة باسقة عظيمة أمامك، عندما تنظر إليها على أرض مستوية ليس بينك وبينها أي حجاب أو سحاب، فهي جلية أمام العين في هيكلها وفي ضخامة جذعها واتساع فروعها، وفيما تحمله من ثمر بين أوراقها.

فإذا أقبل الإنسان بعد هذه المعرفة الشمولية الكلية التي استقهاها من القرآن إلى بيم هذا الوجود الكوني، يتعمق في فهم ما يشاء فهمه من الجوانب والأجزاء التي يجب أن يتعمق في معرفتها وأن يتخصص بدراستها، فإنه لن يضيع عندئذ في المتاهات، ولن تخدعه ألوان الطيف المتكسرة التي كانت تنبعث من جراء انحصار النظر في زوايا ضيقة ومقطعة بعضها عن بعض، بل سيكون له من الاعتماد على تلك الخارطة الشاملة التي انطبعت في بصيرته، ما يردّه عن كل ضلالة ويبعده عن كل خدعة. وسوف يكون له من ذلك ما ينهيه إلى الرابطة القائمة بين الأجزاء التي قد تبدو متنافرة أو مستقلة بعضها عن بعض.

وهذا هو المقصود بالعلم الذي يظل القرآن ينوّه بأهميته وشرفه في كثير من الآيات. وعن الذين تحلوا بهذه البصيرة العلمية، دون غيرهم، يتحدث القرآن قائلاً: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: ٢٨).

أما أولئك الذين شأنهم أن يبدأوا فيضعوا المكبرات الضخمة على رقعة صغيرة، في قلب خارطة كونية كبيرة، ثم أن يحلقوا في تلك

الرقعة، وهم عن الخارطة ذاتها غافلون، فهم الذين قال الله عنهم ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الروم: ٧). وقد يخلل إلى أحدنا أن كلمة «ظاهراً» في الآية إنما تعني المدارك السطحية للشيء بالمعنى المتعارف عليه عند الناس، ولكن الحقيقة أن المعرفة السطحية للشيء تتمثل أول ما تتمثل في المعرفة التي يزهي بها من لم يعلم بعد حجم ذلك الشيء وحقيقته، وإنما انطلق باديء ذي بدء يعرض بأجهزته وتأملاته في إحدى زواياه التائهة الضئيلة وسط حجمه الكبير الفسيح.

بقي أن نسأل على أعقاب هذا الكلام الذي يبرر للقرآن دوراً معرفياً لا يغني عنه - كما قال بديع الزمان رحمه الله - أي فلسفة أو فن من فنون المعارف والعلوم على اختلافها: هل بلغك أن واحداً ممن انطلقوا إلى معارفهم الكونية من دراسة كتاب الله أولاً، وقف من الموت أمام لغز كوني محير، كما كان من شأن «أنشتاين»؟ أم هل سمعت أن واحداً ممن بدأ فأمعن في الخارطة الكونية التي تتجلى في هذا الكتاب الرباني، زجته معارفه وعلومه عن الدنيا التي يعيش فيها، في مجهلة محيرة أو ظلمات موحشة، كما هو شأن أولئك العلماء أو الفلاسفة الذين انطلقوا إلى سياحاتهم العلمية، بعيداً عن البوابة القرآنية الكبرى التي تبصّر الإنسان بمجمل هذه الكتلة الكونية وعلاقاتها الشمولية العامة؟

أمعن ما شئت في تاريخ العلماء الغابرين أو العلماء المعاصرين، ممن اتخذوا من القرآن منهج معرفة لهم، ومفتاحاً لسياحاتهم الفكرية في أرجاء هذا الكون، فلن تجد فيهم من زجته معارفه في حيرة، أو أقحمته اكتشافاته العلمية في مخافة أو وحشة. والعكس دائماً هو الصحيح، كما قد مثلت لك من قبل. ﷻ

* جامعة دمشق، كلية الشريعة - سوريا.

** نكتفي بنشر الحقيقة الأولى في هذا العدد.

المصادر

١. الكلمات، لبديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالح.

٢. سيرتي الذاتية، لبرتراند رسل.

٣. مجلة العلوم اللبنانية، السنة الرابعة، العدد الثالث.

٤. أنتي دوهرنغ، لأنجلز.

تقنيات البحوث

أ.د. عرفان يلماز *

أولاً؛ أود أن أصحح شهرتي السيئة التي لديكم عني؛ نحن لسنا حيوانات شريرة تمص الدماء طوال حياتنا. كل ما في الأمر أن إناثنا تشعر بالحاجة إلى كمية من الدماء لتغطية البروتينات التي تحتاجها في مراحل وضع البيض. ذكورنا لا تمص الدماء على الإطلاق؛ فيكفيها امتصاص الرحيق الحلو من النباتات. إن إناثنا مدانة بسبب الدور الذي تلعبه في حمل ونقل بعض أمراضكم دون وعي منها حين مص الدماء. ولكن يجب أن تتصفوا بالعدل قليلاً وأنتم تدبونها. !

نحن عائلة تتكون من حوالي ٢٥٠٠ نوعاً. وسط هذا الجمع الغفير يجب ألا ندان جميعاً بسبب ما يرتكبه البعض منا من تورط في بعض الأعمال القذرة ظاهرياً. كل ما هنالك أن بعض أنواعنا كذلك النوع الذي يُسمى بعوضة الملاريا (Anopheles)، فإن البعض منه يُسبب مرض الحمى، ونوعنا المسمى برغشة (Gulex) يُصيب بالفلاريوز (Filariyoz) والإنسفاليت (Encefalite). كما أن جنس بعوض الحمى الصفراء، فكل ما يفعلونه هم أيضاً، هو رشفة من الدماء لإشباع بطونهم من ناحية وحفظ النوع من ناحية أخرى. من أين لهم أن يعلموا أن الإنسان الذي يمتصون دمه صحيحاً أم عليل؟ وحتى أنتم يا بني البشر، بالرغم من مراقبة البيطار في مذابحكم ومجازركم، فإنه يمكن أن تأكلوا اللحوم الملوثة بالجمرة الحبيثة أو ذاء الكلب، وتدفعون بالأجبان العفنة المسلوكة إلى الأسواق متسببين في إضرار وإمراض بني جلدتكم. ولما كان رفاقنا هؤلاء لا يمكنهم فحص بني البشر الذين

"وين... وين... وين" ها أنذا قد جئت...! هيا انهض... نمت كثيراً! إن النوم طوال الليل لا يليق بك، فما أطلال النوم عمراً.

فانهض...! انهض يا ابن آدم...! انهض وفكر...! فهل هناك مدعاة للتفكير أحسن مني...؟ لا تؤاخذني إن كنت قد أحمرت جلدك قليلاً أو لستك راغباً، فهذا يحدث إلى حد ما...! فيها أنا ذا أعرض فنوني الرائعة التي منحني ربي إياها لكي أوقظك من ناحية، ولكي أجعلك تفكر وتمعن الفكر من ناحية أخرى. ماذا يضير لو مصصت من دمك رشفة لكي أشبع نهجي...؟ فعلى أي حال فأنت دوماً تنتج دماً... فرشفة من دمك من حيوان ضئيل مثلي لن تضيرك في شيء...!

عزيزي ابن آدم؛

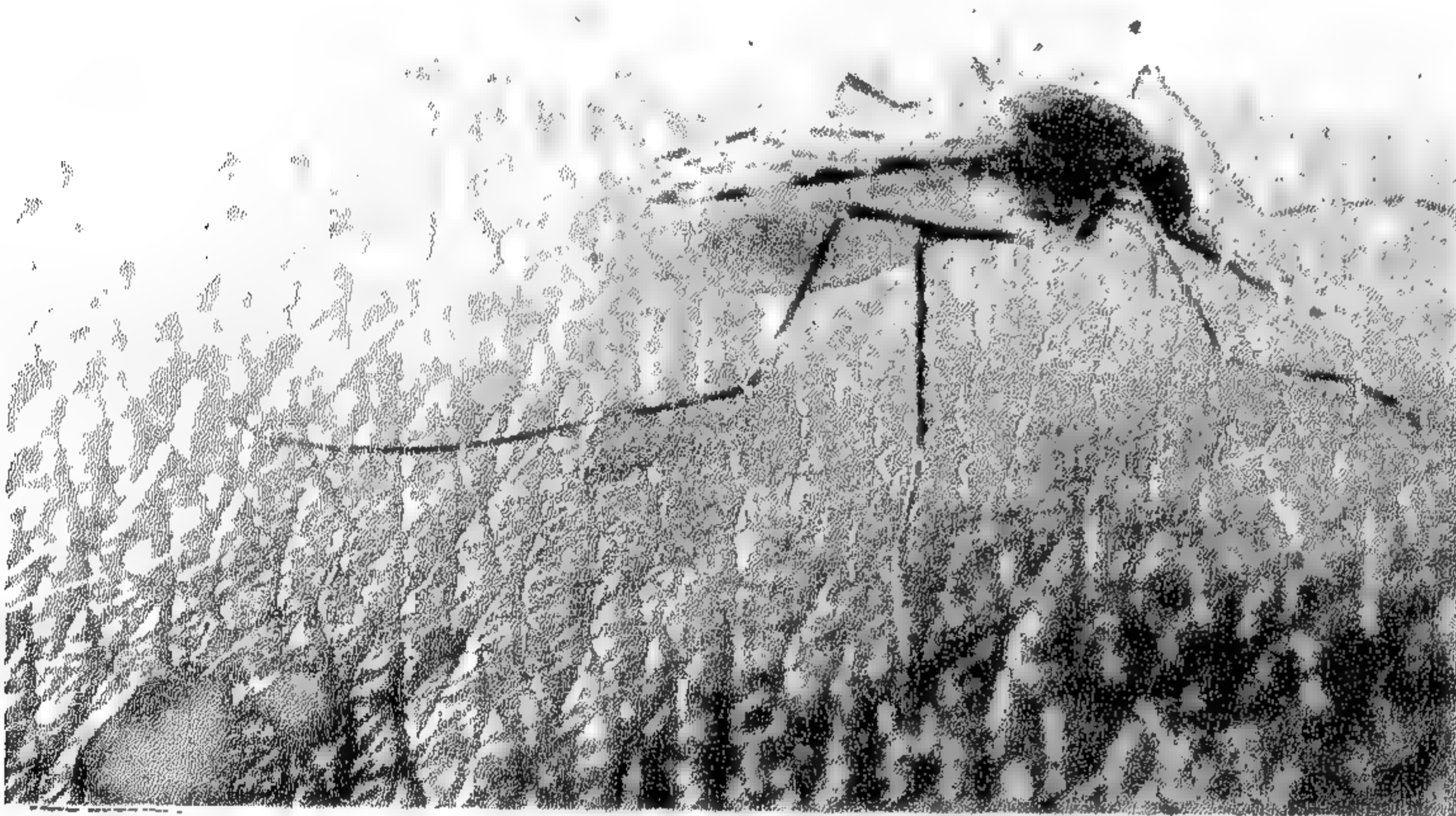
إن رب الكائنات وخالقها قد تفضل في إحدى آيات القرآن الكريم مخاطباً إياك قائلاً:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ (البقرة: ٢٦). كما ترون فإن الله يلفت الأنظار إلى ضعفي وضالة حَجَمِي وقد عبّر عن حقيقة كُبرى.

ففي كل مرحلة من مراحل حياتي أمتلك آلات خاصة، وأستخدم من التقنيات ما كل واحدة منها -في حد ذاتها- مُعجزة كُبرى. لشرحها وتوضيحها بالشكل الكافي لا بد من نسبتها إلى الله تعالى صاحب القدرة والعلم اللامتناهي.

ومصارين ومخ وقلب وأعضاء وأجهزة إخراج وتفرغ . . . ! وقد جعلت هذه الأعضاء خدماً لي ، تعمل وتكد بدون أدنى اعتراض . من الطبيعي أن شكل أعضائي وتكوينها وبناءها وعملها يختلف عما هي لديكم . لأن ربنا ، لما كان يعلم الوسط الذي سيعيش فيه كل ما يخلقه ، لذا فقد منحه الأعضاء الموائمة ونمط الحياة والأغذية المناسبة . وجعل كل ذلك في شكل مثالي . وقد جعل كل ما لدي أيضاً من أجهزة في موضعها الأمثل وخلقها على أكمل وجه .

إن أهم آتني هي تلك الخراطيم التي مُنحتها لكي أُشبع نَهَمي . هذه القطعة التي أُضيفت إلي فمي من أجل مصّ الدماء أستخدمها مثل التكون الأرتوازي . إن خُرطومي الفاحص هذا قد تشكل من أربع سكاكين حادة ونصف ميزاب ، أي أخذود ، وقد استقر داخل غلاف (شكل ١) . أحط هذا الخرطوم فوق أذني مكان من جلدكم بهدف مص الدماء . أشق الغلاف ، أستل سكاكيني ، وهي مُصنّعة



(الشكل ١)

بشكل جاد يُمكنها من قطع الجلد بسهولة . ولكي لا تشعرون بي أقوم بعمل تخدير موضعي بمادة خاصة تفرزها إحدى سكاكيني . وأفرز أنا مادة في تركيب خاص حتى لا تتخثر الدماء أو تتجمد وتفقد سيولتها وتدفقها . لو لم تكن هذه المادة ، لقام الدم الذي أمتصه بسدّ خرطومي أثناء عملية المصّ ، وكنت سوف أموت ولن أستطيع امتصاص الدماء مرة أخرى . إذا ما قمت بالتخدير بشكل جيد أو إذا كان الشخص الذي لدغته نائماً ولم يشعر ، فمعنى هذا أن هناك وليمة لي . فأنا أستطيع أن أضع كمية من الدم تبلغ ٨ , ٢ ملجم في المرة الواحدة . وهذا يزيد حتى عن وزني الذي يبلغ ٥ , ٢ ملجم . ولما كان جلد معدتي مرن وقابل للتمدد ، ففي ظرف دقيقتين أو ثلاث يمتلئ بطني بالدماء . ولما كان هضم الدماء التي في بطني يستمر طويلاً ، فيمكنني البقاء ما بين ٣ - ٤ أيام دون أن آكل أي شيء .

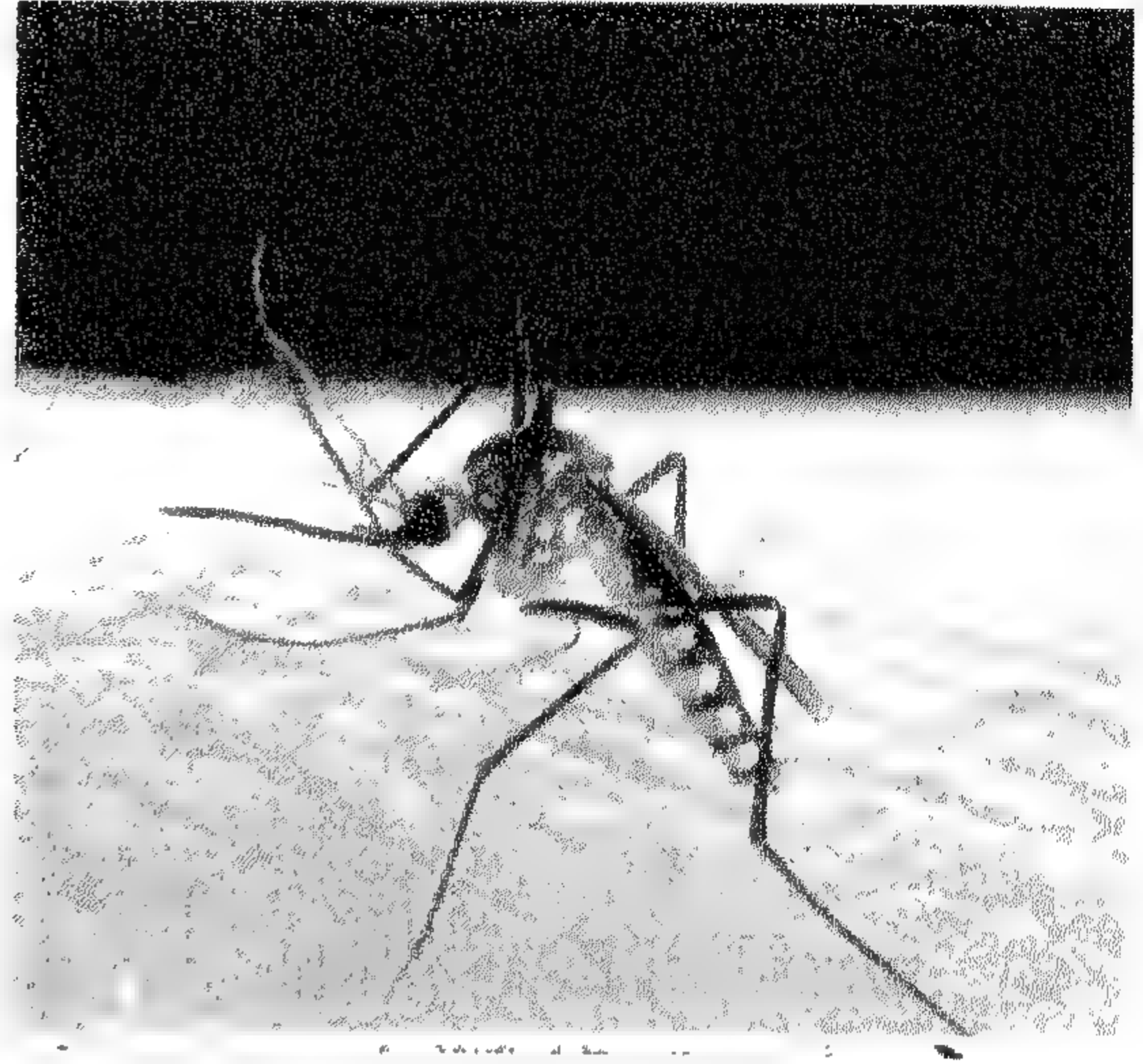
يمتصون دماء بعضهم ، فإنهم ينقلون إلى البعض الدماء الملوثة بالميكروبات التي امتصوها من شخص يحمل الفيروس أو الحمى البلازمية . مرة أخرى نحن حيوانات ، نتصرف هكذا حسب البرنامج الذي استودعه ربنا فينا . والحال هكذا . . . فإن عمليّة التلويث الميكروبي الذي قام بها رفاقنا ، هذا في الظاهر عملٌ شرير ، لم يكن بمحض إرادتهم . أما الوجه الحقيقي للحادثة فيمكن أن يُبين عن نفسه بنتائج حكيمة للغاية . فإن كنت في الماضي قد صرت سبباً للأوبئة الفتاكة ، فإن هذه الأمراض كالحُمى وغيرها قد تضاءلت بفضل الأدوية التي اكتشفتموها . فإذا لم يبق أي إنسان مُحَموم ، فكذلك لن يكون هناك احتمال لحملي ميكروب الحمى . وبينما أنا أمتص الدماء منكم ، فما هي إلا بُرهة حتى تشعر أجسادكم بذلك ، وترد الصاع بإفراز المضادات الحيوية الواقية من الأمراض . ما أدراكم . . . ! لما كنت سبباً في الحساسية التي تولد لديكم ، ألم يجعل ذلك نظامكم المناعي متيقظاً . ؟ ربما تتوهمون أن هذا ادعاء مني ،

ولكنكم إن أجريتم أبحاثاً دقيقة في معاملكم ومراكز أبحاثكم فإنكم ستجدون أن لدغاتي هي التي تدفع جهازكم المناعي إلى الحركة . ربما ولكي لا تظهر أمراض أكثر خطورة مثل السرطان ، فبسببي ستظل أجهزتك المناعية في يقظة تامة . إنني على قناعة ويقين بأنكم سوف تصغون لتوصية هذا المخلوق البسيط الذي هو عبارة عن أثر فني صغير لربي العظيم ، وسوف تُكثفون أبحاثكم في هذا الاتجاه . في وقت ما كنتم تشنون هجوماً ضارياً ضد الذباب وها هي

الآن قد أصبحت يرقاناتها وخادراتها غنغرينة تستخدمونها في علاج الجروح .

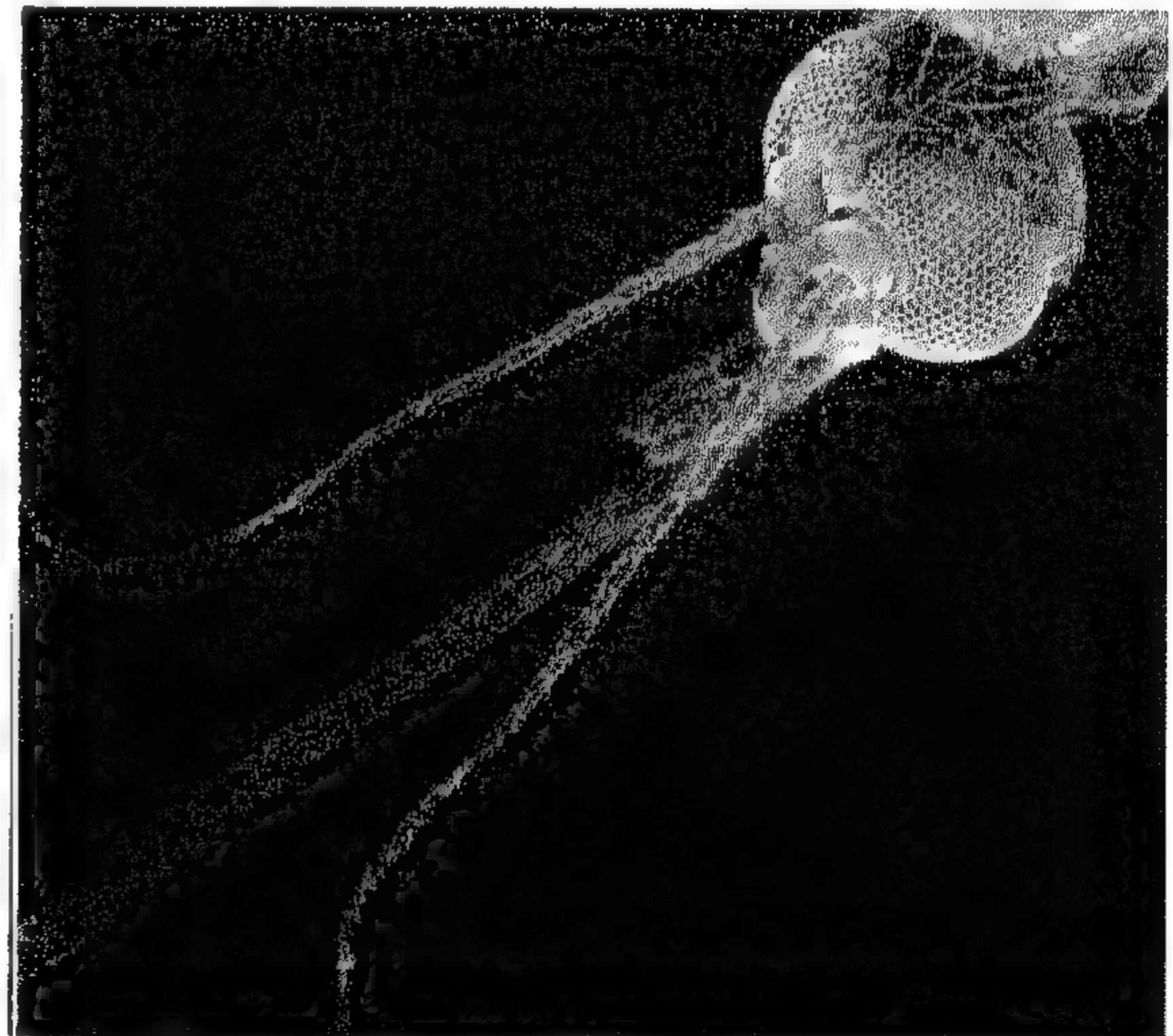
منذ قليل وأنا أدافع عن نفسي ، لم أستطع أن أجِد الفرصة لكي أتحدث عن الأجهزة الحساسة التي أحملها بين جنّباتي ، بينما أنا معجزة الخالق الحكيم . والأفلاماذا يتحدث عني ربي في القرآن الكريم . ؟ معنى ذلك أنه أراد أن يُعطي لكم بعض الرسائل بلدي روح صغير مثلي . كما تعلمون فإن صناعة ساعة كبيرة أسهل كثيراً من صناعة ساعة صغيرة . فإن التروس في الساعة الصغيرة والبراغي وغيرها من القطع لما كانت صغيرة جداً ، فإن جمعها وجعلها ساعة تعمل لَمِنْ الأمور الصعبة . إن السهولة والصعوبة ليست موضوع بحث بالنسبة للخالق جل جلاله ، ولكنني أردت فقط بهذا المثال أن أوضح المسألة لكم . الآن أغلقوا أعينكم ، وتخيلوا . ! فلي أنا أيضاً معدة وأمعاء

إن بعض أنواعها يمكنها أن تمص ثلاثمائة ميكرو لتر من الدماء خلال ١٥ دقيقة، وهذا يُماثل ستة أضعاف جسمها. أنا لا أعيش مشكلة رضاعة (شكل ٢). إن الفراغات الداخلية في رأسي قد جُهزت بالعضلات. وفيما بين انقباض هذه العضلات وانفراجها هناك فرق



(الشكل ٢)

ضغط جوي ما بين ١ - ٢ (ضاغط رضاعة). ودماء الشخص الذي لدغته يرتفع داخل خرطوم المص بسرعة خمسة أمتار في الثانية. لا تخافوا ولا تقلقوا، فإن هذا الضغط لن يفجر خرطومي، لأن الله قد خلق جهازي الحياتي هذا في تركيب خاص (شكل ٣).



(الشكل ٣)

من هو الإنسان الذي أمص دمه أكثر. ؟ إن الجواب على هذا السؤال فيه إفشاء للسِر. ولكن أبوح بما يلي؛ فأنا أستطيع أن أجد

الإنسان الذي سأمص دمه في الظلام الدامس. ولكي أحصل على صيدي، فقد وضع ربي في وسط أقدامي الأمامية تماماً أجهزة استقبال حراري حساسة. وبواسطة هذه الأجهزة الحرارية أُحدد على أجسادكم أكثر الأماكن حرارة وأكثرها تشبعاً بالدماء تحت الجلد. هذا بالإضافة إلى وجود أجهزة استكشاف حساسة للغاية فوق جسدي بحيث إن عقولكم أو خيالكم لا يتصورها. أنا أعرف بني البشر من رائحة عرقهم ودرجة حرارتهم. إنني بمعداتي التي تحدد نسبة الرطوبة والأمين في نفسيكم وحامض اللاكتيك والأحماض الدهنية وزيت الآمون وأحماض الأمينو وأكاسيد الكربونات في عرقكم، أجد أنسب الأماكن للثقب في جلدكم، مثلما تفعل الطائرات التي تهبط في المطارات بطيار آلي. إن المؤشرات والعدادات الموجودة في كبائن الطائرات التي تُرشد الطيار وتُبّه وتُقدم له المعلومات اللازمة عن وضع الطائرة، هذه كلها بجوار معداتي لا تصلح حتى لكي تكون لعباً للأطفال.

إن الإناث فيما بيننا مضطرة لإيجاد كل الظروف المواتية وأنسب المياه من أجل أن تضع بيضها. لذلك فهي تُشغل وبشكل حساس جهاز البحث عن الرطوبة الموجود في بطونها. وبواسطة هذا الجهاز، فإن الأنثى التي هي صاحبة معارف ومعلومات عن تكوين ورطوبة الأرض التي تمر من فوقها خلال الطيران، ما أن تجد ميهاً مناسبة وغنية بالنباتات حتى تضع بيضها فوراً.

إن جهاز جوهنستون الموجود في هوائياتنا هو جهاز استماع حساس. ولما كانت هناك فوارق بين سرعة ضربات أجنحة الذكور والإناث، فهناك فرق أيضاً فيما بين اللحن أو النغمات الصادرة عن الأصوات التي تُصدرها الأجنحة عند الطيران. ولما كانت الإناث تضرب أجنحتها بشكل أسرع، فإن الذكور -الذين سيكونون معها، وفي حالة فاعلية ونشاط من أجل الحفاظ على النسل والنوع- يفضل هذا الجهاز الذي وهبه ربي يمكنهم إيجاد رفيقاتهم. هل يمكن أن تخمن مدى الكمال الذي يحدث من مثل رفرقة الأجنحة التي تبلغ ٥٠٠ مرة في الثانية الواحدة. ؟ إنكم تستطيعون بالكاد أن تحركوا أذرعكم وتفتحوها وتغلقوها مثل الجناح مرة واحدة في الثانية على أحسن تقدير. فلا عضلاتكم ولا مفاصلكم قد خُلقت لتوائم هذا العمل. فروابط مفاصلي وعضلاتي أقوى مما هي عندهم.

يجب ترك البيض في متراكبات مائية مناسبة للتطور. لقد اتخذت التدابير اللازمة من قبل صاحب القدرة اللانهائية حتى لا يغوص بيضنا في الماء. فبعض أجناسنا تُثبت حُجيرات هوائية فوق بيضها حتى تحول دون غوصه في الماء، بينما يوجد لبعض أنواعنا

ميزابات وأحاديد مليئة بالهواء فوق بيضها. كما أننا نلصق أعداداً غفيرة من البيض بمادة لاصقة خاصة ونجعلها كالصالح أي الرمث العائم فوق الماء. ولما كانت الأحاديد مثل الوسائد الهوائية، فهي تحول دون غرق بيضنا.

بعض الأنواع الأخرى تترك بيضها في الماء بعد أن تكون قد غلّقت بمادة جيلاينية هلامية لتحميها، مستفيدة من قانون جاذبية سطح الأرض. نحن لم نكن على علم بضغط الأرض وجاذبيتها، كما أننا لم نكن نعرف شيئاً عن قوة الرفع للمياه. ولكن الذي رحمته بلا نهاية، بناء على فقرنا وعجزنا، فقد تكفل بحماية بيضنا على أجمل هيئة.

إن اليرقات التي تخرج من البيضة في طول يتراوح ما بين ١ - ١,٥ ملم تكبر بسرعة لاستمرار أكلها. ولها أجهزتها الخاصة جداً والتي تُمكنها من التغذية دون أن تختنق تحت الماء. إنها تستخدم أنابيب الهواء الخاصة بها والتي على شكل شعيرات ممتدة فوق المياه وبشكل أفضل من تلك التي تخص الغواصين. ولما كانت هذه الشعيرات مصنوعة من مادة الهيدروفوبك، يعني لما كانت لا تتبلل بالمياه، فإن الماء لا يتسرب إلى الداخل. ولكن إذا ما وُضع مازوت في الماء أو خلط بسائل زيتي، فإن خاصية هذه الشعيرات تفسد، وتملأ المياه داخل الأنابيب مع أقل تموج على سطح الماء. ومن الطبيعي

أن ينتج عن هذا الوضع الموت المحقق لليرقات. ولما اكتشفتم ذلك، فإنكم تلقون بالمازوت إلى التجمعات المائية في صراكم معنا. ومن أجل إعدام يرقاتي فقط فإنكم تقضون على الطبيعة مُلوّثين الماء. بينما الأمر أنكم لو لم تتدخلوا فإن الكثير من صغار الأسماك والضفادع تلتهم يرقاتي. إنها بهذا الصنيع ستكون قد ملأت بطونها من ناحية. ومن ناحية أخرى أمّنت السيطرة على نسبة أعدادنا. وبالطبع لن تكون قد لوّثت البيئة الطبيعية، بل حافظت على توازن البيئة. ولما كنتم لا تفكرون في شيء آخر غير قتل وإعدام يرقاتي، فإنكم لا تفقهون التوازن الكامل الذي أودعه ربي في الطبيعة. وتلقون جانباً حق الآخرين في الحياة، مستمرين في نهب دنيائكم الجميلة، مدفوعين بالحرص والطمع والأنانية إلى آخر المدى. والخلاصة فالحاسر أيضاً هو أنتم.

إن كان حديثي مؤلماً إلى حد ما، فلقد انصرفت عن الحديث حول إبداع ربي وشرعت في شكواكم لأنفسكم. فلنكتف بهذا القدر. فلقد قال أجدادكم الذين كانوا يهتمون أكثر منكم بالتوازن البيئي: «لِمَنْ يَفْهَمُ تَكْفِيهِ رَبَابُ بَعُوضَةٍ، أَمَّا الْمُنْكَرُ فَلَا يُجْدِي مَعَهُ طَبْلٌ أَوْ زَمْرٌ». وما أصدقه من قول. ١١. ﴿١١﴾

جامعة ٩ أيلول-تركيا

نظر الفجر إلينا

نَظَرَ الْفَجْرُ إِلَيْنَا : بابتسام وانشراح

فسقانا من صفاء : وَجَدْنَا كَأْسَ الصَّبَاحِ

قال: كونوا يا صحابي أوفياء للضياء

واسكنوا الآفاق حبا إنكم أهل الوفاء

اطلبوا المجد دواماً بافتخار واقتدار

وارسموا الآمال زهراً لصغار وكبار

مولاي الحسن الحسيني - المغرب



كيف نكوّن الحسن الديني لدى الأطفال؟

صدر الدين أيدر *

جوانب روحية ويسعى جاهداً من أجل مواصلة وجوده المادي، يبحث من جانب آخر عن الأجوبة المقتنعة بواسطة «معرفة دينية» سليمة بشكل خاص. فالتربية الدينية التي يتلقاها الإنسان في مرحلة طفولته تترك آثارها العميقة في نفسه طوال حياته. ولذلك ينبغي أن تقدّم له هذه المعرفة منذ الطفولة.

وينبغي ألا ننسى أن الغصن إنما يلوى وهو لا يزال غضاً طرياً. يقول الإمام الغزالي: «إن قلب الطفل فارغ، صاف، له ميل فطري لتلقّي كلّ شيء، والميل إلى كلّ شيء». وأما ابن مسكويه فيقول: «إن الطفل في هذه المرحلة جاهز لتقبّل كلّ التعاليم والتلقينات التي توجه له». وكما يقول ابن سينا: «عند ولادة الطفل تولد معه جملة من

إن السؤال المتمثل في «ماذا نعلّم الطفل ومتى نعلّمه وكيف نعلّمه ومن يعلّمه؟» يشغل بال الآباء والأمهات والمربين منذ القديم. وعندما يتعلق الأمر بالمواضيع الدينية يصبح هذا السؤال أكثر أهمية. واليوم تقال أشياء مختلفة في هذا الموضوع، بل إن بعض الأشخاص الذين تُعرف نواياهم يصرون على عدم تلقين الأطفال أي تربية دينية حتى سنّ الحادية عشرة، وهذا الأمر يلقي بضغوطه باستمرار على الأسر في بعض البلاد الإسلامية.

لم يلاحظ في زمن من الأزمان أن الإنسان عاش خلواً من الدين. ولقد وجد «الدين» بلا شك في جميع فترات التاريخ بغض النظر عن اسمه وشكله. فالإنسان الذي تسكن بين جوانبه ميول مادية وتنازعه

القدرات، بيد أنه يتميّز تطوير هذه القدرات»، بمعنى أن هذه القابليات إذا وجهت نحو الخير والدين نشأ الطفل مؤمناً، أما إذا وجهت نحو الشر والإلحاد فإن الطفل ينشأ غير مؤمن.

ويقول بديع الزمان: «إن الطفل إذا لم يتلق في طفولته دروساً إيمانية حية فإن نفسه بعد ذلك يصبح من العسير عليها تقبل الإسلام وأركان الإيمان، بل إن هذه الصعوبة تصل إلى درجة أن يصبح الواحد في علاقته بتقبل الإسلام شأنه شأن غير المسلم».

وعند النظر في المراجع المتعلقة بنفسية الطفل يلاحظ أن مرحلة الطفولة تنقسم إلى ثلاثة أقسام. وهذه الأقسام الثلاثة هي بشكل عام على النحو التالي:

مرحلة الرضاعة: بين سن ٠ - ٣ سنوات.

مرحلة الطفولة الأولى: بين ٣ - ٦ سنوات.

مرحلة الطفولة الأخيرة: بين ٦ - ١١ سنة للإناث وبين ٦ - ١٣ سنة للذكور.

وتعتبر المرحلتان الأوليان الأكثر تأثيراً في مستقبل الطفل.

مرحلة الرضاعة

في هذه المرحلة التي تمتد من الولادة إلى سن الثالثة لا يلاحظ لدى الطفل أيّ تعبير عن أي إحساس أو تفكير ديني. فالطفل في وضعيّة سلبية تماماً، وهو يحتاج في كلّ الأمور إلى الوالدين، غير أنه من جانب آخر ليس معزولاً بشكل تامّ عن العالم وعن محيطه. فالطفل وإن كان لا يمارس أيّ نشاط بدني أو اجتماعي بالمعنى الحقيقي، إلا أنه حسّاس إزاء الأحداث التي تقع في بيئته. فقد أثبتت الأبحاث أن الطفل قد خلق مزوداً بقابليات «روحية» إزاء التلقينات الدينية التي ترد إليه من الخارج. وقد عبّر عن ذلك العلامة حمدي يازر بقوله: «إن كلّ فرد قد ركّز في روحه إحساس بالحقّ، وغُرزت في داخله قوّة لمعرفة الله تعالى».

ويقول عالم النفس الألماني هولنباخ: «يمتلك الطفل إحساساً شديداً بالرغبة في المعرفة والبحث عن قدرة غير محدودة تساعده وتحميه. وهي لا تزال غير ظاهرة، ولم يتمّ التمكن من شرحها إلى حدّ الآن. والشّيء الذي يجعل من الطفل شخصاً متديناً هو هذا الشّوق والرغبة في الاكتشاف إزاء اللامحدود، وهذه الرغبة كامنة في داخله. بيد أنه من الضروري أن تشجّع هذه الرغبة ويغذى هذا الحماس ويوجّهها من قبل العائلة».

مرحلة الطفولة الأولى (مرحلة التقليد)

بداية من سنّ الثالثة يبدأ الطفل بالاهتمام بمحيطه بشكل مكثّف، ويحاول أن يلعب بكلّ ما يقع في يده، ويحاول كذلك أن يتعرّف

عليه. وفي هذه المرحلة تبدأ مشاعر مثل الإحساس بالأمان والحبّ والإحساس بحبّ الآخرين في التكون بشكل كبير. ويريد الطفل أن يبيّن أنه ليس في حاجة إلى الآخرين من أجل تلبية هذه الاحتياجات. ونتيجة لذلك يعمل الطفل على امتلاك كلّ ما يوجد في محيطه، ويسعى إلى كسره أو تمزيقه، وبهذه الصّورة يعمل على إثبات وجوده. والأطفال الذين هم في هذا العمر يتصرفون أساساً انطلاقاً من عواطفهم. ويكون اهتمامهم أقوى إزاء الأشياء التي تخاطب عواطفهم. وبالإضافة إلى ذلك، فذكاء الطفل ليس بوسعه إدراك جميع المفاهيم بعد، ولا يعرف كيف يتفاعل مع الأحداث التي تواجهه. ونتيجة لذلك فالتقليد هو السمة التي تميّز الأطفال بشكل خاصّ في هذا العمر.

والأطفال الذين هم في هذا العمر يشعرون بالحاجة إلى اتّخاذ نموذج لهم يتبعونه. والأشخاص الذين يمكن للطفل اتّخاذهم قدوة هم أفراد العائلة. وقد كشفت الأبحاث أن بيئة الطفل (الأسرة) هي العامل الأكثر تأثيراً عليه، في طبيعة تصرفاته ومواقفه الدينية. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كلّ إنسان تلده أمه على الفطرة، وأبواه بعد يهودانه وينصرانه ويمجسانه، فإن كانا مسلمين فمسلم» (رواه مسلم). فإذا كان الوالدان مسلمين يكون مسلماً. فالحديث يشير بذلك إلى أهمية الأسرة، وبشكل خاصّ إلى الوالدين في تكوين الإحساس الديني والفكري لدى الطفل.

والأطفال في هذه السنّ يستقبلون بكلّ تلقائية العبارات والسلوك الديني وجميع العناصر الدينية التي يلاحظونها في أفراد العائلة ويعملون على تقليدهم باعتبارهم يمثلون «النموذج المثالي» بالنسبة إليهم. وهذا الميل الفطري للتقليد لدى الطفل مصدره نفسية «تقليد المحبوب»، وهذا مهمّ جداً فيما يتعلّق بتشكيل الحياة الدينية لدى الطفل. ومن هذا المنطلق على الأشخاص الذين يتخذهم الأطفال «نماذج» أن يكونوا حذرين إزاء ما يصدر عنهم من كلمات ومن تصرفات. فالوالدان

اللذان يوجّهان النصح لأطفالهم بغاية تغذية المشاعر الدينية فيهم، ينبغي أن لا يتعارض كلامهم مع حياتهم العملية، بل وينبغي أن يؤكّد الكلام بالعبادات مثل الصلّاة والصّيام



والدعاء والحج والإنفاق . فعندما لا يكون كلامهم الجميل متوافقا مع سلوكهم ، وعندما تكون أعمالهم غير منسجمة مع أقوالهم فإن ما يصدر عنهم من كلام سوف لن يتجاوز آذانهم ، بل إنه في بعض الأحيان يصبح لهذا الكلام تأثير عكسي .

حسنا ، كيف ينبغي أن يكون سلوك هذا النموذج (الأسرة)؟ إن الأبوين اللذين يريدان أن يكون لكلامهما وقع في نفوس أطفالهم ، عليهما أولا أن يطبقا ما يقولانه بصدق ، ثم يطلبوا بعد ذلك من أطفالهم الالتزام به .

القوة الصالحة

إن استماع الطفل للأدعية التي يدعوا بها الأشخاص (القوة) الموجودون في محيطه ورؤيته للعبادات والمعاملات الدينية التي يقومون بها تمثل أهمية قصوى بالنسبة إليهم . فما يسمعونهم منهم يترسخ في اللاشعور لديهم ، ثم يبدأ الطفل بعد ذلك شيئا فشيئا في تقليده . فمثلا ، يشاهد الطفل الذي هو في سن الثالثة أو الرابعة من العمر أحد والديه وهو يؤدي الصلاة ثم يتابع سلوكه ثم يحاكيه بعد ذلك . وكذلك عندما يلاحظ الطفل أن والديه يبدآن بالاستعداد للصلاة مع سماع الأذان ، فبعد فترة من الزمن ما إن يُرفع الأذان حتى يسارع الطفل إلى القيام ، ويقول لهما «حيي على الصلاة» ، وهو بتلك الحركة يريد أن يثبت ذاته .



كما أن كلمات الأدعية وعبارات الشكر التي تقال في البيت بصوت مرتفع تصبح محل محاكاة وتقليد من قبل الطفل بعد فترة من الوقت . كما ينبغي أن نقول للطفل بأنه يتعين عليه أن يدعو الله تعالى من أجل تحقيق حاجاته . وعلى هذا النحو يترسخ في ذهنه أن الله تعالى هو ملجأه الوحيد . ومن ناحية أخرى يجب أن نعلم الطفل الإيمان بالله وفوائد العبودية لله تعالى ونشرح له مساعدة الله لعباده المؤمنين .

وعند القيام بهذه العملية علينا أن نستعين في ذلك بالحكايات والقصص التي تشد انتباه الطفل . فالحكايات والمناقب التي لها صلة بالإيمان تسرع من تطوير الأفكار لدى الطفل ، حيث تدل على أن وراء الأشياء المادية قوة أخرى . ولهذا السبب يتعين أن نقص على الأطفال قصص الأنبياء الموجودة في القرآن ، وكذلك حياة النبي ﷺ ، إضافة إلى مشاهد البطولة والصبر التي ميزت حياة الصحابة الكرام ، والعزم

والجهد الذي أبدوه . وعلى هذا النحو يتشكل في أذهان الأطفال النموذج المثالي .

كيف يجب أن تكون اللعب التي نقتنيها للطفل؟

في هذه المرحلة لا يستطيع الطفل أن يستوعب المفاهيم المجردة ، لذلك يهتم بالرموز أكثر . ولهذا السبب ينبغي أن تكون اللعب التي تعطى للطفل قادرة على التعبير عن الحياة الدينية . فمن اللعب التي تعطى للأطفال والتي تحتوي على عناصر دينية نجد «ألعاب التركيب» والكلمات المتقاطعة وسيديهاات الأفلام الكرتونية وغيرها .

وإلى جانب ذلك ، هناك أسلوب آخر في التعليم يتمثل في الهدايا التي تقدم من قبل الأشخاص الذين اتّخذهم الطفل قدوة ونموذجا . وهذه الهدايا يمكن أن تكون سجادة أو مسبحة وما شابه ذلك من الأشياء . فالحسن الديني لدى الأطفال لا يمكن أن يُزرع في نفوسهم إلا بواسطة الحب ومن قبل من يحبون من الناس . فربط الأطفال بالله تعالى عن طريق الأمل والحب ، أمر مهم من حيث جعل ملكاتهم العقلية والذهنية في صلة بهذه الأمور مستقبلا . فالتربية الإيمانية القائمة على حب الله تعالى تلتحم بالشعور بالأمل والارتباط بالله تعالى ، وهذان العنصران يعدّان من المشاعر الأساسية لدى الطفل . وبذلك تتكوّن قواعد إيمانية قوية وصلبة .

وأخيرا هناك عبارتان مختلفتان ، إحداها لطفل عمره خمس سنوات والآخر عمره ست سنوات ، تلخصان التربية الدينية التي تلقاها:

مراد (خمس سنوات): «عندما نقيم الصلاة ، ونحسن إلى الناس يحبنا الله تعالى . وعندما نخطئ فهو يغفر لنا . وهو يحب الأمهات والآباء والإخوة والجدات والأصدقاء ويحب جميع الناس ، ويحب الأطفال الصغار بوجه خاص» .

علي (ست سنوات): «إذا عصيت والديك فالله يعذبك بالنار . . . وإذا عصيت والديك وضربتكما فكأنما عصيت الله تعالى . ولذلك فالله يلقي بك في جهنم ويحرقك فيها . أما إذا تفوّقنا بكلام سيء فالله يشوي أبداننا بالنار الحارقة» .

ولا داعي هنا لنقول أيّ الحديّثين أكثرُ رشداً؟

* باحث متخصص في علم التربية - تركيا

الإيمان

والشفاء

د. ألفونس ويليمز*

د. ديفيد لارسون

الطبيب النفسي ديفيد لارسون هو رئيس المعهد القومي لبحوث العناية بالصحة ومؤلف الكتاب التعليمي «العنصر المنسي» الذي قام بتأليفه بالاشتراك مع زوجته سوزان.

ويناقش في كتابه هذا العلاقة بين الصحة والدين. وتقول الأرقام التي وردت في كتابه عن طريق استطلاع «جالوب» أن ٩٥ بالمائة من الأميركيين يؤمنون بالله، وعلى الرغم من أن النصف يؤمنون بوجود النار فهناك ٨٠ بالمائة يثقون بأن الله غفور رحيم ولا يعذب بها، وهناك ٤٠ بالمائة يحضرون القداس الأسبوعي.

وأثناء عمله كطبيب نفسياني مقيم في جامعة ديوك سأل لارسون أستاذا جامعيًا عن كيفية إدماج الإيمان في الممارسة الطبية النفسية،

ظلت العلاقة بين الإيمان والشفاء محل نظر وجدل ولا تزال.

فمعظمنا سمع عن أناس برعوا من أمراض مزمنة بسبب إيمانهم، وقد ظل استكشاف تلك العلاقة أمرًا يثير السخرية بين أوساط العلماء والأطباء قرونا عديدة. ووصل الأمر في الخمسة عشر عاما الأخيرة أن اعتبر انتحارا أكاديميا أن يقدم أحد الباحثين دراسة يلمح فيها لأمر كهذا.

غير أن هذا المفهوم أخذ في التغيير، فقد بدأ المتخصصون في معاهد كبرى إجراء أبحاث علمية حول أثر الإيمان في الشفاء. ويمكننا تبين ذلك من المؤتمرات الحديثة المنعقدة في هارفارد وفي عيادة مايو وفي الجمعية الأمريكية لتطوير العلوم المعروفة اختصارًا بـ (AAAS).

وفيما يلي أمثلة لهذه الدراسات العلمية والقائمين بها وما توصلوا

إليه من نتائج:

وكانت الإجابة: «أنت من النوع الذي يحب أن يؤمن الناس كما تؤمن أنت؟» وعلى الرغم من أن إجابة لارسون كانت بالنفي إلا أن الأستاذ الجامعي استمر قائلاً: «يبدو أنك ستضرب مرضاك». ويقول لارسون إن أي أحد يثير أمراً كهذا سيُدْمَغُ بأنه أصولي، غير أن أبحاثه الواسعة ومنشوراته جذبت له الأنظار مما ساهم في تمويل المعهد القومي لأبحاث العناية بالصحة. فبرنامج الإيمان في الطب الذي يموله المعهد يعطي منحاً قدرها عشرة آلاف دولار لمدارس الطب لدراسة مناهج حول الدين والصحة.

وكانت جامعتا جونز هوبكنز وجورج واشنطن من بين أحد عشر مدرسة تلقت تلك المنح.

د. هارولد كونيغ

يعد هارولد كونيغ -الذي يعمل أستاذاً مساعداً للطب النفسي ومديراً لمركز دراسة الدين والروحانية والصحة التابع لمركز جامعة ديوك الطبي- من بين رواد دراسة قدرات الإيمان الشفائية.

لاحظ كونيغ لأول مرة أهمية الإيمان كعنصر مساعد للشفاء حين كان طبيباً عائلته مبتدئاً. فقد عرضت عليه حالة مريضة أدخلت إلى المستشفى لمدة شهر على إثر جراحة في الفخذ. مات زوج تلك المرأة من جلطة فجائية وسقطت المرأة على الجليد أثناء سيرها في جنازته وأصيبت بشرخ في الفخذ. أما طبيبها فقد حذر كونيغ بأن المرأة منهاره عاطفياً. وفي الحقيقة واجهت المرأة أحداثاً تؤدي بطبيعتها إلى الاكتئاب، وعليه تقوض عملية الشفاء.

من أجل هذا أصيب كونيغ بالدهشة حين رأى تلك العجوز منبسطة الأسارير حين دخل غرفتها وسمعها تقول له: «هل من شيء أؤديه لك أيها الطبيب؟»

ولاحظ كونيغ عدم وجود أي علامة ظاهرة تدل على الاكتئاب أو التعب أو حمرة العينين من الدموع أو صعوبة التركيز عند هذه السيدة. وبمصادفتها اكتشف كونيغ أنها احتفظت بهذا المرح والرضا بقراءتها للكتاب المقدس، وانبرت المرأة قائلة له: «إذا استيقظت فوجدت نفسي وحيدة أو مذعورة فإنني أقرأ الكتاب المقدس أو أتحدث إلى الرب، فهو دائماً معي حتى حين يتركني

الأحباب، وهذا أهم شيء يعث الأمل في جوانحي». وتعجب كونيغ، وحين شفيَت المرأة، وجد نفسه مدفوعاً لدراسة الأثر الطبي لهذا الإيمان العميق. ومنذ ذلك الحين أخبره مرضى كثيرون كيف استطاعوا بإيمانهم التواؤم مع ما هم فيه وعجل هذا الأمر شفاءهم. بل وجمع فريقه الطبي الذي درس حالات آلاف الأميركيين منذ عام ١٩٨٤ أدلة دامغة على أن الإيمان الديني لا يحسن الصحة العامة فقط ولكنه يساعد المرضى على الشفاء من الأمراض المزمنة.

يقول كونيغ: «حين يصلون الله يكتسب المرضى نوعاً غير مباشر من التحكم في عللهم وهم يوقنون أنهم ليسوا وحدهم في كفاحهم ضد المرض، فالله معهم بنفسه. ويساعدهم هذا اليقين على التغلب على الإحساس بالوحدة الشعورية والذي يؤدي الكثير من المرضى». وفي دراسته لـ ٤٥٥ حالة من مرضى مستشفى العجائز وجد كونيغ أن الأشخاص الذين يحضرون إلى الكنيسة أكثر من مرة أسبوعياً يقضون ٤ أيام فقط في المستشفى، بينما يقضي أولئك الذين لا يذهبون إلى الكنيسة أو يذهبون إليها نادراً حوالي ١٠ إلى ١٢ يوماً حتى يتم شفاؤهم.

دليل ماثيو

دليل ماثيو يعمل أستاذاً مساعداً للطب النفسي بالمركز الطبي التابع لجامعة جورج واشنطن بواشنطن. أثناء عمله كطبيب داخلي مبتدئ في أوائل الثمانينات قابل ماثيو مريضاً على قدر كبير من الإيمان ترك أثراً كبيراً على حياته. وقبل أن يسمح له بالشروع في علاجه قال الرجل له: «أنا مسيحي صالح، فإن كنت تريد أن تصبح طبيبي فإنني أريد منك أن تصلي معي». لم يتحدث ماثيو من قبل عن إيمانه مع مرضاه، ولذا فقد كان متعماً في البداية. ولكنه وضع يده في يد الرجل الذي أمل أن يظل الأمر سرا بينهما، فهو لا يريد أن يصممه الناس. أنه «غير علماني»، غير أنه انتبه على صوت الرجل الذي دوى في غرفة الكشف، لكنه تبين أن مريضه كان كلا متكاملاً وليس أعراضاً تجمعت وشكلت حالة معينة. وقد دفعه هذا إلى أن يصبح حساساً لأي إشارة تبين أن الإيمان هام للمريض. فإذا ما خاطبه أحد قائلاً: «أتمنى من الله ألا يظهر شيئاً سيئاً



جمع فريق د. كونيغ الطبي الذي درس حالات آلاف الأميركيين منذ عام ١٩٨٤ أدلة دامغة على أن الإيمان لا يحسن الصحة العامة فقط، ولكنه يساعد المرضى على الشفاء من الأمراض المزمنة.





واكتشف هؤلاء الباحثون أن الدين يمكن أن يساعد الناس على الشفاء من الاكتئاب، بل إن الحقيقة أنه كلما ارتفعت إيمانيات المريض كلما زادت سرعة شفائه.



في هذه الاختبارات أجابه ماثيو قائلا: «أخبرني عن صورة الله في عقلك». ويقول ماثيو: «قد لا يمكننا أن نثبت علميا أن الله يشفي، لكنني أعتقد أن بإمكاننا أن نثبت أن الإيمان بالله يترك آثارا طيبة». ولذا ضمن ماثيو كتابه الأخير «عنصر الإيمان» حكما دينية وأبحاثا علمية وقصص المرضى حتى يثبت العلاقة بين الإيمان والصحة.

نتائج إحصائية

بدأت معاهد الرعاية الصحية في الاهتمام بالعلاقة بين الإيمان والصحة. فقد قامت مدرسة الطب بهارفارد، عيادة مايو، والجمعية الأمريكية لتطوير العلوم برعاية مؤتمرات حول الصحة والروحانية، بل إن ما يقارب نصف كليات الطب الأمريكية تدرس مناهج دراسية في هذا المجال.

وفيما يلي نتائج بعض الدراسات المنشورة في هذا المضمار:

◆ في استطلاع تم توزيعه على ٢٦٩ طبيب عام ١٩٩٦ في أحد اجتماعات الأكاديمية الأمريكية لأطباء العائلات قال ٩٩ بالمائة إنهم يعتقدون أن المعتقدات الدينية يمكن أن تساهم في الشفاء. وحينما سئلوا عن تجاربهم الشخصية أجاب ٦٦ بالمائة من الأطباء أن الله تدخل وحسن أحوال مرضاهم، بل وبدأ الحماس على المرضى بشدة وهم يبينون أن الصلاة أداة فعالة في الشفاء.

◆ كما أظهرت استطلاعات الرأي المنشورة في التايم وسي إن إن أن ثمانين بالمائة من الأمريكيين يرون أن الإيمان والصلاة يمكن أن يساعدوا الأفراد على الشفاء من المرض أو الإصابة، وأكثر من ٦٠ بالمائة يعتقدون أن على الأطباء أن يتحدثوا إلى المرضى حول الإيمان بل ويصلون مع من يطلبون ذلك.

◆ طبقا للباحثين في جامعة كولومبيا فالأطفال أبناء الأمهات الملتزمات دينيا أقل عرضة للاكتئاب في المراحل المتأخرة من حياتهم. وفي الدراسة تمت متابعة ٦٠ أما و ١٥١ طفلا لمدة ١٠ سنوات لتحديد ما إذا كان هناك علاقة بين التزام الأم دينيا وتعرض طفلها للإصابة بالاكتئاب. وأظهرت الدراسة أن الإناث -وليس الذكور- اللائي ولدن لأمهات ملتزمات دينيا كن أقل عرضة للاكتئاب بنسبة ٦٠ بالمائة خلال متابعة دامت

طيلة ١٠ سنوات. وكان ثاني العناصر أهمية في وجود الإصابة بالاكتئاب هو مدى اعتناق الطفل لدين الأم؛ فحين اتحد مذهب الأم وابنتها تبين أن الاكتئاب يقل بنسبة ٧١ بالمائة بينما تصل النسبة في الذكور إلى ٨٤ بالمائة.

◆ أحد أبرز النتائج أيضا هو أن الأمهات الملتزمات هم أنفسهم أقل عرضة للاكتئاب. فقد أظهرت متابعة ١٠ سنوات أن الأمهات اللاتي يجعلن جل اهتمامهن هو الدين يقل تعرضهن للاكتئاب بنسبة ٨١ بالمائة. وتوافقت هذه النتيجة مع الدراسات الأخرى التي بينت العلاقة العكسية بين الإيمان والاكتئاب، وتوجد تفسيرات متعددة لهذه النتائج. كما بين أولئك الباحثون أن الأمهات الملتزمات دينيا أقل عرضة للطلاق ويقل فيهن فقر الأداء الاجتماعي والذي يؤدي وجود أي منهما إلى إصابة الأطفال بالاكتئاب. كما أثبت تحليل آخر أقرته دراسة في كلية الطب بفرجينيا أن الدين يحمي الناس من الاكتئاب بتخفيف رزايا الحياة عنهم.

◆ أظهرت دراسة أجريت بكلية طب دارتموث أن عدد الموتى من بين مرضى القلب الذين يجرون جراحة يزيد ١٤ ضعفا إن لم يشتركوا في أنشطة جماعية ولم يتلمسوا الراحة في الدين. فقد مات ٢١ مريضا خلال ستة أشهر بينما لم تمت أي حالة من بين ٣٧ شخصا آخرين قالوا جميعا إنهم ملتزمون دينيا.

◆ أظهرت دراسة تمت في جامعة ييل على ٢٨١٢ من كبار السن أن أولئك الذين لم يذهبوا إلى الكنيسة أو ذهبوا نادرا إليها كانت نسبة إصابتهم بالسكتة ضعف نسبة الإصابة بين الذين داوموا على الذهاب.

◆ كما أظهر استطلاع تم توزيعه على ٥٢٨٦ مواطن بولاية كاليفورنيا أن معدلات الوفاة بين أعضاء الكنيسة أقل من معدلاتها بين غير الأعضاء بغض النظر عن عناصر الخطر مثل التدخين والشرب والسمنة وعدم النشاط.

◆ تقل الأعراض وتحسن النتائج الصحية عند المرضى المتدينين بنسبة ٧ من بين كل ٨ مصابين بالسرطان، ٤ من بين كل ٥ مصابين بضغط الدم و ٤ من بين كل ٦ مصابين بأمراض القلب، و ٤ من بين كل ٥ مصابين

بأمراض صحية عامة. وطبقا لأحد التحليلات البحثية فإن المرضى المتدينين أقل ميلا للاكتئاب والانتحار وشرب الخمر وغيرها من أنواع الإدمان.

◆ هل تنفعنا صلاة الآخرين؟ في دراسة أجراها طبيب باطني يدعى راندولف بيرد عام ١٩٨٨ تم تقسيم ٣٩٣ من مرضى القلب بمركز المستشفى الطبي العام بسان فرانسيسكو إلى فريقين، صُلي من أجل الفريق الأول بينما لم يُصل أحد من أجل الفريق الثاني ولم يعرف المرضى لأي جماعة ينتمون. وظهر أن المجموعة التي صُلي لها عانت من مضاعفات أقل، والتهاب رئوي أقل، وأزمات قلبية أقل، وكانت حاجتهم للمضادات الحيوية أقل.

◆ قام باحثون بإجراء دراسة على عينة من السكان عددهم ٢٧٣٠ في مشروع دراسي بحثي طويل الأمد يعرف باسم دراسة ضاحية الأميذا. وتبين لهؤلاء الباحثين أن الأفراد الذين يحضرون المراسم الدينية ويشاركون في الأنشطة الأخرى التي تتم من خلال مكان عبادتهم ينالون حماية من ضغوط الأعباء المالية والمسائل الصحية والمشاكل الأخرى.

◆ وفي دراسة أجريت على ٦٠٠ شخص من بين مرضى المستشفيات المختلفة تتراوح أعمارهم بين الخامسة والخمسين وما فوقها قاس الباحثون ٤٧ طريقة للتوافق. وتبين لهم أن المرضى الذين التجأوا إلى الله وطلبوا العون الروحي من القس وأعضاء الكنيسة كانوا أقل عرضة للاكتئاب وعاشوا حياة أفضل حتى بعد أن أخذوا في الاعتبار شدة مرضهم؛ كما اتضح للباحثين أن المرضى الذين أعطوا دعما

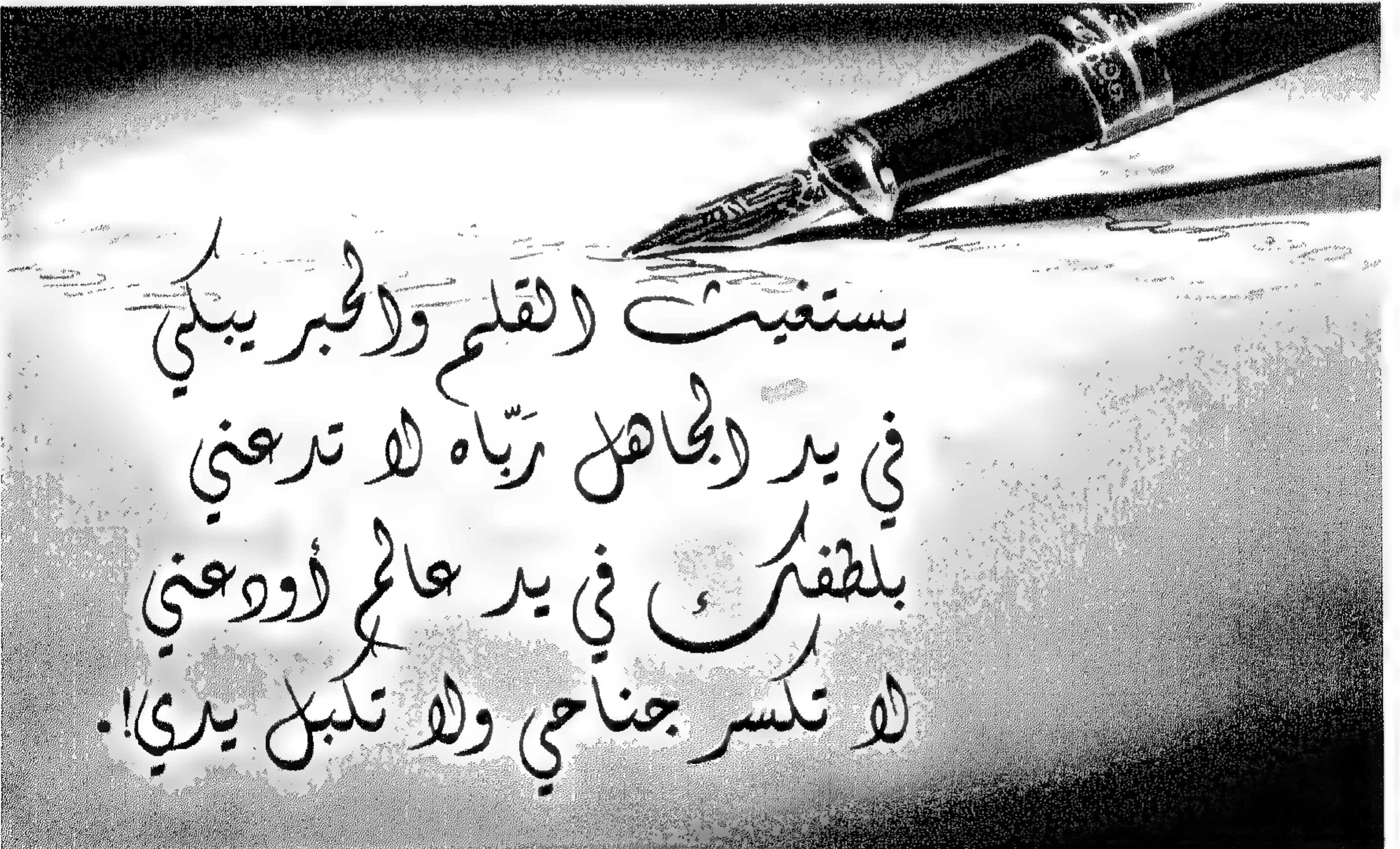
روحيا لغيرهم عن طريق الصلاة لهم أو تشجيع إيمانهم تحسنت أحوالهم.

◆ وأظهرت دراسة حديثة أخرى تمت في جامعة ديوك نتائج مذهلة؛ ففي أول دراسة لاختبار دور الدين في علاج الاكتئاب تابع الباحثون ٨٧ مريضا تزيد أعمارهم عن الستين، وشخصت حالتهم على أنها اضطراب اكتئابي بعد إدخالهم إلى المستشفى على إثر أمراض جسدية. واكتشف هؤلاء الباحثون أن الدين يمكن أن يساعد الناس على الشفاء من الاكتئاب بل إن الحقيقة أنه كلما ارتفعت إيمانيات المريض كلما زادت سرعة شفائه.

خاتمة

هل يمكن للإيمان حقا أن يشفي؟ بعض الباحثين يرون أن الإجابة بالطبع نعم؛ غير أن دراسة العلاقة بين الإيمان والشفاء الجسدي ما زالت ناشئة، لكن هناك علامات هامة أن للإيمان أثرا إيجابيا على الصحة تكمل أثر الدواء والجراحة. ويوما بعد يوم تتزايد نسبة المهتمين -في معاهد لها مكائنها- الذين يدرسون العلاقة بين الإيمان والشفاء بالطرق العلمية. تلك العلاقة التي اعتبرت دراستها أمرا مستهجنا في يوم من الأيام أصبحت تؤخذ اليوم مأخذ الجد في الدوائر العلمية. وبغض النظر عن النتائج فمجرد وجود هذه الجهود يبشر بتوسع احتمالات التعاون بين الإيمان والعلم ويؤدي إلى فهم أفضل للطبيعة البشرية. ﷻ

* كاتب وباحث أمريكي.



سنة ١٧٥٠م أول من سك هذا اللفظ، ثم انتقل استعماله إلى سائر الثقافات والعلوم الإنسانية كالآدب والفن.

إلا أن «الجمالية» من حيث هي مفهوم قديمة قدم الإنسان نفسه، وصاحبت الحضارات البشرية كلها بدون استثناء، واتخذت لها طابعا خاصا مع كل حضارة، كما كانت لها تجليات خاصة ومتميزة مع كل تجربة إنسانية مختلفة.^(١) ولم تكن الحضارة الإسلامية بدعا من الحضارات الإنسانية جملة. ذلك أن «الجمال» في الإسلام أصل أصيل، سواء من حيث هو قيمة دينية: عقديّة وتشريعية، أو من حيث هو مفهوم كوني، وكذا من حيث هو تجربة وجدانية إنسانية. ومن هنا كان تفاعل الإنسان المسلم مع قيم الجمال ممتدا من مجال العبادة إلى مجال العادة، ومن كتاب الله المسطور إلى كتاب الله المنظور مما خلّد روائع من الأدب والفن التي أنتجها الوجدان الإسلامي في قراءته الراقية للكونين وسياحته الرائعة في العالمين: عالم الغيب وعالم الشهادة!

ولقد قاد الجهل بالتراث الإسلامي أو العمى الصليبي بعض فلاسفة الغرب إلى حصر التجربة الجمالية الإسلامية في مجال «الإدراك العقلي» دون «الإدراك الوجداني العاطفي»؛ واتهم التجربة الإسلامية بالفقر الفني والجمالي! فأقل ما يقال عن مثل هذا الاتهام أن صاحبه جاهل بحقيقة الإسلام وقيمه الجمالية من جهة، وبتجربة الأمة الإسلامية من جهة أخرى. أعني على المستوى الجمالي، في كل

مفهوم "الجمالي"

بين

الفكر الإسلامي

والفلسفة الغربية

أ.د. فريد الأنصاري *

«الجمالية» أو «علم الجمال» مصطلح يستعمل في الفكر المعاصر؛ للدلالة على تخصص من تخصصات العلوم الإنسانية التي تُعنى بدراسة «الجمال» من حيث هو «مفهوم» في الوجود، ومن حيث هو «تجربة» فنية في الحياة الإنسانية.

«الجمالية» إذن؛ علم يبحث في معنى «الجمال» من حيث مفهومه وماهيته ومقاييسه ومقاصده. «والجمالية» في الشيء تُعني أن «الجمال» فيه حقيقة جوهرية وغاية مقصدية، فما وجد إلا ليكون جميلا^(١) وعلى هذا المعنى اثبتت سائر «الفنون الجميلة» بشتى أشكالها التعبيرية والتشكيلية.

ومصطلح «الجمالية» أو «علم الجمال» ترجمة لكلمة «استطيقا»، وهي كلمة ولدت في رحم الفلسفة الغربية من الناحية الاصطلاحية خلال القرن الثامن عشر الميلادي. فقد كان الفيلسوف «باومغارتن»



تجلياتها العربية وغير العربية: فارسية وهندية وتركية ثم مألوفة! ولقد انبرى الفيلسوف الفرنسي المعاصر «إتيان سوريو» فيلسوف «الجمالية» وأستاذ علم الجمال في جامعة السربون بباريس^(٣) للدفاع عن هذه الحقيقة، رداً على بعضهم، لكنه مع ذلك لم يكن موفقاً كل التوفيق بسبب نقص المعطيات عنده عن قيم الجمال في الإسلام وعن تجربة المسلمين في ذلك المجال. يقول محيلاً على اتهامات «بلازك» في كتابه «الابن الملعون»: «لطالما قيل - وعلى غير وجه من حق - إن الفن العربي قد كان فناً إدراكياً، لا يتوجه إلا إلى الفكر النظري المحض وليست له أية قدرة على الإثارة العاطفية!». ^(٤) ثم يستطرد بعد ذلك مدافعاً عن الجمالية الإسلامية، بشواهد من جمالية العمران وفن العمارة بالبلاد العربية والإسلامية، لكن - مع الأسف - بتحليلات هي أقرب إلى الخرافة منها إلى المقاييس العلمية للجمال!

يقول: «إن هذا الرأي هو خاطئ تماماً والحقيقة هي ما ذهب إليه من قبل «غايي: Gayet» عندما تحدث في كتابه: «الفن العربي» عن المشاعر التي تثيرها - من وجهة نظر الجمالية العربية - المعطيات

الجمال في التجربة الإنسانية الإسلامية! فأنكرها بعضهم، وبقي البعض الآخر أسير الجدران والأسوار يحاول فك رموز النقوش وأشكال الزخارف، كما يحاول العالم الأركيولوجي فك رموز بدائية، في قطعة حجرية من عصور ما قبل التاريخ.

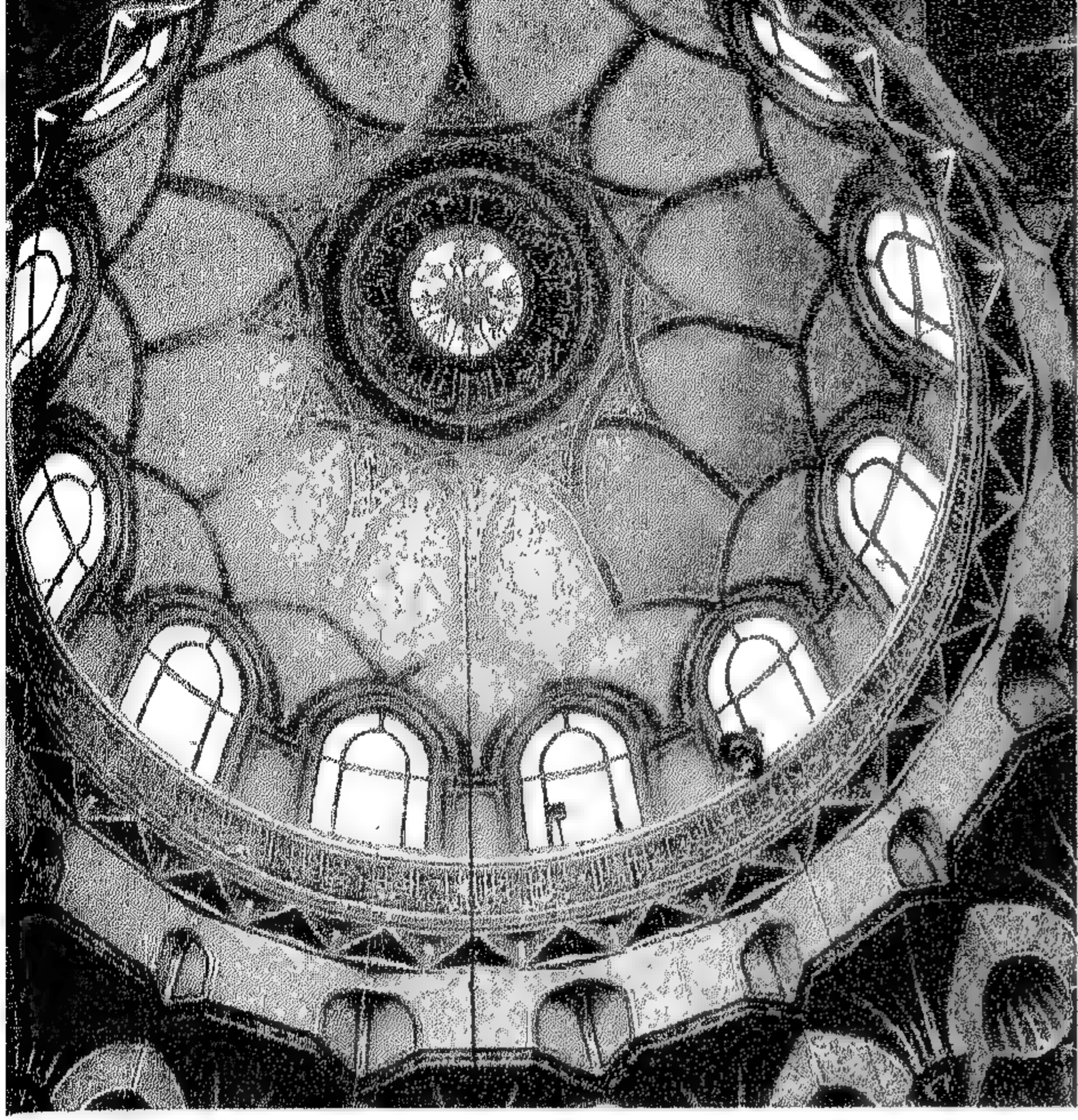
إن الجمالية الإسلامية تنبع أولاً من حقائق الإيمان، إذ تَشَكَّلُ الوجدانُ الإنساني فيها مما تلقاه من أنوار عن رب العالمين، الرحمن الرحيم، وما انخرط فيه بعد ذلك؛ سيرا إلى الله تعالى عبر أشواق الروح، مبدعاً - باتباع تعاليم نبيه ﷺ - أروع ألوان التعبير الجمالي، من سائر أشكال العبادات والمعاملات والعلاقات، انطلاقاً من حركته التعبديّة في جمالية الصلوات ولوحاتها الحية الراقية وما يُنظِّمُها من عمران روحي ومادي، إلى هندسة المدائن الإسلامية بما تحمله من قيم روحية سامية، وقيم حضارية متميزة جداً، إلى سائر النشاط الإنساني الذي أبدعه المسلمون في علاقتهم بربهم وعلاقتهم بأنفسهم وبغيرهم، إلى علاقتهم بالأشياء المحيطة بهم، بدءاً بالمسخرات من الممتلكات والحيوان، إلى المحيط الكوني الفسيح، الممتد من عالم الشهادة حولهم

إن الروحية الإسلامية تحترس على الأخص من مخاطر الفن التجسيمي، وتجد لها ضمانات كبرى في استعمال الفن التجريدي. من هنا، ومن هذه الواجهة خصوصاً، يجب تفسير الوضع الجمالي للفن الإسلامي من الناحية التجريدية.

إلى عالم الغيب فوقهم... كل ذلك تفاعل معه المسلم؛ فأتج أروع الأدبيات التعبيرية والرمزية، مما لا تزال تباريحه المشوقة بالحب، من الترتيل إلى التشكيل تفيض على العالم بالجمال والجلال أبداً.

إن العمارة الإسلامية - رغم ثرائها الجمالي الرفيع - هي آخر ما ينبغي الاشتغال به لمن أراد أن يدرس الجمالية الإسلامية في مصادرها الأولى. لأن حصون المدائن وجدرانها إنما هي التجليات المادية المعبرة عن أشواق الروح، الفياضة عبر القباب والمآذن مندفعة بقوة نحو السماء. وإنما هي صورة التعبير الرمزي عن معاني الاحتضان العاطفي وقيم الأخلاق الاجتماعية والحنان الريان بما امتازت به من حياة وتستر وانحناءات، تتلوى أضلاعها الخفاقة بالحب بين الدروب، تسلك بالرجال والنساء مسالك الحشمة الرقيقة والوقار العالي، إلى المساجد وإلى الغرفات والشرفات الكاشفة الساترة... ثم تنشر أسرارها نقوشاً وزخرفة تتبادل الأدوار مع أحرف الخط العربي بشتى أشكاله، في كلمات ناطقة حيناً، وناظرة أحياناً أخرى... كلها تتدلى مثل العناقيد من بين الأقواس، تستقبل مواجيد الحبين وترد سلام

الهندسية لذلك الفن بتفاصيلها وأشكالها. ولذا فهو يقول بأن الدوائر الهندسية إذا كانت زواياها المتعددة مزدوجة، فإنها «توقظ في النفس مشاعر عميقة مطبوعة بطابع الصفاء العذب»، أما إذا كان عدد زواياها مفرداً فإنها تبعث على «الحزن المبهم والقلق والاضطراب». ويقول أيضاً: «إن الصورة المتكونة من الجمع بين المربعات والمثلثات تبعث على فكرة السكون الأبدي، أما تلك التي تنبثق من الأشكال ذات الزوايا التسع فإنها توقظ الإحساس بسر مبهم مضطرب!»^(٥) كذا. ١١. والعجيب حقاً هو كيف فهم «غايي» أن هذا التفسير الغريب للأشكال الهندسية هو «من وجهة نظر الجمالية العربية»، ثم كيف قبل منه الأستاذ «سوريو» هذا الهذيان ونقله على سبيل التبنّي في كتابه! لقد كان الأولى بغايي هذا أن يعرض أحواله المترددة ما بين «الصفاء العذب، والحزن المبهم، والقلق، والاضطراب» على طيب نفسي خير له وللعلم من أن يفسر به أشكالاً هندسية في صومعة، أو قبة مسجد، أو زوايا قلعة! لقد ضل كثير من مؤرخي الجمالية الغربيين الطريق إلى معالم الجمال الحق في الإسلام، وأخطؤوا مواطن علم



المتبتلين ، لتتوحد معهم في صلاة أبدية خالدة .

ولقد دَبَّحَ المسلمون في مصنفات المحبة والسلام تباريحَ الأشواق
أنى مرساها ، ووصفوا مقامات النور كيف مجراها ، ورسموا كلمات
الجمال بما لا قَبْلَ به لأحد من العالمين .^(٦)

وكأنما الفرق في «الجمالية» بين مفهومَيها الغربي والإسلامي
كالفرق بين الطبيعة والتمثال أو بين الحقيقة والخيال . ولم تكن الصورة
التي يبدعها المسلم ثابتة قارة يأكلها البلى في متحف «اللوفر» أو غيره
من متاحف العالم ، ولكنها صورة حية يشكلها بإبداعه اليومي بين
ركوع وسجود ، وطواف وسعي ، أو بين صوم وتبطل ، وانقطاع
يصله كليا بالملا الأعلى . . . ثم مواجيد يتنفسها بعد ذلك كلمات
وكتابات ذات صور الجمال فيها له روح ، صور لا تبلى أبد الزمان :
﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ
تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي
وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ
كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ
الزَّרَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح: ٢٩).

تلك صورهم الحية ، فأين منها بسمة «الجوكاندا» المصطنعة
الشاحبة ، أو وجوه «بيكاسو» المتداخلة المتنافرة! هذه صور الجمال في
الأديان الإسلامية ما تزال تتجدد عبر التاريخ أبدا ، ولا يزال القارئ
لها في كل مكان يشارك بمخيلته في إبداع الأشكال كما هو يريد ،
بحرية تتحدى آخر الصيحات في عالم الرسم والتشكيل . وليس
عندهم صور ميتة يفرضها فنان على الناس فتستبعد مُخَيَّلَةَ الأجيال

وتقتل إبداعهم . ومن هنا توجه الفن الإسلامي
حضاريا - في الأعم الغالب - إلى الإبداع ضمن
جمالية «التجريد» . والتجريد في الحقيقة إنما هو
لغة الروح ، وريشة الوجدان . يقول «إتيان
سوريو» : «والحقيقة التي لا بد من التنويه بها
كذلك ، هي أن الروحية الإسلامية تحترس على
الأخص من مخاطر الفن التجسيمي ، وتجد لها
ضمانات كبرى في استعمال الفن التجريدي .
من هنا ، ومن هذه الوجهة خصوصا ، يجب
تفسير الوضع الجمالي للفن الإسلامي من الناحية
التجريدية . أضف إلى ذلك أن الفن التجريدي
هو بالضبط الفن الذي يستجيب في العالم العربي
لما تقتضيه الحاجة الجمالية اقتضاء شديدا
ودقيقا» .^(٧)

إن لغة التجريد في الفن الإسلامي هي التي
تصنع حركة الحياة الفعلية في المجتمع ، حيث
تتفتق جماليَّتها المتجددة سلوكا حضاريا راقيا ،
وعلاقات اجتماعية مفعمة بالود والمحبة والسلام ،

إن الجمالية الإسلامية تنبع أولا من
حقائق الإيمان ، إذ تَشَكَّلُ الوجدانُ
الإنساني فيها مما تلقاه من أنوار عن
رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، وما
انخرط فيه بعد ذلك؛ سيرا إلى الله
تعالى عبر أشواق الروح ، مبدعا -
باتباع تعاليم نبيه ﷺ - أروع
ألوان التعبير الجمالي ، من سائر
أشكال العبادات والمعاملات
والعلاقات .

تتضافر جميعها في نسيج عمراني يرقى إلى درجة المثال، وذلك بما يفيض من وجدان الإنسان المسلم من تباريح الإيمان وأشواق الروح. وما قتل الفن الغربي شيء مثل الولع بسجن الإبداع في الصور الجامدة الثابتة، ولو في حركتها الوهمية الاصطناعية. وعليه فإن الوضع الفني في أوروبا قد وصل فعلا إلى الباب المسدود. يقول فيلسوف الجمالية المعاصر: «إذا أخذنا الفن أداة للحكم على الحاجات الجمالية لوقتنا الحاضر، نجد أنها قد أصيبت بتغيرات جذرية منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى اليوم. فالزائر الذي يتجول في أرجاء متحف للفن الحديث، لو انتقل من قاعة تضم لوحات انطباعية إلى قاعة أخرى تضم لوحات حديثة من الفن التجريدي أو التجسيمي، لاجتاحه - ولا ريب - شعور بالانتقال من عالم إلى عالم آخر، وإحساس بالغربة عميق. ولتقابل المسألة هنا بكل حدتها، فلا نتردد بالقول بأن هذا الزائر نفسه (...) قد تسول له نفسه أن يتحدث عن خط انحداري ومسيرة تقهقرية في الفن»^(٨) إلى أن يقول - بعد وصف مآل بعض أنواع الفن الأخرى - بحدة نقدية شديدة: «ولا شك في أن من يراقب هذا التبدل المفاجئ سيجد نفسه مدفوعا إلى القول بأن ما يسمعه ويشاهده ليس إلا رجعة إلى حالة من البدائية والتوحش»^(٩).

إلا أنه لا بد من البيان أن معاني الجمال في الإسلام، من صفاء الروح، ومنازل الإيمان، وأحوال الإحسان، لم يستفد منها جمهور كبير من أبناء الصحوة الإسلامية المعاصرة لأسباب شتى، منها اشتهاؤ نسبة بعض مفاهيمها وألفاظها إلى المتصوفة؛ فكان أن زهد كثير من الناس فيها بسبب ما خالط بعض كتبهم من شطحات^(١٠). وإنما هي عبارات قرآنية أو نبوية محضة. نعم، ربما اكتسبت في سياق الاستعمال التاريخي دلالات منحرفة في بعض الأحيان، فيكون الواجب هو تحريرها منها، لا إلغاءها والتنكر لها.

إنه ما ينبغي لذلك أن يعمينا عن جمال الدين، وإنما خاطبنا الله تعالى بالجمال، وأمرنا أن نرحل إلى منازلها العليا، ونسير إليها سيرا لا يفتر ولا ينقطع حتى يدركنا اليقين. لا ينبغي للمؤمن الكيس الفطن أن تعميه غلطات بعض الناس - مهما قبحت - عن محاسن الدين، فيقنع في دينه بظواهر الألقاب ويرمي بعيدا باللباب. إذن يكون من الجاهلين، كيف والجمال هو الدين؟

إن الصحوة الإسلامية المعاصرة لفي أشد الحاجة إلى تربية ذوقية فنية، ترهف حسها بمواطن الجمال، الموجهة لكل شيء في هذا الدين، عقيدة وشريعة. ولقد انتبه السابقون إلى ذلك وانبهروا به فسارعوا إلى الالتحاق بقوافل الحبيين. وكان منهم مصنفون ذواقون،

نهبوا إلى هذه المعاني، من أمثال الحسن البصري والإمام المحاسبي والإمام الجنيد وابن الجوزي والإمام عبد القادر الجيلاني والإمام ابن القيم والإمام أبي عبد الله الساحلي المالقي والإمام الشاطبي والإمام أحمد زروق المغربي وغيرهم كثير، رحمهم الله أجمعين.

ألا ما أحوجنا اليوم إلى إعادة القراءة للدين، في مصادره العذبة الصافية الجميلة، قراءة تصل المسلم بالله، قبل أن تكون قراءة ينتقم بها لنفسه، من الظلم الاجتماعي، والطغيان السياسي، فيكون بتدينه عدوا للدين من حيث يدري أو لا يدري.

﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (آل عمران: ٨) ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحشر: ١٠).

ذلك، وإنما الموفق من وفقه الله، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* جامعة السلطان المولى إسماعيل - المغرب

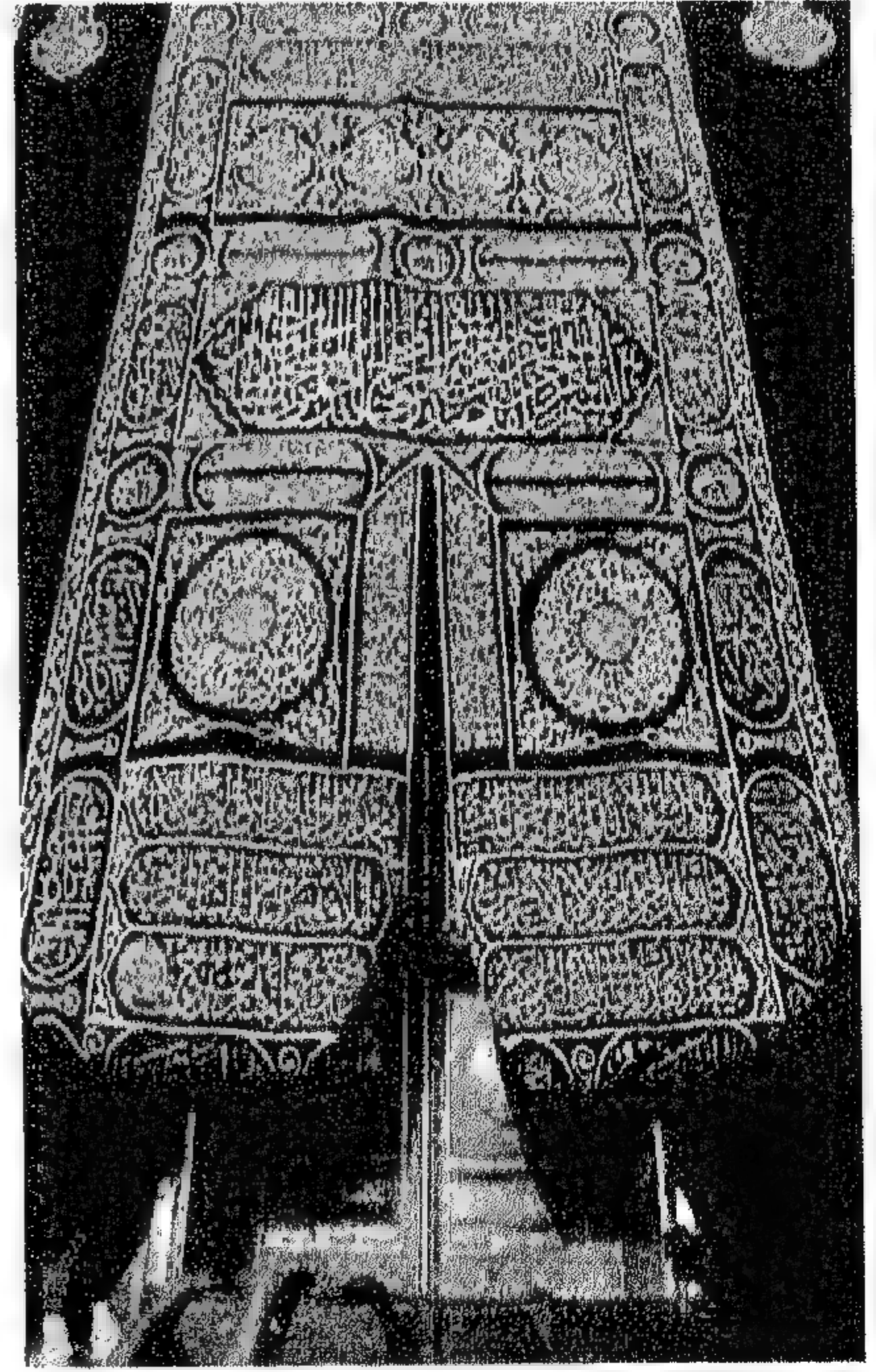
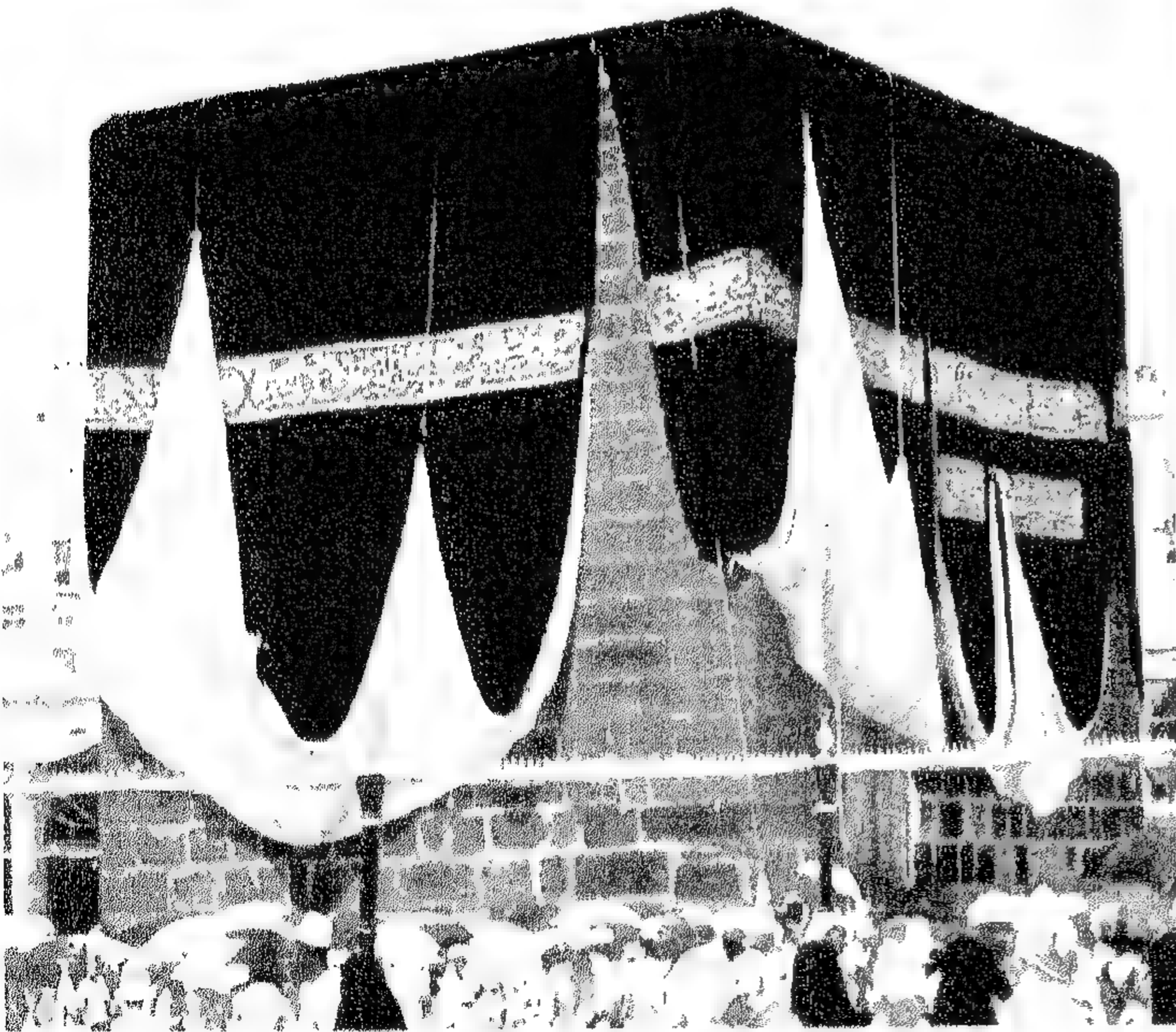
الهوامش

- (١) يقول ولترت ستيس: «لقد نظر الاستطقيون إلى الجمال على أنه الهدف الوحيد للفن. وهم على حق في ذلك. ولا يصح ذلك إلا إذا استخدمت كلمة "الجمال" بمعنى واسع إلى أقصى حد». (معنى الجمال: نظرية في الاستطيقا، ص: ٩٤. ترجمة إمام عبد الفتاح إمام. نشر المجلس الأعلى للثقافة، مصر: ٢٠٠٠. طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.)
- ثم استعمل مصطلح «الجمالية» في الأدب الحديث للدلالة على أن «الجمال» هو القيمة الأولى للنص، وأنه لا عبرة بما لم ينع على ذلك؛ إذ الرظينة الأولى للنص هي أن يكون جميلا. (جمالية الأدب الإسلامي للأستاذ محمد إقبال عروي: ص ٩٤-٩٥، نشر المكتبة السلفية، الدار البيضاء، المغرب، ط: الأولى: ١٩٨٦ م.)
- (٢) تلك هي القضية التي اتفق عليها موضوع كتاب البروفسور إتيان سوريو «الجمالية عبر العصور»، ترجمة د. ميشيل عاصبي، منشورات عويدات، بيروت/باريس، ط. الثانية: ١٩٨٢.
- (٣) كان ذلك خلال سنوات الستينات من القرن الميلادي الماضي.
- (٤) الجمالية عبر العصور، ص ١٧٩.
- (٥) الجمالية عبر العصور، ص ١٨٠.
- (٦) مثل كتاب كشف المحجوب للإمام الهجوري، ومنطق الطير لفريد الدين العطار، وهذا من الناحية الجمالية قطعة فنية رائعة. ومثله مدارج السالكين لابن القيم، وكتابه خادي الأرواح، ونحو ذلك كثير. ومن أهم الموسوعات الجمالية في الفكر الإسلامي الحديث مجموعة: كليات رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله، ويتلوه في ذلك وارث سره الأستاذ فتح الله كولن في أغلب كتبه وعلى رأسها: «اللال الزمردية» و«ديوان الشعري: المضرب الكسور».
- (٧) الجمالية عبر العصور، ص ١٧٩.
- (٨) الجمالية عبر العصور، ص ٢٧٣-٢٧٤.
- (٩) الجمالية عبر العصور، ص ٢٧٥-٢٧٦.
- (١٠) لقد غالى بعضهم في الهجوم على التصوف، ولم يفرقوا في أقوال القوم بين حق وباطل.

هنا تتوقف الأفكار وتعمت، وتدخل الأرواح تحت ظلال الأحاسيس، ويلف القلوب الشوق إلى الوصال. هنا تتفتح خيالات كالورود في أعماق الإنسان لا تقبل دخول حريمها... خيالات يكاد يذوق منها صاحبها أذواق حقائق الجنة، وأذواق أصحاب الجنة وأطمئنانهم ونشوتهم.

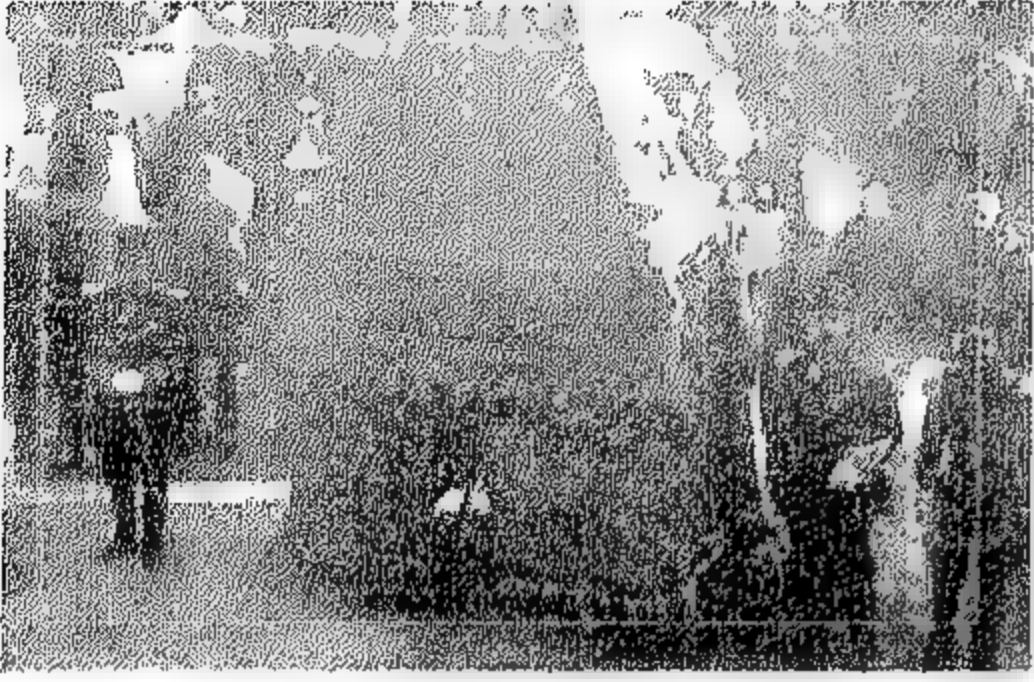
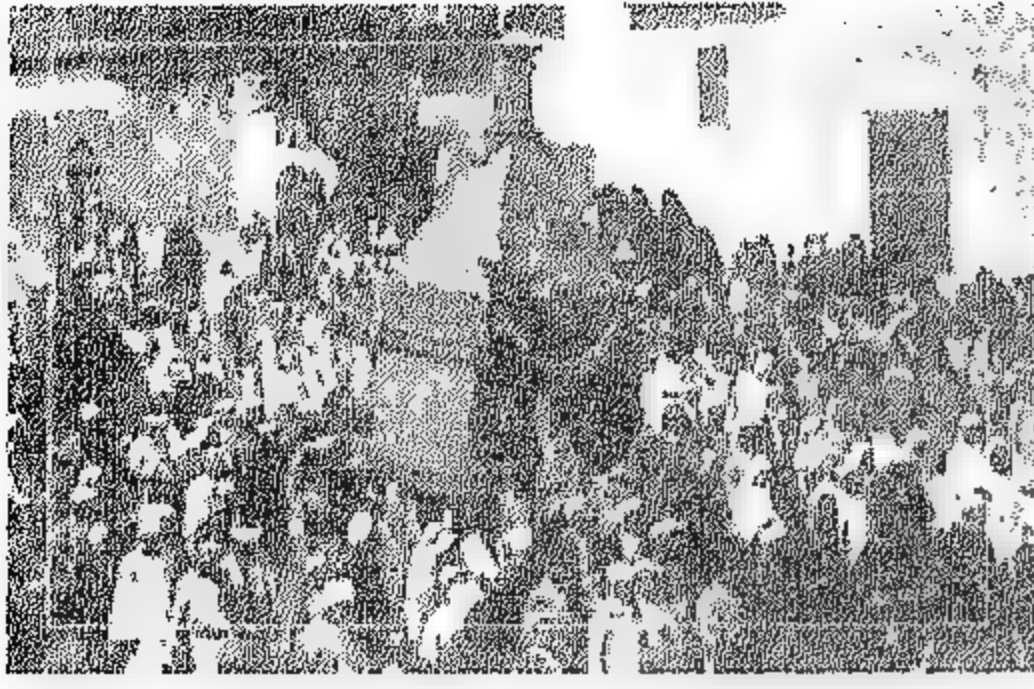
الحمل الشريف...

أشواق إلى ديار الحبيب ﷺ



نوزاد صواش*

ما إن يهل شهر رجب حتى تشمل الحركة جميع أنحاء إستانبول، لأن موعد إرسال الحمل النبوي الشريف إلى مكة المكرمة قد اقترب، ولأنه يحمل كسوة الكعبة الجديدة، ولأنه يحمل الصرة السلطانية التي تحتوي على هدايا إلى مدينة الرسول ﷺ رمزا للولاء والحب



القرآن، ويمشي جمل الحمل بخطوات وثيدة فيمر من أمام السلطان، ويتبعه الموكب الكبير. ويثور الحنين إلى الأراضي المقدسة في القلوب، إذ لم يستطع أي منهم أن يزور تلك الأراضي، فيجد السلطان وأتباعه أنفسهم يسرون خلف الموكب، ويخرج الموكب من حديقة القصر متجها إلى المرفأ.

الطريق تغص بالجماهير الذين حضروا ليعيشوا هذه اللحظات العظيمة، ويودعوا ذلك الحمل العزيز الذي يسافر إلى قرية الحبيب. وترتفع الأصوات بالأنشيد والأدعية، وتسيل الدموع على الخدود، ويبلغ الشوق إلى الحرم الشريف أقصاه. وبعد لحظات تتضاءل صورة الموكب وسط مياه البسفور على المراكب الشراعية كلما ابتعد عن الضفة الأوروبية واقترب من منطقة أسكدار في الضفة المقابلة. . . ويغيب تماما بعد قليل، وتعود الوجوه المودعة إلى منازلها وهي في شوق إلى اليوم الذي سيعود فيه.

وما أن يصل موكب الحمل إلى أسكدار حتى يسم وجهه شطر ديار الشام مجتازا أراضي الأناضول مدينة تلو أخرى. أما استقبال أهل الأناضول الأوفياء للمحمل فلا تسأل عن روعته ودفعه اللقاء فيه. فالموكب يسير على طريق تناثرت عليها أزاهير الحب للحبيب المصطفى ﷺ. وكلما مر على مدينة انضم إليه المزمعون على الحج من الأهالي مودعين الأحباب بدموع ملؤها الشوق والود.

«الشام الشريف» يستقبله

أخيرا يصل الموكب بحمله العزيز ومرافقيه الأوفياء إلى «الشام الشريف»، وهو الاسم الذي أطلقه العثمانيون على أراضي الشام. وتحط القافلة رحالها في دمشق الحبيبة، ملتقى قوافل الحجاج من كل أنحاء العالم. فإليها يتقاطر الحجاج من دول آسيا وجنوبي أوروبا وأفريقيا وأماكن أخرى من بلاد الإسلام، ومنها تسير الأفواج إلى الأراضي المقدسة.

مع فرحة اليوم الأول من عيد الفطر يبدأ الشوق

والإخلاص. فترى المساجد وقد تزينت بأضواء براقية، وأقيمت حولها السراقات مع موائد الطعام، وإحياء الليالي بتلاوة القرآن والدروس الدينية والأنشيد في مدح المصطفى، كما يتحدث الأئمة في المساجد عن حب الرسول ﷺ فينبعث الشوق والحنين إلى ديار الحبيب في قلوب المستمعين.

هذا، ولو دخلت قصر الخلافة أي «قصر طوب قاي» لشاهدت نفس الشعور ونفس الحيوية والنشاط حيث تُزين كل أرجاء القصر، وتقام الخيام العظيمة، وتُسط السجاجيد والبُسط، وتعلق الستائر المذهبة، وتثر الأزهار والورود الزاهية في أنحائه حتى يتحول إلى عروس رائعة الجمال. فالقصر يستقبل اليوم الذي يتحرك فيه موكب الحمل إلى مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام. وتستمر الاحتفالات حتى الثاني عشر من شهر رجب حيث تمضي الأيام باستقبال الضيوف من أعيان وعلماء أتوا من بلاد مختلفة، وإكرامهم أحسن إكرام، وإلقاء الدروس الدينية، وتلاوة القرآن الكريم والأنشيد النبوية. فالقصر في مهرجان دائم وعيد سعيد حتى ذلك اليوم.

إستانبول تودع الحمل

يدخل السلطان إلى صالة الديوان، فيقوم له الحاضرون بإجلال عظيم، ويُتلى القرآن الكريم، ويأتي أغوات الحرم بأكياس ممتلئة بسجلات الصرة السلطانية ليتم تسليمها إلى أمين الصرة الذي يختاره السلطان من العلماء أو الجنود أو الأشراف، كما يتم الإعلان عما تحتويه الصرة أمام السلطان والحاضرين، ويخرج الجميع إلى ساحة القصر الكبيرة حيث يكون الموكب جاهزا للانطلاق، وهو يتألف من مئات الجمال المحملة بالهدايا، ومئات من الفرسان المدججين بالسلاح، وعلى رأسهم «جمل الحمل»، وهو جمل جميل الشكل مهيب البنية لا يستخدم لأي عمل سوى الحج، ويحمل كسوة الكعبة المعظمة والصرة السلطانية. وتبدأ الحركة، ويبدأ صوت رخيم بتلاوة

تصل القافلة المباركة إلى

مكة المكرمة يوم عيد

الأضحية المبارك، وليست

احتفالات استقبال المحمل

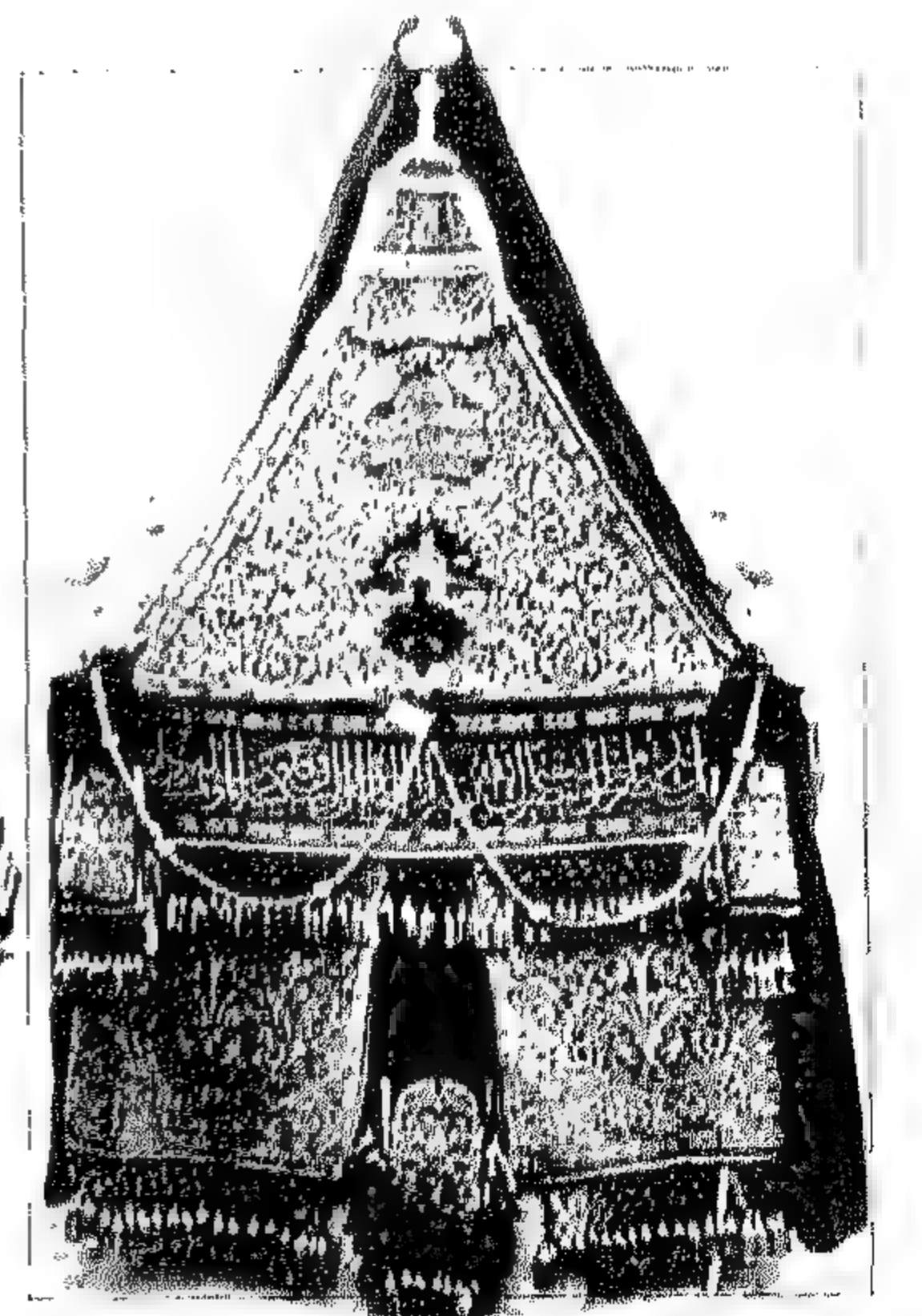
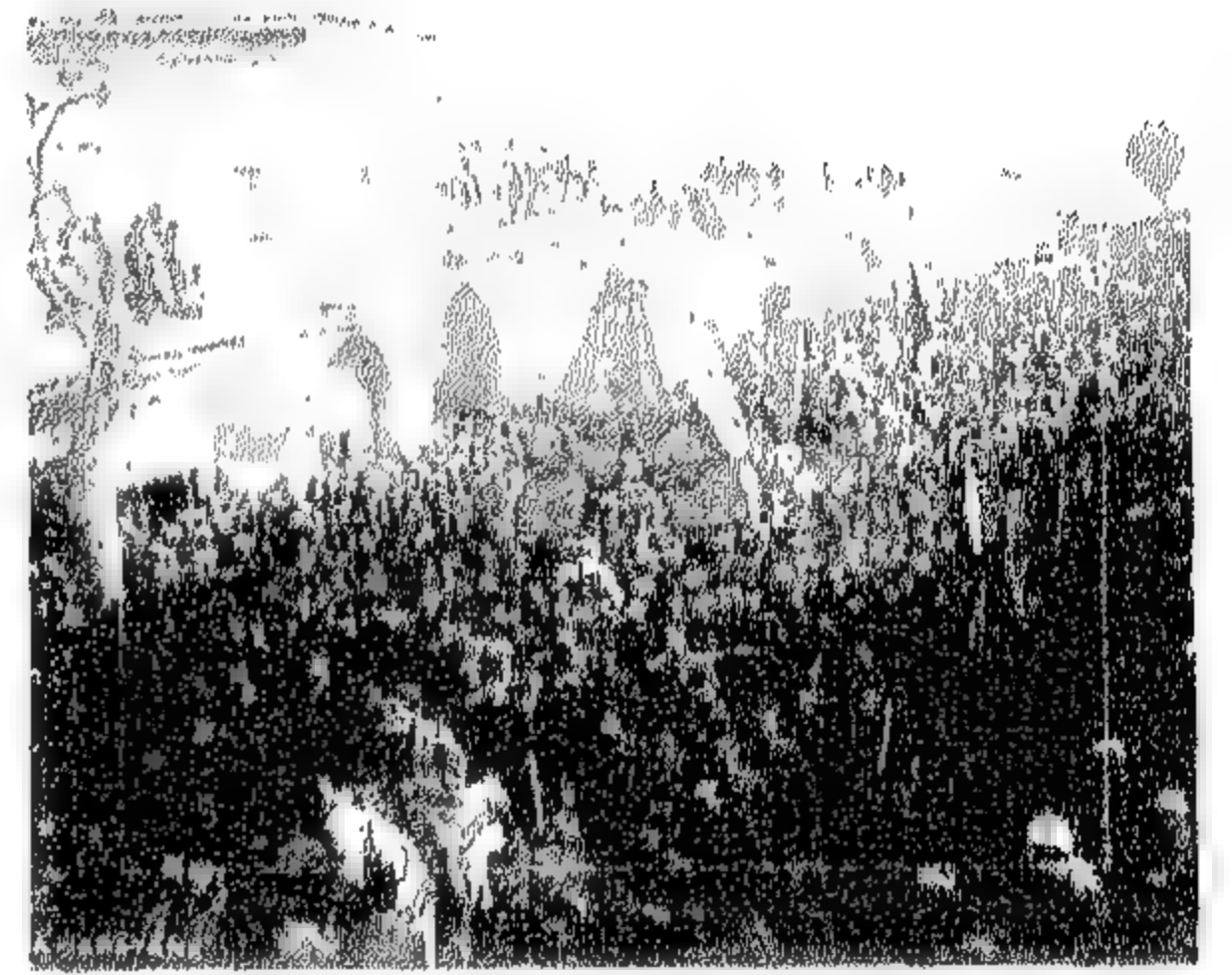
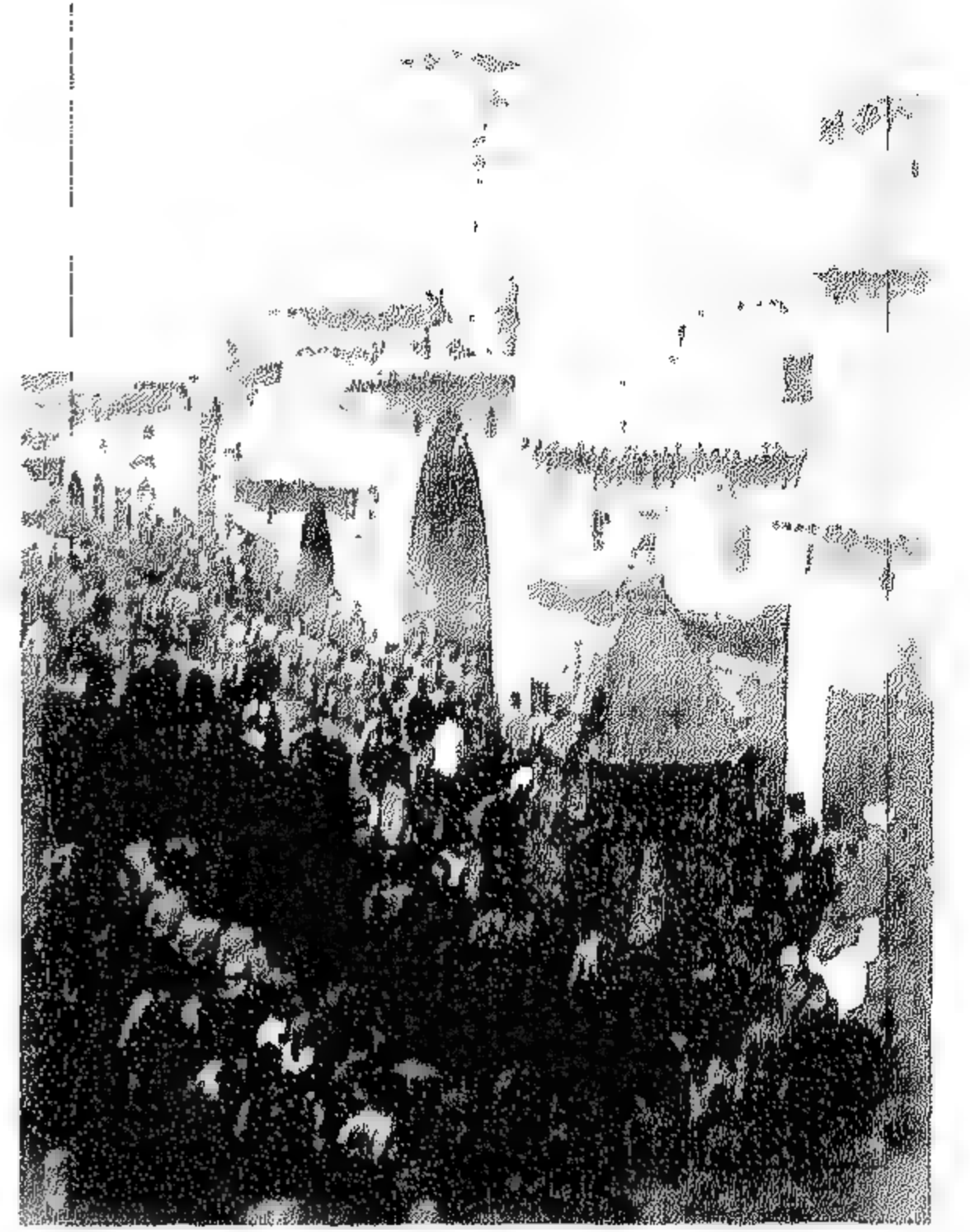
النبوي الشريف في مكة

المكرمة بأقل ابتهاجا من

احتفالات تشييعه من

إستانبول و«الشام الشريف».





و«الشام الشريف». ولم لا ، وهو قادم من مقر الخلافة - وقتها - ، ويحمل كسوة الكعبة وهدايا السلطان وأشواق القلوب التي لم تتمكن من زيارة بيت الله الحرام هذا العام .

وبعد أن يتم توزيع الصرة السلطانية على أماكنها المخصصة يرسل شريف مكة خطاب شكر ودعاء إلى السلطان يحمله إليه شخص يُدعى «حامل البشارة» .

ولا بد أن نشير إلى أهم قطعة في هذا الموكب ، ألا وهي كسوة الكعبة حيث يتولى السلطان صنعها ، ويتم تبديل الكسوة الجديدة بالقديمية وسط احتفالات كبيرة ، ويعود الموكب بالقديمية إلى إستانبول ، وتستقبل هي الأخرى بإجلال بالغ ، وتوزع قطعها على المساجد السلطانية الكبيرة وعلى العلماء والأعيان وأشراف القوم .

الصرة بدايتها ونهايتها

لقد أولى السلاطين العثمانيون مكة المكرمة ومدينة الرسول ﷺ اهتماما بالغا ، ولا شك أن أكبر دليل على ذلك مواكب المحمل النبوي الشريف ، أو مواكب الصرة - كما عُرفت في التاريخ العثماني - . وهو محمل كان يرسله السلطان إلى الحجاز كل عام في موسم الحج في موكب عظيم تحمله مئات الجمال ، وتحيط به كتائب كثيرة من الفرسان المدحجين بالسلاح مع أستار الكعبة ، وهدايا ذات قيمة عالية ، وصرة سلطانية كبيرة تحتوي على قطع ذهبية كثيرة ومجوهرات كريمة توزع على أهل تلك البلاد ، وتصرف على إصلاح طرق الحج ، وإعمار مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ومرافق الحرم الشريف .

لقد بدأت عادة إرسال الصرة إلى الحرمين الشريفين في عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله (٩٠٨-٩٣٢م) . والوثائق تشير إلى أن الفاطميين والمماليك كانوا يرسلون صرة إلى الحجاز أيضا .

إلى لقاء عيد الأضحى في الأراضي المباركة ، وتبدأ مراسم المحمل حيث تصطف الفرق العسكرية أمام الجامع الأموي وتؤدي التحية لوالي المدينة وقائدها العسكري ، وتخرج الشموع والزيوت المهيأة لإرسالها مع موكب الحج إلى الحرمين الشريفين وسط احتفال كبير .

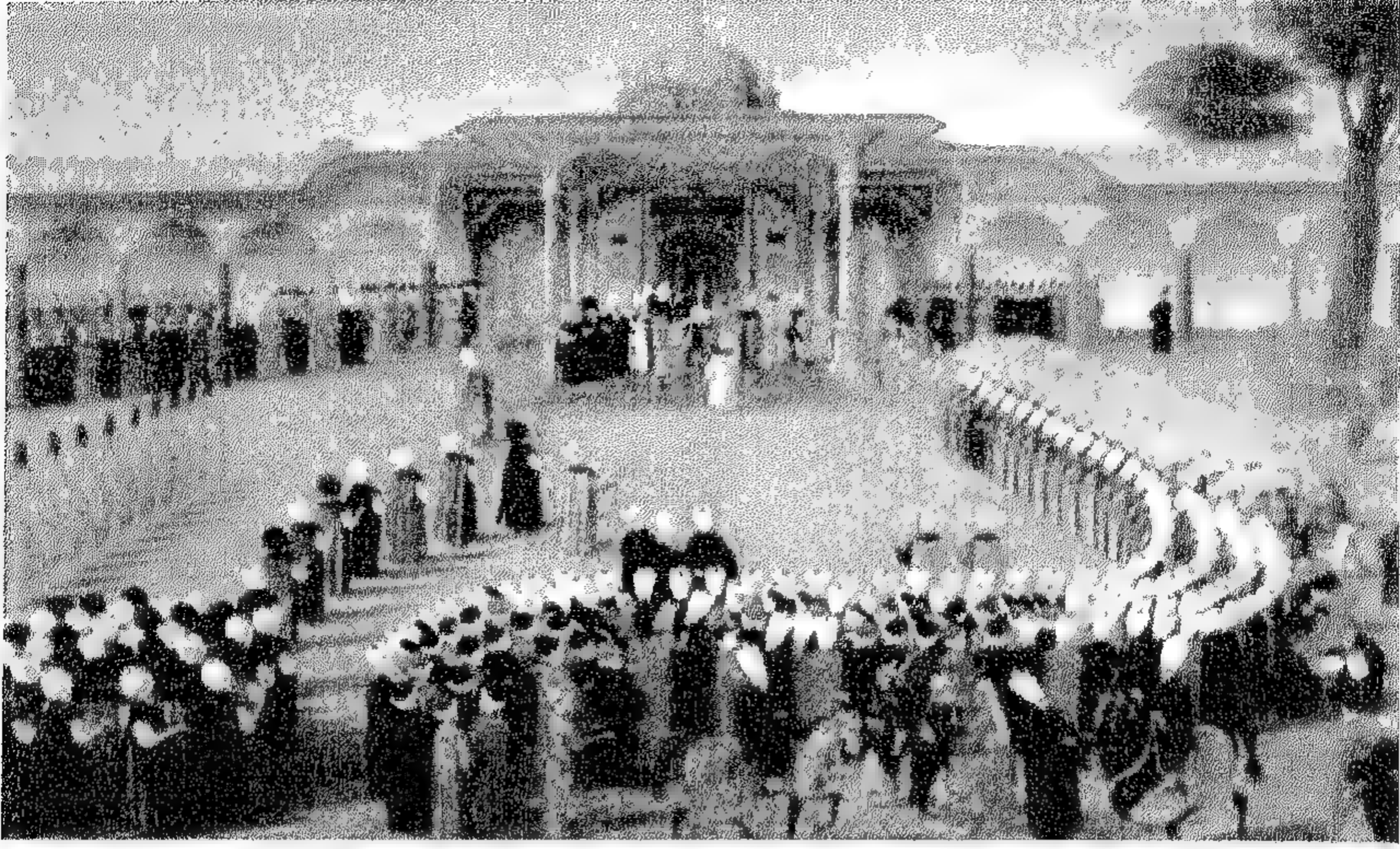
وفي الأيام التالية يتجه الجميع إلى القلعة حيث اللواء النبوي الشريف القريب من ضريح الصحابي الجليل أبي الدرداء رضي الله عنه ، ويخرج اللواء باحترام كبير ويحمل إلى قصر الوالي في انتظار يوم الانطلاق .

ويأتي اليوم الموعود وهو اليوم الرابع من شهر شوال حيث يخرج المحمل الشريف مع اللواء السعيد والهدايا الكريمة الأخرى . ويعطي أمير الحج إشارة الانطلاق ، فتبدأ الحركة ويسير المحمل الشريف وسط حشد كبير من المسؤولين والمرافقين والمودعين . يمر الموكب العظيم من باب الميدان ثم باب مصر متجها نحو قرية القدم ، بينما يتهاافت الناس من كل صوب يملأون الشوارع مهللين مكبرين مودعين ، وأصوات المنشدين وقراء القرآن الكريم تضيء على سماء المدينة جوا روحانيا رفيعا وتثير في القلوب عواطف شجية رقيقة .

وفي قرية القدم ، وهي المحطة الأخيرة قبل الإقلاع ينتظر الموكب أن تكتمل عدة السفر عشرة أيام ، كما يوضع المحمل الشريف وكسوة الكعبة المعظمة والصرة السلطانية في صناديقها الخاصة وسط احتفالات كبيرة . وأخيرا تشد القافلة رحالها باسم الله ناحية الأراضي المقدسة .

الأضحى عيد الوصال

تصل القافلة المباركة إلى مكة المكرمة يوم عيد الأضحى المبارك . وليست احتفالات استقبال المحمل النبوي الشريف في مكة المكرمة بأقل ابتهاجا من احتفالات تشييعه من إستانبول



أما أكثر السلاطين إرسالاً للصرة بين «آل عثمان» فهو السلطان «سليمان القانوني». ومن اللافت للنظر أنه قد أنشئت مؤسسة جديدة في هذا العهد باسم «وراثه الصرة» حيث يرث الشخص حصة مورثه من الصرة. وإذا مات صاحب الحق ولم يكن له وارث وزعت حصته على الفقراء والمساكين.

والجدير بالذكر أن الدولة العثمانية لم تتخلّ عن إرسال الصرة السلطانية حتى في أصعب أيامها اقتصادياً وسياسياً. فخلال الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٥ تم إرسال ١٠٧ حقائب تحتوي على ٢٤ ألف ليرة و ٨٤٧ قرشا إلى أهل مكة، إلى جانب ١٩٧ حقيبة تشتمل على ٣٢ ألف ليرة و ٨٨٢ قرشا مع حقيبة أخرى إلى أهل المدينة المنورة. وعندما قام «الشريف حسين» بثورة في العام التالي انفصلت الأراضي المقدسة عن الدولة العثمانية، ورغم ذلك أصدر السلطان «وحيد الدين» مرسوماً بإرسال «صرة كالماضي تُنفق على أهل مكة والمدينة وعربان الحجاز». وكانت آخر صرة في عام ١٩١٧ حيث أرسلت عبر الشام في أثناء الحرب العالمية الأولى، ولكن عندما انتهت الحرب بهزيمة الدولة العثمانية عادت القافلة أدراجها إلى إستانبول، ومن ثم كانت نهاية قوافل الحمل الشريف أو ما عرف بمواكب الصرة.

رحلة الحمل الشريف، رحلة بدأت من قصر طوب قابي وانتهت في الأراضي المقدسة. سفر طويل شاق، ولكن في سبيل الحبيب تهون المشاق. وديعة كريمة حملها الكرام على محامل قلوبهم تلبية للعهد ولمشاعر الوفاء. بداية عن طريق البر، ثم عن طريق البحر، ثم عبر السكة الحديدية. رغم مرور السنين لا تزال نتسمع في خيالنا وقع خطوات جمل الحمل رتيبة هادئة مطمئنة. . . .

«كاتب وباحث تركي»

وقد درج السلاطين العثمانيون على إرسال الصرة منذ بداية تأسيس الدولة العثمانية، إلا أن أول صرة تم العثور على وثيقته في الأرشيف العثماني تعود إلى تاريخ ١٣٨٩م، وهو عهد السلطان «بيازيد الأول»، وتنص الوثيقة قائلة: «لقد صدر الأمر السلطاني بإرسال صرة بمقدار ٨٠ ألف قطعة ذهبية تنفق في مرافق الحرمين الشريفين، وتوزع على فقرائها وأشرفها وساداتها وعلمائها. . . .» وقد أرسل السلطان محمد الملقب بـ «محمد ثلبي» ١٤ ألف قطعة ذهبية عام ١٤١٣م، وصرة أخرى تحتوي على أكياس لم يحص عددها عام ١٤٢١م.

أما السلطان «مراد الثاني» فكان قد أمر بصرف ألف قطعة ذهبية إلى السادة الأشراف المقربين إليه في إستانبول، كما وقف موارد منطقة «باليق هصار» الواقعة قرب مدينة أنقرة على أهل مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس الشريف، إضافة إلى إرساله صرة تحتوي على ٣٥٠٠٠ قطعة ذهبية كل عام. وفي وصيته العائدة لسنة ١٤٤٦م أمر بوقف ثلث أملاكه الموجودة في «مانيصا» لخدمة الحرمين الشريفين، وذلك يعني ١٠ آلاف قطعة ذهبية كل عام.

وقد أمر السلطان «محمد الفاتح» بإرسال تسعة آلاف قطعة ذهبية مع مرسوم سلطاني إلى الحجاز قام شريف مكة بقراءته على الجماهير أمام الكعبة المعظمة، وأرسل له ماء زمزم وعدداً من حمائم الكعبة رداً على معروفه. وحدد السلطان بعد ذلك كمية تزيد على ٢٠٠ ألف قطعة ذهبية لخدمة الحرمين الشريفين كل سنة.

ولما أصبحت الحجاز ضمن حدود الأراضي العثمانية عام ١٥١٧م على يد السلطان «سليم الأول» أمر بتخصيص ٢٠٠ ألف قطعة ذهبية كل عام للحرمين الشريفين مع هدايا ثمينة ومواد غذائية متنوعة.

العثمانيون والأماكن المقدسة في القدس الشريف

أ.د. الصفصافي أحمد القطوري*

وأوامره بالألا تُبَنَّى كنائس أو معابد جديدة في المدن والقصبات والقرى التابعة لهذه المناطق، بل يُحَافَظ على القائم منها فعلاً، وتُمنَح الرعاية والصيانة اللازمة لتأمين قيامها بالمهام المنوطة بها. وكان يُسمح بهدم القديم القائم منها وإعادة البناء في نفس المكان وبنفس الطراز المعماري المستخدم. وقد تمثل في ذلك بما فعله سيدنا عمر الفاروق بن الخطاب في السنة الخامسة عشرة الهجرية حيث اعترف بكل الحقوق المَرعِيَّة لكل الرعايا غير المسلمين بتعهد مكتوب. وما كان من السلطان العثماني إلا أن فعل نفس الشيء حيث أصدر فرماناً عقب ضم القدس يَحْفَظ لكل الرعايا من المسيحيين واليهود حقوقهم الدينية، وأمن لهم بكل مذاهبهم وطوائفهم حق ممارسة الشعائر بدون أية عوائق. وقد حدد في هذا فرمان الذي سَطَره قاضي القدس بخطه كل حقوقهم وطُرُق حماية هذه الحقوق ومنع أي تجاوز عليها. وهذا فرمان موجود في «خزينة أوراق» البطريركية الأرمنية في القدس الشريف. وقد قام سركيز قارقو الأرمني بنسخه عن الأصل الموجود في مكتبة البطريركية الأرمنية في القدس. وفيما يلي نص الترجمة عن النص التركي حيث تعذر الحصول على نصّه العربي:

ما بين حِراء والأقصى، ما بين مكة والقدس علاقات روحانية حَمِيمة وطيدة في بناء صرح الحضارة الإسلامية. ففي الأولى كان التَّعَبُّد وكان الوحي، وفي الثانية كان مهبط موكب الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى. في الأقصى كانت محطة الانطلاق نحو «سدرة المنتهى» في العروج إلى السماوات العلّاء. فالأقصى أولى القبلتين وفيه كانت إمامة محمد ﷺ لكل الأنبياء. في مكة أول الحرمين، وأول ما يُشَدُّ إليه الرحال، وفيها حِراء أول مهبط الوحي. من هنا كان الربط عند المسلمين بين كل هذه الأماكن المقدسة والاهتمام بها كلها على حد سواء.

الفتح العثماني

والقدس ظلت عَرَبِيَّة حتى إبان العهد العثماني الذي استمر منذ سنة ٩٢٣هـ - ١٥١٧م إلى انهيار الدولة العثمانية نهائياً في بدايات القرن العشرين. فقد كانت خاضعة للحكم المملوكي. ولما أنهى السلطان سليم الأول حكم المماليك في مصر سنة ٩٢٣هـ - ١٥١٧م دخلت القدس بدورها تحت إدارة العثمانيين. وما أن استقرت الأمور للسلطان سليم في كل من سوريا ومصر ومعهما الحرمين الشريفين والقدس الشريف حتى أصدر فرماناته

فرمان القدس الشريف

والقدس الشريف، صاحب البشارة الميمونة،

إلى الشاه الشريف، على الشاه السلطان السامي، جعل العظم له المخلص
بأمر القدس، وبأمر الرائي، وبأمر السامي، فأماكم بما يلي:

هو الله تعالى، وسأله قد جلت أسمى القدس الشريف، ورفع يده في
١٠٠٠ من شهر من شهر، وقد قدم إليه القبط المسيحيين الذين هم
بأمر الملك الأرمني، ومن أمته سائر الرعايا، والمسلمين، واليهود، وقد
سأله العطايا، ولحق الإنعامات، وآله تفضل تحت تصرفهم، وعنايتهم، كما هو
سابق وسائد، بطارقة عائلة الأرمن الذين يتولوا القبط والإشراف من
القادم لما هم تحت حمايتهم من الكنائس والأديرة، وأنكى الرعايا، وكذا
الكنائس الأخرى الواقعة في المناطق والضواحي، وكذا المعابد
وسائر العهد العبري رضي الله عنه، وكذا معاهدة حصرة
السلطان المرحوم المثل صلاح الدين، والأوامر الشريفة المفضاة بحمل القبط
والصليبيون على كنيسة القمامة، ومعارف بيت لحم، وبها الواقع من الجهة
الشمالية، والكنائس الكثيرة، ومنازل يعقوب وغير الزبارة، وحسن
الشيخ وتاليس، بما فيها من كنائس تخص سائر الأمم كالحش، والقبط
والسريان المشرق، والأرمن، والعالم، والمدائن في كنائس ماري يعقوب
وبعض القضاة الميمونة على هذه المدن التي لم تد من الملل الأخرى،
وقد منح هذا البشارة الميمونة لمقرونا بالسعادة وأمرت بما هو آت يعمل
لم جوده أن تكون السيطرة والتصرف في الكنائس الكبرى المذكورة،
والكنائس الواقعة في ضواحي، وأخص البيطورية كنيسة الأرمنية الكاثوليكية من
منازلهم، وكذا المعابد، وسائر أماكن الرعايا، والأديرة التي تقع ملا الف
أخرى كالحش، والقسط، والسريان، فلهم ممارسة مراسمهم الدينية فيها،
مسلطاً، وقامتهم بخدمتهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله، على التعيين
في حال من بعد موت الشؤون الدينية والإشراف على الرعايا
والقسام، والمبار، واليد، والسكوكوس وسائر الأمور الدينية مشروكة
لهم مثله في البيطورية كنيسة الأرمنية وما يتبعها
من كنائس ومعابد، وأديرة وسائر
أماكن الرعايا بخدمتهم، ولا
يحق لأي فرد من
هم من التدخل
في أمورهم.

والقدس

لقد الأثم أن يسجلوا

بأمر كنيسة القمامة، والقدس الواقعة

بمستطاب، وإلى مشرق القدس العسراء، لأم من

الواقعة في ضواحي القدس الشريف، إلى المعلقة التي والد فيها السيد

المسيح عليه السلام في عام ١٠٠٠، وحفظ المصاحح الربا القسالي،

في الشمعة التي جود له في داخل كنيسة القمامة، المعلقة، وكذا القسائل

الموسومة في داخل المقرة، وعلى نالها، والشعور التي تتركها، والسجود

والحفاظ على المرسوم والعادات التي يتم داخل كنيسة القمامة، وما للمعابد

والمتعلقات حتى ظهور سائر الشجع المقدس.

محلى لجميع الأمم الدخول والقدرة، وحولها، وإدارة التلات،

ورقة الذهب، والأحجار الغالية على لافقتها، ورؤيا وإدارة المعاد

الكنائس داخلها، وإدارة كل آثار الماء ومزارات ماري يوحنا التي من

هذه كنيسة القمامة، وإدارة حصن المسيح الواقع بالقرب من ماري يعقوب

في الضواحي، وإدارة عرفت يعقوب في الضواحي، وإدارة العرف

والمتعلقات الواقعة بالقرب من مغارة بيت لحم وأرض حجاز.

كما يحق للبيطورية كنيسة المذكورة لطالقة الأرمن الإشراف ورعاية كافة

أحداث، والبساتين، ومزارع الزيتون، والجملة، جميع الكنائس والمعابد

والأديرة والمزارات التابعة لهم، وكل الأملاك والأوقاف الخاصة بهم،

وكل ممتلكاتهم وما يشعرون، ولا يتم التمرين لأي شخص من الطائفة

الأرمنية فادماً لزيارة الكنيسة أو بحر المياه المسماة بزم، ولا يقع من أي

أحد من أبنائهم أو معادتهم أو من أبنائهم، ولا تمنعهم من ذلك أي أحد.

وبعمل وفقاً لهذا الشاه السلطان من بعد اليوم على الوجه

المشروعة، ولا يسمح لأي شخص من فئة أخرى التدخل في شأنهم،

وعلى أولادى الأماجد أو وراثي الأعظم ومشايعي الكرام والقضاة

والقضاة وأمراء الإمارات وفادة السباحق وأمير الأمراء وخصباط

الانضباط والأمن ورحال بيت المال والقسام ومندوبي البلدية والرعايا

وأرباب التجار والتصرفين وسائر حرس بالي وغيرهم، والملاحية على

الجميع كالتأ من شأن ألا يتم من أي فرد منهم كالتأ من شأن، بلها

كانت الأسباب، ولا يتم التدخل أو التغيير في أي من ذلك، إلا ما قام

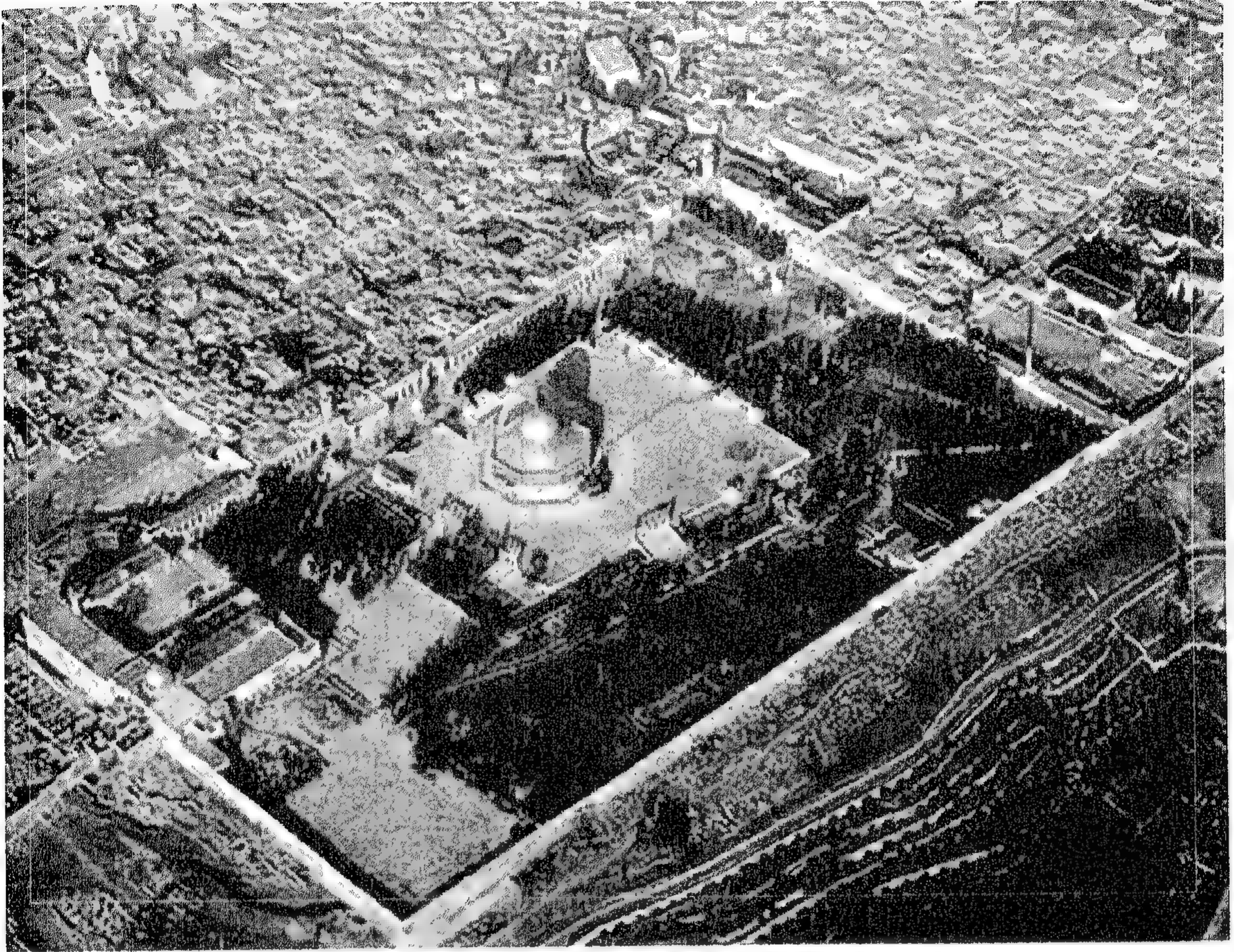
أحد ما ذلك، جل أم اتهم من أو التدخل أو التغيير فإنه يُعَدُّ عند الله من

زمرة المجرمين والعصاة.

وتعلموا أن أوامرنا وبشارتنا العظم التي أفاضها العالم مستحسناً

مصدقاً، ولعمل محسناً، ما جاء بها، ولكل هذا علامة من الله

مطهرة، كتبت في سنة ١٠٠٠، وطهران، والعمالة.



إن هذه الوثيقة وغيرها ظل معتمداً بها طوال فترات التاريخ ، وما زال فرمان سليم الأول محفوظاً في دير سانت كثرين في سيناء . كان ذلك قبل الاحتلال الإسرائيلي لسيناء ، ولست أدري مصيره الآن .

العهد الذهبي سليمان القانوني

وما أن اعتلى السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦م) عرش السلطنة العثمانية حتى أبدى تفوقاً ملحوظاً في ميادين البناء والتشييد بنفس القدر من المهارة في ميادين سن القوانين . فما هي إلا خمس وخمسون سنة حتى كانت البلاد العربية كلها حتى تلمسان المغربية ضمن حدود الدولة العثمانية .

وقد أغدق من غنائه على الحرمين الشريفين والقدس الشريف الشيء الكثير ، فغطى الجدران الخارجية لجامع قبة الصخرة من جديد بالبلاطات الخزفية الفاترة بدلاً من الموزاييق الذي كان يحتاج إلى الترميم من حين لآخر ، وكانت هذه التغطية الخزفية الزرقاء بدلاً من الخليط بين الأخضر والأصفر ، مما أعطى الجامع رونقاً وبهاء ظل قروناً عديدة . وكسا القسم الأسفل من الجدران بالرخام بدلاً من الموزاييق أيضاً . وأحاط المبنى من أعلى بحزام من الخزف الأزرق الغامق الذي تتخلله كتابات بالحروف البيضاء . وأمر بتركيب زجاج ملون على

ها هو السلطان سليم الأول الذي وصل إلى بيت المقدس في القدس الشريف في اليوم الخامس والعشرين من صفر سنة ٩٢٣ هـ - ١٥١٧م ، ما أن مثل بين يديه البطريرك الأرمني ومرافقوه من القساوسة والرعية حتى آمنهم وأحسن إليهم وأجزل العطاء لهم وجدد لهم العهد العمرى ومعاهدة القائد الفذ صلاح الدين الأيوبي .

ولم يكن هذا وقفاً على القدس وحدها لقدسيتهما ومكانتهما ، بل امتدت هذه الرعاية والعناية إلى غيرها من الأماكن . فها هو نفس السلطان ، سليم الأول يصدر نفس فرمان تقريباً لرهبان دير سانت كثرين في سيناء المصرية . فما أن استقر به المقام في القاهرة حتى أصدر لهم في أواخر شهر جمادى الآخر سنة ٩٢٣ هـ - ١٥١٧م فرماناً يعطيهم نفس الحقوق التي منحها للبطريركية الأرمنية وللحبش والأقباط السريان في القدس . ولما كان هذا فرمان يخرج من نطاق القدس فقد اكتفيت بالإشارة إليه .

لم يثبت التاريخ ولو مرة واحدة أن حاصر قائد مسلم كنيسة أو معبداً ، أو أطلق ناراً ، أو منع ماءً أو طعاماً عن من هو في داخل الكنيسة أو المعبد . لم تطارد قوات الجيش أو الشرطة أو الأمن من يلجأ إلى بيت من بيوت الله .



النوافذ التي استقرت داخل تجاويف من الجبس والجص الأبيض الناصع . كما أمر سليمان القانوني بترميم كل أسوار المدينة ، وأعطاهما الشكل الذي ما زال هو السائد حتى العهد القريب . وبهذا فقد ترك قسماً من التبة الغربية خارج الأسوار . ولقد كانت كنيسة مرقد عيسى عليه السلام تخلو من الأجراس حتى سنة ٩٥٢هـ - ١٥٤٥م ، فأمر السلطان سليمان بأن تُعلق بها الأجراس . وفي سنة ٩٦٣هـ - ١٥٥٥م كان هناك بناء صغير فوق الضريح في القسم الدائري من كنيسة القيامة ، فأمر بإقامة مبنى آخر منتظم ويليق بالمقام بدلاً من القديم .

وكانت الكنيسة مقسمة فيما بين المذاهب المسيحية التي لم تكن على اتفاق أو وفاق فيما بينها . وكانت هذه التقسيمات تحول دون إجراء الترميمات والدعامات اللازمة التي تمكن من إقامة برج للأجراس فوق قبة المبنى ، ولم يتم ذلك إلا سنة ١١٣٢هـ - ١٧١٩م . وبأمر من الحكومة تم الحفاظ على الرسوم والأشكال والطرز الموجودة على ما هي عليه أثناء أعمال بناء البرج والترميمات اللازمة . وخوفاً من التشويه تم صرف النظر عن التجديدات التي كانت ستجرى في كنيسة القيامة . وفي سنة ١٢٢٣هـ - ١٨٠٨م اندلع حريق في الكنيسة الأرمنية مما أدى إلى تخریب القسم الغربي من الكنيسة بالكامل . وثمت الموافقة على أن يقوم الأرمن بأنفسهم بأعمال الترميم والتجديد اللازم . وقد أصدر السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ - ١٨٣٩م) فرماناً للأرمن بهذا الصدد . وطبقاً لكتابات موجودة ، فقد تم تجديد التذهيب الموجود في جامع قبة الصخرة ، وأمر السلطان بترميم الجامع من الخارج . ولولا الخلافات المذهبية بين الطوائف المسيحية لثم تجديد كنيسة مرقد عيسى ، ولتم إزالة المباني العشوائية ، ولجددت الزخارف التي على جدرانها منذ أمد بعيد ، ولأمكن استخدام الأجزاء المتبقية وأعيدت الكنيسة إلى ما كانت عليه أثناء الحروب الصليبية .

لقد شهد القرن التاسع عشر أحداثاً وقللاً أخرجت فلسطين عامة والقدس خاصة من الهدوء والسكون الذي كان يعمها . فإن نابليون بونابرت (١٧٦٩ - ١٢٨١م) الذي ظل محاصراً في مصر ، قام بالهجوم على فلسطين . وكما أنه حاصر عكا فقد زج ببعض من القوات الفرنسية لمهاجمة القدس ، وتقاتلت القوات العثمانية والفرنسية أمام يزرئيل ، أي أمام مرج بن عامر . واضطرت القوات الفرنسية إلى التراجع . ثم تعرضت فلسطين عامة والقدس خاصة إلى استيلاء جيوش محمد علي باشا سنة ١٨٣١م . ودخلت هذه المدينة تحت الحكم المصري حتى تم حل المسألة المصرية . وعقب جلوس السلطان عبد الحميد الأول على العرش ، مارست الدول العظمى آنذاك ضغوطاً . وفي النهاية انضمت فرنسا إلى هذه الدول ، وتم عقد معاهدة سنة ١٢٥٦هـ - ١٨٤٠م أجبرت مصر بموجبها على إخلاء فلسطين . ومارست إنجلترا والنمسا ضغوطاً ملموسة لإعادة القدس تحت الحكم العثماني . واستمر الوضع على هذا المنوال حتى نهاية الحرب العالمية الأولى . ولكن خلال المرحلة الأخيرة من هذه الحرب أي في الثامن من كانون الأول سنة ١٣٣٣هـ - نهاية ١٩١٧م احتلت القدس من قبل الإنجليز . وهكذا انتقلت هذه المدينة المقدسة التي كانت مركزاً لتصرفية مستقلة خلال العصر العثماني إلى الإدارة الإنجليزية ، وظلت هكذا حتى سنة ١٣٦٨هـ - ١٩٤٨م .

* جامعة عين شمس - مصر .

وردة المدينة المنورة

م.فتح الله كولن

يا وردة روحي ... يا ندى قلبي ... يا حبة فؤادي
أنا الذاكر العميد ... والهائم الشريد ...
قلبي مزار طيفك ... وروحي ملعب سرابك
إنه ما زال يهدد شجوني ... ويكفكف دموعي
ذكراك يمسح من ذاكرتي كل شيء سواك ...
فليغب كل شيء إلاك

أنا مذاب عشق ... أتقلب في عشقي ...
في قيامي وقعودي ... ويقظتي ومنامي ...
أنا روح هائم في أفق العلاء أحلق
كيف الوصول إليك وأنت فوق فوق
ووراء وراء ... ؟
حبذا العشق لو يستطيع

سيدي ومولاي ... التفت إلي ...
شحة منك تكفيني ... قلبي بلظى الفراق
يتحرق ... أنيه ملاء الدنيا ... وحينه
جاوز السبع الطباق ... جُد علي ...
بالوصول جُد علي ... متى يا سيدي ... ؟
متى ... ؟

كقلب الطير قلبي ... ما أن يذكر اسمك
حتى يبدأ بالخفقان
فامن علي بريشة من جناحك
لكي أطيح إليك ... وأحلق وراءك أبدا
كقلب الطير قلبي ... ما أن يذكر اسمك
حتى يبدأ بالخفقان

يا وردة حوّلت الصحراء القاحلة إلى جنان
أشريقي على قلبي بألوانك الساحرة
آن الأوان، لتكفكفي عيوني الدامعة
يا وردة حوّلت الصحراء القاحلة إلى جنان

مجنونك أنا، آه، خادملك أنا
إن رميت بجمرة عشق في قلبي
أجبت جوانحي وكياني
وأنقذتني من هذه الرؤيا السوداء
الفارغة من محياك الوضيء
مجنونك أنا، آه، خادملك أنا

عقلي يذكركني بأيام الفراق
فيسبل على روحي سدف الظلام
سيدي متى تكشف عن وجهك الصبح؟
فالشمس تميل إلى الغروب،
عقلي يذكركني بأيام الفراق...

آه في الفصل الأخير من كتاب حياتي
آه لو غدا غروبي شروقاً
وقلبي مفعماً بأزهي ألوان عالمك المضيء
حيث ترتفع أصوات الدفوف وترانيم الناي
في كل مكان...
آه، لو غدا غروبي شروقاً...

* * *

• تستعمل الوردة في الأدب التركي رمزاً للرسول ﷺ.
• من ديوان «المصرب المكسور» للأستاذ محمد فتح الله كركن. ترجمة: نوزاد صواش، أديب إبراهيم الدباغ.

فلسفة الصوم



أديب إبراهيم الدباغ *

إن الجانب السطحي من الزمن هو جزءه الميت الخالي من أية فاعلية إنسانية خلقة، في حين أن جزءه الثاني الأكثر عمقاً هو المعنى باهتمامات المسلم الجاد الذي يؤرقه أن تمضي لحظات الزمن من دون أن يُودعها شيئاً من آثاره التعبديّة الخلاقية.

الوجود، فالقرآن رُوح من رُوح الله، نزل به الروح الأمين، على روح هو أنزه الأرواح وأشرفها هو روح محمد ﷺ، -أو إن شئت قلت «قلبه»- في شهر هو روح الأزمنة والشهور. فهو -أي القرآن- نور من نور، نزل به النور، على قلب هو نور، في شهر النور.

ومن حق هذا الشهر النوراني أن يحفز المسلم لكي يستبق نفسه روحياً، وأن يمدّ يده للقوى الإيمانية الموجودة في أعماقه ليساعدها على النهوض به، وأن يكون يقظاً للقوة الدافعة فيه من أجل أن يلحق بها ويلازمها في رؤاها وتدافعها نحو الأعلى والأنزه من الحياة، والأذكى من العقل، والأعمق من التّعبد، ليصبح الاستثناء في هذا العالم المائج بالغفلة عن الله الذي يزداد تدحرجه من قمة إنسانيته نحو قاع من حيوانية الشهوات، ومن ضلالات القلب والوجدان، ومن عديمات الشرور والآثام.

ومن هنا جاء هذا الارتباط الخفي المتين بين الزمن والعبادات التي يقدمها المسلم بين يدي الله تعالى. فالصلوات الخمس، صلوات مرتبطة بخمسة مفاصل زمانية في اليوم واللييلة، وكذلك الزكاة يرتبط فعلها التعبدي بالحول الذي يحول على المال الذي يُراد تركيته، أمّا الحج فهو شعيرة تعبديّة زمانية ومكانية في الوقت نفسه، وأما الصيام فزمانه شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن.

فرمضان هو العمق الزماني الذي تشتدّ فيه القوى الحيّة في نفس الإنسان المسلم. ولا طريق إلى نفسه أقصر من رمضان لكي يشتدّ غوّصه في خواجلها الدفينة، والتعرّف على منابع القوة والضعف فيها. إنه يزيدنا استنارةً وفهماً وإدراكاً؛ ولم يودع ربّ العالمين من أسرارهِ المكنونة في العبادات ما أودعه منها في الصيام. وقد أشار تعالى إلى ذلك في الحديث القدسي: «الصوم لي وأنا أجزي به».

ولئن كان لكل شيء روح يرتعش بالحياة مهما كان خفياً وصامتاً ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ (الإسراء: ٤٤) فإنّ للزمن كذلك روحه، وروح الزمن هو «شهر رمضان». ولأنه روح الزمن فقد اختاره الله تعالى زماناً لنزول القرآن فيه، هذا القرآن الذي هو روح

وبديهي أن صوم رمضان هو عمل تعبديّ يبتغي المسلم من ورائه تركية نفسه ورضى ربه، غير أنه يمكن أن يكون بمثابة صيحة احتجاج صامت يطلقها المسلم في وجه فساد العالم وضلاله، وجبروته وقهره، وانحرافه عن جادة الحق والحقيقة، وصرخة تنبيه لتلك الأرواح الضالّة والجافة التي يمكن أن تشتعل كالهشيم عند أقل شرارة.

إن رمضان وحده هو القادر على أن يبدد جهامة الزمن المتراخي الكسول، ويغير الأزمان والفصول، فتغدو كلّها ربيعاً إلهياً عطراً يفوح منه رُوحُ الله وريحان رسوله ﷺ.

فرمضان كَوْنٌ نورانيٌّ يدور في سماء الصائم مُولداً فيه أضواءَ
الخواطر، وأنزلة الأفكار. أما ذلك الشيء الدموي الذي يبدو ملازماً
لبعض العقول فسرعان ما تغسله التقوى، وتمحوه التوبة.

وكما أن الكون يرفض الفراغ في أجزائه ومفاصله، فهو يرفض
كذلك الفراغ في روح الإنسان، لكونه جزءاً لا يتجزأ من الكون.

فما لم تمتلئ النفس بتاريخ عظيم من صور كفاحها الارتقائي في
سلام المعرفة الإلهية، فإن تاريخ هذه النفس سيكون مفاجئاً
ومأساوياً، وربما ظلت تعاني من المرض والوهن حتى تموت في قعر
بوار من الفراغ.

فرمضان بحد ذاته - زماناً وتاريخاً - هو عالم مفعم بأعظم صور
التجارب الكفاحية الارتقائية لمعرفة الله وتوحيده وعبادته. وأكاد
أجزم أن ما من نصر عرفه المسلمون على مدى تاريخهم الطويل إلا
وهو صنيع رمضاني، حيث يحفل بصور رائعة من بطولات المسلمين
الأوائل منذ «بدر» إلى «فتح مكة» إلى آخر الانتصارات الأخرى.

فرمضان زمن البطولات الإيمانية أينما كان موضع هذه البطولات
سواء في النفس أو خارج النفس، فهو -رمضان- سلسلة مترابطة من
هذه اللحظات الكفاحية التي تكاد تكون «لازمانيّة» لأنها فوق كل
منطق زمانى أو مكاني.

وتظل روح الصائم مترعة بأخيلة «العالم الآخر»، حتى لكانها
بغيبوها أقرب إليه من الدنيا بشهودها.

فدقائق دقائق العمر في رمضان ليست كدقائقها في غير رمضان،
فالصائم يتلقى مع هذه الدقائق دقة من بعد دقة، دفعة نور من بعد
دفعة، من قنوات غيبية «ماورائية»، تفرغ تيارها فيه فتزيده شفافية
وتبصرة وتقرباً من مولاه. فيا لمعين رمضان، كم من قلب مظلم
اغتمس به فعاد نقياً كالثلج، وكم من ضمير موقور بكل بوائق الدنيا
انغمس فيه فعاد طاهراً خالصاً كيوم ولدته أمه.

فالمسلم الذي لا يخرج من رمضان بزخار من المدارك الروحية
الجديدة عليه أن يعلن -خجلاً- عن إفلاسه الروحي، وينكفى على
نفسه ييكها دماً، وينوح عليها نواح الشكلى، لأنه الوتر النشار الأكثر
قبحاً ونشوراً في موسيقى رمضان الصافية الجمال، والمناكف الأشد
عناداً للمشيمة الكونية الانسجامية التوافقية بين جزئيات الأشياء
وكلياتها. فما من أحد سوى رمضان كان قادراً على أن يجد بصيرته
ليرى أعمق وأشمل وأبعد.

إن إنساناً يستعصي على رمضان فلا يتأثر به هو إنسان صعب
وصلد مثير للإشفاق، سرعان ما يسقط بين شذقي الدنيا التي تلتهم
كل يوم كتلاً جديدة من البشر.

وعجباً لإنسان لا يثير رمضان فضوله الفكري، وعجباً لإنسان لا
يقوى رمضان أن يقدح شرارة في وعيه الباطني، وعجباً لإنسان لا
يستفز رمضان عقله وحسّه وشعوره...

يا عشاق الليل... يا واجدون... يا مشتاقون...

يا متفردون... يا متوحدون... يا شعراء...

يا تساك... يا زهاد... يا عبّاد...

هيا... تعالوا... أقبّلوا...

هذه ليالي رمضان البهية...

تعالوا املاؤا كؤوسكم من أنوارها...

ترشفوا رحيق الوصال...

وبلّوا حرقة الفؤاد...

واسقوا ظمأ الروح...

يا ليالي رمضان... يا دُرّة الليالي...

يا لآلاءة يا وضّاءة... يا ضحيانة...

يا شلال نور... يا سنى القلب...

يا ندى الفؤاد... يا ينبوع إيمان...

ودفق رحمة وحنان...

ما نام عنك إلا ميت...

وما سهى عنك إلا محروم...

وما عاف شراك إلا مجنون...

يا ليلة القدر... يا خيراً من ألف شهر...

حنانيك يا ليلة القدر...

ضميناً إليك... عانقين بقوة...

خديننا من أنفسنا إلى نفسك...

اكنفيننا بكتفك... واسدلي أستار سرادقك علينا...

امسحي الجراح عن أرواحنا... وآسي آلام قلوبنا...

وافتحى لنا طاقة الدعاء في السماء ليحرّ منها دُعَاؤنا...

ويمضي من خلالها تضرّعنا...

أنت - يا ليلة القدر - والقرآن قرينان...

ما ذكرناك إلا ذكرنا القرآن...

وما تلونا القرآن إلا ذكرناك...

شرفت بالقرآن... وعلاً قدرك بزلوله فيك...

وإننا لنطمع أن نكون عتقاء ليلتك هذه من النار.

فأول رمضان رحمة... وأوسطه مغفرة... وآخره عتق من

النار، كما جاء في الحديث الشريف.

اللهم -يا حبيب التوابين- اعتقنا من النار، ويا مجير الخائفين باعد

بيننا وبين النار كما باعدت بين المشرق والمغرب، يا رب يا الله.

* كاتب وباحث عراقي.

الجهاد... والقتال... والإرهاب

د. محمد عمارة *

بين «الأسباه والنظائر» التي تجمع النماذج الثقافية في موضوع الدراسة، وبين «الفروق» التي تميز بينها. . كان هذا المنهاج الأحادي الجانب السبب في كثير من الخلط الذي يصيب مضامين العديد من المصطلحات.

صحيح أنه لا مشاحة في استخدام المصطلحات من قبل أهل الحضارات المختلفة والديانات المتعددة والثقافات المتمايزة، لكن هناك مشاحة أكيدة في المضامين والمفاهيم والمحتويات التي تُفهم لدى كل فريق من ذات المصطلحات. فالمصطلحات بمثابة الأوعية يستخدمها ويتداولها الجميع، لكن محتويات هذه الأوعية (مضامين المصطلحات) تتفاوت وتتغير وتتمايز بل وقد تتناقض لدى أصحاب الأنساق الفكرية المختلفة رغم وحدة المصطلحات. كذلك الحال مع مصطلحات الجهاد والقتال والإرهاب.

هناك خلط كبير وشديد بين مضامين هذه المصطلحات الثلاثة: الجهاد... والقتال... والإرهاب.

وهذا الخلط هو أشد ما يكون في هذه الحرب السياسية والفكرية والدينية والإعلامية الكبرى التي تشنها دوائر غربية متنفذة ضد الإسلام وأمنه وحضارته وعالمه، ليس فقط منذ «قارعة» ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١م التي وقعت بأمريكا، وإنما قبل هذه القارعة بعقود وربما بقرون. لكن هذه القارعة قد تصاعدت بهذه الحملة، ومن ثم بهذا الخلط بين مفاهيم هذه المصطلحات تصاعداً غير مسبوق في تاريخ علاقات الغرب بالشرق، والغربيين بالشرقيين.

ولأن النظر إلى «الآخر» من خلال «الذات» هو عيب شائع في الدراسات المقارنة بين الديانات والثقافات والحضارات، لأنه يؤدي إلى صب «الآخر» في قوالب «الذات»، وتجاهل -ومن ثم- إلغاء الفروق بين الديانات والثقافات والحضارات، وذلك بدلاً من التمييز

الحرب الدينية المقدسة

باستثناء قطاع محدود من العلماء الغربيين الذين درسوا الإسلام وحضارته وتاريخه وفق موضوعية الدراسات المقارنة، والذين تحررت ضمائرهم من قيود المقاصد «الإمبريالية» الغربية، فإن الكثيرين من الذين قاموا بدراسة الحضارة الإسلامية وتاريخ المسلمين - سواء بسوء فهم أو سوء نية - قد وقعوا في خطأ النظر إلى «الذات الإسلامية» من خلال منظور «المعايير» التي حكمت مسيرة الحضارة الغربية، والكهانة الكنسية للنصرانية الغربية، والتاريخ الحضاري الغربي، وما شهدته من صراعات.

فإذا ذكرت الخلافة الإسلامية - وهي دولة مدنية مرجعيتها الشريعة الإسلامية - قفز إلى مخيلتهم كهانة الدولة الكنسية الأوروبية التي حكمت بالحق الإلهي والتفويض السماوي. وإذا ذكر الحق في المواطنة، لم يتصوروه إلا قائماً على أنقاض الدين وشريعته وفي ظلال العلمانية واللا دينية. وإذا ذكر الدين، لم يتصوروه إلا علاقة فردية بين الإنسان وخالقه تقف عند خلاص الروح ومملكة السماء، لا علاقة لها بهذا العالم، لأنها تدع ما لقيصر لقيصر، مكتفية بما لله لله.

وانطلاقاً من النظر إلى «الآخر الإسلامي» من خلال منظور «الذات الغربية» حسب هؤلاء الغربيين - ومعهم مثقفونا المتغربون - الجهاد الإسلامي «حرباً دينية مقدسة» ضد أصحاب الديانات الأخرى تكون معايير البراء والعداء والصراع فيها هي الاختلافات في المعتقدات. وانطلاقاً من هذا النموذج «الحضاري والتاريخي»، ومن خلال هذا المنظار الغربي نظر كثير من المستشرقين الغربيين إلى الجهاد الذي تحدث عنه القرآن الكريم والذي جعلته السنة النبوية ذروة منام الإسلام.

حقيقة الجهاد الإسلامي

إن الجهاد الإسلامي ليس حرباً دينية مقدسة، لأن الإسلام ينكر ويستنكر أي حرب دينية. فالإيمان الإسلامي تصديق قلبي يبلغ مرتبة اليقين، وهو سر بين المؤمن وبين خالقه لا يتأتى إلا بالفهم والعلم والإقناع والافتناع، ولا يمكن أن يكون ثمرة لأي لون من ألوان الإكراه فضلاً عن أن يكون هذا الإكراه عنفاً قتالياً. ولذلك قرر القرآن الكريم القاعدة المحكمة والمحكمة: «لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ» (البقرة: ٢٥٦) والتي لا تعني فقط «النهي» عن الإكراه في الدين، وإنما تعني أيضاً «نفي» أن يكون هناك دين أو تدين عن طريق الإكراه. إذ الإكراه يثمر «نفاقاً» وهو أخطر من «الشرك» الصراح و«الكفر» البواح، ولا يمكن أن يثمر «إيماناً» بحال من الأحوال. ولذلك شاعت في القرآن الكريم الآيات التي تقول للمخالفين: «لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ» (الكافرون: ٦)، «فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ» (الكهف: ٢٩) والتي تحدد مهمة الرسالة في الاعتقاد: «مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ» (المائدة: ٩٩)،

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ (الغاشية: ٢٢).

وإذا كان الخلط بين الجهاد الإسلامي وبين الحرب الدينية المقدسة هو أثر من آثار سوء الفهم للإسلام، أو سوء النية في تصوير الإسلام، فإن هناك خطأ آخر يقع فيه الذين يختزلون الجهاد الإسلامي في القتال الذي تحدث عنه القرآن الكريم وممارسه المسلمون في عصر النبوة وعلى امتداد تاريخ الإسلام.

ذلك أن الجهاد الإسلامي الذي هو فريضة إسلامية أعم من القتال الذي شرعه الإسلام. فكل قتال جهاد وليس كل جهاد قتالاً، إذ القتال هو الجانب العنيف من الجهاد وليس كل الجهاد.

إن الجهاد في اصطلاح العربية كما جاء في «لسان العرب» لابن منظور هو: «استفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل». فهو لا يقف عند «الفعل» فضلاً عن أن يكون هذا «الفعل» فقط هو «الفعل العنيف» (الحرب) دون سواه.

والجهاد في الاصطلاح القرآني: «هو بذل الوسع في المدافعة والمغالبة» في كل ميادين المدافعة والمغالبة، أي في كل ميادين الحياة، وليس فقط في ميادين القتال. وأكثر ما ورد الجهاد في القرآن الكريم ورد مراداً به بذل الوسع في نشر الدعوة الإسلامية والدفاع عنها. وسبيل الدعوة الإسلامية هو الحوار بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالنبي هي أحسن، وليس بالقتال والإكراه والحرب الدينية المقدسة. فميادين الجهاد الإسلامي - الأكبر والأعظم والأغلب - هي عوالم الأفكار والحوار.

فبذل الوسع واستفراغ الطاقة والجهاد في ميادين العلم والتعلم والتعليم هو جهاد؛ وبذل الوسع واستفراغ الطاقة والجهاد في عمران الأرض نهوضاً بأمانة الاستخلاف الإلهي للإنسان هو جهاد؛ بل إن الرفق بالإنسان والحيوان والنبات والجماد - الطبيعة - هو جهاد؛ وكذلك البر والإحسان إلى الوالدين والأقربين وأولي الأرحام هو جهاد. كما أن الخشية لله ومراقبته وتقواه والتبذل إليه هي قمة من قمم الجهاد الذي فرضه الإسلام؛ والكلمة الصادقة جهاد.

بل لقد جعلت السنة النبوية - وهي البيان النبوي للبلاغ القرآني - من أفعال القلوب - وليس فقط الأيدي والألسنة - ميداناً من ميادين الجهاد الإسلامي: «فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن». (رواه مسلم)

ومثل ذلك حراسة الوطن والمرابطة على ثغور دار الإسلام - كل الثغور - هي جهاد يكون أصحابها أول من يدخل الجنة من خلق الله. كذلك جعلت السنة النبوية الحج إلى بيت الله الحرام - وفيه التجرد من الدنيا وقوتها، بل وزينتها - والتعايش السلمي حتى مع الهوان، وكل أنواع الأحياء والنباتات . . . جعلت السنة النبوية هذا الحج ميداناً

من مبادئ الجهاد الإسلامي.

تلك هي حقيقة الجهاد الإسلامي الذي هو بذل الجهد واستفراغ الوسع والطاقة في أي ميدان من ميادين الجهاد على امتداد هذه الميادين واتساعها وتنوعها، وليس فقط هو القتال، فضلاً عن أن يكون الحرب الدينية المقدسة.

ولهذه الحقيقة كان الجهاد الإسلامي فريضة لازمة على كل مسلم ومسلمة، لأنه مستطاع لكل المكلفين وفق القدرات التي يمتلكها ويمتلكها هؤلاء المكلفون، وفي أي ميدان يستطيع المكلف أن يبذل جهده فيه بسائر ميادين العبادات والمعاملات؛ بينما كان القتال الذي هو شعبة من شعب الجهاد مشروطاً بشروط، وله ميادين محددة، ضبطها القرآن الكريم في الآيات التي تحدثت عن القتال.

تلك هي حقيقة الجهاد الذي فرضه الله وجعله ذروة سنام الإسلام، والذي جاهدته المسلمون -ولا يزالون- على امتداد تاريخ الإسلام، والذي يكون جهاداً كبيراً عندما يكون فقهاً ووعياً وحواراً بالحكمة والموعظة الحسنة انطلاقاً من القرآن الكريم: ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً﴾ (الفرقان: ٥٢).

حقيقة القتال في الإسلام

وإذا كان الجهاد في الإسلام أعم من القتال، فإن القتال الذي هو الجهاد العنيف، والذي هو شعبة واحدة من الشعب السلمية التي لا تُحصى للجهاد، متميزة ثمرته -وهي القتل- عن الموت الطبيعي. فالموت: هو فوت الحياة، بينما القتل: هو إزالة الروح وإزهاقها، وفوت الحياة بفعل فاعل من الخارج يتولى هذا الإزهاق.

وليس هناك شك -بل ولا غرابة- في أن نجد في الإسلام تشريعاً مضبوطاً يجوز القتال أو يوجبه في بعض الحالات، ذلك أن الإسلام دين ودولة، وأمة ووطن، واجتماع ونظام، فالدين في الإسلام لا بد لإقامته من وطن يقام فيه، لأن هذا الدين الإسلامي ليس مجرد تكاليف فردية، يستطيع المكلف بها أن يقيمها بمعزل عن الناس، أو بإدارة الظهر للناس، وإنما فيه -إلى جانب التكاليف الفردية- تكاليف اجتماعية لا تؤدي إلا في أمة، وجماعة، ونظام، ومؤسسات، وسلطة، واجتماع؛ أي لا بد له من وطن ودولة. وهذه التكاليف الاجتماعية -والكفائية- هي أكد وأهم من التكاليف الفردية، لأن الإثم في التخلف عن التكليف الفردي يقع على الفرد فقط، بينما إثم التخلف عن التكليف الجماعي والاجتماعي -الكفائي- يقع على الأمة جمعاء. بل إن أغلب التكاليف الفردية في الإسلام تؤدي وتقام في جماعة، وثوابها في الجماعة أضعاف أضعاف إقامتها خارج الجماعة.

ولهذه الحقيقة -أيضاً- رفع الإسلام قيمة الحفاظ على حرية الوطن واستقلاله وسيادته، وحق المواطن -بل واجبه- في أن يعيش حراً في

وطن حر... رفع هذه القيمة إلى مقام الحياة.

ولأن هذا هو مقام الوطن وضرورته لإقامة دين الإسلام، كان الجهاد القتالي وارداً، وأحياناً واجباً، للحفاظ على الوعاء -الوطن- الذي بدونه لا يُقام كامل الإسلام.

فلا بد لإقامة الإسلام من وطن، الأمر الذي يجعل القتال لحماية حرية هذا الوطن -التي هي حرية مواطنيه- وارداً في شريعة الإسلام. فالحفاظ على الدين هو ذروة سنام مقاصد الشريعة الإسلامية. والحفاظ على حرية الوطن الإسلامي هو الشرط لإقامة الدين والقيام بأمانة العمران التي هي المهمة العظمى من وراء استخلاف الله لجنس الإنسان ولذلك وقف الإسلام بالقتال -إذنناً وأمرأً وتحريضاً- فقط عند:

١- الحفاظ على الدين، وحرية الدعوة إليه، وتحرير ضمائر المؤمنين به من الفتنة والإكراه.

٢- الحفاظ على الوطن، وصيانة حريته وحرية أهله من العدوان. فالقتال في الإسلام هو الاستثناء الذي لا يجوز اللجوء إليه إلا لمدافعة الدين يفتنون المسلمين في دينهم، أو يخرجونهم من ديارهم. ولقد كان منهاج الدعوة الإسلامية التجسيد لهذا المنهاج.

ففي البداية وبعد ما تعرض له المسلمون من أذى في عقيدتهم، وفتنة عن دينهم، واضطهاد تصاعد حتى اقتلعهم من وطنهم (مكة)، وجعلهم يهاجرون إلى يثرب (المدينة)، بعد هجرة العديدين منهم إلى الحبشة؛ أذن الله -مجرد إذن- للمؤمنين في القتال. (الحج: ٣٨-٤٠) ولقد كان الإخراج من الديار، والفتنة في الدين الأسباب التي ذكرها القرآن الكريم في كل الآيات التي شرعت لهذا القتال.

وعندما تطور الحال من «الإذن» في القتال إلى «الأمر» به، جاء القرآن الكريم ليضع الإخراج من الديار سبباً لهذا الأمر. فهو قتال دفاعي ضد الذين أخرجوا المسلمين من ديارهم، وفتنهم في دينهم لتحرير الوطن الذي سلبه المشركون من المسلمين ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ (البقرة: ١٩٠-١٩٢).

ذلك لأن منهاج الشريعة الإسلامية في الدعوة إلى الله وإلى دينه ليس القتال، وإنما هو الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن. بل قد تميز الإسلام في هذا الميدان برفضه فلسفة «الصراع»، لأنه يؤدي إلى أن يصرع القوي الضعيف فيزيله وينهي التنوع والتعدد والتمايز والاختلاف، التي هي سنة من سنن الله في سائر عوالم المخلوقات. رفض الإسلام فلسفة «الصراع»، وأحل محلها فلسفة «التدافع» الذي هو حراك يعدل المواقف، ويعيد التوازن، مع بقاء التعددية والتعايش والحوار والتفاعل بين مختلف الفرقاء.

إن الإسلام لا يريد «الصراع» الذي ينهي «الآخر»، وإنما «التدافع» الذي هو حراك يحل التوازن محل الخلل الذي يصيب علاقات الفرقاء المتمايزين.

كذلك يرفض الإسلام الفلسفات التي اعتبرت القتل والقتال وإزهاق الأرواح جبلةً جبل عليها الإنسان وغريزة من غرائزه المتأصلة فيه. وفي مواجهة هذه الفلسفات التي ذهبت إلى حد اعتبار الحرب طريقاً من طرق التقدم والتطور (١) يقرر الإسلام أن القتال هو الاستثناء المكروه وليس القاعدة. إنه ضرورة تُقدر بقدرها: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ» (البقرة: ٢١٦)، وليس هناك «مكتوب» و«مفروض» وصف في القرآن الكريم بأنه «كره» سوى القتال.

ولقد بينت السنة النبوية وأكدت هذه الفلسفة الإسلامية إزاء القتال. فقال رسول الله ﷺ: «لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا العافية، فإذا لقيتموهم فاثبتوا وأكثروا ذكر الله» (رواه الدارمي).

وحتى هذا القتال الذي كتب على المسلمين وهو كره لهم والذي وقف به الإسلام ودولته عند حدود القتال الدفاعي لحماية حرية العقيدة وحرية الدعوة من الفتنة - التي هي أكبر من القتل المادي - ولحماية حرية الوطن الذي بدوره لا يُقام الإسلام... حتى هذا القتال - الاستثناء والضرورة - قد وضع الإسلام ودولته له «دستوراً أخلاقياً» تجاوز في سموه كل المواثيق الدولية التي تعارف عليها المجتمع الدولي نظرياً (١) بعد أربعة عشر قرناً من ظهور الإسلام، وتطبيق المسلمين لقواعد الدستور الأخلاقي لهذا القتال.

ولقد صاغ أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو رأس الدولة قواعد هذا الدستور الأخلاقي للقتال والحرب في وثيقة إسلامية عندما أوصى قائد جيشه يزيد بن أبي سفيان وهو يودعه أميراً على الجيش الذهاب لرد عدوان البيزنطيين في الشام، فقال في وثيقة الوصايا العشر: «إنك ستجد قوماً زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله (الرهبان) فدعهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له (٠٠٠) وإنني موصيك بعشر: لا تقتلن امرأة ولا صبيّاً، ولا كبيراً هرمّاً، ولا تقطعن شجراً مثمرّاً، ولا تخربن عامراً، ولا تعقرن شاة ولا بعيراً إلا لمأكلة، ولا تحرقن نخلاً، ولا تفرقنه، ولا تغلل، ولا تجبن» (رواه مالك في الموطأ).

فمعيار الإسلام ودولته في السلم والسلام أو الحرب والقتال ليس «الإيمان» و «الكفر» ولا «الاتفاق» و «الاختلاف»، وإنما هو التعايش السلمي بين الآخرين وبين المسلمين، أو عدوان الآخرين على المؤمنين بالفتنة في الدين أو الإخراج من الديار. وعن هذا المعيار للعلاقة بين الإسلام وبين الكافرين به والمنكرين له يقول القرآن الكريم: «لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» (الممتحنة: ٧ - ٩).

ولقد طبق المسلمون هذا المعيار في العلاقات مع المخالفين، فكان اليهود - بدولة المدينة المنورة - جزءاً من الرعية والأمة. ونص دستور هذه الدولة الإسلامية الأولى على أن «لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، ومن تبعنا من يهود فإن لهم النصر والأسوة، غير مظلومين ولا مُتَنَاصِر عليهم، وأن بطانة يهود كأنفسهم، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين؛ على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر المحض من أهل هذه الصحيفة دون الإثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه، فيهود أمة مع المؤمنين». وبالنسبة لعموم النصارى قررت المواثيق النبوية في هذه الدولة الإسلامية الأولى: «أن لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم».

تلك هي حقيقة النظرة الإسلامية إلى القتال. إنه الاستثناء لا القاعدة، وهو الاستثناء المكروه ولا يجوز اللجوء إليه إلا دفاعاً عن حرية الاعتقاد والضمير وحرية الوطن الذي بدون حريته يستحيل إقامة الاعتقاد الديني على النحو الذي أراده الله في شريعة الإسلام. تلك هي حقيقة القتال في الإسلام وتلك هي مقاصده.

إنه مجرد شعبة من شعب الجهاد، وهو الاستثناء لا القاعدة، والضرورة التي تُقدر بقدرها، وهو الفريضة المكروهة وليس الجبلة التي تقود إلى التقدم كما زعمت فلسفات وثقافات خارج نطاق الإسلام.

حقيقة الإرهاب

إن المفهوم الغربي لمصطلح «الإرهاب»، والذي يعني استخدام العنف غير المشروع لترويع الآمنين وإكراههم على قبول ما لا يريدون، وخصوصاً عندما يكون هذا الإرهاب تمارسه السلطة الحاكمة ضد المحكومين، أي إرهاب الدولة الذي ييث الرعب في نفوس المحكومين... إن هذا المفهوم الغربي للإرهاب هو أبعد ما يكون عن مفهوم المصطلح في لغتنا العربية وفي القرآن الكريم الذي هو كتاب العربية الأول وديوان شريعة الإسلام. بل إن الإسلام يرى سائر الديانات السماوية من أن يكون الإرهاب والعنف والإكراه والترويع للآمنين سبيل أي منها في الدعوة إلى شريعة أي دين من تلك الديانات. فمنهاج الدعوة إلى اليهودية في شريعة موسى عليه السلام هو «القول اللين»، وليس العنف أو الحرب والقتال والإرهاب: «فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى» (طه: ٤٢-٤٧).

ولأن موسى عليه السلام لم يقم دولة ولم يقدر جيشاً ولم يخض حرباً ولا قتالاً، وإنما ولد ونشأ وبعث في مصر، فلقد ظلت شريعته الحقيقية بريئة من أي إكراه أو عنف أو إرهاب.

وكذلك الحال مع النصرانية التي جاء بها عيسى بن مريم عليه السلام . فهي شريعة الصوفية المسالمة والسلام الصوفي التي بلغت في السلام والمسالمة حدوداً ومثلاً ربما عَزَّتْ على التطبيق في نطاق هذا العالم . ولذلك قال المسيح عليه السلام إن مملكته ليست في هذا العالم . فبراءة النصرانية - ومنهجها في الدعوة - من العنف والإكراه والإرهاب الذي يروِّع الآمنين براءة لا تحتاج إلى كثير حديث .

وكذلك الحال مع منهج الدعوة الإسلامية في الدعوة إلى الله ، فلقد جاءت مؤكدة على المنهاج الإلهي في الدعوة إلى الإيمان الديني . . . منهج الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن ، لأن هذا المنهاج هو الوحيد الذي يثمر إيماناً وتصديقاً قلبياً يبلغ مرتبة اليقين ؛ بينما الإرهاب بمعنى ترويع الآمنين وإكراههم على ما لا يريدون هو سبيل النفاق الذي هو أشد سوء من الشرك الصراح والكفر البواح ، وليس سبيل الإيمان بأي حال من الأحوال .

أمّا أولئك الذين يستندون إلى ورود الإشارة في القرآن الكريم - بسورة الأنفال - إلى الإرهاب ، فإن خطأهم القاتل - هذا إذا حسنت النوايا ، وساء الفهم - هو في وقوفهم عند المصطلح مغفلين تميز مفهوم هذا المصطلح في القرآن الكريم واللغة العربية عن مضمونه الغربي الذي شاع ويشيع الآن في دوائر الفكر والثقافة والسياسة والإعلام . ولو أنهم فهموا سياق الآيات القرآنية التي ورد فيها هذه المصطلح - بسورة الأنفال - ثم جمعوا إلى آيات الأنفال كل الآيات التي ورد فيها هذا المصطلح ومشتقاته بالقرآن الكريم ، ثم فسروا هذه الآيات ، وفقهاوا هذا المصطلح وفق مضمونه العربي وسياقه القرآني ، لما تطرق إلى ذهن أحد أن هناك أدنى علاقة بين الإسلام وبين الإرهاب ، بمعنى ترويع الآمنين بالعنف والعدوان والإكراه .

إن آيات سورة الأنفال تتحدث عن المشركين الذين يقاتلون المسلمين ، بفتنتهم في دينهم ، وإخراجهم من ديارهم ؛ وتخص بالحديث قوماً من هؤلاء المشركين المقاتلين احترافوا الخيانة للعهود ، وأخذ المسلمين على غرة رغم ما بينهم من عهود للسلم والأمان . فتطلب هذه الآيات القرآنية من المسلمين أن يعدوا من العدة ، ويتخذوا من القوة ما يرهب ويخيف - أي يردع - هؤلاء الذين مردوا على الخيانة ونقض العهود والغدر والعدوان ما يردعهم عن هذه الخيانة .

يخاطب الله رسوله في هذه الآيات فيقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال: ٥٨-٦٣) .

فمعنى الإرهاب هنا هو التخويف لردع الخونة والمخادعين والغادرين كي لا يغدروا بالمسلمين المعاهدين . وهو تخويف يوجب

إعداد القوة الرادعة وليس تخويف العدوان والعنف والإكراه ، أي أنه التخويف الذي ينفي العنف والإكراه والقتال . فهو كالعقوبة الرادعة؛ إعلانها يمنع ويردع عن الجريمة ، ومن ثم يمنع تطبيقها . ولا علاقة لهذا الإرهاب بهذا المعنى بترويع الآمنين وإكراههم بالعنف والقتال والإكراه الذي هو معنى مصطلح الإرهاب في الفكر الغربي .

إن امتلاك الاتحاد السوفيتي إبان الحرب الباردة في منتصف القرن العشرين للسلاح - الرادع - النووي والهيدروجيني ، هو الذي أربى وردع أمريكا وأخافها من العدوان الذري على السوفيت ، فتحقق الأمن والأمان للعالم من هذه الكارثة النووية .

ويشهد على هذه الحقيقة المفاهيمية مع السياق الذي وردت به آيات سورة الأنفال معنى مصطلح الإرهاب في العربية لغة القرآن الكريم .

ونحن عندما نعود إلى «الراغب الأصفهاني» في كتاب «المفردات في غريب القرآن» نجد أن معنى الإرهاب في القرآن ولغته العربية هو على الضد من العنف الذي يروِّع الآمنين ويرعبهم . فهو من «الرَّهْبَةِ» بمعنى الخافة مع «تَحَرَّزَ واضطراب» . وليس هناك عاقل يمكن أن يفسر الخافة والرهبة والخشية بالعنف الذي يروِّع الآمنين ويرعبهم . وتشهد على ذلك كل الآيات القرآنية التي وردت فيها إشارات إلى هذا المصطلح وتصريفاته اللغوية .

فالرهبان هم الذين يبالغون في الخوف من الله وفي بحشنيته . والرهبانية هي المبالغة في الخشية من الله . وليس في أي من مضامين هذه المصطلحات القرآنية - يرهبون ، فارهبون ، تُرهبون ، استرهبوهم ، الرهب ، الرهبة ، الرهبان ، الرهبانية - ما يشير من قريب أو بعيد للمعنى الغربي للإرهاب ، بمعنى العنف الذي يروِّع الأبرياء والآمنين ويرعبهم . إن إخراج الناس من ديارهم وأوطانهم وتحويلهم إلى لاجئين ، هو عنف وإرهاب وترويع للأبرياء والآمنين . وإن نظرة على تاريخ العلاقات بين الغرب والشرق ، لتضع أيدينا وأبصارنا وبصائرنا على قرون الغزو والعنف والقهر الثقافي والسياسي والديني والحضاري الذي مارسه الغرب ضد الشرق أغلب قرون ذلك التاريخ .

تلك هي حقيقة الجهاد والقتال والإرهاب في مصطلح العربية

والقرآن والإسلام .

* كاتب ومفكر إسلامي - مصر .

المصادر

- ١ . مجمع اللغة العربية ، (معجم ألفاظ القرآن الكريم) طبعة القاهرة سنة (١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م) .
- ٢ . محمد حميد الله الحيدر آبادي ، محقق (مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي ، والحلافة الراشدة) ، ص ١٦ - ٢١ ، طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦م .
- ٣ . مجمع اللغة العربية ، (معجم العلوم الاجتماعية) طبعة القاهرة ، سنة ١٩٧٥م .

بلاد الثلج

محمد سداد *

يصلح جانباً من البناء المتداعي وذاك يدهن الجدران وآخر يحمل خزانة... لمح النور الذي يتلألأ في عيونهم. امتلأ قلبه بالغبطة لهؤلاء الشباب الذين نذروا أنفسهم لرسالة الحب والتسامح والإخاء. من أين يجدون هذه الطاقة من الصبر؟ أنى لهم هذه القوة من الشوق والعزم الذي لا ينفد؟ كان يعمل كل واحد منهم كأنه جذوة متقدة... الأمل يتألق في محيا الجميع... بسملة الفرح تملو جميع الوجوه؟ ما سر هذا يا ترى؟

عندما بدأت العتمة تسري في الجو علم أن الشمس مالت إلى المغرب. أين هو السعيد الذي يحظى برؤية الشمس؟ الغيوم الرمادية تغطي الآفاق هنا أكثر من ستة أشهر. ذهبوا به إلى منزل أحد تلاميذ المدرسة. خلافا للبرودة المجددة احتضنته حرارة حنون في الداخل. بعد قليل لاح التلميذ يحمل صينية أكواب من الشاي الساخن. توقع أن يكون في الخامسة عشر من العمر، قامت به إلى الطول، شعر أصفر يميل إلى الحمرة، عينا زرقاوان في وجه مستدير أبيض تعلوه ابتسامة الترحاب. أثناء تقديمه الشاي قال التلميذ للضيف الجديد بلغة تركية جيدة «أنا أجيد اللغة التركية». حاول الضيف أن يغطي حيرته بابتسامة منكلفة «قل شيئا بالتركية إذن؟»

خدق الفتى في عييه وقال بصوت رخيم وبسمة واسعة وكأنه اكتشف تساؤلاته التي تصطرع داخله منذ النهار «أما ترضى... أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة»

أصيب بصدمة... فوجئ... لم يكن يتوقع هذا الرد... أحس بالحجل يجري في عروقه بسبب الأفكار التي راودته أثناء تجواله في المدرسة. يا إلهي! ها هو السر؟ إنه اكتشف سر الصبر والعزم والشوق الذي شد قلوب زملائه إلى هذه البقاع النائية... ها هو السر يقف أمامه بوجهه الطلق المتبسم. فأحسن بصوت ينطلق من أعماقه «بل هنا الحياة الحقيقية التي تستحق العيش». أحس بارتياح عميق في قلبه. زالت جميع الآلام والأحزان. شعر أنه وجد وطنه الحقيقي.

كاتب تركي وهي قصة حقيقية وقعت في إحدى مناطق روسيا.

لفصل شتاء... المكان بلد من بلدان روسيا الشهيرة بجبالها الشاهقة ويردها القارس وتلوجها التي لا تذوب حتى نهاية الربيع. مضى على مغادرته لتركيا بضعة أشهر. حين ودع الأهل والأصدقاء كان يوما من أيام الحريف حيث أخذت أوراق الأشجار الصفراء تتساقط منذرة بنهاية الأيام الجميلة. إنه الآن في بلاد بعيدة تقع في أقاصي الأرض، ولا يعرف عنها شيئا سوى ما قرأ في كتب القصص والأساطير.

شاب في السادسة والعشرين من عمره. تخرج في إحدى الجامعات الراقية بإسطنبول. يتقن اللغة الإنكليزية كلغته الأم. نعم، إنه الآن بعيد عن الوطن، في أرض لا يعرف لغتها ولا ثقافتها. دفعه إلى هنا صوت انطلق من أعماقه «امض يا أخي، فهناك ظمأى يترقبون النور الذي تحمله إليهم». أتى إلى هذه البقعة النائية من روسيا مدرسا للإنكليزية في ثانوية فتحتها متطوعون من تركيا قبل عدة سنوات لنشر رسالة الحب والسلام. البرد قارس والجبال يكللها الضباب والثلوج تغطي كل مكان... المفروض ألا يتأثر بالبرد لأنه قد اعتاد على مثله في مدينة «أرضروم» الشرقية الشهيرة ببردها وتساقط ثلوجها. غير أن الوضع هنا يختلف تماما. فهو يقسم أن جسده لم يشهد طوال حياته مثل هذا البرد. الفترة القصيرة التي انقضت ما بين نزوله من الطائرة وركوبه السيارة بدت له كأنها عام كامل. الموت تجمدا أمر سهل للغاية هنا.

وصل المدرسة... كوكبة من الشباب في انتظاره رغم البرد القارس. كلهم أتوا من تركيا. أحدهم معلم إنكليزية والآخر معلم كيمياء، والثالث معلم فيزياء... كلهم خريجو أرقى جامعات تركيا. غير أنهم اختاروا هذه البلاد الباردة على وطنهم الدافئ والعروض المغرية. حملتهم نفس الغاية السامية. أثناء تجواله في الممرات والفصول تحدث مدير المدرسة عن ضيق الإمكانيات والمواقف المعقدة ومشكلة الكهرباء التي لا يعلم إلا الله متى تعمل وأمورا أخرى كثيرة. تساءل الشاب بينه وبين نفسه «أيمكن العيش هنا؟»

تعلقت نظراته على زملائه وهم يطوفون حوله بحماس هذا

مجلد

المضمون العلمي في رسائل النور

أ.د. محمد الروكي *

إن رسائل النور في الحقيقة لا يدرك قيمتها ولا يدرك حلاوتها ولا يقدرها حق قدرها إلا الذين عايشوها وتلقوها مباشرة من معينها الصافي، ومنبعها الرقراق، وكانوا رجالها وناسها، فيهم حررت، وفي وقائعهم كتبت، وبأيديهم نسخت ووزعت، وفي بيوتهم ومجالسهم قرئت. فهم أسباب ورودها، وعناصر مادتها ومقومات محتوياتها. ومن ثم فإن قارئها يجب أن يستحضر ذلك كله حتى تفهم حق الفهم. يجب أن يقرأها القارئ وقد أخذ حظه من معرفة ملاساتها الزمانية والمكانية والإنسانية. يجب أن يقرأها القارئ وقد أخذ زاده من معرفة أصولها ومصادرها ومدرستها ومنهجها، وتعرف على محررها ورائدها وقائدها وموقد نورها الشيخ العالم الرباني بديع الزمان سعيد النورسي الذي نحتها من ذاته، وفجر ينابيعها في قلبه الوضاء، وأوقد مصباحها من فكره الثاقب وبصيرته الساطعة. لا بد لقارئ رسائل النور أن يستعين في فهمها وفقه مضامينها بالتعرف على حياة هذا الرجل الإمام وفكره وجهاده وفلسفته في الدعوة والتربية والبناء والتغيير، ومنهجه في خطاب العقل والقلب، وطريقته في مناظرة الأقربين ومحاورة الأبعدين.

إن رسائل النور مدرسة قائمة بذاتها، لها أسسها المحكمة، ومعالمها الواضحة، ومنهجها التربوي البين. إنها مدرسة مبنية على ركنين مضمينين في رسمها نفسه المركب تركيا إضافيا «رسائل النور».

إن المتأمل في رسائل النور، المتمعن في مضامينها ومقاصدها، يجد أنها حقاً رسائل نور، فهي تفيض بمعاني النور، وتتدفق فيها أفكار النور، وتشقق منها سيول الهدى، وتنساب منها فيوض الندى. إنك إذا قرأتها في نسقها العام، ونظرت إليها وهي في منظومتها الشاملة المتكاملة، أدركت أنها قد نبتت من قلب متفجر بالإيمان، متشبع بالقرآن، وعلمت أنها قد سالت من فكر شمولي عميق، قوامه السعة والتنوع وقوة التحليل والتعليل. إنك إذا قرأت رسائل النور وأمعنت النظر في فقراتها وفتحت البصيرة في محتوياتها رأيت رأي العين من خلالها سعيد النورسي القديم والجديد وما بعد ذلك، وأيقنت أنه بجانبك يحاورك ويناجيك، ويلقي عليك بخالص ذمبه، ولباب أدبه، ويحبك لك ببالغ نصائحه، ويسبك لك أجود مواعظه، ويصوغ لك لآلئ فكره، وحلال سحره، ولم يسعك أمام ذلك كله إلا أن تنحني إجلالا، وتطأطيء رأسك امتثالا، وتقف إكبارا لهذا الرجل الرباني الذي بحق لنا أن نصفه بأنه المجدد المصلح المربي القدوة الإمام الذي وهب قلبه وعقله لعصره، ووقف حياته لدينه، وبذل رحيق عمره للدعوة والتربية وبناء الأجيال المسلمة المؤمنة، وتقديم مادة الإسلام لهم ينبوعا صافيا، ودواء شافيا من أسقام الأوهام الفكرية، وعلل الاختلالات التي ابتلتهم بها الحياة المعاصرة وما حملته من شظايا المدنية الغربية، وما رشحت به من رذاذ حماتها الآسنة.

فالركن الأول النور . ومعنى ذلك أن تراث النورسي ورصيده الفكري ، وأعماله العلمية التي بين أيدينا ، كل ذلك قائم على أساس صياغة أفكار الهدى ومضامين النور المستمدة من أصول الإسلام والقرآن والسنة . نعم إن تراث النورسي هو اقتباس من نور القرآن وإشراقة السنة ، فهو نور على نور ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (البور: ٤٠) . وهذا التفسير لا يتنافى مع ما ذكره النورسي في تعليل تسمية أعماله بـ«رسائل النور» من قوله في كتاب الملاحق: «إن سبب إطلاق اسم رسائل النور على مجموع الكلمات وهي ثلاث وثلاثون كلمة ، والمكتوبات وهي ثلاثة وثلاثون مكتوبا ، واللمعات وهي إحدى وثلاثون لمعة ، والشعاعات وهي ثلاثة عشر شعاعا ، هو أن كلمة النور جابتهني في كل مكان طوال حياتي ، منها:

- قريتي اسمها نورس

- اسم والدتي المرحومة: نورية

- اسم أستاذي في الطريقة النقشبندية: سيد نور محمد

- وأحد أساتذتي في الطريقة القادرية: نورالدين

- وأحد أساتذتي في القرآن: نوري

- وأكثر ما يوضح كتبي وينورها هو التمثيلات النورية .

- وأكثر ما حل مشكلاتي في الحقائق الإلهية هو اسم «النور» من الأسماء الحسنى .

- ولشدة شوقي نحو القرآن ، وانحصار خدمتي فيه ، فإن

إمامي الخاص هو سيدنا عثمان ذو النورين رضي الله عنه^(١) .

وأقول: هذا لا يتنافى مع التفسير العام الذي ذكرت ، والتعليل الكلي الذي بينت ، بل إنه يبينه ويؤكدده ويقرره ، لأنه كان يستحضر كلمة النور ودلالاتها ومقاصدها وأسرارها التي جابته فيها كلمة النور . فالذي يعيننا نحن الآن هو النظر إلى رسائل النور بعد صياغتها وتحريرها ، وتقويمها في ضوء مضمونها ومنهجها وآثارها التربوية الإيمانية . فهي من هذه الجهة العامة تحمل قيم النور وفكرته وسره وإشعاعه . وحتى أسماء بعض مجموعات الرسائل جاءت مطبوعة بذلك دالة عليه ، مثل اللمعات ، الشعاعات ، صيقل الإسلام . . . الخ .

والركن الثاني الرسائل . ومعنى ذلك أن هذه الأعمال العلمية تحمل رسالة لأبناء الإسلام ورجاله ونسائه وشبابه . فهي أعمال ومحركات ليس المقصود منها هو مجرد المعلومات والمتعة الفكرية ، بل إنها أعمال رسالية توجيهية تربوية وظيفية . القصد منها إيصال المضامين الإسلامية حية إلى العقل ، وإرسال المعاني الإيمانية الناصعة إلى القلب ، وتوجيه المقاصد والأسرار القرآنية إلى النفس والوجدان والشعور .

وإذن فتراث الأستاذ النورسي بناء شامخ سامق ، قائم على

ترجمة نور الإسلام وهدى القرآن إلى رسائل ومكتوبات ومحركات وظيفية رسالية ، يمكن أن تتخذ نبراسا في الحياة ، ودليلا مرشدا على السير في دربها . وهاهنا يكمن جمال هذه الرسائل ، وتظهر روعتها . إن جمالها في نوريتها ورسالتها . إن جمالها في مضمونها ومقاصدها ودلالاتها التربوية الإيمانية .

فما هي أصول هذه الجمالية؟ إن الجواب عن ذلك هو كالآتي:

أصول جمالية رسائل النور

إن جمالية رسائل النور نابعة من جودة مضمونها العلمي . وجودة مضمونها العلمي قائمة على أصول كثيرة كان الأستاذ النورسي راسخا فيها ، مشبعا بمادتها ، متقنيا في ظلالها ، ويمكن إجمالها في الأمور الآتية:

١ . القرآن والسنة

إن الطابع العام الذي يطبع رسائل النور أنها رسائل مستمدة قوتها من القرآن ، ومقتبسة أنوارها من القرآن ، وآخذة ماءها ورونقها وحياتها من القرآن . فهي رسائل قرآنية استخلص الأستاذ النورسي مادتها ومقوماتها من القرآن الكريم الذي تشبع بقيمه وحكمه ومضامينه ، ورأى بنوره ، وسار على هدايه ، وملأ به قلبه ، وسرى تياره في وجدانه ، فصار بذلك رجلا قرآنا يفكر بالقرآن ، ويكتب بالقرآن ، ويعلم بالقرآن . لقد جاء في كتاب الملاحق هذا التصوير لرسائل النور:

«إن رسائل النور برهان باهر للقرآن الكريم ، وتفسير قيم له ، وهي لمعة برافة من لمعات إعجازه المعنوي ، ورشحة من رشحات ذلك البحر ، وشعاع من تلك الشمس ، وحقيقة ملهمة من كنز علم الحقيقة ، وترجمة معنوية نابعة من فيوضاته .

إن رسائل النور ليست كالمؤلفات الأخرى التي تستقي معلوماتها من مصادر متعددة من العلوم والفنون . فلا مصدر لها سوى القرآن ، ولا أستاذ لها إلا القرآن ، ولا ترجع إلا إلى القرآن ، ولم يكن عند المؤلف أي كتاب آخر حين تأليفها . فهي ملهمة مباشرة من فيض القرآن الكريم ، وتنزل من سماء القرآن ومن نجوم آياته الكريمة»^(٢) .

وجاء في نفس الكتاب أيضا:

«إن رسائل النور كذلك ليست نورا مقتبسا وبضاعة مأخوذة من معلومات الشرق وعلومه ، ولا من فلسفة الغرب وفنونه ، بل هي مقتبسة من العرش الرفيع السماوي لمرتبة القرآن الكريم الذي يسمو على الشرق والغرب . فرسائل النور التي هي ضياء معنوي ، وعلم في منتهى العلو والعمق معا ، لا تحتاج دراستها والنهيؤ لها إلى تكلف ، ولا داعي لأساتذة آخرين لتعلمها ، ولا الاقتباس من أفواه

المدرسين ، حيث إن كل شخص يفهم حسب درجته تلك العلوم العالية دونما حاجة إلى إشعال نار المشقة والتعب للحصول عليها ، فيفيد نفسه بنفسه ، وربما يكون عالما محققا» . (٣)

وهذه الخاصية في رسائل النور المشار إليها في الفقرة الأخيرة من هذا الكلام ، هي أيضا مقتبسة من القرآن الكريم . فالقرآن لا يحتاج الآخذ منه إلى تكلف ولا إلى أستاذ أو مدرس ، بل يكفي الإقبال الصادق عليه ، والتدبر الجاد في آياته ، والنظر الواعي في بصائره . فكل من أخذ بهذه الأسباب نال حظا من كنوز القرآن ، يصدق ذلك قول الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴾ (القمر: ١٧ و ٢٢ و ٣٢ و ٤٠) .

والفكر القرآني عند النورسي معزز بالسنة ، ومدعم بتفسيرها وبيانها . يقول في توضيحه لقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (آل عمران: ٣١) تعلن هذه الآية العظيمة إعلانا قاطعا عن مدى أهمية اتباع السنة النبوية ومدى ضرورتها :

« نعم إن هذه الآية الكريمة أقوى قياس وأثبت من قسم القياس الاستثنائي ضمن المقاييس المنطقية ، إذ يرد فيه على وجه المثال : « إذا طلعت الشمس فسيكون النهار » ، ويرد مثالا للنتيجة الإيجابية : « طلعت الشمس فالنهار إذن موجود » ، ويرد مثالا للنتيجة السلبية : « لا نهار فالشمس إذن لم تطلع » . فهاتان النتيجتان - الإيجابية والسلبية - ثابتتان وقاطعتان في المنطق ، وكذلك الأمر في الآية الكريمة ، فنقول : إن كان لديكم محبة الله فلا بد من اتباع لحبيب الله ، وإن لم يكن هناك اتباع فليس لديكم إذن محبة الله ، إذ لو كانت هناك محبة حقا فإنها تولد حتما اتباع السنة الشريفة لحبيب الله » . (٤)

٢ . العلوم الشرعية وغيرها

الناظر في رسائل النور لا يسعه إلا أن يدرك غزارة مضمونها العلمي . وقارئها الفاحص المتمعن يجدها حافلة بالمادة العلمية ، قوية الإفادة ، عظيمة النفع . ومرد ذلك إلى ضلالة صاحبها النورسي بالعلوم الشرعية واللغوية والعقلية ، وتبحره في مباحثها وقواعدها . فالقرآن الكريم هو أستاذه الأول ، ومدرسته الأولى ؛ والسنة النبوية هي منهاجه الذي سار عليه في حياته ورسائله . وقد أودع في رسائله مكنون فهمه لآيات القرآن وكنوزه ومعارفه التي استمدتها منه مستعينا بما لديه من حصيلة واسعة في علوم القرآن التي هي مفاتيح معانيه وأحكامه وقيمه . كما أودع فيها جواهر فهمه المشرق للأحاديث النبوية مستعينا بما يملكه من قواعد فقه الحديث وعلومه التي هي مفاتيح لمضامينه ودلالاته الشرعية والتربوية .

وإلى جانب علوم القرآن والسنة فقد أودع النورسي في رسائله مئات المسائل والفوائد في علم التوحيد والفقه وأصوله والمنطق

والبلاغة والفلسفة والتاريخ والأدب واللغة . . . وغيرها من العلوم والفنون ، وألوان الثقافة الشرعية والفكر الإسلامي . ومن ثم كانت هذه الموسوعة العلمية أصلا آخر لجمالية المضمون العلمي عند النورسي ينضاف إلى القرآن والسنة من حيث مادتها . فكما أن رسائل النور قوامها القرآن ، ومنهاجها السنة ، فكذلك جاءت ترشح بمختلف العلوم والفنون وأصناف الثقافة التي استقاهها من مادة الإسلام وفكرته ، وصاغها صياغة حية محرقة موجهة .

٣ . القيم الإسلامية

إن استفادة النورسي من العلوم الشرعية والعقلية واللغوية وتوظيفه إياها في رسائله ، لم تكن من قبيل العلم للعلم ، ولا من باب الفن للفن ، بل كان ذلك من باب خدمة الدين وإذكاء روح الإيمان ، وأداء رسالة الإسلام . لقد كتب النورسي رسائله وحررها مفعمة بأخلاق الإسلام ، مشبعة بقيمه ومكارمه ، حافلة بفضائله . لقد جاءت رسائل النور تحمل لواء أخلاق الإسلام ، وتصوغ قيمه في فقراتها الناصعة ، وترجم لقرائها مبادئه ومثله العليا في لغة حية وأسلوب محرك مؤثر . فكان هذا أصلا من أصول جمالها الفكري وروعيتها المضمونية ، يتكامل مع سابقه ، ويسير معه جنبا إلى جنب . والعلم والأخلاق ما اجتماعا في شيء إلا زانه وجملاه ، بل إن العلم في ميزان القرآن لا ينفك عن ثمرته التي هي الأخلاق والفضائل . فالعلم الحق بميزان القرآن هو الذي يقود إلى قيم الخير ، ويجر إلى فضائل الأعمال ومحاسن السلوك ، يصدق ذلك قول الله تعالى في معرض المقارنة بين الصالح المستقيم وعكسه : ﴿ أَمَنْ هُوَ قَانِتٌ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (الزمر: ٩) .

٤ . الربانية

إذا كانت الأخلاق هي ثمرة العلم النافع ، وأن كلا منهما أصل من أصول جمالية المضمون العلمي لرسائل النور . فإن الأخلاق ثمرتها الربانية ؛ فتمثل أخلاق الإسلام وقيمه ، والتزام فضائله ، والتربية على مكارمه ينتج في الشخص الربانية ويورثه إياها . ولقد كان النورسي ربانيا ، وأستاذا في الربانية ، ومعلما للربانية ، وداعيا إلى الربانية ، وجاءت رسائله مطبوعة بطابع الربانية . وقد تعلم هذه الربانية من القرآن الكريم ، واكتسبها منه ، متمثلا في ذلك قول الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يُوْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تُدْرُسُونَ ﴾ (آل عمران: ٧٩) . وبهذا كانت ربانية النورسي التي ترشح بها رسائله أصلا من أصول جمالها الفكري وبهاثها العلمي . ومن القرآن استمدتها واقتبس أنوارها .

٥. الإيمان برسالة الإسلام

لقد كتب النورسي رسائله وأخرجها لطلاب النور انطلاقاً من إيمانه برسالة الإسلام ويقينه بأنها الحق، وأن سبيلها هو سبيل الرشاد، وثقته بأن الجولة لها والعاقبة لأصحابها، قال يقرر ذلك: «أعلن بلا تردد أن الذي دفعني وشجعني إلى مبارزة أفكار العصور الخوالي والتصدي للخيالات والأوهام التي تقوت واحتشدت منذ مئات السنين، إنما هو اعتقادي ويقيني بأن الحق سينمو نمو البذرة النابتة وإن تسترت تحت التراب، وأن أهله سينتصرون وإن كانوا قلة وضعفاء بظلم الأحوال. واعتقادي أن حقيقة الإسلام هي التي تسود قارات العالم وتستولي عليها. نعم إن الإسلام هو الذي سيعتلي عرش الحقائق والمعارف فلا يكشفها ولا يفتحها إلا الإسلام... الأمارات تبدو هكذا»^(٥).

وبمثل هذه الثقة وهذا الإيمان جاءت رسائل النور صادقة اللهجة، جميلة المضمون، رفيعة المحتوى، نافعة هادية.

٦. الثقة بالنفس

هذا الأصل متعلق بسابقه تعلق الثمرة بأمتها، والنتيجة بمقدمتها، وذلك أن إيمان النورسي برسالة دينه، ولد فيه ثقته بنفسه، فكانت كل فقرة كتبها في رسائله، وكل جملة وكل كلمة تنبض بالصدق والقوة، وتنضح بالحرارة والجدية والتأثير في المخاطب. لقد اكتسب ثقته بنفسه من إيمانه برسائله. والثقة بالنفس مأتاها الثقة بالله عز وجل. ولقد كان النورسي واثقاً بربه جل وعلا، واثقاً بوعده الذي وعد به عباده من النصر في الدنيا والجنة في الآخرة، وحاش لله تعالى أن يخلف وعده، لقد طبع بهذه الثقة كل كلمة من كلمات رسائله، فجاءت أجمل وأروع في مضمونها العلمي ومحتواها التربوي.

٧. الصدق وبيع الكلام من القلب

من أصول جمال المضمون العلمي لرسائل النور صدق لهجتها، وانفلاق معانيها وخطابها من أعماق قلب صاحبها ومحررها. لقد كان صادقاً في كل ما يكتبه، مؤمناً بكل ما يقوله ويحرره، وكان لسانه دليل قلبه، وقلمه رسول فكره، وظاهره مترجم باطنه، وصدق الكلام عنوان جماله.

٨. غزارة الأفكار

لقد استفاد النورسي من كثرة العلوم التي درسها، وكثرة الكتب التي قرأها، فتكون لديه من ذلك فكر واسع ومعلومات غزيرة استطاع أن يجلو بها الحقائق ويعرض المفاهيم الإسلامية ويحرر المقولات العلمية. كما استطاع بها أن يجيب عن كل ما

يعرض عليه من الأسئلة، ويحل ما يلقي إليه من المسائل والمشاكل. لقد كتب في علوم الدين، وفي الآداب، والاقتصاد والسياسة والتاريخ، وفي الفلسفة والمنطق وعلم الكلام... وغيرها من العلوم والفنون. وكل ذلك يكتبه بإتقان، ويحرره بإحسان... فكانت هذه الغزارة في أفكاره أصلاً من أصول جمال المضمون العلمي في رسائله.

٩. سعة الخبرة والحكمة وطول المباشرة

لقد جمع النورسي إلى جانب سعة علمه، وغزارة أفكاره، ولطيف شمائله مصدراً آخر اكتسبه من الحياة، هو خبرته الواسعة، وحنكته البعيدة، وطول مباشرته وتديره لشؤون طلابه وملازميه. فجاء ذلك واضحاً في رسائله، بينا في فقراتها، مطبوعاً في كلماتها، فزادها جمالاً على جمال، ونورا على نور، حيث يستفيد منها قارئها العلم والعمل والخبرة والتجربة الحية التي تشخص العلم وتنزله على أرض الواقع، وتيسر الانتفاع به في الحياة.

١٠. سلامة المنهج وجودته

إلى جانب ما تقدم من أمور المضمون العلمي لرسائل النور، فقد صيغ هذا المضمون وأُفرغ في قالب جديد، ومنهج سديد، لم يتبع فيه النورسي طرق التأليف المعروفة، ولا مناحي الكتابة المألوفة، بل اعتمد طريقة فريدة وأسلوباً شيقاً متميزاً. فهو يعتمد التنوع في عرض الأفكار، والعمق في تحليلها، والسعة في ضرب الأمثال، والشمولية في بسط المضامين العلمية، والوظيفية في إيراد النصوص وسوقها، والتدرج بالقارئ من العام إلى الخاص ومن الخاص إلى العام، ومن الكل إلى الجزء ومن الجزء إلى الكل، ومن الأعلى إلى الأدنى ومن الأدنى إلى الأعلى. وهكذا صيغ مضمون الرسائل في منهج محكم لا يصدر إلا عن خبير متبصر متمرس. فكان هذا أصلاً آخر من أصول جمال الفكر النورسي في رسائله.

تلك -إذن- عشرة كاملة من الأصول التي قام عليها جمال مضمون رسائل النور، وأمثلة ذلك وتطبيقاته ترشح به الرسائل، وتنطق صفحاتها وفقراتها وجمالها، فارجع إلى حيث شئت من هذه الرسائل تجد ذلك أوضح وأجلى في سطورها، وأما ما وراء السطور فإنه أكثر وأقوى. ﷻ

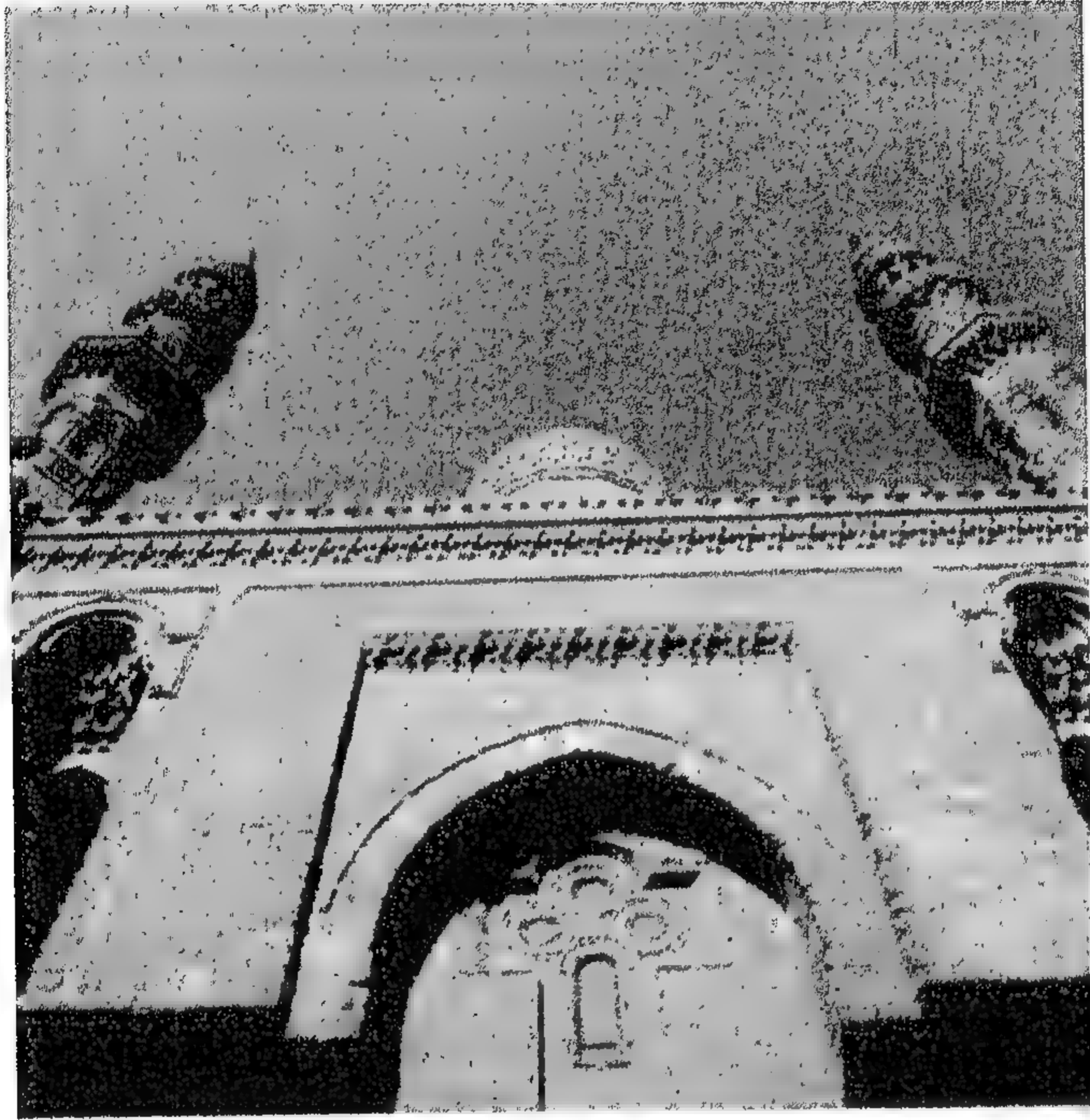
* جامعة محمد الخامس - الرباط / المغرب.

الهوامش:

١. الملاحق، ملحق بارلا ص ٧٠-٧١.
٢. الملاحق، ملحق قسطنطيني ص ٢٢٠-٢٢١.
٣. الملاحق، ملحق قسطنطيني ص ٢٢٢-٢٢٣.
٤. السنة النبوية، مرقاة ومنهاج ص ١٣-١٤.
٥. صيقل الإسلام، محاكمات عقلية ص ٢٢-٢٣.

الأمة الإسلامية...

مفهوماً وخصائصاً



د. سمير بودينار *

النقاش وعن التفكير وبالتالي عن الوعي العام، وهي أن أزمنا في إدراك معنى الأمة الإسلامية ومعاني الولاء لها والانتماء إليها وواجبنا تجاهها، لا تقل عن الأزمة التي تعيشها هذه الأمة اليوم، بل يمكن القول إن هناك علاقة سببية لا يخطئها النظر تصل بين الأمرين.

فما هي الأمة الإسلامية ابتداء؟ ثم تتشكل؟ ما هي مادتها؟ أليس كل مسلم على ظهر الأرض هو اللبنة الأصغر في بنائها؟ ألا يفترض هذا استحضار العلاقة المباشرة - عند الحديث عن الأمة الإسلامية ومشاكلها - بين الفرد والجماعة، بين حال المسلم وواقع أمته، بين الجزء والكل؛ كما يفترض حرصاً على معرفة هذه الأمة من حيث أسس بنائها وخصائصها المتفردة، والتي قد تكون - بشكل ما - أحد العوامل التي جلب لها هذه التحديات الهائلة التي تصارعها، يماثل الحرص على إبداء الحسرة على حالها.

إن مثل هذه المنطلقات هي في تصورنا المداخل التي على إجاباتها

إذا قدر لنا أن نسأل مجموعة من الأفراد في مجتمعنا عن «الأمة الإسلامية اليوم» فإن المتوقع أن تكون الإجابات أسئلة حائرة تقابل السؤال بالسؤال، من نوع: «وأي هي الأمة الإسلامية؟ هل بقي لها وجود؟» أو تكون تقريراً يائساً: «إن الأمة الإسلامية ممزقة متفرقة... الأمة الإسلامية تعاني من حالة ضعف وهوان... الأمة الإسلامية واقعة تحت سيطرة أعدائها... الأمة الإسلامية لم يعد لها وجود، لأن المسلمين ما عادوا متشبهين بدينهم، موحدين في ظل مبادئه...» وهي عبارات لا يمر يوم إلا ونقرأها فيما يكتب ونسمعها في وسائل الإعلام وعلى ألسنة الناس في ملتقياتهم، يعبرون بها عن قلة أملهم في واقع الأمة الإسلامية اليوم، يؤكدون سوء حالها وخطورة مبلغ استشراء الداء في أوصالها. وقد لا نختلف كثيراً عن بعض هذه الآراء التي تبلغ مبلغ الإجماع في مستوى معين من مستويات قراءة الواقع، إلا أن ملاحظة ثانية لا تقل أهمية، تكاد تغيب بصورة مطلقة عن



تترتب الحلول المقترحة، بل الأسئلة البديلة، المدعو كل واحد للمساهمة في طرحها، ونعتبر أن هذه الأسئلة ينبغي لها أن تظل الحافز للمعرفة والبحث في خيارات المستقبل المطروحة على أمت أي علينا أولاً، من موقع الانتماء المبدئي والفعلية والدائم للأمة الإسلامية.

١. أسس بناء الأمة في الإسلام

يقوم مفهوم الأمة الإسلامية على أسس ثلاث لا يتيسر إدراكها إلا بالوقوف عندها، ليس بوصفها القواعد التي يقوم عليها بناء الأمة في مجالي التفكير والتجربة التاريخية فحسب، بل لأن هذه الأسس جزء لا يتجزأ من ماهية الأمة نفسها وعناصر بنائها ماضياً وحاضراً، واستمرارها مستقبلاً، وهي:

أ) الأساس الثقافي

وهو الذي يمثل قاعدة بناء الأمة الإسلامية، فانطلاقاً منه تتحدد ماهيتها ومرجعيتها وضوابط وحدتها، وهو الذي يبين رسالة الأمة الإسلامية، اعتماداً على مصادر الثقافة الإسلامية الأصلية التي تحدد العقيدة والشريعة ومنظومة القيم والأخلاق والسلوك. وبالرجوع إلى هذه المصادر ندرك أن الأمة الإسلامية مفهوم أسسه القرآن الكريم ﴿وَرَبُّهُ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (المومنون: ٥٢)، وانتقل في السنة النبوية إلى مستوى الواقع الذي يمثل «النموذج التأسيسي». فقد أسس رسول الله ﷺ نواة الأمة الإسلامية في مكة من مجموعة الصحابة الذين صدقوا واتبعوا قبل أن يأتي النموذج العملي من خلال «التوثيق الدستوري» في «العهد النبوي» أو صحيفة المدينة» والتي جاء فيها: «هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، أنهم أمة واحدة من دون الناس»، ثم من خلال الأفعال والأقوال النبوية التي أعطت للجماعة المسلمة في المدينة بعد الهجرة سمات الأمة الواحدة المترابطة بروابط العقيدة والتصور ووحدة القيم والرسالة والمشروع الحضاري، والمنفتحة في امتداد لا يحده جنس ولا لون ولا لغة ولا رقعة جغرافية، إلا ما كان من إيمان بمبادئ هذه الأمة والتزام بمرجعيتها المؤسسة على الشريعة، بما يحقق وحدة الإدراك لكل ما يتصل بهذه المرجعية، كأساس لاحترام ما ينبثق عنها من مبادئ وأحكام تمثل نظاماً متكاملاً للسلوك الفردي والجماعي على السواء. وعلى هذا القدر من الجلاء كانت الإشارة النبوية في «الصحيفة» «... وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد ﷺ» تأسيساً لوحدة المرجعية والتي تمثل أهم عناصر وحدة

الأمة الإسلامية التي «تؤمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، وبالقرآن كتاباً...».

والواقع أنه لهذا الرابط العقدي الثقافي دوره التأسيسي في هذه الوحدة كما سبق، إلا أن هذا الأساس نفسه لو بقي عقيدة مشتركة في قلوب عدد من الناس أو فكرة في عقولهم تمنحهم أجوبة وجودية على أسئلة الكون والحياة والإنسان، دون أن تمتد إلى الجانب العملي من حياتهم وفق آليات ثابتة ودائمة، أسستها الشريعة لتبقى عناصر الوحدة وقوة الروابط والصلات بين الأفراد داخل الأمة، لربما كان قد وقع بين المسلمين في إطار العقيدة الواحدة من التباعد والجفاء ما لا يمكن تصوره إلا باستحضار سير أئمة ومجتمعات أخرى وردت إليها النبوات وتتابع إليها المرسلون حاملين رسالة التوحيد، ثم إذا هي بعد مدة طالت أو قصرت تفقد المبررات المادية العملية للوحدة، وتدب إليها الفرقة وتختلف بل تتقاتل حتى حول الفهم المتباينة للعقيدة المشتركة. والحال أن الأمة الإسلامية تجد في مصدرها الأصل ما يمكن أن نسميه «إعادة إنتاج مستمرة» لعناصر التوحد في مستوياتها المختلفة، بدءاً من النواة الاجتماعية (الأسرة)، وصولاً إلى مستوى الأمة الإسلامية الكبرى، مروراً بمستويات الاجتماع الإنساني كافة. ولعل هذه الآلية الموحدة باستمرار تبدو أجلى ما يكون في الأساسين الاجتماعي والاقتصادي لبناء الأمة.

ب) الأساس الاجتماعي للأمة الإسلامية

إذا كانت العلاقات الإنسانية هي التي تؤسس المجتمع، فإنه لا يتكون على الحقيقة بالأعداد الكبيرة من الأفراد مهما بلغوا، إلا في ظل شبكة العلاقات المعقدة بينهم، والتي تمثل شرط بناء المجتمع وحقيقته في آن. وبناء على هذا الأساس مثلت جملة الأحكام الشرعية المتصلة بالجانب الاجتماعي والمؤسسة لاستمرار ودوام الصلات بين الفرد المسلم وبين غيره من أفراد المجتمع الإسلامي الذي يوحدته الإيمان المشترك بالمقومات الأساسية للإسلام (وحدة المرجعية) سواء اتخذ هذا الإيمان بعداً عقدياً ثقافياً بالنسبة للمسلم أو بعداً حضارياً بالنسبة لغير

العامة في واقع المسلمين ، والتي لا تمثل الاستثناءات والشذوذ عن الحالة العامة إلا تأكيداً لأصليتها .

ج) الأساس الاقتصادي

يرى أكثر المنصفين من مؤرخي الحضارة الإسلامية أنه لو لم تبدع هذه الحضارة سوى نظام «الوقف» كنظام يحقق هدفاً مزدوجاً يتجلى في الأمن الاقتصادي البعيد المدى لقطاعات معينة في المجتمع من خلال ريع الأوقاف من جهة ، وضمان حد أدنى من استقلالية المجتمع ، لو لم تبدع الأمة الإسلامية انطلاقاً من أصول ثقافتها سوى هذا النظام لكان ذلك كافياً للحديث عن القاعدة الاقتصادية الصلبة في البناء الإسلامي . إلا أن نظام الوقف ليس نظاماً وحيداً في هذا الباب ، ففي الشريعة الإسلامية واجبات وأحكام تعبدية - أي أنها شديدة الارتباط بأصل التدين عند المسلمين - لا تتم إلا عبر الإنفاق المادي ، أي المساهمة الاقتصادية في توطيد أسس البناء الاجتماعي . وهنا تأتي أهمية الزكاة بوصفها ركناً إسلامياً وواجباً تعبدياً ذا أبعاد اقتصادية واجتماعية ، والكفارات عن طريق الإطعام أو العتق في حالات الصيام والأيمان والظهار وغير ذلك .

إن الأساس الاقتصادي في بناء الأمة الإسلامية شديد الارتباط بطبيعة هذه الأمة لجهة قيامه على قاعدة دينية تربط الإنفاق بالجزاء الأخروي حتى لو كان من صميم الواجب ، ولما تتسم به منظومته في الأحكام المالية من نزعة اجتماعية ظاهرة ، فالمجتمع الإسلامي هو بالضرورة مجال الإنفاق والفرد المسلم وغير المسلم ممن يعيش في مجتمع المسلمين هو من يقطف في النهاية ثمرة هذه المبادئ الاجتماعية التي توجه الفعل المالي والسلوك الاقتصادي في الإسلام .

٢ . خصائص الأمة الإسلامية

يفرض التأسيس العلمي لمفهوم الأمة الإسلامية تلمس الخصائص المميزة لها ، والتي يخلص إليها من خلال الأساس الثقافي في علاقته بعقيدتها وقيمها ، ولعلها من التعدد بما يناسب تطور تجربة الأمة التاريخية المؤسسة على هذه العقيدة وتلك القيم ، غير أن أهم هذه الخصائص أربعة هي :

أ) أنها أمة التوحيد الخالص : توحيد الألوهية لله تعالى وتوحيد الربوبية الذي يجرد الناس من خصائص الألوهية . وتوحيد الأسماء والصفات الذي يتيح للإنسان التطلع إلى آفاق الجمال في الأخلاق والصفات (صفات الجمال) ، فيستزبد منهما دون أن يتجاوز طبيعته البشرية التي تقصر به عن مسؤولية الاتصاف بصفات الجلال . وهذا التوحيد الخالص لا ينفذ إليه إلا بدوام القراءة في كتاب الله المسطور (الوحي) وكتاب الله المنشور (الكون) .

المسلم داخل المجتمع الإسلامي . وعلى هذا كانت حقوق المسلم على المسلم من الاتساع ، بحيث تمتد إلى كافة صور الحياة الاجتماعية ، ومن ثم فإن فرص بقاء الصلة بين أفراد المجتمع الإسلامي أكبر من أي فرص أخرى في ظل قيم مخالفة . ذلك أن طبيعة الالتزام الديني في الإسلام نفسه تفرض دوام اللقاء مما يسمح بتوطيد الصلات : «الصلوات الخمس في المسجد ، السلام آخر كل صلاة ، على مستوى الجوار ؛ الاجتماع الأسبوعي في صلاة الجمعة على مستوى الحي ؛ الاجتماعات السنوية في صلاة العيدين بالمصلى على مستوى المدينة أو القرية ؛ اجتماع الحج العالمي الذي يجب على القادر حضوره ولو مرة واحدة في حياته على مستوى الأمة الإسلامية» .

وكلما ضاقت الدائرة الاجتماعية إلا وكان الحرص على توطيد العلاقة أكبر . فالبناء الاجتماعي في الإسلام مؤسس على قواعد الرحم والقربة والجوار . وهي العلاقات القاعدية في أي بناء اجتماعي مترابط وسليم ، «الجيران ثلاثة ، جار له حق واحد ، وجار له حقان ، وجار له ثلاثة حقوق . فالجار الذي له ثلاثة حقوق ، الجار المسلم ذو الرحم ، فله حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم . وأما الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الإسلام . وأما الذي له حق واحد فالجار المشرك» الحديث . (رواه البزار وأبو نعيم)

هذا إلى جانب ما هو ملقى على المجتمع من مسؤوليات الإصلاح بين المتخاصمين في شتى المستويات ، كما هو الحال مثلاً في «الإدارة الاجتماعية» للخلاف الزوجي عبر الحكمين «وَأِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا» (النساء: ٣٥) . وتأسيساً على ما سبق من اتساع مفهوم الانتماء للأمة الإسلامية ليشمل معنى «الانتماء الحضاري» الذي تؤسسه الحياة والقيم الاجتماعية المشتركة ، ووحدة التجربة التاريخية للأفراد داخل مجتمع واحد حتى وإن كان من بينهم أقلية لا تدين بدينهم ، فإن انتماءها للأمة يكون بصلة الثقافة والحضارة الإسلامية التي مثلت إطاراً للحياة المشتركة بينها وبين الأغلبية المسلمة ، ولعلا تستدرجنا الأمثلة التاريخية المتراكمة لسيل من المواقف التي جسدت الأساس الاجتماعي المتين لحياة هؤلاء جميعاً ، ضمن إطار الأمة الجامع . . . فإننا نعتصم بالأصل «الثقافي» للحياة الاجتماعية على هذا الصعيد ، من خلال ميزان التعامل الإنساني المقرر بجلاء في القرآن الكريم : «لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» (المتحنة: ٨) . ودلالة اللفظين : «تبروهم» (البر: قمة الإحسان في المعاملة) و «تقسطوا إليهم» (القسط: قمة العدل) مؤكدة للمعنى الذي نشأت عنه التجربة

(ب) أنها أمة العلم: بدليل أن أول ما نزل من القرآن على النبي ﷺ لم يكن: «اعمل» ولا «جاهد» بل ولا حتى «اسجد» أو «اعبد»، إنما كان قول الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (علق: ١). فالقراءة هي مبتدأ الوحي والمدخل إلى إدراك قيم الأمة وتصورها والوسيلة التي تتجدد بها معاني الدين في نفس الإنسان وعلاقته به (قراءة القرآن). ولأنها كذلك فقد أجمل القرآن رسالة النبي ﷺ في قوله سبحانه ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الجمعة: ٢).

(ج) أنها الأمة الحافظة لتراث النبوات: انطلاقاً من المعنى القرآني الذي يشير إلى القرآن كمصدق لرصيد الوحي في الرسائل السابقة، ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ ثم أوردنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾ (فاطر: ٣١-٣٢).

(د) أنها أمة الحوار: فطبيعة المرجعية التي توجهها طبيعة حوارية، ذلك أن القرآن الكريم هو في أحد وجوهه كتاب منهج الحوار بامتياز، ليس لأنه أورد حوارات الأنبياء مع أقوامهم كعناصر عبرة وتدبر فحسب، بل لأنه اتسع لذكر القول المخالف، وهو قول يحكم المنطق القرآني عليه بالتهافت دون أن يكون ذلك مانعاً من إيراد على لسان أصحابه قبل الجواب بالدليل الناصع والحجة البالغة، وفي القرآن نماذج كثيرة لهذا الخطاب «سيقول السفهاء...»، ويقول الذين كفروا...، إذا جاءك المنافقون قالوا...». ثم إن مبدأ الإقرار لكل بما عنده من الحق كائناً من كان قائله سمة أخرى من سمات الخطاب القرآني. وعلى هذا كانت الأمة الإسلامية مدعوة إلى أن تجادل غيرها بما هو فوق المنهج والأسلوب الحسن (بما هو أحسن) ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥).

لا شك أن تلك الخصائص وتلك الأسس قد ضمنت للأمة قابلية عجيبة للبقاء عبر مراحل التاريخ، رغم إرادات الإفناء والقتلاع الهائلة التي قوبلت بها، وهجمات الإبادة التي قل أن عرف التاريخ لها مثيلاً وليس آخرها الهجمة الاستعمارية الشاملة على كل مقومات حياتها مادية كانت أم معنوية. ومن هنا تبدو الأهمية الحاسمة لتلك الأسس والخصائص بالنسبة للأمة الإسلامية اليوم في ظل التحديات الجسام التي لا زالت تواجهها، بل التي باتت اليوم تتخذ منحى تصاعدياً، لا يضمن معه نجاح التحدي إلا بإعادة إنتاج القيم التي ضمنت لهذه الأمة البقاء ماضياً وحاضراً، وهي كفيلة بأن تضمن لها الخلود مستقبلاً. ﷻ

* مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية - وجدة / المغرب.

الفرس البنين

أصبحت ينسبها بعد ما ارتحل فارس

حالي وحالتي عزه بملأ القلب

أتعربا ترى تلبي، الأسطورة المحلوة؟



(٨)

حرام

حسين الأميري *

أشهر الأديبة المعاصرين
عندنا الجازي والنجار، عندنا خليل
عندنا جبران، عندنا كمال
والآن هذا أحمد رجب الذي يطلق
جميع الفاعلين إلى الشهاد، أكتب
بعضهم على رجليه مقلدا الأرض،
ثم جعلت قطعة قماش مائة
تطوف من حنطة إلى حنطة

روح وطنين

لقد لثمت شفاههم الترابا
ولثمت شفاههم الترابا
رحلت إلى الضياء وقد أقاموا
وما سيان قلب مطمئن
ولي بالمصطفى نسب عريق
إذا ما جئت روحته بقلب
ونار العشق تستعر استعارا
فقد بلغت إربك دون شك
فيا قلبي الحزين إذا ادلهمت
فيم شطرن نور حمدي
إذا اعتزلت جوانحنا الخطايا
ولولا ما تلالا من (حراء)
لما طرد الظلام عن الحيارى
فتور يا إلهي من سناها
وخلف ما تقدم من خطايا
وإن تكن الذنوب تكتنفه
فمنك برحمة وجميل فضل

كؤوس الحزن

أنا في مجمع البحرين أتلو
وقلبي في (حراء) له أزيز
من الفرقان آيات عجايبا
يقت رجعه الصم الصلابا

(لو انزلنا) دليلك يا فؤادي
وللعشق الجازي الشهاب
رسن جري
وللبرق الجازي اصطخاب
وللحسن الشرازي انتساب
وقد طرقت يد الألفاف قلبي
يزل العبد ثم له مآب
وقد صيرت دمع القلب بحرا
ها رباه أنضيت المطايا
لما أدركت من وطري نقيرا
كأنني كنت أحرث في بحار
ألم تر أنني أنفقت عمري
فكم ليلى اصطفت وكم سعاد
فلما صوح الورد استنبات
وقلت لمن بسطت لها يميني:
فلما جئت وردك لم يزدني
أقبالا وإدبارا، وبردا
ويا نفسي التي أترعت حزنا
كؤوس الحزن أعذب من كؤوس
ولسع السيف أهون من جحيم
وما الحسرات إلا في المعاصي
وفي الطاعات نور ليس يفنى

طرفت ببادر الدنيا اختلاساً ودقت طعامها شهداً وصبا
فلم أر مثل دحرك أنت دحراً ولم أر غير بابك - رب - بابا
أنلني يا عظيم العفو عفسوا فإن الدنب أوسعني عقابا
تفر الشامخات ولا قـراراً لعبد خاف من غده الحسابا

سريحة مالك

أنا بمدارج العشاق فذاً كهمس المزن ينصب انصبا
أرى العشاق يصطرحون حولي سكارى ما تحير لهم جوابا
ولي من نشوة الصحو احتراق أذاب القلب واصطم الإهابا
كأن هدير أوقيانوس وجدر تغفل في الحشا لما أهابا
أتاني من شميم عرار نجد خطاب، يفتدي دمي الخطابا
له من أبجديات المعاني حروف تمح القلب الشبابا
أتاني والصواعق مرسلات كأنك شاحذ ظفرا ونا
وعصف الرياح يقتلع البرايا كما أعددت للحرب الحرابا
أتاني فالربيع له انطلاق يغنيك (الليالي) و(العتابا)
فيا أكرومة الحين رفقا وراك الله سهماً قد أصابا
وبلغك المكارم سابغات ولقاك النعيم المستطابا
خلقت أميرة تطأ الثريا محاسنها منعمة كعابا
لماذا أنت هادئة شهودا لماذا أنت عاصفة غيابا؟
فهل أشتط يوماً في دعائي وأستسقي رحيقك والملابا؟
وأطمع في ثيابك سندساً ومن بستانك الخضر الرطابا؟
وتلك الكأس تشرق في يميني سنا الإيمان يعلوها حبابا
وما لي حين أهتف باسم ليلي يقول الناس شيخ قد تصابي؟
كأن لم يهتف العباد قبلاً وقسّ لم ير العشق اللبابا

لئن كسيت قد كنى ابن نور وإن صرحت فالجنون قبلي
ومن شرف الهوى أني صريح أخاف يزل إن أنطق لساني
بذلت الروح في الغمرات حباً ولم أطلب على الحب الثوابا

فجاء دعاوك الموفور سيباً ندياً يبعث الأرض اليبابا
لماذا جئني والقلب عارٍ وثوب العمر ينتهب انتهابا؟
يدكرني جمالك حين يدو جنان الخلد مونة رحابا
وضوء الشمس خلف الغيم أبهى وأعذب وهو يسكب السكابا
ويحملني سنك إلى سناها ويكشف دون غرقتها النقابا
تحدّر مزك الفواح طيباً سماوياً ولم يعرف سحابا
وشمس الحق من فرديك راحت تضيء بأمر باريها الهضابا
كطيف يمامة عبرت قرونا إليك ممالك العشق انسيابا
لئن آنت عند حماك وردا لقد لاقيت من نصي نصابا
فقل لابن الملوّح وهو يتلو من الصبوات شعرا مستطابا
إذا ما العشق لم يبلّغك داراً منعمة غدا عشقا كذابا
وقل للعامة حيث حلت وقد لبست من التقوى ثيابا
سيل النور أنت بدون شك ومن ينصر حقائقه استجابا
فسبحان الذي سواك سرّاً عن الخطرات والأذهان غابا
خديجة كانت الدرع الموقى وكان لمريم التقوى حجابا
وللزهرء سرّاً حمديّ دم السبطين صار له جرابا
وكان مدينة للعلم طه وكان المرتضى للعلم بابا

إستانبول: ٣١ يوليوز ٢٠٠٥ / ٢٥ جمادى الآخرة ١٤٢٦ .

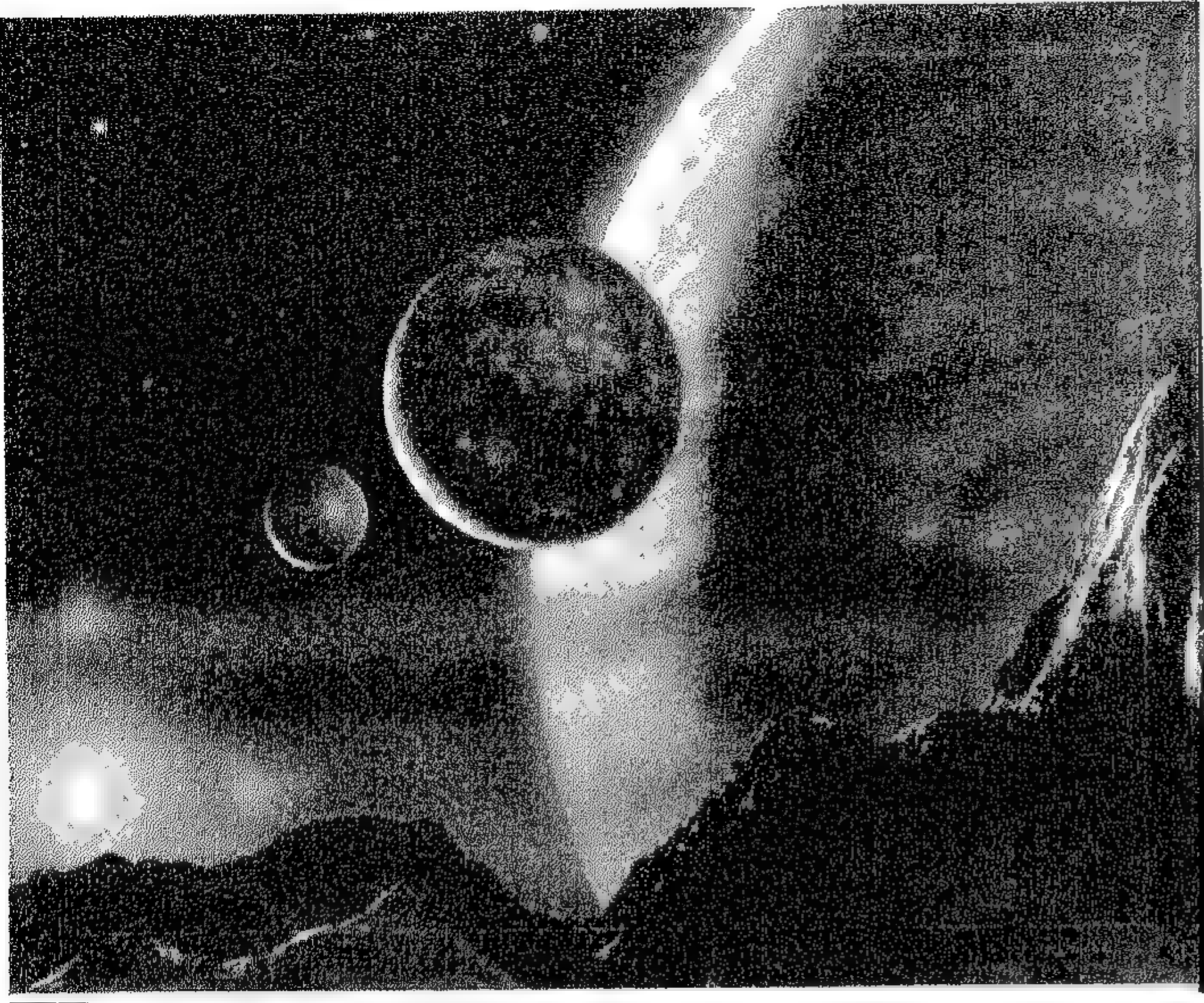
* رئيس تحرير مجلة المشكاة - المغرب .



أورخان محمد علي *

قدم العالم وأجاب على جميع المشاكل المثارة حول مدة الترك، أي الفرق الزمني بين الأزل وبين بدء خلق الكون، فقال بأن الكون حادث وأنه لم يكن قبله زمان، أي أن الزمان والمكان بدأ بعد خلق الكون، لأن الزمن مرتبط بالحركة، ولو تصورنا أن كل شيء في الكون قد سكن وتوقف إذن لتوقف الزمن، أي لم يعد هناك زمان. وهكذا فمن الخطأ توهم وجود زمان قبل خلق الكون. وقد كان هذا الحل حلاً عبقرياً يشير إلى القدرة العقلية الكبيرة للغزالي رحمه الله. وعندما أشارت نظرية النسبية إلى أن الزمن بعد رابع كان من البديهي عدم وجود الزمن في عالم لم تخلق بعد أبعاده الأخرى. لا نريد هنا أن ندخل في تفاصيل فلسفية قد يسأم منها القارئ الاعتيادي ولا يستسيغها. ولكننا نريد أن نشير هنا إلى آخر نظرية علمية حول مولد الكون وكيف أنها أثبتت بأدلة علمية بأن الكون حادث وأنه ولد قبل كذا مليار سنة. والحقيقة أن اكتشاف الإنسان لظاهرة الإشعاع كان أول ضربة لنظرية أزلية المادة. فما دامت الشمس وجميع النجوم الأخرى مشتعلة

هذا الكون الشاسع والواسع الذي لا يرى الإنسان له حدوداً... هذا الكون المثير كان محط تساؤل الإنسان وإعجابه وفضوله وإجلاله منذ القديم. وكانت الأسئلة المثارة في ذهنه حوله كثيرة وصعبة: فكيف ظهر هذا الكون إلى الوجود؟ وما عمره؟ أحادث هو أم قديم وأزلي؟ وهل يمكن أن يكون هناك أزليان: خالق أزلي وكون أزلي؟ وهل تقدم الخالق على الكون تقدم في الزمان أم تقدم في العلية أي تقدم العلة على المعلول؟ هذه بعض الأسئلة التي كانت محل نقاش بين الفلاسفة المؤمنين بمئات الأعوام. أما الفلاسفة الملحدون فكانوا يدعون أن الكون لا يحتاج إلى خالق لأن المادة أزلية، أي وجدت من القديم، أي كانوا يضيفون إلى المادة إحدى صفات الخالق وهي صفة الأزلية. لذا كان من ضمن قوانينهم الفيزيائية: «لا يمكن خلق المادة من العدم، كما لا يمكن إفناء المادة». ولكن الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله كان أول من حل مشكلة



وتبعث الإشعاعات، إذن فلا بد من وجود بداية لها، لأنها لو كانت أزلية لنفد وقودها منذ مليارات السنوات. ولكن العلماء الملاحدون تناسوا هذه الحقيقة الظاهرة لكل عين واستمروا في الدفاع عن كون أزلي لا يحتاج إلى خالق... كون نشأ في كل هذا النظام والدقة الرائعة وصور الجمال عن طريق صدف عشواء وعمياء. وكانت نظرية الكون المستقر التي كانت هي النظرية المقبولة في الأوساط العلمية حتى منتصف القرن العشرين تقول بأن الكون ساكن وهو لانهائي في الزمان والمكان.

كان هذا النموذج للكون يريح الفلاسفة الملاحدين ويقدم لهم سندا علميا، أو في الأقل لا ينقض أهم دعوى عندهم وهي أزلية المادة.

لو شغلنا الفيلم عكسيا، أي إلى الوراء، فمن الضروري أن الكون كله كان متركزا في السابق في نقطة واحدة أطلق عليها العلماء اسم «الذرة البدائية» أو «الحساء الكوني».

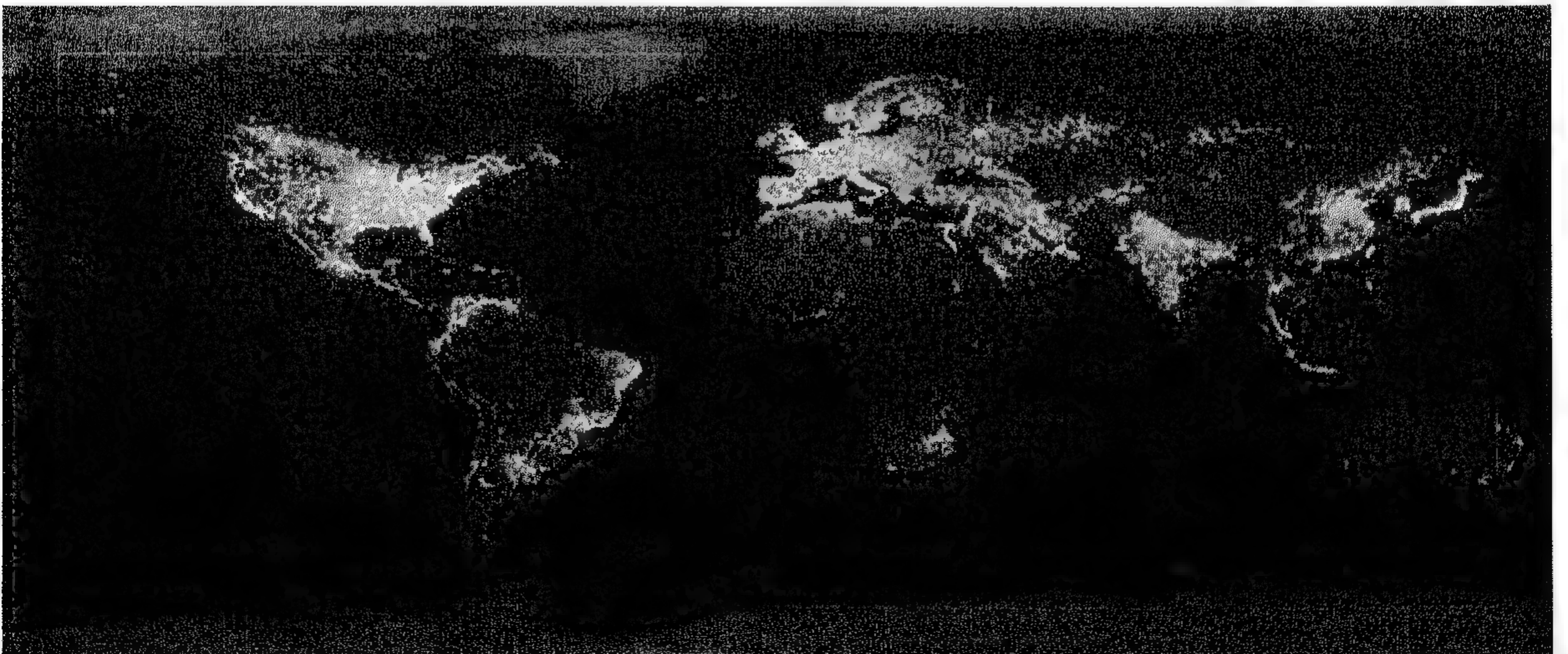
ولكن أي قوة تقوم بقذف مائة مليار مجرة بسرعة جنونية مبعدة الواحدة عن الأخرى وموسعة الكون نتيجة هذا التباعد السريع؟ لا يمكن أن تكون قوة الجاذبية أو قوة التنافر الكهربائي بين الأقطاب المتشابهة هي هذه القوة. فقوة الجاذبية قوة تحاول جذب الأجرام السماوية نحو المركز وليس إبعادها نحو الخارج. كما أن قوة التنافر الكهربائية أضعف بكثير من القيام بمثل هذه العملية. ونظرا لوجود تعادل كهربائي في الكون، فمثل هذه القوة لا وجود لها تقريبا بين الأجرام السماوية.

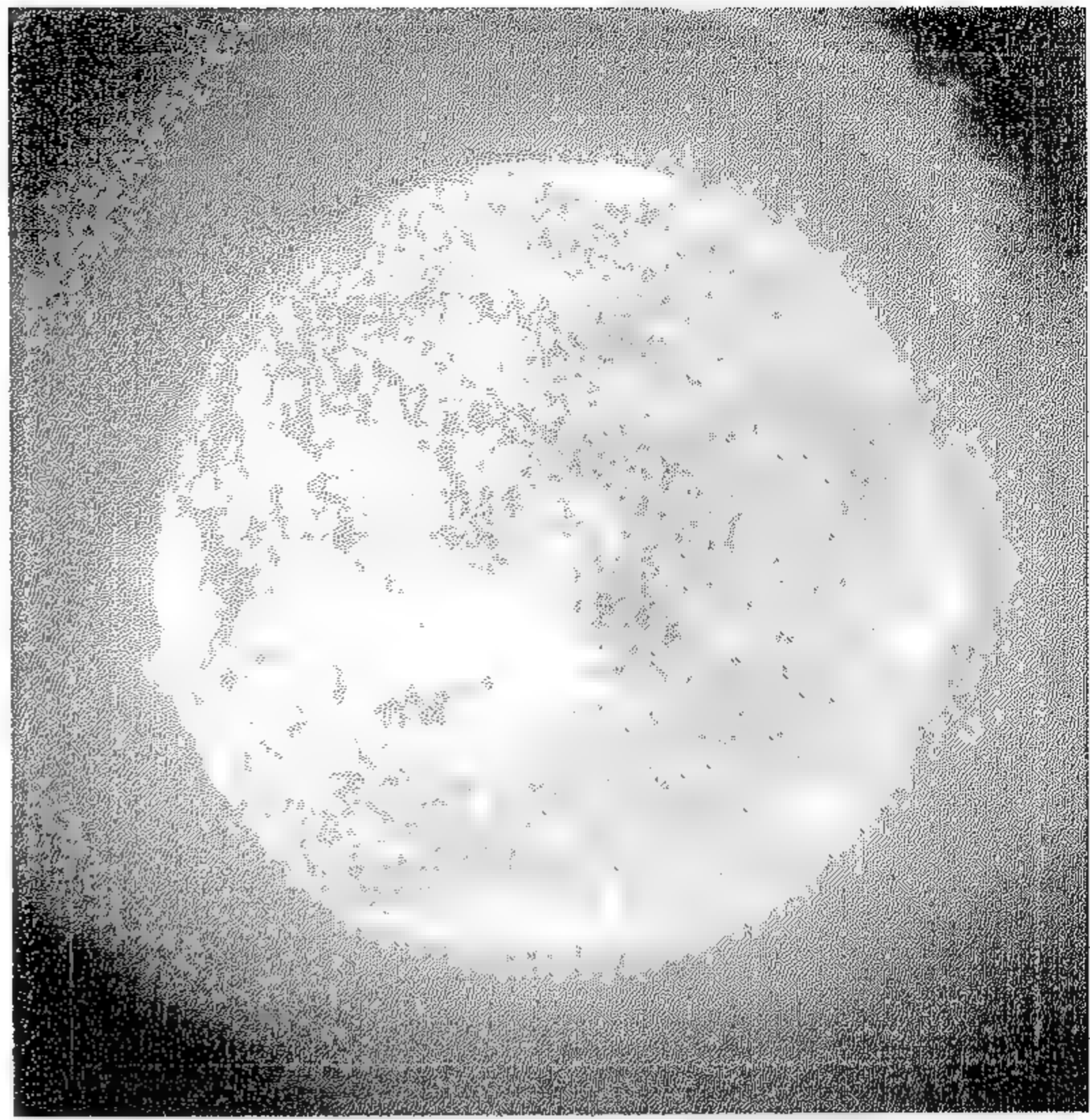
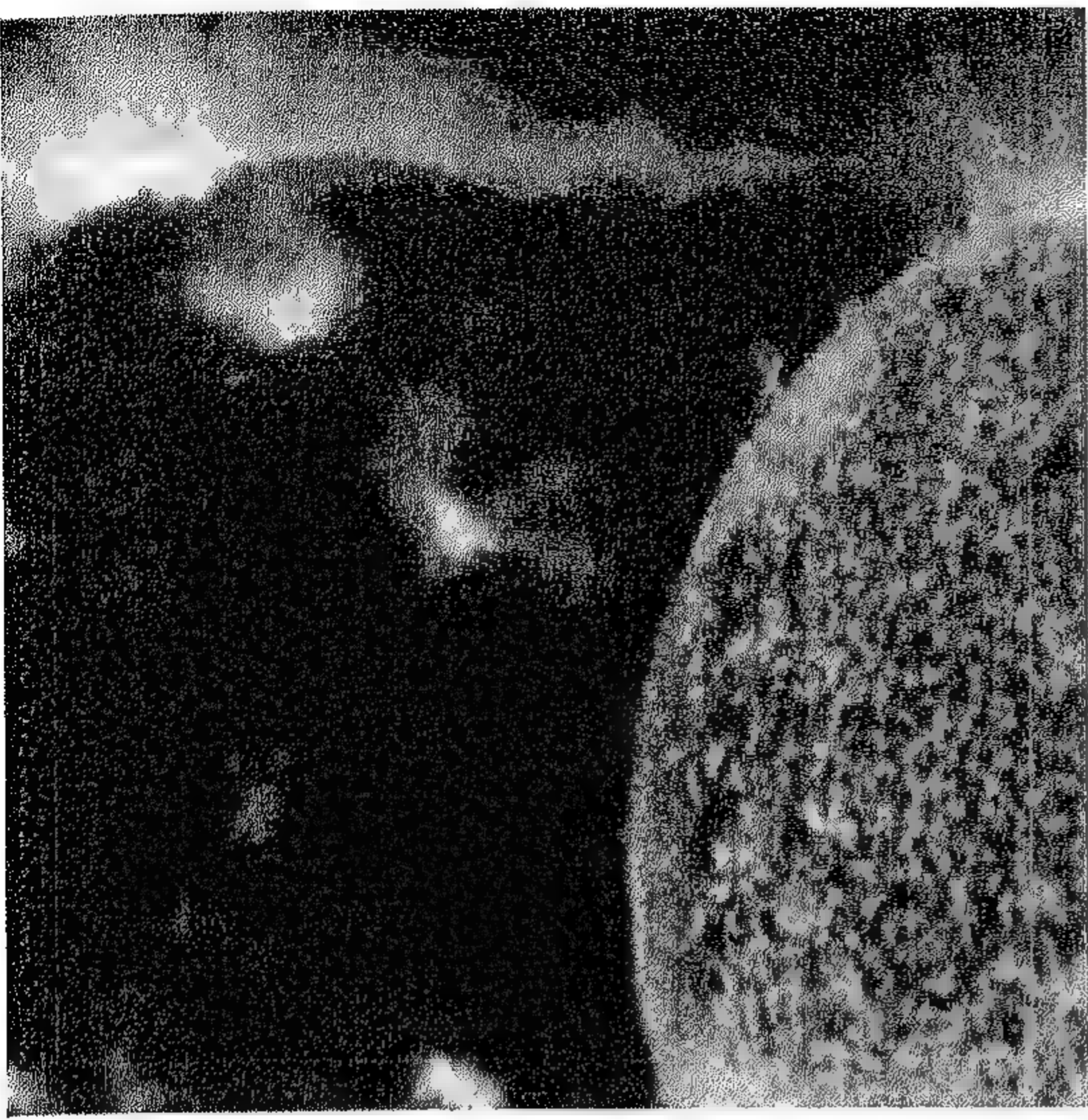
إذن فلا بد أن انفجارا هائلا حدث عند ميلاد الكون هو الذي أدى إلى توسع الكون. وقد أطلق العلماء على هذا الانفجار اسم «الانفجار الكبير». وبعد إجراء بعض التعديلات على نظرية الانفجار الكبير فإن الصيغة الحالية لها باختصار هي: «إن انفجارا هائلا وقع في

ولكن علم الفيزياء كان يقدم وسيلة مهمة في معرفة العديد من خصائص الأجرام السماوية والنجوم بواسطة تحليل طيف الأضواء المنبعثة من هذه النجوم. ومن هذه المعلومات أن طيف ضوء النجم المبتعد عنا ينزاح نحو اللون الأحمر، أما طيف النجم المقرب إلينا فينزاح نحو الأزرق. وقد كشف «فاستو مالفن سليفر» عام ١٩١٣م أن بعض الأجسام التي كان يعتقد سابقا أنها غبار كوني تبتعد عنا بسرعة ١٨٠٠ كم/ثانية. وكان هذا الاكتشاف مفاجأة كبيرة للعلماء، ولم تكن تلك الأجسام إلا مجرات بعيدة عنا. ثم أعلن «أدوين هابل» عام ١٩٢٩ قانونه المعروف: «إن المجرات تبتعد عنا بسرعة تتناسب طرديا مع بعدها عنا».

وقد تبين فيما بعد أن المجرات لا تبتعد فقط عنا، بل هي تتباعد فيما بينها كذلك. وكان هذا يعني أن الكون يتوسع على الدوام مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءُ بَنِينَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (الذاريات: ٤٧).

إذن فقد تغيرت صورة الكون عن الصورة السابقة التي كانت تقدمها نظرية «الكون المستقر». وما دام الكون في توسع دائم، إذن





ولا تكمن أهمية نظرية الانفجار الكبير في الجانب العلمي والفلكي فقط، بل لها تداعيات وإشارات فلسفية مهمة جدا يمكن أن تكون أكثر أهمية من الناحية العلمية والفلكية. فهذه النظرية سحبت سلاحا أو قل عذرا قويا كان يستند إليه الفلاسفة والمفكرون والعلماء الملحدون، لأنها أنهت أسطورة «أزلية المادة وأزلية الكون». فلكون بداية وله عمر محدد يقوم العلماء بحسابه. لقد نبذت فكرة أزلية المادة وأزلية الكون من الأوساط العلمية أخيرا.

وقد امتنع العديد من العلماء والفلاسفة الملحدون من هذه النظرية. فمثلا يقول الفيلسوف الملحد «أنطوني فلوف»: «يقولون إن الاعتراف يفيد الإنسان من الناحية النفسية. وأنا سأدلي باعتراف؛ إن أنموذج الانفجار الكبير شيء مخرج جدا بالنسبة للملحدون، لأن العلم أثبت فكرة دافعت عنها الكتب الدينية... فكرة أن للكون بداية».

ويقول العالم «دونيس سكايما» - وكان من أشد أنصار نظرية الكون المستقر - وهو يدي أسفه على انتصار نظرية الانفجار الكبير: «لم أدافع عن نظرية الكون المستقر لكونها صحيحة، بل لرغبتني في كونها صحيحة. ولكن بعد أن تراكمت الأدلة فقد تبين لنا أن اللعبة قد انتهت، وأنه يجب ترك نظرية الكون المستقر جانبا».

نعم، المادة حادثة وغير أزلية والكون له بداية. إن ثبوت هاتين الحقيقتين يدل على الخلق وأن الكون خلق من قبل الخالق، إلا أن طبيعة هذا الانفجار الكبير أضاف أدلة أخرى على أن الكون خلق بتقدير دقيق ونظام رائع. ذلك لأن أي انفجار لا يكون إلا مخربا وهادما ومشتتا ومبعثرا للمواد، ولكن عندما نرى أن انفجارا بهذا العنف وبهذا الهول يؤدي إلى تشكيل وتأسيس كون منظم غاية النظام، فإن هناك إذن وراءه يد قدرة وعلم وإرادة وتقدير لانتهائي فوق الطبيعة. ولم يقتصر عمل الانفجار الكبير على تكوين المجرات

هذه الذرة البدائية التي كانت تحتوي على مجموع المادة والطاقة. وفي اللحظات الأولى من الانفجار الهائل ارتفعت درجة الحرارة إلى عدة تريليونات حيث خلقت فيها أجزاء الذرات، ومن هذه الأجزاء خلقت الذرات، ومن هذه الذرات تألف الغبار الكوني الذي نشأت منه المجرات فيما بعد».

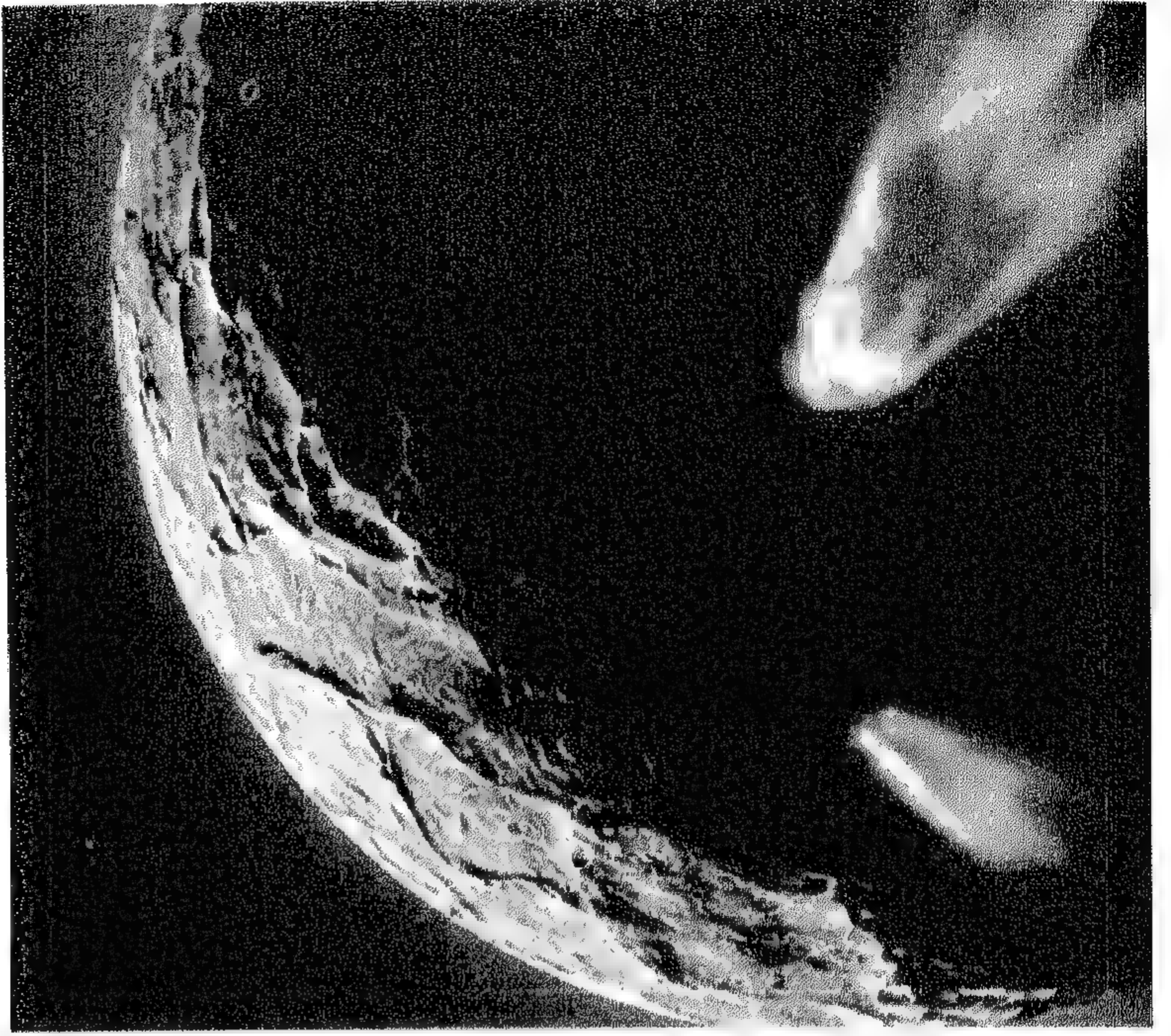
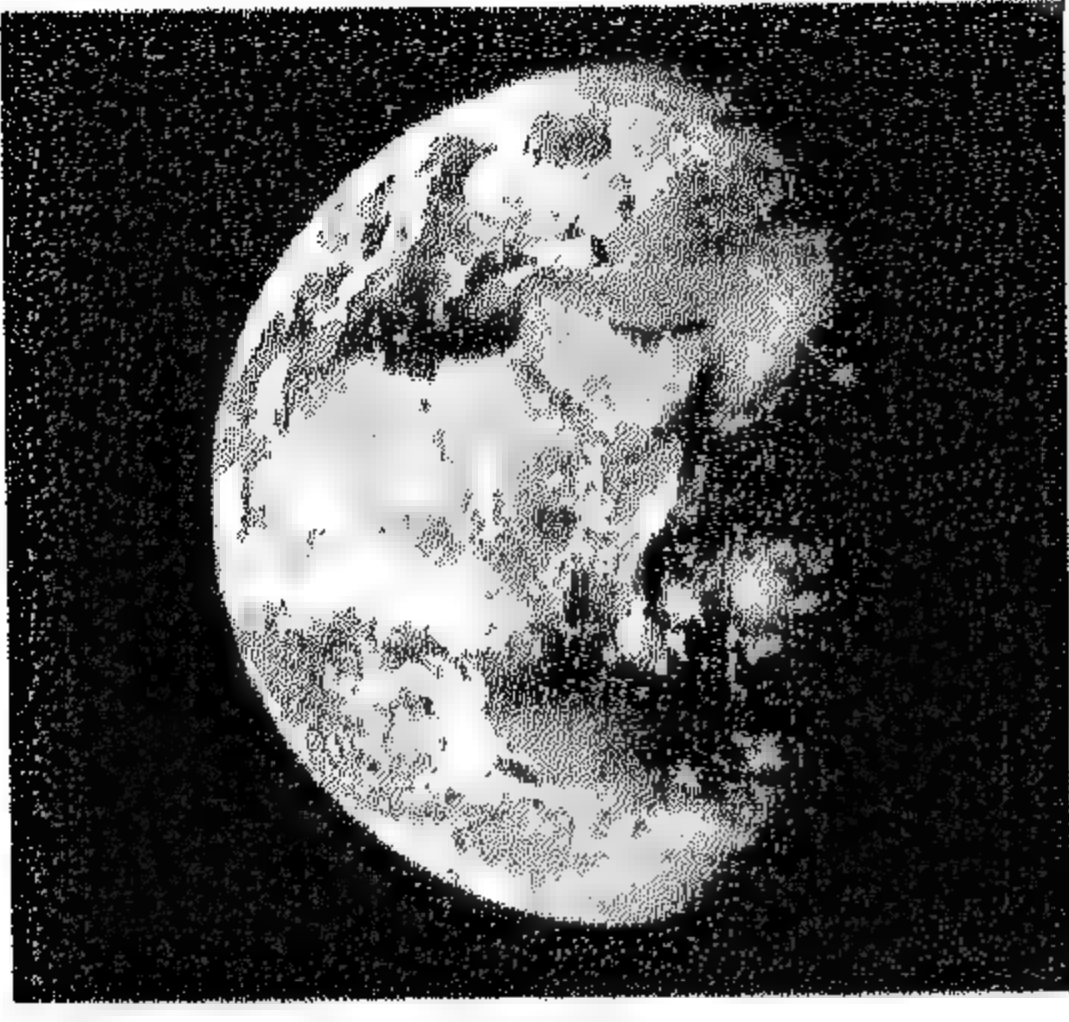
والحقيقة أن وجود «الذرة البدائية» أو «الحساء الكوني» تخمين قدمه بعض العلماء، بينما قال علماء آخرون بأن بداية الكون كانت نقطة حجمها صفر وكتلتها لانتهائية. وليس مفهوم «كتلة حجمها صفر» إلا تعبيراً آخر عن العدم، أي أن الكون خلق من العدم.

متى حدث الانفجار الكبير؟

لا يوجد رقم قطعي في هذا الخصوص. ولكن إذا تذكرنا أن «ثابت هابل» لمليون سنة ضوئية هو ١٥,٣ كم/ ثانية حصلنا على رقم ٢٠ مليار سنة. ولكن علينا ألا ننسى بأن سرعة توسع الكون وتباعد المجرات ليست ثابتة وأنها كانت في السابق أسرع، لذا فإن تاريخ الانفجار في الأغلب كان قبل ١٥ مليار سنة تقريبا. وهذا هو الرأي المرجح حاليا.

من الأدلة المهمة على نظرية الانفجار الكبير هو وجود الإشعاع الكوني. فقد قال العلماء بأنه لو كان هناك مثل هذا الانفجار لكان من الضروري أن يخلف وراءه إشعاعا. وفعلا تم العثور على هذا الإشعاع عندما أرسلت مؤسسة «ناسا» الأمريكية لأبحاث الفضاء قمرا صناعيا لغرض التثبت من هذا الإشعاع عام ١٩٨٩م وزودته بأحدث الأجهزة الحساسة. واحتاج هذا القمر الصناعي لثمانى دقائق فقط للعثور على هذا الإشعاع وقياسه.

دليل آخر على هذه النظرية هو أن مقادير ونسب وجود غازي الهيدروجين والهيليوم في الكون تتطابقان مع حسابات هذه النظرية. ولو كان الكون أزليا لاحترق جميع الهيدروجين وتحول إلى غاز الهيليوم.



ماذا نستنتج من كل هذه الشواهد والمعلومات العلمية؟
يشرح «بول ديفز» النتيجة الحتمية لهذه الدلائل والتي لا تقبل النقاش فيقول: «إن من الصعب جداً إنكار أن قوة عاقلة ومدركة قامت بإنشاء بُنية هذا الكون المستندة إلى حسابات حساسة جداً. إن التعييرات الرقمية الحساسة جداً والموجودة في أسس الموازنات في الكون دليل قوي جداً على وجود تصميم على نطاق الكون».

أما العالم الفيزيائي المشهور «ستيفن هوفكن» فهو يتناول في كتابه «التاريخ المختصر للزمن» الدقة المذهلة الموجودة لسرعة توسع الكون في الثانية الأولى الحرجة من الانفجار الكبير فيقول: «إن سرعة توسع الكون سرعة حرجة جداً إلى درجة أنها لو كانت في الثانية الأولى من الانفجار أقل من جزء واحد من مليون \times مليار جزء لانهار الكون حول نفسه قبل أن يصل إلى وضعه الحالي».

إذن هذا هو مبلغ الدقة المذهلة في تنظيم هذا الانفجار الكبير وفي تصميم سرعته. والنتيجة الحتمية التي يصل إليها عالم الفلك الأمريكي «جورج كرنشتاين» في كتابه «الكون التكافلي» هي: «كلما دققنا الأدلة واجهتنا على الدوام الحقيقة نفسها، وهي أن هناك قوة عاقلة فوق الطبيعة تدخلت في نشوء الكون».

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (إبراهيم: ١٠) ﴿سَتَرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾

(فصلت: ٥٣). ﴿﴾

* كاتب وباحث تركي.

بكل ما تحتويها من مليارات النجوم والكواكب والأقمار والمذنبات والأجسام الكونية الأخرى السابحة في الفضاء بكل نظام، بل عمل أيضاً على تشكيل كوكب وهو أرضنا هذه التي توفرت فيها مئات بل آلاف العوامل الدقيقة والمتداخلة بعضها مع البعض الآخر لكي تكون صالحة لحياة الملايين من الأحياء وعلى رأسها الإنسان. وإلى هذا يشير العالم البريطاني المشهور «فرد هويل» عندما يقول: «تقول نظرية الانفجار الكبير بأن الكون نشأ نتيجة انفجار كبير. ولكننا نعلم أن كل انفجار يشتت المادة ويبعثرها دون نظام. ولكن الانفجار الكبير عمل عكس هذا بشكل محفوف بالأسرار، إذ عمل على جمع المادة معا لتشكيل المجرات».

من أهم أسرار هذا الانفجار الكبير هي السرعة الحرجة التي وهبت لهذا التوسع الكوني عقب هذا الانفجار. وإلى هذا يشير العالم البريطاني المعروف «بول ديفز» عندما يقول: «لقد دلت الحسابات أن سرعة توسع الكون تسير في مجال حرج للغاية. فلو توسع الكون بشكل أبطأ بقليل جداً عن السرعة الحالية لتوجه إلى الانهيار الداخلي بسبب قوة الجاذبية. ولو كانت هذه السرعة أكثر بقليل عن السرعة الحالية لتناثرت مادة الكون وتشتت الكون. ولو كانت سرعة الانفجار تختلف عن السرعة الحالية بمقدار جزء من مليار \times مليار جزء لكان هذا كافياً للإخلال بالتوازن الضروري. لذا فالانفجار الكبير ليس انفجاراً اعتيادياً، بل عملية محسوبة جيداً من جميع الأوجه وعملية منظمة جداً».

لفحة النار

أشرف أونن *

بسكتة قلبية، أو قد يفقد عقله ويصرخ كالمجنون. آه ليته يجن، الجنون أفضل شيء في مثل هذا الموقف، إذن ينجو من عذاب نار التفكير المتأججة في دماغه.

وتذكر لدغ الحرارة عندما كان يخرج الأرغفة من الفرن المضطرم، ذلك القدر من الحرارة فقط لم يكن يطيقه فيلقي بالأرغفة من يديه فوراً. ولكن ها هو سيشوى الآن حياً.

قبل بضعة أيام بينما كان يغلي شايًا على موقد صغير مع زملائه مست يده طرفاً من الحديد المحمر كالجمر، يا إلهي، كم كان الألم فظيعاً وكيف انتفخت أصابعه بسرعة، فأسرع بوضعها في الماء البارد لمدة طويلة عله يخفف من آلامه. أما الآن، فلن يحترق أصبع أو أصبعان بل كل جسده وكل ذرة في جسده. تمثلت أمام عينيه مشاهد من بعض الأفلام، رجال وقد اشتعلت فيهم النار تأكلهم وهم يتلوون بمئة ويسرة ويسقطون على الأرض دون جدوى ويصرخون بجنون ويستغيثون حيث لا مغيث.

كأن الحرارة ارتفعت... هل ضغط الرجل على مفتاح الفرن حين أغلق الباب يا ترى؟ وإلا لماذا ارتفعت حرارة المكان هكذا؟ يا إلهي! هل حانت اللحظة الفظيعة؟! نظر إلى ساعته مرة أخرى، النصف بعد الواحدة ليلاً... كيف مضت ساعتان بهذه السرعة؟ مضت الدقائق كالريح الجارية، كالعمر تماماً. مد يده إلى الجدران الحديدية بخوف ولمسها بأنفاس متلاحقة وقلب يكاد يفر من مكانه. تنفس الصعداء... ما زال الحديد بارداً.

حملته خواتمه إلى المنزل، لا شك أن زوجته وولده الوحيد قلقان الآن بشأنه. لماذا صرخ بوجه زوجته قبل أن يغادر المنزل، هل استحقت ذلك يا ترى؟ كان عليه أن يكون أكثر رقة لرفيقة حياته. ليت له لم يصرب ولده الوحيد. لا ريب أنه مسؤول عنهما أمام الله وسيؤذي حسابهما أيضاً. ليت فعل ما أشارت إليه زوجته حين قالت له: «أتوسل إليك أن تصلي يا عزيزي» لكنه رفض محتجاً: «دعينا نستمتع بالحياة، ما لنا والمصلاة في ربيع حياتنا؟» كأن الإنسان سيحاسب عن مرحلة الشيخوخة فقط وليس عن العمر كله. لماذا لم يذهب إلى المسجد الذي يقع على طريقه؟ ألم يسبح مرات ومرات المؤذن وهو يعلن من

كان حكمت عاملاً مجتهداً في مخبز البلدية، وكان آخر من يغادر المخبز غالباً. كان فرن المخبز كبيراً يحتاج في بعض الأحيان إلى تنظيف، وكثيراً ما يقوم حكمت بهذا العمل.

كان اليوم الأخير لأحد الأعياد. غداً تنتهي العطلة الرسمية وتعود البلدية لبائع الخبز من جديد. ذهب حكمت في ساعة متأخرة من الليل إلى المخبز لينظف الفرن الرئيسي. دخل المخبز وقفل الباب الخارجي، سينظف الفرن ويعود إلى منزله فوراً، وعندما يأتي العمال في الساعة الرابعة فجراً سيجدون الفرن نظيفاً، فيضغطون على الزر الكهربائي لإيقاده، وما هي إلا دقائق حتى تحصل الحرارة المطلوبة بينما يكونون هم قد انتهوا من العجين وأعدوه للخبز.

كان حكمت في الفرن الرئيسي مستسلماً لعمله منفصلاً عما حوله تماماً. وفي تلك الأثناء بالضبط دخل المخبز زميله راغب ليأخذ ملبسه المتسخة للغسل. فتح الباب الخارجي في حيرة، وتتم قائلاً: «عجيب! أبلغ الإهمال إلى هذا الحد ليتركوا الأنوار مفتوحة في الداخل؟» تناول ملبسه واتجه نحو الباب الخارجي فوجد باب الفرن مفتوحاً، فدفعه برفق، ولم يهمل إطفاء الأنوار.

وما كادت الأنوار تنطفئ حتى هرع حكمت إلى باب الفرن بارتياح، لكن دون جدوى إذ كان الباب مقفلاً. أخذ يصرخ بما لديه من قوة صوت، وضرب بقبضتيه الباب بشدة ومرات متكررة بلا فائدة. لا أحد يسمع صوته ولا أحد يشعر بأنيبه وصراخه. اقشعر جلده واعتزته رجفة عنيفة وأخذته دهشة رهيبة.

لم يصح من الصدمة لمدة طويلة... نظر إلى الساعة... الحادية عشرة وخمسة دقائق... لم يبق سوى خمس ساعات فقط. خمس ساعات بين الموت وبين الموت. الموت يقف ماثلاً محدداً أنظاره النارية إليه مكشراً عن أنيابه المرعبة. ها هو سيلقى في نار جهنم قبل أن ينتقل إلى دار الآخرة. أخذ يتخيل ما سيحدث، ستتزداد حرارة الفرن رويداً رويداً، ونسيشعر أولاً بالعرق يبلل كل جسده، ثم يفقد الهواء النقي ونطبق عليه الجدران حتى تخنقه، وتكثر الحرارة وتسلط النيران ويتميز المكان غيظاً وحدة، ويأخذ دهن جسده يلوث ببطء، وتلفح أسنة النار لحمه فتشويه. ومن يدري فقد يموت قبل أن تحدث كل هذه الأمور.

أعماق قلبه عظمة الخالق ويدعو الناس إلى سبيل النجاة؟ لو أنه استجاب إلى داعي الصلاة هذه الليلة لتمكن من أداء صلاة وقت على الأقل، وإن كانت أول وآخر صلاة. ومن يدري، لعل الله يشفع له بفضل هذه الصلاة فيغفر له ذنوب الأوقات الأخرى التي أهملها طوال حياته. أما الآن فهو ذاهب إلى الله بوجه خال من نور السجود. ليتني كنت ممن تتلأئو وجوههم بنور الصلاة.

ماذا عن ولدي؟ إنه في السابعة من عمره. لماذا لم أهتم بتكوين قلبه وروحه بقدر ما اعتنيت بإشباع بطنه وإلباسه الملابس الجميلة؟ لماذا لم أوجهه توجيهًا سليمًا يثير له طريق الحياة؟ لماذا لم أنقش في قلبه حب الله ورسوله، بل لماذا نسيتهما أنا وأسلمت نفسي إلى غفلة أنستني أنني لست مخلدا في الحياة وقد أفارقها في أية لحظة؟ لماذا؟

ثم شردت به خواطره إلى صباه ثم إلى أيام شبابه، واستعرض فصل الشباب يوما بعد يوم، فلم يجد سوى الذنوب والأخطاء التي يستكرها كل قلب سليم ويستحيي منها كل عقل بصير. مرت جميع أخطائه أمام عينيه، يا إلهي، هل أحاسب على كل هذه الأخطاء؟ رياه...

لمعت في خاطره فكرة كالبرق؛ أن يتيمم في الفرن ويصلي، ولكن أين التراب؟ ليكن، ذلك أفضل من أن أذهب مسود الوجه إلى ربي، ورحمة الله واسعة. ضرب بيديه على مكان في الفرن وتيمم ووقف للصلاة. أليس هو الملاذ الوحيد الذي يلجأ إليه كل مضطر في اللحظات التي تسد فيها جميع الأبواب؟

لأول مرة في حياته يحس بأنه يتحدث إلى خالق السماوات والأرض بينما المفروض أن يرتشف الإنسان من هذا النبع في كل صلاة. ولأول مرة يدرك بعمق معنى الالتجاء إلى الله والاستعانة به وحلاوة مناجاته. وسجد حكمت لمبدع الزمان والمكان بجميع كيانه، وناجاه بصوت ملؤه الإخلاص شاعرا بعجزه اللانهائي: «يا أعظم من كل عظيم يا أرحم من كل رحيم...»

بعد أن أدى صلاة العشاء أخذ يقضي ما فاتته من الصلوات. أجل إنا لله... وإنا إليه راجعون... إنه الآن يدرك هذه الحقيقة بكل ذراته. ليت له ينسأبدا أن المصير إليه. ولما شعر بالتعب جلس وأخذ يستغفر الله بصوت حزين ودموع صادقة. وكلما أفاق من استغراقه

العميق وذكر أنه مسجون في هذا المكان الضيق شعر بأن الجدران تصب عليه نارا سوداء.

أما راغب فقد ذهب إلى بيته واستغرق في نوم عميق. لكنه فجأة انتفض من نومه، نظر إلى ساعته، الثالثة والرابع. أعوذ بالله، رؤيا مرعبة، صديقه حكمت يحترق في الفرن وسط نيران متأججة ويصرخ بصوت يمزق الأحشاء «راغب! راغب النجدة! النجدة! راغب!» ما هذه الرؤيا؟

فجأة برق في ذهنه خاطر رهيب... رياه! هل أغلق باب الفرن على حكمت يا ترى؟ هرع إلى الشارع كالريح خشية أن يكون قد فات الأوان. أدخل المفتاح بارتباك، فتح الأنوار وأسرع نحو الفرن، فتح الباب وصاح: «حكمت!» لم يسمع سوى صدى صوته. هتف عدة مرات أخرى...

كان حكمت في نفس اللحظة يصلي وسط دموع غزيرة حارة وقد غرق في عوالم علوية سماوية. فانتفض على أثر صوت راغب. كلا هذا مستحيل، لا شك أنه سمع خطأ. فدوى نفس الصوت في أركان الفرن. أجل هناك شخص ما يهتف باسمه مرة بعد أخرى: «حكمت، حكمت، حكمت...» وها هي أنوار المخبز تضيء المكان.

قام من الصلاة بفرحة غامرة وخرج من الفرن مبتهجا فرأى صديقه. انتفض راغب ذعرا وجمد في مكانه مشدوها كأنه رأى شبحا مروعا، كان يرتعد وجلا: «من أنت...؟» فتح حكمت ذراعيه ليحتضن صديقه، غير أن يديه ظلتا فارغتين، قال ودموعه تسيل: «أنا حكمت، حكمت يا رجل، ألا تراني؟ دخلت الفرن ليلا ولا أدري من أغلق علي الباب.» «كلا هذا مستحيل، لا يمكن أن تكون أنت حكمت...»

ماذا يقصد؟ ما معنى هذا التصرف الغريب؟ ما هذا الكلام، أهو وقت مزاح؟ وفجأة خطرت بباله فكرة رهيبة، هرع إلى المرأة ونظر إلى وجهه... لا، لا، لا يمكن أن يكون هذا الوجه وجهه، وهذا الشعر شعره أخذ يتحسس وجهه الشاحب المتجعّد وشعره الأشيب.

يا إلهي، لقد هبطت عليه الشيخوخة في ليلة واحدة. كان كل جسده ينتفض بنشيجه وبكائه. لم يجرؤ على النظر إلى المرأة مرة أخرى. فقد أخافه منظره الذي رآه.

لم أخص الإنسان بحقيقة الاحتراق في النار لشاخت نفوس كثيرة في لحظة واحدة. وظل حكمت هكذا ممسكا برأسه بين يديه

مستغرقا في تساؤلاته...

كانت رايحاً برقي، وهذه القصة خفيفة وقعت في إحدى مدن تركيا.

كيف يفشل الاختيار الطبيعي في التصميم

رؤية عالم رياضيات لنظرية النشوء والارتقاء عند داروين

د. البدر بن محمد بن عبد الله

(بديع الزمان سعيد النورسي)

النسخ وهو الغياب التام لأي إشارة لخالق بديع أوجد هذا الخلق، والواقع أن أي ظاهرة يمكن أن يكون لها تفسيرات متعددة، وهذه الميكانيكية القائمة على الصدفة ما هي إلا تفسير واحد من جملة تفسيرات. وفي العادة نميل إلى أن نربط بين الصدفة وعدم وجود غاية أو هدف واضح، بينما ترتبط الإشارة لخالق مبدع بالهدف من هذا الخلق، فإذا ظهر لنا أن ميكانيكية ما لا تهتم أو لا تدري ما النتيجة الممكنة للعمل فنحن نطلق عليها أنها قائمة على أساس الصدفة أو الميكانيكية العشوائية، بمعنى آخر نستعير الصدفة حيث لم يبد لنا تفضيل أي نتيجة معينة على النتائج الأخرى. وبينما تعد الميكانيكية القائمة على الصدفة تفسيراً واحداً لظاهرة ما فإننا نضعها في الاعتبار فقط حين تكون فرضية تلك الميكانيكية ذات قيمة.

أما إذا كانت الفرضية التي تضعها تلك الميكانيكية غير ذات مغزى فعلينا أن نمحوها ونبدأ في أخذ المتغيرات الأخرى في الاعتبار، وإلا

تعطي نظرية النشوء والارتقاء القائمة أصلاً على أفكار داروين تفسيراً للحياة على وجه الأرض؛ فلا مكان في هذه النظرية لخالق مقتدر حيث تقوم ميكانيكا التطور من مادة غير عضوية إلى أول شكل من أشكال الحياة ثم إلى أنواع مختلفة من الحيوانات التي تنتشر على الأرض وتقوم على الصدفة المحضة واختيار الطبيعة (محو الذرية غير المناسبة).

ويقول «داروين» في كتابه إلى «آسا جراي» -وهو عالم أمريكي متدين- أنه بسبب عدم إيمانه بأن هذا الكون وهذه الحياة قد أبدعتهما يد القادر الرحيم، وذلك لأسباب عقدية محضة وليس لأسباب علمية، فإن عليه أن يعتمد القول بأن أصل الحياة هو نتاج ما نطلق عليه الصدفة المحضة.

وبينما تمت صياغة النسخ الحديثة من نظرية النشوء تأسيساً على أفكار داروين الأصلية، فما يزال هناك جانب واحد لا يختلف في جميع

فستنقع ضحية لما يسميه الرياضي الفيلسوف ديمسكي «صدفة الفجوات»: «إن التفكير الإحصائي يجب أن يكون قادراً على إزالة الصدفة حينما يظهر أن إمكانية حدوث الحدث قليلة جداً، وإلا فستكون الصدفة هي التعليل الذي يُلتجأ إليه لتفسير كل شيء». والعلماء يقاومون بشدة استدعاء ما فوق الطبيعة في التفسيرات العلمية خوفاً من ارتكاب شيء يسمى «إله الفجوات» (وهي نظرية باطلة تستخدم الإله لتغطية الجهل بالشيء). ومع ذلك فلولا وجود قدر من التقييد على استخدام الصدفة لواجه العلماء خطر ارتكاب أمر لا يقل بطلاناً من الناحية المنطقية عن سابقه وهو ما يسميه «صدفة الفجوات» حيث يحدث أن تصبح الصدفة كالإله يتم استخدامها لتعليل الجهل. (ديمسكي: ٩٨).

ولتوضيح هذا المبدأ هيا ندرس أمثلة ثلاثة:

الأول: مقتبس من فيلم يرويه لنا مؤلفه: والحادثة هنا تتعلق بالاختناق المحتمل لشخص ما؛ ففي فيلم «النقر الحلووني» يلفت المغني الرئيسي النظر إلى أن عازف الطبلبة السابق في الفرقة الموسيقية مات مختنقاً، ويمكن لأي واحد منا أن يشهق ويبدأ في الكحة إذا غلبنا معظم الهواء المتحرك بسرعة داخل صدورنا، بيد أن حادثة كهذه ليست من الأهمية بمكان ولا نفكر فيها للحظة.

الثاني: آثار الأقدام في الصحراء: حين يرى البدوي آثار الجمل في الصحراء، لا يعزوها إلى الصدفة ولا يعتقد أن الريح شكلت تلك الآثار بالصدفة. ولكن على العكس فهو يفسر تلك الآثار أنها آثار أرجل الإبل التي مرت لتوها في هذا الطريق. وهنا احتمالية أي تفسير قائم على الصدفة ضئيلة جداً، وذلك لأن الآثار التي تسببها الرياح معلومة للأعرابي، لذا فالأعرابي يكاد يكون متأكداً أن تفسير أقدام الإبل هو الأصح حتى ولو لم يرها بنفسه.

الثالث: رواية بجانب الناسوخ (الآلة الكاتبة): تخيل أنك وجدت رواية موضوعة إلى جانب ناسوخ ويجلس بجانبه قرد. إن أحد التفسيرات التي يمكن أن يقال هنا أن القرد هو الذي كتب القصة أو أن هذه الكلمات والجمل ذات المعاني هي نتائج الصدفة المحضة. ويمكننا أن ننظر إلى هذا التفسير الذي يقوم على الصدفة من خلال فكرة أنه لم يحدث حتى الآن أن رأينا قرداً يقدر الأدب الإنساني؛ ولنعط تفسيراً يجعل من هذا التفسير أكثر احتمالية، فلنتخيل أن القرد كلما أكمل صفحة ينظر شخص فيها، وإن لم يكن لها أي معنى يلقها بعيداً. إذا افترضنا وجود كم لا نهائي من الحبر والورق وافترضنا أن القرد قد استبدل بآخر عندما مات فربما يتوقع المرء بعض أسطر من الكتابة التي لها معنى بعد آلاف الأجيال من القروء. وأثناء عملية الكتابة تتوقع أن ترى جبلاً من الورق الذي يحوي أحرفاً متتابعة لا معنى لها. فإذا ما استبان لك أن القرد ليس بإمكانه أن يعيش حتى يكتب رواية، وإذا اتضح لك أنه لا سبيل للقرد أن يحصل على ورق كاف، وإذا لم تجد أي ورقة ملقاة. ستحذف هذا الفرض على التو، وستبدأ في اختبار فروض أخرى مثل وجود شخص كان قادراً على كتابة عمل أدبي وأن هذا الشخص كتب الرواية وتركها إلى جانب الآلة الكاتبة. إذن ففكرة أن القرد بإمكانه كتابة قصة عن طريق النقر العشوائي دون العناية بالمحتوى (أي عن طريق الصدفة) احتمال نادر الوقوع ولا يستحق الالتفات إليه.

تظهر هذه الأمثلة مبدأ عاماً وهو أن النماذج مستحيلة الاحتمال، والمختارة لا يمكن أن تنتجها ميكانيكية قائمة على الصدفة. فآثار الأقدام في المثال الثاني تبين الأحداث بعيدة الاحتمال، وتوضح كيف يصل المرء إلى نتيجة عن طريق التفضيل أو القصد (أي تفضيل واحد من الأهداف أو قصده دون غيره من البداية).

«بهذه الصورة تتبأ النظرية أن الكائنات الأصلح ستكون أكثر إنتاجا للذرية، وتعرف الكائنات الأصلح (الأكثر ملائمة) على أنها الكائنات الأكثر إنتاجا.» (جونسون: ٩١)

تعليقا على هذا التوجه يقول الفيلسوف والعالم المشهور كارل بوبر: «يصوغ بعض كبار القائلين بالنشوء (الداروينيين) النظرية بطريقة تجعلها تنتهي إلى القول بأن الكائنات التي تترك خلفها أكثر نسبة من الذرية تترك لنا أكثر كمية من النسل»، ولما كانت وظيفة الملاءمة غير واضحة التعريف كان من غير الممكن بيان كيفية عمل تلك الوظيفة لإنتاج ذلك الرقم الهائل من الحيات سواء بطريقة علمية أو حسابية. وبينما يفضل المختبرون البساطة في التجارب التي تختبر فيها ميكانيكيات النشوء والارتقاء، نرى نحن التعقيد المتزايد في الحياة.

حدود الكون

قال الفيزيائي الشهير «كارل ساجان» مشيرا إلى عملية النشوء والارتقاء: «إن الصدفة تصنع المعجزات إذا أعطيت وقتا كافيا».

وبينما يصح هذا القول على المستوى النظري فعلى المرء أن يضع في الاعتبار أن الصدفة إن أعطيت الوقت لتأخذ في العمل ستنتج لنا نسبة عالية من النتائج عديمة الفائدة وغير مرتبة قبل أن تتكشف لنا عن معجزة. وفوق هذا فالكون الذي نعرفه له عمر محدود ويحوي كمية محدودة من المواد، لذا فالوقت الذي تستخدمه الصدفة هو وقت محدود. يدفعنا هذا إلى أن نثير سؤالا هو:

إذا وضعنا في اعتبارنا عمر الكون المحدود وكمية المادة المحدودة وكل النتائج الممكنة وتغيراتها، فما مدى إمكانية إنتاج خلية بشرية واحدة عن طريق الصدفة؟

والإجابة عن هذا السؤال هامة جدا حيث إنها ستحدد ما إذا كانت فرضية الصدفة تستحق انتباهنا أصلا.

ويوضح «دمبسكي» أن أي إمكانية داخل الكون المنظور تقل عن حدود الإمكانية الكونية تظل غير ممكنة حتى ولو افترضنا أننا استهلكنا كل المصادر المتاحة لاختبار كل الإمكانيات. وتفصيل هذه المسألة كما يلي:

الموارد المحتملة في الكون المنظور تعطينا تزويدات محدودة، ويوجد في هذا الكون الحسي المعلوم حوالي 10^{80} من المواد الأساسية. فوق هذا فخصائص المادة مثل الانتقال من حالة مادية إلى أخرى لا يمكن أن تحدث بمعدل أكبر من 10^{40} مرة في الثانية.

وطالما أن النشوء والارتقاء كما يقدمه داروين يعتمد على الصدفة، فهناك سبيل واحد ممكن أن تحدث من خلاله عملية التنوع الحيواني على ظهر الأرض؛ ويمكن القيام بهذا عن طريق استفراغ نسبة لا بأس بها من الاحتمالات أو إنتاج كائنات عديمة الجدوى وترك بقايا الكائنات غير الناجحة، وأخيرا إنتاج وإيجاد الكائنات النافعة بعد استهلاك جزء من الوقت والمادة والمكان.

أعمى أم بصير؟

يجادل بعض القائلين بالنشوء أن «لو غار يتم النشوء» يختلف عن البحث الأعمى، لأنهم يضمنونه وظيفة تناسبية تفضل بعض النتائج على بعض. ومن ناحية أخرى تقوم وظيفة التناسبية المتخيلة هذه بتقييم أي من الكائنات أكثر ملائمة أو يعقد عليها الأمل في كل جيل.

ولفهم مفهوم وظيفة التناسبية هذه علينا أن ننظر إلى عملية توليد الحيوانات التي تقوم على أساس انتقائي حيث يقوم الأشخاص باختيار للجينات التي تحوي خصالا مرغوبة أكثر ويستمررون في توليدها، فرما يولدون فقط من الدجاج الأكثر خصوبة أو الغنم الأكثر صوفا وينجحون في تغيير صفات تلك الحيوانات. لذا فمعيار الاختيار عند هؤلاء ربما يعتبر وظيفة التناسبية أو الملاءمة. وعلى الرغم من هذا فمسألة التوليد الانتقائي للحيوانات يقوم فيها العنصر البشري بتحديد وتطبيق هذه الوظيفة. أما في حالة التطور الدارويني فلا مكان لكائن ذكي، لذا فوظيفة التناسبية المتخيلة هذه لا بد وأن تكون نتيجة القوانين المادية للكون ولا بد أن تكون نتيجة لظروف أرضية.

وما تقوم به لو غار يتم النشوء هذه عبارة عن استغلال المعلومات المشفرة أصلا داخل وظيفة التناسبية أو الملاءمة؛ وعليه فإن «لو غار يتم النشوء» يحول المشكلة أو القضية بكل بساطة إلى مجال مختلف. وإذا افترضنا أن وظيفة الملاءمة هذه هي نتيجة للظروف الأرضية فعلينا أن نتذكر أن هذه الظروف الأرضية غير محتملة وغير واضحة بدرجة كبيرة. لذا فإذا افترضنا أن وظيفة الملاءمة قادرة على التشكيل فعلينا أن نبين سبب كونها العامل الأول الذي يعول عليه.

ثانيا لا يمكن بحال وضع تعريف لتلك الوظيفة، وحتى أصحاب القول بالنشوء أنفسهم يجدون صعوبة في وضع تعريف لتلك الوظيفة ووصف طريقة عملها، بل إن المحاولات المبذولة من قبل القائلين بالنشوء ذهبت إلى التكرار من أجل تبريرها.



قضية السجل الأحفوري

تأتي مشكلة السجل الأحفوري - والتي لم نناقشها بعد في هذا المقال بالتفصيل - مرتبطة بفرضية الصدفة هذه. فلو صح فرض الصدفة لكان عدد المحاولات العملية العمياء الفاشلة أكبر بكثير من عدد المحاولات الناجحة. وهو ما يعني أن السجل الأحفوري كان لا بد وأن يحوي عددا هائلا من أحفوريات لكائنات وأنواع فاشلة وظيفيا أو غير ملائمة مقارنة بعدد ضئيل من الأنواع الناجحة.

ومثلما يجب أن تزيد التجارب الفاشلة في عددها عن التجارب الناجحة، يجب أن تعكس الأحفوريات النسبة ذاتها.

وبينما توجد علائم أنواع منقرضة في السجل الأحفوري فلا يوجد عدد كبير من الأحفوريات التي تسجل التنوع الكبير الذي نتوقعه من الطفرات العمياء عند فرض وجودها.

وعلى الرغم من أن أسباب انقراض أنواع من الحيوانات مثل الديناصورات لا تزال محل جدل ، فمن المتفق عليه أن الديناصورات كانت كائنات حية ناجحة في زمانها .

خاتمة

وفي الجملة حين يقوم أحد علماء الرياضيات بحساب إمكانية الفرض القائل بأن الصدفة هي التي أوجدت الحياة على ظهر الأرض سيجد أن من السهولة بمكان عليه أن يرفض هذا الفرض للمشاكل والإيرادات السابقة. فالحياة أعمق وأعقد من أن تؤخذ بهذه البساطة، فعمر الكون وكمية المواد

المتوفرة فيه لا يكفي بحال من الأحوال لاستهلاك كل الإمكانيات والوصول إلى صور حياتية متنوعة كذلك التي نراها أمام أعيننا على وجه الأرض. كما أن السجل الأحفوري لا يعكس لنا نسبة للتجارب الفاشلة مقارنة بالتجارب الناجحة كما نتوقع في حالة صدق فرض الصدفة. ولذا فلو تقدمنا لأحد علماء الرياضيات الموضوعيين بنظرية النشوء والارتقاء هذه لصاح في وجوهنا قائلاً: «إما أنكم تريدون مني إغلاق عقلي وإما أن أرفض هذا الفرض كلية. فالحياة لا بد لها من صانع بديع حكيم عليهم قدیر يَدْرِى ما يفعل.»

ومن هنا يصل عالم الرياضيات إلى النتيجة التي توصل لها ذلك
الأعرابي الأمي الذي -برغم أميّه- يحسن النظر والفكر حين قال:
«البعرة تدل على البعير، وآثار السير تدل على المسير؛ فسماء ذات
أبراج وأرض ذات فجاج وبحر ذو أمواج أفلا يدل ذلك على اللطيف
القدير، الحكيم العليم الخبير؟». ﴿٤٠﴾

إذا وضعنا في اعتبارنا عمر الكون
المحدود وكمية المادة المحدودة وكل
النتائج الممكنة وتغيراتها فما مدى
إمكانية إنتاج خلية بشرية واحدة
عن طريق الصدفة؟

وتتوافق هذه السرعة مع زمن «بلانك» والذي يمثل أقل وحدة مادية معتبرة للزمن. وفي النهاية فالكون كله في مجمله 10^{26} ثانية (على فرض أن عمر الكون ما بين أصغر بليون مرة من 10 إلى 20 بليون سنة).

وإذا افترضنا الآن أن أي تخصيص لحادثة تقع داخل هذا الكون المادي المعلوم يتطلب مادة واحدة على الأقل لتخصيصه ولا يمكن أن يتم في زمن أسرع من زمن «بلانك» فستعني لنا هذه القيود الكونية أن مجموع الأحداث المخصصة خلال التاريخ لا يمكن أن تزيد بحال عن $10^{40} \times 10^{10} \times 10^{10} = 10^{60}$ ، وبلي هذا أن أي إمكانية مخصصة أقل من 1 في 10^{60} ستظل غير ممكنة وحتى ولو جمعنا لها كل مصادر الإمكان المعروفة في الكون المنظور.

لذا فإمكانية ١ في ١٠١٠ هي قيد الإمكانية الكونية؛ ومن الأمور المتضمنة داخل هذا القيد ١٠/١٥- أن الكون مكان صغير جدا لتوليد تعقيد مخصص عن طريق استفاد كل الأمور الممكنة.

يفصل «شتاورت كاوفمان» هذا المفهوم في كتابه «بحوث» حيث يضع في اعتباره عدد البروتينات الممكنة ذات طول ٢٠٠ (يعنى ٢٠٠٢٠ أو ٢٦٠٨٠ تقريبا) وأقصى عدد للصدمات الزوجية على مدى تاريخ الكون (هو يقدر عدد الصدمات بـ ١٩٣١٠ على اعتبار أن معدل رد الفعل الخاص بالتصادم يمكن قياسه بالفيمتو ثانية). وينتهي كاوفمان إلى القول بأن الكون المعلوم لنا لم يجد وقتا وزمنا كافيين منذ الانفجار العظيم كي ينتج البروتينات التي طولها ٢٠٠ ولو لمرة واحدة.

ولكي يؤكد هذه الفكرة يقول: «يحتاج الكون إلى ٦١٠ ضعف مدة حياته الحالية كي ينتج كل البروتينات الممكنة من تلك التي طولها ٢٠٠ وللمرة واحدة على الأقل.» (دمبسكي: ٩٨)

يبد أن من المهم أن نوضح أن القيمة المضبوطة لحدود الإمكانية الكونية ليست حاسمة، وحتى القيمة التقديرية كافية للحكم على توضيح ظاهرة محسوسة تقوم على الصدفة.

ويقدر «كارل ساجان» نفسه إمكانية الكائنات البشرية الناشئة عن
خلية حية وحيدة بأنها صدفة واحدة من بين
١٠٢.٠٠٠.٠٠٠.٠٠٠ صدفة.

وبوضع هذا التقدير إلى جانب حدود الإمكانية الكونية التي تمت مناقشتها سلفاً إضافة لاستخدام الحس العام ، يمكن لنا أن نرفض فرضية الصدفة كأصل للحياة أو تنوعها على الأرض .

من وحي حراء

الرمز والدلالة

أ.د. عمار جيدل *

وعندما يسمع المسلمون اسم هذا المكان أو يقرأ على مسامعهم يوحى ذكره برموز لها دلالات وحضور قوي في شحذ هممهم وتنشيط عزائمهم. فما أبرز ما يوحى به المكان «حراء» وإلى ماذا يرمز وما هي دلالات هذا الرمز في حياتنا المعاصرة؟ هذا ما نعمل على التعرف عليه في هذه المقالة.

ورد في صحيح السنة المطهرة ذكر غار حراء مرتبطاً بحياة سيدنا محمد ﷺ، ومن ذلك ما رواه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب بدء الوحي: «عن عائشة أنها قالت أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فما كان يرى رؤياً إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء...»

كما ذكر في سيرة ابن هشام نقلاً عن ابن إسحاق قال: «وحدثني وهب بن كيسان، مولى آل الزبير، قال: سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثي: حدثنا يا عبيد، كيف بدء ما ابتدئ به رسول الله ﷺ من النبوة، حين جاءه جبريل عليه السلام؟ قال: فقال: عبيد وأنا حاضر يحدث عبد الله بن الزبير ومن عنده من الناس كان رسول الله ﷺ يجاور في حراء من كل سنة شهراً، وكان ذلك مما تحنث به قريش في الجاهلية، والحنث التبرر... وكان رسول الله ﷺ يجاور ذلك الشهر من كل سنة، يطعم من جاءه من المساكين...»

تلك بعض النصوص التي ورد فيها ذكر غار حراء، تدل وغيرها من النصوص على أن لهذا الرمز دلالات عميقة، يفرض استحضارها في وضع مضامين الخط الحضاري والفكري والتربوي لجلتنا الغراء «حراء»، وباختصار غير مخل يمكن أن نؤكد على ما يأتي:

١- كان غار حراء موضع تحنث النبي ﷺ. واستحضار هذه

بسم الله كانت البداية، وبعونه يستمر العمل، وبتوفيقه تحقق المقاصد وتنال المعالي.

وبعد، يحتفل البشر بأزمة معينة احتفالاً كبيراً، ويحيون ذكراها كلما أزف موعدها، وهم بذلك يعبرون عن جلالة ذلك التاريخ، وأهميته بالنسبة لحاضرهم ومستقبلهم. ونلاحظ ذات الاهتمام بالأمكان، إن لم يكن أكبر فلا يختلف الاهتمام به عن احتفائهم بالأزمة، إذ كلما قرأوا اسم المكان أو ذكر على مسامعهم، تحركت فيهم السواكن. فهل يعود احتفاؤهم بالزمان والمكان لأنهما كذلك في حقيقة الأمر؟ أم يعود إلى ما ارتبط بهما أو بأحدهما من وقائع مثلت منعطفات مهمة في تاريخ المحتفى بهما أو بأحدهما، ومسار حركة أمتهم فيما تستقبل من الأيام.

اختيار الأماكن عناوين لأعمال أدبية أو تربوية أو إعلامية يعبر بنفسه عن استحضار ذلك المكان - لا بوصفه مكاناً - بوصفه رمزا له دلالات عظيمة في التربية والاجتماع وصناعة الحضارة.

وفق القائمون على هذا العمل التربوي والأدبي والاجتماعي والحضاري إلى جعل «حراء» عنواناً لجلتنا. فما الذي استحضروه في اختيار هذا العنوان؟ وماذا يمثل هذا الاختيار؟ وما هي أبعاده؟

العنوان يعبر عن خط فكري وتربوي ورؤية حضارية نافذة؛ حراء الرمز يوحى بمعان كثيرة لها دلالاتها العميقة في حياتنا بتشعباتها الفكرية والتربوية والاجتماعية والحضارية، الفردية والاجتماعية.

حراء الجبل المعروف بمكة، والغار - غار حراء - الذي نسب إليه هوة في ذلك الجبل، وهو من هذا الوجه مكان عادي، ولكنه ليس مكاناً عادياً من جهة كونه محل تحنث النبي الخاتم محمد بن عبد الله ﷺ، لهذا احتفى المسلمون بذكره، واختاره القائمون على المجلة عنواناً لمشروعنا.

لعله من أبرز أسماء الأماكن التي استهل بها ظهور البوادر الأولى للسيرة العطرة لأستاذ الإنسانية وخاتمة الرسل، سيدنا محمد ﷺ.

المعاني يرمز إلى وجوب العمل في مجلتنا «حراء» على التحقق بالتعبد لله وتحقيقه، وذلك لما يمثله من مدد أساسي في صناعة الوعي بالكون وإنشاء الفاعلية فيه؛ فالعبادة الجامعة تستغرق جميع مجالات الحياة المادية والمعنوية الخاصة والعامة. وما استحضار العناصر الإنسانية في التصرفات إلا بقدر استحضار التعبّد لحظة المزاولة الاجتماعية للعبادة؛ فهي متناسبة معها وجودا وعدما زيادة ونقصانا، إذ كلما زاد التعبّد زادت العبادة، وكلما زادت العبادة نمت العناصر الإنسانية في الإنسان المتعبّد نفسه. هذا ما نطمح إلى جعله مقصدا رئيسا في خط مجلتنا، أي التحدث من أجل الفعالية الإيمانية بأبعادها الاجتماعية لا من أجل التباهي والزهو...

٢- التجمل بالصبر مقصد آخر يوحى به المكان «حراء». ومجلة تقوم على تحقيق هذا المقصد حري بها أن تنشر ثقافة صناعة الصبر على المستوى الاجتماعي والتربوي. ويتعين للقيام بهذه الوظيفة معرفة دقيقة - وفق الطاقة البشرية - بضغط الزمان والمكان، دون الوقوع في شراكهما، بغرض تحديد المبتغى في لحظة التبليغ والتربية، وتيسيرا للقيام بهذه المهمة يتعين تحصيل معرفة جيدة بعقلية المتلقي وحاجاته النفسية والاجتماعية.

٣- يرمز عنوان مجلتنا إلى التأسيس لثقافة الاستعداد للتلقي، وما يفرضه من تحرير وتحرر من المكبلات الأيديولوجية التي تحرم كثيرا من الخلق من رؤية الحق والإذعان له، وتأسيسا لهذه الثقافة يجب النظر إلى المخالف والموالف على نحد سواء بعين الشفقة والرحمة والإخاء، والابتعاد عن لغة الإقصاء والزهو بالإيمان تحضيرا لقبول الحق والإذعان له. فيتعين - حسب تقديرنا - أن يكون من مقاصدنا الرئيسة في المجلة التلطف مع الخلق وإسعافهم لهيئة أنفسنا وأنفسهم لقبول الحق والتصرف وفق ما يفرضه الخضوع له.

٤- تحقيق المقاصد السابقة، يفرض طاقة نفّاثة لا تنضب، ولا تكون كذلك إلا إذا كانت عملية التجدد الإيماني حيوية مستمرة تستغرق جميع الوقت، فيكون التزود بالطاقة الإيمانية مستمرا، ذلك أن الطريق إلى الحق بمسلك طويل وشاق وممتنع في ذات الوقت، زيادة إلى الترغيب والترهيب المسلط على الثابتين على خط الرسالة

وما يفرضه من طاقة متجددة باستمرار. إن صح (وهو محض فرض) أن نتصور رجلا بلغ تمام الرضا في العبادة؛ فإن الثبات على المكان يفرض جهدا أكبر من الجهد المبذول في بلوغ تلك الرتبة، هذا الشخص أشبه بمن بلغ النهاية العظمى على بكرة دائرية دوارة (متحركة)، البقاء على ذروة تلك البكرة المتحركة يفرض جهدا مستمرا، إذ بمجرد الغفلة عن الحركة - بذل الجهد - يسقط فيتحول من القمة إلى القاع.

٥- أرى أن تجعل المجلة «حراء» المراجعة المستمرة ركنا ركينا في مشروعنا، ولا يتأتى تحقيقه إلا إذا كانت محاسبة النفس تمسنا ومزاولة تستغرق جميع ميادين الحياة وتطال جميع الأفعال مهما كانت صغيرة ومراجعة المكاسب بغرض الاستدراك على ما فات. لنجاح هذا المسعى وجعله غاية يفرض قبول النقد العلمي الموضوعي، والتأسيس له على المستوى العلمي والتربوي بل وحتى الاجتماعي.

٦- كان رسول الله ﷺ وهو في غار حراء، وفق ما ورد في السيرة العطرة، يطعم من جاءه من المساكين. ومجلة اختارت «حراء» عنوانا لها، ينبغي أن تكون ملاذ الجائعين معنويا وتربويا، تطعمهم لوجه الله لا تريد منهم جزاء ولا شكورا، تنبئ قضاياهم الفكرية والتربوية، وتسعى جاهدة إلى تقديم أجوبة شافية عنها، تقدمها مسربة بالرفق والشفقة والحب. ولعلها بذلك تكون سببا في هدايتهم ومن ثم إسعافهم في الكشف عن القوة المستودعة فيهم، ليكونوا فاعلين بالإيمان في حياتهم الاجتماعية والتربوية.

٧- يرمز «غار حراء» إلى الأمن والاطمئنان، وفق ما ذكره العلامة بدیع الزمان النورسي في المكتوبات (ص: ١٧٧) نقلا عن أهل القلب والصلاح.

ومجلة اختارت خطا فكريا يرمز إليه اسم «حراء» يفترض أن يكون من مقاصدها الرئيسة تحقيق الأمن والاطمئنان بكل معانيه وأبعاده، وهي في ذات الوقت ينبغي أن تكون أمنا واطمئنانا في مواضيعها ومعالجاتها ومقاصدها.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل. ﷻ

* جامعة الجزائر المركزية - الجزائر

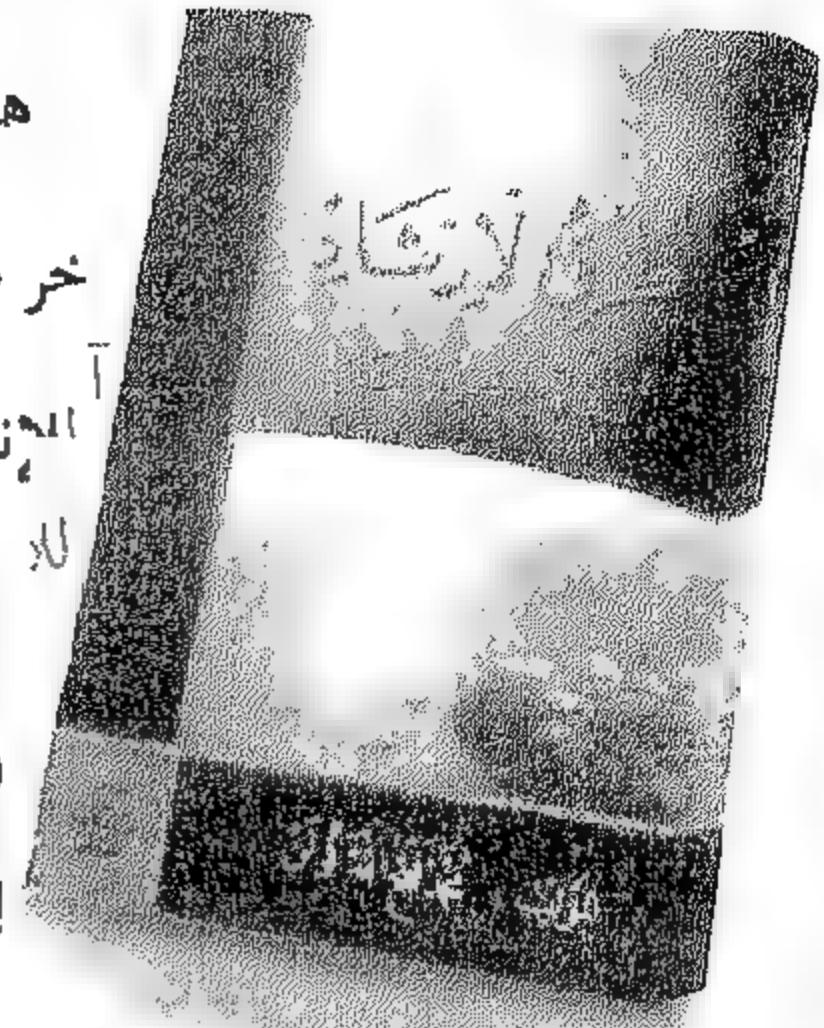
العنوان يعبر عن خط
فكري وتربوي ورؤية
حضارية نافذة؛ حراء
الرمز يوحى بمعان كثيرة
لها دلالاتها العميقة في
حياتنا بتشعباتها الفكرية
والتربوية والاجتماعية
والحضارية، الفردية
والاجتماعية.

طرق الإرشاد في الفكر والحياة

هذا الكتاب فريد في نوعه، إذ هو ليس كما قرأنا من كتب في الموضوع نفسه بل يمكن أن نطلق عليه عنواناً آخر فنقول إنه كتاب في «فقه المعاناة والألم» من أجل الدعوة، بالإضافة إلى كونه قدحةً تضيئ الجوانب العميقة للإنسان، وما تطفح به من نازع إيماني فطري عميق.

والكتاب يكاد كله يكون عملية تحريكية لهذه الفطرة المدركة، وترجمة رؤاها والتعبير عن أهدافها ومقاصدها، كما أنه ضدّ الفوضوية الروحية والفكرية التي تعاني منها بعض الدعوات. والكتاب - بعد لك - يهدف إلى إرساء قواعد أساسية منظمة في العمل الدعوي تحول بين الداعية والتفلت إلى مجالات أخرى غير ملتزمة وغير منضبطة، وبذلك تحتفظ الدعوة بقواها وتمنعها من الانفلات والتبدد في غير ما جدوى.

المؤلف: محمد فتح الله كولن - المترجم: إحسان قاسم الصالحى - عدد الصفحات: ٢١٦ - دار النيل للطباعة والنشر/ فرع القاهرة: ٢٠٢٢٦١٩٢٠٤ +



ونحن نقيم صرح الروح



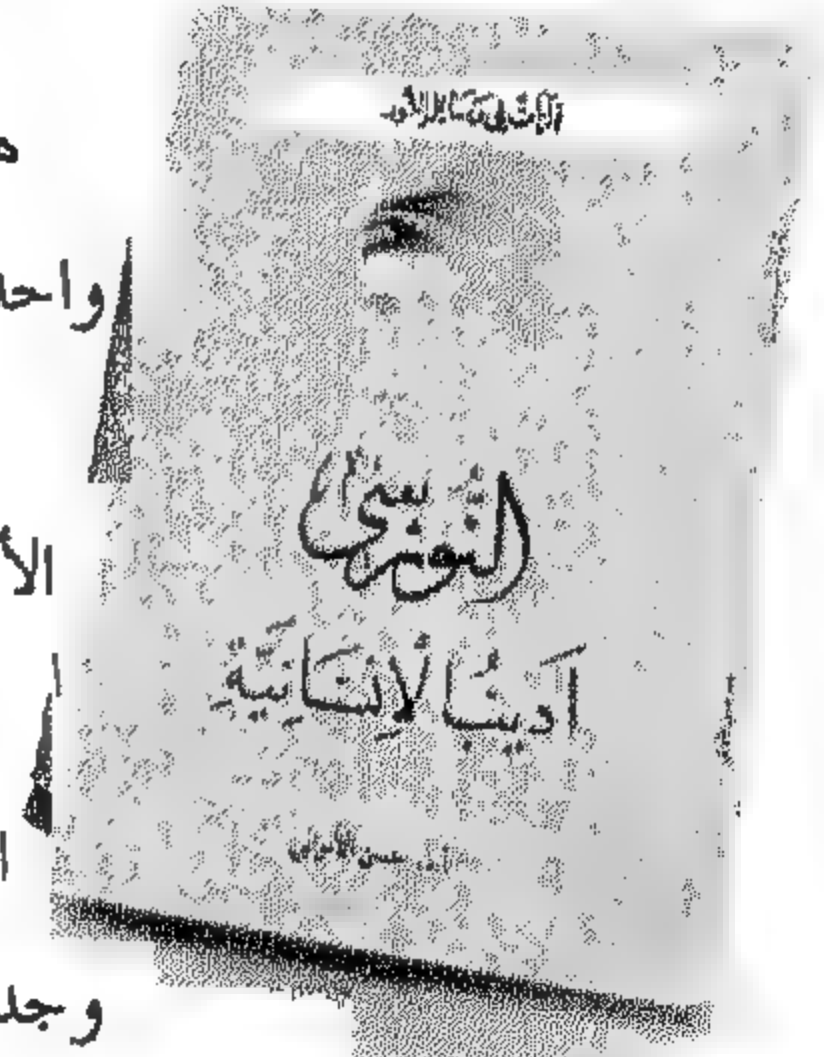
يعاني المسلمون تفككاً روحياً رهيباً، وهذا التفكك هو سبب مشاكلهم الإيمانية وأزماتهم الحضارية. وهذا الكتاب القيم يشخص علّة هذا التفكك، ويبين أسبابه وتداعياته. فعلة العلل في ذلك هو انهيار صرح الروح وسقوط مناراته العالية الذي أحدث دويّاً سمعه العالم كله، وأحدث اضطراباً هائلاً في شخصية المسلم وفي أسس إيمانه. والكتاب دعوة مخلصه للأيدي الطاهرة والتنظيفة لتكتاف بينها في محاولة إقامة هذا الصرح المتهالكي على قدميه من جديد فيعود المسلم النائم في صحارى الاغتراب لولوجه والاحتماء به من غربته ويؤوب عقل المسلم المشتت بين تيارات الأفكار ليلتقي نفسه فيه، ويلتقي كل أصله، وجوهر حقيقته. إن هذا الكتاب النفيس الذي لم نقرأ مثيلاً له يرسم خارطة دقيقة وتفصيلية للكيفية التي يمكن بها إقامة هذا الصرح العتيد من وهدهته، إنه يجوب القلب البشري ويأتي بلبنتات البناء من مقالعه، ويجوس خلال الروح ويعود بفلذاتها لتكون الحجر الأساس فيه، ولكي يعلو شامخاً بحيث يراه العالم كله من أي جهة نظر إليه، ويجد في ظله الأمن والأمان. وخير من يقوم بهذه المهمة الإيمانية الحضارية هو جيل الطهر والإيمان الذي لم تتلوث روحه، ولم يتنجس قلبه.

والكتاب طافح بالأمل في مستقبل قيام هذا الصرح، وهو حين يقوم فسيكون أعجوبة من أعاجيب هذا العصر، يعلو على كل صرح ويسبق فوق كل حضارات القلب والروح في الماضي والحاضر.

المؤلف: محمد فتح الله كولن - المترجم: عوني عمر لطفي اوغلو - عدد الصفحات: ١٧٦ - دار النيل للطباعة والنشر/ فرع القاهرة: ٢٠٢٢٦١٩٢٠٤ +

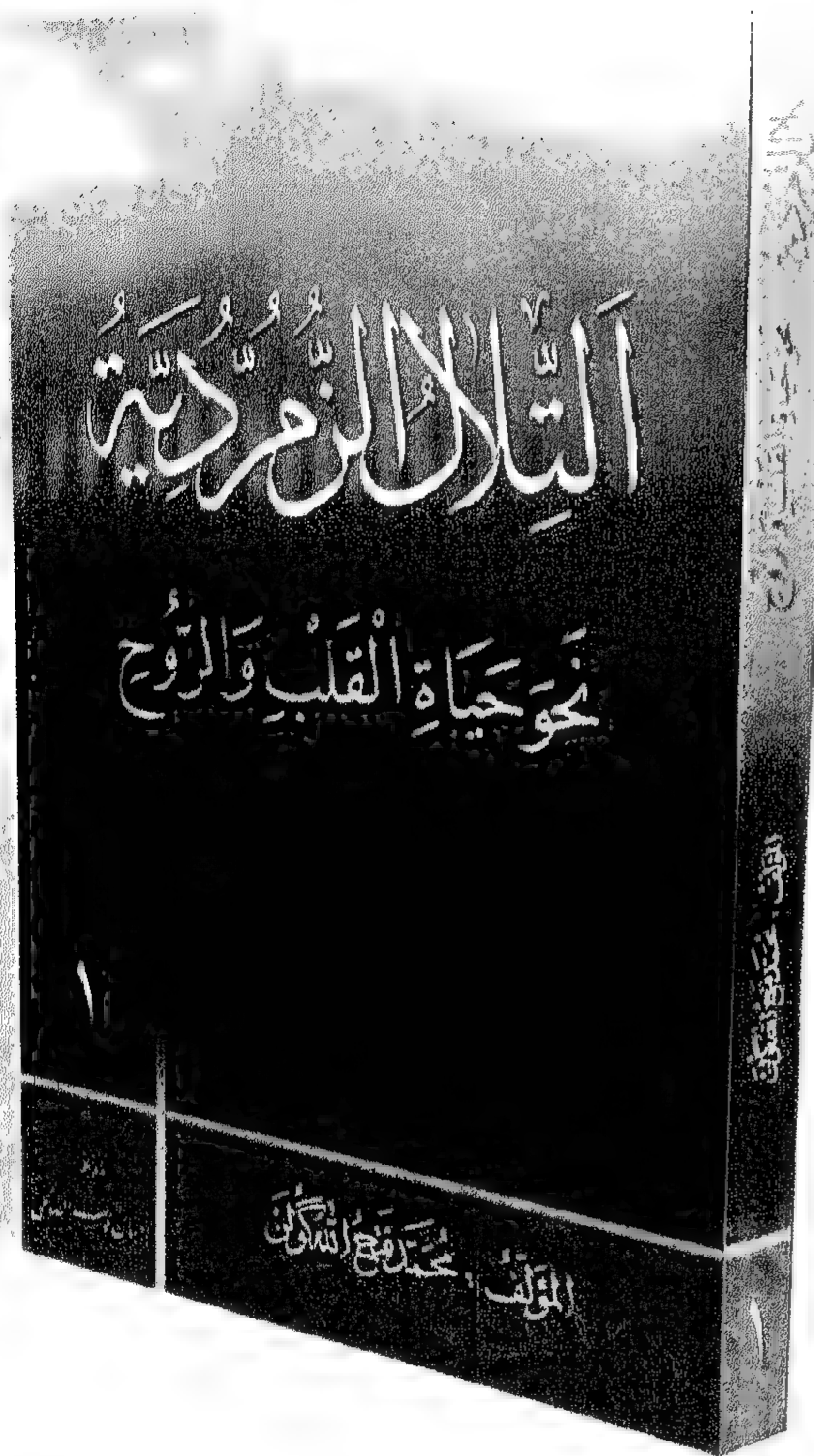
النورسي أديب الإنسانية

هذه بحوث كان كتبها الأستاذ «الأمراني» في أوقات مختلفة، وتحت عناوين مختلفة، غير أن موضوعها واحد، وهو المنحى الأدبي والشعري عند الإمام «النورسي» رحمه الله في رسائله «رسائل النور». والأستاذ «الأمراني» أديب وشاعر وناقد معروف، فتقويمه للإمام النورسي، وعدّه واحداً من كبار الأدباء والشعراء يأتي ضمن دراسة نقدية معمّقة يمكن الاطمئنان إليها، والوثوق بها. وإلى ذلك فإن هذه البحوث تكتسب أهمية خاصة لدى المعنيين بالأدب لكونها محاولة جادة في الكشف عن الصلة والنسب بين العبقريّة الشعرية والعبقريّة الدينية، فالعبقريتان كلتاهما تنبعثان من رهافة وجدانية عميقة الغور في النفس الإنسانية.



المؤلف: أ.د. حسن الأمراني - عدد الصفحات: ١٦٢ - دار النيل للطباعة والنشر/ فرع القاهرة: ٢٠٢٢٦١٩٢٠٤ +

فهم روح التصوف وجوهره



• يرسم طريق ارتقاء القلب الإنساني في معارج المعرفة الإلهية

هو نوع من الدراسة للقلب الإنساني في أحواله ومقاماته وسلوكه إلى الله

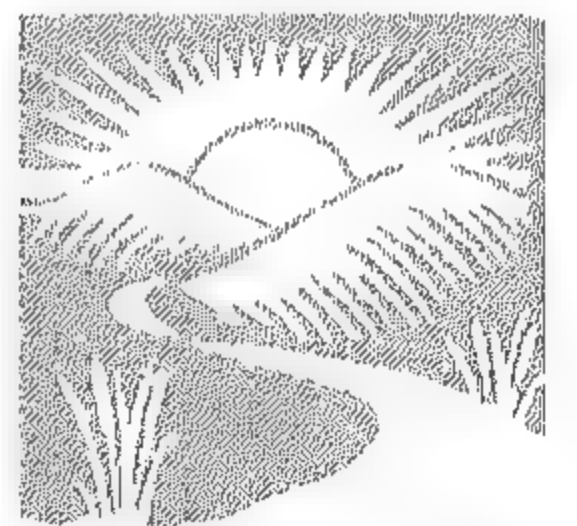
إنه استعراض للتصوف برؤية قرآنية وسنة نبوية

إنه يجعلك تحسّ بمسؤوليتك عن الحياة برمتها وعن جنس الإنسان بأكمله

• إنه إفصاح عن روح المؤلف الفياض بالمعارف الإلهية لكه مع الأمة

في أوجاعها ومعاناتها

• إنه من أجل تحصين قلعة القلب ضد المتلصصين عليه



دار النيل

دار النيل للطباعة والنشر والتوزيع

مركز التوزيع فرع القاهرة: ٧ ش البرامكة - الحي السابع - م. نصر - القاهرة/جمهورية مصر العربية

تليفون وفاكس: 002022619204



مجلة علمية ثقافية فلسطينية

العدد ١٧ - ٢٠١١

السرور

الغروب ميناء للضوء الراحل...
الغروب وقت حزن على الدوام...
ما أن يحين الألوان،
حتى تشرق الشمس،
مثلما غربت،
هي تجري حسب نظام دقيق...
دقيق...

ISSN 1306-1879



9 771306 187009 01

جاء

١٠

جاءت حبة ث

١١ جاءك والحمد لله على ما كن ..

١٢ جاءك خلدك هي

١٣ جاءك ما كن في

١٤ جاءك الله يدك

١٥

١٦



بن عازر تقدم والتصويب في علمي والمضمرات لا تزال لرو
ما تزال إلا صرح الروح لأن هذا الصروح ضمن الإنسان المحض الذي
لنقدمه بعد لنقدم والتصويب، وهي نفس التي يلقي إليه صوفه الأفضل
لقد قدمت بنت الأسم مناعت وأخطب برحمة منعت لقلوب، وصارت
فيها مناعت لكل طمس خدم

ومن هذا ماء طلق استلينا نغم قد كثر في طوبى يوم ونحن قبل صرح
الصروح قد عالج فيه الكثيرة والآلية لندله التي منعتنا على المنة صرح
الروح لتقدمه، ذلك من سجد على اسمي حبة وولعه رجونا

ولما جهر للوية الإسلامية وحضر هذا الطاب حتى إلا أنه كثر
لذلك، القوي هناك هو الآخر يصعب في السديان ليس من رغبة لهم
نعم، وأما الأستاذة القروسي يدع وسائل الفر فلا يكاد يخلو عنه
من أعتاد الخلة من مثال يدره وعن صفى جوانب فكره كما تشاهد
تلك في مقالي قد كثر عند هذا التي من لفرار والدكن، عند لفرار
برحمت من ما زينة، ومن الطائفة الأخيرة في طائفة أخرى التي نعتبرها
الإسلام ما كنا لنبهنا لذكر محمد حمارة في شيء من تفصيل اللغة
كما هو كذلك في كما ما يكتب، وأنا بسمه الخلة العنسي فتجدها في
الجلل الأستاذة طرزي لسطر عتلا يندبنا هي الطبقية الإلهي للمسلم

وقصصة كذلك كما تظنهم مكافئ للناس من الخلة، لقد صرحنا
الأستاذ لرو القاسي صولر بلقاء المديح لثاني لهذا رغبة مؤثره هي واحد
من مدني حتى للفرس في آسيا الوسطى، أنا خيب للباح فقه يكتب
عن الاختراع الحضري لنتو للسم للامبر من الحرب البهليل يدها
النام والألفه الأستاذة الأكثي لريد الأكبادي متقلا يكاد يكره، دراسة
عن فقهه فينكره الإجمالي ما فضاء والأدب لذكر الأستاذ حسن
الأمراني بهيب إسندي والحمد للشمعية وباعلت الفتح فلانكوت إلى جانب

ويعده نرك حصاره، وهي تقدم عنه الإيمانية من القالات والقيام
جهر من لأهل الكرام للدارق الغربي لأربعة سنة المذكري التجد لا
ريد أن تتصل سيلاه فكريه يسره على فنكوا الآخر من يقار ما يرد أن
يكون حتى المناصحت إلى صائب اسم لها من الخلات طرفة في مواضعه
ليرة أقماسي التي يصره له ذلك الإسلامي

إن السؤال الذي يطرحه علينا هذا لكثرة في معرفة إيمانية شاملة هو
كيف يستطيع أن يبين هذه للفرصة وأن يفي بها إلى حد الإمكانيات، هذا
فقد هو د يسمي إلى مراد يجهلها للتواضع، سائلين لك مثال في
والسنداء السلام

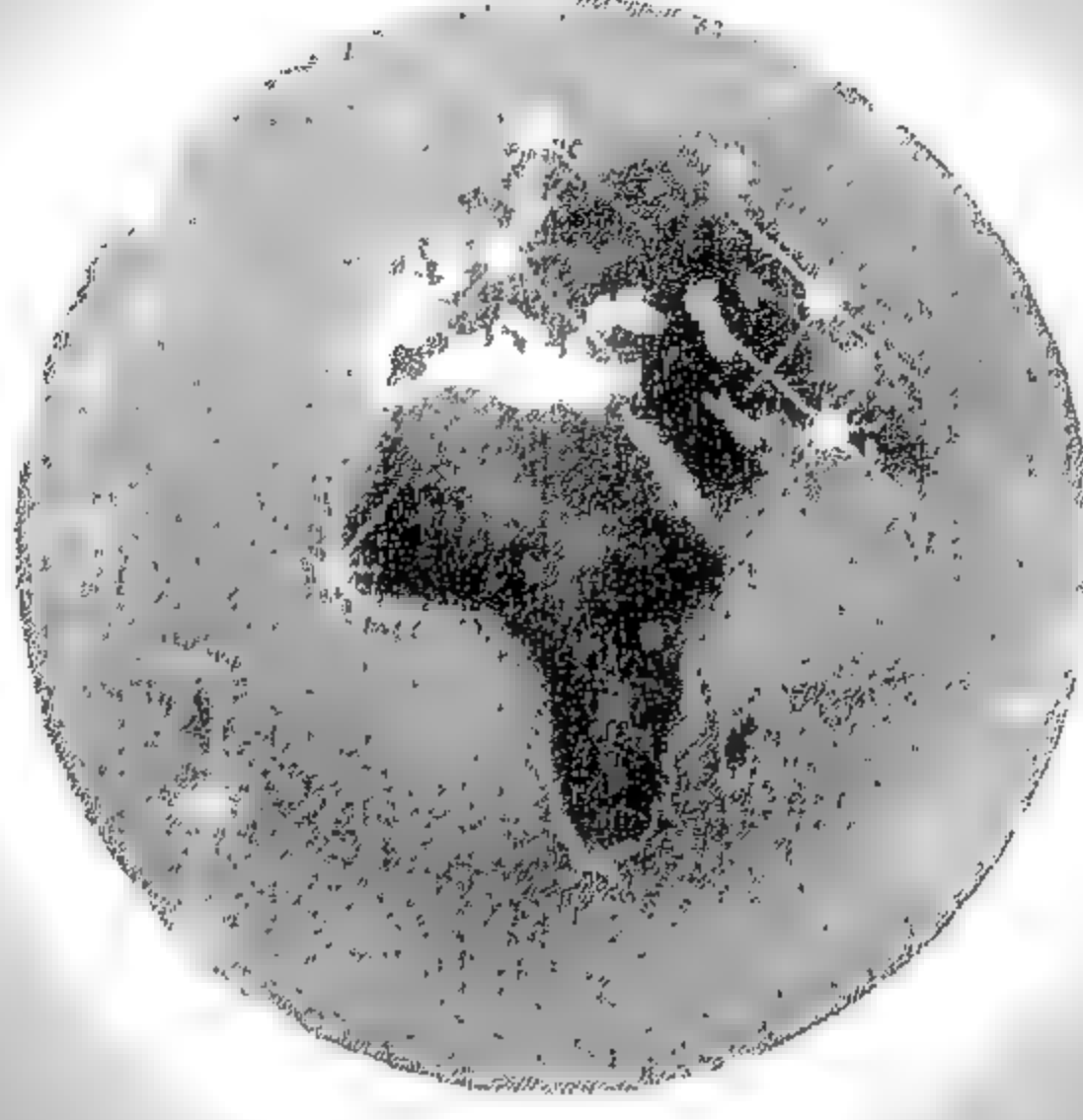
حجاء

هذا صرح من كتبه يوم در

وقتل رغبة وهتروا فرج

المحتويات

| | |
|----------|--|
| ٢..... | ونحن نقيم صرح الروح / فتح الله كولن |
| ٧..... | مقاصد التربية في الفكر الإسلامي / أ.د. خالد الصمدي |
| ١١ | أذواق وأشواق في الطريق إلى الله / أ.د. محمد عبد النبي |
| ١٥ | ليست المشكلة غياب الحداثة إنما المشكلة غياب الهوية / أ.د. محمد سعيد رمضان البوطي |
| ١٨ | طاقة الإسلام الاحتوائية للآخر / أ.د. محمد عمارة |
| ٢٣ | السماء والحفظ الإلهي / أ.د. زغلول النجار |
| ٢٦ | وباسمك أفتح الملكوت / أ.د. حسن الأمrani |
| ٢٧ | أنا عين عبد الله / أ.د. عرفان يلماز |
| ٣١ | واِبناه... لتكن أنت الفداء / نور الدين صواش |
| ٣٣ | الاغتراب الحضاري لدى المسلم المعاصر / أديب إبراهيم الدباغ |
| ٣٧ | جمالية التفكير الإيماني / أ.د. فريد الأنصاري |
| ٤٠ | مفهوم العولمة وتحليلها في ضوء الفلسفة الأخلاقية لرسائل النور / أ.د. عبد العزيز برغوث |
| ٤٥ | شيخ علماء الإسلام: محمد زاهد الكوثري / أ.د. عمار جيدل |
| ٤٩ | إبداعات الفنان المسلم في الأشكال الزخرفية / أ.د. بركات محمد مراد |
| ٥٣ | هو الحاضر... / نجيب فاضل |
| ٥٤ | عمالقة النظافة: الكائنات المجهريّة / د. ولي قارابوغا |
| ٥٧ | خصائص السرد القصصي في القرآن الكريم / أ.د. محمد مشرف يوسف محضر |
| ٦١ | كيف تنهار الدول؟ / أورخان محمد علي |
| | بين المشاعر والشعائر... سلام الإيمان / د. سمير بودينار |



وفتح نقيم صرح الروح

فتح الله كولين

إن الكفر نظام منغلق وخانق. ففي نظر الكافر: بدأ الوجود بفوضى، وتطور في الجاهل المخيفة للصدف، وينزلق متسارعاً إلى نهاية رهيبة. وفي هذا السير المتدحرج والمنزلق، ليس لنا مكان ضيق بل ولا موطئ قدم فيه نفحة رحمانية ينشرح بها الروح، أو نسيم أمان يحتضن آمالنا الإنسانية.

أما إنسان الإيمان المستشعر بمنشئه وخط حركته، وتوجهاته: إلى أين وإلى ماذا، ووظائفه ومسؤولياته... فإنه يرى كل شيء نوراً وضياء، ويطأ قدمه من غير قلق أينما يطأ، ويسير نحو هدفه بلا خوف وفي ثقة. وإذا يسير، يُنقّب خمسين ألف مرة عن الوجود وما وراء ستار الوجود، ويرشّح الأشياء والحوادث خمسين ألف مرة في الإنبيق، ويصر على طرق كل باب، ويبحث عن وشائج المناسبة مع كل شيء... وحين يقصر ما علمه وما وجدته، يكتفي بالحقائق التي رآها وعرفها في وجه التحقيقات التي استحصلها هو أو غيره حتى ذلك الحين، ثم يواصل المسير.

سبق أن أشرنا إلى صفات "ورثة الأرض" إجمالاً^(١) ونريد الآن أن نوضح فيها بشيء من التفصيل:



الإيمان الكامل

الوصف الأول لوارث الأرض هو الإيمان الكامل. فالقرآن العظيم يضع "الإيمان" هدفاً لخلق الإنسان؛ ذلك الإيمان المشتمل على الأفق العرفاني وروح المحبة وبُعدي العشق والشوق وألوان لاهائية من الأذواق الروحية. والإنسان مكلف ببناء عالمه الإيماني والتفكري بمد الدروب من ذاته إلى أعماق الوجود حيناً، وبالتقاط شرائح من الوجود وتقييمها في ذاته حيناً آخر. ويعني هذا في الوقت عينه ظهور الحقيقة الإنسانية الكامنة في روحه. فالإنسان لا يستطيع أن يستشعر ذاته، والأعماق في ذاته، ومقاصد الوجود وغاياته، ويطلع على كنه الكائنات والحوادث وما وراء ستار الأشياء... إلا في ضياء الإيمان. وبعد الاطلاع يحيط فهماً بالوجود في أبعاده الذاتية.

لسيرنا المنحوس، واضطراب القلوب بسبب العيش تحت الوصاية سنين وسنين، ورد الفعل لدى إنساننا بسبب استغلال الغير لنا قرونا، أورثنا اليوم شهقةً كشهقة النبي آدم، ونشيجاً كنشيج النبي يونس، وأنيئاً كأنيئ أيوب عليهم السلام. وقد بلغ بنا الأمر أننا بدافع هذه الأفكار والمشاعر وعلى ضوء التجارب التاريخية نشعر اليوم وكأن المسافات قد انكشفت ولم يبق للوصول إلى الهدف سوى خطوات.

قراءة الكون والإنسان والحياة

الوصف الرابع للوارث هو إعادة النظر في قراءته للكون والإنسان والحياة، وبالتالي مراجعة تصوراته الصحيحة منها والخطئة. ونذكر بما يأتي في هذا الشأن:

١- إن الكون كتاب فتحه الله تعالى أمام العيون ليراجع باستمرار، والإنسان منشور بلوري مؤهل لرصد الأعماق في الوجود وفهرست شفاف للعالمين جميعاً.. والحياة ترشح هذا الكتاب وهذا الفهرست، وتمثل المعاني في انعكاس صدى البيان الإلهي. وما دام الكون والإنسان والحياة باعتبار تلوناتها أوجهها متنوعة لحقيقة واحدة فإن تفريقها عن بعضها وتقطيعها ظلم وازدراء للوجود والإنسان، لما فيه من إخلال بانسجام الحقيقة. وكما أن قراءة بيان الله سبحانه النابع من صفة الكلام الجليلة، وفهمه، وإطاعته، والانقياد له واجب؛ فكذلك معرفة الحق تعالى وإدراكه بدلالة الأشياء والحوادث جميعاً، التي صورها سبحانه بعلمه وأوجدتها بقدرته ومشيئته تعالى، ثم رؤية طرق التوافق بينهما، أساس لا يمكن التخلي عنه. فإن الفرقان العظيم من صفة كلامه هو، وهو روح الوجود كله والمصدر الأوحى لسعادة الدنيا والعقبى. وإن كتاب الكائنات هو جسد تلك الحقيقة، وحركة مهمة مؤثرة في حياة الدنيا مباشرة، وفي حياة العقبى بالوسيلة، باعتبار تمثيلها لفروع العلم المتنوعة واحتوائها عليها. فالله ﷻ يكافئ من يدرك كلا الكتائين ويحول ذلك الإدراك إلى واقع عملي، ثم ينسج حياته كلها على هذا المنوال؛ بينما يعاقب من يهملهما ويتغاضى عنهما بل ولا يفسرهما تفسيراً صحيحاً ولا يحولهما إلى واقع.

٢- إن قيمة الإنسان الحقيقية وثيقة الصلة بعمق عواطفه وراقي فكره وتكامل شخصيته. وإن لهذه الأوصاف دوراً كبيراً

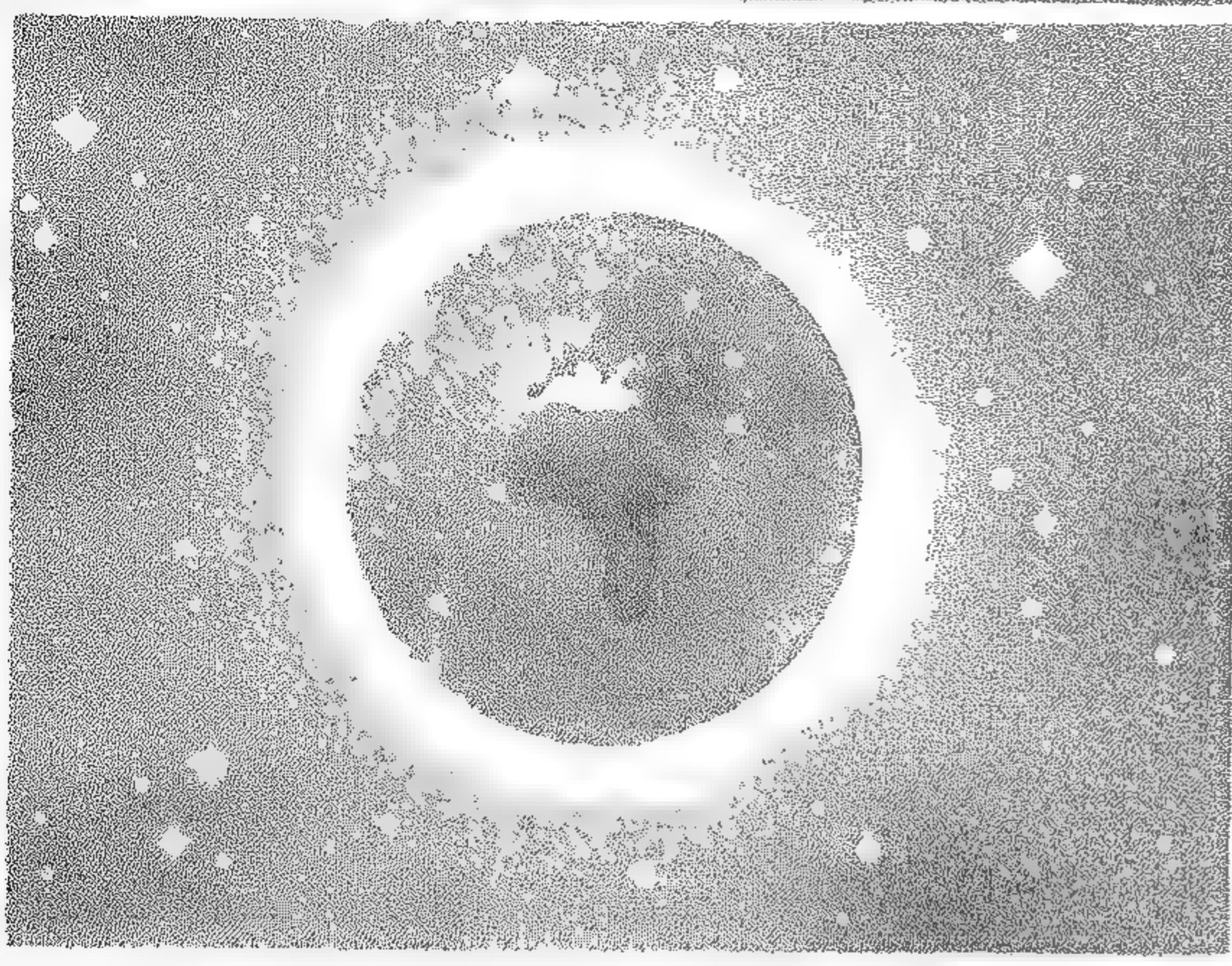
التوجهات والأهداف حيناً، أو اختلاط المعلومة بالعلم، والعلم بالفلسفة حيناً آخر. واستفاد الأجانب المقيمون في بلادنا من هذا الفراغ فائدة جمة، فافتتحوا المدارس بنشاط في كل زاوية من زوايا الوطن، ولقّحوا أجيالنا باللقاح الأجنبي من خلال أعشاش التعليم. وتطوعت شريحة منا لتمكين خير أبناء الوطن استعداداً وقابلية، من شغل مقاعد الدارسة فيها، بل حتى بتقيل الأيدي والأرجل، ليزيدوا في السرعة المطردة للتغريب. ثم بعد مدة، ضاع الدين وضاع الإيمان، فالدين خراب والإيمان تراب عند هذه الأجيال الغرّة المخدوعة. ضاع، فوقنا كأمة في ابتذال الذات فكراً وتصوراً وفناً وحياة. وهل نعجب من النتيجة، ما دامت هذه المدارس التي سلّمناها الأدمغة الطرية بلا توجّس أو قلق، تضع في اعتبارها من غير استثناء وفي كل وقت، تقلّم الثقافة الأمريكية والأخلاق الفرنسية والعادات والأعراف الإنكليزية، على العلم والتفكير العلمي. ولذلك، بدأ شبابنا يتسلى بألعاب الماركسية والدور كهمية واللينينية والماوية، منقسمين إلى معسكرات شتى، بدلاً عن اللحاق بالعصر بعلمهم وفنهم وتقنياتهم. فمنهم من واسى نفسه بأحلام الشيوعية ودكتاتورية البروليتاريا، ومنهم من انغرز في عقدة فرويد، ومنهم من ضيّع عقله في الوجودية مشدوداً إلى سارتر، ومنهم من أسال ماركوس رضابه، ومنهم من أهدر عمره لاهثاً خلف هذيان كامو...

لقد عشنا هذا كله، وتولى ما يسمى بموائل العلم دور الحاضن لذلك. وفي مرحلة الأزمة هذه، لم تن أصوات القتام وأفواه السواد من تلطّيح اسم الدين وأهل الدين، وتشهير أنواع الجنون الغربي أمام الأنظار. من العسير علينا أن ننسى تلك المرحلة ودماها الرخيصة. إن من هياؤا تلك الأرضية ضد إرادة إنساننا ووطننا، سيذكرون دائماً في وجدان المجتمع على أنهم مجرمون تاريخياً.

والآن، نريد أن ندع مهندسي تلك الأيام السوداء في خلوة مع مساوئهم، وفيما منهم آلام في أنفسنا وأنين في قلوبنا، ونتحدث عن عمال الفكر الذين يكّدون لبناء مستقبلنا.

أجل، لا بد من تحقيق تجددنا الذاتي ونهضتنا (Renaissance) عن طريق تلقيح عقول شبابنا بالتفكير العلمي، وذلك سيؤدي إلى تفاعلهم واندماجهم مع الفكر والعلم، كما فعلنا ذلك قبل الغرب بقرون مديدة. إن القلق المحسوس به في الوجدان العام





في تعيين مكانة الإنسان لدى الحق تعالى والخلق أجمعين. فإن الخصال الإنسانية السامية وعمق المشاعر والفكر وسلامة الشخصية بطاقة اعتماد مطلوبة دائماً وفي كل مكان. ومن يكدر إيمانه وإذعانه بأوصاف وأفكار كفرية، ويثير القلق والشبهة في محيطه بشخصيته، لن يكون مظهرًا لتحلي تأييد الحق تعالى وعنايته. وكذلك لا يمكن أن يحافظ على احترام الناس له وثقتهم به. فإن الحق تعالى، والناس، يقيّمون الإنسان بخصاله الإنسانية وشخصيته الرفيعة ويكافئونه على ذلك. وبناء عليه، لا يتصور أن يتحقق نجاح عظيم أو الحفاظ على نجاح قد تحقق، على يد أناس فقراء في قيمهم الإنسانية وضعفاء في شخصياتهم، وإن ظهر عليهم مظاهر المؤمنين الصالحين. كما لا يتصور أن يفشل فشلاً ذريعاً أناسٌ يتقدمون خطوات في سلامة شخصياتهم وخصالهم الإنسانية السامية وإن لم يظهر عليهم مظاهر المسلمين الصالحين. فإن تقدير الله تعالى ومكافأته تنظر إلى الخصال والصفات، وكذلك حسن قبول البشر يقوم عليها بدرجة ما.

٣- ينبغي أن تكون الوسائل إلى الهدف المشروع والحق، شرعيةً وحقاً. إن السائرين في الخط الإسلامي يتحرّون في كل عمل مشروع الحق في آمالهم وغاياتهم كلها. والتزام مشروعية الوسائل إلى ذلك الحق أيضاً واجب عليهم؛ فلا يمكن تحصيل رضا الحق تعالى من غير الإخلاص والصدق الذاتي، ولا يمكن خدمة الإسلام وتوجيه المسلمين إلى مراميه الحقيقية بوسائل شيطانية ألبتة. ولعلنا نرى حيناً إمكانية ذلك، لكن المستهلك لرصيده من الاعتبار والاحترام في سبل الباطل، والفاقد لرعاية الحق تعالى والتفات الناس إليه، لن يدوم نجاحه أمداً بعيداً يقيناً.

حرية التفكير

الوصف الخامس للوارث هو أن يكون حراً في التفكير وموقراً لحرية التفكير. إن التحرر وتذوق حس الحرية عمق مهم لإرادة الإنسان وباب سحري يفتح على أسرار الذات. ومن العسير أن نصف بـ "الإنسان" مَنْ لم ينطلق في ذاك العمق ولم يلج من ذاك الباب. ومنذ سنين وسنين ونحن نلتوي ألباً في طوق الأسر الخارجي والداخلي الرهيب. ولقد ضيقوا علينا وسلطوا

أثقلمهم أنواعاً وألواناً على مشاعرنا وأفكارنا ونحن في طوق الأسر الذي يخنقنا... فدع عنك التجدد والتطور في هذا التحديد للقراءة والتفكير والإحساس والحياة، واسأل إن كان في قدرة الإنسان البقاء بملكاته ومواهبه الإنسانية في هذا الوسط. فإن حماية المستوى الإنساني البسيط في هذه الأرضية عسير، فكيف بإنضاج بشر يسمقون إلى العلى بروح التجديد ويمدّون البصر إلى اللانهايات؟! فلا تنتظر في هذا الوسط إلا أناساً ضعاف الشخصية وأرواحاً هزيلة ضاوية ومشاعر مشلولة. ونعرف من تاريخنا القريب أن الأسرة والشارع ومؤسسات التعليم وأوساط الفنون قد نفخت في أرواحنا الأفكار الشاذة والموازن الفاسدة، فقلبت رأساً على عقب كل شيء، من المادة إلى الروح، ومن الفيزياء إلى ما وراء الفيزياء. في هذه المرحلة المذكورة، كنّا نبدي انحرافاً إذ نفكر، ونخطّط لكل شيء على محور الأنانية، ولا نحسب حساباً لوجود معتقدات وقناعات أخرى غير معتقداتنا وقناعاتنا، ونلجأ إلى القوة باستمرار كلما سنحت الفرصة. وإذا نلجأ إلى القوة، نخلق أنفاس الحق والإرادة والفكر الحر ونجثم على صدور الآخرين. والمؤلم أن هذه الأمور لم تنته بعد، ولا نجزم بانتهائها في المستقبل. لكن الواقع يقتضي - إذ نمضي في طريق التحديد أمة - أن نعيد النظر في الحركات التاريخية لألف سنة مضت، وأن نستجوب "التغيرات" و"التحولات" المختلفة لمائة وخمسين سنة مضت. هذا ضروري، لأن الأحكام والقرارات تُقوّلَب في الحاضر حسب مقدسات (١) مصطنعة. والقرارات المنبثقة من تحت ثقل الفهم السائد المعلوم معلولة... وغير ولودة... وعاجزة بديهة عن الإعداد للمرحلة المشرقة المأمولة. ولئن أعدت لشيء، فإنها تُعدّ للتصارع بين الحشود المنحشرة في شبك غرائز الحرص القاتلة، والخصام بين الأحزاب، والعراك بين الشعوب، والصدام



التفكير الرياضي

الوصف السابع للوارث هو الفكر الرياضي. لقد حقق الأوائل في آسيا في الزمن الماضي، ثم الغربيون، نهضتهم بفكر القوانين الرياضية. ولقد كشفت الإنسانية في تاريخها كثيراً من المجاهيل والمغلقات بعالم الرياضيات المفعم بالأسرار. فإذا تركنا التصرف المفرط للحروفية جانباً، فإنه لولا الرياضيات لما توضحت المناسبات بين البشر ولا بين الأشياء... فهي - كمصدر نور - تُضيء طريقنا في الخط الممتد من الكون إلى الحياة، وتُرينا ما بعد أفق الإنسان، بل أعماق عالم الإمكان الذي يعسر إعمال التفكير فيه، وتوصلنا إلى غاياتنا.

لكن العلم بالأشياء المتعلقة بالرياضيات لا يعني أن العالم بها رياضي. الرياضي يجمع بين الرياضيات وقوانينها فكرياً، ويصاحبها دائماً في الطريق الممتد من الفكر الإنساني إلى أعماق الوجود. يصاحبها دائماً من الفيزياء إلى ما وراء الفيزياء، ومن المادة إلى الطاقة، ومن الجسد إلى الروح، ومن الشريعة إلى التصوف. إننا مضطرون إلى قبول الأسلوب المزدوج لفهم الوجود فهما شاملاً: وأعني الفكر التصوفي والبحث العلمي. لقد أرهق الغرب نفسه ملء فراغ جوهر لم يعرفه أساساً، فحاول سد الحاجة نسبياً بالالتجاء إلى الروحية (Mysticism). أما نحن، فلسنا بحاجة إلى التفتيش عن شيء أجنبي أو اللجوء إلى أي شيء لعالمنا المتمازج بروح الإسلام على مدى الزمان. إن مصادر طاقتنا موجودة في منظومتنا الفكرية والإيمانية. فالمفيد أن نحيط فهماً بهذا المصدر والروح كما هو في ثرائه الأول... فنشهد عندئذ شيئاً من المناسبات الخفية في الوجود والحركات المنسجمة لهذه المناسبات، ونبلغ إلى تطبع مختلف، وعرفان ذوق مغاير، في النظر إلى كل شيء.

بعد تقديم خلاصة قصيرة عن الفكر الرياضي قد تبدو غامضة وإسرافاً في الكلام، لكنني أثق بدويّ أصدائه في المستقبل، أريد أن أنوّه إلى الوصف الثامن وهو رؤيتنا الفنية. لكنني بناء على ملاحظات معينة، أكتفي هنا بقول جولفر: "بعض الأوساط ليست على استعداد حتى الآن للانخراط في هذه المسيرة بمقاييسنا". ■

(١) الترجمة عن التركية: عوني عمر لطفي أوغلو.

الهوامش

(٢) انظر كتاب: ونحن نقيم صرح الروح، فتح الله كولن، دار النيل، ص ١٤.

(٣) انظر: الكلمات لبدیع الزمان سعید الثورسي، ص ٢٩٢.

بين القوات. وإنما اليوم هي سبب تضارب شريحة مع أخرى، وتحول التنوع إلى تحاصم، وحتى الوحشية المشهودة في الأرض! فربما كان العالم يختلف عما عليه الآن اختلافاً بعيداً، لو أن البشر لم يكونوا أنانيين ومنساقين للرغبات وقساة إلى هذه الدرجة.

علينا إذن أن نكون أفسح في حرية الفكر وحرية الإرادة في مسيرتنا نحو عوالم مختلفة، سواء في سلوكنا مع الآخرين، أو من زاوية أنانيتنا الذاتية وتمسكنا برغباتنا. فالحاجة ماسة اليوم إلى صدور متسعة تحيط بالتفكير الحر وتفتح على العلم والبحث العلمي وتستشعر التوافق بين القرآن وسنة الله على الخط الممتد من الكائنات إلى الحياة. ولن يقتدر على ذلك في هذا الزمان إلا جماعة تتحمل دوراً لا يمكن أن يحمله إلا أولو العزم من العباقرة. وفي الواقع كانت هذه الأمور العظام تمثل من قبل عباقرة في الماضي. لكن كل شيء اليوم توسع في التفرعات توسعاً يعجز الفرد الفريد عن حمل العبء، فحلت الشخصية المعنوية والتشااور والشعور الجمعي محل الدهاء. وهذا هو خلاصة الخطوة السادسة لورثة الأرض.

والحقيقة أنه لم يمكن غرس هذا الفهم في المجتمع الإسلامي في تاريخنا القريب؛ ذلك لأن التعليم التقليدي لم يزد على ترداد مسلماته الثابتة، والمدرسة التقليدية أطلت على الحياة من حافاتها وأطرافها، والتكية (الزاوية) دفنت نفسها في الوجدانيات تماماً، والثكنة أظهرت القوة وحدها وزججرت بالقوة وحدها. فكيف يمكن نشر هذا الفهم في المجتمع، وهل يتوقع أن تكون هذه المبادئ جزءاً من الحياة؟!

في تلك المرحلة، هيمنت الفلسفة المدرسية (Scholastic) على التعليم التقليدي ولم يتنفس إلا هواءها، وعاشت المدرسة التقليدية مشلولة لغلق أبوابها بوجه العلم والفكر والحرمان من قوة الإبداع والإنشاء، وسلت التكية والزاوية نفسها بقراءة المناقب بدلاً عن العشق والشوق، واستحكمت في ممثلي القوة عقدة إثبات الذات والتذكير بالنفس بصورة متكررة لظنهم أنهم قد أهملوا... وفي خضم ذلك، انقلب كل شيء رأساً على عقب، وانفعلت شجرة الأمة لتهوي على الأرض... ويبدو أن هذه الزلازل لن تسكن حتى يأتي يوم يتهيا فيه السعداء الذين يمهّد القدر دروبهم لاستخدام هذه الحركات استخداماً أمثل، ولتنفيس الاختناقات بين القلب والعقل وفتح ممرات الإلهام والتفكير في أعماق الإنسان النفسية.

من قطرات الماء تتكون البحار. ولكن كم من الوقت تحتاج هذه القطرات لتصنع بحراً؟ فمن الحماقة أن نتعجل القطرات كي تقتصر الزمن، لأن سنن الكون لا تغير عاداتها من أجل سواد عيوننا!



مقاصد التربية في الفكر الإسلامي

وقدرتها على التكيف مع حاجات المجتمع



أ.د. خالد الصمدي *

يلغي من ذهنه العبيثية والصدفة، ويربيه على رسم الأغراض الذاتية الواضحة في سياق الغايات المتوافق عليها في المجتمع المسلم، في ضوء أحكام الشريعة الإسلامية ومقاصدها. قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمن: ١١٥).

وفي هذا السياق العام نقرأ دعاء إبراهيم عليه السلام لأُمَّته حين قال: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٩). فكانت المقاصد الكبرى لإخراج الأمة للناس ملخصة في ثلاث: المعرفة: ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾، والأولى

أعم من الثانية، لأن الآيات تشمل كتاب الله المنظور والمسطور بما يضمن من سائر العلوم.

إن الناظر في كتاب الله الحكيم وسنة نبيه الكريم لا يكاد يجيد نظره عن البعد المركزي للمقاصد والغايات، فهي جليلة وظاهرة في كل المواقف والأقوال والأفعال. قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَتْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (الملك: ٢) وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦). وقال رسول الله ﷺ: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق". (رواه الإمام أحمد)

مقاصد التربية والتكوين في التصور الإسلامي
إن هذا الأسلوب في بناء الفكر المنهجي والمقاصدي لدى الإنسان

الحكمة: وهي كل مهارات التواصل والخطاب والتصرف التي تمكن الفرد والجماعة من إقناع الناس بالحق وللحق، وإذا كان الله تعالى يعطي المعرفة لمن يحب نعمة ولمن لا يحب امتحانا ونقمة، فإن الحكمة لا يؤتيها إلا لصفوة ممن يشاء من خلقه ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة: ٢٦٩).

التركية: وهي تمازج الإيمان بالوجدان، يدل على ذلك تمسك الفرد بمنظومة القيم الأخلاقية الفردية والجماعية في أرقى مستوياتها، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (الشس: ٩-١٠).

ونجد الربط بين طلب المعرفة، ومهارة القراءة والكتابة، والتربية الإيمانية، في أول آية نزلت من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق: ١-٥). فالقراءة والربط والقلم الواردة في الآية واضحة في الدلالة على المراد.

ومن منهج القرآن والسنة المزج بين هذه المقاصد الثلاثة في كل الأحوال التي يتحدث فيها عن الإنسان فصلاً ووصلاً؛ فالفاصل بينها شقي والواصل سعيد، وهما صورتان بارزتان في القرآن الكريم، أولاهما صورة قارون الذي اغترّ بعلمه حين انفصل عن القيم فقال مزهوا بعد التمكن المعرفي الذي أكسبه أموالاً ما إن مفاتها لتتوء بالعصبة أولي القوة ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ (القصص: ٧٨)، قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ (القصص: ٨١). وقال الذين اغترّوا بمظهره ومكانته قبل قليل ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (القصص: ٧٩). ولكنهم قالوا بعد الخسف: ﴿لَوْلَا أَنَّ مِنْ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكُنَّاهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (القصص: ٨٢). لأن العلم في هذه الحال ما زاد قارون إلا علواً واستكباراً، إذ هو في هذه الحال علم مدمر، ألا ترى أتباع قارون في عصرنا وقد صنعوا أسلحة الدمار الشامل ومحوها أقواماً من البسيطة، ولعبوا بالجينات في غياب الأخلاق؛ فخلطوا الأنساب واستغلوا الصناعات الفضائية للجاسوسية

وقهر الشعوب، فكشفوا بذلك عن الوجه البشع للعلم حين ينفصل عن القيم.

وصورة ذي القرنين الذي نجح في بناء سد من زبر الحديد وقطر النحاس، وجعله حائلاً بين إفساد يأجوج ومأجوج والقوم الصالحين من الموحدين ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ (الكهف: ٩٧)، وحين عجب الناس من صنيعه وعلمه قال: ﴿هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ (الكهف: ٩٨). فربط المعرفة بقيم التوحيد وإجلال العالم الجليل، فكان صنيعه حائلاً بين الحق والباطل إلى أن يشاء الله.

وفي ضوء هذين النموذجين المذكورين في القرآن الكريم، على واضعي المناهج التعليمية في البلدان الإسلامية أن يحددوا غاياتهم من أنظمة التعليم، فإن اختاروا النموذج الأول، فإن المال لن يكون إلا الخسف بمفهومه الحضاري الواسع، وإن اختاروا النموذج الثاني كان علمهم رحمة بالبشرية وإنقاذاً لها.

مقاصد التربية في الفكر الإسلامي

نكاد نجزم أن علماء التربية المسلمين استوعبوا المقاصد التربوية النظرية النابعة من أصول التربية الإسلامية كما حددناها في الفقرات السابقة، وصاغوا غاياتهم التربوية في ضوءها، إلا أن البارز من تحليل كتاباتهم التربوية هو قدرتهم على تكييف غايات التربية مع متطلبات الزمان والمكان؛ فابن سحنون في القيروان، هو غير ابن عبد البر وابن حزم والقاضي عياض في الأندلس والمغرب، وهؤلاء غير الإمام الغزالي في المشرق، وإن كان الجميع ينهل من حوض واحد. والمستفاد من هذا المنهاج هو إقرار الجميع بضرورة تكييف المناهج التعليمية مع متطلبات العصر ومتغيراته وحاجاته.

وتعكس النماذج التالية هذا التنوع المحكوم بالخلفية الفكرية لكل عالم ومتغيرات عصره السياسية والاجتماعية. فالعلم عند أبي عمر يوسف بن عبد البر (الفقيه المحدث المالكي القرطبي المولود سنة ٣٦٨ هـ والذي عاصر زمن الطوائف الأول بعد سقوط الخلافة وقبل عصر المرابطين) يهدف إلى إرضاء الله وخشيشته وحسن العلاقة به في العبادة وتكوين علاقة طيبة بعباده، كما يهدف إلى نفع المسلمين في دنياهم عقلياً ووجدانياً ومادياً. فالرجل ركز على الإخلاص ونبذ حظوظ النفس لما عايشه من خلافات ذاتية عصفت بمصير الخلافة الإسلامية بالأندلس، ولا سبيل لإعادة العزة

للمسلمين إلا بهذا المسلك الذي ينبغي أن تربى عليه الأجيال.

وحدد بدر الدين بن جماعة (ت: ٧٣٣هـ) الفقيه الشافعي الشامي الذي عاصر فترة أهوال سقوط بغداد في يد المغول والصراع مع الصليبيين، المقاصد العامة لطلب العلم في: ١- فهم الدين ومعرفة أصوله وأحكامه وقواعده. ٢- حمل العلم عن السلف. ٣- الدفاع عن الدين وعلومه الصحيحة ضد التحريف والانتحال والتأويل.

ولا شك أن حملات التشكيك التي بثها الصليبيون والفرق المنحرفة عن الإسلام وتاريخه وحضارته وثقافته اقتضت أن يركز الرجل في المقاصد الكبرى للتعليم على تحديد فهم الدين وفق رؤية سلفية متصلة والدفاع عن الدين الذي هُدَّت حياضه وتداعت عليه الأمم.

وقد جعل ابن سينا (ت: ٤٢٧هـ) مقصد التربية والتعليم تنمية القوة المدركة، ولَفَّت النظر إلى أهمية الحكمة فقسمها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما يرتبط بأخلاق المرء وأعماله حتى تكون حياته الأولى والأخرى سعيدة.

القسم الثاني: يرتبط بتدبير المرء لمنزله المشترك بينه وبين زوجه وولده ومملوكه حتى تكون حاله مؤدية إلى كسب السعادة.

والقسم الثالث: أصناف السياسات والرئاسات والاجتماعات المدنية الفاضلة والرديئة، فيعرف وجه استيفاء كل واحد منها وعلة زواله.

قال الدكتور هشام نشابة، محقق كتاب السياسة لابن سينا "وهذه التوجيهات تصلح أن تكون أساساً لوضع منهاج دراسي لمختلف مراحل التعليم".

والأثر الفلسفي في رؤية الرجل لمقاصد التربية والتعليم نابعة من اطلاعه على مقومات تكوين الإنسان في الفلسفة اليونانية بوجه خاص، والسعي إلى تكيف هذه الرؤية مع التصور الإسلامي، مما يجعل الإنسان قادراً على تدبير شؤون الحياة الفردية والجماعية مع الحرص على كسب السعادة في الدارين.

ومن قراءته المعمقة في الفكر التربوي عند ابن خلدون (عالم الاجتماع والعمران المولود سنة ٧٣٢هـ - بـ "تونس"، والذي جاب أقطار المغرب والأندلس زمن بني الأحمر، واحتك بنصاري قشتالة، وعاصر ضعف المسلمين وصراعاتهم بالأندلس) يستنتج الدكتور عبد

الأمير شمس الدين أن المقاصد التربوية عند الرجل تتمثل في: ١- تربية الملكات، ٢- اكتساب الصناعة، ٣- البناء الفكري السليم.

وهي المقومات الكبرى لل عمران، وهي نظرة بعيدة تلخص علاج مشكلات الانحطاط في العالم الإسلامي في العصور الوسطى، والتي تحتاج إلى فهم السنن الكونية في قيام الحضارات وسقوطها، وهي رؤية يقصد ابن خلدون إلى ترسيخها لدى الأجيال الصاعدة، لأن تغير مصير ومسار الأمم يبدأ بتغير التصورات وتنمية المهارات والقدرات.

وبذلك يظهر جلياً أن هذه الآراء التربوية التي أنتجها الفقيه والمحدث والفيلسوف وعالم الاجتماع في ظروف مختلفة لم تخرج عن المقاصد الكبرى للتربية في الإسلام، لكنها أصبحت أكثر إجرائية حينما حكمتها الخلفية الفكرية لكل عالم، والبيئة المعرفية والسياسية التي حكمت عصره، ورؤيته لسبل التصحيح والتغيير التي ستقوم بها الأجيال بعده، وهي الفكرة المركزية التي يمكن استنتاجها والاستفادة منها لتكييف مقاصدنا التربوية المعاصرة مع متطلبات واقعنا ومتغيراته وحاجاته.

إننا نعتقد أن بناء مناهج التعليم وكذلك العمليات الفرعية المرتبطة بها في أي بلد حَسَمَ خياراته الدينية والمذهبية باعتماد المرجعية الإسلامية النصية، والاجتهاد المقاصدي، واستلهاهم التجارب الإنسانية التي لا تتعارض مع ذلك، ينبغي أن تبنى مناهجه التعليمية وفق أسس أربعة:

١- الأساس الفلسفي: وينبغي على الخصوصيات العقائدية للأمة ونظرتها إلى الكون والحياة والمصير باعتبارها محددات رئيسة لتكوين رؤية الإنسان لميررات وجوده وحياته ومصيره.

٢- الأساس الاجتماعي: ويرتكز من جهة على الإمكانيات المتاحة في كل مجتمع لتنفيذ نظام متحدد للتربية والتكوين، ومن جهة ثانية حاجاته التنموية على المدى القصير والمتوسط.

٣- الأساس النفسي: ويرتكز على ضرورة مراعاة النمو النفسي والإدراكي للمتعلمين في مختلف الأعمار، ومسايرة تطوره لتوسيع دائرة التفاعل مع برامج ومناهج التعليم في انسجام وتناغم، مما يُنتج دافعية أكبر نحو التعلم.

٤- الأساس المعرفي: فيراعي طبيعة المفاهيم التي تقدّم للتلاميذ، وكيفية إسهامهم في بنائها في شكل خرائط معرفية متسلسلة

بأسلوب منهجي لا يقتصر فيه دور المتعلم على التلقي، بقدر ما يشترك في بناء المعرفة وفق نسق يمكنه من الأدوات المعرفية الضرورية للتنمية، ويؤهله لإدراك المقاصد الكبرى للعلم الموصلة إلى معرفة الخالق وتقديره حق قدره.

وحين نتحدث عن النظام التربوي والتعليمي بهذه الصيغة المركبة فإننا نرسخ بذلك مبدئين أساسيين:

١- أنه لا فصل بين التربية والتعليم، وإن كان هذا الفصل موجوداً في الواقع اليومي المدرسي الذي أصبح الشأن التعليمي يهيمن فيه على الشأن التربوي والأخلاقي.

٢- أن النظام التربوي التعليمي شبكة من العلاقات والخطابات والوسائل يتداخل فيها سلوك المعلم، وفضاء القسم، والمحتوى التعليمي، والأنشطة التعليمية، وجماعة المتعلمين، والإدارة المدرسية وغيرها.. فلكل طرف سلطته التي يمارسها، والمستهدف واحد طبعاً هو المتعلم الذي نعتقد أنه ينبغي أن يتوفر على مواصفات وكفاءات ثلاث تجعل منه عنصراً نافعاً لنفسه ومجتمعه:

أ- القدرة على الإسهام في عملية بناء المعارف بمختلف أنواعها، وعدم اقتصره على تلقيها واستيعابها، وامتلاك آليات تحديد التكوين الذاتي المستمر مدى الحياة.

ب- امتلاك المهارات العقلية (التحليل - النقد - التعليل - التصنيف - الاستدلال - التمييز - الاستشراف - الحوار) والتقنية (امتلاك القدرة على الإنتاج العلمي والتقني المهني واستثمار تكنولوجيا الإعلام والاتصال في التكوين والبحث والتواصل).

ج- ترسيخ القيم التي تحكم علاقاته مع خالقه ومجتمعه ونفسه؛ وهي قيم مثلى تؤهله للقيام بمهمة الاستخلاف.

فيأتي أي حد استجابت مقاصد أنظمتنا التربوية الإسلامية المعاصرة لهذه القواعد والمبادئ والتحديات واقعنا المعاصر يا ترى؟ ١٩

(٩) رئيس المركز المغربي للدراسات والأبحاث التربوية الإسلامية بالمدرسة العليا للأساتذة بتطوان / المغرب

المصادر

(١) الفكر التربوي في الأندلس، عبد البديع الخولي، دار الفكر العربي، ١٩٨٥م.

(٢) دور الفقهاء في الفكر التربوي الإسلامي، محمد طابخ الحسين بنعزوة - عبد السلام السقالي، المغرب.

(٣) التراث التربوي الإسلامي في خمس محطرات، هشام نشابة، دار العلم للملايين، ١٩٨٨م.

(٤) موسوعة التربية الإسلامية: الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأرقم، عبد الأمير شمس الدين، دار اقرأ، ١٩٨٤م.

إليه فتضرع!

ذاب قلب الحجر تضرعاً،

وانفجر فؤاد الأرض توسلاً...

وهذا الشجر.. أغصانه أكف صراعة،

فارفع إليه كفك،

ولا تكن دون الحجر والشجر،

واطلب لشتاء قلبك ربيعاً،

ولتضرعك قرباً وقبولاً..



الجهل والقصور فريتان... والمحكمة والفضيلة
شقيقتان... فلا يأتي من الجهل إلا القصور... ولا تأتي
من المحكمة إلا العقوبة...

أفراق وأشواق

في الطريق إلى الله

أ. د. محمد عبد النبي

والذين يترقبون الجزاء على التكليف والهمون، بغفلتهم عن كونها ثواباً و"نتيجة لنعمة سابقة، وليست مقدمة لثواب لاحق". وهذا يتفق مع اعتبارها المقصد الأسمى والغاية القصوى من خلق الكون ولا يمكن للمكلف أن يقوم بحققها إلا إذا وقف على حقيقتها وأداها بإخلاص وتذلل "مظهرًا عجزه مع عدم التدخل في إجراءات ربوبيته، أو الاعتراض عليها، ومسلماً للأمر والتدبير كله إليه وحده مع الاعتماد على حكمته دون اتهام لرحمته ولا القنوط منها".

حين نزعهم بأن دعوة بديع الزمان النورسي يهيمن عليها الخطاب التربوي والمنزع السلوكي، فليس هذا انتقاصاً من شمول لم يُدَّع، بل هو شرف يحرص على التفاخر به تلميذ وتابع، وتزلّ قدم من يحصر النهج كله فيه حضوراً لظرف طارئ، أو اغتناماً لهامش يُحرص عليه. سعى بديع الزمان إلى التركيز على خلال العبودية اختياراً "لأنها شرف عظيم، وفيها من اللذة وراحة الوجدان ما لا يوصف". وهذا يعني أن ممارسة وظائفها نعمة في حدّ ذاتها،

وفي لفظة تنم عن ذوق ومكابدة يزيد سبيل العجز تأكيداً للوصول: "إن العجز كالعشق طريق موصل إلى الله". ثم يستدرك على هذه التسوية بأن الوسيلة الأولى "أقرب وأسلم" مبرراً ذلك بأنه "يوصل إلى المحبوبة بطريق العبودية" والآخر تتحد فيه الوسيلة بالغاية، وتنزع منه اللذة في المكابدة ذلة تُبتغى وانكساراً يُراد، فضلاً عن كونه طريقاً لا تصفو دلائقه، وقد يسلكها من لا يرجو للشرعية قدراً. وبإشهار العجز المطلق تتفجر عطايا العبودية، "فالإنسان بقوة ضعفه وقدرة عجزه أقوى وأقدر بمراتب؛ إذ يُسخر له بالدعاء والاستمداد ما لا يقدر على عشر معشاره باقتداره، فهو كالصبي يصل ببكائه إلى ما لا يصل إليه بألف أضعاف قوته، فيتفوق بالتسخير لا بالغلبة. فعليه أن يعلن عجزه وضعفه وفقره وفاقته بالاستمداد والتضرع والعبودية".

ولما كانت حياة بديع الزمان تطبيقاً حياً لما يعلنه من حكم وحقائق، فإنه يقول -تأكيداً للإكرام الملازم للعجز-: "عرفت بالعجز والفقر غير المحدودين الكامنين في حياتي القدرة المطلقة لخالقي ورحمته الواسعة، من حيث إزالة حاجاتي التي لا تنتهي، ودفع أعدائي الذين لا يُعدّون، فعلمت وظيفة العبودية، وتزودت بالسؤال والدعاء والالتجاء والتذلل".

وحتى لا تذهب بعيداً ظنون من يتلقف الكلام ولا يحققه، أو من يتشوق لسماع ما يميل إليه ويتغيه، أو من يستسهل الأشكال والرسوم وتُعييه المقاصد والمعاني ينبه النورسي إلى "أن المقصود بالعجز والفقر والتقصير إنما هو إظهار ذلك كله أمام الله سبحانه، وليس إظهاره أمام الناس".

وفي التشبيه السابق للعجز بالعشق إشعار ضمني باللذة التي تصاحبه، صرح بها في موضع آخر -حين ربطها بالخوف والرجاء- بحكمة تلازم التذلل نفساً في مسلك العبودية -فقال: "إن العارف بالله يتلذذ من عجزه وخوفه من الله سبحانه؛ وحقاً إن في الخوف للذة، فلو تمكنا من الاستفسار من طفل له من العمر سنة واحدة، مفترضين فيه العقل والكلام: ما أطيب حالاتك وألذها؟! فربما يكون جوابه هو: عندما ألوذ بصدر أمي الحنون، بخوفي ورجائي وعجزتي... ومن هنا وجد الذين كمل إيمانهم للذة تفوق أية لذة كانت في العجز وخافة الله، حتى إنهم تبرؤوا إلى الله براءة خالصة من حولهم وقوتهم، ولاذوا بعجزهم إليه تعالى، واستعاضوا به وحده، مقدمين هذا العجز والخوف وسيلتين وشفيعين لهم عند البارئ الجليل".

إن الشعور بالمعية والرعاية يولد في النفس ما يسميه بديع الزمان بـ"الخوف اللذيذ" الذي يقود إلى المحبة واتخاذ الوضع الجميل حسبما يحبه الله ويرضاه. والخوف أيضاً "سوط تشويق يدفع الإنسان إلى حضن رحمته تعالى. ولئن كان للخوف من الله لذة إلى هذا الحد فكيف بمحبة الله سبحانه؟! فيكون بإشهار العجز والخوف لذة في العلاقة مع المحبوب، تنشأ عنها المحبة، التي تقود إلى الانصياع والطاعة والإحبات.

إن الذي يستشعر عظمة الله ويخشاه في الغيب والشهادة همون أمامه المصائب، أو تحف وطأها على قلبه، وبما يُرزقه أيضاً من رجاء يقوى أمله في الله، ويدفعه للطمع في رحمته، فيلجأ مخبتاً للدعاء ليرتفع البلاء أو يُقضى باللطف فيه، و"يتحصن من كل مصيبة مستنداً إلى التوكل، فيمنحه إيمانه هذا الأمان التام والاطمئنان الكامل" ثم يضرب لأثر الإيمان مثلاً فيقول: "فلو أصبحت الكرة الأرضية قنبلة مدمرة وانفجرت، فلربما لا تخيف عابداً لله ذا قلب منور، بل قد ينظر إليها أنها خارقة من خوارق القدرة الصمدانية، ويتملاًها بإعجاب ومتعة، بينما الفاسق ذو القلب الميت -و لو كان فيلسوفاً ممن يعد ذا عقل راجح- إذا رأى في الفضاء نجماً مذنباً يعتوره الخوف ويرتعش هلعا ويتساءل بقلق: ألا يمكن لهذا النجم أن يرتطم بأرضنا؟" بل إن انعدام الاطمئنان والأمان أدى ببعض كبار العلماء والأدباء في نهاية حياتهم إلى الانتحار.

إن الشفاء من ألم الخوف الذي يزيل لذة الحياة الدنيوية "أن ينصت الإنسان بالتسليم لدعوة القرآن، فينقلب العجز تذكرة دعوة للاستناد إلى القدير المطلق، والاتصال بسر التوكل بنقطة استناد فيها أمن وأمان من الأعداء". وكان قد ذكر "أن التداوي بالقرآن يحيل الفقر المطلق الأليم شرقاً لذيذاً إلى ضيافة الرحمة، واشتهاء لطيفا لتناول ثمرات رحمة الرحمن، فتزداد لذة الفقر والعجز بمراتب على لذة الغناء والقوة".

التسليم وخفايا الابتلاء

تأرجح حياة الإنسان بين معاهد الأمل، تراوده في الحقيقة تارة وفي الخيال تارة أخرى، وبين فترات ألم قد تسلمه -إذا طالت- إلى يأس يُقعه أو تبرم يضيره، ولا ينجيه إلا التسليم بسنة الابتلاء يقدر، واعتقاد في حكمة البلاء يتنزل، يُفتتن بخيره وشره من يدين لله بالوحدانية، تنمو به بذرة الخوف في النفس حيناً، وتزهر به نبتة الرجاء حيناً آخر، ولذلك ينبغي اعتبار الآلام والأوجاع



الروحانية "أسواطاً ربانية تحث على المجاهدة والصبر، إذ تقتضي الحكمة الخيلولة دون الوقوع في اليأس، وكذلك دون البقاء في الاطمئنان والأمان، وذلك بالموازنة بين الخوف والرجاء، مع التحمل بالصبر والتحلي بالشكر".

والموت باعتباره بلاء يحيق بالإنسان من كل جانب، لا يمكن تجاوز القلق الذي يحدثه إلا بالاستسلام والتسليم بوجود حكمة في كل ما يفعله الله، ومنها أن يلقى القلب معلقاً بين الخوف والرجاء. ولو كان العمر معلوماً لكان القلق أشد، فمن رحمة الله -عند المقارنة- أن يؤثر نفسه بمعرفة الآجال، وإلا "لقضى هذا الإنسان المسكين نصف عمره في غفلة تامة، ونصفه الآخر مرعوباً مدهوشاً، كمن يساق خطوة خطوة نحو جبل المشنقة، بينما تقتضي المحافظة على التوازن المطلوب بين الدنيا والآخرة ومصلحة بقاء الإنسان معلقاً قلبه بسين الخوف والرجاء: أن تكون في كل دقيقة تمر بالإنسان إمكان حدوث الموت، أو استمرار الحياة، وعلى هذا يرجح عشرون سنة من عمر مجهول الأجل، على ألف سنة من عمر معلوم الأجل".

ويذكر النورسي سرا آخر من أسرار الإخفاء، فلو كان يوم القيامة معلوماً "لدخل قسم من الحقائق الإيمانية ضمن البدهيات، أي يصدق

بها الجميع، سواء أرادوا أو لم يريدوا، ولاختل عندئذ سر التكليف وحكمة الإيمان المرتبطان بإرادة الإنسان واختياره".

الرزق.. أو طريق الإذلال

لقد ذكر بديع الزمان سبب إهمام الرزق وإخفائه فقال: "لو كان الرزق معيئاً كشروق الشمس وغروبها.. لكانت أبواب الرجاء ومنافذ التضرع ومعارض الدعاء الملقعة كلها بالشكر الجميل والرضى الحسن قد انسدت عن آخرها، بل لكانت أبواب العبودية الخاشعة الضارعة قد انغلقت نهائياً".

والحديث عن الرزق قد أولاه النورسي عناية خاصة من حيث تعلقه بالعبودية والتوكل تحقيقاً أو انتقاضاً، والكلام السابق جزء من تلك العناية، أما الجزء الذي قد يفوقه أهمية فهو الاعتقاد الشائع بتلازم سببي بين السعي وبين الكسب والتحصيل،

تُسند فيه العطايا إلى الساعي، وتذوي به رسوم عبادة تعلن، فضلاً عن عبودية تقوُّض أركانها أنفاس زهو مكتوم بتحصيل كسب أو تحقيق ظفر.

ويعالج هذا الأمر وغيره بالقول: "الإنسان مغرم بالرزق كثيراً، ويتوهم أن السعي إلى الرزق يمنعه عن العبودية، فلاجل دفع هذا التوهم، ولكي لا يتخذ ذريعة لشرك العبادة تقول الآية الكريمة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦) وتحصر الغاية من الخلق في العبودية لله، وأن السعي إلى الرزق -من حيث الأمر والنهي- عبودية لله أيضاً... والرزق أنا به زعيم، فواجبكم الأساس هو العبودية، والسعي على وفق أوامري للحصول على الرزق هو بذاته نوع من العبودية".

وبسبب الغفلة عن عقيدة الرزق، وخلو القلب من معانيها ينشأ الحرص بديلاً، تنمو بوادره شيئاً فشيئاً، فيحيله التكاثر إلى طمع يذل صاحبه، وإذا غلبت هذه الطباع على المجتمع يغدو التنارع على الخطام مسلماً يقود إلى إفساد العلائق وخراب الذمم، يقول بديع الزمان: "الحرص داء كالعداء، بل هو أضر على الحياة الإسلامية وأدهى عليها. نعم، الحرص بذاته سبب الخيبة والخذلان، وداء وبيل ومهانة ومذلة، وهو الذي يجلب الحرمان والدناءة". ثم يربط بين ذلك وبين التوكل فيقول: "والحرص يظهر تأثيره السيء بدءاً من أوسع دائرة في عالم الأحياء، وانتهاء إلى أصغر فرد فيه، بينما السعي وراء الرزق المكمل بالتوكل مدار الراحة والاطمئنان، ويبرز أثره النافع في كل مكان".

وكعادة الرجل في ضرب الأمثلة لتأكيد المعنى يلفت الأنظار إلى مفارقة عجيبة بين النبات والحيوان، حيث تساق الأرزاق سوقاً إلى من لا يبرح مكانه، ويُعيي الحراك من عُرف بالعدو فلا يبلغ بعض غايته إلا بالجهد الجهد يذله "فالأشجار.. تُهرع إليها أرزاقها سريعة وهي منتصبية في أماكنها متسمة بالتوكل والقناعة، دون أن يبدو منها أثر للحرص. أما الحيوانات فلا تحصل على أرزاقها إلا بعد جهد ومشقة، وبكمية زهيدة ناقصة، ذلك لأنها تلهث وراءها بحرص".

ولا تظن أن التوكل هو رفض الأسباب وردّها كلياً، وإنما هو عبارة عن العلم بأن الأسباب هي حجب بيد القدرة الإلهية، ينبغي مراعاتها ومداراتها... أما التشبّث أو الأخذ بها فهو نوع من الدعاء الفعلي.

وقد يُثار ههنا على بديع الزمان سؤال مهم مفاده: "ألا يوحى تأكيد معاني العبودية بأنه لم يترك للحرية مجالاً تسيح فيه؟" أو بعبارة أخرى: "ألا يمكن القول بأن ترسيخ معانيها على وفق الرؤية النورية تجعل العبد ذليلاً مستكيناً أمام الله وأمام الناس أيضاً، فيصاب بعطالة على مستوى حياته الدنيا لا ينقذه منها إلا شعار في الجهة الأخرى يتفلّت به من كلّ عقال؟"

ويمكن القول جواباً على هذا السؤال: إن العبودية التي يريدّها الرجل هي تلك الحالة التي تجعل المسلم يستسلم لله وحده، ويسلم قياده له لا شريك له، ليخرج من قلبه كل الأرباب، ولتفقد كل الربوبيات بريقها أو سطوتها، فيغدو القلب العامر بذكر الله خالياً من كل خوف أو رجاء إلا منه سبحانه، "فمن كان عبداً لله لا يكون عبداً للعباد"، ومن "أراد العبودية الخالصة لرب العالمين لا ينبغي له أن يذل نفسه فيكون عبداً للعبيد، وإن جني فوائد الحرية الحقّة والاستفادة منها استفادة كاملة منوط بالاستعداد من الإيمان"، و"المؤمن حرٌّ في ذاته، فالذي هو عبد لله رب العالمين لا ينبغي له أن يتذلّل للناس، بمعنى: كلّما رسخ الإيمان قويت الحرية"، ومفهوم هذه القاعدة عند بديع الزمان أنه كلما قلّ الإيمان كلما ازدادت فرص الوقوع في الأسر، أو كلما آنست طبائع الاستعداد فراغاً في القلوب ملأته بالديونة للربوبيات التي تنشئها، وفي عبارة رائعة يؤكد فيها الترابط السابق فيقول: "فبمقدار قوّة الإيمان تتلأأ الحرية وتسطق".

التوكل والتواكل.. أو محاذير الأسباب

تعرّض مفهوم التوكل من قبل طوائف وجماعات إلى تفسيرات أسلمته إلى مسلك التواكل الذي عدّ من قبل بعض المصلحين والدعاة من أهم أسباب الوهن الذي يعصف بالأمة، باعتبار أن المفاهيم المغلوطة تؤثر سلباً على وعي المجتمع، فيستقرّ في روعه أنه على الجأّة، ولا يسعى إلى تغيير يقلع به عن أسباب التخلف، وهذه من أخطر حالات المرض حين يعتقد العليل سلامته فلا يبحث عن شفاء.

ومن الكتابات التي تألّق فيها بديع الزمان -بالرغم من ظروف الموقع زماناً ومكاناً- موضوع التوكل تحقيقاً وممارسة. والمتعلّقون بالظاهر قد يصدرون حكماً على الرجل يضعونه به ضمن التصنيف التقليدي المعروف، فيهضمونه حقه وحق الأجيال في المعرفة والوفاء، وكأنه خشي أن يفهم خطأ بتركيزه على معاني العبادة والعبودية، فراح يُسرّع إلى وضع الأمور في نصابها، تارة

بتقييد كلامه في إطلاق سبق، وتارة بإلحاق التقييد والاستدراك في الموضع نفسه، وهذا هو الذي سلكه مع مفهوم التوكل، حيث يربطه بمفاهيم عديدة يأخذ بعضها بحجز بعض: "فالإيمان إذن يقتضي التوحيد، والتوحيد يقود إلى التسليم، والتسليم يحقق التوكل، والتوكل يسهّل الطريق إلى سعادة الدارين". ويوضّح سعادة الدنيا بالتوكل فيقول: "نيل مقام التوكل ودرجة الرضى ومرتبة التسليم، هذه المقامات هي السبيل إلى تذوق السعادة الحقيقية، والتسلية الخالصة، واللذة التي لا يشوبها حزن، والأنس الذي لا تقر به وحشة"، ويوضّح سبل الوصول إلى هذه السعادة فيقول: إن المتوكل "يسلم أعباءه الثقيلة أمانة في يد القدرة للقدّير المطلق، ويقطع بذلك سبيل الدنيا مطمئن البال في سهولة وراحة حتى يصل إلى البرزخ ويستريح، ومن ثمّ يستطيع أن يرتفع طائراً إلى الجنة للدخول إلى السعادة الأبدية، أما إذا ترك الإنسان التوكل فلا يستطيع التحليق والطيران إلى الجنة فحسب، بل ستجذبه تلك الأثقال إلى أسفل سافلين".

وبعد التقرير والتأكيد يستدرك قائلاً: "ولا تظنّ أن التوكل هو رفض الأسباب وردّها كلياً، وإنما هو عبارة عن العلم بأن الأسباب هي حُجب بيد القدرة الإلهية، ينبغي مراعاتها ومداراتها، أما التثبت بها أو الأخذ بها فهو نوع من الدعاء الفعلي؛ فطلب المسببات إذن وترقب النتائج لا يكون إلا من الحقّ ﷻ، وأن المنّة والحمد والثناء لا ترجع إلا إليه وحده".

ولا يكتفي بما سبق حتى يزيد التواكل توضيحاً والتوكل بياناً وجلاء، والعلاقة الدقيقة بينهما كما ينبغي لها أن تستقرّ، فيقول عن التواكل: "هو تكاسل في ترتيب المقدمات، وهو في حكم التمرد على النظام القائم بين الأسباب التي هي مقتضى مشيئة الله تعالى، والآخر (أي التوكل): هو توكل إيماني في ترتيب النتائج، وهو من مقتضيات الإسلام، والذي يقود صاحبه إلى التوفيق حتى في النتائج شريطة عدم التدخل في التقديرات الإلهية". ■

(١) جامعة الجزائر / الجزائر.

المصادر

- (١) المثنوي العربي النوري، بديع الزمان سعيد النورسي.
- (٢) الكلمات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالح.
- (٣) الشعاعات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالح.
- (٤) الملاحق، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالح.
- (٥) اللغات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالح.
- (٦) المكتوبات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالح.
- (٧) صيقل الإسلام، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالح.
- (٨) سيرة ذاتية لسعيد النورسي، إعداد: إحسان قاسم الصالح.



ليست المشكلة غيب الحداثة إنما المشكلة غيب الهوية

أ.د. محمد سعيد رمضان البوطي*

غير أن مشكلة إنسان الحضارة الحديثة، أنه يتطلع دائماً إلى أي جديد تركز إليه النفس، ولو تجاوز في سبيل ذلك ذاته وتنكر لهويته، فيقع من جراء ذلك في تشاكس مع إنسانيته، وفي ثنائية مهلكة ما بين مستلزمات هويته الثابتة وأهوائه المتجددة. ولكي نعالج هذه المشكلة، لا بد أن نجعل أولى خطوات المنهج المرسوم لتجديد حياتنا وتطويرها، التعرف على هويتنا، ومن ثم تحديد الارتباط بها والتمسك بمقتضاها.

الحداثة والأصالة
ونظراً إلى أن ميزان حديثي عن علاقة الإنسان بقطبي الحداثة والأصالة، إنما هو الإسلام، فالهوية التي ستكون محل اعتبار لي في معالجة هذا الأمر، إنما هي عبودية الإنسان لله.

من شأن الإنسان في كل زمان ومكان أن يملّ من القديم، وأن تمفو نفسه إلى الجديد. ولكن من واجبه أيضاً أن يلازم إنسانيته، وأن يتقيد بمعانيها وأن يتعامل مع مستلزماتها، وأن لا يملّ من الارتباط بذلك مهما تقادمت صحبة الإنسان لمعاني إنسانيته، بل إنه لا يستطيع أن يعيش إلا بهذا الالتزام، وإلا من خلال أداء هذا الواجب.

بين القديم والجديد

إذن، فالارتباط بالهوية الإنسانية، هو المنطلق والأساس. أما التوجه إلى التفسير والتطوير واستحداث الأنماط الجديدة للحياة، فيجب أن يتم داخل هذه الهوية، وأن يكون من أجل خدمتها وحمايتها.

غير أن ثمة جامعاً مشتركاً بين المسلمين وغيرهم، للتعاون في حل هذه المشكلة، ألا وهو الهوية الإنسانية. ذلك لأن الله لم يعرف عباده على هذا الدين منذ فجر الوجود الإنساني ولم يلزمهم به، في أصوله الاعتقادية وأحكامه السلوكية، إلا ليكون وقاية للمعاني وللقيم الإنسانية التي تميز بها الإنسان عن سائر المخلوقات.

ولو علم الله أن في الفلسفات والأنظمة الاجتماعية ما يغني عن التعليمات الإسلامية التي شرفنا الله بها، لحماية الإنسانية من العبث بها والظلم لها، إذن لأمرنا بالتوجه إلى تلك الأنظمة والفلسفات.

إذن، فحديثي الآن عن الإسلام وما قد يكون فيه من ثوابت ومتغيرات، ليس إلا حديثاً عن السور الذي يحفظ المعاني الإنسانية من العبث بها ومحاولة القضاء عليها..

إنني لم أجد داخل بنيان الحقائق الإسلامية، التي تتألف من المعتقدات العلمية والأحكام السلوكية إلا الثوابت التي لا تتغير. ذلك لأن كل ما فيه حقائق، والحقائق لا تقبل - من حيث المنطق - أي تطور أو تغيير.

غير أن وظيفة هذه الحقائق الثابتة، ألها تبعث الإنسان المسلم على أن يمارس حياته الفكرية والحضارية والاقتصادية عموماً بطريقة متجددة، طبق نظام ثابت معين تحكمه تلك الحقائق التي لا تقبل التغيير.

ومن المهم أن نعلم أن هذه المتغيرات الفكرية والحضارية ليست داخلية في شيء من تلك الحقائق، وإنما هي من آثارها وثمارها. ومن حكم الله الباهرة أن الإسلام لا يمكن أن يبعث المسلمين على التجدد المستمر في حياتهم، إلا إن كان هو بحد ذاته - أي متمثلاً في حقائقه - ثابتاً مستقراً يتسامى على التطوير والتغيير.

وإن هذا الموجز الذي أضعه أمام القارئ لا يتسع - في إيضاح هذه الحقيقة - إلا لطائفة يسيرة من الأمثلة التطبيقية، أرجو أن تكون وافية ببيان هذه الحقيقة الهامة.

إليكم أولاً هذا المثال: إن من أجل مبادئ الإسلام، دوران أحكامه على رعاية مصالح الناس على أن يراعي في ترتيبها سلم الأولويات على الشكل التالي: رعاية مصلحة الدين أولاً، فالحياة ثانياً، فالعقل ثالثاً، فالنسل أو الأسرة رابعاً، فالمال خامساً.

إن مما لا ريب فيه أن هذا المبدأ ترجمة لحقيقة ثابتة تستعصي على أي تطوير أو تغيير له. غير أنه يبعث على سلسلة من التطورات لا نهاية لها في نطاق التعامل مع الحياة. إنه يتطلب منا رعاية مصلحة العقل كلما كان ذلك متسقاً مع مصلحة الحياة،

ولكن المبدأ ذاته يفرض علينا تجاوز مصلحة العقل إذا كان في ذلك تهديد لمصلحة الحياة.

وكذلك مصلحة المال؛ إن هذا المبدأ يتطلب منا رعاية المال كسباً وتنمية وحفظاً، بكل الوسائل والوجوه الممكنة، ما دام التنسيق قائماً بين متطلبات هذه الرعاية، ورعاية المصالح الأربع التي تسبقها في الأولوية والاهتمام. فإذا قام التعارض بين متطلبات رعاية المال، وأي من تلك المصالح الأخرى وجب علينا تجاوز مصلحة المال بالقدر الذي يحقق التنسيق بينها وبين ما عارضها من المصالح الأخرى.

إن هذا المبدأ الثابت، يبعث على حركة مستمرة في تجديد العلاقات التنسيقية بين هذه المصالح، كلما قام فيما بينها أي خلل أو اضطراب. ومن الواضح جداً أن هذا التحرك المطرد، إنما هو ظل لذلك المبدأ الثابت، وليس هو المبدأ ذاته كما قد يتوهم بعض السطحين.

وإليكم مثلاً آخر: من المبادئ والأحكام الثابتة حرمة الغش والخداع في المعاملات المالية، وحرمة التعاملات التي تؤدي إلى استيلاء النقود من النقود دون ربط لها بالمنافع (أي الربا). إن الانضباط بهذا المبدأ الثابت، من شأنه أن يفتح السبيل إلى بدائل متنوعة كثيرة في أوجه التعامل المالي، مثل عقد المراجعة، والمضاربة، وأنواع كثيرة من الشركات وكل ما قد يستجد من أوجه المعاملات المالية البعيدة عن المراجعة والغش والخداع.

إنه مبدأ ثابت بحد ذاته، ولكنه يدفع إلى استحداث ألوان وأطوار جديدة من المعاملات الاقتصادية والمالية.

وإليكم مثلاً آخر: من المبادئ الثابتة اشتراط العدالة في الأشخاص الذين يتولون المناصب الحساسة كالقضاء ونحوه، وفي الأشخاص الذين يدلون بشهادتهم في المحاكم. والعدالة في الشخص أن لا يرتكب جهراً ما قد يخجل بالمروءة، ويثابر على ذلك.

ولكن ما هو الشيء الذي يخجل بالمروءة؟ إنه المثابة على ارتكاب أحد المحرمات، أو مخالفة المألوف والأعراف الدارجة بين الناس.

إنه مبدأ وحكم ثابت في الشرع لا يتبدل، ولكنه كما ترون مربوط بتقلبات الأعراف الاجتماعية. فقد كان من مقتضى هذا المبدأ أن تسقط مروءة من يرتدي مثلاً البنطال الضيق ويمشي حاسراً بين الناس في الشوارع العامة قبل عدة قرون لمخالفته الأعراف الدارجة آنذاك. ولكن هذه الثياب نفسها منسجمة اليوم مع المروءة كل الانسجام، فلا تمنع من شهادة ولا من تولي



الحرائق

قلوب فئحة تحترق...
أرواح ندية تتأكلها السنة النيران...
ها هم فئحة الإنقاذ قادمون...
وبالنيران يحيطون...
وسياجاً من قلوبهم ينصبون...
ويُسْطُ الإنقاذ على الأرض يفرشون...
إهم قادمون.. وبجوارحهم كلها يفتدون..
أولئك الذين في قلب النيران يسجرون..
إهم قادمون.. إهم قادمون..

منصب حساس. ويقول الإمام الشاطبي -وهو كما تعلمون من أبرز علماء غرناطة- إن خروج الشخصية الإسلامية إلى الشوارع والمحافل العامة في المشرق حاسر الرأس، يسقط المروءة ويردّ شهادته، ويمنع من تبوء مناصب القضاء ونحوها. ولكن ظهور هذه الشخصية الإسلامية عندنا في المغرب بهذا المظهر لا يسيء إلى المروءة ولا يؤثر في صحة شهادة ولا يمنع من تبوء منصب.

وهكذا فقد جعل الإسلام من العرف الاجتماعي الدارج ميزاناً للباقة التي يجب أن يتحلّى بها المسلم بل كل إنسان، والتي كسبه المروءة حسب الاصطلاح الفقهي. على أن لا يتعارض لعرف مع ثابت آخر من ثوابت المبادئ الإسلامية.

حاجات الإنسان والإسلام

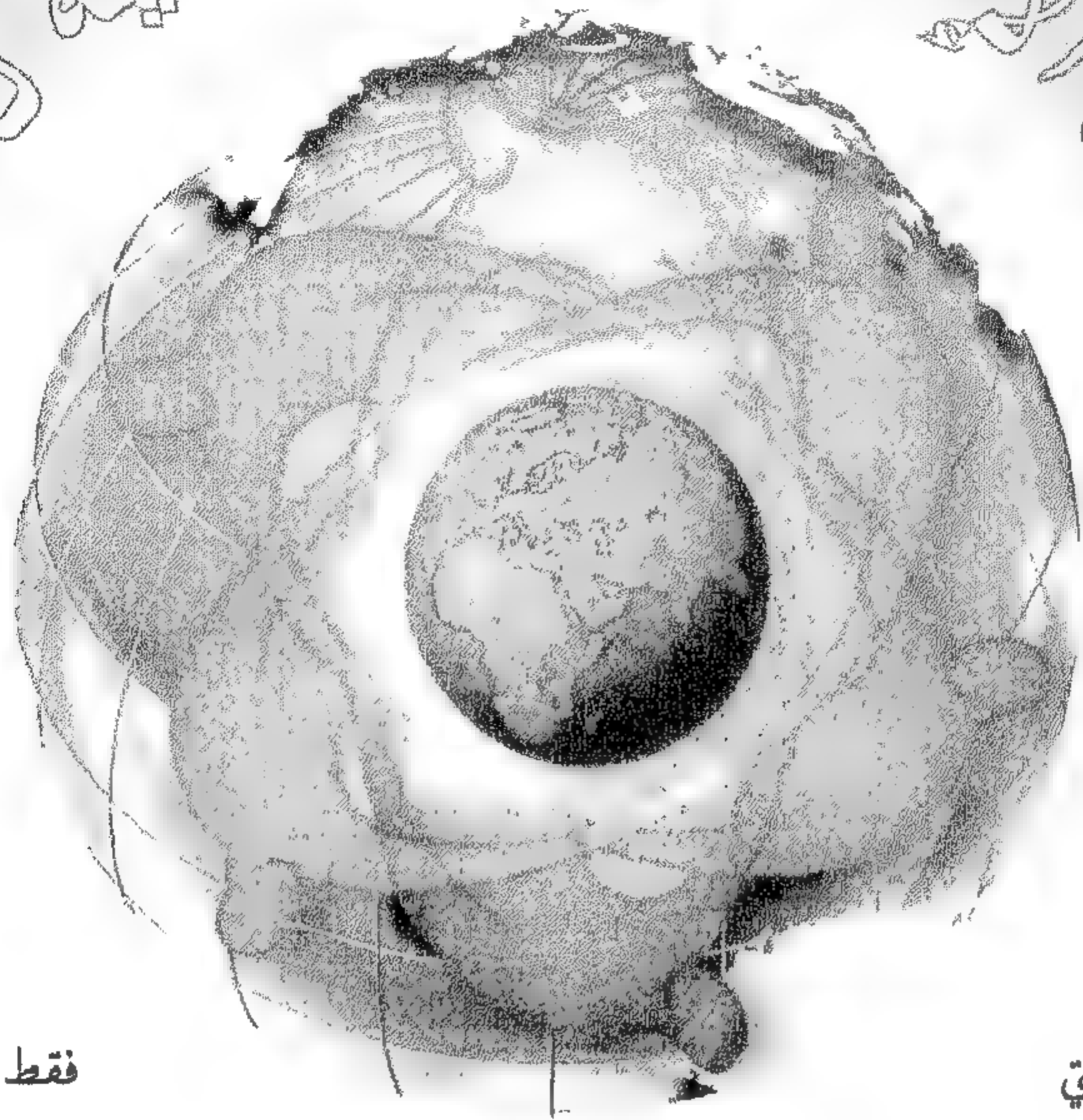
ذن، فالمبادئ والأحكام الإسلامية كلها ثابتة لا تنسخها تيارات الحداثة. وسبب ثباتها أنها تتجاوب مع الحاجات الإنسانية الثابتة. ولو تطورت إنسانية الإنسان لتطورت هذه الأحكام والمبادئ معها. ولكن سبل تنفيذ هذه الأحكام والمبادئ تخضع -كما رأينا- للجدّة وللتطور دائماً. وللأعراف الاجتماعية السليمة سلطان مستمر على ذلك.

وحصيلة القول أن الأحكام التي يتضمنها الإسلام كلها ثوابت لا تبدل. ولكن صدق التمسك بأحكامه، يبعث على التطور الدائم على أن يتم ذلك برقابة دائمة من تلك الأحكام. والبرهان الجليّ على ذلك أن المسلمين الذين اعتنقوا الإسلام في عصر خاتم الأنبياء محمد ﷺ، والذين كانوا مجموعات من قبائل البادية العربية، تطوروا خلال نصف قرن في معاشهم وأساليب حياتهم كلها، أكثر مما تطوره المسلمون المنتورون في هذه القرون الأربعة الأخيرة دون أن يدفعهم ذلك التطور السريع إلى تطوير حكم واحد من أحكام الإسلام، بل كان سرّ تطورهم شدة ثباتهم واستمرار تمسكهم بتلك الأحكام.

إذن، فالمسلمون بمقدار ما يخلصون لمبادئ إسلامهم ويثابرون على التمسك بها، تفتح لهم تلك المبادئ آفاق التطور والحداثة وتدفعهم سريعاً إليها ضمن خطة ونظام.

أرأيتم إلى العربة التي تركبها، إن الإسلام كهذه العربة. بمقدار ما تحافظ على دوائرها ونظامها تنقلك وتوصلك إلى غاياتك، فإن تبرمت بها ومللت من مظهرها ونظامها وأخذت تعبت بها، توقفت وأوقفتك وخلفتك عن بلوغ آمالك. ■

السلام الاحترائي للاله



د. محمد عمارة

إن السماحة التي
تعني المساهلة واللين في
المعاملات، والعطاء بلا حدود، ودونما



فقط للحق، لله ﷻ واجب الوجود؛ بينما
تقوم كل عوالم الخلق المادية والنباتية والحيوانية
والإنسانية والفكرية، (أي كل ما عدا الذات الإلهية) على
التعدد، والتنوع والتمايز والاختلاف باعتبار هذا التنوع والتعدد
والتمايز والاختلاف قانوناً إلهياً تكوينياً، وسنة من سنن الله التي
لا تبدل لها ولا تحوّل. الأمر الذي يستلزم -لبقاء هذه السنة
الكونية قائمة ومطرودة- تعايش كل الفرقاء المختلفين، وتعارف
جميع عوالم الخلق، أي سيادة خلق السماحة في العلاقات بين
الأمم والشعوب والثقافات والحضارات والمذاهب والفلسفات
والشرائع والملل والديانات والأجناس والألوان واللغات
والقوميات. فبدون السماحة يحل "الصراع" الذي ينهي ويلغي
ويفني التعددية محل التعايش والتعارف، الأمر الذي يصادم سنة
الله ﷻ في الاختلاف والتنوع بكل عوالم المخلوقات.

على هذه الرؤية الفلسفية الإسلامية للكون والوجود أقام
الإسلام مذهبه في السماحة، باعتبارها فريضة دينية، وضرورة
حياتية، لتكون جميع عوالم الخلق على هذا النحو الذي أراده الله.
وفي التأسيس القرآني لهذه الرؤية الفلسفية الإسلامية للكون
والوجود نقرأ في آيات الذكر الحكيم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ
مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ

انتظار مقابل، أو حاجة إلى جزاء.. إن هذه السماحة في النسق
الإسلامي ليست مجرد كلمة تقال، ولا شعار يرفع، ولا حتى
صياغة نظرية تأملية ومجردة؛ كما أنها ليست مجرد فضيلة إنسانية
يمنحها حاكم ويمنعها آخر. وإنما هي دين مقدس، ووحى إلهي،
وبيان نبوي لهذا الوحي الإلهي، وتجسيد وتطبيق لهذا الدين في
دولة النبوة وفي دولة الخلافة الراشدة، وفي التاريخ الحضاري
للشرق الإسلامي منذ ما قبل أربعة عشر قرناً، وحتى هذه
اللحظات، بل لأن هذه السماحة هي ثمرة للدين الخالد والشرعية
الخاتمة، فإنها ستظل منهجاً للإسلام والمسلمين إلى أن يرث الله
الأرض ومن عليها.

التأسيس القرآني للسماحة الإسلامية

لقد بدأ القرآن الكريم فأسس السماحة الإسلامية على قاعدة
الرؤية الفلسفية الإسلامية للكون والوجود. ففي هذا الوجود
هناك "حق" هو الله ﷻ، و"خلق" يشمل جميع عوالم المخلوقات.
هناك واجب الوجود، وهناك الوجود المخلوق لواجب الوجود.
وفي هذا التصور الفلسفي الإسلامي تكون "الواحدية والأحدية"

الله أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (الحجرات: ١٣). فالإنسانية تتنوع إلى شعوب وقبائل، والسماحة هي السبيل إلى تعايشها وتعارفها في الإطار الإنساني العام.

وهذه الأمم والشعوب والقبائل تتنوع أجناسها وألوانها وألسنتها ولغاتها ومن ثم قومياتها كآية من آيات الله. والسماحة هي السبيل لتعايش الأجناس والقوميات في إطار الحضارات الجامعة لشعوب هذه القوميات.

وهذه الأمم والشعوب تتنوع دياناتها وتختلف مللها وشرائعها، وتتعدد مناهجها وثقافتها وحضاراتها، باعتبار ذلك سنة من سنن الابتلاء والاختبار الإلهي لهذه الأمم والشعوب، وحتى يكون هناك تدافع وتسابق بينها جميعاً على طريق الحق وفي ميادين الخيرات ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لَيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (المائدة: ٤٨). وبدون السماحة يستحيل تعايش هذه التعددية، التي هي علة الوجود، وسر التسابق في عمران هذا الوجود.

وانطلاقاً من هذا الموقف القرآني الذي جعل هذا التنوع سنة إلهية وقانوناً كونياً، كان "العدل" الذي هو معيار النظرية القرآنية وروح الحضارة الإسلامية هو أساس السماحة الإسلامية في التعامل مع كل الفرقاء المختلفين. ففي التأسيس لهذه السماحة العادلة يطلب القرآن الكريم منا العدل مع النفس والذات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ﴾ (النساء: ١٣٥)، بل ويوجب الله ﷻ علينا العدل حتى مع من نكره ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (المائدة: ٨).

كذلك يوجب الإسلام علينا العدل في النظر إلى المخالفين لنا في الاعتقاد الذي هو سنة إلهية، ونحن مدعوون وفق منهاج القرآن ألا نضع كل المخالفين لنا في سلة واحدة، وألا نسلك طريق التعميم الذي يظلم عندما يغفل الفروق بين مذاهب هؤلاء المخالفين ومراقفهم. وإقامة لهذا المنهاج رأينا القرآن الكريم لا يعمم أبداً في حديثه عن أهل الكتاب وأصحاب العقائد والديانات، وإنما يميز بين مذاهبهم وطوائفهم، فيقول: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ (آل عمران: ١١٣).

فالقاعدة القرآنية الحاكمة في التمييز العادل بين الفرقاء المخالفين لنا هي أنهم ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾. صنع القرآن ذلك عندما ميز فرقاء اليهود فلم يعمم في الحكم على مجموعهم، وصنع ذلك أيضاً في الحديث عن النصارى عندما ميز بين من هم أقرب مودة للمسلمين: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بَأْسٌ مِنْهُمْ قَتِيلِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنْهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فأكتبنا مع الشاهدين﴾ (المائدة: ٨٢-٨٣).

والمنطلق الإسلامي لهذا التمييز المؤسس للعدل والسماحة هو العدل الإلهي الذي هو فريضة إسلامية جامعة. فالله ﷻ رب العالمين جميعاً ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الفاتحة: ٢) وليس رب شعب بعينه دون سائر الشعوب. والتكريم الإلهي شامل لكل بني آدم ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠). ومعيار التفاضل بين البشر المكرمين هو التقوى ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣)، وليس معيار التفاضل لوناً أو جنساً أو سلالة أو أية صفة من الصفات اللصيقة التي تستعصي على الاختيار والكسب والتغير. ولذلك قال الله ﷻ ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (الكهف: ٣٠).

وتأسيساً على هذا العدل الإلهي، أسس القرآن الكريم سماحة الإسلام في النظر إلى موارث النبوات والرسالات التي سبقت رسالة محمد بن عبد الله ﷺ؛ فالقرآن الكريم لم يأت نافياً لما سبقه من كتب، وإنما جاء مصدقاً لها، ومهيماً عليها، أي مشتملاً على ثوابتها ومستوعباً لأركان العقائد فيها، ومضيفاً إليها، ومصححاً لما طرأ عليها. فعلى حين كانت اليهودية تنكر النصرانية وكانت النصرانية تنكر اليهودية جاء القرآن الكريم مصدقاً لما بين يديه من الكتب السماوية السابقة ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ (البقرة: ٩١)، ومؤكداً على أن ما أصاب بعض مواضع هذه الكتب لم يمح ما أودعه الله فيها من هدى ونور ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ (آل عمران: ٢-٤)، فالتوراة ﴿فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ (المائدة: ٤٤)، وكذلك الإنجيل ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ (المائدة: ٤٦).

ذلك هو التأسيس القرآني للسماحة الإسلامية على الرؤية

وما يدينون.^(١) وعقد لهم عهداً دائماً لهم ولسائر من يتدين بالنصرانية عبر الزمان والمكان.

في الخلافة الراشدة

ولقد امتدت هذه السماح بامتداد الفتوحات الإسلامية التي أقامت "الدولة"، وتركت الناس أحراراً في "الدين"؛ فأبنا أبا بكر الصديق عليه السلام يوصي أمير الجيش الذهاب إلى الشام يزيد بن أبي سفيان "إنك ستجد قومًا زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله، فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له" (رواه مالك في الموطأ).

ووجدنا الراشد الثاني عمر بن الخطاب عليه السلام يكتب عهد الأمان (العهد العمري) لأهل القدس (إيليا) عند فتحها سنة ١٥ هـ / ٦٣٥ م الذي قرر فيه: "الأمان لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، وأنه لا تُسكن كنائسهم ولا تُهدم، ولا يُنتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبيهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يُضار أحد منهم. ولا يسكن بإيليا معهم أحد من اليهود (وفق ما طلبوا)، وعلى أهل إيليا أن يُخرجوا منها الروم واللصوص؛ فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن؛ ومن أحب من أهل إيليا أن يسير بنفسه وماله مع الروم، ويحلى ببيعهم وصلبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم وبيعهم وصلبهم، حتى يبلغوا مأمنهم. وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله، وذمة الخلفاء، وذمة المؤمنين".^(٢)

بل لقد امتدت هذه السماح الإسلامية من إطار التعامل مع أهل الديانات السماوية (اليهود والنصارى) إلى أهل كل العقائد والديانات، فشملت المتدينين بالديانات الوضعية من أهل البلاد التي دخلت في الدولة الإسلامية. وعندما فتحت فارس وأهلها مجوس عبدة للنار - سأل عمر بن الخطاب عليه السلام مجلس الشورى (مجلس السبعين) عن الموقف من أهل هذه الديانات غير السماوية: "كيف أصنع بالمجوس؟" فوثب عبد الرحمن بن عوف عليه السلام فقال: أشهد على رسول الله ﷺ أنه قال: "سُنُوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ".^(٣)

والإسلام لم يفرض على منكريه وجاحديه والكافرين به عقوبة دنيوية، وإنما أعلن أن حسابهم على الله يوم الدين. ولذلك قال الإسلام حتى للمشركين الذين أشركوا الأوثان والأصنام مع الله ﷻ: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون: ٤-٦).

الفلسفية للكون والوجود، المحكومة بسنة التعدد والتنوع والتمايز والاختلاف كقانون تكويني (أزلي أبدي)؛ الأمر الذي يجعل السماح ضرورة لازمة وفريضة واجبة لبقاء قانون التنوع والاختلاف عاملاً ومرعياً في عوالم المخلوقات والفلسفات والشرائع والديانات والثقافات والقوميات والحضارات.

التطبيق النبوي للسماحة الإسلامية

ولأن الإسلام هو الجامع والوارث لكل موارث النبوات، فلقد تفرد بالسماحة التي جعلته وحده المؤمن بكل الرسل والأنبياء، وبجميع الكتب والصحف والألواح، دون تفريق بين أحد من رسل الله عليهم الصلاة والسلام ﴿وَأَمَّا الرُّسُلُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ (البقرة: ٢٨٥).

ولأن السنة النبوية هي التطبيق النبوي للبلاغ القرآني، رأينا احتفاء رسول الله ﷺ بكل الرسل والأنبياء. فالوحي الذي جاء به في عقائد دين الله الواحد هو ذاته الوحي الذي أوحاه الله إلى الخالين من أصحاب الرسالات.

وانطلاقاً من هذا البلاغ القرآني جاء التطبيق النبوي الذي يحتضن بالإيمان كل الرسل والأنبياء، فهم جميعاً أبناء دين واحد، وشرائعهم (أمهاتهم) شتى: "الأنبياء إخوة من علات، وأمهاهم شتى، ودينهم واحد" (متفق عليه). ولذلك خاطب الرسول ﷺ اليهود فقال: "نحن أحق وأولى بموسى منكم" (متفق عليه). وقال عن عيسى عليه السلام: "أنا أولى بعيسى بن مريم في الأولى والآخرة" (متفق عليه).

ولم يقف هذا التطبيق النبوي للسماحة القرآنية عند حدود السنة القولية، بل تحولت هذه السماح في التطبيق النبوي إلى واقع معيش، وأخلاق وسحايا، قننها وقعتها دستور دولة النبوة في المدينة المنورة وفي العهود والمواثيق التي قطعها وكتبها رسول الله ﷺ لغير المسلمين.

ففي دستور دولة المدينة (الصحيفة، الكتاب) أصبح الآخر الديني (اليهود) جزءاً من الذات (ذات الرعية الواحدة والأمة الواحدة) مع حرية الاعتقاد بالعقيدة الجاحدة لشريعة الإسلام. ونص هذا الدستور على أن "لليهود دينهم وللمسلمين دينهم.. ومن تبعنا من يهود فإن لهم النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصر عليهم".^(٤)

وعندما جاء وفد نصارى "نجران" سنة ١٠ هـ / ٦٣١ م إلى مدينة رسول الله ﷺ فتح لهم أبواب مسجد النبوة، فصلوا فيه صلاة عيد الفصح، مولين وجوههم إلى المشرق، ثم تركهم



ولم يقيم رسول الله ﷺ حداً ولا عقوبة دينية على الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا، ولا على الذين آمنوا وجه النهار وكفروا آخره. ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦)؛ لأن الإكراه يثمر نفاقاً، ولا يثمر إيماناً، إذ الإيمان تصديق قلبي يبلغ مرتبة اليقين، فاجتماعه مع الإكراه مستحيل.

ولم يقيم رسول الله ﷺ وهو رأس الدولة حداً على مرتدٍ إلا في الحالة الواحدة التي لم يقف فيها الأمر عند الردة عن الدين، وإنما بلغ الأمر مرتبة الخرابه والخروج المسلح على الأمة والدولة؛ فالنفر الذين اغتصبوا إبل الصدقة (مال الدولة) وقتلوا الغلمان الذين كانوا يرعون هذه الإبل (عمال الدولة) ومثلوا بجثثهم، وارتدوا عن الإسلام، قد ارتكبوا جريمة مركبة، صنفها الإسلام تحت حد الخرابه، وليس في باب الردة، وذلك عندما نزل في هؤلاء نفر قول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٣-٣٤).

ولأن هذا هو موقف السماحة الإسلامية من المخالفين في الاعتقاد، فلقد جاء حديث القرآن الكريم عند الإذن بالقتال والتحريض عليه دائماً وأبداً في سياق الحديث عن صدّ عدوان الذين اعتدوا على المؤمنين ففتنهم في دينهم، وأخرجهم من ديارهم، وظاهروا على إخراجهم من أوطانهم، لا شيء إلا لإيمانهم بالإسلام ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ٤٠﴾ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حقٍ إلا أن يقولوا رَبَّنَا اللَّهُ ﴿الحج: ٣٩-٤٠﴾. فحرية الدعوة والضمير، وحرية الوطن الإسلامي هما معيار "الولاء" و"البراء"، و"السلم" و"الحرب" بين المسلمين وغير المسلمين. وفي التقييد لهذه القاعدة الكلية جاءت آيات القرآن الكريم: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الممتحنة: ٨-٩).

وفي التاريخ الإسلامي

وإذا كان المسلمون قد فتحوا في ثمانين عاماً أوسع مما فتح الرومان

في ثمانية قرون، فإن كل معارك الفتوحات الإسلامية قد وقعت عند تحرير الشرق من قهر القوى الاستعمارية وخاصة الروم الذين استعبدوا الشرق وقهروه، ومن قبلهم الإغريق عشرة قرون من الإسكندر الأكبر في القرن الرابع قبل الميلاد وحتى هرقل في القرن السابع بعد الميلاد.

وقفت كل معارك الفتوحات الإسلامية، عند تحرير الشرق من هذا القهر السياسي والديني والثقافي والحضاري، ولم تحدث معركة واحدة بين الجيوش الإسلامية وبين أهل البلاد الشرقية التي شهدت معارك تلك الفتوحات. بل لقد حارب أهل تلك البلاد وساعدوا جيوش الفتوحات الإسلامية ضد الفرس والروم وهم على دياناتهم القديمة. حدث ذلك بمصر والشام والعراق.

وعندما تم تحرير هذه البلاد، تركت الدولة الإسلامية شعوب تلك البلاد وما يدينون، حتى إن الذين دخلوا في الإسلام من أهل مصر والشام وفارس بعد قرن من الفتح لم يزيّدوا على عشرين بالمائة من السكان.^(١) فكانت الدولة الإسلامية حارسة للأرض المحررة من الروم المتربصين الذين ظلوا يجيشون الجيوش لإعادة اختطاف الشرق حتى فتح القسطنطينية، كما ظلت هذه الدولة الإسلامية حارسة لحرية الضمير والاعتقاد الديني، الذي سبق وقهره الرومان عشرة قرون.

ولقد شهد بهذه الحقيقة - حقيقة سماحة الإسلام مع ديانات شعوب البلاد التي دخلت في دولة الإسلام - التاريخ والمؤرخون، وغير المسلمين منهم قبل المسلمين.

فهذا الفتح الإسلامي هو الذي أنقذ المسيحية الشرقية من الإبادة والزوال، حتى ليتمكن أن نقول - دون مبالغة - إن بقاء هذه المسيحية الشرقية حتى الآن إنما هو هبة الإسلام وسماحة الإسلام. فعمرو بن العاص رضي الله عنه هو الذي أمّن البطرك المصري "بنيامين" على حريته، وأعادته إلى شعبه بعد ثلاثة عشر عاماً من الحرب والاختفاء عن أعين الرومان.. وهو الذي حرر كنائس نصارى مصر وأديرهم من الاغتصاب الروماني، لا يجعلها مساجد، وإنما ليردها لأصحابها النصارى يتعبدون فيها بحرية، للمرة الأولى في تاريخ النصرانية المصرية. ومع تحرير الأرض والكنائس والأديرة حرر عمرو بن العاص رضي الله عنه - لأنه مسلم - ضمائر الشعوب التي أدخلتها الفتوحات في دولة الإسلام، لأول مرة في تاريخ نصرانية تلك الشعوب بعد أن كان الرومان يقدمونهم طعاماً للنيران والأسود!..

وإذا كانت نجاة النصرانية الشرقية من الإبادة الرومانية هي الشاهد الماديّ الأصدق على حقيقة السماح الإسلامية، فإن المؤرخين النصارى - من الشرق والغرب، القدماء والمحدثين - قد شهدوا هم أيضاً لهذه السماح الإسلامية.

ففي أقدم كتب التاريخ النصرانية حديث عن سماحة عمرو بن العاص رضي الله عنه مع نصارى مصر، وكيف أن تحرير الإسلام لهم من قهر الرومان، وهزيمة الاستعمار الروماني بمصر على يد الجيش الإسلامي الفاتح إنما كان انتقاماً إلهياً من ظلم الرومان لمصر واضطهادهم لنصارى مصر.. ففي تاريخ "يوحنا النقيوسي" - وهو معاصر للفتح وشاهد عليه -: "إن الله الذي يصون الحق لم يهمل العالم، وحكم على الظالمين، ولم يرحمهم لتجرّتهم عليه، وردهم إلى يد الإسماعيليين (العرب المسلمين) ثم نهض المسلمون وحازوا كل مدينة مصر.. وكان هرقل حزينا.. وبسبب هزيمة الروم الذين كانوا في مدينة مصر، وبأمر الله الذي يأخذ أرواح حكامهم مرض هرقل ومات.. وكان عمرو بن العاص رضي الله عنه يقوى كل يوم في عمله، ويأخذ الضرائب التي حددها، ولم يأخذ شيئاً من مال الكنائس، ولم يتركب شيئاً ما، سلباً أو هباً، وحافظ عليها (الكنائس) طوال الأيام".^(١)

إنها شهادة شاهد عيان نصراني على هذه السماح الإسلامية التي تجسدت على أرض الواقع. ومتى؟ قبل أربعة عشر قرناً من الزمان. وهي سماحة نابعة من الدين الإسلامي، وليست كحقوق المواطنة التي لم تعرفها المجتمعات العلمانية إلا على أنقاض الدين.

وبعدما استقبل عمرو بن العاص رضي الله عنه البطرك القبطي "بنيامين"، وأمنه على نفسه وكنائسه ورعيته وحرية عقيدته بل وطلب منه أن يدعو له، أخذ "بنيامين" في زيارة كنائسه وفي إعادة افتتاحها. وكان الناس يستقبلونه فرحين، مرددين العبارات التي تشهد على أن هذا الفتح الإسلامي إنما هو عقاب إلهي للرومان جزاء الظلم الذي أوقعوه بالنصارى المصريين.

ولقد عبّر الأنبا "بنيامين" عن الأمان الذي أحلته سماحة الإسلام بمصر، على أنقاض القهر والاضطهاد اللذين مارسهما الرومان (النصارى) ضد نصارى مصر. فقال وهو يخطب في دير "مقاريوس": "لقد وجدت في الإسكندرية من النجاة والطمأنينة اللتين كنت أنشدهما، بعد الاضطهادات والمظالم التي قام بتمثيلها الظلمة المارقون".^(٢)

تلك شهادات شهود العيان ورجال الدين النصارى تقول:

إن الفتوحات الإسلامية كانت "الإنقاذ" لشعوب تلك البلاد ودينهم من القهر الروماني، وإن سماحة الإسلام كانت آية من آيات الله، انتقم الله بها من مظالم الرومان. حتى لقد اعتبروا مرض هرقل وموته - وزوال الإمبراطورية الشرقية للرومان - و"سيادة الإسلام" في مصر والشرق آية من آيات الله.

بل لقد زحف رهبان النصرانية المصرية من الأديرة والمغارات التي كانوا هارين فيها من الاضطهاد الروماني.. زحفوا للقاء عمرو بن العاص رضي الله عنه، حتى "ليُروى أنه خرج للقاءه من أديرة وادي النظرون سبعون ألف راهب، بيد كل واحد عكاز، فسلموا عليه. وأنه كتب لهم كتاباً (بالأمان) هو عندهم".^(٣)

وحتى يحافظ الأقباط على نعمة هذا التحرير وهذه السماح الإسلامية، فلقد هبوا عندما عاد الرومان إلى احتلال الإسكندرية سنة ٢٥ هـ / ٦٤٦ م، في عهد الراشد الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه، هبوا إلى القتال مع الجيش المسلم ضد الرومان النصارى، وطلبوا من الخليفة إعادة عمرو بن العاص لقيادة المعركة. فعاد إلى مصر، واستخلص الإسكندرية ثانية من أيدي الرومان.

تلك هي السماح الإسلامية.. كما تجلّت في القرآن الكريم.. وفي البيان النبوي للبلاغ القرآني.. وكما تجسدت في المواثيق الدستورية.. وفي الحياة العملية والواقع المعيش للدولة الإسلامية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، وعبر تاريخ الإسلام والحضارة الإسلامية.. وكما شهدت بها المصادر التي كتبها المؤرخون الثقات من النصارى الشرقيين والغربيين.. القدماء منهم والمحدثين والمعاصرين، والذين تعمدنا الاعتماد على شهاداتهم هم وحدهم، دون شهادة المؤرخين المسلمين. وذلك عملاً بمنهاج ﴿وَشَهِدْ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾ على هذه السماح الإسلامية، التي تفرّد بها الإسلام، والتي لا نظير لها خارج إطار الإسلام. ■

(١) كاتب ومفكر إسلامي / مصر.

الهوامش

(١) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، جمع وتحقيق: د. محمد

حميد الله الحيدري، القاهرة ١٩٥٦ م، ص ١٧-٢١.

(٢) سبل الهدى والرشاد لمحمد بن يوسف بن صالح الشامي، ٦/٦٤٢.

(٣) الوثائق السياسية، د. محمد حميد الله، ص ٣٤٥-٣٤٦.

(٤) الوثائق السياسية، د. محمد حميد الله، ص ٣٤٥-٣٤٦.

(٥) المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي، فيليب فارج، يوسف

كرباج، ترجمة: بشير السباعي، القاهرة ١٩٩٤ م، ص ٢٥.

(٦) تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي، القاهرة ٢٠٠٠ م، ص ٢٠١-٢٠٢.

(٧) تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي، ص ٢٢٠.

(٨) تاريخ مصر في العهد البيزنطي، ص ١٩٤.



﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحج: ٦٥)



د. أ. د. رطلول النحار

السكان، وهذه الظاهرة تدل على عناية الله تعالى ورحمته بعباده. وفي هذا تأييد وتصديق لقوله تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحج: ٦٥) أي ويمسك بقدرته السماء كي لا تقع على الأرض فيهلك من فيها، ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ أي إلا إذا شاء، وذلك عند قيام الساعة.

مع القمر

إن أقرب أجرام السماء إلينا هو القمر الذي تقدر كتلته بنحو سبعين مليون مليون طن، ويدور في مدار حول الأرض يقدر طوله بنحو ٢.٤ مليون كيلومتر بسرعة متوسطة تقدر بنحو كيلومتر واحد في الثانية، وهي نفس سرعة دورانه حول محوره، ولذلك يُرى منه وجه واحد لأهل الأرض.

ومدار القمر حول الأرض، وكذلك مدار الأرض حول الشمس يضاوي الشكل (أي إنه على شكل قطع ناقص). ومن قوانين الحركة في المدار البيضاوي (أو مدار القطع الناقص) أن

تتضمن هذه الآية الكريمة معاني علمية دقيقة، فالسما - وهي كل ما علانا - تبدأ بغلاف الأرض الهوائي؛ فالفضاء، فأجرام السماء، المشع منها بذاته مثل النجوم، فالمجموعات النجمية والسدم والمجرات، وغير المشع بذاته كالأقمار والكواكب والمذنبات والنيازك والجزيئات والذرات والغبار الكوني.. وجميع هذه العوالم تحتفظ بكيانها وتماسكها تحت تأثير عدة قوى أهمها الجاذبية والقوى الناشئة عن الحركة. ولقد تجلّت مشيئة الله ورأفته بالعباد بأن هيّا للأرض غلافا جويا يحتوي على العناصر الغازية التي لا غنى للحياة عنها، كما أنه يحمي سكان الأرض من الإشعاعات الكونية، وأسراب الشهب، والنيازك التي تهيم في الفضاء والتي عندما تدنو من الأرض تحترق في جوها العلوي (احتراقاً جزئياً أو كلياً) قبل أن تصل إلى السطح (العلوي للأرض).

ومن إرادته تعالى ورحمته أن سقوط النيازك التي تدمر سطح الأرض نادر الحدوث جداً، وهو يتم في الأماكن الخالية من

السرعة المحيطية فيه تخضع لقانون تكافؤ المساحات مع الزمن؛ وهذا القانون يقتضي اختلاف مقدار السرعة على طول المحيط، فتزداد نسبياً بالاقتراب النسبي من الأرض، وتزداد بزيادة قوة الطرد المركزي على القمر فتدفعه بعيداً عن الأرض، وإلا اصطدم القمر بالأرض فدمرها ودمرتة. وتقل السرعة المحيطية للقمر كلما بُعد نسبياً عن الأرض، فتقل القوة الطاردة المركزية على القمر لئلا يخرج عن نطاق جاذبية الأرض، فينطلق إلى فسحة السماء أو تبتلع الشمس، وأعلى مقدار لسرعة سبوح القمر في مداره حول الأرض يقدر بما قيمته ٣٨٨٨ كيلومترا في الساعة؛ وأقل مقدار لتلك السرعة يقدر بنحو ٣٤٨٣ كيلومترا في الساعة، وهذا يجعل السرعة المتوسطة لسبوح القمر في مداره حول الأرض تقدر بنحو ٣٦٧٥ كيلومترا في الساعة.

ونفس القانون (قانون الجري في القطع الناقص) ينطبق على سبوح الأرض حول الشمس، وسبوح باقي أجرام السماء كل في مداره حول الجرم الأكبر، أو التجمع الأكبر. ويؤكد علماء الفلك أن أبعد كواكب مجموعتنا الشمسية يبعد عن الشمس بمسافة متوسطة تقدر بنحو ستة آلاف مليون كيلومتر، وأن مجرتنا تحوي قرابة تريليون نجم.

كذلك يحصي علماء الفلك أن بالجزء المدرك من الكون أكثر من مائتي بليون مجرة تتفاوت في أشكالها وأحجامها وكتلتها وسرعة دوران كل منها حول محورها، وسرعة جريها في مدارها، وسرعة تباعدها عنا وعن بعضها البعض (كما تتباين في أعداد نجومها) وفي مراحل تطور تلك النجوم، فمن المجرات البيضاوي والحلزوني وغير ذلك من الأشكال؛ ومنها المجرات العملاقة التي يصل قطر الواحدة منها إلى ٧٥٠ ألف سنة ضوئية، وتصل كتلتها إلى تريليون مرة قدر كتلة الشمس، ومنها المجرات القزمة التي يكاد يتعدى طول قطرها ٣,٢٠٠ سنة ضوئية، وتكاد كتلتها تتعدى مليون مرة قدر كتلة الشمس؛ وتقدر كتلة مجرتنا (سكة التبانة أو درب اللبانة أو الطريق اللبني) بنحو ٢٣٠ بليون مرة قدر كتلة شمسنا (المقدرة بنحو ألفي مليون مليون مليون طن).

وتتجمع المجرات في وحدات تضم العشرات منها تُعرف باسم المجموعات المحلية، وتتجمع تلك في وحدات أكبر تضم المئات إلى عشرات الآلاف من المجرات وتعرف باسم التجمعات

المجرية، وتلتقي هذه في تجمعات أكبر تعرف باسم المجموعات المحلية العظمى التي تلتقي بدورها في التجمعات المجرية العظمى، ثم تجمعات التجمعات المجرية العظمى، إلى نهاية لا يعلمها إلا الله. وفي كل الأحوال يدور الصغير حول الكبير في مدار بيضاوي على هيئة قطع ناقص، تحكمه في ذلك قوانين الحركة في مثل هذا المدار.

والتجمع المجري الأعظم الذي تنتمي إليه مجرتنا يضم مائة من التجمعات المجرية ينتظمها قرص يبلغ قطره مئة مليون من السنين الضوئية وسمكه عشر ذلك (وهي نفس أبعاد مجرتنا مضروباً في ألف). وهذه الأعداد المذهلة مما قد علمنا من أجرام الجزء المدرك من السماء الدنيا لا تمثل إلا نحو عشرة بالمئة من مجموع كتلة ذلك الجزء المدرك، وهي ممسوكة بشدة إلى بعضها البعض، وإلا لزالَتْ وانهارت.. ولذلك قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحج: ٦٥). وقال عز من قائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أُمْسِكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (ناظر: ٤١). وقال ﷺ: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (الرعد: ٢). وقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۖ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ (الفأشية: ١٧-١٨).

وقد تمكنت العلوم المكتسبة من التعرف على عدد من القوى التي تمسك بأجرام السماء على النحو التالي:

١- قوة الجاذبية

وهي أضعف القوى المعروفة على المدى القصير، ولكن نظراً لطبيعتها التراكمية فإنها تزايد باستمرار على المسافات الطويلة حتى تصبح القوة الرابطة لكل أجزاء السماوات والأرض بإرادة الخالق ﷻ حيث تمسك بمختلف أجرام السماء الدنيا على الأقل، وتجمعاتها من الكواكب وأقمارها، والنجوم وتوابعها، وتجمعاتها على كل المستويات إلى نهاية لا يعلمها إلا الله.. ولولا هذا الرباط المحكم الذي أوجده الخالق ﷻ لانفطرت عقد الكون.

يعرف باسم القوة الكهربائية الضعيفة، لأنه لا يمكن فصل هاتين القوتين في درجات الحرارة العليا.

وفي نظريات التوحيد الكبرى يحاول عدد من العلماء جمع القوة الكهربائية الضعيفة مع القوة النووية الشديدة في قوة كبرى واحدة، بل ضم تلك القوة الكبرى مع قوة الجاذبية فيما يسمى باسم "الجاذبية العظمى" التي تربط كل صور المادة في الكون اليوم، والتي يعتقد أنها كانت القوة الوحيدة السائدة في درجات الحرارة العليا عند بدء خلق الكون، ثم تمايزت إلى القوى الأربع المعروفة لنا اليوم والتي تعتبر وجوهاً أربعة لتلك القوة الكونية الواحدة التي تشهد الله تعالى بالوحدانية المطلقة فوق كل خلقه.

ومن هنا ظهرت نظرية الخيوط فائقة الدقة التي تفترض تكون اللبنات الأساسية للمادة من خيوط فائقة الدقة تلتف حول ذواتها فتبدو كما لو كانت نقاطاً متناهية الضآلة في الحجم مشابة بذلك شريط الحمض النووي في داخل نواة الخلية الحية الذي يتكسد على ذاته في حيز لا يزيد على الواحد من مليون من المليمتر المكعب ولكنه إذا فرد يبلغ طوله قرابة المترين يضمن ١٨,٦ بليون قاعدة كيميائية في ترتيب غاية في الإحكام وغاية في الإتقان. وتقترح نظرية الخيوط فائقة الدقة، وجود مادة خفية تتعامل مع المادة الظاهرة بواسطة قوة الجاذبية.

وهنا تتضح روعة النص القرآني المعجز الذي نحن بصددده، والنصوص الأخرى المشابهة له في التعبير عن العديد من الحقائق العلمية التي لم يصل إليها إدراك الإنسان إلا بعد مجاهدة استغرقت آلاف العلماء وعشرات العقود حتى وصلوا إلى إدراك شيء منها في السنوات المتأخرة من القرن العشرين.

وورد تلك الحقائق في كتاب الله الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسوله ﷺ من قبل ألف وأربعمائة سنة، في مجتمع ساداته أمية القراءة والكتابة، وأمية العلم لمما يقطع بالشهادة للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق، ويشهد للنبي والرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة. ■

ويفترض وجود قوة الجاذبية على هيئة جسيمات خاصة في داخل الذرة لم تكتشف بعد، واقتراح لها اسم الجسيم الجاذب، أو الجرافيتون الذي يعتقد بأنه يتحرك بسرعة الضوء، ليربط بين مختلف أجزاء الكون حسب قانون محكم دقيق تزداد فيه قوة الجاذبية بزيادة الكتلة للجرمين المتجاذبين، وتتناقص بزيادة المسافة الفاصلة بينهما. وقد لعبت الجاذبية دوراً مهماً في تكثيف الدخان الكوني الذي نشأ عن واقعة الانفجار العظيم، على هيئة كل صور المادة الموجودة في السماء الدنيا (على أقل تقدير)، كما لعبت ولا تزال تلعب دوراً مهماً في إمساك الأرض بغلافها الغازي والمائي، وبكل صور الحياة والهيئات الصخرية من فوقها.

٢- القوة النووية الشديدة

وهي القوة التي تقوم بربط الجسيمات الأولية للمادة في داخل نواة الذرة، والتي تعمل على التحام نوى الذرات الخفيفة مع بعضها البعض لتكون سلاسل من نوى الذرات الأثقل في عمليات الاندماج النووي. وهي أشد أنواع القوى المعروفة لنا على الأبعاد المتناهية الصغر، ولكنها تضعف باستمرار عبر المسافات الطويلة. وعلى ذلك فدورها يكاد يكون محصوراً في داخل نوى الذرات، وبين تلك النوى ومثيلاتها. وتحمل هذه القوة على جسيمات تسمى باسم القوة اللاصقة أو الجليون.

٣- القوة الذرية الضعيفة

وتحمل على جسيمات تسمى باسم اليوزونات، وهي إما سالبة أو عديمة الشحنة. وتربط الإليكترونات الدائرة في فلك النواة. وهي لضعفها تؤدي إلى تفكك تلك الجسيمات الأولية للمادة كما يحدث في تحلل العناصر المشعة.

٤- القوة الكهرومغناطيسية

وتحمل على هيئة فوتونات الطاقة أو ما يعرف باسم الكم الضوئي. وهذه الفوتونات تنطلق بسرعة الضوء لتؤثر على جميع الجسيمات التي تحمل شحنات كهربائية. ومن ثم فهي تؤدي إلى تكون الإشعاع الكهرومغناطيسي وتؤثر في جميع التفاعلات الكيميائية. وكما تم توحيد قوتي الكهرباء والمغناطيسية في قوة واحدة، يحاول العلماء جمع هذه القوة مع القوة الذرية الضعيفة، فيما

(٥) أستاذ علوم الأرض ورئيس لجنة الإعجاز العلمي بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية / مصر.

ويا مسك أفتح الملكوت

الحمد لله على الامور والبر

يقربني من الرحمن،

هو لك فكيف أحجده؟

يزملي،

يدبرني،

ريشري بساط الحب والتقوى،

لكيف بدق باني ثم أطرده؟

وفي بناء أطاق من السلوى،

وفي البسوى أبارق الهوى الفقا،

وظل وأرف ليان؟

أنا ما قلت،

"أوهك يا خلي القلب أعده"،

وكيف رجعة الماوى،

حيي أنا في حضرة الرحمن،

سويًا نكب الآفات

نعبده؟

يقربني نداؤك،

من جان الخلد والرضوان،

ويصحي عطايه

لكيف يرد هذا القلب،

ما أعطاه مولاه؟

نصبي حالك،

فوق عرش الحب سلطانا،

تدور بأمره الأقالا،

يؤتني تاجي الذهبي نورًا منك،

لسوف أعظم باسمك،

ما يرحف شاعر الطاغوت،

وأجعل وجهك الرضاح،

مفتاحًا إلى الملكوت،

فدي لو شاحك الخفاق،

كل وأعارف الدنيا،

تسزل باسم خالفه،

على قلب الفنى وحيا،

أرش حروفك الخضراء باسم الله،

لوق مروح أخزائي،

ويطلق الخداء،

"الرائد اليمون لا يكذب"

تغدر النور فلما صاحبه الريح،

وحذاء بحر غايته،

وأعصف باسم من حلى جيبك،

بالسنا القدسي ثجاجا،

وأعطاك الهوى العذري وفاجا،

وأعطاني،

وأعلى شأن هذا الظن،

وأكرمه ونعمه،

وأسخ من هواك،

على الظلال بغي أودان،

سأكثر سورة الرحمن،

• رَبِّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبِّ الْمَغْرِبَيْنِ •

يَا بَنِي آدَمَ وَبَنِي نَحْشٍ

وَأَمْسِكُوا بِحَبْلِ الْقَبْلِ

سبحان الذي أمرني بقلبي

من الشرق والمغرب

للتقيا على عبات مولانا (جدة)

نسبحه

نقدسه ونعبده،

ويغدر كل حرف من لساننا،

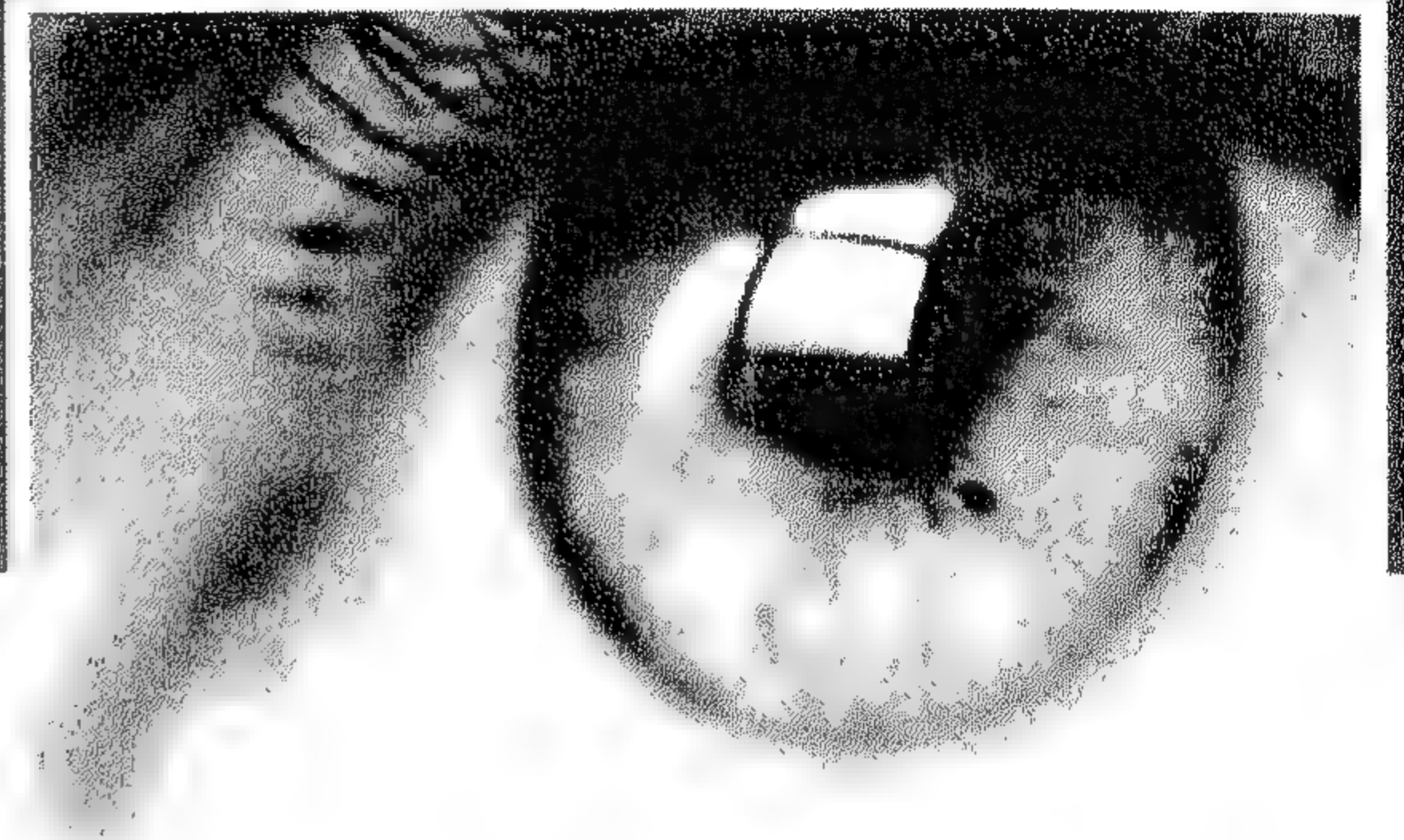
فما للحمد والنسبح

اصبر لتنجح... وعلى الحق فانتصرت...

فالصبر والثبات مفتاحا لكل الابواب الموصدة...

...

أنا عين عبد الله



أ.د. عرفان يلماز

هذه الوظائف الأربع تعمل، فمعنى هذا أن ذلك المخلوق الحي مستمر في الحياة، ولكن هذه الحياة في مستوى النبات. ولكي يمكن الارتقاء إلى مستوى الحياة الحيوانية يجب -علاوة على هذه الوظائف- وجود وظائف إضافية أخرى مثل الوظائف العصبية والحركية والحسية.

فإذا لم تكن هذه الوظائف الحيوانية موجودة فإن ذلك الحي يكون في مرتبة النباتات. وأنت كثيراً ما تقرأ في الصحف "أن الشخص الفلاني دخل في حياة نباتية"، والمقصود بالدخول في حياة نباتية أن ذلك الشخص فقد الوظائف الحيوانية؛ أي فقد أعضاء الحس والمنظومة العصبية وقابلية الحركة، وأصبح مثل النباتات عاجزاً عن الحركة، ولكن استمرت عمليات التنفس والدوران والهضم وطرح الفضلات عنده في العمل دون شعور منه.

وهناك العديد من اللطائف الخاصة بالإنسان وحده مثل العقل والإدراك والإرادة والشعور التي وهبت للإنسان علاوة على الوظائف الحيوانية. ولا يمكن إرجاع هذه اللطائف إلى عضو معين إرجاعاً تاماً. فهي لطائف خاصة، وهي تظهر مرتبطة بالوظائف الحيوانية من جهة، وبروح الإنسان من جهة أخرى.

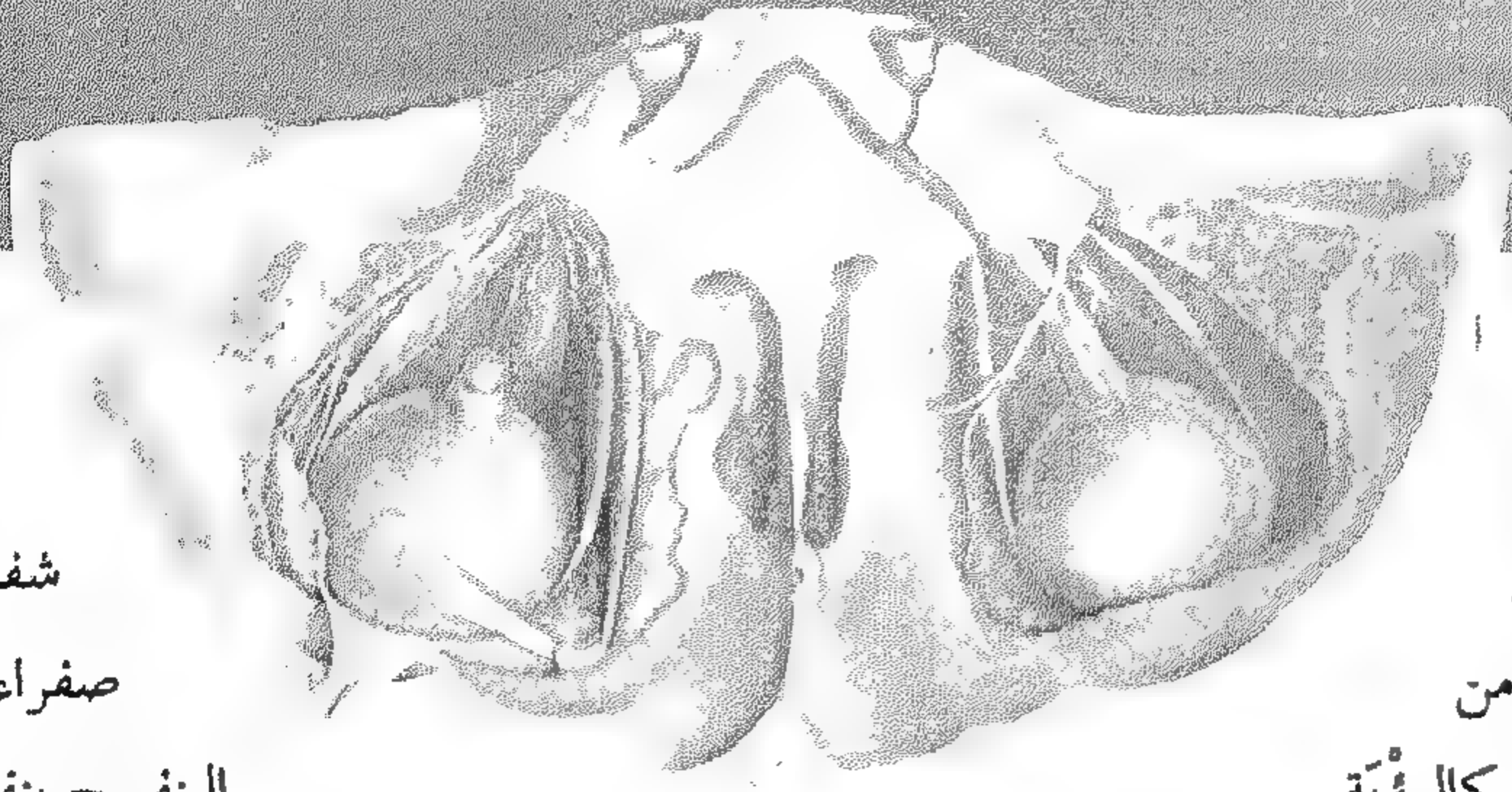
منطقة الرأس وخطورها

ولا توجد مراكز الأعضاء التي تقوم بالوظائف الحيوانية في جذع

حبيبي عبد الله! إن القلب والمعدة والأمعاء والكلية والرئة والبنكرياس وغيرها من الأعضاء التي وهبت لك وجعلت أمانة لديك تبدو عليها آثار صنعة حكيمة وزخارف جميلة وفن راق. كل هذه الأعضاء قد وضعت في تجاويف جسدك. وأرجو ألا تحسب أنني أستهيئ بها وأستصغرها، فهي جميعاً أعضاء مذهلة وهي ضرورية لكي تستمر أنت في حياتك دون مشاكل ومنغصات. ولكن جميع علماء الفيزيولوجيا الحديثة وجميع أطباء القرون الوسطى المشهورين يذكرون أن الوظائف التي تؤديها هذه الأعضاء ووظائف نباتية مما يعني أن الوظائف الأساسية التي تقوم بها هذه الأعضاء هي وظائف تقوم النباتات بأدائها أيضاً.

الوظائف النباتية والحيوانية للأعضاء

إن العمليات والوظائف الضرورية الأربع لبقاء الحياة واستمرارها -وهي عمليات الهضم والتنفس والدوران وطرح الفضلات- عمليات ووظائف تقوم بها النباتات كذلك، ولكن بأعضاء مختلفة. وإذا غابت هذه الوظائف أو توقفت، ظهر الموت؛ أي غاب ما نسميه بـ "جوهر الحياة". وبسبب هذه الوظائف المشتركة مع النباتات سميت هذه الوظائف التي تقوم بها هذه الأعضاء الموجودة في جسدك بـ "الوظائف النباتية". فإذا كانت



الإنسان، بل وُزعت بشكل
مذهل ودقيق في أماكن
خاصة في الرأس الذي هو آية من
آيات الفن. فمراكز الحواس كالرؤية
والسمع واللمس والتذوق والشم، وكذلك

مراكز السيطرة على الحركة موجودة في رأسك. وقد تم ربط
هذه المراكز الموجودة في رأسك داخل الدماغ الذي يعد أعقد
جهاز نعرفه في الكون، بجميع أعضاء الجسم الأخرى من خلال
منظومة عصبية. لذلك فإن منطقة الرأس منطقة في غاية الأهمية.
ولكونها تحمل تحفاً نفيسة وغالية فهي مثل دكان مملوء بالتحف
والجوهرات وهي منطقة حساسة ومعرضة للأذى والخطر. فإن
دخل مسمار في رجلك فستألم، ولكنك تستطيع معالجة هذا
الجرح دون أن تصاب بضرر كبير؛ أما إن دخل مسمار في أي
عضو من أعضاء الرأس فسيولد نتائج خطيرة تتراوح بين فقد
ذلك العضو لوظيفته والموت.

نعمة البصر

وكما فهمت من هذه المقدمة فإن منطقة الرأس هي مركز
الوظائف الحيوانية ومركز اللطائف الإنسانية المقامة على هذه
الوظائف. وعند ذكر منطقة الرأس أتبادر أنا (العين) إلى الذهن
في الوهلة الأولى. لماذا؟ لأنك لا تستطيع قراءة هذه السطور
أمامك إلا بواسطتي، ولا تستطيع رؤية ومشاهدة جميع أنواع
الجمال التي يحفل بها الكون إلا بفضلتي.

فلو لم يخلقني الله تعالى ويضعني في تجويفين في الرأس لما عرفت
شيئاً لا عن الضياء ولا عن الألوان ولا عن الأزهار والورود ولا
عن جمال البلاليل. ولولا لي لحفت من المشي خطوة واحدة، لأنك
لا تستطيع رؤية الأرض التي تطوها. فعملية الرؤية لا تصل إلى
دماغك ولا تتم إلا بواسطتي. ولو لم يخلقني الله تعالى ويخلق أعضاء
الحس الأخرى لما وصلت الإنسانية إلى المستوى الحالي للعلم، بل
لبقي دون هذا المستوى بكثير، لأن أهم طريق للحصول على
العلم يمر من خلال الأعضاء السليمة للحواس، ولا يمكن الوصول
إلى معرفة خصائص الأشياء وتسميتها إلا بواسطتها، حيث يمكن
آنذاك تسجيلها وتثبيتها ووضعها في صيغ معادلات وقوانين.

ولكي تعرف أن الماء
شفاف والتفاح أحمر والكمثرى
صفراء والورقة خضراء وزهرة
البنفسج بنفسجية اللون فأنت محتاج
إلي أولاً. ولكي لا تصطدم بالجدران عند مشيك،
ولكي تميز وجه أمك وأبيك وأصدقائك فأنت في حاجة إلي.
أنت في حاجة إلي عندما تأكل، وعندما تشرب وعندما تكتب
وعندما تقرأ. وجرب محاولة المشي في الطريق لمدة عشر ثوان
وأنت مغمض العينين فماذا سيحدث آنذاك؟ سيكون الأمر صعباً
عليك، أليس كذلك؟! سيلفك الخوف من الاصطدام بشيء أو
من السقوط.

يا عبد الله! تنفّس عميقاً واشكر الله تعالى ربنا من أعماق
قلبك وأنت مغمض العينين. فأنت لا تصبر على الظلام عشر
ثوان، فما بالك لو لم تعرف الضياء والنور طوال حياتك؟ وفكر
من حين لآخر في إخوانك الذين فقدوا نعمة البصر (بناءً على
حكم عديدة وامتحاناً لهم) واشكر ربك لأنه ما ابتلاك بمثل هذا،
وتضرّع إليه وادعه لكي يهب الصبر لهم لكونهم محرومين مني.

بعض التفاصيل غني

والآن سأشرح بعض خواص بُنيّ ودقائقها... واعلم أن "جارلس
دارون" عندما شاهد بدائع صنع الله في أدرك أن من المستحيل
ظهوري تلقائياً أو عن طريق المصادفات العشوائية في الطبيعة
التي لا عقل لها ولا شعور، فما عمالك أن قال: "أكاد أجنّ لأنني
لا أستطيع تفسير ظهور مثل هذه الأعضاء المعقدة التركيب عن
طريق المصادفات".

إن الجمال والدقة الموجودة في تركيبي لا نظير لها في أي آلة
تصوير.. إن نظام عملي مرتبط بالخصائص التي وهبها الله ربنا
للضوء وقوانينه. لذا فقد درست ودققت كيفية عملي والمقاييس
الموجودة عندي وقمت بصنع أجهزة تصوير (كاميرات) بسيطة
في البداية ثم نجحت في صنع كاميرات جيدة وممتازة. ولكن إياكم
ومقارنتي بهذه الكاميرات لأن النتيجة ستكون مخجلة لكم، فإن
أفضل كاميراتكم تُعدُّ لعبة أطفال بسيطة بالنسبة إلي. وكانت
الكاميرا الأولى البسيطة التي صنعتوها عبارة عن صندوق خشبي





مغطاة بقماش أسود، وانقضت ١٧٥ سنة على هذه الكاميرا البسيطة، وعمل مئات وآلاف الفنين والمهندسين في تطوير الكاميرات طوال هذه السنوات. وأخيراً نجحتم في صنع كاميرات جيدة ومعقدة مثل الكاميرات التلفزيونية والكاميرات الرقمية. فهل يستطيع أحد أن يدّعي بأن تلك الكاميرا البسيطة التي كانت عبارة عن صندوق بسيط وعدسة تطورت تلقائياً وانقلبت إلى كاميرا حديثة متقدمة؟ وهل يمكن عزو جهود المئات من العلماء الذين استعملوا تراكمهم العلمي والفني لهذا الغرض إلى المصادفات العشوائية؟ وهل يمكن أن تتطور عيون حيوان رخوي أو عين حشرة إلى عين إنسان؟ طبعاً يستحيل هذا. ولكي تدرك هذا جيداً وتفهمه، عليك أن تملك بعض المعلومات عن تركيب وطبيعة بُنيّ على المستوى المجهرى.

تركيب العجبة

أنا على شكل كرة وأملك بنية قوية ومتينة ومرنة في الوقت نفسه ومركبة من طبقات عدة وأشبه كيسولة مسدودة. يبلغ قطري ٢.٥ سم. وفي قسمي الخارجي يوجد غشاء صلب أبيض (sclera). ويتم حفظي ووقايتي بطبقة متينة مركبة من ألياف رابطة كثيفة. ويوجد تحت هذه الطبقة غلاف العين المشيمي (choroid) وهو عبارة عن طبقة تنتشر فيها كشبكة الأوعية الدموية التي تقوم بتغذيّتي. وفي نهاية القسم الداخلي توجد شبكية العين (retina) وهي من أهم مكوناتي. وتحتوي على المستقبلات الضوئية. وتحتوي كل طبقة من هذه الطبقات على طبقات فرعية ولكل منها وظيفة خاصة، ولكني لا أريد هنا الدخول إلى التفاصيل.

والطرف الأمامي من بُنيّ الكروية محدّبة بعض الشيء نحو الأمام والقسم الوسطي من الطبقة الصلبة الموجودة في الأمام جعل شفافاً لكي يسمح بمرور الضوء من خلاله ويدعى القرنية (cornea). وتغلف طبقة من غشاء مخاطي (mucosa) الجزء الخارجي من هذا القسم الشفاف لكي تمنع جفافه وهو غشاء مخاطي موجود في باطن الجفن.

ولكي يتيسر جمع أشعة الضوء في بؤرة واحدة فقد زيد في تحدب القرنية في القسم الأمامي منها أكثر من المناطق الأخرى.

ويوجد خلف هذا القسم المحدب غرفة صغيرة وعدسة تقوم بفصل هذا القسم عن الغرفة الأصلية الكبيرة. وهناك سائل شفاف في الغرفة الصغيرة الموجودة بين العدسة والقرنية، يضيف على اللون. وهو القرنية أو حدقة العين التي تبدو كثقب أسود، وتركيب قرنية العين (الحدقة) من عضلة خاصة تستطيع التمدد والانكماش لتضبط بذلك مقدار الضوء الداخل من خلال الثقب الموجود في وسطها. فعند اشتداد الضوء تنكمش لمنع دخول ضوء أكثر من المطلوب للحيلولة دون تضرر الشبكية وخذشها، وعندما يقل الضوء تنفتح وتتوسع للسماح بمقدار أكثر من الضوء الساقط على الشبكية لكي تتم عملية الرؤية بشكل أفضل.

تقع الأربطة التي تمسك بالعدسة في مكانها وكذلك العضلة التي تقوم بتغيير شكل العدسة لتعير مساحة البؤرة وضبطها - أمام الطبقة التي توجد فيها الشعيرات الدموية. وعندما تنظر إلى القريب أو إلى البعيد فإن أحد العوامل التي تضبط مسافة البؤرة بشكل صحيح هو تغيير سمك العدسة، وتقوم بهذا العمل الأربطة الماسكة بالعدسة حيث تنكمش وتنبسط حسبما يتطلب الأمر.

وتوجد خلف العدسة الغرفة الكبيرة (الغرفة المظلمة) المملوءة بسائل جليبي نصف شفاف. وبفضل كثافة السائل الزجاجي نصف الشفاف الذي يملأ هذه الغرفة وبفضل الضغط الذي يولده هذا السائل يأخذ شكلي الكروي متانة وقوة أكثر. وتوجد في الطبقة الشبكية خلف هذه الغرفة المظلمة خلايا العصيات الحساسة للضوء وهي بشكل أنابيب ومخاريط. وتسقط الصور التي يشكلها الضوء الداخل من خلال القرنية والعدسة - الموجودة في الأمام - بشكل معكوس على الشبكية. وتوجد المستقبلات الضوئية (الخلايا الضوئية) بشكل كثيف في النقرة أو الحفرة

المركزية حيث تتشكل

أوضح الصور هنا.

وتشكّل صور الأشياء هنا لا يعني رؤية

تلك الأشياء بعد، لأن إدراك الصور ومشاهدتها فعليًا

لا تتم إلا بعد وصول هذه إلى المركز البصري في

الدماغ، وإثارتها لمجموعة الخلايا الخاصة. ونحن نطلق

اسم "الرؤية" على هذا الإحساس أو الإثارة المتولدة هناك.

إن سرعة التفاعلات الكيماوية والكهربائية التي تجري في هذه

الخلايا نتيجة لتأثير الضوء سرعة كبيرة جدًا بحيث يندهش العقل

منها. إن الإشارات الكهربائية المتولدة في خلايا المستقبلات

الضوئية (نتيجة لتأثير الضوء) تنتقل بواسطة العصب البصري إلى

الدماغ حيث تتم عملية الرؤية هناك. لذا فإنني أعدّ واسطة فقط

في عملية الرؤية.

التدابير المتخذة لحماية

ونظرًا لأنني عضو حساس لا أتحمل أي ضرر فقد حفظني

الخالق ووضعتني في تجويفين موجودين في جمجمتك؛ أي وضعتني

ضمن علبة صلبة وأمنة جدًا، تتألف من الفك الأعلى، والعظم

الوجني، والقسم الأسفل من العظم الجبهي، والعظم الدمعي،

والعظم المنفوي (عظم تجويف الأنف)، والعظم الكرواني. ولا

تقتصر الإجراءات المتخذة لوقايتي على هذا فقط، فقد جهزني

الخالق بجفنين؛ الجفن الأعلى والجفن الأسفل. وهما ينغلقان

بشكل آلي عند ظهور أي خطر من جهتي الأمامية. وبفضل

انفتاح جفني وانغلاقهما في فترات معينة تتم عملية تنظيف

طبقتي الشفافة الأمامية (القرنية). ويشبه هذا قيام منظفات

الزجاجة الأمامية لسيارتكم بعملية التنظيف لها. وأجفاني

ليست عبارة عن جلد اعتيادي ذي طيات، فهناك منظومة

كبيرة من الغدد تقوم بترطيب القسم الداخلي للأشجار على

الدوام وتدهينه ولصق ذرات التراب ببعضها وتنظيفها. وعندما

تحزن وتتأثر كثيرًا تقوم الغدد الدمعية الموجودة بيني وبين الأنف

بإفراز الدموع التي تملأ في بادئ الأمر كيس الدموع، ثم تندفع

بواسطة قناتين وتقوم بغسلي جيدًا. وعندما تبكي كثيرًا يقوم

كيس الدموع بإرسال الدموع الفائضة عن طريق قناة ثالثة إلى

الأنف، وهكذا يتم تنظيف هذه المنطقة كذلك.

وكلما زاد عدد أجزاء أي آلة أو جهاز كلما زاد احتمال

عطبه. فإذا علمت أنني أتكّون من عشرات الأجزاء، وكل جزء

منها مكّون من ملايين الخلايا، وهذه الأجزاء تكّون منظومة تعمل

بتلاؤم تام وبديع، علمت أنه من الممكن وقوع عطب في أي

جزء من هذه الأجزاء احتمال وارد. ولكن خالقنا تعالى صاحب

القدرة اللانهائية وضعنا في رؤوس الملايين من بني الإنسان لتنوير

عالمهم دون أن يظهر أي عطب عندنا في أغلب الأحيان.

أحيانًا تظهر بعض الأعطاب والأمراض عندنا لكي يرينا

الله تعالى مقدار عجزنا وضعفنا. ولي نصيب أيضًا من هذه

الأعطاب، ومن ذلك العطب الذي يصيبني في موضوع انكسار

الضوء وفي مجال رؤية البعيد أو القريب. وتستطيعون أنتم الآن

تعديل هذه الأعطاب ببعض العدسات، ولكن من الصعب في

معظم الأحيان شفاء أو علاج معظم الأعطاب التي تصاب بها

خلايا مستقبلات الضوء.

ويجب أن يكون ضغط السائل الموجود في الغرفة الكبيرة

متوازنًا أيضًا. فإن زاد هذا الضغط حصل صداع شديد ويطلق

أطباؤكم على هذا اسم "كلوكوم". فإن فقدت العدسة شفافيته

فهذا يعني حصول "عتمة عدسة العين" (cataract). ثم هناك

أمراض عديدة تصيبني من جراء الالتهابات التي تسببها بعض

البكتريات والفيروسات، ولكن خلايا منظومة الدفاع الموجودة

عندك تستطيع -بإذن الله تعالى- التغلب على هذه الجراثيم.

وهناك أمراض أخرى مثل مرض السكري ونقص فيتامين A،

تؤثر في تأثيرًا سلبيًا وتصلب الشرايين، وتؤدي إلى الإحلال في

وظائفي، ويؤدي هذا إلى مشاكل كبيرة لك في حياتك.

يا عبد الله! أستطيع أن أحدثك عن نفسي بصفحات

وصفحات، ولكني لا أود أن أشغل ذهنك بمعلومات عميقة في

التشريح والفيزيولوجيا؛ لأن غاييتي الرئيسية هي إظهار الصنعة

الإلهية البديعة الموجودة في كل عضو من أعضائك، وإظهار

حكيمته الدقيقة، ومساعدتك في الوصول إلى مستوى من الفكر

حيث تقوم بشكره وحمده. وما أسعدني إن نجحت في هذا... ■

(٥) جامعة ٩ أيلول / تركيا. الترجمة عن التركية: أورهان محمد علي.

لكن أنت القديسة!

نور الدين صواش



جلس على مقعده وراء المكتب وراح يفكر بالشخصيات التي سيدعوها إلى حفل التخرج للمدرسة؛ ينبغي أن يكون حفلا رائعا يترك في نفوس الحاضرين أثرا لا ينسى.. شرع بكتابة أسماء المدعوين على بطاقات الدعوة: "السيد رئيس الوزراء الموقر"، ثم كتب أسماء أصحاب المناصب الأخرى واحدا بعد الآخر ليس بالأمد البعيد، بل منذ بضعة أشهر فقط فاز تلاميذه بميدالية ذهبية في مسابقة الفيزياء الدولية. منح نفسه فترة استراحة قصيرة ليشرّب كوبا من الشاي، وما لبث أن اجتذبتة أطيايف من الذكريات.

كان قد تخرج من الجامعة بتقدير ممتاز. كم كانت أمه سعيدة بنجاحه، أمه التي انتظرت ذلك اليوم بفارغ الصبر منذ سنوات ليحلف إلى جانبها ويخفف عنها آلام الوحدة. فمنذ أن ارتحل والدّه إلى الرفيق الأعلى وهي تعاني من قسوة الوحدة في منزل ولدها الأكبر بسبب المعاملة السيئة التي تلقاها من زوجته. لكنها دفنت آلامها في قلبها واعتصمت بالصبر الجميل منتظرة اليوم الذي تزول فيه كل هذه المآسي. "ولدي مثال للوفاء، وسوف أزوجه بفتاة جميلة ومؤدبة، بعدها نعيش معا حياة سعيدة هنيئة". كل شيء سيتغير بعودة ولدها. لن تتساقط براعم الأمل مبكرا بعد اليوم، ولن تنحدر دموع الحزن من عينيها، ولن تناديها نجوم الغربة في السماء

كل ليلة، ولن تسمع النغمات الحريّة في المذياع. ستحبّ نسيمات السعادة والأمل على ربوع قلبها بعد قدوم ولدها العزيز.

سمع دقات خفيفة على الباب. ها هو الشاي قد حضر. ارتشف رشفة. ثم عاد إلى ذكرياته الحبيبة، ارتسمت صورة أمه أمام عينيّه. كم كانت سعيدة عندما قدّم لها شهادة الجامعة، ترقّرت عيناها بدموع الفرح، وضّمته إلى صدرها بخنان "أخيرا عدت إلى أمك يا ولدي".

لكن كيف يقول لها إنه عيّن مدرسا في إحدى دول آسيا الوسطى التركية. ألن يحطم ذلك كل أحلامها؟ عليه أن يخبرها، ولكن كيف؟ وهل يحتمل قلبها الرقيق الخروج؟ إلا أنه لا بد من ذلك. لا بد أن يُقنع والدته بأن آلاف الأعين تنتظره في تلك الأراضي البعيدة. عليه أن يسرع لسقي تلك البقاع الظامئة مع من ذهبوا قبله من الشباب التربويين الأطهار... عليه أن يذهب حاملا معه رسالة الرحمة والحب ليغرسها في القلوب الضائعة الحائرة... عليه أن يذهب حاملا معه القلم والكتاب والإيمان والفضيلة. لا بد من تلبية نداء "الأستاذ المرّبي" الذي تشبّع بأفكاره النبيلة. كم سكب "الأستاذ المرّبي" من الدموع من أجل أن يبعث الروح من جديد في تلك الأراضي الميتة، وكم



أغمي عليه وهو يدعو إلى الهجرة لنشر نور الحياة في تلك الديار المظلمة. لا بدّ من الهجرة... ألم يهاجر أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرجاء العالم لنفّس الغاية النبيلة؟!

استغرق في تفكيره ثلاثة أيام. كيف يقول ذلك لأمه يا تُرى؟ حاول مرّات ومرّات، ولكن بدون جدوى. الأيام مرّت بسرعة وموعد السفر أصبح وشيكاً. غداً يسافر إلى إسطنبول ومنها إلى آسيا الوسطى. جلس إلى جانبها برفق، ونظر إليها بحنان مشوب بشيء من القلق. أحسّت بأن شيئاً خطيراً سيقوله، أطرق إلى الأرض وقد اغرّورت عيناه بالدموع وعلقت كلماته في حلقة، ثم ارتقى في حجرها مجهشاً بالبكاء "أمي الحبيبة، يا أعزّ إنسان في الوجود... أمّاه..." رفع رأسه ونظر إليها ملياً ثم تمتم بعبارة متقطّعة "عليّ أن أذهب يا أمّاه... عليّ أن أذهب إلى آسيا الوسطى..."

لم يستطع أن يقول سوى هذه الكلمات... خيّم على الغرفة صمت كثيب، بدّت الأم مذهولة غير مصدقة... لكن بعد لحظات صحّت من ذهولها، وربّت على كتفه بحنان وسط دموع ساخنة تنحدر على خديها. كانت "صبريّة هانم" من الذين يعرفون معنى الرسالة التي يؤدّيها ولدها ورفاقه. فقالت وهي تمسح دموعها "صحبّتك السلامة يا ولدي، وسأصبر على فراقك وعلى إساءة زوجة أخيك، فاطمئنّ بالاً".

في المساء الذي ودعت فلذة كبدها إلى إسطنبول سكبت دموعاً غزيرة. كانت قد جهزت حقييته بنفسها، وأعدت له شيئاً من الطعام ليأكله أثناء الطريق. لقد تركها وديعة عند الله وليس عند زوجة أخيه. ظلّت تلوّح له يدها حتى غاب في الأفق البعيد. وفي صباح اليوم التالي وقبل أن يركب الطائرة اتصل بها لآخر مرة. كانت تبكي... لكن من الفرح هذه المرة "اذهب يا بني رافقتك السلامة، لقد حدّث شيء لا يصدق! هذا الصباح جاءتني زوجة أخيك وارتمت بين يدي باكية تعتذر إليّ وتطلب مني السماح: أرجوكِ ساحيني يا أمي ساحيني... قالت أتاها الليلة الحبيب المصطفى ﷺ في المنام وحذّرها بشأني وطلب منها ألا تُحزنني... فلا تقلق بشأني يا بني، اذهب صحبّتك السلامة..."

.....

وبعد بضع سنوات عاد لزيارة أمه فزوّجته من فتاة تناسبه وتُسعده. قالت "حسبي أن رأيّتك سعيداً يا ولدي.. ولكن إذا رزقكم الله ولداً فلا تحرماني من رؤيته، لأن قلبي لن يصبر على فراقكما وفراق حفيدي بعد الآن". وفي العام التالي جاؤوا

لزيارتها وقد بلغ الطفل شهرين من العمر.

مضت الأيام بسرعة... بأفراحها ومآسيها... قضى أعواماً طويلة في البلاد التي اعتبرها وطنه الثاني... تعلّم في هذه الأراضي النائية معنى الحياة، ومعنى خدمة الإنسانية، ومعنى غاية الوجود، ومعنى العمل لكسب مرضاة الخالق سبحانه؛ أحبّ الناس في الله وخفق قلبه لله.. وبعد أن أصبح مديراً عمل بجِدٍّ، وسهر على تعليم تلاميذه وتربيتهم. لقد كانوا كل شيء بالنسبة له في الحياة، فنال ثقة أهل البلد، وحصلت مدرسته على جوائز عديدة... تنفّس الصعداء... "الحمد لله، كل ذلك من فضل ربّي".

كان التلاميذ يلعبون بمرح في ساحة المدرسة وأصواتهم الجميلة تملأ الفضاء. ولكن... ما لتلك الأصوات المرحّة تحولت فجأة إلى صرخات مدوية..

سمع طرقات قلقة على الباب مع صوت مذعور لتلميذ خائف "أستاذ!.. النجدة!.." انتفض من مكانه، "أستاذ!.. أستاذ!.. أحد التلاميذ... سقط من الطابق الثاني!.."

أظلم العالم في عينيه، شعر كأن الدنيا تدور، انحلت مفاصله وكاد يقع على الأرض، لكنه استجمع قواه وخرج من الغرفة مسرعاً يرتطم بجدران المدرسة. أخذت هواجس الرحمة والقلق تصطرع في داخله. "يا إلهي!.. كيف حدث ذلك؟ ماذا لو مات الولد!؟ يا رب، لقد وثق الناس بنا ومنحونا حبهم واثمنونا على أبنائهم فلم نخيّب ظنهم. ماذا لو أصاب المسكين مكروه؟ ماذا أفعل لو أوقفوا عمل المدرسة بحجة الإهمال... يا رب احفظنا..."

أسرع ناحية المكان الذي تجمّع فيه التلاميذ. وما إن رآه حتى أفسحوا له الطريق، وإذا بيدّ صغير وقد ارتقى على الأرض دون حراك وسط دماء تسيل من رأسه. مدّ يديه المرتعشتين ببطء، واحتضن الطفل بحنان، ورفع رأسه بعناية... فعرّفه... "الحمد لله!.."

انحدرت الدموع على خديّه بلا إرادة منه.. شعر كأن شيئاً ما يعتصر قلبه... ضمّه إلى صدره بحرقة وتمتم بألم "ولدي!.. نعم... إنه ابنه وفلذة كبده... جس نبضات قلبه الصغير ولكن..."

في تلك اللحظة كانت صبريّة هانم مشغولة بخياطة ثوب لحفيدها المحبوب... لم تكن تعرف بأفول نجمه المتلألئ في سماء الغربة... كانت شاردة الذهن... وفجأة وخزت الإبرة إصبعها فصرخت بأنين صامت "آه...". ■

(١) كاتب تركي. قصة حقيقية وقعت في إحدى دول آسيا الوسطى. وهي مترجمة عن مجلة "سيزيني" التركية بتصرف.





الاغتراب الحضاري لدى المسلم المعاصر

بقلم: أديب إبراهيم الدباغ

إلى حياة إيمانية سليمة، إن كانت اليوم مستعصية على الفهم بعض الشيء، إلا أنها توشك غداً أن تصبح الروح الذي يحيي مَوَاتَ الإنسان، ويوقظ قلبه وينير عقله.

والغربة في روح المسلم وعقله، إنما هي نتاج مصارحته للتمزق والانشطار بين الوجود والنفى، بين وجوده الإيماني وعدمية هذا الوجود، بين سلبات الدنيا ولاشيتها وإيجابيات الآخرة ويقين حقيقتها. وهي ثمرة ذلك القلق الممض بين أن يكون أو ألا يكون، وهو - بعد ذلك - قلق يخصب الفكر، ويغني الوجود، ويفتح منافذ الخيال والوجدان على حقيقة الإنسان، وهو قمين بنفوس المتميزين من رجال العقيدة والإيمان.

هاجس مقيم

وتظل هذه الغربة هاجس المسلم الدائم، وقدره وقضاؤه، يلزمه ولا ينفك عنه ما دام يدرج فوق آدم هذه الأرض... صحيح أنه

لا أودُّ أن أخدش حسَّ التفاؤل والأمل في نفوسكم الكريمة بحديثي عن غربة المسلم واغترابه الحضاري في هذا العصر العصي الذي يبدو وكأنه مدمسوس على الدنيا في حين غرّة من أهلها، ليهدم بمعاوله كلّ منارات الهدى، ويطمس على كلّ ما يمكن للجنس البشري أن يسترشد به من معالم الحق والعدل والخير؛ فالتفاؤل والأمل هو ينبوع قوة المسلمين، وسرُّ استعصائهم على ضربات الزمن الوجيعة. وهو النور المسكوب من وجدان الغيب ليشرق بسنائه فوق ليالي اليأس والحزن والألم، لذا أبادر فأقول: إنّ اغتراب المسلم وغرته ليسا دليلَ ضعفٍ دائماً، وليسا دليلَ رغبةٍ بالانكفاء والانفصام عن عالمه المحيط به، بل هما - في كثير من الأحيان - علامة على الصحة والقوة، وآية على الائتلاف الحميم بينه وبين إيمانه وعقيدته.

فكلما زادت غربة المسلم، وعمق اغترابه، كان ذلك إشارة

يسكن الأرض ويدرج فوقها، إلا أنها ليست المحط الذي يمكن أن يحط رحاله عليها إلى الأبد، ولا المكان الذي تنتهي إليه آماله، ولا الوطن الذي يملأ عليه خياله، أو يحتوي عظمة روحه.

إنه يمكن أن يملك الأرض، وأن يعمرها، ويحكمها بالعدل، ويقيم فوقها شرع الله... غير أنها تبقى ملك يمينه؛ يأخذها إلى الأقوم والأحسن والأفضل بينما يظل قلبه مغلقاً دونها، فلا يخلد إليها، ولا يطمئن لها، بل يحس بالوحشة والخوف منها، لأنها موطن الفناء والموت والعدم. ففي كيانه، وفي كل ذرة من دمه نزوع إلى عالم هو الوجود كله، ووطن هو الخلود كله، وأرض هي الحياة كلها، لا يتهددها موت ولا يكتنفها زوال أو عدم... إنه ذلك العالم القدسي الذي أبعد عنه أبوه آدم عليه السلام. ومحال أن تستتب بذرة الموت والعدم فوق أرض الحياة والوجود، فنزل الأرض أم الموت والعدم، لأن شبيه الشيء منجذب إليه، فصارت الأرض دار غربته، ووطن وحشته، لا يسكن إليها ولا يطمئن بها.

وقد أورث أبنائه من خاصية ذاته مرارة الغربة، ولوعة الحنين إلى الوطن الأول. فذاكرة الإنسان الباطنة وحافظة وجدانه، تخفي في تلافيفها جذور ذلك الاغتراب الآدمي، وأصول ذلك النزوع إلى عالم الأب الأول. ومما يثير الدهشة أن يغدو توق "آدم" عليه السلام وزوجه إلى البقاء الدائم والخلود الأبدي - وهما في دار الخلود والبقاء - المنفذ الذي نفذ منه الشيطان إليهما بوسوسته: ﴿وَمَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ (الأعراف: ٢٠)، مما يدل على أن الآدمية مفطورة على هذا التوق، وأن في أصل خلقة كل آدمي نزوعاً عارماً إلى البقاء والخلود، ففعلت وسوسته معهما فعلها، ففقدوا بذلك سر الخلود، وسلبا إكسير الحياة.

التوق إلى الخلود

إن ما يعتلج في نفوسنا من توق إلى الخلود والبقاء، ونفور من الموت والعدم، دليل على وجود البقاء والخلود خارج عالمنا - أكبر من كل دليل وأعظمه - لأن الإنسان - كما هو معلوم ومشهود - لا يشق إلى عدم لا وجود له، ولا يرتبط معه بسبب من الأسباب. وسيظل القلق الحاد يعتور "النفس الإنسانية" ويؤرق وجودها، بسبب ذلك الإحساس المبهم بالوحشة، والشعور الغامض بالاغتراب في هذا العالم. وهو حس عميق الغور في النفوس لا يسهل الخلاص منه أو الانفكاك عنه، لأنه يشكل جانباً مهماً من

جوانب الوجدان البشري. غير أن الشعور بالاغتراب الفكري والروحي وعلى الرغم مما يخلفه من آلام وأحزان، يشكل عامل تحريك لقوى النفس، وتنشيط لخلايا الفكر والروح. فالإبداعات الفكرية الإيمانية مدينة إلى هذا الشعور بالاغتراب عند المبدعين، وإحساسهم بأنهم غرباء في أوطانهم وأزمانهم بغربة ما يملكون من فكر لم تنهياً الأوطان والأزمان بعد لقبوله والتواصل معه، إلا أنهم يمحضون في أداء رسالتهم على أمل أن يأتي ذلك الزمان الذي يحسن الفهم عنهم والتلقي منهم.

الشتاء الحضاري

غير أنه ومنذ دخول العالم الإسلامي شتاءه الحضاري القاسي، وعقل المسلم لم يعد عقلاً فاعلاً؛ إنه في حالة استرخاء دائم، ولم يعد العقل المستوفز المشدود اليقظ، والمستعد دوماً لالتقاط إيماءات الكون، واستلام إشارات الطبيعة.. لم يعد عقلاً مغامراً يستهويه المجهول، ويفتنه المستور، حتى وكأنه يخاف الحقائق ويستهوها. فيتحاشاها ويهرب منها، وبذا لم تعد حياتنا الإيمانية وحدها مهددة باليبس والنضوب، بل غدا إدراكنا نفسه مهدداً بالشلل والجمود.

إن دم إسلامنا الطيب الطهور يسري في عروقنا، ولكنه دم حامل هامد، به حاجة إلى "عملية فصد" لكي يتجدد ويستعيد حيويته ونشاطه. ولن يقدم على عملية الفصد هذه إلا واحد من مفكرينا، يمتشق قلمه، ويجعل منه مشروطاً حاداً يغوص عميقاً في عقل المسلم وروحه ليحرك سكوتهمما، ويستنفر همودهما، وهذه السبيل التي لا مناص منها لكي تنشط عقولنا، وتتجدد قلوبنا وأرواحنا. وهذا المفكر آت لا أشك بمجيئه، لأن زلزلاً فكرياً رهيباً يعصف اليوم بعقول مفكري هذه الأمة، ويوشك أن ينجلي عن منجم فكري عظيم يمد المسلمين بكل نفيس وجديد من الأفكار.

الدين والحضارات

فمن المعلوم أن "الدين" هو الذي يقود مسيرة الحضارات في فجرها الصادق، ويهيمن عليها، ويعمر ضميرها، ويرسي قواعد سلوكياتها وأخلاقياتها، حتى إذا قويت واشتد ساعدها وعلا ضحاها ودلفت إلى ظهيرة عمرها، جاء دور العقل لينشر سلطانه فوقها، ويستحكم فيها، ويتحكم بها، وربما صار وثناً يتعبد له الناس من دون الله تعالى.

وقد فجر الغرب اليوم حسيات الإنسان إلى آخر مداها

وطاقتها، وفجر مع ذلك حس الأرض والسما، وأثار خفايا الأرض بترابها ومائها وهوائها، فإذا بها تنزل وتلقي بأثقالها وأسرارها بين يديه ليتني من عناصرها مدنية الحس المفتقرة في بعض جوانبها إلى دفء الروح، وشفافية الدين والإيمان.

حضارة الإسلام

أما حضارة الإسلام فهي وحدة واحدة، تبدأ بالعقيدة وتنتهي إليها. فالروح والعقل والحس يتداخل بعضها في بعض، وتمشي جميعها جنباً إلى جنب في جميع مراحل تطورها. فالسمع والبصر والفؤاد والعقل، كل هؤلاء موضع الخطاب القرآني، وهي مناط التكليف في الدنيا، والمسؤولية في الآخرة. فحضارة هذا شأنها وإن غابت اليوم عن حس المسلم، ولم يعد يتلمس وجودها في واقع حياته، إلا أنها حاضرة قائمة في عقله وروحه، شاخصة في خياله وذاكرته، لم تفقر سماء ذاته من خفقات نجومها، ورمضات كواكبها. وعلى الرغم من أنه يعاني اليتيم، وكوالح الاغتراب، إلا أنه سيبقى متشبثاً بها، متعلقاً بأمراسها. ولن يغريه أحد بالتنكر لها، والانسلاخ عنها، لأنها تمتزج بأجزاء نفسه، وتجري في مجاري روحه.

قوة الفكر

إن قوة الفكر الذي تحتاجه هذه الحضارة لتنهض من جديد، قمين بعقول عظماء الرجال ممن عانوا الاغتراب الفكري، ووقفوا على مشارف الخطر المحدق بها من خلال البنى الفكرية التقليدية المكرورة، والتي فقدت وهجها وحرارة تأثيرها. فظهور هذا الفكر بين ظهرانينا هو منعطف تاريخي مهم في حياة الإسلام والمسلمين، والسعي إليه فرض عين على كل صاحب قلم يحرص على وجودها كما يحرص على ماء عينيه. وإذا كنا نصر على أن يكون للفكر الإسلامي مكان مرموق في عالم اليوم، فلا بد أن ينجم من بين فحول مفكرينا فكر قوي جديد يتسم بالأصالة والعنفوان، ليغزو كيان المسلم المعاصر وهو على أبواب العقود المتبقية من القرن الخامس عشر الهجري.

إن التجديد الذي تحدث عنه الأثر النبوي الشريف والقائل بأن الله تعالى يبعث على رأس كل مئة سنة من يجدد هذا الدين، هو أحد مفاخر ديننا، بل أعظم مفاخره. ففيه إشارة إلى ذلك الالتحام الأبدي بين ديننا وصيرورتنا الزمان والمكان، وهو سر خلود هذا الدين وبقائه ما بقي الزمان والمكان.

خصائص هذا الفكر

وليس من همي هنا أن أستطرد في وصف هذا الفكر وما ينبغي أن يكون عليه، إلا أنني لا أرى ما يمنع من الإشارة إلى بعض ما نريده منه، لاسيما وأنه قد ومضت منه ومضات عند البعض من مفكري الإسلام وعلمائه المحدثين؛ فنريده كالعاصفة المنطلقة من سجنها يوقظ هاجع الأفكار في جميع الأذهان، ويعصف بقبور العقول ومدافن النفوس لتقذف بأموات أفكارها وظلمات أرواحها بعيداً عنها... ونرجوه فكراً كونياً شمولياً يربط ربطاً محكمًا بين حقائق الدنيا وحقائق الآخرة، ويصل ما بين قلب الكون وقلب الإنسان... ونتمناه حاراً دافقاً يهدر بالأفكار كما تهدر شلالات الطبيعة، ليس فيه برودة "الأكاديمية" وجفافها، ولا ضبابية الإنشائية وتوهماتها، وإنما هو مزيج من فيض الروح ودفقه، ووقدة القلب وضرامه، وحرارة العقل وجلاله. إنه باختصار فكر قرآني يمنح الإنسان القدرة على فض أختام العالم، وحل لغز الوجود، وتمزيق ما تحجبت به الحياة من قُطب النواميس والسنن وقوانين الأسباب والمسببات؛ فيأخذ بيده مخترقاً مفاصل هذه الحجب ليوقفه بين يدي خالقه وبارئه، تاركاً العوالم كلها وراء ظهره في عبودية خالصة مخصصة لرب العالمين.

محمد ﷺ الهادي والدليل

والله ﷻ قد دلّ على وجوده بمجموع هائلة من الآيات الآفاقية والأنفسية. إلا أن أعظم آياته، وأكثرها ظهوراً، وأهرها إعجازاً بعد القرآن الكريم، إنما هو سيدنا محمد ﷺ، بصفاء جوهره، وكريم عنصره، وعظم خلقه. فهو المعنى الجليل الذي انتدبت البشرية إلى فهمه، وهو القلم الذي علّم الإنسان ما لم يعلم من معاني الإيمان والتوحيد، ووضع النقاط المضيئة فوق حروف الوجود لكي يمكن قراءته والتعرف على معناه ومغزاه. فما من قلم في يد مسلم إلا وهو يستمد فكره من هذا النبي الأُمّي عليه أفضل الصلاة والسلام، ويتعلم منه، ويسترشد به، لأنه مرآة القرآن الكبرى، يعكس على العالم أفكاره وآياته ومعانيه عبر حركة الزمن المتجدد. وهو ﷺ بين الأنبياء والرسل أعظم مجدديهم، وأكثرهم نجاحاً فيما انتدبوا له من مهام؛ فقد جدد ما رث من تعاليمهم، وخلق من أفكارهم، وحرف من رسالاتهم، وهو الذي أحيا عقيدة التوحيد الخالص وبعثها من رمسها، وأناط بها خلاص الجنس البشري من الشقاء الأبدي.



فالإسلام - قرأنا وستة - وإن كان قد نسخ شرائع ما قبله، إلا أنه - بجذاته - تجديد لأصول هذه الشرائع وأساسياتها التي هي محور كل دين إلهي. فالتجديد إذن قد بدأ في تاريخنا بنبينا محمد ﷺ ولا ينبغي أن يتوقف في أمته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

الجامدون الخائفون

وكل ما هو غير مطروق، ولا مألوف من الأشياء والأفكار الجديدة يتوجس منه الجامدون خيفة، وكل مجدد غريب في قومه ووطنه، منكر بينهم لا يكادون يفقهون عنه أو يسمعون منه. وقد عاش رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم غريباً في قومه بمكة ثلاث عشرة سنة، لأنه جاءهم بما لم يألفوا أو يعرفوا من الدين والإيمان. ومن هنا بات المسلم رهين غريبتين، غربة مكانية حسية ورثتها عن جده آدم عليه السلام، وغربة فكرية إيمانية ينزع فيه إليها عرق رוחي تمتد جذوره عميقاً إلى غربة رسوله المكية الأولى، وبين طوايا هاتين الغريبتين في وجدان المسلم، تتشكل بصمت قواه الروحية، وتستكمل شخصيته عناصر تفرداها وتميزها، ليصبح من بعد نوعاً إنسانياً متفرداً قبالة الكم البشري العادي. وهو وإن كان غريباً في نظر هذا الكم ولغزاً مبهماً لا يعرف كيف يفسره ويفهمه، غير أنه مع ذلك يحس بأنه يضرب بعرق في كل نفس، ويُمْتُ بصلة إلى كل قلب، وربما رأى فيه تكفيراً واعتذاراً عن تخلفه وعجزه عن التفرد والتميز.

فهو غريب لكنه مستطاب الغربة، بعيد لكنه أقرب ما يكون من الأرواح الحبيسة المعذبة في سجون أجسامها، وأسمع ما يكون إلى أئين الإنسان وصراخه المفجع في دياجير الضلال، وأندى ما يكون على النفوس العطشى في بلاقع الهوى الرهيب، وهو حاسة الأمة السادسة التي تتلمس من خلالها درها إلى الصراط المستقيم، وهو بُعدها الرابع الذي تنفذ من خلاله إلى أغوار روحها الموار بجوارح الإيمان الدفينة، وهو عقلها الذي يفكر لها إذا ما اعتل عقلها، وداءت نفسها. كل ذلك في إطار من جمال الروح، وجلال الفكر، وهيبة النبل والطهر، حتى لكأنه بصفاته هذه أثقل من أن تتحمله طينة الأرض، وأوسع من أن تحتويه دنيا الناس، وأشد تماسكا وقوة من أن يجرفه زبد سيل العالم. ■

(٥) كاتب وأديب / العراق.

سفر وغربة

غريباً أتيت، وغريباً ستمضي...
راكضاً لاهناً في دروب الحياة تجري،
مسافراً لا تني...
قلقاً لا تفتأ...
يحدوك من الغيب صوت،
ندي كالفجر... رحيم كفؤاد أم...
هلاً أتيت...
وبطل حانه تفيأت...





جماليات التفكير الإيماني

أ.د. فريد الأنصاري*

في السياق ما يصرفه عن هذه الحقيقة. لكن لماذا التنصيص على الفردانية، أو الثنائية، بالضبط؟ لماذا كان ذلك شرطا لتوقيع "التفكير"؟ إنه أمر عجيب.

العقل آلة تلتقط الحقائق، وتعقلها، ولكنها لا تتخذ القرار. وإنما الذي يتخذ القرار هو القلب، بمعناه القرآني الخاص: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: ٢٤)، ومنه قوله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ (الأعراف: ١٧٩). فإذا كان القلب محجوبا بحجب المادة والكثرة عجز عن الوصول إلى ما يعرضه عليه العقل من صور معقولات. فلا يتخذ القرار المناسب في الوقت المناسب. ومن هنا كان جوهر التفكير في القرآن قلبيا. ولذلك فقد وجدناه ينتج عنه شعور قلبي هو الخوف نظرا لرهبة القلب مما يحلله له العقل ويعرضه عليه من صور. وذلك نحو

من أسرار هذا الدين ولطائفه أن باب عقيدته هو التفكير. قال عز وجل في مخاطبة المنكرين عبر رسوله الكريم: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْنَىٰ وَفَرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ (سبا: ٤٦). آية في غاية الجمال والسمو. وإني أشهد أني مذ ذقتها وجدت أن بها بحرا من الأسرار التربوية لا يعلم مداه إلا الله. وإن لها لذوقا وجدانيا خاصا.

التفكير

أرأيت كيف أن الله تعالى يخاطب هؤلاء، بالقيام له، والتفرغ لشأنه، قبل الإيمان به؟ وذلك حتى يمكنهم من الوصول إلى حقيقة الإسلام، هذا الدين الذي هم له منكرون. وقد شرط الله عليهم شرطا في كيفية القيام له: وهو الخلوة به وحده سبحانه. والعدد الوارد في الآية: ﴿مَشْنَىٰ وَفَرَادَىٰ﴾ على حقيقته، إذ ليس هناك

ما في الآية السابقة من سورة سبأ، إذ قال سبحانه في تمتتها: ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (سبأ: ٤٦)، وأظهر منه آية التفكير في سورة آل عمران: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران: ١٩١). إنه شعور الوجدان بهول الحقيقة وعظمتها، ولذلك قلت "إن التفكير فعل وجداني في العمق".

وهو لذلك لا يقع من الناس إلا آحاداً، وإن حكى عنهم بضمير الجماعة، كما في الآية الأخيرة، فإنما المقصود أنه يحصل ذلك منهم فرادى لا مجتمعين، كما يدل عليه أول الآية: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (آل عمران: ١٩١). فهذه صور تحيل على الناس وهم في شؤونهم الخاصة، بين منازلهم وأفرشتهم ونومهم وقيامهم. وأغلب ذلك كله أحوال فردية. والآية الأولى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ شِئْنِي وَفِرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ (سبأ: ٤٦) نص في فردانية فعل التفكير. أما الثنائية "مثنى" فهي ملحقة من حيث الفائدة بالفردانية. والمثنى في العربية ملحقة بالمفرد. وإنما يبدأ الجمع في اللغة بالثلاثة. ثم إن التفكير بين اثنين "نحوى"، وهي أشبه ما تكون بتحديث الفرد نفسه. أما فائدة ذلك فهي أن التفرغ لله عز وجل في خلوة، لا يكدر صفوها عليك أحد من الخلق، يتيح للقلب أن يتفاعل في صفاء مع معطيات الفكر، ويتواجد مثلنذا بمواجيد الشعور بمعية الله، وحقائق الكون الكبرى. ومثل ذلك لا يحصل في لفظ النقاش الجماعي، وضوضاء الجدل المتعدد.

رفيق النجوى

نعم رفيق النجوى، وهو الثاني (مثنى)، يكون معك على موحدة واحدة في التأمل، وتبادل المشاعر والمواجيد. تماماً كما كان النبي ﷺ يخلو لربه فرداً، أو مع صاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه أحياناً، أو غيره من الصحابة الكرام. فإذاً تكون أبواب القلب أكثر انفتاحاً لتقبل ما يلقي عليها من واردات الحب، والشوق، والمعرفة الربانية.

ومما يزيد هذه الآية دقة فيما نحن فيه التعبير بـ "ثم" التي تفيد الترتيب. فكأنه تعالى جعل شكل التفكير ﴿مِثْلَىٰ شِئْنِي وَفِرَادَىٰ﴾ هو الكفيل وحده بنجاح عملية التفكير، ولذلك قال سبحانه: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾. ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾ فعل واحد لا ثاني له، كفيل

بأن يقود الإنسان إلى الحقيقة: التفكير. هل خلوت بنفسك يوماً؟ أو ناجيت رفيقاً لك في أمر الكون والحياة والمصير؟ عندما يمتد الفكر سائحاً في أقاضي الكون يضل ويتيه. وأنتى له أن يهتدي في دروب ومسالك ينتهي الخيال ولا تنتهي منافذها؟! إذن يرجع الفكر منكسراً عاجزاً. وإن ذلك لعمري هو الإسلام؛ الخضوع للعظمة المطلقة فوق الزمان والمكان، والاعتراف بالقصور عن الإحاطة؛ ولا بأي طرف من أطرافها. ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ﴾ ثم ارجع البصر كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (الملك: ٣-٤). الرجوع إلى الصف الآدمي للانضمام إلى سلك "العادة الطبيعية"، رجوع في العمق إلى مقام الخدمة والعبودية. موحدة ليست في حاجة - حينئذ - إلا إلى الإفصاح والتعبير: "لا إله إلا الله".

وهنا يكمل جمال الدين، الدفء الحاصل عند الشعور بالانسجام مع سائر الخلق السيار، كل في سره وفلكه: ﴿تَسْبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (الإسراء: ٤٤). هذا التوحيد الكوني في التعبير، بل هذا التناسق الكلي في نفث المواجيد، عبر شتى ألوان العبادة، له ذوق "الأنس" الذي يملأ القلب نشاطاً وحباً للحياة الممتدة طويلاً وعرضاً.

التنافس في طريق المحبة

التنافس هنا إذن هو في طريق "المحبة". الكل يحب، والمحبوب واحد. تلك هي القضية. إذن أينما يبذل أكثر؟ وأينما يشكر أكثر؟ فهذا مجال الإفصاح عن مواجيد الذلة لملك القلوب ومالكها. وكلما كان الحب أصدق كان أكثر إذلالاً لصاحبه. ولكنها ذلة اللذة والمتعة العليا، والشعور بالراحة في سبيل رضى المحبوب، وينطلق السباق... وتلك لذة أخرى، لها قصة أخرى.

الله! هذا المعنى العظيم الذي ننطلق منه لنُقِرَّ أنه "لا إله إلا هو". تدخل إلى ملكوته من باب "التفكير" بوجدان المحبة الكبرى. ولكن كيف؟

لطالما كنت أقرأ عن رواد الحب الإلهي، فكنت أتعجب كيف يجدون هذه الموحدة، بهذا الشوق كله؟! فتفكرت دهراً، فإذا الباب يفتح بمفتاح "الربوبية": الله، هذا السيد العظيم هو الخالق لكل شيء من الجلائل والدقائق. وما أنت أيها العبد في ملك الله العظيم، الممتد بلا حدود، إلا ذرة من البلائين التي لا يحصرها



خيال، من الذرات السائرة في متاهة الكون الفسيح. ألم يكن ممكناً في قدر الله وقدرته تعالى ألا تكون أصلاً؟ إنها نعمة الخلق إذن، فأعظم بها من نعمة لا تحصى حمداً ولا تحاط شكراً، ولو عشت أعمار الخلائق جميعاً حامداً وشاكراً. ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾ (الإنسان: ١). لمسة "الحياة" هي النعمة الكبرى بعد الخلق.. ألم يكن ممكناً أن تكون جماداً؟ ثم إنما حياة الروح أكبر هبة إلهية للإنسان.

تأملات تملأ القلب حيرة وعجبا. أن يكون بين الناس في ظل هذه الحقائق الرهيبة منكرون... عجبا.. عجبا! ولا يملك المتفكر في آلاء الله ونعمائه العظمى إلا العجب.

أن تتفكر في جمال الإحسان الرباني، يعني أن تقع أسير أنواره، وجلال كماله، مؤمناً خاشعاً متبتلاً. ذلك هو سر المحبة، وهو المعراج السري لقافلة المحبين السائرين إلى منازل الحبيب. قال بديع الزمان النورسي رحمه الله: "ما دام ذلك الحكيم المطلق سلطاناً ذا جلال بشهادة جميع إجراءاته الحكيمة، وبما يظهره من آثار جليلة.. ورباً رحيماً واسع الرحمة بما يُدنيه من آلاء وإحسانات.. وصانعاً بديعاً يحب صنعته كثيراً بما يعرضه من مصنوعات بديعة.. وخالقاً حكيماً يريد إثارة إعجاب ذوي الشعور وجلب استحسانهم بما ينشره من تزيينات جميلة وصنائع رائعة... فإنه يُفهم مما أبدعه من جمال يأخذ بالألباب في خلق العالم أنه يريد إعلام ذوي الشعور من مخلوقاته ما المقصود من هذه التزيينات؟ ومن أين تأتي المخلوقات وإلى أين المصير؟"^(١) فهو إذن "يعرف نفسه ويوددها، بمخلوقاته -غير المحدودة- ذات الزينة والجمال.. ويوجب الشكر والحمد له، بنعمه -التي لا تحصى- ذات اللذة والنفاسة.. ويشوق الخلق إلى العبادة نحو ربوبيته؛ بعبودية تتسم بالحب والامتنان، والشكر إزاء هذه التربية، والإعاشة العامة، ذات الشفقة والحماية".^(٢)

فعلاً... إن الذي يشعر بالنعمة المسداة إليه يجد نفسه مطوقاً بحقها في الشكر، ولكنها نعمة أكبر بكثير من أن تحصى أو تحصر. فكيف تشكر إذن؟ هنا يمتلك القلب الشعور بالعجز والذلة والخضوع التام، وتلك هي "لا إله إلا الله".

"الله".. هذا الاسم الجميل كلمة تدل على الحياة العليا والنعمة الكبرى.. منه سبحانه نستمد الكينونة والحياة. وعطاؤه تعالى لا ينقطع أبداً، ولا يحصى عدداً. أن تملأ قلبك بمعرفة الله، يعني أنك تملؤه بالحياة. أن تملأ قلبك بمعرفة الله، يعني أنك تملؤه

بالحب. وأن تعبر عن ذلك كله، يعني أن تقول: "لا إله إلا الله"، أي لا مرغوب ولا مرهوب إلا الله، ولا محبوب إلا الله، ولا يملك عليك مجامع القلب والوجدان إلا الله.. هذا السيد الجميل، والمملك الجليل، والرب العظيم الرحيم.

إن العبد المسكون بحقيقة "لا إله إلا الله" لا يملك إلا أن يتدفق منحرفاً إلى الله.. تماماً كما تتدفق الأنهار سارية وسارية إلى مالكتها.. فأني له إذن أن يتخلف إذا سمع داعي الله ينادي أن "حي على الصلاة"، أو "حي على الفلاح"!

طُيُوبُ الْحُبِّ إِنَّ مَسَّتْ فُرَادَاً

جَرِيحَ الْوَجْدِ كَانَ لَهَا نُشُوبُ!

وَهَلْ فِي الْعَاشِقِينَ الْغُرَّ غُصْنٌ

يُنَادِيهِ الْحَبِيبُ وَلَا يُجِيبُ؟

يتخلف؟ كيف؟ والمسلم، إنما هو ذلك العبد الذي يحمل جمرة الشوق إلى الله.. يُسبغ الوضوء على المكاره، وينقل الخطى إلى المساجد يسري في الظلم، ويسرب في الهجير، متقلبا بين حرٍّ وقرٍّ، ويجاهد في سبيل الله.. ينثر روحه أزهاراً على الثرى، طمعا في رضى المحبوب، الذي تعلق به القلوب. والمسلم هو ذلك العبد الذي فاض قلبه بحب الله؛ فلا تجرد من سلوكه إلا مسكا، ولا ترى من خطواته إلا كياسة وفطنة، ولا يلقاك إلا بالكلمة الطيبة والسريرة الحسنة.

الإسلام، هذا الجمال الإلهي العالي، دين ليس كأدي دين. لكن... لو كان له ذواق... ذلك هو "الإسلام" دين المحبة. وذلك هو المسلم السالك مدارج المحبين. وأنى لمن خفق قلبه بلمسة الحب أن يكون شريراً؟ الحب، هذا الشعور الفياض بالجمال، إذا خالط قلباً أحاله جداول من الإيمان واليقين. وامرؤ كان ذلك شأنه لا يتصور فيه أن يؤذي أحداً أبداً، لأنه لا يملك من المواجهيد في قلبه إلا الحب. وكل إناء يرشح بما فيه. إنه لا يملك إلا أن يملأ المكان بمواجهيد المحبة، ورياحين الشوق في سيره الوجودي إلى الله. ■

(١) جامعة مولاي إسماعيل، ورئيس المجلس العلمي بمكناس / المغرب.

الهوامش

(٢) الكلمات لسعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالح، ص ٦٧٧.

(٣) المكتوبات لسعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالح، ص ٢٨٥.

مفهوم العولمة وتحليلها في ضوء الفلسفة الأخلاقية لرسائل النور



إلى فوضى كبيرة انعكست
على حياتنا المعاصرة وعلى واقعنا
وحاضرنا وستنعكس على مستقبلنا.

أ.د. عبد العزيز برغوث*

إن البشرية
بأكملها تعيش
اليوم أوضاعاً محرّجة ومنذرة بكثير



تضارب الرؤى حول العولمة
والعولمة، هذه الظاهرة الجديدة القديمة تحاول اليوم أن تضع أسئلة
محرّجة ومهمة وخطيرة على مصير الحضارة الإنسانية عامة ومصير
حضارة الإسلام بصورة خاصة. ومما لا شك فيه أن المقولات
حول العولمة متعددة، ومتنوعة، ومتغايرة، ومتمايزة بصورة
كبيرة. فمن الموالين والذائدين عنها إلى الرافضين والمعارضين لها،
ومن الإيجابيين حولها إلى السلبيين، ومن الموضوعيين في تصورها
إلى الذاتية في معالجتها، ومن المركزين على جوانبها المتعددة
إلى الحاصرين لها في جانب واحد، ومن الناهيين والمستفيدين
من خيرها والتاركين لشرها إلى الغافلين والتائهين بين شرها
وخيرها، ومن أهل الخبرة فيها إلى المتحدثين فيها بغير علم ولا
وعي ولا منهج ولا نظام، ومن العارفين بمفهومها وحقائقها
وآلياتها إلى الخاطئين لها بين المفاهيم.

وقد يقال ما علاقة الأستاذ النورسي ورسائل النور بموضوع

من المخاطر، ومؤذنة بمستقبل غامض في كثير من جوانبه إن لم
يُتدارك الأمر بسرعة وحكمة. وهذه المخاطر المحدقة بالإنسانية
جميعاً، وهذا المستقبل الغامض غير نابع في أصله من عدم وجود
المنظور الكوني القادر على توجيه خطى الإنسان، ولكنه أساساً
متأت من بعض التحكيمات الإنسانية المتعسفة التي تحاول فرض
مقولاتها وأيديولوجياتها على باقي الإنسانية، وسائر الثقافات
البشرية وخاصة المغلوبة على أمرها مثل عالمنا الإسلامي المعاصر.
وقد عبر الإمام النورسي عن هذا المنطق مشيراً إلى مخاطر المدنية
الغربية غير المتوازنة بقوله: "إن دهاءك المظلم قد قلب ثمار البشرية
ليلاً، ذلك الليل البهيم بالجور المظلم، ثم تريد أن تنوري ذلك
الظلام المخيف بمصابيح كاذبة مؤقتة... هذه المصابيح لا تبسم
لوجه الإنسان، بل تستهزئ به، وتستخف من ضحكاته التي
يطلقها ببلاهة وهو متمرغ في أحوال أوضاع مؤلمة مُبكية"^(١).
فهذا التعامل غير المتوازن مع الإنسانية ومع البشرية عموماً أدى

العوامة؟ فلا النورسي ولا رسائل النور تحدثت عن موضوع العوامة؟ وما عساه أن يقوله في موضوع جديد لم يُعهد بهذا المصطلح والمعنى في زمانه؟

ولكن قبل القيام بهذا التحليل ينبغي أن نجيب عن سؤال مبدئي أولي وهو "ما هو مفهوم العوامة في الأدبيات القائمة حالياً وما مخاطرها على العالم الإسلامي؟" حتى يتسنى لنا تمييز موقف ورأي ومقولة رسائل النور في الموضوع. فيتحصل من هذا الكلام أن نركز في موضوعات ثلاث هي:

أولاً: مفهوم العوامة ومخاطرها على العالم الإسلامي المعاصر؟
ثانياً: كيف ينبغي أن نفهم العوامة في رسائل النور؟
ثالثاً: الرد النوري على مخاطر العوامة والقيمة الحضارية للنسق الأخلاقي في رسائل النور.

الدور المستقبلي لرسائل النور

ومما تجدر الإشارة إليه قبل البدء بتحليل هذه النقاط الثلاثة فكرة مهمة جداً أوردها الإمام النورسي في رسائل النور عندما كان يتحدث عن القيم الحضارية والتاريخية والكونية العامة لرسائل النور، حيث يبدو وكأنه يتوقع دوراً حضارياً ضخماً وفعالاً لرسائل النور في مستقبل الأيام، ويعتقد أن رسائل النور ستحول إلى بؤرة تركيز عالمي تجذب العلماء والمفكرين والحكام في زمن تعيش فيه الإنسانية أخطر مراحل تطورها وأعقد مشكلاتها. فيقول الإمام النورسي رحمه الله: "إن أجزاء رسائل النور قد حلت أكثر من مائة من أسرار الدين والشريعة والقرآن الكريم، ووضحتها وكشفتها وألهمت أعتى المعاندين الملحدون وأفحمتهم، وأثبتت بوضوح كوضوح الشمس ما كان يظن بعيداً عن العقل من حقائق القرآن كحقائق المعراج النبوي والحشر الجسماني.. أثبتتها لأشد المعاندين والمتمردين من الفلاسفة والزنادقة حتى أدخلت بعضهم إلى حظيرة الإيمان. فرسائل هذا شأنها لا بد أن العالم -وما حوله- بأجمعه سيكون ذا علاقة بها، ولا جرم أنها حقيقة قرآنية تشغل هذا العصر والمستقبل، وتأخذ جل اهتمامه، وأنها سيف ماسي يتأثر في قبضة أهل الإيمان".^(١)

إن هذا الكلام يبين لنا بما لا يدع مجالاً للشك الدور الحاسم الذي ستؤديه رسائل النور في النقاش العالمي الذي يدور حول حاضر البشرية ومستقبلها، ويبين لنا كيف أن هذه الرسائل لها استيعاب خاص لواقعنا الحضاري المركب والمعقد. وسنحاول إبراز بعض ما تستطيع أن تقدمه الرسائل لإنقاذ إيمان الأمة في عصر العوامة التي يعبر عنها النورسي بقوله: "أما الآن فقد تطورت

وسائل النقل إلى درجة كبيرة بحيث أصبح العالم كالمدينة الواحدة. وغدا أهله في مداولتهم الأمور كأنهم في مجلس واحد".^(٢)

أولاً: مفهوم العوامة ومخاطرها على العالم الإسلامي

ينبغي لنا أولاً وقبل كل شيء أن نحدد ولو بصورة عامة مفهوم العوامة، لكي نتبين حقيقتها وأبعادها ومخاطرها على الفرد والمجتمع والحضارة والثقافة الإسلامية والإنسانية بصورة عامة. ومما ينبغي التنبيه عليه هو أن تعاريف العوامة متعددة جداً، ومتنوعة بصورة تكاد لا تحصر. ويمكن أن تعرف العوامة بصورة عامة على أنها تلك الظاهرة التي برزت مع الأفكار الأساسية التي ييسر بها النظام العالمي الليبرالي الجديد، وتعني رفع الحواجز الجغرافية والثقافية والاجتماعية، وانفتاح الثقافات والحضارات الإنسانية على بعضها البعض بسبب تأثير الثورة التقنية والتكنولوجية والاتصالية والمعلوماتية؛ بحيث تزداد كثافة وسرعة وحجم الاتصالات والتعاملات والنشاطات الإنسانية بصورة تؤدي إلى عوامة الواقع البشري، وجعل البشرية كلها تعيش في ظروف نفسية وثقافية واجتماعية وحضارية توحد مصيرها وتؤول مشكلاتها. ففي ظل هذا التعريف العام للعوامة ذات الأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية والجغرافية والعمرانية يصبح المجتمع الإنساني وحدة واحدة أو كما يسمونه بـ"قرية الكرة الأرضية".

فإذا كان هذا التحديد للعوامة سليماً بصورة عامة، فإنه لا يستطيع أن يفسر لنا بعض الأبعاد والآفاق التوسعية الفوضوية الخطيرة التي كثيراً ما لا تأخذ بعين الاعتبار مصالح وهوم الإنسان غير الغربي. وهذا الأمر يجعلنا نزيد في توضيح بعد مهم من أبعاد العوامة، وهو الذي يمكن نعتة بالبعد الأيديولوجي الاستراتيجي التوسعي الذي يخدم مصالح دعاة العوامة بصورة خاصة.

فإذا ما أخذنا هذه التحديدات بعين الاعتبار فإننا نستطيع أن نرى الصورة الحقيقية للعوامة، ونستطيع أن نميز بين ما هو لا إنساني وسلي فيهما، وبين ما هو إنساني وإيجابي. ولكن يبقى الأمر الهام والذي ينبغي أن نؤكد عليه جيداً وهو أن العوامة في عمقها المعرفي والتاريخي والسوسيولوجي والأخلاقي والمادي هي بلا شك فعل حضاري ثقافي غربي يحاول إعادة صياغة الكيان الحضاري للبشرية جميعاً وصبغه بالصبغة الغربية، وجعل النموذج الحضاري الثقافي الاجتماعي الغربي قانوناً يحكم حياة الإنسان، ويصوغ له أقداره ومصائره وتوجهاته، ويعيد ترتيب نظام القيم والعلاقات والمعرفة والسلوك على وفق الرؤية الكونية الغربية.

ثانياً: مدخل النورسي لفهم العولمة وإدراك مخاطرها

من الأهمية أن نكتشف مفهوم العولمة وحقيقتها ليس عن طريق البحث في صفحات رسائل النور عن هذه اللفظة أو المصطلح، ولكن عبر التحليل للوحدة المنهجية والعضوية للنص النوري في كليته. وعلى هذا الأساس سنحاول كشف أهم مدخل من مداخل فهم العولمة وأبعادها وأسبابها وآثارها ومخاطرها على الإنسان المعاصر عامة. ويمكن أن نختصر هذا المدخل فيما يسميه عالمنا الجليل النورسي "المعنى الحرفي والمعنى الاسمي". وبعد التعرف على هذين المفهومين يمكن تقديم صورة للعولمة كما تعبر عنها رسائل النور.

أ- المعنى الحرفي والمعنى الاسمي في فهم العولمة

يتحدث الأستاذ النورسي رحمه الله عن مسألة المعنى الاسمي والمعنى الحرفي ويجعلهما من أهم الأفكار في رسائل النور. ونحن نستطيع أن نستخدم مفهومَي المعنى الاسمي والحرفي للدلالة على أهم وأخطر بعد من أبعاد العولمة باعتبارها منتوجاً إنسانياً نابعا عن تطور الذهنية الإنسانية وتوجهها وجهة معينة أوصلتها إلى الوضع الحالي من التآزم والفوضى والاختلال العام. وقبل أن نربط بين مفهوم المعنى الحرفي والاسمي ومفهوم العولمة نحاول ذكر تعريف النورسي لهما. فالمعنى الحرفي يعني النظر إلى الكون والأسباب، والمعجزات، والحوادث، والوقائع، والسنن، والآيات الإلهية الأفاقية والأنفسية "والموجودات التي - كل منها حرف ذو مغزى - بالمعنى الحرفي، أي من حيث دلالتها على الصانع. فيقول 'ما أحسن خلقه'، 'ما أعظم دلالاته' على جمال المبدع. وهكذا يكشف أمام الأنظار الجمال الحقيقي للكائنات".^(١)

فالمعنى الحرفي إذن دال على غيره وليس على ذاته، وإنما ذاته ونفسه ما هي إلا مرآة عاكسة لشيء أعظم من النفس وأعظم من الوجود وأعظم من الدنيا "أي أن 'أنا' لا يحمل في ذاته معنى، بل يدل على معنى في غيره كالمرآة العاكسة، والوحدة القياسية، وآلة الانكشاف".^(٢) فالإنسان والمجتمع الذي ينظر إلى الدنيا وإلى الحياة وإلى الحضارة بالمعنى الحرفي فإنه سيرى الأشياء والأمور على حقيقتها، وبالتالي تنسجم خطاه مع مراد الله، وتتناغم أعماله وأقواله مع سنن الله وقوانينه، لأنه ينظر إلى الوجود على أنه دليل على خالقه عز وجل.

وأما إذا نظرنا إلى الأمور وعالجنا المشكلات الإنسانية بمنظور ونسق المعنى الاسمي، فإننا نكون أمام وضع مختلف تماماً عن وضع

المعنى الحرفي. ففي المعنى الاسمي نؤله الأسباب، ونخلد إلى الدنيا، وننتقل إلى الأرض، ونعتبر أن الحياة الدنيا هي خلاصة كل شيء وأن التطور المادي والترقي العمراني هو غاية الوجود كله. وبهذا ننظر إلى أنفسنا (أنا) على أنها كل شيء ومصدر كل خير، ونجعل من العقل إلهاً نحكمه ومن الفلسفة معارف عليا كلية توصلنا إلى كل ما نريد معرفته. فلا نرى وراء العقل ووراء الفلسفة شيئاً مفيداً.

فإذا ما نظر الإنسان إلى الحياة والكون والوجود بالمعنى الاسمي، فإن نظره وأفقه ينحصر في ذاته، ويدور حول أنه مهمما حققت من الرقي المادي، ومهما تفجرت أمامه من عيون الحضارة وخيراتهما، وأنه يبقى دائماً مسلوب الوعي الصحيح، فاقد الرشاد والهداية غارقاً في الملذات والشهوات لا يكاد يرى وراءها شيئاً. وبهذه الكيفية يجعل المعنى الاسمي الإنسان تائهاً في نفسه لا يكاد يدرك حقيقته وحقيقة رسالته الوجودية.

ب- العولمة كنتاج للمعنى الاسمي

فإذا ما أخذنا بعين الاعتبار فكرة المعنى الحرفي والمعنى الاسمي وأردنا تطبيقها على مسألة العولمة، فإننا سندرك حقيقتها وجوهرها بصورة جلية. فالعولمة في جوانبها السلبية ما هي إلا تجلٍ لاستحكام المعنى الاسمي والفلسفة الاسمية والرؤية الكونية الاسمية في الثقافة، والنفسية، والعقلية الغربية التي تقود الحضارة المعاصرة. فعملية الاستبدال للمعنى الحرفي بالمعنى الاسمي في الواقع الإنساني هو الذي أدى إلى نشوء هذه الثقافة والنفسية والشخصية التي تحمل راية العولمة وتتبنى مشروعها ونهجها في الهيمنة على البشرية. فعندما تبنّت المدينة الغربية هذا المنظور تشكلت ثقافتها، واصطبغت نفسيّتها بعدة خصائص جعلت منها منبثاً ومنشأً خصباً للفوضى والاختلال والظلم الذي تعانيه البشرية اليوم من جراء أفكار العولمة ومخاطرها.

يقول الأستاذ النورسي واصفاً حقيقة المنظور الاسمي الذي تبنّته الحضارة الغربية المعاصرة: "إن أسس المدينة الحاضرة سلبية، وهي أسس خمسة، تدور عليها رحاها. فنقطة استنادها: القوة بدل الحق، وشأن القوة الاعتداء والتجاوز والتعرض، ومن هذا تنشأ الخيانة. هدفها وقصدها: منفعة خسيصة بدل الفضيلة، وشأن المنفعة: التزاحم والتخاصم، ومن هذا تنشأ الجناية. دستورها في الحياة: الجدل والخصام بدل التعاون، وشأن الخصام: التنازع والتدافع، ومن هذا تنشأ السفالة. رابطتها الأساس بين الناس: العنصرية التي تنمو على حساب غيرها، وتتقوى بابتلاع الآخرين وشأن

القومية السلبية والعنصرية: التصادم المريع، وهو المشاهد، ومن هذا ينشأ الدمار والهلاك. وخامستها: هي أن خدماتها الجذابة، تشجيع الأهواء والنوازع، وتذليل العقبات أمامها، وإشباع الشهوات والرغبات. وشأن الأهواء والنوازع دائماً: مسح الإنسان، وتغيير سيرته، فتنغير بدورها الإنسانية وتمسح مسحاً معنوياً".^(١١)

فهذا الوصف الدقيق للرؤية الكونية الغربية وخصائصها الثقافية نجد الأستاذ النورسي قد حدد المدخل الأصيل والصحيح كذلك لإدراك حقيقة العولمة باعتبارها منتوجاً لهذه الثقافة والرؤية والحضارة. ومن هذه التحديدات يقدم لنا النورسي صورة عميقة ومعبرة عن حقيقة العولمة وطبيعة العقل الذي أنتجها ونوعية الثقافة التي تقف وراءها، كما يقدم لنا أمثلة واقعية لما تفرزه هذه الظاهرة وما تتركه في واقع الناس. يقول الأستاذ النورسي: "إن المدنية الغربية الحاضرة لم تلق السمع أبداً إلى الأديان السماوية، لذا أوقعت البشرية في فقر مدقع، وضاعفت من حاجاتها ومتطلباتها، وهي تتماهى في تقييح نار الإسراف والحرص والطمع عندها بعد أن قوضت أساس الاقتصاد والقناعة، وفتحت أمامها سبل الظلم وارتكاب المحرمات".^(١٢)

فما لم ندرك مسألة العولمة في إطار ما أسماه الأستاذ النورسي بالمعنى الاسمي فإننا سنبقى دائماً ننظر إلى المسألة بصورة سطحية لا نرى من خلالها عمق الأزمة وعمق المشكلة الخطيرة التي تواجهها البشرية. فكل المآسي المشار إليها ما هي إلا نتاج مباشر للشخصية والعقلية التي تتبنى النظرة الاسمية للحياة والدنيا والعالم والحضارة. وفي هذا السياق نجد النورسي ينعي على هذا التوجه ويتوقع نهاياته وفساده لأنه لا ينسجم مع سنن الله ولا مع نوااميس الكون. ومن الأهمية بمكان أن نؤكد أن تحليل النورسي لأزمة الحضارة الإنسانية والمدنية الغربية بصورة خاصة إنما تتم ضمن ما أسماه بالنظرة الاسمية أو المعنى الاسمي للوجود. فهذا العمق والنظرة إذن تقدم لنا رسائل النور المدخل الأصيل والصحيح ليس فقط لفهم العولمة ولكن كذلك لفهم مشكلات الإنسانية عموماً.

وبعد أن بينّا بصورة مختصرة مدخل رسائل النور في النظر إلى مسألة العولمة، وأوضحنا ما لفكرة المعنى الاسمي والحرفي من فائدة في إدراك حقيقة المشكلة الإنسانية والأزمة الحضارية التي تواجهها البشرية في عصر العولمة يبقى لنا أن نبين ما هو المدخل الأساسي لعلاج هذه الأزمة والرد على تحدي العولمة الذي يكاد يطبق على البشرية جميعاً بتياره المتعاضم.

والذي يقرأ جيداً رسائل النور ويتعمق فيها ويكتشف

منهجها العام يستطيع أن يدرك أن أي مدخل لمواجهة مسألة العولمة أو غيرها من المشكلات التي تواجه الإنسانية ينبغي أن يدور حول "المسألة الأخلاقية". فسؤال الأخلاق في نسق رسائل النور ووجهتها العامة هو المدخل الأساسي لمعالجة أدواء وأسقام الإنسان المعاصر. ولكن حين نتحدث عن المسألة الأخلاقية عند النورسي فإننا لا نتحدث عنها وفق منطق الفلسفة الوضعية أو المادية أو الطبيعية. ولكن نتحدث عن الأخلاق وفق ما أسماه النورسي بالمعنى الحرفي. وحين ننظر إلى المسألة الأخلاقية على وفق المعنى الحرفي فإننا نجد أنها وبدون منازع هي المدخل الصحيح لمعالجة المشكلات الإنسانية.

وفيما يأتي بيان لمفهوم ودور المسألة الأخلاقية في مواجهة تحدي العولمة والرد على تيارها السلبى المتعاضم الذي حوّل حياة الملايين إلى يأس، وأصبح الكثير من الناس لا يشعرون بالأمان أمام هذه الأوضاع المتردية. وقد عبر النورسي عن مثل هذه النتيجة الأخلاقية المؤسفة بقوله: "فلا جرم أننا نعاني نتيجة هذا الخطأ الفادح غلظة القلب وقسوته، وانقباض الروح وظلمتها، المؤدية بمجموعه إلى تعكير صفو الأخلاق، وتلوّث نقاوة الروح.. وفوق هذا تمضي حياتنا رتيبة مملّة يائسة خاوية المعنى".^(١٣)

ثالثاً: القيمة الحضارية للنسق الأخلاقي في رسائل النور لا شك أن الذي يطلع على رسائل النور بقلب مخلص وعقل منفتح وبصورة نافذة سيصل إلى حقيقة أساسية وجوهرية هي أن رسائل النور في مجملها وكرليتها وشموليتها وجامعيتها "درس أخلاقي إيماني كوني استخلافي إنساني عميق". وعندما يلج هذا القارئ المخلص والواعي مسالك رسائل النور، ومداخلها النورانية القرآنية المعنوية سيتأكد تماماً أن "المسألة الأخلاقية" تمثل المحور المركزي والمركز المحوري للدرس النوري وخطابه بصورة عامة.

وليس من قبيل المصادفة أو الرجم بالغيب أو الارتجال الفوضوي أن تتموقع المسألة الأخلاقية في هذا الموضوع الخطير والتميز ضمن اهتمامات الخطاب النوري، ولكن طبيعة الدرس النوري، وصلته الوثيقة بالقرآن الكريم، وبالنموذج النبوي الأخلاقي العظيم قد فرضا على رسائل النور أن تتجه هذه الوجهة الأخلاقية، وأن ترفع بقوة ثقل المسألة الأخلاقية مبينة دورها في البناء الحضاري للبشرية، وفي الصيرورة العامة للحضارة الإنسانية.

فقد أكدت لنا الخبرة الإنسانية، والمعارف الحضارية البشرية أن المسألة الأخلاقية هي أس أساسيات الأفعال الحضارية والتاريخية

المتوازنة في المسيرة الإنسانية، التي كان قادتها الحقيقيون هم الأنبياء والمرسلون من أول نبي عليه الصلاة والسلام إلى آخر الأنبياء محمد ﷺ الذي كانت أعظم معجزاته المشهوددة على المستوى التاريخي والحضاري والاجتماعي هو أخلاقه التي جعلت منه رحمة لعالمين. والذين يسرون في مسار النبوة وأخلاقها، ويتبنون المعنى الحرفي في حياتهم إنما يرون أن للحياة غايات أخلاقية عظيمة، وأن الأخلاق هي أساس الحياة الصالحة، أو كما يقول النورسي: "بينما الذين هم في مسار النبوة، فقد حكموا حكما ملؤه العبودية لله وحده، وقضوا أن الغاية القصوى للإنسانية والوظيفة الأساسية للبشرية هي التخلق بالأخلاق الإلهية، أي التحلي بالسجيا السامية والخصال الحميدة التي يأمر بها الله سبحانه".^(١)

فإذن ليس من العيب أن تشغل المسألة الأخلاقية هذا الحيز والموقع في الدرس النوري. فالقيمة الخلقية، والبناء الأخلاقي، والتوجيه الأخلاقي أصبح مع رسائل النور لازمة جوهرية من لوازم الإنقاذ الحضاري لإيمان البشرية، ولخدمة الإيمان والدين والحقيقة القرآنية.

ومن هذا المنطلق نلغي رسائل النور ترسم لنا صورة أخاذة وعميقة وصادقة عن الحقيقة الأخلاقية للعالم الإسلامي، فتبرز لنا البعد الإيماني الإحساني للأخلاق الإسلامية ليس باعتبارها أخلاقاً نظرية فلسفية مادية وضعية، ولكنها أخلاق إيمانية شرعية عملية اجتماعية مؤثرة في الصلة بين العبد وربّه، وبين العبد وأخيه، وبين العبد والكون المحيط به.

ورسائل النور حين ترسم لنا الصورة الآخذة للجانب الأخلاقي في حياة الأمة والعالم الإسلامي لا تنزع منزعا فلسفيا نظريا، ولكنها تتوجه نحو القلب والبصيرة والوعي والسلوك والنفس لتحرك الوجدان كله والوعي كله لتلقي الحقيقة القرآنية الإيمانية النورانية كما هي في الخطاب القرآني. فالأمة الإسلامية الحقّة أمة أخلاقية، لأنها تتبنى النظرة الحرفية في الحياة والاعتقاد والفكر والسلوك والعمل. وعلى هذا الأساس فإن الحضارة والمدنية التي تشكّلها الشريعة المحمدية الحرفية هي مدنية متوازنة ومتناغمة مع طبائع الفطرة ومنسجمة مع سنن التاريخ.

وفي هذا السياق يصف لنا النورسي طبيعة المدنية التي تنشأ عن النظرة الحرفية الأخلاقية فيقول: "أما المدنية التي تتضمنها الشريعة الأحمدية وتأمّر بها، فإن نقطة استنادها: الحق بدلا من القوة، والحق شأنه: العدالة والتوازن. وهدفها: الفضيلة بدلا من المنفعة، والفضيلة شأنها: المودة والتجاذب. وجهة الوحدة فيها: الرابطة الدينية والوطنية والصنافية بدلا من العنصرية والقومية، وهذه الرابطة

شأنها: الأخوة المخلصة والمسألة الجادة والدفاع فقط عند الاعتداء الخارجي. ودستورها في الحياة: التعاون بدلا من الجدل والصراع، والتعاون شأنه: الاتحاد والتساند. وتضع الهدى بدلا من الهدى، والهدى شأنه: رفع الإنسان روحيا إلى مراقي الكمالات".^(٢)

والأمة الإسلامية والعالم الإسلامي في عمقه الأخلاقي ينبغي أن يكون هو التجسيد العملي لهذا الدرس الأخلاقي الذي لخصته رسائل النور تلخيصا عميقا مستنبطا من الدرس الأخلاقي القرآني والدرس الأخلاقي التطبيقي النبوي؛ إذ تبين لنا رسائل النور أن المسألة الأخلاقية لا تأخذ حيزها وموقعها وموضعها ضمن الحياة الإنسانية إلا إذا عشناها وطبقناها وتدوينا آثارها وثمراتها، حين تتحول الأخلاق إلى الطاقة والقوة التي تبني الإنسان والمجتمع والأمة والإنسانية التي تتصف بصفتي الإحسان والاستقامة باعتبارهما من أهم معايير الصلاح الإنساني.

فنحن إذن لا نستطيع أن نفهم ونعالج المسألة الأخلاقية ضمن نسق رسائل النور إلا إذا خلصنا مناهج دراسة الأخلاق من الأطروحات الفلسفية والوضعية والمادية وربطناها بما يسميه الأستاذ النورسي بالمنظور الحرفي التوحيدي؛ إذ بهذا المنظور تصبح المسألة الأخلاقية جوهرية لارتباطها بالإيمان والتوحيد والشريعة والاستخلاف والكون والإنسان من جهة، وتجسدها في شخص النبي عليه الصلاة والسلام وظهورها في عمق معانيها في حياته وأعماله وأفعاله وأقواله ومنهجه وسنته وسائر أحواله.

وهذا ينقذ المنهج النوري قضية دراسة الأخلاق من التجريد والفوضى المعرفية إلى العمل الصالح والارتقاء بالوعي والعقل إلى حقائق الإيمان وتجلياتها النفسية والكونية. وبهذا كذلك يقدم لنا النورسي الأخلاق باعتبارها الحل السليم والعميق لما تعانيه الإنسانية من مشكلات. ■

(١) الجامعة الإسلامية العالمية / ماليزيا.

الهوامش

(١) اللمعات لسعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالح، ص ١٨١.

(٢) الملاحق لسعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالح، ص ٢٤٨.

(٣) صيقل الإسلام لسعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالح، ص ٥٧.

(٤) الكلمات لسعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالح، ص ١٤٣.

(٥) الكلمات لسعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالح، ص ٦٣٧.

(٦) الكلمات لسعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالح، ص ٨٥٥.

(٧) الملاحق لسعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالح، ص ٣٨٠.

(٨) الشعاعات لسعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالح، ص ٢٤٢.

(٩) الكلمات لسعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالح، ص ٦٢٤.

(١٠) المكتوبات لسعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالح، ص ٦٠٦.

شيخ علماء الإسلام محمد زاهد الكوثري

د. أ. د. عمار حيدل



نبذة عن حياته



يعد محمد زاهد بن حسن الحلبي الكوثري أبرز علماء الأحناف في العصر الحديث، وقد ولد يوم الثلاثاء ٢٧ أو ٢٨ من شوال ١٢٩٦هـ الموافق لسنة ١٨٧٨م. تلقى علوم العربية والشريعة في وطنه تركيا. فبعد التلمذ لوالده انتقل إلى "دورجه" متعلما ثم الآستانة. كما استفاد من علماء زمانه في مختلف فنون المعرفة، وظل مواظبا على التحصيل رغم الرتب العلمية التي نالها؛ فأخذ كما هي عادة علماء عصره الإجازات عن كثير من أعلام زمانه. وبعد أن ضاق المكان عن الاحتمال انتقل -مستصحبا الرغبة في التحصيل والإصلاح- في رحلات متتالية إلى الإسكندرية ثم القاهرة ومنها إلى الشام، ومنها إلى بيروت ثم دمشق، ثم استقر به المقام بمصر التي وصلها عبر فلسطين، وقد لاقى في تلك الرحلة كثيرا من العناء.

ظهرت عليه علامات النبوغ منذ المراحل الأولى للتحصيل؛ فقد اشتغل بعد نيل الإجازة العلمية (العالمية) سنة ١٩٠٧م بالتدريس في جامع الفاتح وعمره أقل من الثلاثين عاما، واستمر على هذا العمل مدرسا في مدرسة المتخصصين بدار الخلافة ثم بجامعة إسطنبول، وجمع إليها التدريس في المعاهد والمدارس المسائية. أخذ عنه كثير من فضلاء زمانه، من أمثال أحمد خيرى (ت: ١٩٦٧م) وحسام القدسي (ت: ١٩٧٩م)، وعبد الفتاح أبو غدة العالم الزاهد (ت: ١٩٩٩م) ... وغيرهم كثير.

كان لعالمنا آثار محمودة في شتى أنواع العلوم (بعضها ما زال مخطوطا، وبعضها ضائع)، وما طبع منها جاوز العشرين مؤلفا، كما علق على كثير من المؤلفات النافعة، وكان إضافة إلى ذلك يكتب المقالات التي عرفت بـ "مقالات الكوثري"، ضمنها الحديث عن كثير من ميادين الإصلاح كالعلوم والتعليم والاجتماع والتربية والعمران، ووضع المرأة... وحذر من أمراض أصابت الأمة من نحو التحلل والتفسخ وهيمنة التشرذم وعادات الجاهلية، والرضا بالذل على كل الأصعدة، واللامبالاة بما حل بالأمة من تخاذل ينذر بالسقوط، والتي سماها الكوثري بـ "أنا مالي"، فهي على وجازتها علة العلل في الخلل الذي طرأ على شؤون الأمة في كل زمن.

يفرض وضع هذا شأنه -برأي الكوثري- العمل على إصلاح الأفراد بالتربية الدينية الراشدة، لأن الفرد هو النواة الأولى للأسرة، ولأن الأسرة هي الخلية الأولى لإصلاح المجتمع.. ويفرض كذلك إنجاز دراسات جادة شاملة عن أمراض المجتمع بغرض تشكيل جماعات متصاعدة تقوم بواجب إرشاد الأسر والمجتمعات والبلدان والدول. ويقتضي نجاح هذا العمل جهودا جماعية في إطار مؤتمرات تعقد لهذه الغاية، مع السعي المستمر نحو تعارف الشعوب الإسلامية لتمكن الجامعة من تقويم العود أو رد التعدي على الأمة بالتشاور والتآزر، وإصلاح ما يحتاج إلى الإصلاح منها بعناية فائقة تركز على التضامن الاجتماعي الذي يرمي إليه وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الشرع الإسلامي، ثم العمل على إصلاح عالم الأفكار ببعث الأبعاد الاجتماعية والسياسية والفكرية للعقيدة الإسلامية. ورأس الإصلاح في عالم الأفكار بعد التوحيد، إبطال فلسفة "أنا مالي"

التي تعبر عن اللامبالاة وتعطيل وظائف التوحيد. فيعتقد المسلم حين يرفض التسليم بهذه الفكرة أنه من الواجب عليه أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه مصداقا لقول النبي ﷺ "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".

وقد عُرف إضافة إلى ما سلف بصفات أخلاقية قل نظيرها، فقد عرف بالزهد والتعفف والصبر وحسن المعاملة وعدم قبول أجر العلم. وحليت تلك الصفات الأخلاقية بصفات علمية سهلت له مأمورية التعليم والتربية؛ فقد كان محيطا بعلوم الشريعة ووسائلها، متمكنا من علوم الآلة وخاصة اللغات العربية والفارسية والتركية والجركسية، إضافة إلى قوة ذاكرة يسرت له ضبط الأسماء مع حفظها، وبلغ فيها درجة سامية جعلته مضرب الأمثال في الحفظ والدقة.

تمكنه من العلوم

القراءة المتأنية لمجموع ما صنّفه الرجل من مؤلفات ومقالات وتعليقات وتحقيقات تدل على تمكنه من علوم العربية أولا والشريعة ثانيا وفنون الحكمة ثالثا واللغات الشرقية رابعا.. فقد كان فارسا لا يبارى في تلك المعارف والفنون.

يبين التحليل الموضوعي لمجموع مضامين مؤلفاته أننا أمام طود شامخ، أخذ من الأولين قوة الذاكرة وسعة الاطلاع وطول النفس والصبر على التحصيل والتحليل والتحقيق مع جرأة في الحق يغبط عليها.

كتب وصنّف في جلّ علوم الشريعة والعربية، فمع الفقهاء كان فقيها متضلعا، ومع الأصوليين كان نحريرا يحرر المسائل بدقة متناهية، ومع المتكلمين كان متكلمنا نظارا، ومع المؤرخين محققا مدققا، أما في الحديث وعلومه فهو فارس مجالاته وشيخ تخصصاته من غير منازع... وحيد عصره وفريد زمانه نسيج وحده كما قال أحد تلاميذه. وتبين تلك الحقيقة بعرض يسير لأسماء الأعلام الذين ناقشهم؛ فقد تتبّع أقوال الفقهاء والمتكلمين والمحدثين والمفسرين والمؤرخين والفلاسفة والمستشرقين...

مكانته العلمية

ناقش أقوال المالكية والشافعية والحنابلة فانتصر لهم أحيانا وورفض أقوالهم أحيانا أخرى واضعا نصب عينيه في كل ذلك الانتصار

للإمام أبي حنيفة، ووفق ذلك الجهد ناقش أقوال المحدثين كابن خزيمة والدارمي وابن الصلاح والخطيب البغدادي وابن حزم وابن تيمية وابن القيم وخلقًا كثيرًا.

وناقش في المفسرين ابن جرير الطبري والزمخشري والرازي، كما ناقش المتكلمين وأتباع الفرق الأخرى؛ فحلل وناقش آراء الأشاعرة وأعلام الشيعة كالنوبختي، وجاوز ذلك إلى رد مفتريات المستشرقين والمتغربين من أبناء أمتنا الإسلامية.

وعلم بهذه السعة في التأليف لا يعدم نقادا ومناوئين. والموازنة بين أقوال المناوئين والمناصرين يحتاج كتابا موسعا، لا يسع بيان أطرافه مقال، لهذا سنقف في هذه العجالة مع من ناصر آراءه الفقهية والأصولية والحديثية والعقدية.

فقد قال عنه محمد أبو زهرة (ت: ١٩٧٤): "لا أعرف عالما مات فخلا مكانه في هذه السنين كما خلا مكان الإمام الكوثري، لأنه بقية السلف الصالح الذين لم يجعلوا العلم مرتزقا ولا سلما لغاية.."

وورد عن أبي زهرة في وصفه ما يبين معرفته بالرجال ومنازلهم، اخترنا في هذا المقام نتفا من تلك الخلال التي وصفه بها: "إنه تحقق فيه القول المأثور "العلماء ورثة الأنبياء"، وما كان يرى تلك الوراثة شرفا يفتخر به ويتسلط به على الناس، بل كان يراه جهادا في إعلان الإسلام وبيان حقائقه وإزالة الأوهام التي لحقت جوهره". يؤكد هذا المعنى، قوله أيضا: "لم يكن الكوثري من المتحليين لمذهب جديد أو داعيا إلى مذهب لم يسبق إليه، لهذا كان ينفر ممن يسميهم العامة وأشباه المثقفين بسمة التجديد، ومع ذلك فقد كان من المجددين بالمعنى الحقيقي للتجديد والذي هو إعادة رونق الدين وجماله وإزالة ما علق به من الأوهام. إنه لمن التجديد أن تحيا السنة وتموت البدعة ويقوم بين الناس عمود الدين، لقد كان عالما حقا. (...) وقد عرف العلماء علمه وقليل منهم من أدرك جهاده. ولقد عرفته سنين قبل أن ألقاه، عرفته في كتاباته التي يشرق فيها نور الحق، وعرفته في تعليقاته على المخطوطات التي قام على نشرها. وما كان -والله- عجيبي من المخطوط بقدر إعجابي بتعليق من علق عليه. (...) إنه لم يرض بالدين في دينه، ولا يأخذ من يذل الإسلام وأهله بهوادة، ولا يجعل لغير الله والحق عنده إرادة،



إلى الحق غاية الانتصار،
حارس متيقظ، منافع
عن الحنفية ضد كل
حملة شنعاء".

كما أيده وناصره ناشر
علمه وجامع مقالاته
"أحمد خير"، وفي ذلك
قال عنه: "كان ذا ذاكرة

فذة ولا سيما في حفظ الأسماء؛ فكان إذا سمع شيئاً أو رأى أحداً
مرة واحدة ذكره ولو بعد سنوات. وهياً له ذلك مع اطلاعه على
المخطوطات النادرة في الآستانة ومصر والشام إلى أن أصبح حجة
لا يبارى في علم الرجال. وجمع إلى براعته في الحديث ورجاله
مهارة فائقة في علم الكلام وتنزيه الله ﷻ. كما كان أستاذ
العصر في علمي الأصول والفقه، وكان على عبقرية المدهشة
يحب أن يتعقب العلماء".

ويقرب من تلك المقالات ما نقلت عن العلامة يوسف الدجوي
والشيخ عبد الرحمن خليفة وعزت العطار الحسيني وشيخ الأزهر
مصطفى عبد الرازق ومحمد بنيت المطيعي وعبد الجليل عيسى
وحسام القدسي ومحمد زكي مجاهد وسلامة القضاءي ونجم
الدين الكردي وغيرهم كثير.

ويقول عنه سلامة القضاءي: "العلامة المحقق والمحدث الفقيه
المحقق الأستاذ الأجل الشيخ زاهد الكوثري شفي به صدر السنة
ونصر به الحق الذي عليه الأمة".

أما نجم الدين الكردي فيقول عنه: "المحقق الفهامة البار،
أعلى الله درجته في المهديين نظراً لما متّع به من تعليقات نفيسة
على كتاب البيهقي "الأسماء والصفات"، تعليقات بما فيه من
رجال الأسانيد وما لا بد منه".

وبالإضافة إلى كل ما سلف فقد اهتم به الباحثون في الدراسات
الإسلامية والفلسفية. وقد وصفه الأستاذ الدكتور علي سامي
النشار بأوصاف لم يصف بها غيره من أقرانه، فقال: "عالمنا الكبير
المعاصر"، "عالم الإسلام الكبير"، "العلامة"، وذهب إلى ما يقرب
من هذا محمود محمد عويس في كتابه "ابن تيمية ليس سلفياً".
وهكذا يتبين لنا أن الكوثري محدث فقيه أصولي متكلم ومفسر

وإنه لا يعيش في أرض لا يستطيع فيها أن ينطق بالحق ولا
تتعالى فيها كلمة الإسلام".

لهذا يتباهى الإمام أبو زهرة بذكر الكوثري له في بعض مؤلفاته،
حيث يقول معلقاً على ذكره له: "وما كنت أحسب أن لي في
نفس ذلك العالم الجليل مثل ما له في نفسي، حتى قرأت كتابه
"حسن التقاضي في سيرة الإمام أبي يوسف القاضي" فوجدته
رضي الله عنه قد خصني عند الكلام على الحيل المنسوبة لأبي
يوسف بكلمة خير. وأشهد أني سمعت ثناء من كبراء وعلماء فما
اعتزرت بثناء كما اعتزرت بثناء ذلك الشيخ الجليل، لأنه وسام
علمي ممن يملك إعطاء الوسام العلمي".

هذه شهادة ثقة يحق لنا أن نباهي بها ونقدمها بل ونجعلها
العمدة في معرفة منزلة الشيخ محمد زاهد الكوثري، إنها شهادة
عالم متبحر شهد له الداني والقاضي بسعة الاطلاع ورحابة
الصدر والبعد عن التعصب المقيت.

ويرى الأستاذ محمد بن يوسف البنوري (كان أستاذاً للحديث
بدار العلوم بباكستان) أنه يحق في الكوثري ما ذكره مسروق
بإسناد صحيح في حق عبد الله بن مسعود ﷺ حيث قال: "لقد
جالست أصحاب محمد ﷺ فوجدتهم كالإخاذا (الغدير)، فالإخاذا
يروى الرجل، والإخاذا يروي الرجلين، والإخاذا يروي العشرة،
والإخاذا لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم، فوجدت عبد الله بن
مسعود ﷺ من ذلك الإخاذا". إنما تصدق هذه الكلمة في محقق
العصر، الجهد الناقد البحاثة الخبير. فكان رجلاً تتجلى فيه هذه
المزية بأجلى منظرها، رجل جمع بين غاية سعة العلم والاستبحار
المدهش ودقة النظر، والحافظة الخارقة، والاستحضار المحيّر،
والجمع بين علوم الرواية على اختلاف فروعها وشعبها، وعلوم
الدراية على تفنن مراميها. لقد كان الكوثري عالماً محيطاً بنوادير
المخطوطات في أقطار الأرض وخزانات العالم، مع الغيرة على
حفظ سياج الدين، أو إبداء وجه الحق إلى الأمة ناصع الجبين".

وورد عنه في سياق بيان منزلته قوله: "إن القوم لم يقدّروا
الكوثري بما يستحقه من تقدير وإجلال. ذلك المحقق، وذلك
البحاثة الناقد، وذلك الخلق الجميل... العالم المثبت المحتاط
في النقل، المتيقظ لكل كلام، المستغني عن الاستدلال بالأمور
الدوقية أو الوجدانية في المحاجة، متصلّب المعتقد، منتصر

وأديب لا يشق له غبار، وسجى تلك العلوم بسجايها وأخلاق عالية اعتبر بموجبها وبحق بقية السلف الصالح.

تفسيره لإشكاليات العالم الإسلامي

يرى الشيخ الكوثري أن أزمة عالمنا الإسلامي في العصر الحديث تتلخص في الخلط الطارئ على عرض المسألة الفقهية والعقدية أكثر مما ترجع إلى أسباب أخرى.

يتصور الشيخ أن من أهم أسباب بعد المسلمين عن عقائدهم في العصر الحديث ظهور بدعة التجسيم. وقد ظهر الاحتفال بهذا الاتجاه في العصر الحديث بطبع مؤلفات بعيدة عن العقيدة الإسلامية الصافية وفق تصوره، وبهذا الصدد حمل على طبع كثير من الكتب وكل ما من شأنه الانتصار إلى ذلك الاتجاه على حساب الاتجاهات الغالبة في البيئة الإسلامية منذ أمد بعيد.

ويرى أن الخلط الطارئ في الفقه سببه اللامذهبية التي ستؤول إن تبادى بها الزمن إلى اللادينية وفق رأيه. فقد شق عليه أن يرى التطاول على العلماء الأعلام من فقهاء ومحدثين ومفسرين وغيرهم... لهذا أفرغ وسعه من أجل المرافعة عنهم ومدافعة المتطاولين عليهم.

أما الخلط الطارئ على التعليم فسببه الابتعاد عن مناهج المتقدمين في التمهيد والتثبت مما سبب فقدان ملكة البحث العلمي الجاد لدى الناشئة. أما الفساد الجديد في السياسة فأرجعه إلى إبعاد الإسلام عن ميدان الحكم وتعويضه بالنماذج الغربية في السياسة والحكم، مما سبب للمسلمين غربة في بلدانهم، وأرجع فساد وضع المرأة إلى هيمنة الفكرة الغربية التي يراد تجسيدها في المجتمع وقضية المرأة على الخصوص؛ وإذا تم لهم ذلك سيعمدون إلى تغيير كل ما يحمل بذرة الانتماء إلى هذه الأمة، فتتغير العمارة وشكل المدينة والعلاقات الاجتماعية.

تشخيص الكوثري للأزمة صحيح في مجمله؛ فالأزمة ثقافية بالدرجة الأولى، ولعل من بين التيارات المساهمة في تأزيم الوضع اتباع الاتجاهات الظاهرية في العصر الحديث. فقد كانت بسبب تصرفاتها عاملة على تكريس الإقصاء المتشرع بين المسلمين، لا شيء سوى الاقتناع بصحة رأي وبطلان ما سواه. وقد ولدت هذه القناعات فكرا لا يقبل الحوار، فكرا إطلاقيا استبداديا لا يقبل الأخذ والرد. والفكر الاستبدادي سواء كان دينيا أو لادينيا

- كما هو معلوم- فكر يعمل على اغتيال الفكرة المخالفة بكل الوسائل المشروعة شرعا أو قانونا. فإذا أعيتته الوسائل المشروعة ركب غير المشروعة للأسف الشديد، وأول مراحل الإقناع بالضغط الأدبي والمالي والسلطاني. وإذا عجزت تلك الوسائل انتقل إلى ما هو أشنع. وقد وصل ببعض المتبنين لهذا الفكر أن أصبحوا كالمجانين لا هم لهم غير إذلال المخالفين. وما ذلك حسب تقديرنا إلا بسبب اختصار الإسلام والفكر في مسائل ظاهرية لا صلة لها بالقلب. ولهذا فالمسألة تربوية بالدرجة الأولى مبنها وأساسها ثقافي طبعاً. لهذا لا بد من بذل المجهود من أجل إصلاح ولأئنا لله تعالى في إطار البعد الإنساني في تصرفاتنا المبني أساساً على بعث الروح في الالتزام بأحكام الشريعة.

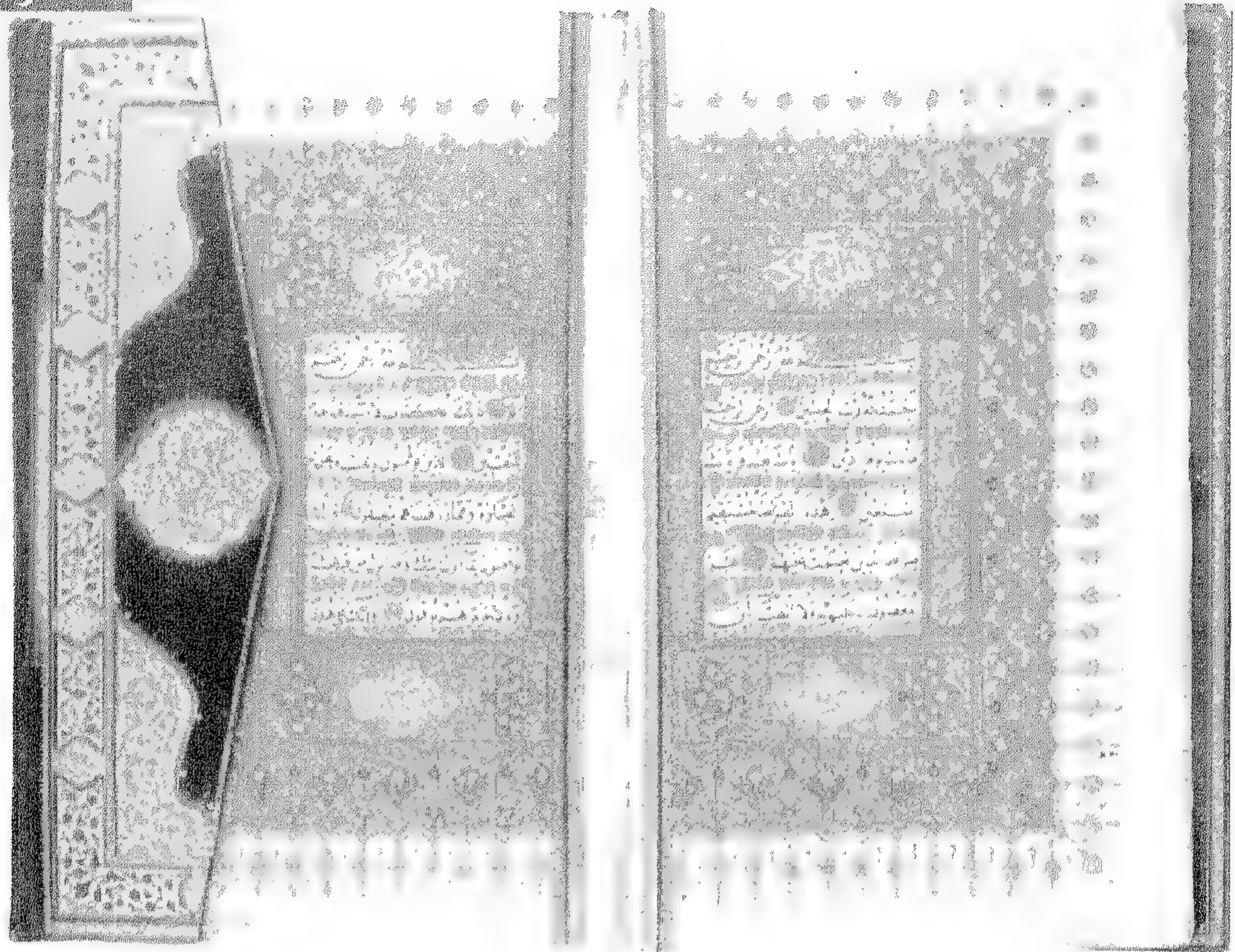
ولقد غلب على عمل الشيخ وجهوده العمل الفدائي أكثر من العمل المؤسسي، بل يكاد يغيب هذا النمط من التفكير من خلال ما لمسناه من جهود الرجل. لهذا كانت جهوده تنبئية أكثر مما هي تأسيسية طبعاً في إطارها الكلي لا في إطارها الجزئي، وهو المسلك الذي يختاره جل الفدائيين في الميدان الفكري.

ومن ثم فإننا في حاجة إلى استثمار توجهاته في ميدان إصلاح التعليم والحوار المحيط به، كما أننا في حاجة إلى النسيج على منواله في التربية الروحية الراشدة من أجل نفي النفي وإقصاء الإقصاء؛ تربية ننمّيها ونغذيها ببعث الروح في التزاماتنا الشرعية المؤسسة للهّم الحضاري في أنفسنا ومجتمعنا في إطار السؤال الوظيفي الذي يورق كل مفكر رسالي جاد يهيمه أمر أمته، ويتمنى أن تخرج في غدها القريب من التخلف إلى التقدم، ومن التبعية إلى قيادة العالم، نحو الإنسانية التي أراد الإسلام تكريسها في العلاقات بين الدول والشعوب والمجتمعات والأفراد.

توفي رحمه الله تعالى بتاريخ ١٩ من ذي القعدة ١٣٧١هـ الموافق ١٥ أغسطس ١٩٥٢ عن خمس وسبعين سنة، وأم صلاة الجنازة الشيخ عبد الجليل عيسى شيخ اللغة العربية، ودفن قرب قبر أبي العباس الطوسي في قراة الشافعي.

هذا هو الرجل الذي فقد الإسلام وخسره الأحناف ورزى فيه العلم وثكلته المروءة واستوحش لغيابه الزهد وشغل مكانه بمصر رضي الله عنه وأرضاه وأعلى في جنان الخلد منازل ومثواه. ■

(١) كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر / الجزائر.



إبداعات الفنان المسلم في الأشكال الزخرفية

أ.د. بركات محمد مراد*

الطبي، وطريقة الكشف على المرضى أو ما يسمى بالفحص السريري الذي ابتدعه الأطباء المسلمون وعلموا أوربا فيه أحدث الطرق لاكتشاف المرض ومعرفة أحوال المريض. أيضا هناك صور لعلم جبر العظام والخطوات التي يتبعها الطبيب لعلاج الكسور والخلع وغيرها. وصور أخرى لعلم الكيّ وأخرى لجراحة العيون وجراحة الدوالي، بل وأيضا صور لخطوات الولادة العسرة والجراحة القيصرية. وبعض هذه المخطوطات يعود إلى القرن الثالث والرابع الهجري، وهي عصور ازدهار العلوم الإسلامية، مما يدل على أن المسلمين بعد أن بعدوا عن عصر الجاهلية الذي كانت "الصورة" فيه للعبادة والشرك بالله.. فقد انطلقوا يستفيدون من فنون النحت والتصوير لتطوير حضارتهم العلمية.

أشهر المنمنمات

ومن أشهر المنمنمات القديمة، رسومات "الواسطي" على مقامات الحريري؛ حيث تظهر تلك الرسومات التعديل الذاتي الذي قام به الفنان المسلم على الأصل البيزنطي لهذا الفن، إذ ابتعد عن رسم

المنمنمات هي صور إيضاحية لتزيين الكتب ذات الأهمية، وكثيرا ما تحدد معاني الموضوعات الواردة في الكتاب، وهو فن أبدع الفنان المسلم وأظهر براعته الإبداعية في دمج بين الخط والصورة في علاقة تبعث شعورا سارا بالمتعة تجاه "المصور" و"المجرّد" في آن معا.

بين المصور والمجرّد

وفي عصرنا الحاضر لا يخلو كتاب يدرس في الكليات العلمية من الرسوم العلمية التوضيحية لتبسيط العلم وشرحه للطلاب. ومن المدهش حقا أن يكون المسلمون أول من ابتدع فن الرسوم التوضيحية في التاريخ. وقد نقلته أوربا عنهم في حضارتها المعاصرة، فهذا الفن لم يكن معروفا عند الإغريق، وفي كتب الطب الإسلامي وفي المخطوطات القديمة نجد الكثير من الرسوم التي تبين لطالب العلم مهمة القضية التي تشرح له.

وهذه الرسوم تشمل كل ذي روح من إنسان أو حيوان أو طيور؛ فهناك رسوم تظهر الطبيب والمريض وغرفة الفحص

ولاوقعيتها بالقياس إلى الموضوع الطبيعي أو اقتراحها من الأشكال الهندسية في محاولة لإعطائها بعض السمات الروحية، وفي ذلك بحارة للشرعية. فإن ذلك يعطي بعضا من المشروعية، حيث نجد الناظر في هذه الرسوم بواطن كناية أو خطوطية وزخرفية قد تكون حائلا آخر دون الاعتراض على هذه الرسوم.

ومن هذه الوجهة فقد كان هذا الموقف فاعلا في تمايز تصور المسلمين للمفهوم الجمالي؛ فعلى الرغم من قيمة الرسم والتصوير عندهم، فإنه لم يكن الرد الكافي على الاحتياجات النفسية لديهم، وخاصة الدينية منها. فقد فضل الفنانون تزيين المساجد والكتب الدينية والأماكن المقدسة بالخط والزخرفة العربيين، جاعلين منهما نتاجا متميزا لفهمهم الجمالي ومُحمّرين حولهما كافة الفنون التشكيلية الأخرى.

العناية بالخط العربي

لذا فقد شكلت مسألة موقف الإسلام من الرسم والتصوير التشبيهي تأكيداً آخر على انصراف الفنانين العرب والمسلمين نحو العناية الجمالية والتشكيلية بالخط العربي، وتأكيد وبلورة حضوره الفني في كافة المستويات الحياتية. ولا شك أنه كان للنهضة العلمية الإسلامية تأثير كبير في ازدهار الفنون. فقد أفادت الزخرفة من علم الهندسة أيما إفادة؛ إذ تحولت من التسطّيح والسذاجة إلى التعقيد والعمق، وترجمت النظريات الهندسية والرياضية عموماً إلى فن راق أصبح بدوره شاهداً على ارتقاء الهندسة العملية. نفس الشيء يقال عن تطور زخرفة الخط العربي؛ لقد تحول إلى "خط هندسي" يشي بالدلالات الثرية، ويعكس طابع الأرسطراطية والازدهار في المجتمع الإسلامي. هذا فضلاً عن دلالاته على الارتباط بتطور الصناعات عموماً خلال عصر الصحوة.

وكان تطور الخط الهندسي بمثابة ترسيخ لإحدى القواعد الهامة في علم الجمال حتى حكم أحد الدارسين بأنه ارتقى بالفن الزخرفي إلى ما يشبه تشكيلات موسيقية. كان الخط الهندسي - في المحصلة النهائية - شكلاً مهماً من أشكال النكت الجمالي، كما كان محاولة لرفع الفن إلى مستوى المناخات الروحية دون أن تنتزع منه النكهة الحسية الحية للتخيل.

وينبغي الانتباه إلى أن مقولات الحكم الجمالي، فيما يتعلق بالمصورين كما ذكرها "ميرزا حيدر دوغلات" (٩٥٨هـ/ ١٥٥١م) هي الرقة والتناسق، اللتان تضمّنان قيماً أخرى كالنعومة والطلاوة والرقة والوقع اللطيف والنظافة والصفاء والصقل والمتانة،

المحالات المقدسة للأشخاص، وتحولت إلى حواف ملونة. وكذلك اهتمامه بالتفاصيل المميزة لكل شخصية مرسومة من حيث الحركة والإيماءة، بالإضافة إلى أن اختيار الواسطي للألوان واستخدامه لها استخداماً ملائماً من حيث كونها قيمة شكلية في ذاتها مما دعا المستشرق "بابا دوبلو" أن يقول: "ليس من قبيل المبالغة القول أن كل مصوري الإسلام كانوا فائقي البراعة في استخدام الألوان".

وقد أتقن يحيى بن محمود الواسطي رسوم الجموع في مخطوطته، كما تمكن من التعبير عن خلجات النفوس، وأن يكون واقعياً في تمثيله للمناظر. وقد رسم الواسطي مقامات الحريري (٦٣٤هـ/ ١٢٣٧م)، وتُعرف هذه النسخة باسم "مقامات شيفر" وهي محفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس. كذلك نرى نزوعاً نحو المنظور وإن كان غير تام، وأيضاً اهتماماً بعناصر الصورة من حيث حجم الأشخاص وتعبيراتهم المختلفة على وجوههم وحرركاتهم مما يعلي من شأن الصورة في تدرجها في سلم القيم واحتوائها على أكبر قدر من القيم، أي الانتقال من القيم التشكيلية إلى الاهتمام بالقيم التمثيلية والروحية.

وقد وصلنا العديد من المخطوطات الإسلامية لموضوعات أدبية وأسطورية أو علمية وألبومات شخصية كلها كانت تعكس في مجال التصوير والزخرفة مدارس فنية ازدهرت في العصور الإسلامية المتتالية. ويتضح في معظمها محاولات جادة للمصور لإبهار المشاهد من خلال تكوينات لا علاقة لها بالواقع من حيث الجمع بين الليل والنهار في الصورة الواحدة، أو الجمع بين الداخل والخارج، أو التعبير المتناقض عن العمارة الإسلامية في التصاوير من خلال رسم دقائق الزخارف أو التعبير عن قوة الحاكم أو نبلة وراثته في صور.

الفنان والأشكال الزخرفية الظرفية

إن المنمنمات (Miniature) كتصوير عربي وإسلامي استعارت تكوينها من الأشكال الزخرفية والخطية؛ فاللؤلؤ الذي اعتبره "بابا دوبلو" أرضية التأليف الفني لكل المنمنمات العربية والإسلامية استعمل كثيراً وبترداد ملفت للنظر في الزخرفة العربية، ودخل في الكثير من أنواع الخط العربي. أما المربع السحري أو ما سمي بالأوفاق السحرية فقد أيضاً قاعدة تأليفية للعديد من الموتيفات الزخرفية والكوفية. أما الثياب والأشجار وحتى السماء، فهي عبارة عن خطوط مشابهة لذؤابات الخط النسخي وتعرجاته. ويعد ذلك عاملاً مساعداً على اللاحكاكة بوجهها الأول

في ذلك على آي الذكر الحكيم
بل تعداه إلى الحديث الشريف
والأمثال السائرة والحكم البليغة
والشعر الرقيق.

سلطان الزخرفة

وبلغ من سلطان الزخرفة الخطية
العربية أنها فرضت نفسها
على كثير من مزخرفي الخزف
والسجاد الأوربيين ممن تتلمذ
على هذا النشاط من الحضارة
الإسلامية. فظهرت من تحت
أيديهم زركشات فيها ملامح
الخط الكوفي النسخي دون أن
تقول شيئاً أو تمكن قراءتها.

أما الزخرفة فهي كل رسم

يُعمل على سطح بقصد ملء الفراغ بهيئات جمالية متناسقة
تستريح إليها العين. والزخرفة تكون خطوطاً أو هيئات هندسية
أو نباتية أو حيوانية. وجمالها يعتمد أولاً وآخراً على ذوق صانعها
ودرجة سيطرته على المادة التي يزخرفها أو يزخرف بها. ويتأتى
أكبر جانب من جمال الزخارف من التكرار؛ فإن هيئة ورقة
العنب شكل جميل، فإذا رسمنا هيئات ورق عنب متجاورة في
صورة متماثلة - على أي هيئة كانت - حصلنا على زخرفة.
وكذلك يقال عن زهرة اللوتس أو الأكانتوس أو الليق أو أي
زهرة أخرى.

وقد وصل الفنان المسلم في إبداعه للزخرفة، حيث جعلها
ميدان إبداعه، ووصل بابتكاراته في هذا المجال إلى ما لم يصل إليه
غيره من أهل الفن في أي نطاق حضاري آخر، حيث اعتمد الفنان
المسلم على عنصري "التكرار" و"التوازن"؛ فالتكرار المتوالي لأي
هيئة يحدث أثراً زخرفياً جمالياً. والتوازن كذلك له نفس الأثر.
وهذا التوازن يبدأ من خطين أو منمنمين متماثلين، ويستطرد
إلى صور هندسية ونباتية وحيوانية لا نهاية لها ولا حد لجمالها.
والزخارف قد تكون مجرد رسوم وقد تحفر بارزة، وقد تكون
ذات لون واحد أو أكثر. وقد ابتكر الفنانون المسلمون من تقاطع
ما يسمى بالطبق النجمي، وهي زخارف مستديرة الهيئة تصنع
خطوطها نجماً في وسطها، وتفننوا في ذلك تفنناً يحار فيه العقل.



في حين أن مصطلحات مثل "غير
متناسق" (لاتماثلي) أو "فج" هي
التي تعبر عن ضالة "قيمة العمل
الفني".

وقد كان الرقش أو
الأرابيسك والخط والزخرفة هي
وسائل الفنان المسلم إلى تحقيق
كل المفاهيم الجمالية اللانهائية التي
يصبو إلى تحقيقها. ونجد الرقش
العربي في نقطة التقاء الخط العربي
بالتصوير. والخط العربي هو تحديد
في رسم الحروف والكلمات التي
تحمل معاني معينة، أما التصوير
فهو رسم أشكال ووجوه تمثل
حدثاً أو مشهداً واقعياً أو خيالياً.
أما الرقش فهو رسم لا يحمل

معنىً بياضياً أو لفظياً وإنما ينقل الشكل الهيولاني والجوهر لأشياء
كانت واقعية.

الرقش والخط

وهنا يتضح أن الرقش كان - وكما توصل إلى ذلك الباحث الكبير
"عفيف مهنسي" - مثل الخط من جهة والصورة من جهة أخرى.
لقد اتجه الخط العربي من شكله البدائي إلى شكل فني لم يعد له حد
في التفنن والتعبير. ومع أنه لم يتخل عن وظيفته فإنه أصبح صيغة
فنية مجردة لا ترتبط بالمعنى بذاته، بل بصفته القدسية التي أصبحت
جمالية تبعا لجمال الخط ذاته. وتزداد مكانة الخط الفنية كلما
يزداد بعده عن وظيفته البياضية، وتصبح الصيغ المجردة التي هي من
توابع الخط، مستقلة تحيطه بالمزيد من التزيين أو تنفصل عنه لكي
تصبح رقشاً بذاته. وعندما انتقل هذا الخط إلى لوحات منقولة
تلاقى بقوة مع الرقش الهندسي حيث لم نعد نميز أيهما الأصل
وأيهما الأثر. واتسع استعمال الخط العربي التشكيلي خارج فن
العمارة فمشيت به ريشة المزخرفين على الخزف، وحفره إزميل
النجارين في الخشب، وطرزته الإبر بأسلاك الذهب والفضة
وخيط الحرير على الرايات والعصائب والملابس والخيام،
وصممه أصابع الصناع السجاد لإطاراً للبسط والسجاجيد،
وتوزيعاً هندسياً في داخل الزخرفة المركزية لها. ولم يقتصر التفنن

وأبدعوا كذلك في استعمال ورقة العنب، وفروع النخيل، والحبيبات (وهي كل هيئة متخذة من أشكال حبوب النبات) والأقراص والزيتون وسنبلة القمح والفصوص والورد والقرنفل والصنوبر واللبلاب وعباد الشمس، والمشبكات أي الخطوط والدوائر المتشابكة والخطوط المنكسرة والجدائل والخطوط المتعرجة، أو المنحنية، وما إلى ذلك. ونستطيع أن نقول إن الفنان المسلم لم يغادر هيئة يمكن أن نخطز بالبال كعنصر زخرفي إلا استعملها بنجاح.

ومن الملاحظ أن الأشياء غير المزخرفة نادرة بحق في الفن الإسلامي، حتى أن الفخار الرخيص غير المزجج (الخالي من الطلاء) يتضمن دائما شيئا من الزخرفة. وقد لاحظ ذلك بحق المستشرق "إتنجهاوزن" في بحوثه عن الزخرفة الإسلامية. وقد استعملوا الزخارف على شكل إزارات متوازية، أو في صورة أطباق نجمية عند اتساع المساحات، واستعملوا الألوان بنجاح كبير. وكانوا يفضلون الألوان التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، كالأخضر والأحمر والأصفر ولون الذهب والفضة. واستخرجوا معاني خاصة للألوان، فقالوا إن السُّندس هو الأخضر الفاتح، والإستبرق عند الرسامين والمزخرفين هو الأزرق، وفضلوا الأحمر على غيره وسموه المرجان لورود اللفظ في القرآن الكريم. ومن هذا القبيل سموا اللون الأبيض باللؤلؤ، أما الأحمر القاني فقد سموه بالياقوت، واللفظ قرآني أيضا.

ارتباط الفنانين بالإسلام والقرآن

ومعنى ذلك أن الفنانين المسلمين ظلوا في أعمالهم دائما مرتبطين بالإسلام والقرآن، مما أضفى على أعمالهم جمالا وسحرا روحيا لا يخطئه من يتأمل أعمال أولئك الفنانين الموهوبين. ولهذا السبب أيضا استخدموا الكتابة كعنصر زخرفي، وخاصة آي القرآن الكريم، وبعض الأحاديث الشريفة، بل استعملوا أسماء الرسول ﷺ، وأسماء الخلفاء الأربعة كعناصر زخرفية، وأبدعوا في ذلك أيما إبداع. وهم في الكتابة الزخرفية يفضلون أن يكتبوا بالذهب على أرضية زرقاء داكنة أو إستبرق كما يقولون، ومن مصطلحاتهم: "خط الذهب على بحر الاستبرق".

ولا ينبغي أن ننسى تأثير الصناعات الشعبية في الفنون الإسلامية وزخرفتها. والصناعات الشعبية ليست عملا يدويا تلقائيا، بل هي خبرة فنية متوارثة، ومهارة يدوية توارثها الإنسان ليجعل من كل شيء حوله شيئا نافعا له قيمة إنسانية.

وقد تتداخل أشكال من الفنون التقليدية مع أشكال من الفنون الشعبية، حتى لا نستطيع أن نحدد ما هو تقليدي -أي قديم وثابت إلى حد ما- وبين ما هو شعبي ومتغير إلى حد ما أيضا.. ولقد كان فن الزخرفة الإسلامية قادرا دائما على الاستفادة من الفن الشعبي الشائع، وهو "الفن الذي لم يتمكن في كثير من الأحيان البقاء، نظرا لاستخدامه مواد هشة، لا يمكنها البقاء مددا طويلة".

لذا فإنه من الصعب تحديد كيف ومتى عضد الفن الشعبي الفنون الجميلة، ومع ذلك فإننا نلاحظ الظهور المفاجئ لأشكال وأساليب عتيقة في الزخرفة الهندسية، ويتضح لنا ذلك إذا تأملنا مجموعة شبابيك القل التي يضمها المتحف الإسلامي بالقاهرة، وكيف أن هذه الشبابييك تجمع بين روعة التعبير وتواصله مع الفنون الإسلامية التقليدية.

وأیضا ينبغي أن لا ننسى تأثير رعاية الحكام للفنون الصغرى. فهارون الرشيد يأمر باستدعاء الفنانين لزخرفة قاعة شيدتها في حديقة قصره ببغداد، فزينت بزخرفة ورسوم على نمط الرسوم الساسانية. ومعروف أن هؤلاء الخلفاء قد أنشأوا مجالس طليت جدرانها بالزخرفة والصور، وصنع الفنانون لهارون الرشيد مجموعة من الكؤوس نُقشت على كل واحد منها اسمه.

ولم يقتصر رعاية الفن على الحكام وحدهم بل راح يقلدهم في ذلك وزراءهم وكتّابهم وكبار موظفيهم في الدولة؛ فهؤلاء كانوا يكلفون الفنانين بأعمال فنية كتزويق جدران دورهم أو الحمامات التي تشيد لهم. وكشفت الحفائر الأثرية التي أجريت في العديد من مواضع عواصم العباسيين عن عمائر قاموا بإنشائها وزخرفتها، منها بقايا قصور الخلفاء في سامراء وما وجد عليها من رسوم ومناظر تصويرية. ولا شك في أن الفنان في العصر العباسي كان يجتهد في تفهم ذوق راعي الفن ورغباته والامتثال لها. وهكذا وجدناه في كثير من العصور. ■

(٥) أستاذ الفلسفة الإسلامية، كلية التربية، جامعة عين شمس / مصر.

المصادر

- (١) وحدة أواخر الفنون، د. عفيف بمنسي، مجلة الوحدة، العدد ٣٩، بيروت ١٩٨٧م.
- (٢) فلسفة الجمال، د. أميرة مطر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م.
- (٣) نظرية الفن الإسلامي، د. إسماعيل الفاروقي، المسلم المعاصر، العدد ٢٥، الكويت ١٩٨١م.
- (٤) فلسفة الجمال، د. عبد الفتاح الديدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م.
- (٥) فلسفة فن التصوير الإسلامي، د. وفاء إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦م.
- (٦) الفنون والآثار الإسلامية، ريتشارد إتنجهاوزن، ت: محمد مصطفى زيادة، الأنجلو ١٩٣٥.



خبرة تبشير طري في كل كرة، مهما كُتِر وأُعيد،

هو الحاضر!

في كل مرة، به من الغفلة إلى الوجد، عبور جديد،

هو الحاضر!

لا أنا ولا الحبيب ولا أحد له بقاء،

هو الحاضر!

إذا ما ضاع الأحباء،

هو الحاضر!

إذا ما تفرق الأخلاء،

هو الحاضر!

أقرب إليك من جبل الوريد،

هو الحاضر!

فلا تبحث عن دواء عند الطبيب،

هو الحاضر!

في السبب والعلة والمقصود،

هو الحاضر!

الفرح الإلهي وشوق الخلود،

هو الحاضر!

المعين القوي، السند المتين الشديد،

هو الحاضر!

أوحد من الواحد، واحدٌ أحد، بذاته الأحد الوحيد

هو الحاضر!

هو الحاضر...

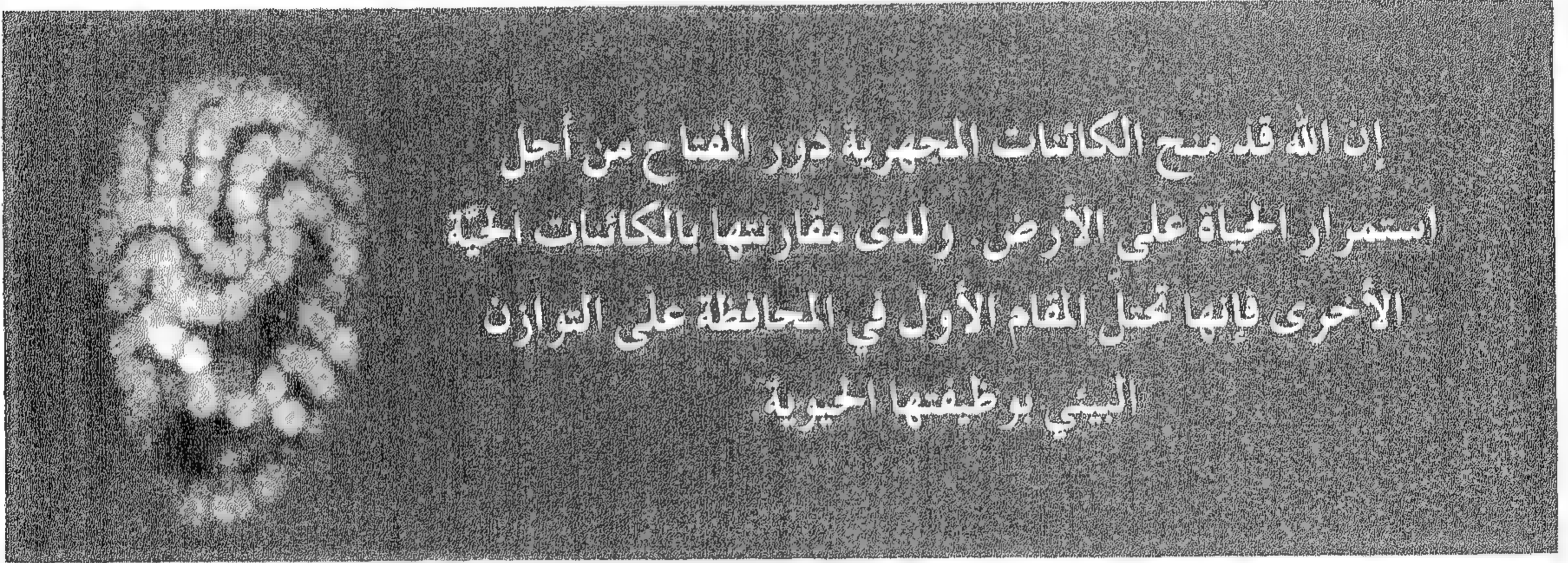
نحيب فاضل*

(*) من كبار شعراء ومفكري تركيا. لقب بـ"سلطان الشعراء"، توفي سنة ١٩٨٣ م. الترجمة عن التركية: عوني عمر لطفي أوغلو. وإن عنوان القصيدة "هو الحاضر" يفيد في أصله التركي الحضور، والوجود، والاستمداد، في آن واحد.



إن الكائنات المجهرية الدقيقة غير مرغوبة أو محبوبة، لأن بني البشر يتذكرونها ويقرّونها دائماً بالأمراض والأوبئة القاتلة التي أحدثتها طوال التاريخ. بينما الواقع؛ أن الغالبية العظمى من الكائنات الحيّة الدقيقة لا علاقة لها ألبتة بالأمراض. ففي مقابل الآلاف من البكتيريا، فإن قسماً ضئيلاً جداً من هذه الكائنات المجهرية الدقيقة هي التي تضر بالإنسان. فالقسم الذي يسبب المرض للإنسان من هذه الكائنات الدقيقة كلها ربما لا يمثل واحداً في المليار من بين كل هذه المتعضيات المجهرية. ففي حالة مراعاة البشر لقواعد النظافة وتطبيقها؛ فإن هذه الكائنات الدقيقة -وحتى التي تحدث الأمراض-، ستسهم في الحفاظ على التوازن الطبيعي بدلاً من أن تحدث المرض. وليست الكائنات المجهرية الدقيقة هي السبب في الأمراض بل السبب هو الإنسان الذي لا يراعي أو يهتم بالنظافة.

المجردة؛ ولكن بعد اكتشاف الميكروسكوب (المجهر) أمكن التعرف على هذه الأحياء الصغيرة، وتمكن عالم الإنسانية من اكتساب بعض من المعارف عن تلك المخلوقات الصغيرة جداً خلال ١٥٠ سنة الأخيرة. وقبل هذا التاريخ لم يكن البشر على دراية أو علم بأنهم يتعايشون مع تلك الأحياء الدقيقة التي لا تُرى بالعين المجردة. إن مجموع الكثافة العددية لهذه المخلوقات التي لا تُرى بالعين المجردة تزيد عن مجموع كثافة البشر والحيوانات التي على وجه الكرة الأرضية بخمس وعشرين مرة. فكان الإنسان يرى أصناف الحيوانات التي تشغل جزءاً قليلاً من الأرض، ولكنه كان غافلاً عن هذا الكم الهائل من الكائنات المجهرية الدقيقة. وكما توجد آلاف الأصناف من الفيلة والحمام والأرانب والحيتان والنمل في عالم الحيوانات، فكذلك هناك أنواع كثيرة جداً من الكائنات المجهرية الدقيقة.



إن الله قد منح الكائنات المجهرية دور الفتح من أجل استمرار الحياة على الأرض. ولدى مقارنتها بالكائنات الحيّة الأخرى فإنها تحتل المقام الأول في المحافظة على التوازن البيئي بوظيفتها الحيوية.

علاوة على ذلك لو سلّمنا أن الكائنات المجهرية الدقيقة هي السبب في المرض، فالمضادات الحيوية التي تستخدم في علاج الأمراض هي أيضاً مستخلصة من الكائنات الدقيقة؛ فالقدرة التي أوجدت المرض وضعت السدواء في ثأيا الداء. أما الكائنات المجهرية الدقيقة التي تلعب دوراً مهماً في صناعة العديد من موادنا الغذائية اعتباراً من الزبادي إلى الأجبان والخبز وحتى الخل فهي عالم آخر. ولهذا السبب، فعند تقييم المخلوقات يجب أن نُقيّمها ليس من زاوية واحدة، بل في نطاق الوظائف الكلية الموجودة في النظام البيئي بشكل عام.

إن الله قد منح الكائنات المجهرية دور الفتح من أجل استمرار الحياة على الأرض. ولدى مقارنتها بالكائنات الحيّة الأخرى فإنها تحتل المقام الأول في المحافظة على التوازن البيئي بوظيفتها الحيوية،

ويمكن دراسة الكائنات المجهرية الدقيقة تحت أربعة أنواع رئيسية: ١- البكتريات، ٢- الفيروسات، ٣- الفطريات، ٤- الحيوانات الطفيلية ذات الخلية الواحدة أو المتعددة الخلايا. إن الكائنات المجهرية الدقيقة موجودة في كل مكان؛ فهي تعيش في التربة والماء وعلى النباتات وعلى أجساد الحيوانات. وتحملها التيارات الهوائية من على سطح الأرض إلى الطبقات العليا من الجو ومن قارة إلى أخرى. وفي ملعقة واحدة من التراب توجد الملايين من البكتيريا. كما أن الحيوانات وبني البشر يحملون الكثير جداً من الكائنات المجهرية الدقيقة؛ ففي مقابل كل عشرة تريليونات من الخلايا في الإنسان توجد مائة تريليون من الكائنات الدقيقة، بحيث إن كل خلية بشرية يقابلها عشر من الكائنات المجهرية.

رغم حرمانها من مميزات عدة مثل العقل والشعور والمخ والنظام العصبي.

فمن أجل تغذية النباتات وتسميدها تُستخدم المخلفات الحيوانية والزراعية، ولكن هذه المخلفات هي جزئيات عضوية يجب أن تحول وتفتت إلى جزئياتها اللاعضوية، أي إلى حالتها الأصلية. وإذا لم يحدث ذلك، فإن جذور النباتات لا تستطيع أن تمتص هذه الذرات. فالكائنات المجهرية هي التي تنفذ عملية تحويل

موتى الحيوانات والنباتات إلى تراب بحيث يمكن للنباتات أن تمتصها.

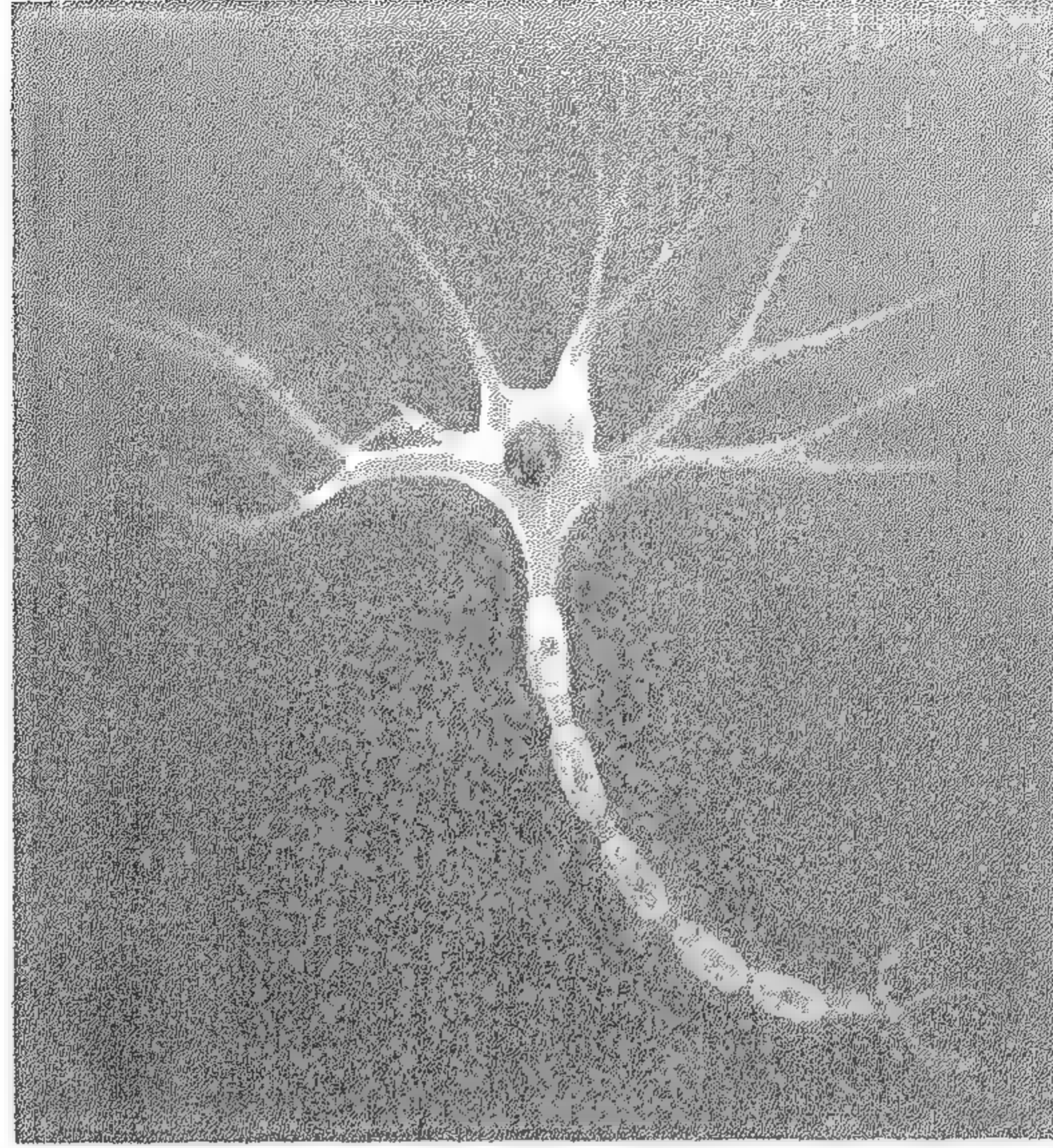
ولا بد لتحويل كل عنصر كيميائي من عناصر ذوات الروح الميتة، وتغييرها إلى حالة لاعضوية في التربة، من صنف خاص من الكائنات المجهرية. ولكي يقوم كل عنصر في التربة بتقديم خدمة للنبات، فإن المشاركة بين الكائنات المجهرية المتنوعة أمر ضروري لا يمكن الاستغناء عنه لاستمرار الحياة. والحقيقة أن هذه العمليات هي أكثر تعقيداً من العمليات التي تجري أثناء الإنتاج في مصنع للسيارات.

الكائنات المجهرية وتوازن الكربون

إن الكائنات المجهرية الدقيقة المختلفة الأنواع مكلفة بوظائف في عملية تحويل كل عنصر من عناصر الفوسفور والحديد والزنك وكل عنصر من العناصر الأخرى إلى أشكال لاعضوية. إن ما يربو على ٨٠ نوعاً من العناصر توجد في الأحياء في حالة مركبات عضوية، فتفتت كل عنصر من هذه العناصر من قبل مجموعة مختلفة من الكائنات المجهرية الدقيقة، وتقديمها لعالم الأحياء هو تنظيم مُحَيَّر ومدهش.

إن كلا منا مُحاط من الداخل ومن الخارج بكائنات مجهرية دقيقة لا تُحصى ولا تُعد، تجعل الحياة تستمر بشكل مشترك وتتغير بشكل مطرد ومتوازن معنا ومع بعضها البعض.

وعندما اكتشف سنة ١٨٥٠ أن الكائنات المجهرية الدقيقة



كانت سبباً في أمراض مُهلكة ومعديّة، أعلن الإنسان عداوته الضارية لهذه المخلوقات الدقيقة. وفي الحقيقة لم تكن هذه الكائنات هي المذنبة بل كان الإنسان هو المدان. فخلال الحرب التي بدأها القادة الظلمة الذين لا يقيمون وزناً أو حقاً للإنسان والإنسانية بسبب أنانيتهم الذاتية، ولعدم اهتمام الكتل العسكرية بالنظافة، والاستخدام الأخرق لمصادر ومواد الغذاء في الدول الفقيرة من قبل الدول الأخرى، وعدم إعطاء

العناية الكافية لنظافة البيئة وأجسام البشر... بسبب هذه العوامل كلها أصيبت البشرية بأوبئة الفتاكة التي أودت بحياة ثلث سكان القارات طوال التاريخ.

لو استطعنا نحن كعقلاء أن نستوعب الحكمة من خلق هذه الكائنات الحيّة؛ ولو بذلنا جهودنا من أجل منع تطور الأوساط المسببة للأوبئة الفتاكة؛ ولو فكرنا أن المضادات الحيوية التي تستعمل لبعض الأمراض التي تظهر من حين لآخر إنما هي من الكائنات المجهرية الدقيقة أيضاً، وأننا إنما نأكل أغذيتنا بدءاً من الخبز حتى الأجبان بواسطة الكائنات الدقيقة التي يُسمى جزء منها الخميرة؛ والأهم من كل ذلك لو استطعنا أن نُؤمن النظر والتفكير في كمون هذه الكائنات الحيّة التي لا تُرى بالعين المجردة تحت هذا التوازن البديع المتكامل... لو فكرنا في ذلك كله لأمكننا أن ندرك الرحمة والشفقة التي أولانا إياها ربنا صاحب القدرة اللانهائية.

إن الكائنات المجهرية الدقيقة التي تجعل وجه هذه الأرض الشاسعة لامعةً ناصعة، والتي تستحق أن تسمى "عمالقة النظافة" بما تقوم به من أعمال... لتُظهر حكمة الخلق الباهرة ونظام الكون المتكامل العجيب، وتحليات اسم الله "القدوس" التي تشمل كل الوجود. ■

١٠ كاتب وباحث تركي. الترجمة عن التركية: الصفصافي أحمد القطوري.

خصائص السرد القصصي في القرآن الكريم

د. محمد مشرف يوسف خضر

خصائص المتن القصصي في القرآن الكريم

إن متتبع القصة في الكتاب الحكيم يجد أن ثم قصصا يرد أكثر من مرة في مواضع مختلفة، وآخر يسرد ذكره مرة واحدة فقط، وأن النوع الأول يأتي في كل مرة يذكر فيها بشكل مختلف، كما نرى في قصص: آدم ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام... وفيها جميعا نجد نواة وظيفية تتكرر، فيما عدا قصص آدم عليه السلام الذي يمثل مقدمة وسببا في وجود هذه النواة. نقرأ في ختام قصة آدم عليه السلام قوله تعالى ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا يَخَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٣٨-٣٩). ثم تتوالى القصص بعد ذلك: يأتي الهدي من الله، فيتبعه الناجون، ويكذب به المالكرون. ومن ثم كانت تلك النواة الوظيفية التي انبث عنها جميع القصص التالية:

- ١ - الدعوة إلى عبادة الله وحده.
- ٢ - الرقص والاستكبار.
- ٣ - نجاة المؤمنين، وإهلاك الكافرين.

هذه البنية تقابلنا في كل مرة في القصص المذكور، تتغير الشخصيات، بينما تظل وظائفها ثابتة؛ تظل الدعوة، ويظل التكذيب، وتظل العقوبة... وكأنها قصة واحدة تتكرر حلقاتها على الصورة نفسها، كلما كانت فترة نسي فيها الإنسان عداوة الشيطان ووعيده القلبي.

القصة القرآنية هي قصة لها أهدافها التي ترجع إلى طبيعة الكتاب الكريم؛ فهو كتاب دعوة، والقصص فيه كذلك وسيلة من وسائل الدعوة. فدائما تأتي القصة فيه لأهداف تحقها، وغايات تسعى إليها ﴿فَأَقْصَصَ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٦)، ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ (هود: ١٢٠)، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (يوسف: ١١١).

وقد كثر القول حول القصص القرآني كثرة توهم بانتهاء القول حوله، وتشكك في احتمال تقديم جديد في هذا الصدد؛ ولكن القرآن كتاب متجدد لا يخلق على مر الدهر، وهو صالح لكل جيل؛ ومن هنا كانت المحاولة دائما مأجورة، وأقرب الأجر جديد يشعر المرء أنه وصل إليه، أو قدمه، وهل شيء أشرف من خدمة القرآن!

وهنا نتبع خصائص القصص القرآني تتبعاً نرى فيه مظنة تقديم الجديد، من حيث إن المنهج الذي سنتناوله منهج جديد؛ هو المنهج السرد الذي يبدأ بتقسيم إجرائي للعمل القصصي إلى قسمين هما المعنى والمبنى، أو المتن الحكائي والمبنى الحكائي بتعبير الشكلي الروسي "توماشيفسكي". وحديثنا عن الخصائص هو حديث عن نتائج دراسات طويلة لا نرى داعياً لذكرها، لدلالة المذكور عليها، ونبدأ بالمتن الحكائي:

غير أن الهدف الذي تأتي من أجله القصة - من قصص النبي الواحد- يجعلها تختلف في كل مرة في بنيتها الوظيفية؛ فيكون التركيز على وظائف دون غيرها، ويكون بحضور وظائف أو غياب أخرى، مما يؤثر في متتالية الوظائف، فيجعلها بالتالي قصة جديدة في كل مرة.

خصائص البنية الزمنية في القصص القرآني

وإن مراجعة سريعة للبنية الزمنية في القصص القرآني من خلال ملاحظة الإيقاع الزمني، المتمثل في الحركات السردية الأربع: الحذف، والوقفة الوصفية، وبينهما وسيطان هما: المشهد والمحمل؛ وكذلك من خلال ملاحظة المفارقات الزمنية أو علاقات الترتيب... إن مراجعة سريعة تُرينا مدى هيمنة المشهد الحواري على السرد القصصي القرآني. ومن خصائص المشهد أننا فيه نجد التحام الزمن القصصي بالزمن السردي، وبصير حاضر السرد هو حاضر الأحداث، فيتحول المتلقي إلى مشاهد يعاين الوقائع بنفسه، يفعل بها، ويتفاعل معها كأنه واحد من شخصيات المشهد. ويتناوب الحذف، والإيجاز، والمشهد كثيرا؛ الحذف يتخطى أحداثا لا يحتاجها الموقف القصصي، وهو يتراوح بين أن يكون حذفاً ضمناً، يستدل عليه من ثغرة في التسلسل الزمني، أو انحلال للاستمرارية السردية كما نجد مثلاً في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ (ص: ٧٢-٧٣)، وجلّ حذف القصص القرآني من هذا النمط. وفي مواطن كثيرة نستطيع الاستدلال على الحذف من مواضع أخرى في سياقات مختلفة، ومرة واحدة فقط نجد حذفاً محدود المدة، في قوله تعالى من قصص نوح عليه السلام في سورة العنكبوت: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (العنكبوت: ١٤).

والإيجاز يعرض للأحداث عرضاً سريعاً مجملاً لأهمية ذكرها في السياق ولكن في غير تفصيل، كما في وظيفة الإهلاك والنجاة، في قصص الأنبياء، التي تأتي -غالباً- موجزة؛ فتدل من ناحية على هوان الهالكين على الله عز وجل، ومن ناحية أخرى على قدرة الله تعالى المطلقة. والمشهد يعرض الأحداث الرئيسية المشكلة للعمود الفقري للنص، وهو يأتي غالباً على هيئة حوار خارجي أو مونولوج داخلي. والمشهد، كما يقول "عبد العالي بو طيب"،

يعطي القارئ إحساساً بالمشاركة الحادة في الفعل، إذ إنه يسمع عنه معاصراً وقوعه كما يقع بالضبط، في لحظة وقوعه نفسها. ولا يفصل بين الفعل وسماعه سوى البرهة التي يستغرقها صوت الروائي في قوله، لذلك يستخدم المشهد اللحظات المشحونة، ويقدم الراوي دائماً ذروة سياق من الأفعال وتأزمها في مشهد. ويرى "ويليام هاندي"، بحق، أن المشهد في العمل السردي يمكن أن يُنظر إليه على أنه مماثل للصورة في الشعر، ومن ثم يضيف أن "كلا من المشهد والصورة يمتلك الخصائص الأساسية نفسها:

- ١- كلاهما يعرض أكثر مما يوحى.
- ٢- كلاهما يشكل مظهراً مفرداً لمعنى مضاعف.
- ٣- كلاهما يقصد إلى صياغة الخصوصية أي نسيج التجربة.
- ٤- كلاهما موجه أولاً إلى الحس، وليس إلى الفكر المجرد.
- ٥- كلاهما يتخطى المفهوم في احتوائه معنى أكبر مما يستطيع المفهوم أن يصوغه من خلال طبيعته الأصلية.

إنما اللحظات الأكثر توتراً في القصة يعرضها المشهد الحواري (غالباً) في القصة القرآنية، كما نرى مثلاً في قصص الأنبياء، حيث تأتي دائماً وظيفتاً "الدعوة" و"التكذيب" على صورة مشهد حوار. وهما الوظيفتان الأكثر أهمية في القصص القرآني بوصفه وسيلة دعوة. والوصف يكاد لا يوجد في القصص القرآني، اللهم إلا في مواضع معدودة، أظهرها ما نراه من وصف لقارون في سورة القصص ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ (القصص: ٧٩) وكأنه دمية تمثل زينة الحياة الدنيا، تُعرض في صمت ليفتن الناس بها. وكذلك وصف صاحب الجنتين في سورة الكهف حين ضاعت جنتاه ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ (الكهف: ٤٢).

أما بالنسبة لعلاقات الترتيب بين زمني القصة والسرد فكثيراً ما تبدأ القصص باستباق، يهيئ نفس المتلقي، ويوجه توقعاته، على نحو ما نجد في قصص آدم عليه السلام حيث هناك الاستباق الإعلاني الذي يتصدر أكثر القصص. وفيه يخبر المولى عز وجل الملائكة بأنه سيخلق بشراً من طين، وما يلي بعد ذلك يترتب بوجه من الوجوه على هذا الاستباق، كما في رفض إبليس السجود لمخلوق طيني. وحين تبدأ قصة آدم في سورة طه باستباق داخلي عن نسيان آدم عليه السلام، فإن السرد يسير من ثم على هذا النحو ليذكر قصة نسيان آدم. ومثل هذا نراه كذلك في قصص سورة

القمر، التي تبدأ جميعها باستباق يحدد موضوع القصة، الذي كان دائما تكذيب قوم نبي من الأنبياء.

والاستباق المختلط في القصص القرآني له خصوصيته التي تتمثل في انفتاحه على المستقبل البعيد المتمثل في القيامة، كما في قصة آدم عليه السلام: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ﴿قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى﴾ (طه: ١٢٤-١٢٦). أو كما نرى في قصة ذي القرنين: ﴿قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا﴾ وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا ﴿الكهف: ٩٨-٩٩﴾.

والاسترجاع كذلك يقابلنا في القصص القرآني، ولكن بصورة أقل من الاستباق الذي يبدأ به أكثر القصص؛ فنجد الاسترجاع مثلا مختلطا باستباق العليم في قصة هود عليه السلام: ﴿وأتبعوا في هذه الدنيا لغة ويوم القيامة ألا إن عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود﴾ (هود: ٦٠) وهذا الاستباق خاص بالقصة القرآنية؛ وهذا راجع أولا لطبيعة صاحب الخطاب عز وجل عالم الغيب والشهادة؛ وثانيا لطبيعة القصة القرآنية التي هي وسيلة رئيسية من وسائل الدعوة. وربما تركز الاسترجاع في قصص نبي من الأنبياء، كما في قصص لوط عليه السلام من سور القمر والشعراء والحجر والعنكبوت؛ ففي سورة القمر يأتي الاسترجاع للتذكير بأن ما حل بقومه إنما كان جزاء وفاقا لما قابلوا به دعوته لهم وإنذاره من تجاهل وتكذيب. ومثل ذلك في سورة الشعراء؛ بينما في سورتي الحجر والعنكبوت، يأتي استرجاع جانب من قصص إبراهيم عليه السلام. وفي قصة موسى والعبد الصالح نجد الاسترجاع أربع مرات متتالية.

وتجدر الإشارة إلى أن القصة القرآنية، لوجودها في فضاء النص القرآني، تخضع لزميتين مختلفتين: الأولى تتعلق بزمان القصة القرآنية، وتتعلق الثانية بزمان النص القرآني. زمان القصة يبدأ مع الدخول الفعلي في عالمها، وزمان النص القرآني يحيط بزمان القصة، ويحتويه. ويمكن أن نعهده زمنا حاضرا للسرد، أو زمنا أولا تقاس المفارقات الزمنية الكبرى بالنسبة إليه. فالقصة بكاملها تكون استرجاعا أو استباقا حين تتعلق بهذا الحاضر الزمني للنص، كما نرى مثلا في قصة أصحاب الجنة: ﴿إنا بلوناهم كما بلونا

أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين﴾ (نمل: ١٧)، أو في قصص سورة القمر: ﴿كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدا وقالوا مجنون وازدجر﴾ (القمر: ٩) وفي غيرها.

خصائص الصيغة السردية في القرآن الكريم

في القصص القرآني يتجلى من صيغ الخطاب صيغة المنقول المباشر التي تهيمن على الحكيم، وتطبعه من ثم بطابع أمانة النقل للقول السارد، وهذه الصيغة ترد الوظائف المهمة في القصص. ففي قصص آدم عليه السلام، تأتي الوحدة السردية الأولى -وهي إخبار الله تعالى الملائكة بخلق آدم- دائما في صيغة الخطاب المنقول المباشر، التي تحمل إلينا حوار الله والملائكة في هذا الشأن ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾ (البقرة: ٣٠). ودائما يأتي الإخبار عن الخلق بضمير المفرد الغائب، ودائما بصيغة واحدة لا تتغير ﴿وإذ قال ربك للملائكة﴾ في سور (ص: ٧١) و(الحجر: ٢٨) و(البقرة: ٣٠).

يلي هذا الوحدة الثانية "سجود الملائكة وامتناع إبليس" التي تأتي بالصيغة نفسها، ودائما بضمير الجماعة الدال على العظمة، ودائما بالصيغة الواحدة التي لا تتغير: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس﴾ في سور (طه: ١١٦) و(الكهف: ٥٠) و(الإسراء: ٦١) و(البقرة: ٣٤). وتكتمل الوحدة بالصيغة ذاتها، لتعرض لطاعة الملائكة، واستكبار إبليس، وامتناعه عن السجود، ومن ثم ذلك الحوار الطويل بينه وبين الله، الذي يأتي في صيغة المنقول المباشر لأهميته الشديدة، لا في قصة آدم فحسب، وإنما -كما قلنا- من قبل - في قصة الحياة بصفة عامة.

وفي قصص الأنبياء، نجد دائما وظيفتي الدعوة والتكذيب تأتيان بهذه الصيغة (المنقول المباشر) بعد أن يتم التحضير لهما بصيغة الخطاب المسرود. ففي سورة الأعراف: ﴿لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيرهُ﴾ (الأعراف: ٥٩)، ﴿وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيرهُ﴾ (الأعراف: ٦٥)، ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيرهُ﴾ (الأعراف: ٧٣)، ﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيرهُ﴾ (الأعراف: ٨٥). الصيغة دائما واحدة، والدعوة أيضا واحدة.

وهذا أيضا ما نجده في سورة هود وفي سورة الشعراء ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحِ الْمُرْسَلِينَ﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (الشعراء: ١٠٥-١٠٧)؛ ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (الشعراء: ١٢٣-١٢٥)؛ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (الشعراء: ١٤١-١٤٣)؛ ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطِ الْمُرْسَلِينَ﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (الشعراء: ١٦٠-١٦٢)؛ ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لُيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (الشعراء: ١٧٦-١٧٨). هذا الاتحاد في الصيغة الكلية للدعوة، بل في كلمات الدعوة، يجعلنا وكأننا أمام نبي واحد، ورسالة واحدة. وإنما لكذلك، وما يزال قول الله تعالى لدى هبوط آدم عليه السلام إلى الأرض ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا يَخَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٣٨) يتردد ما دامت السماوات والأرض، وما زال الهدى يأتي من الله، فمن تبعه نجا وسلم.

خصائص الرؤية السردية في القرآن الكريم

من خلال تتبع تقنيات الرؤية السردية في القصص القرآني نعاين هيمنة الرؤية المحايدة على الحكيم. وفي هذه التقنية يتم تنظيم الحكيم من موقع خارجي، بينما تترك شخصيات السرد تتحدث بأصواتها دون تدخل، مما يعطي انطبعا للمتلقي بصدق ما يتلقى، حين يجد نفسه مشاركا في الحكيم بوصفه مشاهدا حاضرا ومستمعا لما يجري من حوار. تتجلى هذه الرؤية في وظيفة الدعوة، من قصص الأنبياء، وما يصاحبها من جدل التكذيب، حيث الحاجة إلى معرفة التفاصيل المتلبسة بالدعوة، كعلاقة الرسول بقومه، ومنهجه في دعوتهم، وهدفه منها... وكل هذا يجري أمام عيني المتلقي من خلال الرؤية المحايدة، فيرى بموضوعية، وعليه من ثم أن يحكم بعقله على ما رأى، وأن يجنب كل حكم للهوى، أو للعادة.

ويظهر كذلك، وإن بصورة أقل، تقنية الرؤية الذاتية، التي تلحق دائما بنا الفاعلية الدالة على العظمة، ومن خلالها يتم حكي الأحداث الفاصلة في القصص، تلك التي تحتاج إلى قوة قاهرة متصرفة، مثل عملية الخلق، وإرسال الرسل، وإنجاء

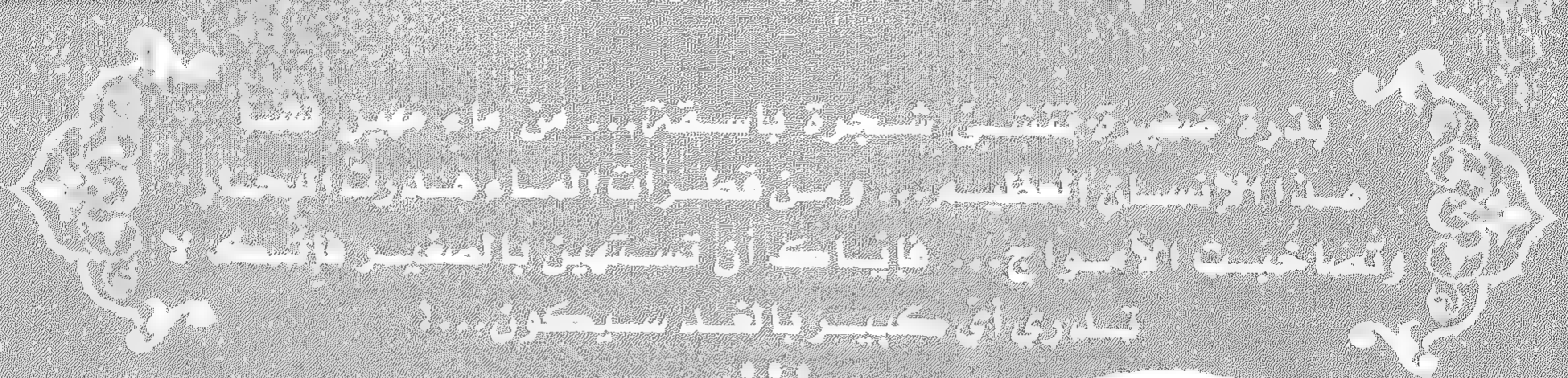
المؤمنين، وإهلاك الكافرين. فنحن نرى قصص الأنبياء في سورة القمر، تبدأ كلها بالرؤية الذاتية؛ تعرض نماذج لأهم كذبت قبل أمة محمد ﷺ، وكيف كان عذاب الله لهؤلاء المكذبين في الدنيا قبل الآخرة، فلتحذر أمة محمد أن تكذب هي الأخرى بالندير، فهي أمة كالأمة التي توالى سرد ما حاق بها من عذاب. ولعرض صور العذاب من خلال الرؤية الذاتية أثره البين في النفس. فالمتكلم هو الفاعل، ولن يكلفه الأمر شيئا ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ (القمر: ٩)، وعاد وثمرود وقوم لوط، وآل فرعون، ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ (القمر: ١١)، ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ (القمر: ١٢)، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ (القمر: ١٩)، ﴿تَنْزِيلُ النَّاسِ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ (القمر: ٢٠)، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ﴾ (القمر: ٣١)، ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾ (القمر: ٣٨)، ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أُخِذًا عَزِيزًا مُّقْتَدِرٍ﴾ (القمر: ٤٢)، ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ (القمر: ٤٣).

يبقى بعد ذلك الرؤية الذاتية المحايدة، وهي تتخلل القصص القرآني. ومن اسمها فهي تجمع بين الرؤيتين السابقتين، مع غلبة الرؤية الذاتية فيها، وشكلها الأمل، حيث يأتي قول الحق ﷻ من خلال ضمير العظمة الذي يأتي فاعلا في القصة والسرد على السواء ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ (الإسراء: ٦١) وهي قليلة وتأتي غالبا تمهيدا للرؤية المحايدة أو في أعقابها.

والرؤية المحايدة الذاتية، وهي على عكس السابقة، تغلب فيها الرؤية المحايدة، وتمثل في نقل معنى الكلام لا نصه كما في قوله تعالى في قصص لوط عليه السلام ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ (الحجر: ٦٦).

وتم ملاحظة نلفت إليها، تتمثل في تداخل الرؤيات الذي نجده في بعض المواضع في القصص القرآني، مثل ذلك القسم الخاص ببني إسرائيل في قصص موسى عليه السلام من سورتي (الأعراف: ١٣٨-١٦٨) و(طه: ٨٠-٩٨). فلعل هذا التداخل يأتي بقصد التوجيه النفسي للمتلقى مما يناسب ما يؤديه هذا القسم من عرض لانحراف بني إسرائيل وفساد طبيعتهم. ■

(٥) جامعة طنطا، كلية الآداب، قسم اللغة العربية / مصر.



كيف تنهار الدول؟

أحمد أورتاك محمد علي



تعجب السلطان سليمان من هذا الجواب وتحير. أيوجد في هذا الجواب معنى سرّي لم يفهمه؟ ولم يجد حلاً سوى الذهاب بنفسه إلى يحيى أفندي في تكيّته. وهناك كرر السؤال نفسه وأضاف في لهجة يشوبها العتاب: "أرجو منك يا أخي أن تجيب على سؤالي وأن تعد الموضوع جدياً وخبرني ماذا قصدت من جوابك؟"

قال يحيى أفندي: "أيها السلطان! إذا انتشر الظلم في بلد وشاع فيه الفساد وقال كل من سمع وشاهد هذا الظلم والفساد "ما لي ولهذا؟" وانشغل بنفسه فحسب.. وإذا كان الرعاية هم الذين يفترسون الغنم، وسكت من سمع بهذا وعرفه.. وإذا ارتفع صراخ الفقراء والمحتاجين والمساكين وبكاؤهم إلى السماء، ولم يسمعه سوى الشجر والمدر... عند ذاك ستلوح نهاية الدولة. وفي مثل هذه الحال تفرغ خزينة الدولة، وتهتز ثقة الشعب واحترامهم للدولة، ويتقلص شعور الطاعة لها، وهكذا يكون الاضمحلال قدراً مكتوباً على الدولة لا مفر منه أبداً." ■

كان عهد السلطان سليمان القانوني - في رأي معظم المؤرخين - هو العهد الذهبي للدولة العثمانية. فقد اتسعت حدود الدولة وفتحت بلدان وأمصار عديدة في هذا العهد، وعمّ الرخاء والرفاه جميع أنحاء المملكة. ولكن السلطان سليمان كان يعلم من استعراض التاريخ أن كل دولة قوية لا بد أن تضعف وتذبّ فيها عوامل الضعف والانحلال.. إذ لكل أمة أجل.. فهل سيكون هذا هو مصير الدولة العثمانية أيضاً؟ أليس هناك من مهرب من هذا المصير؟ بدأت هذه الأسئلة يشغال فكره عدة أيام يحاول أن يجد لها جواباً.

وعندما طال تفكيره وحيرته قرر طرح هذا السؤال وهذا الموضوع على العالم المشهور "يحيى أفندي" الذي كان في الوقت نفسه أخاه من الرضاعة. لذا كتب له رسالة ضمّن فيها سؤاله. كان هذا العالم يقيم في تكية في منطقة "بشكتاش" في إسطنبول. كتب إليه يقول بعد الديباجة الاعتيادية: "أنتم ملمون بمعرفة العديد من الأسرار، لذا نرجو منكم أن تتلطّفوا علينا وتعلمونا متى تنهدم الدول؟ وما عاقبة الدولة العثمانية ومصيرها؟"

كان جواب يحيى أفندي جواباً قصيراً ومحيراً في الوقت نفسه. قال في جوابه: "ما لي ولهذا أيها السلطان؟ ما لي أنا؟"

(٥) كاتب وباحث تركي.

السلام على من طهر قلبه في الدنيا
وهدى الله طريقه
ثلاثون مرة في اليوم
واظل زمانه

بين المشاعر والشعائر

سلام الإيمان

ق

قيم مؤسسة على الإيمان هي قيم مطلقة في نفس من يؤمن بها كيفما كان ذلك الإيمان، وعن أي مصدر صدر. وقيم والمبادئ التي جاء بها الإسلام مطلقة في وحدان من يؤمن به صلاحية وفاعلية، سواء اتصت بأحد جوانب الحياة الإنسانية كالجانب النفسي أو الأسري أو الاجتماعي أو الدولي، أو كانت مبادئ وقيما عامة تشمل هذه المستويات كلها كمبدأ السلام.

من هنا نرى أهمية فهم المدخل الإسلامي لفكرة السلام من خلال أصالة المبدأ في التصور الإسلامي، كما في تجليات الإيمان ومستويات السلام الذي يحققه في حياة الفرد والجماعة، استمدادا من مصدر ذلك الإيمان المطلق، بدءاً من مستوى الشعائر وصولاً إلى منزلة الشعائر، فضلاً عن اكتنافه مشاعر الإنسان المؤمن الذي تحصل له السكينة والأمان، وينعم في جوانحه بمعاني السلام الدائم المتجدد.

السلام شعارا للإسلام

إن الأصرة الوثقى للسلام بالإسلام تبدأ من مستوى الشعائر، أي

اسم هذا الدين نفسه. فكلمة لإسلام. وهي اسم الرسالة الموحى به من الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَرَفِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (سورة ٢) مشتق من المادة اللغوية "سلم" التي ترد بمعان ثلاث: أولاً، معنى الخلوص والتعري من ألقاف اغتاصرة أو السامة. وثانيها، معنى الصلح والأمان؛ وثالثها، معنى الطاعة والإذعان. فترى أن أحد معاني المادة اللغوية للإسلام هو الصلح والأمان، بل إن معاجم اللغة ومصادرها تبين أن كلمة "السلام" قد ترد بمعنى الإسلام. وإذا علمنا وثوق صلة الاسم في اللغة بالمعنى بأن أن شعار الإسلام نفسه، وعنوانه الذي يدل عليه، هو الصلح والأمان الذي جاءت به الرسالة ودعت إليه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كُلًّا﴾ (البقرة: ٢٠٨).

ويتأكد ذلك الارتباط مع كل عناصر عقيدة المسلم؛ فمن أسماء الله تبارك وتعالى "السلام" ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ﴾ (الحشر: ٢٣)؛ والجنة التي وعد بها المؤمنون، والتي يتطلعون إليها هي "دار السلام" ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (الأنعام: ١٢٧)؛ ونجاة المسلمين في الدنيا والآخرة "السلام"

﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ (إبراهيم: ٢٣)؛ وكتاب الله تعالى نزل في ليلة كتبها سلام، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر: ١) ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ (القدر: ٥).

وقد كتب بعض مفكري المسلمين في هذا العصر عن كلمة "السلام" في حياة المسلم وبينوا أنها أحد أكثر ما يتردد من كلمات العالم في كل يوم بفضل رسالة الإسلام، وكونها جزءاً من عبادة المسلم (الصلاة، الحج) وعلاقته بمن حوله من الناس (التحية).. أوليس السلام إذن هو شعار الإسلام الأول؟!

السلام النفسي في الإسلام

يرى كثير من علماء الاجتماع والسياسة أن الإنسان هو منطلق العالم نحو السلام، وأن سلام العالم إنما يبدأ من النفس الإنسانية؛ فإذا عاشت هذه النفس سلاماً داخلياً، أثمر ذلك سيادة معاني السلام في حياة الجماعة والدولة والإنسانية جمعاء، وإذا افتقدته عزّ على العالم أن يدرك هذه الغاية أو يلمس آثارها.

من هنا يدرك كيف أن كثيراً من المجتمعات ماضياً وحاضراً فقدت معاني السلام في حياتها، رغم كل المبادئ المعلنة والقوانين المسطرة والشعارات المرفوعة؛ إذ تظل هذه المعاني بعيدة في غياب شروط السلام الداخلي للإنسان وأسبابه. ولهذا ينطلق التصور الإسلامي للسلام الشامل من السلام النفسي؛ فالإنسان الحائر المضطرب، الفاقد معاني السكينة والاطمئنان الروحي هو أبعد ما يكون عن إقامة مبادئ السلام في الحياة.

ويقوم مفهوم السلام النفسي في الإسلام على جملة مبادئ عقدية وشعائر تعبدية وقيم أخلاقية، جاءت بها الرسالة، تبلغ في مجموعها النفس الإنسانية منزلة الأمن والسلام، وتعصمها من الاضطراب والتناقض، وذلك من خلال منظومة قيم الإسلام وأحكامه عامة، ومقتضيات العقيدة والعبادة خاصة.

العقيدة مصدراً للسلام

إن الأساس الذي تقوم عليه عقيدة الإسلام وشريعته وسائر أحكامه هو الإيمان بالله وما يترتب عنه من التوكل عليه واللوذ به والإنابة إليه والاعتصام بحبله والتسليم له والأنس به ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨) بكل ما يحمله الإيمان من معاني التسليم لله بقضائه والانقياد لقدره والاعتقاد في أثرهما على مسار الحياة. فالإنسان الذي يظفر بالإيمان الحقيقي يستطيع أن يتحدى الكائنات ويتخلص من ضيق الحوادث، مستنداً إلى قوة إيمانه فيبحر متفجعاً على سفينة الحياة

في خضم أمواج الأحداث العاتية بكمال الأمان والسلام. وهو أمر يدفع الإنسان إلى العمل والسعي والاجتهاد موقناً بأن قدر الله ماض وأمره نافذ؛ فلا يأسى على ما فاتته فتصبح النفس نهباً لليأس، ولا يفرح بما أتاه فتشيط بعيداً عن دوام التذكر أن ما بها من نعمة فمن الله، وأن ما أخطأها لم يكن ليصيبها وما أصابها لم يكن ليخطئها وأن لها رباً قادراً متصرفاً، بيده مفاتيح الغيب وأسرار المستقبل، والنفع والضرر، والعطاء والمنع، ومنه التوفيق والسداد.

ومن فطرة الإنسان المقترنة بخاصية الضعف البشري أنه دائم الحاجة إلى قوة أكبر منه، يشعر في وجودها بالأمان من قوى الكون التي لا طاقة له بها وصروف المستقبل التي يدّخرها، وهي حاجة عبّر الإنسان عنها على امتداد تاريخ الإنسانية في كافة الحضارات والثقافات. فإذا كان الإيمان بالله أساس العقيدة وجوهر التوحيد ومبتدأ الإيمان وأهم مفاهيم الإسلام وأسمى أحكامه، أمّن الإنسان المسلم في حياته متى انقاد إلى مقتضيات هذه العقيدة، مدركاً أن له رباً قوياً قادراً وأن هذا الإله سميع بصير، قريب مجيب ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: ١٨٦). وحسب هذه الصلة بين العبد وربّه، ألما قلب نفس المخطئ الرجاء والأمل، وتحفزه على الأوبة والتوبة الدائمتين، استجابة لنداء الله ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر: ٥٣). وفي التوكل على الله راحة للنفس من عبء ثقل تحمله النفوس التي لا تمّتدي إلى توحيد الله.

أما المؤمن فيتحصّن أمام كل مصيبة مستنداً إلى التوكل، فيمنحه إيمانه هذا الأمان التام والاطمئنان الكامل، وأما غيره فينوء بعبء الحياة الدنيا بهمومها وهواجسها واحتمالاتها، لذلك تظل الأسئلة الوجودية الكبرى التي تلحّ على الإنسان في أي زمان ومكان.. أسئلة المبتدأ والمأل، والموجد، والغاية من الحياة ومصير الكون والإنسان.. تظلّ حاضرة ملحة، ما لم يجد لها أجوبة متكاملة، يقدمها الإسلام، ويثنيها في نفس المسلم الإيمان، لتحقيق بذلك طمأنينة النفس التي هي أول درجات السلام النفسي الكامل.

شعائر العبادة مصدراً للسلام

لا شك أن الجو النفسي الآمن الذي تشيعه العقيدة في قلب الإنسان يحتاج إلى دوام واستمرار لبقاء تلك المعاني ورسوخها. وهذه وظيفة ضمن وظائف أخرى للعبادة في حياة الإنسان المسلم. وإذا نحن تأملنا الشعائر التعبدية في الإسلام كلها وجدنا أن الخيط الناظم بينها

أنما تدخل الإنسان مجالا للأمن النفسي من خلال علاقته بخالقه، ليعيش معاني سلام داخلي دائم ومتجدد دوام العبادة في حياته. فالصلوات محطات يومية في خضم الحياة للاتصال بالله، وهو أمر لا يمنح المصلي شعورا بالأمان من مستجدات الأيام لارتباطه بالخالق المدبر فحسب، بل يزوده بقوة نفسية لمواجهة أعباء الحياة وتحمل مشاقها - لا وجود لها إلا في العبادة. وفي الخطاب القرآني توجيه إلى هذا المعنى الذي جعل الفلاح والخير في الحياة الدنيا والآخرة معا مقصدا وغاية للصلاة، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ {س: الحج: ٨٨}، وقوله سبحانه عن تلبية نداء صلاة الجمعة الأسبوعية ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ {الجمعة: ٩}، من ما يجعلها في النهاية عنصرا توجيه وترشيد للسلوك الإنساني باتجاه الفضيلة ومانعا من الاعتداء على الحقوق ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ {العنكبوت: ٤٥}.

ومن أراد أن يفهم البعد النفسي العميق للعبادة في حياة الإنسان، فليقرأ ما كتبه أولئك الذين حرموا هذه النعمة حيناً من الدهر قبل إسلامهم، وما كان لها من أثر الغيث والرحمة على نفوسهم الظمأى بعد أن عرفوا الإسلام، وأثرها البالغ في إحساسهم بالسكينة والسلام.

وإذا كانت الصلاة محطة يومية وأسبوعية متواصلة، فقد أقام الإسلام محطة سنوية عامة يدخل فيها الإنسان والمجتمع المسلم دورة تكوين في قيم السلام النفسي والجماعي، هي عبادة الصيام، من خلال تقوية النفس وترويضها على التحكم في النوازع والأهواء ولجم الجوارح كلها، حتى عما يباح لها في غير رمضان من أصناف النعم والمتع، فتسئو بذلك نفس الصائم حتى يغدو عامل رحمة وسلام لنفسه وغيره. ثم إن شهر رمضان موسم للسلام الاجتماعي، يعيش فيه الناس معاني الصبر لا على شهوتي البطن والفرج وحدهما، بل على أذى الناس وجهلهم، فلا يغضب الصائم ولا يرفث ولا يجهل وإن بادره غيره بالاستشارة أو الأذى، لأنه يعيش موسم ترويض على معاني السلام؛ وفي الحديث القدسي "الصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقللني امرؤ صائم" (متفق عليه).

ثم يبلغ المسلم قمة العيش في ظلال السلام خلال الامتحان الذي فرض الإسلام اجتيازه مرة واحدة على الأقل في حياة المسلم، تتويجا لمخطات التربية اليومية (الصلاة) ودورات التكوين

السنوية (الصيام)، حيث يعيش المؤمن رحلة سلام حقيقية وشاملة في الحج، يتدرب خلالها على كافة المبادئ والقيم التي جاءت بها الرسالة، ومنها مبدأ "السلام"؛ فعندما يحرم الحاج يتحول بمقتضى هذا الإحرام إلى عنصر طمأنينة وسلام في الأرض، للإنسان والحيوان والنبات، فلا يؤذي غيره ولا يسلك ما يؤدي به إلى فحش أو خصومة: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ {البقرة: ١٩٧}، ولا يصطاد حيوانا ولا يأكله إذا صيد له: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلْغِيَاةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ {المائدة: ٩٦}، ولا يقطع شجرا، ولا يؤذي كائنا. وإنه لمن قبيل الاتساق مع جو هذه الرحلة التعبدية، أن يكون من دعاء الحاج عند رؤية الكعبة المشرفة قوله: "اللهم أنت السلام ومنك السلام، فحينا ربنا بالسلام" (رواه مسلم).

وفي الحج مبدأ آخر لا يقل أهمية في إشاعة معاني السلام في النفس والجماعة، وهو مبدأ المساواة بين الناس واتخاذها شعارا معلنا وسمتا ظاهرا، إذ يلبس المحرم لباسا لا يميزه عن غيره ليتوحد الجميع في مظهر واحد. وهذا أحد المؤرخين من المسيحيين يتحدث عن هذه القيمة في عبادة الحج فيقول: "ولا يزال الحج على كثر العصور نظاما لا يدارى في تشديد عرى التفاهم الإسلامي والتأليف بين مختلف طبقات المسلمين، وبفضله يتسنى لكل مسلم أن يكون رحالة، مرة على الأقل في حياته، وأن يجتمع مع غيره من المؤمنين اجتماعا أخويا، ويوحد شعوره مع شعور سواه من القادمين من أطراف الأرض. وبفضل هذا النظام يتيسر للزواج والبربر، والصينيين والفرس والترك والعرب وغيرهم، أغنياء كانوا أم فقراء، عظماء أم صغار، أن يتآلفوا لغة وإيمانا وعقيدة".^(١)

هذه أمثلة أولية مختصرة لجوانب السلام النفسي والاجتماعي من المشاعر الإيمانية إلى الشعائر العبادية في الإسلام، تمكن من القول بكلمة: إن الإسلام يجعل من الأمن الروحي والنفسي للإنسان، عبر إشاعة معاني الطمأنينة والسلام بين جوانحه، المدخل إلى سلام الجماعة في دوائر الأسرة والمجتمع والأمة ثم الإنسانية كلها، لأن الإنسان مادة ذلك كله، وركن بنائه الركين. ■

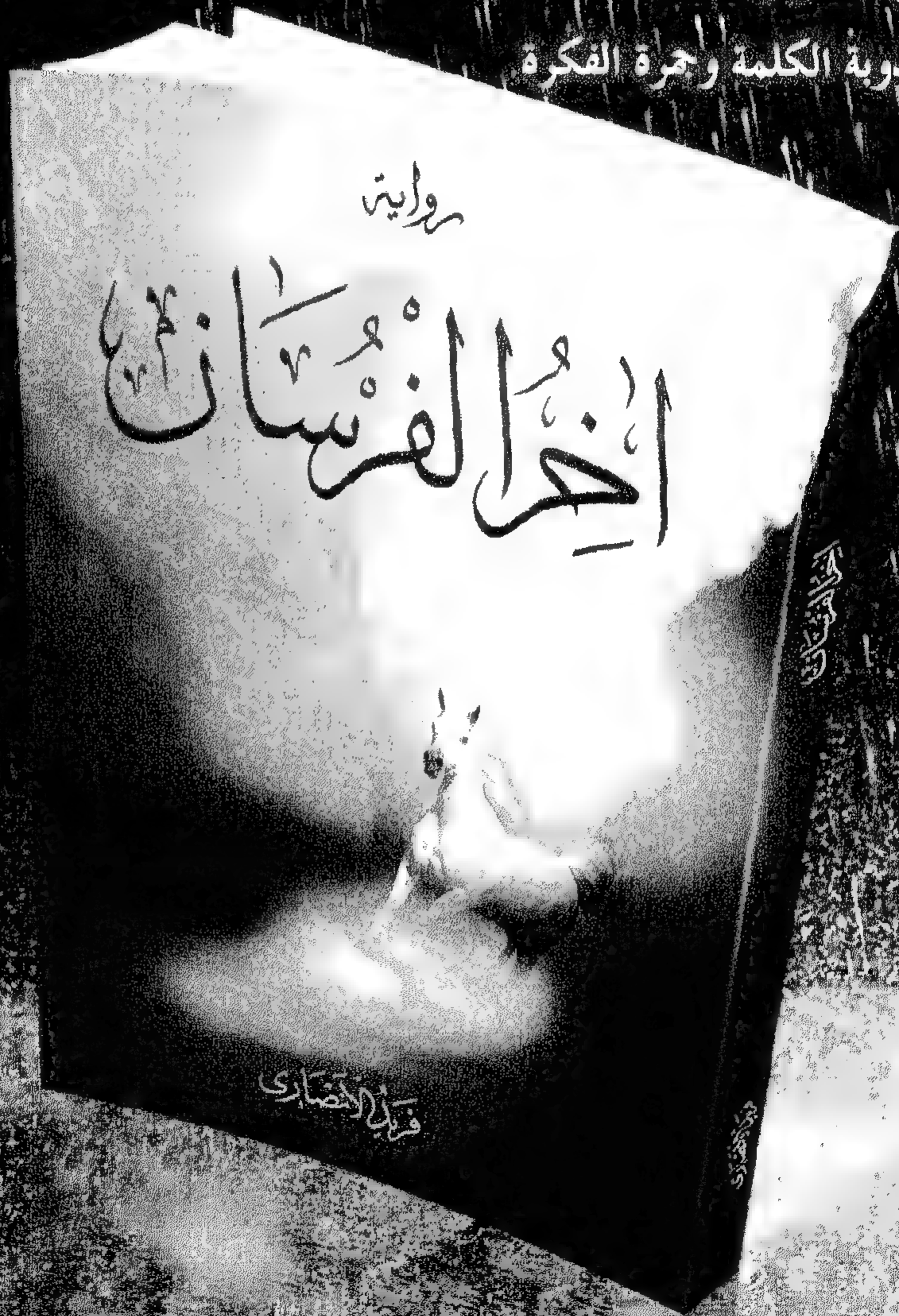
(٥) مدير مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية - وحدة / المغرب.
الهوامش

(١) تاريخ العرب لفيليب جتي، ١/١٨٧.

أخيل فرسان

بقلم فضيلة الأستاذ فريد الأنصاري

- ملامح من سيرة الأستاذ النورسي - بقالب روائي مشوق
- أدب رمزي في آفاقه واقعي في دلالاته
- صورة قلمية لفارس فكر لم يترجل بعد عن فرسه
- خيال ثري سريع التدفق والعطاء
- رواية طافحة بعدوبة الكلمة وجمرة الفكرة

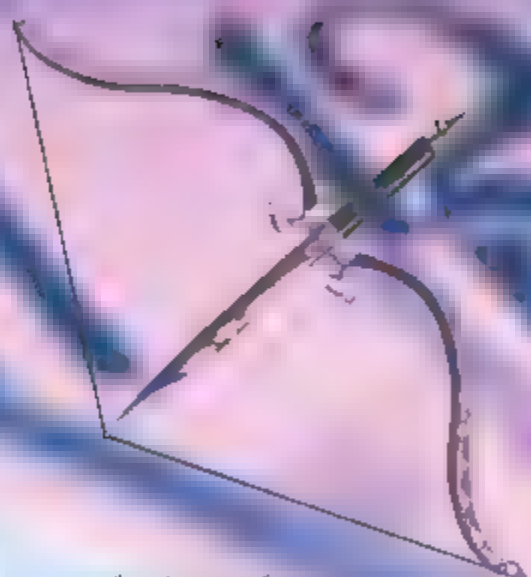


مركز التوزيع فرع القاهرة: ٧ ش. البرامكة، الحي السابع، مدينة نصر - القاهرة / مصر

تليفون وفاكس: +2022619204 +20127874552 محمول



حرية



من أجل أن يتم حق في حق الرماد بكر صالحتها في العلم والحق
تستلزم حق في الحق من العلم يرتفع **لعل مرة** حرية حريم والعد
وتعقب المصاحبة والبلالة دور جوهري في اليوم جوهري للمعلم.
ويهي هذا هوقة عصر العلم والبال من جديد

حراء

مجلة علمية ثقافية فصلية

www.hiramagazine.com

العدد السابع عشر / السنة الخامسة / أكتوبر - ديسمبر ٢٠٠٩

- المؤمن لا يسقط وإن اهتز - فتح الله گولن
- الثقافة التسامحية لدى العثمانيين - أ.د. سعاد يلدريم
- مفهوم الحياة في القرآن الكريم - أ.د. الشاهد البوشيخي
- محاور أساسية في فهم القرآن - أ.د. علي جمعة
- الأبرو، فن الرسم على الماء - بيروت بيحر



لقد اعتاد الذين نذروا أنفسهم لسلوك طريق السعداء - في الماضي والحاضر - ألا يطالهم اليأس والقنوط،
و ألا يهتروا ولا تأخذهم الحدة والغضب حتى وإن تعرضوا من كل جانب لمشاعر العداء والكراهة.
فهم يدفعون السيئة بالحسنة فيقومون بذلك بإصلاح جميع السليبيات.

المؤمن ووحدة الحياة

في

في المقال الرئيس للأستاذ "فتح الله كولن" غذاء مجزٍ للعقل والوجدان لمن يلزم نفسه بالتأمل والتفكير. وهو يرسم طريقاً سهلاً للمعرفة والعمل معاً، والولوج إلى فجاج الفكر بقلب ملؤه الاطمئنان والثقة. فالمؤمن - كما يصفه الأستاذ - قد تعصف به العواصف وتتناوشه المحن والخطوب، وقد يهتز بعض الشيء وقد يترنح، لكنه يظل متماسكاً فلا يسقط أرضاً ولا يركع ذلاً ورعباً. فالألم مهما طال فهو إلى انحسار، أما الخوف فلا يقف عند حد، بل يظل ممتداً في النفس حتى يفرغها من الشهامة والغيرة والشجاعة. ثم إذا اهتز المؤمن كان ذلك دليلاً على وفرة الحياة عنده وعلى رهافة شعوره وثقافته حسّه ويقتله ذهنه، لأن ميّتي الشعور وغلظي الأحاسيس ومتخشي الأضلاب، لا يهتزون لشيء لأهم موتى وإن كانوا يمضون على قدمين.

والأستاذ "عماد الدين خليل" يتحفنا بواحدة من مقالاته الجادة عن "غائية الوجود في الأدب الإسلامي" في تحليل رائع للرؤية الإسلامية لغائية الكون ووحدة الحياة، متخذاً من بعض الصراعات الدرامية التي تدور عليها محاور رواياته ومسرحياته نماذج لتقدم هذه الرؤية الإسلامية. وهو يختم بحثه عن "الدrama الإسلامية" فيقول: "إنما الصراع بين العقل والروح والوجدان والجسد، ولن يقدر لأحد فيها الخلاص إلا من خلال بذل جهد استثنائي للتحقق بالوفاق. أما الأستاذ "البوشيخي" رجل الفكر الرصين، فإنه يحدّثنا عن "مفهوم الحياة في القرآن الكريم". هذا المفهوم الذي كثيراً ما يغيب عن أذهان المسلمين أو يختلط بتصورات قاسدة تفقده جوهره وحقيقته، كما أنه لا ينسى أن يحلل لنا حقيقة الموت في التصور الإيماني، ومراحل الحياة والموت، مؤكداً على المعنى الحقيقي للحياة وكيف يصير هذا المعنى دافعاً إلى إثبات الآخرة، ثم يحضي إلى أكثر من ذلك فيعزو سبب الوهن الذي يعاني منه المسلمون اليوم إلى فساد التصور لمفهوم الحياة كما يصورها القرآن الكريم.

أما الأستاذ "رمضان البوطي" فيؤكد في مقاله الموسوم "لا سلام مع الظلم ولا إرهاب مع العدل" على أن ما يعاني منه العالم اليوم من اضطرابات وقتول وسفك دماء، يعود بالأساس إلى جملة من المظالم التي يتجرعها ضعاف البشر من الأقوياء المتسلطين، وإلى فقدان "العدل" الذي يورث اليأس. وفضيلة الأستاذ "علي جمعة" يقدم لنا على صفحات "حراء" دراسة قيمة عن لوازم العقل التفسيري للقرآن الكريم، مع استعراض شامل وعميق لآراء جمهرة من كبار المفسرين.

وبعد، فإن "حراء" تعتذر للأساتذة الذين لم يسعفنا ضيق المجال للتوابع بمقالاتهم التي تظل مهمة في تشكيل الإطار العام لهذا العدد من "حراء" والله من وراء القصد.. ■

حراء

مجلة علمية ثقافية

www.hiramagazine.com

العدد السابع عشر - السنة الخامسة (أكتوبر - ديسمبر) ٢٠٠٩

التصور العام

- حراء مجلة علمية ثقافية فصلية تعنى بالعلوم الطبيعية والإنسانية والاجتماعية وتحلّو أسرار النفس البشرية وآفاق الكون الشاسعة بالنظور القرآني الإيماني في تألف وتناسب بين العلم والإيمان والعقل والقلب، والفكر والواقع.
- تجمع بين الأصالة والمعاصرة وتعتمد الوسطية في فهم الإسلام وفهم الواقع، مع البعد عن الإقراط والتفريط.
- تؤمن بالافتتاح على الآخر، والحوار البناء والمهادنة فيما يجب لصالح الإنسانية.
- تسعى إلى الموازنة بين العلمية في الموضوعات والجمالية في الشكل وأسلوب العرض، ومن ثم تدعو إلى معالجة المواد بمهنية عالية مع التبسيط ومراعاة الجوانب الأدبية والجمالية في الكتابة.

شروط النشر

- أن يكون النص المرسل جديداً لم يسبق نشره.
- ألا يزيد حجم النص على ٢٠٠٠ كلمة كحد أقصى، ولللمحالة أن تلخص أو تختصر النصوص التي تتجاوز الحد المطلوب.
- يرعى من الكاتب الذي لم يسبق له النشر في المحلة إرسال نبذة مختصرة عن سيرته الذاتية.
- تخضع الأعمال المروضة للنشر لموافقة هيئة التحرير، ولهية التحرير أن تطلب من الكاتب إجراء أي تعديل على المادة المقدمة قبل إحرازها للنشر.
- المحلة غير ملزمة بإعادة النصوص إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر، وتلتزم بإبلاغ أصحابها بقبول النشر، ولا تلتزم بإبداء أسباب عدم النشر.
- تحتفظ المحلة بحقوقها في نشر النصوص وفق خطة التحرير وحسب التوقيت الذي تراه مناسباً.
- النصوص التي تنشر في المحلة تعبر عن آراء كتّابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المحلة.
- للمحلة حق إعادة نشر النص منفصلاً أو ضمن مجموعة من البحوث، بلغة الأصلية أو مترجماً إلى أي لغة أخرى، دون حاجة إلى استئذان صاحب النص.
- مجلة حراء لا تتابع في النقل أو الاقتباس عنها شريطة ذكر المصدر.
- يرعى إرسال جميع المشاركات إلى هيئة التحرير المحلة على العنوان الآتي:

hira@hiramagazine.com

مجلة علمية ثقافية فصلية تصدر عن:

İşık Yayıncılık Ticaret A.Ş.

İstanbul / Türkiye

صاحب الامتياز

مصطفى طلعت قاطرجي أوغلو

المشرف العام

توزاد صولاش

nsavas@hiramagazine.com

رئيس التحرير

هانئ رسلان

hraslan@hiramagazine.com

مدير التحرير

أشرف أونن

eenen@hiramagazine.com

المخرج الفني

مراد عرباجي

marabaci@hiramagazine.com

المركز الرئيسي

HIRA MAGAZINE

Kısıklı Mah. Meltem Sok.

No:5 34676 Üsküdar

İstanbul / Turkey

Phone: +902163186011

Fax: +902164224140

hira@hiramagazine.com

مركز التوزيع

٧ ش البركة - الحي السابع - م. نصر/ القاهرة

تليفون وفاكس: +20222631551

الهاتف الجوال: +20165523088

جمهورية مصر العربية

نوع النشر

مجلة دورية فصلية

Yayın Türü

Yayın Süreli

رقم الإيداع

١٨٧٩=١٣٠٦

للإشتراك من كل أنحاء العالم

pr@hiramagazine.com

المؤمن لا يسقط وإن اهتز

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٩)

﴿ فتح الله محولن ﴾

في بعض، إلا أنه يمكن تجاوزها بمرقعة أسبانيا والنضال ضدها بيمان وعزم وأمل، وإلا فإن الخيال والأوهام ستضخم صورة هذه المشاكل. كما أن السياسة إن تدخلت فيها واستغلتها فستكبر، وستبدو أكبر بكثير من حجمها الحقيقي، وتصل - نتيجة آثار التخريبات النفسية - إلى وضع يصعب الخروج منه.

نحن نعيش اليوم مرحلة من المراحل التي يتكرر فيها التاريخ بعيره. فقد أحاطت بنا المآسي والمصائب والبلايا من كل جانب، كالأزلازل والقيصانات والجراسق والضغط على الحريات وكنم الأنفاس... ولكن رغم كل هذه المظالم والبلايا لا زلنا نرى

إن الصورة الحالية للأوضاع صورة مرعبة، ولكن تجاوز هذه الأوضاع وتخطيها بالإيمان والأمل والتوجه إلى الله ليس مستحيلاً. فإن سار الإنسان نحو الشمس أو طار فإن ظله سيكون خلفه، ولكن إن أدار ظهره للشمس فإنه يبقى خلف ظله. لذا يجب أن تكون عيوننا مصوبة على السدوم إلى المتبع اللانهاي للقصور. أجل، إن كل شيء كما عبر عنه الشاعر التركي "محمد عاكف" مرتبط بـ "الاستناد إلى الله، والتوسل بالسمي، والاستسلام للحكمة". ومما لا شك فيه أننا نعيش أزمنة حقيقية متداخلة بعضها



الساكتين والصامتين المسلوبين الإرادة الخائفين حتى من التأوه أمام المصائب. ومقابل هذا نرى صنفاً من الظالمين، يظلمون الناس ويغدرون بهم، ثم يتظاهرون بالبكاء والشكوى ليقبلوا الحقائق رأساً على عقب ويظهروا المظلومين وكأنهم هم الظالمون. كما أن هناك بعض الكتل الجماهيرية التي نراها - لأسباب مختلفة - غير متوازنة في تصرفاتها، فهي على الدوام غاضبة ومحتدة. وهناك أوساط مختلفة كأوساط الإدارة الفاسدة والأوساط المتحكمة والأوساط المحرصة، والأوساط اللاهية التي لا يهمها شيء، والذين يعدون الخداع مهارة والسرقه شطارة، والانتهازيون الذين لهم نصيب عند هؤلاء، والذين يتحصنون وراء حصانتهم القانونية، والذين يرفعون شعار "الحق للقوة" ويستخدمونه

حتى النهاية، من أئمة الظلم، والمرتشين والأتهم والمحتلسين وتجار الأسلحة وشبكات تجارة المخدرات والمدمنين عليها، وتنظيمات ملعونة أخرى لم يعط لها اسم بعد... كل هذه الأوساط تدفع الجماهير الغاضبة التي فقدت أترانها إلى مزيد من أعمال الشدة والعنف. أجل، هناك خريف حزين في كل مكان، والقيم الإنسانية سقطت تحت الأقدام. فلا حرمة للفرد، ولا حرمة للقيم الإنسانية. وإذا وجد هناك بضعة أفراد يتصرفون ببعض الاحترام، فمن أجل الحصول على أجرة وعلى مقابل لهذا الاحترام. والجماهير أصبحت تُعد في كل مكان كتلاً لا قيمة لها، وحالها تفتت الأكباد، في

وقت تبذل لها الوعود بالحصول على عمل وعلى لقمة عيش في أوقات الانتخابات فقط. ولكن لم يعد أحد يصدق هذه الوعود لعدم تحققها.. فالعلم لا صاحب له... والمعرفة والعرفان وراء جبل قاف... الفن مجرد حارس للأيدولوجيات... بيوت العلم استسلمت للتقليد... عشق الحقيقة وحب العلم والشوق للبحث أمور لا تستحق الاهتمام والالتفات إليها... أما بعض الجهود المبذولة فربما لا تتعدى نطاق الهواية... مؤسساتنا الحيوية التي أودعنا فيها حاضرننا ومستقبلنا ميتة ولا حياة فيها... إن استمعت

إلى الدعايات والادعاءات حسبت أننا نكفي لعوالم عدة، بينما تشير الحقائق صارخة بأننا لا نكفي لمدينة صغيرة. ومن الواضح لكل ذي عينين أن قيمنا الأخلاقية، والشعور بالمسؤولية، والتزامنا بالحق وبالعدل هي دون المستوى العالمي بكثير، فلا تجد عند الكثيرين منا أي حياء أو خجل أو أي احترام للحق ولا أي توقير للفكر... لقد زال منذ زمان بعيد الخشية من الله، وحس الفضيلة... أما الحياء من الناس فنحن الآن نسعى للتخلص من هذا الشعور المزعج (!). لقد تحولنا إلى أكوام بشرية لا قلب لها ولا روح، وانعكس هذا على وجوهنا، فلم يبق عند معظمنا إحساس بالرحمة أو الشفقة، ولا شعور بالاحترام والتوقير. أما عدد الذين يعدون الدين والديانة مؤسسة عتيقة وبالية فلا

يستهان بهم... المشاعر الدينية خربة في كل مكان، والتدين مُهان... اللامبالاة منتشرة وكذلك السقوط الأخلاقي... الخيانات متداخلة بعضها مع البعض الآخر في كل جانب، والصرخات والتأوهات تُسمع من هنا وهناك... في هذه الأرواح التي فقدت مشاعرنا الإنسانية ترى جموداً في الأحاسيس والعواطف وشللاً... أو معاذير من أمثال "هل أنا المكلف بإنقاذ العالم؟" القلوب الحساسة أصبحت أسيرة انفعالاتها وفقدت توازنها... أما عدد الانتهازيين الذين يقولون: "هذا هو يومنا... وهذا هو عهدنا وزماننا" فليس معروفاً... والله

تعالى وحده هو الذي يعلم عدد الذين جعلوا الوصول إلى الثروة عن أي طريق هدف حياتهم. في مقابل هذا نرى أن من يفكر ويحس ولو قليلاً يتجرع الآلام من أيدي أصحاب القوة الغاشمة، ونرى أن مصير من يخدم هذه الأمة هو الانسحاق، ومصير من يُخلص لهذه الأمة هو الوقوع في المصائد الشيطانية المنصوبة له في كل منعطف... صحيح أن الساكتين الآن والصامتين لا يصيبهم شيء، ولا يقال لهم شيء، ولكن لا أحد يعرف ماذا سيأتي به الغد. هناك شرذمة هامشية تثير على الدوام ضجة وجلبة في كل فرصة سانحة لها ضد الإيمان وضد الإسلام. وهي بدرجة عدائها

اليأس

عفريت يقطع

عليك الطريق، وفكرة

العجز وانعدام الحيلة مرض قاتل

للروح، والذين برزوا في تاريخنا المجيد

برزوا لأنهم ساروا بكل عزم وإيمان. أما

الذين تركوا أنفسهم لمشاعر العجز

والقنوط فلم يقطعوا أرضاً،

بل ضاعوا في

الطريق.

للدين والایمان تستهين بالرأي الحر والديمقراطية الحققة وحقوق الإنسان، وتعلن الحرب على كل من يخالفها في الرأي وفي الفكر، وتدين كل من لا يشاركها وجهة نظرها، وتمت في عرضه وشرفه بل ربما توسلت إلى التصفية الجسدية لمن لا تستطيع الصمود أمام فكره وحججه، وهناك من يسهم بعض الصادح والأفراد الذين لا يملكون ذرة من شرف الفكر وعفة الروح، ولا يتردد أمثال هؤلاء القيام اليوم بتكذيب ما قالوه في الأمس، وأن يذموا غداً ويخسفوا به إلى سبع أرض من يصفق له ويهتف بحياته اليوم. وإذا كانت هناك حصة لصيقة هؤلاء من ذوي الوجهين فهي أنهم يطفون على السطح دائماً، ويتلذذون بلذخ الآخرين كالثعابين. أما التعصب الكفري الموجود لدى بعض هؤلاء فحدث عنه ولا حرج، فهم لا يؤمنون لا بالله تعالى ولا برسوله ﷺ... قد عميت بصائرهم

إلى كبريلاء والأعداء إلى "صبر" والشهور إلى شهر محرم. وقد تتابع المؤامرات الواحدة منها تلو الأخرى، وتحدث حرائق كثيرة فتحرق إلى جانب بيوتنا ومساكننا آمالنا أيضاً وحفظتنا ونحوها إلى زمام. وقد يتحلى عنا الجميع... أصدقاء كانوا أم أعداء، ونظل وحيديين ومعزولين، بل قد لا يكتفون بهذا، إذ قد تطعن من الخلف من قبل أشخاص لا تتوقع منهم هذه الخيانة. أجل، نحن نعيش في هذه الظروف التي يطعن فيها الأعداء ويحصد فيها الأصدقاء ويتحلون عنا تماماً، فقلنا ألا نسلم أبداً، ولا نتحجى، بل نبقى صامدين وواقفين على أرجلنا مستعدين في ذلك إلى إيماننا وآمالنا بل مسرعين نظوي المسافات مثل جواد أصيل يقدر حتى النفس الأخير.

فلو وصلت المصائب والقواجم إلى أضغاث ما هي عليه



لهم لا يرون، وصمت أذانهم فهم لا يسمعون، لا يملكون روحاً ولا قلباً، ولا عقلاً متديراً، ولا يحملون وقاراً لا لله ولا لرسوله ﷺ جهالتهم جهالة مركبة، فهم لا يعلمون، ولا يعلمون أنهم لا يعلمون، ويحسبون أنهم يعلمون.

والخلاصة أننا نحاضنون اليوم حتى الركب في جميع السليبات التي كننا نتمنى عدم وجودها، والأنكى من هذا هو عدم وجود أي خير أو علامة مما كنا نأمل فيه كأمة منذ سنوات عديدة. وعندما يكون هذا هو المنظر العام فمن الصعب الحديث عن الأمل وعن العزيمة، ولكننا كأمة يجب أن نتجاوز هذه الصعاب، إذ لا عيار آخر أمامنا. لأن المصائب التي نواجهها حالياً قد تظهر أمامنا في المستقبل وقد تتضاعف، وعندها يتقلب البلد من أقصاه إلى أقصاه إلى ما يشبه مقبرة جماعية، وقد يلف عزم الأمة وأملها مثل كفن على رأسها، وتقلب الأمل إلى "نمروان" والسهول

حالياً، ولو أحاط بنا الأين والنحيب من كل جانب، ولو بلغ الصراخ عنان السماء... حتى لو تحولت المآسي الحالية إلى حمى بركانية متدفقة نحو القلوب... ولو تلوت الأمة بأجمعها من الألم ومن اليأس، ورسمت السيوف أقواساً فوق الرؤوس المفكرة، ولو سُحقت الأدمغة بالمطارق، وانفرد الظالمون ويقوا في الميدان وساد ظلمهم كل مكان، ولو غطي اليأس الأسود أفضل القلوب وأطهرها، ولو انفارت البيوت وتقوضت العوائل وانهدمت... لو غرت القمر وانطلقت الشمس، ولو انعمرت القلوب مع الأبصار في ظلام دامس... ولو طغت القوة وتحورت... لو انشحق الحق تحت أقدام وعجلات القوة العاتية... لو كسرت القوى الظالمة عن أنيابها، وانزوى الضعيف في صمت... لو خارت قوى أصحاب القلوب العاجزة عن المقاومة واحداً إثر آخر... لو سقط كل أصحاب القلوب...



لم يحدث كل هذا لما كان علينا إلا أن نستمر في موقفنا ونعطيه حقه من الثبات دون أن نغير سلوكنا قيد شعرة... لنقف في مومنا لتكون موضع أمل ومنبع وقوة يلجأ إليها الجميع، ونحاول من جديد إشعال جميع المشاعل الخائبة.

إن كان إيماننا بالله تاماً فلا بد أن يكون الأمل والعزم شعارنا، وتقديم الخدمة للأمة مهمتنا. يجب أن يكون توفيقنا للحق تعالى وأن ننذر أنفسنا لإسعاد الآخرين بدرجة أن نفضل أن نطعم قبل أن نطعم، وأن نكسو قبل أن نكسى فبعد من يرى أسلوب حياتنا الموقوفة للآخرين، وأمانتنا في أداء الأمانة. يجب أن نعيش طاهرين ونزاهين إلى درجة أن أي حرام أو أي أمر غير

مشروع لا يستطيع أن يلوث أحلامنا فضلاً عن حياتنا. ومن يدري كم فقدنا وكم خسرنا،

وكم هبطنا من علوتنا جراء بعض هذه التلوثات. فلا يفلح قط من لا يوفي حق

موقعه ويتحرف عنه. هذا علماً

أننا نعد حب الحياة أو المتاع

الشخصية انتحاراً فضلاً عن

الأهواء الدنيوية، بل علينا ألا

نحمل حتى الجنة غاية عبوديتنا،

لأن علينا أن تربط قلوبنا بالهبات

والأفضال الإلهية والسعي لنيل رضا،

واضعين سداً مبيعاً أمام رغباتنا وأهوائنا

الشخصية. نعطي - دون انتظار أي مقابل -

ولا نأخذ، بل نحسن على الدوام. وعندما نتطلى نحو

"المحجوب" ونسلك ميل السعداء لا نخطر أنفسنا على البقاء.

لقد اعتاد الذين قلروا أنفسهم لسلوك طريق السعداء -

في الماضي والحاضر - ألا يطالهم اليأس والقنوط والآن بهتروا

ولا تأخذهم الحدة والغضب حتى وإن تعرضوا من كل جانب

لمشاعر العداة والكراهة، وإن قاسوا من جحود الأصدقاء وثماتة

الأعداء، وإن أصبحوا هدفاً لجحوم أصحاب الأرواح المملوءة

حقداً ونفورا... فهم لا يقابلون هذا بشعور مقابل من العداة

والكراهة، بل يدفعون السيئة بالحسنة وبالكلمة الطيبة وسلوك

الإحسان وبالقول اللين فيقومون بذلك بإصلاح جميع السليبات،

ويقابلون الأفكار الهدامة بحملات البناء... ولو انقلب كل شيء

في البلد - لا سمح الله - في يوم من الأيام رأساً على عقب، وانفجرت الجماهير في الظلام، وتقطعت الطرق وتهدمت الجسور فلن يضطرب هؤلاء ولن يهتروا، لأنهم يعرفون أن هذا الاضطراب والاهتزاز منهم يعد عدم توفيق لعقيدتهم ولا رادقم. فبدلاً من إظهار دلائل ومناظر الموت والخراب في جو من اليأس والقنوط يقومون بتحفير مشاعر الحياة عند الآخرين وتنتيبتها وإثارتها، ويهتفون بكل من يستطيع السير: أن الطريق مفتوح.

إنني أعتقد بأن يد العناية متمتد حتماً إلى أبطال العزم والعزيمة

هؤلاء: إن لم يكن اليوم قعداء... وأن المواصف الموحدة التي تقطع

عليهم الطريق مستهداً وتسكن، وستنوب الشرج وتزول،

وستحول السهول والوديان القاحلة حولهم منذ

قرون إلى حثان نضرة، وسيبتسم لهم الحظ.

إن اليأس عفرية يقطع عليك الطريق،

وفكرة العجز والعدم الحيلة مرض قاتل

للروح، والذين يبرزوا في تاريخنا

المجيد يبرزوا لأفهم ساروا بكل

عزم وإيمان. أما الذين تركوا

أنفسهم لمشاعر العجز والقنوط

فلم يقطعوا أرضاً، ولا ساروا

مسافة، بل ضاعوا في الطريق فمن

ماتت عندهم المشاعر والأحاسيس،

ومن فقدوا قابلية الحركة لم يقطعوا طريقاً،

والناثمون لا يستطيعون الوصول إلى الهدف.

أما الذين فقدوا عزمهم وإرادتهم فلن يستطيعوا البقاء

قطباً على أرجلهم مدة طويلة.

والآن إن كنا نفكر في غدنا، ونأمل في الوصول إلى المستقبل

ونحسن تبيض بالحركة والحياة، فعلياً ألا ننسى أبداً بأن الطرق

تقطع بالسير، وأن الدري تبلغ بالعزم والإرادة والتخطيط. إن

الدري التي تبدو مستحيلة الوصول، قد تم الوصول إليها مراراً.

وقبلت القمم الشاهقة أقدام العزم والإرادة وأنارت في أصحابها

عزماً جديداً.

والحقيقة أن من عرف طريقه في أي عهد من العهود وعرف

الهدف الذي يترجحه إليه، وكان وثقاً من القوة التي يستند إليها

استطاع بفضل هذا الشعور وبفضل هذه الديناميكية التي يشع

كان إيماننا بالله

تاماً، فلا بد أن يكون الأمل

والعزم شعارنا وتقديم الخدمة

للأمة مهمتنا. يجب أن يكون توفيقنا

للحق تعالى وأن ننذر أنفسنا لإسعاد الآخرين

وأن نعيش طاهرين ونزاهين إلى درجة أن

أي حرام أو أمر غير مشروع لا

يقدر أن يلوث أحلامنا فضلاً

عن حياتنا.

حراء

مجلة علمية ثقافية فصلية
www.hiramagazine.com

الحمامة الجوّالة

واللهي وحلي،

وغنك فاهجري،

والأجواء غطري،

واجدال الشري،

وأثار جناحك على المسالك ارسلي،

وبوحلك احترفي واشتلي،

والدروب نوري،

ونسك لا غمدي،

وتضحيك إليك لا تسي،

ومتفعتك أبداً لا تطلبي...

فما في أعماقه أن يرقى إلى هذه السقري ويتجاوزها قبيل إلى
الشاهقة مرات ومرات، وتضفر الأرض تحت أقدامهم، وتفتح
السموات صدرها للعراقم، وتقل لهم المسافات تحية وإكباراً
وتقل لهمهم وجهودهم احتراماً، وتحول الموائق والموانع إلى
جسور تنقلهم إلى أهدافهم. أجل، إن الظلام يندحر دائماً أمام
هؤلاء الشجعان، وتنقلب المصائب إلى شآبيب رحمة وتحول
المشقات إلى طرق نجاح، والضوائق إلى حوافز انطلاق.

لو أبادوا حاضر مثل هذا الشخص سرّاً بجمع وجهه نحو
المستقبل ويستمر في طريقه المتوجه إلى الغد ولو هدموا مستقبله
أيضاً لما تردد في نفس حواذه نحو مستقبل أبعد، أي لا يملكون
حيلة حيال أمثاله، ولم يستطيعوا هذا حتى الآن، لأنه حتى لو
عاش هزالم، أو سقط على الأرض، فإنه يفضل عزيمته وإيمانه وأمله
يستمر في وضع خطط جديدة للفرز والنجاح ويجد فيها السلوى
والعزاء، كما أنه عندما يجابه مخزجات من الحقد والمداغما وعندما
تدلمس أمامه الخطوب، وتنكاثف الظلمات بعضها فوق بعض لا
يسقط في وديان اليأس والقيوط، ولا يضطرب أو تهتز منه شعرة،
لأنه لا يمثل الأمس فقط ولا اليوم ولا الغد، بل هو في موقع يسري
كلامه إلى الأرمشة جميعاً فهو "صاحب الوقت" و"ابن الزمان".
يعرف إضافة إلى لغة عصره روح الدين وأسرار القرآن... كل من
يراه ويتلمس شخصيته يتذكر عصر النبوة والخلفاء الراشدين،
وهو بمثابة أفكاره وبعثته ونزاهته وبرفائه وبصاقه وخلقه
التيين يبدو كأنه صرح من الجلمود أو الجرائيت، إن تقدم كل من
حواله وأمار فلا يتفت ولا يسقط منه مقدار قلامة ظفر واحدة،
نحن نأمل - بفضل هذه الأخلاق العالية والقوية والراسخة - أن
تجد الصدور التي تشكي الغربة والهجران الشقاء والسلوان إن لم
يكن اليوم فغداً، وأن تستقيم أصلاب أولئك الذين عاشوا منحي
الغهور منذ عصور ظهورهم، ويهتفوا مؤكدين وجودهم، وأد
تعب الأرواح التي غشيها الظلام وتقوم بتبديد الظلمات التي غبط
هم وتحاصرهم، وأن يصرف الجميع جهوداً استثنائية ويقوموا
تحت إرشاد المعاني المبركورة في جذورهم وأعماق نفوسهم -
بتجاوز جميع العقبات فيتحدون مع ذواتهم وماهيتهم ويصلون إلى
ذروة الحظ والسعادة. ■

(الترجمة عن التركية: أورهان محمد علي).

الهوامش

(1) شعر ابن ذي الجوشن: قاتل سيفنا الحسن بن علي عليه السلام (الترجمة)



العلم والإيمان متعة العقل والروح

د. الطري بن عزور *

الإيمان الراسخ الذي لا يتزلزل، وليكون من أهل العقول الذين أبصروا بالعلم حقائق الإيمان بالله ورسوله، وبذلك يتذوق ويتمتع حلاوة العلم والإيمان؟!

العلم وصناعة الإنسان المؤمن؟

لقد جعل الله تعالى الطريق للإيمان به ورسوله يأتي عن طريق العلم وهو الطريق الموثوق للوصول إلى العاية المقصودة، قال الحق ﷻ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (محمد ١٩). إذن فالإيمان هو المطلق الصحيح لتصرف الإنسان في هذه الحياة، المحقق للسعادة في الدنيا والآخرة. وكل تصرف يبتلى من غير الإيمان لا يثمر إلا الشقاء والخسران. ولهذا علق الله الفلاح والنور به، وعلق الخسران والشقاء بفقده، كما قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝

إِن الْحَقَّ ﷻ قد منح الإنسان القدرة على العلم والمعرفة والتمييز بين الأشياء، فخلق له الأدوات التي يتمكن بها من تحصيل العلم واكتسابه. وبعد

أن قدر الله للإنسان أن يكون عاقلاً مميزاً عالماً مختاراً ومنحه أدوات العلم والتمييز، أمره أن يسلك سبيل العلم وأن يتنفع بأدوات العلم لديه، وأن لا يتبع أمراً لا علم له به، وأنه سيكون مسؤولاً عن الانحراف. إذ لا عذر للإنسان بعد ذلك إذا سلك طريق الضلال، قال تعالى: ﴿يَهْدِي اللَّهُ الْبَشَرَ عَلَى نَفْسِهِ بِصِيَرَةٍ ۝ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ (البقرة ١٨٥-١٨٥). وإذا كان الحق ﷻ هو الذي منحنا السمع والبصر والعقل، أفلا نعذر بهذا الإنسان أن يستخدم هذه الأدوات التي خلقها له ربه في معرفة خالقه ﷻ ورسوله ﷺ قبل أي معرفة أخرى، فبأخذ عقيدته بعلم وبقين حتى يكون من أهل



إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (العصر: ١-٣).

فالعلم من أجل نعم الله تعالى على الإنسان، حتى أصبح جزء من حياتنا اليومية نحتاجه في أعمالنا، ولا حديث في هذه الأيام إلا على التطورات التكنولوجية. وهنا يطرح السؤال، إلى أي مدى يمكن أن نقدر العلم ونحترمه؟ هل هو مطلوب لذاته؟ وهل هو وسيلة أم غاية؟ إن الناظر إلى واقع الحال سواء في البلاد الغربية أو العربية يجد عجباً؛ الناس يكاد أن يؤمنوا العلم، فتنة بما وصل إليه من تطورات مذهلة، فإن قلت لأحدهم: "يقول الدين كذا وكذا"، يقاطعك قائلاً: "دعك من هذا، إن هذا أمر غيبي". وتجد كلاماً كثيراً.. أما إذا قلت: "قال العلم كذا وكذا"، فيسكت متقبلاً كل الكلام الذي تقوله ويؤمن به إيماناً راسخاً لا يتزعزع. فالدين أو الإيمان في نظره غيبي وتختلف ورجعي، والعلم عنده تطور وحضارة ورقّي. إذن فما الذي حدث؟ إن هذه الفكرة وليدة سلسلة أحداث تاريخية ترجع إلى القرون الوسطى، حيث كانت الكنيسة تحارب العلم، وحدث صراع كبير بين رجال الكنيسة ورجال العلم، وانتصر رجال العلم وكفروا بكل الغيبات، وكان موقفهم هو معاداة الإيمان، كما انطلقت النهضة العلمية المعاصرة من منطلق مادي صرف معاد لكل معاني الروح، لا يقبل غير المادي. ونحن نعلم أن الغيبات في الكون الذي نحن فيه، أكثر من الماديات، ولذلك انغمست هذه الحضارة في الماديات، مع العلم أن هؤلاء الغربيين استخدموا المنهج القرآني - وهو المنهج العلمي التجريبي الذي أسسه علماء الإسلام - ولكنهم سخروه في المادة فقط، فبنوا الإنسان المادي، وغفلوا عن الجانب المهم فيه وهو الروح، ونتج عن ذلك الشقاء والفراغ الروحي وسقوط القيم وتحلل الأسر، وزيادة الأسلحة المدمرة التي تهدد الإنسانية بأكملها. وكل هذا من سمات هذا العصر الذي سمي بعصر التقدم العلمي. وهكذا أصبح العلم أداة في يد الغربيين لزعة الإيمان عن طريق إقناع الشباب بأن العلم وحده كاف للتحضر والتقدم والمدنية ومن ثم الوصول إلى السعادة بعيداً عن قيود الدين. إذن فما مدى صحة هذه الرؤية، فهل صحيح أن العلم وحده كاف لسعادة الإنسان؟

محدودية العقل

ففي قصة موسى عليه السلام دلالة واضحة عن محدودية العقل، حيث

برهن القرآن للعقلين بالتجربة الحسية، ضعف العقل. فقد طلب موسى عليه السلام الرؤية، ولما تجلى الله للجبل اهتز وكاد أن يقتلع من جذوره، وأغمي على عقل موسى لأنه لم يستوعب الرؤية. والتعليل واضح وهو أن العقل عاجز عن الوصول إلى كثير من الحقائق، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٣). وهكذا يبقى العقل دائماً عاجزاً عن إدراك حقيقة الأشياء ما لم يستعن بالوحي. فالعلاقة بين العقل والوحي تأتي من خلال التعرف على كيفية تعامل العقل مع الوحي، أي كيف تتعاون مصادر العلم مع بعضها للوصول إلى الحقيقة. وفي بيان هذه العلاقة يقول الدكتور النجار: "إن العقل لكي يقوم بدوره في تفهم الوحي لابد أن يعتمد أسساً قهديه إلى الفهم، وهي أسس راجعة في أغلبها إلى خصائص الوحي ذاته أو إلى خصائص العقل. وانخراط أحد الأسس يؤدي إلى خلل في الفهم، وبالتالي إلى الانحراف في فهم المراد الإلهي".^(١)

والقرآن لم يجر ليعلنا العلوم، بل جاء ليحث العقول على تعلم العلوم والنظر في الكون والإنسان لتتكشف الأسرار الغامضة، على أن يتعاون الوحي مع العقل في استقراء الحقائق من الكتابين. فالقرآن كلام الله وكتابه المسطور، والكون خلق الله وكتابه المنظور، والحقيقة مبثوثة فيهما.

الإدمان على المعرفة والعلم

بقيت مسألة مهمة وهي لماذا بعض الناس دون غيرهم، لديهم هوس بالعلم والإيمان وشغف بالتعمق فيهما؟ في حين نجد الأغلب ينفرون منهما ويركنون إلى حياة الخمول والجهل. طبعاً الجواب مستمد من الملاحظة واستقراء الحال، وهو أن من تعود على البحث والقراءة والتعلم وحل المسائل والتفكير في مخلوقات الله تعالى المبثوثة في هذا الكون، يجد في نفسه متعة وراحة يعجز اللسان عن التعبير عنها، لأنه أمسى مدمناً على المعرفة، يحس بحلاوة الإيمان ويتمتع بالبحث العلمي. علماء الأعصاب قدموا لنا تفسيراً منطقياً وسهلاً لتأكيد أن ثمة متعة حقيقية تحتاج الدماغ، ويُحس بها الإنسان عندما يلتقط المعلومة أو يفهم شيئاً جديداً. وأيضاً قدموا لنا الآلية التي يتم بها نشوء المتعة في الدماغ، وشبهوا

الأمر بالإدمان على الأفيون. ولذا فإن مدمني الأفيون لا يحتاجون هذه المادة من الدماغ، ويغدون أشخاصاً كسولين وخاملين علمياً. أما تعليل الإدمان على المعرفة فقد وصف العلماء الإدمان بلغة بسيطة، وهو الاعتماد على شيء معين كمصدر للحصول على اللذة أياً كان نوعها. ولا تنشأ الحالة إلا لدى من تكرر استخدامه لهذا المصدر، وتعودت نفسه عليه وأحس بالفرق حين حرمانه منه، وهو ما ينطبق على علاقة الدماغ بالمعرفة.

الباحثون من جامعة جنوبي كاليفورنيا يقولون: "إن الدماغ يأخذ مكافأة ذاتية عند التقاطه معلومة جديدة أو حله لمسألة ذهنية صعبة. والمكافأة هذه عبارة عن جرعة من مادة الأفيون تعمل على البدء بسلسلة من التفاعلات الكيميائية السريعة، وتنتج في نهاية الأمر دفقة من مادة طبيعية شبيهة في مفعولها على الدماغ بالأفيون"، وذلك على حد قول بروفيسور العلوم العصبية بجامعة جنوبي كاليفورنيا، الدكتور "إيرفنج بيدرمان" الذي وضع فرضيته الجديدة في نتائج البحث المنشور في العدد الأخير من مجلة: "العلماء الأمريكيون".

ويوضح قائلاً: "حينما يحاول أحدنا فهم نظرية أو معلومة صعبة، فالأمر غالباً شاق وليس مجرد مرح، لكن بمجرد فهمها والتقاط تلك المعلومة بشكل سليم، ينتاب الإنسان شعور عارم بالرضا والسعادة". لذا فحاجة دماغ الواحد منا إلى ما يعيد الهدوء والسكينة إليه أو ما نصفه بالعامية "فلان يحتاج أن يعدل دماغه" هي الدافع للناس كي يرفعوا إلى أقصى حد من قدرات الاستيعاب الذهني لديهم للمعلومات والمعرفة. ويعلق البروفيسور بيدرمان قائلاً: "مزاجنا الذهني مفتون بتجميع المعرفة في كل ثانية كما هو حال تجار القطع الأثرية في الحرص على اقتناء القديم والقيم منها".

الإدمان العلمي والإدراك الذكائي

وفرضية "بيدرمان" حول الإدمان المعرفي والعلمي لها قيمة تطويرية قوية، ومرتبطة جداً بمستوى الإدراك الذكائي، ويحتاج الأمر إلى عناصر ضاغطة بشكل قوي، كالجوع مثلاً، كي يؤجل الدماغ رغبته في البحث عن المعرفة. وعلى حد قوله فإن نفس الأمر ينطبق على تقدير الجمال الفني البصري والمتعة في التفاعل معه.

أساس الفرضية وفرضية البروفيسور "بيدرمان" مستوحاة من نتائج بحث تم إهماله منذ ربع قرن حول مستقبلات المواد الأفيونية الطبيعية في خلايا الدماغ، أي نقاط جدار الخلية الدماغية التي

تشبك وتعلق عليها مواد اللذة هذه، لتقوم حينها ببعث الشعور باللذة في الخلايا الدماغية. وهذه المستقبلات تكثر في الخلايا الدماغية لمنطقة "حزمة أعصاب الطريق البصري الجوفي"، وهي جزء من الدماغ معني بملاحظة وتحليل الصور وترجمة معانيها للذهن وفق آليات غاية في التعقيد. والمستقبلات هذه مجمعة ومركزة بشدة في خلايا الحزمة العصبية في المناطق المعنية بفهم وإدراك معاني الصور المرسومة أو المكتوبة. ولا توجد في المناطق المعنية باستقبال الدماغ للصور المرئية في أول الأمر، أي إنها توجد في مناطق تعمل في مراحل متقدمة من عملية التحليل الذهني لمعاني الصور المشاهدة وتحديد مدلولاتها، فلا يُشيرها إلا ما يستدعي التحليل والفهم وليس مجرد الاستقبال الأولي المبدئي. ولذا فالباحثون يقولون: "كلما كثر النشاط العصبي في أثناء الجهد للتحليل والفهم في المنطقة الغنية بمستقبلات الأفيون، كان الشعور باللذة أعظم عند نجاحها في الوصول إلى الفهم وحل الغموض".

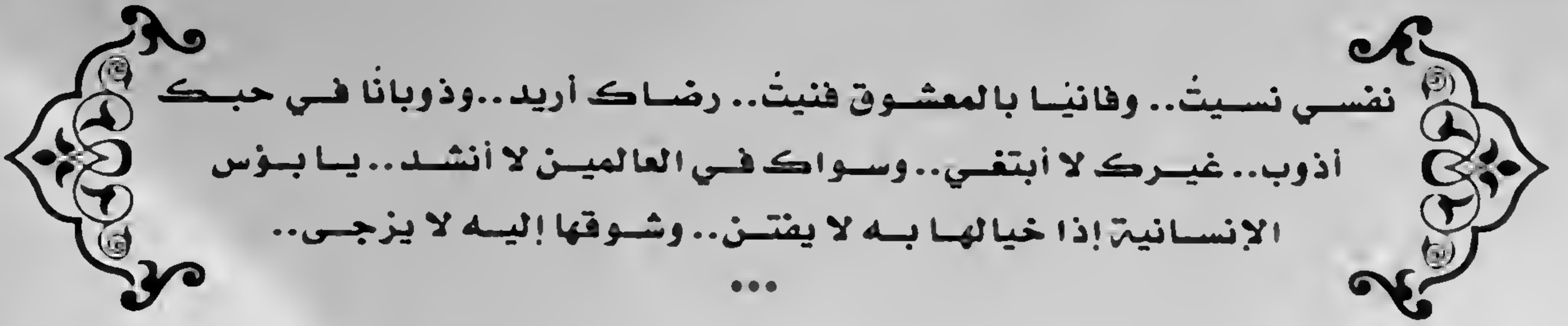
وفي سلسلة من صور متفرقة لمناطق متنوعة من الدماغ بالرنين المغناطيسي لمتطوعين عُرضت عليهم أنواع عدة من الصور، فوجد فريق البروفيسور "بيدرمان" أنهم فضلوا بشدة الصور التي أثارهم بشكل ملفت لتحليلها وفهمها، وزادت من نشاط الإفراز في المناطق الغنية بمستقبلات الأفيون، كما لاحظ البروفيسور "بيدرمان" أن تكرار عرض الصور الجذابة للشخص في البداية يؤدي إلى تدن تدريجي في إثارة مناطق إفراز المواد الشبيهة بالأفيون مع تكرار العرض، وبالتالي قلص إفراز المواد الكيميائية الباعثة على الشعور باللذة من فهمها.

إذن، فقراءة الكتب والإقبال على العلم والمعرفة تعني مزيداً من الإيمان، ومن ثم تتأكد متعة العقل والروح حيث يشعر الإنسان بحلاوة الإيمان، وهذا هو السر في مقولة المغني الإنجليزي الشهير الذي أسلم وسمي بـ "يوسف إسلام" حينما سئل عن شعوره بعد إسلامه فقال: "يعجز اللسان عن وصف السعادة التي تغمرني والتي طالما بحثت عنها في جميع الأديان".

(٥) باحث في الدراسات الإسلامية والإعجاز / الجزائر.

الهوامش

(١) خلافة الإنسان بين الروحي والعقل، لعبد المجيد النجار، ص: ٩٦.



غائية الوجود في الأدب الإسلامي

د. عماد الدين حليل

ت

نحدثنا في حلقتين سابقتين^(١) عن العكاس المضمون الفكري للأدب الإسلامي على بينة الفنية فيما يجعل من "الإسلامية" مذهباً في الأدب يتميز عن المذاهب الأخرى، ليس في مضامينه حسنة، وإنما في تكوينه الفني، وبسبب التالي مقولة البعض بأن الأدب الإسلامي أدب معباري، وهي الإشكالية التي ناقشناها في كتاب "الغابات المستهدفة للأدب الإسلامي"^(٢) في موضوع "الأدب الإسلامي بين المعيار والمهج".

في الحلقتين السابقتين تبين كم أن الرؤية الإسلامية لفنسية القدر تقدم فناً مسرحياً مغايراً في شكله ومضمونه للتراجيديا اليونانية، وكم أن الرؤية الإسلامية "للواقع" بأكثر مفاهيمه عمقاً واتساعاً، تشكل أدباً يتميز في بينة الفنية عن سائر الواقعيات الأخرى. وفي هذه الحلقة سنقف وبالإيجاز المطلوب، عند مسألة ثالثة وهي التصور الإسلامي للكون، ولغائية الوجود، وانعكاسها على الخصائص الفنية للأدب الإسلامي؛ تماماً كما أقررت هناك - في الساحة الغربية - مذهبها "الطليعي" الذي يسمى صدقاً "بالعشي" أو "اللامعقول".

الطليعية ودكتاتورية العقل تطوي "الطليعية" على رؤية قائمة تقوم على الاعتقاد بفوضوية الكون وعبث الحياة، ولا حدود الكدح البشري. ومد البدء بعد ألفسنا بآراء موقف تصوّري يقبض بالكلية لموقف "الإسلامية" القائم على التراسط الكوني، وغائية الحياة، وحدوى الكدح البشري، وعدالة المصير.

والكتاب العشيون بشر كون جميعاً في الإلحاح على الفوضى التي تلف أقطار الكون الأربعة.. على الخلون الذي يصمّ العالم بين حوائجه.. على اللامعقولية التي تربط بين الإنسان والكون. إن هؤلاء الكتاب قد غدوا، في النصف الثاني من القرن الماضي، مدرسة متميزة تقوم أول ما تقوم على القواعد التي يتفق عليها هؤلاء الكتاب جميعاً وهي الفوضى والعش واللامعقول، تلك التي وضع "ألير كامى" ححرها الأساس.

يذكر "رينشارد كو" في كتابه عن "بونسكو" كيف أن كل النزعات التي كبحتها دكتاتورية العقل خلال قرنين من الزمان اندفعت على السطح، وشهد النصف الأول من القرن العشرين، عدة حركات ثورية كالتكعبية والمستقلية والسريرية والتعبيرية والدادائية والوجودية، وكلها حركات تسعى بطرقها



الإحساس بالروال في عالم بلا قضاء

والطليعيون يخفهم "إحساس بالروال، في عالم بلا قضاء، من الطوف، واللون.. إحساس يندو الوجود من حلاله عدم الخدوى، مسنحلاً، بلا مغزى.. وتلك هي دروة الوعي بالعت، حيث يتكشف العالم كحبال موهوم، بعيد عن الاحتمال والتصدق، وبدو الواقع واللغة فيه كما لو كانا بتفككك وبهاويان قطعاً متناثرة، وبمرعاع من كل معنى، بحيث يبدو في النهاية أنه ما دام كل شيء، قد تحرد من الأهمية، فما الذي يسع المرء أن يفعله إلا أن يضحك من كل شيء؟" (١)

والطليعيين موقف من الموت.. كلها تعرف كيف أن "كامي" اغتره السب الرئيسي في تحريد الحياة من المعنى: "ما دما سموت فليس لأي شيء معنى، وارنكس إليه في القول بعنبة العالم، إذ لو كان العالم محدياً "فلماذا يموت الناس وهم ليسوا سعداء؟".

إن "بولسكو" رائد اللامعقول، ليف - كصفة رفاقه - أمام الموت بتأمل، وتنسج هذه الوقفة في فته، على الأحص في "قائل بلا أجر" و"الملك يخضر"، كما تنسج في "الأيام السعيدة"

لصموئيل بكت "إن الموت شير الرعب لا لأنه واقعة فظيعة في حد ذاتها، بل لأنه يجعل كل الحياة التي سفته عناً وسحقاً، فضلاً عن أنه في حد ذاته لا معنى له.. يقول بولسكو: "لقد خلقنا كي نكون خالدين ومع ذلك نموت. الأمر عيب ولا يمكن أن يعمل عمل الحد" (٢)

العشيون واللامعقولة بين الإنسان والكون

ما الذي يستطبعه الفنان إزاء عالم يراه "كابوساً لا بطاق، وشه حلم مخيف.. عالم يبدو أنه في قطعة حمى رهية.. ألا يكون مخيف إذا ما أحسنا أن هذا العالم ليس لنا، إنه ليس عالمنا الحق؟ ما

الذي يستطبعه الفنان إزاء عالم كهذا إلا أن يترق فتاع اللاواقع من حوله، فتاع انطباع الذي يصطلع للعالم منطقاً، ويدعي له عقلاً، بالرغم من كلى ما يطالع العالم الإنسان به من لا عقل ولا مطلق ولا قواعد؟" (٣)

وعند "صموئيل بكت" أن الإنسان "أشرف ما في الكون، والذي يتر حقيقته ليس هو الكون، لأن الكون أبكم أعمى لا يطلق ولا يبين ولا يدري من أمره شيئاً، وإنما يعد الإنسان في داخل نفسه ما يظني، له حقيقة نفسه". وتلك هي حلالة فلسفة "بكت" التي يدين بها لإمام الوجودية المسيحية

"سكال". فعند الأخير إن الإنسان، وإن يكن

لبناً طيعاً، إلا أنه بيت مفكر. وإن الكون

إن أهلك الإنسان، فإن الإنسان يكون

أشرف ممن يهلكه، لأن الإنسان

يعلم أنه يموت، أما الكون

فلا يدري ماذا يفعل" (٤)

تلك هي - بالبحار شديد -

الخطوط العريضة للرؤية

الطليعية التي مارست دورها

الملحوظ في بناءهم اللبية: فوضى نعم

الكون والعالم، ولا تدخ لحركة الإنسان

فيهما هدفاً محدداً أو مصيراً معلوماً.. كون

أنشأه الصدفة العمياء.. وعالم لا يقوم على قاعدة

من العقل. وإذا كان الناس طيلة تاريخهم قد اتفقوا على

مواظعات وأخلاق وقيم وتقاليد فما ذلك إلا لأهم يحتاجين أو

عميان، لم يروا بوضوح عيب الكون أو يعقلوا سحق العالم.

إذ أن لهم أن يصطلحوا على ما هو ثابت في حياتهم، وليس

هناك شيء، يمتلك عناصر الثبات لا الزمان ولا المكان ولا وحدة

الشخصية أو اللغة أو العادات والأعراف والتقاليد؟ ثم إن العقل

الأكر الذي ظنوا أنه يسير الكون تحت انتفاؤه إزاء العيب الطاعلي

الذي يلف الكون ولا يدع لشيء فيه أن يفر له فرار.

الرؤية

الإسلامية

تؤكد على غائية الكون

وجدية الحياة، وجدوى الكدح

البشري، والعلائق المنطقية التي تربط

بين الإنسان والكون، وتقدير قيمة "العقل"

واحترام القواعد الأساسية للوجود:

الزمان والمكان ووحدة

الشخصية، والمعنى الذي

يسير الكون.

له ، الأمل الذي لم يتحقق بالقولاني ، انضمام مع الكون ثم
يقين المصير للظلم من النضاع بتقصيه الوجود فيسري على
أرض ووعده الكون

عنه كلها تعجس بالضرورة على هذا الأذى في مسوومه
لإبداءه ، وهو الأجناس الأذى كالأذى كما انما كانت هناك

حلقها المصوبه ، انما في الأذى
موضوع الكون ونسب لطائف ، لا يجرى الكون القسري

الأذى ، فانه لم يصب إل ما للكون من كبد الأذى إلى حامي من
، فلتا ومتدولة الأذى متلفي

في عتله في مواضعه الأذى مما فله عتله
ولم يدر ، فلتا للتواضع في لمرح والروية فلتا ، حابست
ومعني ، فلتا لمرح التواضع في لمرح والروية فلتا ، حابست
وقلت قللا في حلقه

للتأمين ، فلتا لمرح التواضع في لمرح والروية فلتا ، حابست
يقروا في عتله ، فلتا لمرح التواضع في لمرح والروية فلتا ، حابست

في عتله ، فلتا لمرح التواضع في لمرح والروية فلتا ، حابست

رشد في عتله ، فلتا لمرح التواضع في لمرح والروية فلتا ، حابست
والكلية للتأمين على حاميها ، فلتا لمرح التواضع في لمرح والروية فلتا ، حابست
مطهرت في عتله ، فلتا لمرح التواضع في لمرح والروية فلتا ، حابست
للحس الرائي ، فلتا لمرح التواضع في لمرح والروية فلتا ، حابست
في عتله ، فلتا لمرح التواضع في لمرح والروية فلتا ، حابست
في عتله ، فلتا لمرح التواضع في لمرح والروية فلتا ، حابست

عنه ، فلتا لمرح التواضع في لمرح والروية فلتا ، حابست
في عتله ، فلتا لمرح التواضع في لمرح والروية فلتا ، حابست

فانه الكون والروية الإسلامية
لروية الإسلامية ، فلتا لمرح التواضع في لمرح والروية فلتا ، حابست

الأولى أكثر مما يعطونه
، فلتا لمرح التواضع في لمرح والروية فلتا ، حابست
يعتد ، فلتا لمرح التواضع في لمرح والروية فلتا ، حابست
الإسلاميين بمسألة في عتله ، فلتا لمرح التواضع في لمرح والروية فلتا ، حابست
الكونيون منهم ، فلتا لمرح التواضع في لمرح والروية فلتا ، حابست

، فلتا لمرح التواضع في لمرح والروية فلتا ، حابست

ووجه التخصصية ، فلتا لمرح التواضع في لمرح والروية فلتا ، حابست
والإيمان بالصبر ، فلتا لمرح التواضع في لمرح والروية فلتا ، حابست
على فلتا ، فلتا لمرح التواضع في لمرح والروية فلتا ، حابست

سأخبرك مثلاً واحد قحسبه ملو راج بغيره الأيه بهيف

والأميرات بنمو منها نخلات حو لللات كروبع و برة طرزها
ومن خلال هـم وندهبات دهذا كرجه زهم يشام ترك في
وشراب في يارت رعيهم النطن.
و ده حنود حلا من للزوجا، الي لعكس و زهم الانطباع
للك اليضاح والأحمت رهو يملكون منه للحظا، الأوت
كل من خيرة بقم لكي ناليت أن تملأ شباك من H
والصنعت والحوات يملكو كي يحس حيازة قلم على بحاورها
بحاج، ليكنه نهو في لحمة الأسم لا

حطحت بعض فسطاط منه الروح حلا يوم الخيلاس به عبد
لقد فكر فيل؟
جبت على عبد بحتا جباة العربة والخرقة الأكل

لما درعة الفرح بهي الملو والرو
وبر بقدر لأعد بهي خلاص إلا من ملاك بنا عهد امشكي
للمتقن بالوقت، ذلك من به شعية البطل الرئيسي ■

صرفت لماذا؟ قلوا: بي مسكو لأعد أن يزوره لو يلتقيه بعد
الأيام، صرحت نره أخرى لانا في تلك احد + كل على
أن تستمر مع الصرخة للندبة في الفضة قدي لا شيء به
نحتلها في و طوى للوصة هـ هـ رنا الفضة لا حيد للتي
التي بي يتفرغ للفرح

لقد صعد "الكورخ" مع القصر للمو من احتراح وهو لا
لنفاق اقتحاميل لا يقدور لهما: بل المص الإكسالي
لوانسة الفات بنية وإله يكتفي بومو للباكل خرابية في

والتي من حدة الملو والفرصة في ح حوسكو، حلا الفرس الفرس حدة



مفهوم الجهاد في القرآن الكريم

✻ د. الطه النوفلي ✻



الجهاد هو الجهد

مبذول للتصدي، وحديث الجهاد يعني طرده، يحدد في الجملة
ج الواقع، فما بعد السجدة ويسمى الجهاد، وذلك الجهد في
وضع الجهاد في عكسه، ويحدد الجهاد في سبب الدين
ويحدد الجهاد في مبادئ ذلك، وفي الآية: ﴿وَجَاهِدُوا﴾

الجهاد هو الجهد

الجهاد هو الجهد
الجهاد هو الجهد
الجهاد هو الجهد
الجهاد هو الجهد

هذا الموضع وإلى غيره، وإن سببه هو للتفكير على المسلمين
إن هو من الجهاد البني، ويقاب به المصباحون على مثلهم



بـالـصـحـفـ الـجـمـلـيـ لـلـحـيـاة. وهر يحسب آخر الحي
مودة مملها لا تحية ها في أن ماك التاني في الحياة ها في الاستيلا

الحظ الحياة في كتاب الله ﷻ

حب الله بغير أن تتلذذ في القربى

الصبوة ككثيري للحياة. وهو تصور بغير حياة خير الدنيا

من نور إلا

ونائل قرب. بسوية ﷻ أملت لسماء وحن ها اذ شط ما

فيها مودع برع اصنع إلا في ملك واضع جبهه

الإيمان في حركاتها على الأصل للكم (أعني

ولدت ولاته حليمة: وزاد الاموال الولد الحبيبه نسيب الحليمة
عليه الي نسيب في منزل الله كان الحليمة الحليمة
وهي جزء الفرات في محبت شلال المال (الركم)
تقاضي حليمة حليمة: ٧٨ حركم في شركام في عصر
من عصر الحليمة في الولد شلال الحليمة

الإحصاء في مسألة العمل أما بالنسبة لباقي الكائنات فليس
معيّناً، يعني في أصل اختلافه ممكن الكائنات وهذه إذا
أمكن ماله إلى ما عدا ذلك، ولكن بالنسبة للإنسان اجتناب
العمل. الذي جنبنا عليه، حاشا وقد وضع فيه اعتماد
الإنسان على العمل والصنع والطعام، فإن استطاع الإنسان
أن يكتفي بما في يده، فإنه لا يعمل بالصنع والنية الصرية وإن لم
يكن صانعاً، بل إن كان صانعاً، لأن الإنسان بهذه الطريقة

بموجب الفرجة التي استقرت عليها جهته بما فيها

التخمر والفوى والمصنعات ^{٢٤} حرمه الله تعالى على عباده

الصفحة رقم ١٠٠ في حديث الخليلي

باعتين لظني فيسر الإستل هذه الروح خلقا لهم كما قال فيه
 بعد للخلق منكم بعباد الله عز وجل خلقا لهم منكم
 بعد للخلق منكم بعباد الله عز وجل خلقا لهم منكم

يروح القرآن بين الإنسان وبين خلقه، يمر بالعلمي، الفاني، للخلق،
فلذلك روح وهند روح. روح إذا مضى في العلم صر عقل.
عمره، صغر خلقا، جواره، مشحونه، كما يرى الله ﷻ، فلم يمد عليه
لأن الله سبحانه علما، ومثل ذلك يحدث للأمة، إلا أنه يمكن أن
تعمل الأمة أي أمة الإسلام، تنصير أمة قوية ثائرة، كل
علما، فلهذا الله الأفاضل أي يروح الأفاضل هي ولهم
أمة متماسكة متساندة كما حدثت عن ذلك الرسول ﷺ في
الحديث الصحيح "مثل المؤمن في لوائهم برأيههم وتعلقهم
بالحديد" (رواه البخاري) فلهذا نصالحهم من حرمهم حتى
الخاصة، لكن مع فتح روح يوجد التماسك القائم، التماسك القائم
هي الأجهزة للكون له قابلية مع التماسك له خاصية الوجود
وذلك الأمة مع تروح التماسك للكون لها خاصية الوجود
والفلاح. ولهم المنصور مسينا لا بد لهم من هذه الروح

لا بد ان يكون هناك اذرع ففرداً فهو جزء

الفهم في حياة الحياة الحقيقية

جهد القتل إن حبه تم الخيل ولا سبيل إلى حياة الثانية
والسبيل الصحيح إلى هذه الحياة والماء السدي يتم إلا جاد
عبد الله أن التكرم فأنزل من عند الله فائق ولا سبيل إلى حبه
الإسلام الفرد ولا الإنسان إلا به مع هذه الما

الله تعالى سبب دلاء سبب للجوارح غشاة الغدبة المادية
(و) جفنا من الغدبة شكل مبيح حي (الغدبة) ٣٣ وسبب الروحية
في رضا الله تعالى عنه الرمزون ٣٣ بسبب بصره
الحي (٣٣) سبب بصره الله من الهدى والهدى كمثل عبد

لذلك هو عبد الأرحم غلاما، كما يفعل لاء في الأرض حشر
فرجه فلانشر إلى آثار رحمة الله كيه يصحب الأرحم بعد
وبهذه الحزم غير ولا يزي عب الهولاء في القلوب، يسترجع



ولا إرهاب
مع العدل

لا سلام
مع الظلم

أ.د. محمد سعيد رمضان البوطي*

إذن، فالعدل هو الوسيلة السلوكية المتبادلة التي توصل المجتمع إلى مناخ السلم، ومن ثم تحقق في حياة أفراد الأمن والطمأنينة، وإذا غاب العدل غاب معه الطريق الموصل إلى السلم.

ولما كان القرآن الذي هو خطاب الله الموجه إلى عباده جميعاً، يتضمن دعوة ملحة إلى سلوك السبيل المؤدي إلى واحة السلم، وذلك في مثل قول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ (البقرة: ٢٠٨)، فقد ركز في تعريفه للسبيل المؤدي إليه، تركيزاً كبيراً متكرراً على ضرورة ممارسة العدل في العلاقات الإنسانية جمعاء، بل إنه يأمر الناس باللجوء إلى هذا الميزان في كل الأحوال ومع الآخرين أيّاً كانوا، وأياً كان نوع العلاقة معهم. تأملوا في حرارة هذه التوصيات وتأكيد الأمر بها بمختلف الأساليب:

- ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨).
- ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ (الأنعام: ١٥٢).
- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا

لا ريب أن السلم هو مطمح آمال المجتمعات الإنسانية كلها، إذ هو المناخ الذي يتحقق فيه الأمن وتشيع فيه الطمأنينة.

ولكن السلم ليس شيئاً يصنعه الإنسان أو عملاً يمارسه، إنما هو رغبة في النفس ومقصد من أهم مقاصد الإنسان. وإنما سبيل الإنسان إلى تحقيق رغباته والوصول إلى مقاصده، أن يبحث عن الأسباب الموصلة إلى تلك الرغبات والمقاصد، فيمارسها ويعكف على إنجازها.

فما هو السبب السلوكي الموصل إلى السلم؟ ما هي الوسيلة التي إن تمت ممارستها تحققت في المجتمع الإنساني حقيقة السلم؟ لا توجد إلا وسيلة واحدة لبلوغ هذا المقصد، إنه ممارسة العدالة في علاقة الإنسان مع الإنسان. ومن الواضح أن هذه الممارسة لا تتأتى من شخص واحد، إذ هي علاقة سلوكية تسري ما بين الأشخاص تلخص في عدم العدوان على حقوق الآخرين، وعدم التقصير في النهوض بالواجبات المرعية تجاه الآخرين، وإنما يتم ذلك بسلوكات نوعية متبادلة.



درجہ : البدر ال محمدی عالم دین

• ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالْحَدِيثِ وَالْإِسْلَامِ نِجَاحَ دِي
مُتَّزِعِي الْبُطُولِ ۝﴾

﴿وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ذَكِيٌّ﴾

[illegible]

وإذ قد ذكرنا معنى العدة من قبل وهو بالخصار نسيب
حاجة لتقوية الرأى، فإني أرى أن نزيد من الطول
في إيراد عن هذه القراءة فكان لابد من الطول
في بعض الخلق لتلاقي على السمع في الإسره الإسميه
والطرف هو يخرج عنه خبره ذات الجمن في ذات السه ولا
يؤيد أن قد يطلع في إجماعه على سره الجمن لا بد أن
وجه في قول من الرأى الظاهر إذ هما يفتقدان في غياب
حل الإعراف مكانه وإلا فإجماع الظلم لقدست من وراء ذلك سره
الظاهر وقد هو ولا أن تصعب رباحه وإن السمع ونقصي عليه
إلا أنه على كل من يتد السمع أن يعرف على صوابه على
نوعه العدة والسهم على حمايتها وسرته مؤتجه إلى أن لا
تلك أن كل من استهان بمراتب العدل وصحي بخلاف الأمر
في سبيل مصالحه ورفاهة خلقه فهو مأمور للسلام بل هو
مريض القضاة على سواه كذا قوله في إني أو خلا لولة

على ضوء ما تقدم يأتى، مستطیع أن نرى معنى الإرهاب
مبدأً يقينى على ضوء ما من الحكمة للمعرفة عند غلبه على اسم من
مخاض كثر من النور والمخاضات الإنسية على النور فاجله،
لهم ما قبله للفظ، أقتلوا عنه قولاً لا احتمالاً فى الخبر بما له
بكتعمر للحام الحنفى الذى يفسره به كقول غلبه على صوره
هذا الذى تم وإنما استطاع أن يور، معنى الإرهاب لا يلب
للتقاء أنه كذا جهدهم إلى لفت كذا إلى المبالة ويبلغ على
للتصامير المعرفى بغير البينات والحداد على موارات الكوة
فى لا يتمد إلى الكرون

لتحريك السبيل إلى حماية الطريق من المصادات أو لا يتصرف
بامتداد الإقليم فخصم المصالحات الإنسانية في أكثرها من
السلام الذي ينتهه إذ يعود منها وبنية ورخ من الفطنة والحوه

የሚገኝበት ሲሆን ለጥያቄው የሚገባውን ሰነድ ማቅረብ አለበት፡፡

الرجوع إلى ذلك المصباح القانوني المستند به بيان هذه
عقوبة في كل من الخصائص بنات في سنة ١٩٠٩م. حاكمكم
تكونوا في هذه: ١٩٠٧. وهو هو عربي في الجبل إلى تلك الغرب علي
أقرب إلى بعض بالسلاسل. وفيه يكون الغرب علي فيهم ياول
العقب للثاني فيهم، وزنه للسباح الذي لا بد له من حماية للسلاح
م. ب. ح. ن. الماع. جهات: الق. الأ. م. ع. ح. د.
التيه. ويسس به أية لدعوا إلى جهاد إلى القتال إلى ضد م
هروب علي إبعاد موازير الدابة في الطريق إلى تحقيق وعرض
أو يسلط عليهم علي الآخرين. فإلا لتلك الحفاة فيهم
جنس إلى فيهم. وحسب الكتب عنهم يرتد إلى الدولتهم
في حراسه السلام. تعبده الطريق إليه

يَدْعُوهُ عَلَيْهِ فِي عَمَلِهِ كَمَا قَالَ ﴿وَالَّذِينَ فِي سُبُلِكَ مُدْمِنِينَ

وَدَعَيْتُمْ حِلْيَةَ أَعْنَافِ فِي عُرْسِكُمْ فَلَا لَكُمْ فِيهَا تَهْنِئَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو حُكْمٍ
- فَكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَابْتَاعُوا فِيهِ وَأُكْرِمُوا فِيهِ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الصَّابِرُونَ
يَنْتَظِرُونَ

وَمِنْ كَادِ دَعَا أَنْ يَتَّبِعَ كَلِمَاتِ الْقَلْبِ الْجَاهِلِ فِي الْفِرَاقِ
وَلَمْ يَحْصِي عَدْلَهُمَا: فَمِنْ قَطْعِهِمَا هُمُ لِلنَّاسِ وَأَجْمَلُ فِي
حِيلَتِهِمَا نَحْيُهُ لَمْ يَكُنْ يَزْعُمُ أَنَّ الْقُرْآنَ فَاسِدٌ لِرِجَالِهِ يَصْدُرُ
إِلَى الْقَوْمِ بِأَمْرِ الْخَلْقِ وَالْجَنَّةِ وَجَهْلُهُ فَكَيْفَ أَنْ يَحْصِيَ عَلَيْهِ
مَنْ كَتَفَ لِعَمَلٍ رَاقِصٍ وَالْمُطَوِّعِ وَالْمُعْتَدِ وَالْمُفْتَظِّ فِي يَدَيْهِ
يَا طَائِرَ الْكَرِيمِ وَهِيَ تَوْ حَصَانُهَا يَهْدِيهَا أَصْحَابُهَا يَتَّبِعُهَا
الْمُسَامِحَةُ التَّلَاحِلُ الْجَاهِلُ عَلَى أَنْ الْأَلْفَاظُ أَبَا كَتَبَتْ عَلَيْهِمْ فَكُنُوا
بِرَفَارٍ فِي الْقُدُورِ مِمَّنْ سَمِعُوا بِهَا عَنْ حُكْمِ لَوْ

خوبی کماله لازم فایده لای به به ای عرض او استماع و بعد
فریاد و احاطه فی علو الاستماع و الاستماع بهی اذن نیست
اگر چه در قابلیت برای برسد از خدمت

عني ان الضمان في عايت وحل منها لظلمي فاني من اللكم
ان اتبعوا في ارجاع الظلم في نفس الظلم فيضني عني بعض الهم
في حريسي التماس من قضايا ولكن مرد جاد التماسه إلى الظلم
في يتعدى الظلم في نفس الظلم، وقد في الهم آراء في ذلك وهو
للظلم ان لا يصرح في فناء، في الاتقان نصحه بحيث يرضى مع
حياء تيسر الذي طمعه جانب ان ما في في ٢٠
بعد في في حرم الله العز في بطون لا بعد سكتا
بأنه لعل فلا في لقتل في ١٠ نصير في ٢١



الإنسان والجمال

أنعم - يا إنسان - النظر،
ومن سجن نفسك تحرّر،
ولحات الجمال تشرب،
ودع قلبك يطر فرحاً،
وروحك يرقص طرباً،
واستشرف جمال "الجميل" في كل جمال،
تطمئن نفسك، ويردد إيمانك،
والإلى ربك تغد إنساناً،
وخالصاً في إنسانيتك...

ولواعج الثأر من شأن الطبيعة الإنسانية عندما يستشرى الظلم في المجتمع، ويعتدّ القوي فيه بقوته إلى درجة أن يجعل منها بديلاً عن القانون وتفسيراً للحق. وهذه اللواعج تحتاج اليوم المجتمعات الغربية أكثر مما هي موجودة في مجتمعاتنا الإسلامية. أياً كان الأمر فإن الشريعة الإسلامية تلجمها بلجام التربية الدينية التي تتلقى غذاءها من عوامل الخوف من الله والاستسلام لحكمه وسلطانه. وإنا لنعلم أن في قوى الشر ما يستثير هذه اللواعج في نفوس المظلومين، لتدفعهم إلى تجاوزات تتخطى حدود الشرائع والقوانين، كي تلصق بهم قمة الإرهاب، فيعثر المخططون لاستلاب الحقوق واستلاب الأوطان على المبررات الشكلية لذلك، وإن في أرشيف الذاكرة لنماذج ومستمسكات كثيرة لذلك. يطيب لي أخيراً أن أختتم حديثي هذا بسؤال أرجو أن أتلقي إجابة شافية عنه. في عام ١٩٧٦م رفع "وليم كليفورد" مدير معهد علم الإجرام في أستراليا تقريراً عن سلسلة مؤتمرات عقدتها المنظمة العربية للدفاع الاجتماعي ضد الجريمة المنبثقة عن الجامعة العربية، إلى هيئة الأمم المتحدة التي كانت قد أرسلته إليها بصفة مراقب، تضمن التقرير ما خلاصته لفت نظر الدولة الغربية إلى احتمال ظهور ما سماه "يقظة إسلامية جادة" في الدول العربية. فإذا قرن ذلك بما يملكه بعض هذه الدول من ينابيع النفط، فإن من الراجح أن اجتماع هاتين القوتين سيشكل خطراً حقيقياً على الحضارة الغربية. ثم يوصي التقرير بناءً على ذلك بأن تضع الدول الغربية أيديها بالطرق الممكنة على ينابيع النفط بأسرع وقت. إن الملاحظ أن التقرير الذي يبلغ ثلاثين صفحة لم ترد فيه كلمة "الإرهاب" على الإطلاق، ولم تكن إستراتيجية السياسة الغربية تستعمل هذا المصطلح بعد.

فما السبب في أن لصيقة "الإرهاب" هذه إنما تم العثور عليها ثم لصقها بالإسلام والمسلمين، بعد تلقي المؤسسات الغربية المعنية، لهذا التقرير الذي ينصح الدول الغربية باستلاب ينابيع النفط من أصحابها والعمل على منع "يقظة إسلامية جادة" يمكن أن تنبعث عما قريب.

هل للعالم العربي والإسلامي أن يتلقى جواباً شافياً عن هذا السؤال من المصادر التي تلقت تقرير "وليم كليفورد" ثم عكفت على دراسته ووضع موضع التنفيذ؟ ■

(١) كلية الشريعة، جامعة دمشق / سوريا.

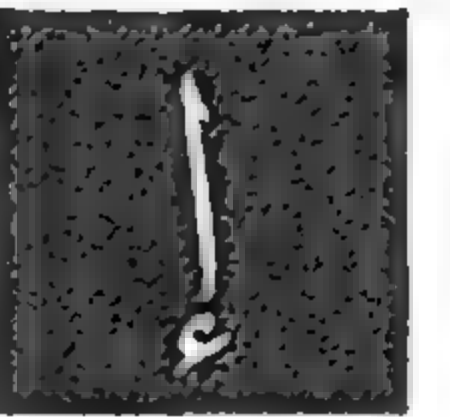


الثقافة التسامحية لدى العثمانيين

أ.د. سعاد يلدرم *

لنقف قليلاً عند هذه الحادثة.. مواطن عادي مسيحي يجترئ ليرفع شكواه على رئيس دولة المسلمين بكل ثقة واطمئنان. وأبو يوسف هو قاضي القضاة، أي في أعلى منصب قضائي في الدولة العباسية، والدولة في ذروة ازدهارها. وقاضي القضاة استمع إلى الدعوى دون أن يسوي بين الخصمين في المكان، لأن القاضي استحيًا من أن يأمر الخليفة بالقيام والاقتراب من خصمه. وهذا خطأ بسيط جداً، إلا أن قاضي القضاة لم ينسَ لدرجة أنه رآه الظلم الوحيد الذي ارتكبه في حياته القضائية واستغفر منه. ومن جهة أخرى فإن السرخسي بدل أن يصغر هذا الخطأ فإنه يشتد ويقول: "إن هذا من أهم ما ينبغي للقاضي أن ينصرف إليه". ولا ينبغي لنا أن ننسى أن هذه الحادثة نقلت في كتاب "المبسوط" أي في كتاب من أمهات مصادر الفقه الإسلامي، ومؤلفه فقيه مشهور، أي رجل قانون، ولم تنقل في كتاب أدب أو مناقب. وهذا هو الذي يكسب الحادثة قوة كبيرة. ومن ثم نستطيع أن نقول: إن

إن أبرز لوحة تُصور موقف الإسلام من غير المسلمين، هي التي نقلها شمس الأئمة أبو بكر محمد بن أبي سهل السرخسي عن الإمام أبي يوسف رحمهما الله. فإن أبا يوسف قال في مناجاته عند موته: "اللهم إن كنت تعلم أنني ما تركت العدل بين الخصمين إلا في حادثة واحدة فاغفرها لي". قيل وما تلك الحادثة؟ قال: "ادعى نصراني على أمير المؤمنين دعوى فلم يمكنني أن آمر الخليفة بالقيام من مجلسه والمحاباة مع خصمه، ولكن رفعتُ النصراني إلى جانب البساط بقدر ما أمكنتني، ثم سمعت الخصومة قبل أن أسوي بينهما في المجلس، فهذا كان جوري". ليعلم أن هذا من أهم ما ينبغي للقاضي أن ينصرف إليه في العناية لما أشار إليه في الأثر فقال: "... لا يطمع شريف في حيفك ولا يخاف ضعيف من جورك" (رواه البيهقي)، والحيف هو الظلم. فاذا قدّم الشريف طمع في ظلمه وانكسر بهذا التقدم قلب خصمه الضعيف فيخاف الجور".



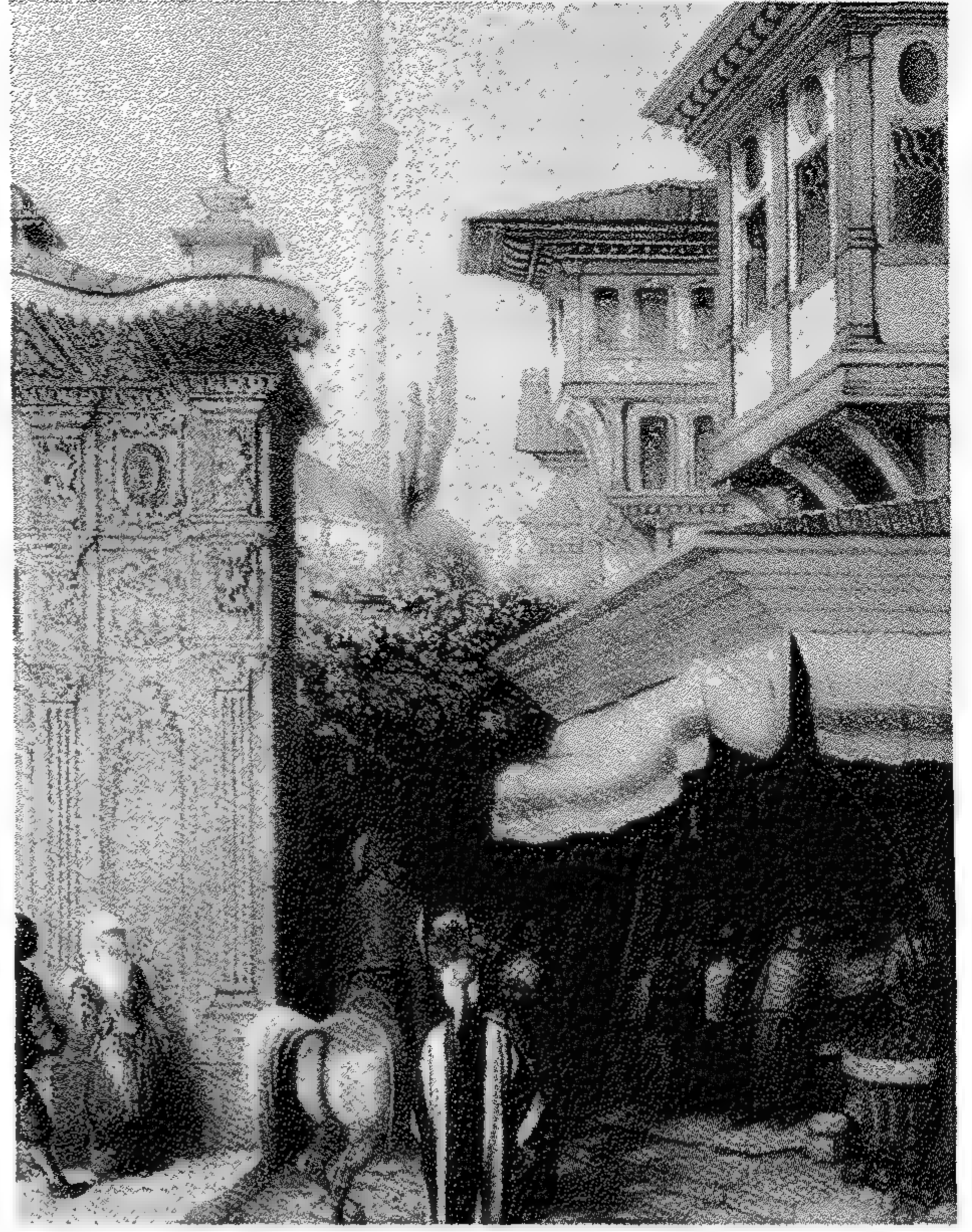
غير المسلمين. فمثلاً عشيرة الأمير عثمان كانت تسكن قرية "سوغوت" في فصل الشتاء وتصل إلى هضبة "دومانج" في الصيف ويترك أهاليها بيوتهم وأمتعتهم عند أهالي "بيلاجيك". وعند رجوعهم في بداية الشتاء كانوا يقدمون إليهم مقابل ذلك الأغنام والأجبان والبسط والهدايا المختلفة لمحافظةهم على أماناتهم. وكانوا يرسلون إليهم هداياهم بواسطة نسائهم حتى يأمنوا من سطوتهم. وكان الأمير عثمان، يرى أن فتح أي مدينة عنوة يتسبب في خرابها، ولهذا كان يسعى لتأسيس العلاقات الحسنة لكي يفتحها صلحاً. وإذا سئل عن سبب هذه المعاملة كان يقول: "نحن جئنا إلى هذه البلاد غرباء، وهؤلاء هم أهلها لم يمنعونا منها، فعلينا أن نحترم حقوقهم ونكون أمناء في حقهم".

وفي يوم من الأيام اشترى مسلم تركي من سوق "بيلاجيك" عدة أكواب من تاجر مسيحي ولم يدفع له ثمنها. وعندما علم الأمير عثمان بهذا، استدعاهما وأخذ حق التاجر المسيحي من المسلم التركي وأرسل منادين في المنطقة ليعلنوا أن الأهالي كلهم تحت حمايته ورعايته، وأنه سيقف ضد أي تعدٍ نحوهم. ومن ثمرات هذه السياسة نرى أن الأمير أورخان بن عثمان (ت ١٣٦٢م) لم يتعرض لأي مقاومة أثناء فتح مدينة "بورصة" (١٣٢٦م)، حيث سلم أمير "بورصة" المدينة صلحاً. واتخذ الأمير "أورخان" مدينة "بورصة" عاصمة للدولة العثمانية.

ولم تكن النصارى وحدهم من لاقوا الأذى الكثير من الحكام البيزنطيين، بل اليهود الذين كانوا قد سكنوا القرى المختلفة في منطقة "تراقيا" أيضاً، فرحوا بفتح المسلمين الأتراك البلاد.

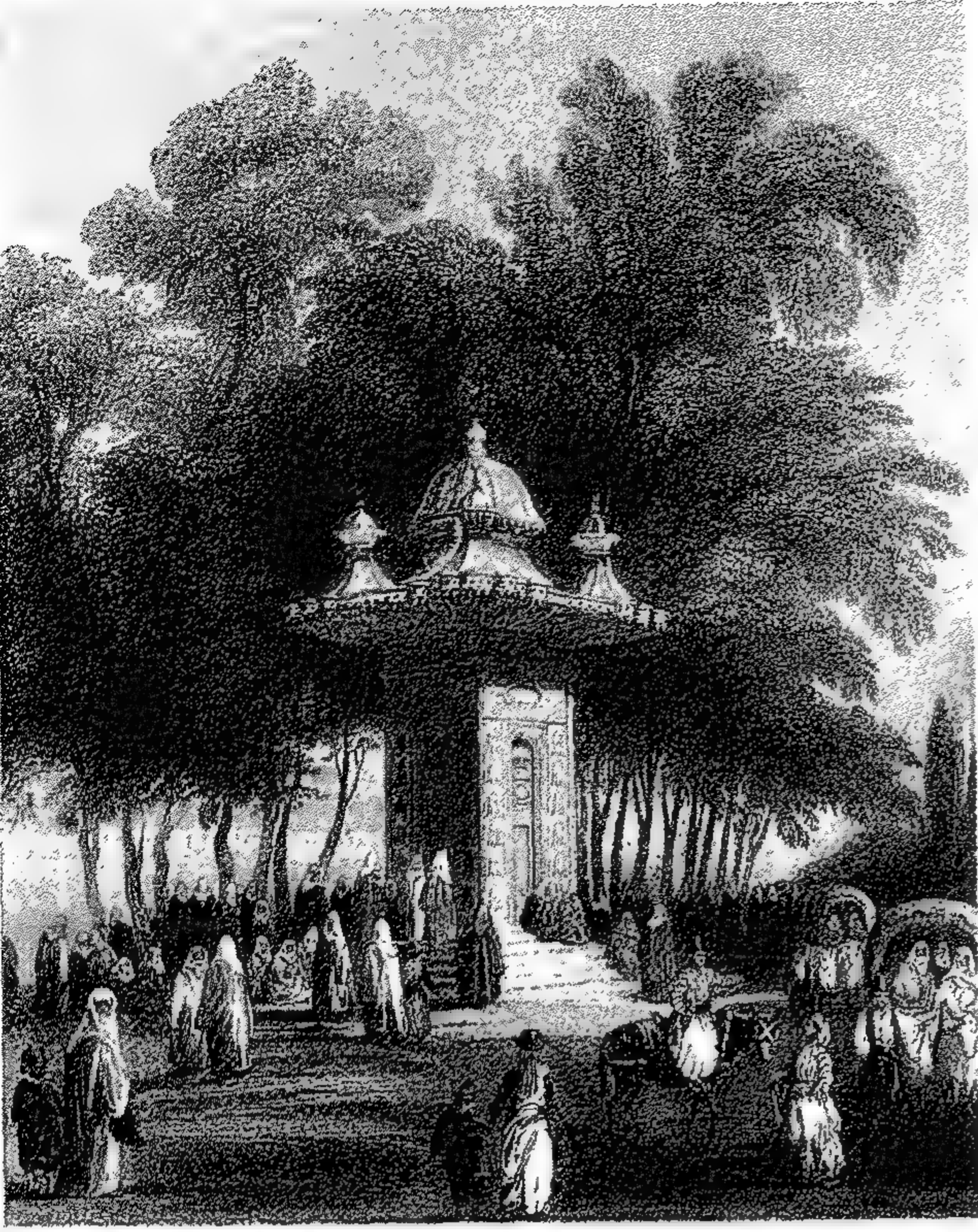
ولما سأل الأمير "أورخان" وزير إمارة "بورصة" -الذي لعب دوراً كبيراً في تسليم البلد- عن سبب تسليمهم بلدهم إليه قال: "إن هناك عدة أسباب؛ أولاً: إن دولتكم أصبحت تتسع وتقوى بسرعة، بينما دولتنا بدأت تنهار يوماً بعد يوم. وثانياً: إنكم ألحقتم مزارعنا وقرانا حوالي "بورصة" إلى حكمكم، فأرأينا العدل والأمان في ظلكم، ولاحظنا أنكم لا تأخذون أي شيء من أموال هؤلاء الناس، كما شاهدنا أن هؤلاء الناس رضوا عن حكمكم وصاروا وكأنهم لا يعرفوننا ولا يذكرنا. فلما رأينا طمأننتهم وراحتهم رغبتنا في حكمكم".

ثم واصل سلاطين آل عثمان فتوحاتهم في البلقان. وكان أهالي المنطقة هناك يعانون من الضرائب الباهظة التي فرضتها عليهم الدولة البيزنطية. الأمر الذي جعل معظمهم يحتمي



هذه الحادثة الدالة تكفي وحدها لأن تلخص موقف الإسلام تجاه غير المسلمين. نكتفي بهذا ونتقل إلى تأسيس الدولة العثمانية. استوطنت عشيرة "قايي" التركية غربي الأناضول في النصف الأخير من القرن السابع الهجري (الثالث عشر للميلاد)، بأمر السلطان السلجوقي "غياث الدين كيخسرو" في حدود الدولة السلجوقية البيزنطية. وإن الأمير "أرطغرل" والد الأمير "عثمان" ينتسب إلى هذه العشيرة.

أقطع السلطان لـ "أرطغرل" قرية "سوغوت" في منطقة "بيلاجيك" حيث اتخذها مركزاً لعشيرته، وكان عامة أهل "بيلاجيك" من المسيحيين. وقد أسس الأمير "أرطغرل" علاقات طيبة قائمة على المحبة مع أمراء هؤلاء الأهالي وكسب قلوبهم. وابنه عثمان (ت ١٣٢٤م) أمر القرى التي بجواره، أن ينقادوا لحكمه مع حسن الجوار بالمسيحيين الذين كانوا يعيشون في تلك الناحية. ونشاهد أن الخط الأساسي في سياسة الدولة العثمانية منذ البداية، هو أن أمراءها توجهوا إلى الدولة البيزنطية، بدل أن يتقاتلوا مع نظرائهم من أمراء الأتراك المسلمين الذين كانوا يتنافسون فيما بينهم. فإنهم توجهوا إلى قلاع البيزنطيين وفتحوها وألحقوها بحكمهم شيئاً فشيئاً. لم يكتفوا باستعمال القوة العسكرية فقط، بل أسسوا علاقات ودية مع السكان



بالحكم العثماني، حيث كانت الدولة العثمانية تكتفي بضريبة خفيفة، مما مكّنه من الاحتفاظ بأموالهم وأنفسهم في الوقت نفسه. ومن جهة أخرى فإن عامة أهالي البلقان كانوا ينتسبون إلى المذهب الأرثوذكسي وكان الأوروبيون يجبرونهم على الدخول إلى الكاثوليكية ويهددونهم بالقتل. واعتبر هؤلاء الناس العثمانيين منقذين لهم من أيدي هؤلاء الظالمين.

واستغل الأوروبيون ضعف البيزنطيين وحاجتهم إلى مؤازرتهم وتأييدهم فاشترطوا قبول مذهبهم الكاثوليكي. وفي يوم ١٢ ديسمبر ١٤٥٢م، صلّوا في الكنيسة الكبرى (آياصوفيا) حسب المذهب الكاثوليكي فكرههم أهالي القسطنطينية حتى قال رئيس وزراء الدولة البيزنطية مقولته الشهيرة: "بدل أن أرى في القسطنطينية قبعة الكاثوليك أفضل أن أرى فيها عمامة الأتراك". يقول المؤرخون إن توسّع أراضي الدولة العثمانية في الأناضول وفي البلقان يرجع إلى أسباب اجتماعية وأخلاقية بجانب قوتهم العسكرية، لأن القوة العسكرية لا تكفي وحدها لإخضاع بلاد تضم أقواماً من مختلف الأجناس واللغات والعروق والأديان..

فهذه ترجمة فرمان السلطان محمد الفاتح الموجه إلى أهل الذمة بعد الفتح في آخر جمادي الأولى سنة ٨٥٧ هـ (١٤٥٣م):

١- أعطيتهم حرية العبادة وإجراء طقوسهم وشعائهم على ما تعارفوا عليه في تاريخهم.

٢- أموالهم وأرزاقهم ومخازنهم وبساتينهم وسفنهم وجميع أمتعتهم في حمايتنا، وأيضاً نساؤهم وخدامهم وعبيدهم وجواريهم مصونة من تدخلنا.

٣- لهم الحق في أن يزرعوا أراضيهم ويسافروا في البر والبحر دون أي تحديد أو تدخل.

٤- عليهم أن يدفعوا الخراج الشرعي سنوياً، وعلينا أن نحفظ أنفسهم وأموالهم.

٥- لهم حق العبادة وإجراء الطقوس ودراسة كتبهم، وليس لهم ضرب الناقوس. وعلينا أن لا نحول كنائسهم إلى مساجد وليس لهم إنشاء كنائس جديدة.

٦- ولتجار أهل الذمة أن يتجروا في البر والبحر، وعليهم أن يدفعوا ضريبة الجمرك حسب العرف، وهم مصونون من أي تدخل.

٧- لا نأخذ أولادهم للجيش ولا نجبر أي شخص منهم للدخول في الإسلام بدون رضاه.

٨- ولهم أن يختاروا رئيس جماعتهم لتمشية مصالحهم.

٩- وهم مصونون من أي عمل إجباري ومن أي عمل دون أجر.

كما أعطى السلطان محمد الفاتح البطريق حقوقاً أكثر مما أعطته الدولة البيزنطية. فإنه دعا البطريق "كناديوس" وسماه "رئيس جماعة الروم". وبذلك منحه منصباً دينياً وإدارياً بجانب منصبه الروحاني. وكان البطريق يتمتع بمنصب "الباشا"، حيث خصص له محافظون لحراسته، وإنه كان من أعضاء الديوان السلطاني ممثلاً عن المسيحيين.

ومن جهة أخرى دعا السلطان بطريق الأرمن في "بورصة" إلى إسطنبول وعينه رئيساً لجماعات الأقليات من السريان والقبط والغجر إضافة إلى رئاسته لجماعة الأرمن. وقد أدى هذا التصرف إلى هجرة الأرمن إلى إسطنبول إلى أن وصل عددهم في القرن التاسع عشر إلى مائة وخمسين ألف نسمة. واتصل السلطان محمد الفاتح باليهود ضامناً لهم الحرية الدينية بشرط أن لا يعينوا البيزنطيين. وعندما طرد "لودويج" ملك باويرا سنة ١٤٧٠م و"فاردنيناند" ملك أراغون سنة ١٤٩٢م اليهود، التحأوا إلى الدولة العثمانية ووجدوا فيها المأمن والأمان. كما التجأ قسم من العرب الأندلسيين - في نفس الوقت - إلى

إسطنبول حيث عاشوا كأشقاء مع المسلمين العثمانيين. وكان يهود إسبانيا يتكلمون بلهجة "لادينو"، حيث حافظوا على هذه اللغة قرونًا بمساحة من الدولة العثمانية. وكانت الدولة تريد أن تستفيد من تجربة اليهود التجارية ومن ثرواتهم.

لقد حافظ السلاطين على الكنائس العسكرية المسيحية وأعطتهم "التيماز" (حق تحصيل ضرائب الأراضي المعينة مقابل تجهيز عدد من العسكر)، وبذلك استفادت الدولة من قوتهم في حروبها. ومما يجدر ذكره أن السلطان محمد الفاتح طبق الأحكام الإسلامية في أهل الذمة، كما كانت هذه الأحكام معروفة لدى الشعب المسلم. ومع ذلك فإن المجتمعات لا تخلو من الناس المتطرفين. فلما اطلع السلطان على تصرف بعض الناس وإجبار غير المسلمين على الإسلام قال: "ما أجزأ هؤلاء على هذا الفعل! وهل يرون أنفسهم أحرص على الإسلام من الله؟". وحدث أحياناً أن بعضهم قدم طلباً إلى القاضي معلناً عن رغبته في اعتناق الإسلام، فلما تحقق القاضي من أن هذا الشخص أكره على الإسلام، رفض دعواه وأبقاه على دينه. وهذا مدون في السجلات الشرعية.. وحدث أن مسلماً سب الدين المسيحي أثناء مناقشته مع مسيحي، فرفعت قضيته إلى القاضي فحكم القاضي بأن ينفي هذا المسلم من المدينة.

حقوق أهل الذمة

إن الدولة العثمانية طبقت على أهل الذمة أحكام الإسلام كما ذكرنا آنفاً، ويمكننا أن نلخص حقوقهم كالتالي:

١- الحقوق والحريات الأساسية: كانوا يتمتعون بكل الحقوق، كحق الحياة والعمل وحرمة المسكن وحق السياحة والاتصالات مثل المسلمين. وأما الاستثناء الوحيد هو منعهم من الدخول إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة. ومنعوا أيضاً في سنة ١٥٨٢م من الدخول إلى منطقة "السلطان أيوب" (المنطقة التي يوجد فيها ضريح الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه صحابي رسول الله ﷺ)، حيث اعتبرت هذه المنطقة من أهم المراكز الإسلامية في إسطنبول. وأسكنت الدولة أهل الذمة في ضواحي إسطنبول في الأحياء المخصصة للروم والأرمن واليهود... إلخ. وقد حدد بعض السلاطين ارتفاع بيوت هؤلاء الأهالي واشتراطوا أن يكون ارتفاع بيوت غير المسلمين أقل بقليل من بيوت المسلمين.

٢- لهم الحرية الدينية، أي حرية العبادة والمعبود وتعليم الدين

وفتح المدارس الأهلية، إلا أنه كان هناك بعض التحديدات الخفيفة في الشعائر الدينية؛ مثل إظهار الصليب وضرب الناقوس يبقى داخل المعبود ولا يظهر في الخارج في الأحياء التي كان معظم سكانها مسلمين. وحسب الفقه الإسلامي يستطيع أهل الذمة أن يحتفظوا بمعابدهم القديمة إذا فتحت البلدة صلحاً. وأما إذا فتحت عنوة فالسلطان مخير بين الإبقاء عليها أو هدمها. ورغم هذا الحكم أبقى السلطان محمد الفاتح كنائس إسطنبول كما كانت، وتبعه في هذا الأمر من جاء بعده من السلاطين. وأذن في بعض الأحوال المحددة لإنشاء كنائس وصلوات جديدة (أي معابد اليهود) واشترط إذن الدولة لترميم المعابد القديمة. وقد بلغ عدد الكنائس مائة واثنى عشرة كنيسة، وعدد الصلوات ستاً وثلاثين في إسطنبول سنة ١٨٨٥م.

٣- الحرية السياسية والإدارية: لهم حق الدخول في قطاع الدولة كموظفين باستثناء الوظائف التي تخص المسلمين. وليس لزمي أن يكون رئيساً للدولة أو قائداً للجيش أو رئيساً للوزراء أو والياً في الولاية أو قاضياً. كما كان عليهم أن يراعوا النظام العام والآداب العامة مثل المسلمين تماماً. وخلال حكم السلطان سليم الأول تبين للخليفة أن قسماً من الروم حاولوا أن ينظموا حركة انفصالية، وتعاونوا في ذلك مع نصارى جزيرة "مورا"، فأراد أن يأمر المسيحيين أو يخيرهم بين الإسلام وبين الخروج من إسطنبول، فاعترض عليه شيخ الإسلام "علي جمالي" (الملقب بزنبلي) قائلاً: "إن جدك أعطاهم الأمن والأمان، فلا يجوز لك شرعاً أن تكرهمهم على ذلك".

ولما تحققت الدولة أن بطريق الروم تعاون مع أهل جزيرة "مورا" في سنة ١٨٢١م، اعتقلته ثم أعدته. ثم ضعفت ثقة الدولة في الروم وبدأت تبعدهم عن الوظائف الحكومية ووجهتها إلى الأرمن بدل الروم.

وكانت العلاقات الإسلامية والمسيحية واليهودية حسنة إلى حد كبير منذ بداية الدولة العثمانية، واستمرت هذه الحالة قرونًا. ومنذ بداية القرن التاسع عشر استطاع أهل الذمة أن يتعاقدوا مع شركات وتجار أوروبا ووسعوا ثرواتهم ونفوذهم. وبينما كان المسلمون الأتراك منهمكين بالحروب والإدارة، اشتغل أهل الذمة بالتجارة والصناعة. ونتيجة لهذا أصبح الأتراك محكومين اقتصادياً بعد أن كانوا حكاماً.

ويعتبر هذه الحقوق كان هناك بعض الواجبات على أهل الذمة. أولاً: الجزية وهي ضريبة يختلف مقدارها حسب الظروف، حيث كانت تؤخذ من الرجال البالغين فقط، ولا تؤخذ من النساء والأطفال والشيوخ ورجال الدين والمرضى. وكانت تؤخذ تعويضاً عن الخدمة العسكرية التي كُلف بها كل المسلمين. ولذلك غُيّر اسمها إلى "بدل العسكرية" في سنة ١٨٥٦م. وإذا ما التحق أهل الذمة بالجيش، فإن الدولة العثمانية كانت تعفيهم من الجزية. على سبيل المثال، سمحت الدولة العثمانية في القرنين السادس عشر والسابع عشر بدخول المسيحيين في جنوب رومانيا إلى الجيش. ثانياً: كان الزراع مكلفين بالخراج. وكانت الإدارة العثمانية تعتبر أراضي الأناضول و"الروم إيلي"، أي معظم أراضي الدولة العثمانية من الأراضي "الأميرية" (خراجية)، لذلك كان الزراع كلهم من المسلمين ومن غير المسلمين متساوين في هذه الضريبة. وثالثاً: كل المستوردين كانوا مكلفين بضريبة الجمرك، إلا أن نسبة ضريبة أهل الذمة كانت أكثر بقليل من ضريبة المسلمين. كما كانت البضائع والأموال التي تستعمل في المعابد الدينية معفوة من ضريبة الجمرك. وقد خففت جداً هذه الضريبة بالامتيازات التي نالها غير المسلمين منذ القرن السادس عشر.

وكان هناك بعض التحديدات على أهل الذمة:

فهم كانوا لا يظهرون الصليب ولا يضربون الناقوس إلا في داخل الكنيسة. ولا يكون ارتفاع بيوتهم أكثر من ارتفاع بيوت المسلمين. ولا يقلدون المسلمين في ملابسهم ولا يبيعون الخمر ولحم الخنزير إلا في المناطق التي يسكنها غير المسلمين.

وبجانب أهل الذمة الذين كانوا مواطني الدولة، كان هناك المستأمنون من رعايا الدول الأجنبية. وكانوا يتجولون ويتجولون في داخل الدولة للتنزه والاستطلاع تحت حماية الدولة.

وإذا نظرنا إلى أوروبا في تلك العصور فماذا نجد فيها من هذه الحقوق؟ أرغب في هذا الصدد أن أنقل كلام المستشرق "برنارد لويس". فعندما زار تركيا قبل عشرين سنة تقريباً أجريت معه مقابلة تلفزيونية، وسأله المراسل: "نحن نرى كثيراً من الأوروبيين قد تجولوا وكتبوا مذكرات سياحية داخل الدولة العثمانية منذ القرن السادس عشر حتى القرن العشرين، في حين لا نجد من الأتراك من كتب عن الأوروبيين؟".

فأجاب "لويس": "لم يكن أي مانع في تلك الآونة من زيارة

الأوروبيين الدولة العثمانية، لأن الدولة كانت دولة حقوق وقوانين؛ كانوا يدخلون مستأمنين يتجولون ويتجولون، وكان بإمكانهم أن يجدوا من كل المذاهب من يتكلم بلسانهم، أي ما كان هؤلاء يحسون بالغربة. أما المسلم فما كان له أن يدخل إلى أي بلد أوروبي، إلا إذا رضي بالقتل، بسبب التعصب السائد في تلك العصور في أوروبا".

الحقوق الإنسانية في الدولة العثمانية

والدولة العثمانية كانت رائدة في حق الحقوق الإنسانية الأساسية، ولا سيما في الحرية الدينية كما قال "غيبون": "لا يستطيع أحد أن يعترض على أن الدولة العثمانية هي الدولة الأولى التي اعتبرت مبدأ حرية الأديان كحجر الأساس في نظامهم".

لندع أوروبا في تلك القرون جانباً وننظر إلى أوروبا في القرن التاسع عشر والعشرين؛ فرنسا التي تدعي أنها مهد الحرية والتي استولت على الجزائر في ١٨٣٠م وبقيت فيها ١٣٢ سنة، ماذا قدمت للجزائريين من تلك الحقوق؟ فهل يمكن أن نجد وزيراً بل نائباً من الجزائر في برلمان فرنسا؟ لا أبداً.

أما إذا نظرنا إلى الدولة العثمانية فيمكن أن نجد أكثر من خمسين شخصاً من غير المسلمين ما بين وزير ونائب.

وهذه المقارنة توضح لنا كل شيء، إذ نوجزها بأن الدولة العثمانية قصرت صلاحيتها على المجتمع؛ في الحكم والأمور المالية والجيش، وأودعت كل ما وراء ذلك من التعليم والتربية والضمان الاجتماعي والأمور الدينية والأحوال الشخصية وإدارة النفوس والإعلام للمسلمين ولغير المسلمين، إلى الشعب الذين كانوا يديرونها على أساس التنظيمات الدينية والمذهبية، كما أودعت أوقافهم المختلفة. وكان غير المسلمين يُجرون أمر النكاح والطلاق والنفقة والميراث والوصية داخل جماعاتهم في محاكمهم الخاصة. والدولة كانت تنفذ هذه القرارات كما وردت. وكان بإمكانهم أن يفتحوا مدارسهم ويضعوا برامجها ويختاروا مدرسيها بكل حرية. وبسبب الإهمال في مراقبة تلك المدارس، بدأ يدب فيها الفساد اعتباراً من القرن التاسع عشر. والسبب الأساس يرجع إلى عدم وجود الأشخاص الذين يتقنون اللغات الأجنبية التي كانت لغة التدريس في تلك المدارس والكلية. ولهذا الخلل فإن معظم الأمور الخارجية والدبلوماسية بقيت في أيدي الأقليات غير الإسلامية. يبدو أن الدولة العثمانية ركزت على وحدة أراضيها وعدم



الحاساة

وحدهما

كوهن السيم يمضيان،

والطريق يقطعان

لا دمة حزن من وليد،

ولا حفة قلب من حفيد...

آلام الغربة يحيان،

ومصيرهما يحيلان...

والكثيرا يمضيان، ولا يلريان...

جعاها وروحهما مشرعان،

بما يسارعان...

إلى سحبي من الجهرل يُمدّان،

كمن ضاع عمره، واستعدّ أليامه...

تجزئتها أكثر من الوحدة الثقافية. ولما لم تستهدف الدولة سياسة الوحدة في اللغة والثقافة لم تتحقق المواطنة المطلوبة بين المسلمين وغير المسلمين. ولذلك لم تستطع الدولة أن تحوّل العلاقة بينها وبين رعاياها إلى علاقة مستمرة باقية. والحقيقة أن الإدارة الذاتية في حقل الدين والأحوال الشخصية، لم تكن لتشكّل مانعاً أمام الدولة من تحقيق وحدة المواطنة.

فلو كان باستطاعتها تحقيق حقوق المواطنة مثلما تحقق في الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً، لربما استمرت الدولة العثمانية، وهذه فرضية. ومن زاوية أخرى نستطيع أن نقول إن الدولة العثمانية استمرت ستمائة سنة، وماذا تكون عاقبة النظم الحالية بعد مائة سنة؟! والله أعلم.

ونستطيع أن نشير هنا كتمة لهذا البحث، أن قسماً من أحفاد العثمانيين يواصلون تمثيل هذا الموقف السليم في الوقت الحاضر، فلمحبّي فضيلة الأستاذ المربي محمد فتح الله كولن نشاطات كثيرة في هذا المجال. فهم يقومون من جهة بإجراء الحوار مع المثقفين الذين لم يتربوا تربية إسلامية فصاروا ضد الإسلام والإسلاميين، ومع غير المسلمين من جهة أخرى. وأسس الأستاذ محمد فتح الله كولن علاقات طيبة ببطريق الأرثوذكس ومع البابا يوحنا بولس الثاني في الفاتيكان، ومع رئيس كنيسة اليهود ومع العديد من رؤساء الأقليات الدينية الأخرى. فقد نظمت هذه التجربة عدة مؤتمرات دولية في إسطنبول في أعوام ١٩٩٨-٢٠٠٠م، وفي مدينة "أورفا" عام ٢٠٠٠م. ونظم مركز الحوار في جامعة "جورج تاون" في الولايات المتحدة الأمريكية في شهر مارس من سنة ٢٠٠١م، مؤتمراً لتقييم نشاطات محمد فتح الله كولن. كما حصلت هذه التجربة على ثمرات مفيدة وملموسة من هذا الحوار الذي أسهم في تقليل التوتر بين الثقافات والأديان. المهم أننا معاشر المسلمين فقدنا قوتنا السياسية والاقتصادية، وليس لنا كلام مسموع في هذه المجالات في الوقت الحاضر. ولكن عندنا ثروة هائلة وقوة عظيمة وهي قوة العقيدة وقوة دين الحق التي لا تنفد.

ولو اتصفنا بالأخلاق الحميدة والاستقامة التي رأيناها عند أبي يوسف وعند السلطان عثمان ومحمد الفاتح، ولو أظهرنا كمالات الإسلام الأخلاقية، لرأينا نتيجة مثمرة مباركة ولحققنا رسالتنا في الحياة والله الموفق. ■

(١) كلية الإلهيات، جامعة مرمره بـ "إسطنبول" / تركيا.



بين الشام ومكة

بقلم: جمال الخوشي

السماء صافية، وسائم العسا تداعب كتيان الرمل في ضوء القمر. النجوم أخذت تزهر مذ حيم الظلام، وبدت كأنها على موعد مع مناسبة سعيدة طال انتظارها. ها هي القوافل تلقي بأحمالها لتستريح في عرض الصحراء الباردة، وقريباً من نيراتها الموقدة تجمع نفر من الرحالة يصطفون ويتسامرون، كما هي العادة في لبالي الصحراء. كان الزمهرير فارساً والظلام خالكاً، ولم يخطر ببال أحد من الرحالة أن ينظر إلى السماء حين احترق السكون

الطريق إلى مكة من أرض الشام طريق تخاري ضارب في القدم، نلتقي فيه روافد الطرق الأخرى الكثيرة من مسائر بلاد العرب. وهو

طريق عامر ترتاده القوافل العربية، وبخاصة إذا حل فصل الصيف القاسي في جزيرة العرب، ولا يواريه شهرة إلا الطريق القادم إلى مكة من أرض اليمن في فصل الشتاء.

على امتداد الطريق الشامي في تلك الليلة الماركة كانت



المهيّب فجأة فرسٌ مجتّح يطير بسرعة البرق الخاطف قادماً من أرض الشام في طريقه إلى الحجاز.

لم يكن ذلك سوى الراق.. الدابة المباركة التي أعدها الله تعالى لتنقلات أنبيائه ورسله بين قارات العالم. لكنها المرة الأولى التي يشاهد فيها مخلقاً فوق سماء الجزيرة منذ انقطاع الرحلات المتكررة للخليل عليه السلام بين مكة وبيت المقدس. فمن النبي الكريم الذي امتطاه تلك الليلة؟ وأي مهمة عاجلة جاء منها؟

كان الراكب في تلك الليلة المباركة "محمد بن عبد الله" النبي القرشي صلى الله عليه وسلم، وقد عاد للتو من بيت المقدس بعد أن أقيمت على شرفه في ملكوت السماء أعظم مراسم الاحتفاء لكائن بشري بعد آدم عليه السلام. غير أن قصة التكريّم المحمدي هذه -التي اكتمل تنويجها في ليلة الإسراء والمعراج- تم التمهيد لها قبل ذلك بكثير، بل إن فصولها تعود إلى الأيام الخالدة الأولى في تاريخ النبوات، ولعل أظهرها يومان مشهودان عمرت بهما بطاح مكة وشعابها. أشرقت شمس اليوم الأول على بيوت مكة مع مقدم شيخ وقور متوجه صوب بيت إسماعيل عليه السلام يتفقد ذريته ويتعهد أهل البيت. كان ذلك إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام. أما المهمة التي جاء من الشام لأجلها فمباركة المحضن الصالح وتركية المنزل الذي ستنقل منه السلالة الطاهرة التي سيخرج منها الغلام الهاشمي عليه الصلاة والسلام. وفي ضحى اليوم الآخر كان إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام يحدان حدود البلدة المباركة، ويخطان الأصول الكبرى لدعوة النبي الخاتم الذي سيظهر منها، وهما يرفعان القواعد ويدعوان الله تعالى: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٧-١٢٩).

إن الله تعالى يخلق ما يشاء ويختار. وقد نظر في قلوب العباد فاصطفى قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم منها، ثم حفظ نسله في رحم الغيب وتنقل به في محاضن الطهر جيلاً بعد جيل.. ما بين بابل ومصر وإيلياء، ثم اختار له من أرض الحجاز خير دار. ومن جوار زمزم في الوادي المبارك دنت ساعة الرحمة ونبت عین الحياة، فولد الهدى صلى الله عليه وسلم سالماً من النقص، محفوفاً بالتشريف، ومكلوفاً بعین الرعاية والتبجيل.

ومنذ اللحظة الأولى يسند الله تعالى مهمة رعاية الغلام وهدايته

وكفايته إليه وحده دون سواه. وبعد أربعين عاماً يرفعه إلى أعلى المقامات ويكرمه بأشرف الكرامات ليصبح الفتى الهاشمي رسول الله وخاتم النبيين. وحين انقطع الوحي يسيراً عنه في مبدأ النبوة، وزعم من كفر بأن ربه قلاه تنزل الوحي الكريم بقسم الرب العظيم مذكراً بلسان المحبة والحفظ: ﴿وَالضُّحَى﴾ وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ ﴿وَلَا أَمْرٌ إِلَّا خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى﴾ ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ (الضحى: ١-٨). وتدنو ساعة التكريّم الأعظم في ليلة الإسراء والمعراج بعد عشرة أعوام عطرة من التشريف والكرامة.

موعد قرب زمزم

بعد الخروج من حصار الشعب المجهد الشاق الذي دام ثلاث سنين، فقد النبي صلى الله عليه وسلم اثنين من أعز المقربين إليه في أقل من ثلاثة أشهر؛ عمه الرحيم الذي كان يحميه، وزوجته الحنون التي كانت تواسيه. وما هو إلا أن تخرج القلب الكريم مرارة الفراق، واعتصر الفؤاد لألم الوحدة حتى تنزل الأمر الإلهي بإحضاره إلى ملكوت السماء، ليدوق حلاوة الوصل في جوار ربه وليرتفع في مقامات العبودية والتشريف. كان الأمر يفوق الخيال غير أنه حقيقة.

لقد سلك هذا الطريق التجاري في شبابه قبل البعثة مراراً، وهو يعلم يقيناً أن رواحل العرب تسير فيه شهراً للوصول إلى الشام، ومثله في الإياب منه إلى مكة. لكن ها هو الآن يرى امتداد الطريق يطوى أمامه كالنهر المتعرج، وذلكم مسجد إيلياء يتراءى أمام بصره. أيعقل هذا؟ لقد قطع المسافة كلها في لمح البصر. ومن جوار المسجد يرتقي به أمين الوحي جبريل عليه السلام إلى أعلى متجاوزاً به طبقات الغلاف الجوي، الذي تقطع رواحل الغرب الحديثة الطريق إليه في ساعات رهيبية وخيفة، وتعود منه كذلك. ها هو يعبر المجرة الشمسية، مخلقاً وراءه السدم والأفلاك الكونية ليصعد إلى هناك، حيث أبعد نقطة عن عالم الأرض تنقله إلى عالم السماء. ومن باب السماء الأولى يتنزل الأمر الإلهي بالسماح به ليرقى في ملكوت السماء الأعلى، متنقلاً بين مراسم الاستقبال العظيم الذي جمع له فيه من كل سماء مقربوها، والتقى بأشرف ساكني السماء من أنبياء الله تعالى ورسله؛ آدم ويحيى وعيسى ويوسف وإدريس وهارون وموسى عليهم السلام. وفي السماء السابعة استقبله أبوه إبراهيم عليه السلام وسلم عليه. ثم رقى إلى هناك!



حيث لم تطأ قدم قط ولا خفق جناح، وشاهد من العوالم الباهرة ما يعجز عنها الوصف، ولا يفيتها بديع الرصف سوى ما ورد في حديث الرب سبحانه وهو يخبر عما جرى هناك بقوله جل شأنه: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَعَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ (النجم: ١١-١٨). ثم عاد سيدنا محمد ﷺ من ليلته دون أن يشعر بعودته أحد من أهل مكة.

مقدمات الحدث العظيم

كانت التهيئة الإلهية للجسد الطاهر دقيقة لكي يتحمل ما سيعرض له في هذه الرحلة من عوالم لا طاقة لأدمي بتحملها؛ فبعد صلاة العشاء من تلك الليلة المباركة نزل جبريل عليه السلام بأمر ربه إلى الحبيب المصطفى ﷺ ففرج عن سقف بيته، ثم شق صدره وأجرى له عملية جراحية ربانية لم يفقد فيها قطرة دم شريفة واحدة. غسل خلالها صدره الشريف بماء زمزم، ثم جاء بطشت

من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغه في صدره ثم أطبقه وأعادته من جديد كما كان، بل أحسن مما كان.

بعدها أخذ جبريل عليه السلام بيده ﷺ إلى الخارج ليريه دابته التي ستقله إلى المسجد الأقصى في أرض الشام، قال ﷺ: "أتيت بالبراق؛ دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته فسار بي حتى أتيت بيت المقدس" (متفق عليه). وفي أرض النبوات ومنبع الرسالات أظهر الله تعالى فضله على أهل الأرض قاطبة؛ فعند وصوله ربط البراق بالحلقة التي كان يربط فيها الأنبياء، ثم دخل المسجد فصلى فيه ركعتين ثم أتاه جبريل بالمعراج ليصعد فيه فلما استوى عليه صعد به إلى السماء. وقد شهد تلك الليلة بطريق من المقرين لهرقل ملك الروم، وكاد هرقل نفسه أن يسلم بسببها؛ فبعد هذه الليلة المباركة بقراءة عشر سنين قدم دحية الكلبي رضي الله عنه بكتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل. فلما انصرف دحية رضي الله عنه، أمر هرقل بإحضار من بالشام من تجار

مكة، وكان هرقل وافر العقل، فسأل عن أقربهم من محمد ﷺ، وكان أبو سفيان، فقال له: هل جربتم عليه كذباً؟ فاجتهد أبو سفيان أن يحقر من أمره ويصغره عنده فلم يجد ما يسعفه. قال أبو سفيان: حتى ذكرت قوله ليلة أسري به فقلت: أيها الملك، ألا أخبرك خبراً تعرف أنه كذاب؟ قال: وما هو؟ قلت: إنه يزعم لنا أنه خرج من أرضنا، أرض الحرم، في ليلة فجاء مسجداً من هذا مسجد إيلياء، ورجع إلينا تلك الليلة قبل الصباح. قال: وبطريق إيلياء عند رأس قيصر، فقال بطريق إيلياء: قد علمت تلك الليلة. قال: فنظر إليه هرقل وقال: وما علمك بهذا؟ قال: إني كنت لا أنام ليلة حتى أغلق أبواب المسجد، فلما كان تلك

الليلة أغلقت الأبواب كلها غير باب واحد غلبي، فاستعنت عليه بعمالي ومن يحضرنى لمعالجته فغلبننا فلم نستطع أن نحركه كأنما نزاوول به جبلاً، فدعوت إليه النجاجة فنظروا إليه فقالوا: إن هذا سقط عليه النجاف والبنيان، لا نستطيع أن نحركه حتى نصبح فننظر من أين أتى. قال: فرجعت، وتركت جانبي الباب مفتوحين، فلما أصبحت غدوت عليهما، فإذا الحجر الذي

إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ. وَقَدْ
نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاصْطَفَى قَلْبَ
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْهَا، ثُمَّ حَفِظَ نَسْلَهُ
فِي رَحْمِ الْغَيْبِ وَتَنَقَّلَ بِهِ فِي مَحَاضِنِ
الطَّهْرِ جِيلاً بَعْدَ جِيلٍ وَمِنْ جَوَارِزِ مَزْمِ
فِي الْوَادِي الْمُبَارَكِ دَنَتْ سَاعَةُ الرَّحْمَةِ
وَنَبَعَتْ عَيْنُ الْحَيَاةِ فَوُلِدَ الْهَدَى ﷺ...

في زاوية المسجد مثقوب، وإذا فيه أثر مربوط الدابة، قال: فقلت لأصحابي: ما حبس هذا الباب الليلة إلا على نبي، وقد صلى الليلة بمسجدنا.. (مقتبس من الحديث الطويل الذي رواه الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في كتاب دلائل النبوة). فلما خرج ﷺ من المسجد قدم إليه جبريل إناء من خمر وإناء من لبن ضيافة للزائر العزيز، وطلب منه أن يختار، قال ﷺ: "فاخترت اللبن"، فقال جبريل عليه السلام: أصبت الفطرة، "ثم عرج بي...". (رواه أحمد). وفي السماء أظهر الله تعالى شرفه ورفعته ﷺ، حيث بلغ به مكاناً عالياً لم يصله ملك مقرب ولا نبي مرسل، وبلغه ربه سدرة المنتهى، وهي التي ينتهي إليها ما يعرج به الملائكة من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها، وهناك رأى جبريل عليه السلام مرة أخرى على هيئته التي خلقه الله ﷻ. ثم جاوز به الحد الذي لا يتخطاه جبريل أمين أهل السماء نفسه. وفي تلك البقعة المباركة الشريفة سمع صريف الأقلام،

وفرض الله تعالى عليه وعلى أمته الصلاة، ولم يكن أحد قط أقرب منه ﷺ. ثم هبط إلى بيت المقدس والظلام لا يزال حالكاً، ودخل المسجد، قال ﷺ: "فلم ألبث إلا يسيراً حتى اجتمع ناس كثير، ثم أذن مؤذن فأقيمت الصلاة، فقمنا صفوفاً ننظر من يؤمننا؛ فأخذ جبريل عليه السلام فقدمني فصليت بهم. فلما انصرفت قال جبريل: يا محمد أتدري من صلى خلفك؟ قلت: "لا". قال: صلى خلفك كل نبي بعثه الله ﷻ" (رواه أحمد).

وفي هذا دلالة على أنه ﷺ هو الرئيس المقدم والإمام الأعظم لسائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، حيث قدمه جبريل عليه السلام ليكون إماماً لهم في دارهم التي هي معدن النبوات وأرض الرسالات. ثم خرج من بيت المقدس فحل رباط البراق وركبه عائداً إلى مكة.

في طريق العودة

ها هو ذا الكوكب الأخضر يسبح في ملكوت الكون الهائل، وبحار السدم والأفلاك والمجرات تحيط به. وما هي جزيرة العرب يقطع وشاحها المظلم خيوط القمر المنسدلة في هدوء، وذاكم هو الخط الترابي الطويل الذي شهد سماؤه أعظم رحلة بشرية على الإطلاق، وعلى البعد ترى قوافل العرب تسير فيه، وأخرى تستريح حوله.

لم تغب عن ذاكرة سيدنا محمد ﷺ مشاعر الحنين في رحلاته الأولى كلما يمت المطايا وجوها قبل مكة في طريق عودتها من الشام، وكلما رفعت الإبل أعناقها في سيرها الطويل تستشرف جبال مكة من بعيد، شوقاً إلى نسائم البيت وعبق أذاخره، وهي محملة بالبضائع والتحف الشامية النادرة.

غير أن هذه الرحلة الإيمانية - خارج حدود الحجاز، وبعيداً عن كوكب الأرض - كانت الأولى للفتى الهاشمي بعد أن أكرمه الله تعالى بالرسالة. وهي المنطلق الحقيقي الذي انتقلت الدعوة بعده خارج مكة لتعم أرجاء الجزيرة العربية ثم انتشرت بشكل مذهل في غضون سنوات لتعمّر جميع أقطار الأرض.

وعلى الرغم من درجة الظهور والريادة للطريق الذي يربط

بين مكة وبيت المقدس، فقد شهد تاريخ النبوات تقارباً كبيراً كذلك بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى. حتى إن سورة الإسراء ذاتها قرنت بحديث طويل وجميل عن بني إسرائيل، وفي مطلعها قوله جل شأنه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾ (الإسراء: ١-٢)، بل إن الاسم الآخر لسورة "الإسراء" هو "بنو إسرائيل".

وقبل أن يطبق البراق جناحيه، ويهبط بجوار البيت العتيق ليعود الراكب الكريم إلى فراشه الذي لا يزال ساخناً، كان الرسول ﷺ قد اخترق بروحه وجسده حاجز الزمن في تلك

الليلة القمرية؛ وعدلت الساعات القليلة الماضية التي قطعها ملايين السنين الضوئية بمقياس البشر. رأى خلالها من المشاهد والعوالم ما لا قدرة للعقل البشري على إدراكه، وأعاد تاريخ النبوة حياً في القلوب، وقلوب المؤمنين به من أمته الذين يصدقون بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله، وبقية قليلة ممن آمن به من أهل الكتاب الذين أمرنا الله سبحانه بالإحسان إليهم، ولين الحديث عند الحوار معهم؛ لأنهم صدقوا بما أنزل

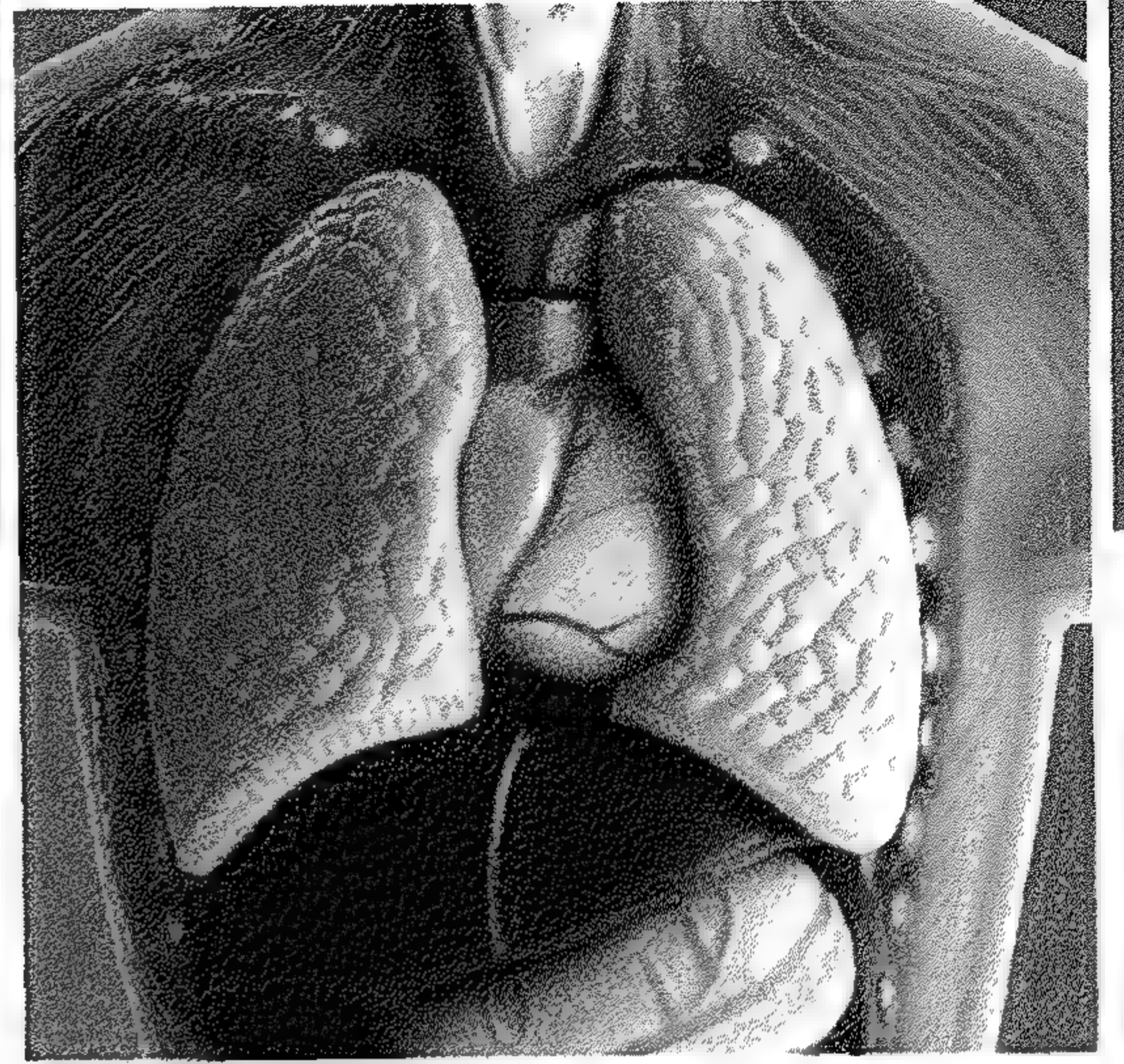
الله تعالى على رسله، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٦).

ولا يفوق التقارب بين المسجدين، والطريق الذي يربط بينهما من حيث الظهور والريادة إلا ذلك الترابط الكبير بين سيرة النبي المكي الخاتم من ذرية إسماعيل عليه السلام، وسيرة النبي المقدسي الخاتم من ذرية إسحاق عليه السلام. ■

(*) مدير تحرير مجلة "مكة" / المملكة العربية السعودية.

عند الأثر الفني لا تتوقف.. وبه لا تظل متبهرًا.. فتش عن الروح
العظيم من ورائه.. وعن اليد الصانع التي صاغته.. وعن الرسام الذي
رسم.. والنحات الذي نحت.. والشاعر الذي شعر.. والناثر الذي نثر.. ففي
روح الإنسان يرقد الجمال كله.. ويعتلج الفن كله..

أنارثة عبد الله



أ.د. عرفان يلماز*

بعبارة أدق، على شكل منفاخ. كما أني أرتبط من الأعلى
بالقصبه الهوائية والبلعوم، وأنفصل عن الأعضاء الداخلية للبطن
الموضوعة في الأسفل بالحجاب الحاجز العضلي.

التنفس الأول للرئة

إن أول نفس استنشقتُه كان مع اللحظات الأولى لميلادك. ومنذ
تلك اللحظة ما زلتُ أنتفس دون توقف، حتى أثناء نومك فإنني
أزودك بالأكسجين الذي تحتاج إليه، وذلك بتلقي الأوامر آلياً من
"البصلة السيسائية" أي، المركز المحرك الوعائي والمركز التنفسي.
إن قريبي في العمل هو القلب الذي بدأ نشاطه قبلي بكثير
حين كنتُ في الشهر الأول في رحم أمك. في تلك الفترة كنتُ
أستريح ولم يكن تكويني قد اكتمل بعد، أي لم تبرز الحاجة إليَّ
بعد. إذ كانت أمك -التي تجرح قلبها أحياناً- تزودك بدمها،
بكل احتياجاتك من الغذاء والأكسجين. ولو قمتُ أنا بشيء
من هذا القبيل، لاختنقتُ على الفور، لأنك كنتُ تسبح في مادة
سائلة في رحم أمك، ولو حاولتُ التنفس لامتألتُ بهذا السائل
واختنقتنا سوية.

إن أول نفس استنشقه عند الولادة مهم جداً وإنه صعب
للاغاية، لأن القصبه الهوائية عندك تكون أضيق بكثير من حالتها

عزيري عبد الله... أسند ظهرك للخلف ودعني
أمت جسمي قليلاً لأتسع وأملأ جوفي بالهواء.
فكلما امتألتُ بالهواء فإن دماغك سيعمل أحسن،
ومن ثم ستعي كلامي بشكل أفضل. وإن سألتني عن العلاقة
بينهما أقول، بأن كل عضو في جسمك له علاقة بكل شيء،
بل بكل الكائنات. فلكي يعمل دماغك ستحتاج إلى السكر،
ولكي تؤمن الطاقة للخلايا العصبية تحتاج إلى حرق السكر،
ولحرق السكر تحتاج إلى أكسجين، والعضو الذي يؤمن دخول
الأكسجين هو أنا (الرئة) وسأتحدث لك عن نفسي في هذا العدد.
في الحقيقة إن الحديث عن النفس أمر ليس محموداً، ولكن
ما أفعله لا يعد حديثاً عن النفس. فكل ما أبغيه هو الحديث عنه
ﷺ وبيان جمال قدرته في إبداعي على أكمل وجه. لذا لا يوجد
في جنباتي أي موضع للتكبر أو الاغترار، فكل شيء له ﷻ؛ كل
ما أملكه وكل ما أقوم به وكل ما عليّ من التفاصيل والدقائق
والصنعة البديعة التي لا تحيطونها علماً، كلها له جلّت قدرته.
ولكي تواصل حياتك فإن الله ﷻ قد وظيفني في أعمال ووضعي
في بدنك العجيب.

لقد أودعني الله في قفص صدرك الذي أحيط بأضلاعك
وعضلات صدرك على شكل كيسين هوائيين اليمن وأيسر، أو

الاعتيادية، إلا أن عدد الحويصلات الرئوية التي يتم خلالها تبادل الأكسجين مع شعيراتك الدموية كثيرة جداً بالنسبة إلى حجمي، وهذا ما يعوّض ضيق القصبة الهوائية عندي. عند أول حركة لي، وبعد أن يمتلئ جوفي بالهواء، أقوم بالضغط على الشرايين والأوردة القادمة إلى من القلب، في حين يبقى شرياني المرتبط مباشرة بالشريان الأهر خارج نطاق العمل، كما ينغلق الصمام بين الأذنين وينفصل عن دورة الأم. وإذا ما بقي الصمام مفتوحاً دون انغلاق، فإن الدم المؤكسج يختلط بالدم الفقير بالأكسجين ويسبب "المرض الأزرق" أو الزرقة القلبية، حيث يرجع لون الطفل الأزرق إلى أن الدم الأزرق لا يجد مفرأً من أن يتجه إلى البطن الأيسر، والشريان الأورطي (الأهر) ويختلط بدمهما الأحمر، ويوزع هذا الدم المزوج إلى الجسم فيعطيه اللون الأزرق. وتظهر الزرقة الناتجة عن نقصان الأوكسجين في الأنسجة على المدخنين أيضاً. ولا شك أن أكبر عدو لي هو التبغ الذي يحتوي على مئات المواد السامة والضارة. ومن إحدى هذه المواد "مونوكسيد الكربون" أو استنشاق منتوجات غازية تتحد مع مادة الهيموغلوبين (خضاب الدم) وتعيق انتشار الأوكسجين في الجسم. ولهذا فإن شفتي المدخنين تبدو مائلة إلى الزرقة. والحق يقال عجزنا -رغم محاولتنا الكثيفة- عن مقاومة تلوث الهواء الذي بدأ يزداد بسرعة في عصرنا هذا، فإذا بنا نراهم (المدخنين) قد زادوا الطين بلة بتدخينهم، الأمر الذي يجعلني أجن. كيف يمكن لإنسان أن يكون جاهلاً لهذه الدرجة!

آليات حماية الرئة

لقد خلقتني ربي ^{سبحانه} بطريقتي مميزة وفريدة لاستنشاق الهواء وإدخاله إلى الدم بواسطة الضغط العالي، ثم طرح فضلات غاز ثاني أكسيد الكربون الموجود في الدم إلى الخارج قبل أن يرتفع إلى مستوى يؤدي إلى اختناق الجسم. ولأنه ^{سبحانه} يعلم أن الهواء سيتلوّث إلى هذه الدرجة، فقد زودني ببعض الآليات لحماية نفسي. ونتيجة لذلك فإنني أمارس عملي دون أي عطل لمدة طويلة. إلا أن ازدياد المواد الصناعية السامة والغازات بشكل كبير، جعلني لا أقدر على مقاومة الأخطار بسهولة. ثم إنهم ينفثون في وجهي دخان التبغ الذي قيل: إن فيه أكثر من أربعة آلاف مادة سامة ومختلفة.

إنهم أدري بأنفسهم.. فلو أني فقدت المقاومة وضعفت عنها، لا أدري كم سأفتح عليهم من أبواب المشاكل. كثيراً ما كنت أصاب في الماضي بمرض السسل، أما اليوم فإنني أفضل الإصابة بمرض السرطان تماشياً مع الموضة!.. وكأن في الأمر دعاية أليس

كذلك؟ ماذا أفعل؟ وهل يمكن أن أصاب بالسرطان بإرادتي؟ فكما أن هذا المرض المسمى بالسرطان يمكن أن يصيب أي عضو في أي لحظة، فإنه يمكن أن يصيبني أنا أيضاً أكثر من غيري، لأنني على تماس مباشر بالهواء دائماً. فلو أني توقفت عن استنشاق الهواء لفظت أنفاسك الأخيرة على الفور. ولهذا ينبغي عليك أن تنتبه إلى نظافة الهواء في محيطك.

في الحقيقة أن باطن المجاري الهوائية التي تنقل الهواء إلى داخلي والتي تسمى القصبة الهوائية والشعبيات الهوائية، بطنٌ بشعيرات تلتقط وتدفع ذرات الغبار والمفرزات المخاطية نحو الحلق لكي يخرج بعد ذلك بواسطة السعال، حيث تعمل هذه الشعيرات طوال الليل أثناء نومك، وتدفع الأغشية المخاطية التي التصقت بها ذرات الغبار والتي استنشقتها نهاراً نحو حلقك، وتقوم في الصباح بطرح كتلة الغشاء المخاطي الموجودة في حنجرتك وتخلص من البلغم. أما المدخنون فيقتلون ما بين ٨٠٠-١٠٠٠ خلية من شعيرات الرئوية في كل مرة يسحبون فيها الدخان إلى جوفي. وبعد مدة أعجز عن تكتيس جزيئات المواد السامة الواردة مع الهواء، كذرات الكربون، والكبريت، والرصاص... ذلك لأن خلايا الأهداب أو شعيرات الرئوية داخل القصبة الهوائية، تموت مع مرور الأيام وتصل إلى حالة لا تحتمل فتغير هيكلها وتكوينها. ومن ثم فإن ذرات الغبار الموجودة داخل الهواء المتلوّث، تسد مجرى الهواء كما تسد مجاري المدافئ ووصلات المداخن في منازلنا. ولعلي أصاب نتيجة ذلك بمرض الانسداد الرئوي المزمن أو السرطان.

عزيزي عبد الله... أعرف أنك لا تدخن، ولكنني أردت أن ألمس جوانب الموضوع لتقوم بشرحه لبعض أصدقائك، فأرجو ألا تملّ مني.

التكوين المتكامل البديع

وفي هذا الصدد أودّ أن أشرح لك بعض البدائع الفنية في تكويني المتكامل البديع. كما تعرف أنه إذا اجتمعت العناصر الفنية والجمالية والوظيفية في أثر ما، فإنها تعطيه ميزة ذات معنى. وإن تكويني المتكامل -ككل أصدقائي العاملين في بدنك- يهدف إلى التلاؤم مع الوظيفة المهمة التي سأقوم بها. بتعبير آخر، فإنه يستحيل اجتماع الخلايا والجزيئات فيّ عن طريق الصدفة، فإنه يستحيل إيجاد جزيئة واحدة من جزيئات البروتينات المختلفة الداخلة في تركيبتي من تلقاء نفسها ودون إدراك. إن الاحتفاظ بالضغط العالي لأوكسجين الهواء الداخل إلى جوفي، ونفاذ الأكسجين من غشائي أثناء الانتشار، ثم النفاذ من أغشية الشعيرات الدموية



العالقة والامتزاج مع جزيئات خضاب الدم، ونفاذ ثاني أكسيد الكربون ذي الضغط العالي إلى جوفي من نفس الأغشية، وقيامه بطرحه إلى الخارج مع كل زفير وشهيق لك أمر لا يمكن أن يتحقق بسهولة. إنك تتنفس ١٣-١٤ مرة في الدقيقة، وفي كل مرة تتحقق هذه العملية. يجب عليّ عند الانتفاخ والانكماش أثناء الشهيق الذي تجريه غالباً دون إدراك، أن أكون في حالة مرنة جداً. وإن أهم خاصية أمتلكها -بالإضافة إلى هذه المرونة- هي إظهار أوسع سطح في أصغر حجم. إن الله ﷻ وضع في صدرك الضيق أغشية تقارب مساحتها ١٠٠ متر مربع، أو يقارب خمسين ضعفاً من جلدك الذي يلف جسمك، وبفضل هذا منحك مساحة واسعة تتيح انتشار الغازات. في حين ينبغي على الغازات هذه، من أجل النفاذ من أغشية الجهاز التنفسي، أن تبقى رطبة على الدوام ولا تجف أبداً. إن سطوح أغشية الجهاز التنفسي الرطبة، ممتازة جداً لانتشار الغازات؛ ولكي لا تلتصق الأغشية الرقيقة ببعضها، ولكي لا يتعرض الجهاز التنفسي للخطر بسبب التوتر السطحي والخاصية الشعرية، يفرز إلى داخلي مادة سائلة تحتوي على مواد سطحية. ولو لم تكن هذه المادة السائلة لالتصقت الأغشية الرقيقة ببعضها ولفشلت عملية الانتشار.

القصبه الهوائية

إن الهواء الداخل إلى جوفي مثل الطرق الثانوية المتفرعة عن الطريق السريع، فهي تضيق وتتفرع وتنتهي بحجيرات مغلقة -تسمى الحويصلات- فتكون بذلك شبكة. وإن الهواء الداخل من الفم والأنف يلتقي في الطريق السريع المسمى القصبه الهوائية، حيث يبلغ طول القصبه الهوائية في الشخص العادي حوالي ١٥ سم. وأودّ ها هنا أن أقول لك شيئاً مهماً بخصوص عمل خاطئ تقوم به في كثير من الأحيان، وكان الأولى أن يتكلم عنه العضو الذي تسمونه الأنف. إلا أنني سأطرق للموضوع بشكل طفيف لعلاقته بي. إنك يا عبد الله كثيراً ما تخطئ في طريقة التنفس، إذ عليك أن تستنشق الهواء من الأنف وتطرحه من الفم، عندها سيسخن الهواء الوارد من أنفك مباشرة ويطرب، ومن ثم ستخلص من ذرات الغبار فيه. إذا فعلت هذا فإنك لا تعرضني للضيق ولا تصاب بالزكام أو بالتهابات الجهاز التنفسي العلوي. أما إذا استنشقت الهواء البارد والجاف من فمك، فإن ذرات الغبار والجراثيم ستدخل جوفي وستسبب الحساسية، بل قد يصل الأمر إلى الالتهاب الرئوي.

كان أبوك وأمك حين كنت صغيراً يحافظان على بقاء مجرى

تنفس أنفك سالكاً، فيقطران فيه المصل الفيزيولوجي لئلا ينسد. وأعتقد الآن أنك عرفت سبب سهولة مرض الأطفال الذين ينامون وفمهم مفتوح بسبب وجود الزوائد اللحمية في أنفهم. عمّ كنا نتحدث وكيف خضنا هذه المواضيع؟ نعم.. نعم. نعم تذكرت، كنت أتحدث عن طرق الهواء الوارد إليّ.

الإنذار المبكر

إن أطراف القصبه الهوائية التي تُوصِل الهواء إلي -كما هو الحال تماماً في المدخنة- تتكوّن من ١٦-٢٠ حلقة غضروفية على شكل أنبوب أسطواني. ولئلا تظهر مشكلة بسبب وجود البلعوم والقصبه الهوائية جنباً إلى جنب، فإن آخر حلقة من الحلقات الغضروفية المبنية على بعضها البعض، أكملت بحلقة نسيجية مرنة بدل الغضروف القاسي. ومن ثم فإن غضاريف القصبه الهوائية لن تعيق ابتلاع اللقيمات أثناء الطعام، إذ توجد فوق وبجوار الحلقات الغضروفية ألياف عضلية، حيث توسع أثناء شهيق القصبات الهوائية بتمدد الحلقات الغضروفية وتضييقها.

مرت عليك أوقات تبهت في طريق السعال. ربما أزعجتك بذلك، ولكن لو أنني لم أضيق قطر القصبه الهوائية وأقلص أحزمتي العضلية حتى تصل إلى ما تحت السُدى، ولم أتسرع بالتنفس من خلال القصبه الهوائية الضيقة هذه، لما استطعت لا أستطيع طرح بعض الأجسام الغريبة التي تدخل جوفي فجأة (كذرات الغبار وبعض القطع الصغيرة)، عندها ينسد جوفي ويؤدي ذلك إلى انعدام الهواء وبالتالي إلى موتك في آن واحد. ولهذا السبب فإن الانفجار السريع الذي تسمونه السعال، يعني التخلص من ذرات الغبار الضارة في داخلي. وقد وضع ربي ﷻ جهازاً صوتياً في الطرف الأمامي لقصبي الهوائية العريضة جداً والتي تشبه الطريق السريع، وهو جهاز رائع مذهل! ولو قمت بالحديث عنه لما كفتني الصفحات. فالهواء الوارد إلي والهواء الفاسد الصادر عني، يحرك الحبال الصوتية عندما يمر من خلال هذا الصندوق الصوتي، ويصدر النغمات الجميلة والأناشيد الرائعة والأحاديث التي تبهج الحياة.

الشعبة الهوائية

إن الهواء الوارد من القصبه الهوائية ينقسم إلى فرعين هما الشعبتان الهوائيتان التوأمتان اليمنى ويسرى. وفي الأصل لا نعتبر توأماً، لأن السبي تقسيم في الطرف الأيمن تتكون من ثلاث قطع، أما التي تقسيم في الطرف الأيسر فتتكون من قطعتين. وكأني أسمع سؤالك،

وما الحكمة من ذلك؟ أستطيع أن نقول لك: إن شقيقي الشعبة اليسرى خلقت لتتيح مجالاً للقلب ولتتخذ مكاناً أوسع ويعمل براحة أكثر، بالإضافة إلى أنه عندما يبدأ السرطان في أي قسم، فيمكن إزالة القسم المصاب فقط بعملية جراحية وبالتالي أستطيع أن أواصل حياتي. وربما هناك حكم كثيرة لا يعلمها إلا ربي سبحانه. وتنقسم الشعبتان الهوائيتان اللتان تدخلان إلى جوفنا إلى ٨-١٠ طرق فرعية دقيقة - كما هو الحال في الطرق السريعة - وكل واحدة من هذه تنقسم إلى فروع أكثر دقة بقطر واحد سم. إن نظام التفرع هذا يشبه منظر شجرة رأسها نحو الأسفل. أما في نهاية هذه الفروع الدقيقة فتوجد شعبيات النظام التنفسي التي تشبه عنقود العنب.

الشعيرات الدموية

وإن آخر نقطة في الطريق هي الكريات التي تشبه الحبات التي تكون العناقيد، إذ هي الأجزاء الحياتية الأساسية. كما أن هذه الكريات الصغيرة التي تسمى الحويصلات صنعت من أغشية رقيقة جداً أحيطت بشبكة الشعيرات الدموية. قسّمِي الوظيفة الأساسية الذي يتم فيه تبادل الغازات موجود هنا. وإن شبكة الشعيرات الدموية التي تلف الحويصلات الرئوية، هي أقسام متفرعة عن شرياني الحامل الدم الفاسد والقادم من القلب (فقير الأوكسجين) وشرياني الذي يجمع الدم النظيف من (غني الأوكسجين) ويوصله إلى القلب.

توجد طبقتان غشائيتان رقيقتان تحيطان بي وتحميانني؛ إحدى هاتين الطبقتين ملتصقة بي تماماً، والأخرى ملتصقة بالأضلاع الصدرية، وبينهما في الكيس الفراغي مادة سائلة لزجة رقيقة جداً. وأثناء انتفاخي وانكماشني تمنع هذه المادة السائلة اللزجة احتمال كشطي عند احتكاكي بفراغ جدران القفص الصدري. ولولا هذه المادة السائلة لكشط سطحي وانفتح في ثقب بعد مدة قصيرة جداً. ينبغي على فراغ القفص الصدري أن يتوسع ليفسح لي مجالاً أثناء انتفاخي عند التنفس. فلو لم أجد مكاناً أتسع فيه لما استطعتُ التنفس، ولمتُ أنت بسرعة. فالشكر للخالق عز وجل الذي صنع قفصاً من الأضلاع لحمايتي، والذي صنع مفاصل مرنة جزئياً تلتوي على الأضلاع، وبالتالي يتوسع فراغ القفص جزئياً ويفسح لي مكاناً. إضافة إلى أن الحجاب الحاجز العضلي الذي يفصلني عن المعدة والأمعاء، يقلل انحناءه ويضغط على الأعضاء الموجودة في البطن نحو الأسفل، مما ينفخ جدار البطن نحو الخارج ويفسح لي مكاناً لأنزل فيه. وبفضل حركة الأضلاع والحجاب

الحاجز أتوسع في المكان الذي فسح لي من خلال انتفاخي بملء جوفي بالهواء. إن وجودي معلق في الفراغ الصدري ويتحقق من خلال القصبه الهوائية التابعة لي والشرابين والأوردة.

إن احتمال إصابتي بالأمراض عال جداً نظراً لارتباطي بالعالم الخارجي. ويأتي السعال على رأس القائمة التي أرسل فيها إشارة تحذيرية لإصابتي بالمرض. فأحياناً أُخرج بلغمًا مختلطاً بالدم، إضافة إلى أنني أجد صعوبة في التنفس، وأشعر بألم في صدري. عندما ترى هذه الإشارات التحذيرية، ينبغي عليك أن تكون يقظاً جداً، لأن البكتريات والجراثيم إذا ثبتت أقدامها في داخلي، فإنها تتكاثر في الحويصلات الهوائية وتتصلب وتسبب التهابات.

إنني حساسة جداً تجاه الإضرابات التحسسية، فعندما تتلامس جدران العضلات المستوية المتوضعة على جدار الشعبة الهوائية بالمواد الغريبة كغبار الطلع فإنها تتقلص بتأثير إفرازات الهيستامين. إضافة إلى أن الأمراض التحسسية التي تصيب العروق الدموية، تؤثر عليّ جداً لكوني عضواً من أكثر الأعضاء الحاملة للدم. كما تظهر حالة القوة التنفسية عند تقلص عضلات الشعبة الرئوية وعدم إخراج الإفرازات المخاطية التي أفرزها ضد الحساسية، وإنكم تسمونها بمرض الربو. فعندما يمتلئ داخلي بهذه الإفرازات المخاطية التي أصدرها لحماية نفسي ولا أستطيع إخراجها، أعاني صعوبة في التنفس.

وبمعزل عن هذا، فإنني كثيراً ما أصاب بالأمراض الحادة المزمنة والتهاب الشعب الهوائية وانتفاخ الرئة، حتى إن عصبيتك وانفعالك يؤثر عليّ، إذ أعاني صعوبة في التنفس مباشرة.

لا تؤاخذني يا عبد الله! فمساحتي ضيقة جداً، إذ لا يمكن أن أختصر الحديث عن عمل في مذهل مثلي في أربع صفحات أو خمس. ولهذا أحيل الباقي إليك، ففي فهمك كفاية. لكن يا قرة عيني، ابتعد عن أماكن التدخين والغازات السامة وأدخنة السيارات. استنشق الهواء بعمق في الأماكن النظيفة وأرسل إليّ أوكسيجيناً كثيفاً، ثم فكر بتمنّي في كل شهقة بصوت "هو" الذي أصدره وأذكر به خالقنا، وتذكر أنني يمكن أن أتوقف في أي لحظة، فاشكر ربنا العظيم الذي لا نهاية لقدرته. ■

(٥) جامعة ٩ أيلول / تركيا. الترجمة عن التركية: محمد ماهر قفص.

محاوَر أساسية في فهم القرآن

أ.د. علي جمعة*

هـ

هناك أساس مهم من أسس تفسير القرآن وهو "أن القرآن يبين بعضه بعضاً". ولذا فأول ما ينبغي أن يعتني به المفسر هو أن يجمع المتشابهات ويقرن بعضها ببعض. فرب معنى أجمله القرآن في موضع وفصله في موضع آخر، أو أطلق في موضع وقيد في موضع آخر. ثم إن القرآن ربما تعرض للمعنى الواحد في غير موضع لحكم عالية اقتضت تخصيص كل موضع بالقدر الذي أورد فيه. فإذا ما جمع المفسر كل مواضع وروده تجلّى له الهيكل العام الذي أراده القرآن في تلك القضية.

القرآن كله كالسورة الواحدة

وقد علّم رسول الله ﷺ أصحابه ذلك المنهج في فهم القرآن في عدة مواقف. فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ (الأنعام: ٨٢)، شق ذلك على الناس، قالوا يا رسول الله، وأينا لم يظلم نفسه؟! فقال: "إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعو قول العبد الصالح: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: ١٣) إنما هو الشرك" (رواه البخاري). فقد أطلق لفظ الظلم في موضع فشاع في المعنى المعهود في الظلم في عرف الخطاب، بينما هو مفسر في موضع آخر بالشرك. والذي يجعل الموضع الآخر متعينا للبيان هو الفهم العالي لقواعد الشريعة وكلياتها، ومنهجها في تحديد أسباب النجاة وأسباب الهلاك، مما يعين على إلحاق الآيات بعضها ببعض. وما زال هذا المعنى بهم حتى صرحوا بأن القرآن كله كالسورة الواحدة يحمل بعضه على بعض، قال الإمام الرازي في التفسير الكبير: "لأن القرآن كله كالسورة الواحدة، وكالآية الواحدة يصدق بعضها بعضاً، ويبين بعضها

ذلك بقدر اجتهاده وبذل وسعه ومقدار فهمه، وقال سعيد بن جبير: ما بلغني حديث عن رسول الله ﷺ على وجهه إلا وجدت مصداقه في كتاب الله".

وقد أدى ذلك كما هو معلوم إلى أن أنشأ المسلمون منظومات كاملة من العلوم الخادمة للبيان النبوي. فنشأت علوم الحديث وعلوم الجرح والتعديل، وأثمرت ذلك النتاج العلمي الفائق الذي لم تعرف أمة من الأمم له مثيلاً. وقد نشط الحفاظ لإفراد المؤلفات لما يتعلق بالبيان النبوي القرآني فنشأ ما يعرف بالتفسير بالمأثور، وجمع فيه الحفاظ السيوطي جمهرته الضخمة "الدر المنثور، في التفسير بالمأثور" فاستوعب فيها من مصادر واسعة جداً كل حديث أو أثر له وجه تعلق بآية من كتاب الله. ومن المتأخرين جمع العلامة المحدث السيد عبد الله بن الصديق الغماري كتاباً في التفسير بالأحاديث المرفوعة وصل فيه إلى سورة هود.

ولذا فعلى المفسر أن يطلع على ما ورد في كل آية من الأحاديث والآثار، فما كان منها مرفوعاً إلى النبي ﷺ حقيقة أو حكماً فقد وجب الوقوف عنده واعتباره، وما سوى ذلك فليتأمل. فإن كل واحد من المفسرين كان يحمل معنى الآية على جملة المعارف والعلوم التي انتهى إليه عصره، وأحاط به زمانه، ثم القرآن أكبر من ذلك، وهو مجرد عن الزمان والمكان لا يتقيد بهما ولا بأحوالهما.

علم أصول الفقه

وأساس آخر مهم من أساس التفسير هو "علم أصول الفقه" اشتمل على ضوابط فهم النص وتحليله". ولذا فقد وجب على المفسر وذلك لأن أعظم مقاصد المفسر أن يلم بالأدوات والآليات التي يتمكن بها من تحليل التركيب وتفكيك النص وفهمه.

وخدمة النص تحليلاً وتفكيكاً وإحاطة بأجزائه ووكلياته، وسيراً لدلالة ألفاظه وتراكيبه، وتوصلاً إلى أغراضه ومقاصده، وتقنيماً لأساليب ومسالك الاستنباط منه، هدف يسعى إليه المفسر ويسعى إليه الأصولي على حد سواء.

معنى بعض، ألا ترى أن الآيات الدالة على الوعيد مطلقة، ثم إنها متعلقة بآيات التوبة وبآيات العفو".

وللعلامة الطاهر بن عاشور تحرير جيد في هذا المعنى يمثل ضابطاً مهماً يجب تأمله في قضية حمل بعض القرآن على بعض، حيث قال في التحرير والتنوير: "وهذا كلام لا يحسن إطلاقه، لأن القرآن قد يحمل بعض آياته على بعض، وقد يستقل بعضها عن بعض، إذ ليس يتعين أن يكون المعنى المقصود في بعض الآيات مقصوداً في جميع نظائرها، بله ما يقارب غرضها".

وقد ألف ابن الجوزي كتاباً فيما أجمل في القرآن في موضع وفسر في موضع آخر منه، ونبه ابن تيمية على هذا المعنى في أصول التفسير، وكذا ابن كثير في أوائل تفسيره، وكلامه مأخوذ من كلام ابن تيمية، ثم السيوطي في الإتيان وغيرهم كثير.

وهو قريب مما عرف عند المتأخرين بالتفسير الموضوعي للقرآن الكريم وقد كتب فيه كثيرون.

السنة النبوية أول بيان للقرآن الكريم

وأساس آخر مهم من أسس التفسير وهو "أن السنة النبوية ثاني الوحيين، وأنها نابعة من القرآن وموضحة لمعانيه". فهي أول بيان للقرآن الكريم، وهو بيان يمتاز بالعصمة. فإنه أول كاشف دقيق منضبط ومحفوظ يكشف عن معاني القرآن، ولأنه معصوم وحجة فإنه مكمل للهدى القرآني، بحيث يتكون منهما معا توجه الشرع الشريف في كل مسألة أو قضية، بل قال الإمام السيوطي رحمه الله في "الإتيان": "وقال الإمام الشافعي رحمه الله: جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة، وجميع السنة شرح للقرآن"، وقال أيضاً: جميع ما حكم به النبي ﷺ فهو مما فهمه من القرآن. قلت: ويؤيد هذا قوله ﷺ: "إني لا أحل إلا ما أحل الله، ولا أحرم إلا ما حرم الله في كتابه" (أخرجه بهذا اللفظ الشافعي في الأم).

قال الشيخ طاهر الجزائري في "توجيه النظر إلى أصول الأثر": "قال بعض علماء الأصول: ما قال النبي ﷺ من شيء فهو في القرآن أو فيه أصله قرب أو بعد، فهمه من فهمه، وعمه عنه من عمه، وكذا كل ما حكم به، أو قضى به، وإنما يدرك الطالب من



وقد عني الأصوليون بهذه القضايا وحرروها ودققوا فيها تدقيقاً زائداً، وخصوا كل المقدمات التي يتوقف عليها تحقيق أغراضهم تلك من العلوم الأخرى مع استقراء زائد يليق بمقصودهم حتى استوى علم الأصول ونضجت فيه تلك البحوث، وبلغت حداً متقدماً جداً من التحرير والانضباط. حتى إنهم لخصوا بحوثاً من علوم اللغة، ومن علم النحو، ومن علوم البلاغة وغيرها وجعلوها أبواباً في علم الأصول.

فلا يليق لأحد أن يُقدم على تفسير كتاب الله تعالى من دون نظر سابق، وتمرس فائق بعلم الأصول. قال العلامة الطاهر بن عاشور في "التحرير والتنوير": "وأما أصول الفقه فلم يكونوا يعدونه من مادة التفسير، ولكنهم يذكرون أحكام الأوامر والنواهي والعموم، وهي من أصول الفقه، فتحصل أن بعضه يكون مادة للتفسير، وذلك من جهتين؛ إحداهما: أن علم الأصول قد أودعت فيه مسائل كثيرة هي من طرق استعمال كلام العرب، وفهم موارد اللغة، أهمل التنبيه عليها علماء العربية، مثل مسائل الفحوى ومفهوم المخالفة. وقد عد الغزالي علم الأصول من جملة العلوم التي تتعلق بالقرآن وبأحكامه، فلا جرم أن يكون مادة للتفسير. أما الجهة الثانية؛ فهو أن علم الأصول يضبط قواعد الاستنباط ويفصح عنها، فهو آلة للمفسر في استنباط المعاني الشرعية من آياتها".

وربما كان الأمر أكبر من ذلك، حيث يستفيد الناظر في فن الأصول نسقاً كلياً للتفكير يرث من خلاله أصولاً كبرى للنظر، ويلتفت ذهنه إلى قضية القطعية والظنية وأثرها في الفهم، وإلى أبواب التعارض والترجيح وكيف يسلك فيها، وإلى الاستدلال وكيفية استخراج جهة الدلالة من النصوص إلى غير ذلك من أساليب الفهم. ولا تخفى أهمية ذلك لمن يتصدى للإبانة عن معاني كلام الحق جل شأنه.

اتساع مدلولات التركيب

وأساس آخر لا يقل أهمية عما سبقه وهو "اتساع مدلولات التراكيب بحسب اتساع الأسقف المعرفية، والتراكيب الحضارية".

فقد قال علماء الأصول: "الاستعمال من صفة المتكلم، والحمل من صفة المخاطب، والوضع قبلهما". والمقصود أن حمل الكلام على معانيه وتأويله على أوضاعه اللغوية من صفات المتلقي أو المستمع. والمقصود أيضاً أن المستمع هو الذي يتلقى الكلام فيقوم بمهمة تحليله واستخراج مضامينه والتغلغل فيه للوصول إلى المقاصد التي حملها المتكلم عليه. وكل ذلك محكوم بالوضع اللغوي الضابط لعملية استعمال الكلام. والذي يؤمن بإيجاد مشترك بين المتكلم والسامع، يتم من خلاله تبادل المعاني، ذلك التبادل الذي على أساسه نهض المجتمع البشري وتراكمت المعارف وسرت بين البشر فنمت الحضارة.

وهذه العملية التي يحكمها الوضع متوقفة عند تنزيل كل لفظ على معناه أو معانيه التي ركب بإزائها منذ أن تم الوضع اللغوي واستقر، بحيث لم يعد من الممكن التلاعب بتلك الدلالة أو تغييرها، إلا بمقدار مأمون ومنضبط من تحريك دلالة اللفظ بحيث ينتقل الذهن من المعنى الأصلي الذي وضع له اللفظ إلى لازم له، أو جزء من مدلوله أو ما أشبه.

وهذا يعني أن لكل مستمع حظاً من فهم التركيب، بحيث كلما اتسعت معرفته وازدادت خلفياته وامتد تصوره إلى معانٍ أوسع، رأى أن التركيب يحتملها ويومئ إليها. ولا يكاد أن يقع هذا في كل البشر إلا نادراً لاستواء البشر في المعارف أو تقاربهم فيها. وهم في ذلك محكومون بمعطيات زمانهم، بحيث لا يخطر لأحدهم ما سوف يكشفه الزمن من الأمور بعد زمنه، ليضمن كلامه إشارة إليه. فإن وُجد بشري نابه، أو عبقرٍ فذ وعرف بطريق ما شيئاً من الأمور المستقبلية وأشار في كلامه إليه، ثم جاءت الأحداث موافقة له اعتبر الناس هذا ظاهرة خارقة تستحق الدراسة كما وقع مثلاً حول "تنبؤات نوستراداموس"، وشأنها معروف. فكيف بالعلم الإلهي الشامل المحيط الذي لا تخفى عليه خافية، وهو سبحانه الذي قدر لكل زمن ما يقع فيه من أحداث ويستجد

منها من المعاني المستفادة. الثاني: هو علم النفس، لأنه هو المعنى بالبحث في طبيعة النفس البشرية وكيفية صدور الأفعال منها وكيفية استجاباتها للمؤثرات المختلفة.

والقرآن الكريم جاء بتصوير كامل للنفس البشرية وطبيعتها وأطوارها، وقد سار في تطبيقاته العملية وفي سرده لمقاصده وفي نسجه لكلماته وآياته وفق منهج رباني راق في التعامل مع النفس والتأثير فيها، بحيث إن المفسر إن ألم بأطراف من ذلك واتسعت معرفته بهذه المعاني صار يرى وراء كل كلمة وكل تعبير وكل تركيب قرآني تأثيراً نفسياً مقصوداً.

قال الإمام الخطابي في "بيان إعجاز القرآن": "في إعجاز القرآن وجه آخر ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا شاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب، وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منشوراً إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس، وتشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه، عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق، وتغشاها الخوف والفرق، تقشعر منه الجلود، وتفزع له القلوب، يحول بين النفس ومضمراتها وعقائدها الراسخة".

قصص الأنبياء مناقشة لأصول المناهج الفكرية

وأساس آخر مهم من أسس تفسير القرآن الكريم وهو أن "قصص الأنبياء مناقشة لأصول المناهج الفكرية التي يدور حولها الفكر الإنساني عبر الزمان". فقد جاءت قصص الأنبياء لمقاصد ربانية متعددة، منها تثبيت فؤاد النبي ﷺ ومن ثم تثبيت أفئدة ورثته وحملة موارث النبوة وأنوار الهداية من بعده، إلى الخلق من العلماء الهداة والدعاة إلى الله على بصيرة بحق، قال تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ (هود: ١٢٠).

ومنها أنها موضع نظر وتأمل لأصحاب الفكر، وأهل العقول المستنيرة بحق يقول ﷺ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (يوسف: ١١١). فقول "عبرة" معناه أن قصص الأنبياء محل نظر واسع، بحيث تستخرج منها فوائد كبرى، وقد توسع العلامة الطاهر بن عاشور - رحمه الله - في المقدمة السابعة من مقدمات "التحرير والتنوير"، في ذكر فوائد قصص الأنبياء، فذكر عشر فوائد مع إفادات جزلة حول قصص الأنبياء وكيفية توظيف القرآن لها. وقد تأملت قصص الأنبياء في القرآن فلاح لي فيها معنى كلي جليل يجعل فائدتها أوسع وأكبر من أن تكون سرداً لأحداث من

فيه من علوم ومعارف، فإنه سبحانه ضمن كلامه إشارة إلى ذلك كله، بحيث كلما استجد شيء لاحت دلالة النص إليه. فالقرآن الكريم نصٌ جاءت ألفاظه وتراكيبه من عند الله بحيث لا تتناقض مدلولاته مع أي سقف معرفي يأتي به زمن، وليس ذلك في طوق بشر، بل كلما تدخلت الأهواء البشرية في الكتب السماوية، فإنها بتصوراتها القاصرة التي لا تحيط بمستجدات الأمور في الأزمان المقبلة تفقد طلاقة النص وإطلاقه، وتجعل أحدث الأزمان تناقضه وتصطدم به. ولذا صان الله القرآن وحفظه، ولذا اصطدمت نصوص الكتب السماوية المحرفة بالواقع حتى أحدثت مشكلة العلم والدين في أوروبا. وقد تناول هذا المعنى "موريس بوكاي" في كتابه "القرآن والتوراة والإنجيل في ضوء العلم الحديث".

والمقصود أن البشر كلما ارتفعت معارفهم واستحدثت عندهم علوم ومعطيات، وجدوا أن النص القرآني متسق مع تلك المعطيات، بينما يسقط كلام أي بشري عن مواكبة الزمن، لقصور تصور قائله وعدم إحاطته عند صياغة كلامه، وكلما كان قارئ القرآن أوسع إحاطة بالعلوم والأفكار والمناهج المختلفة، اتسعت دلالة القرآن في نظره على نحو معجز. ولذا يظل القرآن متجدداً عبر العصور لا تنتهي عجائبه ولا ينضب معينه، بل يزداد ثراء كلما ارتقى البشر في سلم الحضارة والمعرفة. قال الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير: "وأما النوع الثاني من إعجازه العلمي فهو ينقسم إلى قسمين، قسم يكفي لإدراكه فهمه وسمعه، وقسم يحتاج إدراك وجه إعجازه إلى العلم بقواعد العلوم، فينبليج للناس شيئاً فشيئاً انبلاج أضواء الفجر، على حسب مبالغ الفهم وتطورات العلوم".

مسالك القرآن في التأثير على النفس

وأساس مهم من أسس التفسير وهو "مسالك القرآن في التأثير على النفس وأثر ذلك في فهم النص القرآني وتحليله، ووجوب تحصيل آليات ذلك". وهو أصل إن غاب عن الناس كلهم فينبغي ألا يغيب عن المفسر. وهو الذي ينقب عن مقاصد القرآن ومراميها، ومدلولات الإيحاءات والمؤثرات التي يستجلبها القرآن ويوظفها في إثارة النفوس وتحريكها، وحملها على النهوض والنشاط والمشاركة إلى ما يريد أو الحساسية والتوجس والفرق مما لا يريد. وليعلم أن هذا الأصل متوقف على محورين؛ الأول: علوم البلاغة، وهي المعنية بأسرار التركيب اللغوي، والمعاني الكامنة وراء كل تحوير وتغيير في التراكيب، وما يترتب على كل احتمال

تاريخ الأنبياء الكرام، رغم ما في ذلك من الأهمية والجلالة.

وبيان ذلك: أن كل واحدة من قصص الأنبياء تناقش منهاجاً من مناهج الانحراف، وتعرض بالتحليل والرد والتقويم لفلسفة من الفلسفات، وتبحث قضية كبرى من قضايا الفكر الإنساني، بحيث تشتمل قصص الأنبياء على مناقشة لأصول المناهج الفكرية المنحرفة والمتكررة عبر التاريخ الإنساني بأكمله، حيث إن البشرية في تاريخها الطويل عرفت فكرة مشابهة لفكرة العلمانية مثلاً، ففكرة العلمانية وفصل الدين عن مجالات الحياة ليست حديثة أو وليدة عصور النهضة الأوروبية، بل هي منهج فكري بشري قدم برز عند قوم شعيب عليه السلام. فقد حكى القرآن عنهم: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاطُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ (هود: ٨٧).

فهم يتعجبون من وجود علاقة بين الصلاة وبين إدارة الأموال، وأوجه التعامل معها. فقد جاء قوم شعيب فوق الكفر ببلية أخرى، وهي أنهم لا يرون رابطاً بين التقوى والصلاة والصالح وبين الشؤون المالية، وكأنهم يقولون: لا علاقة بين الدين وبين الاقتصاد. وعليه فإن قصة شعيب أرقى منهج نبوي قرآني ناقش قضية العلمانية، وأبرز المحاور المهمة التي تفكك تلك الفكرة، وتبين فسادها وضررها، وتأتي بالبديل الرباني والتوجيه الإلهي في هذا الصدد. وبهذا يتسع لنا مجال آخر في فهم أسباب اختيار الحق سبحانه لقصص معينة من قصص الأنبياء، حيث قال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ (غافر: ٧٨). وكان القصص المنتقاة التي أوردتها القرآن تناقش رؤوس القضايا الإنسانية والنظريات الفلسفية.

ويترتب على هذا أن يُقبل المفسر على قضية شعيب عليه السلام وأن يجمع كل مواضع ورودها في القرن ثم يتأمل المعالجة الإلهية لقضية العلمانية. وكيف علم الله تعالى شعبياً عليه السلام المداخل الدقيقة لمناقشة تلك القضية، وما هي المرتكزات التي رشحها القرآن وأبرزها في مناقشة تلك القضية، وذلك بعد أن يقرأ العلمانية وتطوراتها ودرجاتها قراءة دقيقة على غرار ما كتبه الدكتور عبد الوهاب المسيري في كتابه "العلمانية الجزئية، والعلمانية الشاملة"، بحيث يعرف ما ينبغي أن يبحث له من رد وجواب في القرآن.

وبهذا تضيف قصص الأنبياء فوائد زائدة على العظة والعبرة والتثيت والتأسي، ويتسع مجال النظر فيها وتفتح لنا دراسات قرآنية جديدة في بحث أساليب القرآن في مناقشة التيارات والمناهج والفلسفات الحديثة، ويتبين أن كل قصة من قصص الأنبياء تمثل

مناقشة لفلسفة أو منهج فكري مما يتكرر عبر التاريخ.

محاور السور وأثرها في فهم القرآن

وأساس من أسس التفسير الآخر وهو: "محاور سور القرآن، وأثرها في فهم النصوص القرآنية". ومعناه أن لكل سورة من سور القرآن الكريم محورا محددًا تنبني عليه السورة، وتدور حوله وتؤكد به بصور ونماذج تفصيلية متعددة، وتحدد لأجل خدمته وإبرازه أمثالا وقصصا ومقاطع قرآنية، مطولة أحيانا ومقتضبة حازمة خاطفة في أحيان أخرى بحيث تشتمل تلك المقاطع على أوامر تشريعية ونظم أخلاقية ومناقشة لمناهج فكرية مختلفة وما أشبه مما يشكل مقاصد جزئية، تتعاضد وتآلف وتشترك وتتداخل من أجل ترسيخ وتأكيد معنى ذلك المحور الرئيسي الذي تدور السورة حوله. فمحور سورة البقرة مثلاً في قوله سبحانه: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: ١٣١). إذ تدور سورة البقرة حول قضية الإسلام لله، وكيف أُلْهِمَ المدخل الأعظم لتحقيق قضية العبودية والإعانة التي جاءت بها سورة الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٥)، وأن الأمر فيها ينهض على أساس راسخ من التسليم المطلق لله بالعظمة والربوبية واستحقاق العبادة وأنه وحده الحاكم، وأن التشريع والأمر والنهي له وحده. حتى إذا ما ثبتت قضية التسليم واستقرت في العقل، وانعقد عليها الجنان أمكن نقل هذا المكلف إلى قضية الاصطفاء وهي محور سورة آل عمران، إذ تدور السورة كلها حول آيتين محورتين وهما قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣٣-٣٤). وهكذا وكان سور القرآن تعالج قضية كبرى، ابتداء بقضية العبودية في سورة الفاتحة وقضية الإسلام في سورة البقرة وقضية الاصطفاء في سورة آل عمران وانتهاء بقضية الالتجاء إلى الله والاحتماء به في سورة الناس.

أساس أخير ومهم من أسس التفسير نُختم به حديثنا عن أسس التفسير، وهذا لا يعني أن هذه الأسس محصورة وإنما بالتأمل والاستقراء يمكن أن نستخرج أسسا أخرى ويمكن أن نعد هذه الأسس نماذج من الأسس المستخرجة من القرآن الكريم لتفسيره.

الاشتقاق الأكبر وأثره في فهم النص

فمن أسس التفسير "الاشتقاق الأكبر وأثره في فهم النص". فالاشتقاق علم من أعظم علوم اللغة على الإطلاق، وأشدها تأثيراً في فهم دلالة التراكيب. وهو علم دال على ثراء العربية

وسعة بحور اللغة. والأصل فيه إدراك المعاني، ثم ملاحظة سريان المعنى في كل الصور اللفظية المتناسلة الدالة عليه، والتي انتزع بعضها من بعض، أو عكس ذلك؛ بأن تجمع الألفاظ المتشابهة على نحو معين بغية الوصول إلى المعنى الذي تدور حوله، إضافة إلى أنه تستخرج به من اللفظ الواحد صور بالغة الكثرة في تعبيرها عن الأحوال والهيئات والاحتمالات والفوارق الدقيقة التي تطرأ على المعنى الواحد باعتبار تنوع الشخصيات واختلاف الأحوال، بحيث يستخرج لكل حال صورة من صور اللفظ.

ثم هو علم واسع دقيق فيه مؤلفات كثيرة، وإنما أردت هنا نوعاً محدداً من أنواع الاشتقاق، وهو نوع تنوعت أسماؤه عند العلماء، فسماه الفخر الرازي في "مفاتيح الغيب" "الاشتقاق الأكبر". وتبعه محمد راغب باشا في كتاب "السفينة" له، وتبعهما صديق حسن خان في "العلم الخفا من علم الاشتقاق" وغيرهم...

وهؤلاء جميعاً يتكلمون على نوع واحد اختلفت أسماؤه. قال الأستاذ عبد الله أمين في كتاب "الاشتقاق": "الاشتقاق الكبار وهو انتزاع كلمة من كلمة أخرى بتغيير في ترتيب بعض أحرفها، بتقديم بعضها على بعض مع تشابه بينهما في المعنى والاتفاق في الأحرف". ويسمى هذا الاشتقاق "قلبا لغويا" تميزا له من القلب الصرفي الإعلالي وهو إبدال بعض أحرف العلة من بعض.

وقد أسمى هذا القلب اللغوي "القلب الاشتقاقي"، لأنه من مباحث علم الاشتقاق وأكثر ما يكون القلب الاشتقاقي في الكلمات الثلاثية، وبصيغتين في المادة الواحدة مثل: "جذبه، وجبذه" إذا شده إليه..

قال الإمام الفخر الرازي في "التفسير الكبير": "المسألة الأولى: اعلم أن أقصر الطرق في تعريف مدلولات الألفاظ هو طريقة الاشتقاق، ثم إن الاشتقاق صيغة الماضية والمستقبل والمصدر، ومثل اشتقاق اسم الفاعل واسم المفعول وغيرهما منه. وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن الكلمة إذا كانت مركبة من الحروف كانت قابلة للانقلابات لا محالة، فنقول أول مراتب هذا التركيب أن تكون الكلمة مركبة من حرفين ومثل هذه الكلمة لا تقبل إلا نوعين من التقلب كقولنا "من" وقلبه "ثم".

وبعد هذه المرتبة أن تكون الكلمة مركبة من ثلاثة أحرف، كقولنا "حمد"، وهذه الكلمة تقبل ستة أنواع من التقليلات، وذلك لأنه يمكن جعل كل واحد من تلك الحروف الثلاثة ابتداء لتلك الكلمة، وعلى كل واحد من التقديرات الثلاثة فإنه يمكن وقوع الحرفين الباقيين على وجهين، لكن ضرب الثلاثة في اثنين

بسته، فهذه التقليلات الواقعة في الكلمات الثلاثية يمكن وقوعها على ستة أوجه.

ثم بعد هذه المرتبة أن تكون الكلمة رباعية كقولنا "عقرب، وثعلب" وهي تقبل أربعة وعشرين وجهاً من التقليلات. وذلك لأنه يمكن جعل كل واحد من تلك الحروف الأربعة ابتداء لتلك الكلمة، وعلى كل واحد من تلك التقديرات الأربعة فإنه يمكن وقوع الحروف الثلاثة الباقية على ستة أنواع من التقليلات وضرب أربعة في ستة أنواع من التقليلات، وضرب أربعة في ستة يفيد أربعة وعشرين وجهاً..

وعليه يمكن للمفسر أن يتوسع في تحليل لفظ "الملك" والملائكة جنس شريف من الخلق. أورد القرآن بعض أوصافهم وسكت عن بعض اكتفاء بدلالة الصورة الاشتقاقية للفظ الملك. إذ الأصل في اللفظ الدلالة على القوة والبأس، فكان الأصل في الملك القوة، تلك القوة التي تشيع وتسري في كل سماته وأوصافه؛ فهم لا يأكلون ولا يشربون وهذه قوة، وهم لا ينامون وهذه قوة، وهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهذه قوة. ومنهم خزنة جهنم وهم ملائكة غلاظ شداد وهذه قوة، ثم هم مع بأسهم وسطوتهم وقوتهم يجمعون إلى ذلك غاية الخضوع للحق، فهم يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وهم مع حملهم للعرش يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا.

كل ذلك يلفت نظر المفسر إلى توظيف قضية الملائكة في ترسيخ معنى عظمة الحق سبحانه من حيث خضوع هذه الأكوان العظيمة لجلاله، يلفت نظر المفسر إلى جلال وعظمة القضية التي عرضها الحق سبحانه في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾ ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدَدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (آل عمران: ١٢٤-١٢٦).

وإذا ألفنا النظر والتأمل في المفردات القرآنية بهذه الطريقة انفتحت لنا آفاق رحبة في الوقوف على التصورات الكاملة التي أراد القرآن لنا أن نعرفها ونحيط بها. وذلك لأن الألفاظ حينئذ سوف تنثر لنا مكنوناتها ويوح كل لفظ بما يحمله معناه من أبعاد، ولا يخفى أن هذا في غاية الأهمية في فهم القرآن. ■

السوق

❖ أ.د. حسن الأمrani ❖

نزلتُ إلى السوق كيما أمير فميرة أحيابنا فرض عين
فكانت كمعترك لا يلين فهذا بصدق، وهذا بمين
وذاك يقارب بين الخطا وذلك كالسهم في الخافقين
وآخر قد أتعبته السنون فأصبح يخطر ما بين بين
وكلهم أدرك المبتغى وعاد ليرتاح من بعد أين
ولكنني دونهم مفلسٌ فما عدت إلا بخفي حنين
ولما سألت وسال الفؤاد بما أثقل النفس والمعصمين
تناهى نداء إلى مسمعي وأصبح كالجمر في الأصغرين:
لقد نمتَ حتى انبلاج الصباح وكحل سهدهم المقلتين
تقلبهم كان في الساجدين وقد شغلتك أمورٌ مَضِين
أما زلت في السوق تبغي الفلاح أتحسبه ذهباً أو لجين؟
لقد ربح البيع يا بن التراب إذا بعت ربك ما باليدين
وقطعت ليلك كالعاشقين وذرفت في جوفه دمعين

(*) رئيس تحرير مجلة "المشكاة" / المغرب.

بنائية القرآن المجيد

دعامة من دعامات الختم

أ.د. أحمد عبادي*

ورتل: حسن التنضيد مستوي النبات، ورتل الكلام: أحسن تأليفه. والرتيلاء: جنس من الهوام وهي العنكبوت التي تنضد بيتها بشكل شبكي بديع تتفاضى كل مكوناته. غير أننا نجد كثيرا من المفسرين - رغم اتفاق أقوال أئمة اللغة على أن الترتيل مأخوذ من النضد ومن الاتساق ومن التنسيق ومن الانتظام على استقامة - قد قصروه على الجانب الصوتي منه؛ فقالوا هو: "إرسال الكلمة من القم بسهولة واستقامة". ولما كان الأمر في القرآن ينصرف بالأصل إلى تدبر المعاني وتفهمها، إذ هو كتاب هداية، فإن قصر المعنى على الجانب الصوتي من القرآن رغم الحشد الحاشد من الآثار، كآثار ابن عباس ومجاهد وقتادة، ومن كلام أئمة اللغة، كابن الأعرابي والجوهري وابن منظور وابن عباد وغيرهم مما ينص جميعه على حسن تفهم المعاني وتفهمها، أقول: رغم كل تلك الآثار والأقوال فقد تم إهمال البعد البنائي/النضدي الاتساق الذي تتضمنه هذه الكلمة: الأمر الذي يعد تحكما غير برهان، خصوصا إذا وجدنا في تعريفات بعض القراء كأبي البقاء الكفوي للترتيل، النص الصريح على أنه للتدبر والاستنباط أيضا

يعتبر مفهوم المنهج (Méthode) من أنفس ما اهتدى إليه العقل البشري عبر قرون متتالية من الكدح والمكابدة في المجال المعرفي، وهو عبارة عن آليات متضافرة للكشف عن الحقائق المعرفية في مجالاتها المتعددة والمتنوعة، إذ ينصبغ المنهج دوماً بصبغة المجال الذي يعمل فيه. وقد أدى إعمال المنهج إلى بروز مفهوم أدق هو مفهوم المنهجية (Methodologie)، وهي عبارة عن إطار مرجعي جامع لمجموعة آليات استنطاقية بحثية متواشجة ينتظمها ناظم موحد. ولم يهتد العقل البشري إلى المنهجية في المجال الكوني إلا بعد أن اكتشف أن الظواهر الكونية موحدة عضويا، انطلاقاً من إدراك بنائية الكون ووحدته العضوية. وقد تمت تعدية هذا المفهوم إلى المجالات الاجتماعية والإنسانية من لدن مجموعة من المدارس. وفي مقابل بنائية الكون، التي أطلق اكتشافها إمكان البحث المنهاجي وفجر كل هذه العطاءات المعرفية والمادية التي نشهدها اليوم، فقد من الله سبحانه بأن أقر بين ظهرانينا القرآن ترتيلاً، والترتيل لغة من "الرتل وهو حسن تناسق الشيء. وثغر رتل

ي

وذلك في قوله: "وأما الترتيل، فإنه للتدبر والتفكير والاستنباط".
إن الوحدة العضوية في القرآن المجيد، والتي تشكل أحد أهم
وجوه الإعجاز فيه، تفتح المجال أمام القراءة المنهاجية للآيات/
البصائر صُعداً نحو مآلات معرفية لا حصر لها.

ولطالما دندن علماءنا كالإمام ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ)،
والإمام عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)،
والإمام أبي بكر بن العربي (ت ٥٤٣هـ)، والإمام أبي إسحاق
الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) وغيرهم حول بنائية القرآن تحت عناوين
مختلفة؛ فتارة سموها النظم، وتارة سموها الترتيب، وأخرى سموها
الاتساق أو المعمارية أو البنائية مباشرة.

ومن أعظم وأجلى ما كتب حول بنائية القرآن تلك الورقات
الوضيئة التي كتبها الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه القيم
"النبأ العظيم"، وسوف نجتزئ منها بثلاث فقرات نرى فيها تعبيراً
واضحاً عن إدراكه العميق لهذه البنائية، محيلين على باقيها ليراجع
في موضعه.

يقول رحمه الله: "فلو أنك نظرت إلى هذه النجوم عند
تنزيلها... فرأيتها وقد أُعدّ لكل نجم منها ساعة نزوله سياجٌ
خاص يأوي إليه سابقاً أو لاحقاً، وحُدّد له مكان معين داخل
السياج متقدماً أو متأخراً، إذن لرأيت من خلال هذا التوزيع
الفوري أن هناك خطة تفصيلية شاملة قد رُسمت فيها مواقعُ
النجوم كلها من قبل نزولها، بل من قبل أن تخلق أسبابها، وأن
هذه الخطة التي رسمت على أدق الحدود والتفاصيل قد أبرمت
بأكّد العزم والتصميم.. فما من نجم وضع في سورة ما ثم جاوزها
إلى غيرها، وما من نجم جعل في مكان ما من السورة آخراً ثم
وجد عنه أبرد الدهر مصرفاً ومحولاً...".

ويقول رحمه الله: "أقبل بنفسك على تدبر هذا النظم لتعرف
بأي يد وضع بنيانه، وعلى أي عين صنع نظامه... ولسوف
تحسب أن السبع الطوال من سور القرآن قد نزلت كل واحدة
منها دفعة، حتى يحدثك التاريخ أنها كلها أو جلها قد نزلت
بنجومها، أو لتقولن إنها إن كانت بعد تنزيلها قد جمعت عن
تفريق، فلقد كانت في تنزيلها مفرقة عن جمع، كمثل بيان
كان قائماً على قواعده، فلما أريد نقله بصورته إلى غير مكانه
قدّرت أبعاده ورقمت لبناته، ثم فرق أنقاضاً، فلم تلبث كل لبنة
منه أن عرفت مكانها المرقوم، وإذا البنيان قد عاد مرصوفاً يشد
بعضه بعضاً كهيئته أول مرة".

ثم قال رحمه الله: "ولماذا نقول إن هذه المعاني تنتسق كما
تنتسق الحجرات في البنيان؟ لا، بل إنها لتلتحم فيها كما تلتحم
الأعضاء في جسم الإنسان، فبين كل قطعة وجارتها رباط
موضوعي من أنفسهما، كما يلتقي العظامان عند المفصل، ومن
فوقهما تمتد شبكة من الوشائج تحيط بها عن كثب، كما يشبك
العضوان بالشرابين والعروق والأعصاب... كما يأخذ الجسم
قواماً واحداً ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد، مع اختلاف
وظائفه العضوية".

أهمية بنائية القرآن المجيد في المجال المعرفي

إن القرآن المجيد في اتساق وحدته البنائية يحقق للبشرية وحدة
معرفية تلملم شتات الإنسان المعرفي، وتوحد بين زوايا إدراكه،
بما يشبه إكسابه جهاز تنسيق معرفي يُمكنه من الخروج من التفرع
الإدراكي ومرحلة الشركاء المتشاكسين، إلى صيرورته مسلماً لله
رب العالمين، فيطفق في السير سويّاً على صراط مستقيم. وقد
تنبّهت د. منى أبو الفضل -رحمها الله- بلوذية إلى هذه الحقيقة
فقالت في معرض حديثها عن حيوية الخطاب القرآني:

"إن هذه الحيوية إنما ترجع في جانب منها إلى الإعجاز البياني
في الأسلوب القرآني في الخطاب؛ والذي يجمع بين خطاب النفس
الإنسانية في أبعادها الفطرية والوجدانية وخطاب العقل في أبعاده
المنطقية والبرهانية. ومناطق الإعجاز هنا هو في تجاوزه للقوانين
النفسية التي بمقتضاها نرى العقل والعاطفة لا يعملان إلا بالتبادل،
وبنسب عكسية نحو تضافر واثلاف بينهما... والدلالة العملية
لذلك في مجال بحثنا، هي أن الأصول المنهجية للتعامل مع مصادر
التنظير الإسلامي لا بد أن تعتبر بهذا المعنى في أسلوب البيان
القرآني. فإذا كان هناك موضع للتمييز بين تنوع جوانب ومصادر
السلوك الإنساني والسلوكيات في المجتمع، فإن علينا أن نتعامل
مع الإنسان في وحدته المتضمنة لأبعاده المتنوعة، وأن نتطلق
مناهجنا في التعامل مع الظواهر الاجتماعية من تلك القاعدة التي
توفّر لها أوسع قدر من التكامل الممكن وسعة الأفق.

والوجه الآخر لهذه الملاحظة أن علينا أن نتعامل بكثير من
التحفظ مع المناهج المتداولة في مجال التخصص، ليس فقط
للاعتبار الجوهرى الذي يحكم منحها جميعاً، والذي ينشأ عن
المنطلقات الفلسفية المعرفية التي تقوم عليها، مما يتنافى مع الأصول
المعرفية الإسلامية، ولكن لأنها لا محالة واقعة بين مثالب الإفراط

والتفريط، على النحو الذي من شأنه أن ينعكس في كل من طبيعة ونتيجة الدراسات التي تركز إليها.

وأول ما نستفيد من التعامل مع أسلوب البيان القرآني، هو ضرورة اتساق الأصول المعرفية ومحتوى الرسالة مع الأصول المنهجية أو طرق الاقتراب والتناول لها. بل إننا نرى أنه من شأن تميز الخطاب القرآني على هذا النحو الذي يؤلف فيه بين المتناظرات، أن أوجد نسقاً إسلامياً خاصاً في المعرفة، قوامه الوحدة والاتساق، وإمكانات التأليف بين المتباينات، وهذا على خلاف النسق السائد في المجال المعرفي المعاصر، والذي هو وليد وميراث التطور التاريخي الخاص بالحضارة الأوروبية في أبعادها الفكرية والروحية والواقعية.

ولقد سُقت هذا النص بطوله ولم أشأ أن أثلمه بتصرف لما له من بالغ الأهمية في هذا الباب.

إن إدراك هذه الحقائق يضع على عاتق علماء الأمة مهمة تجلية مستأنفة لمعالم النسق المعرفي الإسلامي. ومن الواضح قيام هذا النسق على المنهجية المؤسسة بدورها على إدراك البنائيتين في الكتابين: المنظور (الكون) والمسطور (القرآن المجيد). وفيما يلي بيان لعلاقة العلوم المتصلة بالكتابين بوحدة البنائية.

علاقة التسخير بالوحدة البنائية للكون

مفهوم التسخير: قال الزبيدي: "والتسخير: التذليل، وسفن سواخر مواخر من ذلك. وكل ما ذل وانقاد أو قهياً لك على ما تريد، فقد سخر لك. وسخره تسخيراً: ذلله وكلفه عملاً بلا أجره... قال الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ (إبراهيم: ٣٣). وقوله تعالى: ﴿وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ (الأعراف: ٥٤). قال الأزهري: جاريات مجاريهن".

وتسخير الخليقة للإنسان عام، يقول تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ﴾ (الحج: ١٣).

إن الذي يحول دون الإنسان وتسخير الكون هو التعضية والتفرقة بين مظاهره وعدم الاستبصار بينائيته. فمن خلال الاتساق يتمكن الإنسان من إدراك استمرارية النظام الكوني القائم على قوانين وسنن تؤدي وظيفتها فيه، وتسري سريانا لا يتخلف ولا يقصر عن مظهر من مظاهره، ما علم منها الإنسان وما لم يعلم، وبالطرائق التي أحاطت بها معرفته أو تلك التي لم تبلغها بعد. إن الكون نظام هادف نابض بالحياة مفعم بالمعنى، حيث إن

كل أجزائه تكوّن "بناء عضوياً تتفاعل أجزاؤه وأعضاؤه بطرق لا يزال البشر في بداية الطريق إلى اكتشافها بفضل العلم، لكن في أجزاء محدودة جداً من الطبيعة. أما المسلمون فهم يعلمون أن الخليقة كيان عضوي، وأن كل جزء فيها يخدم غاية ما، حتى ولو كانوا لا يعرفونها. وهذا العلم ثمرة لإيمانهم".

ورغم أن وحدة الكون البنائية أضحيت اليوم مُدرّكا لا يحتاج إلى مزيد برهنة، فإنه من النافع استحضار الآيات من القرآن التي تفيد بنائية الكون وغائيته وملاسته الحكمة لكل مظهره ودقائقه آيات كثيرة يتعذر حصرها في مثل هذا المقام، منها قوله تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ ﴿رَفَعَ سَمُكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ ﴿وَأَغَطَّشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ ﴿وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا﴾ ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ (النازعات: ٢٧-٣٣)، قال الزبيدي: "والسّمك: السقف، أو هو من أعلى البيت إلى أسفله".

وتلفت الآيات العديدة التي فيها ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ النظر إلى أن الكون بناء تسري في جنباته الحكمة والقصد والغائية.

قال برهان الدين البقاعي في معرض حديثه عن قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ (إبراهيم: ١٩): "بالأمر الثابت من وضع كل شيء منها في موضعه على ما تدعو إليه الحكمة".

إن هذه الوحدة البنائية في الكون هي التي مكّنت العقل البشري -بعد اكتشافها- من تأسيس كل العلوم التي يمكن أن نصطلح على تسميتها "علوم التسخير"، ثم تطويرها إلى حد بلورة المنهجية التوحيدية بين التخصصات، والتي أعطت الفكر العلمي الجديد مدداً قوياً، وفتحت أمامه إمكانات في غاية الكثرة والتنوع والنفع.

علاقة التيسير بالوحدة البنائية للقرآن المجيد

أ- مفهوم التيسير: اليسر بالفتح، ويحرك: اللين والانقياد... ويسره: لايته. واليسر محركة: السهل اللين الانقياد... واليسر بالضم: السهولة والغنى. واليسر ضد العسر، واستيسر الشيء: تسهّل، ويسره: سهّله... ويسرت الغنم: كثر نسلها ولبنها.

وقد وردت لفظة التيسير مقترنة بكتاب الله تعالى في ستة مواقع من القرآن المجيد، منها أربعة في سورة القمر بلفظ واحد هو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (القمر: ١٧، ٢٢،

(٣٢، ٤٠) ومنها قوله تعالى في سورة مريم: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا﴾ (مريم: ٩٧)، ثم قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (الدخان: ٥٨). ولفظ التيسير في هذه الآيات جميعها يفيد تسهيل القرآن للذكر من لدن الله الذي يفضي إلى لين وانقياد ذاتي لمن أراد الذكرى.

ب- العلاقة بين علوم التيسير والوحدة البنائية للقرآن الكريم: في مقابل التسخير للكون إذن، نجد تيسير القرآن، وفي مقابل التفكير في الكون المنتج للمعرفة فيه ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾ (آل عمران: ١٩١)، نجد التدبر في القرآن المنتج للاهتمام به: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (ص: ٢٩). وكما أن علوم التسخير تنتج عن الوعي ببنائية الكون وخضوعه لسنن قابلة للتعلل والإدراك. بمقتضى المواءمة التي بين الكون والإنسان، وأنها علوم تتطور بفعل اتباع المنهجية الآياتية، وتفعيل القدرة على تسمية الأسماء - كما سيأتي بيانه حين الكلام عن المنهجية الآياتية - فإن علوم التيسير تنتج عن الوعي ببنائية القرآن المجيد وتضمنه لسنن قابلة للتعلل والإدراك من لدن الإنسان، بمقتضى المواءمة التي جعلها الله بين الإنسان والقرآن. غير أن علوم التسخير - وللنفع السريع الظاهر الذي ينتج عنها - قد شهدت وتشهد تطورات في غاية الأهمية والسرعة، في حين أن علوم التيسير قد أصابها صنوف من الانتكاس، بسبب عوامل متعددة، أهمها التقليد وانعدام الرؤية وانقطاع الطريق، بفعل الحضور الجبار الكابت للاجتهادات وللجهود الموسوعية التي بذلها السابقون، إلى درجة رواج مقولات محبطة في أمتنا، من مثل: "ليس في الإمكان أبدع مما كان" وغيرها، مما يحتاج إلى استدراك ناجز من لدن مؤسساتنا العلمية والبحثية.

المنهجية الآياتية ثمرة من ثمرات إدراك البنائيتين (بنائية الكون وبنائية القرآن) وبوابة للمعرفة الناجعة الراشدة.

ونقصد بالمنهجية الآياتية المعرفية القائمة على قراءة الآيات والبصائر باسم الذي علم الأسماء، الله الذي خلق.

وقد كان هذا المضمون، هو أول وحي تلقاه سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ، وهو قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق: ١-٥).

والآيات والبصائر مبنوثة في الكون، كما أنها مكونات القرآن. إن آيات سورة العلق تأمر سيدنا محمدا ﷺ، ومن خلاله الإنسان في كل زمان وفي كل مكان، أن يقوم بضربين من القراءة: قراءة آيات وبصائر الخلق: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾، وقراءة في الوحي الذي حفظه الله في السطور وفي الصدور: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾. فهي قراءة في آيات وبصائر الكون بتوجيه وترشيد من آيات وبصائر القرآن.

إن الآيات والبصائر في القرآن المجيد تمكن من إضافة الوجهة إلى قدرات الإنسان التسخيرية، والناجمة أساساً عن تعليم الأسماء الممكنة من قراءة الآيات والبصائر الكونية كما يتضمن قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (البقرة: ٣١-٣٣)، بيد أن الوجهة التي تحررها لنا آيات الكتاب الحكيم، وهي من الضرورة بحيث بدونها لا ينال رشد ولا يهتدى إلى قبة.

نعم، إن الآيات والبصائر الكونية، حتى حين تقرأ بدون هداية من آيات القرآن المجيد تُكسب الإنسان الفعالية التسخيرية، ولكنها فعالية قد تكون مردية في غياب الاستبصار بالوجهة؛ يقول تعالى: ﴿وَعَادًا وَثُمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ (العنكبوت: ٣٨). قال الفراء: "كانوا عقلاء ذوي بصائر"، فهم كانوا ذوي بصائر تسخيرية، غير أن عدم استحابتهم لرسولهم - والذين كسائر الرسل جاؤوا لإضافة الوجهة إلى الفاعلية - أدى بهم إلى الهلاك. إن قراءة الآيات والبصائر الكونية استهداء بالآيات والبصائر القرآنية في ضوء الإدراك المنهاجي للبنائيتين، تمكن الإنسان من وجهته فقبلته، وبالتبع من السجود والاقتراب.

وهنا الفاصل بين منظومتين: منظومة الجمع بين الآيات الكونية والقرآنية، ومنظومة التعضية والتفريق بينهما. وهي منظومة لا ترى في كسب الإنسان إلا أداة إنتاج للمال والطعام/للقيمة المضافة، مما يشكل حالة عدم إبطار مردية، إذ الكون في منظومة

أرحم الراحمين عطاء غير مجذوذ، يسخر بالقراءة لآياته وبصائره في نور آيات وبصائر القرآن المجيد، للتمكن من الوجهة والقبلة فالسجود، وليس فقط مجالا لإنتاج القيمة المضافة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (الذاريات: ٥٦-٥٨).
فالكون إذن في منظومة أرحم الراحمين ليس معملا مقتصرًا على إنتاج "القيمة المضافة" كما تراه منظومة الذين لا يوقنون، بل هو ابتداء معمل لعبادة الله وحده، ووظيفة كل من فيه هي هذه، سجودا وتسبيحا، وهي وظيفة لا تنفي الوظائف الأخرى بل تؤطرها وتكملها، وحين تُعطل من قبل مَنْ حَمَلَ أمانة القيام بها إراديا، فإنه ترتبت على ذلك عواقبه. قال رسول الله ﷺ: "لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق"، أي بعد أن تعطل الوظيفة الأصلية للوجود الإنساني في هذا الكون.

إن الإعراض عن الاهتداء بالآيات والبصائر القرآنية في عملية القراءة للآيات والبصائر الكونية، يفضي إلى هلاك لا يصيب المعرضين خاصة، بل يعم معهم مَنْ يضلونهم بعلم وبغير علم. يقول تعالى: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُغْلِبُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ (النحل: ٢٢-٢٥).
إن العقل العلمي المعاصر يرفض استدماج مفهوم الوحي في بنيته المعرفية، وهو إذ يتسامح مع بعض موضوعاته، فإنه يصمم على رفض منهجيته ووحدته البنائية، وإطاره الغائي، مؤكدا على أن اختصاص الكتب الدينية يجب أن يتوقف عند القنوات الإيمانية، وغيبات ما وراء الطبيعة... فطالما أن هناك مقولات في الكتب الدينية تتعلق بالغيب، فإنه لا مجال لاتخاذها مصدرا من مصادر العلم، ومن ذلك تعريف المعرفة على أنها "كل معلوم خضع للحس والتجربة".

إن القراءة الآياتية للكون تتجاوز بالإنسان حالة الإفراز الذهني للمعرفة، المنفصل عن الكون والتجريب (النموذج اليوناني القديم) كما تتجاوز به حالة الغرق في التجريب، دون النظر إلى الغائية والقصد (النموذج المعرفي الغربي المعاصر)، إنها قراءة تمكن الإنسان من تجاوز المحدودية التي تفرضها عليه الحتمية الكثرة،

نحو آفاق الوصل غير المتناهي بين آيات الكتابين، باعتبار إمكان النظر إليها من زوايا مختلفة، أو باعتبار التفصيل للمجملات الذي يُتيح أعمال قدرة الأسماء، وهو لا شك تفصيل يفتح أمام العقل الإنساني إمكانات في غاية السعة.

إن المنهجية الآياتية تحول دون مُعتمدها واستبداد سُورة الإحساس بامتلاك الحقيقة المطلقة/الاستغناء، مما يوقع في الطغيان، كما تحول دون مُعتمدها ورفض ما خضع من المعارف لتأييد الآيات وشهادتها.

إن المعرفة الناتجة عن المنهجية الآياتية أشبه ما تكون بصراط لا متناه نظرًا لتجدد القراءة في كل حين، بسبب تعدد وتنوع الآيات. أما إذا تم الانطلاق نحو الربط بين الآيات وبين ما ينبثق من آيات جديدة بعد تفصيلها، فإن المعرفة تصبح نابضة بفعل تصديقها لما بين يديها والهيمنة عليه نحو تصديق آخر جديد، بما يشبه حركة نواسية متنامية سيارة، وهنا تتحول القدرة على التسمية إلى معبر نحو إِبصار الآيات والبصائر، إذ الأشياء والحقائق تُعرف بكيفية أدق وأمثل عبر آياتها، وليس عبر مسمياتها. فتسمية الحياة حياة ليست أقدر على التبصرة بماهيتها من الآيات الدالة عليها: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُخْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (فصلت: ٣٩).

إن المسمى في نشأته الأولى كان عبارة عن رؤية للآيات/قراءة لها، فهو تسجيل وتعبير عن رؤية راء وقراءة قارئ. والمنهجية الآياتية تلغي الوسائط وتجعل الإنسان في كل مرة محققا للاتصال المباشر بالآيات، فحديث المتحدثين بالأسماء لا يعدو - في ظل المنهجية الآياتية - أن يكون تنبيهها للنظر الشخصي في الآيات: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (العنكبوت: ١٩-٢٠)، ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النَّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ... قَدْ جَاءَكُمْ بِصَائِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ﴾ (الأنعام: ٩٨-١٠٤).

إن هذه المنهجية الآياتية باعتبارها ثمرة من ثمرات إدراك الوحدة البنائية للكتابين المنظور والمسطور هي التي تعطي لسير الإنسان في الكون معناه، وتجعل كسبه التسخيري كسبا باحثا عن الرشد، إذ هي منهجية يشعر إنسانها بالافتقار إلى الوحي:



من أجل السلام

آه يا طفلي العزيز
يا كل البراءة،
يا كل الصفاء والنقاء،
يا كل السلم والسلام
آه يا صديقي
لستك تدرك،
كم إلى السلام سعي،
رحماني البيض أطلقت
لكل الأرض،
للإنسان،
وللفكر والوجدان



﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ (الأنعام: ٧٥-٧٧).

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٥١). وفي مرحلة الختم للنبوة والحفظ للذكر واتضح معالم المنهجية الآياتية يصدع القرآن بتحميل إنسانها كامل مسؤوليته، كما يصدع برفع نير الإكراه ونتق معالم القدرة عنه لما استقر في واقعه بطريقة جليلة بينة محفوظة من البراهين والحجج، ومن الآيات والبصائر الدالة جميعها على سبيل الرشده: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٢٥٦-٢٥٧).

والرشد في القرآن المجيد من الجلاء والبيان بحيث ما لبثت الجن حين سمعته أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ (الجن: ١-٢).

خاتمة

وإجمالاً، فإن من أكد مقتضيات التعامل مع كتاب الختم، الوقوف على المنهج القرآني المكنون النابض المتجدد الذي يقود الإنسان نحو آفاق الإفادة من قابلية القرآن المجيد للهداية للتي هي أقوم ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء: ٩)، ولن يتيسر ذلك إلا عن طريق الأطراح الملح، استنطاقاً واستهداء، بين يدي كلام الله تعالى. ومن مقتضيات هذا الأطراح، التلقي المسلم من الوحي عن طريق الأعمال المتصاعد المتنامي لمنهاجيته السارية فيه والتي تتكشف بالاجتهاد عبر الزمن، وهي منهاجية قد تبدى من خلال ما سلف، أن من دعائها الأساس، الوقوف على بنائية القرآن المجيد، وإدراك أنه ترتيل، ولنا بعون الله عودة إلى الموضوع. ■

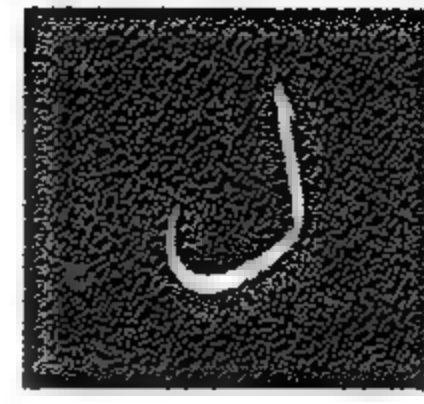
(٥) الأمين العام للرابطة المحمدية للعلماء / المغرب.

الأبرو

فن الرسم على الماء



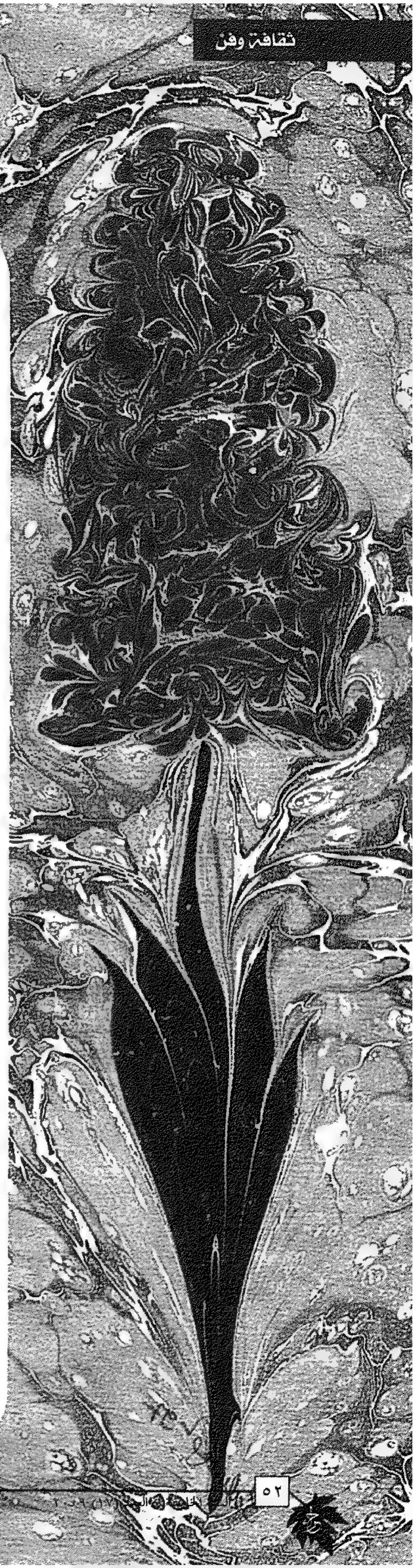
ليس من المعروف من قام بأول عملية رشّ الألوان على الماء وتمكّن من الحصول على أشكال متنوعة زاهية ثم أخرجها على الورق، أي ليس لدينا المعلومات الكافية عن المسيرة التاريخية لفن الأبرو. ولكن المعروف هو أن هذا الفن المسمى بالأبرو، يتحلّى بطابع عثماني أو بطابع تركي. وتعني كلمة "الأبرو" عند الأتراك، حاجب العين، والورق الملون والمجزّع، أو القماش الملون بألوان مختلفة بشكل موج يشبه حاجب العين، أو ألوان حجر الرخام. كما تأتي في التركيبة بمعنى الورق أو القماش الملون الذي يستخدم في تغليف الكتب والدفاتر.



الرسم على الماء

عمل الأبرو فيه لمسات فنية جمالية رائعة، ويحتاج إلى صبر وتأنٍ. وقد يتميز هذا الفن بعدم تكرار نماذجه أو بعدم تقليده. ولصنع الأبرو يحتاج الـ "أبروزن" أي صانع الأبرو، إلى ورق يمتص الصبغات وإلى حوض على شكل مربع. فيقوم الفنان بخلط مادة بيضاء صمغية تسمى "كتره" بمقادير معينة مع الماء. وبعدها تفرغ الصبغات المجهزة على وجه الحوض المليء بالـ "كتره". ثم تحرك البقع الموجودة على سطح الماء بالفرشاة التي يتكون رأسها من شعر ذيل الحصان أو من إبرة بأشكال متعددة. ونتيجة لذلك تظهر أشكال مبهرة رائعة. وبعد ذلك توضع الورقة الخاصة على سطح هذه الأشكال ثم تُمسك من الأطراف وترفع ثم تقلب دون هز أو تحريك، وعندها تتشكل النماذج وبألوان زاهية جميلة.

لقد أخذت رسوم الأبرو - في القرن السادس عشر - مكانة مرموقة بين الأمتعة الثمينة في الغرب، بعد قيام السياح الأجانب برحلات إلى الأراضي العثمانية التي بلغت آنذاك أوج ازدهارها في الفن والثقافة والعلم والتكنولوجيا.. وسرعان ما تحول هذا الفن عند الأوروبيين - في القرن الثامن عشر - إلى موضة لا يستغنى عنها، وطُبعت رسومات الأبرو على معظم مجلدات الكتب الأوروبية.



وقد اعتنى الأتراك بفن الأبرو عناية فائقة ومارسوه مدة طويلة في الخط والتغليف. بيد أن هذا الفن لم يحظ بهوية ذاتية حتى أواخر القرن العشرين. وقد تم استخدامه بادئ الأمر من قبل أقلية من الدراويش المتصوفة لإشباع جانبهم الروحي والمعنوي. وهذا حفظ هويته وساعده على الرقي والازدهار رويداً رويداً. كما أدى هذا الاهتمام الصوفي إلى إحياء فن الأبرو من جديد، واكتسابه هوية ذاتية مستقلة بين الفنون الإسلامية الأخرى.

الأبرو مرآة للثقافة

والجدير بالذكر أن فن الأبرو لم يتميز عن قرينه فن "Suminagashi" في الشرق الأقصى بمعداته وصبغه وألوانه وأشكاله فحسب، بل بطابعه وطبيعته الخاصة به أيضاً. ولكن الميزة التي أعطت هذا الفن هوية أصيلة، هي عكسه الألوان الثقافية والفنية المتنوعة، وكشفه عن ثراء التراث في الحضارة التي عاش تحت ظلها، ومن ثم تقديمه الفن والجمال في نطاق فلسفة داخلية روحية بأبعاد تصوفية، أي أن يكون مرآة للتراث والثقافة التي انبثق منها. وليس المقصود من التراث هنا، العادات التي تعيشها الشعوب وتتداولها فيما بينها.

ولا نبالغ إن قلنا إن أجمل رسومات الأبرو موجودة في تركيا، لا سيما اللوحات التي يصنعها الفنانون الذين يسكنون في إسطنبول. ولقد بلغت صور الأبرو -في أيامنا هذه- مرحلة تطويرية لم يسبق لها مثيل، حيث أضفت لمسة جمالية على الشكل والمعنى، أبهرت العيون وسحرت القلوب وخلبت الألباب. ولعل هذا التوسع والانتشار السريع لفن الأبرو الكلاسيكي، وبالتالي ازدياد المراكز التعليمية له في تركيا وبخاصة في إسطنبول، أدى إلى ابتعاده عن هويته الأصلية وإلى ضياع تأثيره الروحي.. إذ تأثرت قيمه بعوامل ثقافية خارجية لا تتفق مع طابعه وهويته الذاتية. وهذا الأمر يضعنا أمام شقين اثنين؛ إما أن يستمر فن الأبرو كمرآة يعكس الفلسفة الروحية والنظرة الكونية لثقافة أصيلة، وإما أن ينسلخ عن جذوره وينأى عن مفاهيمه التي تحلى بها منذ عصور ويتحول إلى فن زخارف فحسب.. ولكن رغم كل هذه التغيرات والتحولات الثقافية التي طرأت على الشعب، فإن فن الأبرو ظل قائماً يحافظ على مكانته في الحضارة الإسلامية.

ما الدوافع التي جعلتنا نتمسك بفن الأبرو إلى هذه

الدرجة؟ ولماذا يُشعر هذا الفن الكثير منا بأنه فن تصوفي رغم قلة الأشكال الرمزية فيه بالنسبة للفنون الأخرى؟

إن الذين اعتنوا بفن الأبرو وأورثوه الأجيال من بعدهم، وعلى رأسهم منتسبو التكية الأزبكية في منطقة أسكدار بإسطنبول، هم الذين استطاعوا بجدارة أن يغذوا هذا الفن بروحهم ومشاعرهم وقيمهم التي زينوا بها حياتهم المادية والروحية، وتصوراتهم التي تطلّعو من خلالها على قيمة الإنسان في الوجود.. لقد أسهم الكثير من الفنانين والخطاطين والنقاشين في تطور فن الأبرو، وحاولوا أن يحافظوا عليه بصدق على مدى الأزمان.

فلوحات الأبرو التي كانت تباع للصحّافين لتأمين حاجات الحجيج القادمين من أوزبكستان والمقيمين في التكية الأزبكية.. والدراويش الذين جردوا أفكارهم من المشاغل الدنيوية أثناء وقوفهم على الحوض، والروايات التي تذكر أن السيد "خطيب محمد" توفي حرقاً عندما أراد أن يخلص رسوماته من الحريق.. والمجسّدون الذين غلّفوا كتبهم بزخارف الأبرو، والشيخ "أدهم هازرفان أفندي" الذي قدم أعمالاً مبتكرة في مجال الفن والعلوم.. والأستاذ "نجم الدين أوقاي" الذي اشتهر بالخط ونقش الورود ولا سيما بابتكاره لوحة الأبرو التي رسم عليها لفظة الجلالة، و"مصطفى دوزكونمان" العطار الذي استطاع أن يعيش فن الأبرو لسنوات طويلة في منطقة أسكدار والذي أبدع الـ "أبرونامه".. بالإضافة إلى الذين ورثوا هذا الفن بحق من أجدادهم وأساتذتهم وساروا على نفس الروح والمعنى فيه... كلهم أضفوا على فن الأبرو لمسة جمالية من أرواحهم وأكسبوه مكانة رفيعة وأهمية كبيرة بين الفنون الإسلامية الأخرى.

الأبرو فن أصيل

إن فن الأبرو ليس فناً تقليدياً شكلياً، بل هو فن أصيل يرتبط بجذور إسلامية متينة له أسلوبه المتميز وطريقته الخاصة به، إنه يتحلى بالروح والمعنى التي تكمن في لب الحضارة الإسلامية. كما أنه فنٌ ظهر على يد فنانين استنشقوا الهواء الروحي من الإسلام ثم توارثوه جيلاً بعد جيل حتى وصل إلى يومنا هذا. والجدير بالذكر أن زهرة الزنبق (لاله) والياقوتية وغيرها من الأزهار اكتسبت روحاً جديداً بهذا الفن، ليس برسمها في حوض الأبرو فحسب، بل بإدراك القيم الثقافية والمبادئ

التراثية الإسلامية التي انتمت إليها. وإذا انفصل فن الأبرو عن هذا التراث وهذه الثقافة فقد رُوحه وتحول إلى مجرد فن تشكيلي لا أكثر ولا أقل.

ولعل الذين مارسوا فن الأبرو وأوصلوه إلى يومنا هذا -وعلى رأسهم أهل التكية الأزيلكية- هم أهل التصوف ممن نهلوا من روح الثقافة الإسلامية وعاشوا في ظلها. لذا فلا يحق لنا أن ننسى الجانب التصوفي لفن الأبرو هذا.

ولا يعني كل ما ذكرناه، أن نحصر فن الأبرو في إطار معين محدود، إنما هناك جوانب أخرى تعتبر امتداداً لهذا التراث وهو إعداد المواد الطبيعية التي تُستخدم في هذا الفن.

وليس المقصود من الارتباط بالتراث، أن نكرر نفس النماذج ونبقى على نفس الوتيرة النمطية، إنما المقصود أن نسير ضمن الأساليب التقنية والفلسفية التي تكون الأسس الفنية الإسلامية، أو أن ننجز عملاً فنياً يعتمد على عناصر التجريد والتنميق والتنويع والتفاني، مما يتيح لنا رؤية فنية تأملية تساعدنا على إدراك جمال الوجود وفهم الذات الإنسانية والحقيقة الربانية.

أما بالنسبة للفكرة التي يمثلها برعم الورد في فن الأبرو فهي "الوحدة"، وأما الورد المفتحة فتدل على "الكثرة" المنبثقة من هذه الوحدة. كما ترمز الورد المفتحة أيضاً إلى تمام الكمال، وإلى سمو الروح، وإلى مراتب الإدراك التي تكمن بين "الوحدة" و"الكثرة" هذه. ولا يمكن أن تقدّم هذه المعاني في أشكال أو زخارف أخرى، كما لا يمكن أن يمثل شكل من الأشكال دور الورد ويوحى بنفس المعنى والروح التي تحمله في ذاتها. في حين إن هذه المعاني الدلالية لا تُعرض في كل مرة بشكل مختلف، بل تستظل كل الأشكال والزخارف تحت ظل الورد ومعانيها. ولعلنا إذا نظرنا إلى نبتة الملفوف نرى أنها تمثل علاقة وطيدة جداً بين الوحدة والكثرة، بيد أن هذا التمثيل لا يرتقي أبداً إلى مستوى الورد ودلالاتها.

أما النقاشات التي دارت حول أصالة فن الأبرو والتجديدات التي طرأت عليه فلم تأتِ بنتيجة ملموسة، وذلك لاختلافات حول الجذور والثقافة والهوية لهذا الفن. ولو كانت هذه النقاشات حول فلسفة الفن وحول مبادئه وأصوله بدلا من الأنماط والأشكال والتزيينات الظاهرية،

لبلغ الفن إلى الذرى، ولبقي يمارس بصدق وإخلاص لأزمان طويلة. وإن انكماش النقاش حول النمطية والأشكال فقط، يعني الاستغناء عن الأبعاد الروحية والمعنوية ومن ثم الابتعاد عن الجذور والذات.

فن لا يعبر عن الذات مباشرة

لا يقوم الفنان في فن الأبرو بالتعبير عن نفسه أو ذاته مباشرة. حتى وإن بدى ذلك، فهذا لا يعني إلا انعكاساً طبيعياً للألوان التي استخدمها أو للأسلوب الذي ابتكره. كما أن الأشكال التي يختارها الفنان لا تدل إلا على فكر أو مفهوم استمد روحه من الثقافة والحضارة التي نشأ فيها ونما.

فإن فن الأبرو أي الأبرو التقليدي، هو فن يأخذ بالمرء إلى أعماق النفس والذات، ويسمو بالذات إلى ما وراء العوالم، حيث يشدّ ألباب المهتمين به إليه، ويعيدهم إلى جوهرهم الأصلي دون إدراك منهم. ولكن هذا لا يعني أن الأبرو هو السبيل الوحيد في الوصول إلى هذا المبتغى، بل هو وسيلة لتخلية الأذهان من الأفكار المرهقة وتجريدها من الشوائب، أي إنه أداة مهمة للتركيز والإمعان.

والمقصود من كل ما ذكر، أن الفنان لا يسعى إلى التعبير عن نفسه أو عن الأشياء التي يرغب في التعبير عنها، بل إلى تجريد نفسه من كافة القيود الخارجية محاولاً إيجاد سبيل له في عالم المعنى. فقد حملت الفنون الإسلامية الأخرى هذا الروح أيضاً، وسعت إلى التعبير عن القدرة الإلهية في إبداع هذه الجماليات التي تحلّت بها الكائنات. إلى جانب ذلك فقد سيطر على فن الأبرو فكرة التجريد أو تجريد الفنان نفسه من عالم المادة والجنوح بها إلى عالم المعنى.

فن ذاتي وبعيد عن النمطية

إن فن الأبرو لا يسعى إلى نقل أفكار ومعتقدات وأحاسيس الفنانين المتوغلين في عوالمهم الداخلية. إنما يتطلّب الأمر إرادة ورغبة قوية من الفنان وصرف جهود جاهدة منه، كما أن الأشكال والزخارف التي تحلّت بروح ومبادئ الثقافة والحضارة الإسلامية، تؤدي رسالتها إلى المشاهد أو المتفرج من تلقاء نفسها. وقد تختلف إيجاءات هذه الرسالة من شخص لآخر حسب تصوره الشخصي.

الفصل إلا للحوض"، أي إنه صاحب القول الفصل.

رحلة من الكثرة إلى الوحدة

ومن أبرز سمات الأبرو أنها توجه من الظاهر إلى الباطن ومن الكثرة إلى الوحدة، أي إنها توجه الإنسان إلى داخله وتجرده عن الظاهر ذهنياً وفكرياً ثم تسير به من الكثيرة إلى الوحدة. فالإنسان يتمكن بهذا الفن من الهروب من العالم الخارجي والتوغل في العالم الداخلي حيث جوهره وأصله.

إن فنان الأبرو هو الذي يقوم بتحويل الرسومات التي يرسمها على سطح الماء من صورة مؤقتة إلى دائمة، وذلك بنقلها إلى سطح آخر. وهو ما يدل على أن المخلوقات الفانية تصبح باقية عندما تُنقل إلى سطح أو بُعد آخر. ولعل الأشكال المرسومة على سطح الماء هي تعبير عن الفناء كالحياة الدنيا تماماً، كما أن نقل هذه الأشكال إلى سطح الورقة إنما يدل على البقاء كالأخرة.

أما الوجود فله وجهان؛ وجه ينظر إلى البقاء ووجه إلى الفناء. وعلى الرغم من أن الأشكال لم تتكون من تلقاء نفسها على سطح الماء، فإن هناك إرادة أوجدتها. والوجود أيضاً لا يتصف بصفة البقاء إلا إذا انتقل إلى سطح يمكنه من البقاء من قبل القدرة الإلهية والإرادة الربانية التي أوجدت فيه سمة الفناء. ولا يمكن للماء ولا للورق ولا للأشكال أن تقدر على تحقيق هذا البقاء، بل القدرة والإرادة المنبثقة من عشق الفنان والذي يمثل القدرة الإلهية بحق، هو من يحقق هذا البقاء. وإذا نظرنا إلى فن الأبرو من هذه الزاوية، ندرك أن الجحوض يمثل الكائنات، والمادة البيضاء الصمغية (كثرتها) تمثل عالم الشهود، والفرشاة والألوان تمثل دائرة الأسباب، والفنان يمثل الإرادة والقدرة الإلهية.

ولا نبالغ إن قلنا أخيراً إن فن الأبرو هو فن تتحلى فيه كل جماليات ومحاسن الوجود، وما الوجود إلا تجلٍ من تجليات الجمال المطلق. ■

إن فن الأبرو فن ذاتي في كل مراحلها، كما أن جلب المواد اللازمة ثم تحضيرها واستخدامها تكون بجهود ذاتية من الفنان. ولعل هذا الفن يتطلب أثناء التعليم أشخاصاً عدة، لكنه عند التطبيق يكون ذاتياً بالتمام. ذكرنا أن الفنان يعدّ الألوان بنفسه، إذ كلما أبدى مهارة في إعداد الأصبغة والألوان وقام بنقشها على الماء، ازداد الأثر قيمة وازداد الفنان متعة ولذة. أو بتعبير آخر فإن هذه المراحل العملية في فن الأبرو والاهتمام الذاتي، يجعل الفنان يتلذذ بأداء فنه ويستفيد منه ويزيد عليه ويجدد فيه. فن الأبرو هو فن يريح النفس ويجردها من العالم الظاهري، كما أنه فن تجريد يدفع المرء إلى الإمعان في التفكير ويشفي بذلك روحه وقلبه. إنه فن يجب أن يقدم إلى المهتمين به بنفس الروح ونفس المعاني الذي تحلى بها منذ القدم. كما أنه وسيلة لشفاء الروح وراحة النفس وريحائها وتغلغلها في العالم الداخلي عن طريق التجريد، ودواء للأمراض النفسية، ووسيلة لإزالة القلق والاضطراب.

الفصل بين الإرادة الجزئية والكلية

لا شك أن أصحاب البصيرة يشاهدون تجليات الإرادة الكلية والإرادة الجزئية في كل أطراف الحياة. إلا أنه ليس من السهل أن يشاهد العقل المتقيد بالأسباب تجليات هاتين الإرادتين في آن واحد. وإن فن الأبرو فن يوضح مكانة الإرادة الجزئية من الإرادة الكلية ويضع الفاصل البارز بينهما؛ إذ ليس للصدفة مكان في هذا الفن، ولا يمكن للفنان الذي يقوم بإنتاج عمل ما - وهو يراعي الأسباب - أن يعرض الصورة التي يفكر بها أو يخطط لها بالشكل الذي يريد بالتمام.

وقد نرى في بعض الأحيان أن الفنان يحصل على نتيجة فوق التي كان يتوقعها أو يتصورها. وفي الحقيقة هناك صورة معينة في مخيلة كل فنان، ولعل الفنان ينساق حسب الأشكال أو الصور التي تتكون نتيجة وقع قطرات الألوان على ماء الحوض، أي إنه لا يستطيع أن يتصرف بالألوان والأشكال كيفما يريد، حتى إنه لا يستطيع أن يحلل الشكل النهائي للصورة التي وضعها في مخيلته تماماً إلا بعد اقترابها من الانتهاء. وقد وضع فنانو الأبرو مصطلح "لا تكون كلمة

(١) أستاذ فن الأبرو / تركيا. الترجمة عن التركية: نور الدين صواش.

عندما تحرك الفراشة جناحيها

صالح آدم*

ت

توضع النظريات الفيزيائية لتقديم نماذج تشرح بنية الكون وكيفية عملها. وقد قام "نيوتن" والعلماء المعاصرون له بوضع أسس العلم الحديث، أو بالأصح بوضع أسس الفيزياء الكلاسيكية. وفي الكون -حسب هذه الفيزياء- نظام دقيق متداخل مع فوضى كبيرة. هذا النظام يعمل حسب آلية ميكانيكية دقيقة. كانت أجزاء الكون -حسب هذا النموذج- تتأثر وتؤثر بعضها في بعض بقوى مختلفة، وتحرك هذه الأجزاء ضمن حركات معينة تحت تأثير هذه القوى وتحت تأثير وضعها في البداية. ونظرًا لقيام الفيزياء الكلاسيكية بحساب الحوادث الفيزيائية المختلفة -التي تبدو وكأنها لا رابط بينها- بدءًا من حركة كرة البيلاردو إلى حركة الأجسام الفضائية، ومن ظاهرة انتقال الحرارة إلى التموجات الصوتية حسابًا صحيحًا بقوانين قليلة (القوانين الثلاثة لـ "نيوتن"). فقد أصبحت تلك الفيزياء حقيقة مسلّمًا بها، لا تحتمل أي نقاش أو شك فيها طوال عصور ثلاثة. وهذا النجاح الكبير بهر أعين المفكرين وأثر على نظرتهم للعالم، بل دعاهم إلى محاولة وضع نظريات مشابهة في علوم الاجتماع.

نقد الفيزياء الكلاسيكية

ولكن النظرة إلى العالم التي شكّلتها الفيزياء الكلاسيكية تعرضت في بداية القرن العشرين إلى نقدين، جاء أحدهما من النظرية النسبية التي وضعها "أينشتاين" ونفى فيها وجود الزمان المطلق والمكان المطلق، ووضع بدلا منهما زمانا ومكانا يختلفان حسب وضع الشخص

المراقب، وأنهما يتغيران حسب مقدار وكمية الكتلة الموجودة في جوار ومحيط الأشياء. أما النقد الثاني فجاء من "النظرية الكمية" (Quantum Theory) التي قامت بمعارضة أساس من أسس العلم وهو مبدأ "السبب-النتيجة". وذكرت بأنه لا يمكن إجراء عملية قياس دقيقة في أي منظومة دون التأثير فيها وتغييرها.^(١)

ويجب هنا ملاحظة أمر هام وهو أن ظهور بعض أخطاء الفيزياء الكلاسيكية لا يعني أنها باطلة تماماً وخاطئة ولم تعد لها أي أهمية أو دور؛ لأن النظريات الفيزيائية هي نماذج في نهاية المطاف توضع لشرح الحقائق، كما تستطيع الفيزياء الكلاسيكية تفسير وحل معظم المسائل اليومية التي نواجهها بدقة كبيرة. ولهذا السبب أظهرت التجارب والمشاهدات صحتها طوال عصور ثلاثة. كما نستطيع بها حساب أوقات كسوف الشمس وخسوف القمر ورحلة صاروخ في نظامنا الشمسي وغيرها من الأحداث الفيزيائية والمادية بدقة كبيرة.

ذكرت النظرية النسبية أن نظرية نيوتن لا تكون صحيحة في السرعات الكبيرة التي تقترب من سرعة الضوء، وكذلك في الأجسام الفضائية الهائلة الكتلة كالثقوب السوداء والنجوم النيوترونية التي تملك قوى جذب كبيرة. وكما ذكرت النظرية الكمية فإن نظرية نيوتن لا تصح في تفسير الحوادث الجارية على المستوى الذري، أي إن النظرية النسبية والنظرية الكمية تصح في السرعة الاعتيادية في حياتنا -حتى سرعة الصاروخ لا تبلغ جزءاً من ألف جزء من سرعة الضوء- وفي الأحجام التي تزيد على 10^{-5} سم وتكون نتائجها مساوية لنتائج الفيزياء الكلاسيكية.

نقد "الحتمية" وظهور نظرية الفوضى

وفي ستينيات القرن الماضي تلقت النظرية الحتمية نقداً ثالثاً من علم بدأ ينمو ويتطور. كان هذا العلم يبحث عن ظواهر "الفوضى" التي لاحظها العلماء في العديد من الحوادث بدءاً من ديناميكية السوائل إلى الظواهر الجوية إلى بيولوجيا السكان إلى النظم الاقتصادية. والسبب الذي أدى إلى ظهور "الفوضى" كفرع من فروع العلم هو أن العلماء الذين كانوا يعملون في ساحات مختلفة لاحظوا عند بحثهم عن حلول للمشاكل التي تظهر أمامهم أنهم يرون حلولاً في شكل نماذج تكون متشابهة؛ حتى إنهم توصلوا إلى حلول مشتركة تعود لمسائل مختلفة. ظهر هذا الأمر ليس في الساحات العلمية التي تتطلب اختصاصات معينة، بل في الساحات

التي تتقاطع فيها ساحات بعض العلاقات العلمية. رأى العلماء هنا أن النماذج التي تشرح التصرفات التي تبديها المنظومات المعقدة نماذج متشابهة. والمنظومات المعقدة تتألف من أجزاء عديدة جداً، يؤثر كل جزء في الأجزاء الأخرى، ويتأثر هو أيضاً بها، وهناك ساحات حرة عديدة فيها؛ أي إن هناك احتمالات لتصرفات عديدة لها، وهي عادةً منظومات مفتوحة^(٢) تدخل إليها المواد والطاقة وتخرج منها، أي ليست منظومات مغلقة. ومن أمثلة هذه المنظومة هي المنظومات البيئية التي تُشكّلها بعض أنواع الأحياء في منطقة جغرافية معينة، والعناصر الجوية المختلفة الموجودة معاً كمقادير المختلفة من الضغط الجوي والرياح والحرارة وأنواع النباتات التي تغطي تلك المناطق، أو المنظومات المعقدة المتشكلة من مجموعات كبيرة من الخلايا العصبية المتخصصة التي تعمل معاً في أدمغتنا بتلاؤم دقيق.

والعلماء يعملون حالياً على منظومات أقل تعقيداً من المنظومات المذكورة أعلاه، مثل معدل التغير السنوي في عدد نوع معين من الأحياء في منطقة معينة، أو درجة انسيابية سائل يملك لزوجة معينة في أنبوب، أو التموجات الحاصلة في البورصة لسعر سلعة من السلع... هذه هي المسائل أو المشاكل التي يتناولها العلماء حالياً كبداية لحل مشاكل ظواهر "الفوضى".

ولكن العلم -لنأخذ الفيزياء مثلاً- على الرغم من أنه قطع مسافة كبيرة في ساحات عديدة بدءاً من الأجزاء دون الذرية إلى المجرات الهائلة، إلا أنه لم يستطع وضع نظرية تشرح الحركات المعقدة لسائل ذي لزوجة معينة يسيل في أنبوب، ولا حساب حركات الدوامات والاضطراب الذي يظهر فيها بعد سرعة معينة. وعلى الرغم من أننا نملك معلومات بدرجة ما حول كيفية عمل بعض الظواهر مثل كيفية تزايد أعداد الأحياء، أو كيفية التطور الاقتصادي، إلا أننا لا نستطيع حدس أو معرفة كيفية تطور هذه الظواهر وكيفية تغيرها، وعلى أي أساس يحصل هذا التغير بشكل قاطع. ولذا فهناك علم ولد جديداً يحاول وضع أسس علمية لمثل هذه المنظومات وخصائصها المشتركة ويهدم الجدران الاصطناعية بين العلوم. والسبب الكامن وراء عدم وضع تعريف عام يقبل به الجميع لهذا الفرع الجديد من العلم الذي ندعوه بـ "علم الفوضى"، هو أن إطاره واسع جداً وهو يشمل مواضيع عديدة جداً وحوادث ذات أبعاد مختلفة، لذا يجب تناولها بمفاهيم جديدة ومتطورة، لأن تاريخ هذا الفرع العلمي حديث لا يتجاوز ٤٠-٥٠ سنة.



شرح مفهوم "الفوضى"

إن أردنا التعبير عن مفهوم "الفوضى"، قلنا: إنه يعني عدم النظام واختلاط الحابل بالنابل والانفلات. ولكن تم إغناء مفهوم هذا الفرع الجديد من العلم بإضافة معان هندسية وعلمية له، لذا فلا يمكن شرح مفهوم "الفوضى" بعدة جمل. ولكن يمكن شرح كيفية ظهور "الفوضى" وفي أي الظروف تظهر وما النتائج التي تتولد عنها. عندما نقوم بهذا نحصل على فكرة وصورة لهذا المفهوم.

والذي أدى إلى زيادة الاهتمام بمفهوم "الفوضى" وعده انقلاباً في العلم، هو أن نظاماً معيناً يسير حسب قواعد معروفة ويتطور بشكل معلوم، فإذا به يتصرف فجأة بشكل فوضوي. لنأخذ مثلاً حول عدد نوع من أنواع الأحياء يعيش في جزيرة. هذا العدد مرتبط بعوامل عديدة؛ منها سرعة التوالد، ومقدار الأغذية الموجودة في الجزيرة، وعلاقة وتأثير الأحياء الأخرى الموجودة حوله... إلخ. وكذلك مثال عدد السيارات التي ترد إلى محطة بنزين معينة، أو عدد المراجعين من المرضى لقسم الطوارئ في أحد المستشفيات وساعات هذه المراجعات. في هذه النماذج تعد العوامل المختلفة ثابتة ولا تتغير مع الزمن، وذلك من أجل سهولة الحساب. ومع هذا نرى نتائج غير متوقعة حتى في أبسط هذه النماذج، فمثلاً إن كان معامل (Coefficient) التكاثر الذي يعبر عن نسبة التكاثر ونسبة الموت وضبط التوازن بين التكاثر والموت، أكبر من حد معين استحال حساب تغير أعداد ذلك الحي حسب السنوات بأي معادلة من المعادلات. لأن عدد النفوس في كل سنة سيأخذ مقداراً متغيراً، أي إن ظاهرة ما تتبع عادةً قوانين (السبب-النتيجة) أي "الحتمية"، يمكن أن تنقلب إلى ظاهرة غير منتظمة وغير متوازنة. وأمر آخر مشابه يظهر في حركة انسياب سائل ذي لزوجة معينة (أي يولد انسيابه قوة احتكاك)، فالسوائل تتبع القوانين الديناميكية لنيوتن في حالة الانسياب الاعتيادي بشكل جميل، ولكن ما إن تزيد سرعة الانسياب عن حد معين حتى تتولد الدوامات وحركات مضطربة وفوضوية لا تتبع أي قانون.

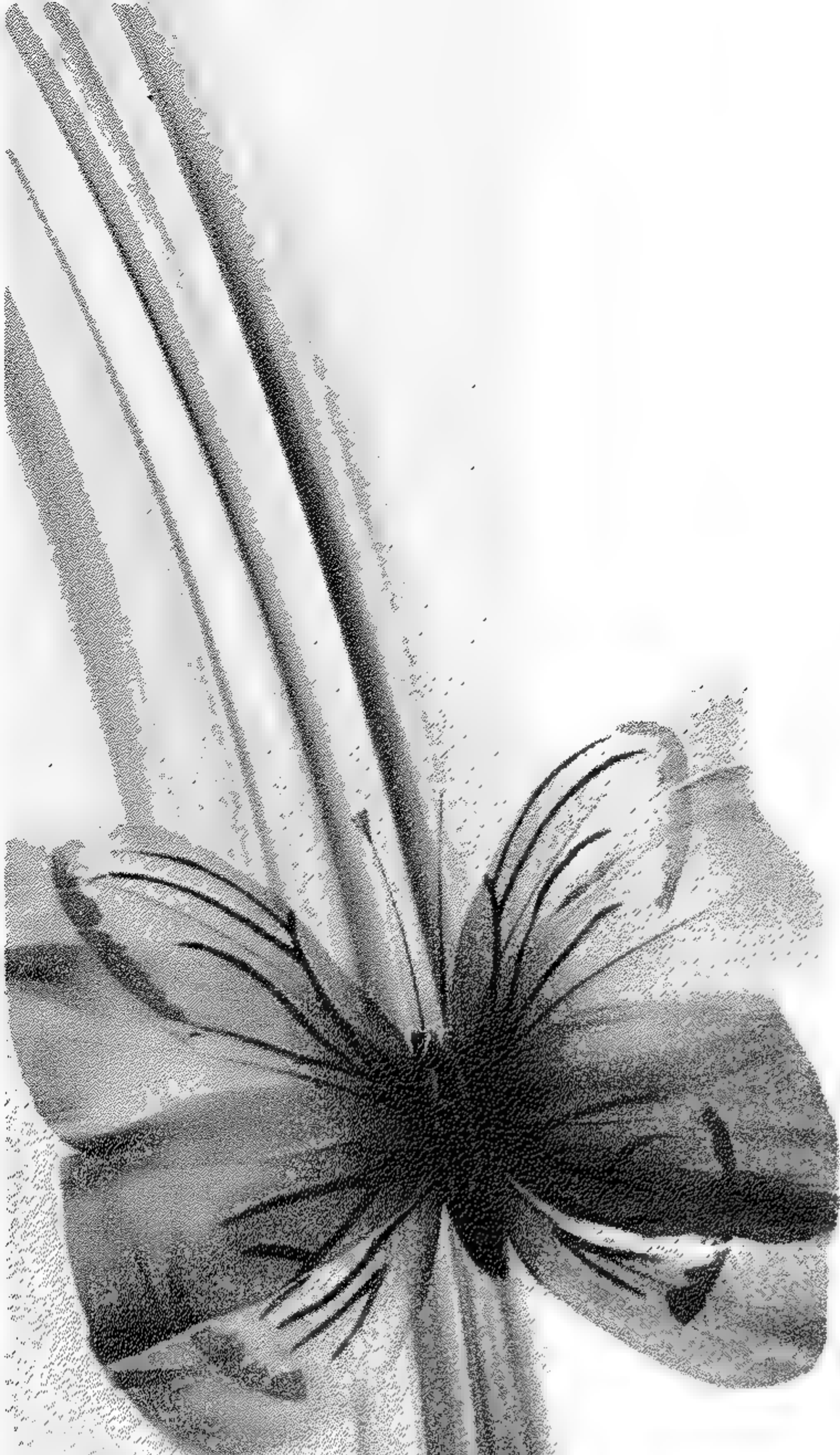
ظهور الفوضى

يرتبط ظهور الفوضى في أي منظومة بحدود وقيم متغيراتها من جهة وبحالة بداية تلك المنظومة وتركيبها من جهة أخرى. وتظهر الفوضى عادة عندما تكون المنظومة غير مستقرة، (أي عندما

لا تكون لديها قابلية إنتاج طاقة، وكذلك عندما تكون بعيدة عن الاستقرار الديناميكي الحراري). والأهم هنا عدم كون المنظومات خطية، لاحتمال ظهور الفوضى في منظومة غير خطية وإن كانت المنظومة بسيطة.^(٣) والمنظومات غير الخطية لها علاقة بمشتقة المعادلة الرياضية التي تشرح العلاقات فيها. لذا فإن حلها يكون أصعب من حل المعادلات الخطية، بل يستحيل أحياناً هذا الحل؛ لأن العلاقات في المنظومات غير الخطية تتبدل في لحظة التغير. فالحالات التي يكون فيها الاحتكاك مرتبطاً بالسرعة أو عدد السكان في حالات ديناميكية هي حالات تكون فيها المنظومة خطية. فإذا كان الاحتكاك مرتبطاً بالسرعة وتغير السرعة بالاحتكاك المؤثر على سرعة الجسم، فإن تغير السرعة مرتبط بإذن بالسرعة نفسها. في مثل هذه الحالات وبخاصة عندما تكون المنظومة مفتوحة، تظهر تصرفات وتغيرات غير متوقعة. فمثلاً تتغير مقاومة الهواء لحركة البندول بمكعب سرعة البندول، فإن تم تسليط قوة من الخارج إلى هذا البندول فإن هذه القوة -بعد حد معين من مقدارها- تؤدي إلى حركة فوضوية للبندول الذي يقوم بحركات غير متكررة بعدد لانهائي، ولا يمكن معرفة المدارات التي يرسمها هذا البندول ضمن مستوى معين ذي بُعدين. لذا فإن من خصائص النظم الفوضوية أنها تقوم بتحقيق جميع البدائل المختلفة والممكنة عندما يكون هناك زمن كافٍ.

قانون الأنتروبيا

تناولت الفيزياء الكلاسيكية -في أغلب الأحوال- النظم المتوازنة، ووضعت قوانين الديناميكية الحرارية حسب هذه النظم. أحد هذه القوانين -وربما أهمها- هو قانون "الأنتروبيا". والأنتروبيا يعد مقياساً للفوضى، وهو يزداد على الدوام في النظم المغلقة. فإن طبقنا هذا القانون على الكون ككل نقول: إن الكون كان في بدايته منظماً بدرجة كبيرة، ثم بدأت الفوضى بالزيادة فيه، وفي النهاية عندما تتساوى الحرارة بين كل أجزائه^(٤) تتوقف جميع الفعاليات والتفاعلات. أما النظم المفتوحة، أي النظم التي تأتي إليها الطاقة والمادة من الخارج، فهي نظم غير مستقرة في الأغلب، وهي -حسب الديناميكية الحرارية- نظم أهمل تدقيقها، كما أن تدقيقها صعب بدرجة كبيرة. وقد اهتم العالم "بريغوغين" وأصدقائه بهذه النظم وتوصلوا إلى نتائج تسترعي الانتباه. فالدوامات التي تحصل في نهر سريع الجريان، والدوامات الهوائية،



والأعاصير التي تحصل في الطبقات الجوية، والأشكال المعقدة التي يشكلها بندول متحرك، والأشكال الزخرفية المعقدة التي تتشكل بعد بعض التفاعلات الكيميائية، أمثلة على البنى المعقدة التي تُشكلها المنظومات غير المستقرة نتيجة قوى خارجية تؤثر فيها. ولكن يجب معرفة التعاريف العلمية والتكيفية للمصطلحات الواردة هنا من أمثال "المنظومة" و"المعقد" و"النظم المستقرة وغير المستقرة" وملاحظة معاني هذه المصطلحات والتعاريف. فمثلاً يعرض لنا نهر يسيل ببطء سيلاً هادئاً ومستقراً، ولكن ما إن تزيد سرعة التدفق عن حد معين حتى تتشكل الدوامات فيه، أي تظهر هنا بُنى جديدة وهي بنى الدوامات. ولما كانت هذه البنى الجديدة معقدة التركيب وأكثر ديناميكية، لذا يقال: إن النهر أصبح أكثر نظاماً من حاله الأول القريب من الركود، أي إن درجة النظام في أي منظومة تقاس بمقدار تعقدها وليس ببساطتها. ولا يعني التعقيد هنا، الفوضى وعدم النظام، بل هو مصطلح يعبر عن ارتباط أجزاء عديدة ارتباطاً بنوياً ضمن علاقات خاصة لتحقيق مهمات معينة. ولا شك أن هذه المصطلحات لا تزال مبهمة من الناحية العلمية، ولم يتم التوصل حولها إلى إجماع في القبول. ولكن هناك مساع عديدة تبذل حالياً حولها، وهي محل اهتمام خاص. فإن أردنا التلخيص نقول بأن الاحتكاك الذي يعد في نظر فيزياء نيوتن (أي الفيزياء الكلاسيكية) عنصراً ضاراً يعوق الحركة والطاقة ويعمل ضدهما.. هذا الاحتكاك يؤدي إلى تشكيل منظومات جديدة وبنى معقدة في بعض المنظومات المفتوحة وغير المستقرة. ثم إن الاحتكاك والمقاومة وغيرها من القوى غير المرغوب فيها عادة قد تلعب دوراً في توليد النظام، وهذا يشير إلى وجود الجمال والفائدة في كل شيء بالمعنى المطلق.

خواص النظام الفوضوي وتجربة لورنز

أهم خاصية من خواص النظام الفوضوي كونه مرتبطاً بظروف بدايته بشكل حساس، وأفضل مثال على هذا ما نراه في التقلبات الجوية. ففي الستينيات عندما بدأ استعمال العقول الألكترونية (الكومبيوتر) لأول مرة حاولوا الوصول إلى تخمين التقلبات الجوية بوضع الظروف الجوية المختلفة في أنموذج ووضع برنامج لحل هذا الأنموذج. قام أحد أخصائي الأنواء الجوية واسمه "أدوارد لورنز" بوضع برنامج بسيط أراد من ورائه الوصول إلى تخمين التقلبات الجوية. وما حدث له كان إشارة إلى ولادة علم جديد. كان "لورنز" يعلم أن التقلبات الجوية تجري حسب قوانين معينة. لذا وضع في جهازه للعقل الألكتروني أنموذجاً للتقلبات الجوية، ووضع ١٢ معادلة مرتبطة بتقلبات الحرارة والضغط وسرعة الرياح... إلخ. كان يأمل منها حل العلاقات الموجودة بين هذه العوامل المتغيرة والمؤثرة في التقلبات الجوية والتوصل إلى تنبؤ صحيح للأحوال الجوية. فقد تم التوصل مثلاً إلى تواريخ ظهور مذب "هالي" وموقعه بالنسبة للعالم في كل مرة بشكل مسبق، وذلك باستعمال قوانين نيوتن بعد حساب كتلة الشمس وكتل كواكب المجموعة الشمسية ومواقعها وسرعاتها...

إلخ، لذا خطر بالبال بأننا إن قمنا بمعرفة الشروط المختلفة للأنواء الجوية -التي تشكل منظومة أعقد من مثال مذنب "هالي" - من خلال تثبيت الآلاف من أجهزة قياس الحرارة والضغط وغيرهما من العوامل المؤثرة في الأنواء الجوية في مختلف الأماكن، ومعرفة هذه الظروف والشروط في فترة زمنية محددة، وأدرجنا هذه المعلومات في العقل الإلكتروني، استطعنا التنبؤ مسبقاً بالأحوال الجوية المتوقعة بعد فترة أو بعد زمن محدد. والعنصر الوحيد الذي يمكن أن يؤدي إلى مشكلة هو مدى صحة المعلومات والقياسات التي نحصل عليها في البداية، والبعد قدر الإمكان عن أخطاء القياسات الأولية. ولكن كان من أهم فروض العلم الكلاسيكي ما يأتي:

"إن كنا نعلم الوضع الأولي لمنظومة ما بشكل تقريبي، وكنا نعرف أيضاً القوانين السارية فيها، استطعنا معرفة التصرف التالي للمنظومة بشكل تقريبي". يقول أحد علماء الفيزياء النظرية: "من أهم أسس التفكير العلمي الغربي هو أننا عندما ندقق حركة كرة بيلاردو فوق منضدة، نستطيع أن نهمّل حركة سقوط ورقة في كوكب في مجرة أخرى، لأنه يمكن إهمال التأثيرات الصغيرة جداً". واستناداً إلى هذا الأساس قال علماء الأنواء الجوية بأن المعلومات التقريبية ستعطي لنا معلومات تقريبية أو نتائج تقريبية عند حساب التوقعات الجوية.

كان "لورنز" يفكر هكذا أيضاً، لذا سجل المعلومات الأولية في جهازه مراقباً ما ستكون عليه الأحوال الجوية. وفي أحد الأيام أوقف حساباته لأنه كان يريد فحص بعض أجزاء نواحي تطور وتغير الأنواء الجوية. ثم عاد إلى جهازه وأدخل فيه النتائج التي توصل إليها حتى تلك اللحظة. شغل جهازه ثم خرج للترويح عن نفسه وشرب القهوة. وعندما رجع بعد ساعة رأى شيئاً لم يكن يتوقعه، فالخطوط البيانية التي كانت تشرح وتشير إلى حالة الأنواء الجوية منذ قيامه بوضع حساباته، كانت تختلف عن الخطوط البيانية الجديدة، أي إنها اختلفت بعد مرور فترة زمنية عليها، وكان هذا يؤدي إلى اختلاف كامل في التوقعات بعد عدة أشهر. فكّر في الوهلة الأولى أن هناك عطلاً ما في جهازه، ولكنه فهم ما حدث بعد حين. تذكر أنه عندما ألقم جهازه بالمعلومات استعمل معلومات تقريبية؛ فمثلاً بدلاً من أن يلقم جهازه بعدد (٥٠٦١٢٧)، ألقمه بعدد تقريبي له هو (٥٠٦). وهذا التقريب الذي يبلغ أقل من جزء من ألف جزء تقريبا مقبول

في الأقمار الصناعية المخصصة للأنواء الجوية. وقيام هذه الأقمار بتسجيل الحرارة بكفاءة جزء من ألف جزء من درجة الحرارة يعد نجاحاً كبيراً. غير أن خطأً في الأرقام وفي المعلومات يبلغ جزءاً من ألف جزء يكبر بمضي الوقت حتى يبلغ هذا الخطأ مائة بالمائة، أي إن جميع المعلومات الأولية المسجلة تصبح دون أي فائدة جراء هذا الخطأ الصغير أو هذا التقريب.

لذا فلنحسب تقلبات الجو المستقبلية بدقة، علينا أن نعرف القيم الأولية بدقة كبيرة. وهذا ينطبق على أي منظومة ديناميكية أخرى، غير أنه بينما يكبر الخطأ بمرور الزمن في النظم الخطية بشكل خطي، يكبر الخطأ في النظم غير الخطية بشكل يتعلق بمعادلة المنظومة، أي إن زيادة الخطأ في النظم غير الخطية تكون بشكل متسارع جداً بحيث يستحيل تخمين التقلبات الجوية لزمن طويل؛ لأن الخطأ يكبر هكذا في منظومة من الدرجة الثانية (١٠)، (١٠٠، ١٠٠٠، ... إلخ).

فكّر بعض الباحثين بأننا إن استخدمنا نماذج متقدمة للأنواء الجوية وأجهزة كومبيوتر متقدمة جداً سنحصل على تخمينات أفضل ولمدة أطول. لذا استخدموا في الولايات المتحدة الأمريكية كومبيوتراً متقدماً جداً اسمه (Control Data Cyber ٢٠٥) حيث يستطيع إجراء ملايين العمليات في الثانية الواحدة، بينما كان الكومبيوتر البدائي الذي استخدمه "لورنز" يستطيع إجراء ٦٠ عملية فقط في الثانية. وبينما اكتفى "لورنز" باستعمال ١٢ معادلة، فقد حوّل الكومبيوتر العملاق (٥٠٠,٠٠٠) معادلة. وتناولت هذه المعادلات حساب كل المتغيرات المتعلقة بالجو بدءاً من تغير الحرارة نتيجة تكاثف الرطوبة، إلى تأثير الجبال على هبوب الرياح... إلخ. وانفالت المعلومات وقياسات المتغيرات الجوية (حرارة، ضغط، ريح... إلخ) من جميع الولايات الأمريكية ومن الطائرات في الجو ومن الأقمار الصناعية ومن السفن إلى هذا الكومبيوتر العملاق. ومع كل هذه المحاولات والجهود فلم ينجح تخمين التقلبات الجوية إلا لمدة يومين أو ثلاثة أيام فقط. ثم ابتعدت هذه التخمينات بعد هذه المدة عن الواقع. أما بعد أسبوع فلم تعد للتخمينات أي قيمة.

نظرية تأثير الفراشة

وهناك مصطلح "تأثير الفراشة" وضع بشكل نصف جدي ونصف هزلي، وهو يقول بأن فراشة عندما تهرج جناحيها في



"طوكيو" فليس بمستبعد أن تحدث هذه الهزة عاصفةً في "نيويورك" بعد شهر. وذلك لبيان كيف أن الأنواء الجوية نظام فوضوي ومعقد وتؤثر فيه عوامل عديدة جداً، وكيف ولماذا يستحيل تخمين التقلبات الجوية بعد فترة معينة بسبب تضاعف التأثيرات والمتغيرات والأخطاء الدقيقة والصغيرة جداً، وتضخمها بسرعة كبيرة. والأمر الذي نريد التنبيه إليه هو أن العواصف لا تتشكل بتأثر التيار الهوائي التي تحدثها الفراشة، لأن الطاقة موجودة في الجو، ولكن المهم توجيه هذه الطاقة. أي إن حدوث تغيرات عديدة في الجو مرتبطة بالظروف والشروط الموجودة في بداية النظام بشكل حساس جداً. وهناك عملية حسابية أخرى تذكر أن غياب تأثير قوة جاذبية إلكترون واحد في مجرة أخرى في الطرف الآخر من الكون، قد يحدث بعد ثلاثة أو أربعة أشهر عواصف في كوكبنا. وكما ظهر آنفاً، فقد تبين خطأ المقولة العلمية الكلاسيكية الغربية: "إن علمنا القوانين الأساسية المؤثرة في منظومة، وكنا نعلم الظروف الأولية لها بشكل تقريبي نستطيع حساب التطورات المتوقعة لها بشكل تقريبي حسب الفترات الزمنية القادمة". لأن بعض المنظومات مرتبطة بشروطها وظروفها الأولية ارتباطاً وثيقاً وحساساً جداً. لذا فأنت لكي تعرف ما ستؤول إليه هذه المنظومة فيما بعد، يجب أن تعرف ظروفها الأولية والشروط المحيطة بها معرفة خالية من أي خطأ وبشكل مفصل تماماً. وبما أن الأنواء الجوية منظومة من هذه المنظومات، فإننا مهما حاولنا جمع المعلومات الحساسة والدقيقة حولها، فهناك مقدار زمني إن مرّ عليها فلا تكون لهذه المعلومات أي قيمة. ومن المستحيل أن يزيد هذا المقدار الزمني على بضعة أسابيع في أي حال من الأحوال. لذا فإننا نعلم الآن لماذا كان هطول الغيث -وهو جزء من الأنواء الجوية- في القرآن الكريم يعد من "المغيبات الخمس". من ثم فإننا نقول بأن الحقائق القرآنية لا تشيخ ولا تبلى بمرور الزمن، بل تتوضح أكثر، وإن تقدّم العلم في المستقبل سيقدم لنا فهماً أعمق لما جاء في القرآن الكريم. ■

(٥) باحث في جامعة الفاتح / تركيا. الترجمة عن التركية: أورهان محمد علي.

الهوامش

(١) فمثلاً عندما تريد مراقبة حركة إلكترون فإنك لن تشاهد الإلكترون إلا إذا أرسلت لها فوتوناً ضوئياً، ولكن هذا الفوتون عندما يصطدم بالإلكترون يغير من مكان وموضع الإلكترون، فلا يمكن معرفة موضع الإلكترون وعزمه الحركي معاً. (المترجم)

(٢) مثلاً يعد الكون نظاماً مغلقاً لأنه لا تأتيه طاقة من خارجه، أما الأرض فتعد نظاماً مفتوحاً لوصول طاقة الشمس إليها من الخارج. (المترجم)

(٣) المنظومة الخطية: هي المنظومة التي يكون فيها المجهول من الدرجة الأولى، مثال: $x=y+5$ ، والمنظومة غير الخطية: هي المنظومة التي يكون فيها المجهول من الدرجة الثانية أو أكثر، مثال: $y^3+x^2=x+5$ أو $y=-x^2+x+20$.

(٤) لأن هناك انتقال مستمر للحرارة في الكون من الأجسام الساخنة -كالشمس- إلى أجزاء أبرد منها. ويستمر هذا الانتقال حتى تتساوى درجة الحرارة في جميع أرجاء الكون، وهذا يعني موت الكون. (المترجم)

بروحك ارتق وإلى أعلى الشماثل خذها.. جدد مناقبها واشحن
طاقات علياتها.. ولأنها للخلود مرصودة وبالأبد موعودة..
فاحفظها من الزلل وصنها من الخطأ وعنهما طريقة عين لا تفعل..

المسوّف

بجاء رمضان كريم

أكثر من مرة تشاءب، تغطى، فرقع أصابع
يديه، فرك عينيه.. وهم بالنهوض وترك
الفراش.. غير أن شيئاً ما كان يمسك
بألبسه ويمنعه من الحراك.. أوه.. هذه أمي.. أسمع وقع
خطواتها على السلم.. وكالعادة ستهال عليّ فويحاً ونوقر
سمعي بمواعظها.. ما أطيب الفراش وما أطيب الدفء الذي
يشيعه في نفسي وجسمي.. ها هي تقف قبالة سريرتي:
- اغض يا بني.. ما هذا الكسل؟ نحن الآن في الظهيرة..
أنسيت أم أرى أنك تناسي.. الامتحانات على الأبواب..
قم وذاكر دروسك بكميك كمال..
- حسناً يا أمي اسمعت إليك.. اتركني الآن، دعيني
أكمل يومي، وسأنقص بعد ذلك وذاكر كما تريدني!
عادة "المسوّف" هذه صارت طابع حياتي، لم يستطع
تبدلها وراء ظهره حتى وهو طالب جامعي، حيث كانت

سبأ في تأخره عن زملائه في كل شيء. وفي أحد الأيام رحاه أحد زملائه أن يصحبه إلى الجامع لأداء فريضة الجمعة، فوحي بهذا الرجاء. وعلى الرغم من أنه يدرك أن "الموت" إذا جاء فلا يمكن أن يقول له: انتظر قليلاً، أو من فضلك تعال عدداً حتى أتمكن من استكمالك... فقد ردّ على زميله:

- اذهب أنت اليوم، ولكي أعدك أني سأناشر الصلاة في وقت لاحق وربما أصطحبك وقتذاك إلى الجامع...

وغادر كليته بعد فشله مستين متاليتين، وهام على وجهه لا يدري ماذا يفعل، ولكن واحداً من زملائه اصطفيه إلى صديق له من رجال الأعمال ورجاه أن يلحقه بعمل ما ليعناش منه.

مضت الأيام والسنون فإذا به يتزوج ويرق بأطفال يقوم بتربيتهم ورعايتهم. وحين نصحه صديقه أن يزيد من اهتمامه بأطفاله ويوجههم الوجهة الحميدة تعلل - كما هو شأنه دائماً - بأن أطفاله لا زالوا صغاراً وأنه سيعمل ذلك عندما يكبرون قليلاً. وعندما كبر هؤلاء الأطفال وباتت تزورهم أسئلة كثيرة لا يعرفون جواباً عنها، ويسألون ويلحون بالسؤال على والدهم، اكتشف الوالد نفسه، وعرف أنه لم يكن على دراية ليحب أولاده عما يختلج في أذهانهم من إشكالات في الدين والحياة، وأنه حالي الوفاض لا يكاد يعرف شيئاً مما ينبغي أن يعرفه كل أب للأخذ بأيدي أبنائه إلى الطريق المستقيم. لم يجد بداً من التردد على المكتبات والاستعانة ببعض الكتب التي يمكن أن تزوده بما هو يفتقر إليه من علم وثقافة. اختار بعضاً من هذه الكتب وأراد أن يدفع أثمانها، توقف قليلاً وتردد وقال في نفسه: "إن ما معي من النقود لا تغطي ثمن هذه الكتب، إذن سأشترىها عندما تتوفر لي النقود اللازمة"، ثم ترك الكتب ومضى لشأنه. وعندما توفرت له النقود لم يحضر بهال العودة إلى المكتبة واقتناء الكتب التي اختارها في المرة الأولى.

وبعد فترة طويلة، وبينما كان ذاها لعمله، شاهد متسولاً معاقاً، وفكر في إعطائه بعض النقود إلا أنه قال في نفسه: "أستطيع أن أعطيها له عند العودة".

وبينما كان يقترب من عمله سمع صوت المؤذن،

وكان أحد أقربائه قد توفي.. اغتم من داخله وفكر قائلاً: "إن الموت سوف يصيبني ذات يوم، والعمر يمر بسرعة..". ثم سأل نفسه: "ألم يكن الوقت بعد لدفع منطلقات روحي المقدسة؟".. كان رده بلا تردد: "نعم، ولكن المشاغل في هذه الفترة كثيرة للغاية، ليأت فصل الصيف ونخفف من مشاغلنا عندها لمكر، كما أن أيام الله لا تنهي!" وبينما كان يمر في طريقه بين الأكواخ أثناء العودة من العمل شعر في داخله تمرارة، وتذكر سنوات المشقة، "يا إلهي! ما سبب تلك الدموع؟".. لم يتحمل ثقل المشاعر أكثر من ذلك، ففاضت عيناه بالدموع، وعندما بلغت طاقة عمله حثاً على ركبته واستمر في الكاء.

وتصدعت روحه بأحاسيس لا يمكن وصفها.. مسح عيبيه وشم قائلاً: "لعلني أستطيع تدوين هذه المشاعر والأحاسيس على الورق لأنها تشكل صفحة مهمة من تاريخ حياتي" ولكنه أردف بقول: "ذات يوم سأفعل ذلك".

كان يوماً يساوي ألف شهر، ولكن عليه أن يعلم أنه لكي يتمكن من الوصول لذلك اليوم، يجب أن يعرف قدر كل يوم، وأن يبدل جهده في كل خطوة.

وذات يوم حرق صوت المؤذن سكون الحى، فأقبل الأصدقاء من كل مكان حتى امتلأ صحن المسجد بهم لحضور صلاة الجمارة. كان معروفاً لدى أهل الحى.. ذاك الرجل الذي فقد حياته أثناء دهايه لعمله نتيجة ارتطامه بسيارة كان يقودها سائق مستهتر.. اصطفوا للصلاة عليه، وأثناء الصلاة فكر صديق له كان يحبه ويصحه دائماً بأن لا يوحل عمله لعد.. ذكر الرجل الذي لم يعط أيامه أهمية وأمضاها بقوله دائماً: "يوماً ما".

وعندما بدأت الجماعة في التفرق اقترب صديقه من التابوت، ووضع بسده عليه بالرغم من نظرات الإمام وهمس قائلاً: "أواه يا صديقي ألم تكن تعلم أن الموت بطاردنا وأن لا ملاص منه، وها أنت اليوم تلقاه كما سلقاه نحن من بعدك"...

... كاتب وديب تركي. الترجمة عن التركية بتصرف د. سمير زهران، أديب إبراهيم النماح.



في القلب يا حراء

عادل سعيد القدسي *

ق

من أي رحم مبارك تخرجين؟ إنه ذات الرحم المبارك الولود، رحم مكة والمدينة ودمشق وإسطنبول والقاهرة وإسلام آباد... جئت أنا "حراء" .. ملياً دعوتها يحدوني شوق وشوق عارم نحو بلد الإسلام. وقلعته الحصينة تركيا.. قطعت نحو "حراء" مئات الكيلومترات وكلّي رغبة لمعرفة هذا البلد الحبيب الذي انقطعت أو تقطعت به السبل نحو أهله وإخوانه، مثلما كان يحدوني للمحيي ويدفعني رغبتني كرجل فضولي أقصد إعلامي هو أن أدس أنفي -المعذرة- (أريد قلمي) في شأن هذه المجلة الحبيبة إلى قلبي، وأن أجد منها "موطئ قلم" أشارك فيها كاتباً أو مراسلاً.. أو -حتى- محرراً ومن قلب المعركة "تركيا" .. وهو حلم -لو تعلمون- عزيز.. وما ذلك على الله بعزيز..

وفي ندوة "حراء" .. برغم الطقس البارد.. برغم غربة الوجوه وتنائي الديار شعرت بدفء عجيب.. بخنان وحب..

"حراء" التي اقتحمت بنا فندق "خمسة نجوم" حولت ذلك الفندق بما فيه بكل ما فيه إلى نجوم لا تعد ولا تحصى..

ما أحياها تلك الوجوه المؤمنة التي جاءتنا من بلد الإيمان والخير والعطاء من تركيا ومن القاهرة ومن الجزائر..

ما أحياها هذه المجلة تتقدم هذا الموكب الكريم ويقدم أبنائها حفلة بلغة راقية.. لغة فصيحة تكاد تغيب عن عالمنا العربي القح!!

لك الله "حراء" .. لك الحاضر وكل المستقبل.. ووعد نقطعه أن نكون مع "حراء" .. نلبي دعوتها.. ننشر فكرتها.. وهو أقل الواجب.. وأضعف الإيمان.. ■

قبل أشهر من الآن أتتني "دعوة حراء" .. دعوة لحضور ندوة في صنعاء حول "حراء" المجلة - أعني- لا حراء الغار.. وأنا أنظر في تلك الدعوة الكريمة.. أقلب فيها ثقلتي حينها مشاعر لذيذة، أحاسيس رائعة.. شدتني تلك المشاعر والأحاسيس من جميع أقطاري.. نقلتني على جناح الحب من دنياي التي أستقيم عليها.. دنيا الناس والدواب.. إلى دنيا غير الدنيا، إلى عالم غير العالم، من عالم البشر إلى عالم الملائكة انتقلت.

يا الله يا الله ما أحياه ذلك الانتقال، ذلك التحليق.. من عالم بائس يائس تعيس مليء بالصراعات بالتناقضات، إلى عالم طاهر شفاف.. بلون الحب يتشكل، و"حراء" -إن كنتم لا تعلمون- مجلة ورقية مصقولة.. وبالألوان حملت هذا الاسم الرائع، وحملت معه شهباً كبيراً به.. على نحو ما قيل: "لكل امرئ من اسمه نصيب".

ما إن تصافح عينيك أو تصافحها حتى تلتهمها.. و"من الغلاف للغلاف" .. من الجلدة للجلدة كما تقولون..

المهم.. لبيت "دعوة حراء" .. وبين يدي "حراء" لا تكون إلا التلبية والحضور الفوري.. وسمعاً وطاعة يا "حراء" ..

وجئت "حراء" .. جئتها روعي قبل جسدي تسبقني، جئت وأفكار رأسي تراحمني.. أي "حراء" !! من قلب الصحراء أنت، من عمق البادية ولدت، من وراء الذكريات والتاريخ تحضرين فتية قوية لكأنك ابنة لحظتك.. تجيئين بعد ألف وأربعمائة عام وتزيد من السنين أنيقة متجددة تجيئين..

ومن أين تجيئين "يا حراء"؟ .. من أين تجيئين؟..

(*) كاتب صحفي من اليمن.

- غيوت هاطلة على جمرات الوجدان وانداء على تهران الاشواق.
- من اعظم ما سطره قلم على لوحة الوجود الانساني.
- المترجم بصدق عن هواتف الروح وافات القواد.

مولانا

جلال الدين الرومي

أ.د. جيهان أوكويوجو



دار الفيلك





إن مَنْ عرف طريقه، وعرف الهدف الذي يتوجه إليه، وكان واثقاً من القوة التي يستند إليها.. استطاع أن يرقى إلى الذرى ويتجاوزها فيصل إلى الشاهقة مرات ومرات.. تصغر الأرض تحت أقدامه، وتفتح السماوات صدرها لعرفانه، وتتحول العوائق إلى جسور تنقله إلى أهدافه..





قوانا الذاتية



قد لا يكون في وسعنا أن نفهم أو نفيس القوى العظيمة التي تنطوي عليها الأمة حين نقف على ما يطفو على سطحها من ظواهر عادية قد لا تثير اهتمام أحد. وهذه الظواهر لا تعني أن القوى غير العادية والخارقة في دواخلها ليست موجودة؛ بل هي موجودة، غير أنها مصنونة عن الأنظار وفي حاجة إلى صاحب النظر النافذ والحاد لكي يقاربها، ومن ثمة يبرزها للعيان. إن تعاساتنا وإحباطاتنا المتتالية قد تشكل حاجزاً يعشي أنظارنا فلا نستطيع النظر إلى الأعماق من ذاتية الأمة وتكويناتها الذهنية والوجدانية المطمورة في أعماقها، لذلك فكل جهد يبذل من أجل تحديد النظر إلى ذاتية الأمة وأعماقها التاريخية والحضارية فهو جهد مشكور وهو بالتالي يسهم في عملية الانبعاث المرتقب. فمقال أستاذنا فتح الله كولن في مفتتح "حراء" "نحو عالمنا الذاتي" يهدف في جملة إلى تحديد الأمل في عظمة الأمة وبانبعاتها عندما تتوفر عوامل هذا الانبعاث كما يراها الأستاذ. وأي انبعاث لا يستند إلى القرآن والسنة المطهرة جهد ضائع لا يفضي إلا إلى المزيد من الإخفاق والإحباط، ومن هنا جاء اهتمام الشعوب الإسلامية غير العربية بالقرآن وبلغة القرآن. وكان الأستاذ الدكتور خالد الصمدي موفقاً في الإشارة إلى هذه المعاني في مقاله "لغة العرب أم لغة القرآن". والأستاذ البوطي، هذا القلب الحزين والكسير يناجي ربه مناجاة مقتطعة من حنايا روحه، وإلها بالتأكيد ستشيع في قراء "حراء" حزناً سامياً محبباً يذكرهم بالعجز والافتقار إلى رحمة الجليل القهار. ولا نكاد ننتهي من هذه المناجاة حتى يطالعنا أديب الدباغ بصفحة من صفحات "نثره الفني" ذي النفس الشاعري عن "درويش في بلاد الأناضول" وهو مترع بالرمزية والإيمائية إلى معانٍ يعجز القلم في كثير من الأحيان عن الإفصاح عنها. ونخرج من هذه "الرمزيات والإيمائيات" لنعود إلى شاعرة الإيماء والرمز سعاد الناصر في قصيدتها الجميلة "همس الورود" وإلى "نبيلة الخطيب" في قصيدتها "طوبى"، ثم إلى كبير شعراء المغرب العربي الأستاذ حسن الأمrani في قصيدته الرائعة "مكة"، والمغربي الآخر الأستاذ الكبير فريد الأنصاري في مقاله الرائع عن "فلسفة العمر"، ومن هنا نخرج لنطالع "فلسفة الإسلام في التعايش مع الآخر الديني والثقافي" للأستاذ الكبير والباحث الجاد الدكتور محمد عمارة الذي لا ينفك يتحفنا بروائعته الإسلامية التي يتلمذ عليها آلاف القراء في العالمين العربي والإسلامي.. إلى جانب مقالات أخرى تثرى حياتنا الفكرية والإيمائية، ومن الله التوفيق. ■

العدد التاسع - السنة الثالثة (أكتوبر - ديسمبر) 2007

مجلة علمية ثقافية فصلية تصدر عن
Işık Özel Eğitim Tic. Ltd. Şti.
İstanbul / Türkiye

صاحب الامتياز

أنس أركنه

mergene@hiramagazine.com

المشرف العام

نوراد صواش

nsavas@hiramagazine.com

رئيس التحرير المسؤول

هانئ رسلان

hraslan@hiramagazine.com

مدير التحرير

أشرف أونن

oonen@hiramagazine.com

المخرج الفني

مراد عراباجي

marabaci@hiramagazine.com

المركز الرئيسي

HIRA MAGAZINE

Emniyet Mah. Huzur Sok.

No:5 34676 Üsküdar

İstanbul / Turkey

Phone: +902163186011

Fax: +902163184202

hira@hiramagazine.com

الاشتراكات/مركز التوزيع

٧ ش البرامكة - الحي السابع - م. نصر/القاهرة

تليفون وفاكس: 20222619204

جمهورية مصر العربية

sub@hiramagazine.com

نوع النشر

مجلة دورية دولية

Yayın Türü

Yaygın Süreli

الطبعة

Çağlayan Matbaası

İzmir- Türkiye

Tel: +90 (232) 252 20 96

رقم الإيداع

١٨٧٩-١٣٠٦

التصور العام

- حراء مجلة علمية ثقافية فصلية تعنى بالعلوم الطبيعية والإنسانية والاجتماعية وتجاوز أسرار النفس البشرية وآفاق الكون الشاسعة بالمنظور القرآني الإيماني في تألف وتناسب بين العلم والإيمان، والعقل والقلب، والفكر والواقع.
- تجمع بين الأصالة والمعاصرة وتعتمد الوساطة في فهم الإسلام وفهم الواقع، مع البعد عن الإفراط والتفريط.
- تؤمن بالانفتاح على الآخر، والحوار البناء والهادئ فيما يصب لصالح الإنسانية.
- تسعى إلى الموازنة بين العلمية في المضمون والجمالية في الشكل وأسلوب العرض، ومن ثم تدعو إلى معالجة المواد بمهنية عالية مع التبسيط ومراعاة الجوانب الأدبية والجمالية في الكتابة.

شروط النشر

- أن يكون النص المرسل جديداً لم يسبق نشره.
- ألا يزيد حجم النص على ٢٠٠٠ كلمة كحد أقصى، وللمجلة أن تلخص أو تختصر النصوص التي تتجاوز الحد المطلوب.
- يرجى من الكاتب الذي لم يسبق له النشر في المجلة إرسال نبذة مختصرة عن سيرته الذاتية.
- تخضع الأعمال المعروضة للنشر لموافقة هيئة التحرير، ولهيئة التحرير أن تطلب من الكاتب إجراء أي تعديل على المادة المقدمة قبل إحازتها للنشر.
- المجلة غير ملزمة بإعادة النصوص إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر، وتلتزم بإبلاغ أصحابها بقبول النشر، ولا تلتزم بإبداء أسباب عدم النشر.
- تحتفظ المجلة بحقوقها في نشر النصوص وفق خطة التحرير وحسب التوقيت الذي تراه مناسباً.
- النصوص التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- للمجلة حق إعادة نشر النص منفصلاً أو ضمن مجموعة من البحوث، بلغته الأصلية أو مترجماً إلى أي لغة أخرى، دون حاجة إلى استئذان صاحب النص.
- مجلة حراء لا تمنع في النقل أو الاقتباس عنها شريطة ذكر المصادر.
- يرجى إرسال جميع المشاركات إلى هيئة تحرير المجلة على العنوان الآتي:

hira@hiramagazine.com

المحتويات

| | |
|----|---|
| ٢ | نحو عالمنا الذائبي / فتح الله غزلن |
| ٥ | لغة العرب أم لغة القرآن / أ.د. خالد الصمدي |
| ٨ | همس الورود / د. سعاد الناصر |
| ٩ | كيف يتنفس الكون؟ / أ.د. زغلول النجار |
| ١٢ | الأستاذ النورسي والبعد الجمالي في أسلوبيات القرآن الكريم / أ.د. عماد الدين خليل |
| ١٧ | جمالية العمارة في الثقافة الإسلامية / أ.د. بركات محمد مراد |
| ٢١ | طوبى / نبيلة الخطيب |
| ٢٢ | حضارتنا الإسلامية... من المرض إلى النهضة / أ.د. عبد الحليم عويس |
| ٢٦ | مكة / أ.د. حسن الأمراي |
| ٢٧ | مناجاة قلب كسير / أ.د. محمد سعيد رمضان البوطي |
| ٣٠ | درويش في بلاد "الأناضول" / أديب إبراهيم الدباغ |
| ٣٢ | مراكز النشاط الاقتصادي في الدولة العثمانية / د. ناظم إيتيه |
| ٣٦ | فلسفة العمر / أ.د. فريد الأنصاري |
| ٤٠ | أنا معدة عبد الله / أ.د. عرفان يلماز |
| ٤٤ | أعراض الوحي المنزل على ذات النبي المبجل: محمد ﷺ / د. رابع المغراوي |
| ٤٧ | الفروق الجنسية في العملية التربوية / شمس الدين بولات |
| ٥١ | شهادات استشراقية أنصفت الحضارة الإسلامية / د. عماد عجوة |
| ٥٤ | فلسفة الإسلام في التعايش مع الآخر الديني والثقافي / أ.د. محمد عمارة |
| ٥٩ | الثالثة إلا عشر دقائق / محمد ساجد أرواسي |
| | الانتصار الأخير / عمر فاروق كولدرن |
| | واحة القراء |

إهداء ٢٠٠٨

دار النيل للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة



فتح الله گولن

العالم، وباعتبار الأمد الطويل خاصة، هو عالمنا ودياننا نحن. إن عالمنا هذا -بعد أن عانى على مدى قرون من أزمات وزلازل مديدة- ما زال قادراً -رغم كل شيء- على تحقيق تكوين في الحاضر من جديد؛ وما برح يحمل في كيانه قوة كامنة للانبعاث من جديد؛ ولديه من تراكم وخزين معرفي وخبرة حضارية ما يؤهله لإرشاد ما حوله من التكوينات الجديدة؛ ومن جانب آخر إن قيادته للأمم آماداً مديدة تركت فرصاً مكتسبة

لقد تكرر الكلام كثيراً عن دعاوي البناء من جديد في عهود وأزمان متعددة وبقاع متنوعة من الأرض وبغاوين مختلفة. ولكن يبقى صدق هذه الدعاوى قابلاً للأخذ والرد ومفتوحاً للنقاش في كل وقت. إلا أن هنالك عالماً يوفي عملية البناء حقها... بتناول واحتضان الوجود وما وراء ستار الوجود، والإنسان والحياة جميعاً، عالماً حرّاً وطيّقاً من كل القيود المذكورة آنفاً. ولا ريب أن هذا

من القبول الكامن تحت الشعور في الشعوب المنقادة له منذ الزمن الغابر، وعالمنا هو مقتدر على استعمالها اليوم. أجل، إنه جاهز تمامًا بالقيام بدوره، لكن عليه أن يستعمل بشكل صحيح وسليم مرة أخرى الحركات التاريخية التي تُعدّ دَمَ هذا الماضي العظيم العريق ولحمه.

كان عالمنا يسبق عصره بخطوات واسعة في العلوم الطبيعية والدينية، وفي التصوف والمنطق، وفي تخطيط المدن والجماليات، وفي كل مجال ومضمار، بدهاءٍ نفشوا الوجود كالخوارزمي والبيروني وابن سينا والزهرراوي؛ وبأساتذة الفقه والحقوق كأبي حنيفة والإمام محمد والسرخسي والمرغيناني؛ وبذوي استعدادات اجتازت المعايير الإنسانية وعاشوا في محور الوجدان بتغليب مزيج القلب والمنطق على المنطق الصرف كالإمام الغزالي والرازي ومولانا جلال الدين الرومي والشاه النقشبند؛ وبأبطال المحاكمة والفتنة كالإمام الماتريدي والتفتازاني والجرجاني والدواني؛ وبعمالقة الفن كالمعمار خير الدين والمعمار سنان وعطري وديده أفندي.. إن هذا العالم يُمكنه -بعد هذه الفترة العابرة- أن يحرك مجددًا كل الأرواح والأدمغة المنورة، فيحقق النهضة العالمية الثانية أو الثالثة.

أجل، إن عالمنا هذا يستطيع أن يفتح صفحة جديدة بالتوصل إلى تفسير جديد للكون من خلال الإحساس بالروح الإسلامي ومعناه؛ وإلى فكر ماورائي عالمي (كوني) من خلال الأجواء العميقة والربانية للتصوف؛ وإلى التيقظ والتمكين اللذين يكسبان الإنسان قيمة فوق القيم، من خلال المحاسبة والمراقبة الإسلامية؛ وإلى جمالية تتقبلها وتتبنّاها الجماهير، من خلال المدن وتخطيطها بحيث نتمكن نحن عبرها من التعبير عما بدواخلنا ويتمكن غيرنا من فهم ما أودعنا فيها من المشاعر؛ وإلى أذواق بديعية حقيقية أصبحت أخروية ولطيفة ومتّحدة بعالم الماوراء، من خلال الفن الذي ينقش في كل مكان الروح والمعنى، ويتحرى في نقشه عن اللاهائي. نعم، يستطيع عالمنا أن يفتح هذه الصفحة الجديدة، على الرغم من أنه يبدو عملاً غير يسير.

التخلية والتحلية

نعم، إننا لن نقدر على أن نفتح الصفحة الجديدة من غير انتزاع

التصورات والأفكار المنحرفة السائدة في أراضينا منذ سنين وسنين، مثل إضناء الحياة الروحية وإذوائها بدرجة كبيرة، وتعطيل عمل معانينا الدينية؛ ووضع الأقفال على ألسنة القلوب بتّسية الوجد والعشق تمامًا، ولجوء المثقفين المفكرين والدارسين إلى المادية الوضعية الكثيفة وانحباسهم فيها، وإحلال التعصب والتنطع محل الصلابة والثبات في الحق، وحتى في طلب الآخرة والجنة، طلبها بنظر دوام السعادة الدنيوية المعتادة!

وليس المقصود من هذا القول أننا عاجزون عن انتزاع اللوثيات اللاصقة بأرواحنا في القرون الأخيرة، بل الإفادة بأن بلوغ برّ الأمان عسير غاية العسر ما لم نتخلص كأمة من أسباب ودواعي انهيارنا وانحلالنا الحقيقية، مثل الحرص والكسل وطلب الشهرة وشهوة السلطة والأنانية والميل إلى الدنيا وغيرها من الأحاسيس والمشاعر، وما لم نتوجّه إلى الحق بما يُعدّ جوهر الإسلام وحقيقته كالاستغناء والجسارة ونكران الذات والاهتمام بهم الآخر والروحانية والربانية، وما لم نُصِفْ بمشاعر الحق ونصبّ في قلبه... لكن العسر الشديد لا يعني المحال. فما لم تخل الساحة -وهي ليست خالية فعلاً- من شجعان مالكين لإرادة تجديدية تحتضن العصر، مع الحفاظ على الجوهر واللب، فسيتحقق -لا شك- هذا التجدد والتغيير... تجدد وتغير ذو أبعاد قرآنية وسجّايا فطرية... سيتحقق هذا بحيث يعجز عن ممانعته الجموع المنغلقة تجاه هذا التصور والمصرّة على هذا الانغلاق، تعجزهم عن صد التيار.

أرواح عظيمة ونهضات عظيمة

فإن النهضة العالمية التي عرفناها وعلمنا بها حتى اليوم، كانت ثمرة سعي الدهاء الفردي، لا حملات الكتل البشرية وحركاتها... فقد كانت التجديدات والتغيرات التي بلغت حد الانفجار أحياناً في السنوات المتعاقبة بعد ظهور الإسلام، من آثار عدد قليل من الأرواح الفذة والعقول الذكية الاستثنائية والأفكار الممتازة التي سمقت في العهد الأموي والعباسي، كما كانت هذه الفكرة الواسعة والروح العميقة والفطرة البراقة خلف التحرك والتكون المنبعث عن المركز في العهد الإيلخاني والقره خاني والسلجوقي والعثماني. إن المسلك الذي افتتحه هؤلاء الرواد



الذين ظهوروا بمعنوية عالية في كل مرحلة من المراحل، تحوّل بعد لأيٍ ومدةٍ إلى مدارس وتيارات تنفخ روح البناء من جديد في الكتل البشرية. فتابع من سار خلفهم طريق أولئك الأرواح المرشدة وتعقبوا درب أفكارهم، وانخسرت الحشود على أثرهم، ولجأوا إلى إقليمهم الوضاء. فعاش هؤلاء المرشدون العظام مع الحشود وكأنهم الروح والدم منهم. أما في مراحل أفول الأدمغة العظيمة السامقة هذه، وغياب مَنْ يسدّ فراغهم من بعدهم، فإن الذهول وتفحم الفكر وعقم التجديد أصاب المجتمع بكل أصنافه وطبقاته، وأصبح التجدد من قبيل المستحيلات.

وفي هذه الأثناء، إذ تتحول الأيام إلى الربيع، ويتبع الفجر فجرٌ، ينتعش أملنا وانتظارنا، فندعو ربنا تعالى أن يهبنا إرادةً مؤيدةً بالمشيئة تُعيننا في إقامة صرح روحنا، وجعل قلوبنا خضراء كبروع الجنة، والسموّ بقلوبنا إلى فهم أسرار حرم الألوهية، وأن يُلهم أمتنا طريق التجدد في خط السير المحمدي عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

الأمل المشرق

إن سعيًا لتحقيق هذا الأمل وانتظارنا له هو حقنا وواجبنا ومقتضى إيماننا. ولكن من اللازم علينا أثناء استعمال هذا الحق والإيفاء بهذا الواجب أن نراجع ماضينا المجيد باستمرار، ونلجأ إلى قيمنا التي جعلت أمسنا زاهرًا بالعظمة. فعندما حقق الغرب نهضة كهذه في مسيره نحو المدنية الحاضرة، التجأ إلى المسيحية واتخذ اليونانية مثالاً وتزاوج مع الرومانية القديمة. نرى أشباه هذه الأسس في الحضارات الأخرى في كل زمان. إذن سنلجأ نحن أيضًا إلى ماضينا وجذور معانينا ونقتبس من مثلنا الروحية التي لم يتكدر صفاؤها بتعاقب الزمان. وسنأخذ من إبداعات عصورنا البيضاء التي نراها الفصول الزمنية الذهبية ومصدر فخرنا الأبدي، من الفكر الفلسفي إلى الحقيقة الصوفية، ومن طبيعة متعلقات الدين المستقرة إلى بعده الأخلاقي... وسنزيد بغزل النقوش على أردية مرفلة تسربل المستقبل. في هذه النقوش يتجاور "مولانا جلال الدين الرومي" مع "التفتازاني"، ويسجد "يونس أَمْرَة" مع "مخدوم قولي"، ويضمّ "فضولي" إلى صدره "محمد عاكف". ويقف "الأمير أولوغ" تحية لـ "أبي حنيفة"،

ويجلس "الخواجه الدهاني" قبالة "الإمام الغزالي"، ويلقي "ابن عربي" وردة على "ابن سينا"، ويفيض "الإمام الرباني السرهندي" ببشري "بديع الزمان النورسي"... يتوحد عمالقة الأفكار لهذا الماضي العظيم بقاماتهم العملاقة، فيهمسون في آذاننا طلاس الخلاص والانبعاث.

المأمول أن نكتشف الشعور والفكر والمنهج والفلسفة التي تجمع كل هذه، وأن نجد أسلوبنا السماوي والخالد. من أجل ذلك، أرى - قبل كل شيء - أن نعيد النظر في طرقنا التي نسلكها، وأن نجدد إعمارها.

فمن الأسس المهمة لنهضتنا: إلهام العشق والشوق وبركتيهما؛ ومتانة "العقل والمنطق" ورصانتها اللتان تبعثان الأمان؛ واستقرار وإنسانية الحرية والعودة إلى الذات؛ والبعد التجريدي والعمق والدقة، ومحور المنطق، وروح الوحي في فننا وفلسفتنا.

محركات الانبعاث

وفي الطريق نحو هذا التجدد، جعل رضا الله غاية الآمال، وتفضيل الروح على البدن، وجعل النفس تحت إمرة القلب؛ محرك أساسي لتفعيل مشاعر الشعور بالواجب.. وحب إنساننا وأوطاننا حرص لا يستغنى عنه.. والأخلاقية زاد حيوي في المسير لا يترك أبدًا.. والكائنات والإنسان والحياة: كتابٌ مخفوف بالأسرار لا يُكف عن نبشه. بمختلف أبوابه وفصوله تحت منشور القرآن البلوري.. والإنسان بسجاياه وقيمه البشرية الحقيقية مصدر مهم للقوة.. وكون الطرق الموصلة إلى الهدف والغاية - متناسبًا مع حقانيتها ومقدّسيتها - في محور القرآن والسنة، ضمانٌ للثبات على النهج الصحيح.

وإن أمورًا يمكن أن نسميها بصفة طيبة لخلاصنا، مثل: أن نهتم بمستقبل وطننا وإنساننا، ونجهد في تغيير مصيرنا الذي ساء منذ قرون، ونحيي أجسادنا بالروح الذي يهدف عجن مجتمعا وتشكيله، ونفتح صفحة تاريخية نقية لأمتنا... هي شيء من الأسس لحضارة ورؤيا تجددية تفوق المدن الفاضلة. وسنعرض هذه الأسس بشيء من التفصيل في فصل يأتي. ■

(٤) الترجمة عن التركية: عوني عمر لطفي أوغلو.

لغة العرب أم لغة القرآن

د. خالد الصمدي

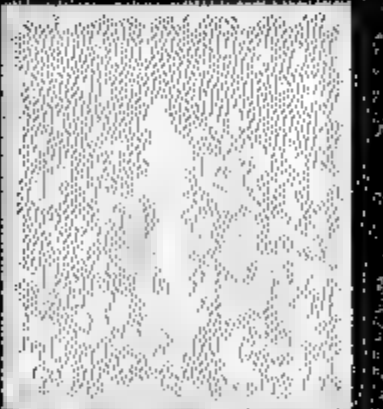
نقر في ليلة من ليالي الندوة نقرات خفيفة على باب غرفة الدكتور فاروق حمادة بالفندق في غسق الليل، سائلا عن طريقة الدخول في الإسلام، وبقي الرجل مشدوها أمام بساطة الإجراءات التي لا تتعدى غسلا مسسونا والنطق بالشهادتين، وفي فرح طفولي سارع الشيخ إلى غرفته ولم يغمض له جفن ليلتها فرحا بعد أن نطق بالشهادتين، واختار لنفسه من الأسماء "البشير" وبات ليلته الأولى مسلما عن اقتناع، وكان أن زف الخبر للحاضرين صباحا في الجلسة العلمية الأولى من اليوم الثالث للندوة، تحت أصوات مكبرة وحالات من التأثر والفرح ظاهرة.

أما الموقف الثاني فقد جرى بأقاصي بلاد الله بعاصمة دولة "قرغيزستان" سنة ١٩٩٧ وفي مسجد عظيم البناء والزخرفة بالعاصمة "بيشكك". هذا البلد (لمن لا يعرفه) ذو أغلبية مسلمة بنى أهله ألف مسجد في جميع أنحاء البلاد في ظرف خمس سنوات من الاستقلال، بعد أن كان الشيوعيون قبل الاستقلال لا يسمحون ببناء أي مسجد جديد، بل ولا يسمحون حتى بترميم

أربعة مواقف متباعدة في الزمان والمكان وحدثها الفكرة والعبرة، وشكلت صورة مكتملة تسمح باستنتاجات وخلاصات جيدة تستند إلى واقع

الممارسة في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بالعربية من طرف مدرّسي وموجهي هذه المادة في البلاد غير العربية، كما تستند إلى معاشة ميدانية في دورات تدريبية أقيمت ببعض هذه البلدان.

أول هذه المواقف ذاك المشهد الرائع الذي لن ينساه طلبة كلية الآداب بتطوان بالمملكة المغربية سنة ١٩٩٣ حين أعلن مستشرق روماني جاوز السبعين من عمره إسلامه بمدرج العلامة "عبد الله كنون" مقتنعا بعظمة القرآن الكريم، وهو الذي اشتغل به وعاشه ثلاثين سنة يحاول ترجمته، وأقر في نهاية الأمر أن ذلك مستحيل، معززا استنتاجه بشواهد علمية. وقد استمع إلى نتائج وخلاصات جهوده، وخلاصات جهود أكثر من عشرين باحثا و مترجما شاركوا في الندوة الدولية في موضوع ترجمة معاني القرآن الكريم التي نظمت بالكلية، وانتهى التفكير بالرجل إلى أن



القائم منها والذي أصبح آيلاً للسقوط. وسمعتُ من ابن مفتي البلد وقتها أن السلطات كانت تمنع من يقل سنه عن الأربعين من الذهاب إلى صلاة الجمعة، وكان ابن المفتي وبعض من صحبه يتسللون إلى المسجد في غسق الليل ليأخذوا اللغة العربية والعلوم الإسلامية عن الإمام الذي لم يكن سوى أبيه المفتي الذي أصبح اليوم طاعنا في السن.

شرفني هذا الابن وبحضور أبيه شاهد العصر، الحاضر بين المصلين في مكان خاص به، بإلقاء كلمة في المصلين قبل خطبة الجمعة، فسرت بذلك، والتزم فضيلته بالترجمة، وما إن شرعت في حمد الله والصلاة على محمد بن عبد الله ﷺ باللغة العربية حتى فوجئت بعشرات العيون تذرف الدموع، ولما أتممت كلمتي سألت فضيلة المفتي عن سر ذلك فقال لي: "إن هؤلاء حين يسمعون أحدا يتكلم اللغة العربية فإن أعينهم لا ترى فيه إلا صحابيا جليلا قدم للتو من أرض الرسالة، وربما يتخيلون من فرط الشوق أن يده لامست يد رسول الله ﷺ". ثم أردف قائلا: "ثم إنهم يقولون إنكم معشر العرب إن لم تقوموا بواجبكم في نشر الإسلام ليعذبكم الله تعالى مرتين، أولاها لأنكم موقنون برسول بعث منكم وبين أحضانكم، والثانية لأنكم تقرأون القرآن بلغته التي أنزل بها وبدون واسطة وهو ما يتيح لكم فهمه وتدبره حين يحرمون هم من ذلك".

وقد تركتُ بهذا البلد رجلا مسلما متقاعدا من الجيش الروسي اشتغل مستشارا عسكريا في سوريا في السبعينات، ويدرس اللغة العربية ساعتها بجامعة قرغيزستان، يشتغل بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة القرغيزية، وأهداني مشكورا جزءاً من هذا العمل، ولست أدري هل أتمه أم لا، وكل رجائه أن تسارع منظمة إسلامية إلى طبع عمله عند الانتهاء منه، أسأل الله تعالى أن يحقق أمله.

أما الموقف الثالث فهو حضوري لحلقة نقاش علمي عالي المستوى بين علماء الفقه والشريعة والحديث والقرآن الكريم بـ"داكا" عاصمة "بنغلادش"، المشاركون في الدورة التدريبية الوطنية في بناء مناهج التربية الإسلامية التي تعقدها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة "إيسيسكو"، وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية في الفترة الممتدة سنة ٢٠٠٤. وقد تركز النقاش في موضوع شائك يقول: ما الأكثر فائدة في التعامل مع القرآن الكريم في البلدان غير الناطقة بالعربية؟ هل ترجمته إلى لغة البلد؟

أم تعلم اللغة العربية؟ وأجمع المشاركون بعد نقاش مستفيض إلى أن المسلك الرشيد هو تعلم اللغة العربية لأنها لغة الوحي، ورغم أن المسألة مكلفة جهداً، وبطيئة وقتاً إلا أنها في نظرهم أبقى أثراً، دون إنكار فائدة الترجمة لكنها دون الخيار الأول أهمية.

أما الموقف الرابع فهو حالة الانتظار القاسي الذي فصل بيني وبين زميلي الدكتور رشدي طعيمة خبير تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها بباب الجامعة، حين كنا في زيارة علمية للجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا سنة ٢٠٠٤، الذي استأذني في زيارة خاطفة لأحد الأساتذة الباحثين المصريين في قسم اللغة العربية بالجامعة، وبعد طول انتظار قررت الانطلاق في رحلة البحث عن هذا القسم، وبجهد جهيد في ردهات وبنيات الجامعة الزرقاء المترامية الأطراف وسط غابة استوائية، وفي ظل جهلي باللغة الإنجليزية أو الملاوية لغتي التخاطب بالجامعة، واختلاط الجنسيات، ساقني القدر إلى مكتب فاخر كتب على بابه "قسم لغة القرآن". وقفتُ مشدوها أمام هذا الاسم الرائع الذي جعل مساحة اللغة العربية تعادل مساحة الوحي، لا تحدها قومية ولا حدود جغرافية. فساح عقلي في فضاء لامتناه كما لا يتناهى خطاب الوحي في الزمان والمكان، ولم أستفق من هذه اللذة المعرفية إلا على الصوت الجمهوري للدكتور طعيمة وهو يفتح الباب مودّعاً رئيس القسم الذي كان بالمناسبة أحد طلابه بالجامعة. قال صديقي الدكتور رشدي: "عذرا صديقي فقد عانيت في البحث عن القسم كما عانيت -ولا شك- في البحث عني، فقد اكتشفت أنه لا يوجد بهذه الجامعة "قسم اللغة العربية"، قلت: "بالعكس أشكرك على هذا التأخر الذي قادني إلى اكتشاف هذه الفائدة الرائعة"، ثم خاطبت رئيس القسم قائلا: بالله عليكم كيف اخترتم هذا الاسم على غير عادة الأسماء المعروفة في الجامعات العالمية "قسم اللغة العربية". قال: "هذا يدخل ضمن الإستراتيجية التربوية للجامعة، ويكفي أن تعلموا أن هذا الاسم كان وحده كافياً كي يُقبل الطلاب على القسم بنسب تضاعف الإقبال على الأقسام الأخرى، لأنهم يدرسون هنالك لغات قومية ويدرسون هنا لغة القرآن نخطاب الله إلى كل القوميات.

الخلاصات والاستنتاجات

إن هذه المواقف الأربعة تسمح بالخلاصات والاستنتاجات التالية



التي آمل أن تشكل مداخل رئيسية لإعادة النظر في جهود تعليم اللغة العربية وترجمة معاني القرآن الكريم:

١- لا تغني ترجمة القرآن الكريم إلى أي لغة عن سعي المسلمين من أهلها إلى تعلم اللغة العربية، لأن قراءة ترجمة معاني القرآن الكريم، لا تعدو أن تكون قراءة في فهم المترجم للقرآن لا لنصه. والترجمة مهما بلغت دقتها لن تنطق بما ينطق به القرآن فعلا. وإن في القرآن الكريم مفاهيم ومصطلحات يعجز المترجمون عن إيجاد مقابلها في ترجمتهم فيخطئ بعضهم في ترجمتها، ويتوقف الآخرون لينقلوها بلفظها نطقا دون ترجمة، وكثير منها يتعلق بعالم الغيب مما لا يسعف المترجم في فهمها إلا إيمانه بالقرآن الكريم كأسماء الله وصفاته والجنة والنار وصفاتهما وعالم الجن والملائكة ومعجزات المرسلين وغير ذلك، مما يبرز الإعجاز القرآني في صورة جديدة دفعت المستشرق الروماني إلى الإيمان بعد جهد كبير وببحث عميق.

٢- إن المنظمات والهيئات الدولية المهتمة بنشر القرآن الكريم، بذلت مجهودات كبيرة في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى جل لغات العالم، وعملت على طبعها وتوزيعها، إلا أننا نعتقد أن هذه الجهود ينبغي أن تدعم بنشر تعليم اللغة العربية في صفوف غير الناطقين بها، علما بأن الملايين من مسلمي شبه القارة الهندية وبلاد الأتراك، وجنوب شرق آسيا مثلا، يحفظون القرآن الكريم عن ظهر قلب دون أن يفقهوا منه حرفا واحدا، ولا أن يكتبوا كلمة واحدة، ومنهم من يقرأ القرآن بالقراءات السبع، ويحفظ الصحيحين، ومع ذلك فهم محرومون من نعمة التدبر والفهم والتفقه، ولذلك سادت بينهم الخرافات والأباطيل المنسوبة إلى الإسلام رغم عنايتهم الفائقة بحفظ القرآن والحديث ولا سبيل لربطهم بالقرآن الكريم فهما وتدبرا إلا بتعلم اللغة العربية.

٣- إن المسلم الذي لا يملك اللغة العربية يظل متلقيا ومقلدا بإطلاق، ولا يمكنه أن يفهم القرآن الكريم ولا الأحكام الشرعية من مختلف مصادر الفقه الإسلامي إلا بواسطة، ويبقى حاجز اللغة بينه وبين الترجيح بين الفتاوى واختيار الأيسر منها، كما يظل حاجزا بينه وبين التجول الواسع في التراث الإسلامي وقراءته قراءة واعية. وهذه الوضعية هي التي جعلت كثيرا من مسلمي أوروبا رهيني قراءة معينة للإسلام، سواء لجماعة معينة أو لطريقة معينة، دون أن يبذل مجهودا لكسب مساحة واسعة من الحرية في قراءة الإسلام من مصادره الأصلية، والاطلاع على الاجتهادات

المختلفة، مع اتخاذ القرار في التمثل والاتباع، ولن تتاح أمامه مثل هذه الفرص إلا بتعلم اللغة العربية.

٤- تفشل خطط تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها لأنها تقدم هذه اللغة في بعدها القومي، فتحصر أهدافها في الاطلاع على الحضارة العربية وعادات وتقاليدها، ويغيب البعد العالمي لهذه اللغة باعتبارها لغة الوحي المنزل للعالمين، والواقع أن نشر هذه اللغة يتعدى البعد القومي ليكون الهدف الأسمى هو الاطلاع على تعاليم الإسلام باعتباره دينا هاديا ومخلصا؛ فاللغة في هذه الحال نافذة الدين ومدخله، وفرق كبير بين أن تربط لغة ما بحضارة قومية معينة، وأن تربطها بدين ذي أبعاد عالمية يسعى إلى أن ينتشر بين الناس عن طريق الحوار والمجادلة والتي هي أحسن.

٥- ينبغي أن تكون لغة تدريس مادة التربية الإسلامية في المدارس العربية في البلدان غير الناطقة بالعربية هي اللغة العربية، لأن في ذلك فائدتين: أولاها فهم الإسلام من مصادره الأصلية، والثانية تقوية اللغة العربية. ونحن نعلم أن كثيرا من أبناء الجالية العربية في أوروبا لا يتكلمون اللغة العربية، ورغم ذلك تقدم لهم حصص التربية الإسلامية بلغة أجنبية، فيحرمون من فرصة لا تعوض للتمكن من اللغة العربية.

ينبغي أن تُستثمر الحاجة إلى التدين بالإسلام إلى تعلم اللغة العربية باعتبارها لغة الوحي تتجاوز البعد القومي بهدف خلق المسلم الحر الذي يحق له أن يبلغ يوما درجة الاجتهاد، أسوة بالعلماء المسلمين غير العرب الذين أسهموا بحظ وافر جاوز حتى العرب أنفسهم في اللغة والحديث والتفسير، وليس مثال سيويه والبخاري ومسلم وغيرهم عنا ببعيد.

والخلاصة: أن دعم جهود تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها له أثره البالغ في التعريف بالإسلام ونشره عند أهله من المسلمين غير العرب، ولدى باقي العالمين من غير المسلمين. وسيعزز ذلك كل الجهود المبذولة في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغات العالم، شريطة أن ننظر إلى اللغة العربية في بعدها العالمي المستمد من عالمية الإسلام وأن نبذل مجهودات كبرى لنقلها من لغة العرب إلى لغة القرآن. ■

(٥) رئيس المركز المغربي للدراسات والأبحاث التربوية الإسلامية / المغرب.



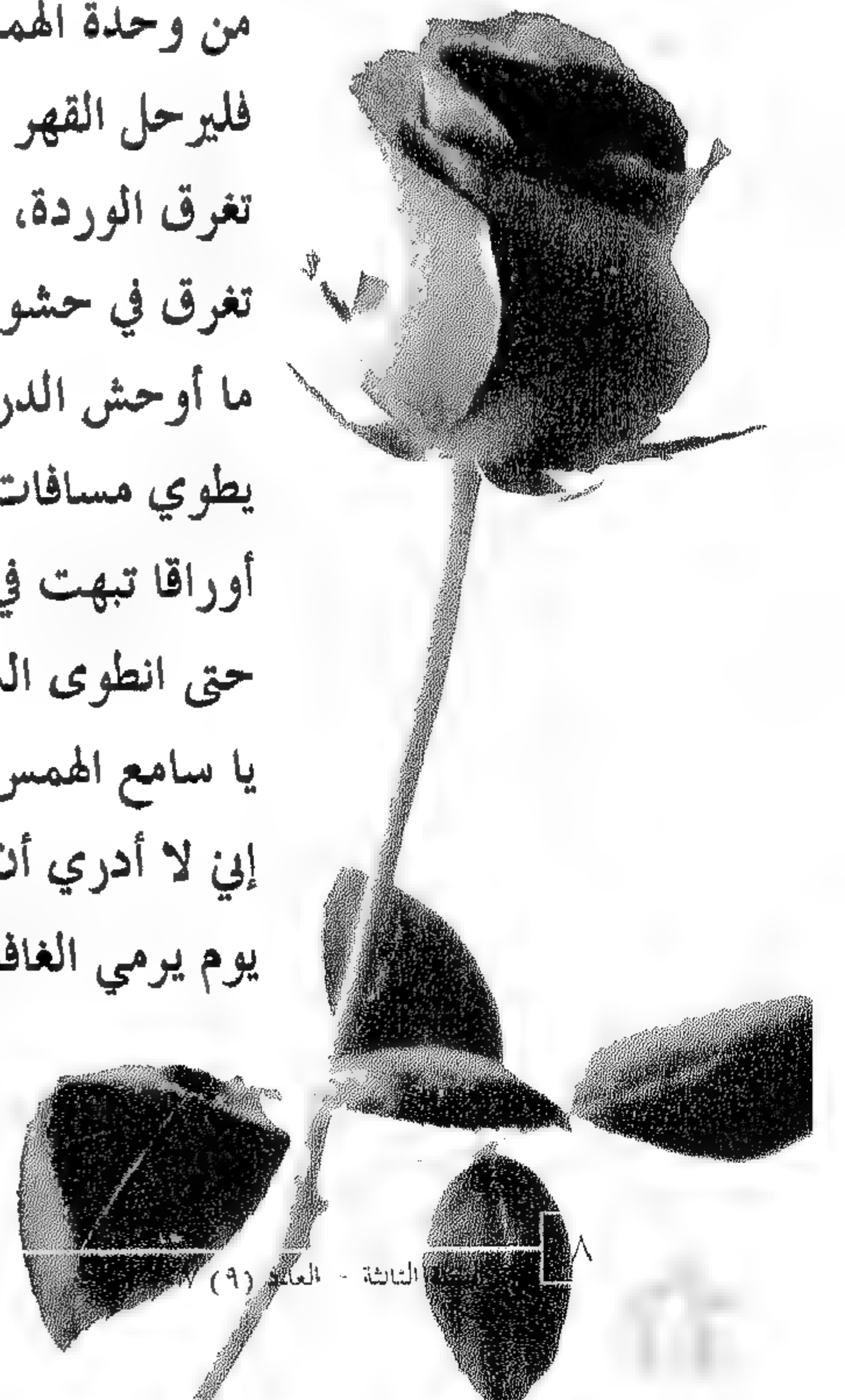
همس الورود

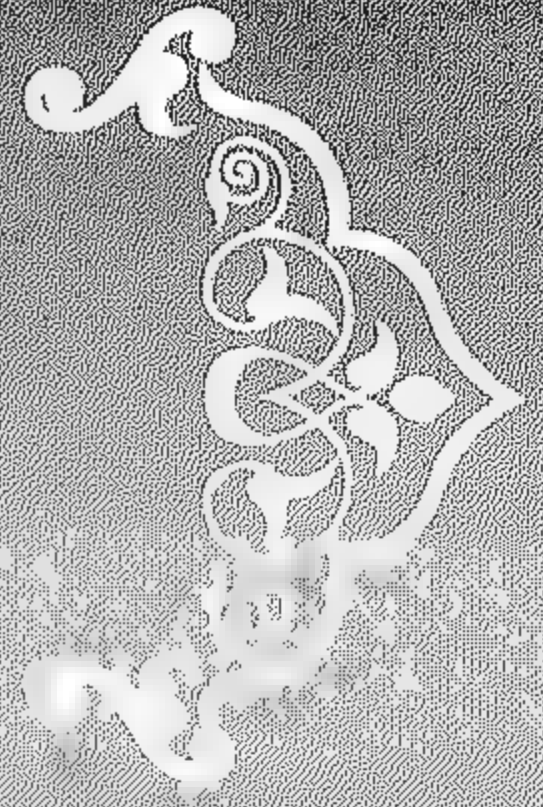
د. سعاد الناصر (أم سلمى) *

وردة حمراء في وحدة الهمس
زحفت فوق الأكف الشائكة...
لكن لن تجرحها،
عن يقين ترفع الحمرة
عاليا عاليا،
فليرحل القهر لن يعود...
وليمضي نحو شطآن الاغتراب،
ولترفع الوردة،
عشق الرؤيا راية،
راية البوح الخالدة،
تفرش الظل قطعاً للأسر...
وردة حمراء في وحدة الهمس،
تنمو، تصعد، نحو النجوم،
وتدق في جوف الأرض البذور،
ومضات تجتر الظلال،
وتزيح الرماد...
لن يدب اليأس في قلبي،
عجبا... ولماذا أعجب؟
وأنا نبتة الغصن السعيد،
لبينا نداء هو الحياة،
فتعالى الروح ولم يقطع الجسد الوصل
بالأرض...

وردة حمراء في وحدة الهمس،
تنمو، تصعد، نحو النجوم،
دغدغت الصمت الكئيب،
تنشر الفوج عبر الرمال،
حلم الصفاء،
فتحت لي الأبواب أنا الوردة الحمراء،
والتقى همس الورود،
في شبائك الحنين..
أحداق الفجر النحيب،
يلقي الهم القديم،
فليرحل الألم... لن يعود...
هذي أنا...
ورؤاي التي حطمت قيد الصمت،
عن يقين ننسج الصوت العالي،
من وحدة الهمس،
فليرحل القهر لن يعود...
تغرق الوردة،
تغرق في حشو الأسى،
ما أوحش الدرب إذا تاه الإنسان وخان!
يطوي مسافات اللذة البائسة،
أوراقا تبتهت في طيف الأفول،
حتى انطوى السعد عبر الحصار،
يا سامع الهمس في عمق البحرا
إني لا أدري أن يوم الخلاص،
يوم يرمي الغافلون عناء البيغاء...

(*) جامعة عبد المالك السعدي، تطوان/ المغرب.





كأن البحر ليكن صدرك... بالإيمان مترعاً...
وبمحبة الإنسان مفعماً... وللقلب الحزين مأوى وموتلاً...
...

كيف يتنفس الكون؟

وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ • وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ

(التكوير: ١٧-١٨)

من الدلالات العلمية للآيتين الكريمتين
أولاً: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾: قيل في الفعل "عسعس" إنه مكون
من مقطعين: "عس، عس" وهو من أفعال الأضداد أو من الأفعال
المشتركة في المعنى لأن من معانيه: أقبل ظلامه أو أدبر. وفي القسم
بإقبال الليل وإدباره إشارة ضمنية رقيقة إلى كل من كروية
الأرض، ودورانها حول محورها أمام الشمس. فلو لم تكن الأرض
كرة، ولو لم تكن تلك الكرة تدور حول محورها أمام الشمس
ما أقبل ظلام الليل ولا أدبر. وهذه الإشارة الضمنية الرقيقة
إلى هاتين الحقيقتين العلميتين من حقائق الأرض وهما كرويتها
ودورانها حول محورها أمام الشمس، هي من الدلالات القاطعة
على صدق القرآن الكريم، وعلى سلامته من أي نقص، خاصة
وقد نزل في زمن سادت الخرافات والأساطير، وغلبت على
أذهان الناس، فرأوا في الحركة الظاهرية للشمس أن الأرض ثابتة
والشمس هي التي تدور من حولها، ورأوا في أبعاد الأرض الكبيرة
شهادة على انبساطها وعدم تكورها. ولم تثبت كروية الأرض
ودورانها حول محورها أمام الشمس إلا بعد تنزل القرآن الكريم
بعدد من القرون المتطاولة، وهذا السبق القرآني بأعداد من الحقائق

﴿وَاللَّيْلِ﴾: "الليل" واحد بمعنى الجمع، وواحدته
"ليلة". "الليل" هو الفترة الزمنية من اليوم الممتدة
من مغرب الشمس إلى طلوع الفجر الصادق كما
حدده القرآن الكريم. والواو في قوله تعالى ﴿وَاللَّيْلِ﴾ هي واو
القسم.

﴿إِذَا عَسْعَسَ﴾: "العساسة" و"العسعاس" رقة الظلام في
طرفي الليل، وعلى ذلك فإن من معاني قوله تعالى ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا
عَسْعَسَ﴾ أي إذا أقبل وأدبر وذلك في أول الليل وآخره.
﴿وَالصُّبْحِ﴾: "الواو" هنا للقسم أيضاً، و"الصبح" هو أول
النهار، ووقت احمرار الأفق بحاجب الشمس؛ أي بما يسبق
طلوع الشمس من الأشعة تحت الحمراء. و"الصبح" ضد المساء.
﴿إِذَا تَنَفَّسَ﴾: أي استنشق الهواء وأخرجه، و"النَّفْسُ"
واحد "الأنفاس" وهي الرياح الداخلية والخارجة إلى الرئتين
ومنها، وبدونها تنقطع الحياة؛ يقال "تنفس" الرجل أي استنشق
الهواء وأخرجه، و"تنفس" الصعداء أي فرج الله عنه كربته حتى
استراح، وكل ذي رئة "مُتَنَفِّسٌ" و"تَنَفَّسَ الصبح" أي تَبَلَّجَ،
و"تَنَفَّسَ النهار" عبارة عن توسُّعه أي امتداده إلى الظهيرة.

العلمية هو ما يعرف باسم "الإعجاز العلمي في القرآن الكريم".
ثانياً: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾: التنفس عملية حيوية يأخذ فيها كل من الإنسان والحيوان غاز الأكسجين من الهواء الجوي ليتم بواسطته أكسدة الدم الفاسد المتحرك إلى الرئتين، وذلك في عملية "الشهيق" التي تتمدد فيها الرئتان تمداً ملحوظاً. ثم يخرج الغازات السامة من مثل غاز ثاني أكسيد الكربون ومعه بعض بخار الماء وذلك في عملية "الزفير" التي تنكمش فيها الرئتان انكماشاً واضحاً. وهذه الآية الكريمة تشبه عملية تمدد نطق الغلاف الغازي للأرض مع بدء طلوع الشمس حتى غروبها، ثم انكماشها مع غياب الشمس إلى طلوع الفجر الصادق بعملية تنفس الأحياء من أمثال كل من الإنسان والحيوان. وهو تشبيه معجز، خاصة وأن نُطِقَ الحماية في الغلاف الغازي للأرض لم تكتشف إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين.

نطاق الغلاف الغازي للأرض

تحاط الأرض بغلاف غازي يقدر سمكه بعدة آلاف من الكيلومترات، ويتناقص فيه الضغط مع الارتفاع من كيلو جرام واحد على السنتيمتر المكعب تقريباً (١,٠٣٣٦ كج/سم^٣) عند مستوى سطح البحر إلى قرابة الصفر عند ارتفاع ستين كيلومتراً فوق مستوى سطح البحر.

وعموماً تحتوي المسافة من سطح البحر إلى ارتفاع ٣٥ كيلومتراً على حوالي ٩٩٪ من كتلة الغلاف الغازي للأرض المقدرة بحوالي خمسة آلاف مليون مليون طن. ويقسم هذا الغلاف الغازي للأرض على أساس من درجة حرارته إلى عدة نطق من أسفل إلى أعلى على النحو التالي:

١- نطاق التغيرات الجوية (The Troposphere):

من مستوى سطح البحر إلى ارتفاع (١٦ كيلومتراً) فوق خط الاستواء، ويتناقص سمكه إلى حوالي عشرة كيلومترات فوق قطبي الأرض، وإلى حوالي (٧-٨ كيلومترات) فوق خطوط العرض الوسطى. وعندما تغيب الشمس فوق تلك المناطق يقلص هذا السمك تقلصاً ملحوظاً. ويحتوي هذا النطاق على حوالي ٨٠٪ من كتلة الغلاف الغازي للأرض، وعلى جميع ما به من بخار ماء. وعندما يتحرك الهواء من خط الاستواء في اتجاه القطبين فإنه يهبط فوق هذا المنحنى الوسطي، فتزداد سرعته. ثم إن حركة الأرض في دورانها حول محورها من الغرب إلى الشرق

تُجبر كتل الهواء على التحرك تجاه الشرق بسرعة فائقة على هيئة تيار هوائي يعرف باسم التيار النفاث. وينخفض الضغط الجوي في قمة نطاق الرجوع إلى عُشر ضغطه عند مستوى سطح البحر، كما تنخفض درجة الحرارة في هذا النطاق باستمرار مع الارتفاع بمعدل ١٠ درجات لكل كيلومتر ارتفاع إذا كان الهواء جافاً، و ٦,٥ (ست ونصف) درجة للهواء المشبع ببخار الماء حتى تصل إلى (-٦٠°م) في قمته فوق خط الاستواء، وذلك نظراً للابتعاد عن سطح الأرض الذي يعمل على تدفئة هذا النطاق بعد غياب الشمس. فسطح الأرض يمتص حوالي ٤٧٪ مما يسقط عليه من أشعة الشمس، فترتفع درجة حرارته أثناء النهار. وعند غياب الشمس تبدأ صخور الأرض في إعادة إشعاع الحرارة التي امتصتها على هيئة أشعة تحت حمراء إلى الغلاف الغازي للأرض خاصة إلى ما به من جزيئات ثاني أكسيد الكربون وقطيرات الماء المعلقة في السحب. فتزداد السحب ٩٨٪ من تلك الأشعة على هيئة "رجع حراري" لولاه لتجمدت الأرض بما عليها من مختلف صور الحياة بمجرد غياب الشمس. ويحد هذا النطاق من أعلى سطحاً افتراضياً يعرف باسم سطح توقف نطاق المناخ، ينتهي عنده فيض الحرارة المناسبة من سطح الأرض.

٢- نطاق التطابق أو التطبق (The Stratosphere):

ويمتد من فوق نطاق التغيرات الجوية إلى حوالي ٥٠ كم فوق مستوى سطح البحر، وترتفع فيه درجة الحرارة من -٦٠°م إلى الصفر المئوي في قمته. وفي قاعدة هذا النطاق توجد طبقة أو نُطِيق الأوزون (Ozonosphere)، وتمتد من ارتفاع ٢٠ كيلومتراً حتى ٤٥ كيلومتراً في المتوسط. وينتهي هذا النطاق عند سطح افتراضي ينتهي عنده التأثير الحراري لطبقة الأوزون، ويعرف باسم خط توقف نطاق التطبق.

٣- النطاق المتوسط (The Mesosphere):

خط توقف نطاق التطابق إلى ارتفاع يتراوح بين ٨٠ كم - ٩٠ كم فوق مستوى سطح البحر، وتنخفض فيه درجة الحرارة إلى -١٢٠°م.

٤- النطاق الحراري (The Thermosphere):

من فوق النطاق المتوسط إلى عدة مئات من الكيلومترات فوق مستوى سطح البحر، وترتفع درجة الحرارة فيه باستمرار إلى ٥٠٠°م عند ارتفاع ١٢٠ كم فوق مستوى سطح البحر، وتبقى



ثابتة عند هذا الحد إلى أكثر من ٦٠٠ كم ثم تقفز إلى ١٥٠٠ م في فترات نشاط البقع الشمسية. وفي أجزاء من هذا النطاق تتأين جزيئات الغلاف الغازي بفعل أشعة الشمس، خاصة الأشعّتين السينية وفوق البنفسجية. ولذا يعرف باسم النطاق المتأين (The Ionosphere).

٥- النطاق الخارجي (The Exosphere): يعرف الجزء الخارجي من النطاق الحراري باسم النطاق الخارجي ويقل فيه الضغط والحرارة بشكل ملحوظ، حتى تصل إلى قرابة الصفر المطلق، ولا يحده إلا نهاية النطاق المغناطيسي للأرض.

٦- النطاق المغناطيسي للأرض (The Magnetosphere): ويمتد من مستوى سطح البحر إلى عشرات الآلاف من الكيلومترات فوق هذا المستوى. وعند قمته تتوقف آثار مغناطيسية الأرض وينتهي الغلاف الغازي للأرض الذي هو خليط من غازات الأرض ودخان السماء. وهذا النطاق يحمي الأرض من الأشعّة الكونية المتجهة نحو الأرض، وما يمسك به من هذه الأشعة يكون أحزمة الإشعاع. وفي النظام المغناطيسي يتضاءل الضغط، وترتفع درجات الحرارة بشكل كبير، ويصل متوسط ارتفاع هذا النطاق إلى (٤٦-١٠٠ كم) فوق مستوى سطح البحر.

٧- أحزمة الإشعاع (The Radiation Belts): وهي عبارة عن زوجين من هلالية الشكل التي تحيط بالأرض، مع زيادة ملحوظة في السمك حول خط الاستواء، ورقة شديدة عند القطبين. وهذه الأحزمة مليئة بالبروتونات والنيوترونات وهي مشحونة أساساً بالبروتونات والإلكترونات التي يصطادها المجال المغناطيسي للأرض من الأشعّة الكونية المتساقطة من الفضاء الكوني في اتجاه الأرض. ويتركز الزوج الداخلي من هذه الأحزمة حول ارتفاع (٣٢٠٠ كم) فوق مستوى سطح البحر، وهو مشحون أساساً بالإلكترونات، بينما يتركز الزوج الخارجي من هذه الأحزمة حول ارتفاع (٢٥٠٠٠ كم) فوق مستوى سطح البحر، ويفصل هذين الحزامين منطقة خالية من الإشعاع.

مكونات الغلاف الغازي

هذه النطق المكونة للغلاف الغازي للأرض تبدأ في التمدد مع بزوغ الفجر الصادق لتصل إلى أقصى درجات تمددها في وقت الظهر، ثم تبدأ في الانكماش حتى الغروب لتصل إلى أدنى سمك لها مع دخول الليل. وهذه الحركات من التمدد والانكماش تشبه

عمل الرئة في مرحلتَي الشهيق والزفير ولذلك عبر عنها القرآن الكريم بالتنفس فقال تعالى ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾. ونطق الغلاف الغازي للأرض لم تكتشف بالكامل إلا بعد زيادة الفضاء في بدايات النصف الثاني من القرن العشرين (سنة ١٩٥٨م)، ولم يثبت تمددها مع طلوع الشمس وانكماشها عند الغروب إلا بعد قياسات عديدة استغرقت جهود مئات من العلماء لعشرات من السنين حتى تأكدوا من ذلك.

وسبق القرآن الكريم بالإشارة إلى هذه الحقيقة الكونية من قبل ألف وأربعمائة سنة - حتى ولو جاء ذلك في مقام التشبيه - لمّا يشهد لهذا الكتاب الخالد بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهد الذي قطعه على ذاته العلية، في نفس لغة وحيه (اللغة العربية)، وحفظه حفظاً كاملاً على مدى يزيد على أربعة عشر قرناً، وتعهد بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً حتى يبقى القرآن الكريم حجة على الخلق أجمعين إلى قيام الساعة بأنه كلام رب العالمين في صفاته الرباني، وإشراقاته النورانية، وصدق في كل ما جاء به. ويبقى هذا السبق القرآني بالعديد من حقائق الكون أيضاً حجة على الخلق أجمعين بصدق نبوة النبي والرسول الخاتم ﷺ. وذلك لأن العلوم المكتسبة لم تصل إلى معرفة نطق الغلاف الغازي للأرض بالكامل إلا في النصف الأخير من القرن العشرين، ولم يعلم شيئاً عن تمددها مع طلوع الشمس وانكماشها عند الغروب إلا بعد مجاهدة العديد من العلماء لعشرات من السنين إلى نهاية القرن العشرين. وفي هاتين الآيتين الكريمتين يبلغ الإعجاز اللغوي والعلمي مداه في اختيار لفظة ﴿الصُّبْحُ﴾ للتعبير عن هذه الظاهرة الجوية فقال ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾.

وذلك لأن تمدد نطق الغلاف الغازي للأرض يكون في أعلى درجاته مع بداية الصبح إلى الظهر، ثم يأخذ في التناقص والانكماش بعد ذلك إلى لحظة الغروب حين يصل سمك هذه النطق إلى أدنى مستوياته. وهذا يدل على الدقة العلمية البالغة في القرآن الكريم والدالة على صدق وحيه وعلى صدق النبي الخاتم الذي تلقاه صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعه ودعا بدعوته إلى يوم الدين. ■

(١) أستاذ علوم الأرض ورئيس لجنة الإعجاز العلمي بالجلس الأعلى للشؤون الإسلامية / مصر.

الأستاذ النورسي

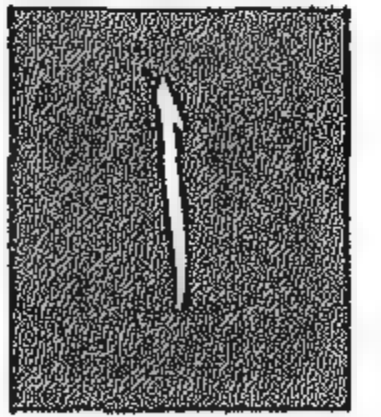
والبعد الجمالي في أسلوبيات القرآن الكريم

أ.د. عماد الدين خليل*

وهو منطقي مرة أخرى لأن خلفيات الفكر النورسي تنبض بعشق الجمال، وتراه انعكاساً مدهشاً للإبداع الإلهي في الكون. وهو (أي النورسي) في وقفته إزاء كتابي الكون المنظور والمقروء، كان يولي اهتماماً ملحوظاً ومؤكداً لمتابعة الملامح والتشكيلات والقيم والمفردات الفنية والجمالية هنا وهناك. إنه مهندس معماري من طراز أول، وإن المرء ليلمس وهو يجتاز رسائله كافة كيف أن رؤيته للعالم والأشياء والكلمات هي رؤية مهندس يلمح ببصيرة ثاقبة وخبرة عميقة عناصر التوازن والتناظر في معمار الكون الكبير والكلمة المعبرة.

الإعجاز البلاغي أو البياني أو الأدبي أو اللغوي أو الفني في القرآن الكريم ينطوي كما هو معلوم على جمالياته الخاصة. وقد كتب في ذلك الكثير، منذ فجر الدراسات القرآنية وحتى اللحظات الراهنة. وهو مع ذلك يتطلب المزيد بالنسبة لكتاب ليس كالكتب وظاهرة جمالية فريدة لا تنقضي عجائبها.

بديع الزمان سعيد النورسي أدلى بدلوه هو الآخر، وكان هذا منطقياً تماماً بالنسبة لرجل تدفقت رسائله المائة والثلاثون من نبع كتاب الله المترع عذوبة وسخاء، ونسجت كلماتها على هديه.



١-النظم

إن النورسي يوظف هنا بعض معطيات ما يسميه المحدثون بنظرية النظم التي بلغت على يد عبد القاهر الجرجاني أقصى حالات اكتمالها في كتابيه المعروفين "أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز".. ويحاول متابعة الارتباط أو العلاقات الداخلية -إذا صح التعبير- في نسيج النص القرآني بين الكلمات والجمل والتعابير والأنساق، فيما عده البعض جهداً بنوياً بشكل من الأشكال.

وفي تفسيره لسورة البقرة في "إشارات الإعجاز" نفذ النورسي محاولة تطبيقية لنظرية النظم هذه في بعض جوانبها، ولكنه في "الكلمات" يكفي بشواهد محددة فحسب حيث لا يتسع المجال للاستفاضة. ومن هذه الشواهد تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَسَّيْنَاهُمْ نَفْحَةً مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٤٦) حيث يقول: "هذه الجملة مسوقة لإظهار هول العذاب، ولكن بإظهار التأثير الشديد لأقله، ولهذا فإن جميع هيئات الجملة التي تفيد التقليل تنظر إلى هذا التقليل وتمده بالقوة كي يظهر الهول. فلفظ ﴿لَقَدْ﴾ هو للتشكيك، والشك يوحي القلة. ولفظ "مَسَّ" هو إصابة قليلة يفيد القلة أيضاً. ولفظ ﴿نَفْحَةً﴾ مادته رائحة قليلة، يفيد القلة، كما أن صيغته تدل على واحدة، أي واحدة صغيرة، كما في التعبير الصربي -مصدر المرّة- يفيد القلة. وتنوين التنكير في ﴿نَفْحَةً﴾ هي لتقليلها، بمعنى أنها شيء صغير إلى حد لا يعلم فينكر. ولفظ ﴿مِنْ﴾ هو للتبعض، بمعنى جزء، يفيد القلة. ولفظ ﴿عَذَابٍ﴾ هو نوع خفيف من الجزاء بالنسبة إلى النكال والعقاب، فيشير إلى القلة. ولفظ ﴿رَبِّكَ﴾ بدلا من القهار، الجبار، المنتقم، يفيد القلة أيضاً وذلك بإحساسه الشفقة والرحمة. وهكذا تفيد الجملة أنه إذا كان العذاب شديداً ومؤثراً مع هذه القلة، فكيف يكون هول العقاب الإلهي؟! فتأمل في الجملة لترى كيف تتجاوب الهيئات الصغيرة، فيعين كل الآخر، فكل يمد المقصد بجهته الخاصة".^(١)

ولا ينسى النورسي أن يشير إلى الأسباب التي قد تحل في الحالات الاعتيادية بقدرة الخطاب على الاحتفاظ بسلامة "نظمه" من الخلل والاضطراب. أما في كتاب الله فإن الإعجاز القرآني يعرف كيف يتمثلها ويطوئها.

فهناك ما يقارب تسعة أسباب: "إذ إن القرآن المبين نزل في ثلاث وعشرين سنة نجما نجما لمواقع الحاجات نزولا متفرقا متقطعا، مع أنه يظهر من التلاؤم الكامل كأنه نزل دفعة واحدة.

عالج النورسي جلّ المسائل والقيم الفنية والجمالية التي عني بها القدماء والمحدثون في دراساتهم البلاغية والأدبية والفنية واللغوية لكتاب الله، بدءاً من الجاحظ والزمخشري والسكاكي والجرجاني وصولاً إلى الخولي وسيد قطب وبن تاطي وعشرات بل مئات غير هؤلاء وهؤلاء... وهو لم يكد يترك واحدة من هذه القيم الفنية دون أن يقف عندها متأملاً، مدققاً، مستدعياً الشاهد الذي يؤكدها.

القيم أو المعطيات البلاغية

ينطلق النورسي في تعامله مع "البلاغة" القرآنية وإعجازها، من الخصائص التي أكدها القدماء والمحدثون: جزالة النظم وحسن متانته، وبداعة الأسلوب وغرابته وجودته، وبراعة البيان وتفوقه وصفوته، وقوة المعاني وصدقها، وفصاحة الألفاظ وسلاستها،^(١) مؤكداً أن "البيئة" التي تنزل فيها القرآن كانت في أشد حالات فصاحتها الفطرية وبلاغتها المطبوعة تألقاً وتمكناً.

لقد عوّض العرب بغياب التدوين ذاكرة حادة، وسلامة في الأداء الشفاهي جعلتهم يتعاملون مع "الكلمة" في سويتها التي لا يشوبها دخل. ولقد عبّر شعرهم، ومعلقاتهم السبع التي وضعت على جدار الكعبة، عن المستوى "البلاغي" العالي الذي بلغوه. فلمّا تحداهم القرآن ليأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة واحدة، وعجزوا عن الاستجابة، كان هذا بحمد ذاته تأكيداً لمعجزة القرآن.^(٢)

كان هناك كما يقول النورسي دافعان في غاية القوة لمعارضة القرآن والإتيان بمثله. أولهما: حرص الأعداء على معارضة كهذه، وثانيهما: شغف الأصدقاء بتقليده. والنتيجة: "لا شيء". وأصبحت محاولة كمحاولة مسيلة الكذاب -رغم أنه من أصحاب البلاغة- مثلاً يتندر به المتنردون وصورة من صور الهذيان الذي لا يستحق الالتفات.

عناصر الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم

يبدأ النورسي بتحليل عناصر الإعجاز البلاغي الخمسة فيبدأ بالنظم هذا الذي وقف عنده طويلاً في كتابه المعروف "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز". ويضرب لذلك مثلاً: عقارب الساعة العادة للثنائي والدقائق والساعات والتي يكمل كل منها نظام الآخر "كذلك النظم في هيئات كل جملة من جمل القرآن، والنظام الذي في كلماته، والانتظام الذي في مناسبة الجمل كل تجاه الآخر".^(٣)

وأيضاً إنه نزل في ثلاث وعشرين سنة لأسباب نزول مختلفة متباينة، مع أنه يظهر من التسانيد التام كأنه نزل لسبب واحد. وأيضاً إنه جاء جواباً لأسئلة مكررة متفاوتة، مع أنه يظهر من الامتزاج التام والاتحاد الكامل كأنه جواب عن سؤال واحد. وأيضاً إنه جاء بياناً لأحكام حوادث متعددة متغيرة، مع أنه يبين من الانتظام الكامل كأنه بيان لحادثة واحدة. وأيضاً إنه نزل متضمناً لتنزلات كلامية إلهية في أساليب تناسب أفهام مخاطبين لا يحصرون، ومن حالات من التلقي متخالفة متنوعة، مع أنه يبين من السلاسة اللطيفة والتماثل الجميل كأن الحالة واحدة والفهم واحد، حتى تجري السلاسة كالماء السلسيل. وأيضاً إنه جاء مكلماً ومتوجهاً إلى أصناف متعددة متباعدة من المخاطبين، مع أنه يظهر من سهولة البيان وجزالة النظام ووضوح الإفهام كأن المخاطبين صنف واحد بحيث يظن كل صنف أنه المخاطب وحده بالأصالة. وأيضاً إنه نزل هادياً وموصلاً إلى غايات إرشادية متدرجة متفاوتة، مع أنه يبين من الاستقامة الكاملة والموازنة الدقيقة والانتظام الجميل كأن المقصد واحد. فهذه الأسباب مع أنها أسباب للتشويش واختلال المعنى والمبنى إلا أنها استخدمت في إظهار إعجاز بيان القرآن وسلاسته وتناسبه..".^(٥)

٢- المعنى

المعنى هو العنصر الآخر في الإعجاز البلاغي للقرآن، يقول النورسي: "تصور نفسك قبل بحبي نور القرآن، في ذلك العصر الجاهلي، وفي صحراء البداوة والجهل، فيبينما تجدد كل شيء قد أسدل عليه ستار الغفلة وغشيه ظلام الجهل ولف بغلاف الجمود والطبيعة، إذا بك تشاهد بصدى قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الحديد: ١) أو ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ (الإسراء: ٤٤) قد دبَّت الحياة في تلك الموجودات الهامدة أو الميتة بصدى ﴿سَبِّحْ﴾ و﴿تُسَبِّحْ﴾ في أذهان السامعين فتنهض مسبحةً ذاكرةً لله. وإن وجه السماء المظلمة التي تستعر فيها نجوم جامدة، والأرض التي تدب فيها مخلوقات عاجزة، تتحول في نظر السامعين بصدى ﴿تُسَبِّحْ﴾ وبنوره إلى فم ذاكر لله، كل نجم يشع نور الحقيقة ويبث حكمة حكيمة بالغة. ويتحول وجه الأرض بذلك الصدى السماوي ونوره إلى رأس عظيم، والبر والبحر لسائين يلهجان بالتسبيح والتقديس، وجميع النباتات والحيوانات كلمات ذاكرة مسبحة حتى لكان الأرض كلها تنبض بالحياة".^(٦)

إن معاني القرآن كلها، بفضاءاتها الفسيحة، يقدمها الخطاب القرآني للناس في كل زمان ومكان بأسلوبياته المتميزة التي هي وحدها كفاء لمضامين هذا الخطاب.

٣- الأسلوب

وهذا ينقلنا إلى العنصر الثالث في الإعجاز البلاغي لكتاب الله: الأسلوب.. إنه غريب وبديع، كما هو عجيب ومقنع: "لم يقلد أحداً قط ولا يستطيع أحد أن يقلده. ولقد حافظ وما يزال يحافظ على طراوته وشبابيته وغرابتة مثلما نزل أول مرة".^(٧) وفي مكان آخر يقف النورسي طويلاً عند إحدى الخصائص الأسلوبية للقرآن، تلك هي "جامعيته" المثيرة للدهشة "حتى إن سورة واحدة تتضمن بحر القرآن العظيم الذي ضمّ الكون بين جوانحه، وإن آية واحدة تضم خزينة تلك السورة، وإن أكثر الآيات - كل منها - كسورة صغيرة، وأكثر السور - كل منها - كقرآن صغير. فمن هذا الإيجاز المعجز ينشأ لطف عظيم للأرشاد وتسهيل واسع جميل. لأن كل إنسان على الرغم من حاجته إلى تلاوة القرآن كل وقت فإنه قد لا يتاح له تلاوته.. فلن لا يحرم أحد من القرآن فإن كل سورة في حكم قرآن صغير. بل كل آية طويلة في مقام سورة قصيرة، حتى إن أهل الكشف متفقون أن القرآن في الفاتحة والفاخرة في البسملة. أما البرهان على هذا فهو إجماع أهل التحقيق العلماء".^(٨)

٤- اللفظ

أما العنصر الرابع فهو "اللفظ". "نعم، إن القرآن كما هو بليغ خارق من حيث أسلوبه وبيان معناه، فهو فصيح في غاية السلاسة في لفظه. والدليل القاطع على فصاحته هو عدم إيرائه السأم والملل، كما أن شهادة علماء البيان والمعاني برهان باهر على حكمة فصاحته".^(٩) ويمضي النورسي إلى القول بأنه "لو كرر ألوف المرات فإنه لا يورث سأم ولا مللاً، بل يزيد لذة وحلاوة. ثم إنه لا يثقل على ذهن صبي بسيط فيستطيع حفظه، ولا تسأم منه أذن المصاب بداء عضال الذي يتأذى بأدنى كلام، بل يتلذذ به وكأنه الشراب العذب".^(١٠)

ويبحث النورسي عن الأسباب وراء تألق اللفظ القرآني ويقول: "إن القرآن قوت وغذاء للقلوب، وقوة وغناء للعقول، وماء وضياء للأرواح، ودواء وشفاء للنفوس، لذا لا يمل.. إنه حق



وحقيقة وصدق وهدى".^(١١) ويضرب على ذلك مثلاً آية واحدة من سورة آل عمران.^(١٢)

وما دام النورسي يتعامل ها هنا مع "الألفاظ" فإنه يجد نفسه ملزماً بالرجوع كرة أخرى إلى "النظم" القرآني الفريد: "نعم، إن الألفاظ القرآنية قد وضعت وضعا بحيث إن لكل كلام بل لكل كلمة بل لكل حرف بل حتى السكون أحيانا وجوها كثيرة جداً، تمنح كل مخاطب حظه ونصيبه من أبواب مختلفة؛ فمثلاً ﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا﴾ (النبا: ٧). فحظ عامي من هذا الكلام أنه يرى الجبال كأوتاد المغروزة في الأرض كما هو ظاهر أمام عينه، فيتأمل ما فيها من نعم وفوائد ويشكر خالقه.

وحصة شاعر من هذا الكلام أنه يتخيل أن الأرض سهل منبسط، وقبة السماء عبارة عن خيمة عظيمة خضراء ضربت عليه، وزُيّنت الخيمة بمصاييح، وأن الجبال تتراءى وهي تملأ دائرة الأفق، تمس قممها أذيال السماء، وكأنها أوتاد تلك الخيمة العظيمة، فتغمره الحيرة والإعجاب ويقدس الصانع الجليل.

أما البدوي البليغ فحصته من هذا الكلام أنه يتصور سطح الأرض كصحراء واسعة، وكأن سلاسل الجبال سلسلة ممتدة لحيم كثيرة بأنواع شتى لمخلوقات متنوعة، حتى إن طبقة التراب عبارة عن غطاء ألقى على تلك الأوتاد المرتفعة فرفعتها برؤوسها الحادة، جاعلة منها مساكن مختلفة لأنواع شتى من المخلوقات. وكذا يفهم فيسجد للفاطر الجليل سجدة حيرة وإعجاب يجعله تلك المخلوقات العظيمة كأنها خيام ضربت على الأرض.

أما الجغرافي الأديب فحصته من هذا الكلام أن كرة الأرض عبارة عن سفينة تمخر عباب بحر المحيط الهوائي أو الأثيري. وأن الجبال أوتاد دقت على تلك السفينة للتثبيت والموازنة. هكذا يفكر الجغرافي ويقول أمام عظمة القدير ذي الكمال الذي جعل الكرة الأرضية الضخمة سفينة منتظمة وأركبنا فيها، لتجري بنا في آفاق العالم: "سبحانك ما أعظم شأنك".

أما المتخصص في أمور المجتمع والملم بمتطلبات الحضارة الحديثة فحصته من هذا الكلام أنه يفهم الأرض عبارة عن مسكن، وأن عماد حياة هذا المسكن هو حياة ذوي الحياة، وأن عماد تلك الحياة هو الماء والهواء والتراب التي هي شرائط الحياة. وأن عماد هذه الثلاثة هو الجبال، لأن الجبال مخازن الماء، مشاطة الهواء ومصفاته إذ ترسب الغازات المضرة، وحامية التراب إذ تحمي من

استيلاء البحر والتوحد، وخزينة لسائر ما تقتضيه حياة الإنسان. هكذا يفهم فيحمد ويقدس ذلكم الصانع ذا الجلال والإكرام الذي جعل هذه الجبال العملاقة أوتادا ومخازن معاشنا على الأرض التي هي مسكن حياتنا.

وحصة فيلسوف طبيعي من هذا الكلام أنه يدرك أن الامتزاجات والانقلابات والزلازل التي تحصل في باطن الأرض تجد استقرارها وسكونها بظهور الجبال، فتكون الجبال سبباً لهدوء الأرض، واستقرارها حول محورها ومدارها وعدم عدولها عن مدارها السنوي، وكأن الأرض تنفس بمنافذ الجبال فيخف غضبها وتسكن حدتها. هكذا يفهم ويطمئن ويلج في الإيمان قائلاً: "الحكمة لله".^(١٣)

٥- البيان

أما العنصر الخامس وهو "البيان" فيقف عنده طويلاً باعتباره جماع العناصر كافة. إنه أعلى مرتبة من مراتب طبقات الخطاب وأقسام الكلام كالترغيب والترهيب، والمدح والذم، والإثبات والإرشاد، والإفهام والإفحام.^(١٤)

"ومن بين آلاف أمثلة مقام الذم والزجر الآية الكريمة: ﴿أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ (الحجرات: ١٢). تنهى هذه الآية الكريمة عن الغيبة بست مرات وتزجر عنها بشدة وعنف، وحيث إن خطاب الآية موجه إلى المغتابين فيكون المعنى كالاتي: إن الهمزة الموجودة في البداية، للاستفهام الإنكاري حيث يسري حكمه ويسيل كالماء إلى جميع كلمات الآية، فكل كلمة منها تتضمن حكماً؛ ففي الكلمة الأولى مخاطب الآية الكريمة بالهمزة: أليس لكم عقل -وهو محل السؤال والجواب- ليعي هذا الأمر القبيح؟. وفي الكلمة الثانية ﴿أَيُّحِبُّ﴾ مخاطب الآية بالهمزة: هل فسد قلبكم -وهو محل الحب والبغض- حتى أصبح يحب أكره الأشياء وأشدّها تنفيراً. وفي الكلمة الثالثة ﴿أَحَدُكُمْ﴾ مخاطب بالهمزة: ماذا جرى لحياتكم الاجتماعية -التي تستمد حيويتها من حيوية الجماعة- وما بال مدنيّكم وحضارتكم حتى أصبحت ترضى بما يسمم حياتكم ويعكر صفوكم. وفي الكلمة الرابعة ﴿أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ﴾ مخاطب بالهمزة: ماذا أصابت إنسانيتكم حتى أصبحتم تفترون صديقكم الحميم. وفي الكلمة الخامسة ﴿أَخِيهِ﴾ مخاطب بالهمزة: أليس بكم رافة بيني جنسكم، أليس لكم صلة رحم تربطكم معهم حتى أصبحتم تفتكون بمن

هو أخوكم من عدة جهات، وتنهشون شخصه المعنوي المظلوم نهشاً قاسياً، أملك عقلاً من بعض أعضاء من جسمه؟ أو ليس هو بمجنون؟! وفي الكلمة السادسة «مَيْتاً» تخاطب بالهمزة: أين وجدانكم؟ أفسدت فطرتكم حتى أصبحتم تجترحون أبغض الأشياء وأفسدها - وهو أكل لحم أخيك - في الوقت الذي هو جدير بكل احترام وتوقير^(١٥).

ثم يخلص النورسي إلى القول بأن هذه الآية يفهم منها: "وبما ذكرناه من دلائل مختلفة في كلماتها، أن الغيبة مذمومة عقلاً وقلباً وإنسانية ووجداناً وفطرة وعصبية وملة. فتدبر هذه الآية الكريمة، وانظر كيف أنها تزجر عن جريمة الغيبة بإعجاز بالغ وبإيجاز شديد"^(١٦).

خاتمة

إن النورسي وهو يتحدث عن البعد الجمالي في أساليب القرآن الكريم ويحاول أن يجزئ المعطى الجمالي بالإحالة على مصطلحات البلاغيين كالنظم والمعنى والأسلوب واللفظ والبيان والتكرار... الخ.. لم يقصد أثباته أن يحصر هذه المعطيات في دوائر تلك الحلقات المحددة في الدراسات البلاغية، ولا أن يخصص للموضوع عدداً من المقاطع والمباحث والرسائل والكلمات، ثم يمضي لمعالجة الموضوعات الأخرى بعيداً عن أطرها أو نبضها الجمالي. ذلك أن الإحساس بالجمال، ورؤيته، والتفاعل معه، وتلقيه، وتحليل أبعاده وعناصره - سواء في كتاب الكون المنظور أو الكتاب المقروء - يهيمن على كلمات النورسي ورسائله من بدئها حتى منتهاها^(١٧). ومن ثم فإن ما يقوله النورسي هنا عن جماليات الأسلوب القرآني، قد ينتشر بالكلمة القرآنية نفسها، جنباً إلى جنب مع الإبداع الإلهي في الكون والعالم، عبر الرسائل المائة والثلاثين جميعاً.

ولكنها ضرورات الدراسة - كما يقولون - تقتضي - أحياناً - من الطرفين: المفكر ودارسيه، تحجيم القيم والمعاني من أجل السيطرة عليها.

ويبقى كتاب الله، قبل هذا وبعده، ينطوي على ما هو أغلى وأعلى وأكثر إثارة للدهشة والإجلال والتقدير: إنه الجلال الإلهي الذي تعجز الكلمات عن تقريب أبعاده للمتلقي، لأنه كلام الله جلّ في علاه، والذي يمكن للمرء أن يلمسه ويحسه وينفعل معه وهو يقرأ في كتاب الله منذ أول كلمة فيه حتى آخر حرف، لكنه

لن يكون بمقدوره أن يصفه، أو يحدده، أو يكتب عنه بما يوازي تماماً حجمه أو تأثيره الحقيقي.

هذا الجلال القرآني الذي ينبض بالجمال... بالتناظر والتناسب، والتوزيع المذهل للأبعاد والمساحات.. هذا التدفق الموصل الذي لا يكف عن الخفقان لحظة واحدة، ولا عن الإيماض لحظة واحدة، ولا عن الوعد بالعجيب المدهش لحظة واحدة.

أليس هو قبل هذا، ومعه وبعده، من عطاء الله الجميل الذي يجب الجمال، والذي لا تنفذ كلماته، والذي إذا أراد شيئاً أن يقول له "كن" فيكون^(١٨). ■

(١٥) كلية الآداب، جامعة الموصل / العراق.

الهوامش

- (١) الكلمات، لبديع الزمان سعيد النورسي، ص ٤٢٤.
- (٢) انظر بالتفصيل: الكلمات ص ٤٣٤-٤٣٦، ٥١٨-٤٢٦، ٥١٩-٥١٩.
- (٣) الكلمات ص ٤٢٦؛ وانظر: إشارات الإعجاز، ص ١٣٤، ٢٠٨.
- (٤) الكلمات ص ٤٢٦-٤٢٧.
- (٥) الكلمات ص ٤٨١-٤٨٢.
- (٦) الكلمات ص ٤٢٩-٤٣٠.
- (٧) الكلمات، ص ٤٣١.
- (٨) الكلمات، ص ٤٥٩-٤٦٠.
- (٩) الكلمات، ص ٤٣٦.
- (١٠) الكلمات، ص ٤٣٦.
- (١١) الكلمات، ص ٤٣٧.
- (١٢) ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (آل عمران: ١٥٤)

(١٣) الكلمات ص ٤٥٢-٤٥٣.

(١٤) الكلمات، ص ٤٣٩.

(١٥) الكلمات ص ٤٣٩-٤٤٠.

(١٦) الكلمات ص ٤٤٠-٤٤١.

(١٧) سبق وأن أُنجز الباحث دراسة بعنوان "الكلمات: رؤية جمالية" تناولت الأسلوب والتقنيات، والموضوع الجمالي في الطبيعة والعالم والكون وقد نشرت في المجلد الخاص ببحوث الندوة العالمية الثانية حول فكر النورسي، إستانبول، دار سوزلر - ١٩٩٣م.

جماليّة العمارة في الثقافة الإسلامية

١. د. بركات محمد مراد

مواصفات خاصة حققها معماريا. وتجلّت واضحة في الفناء الداخلي لمنزله وسكنائه.

ونلاحظ أن الفناء الداخلي في البيت العربي تتجلى فيه معالجة معمارية تحجب الساكن عن جميع تقلبات الطبيعة وتترك له التمتع بالسما والحداء، سماء الشرق وصفائه وسحره وروعته. فإن فكرة الفناء الداخلي نابعة من بذور الفكر الشرقي واستجابة صريحة لمقتضيات المناخ الشرقي. إن الفناء الداخلي أو الحديقة الخاصة التي يتجمع فيها أهل البيت تقوّي من الروابط الأسرية وتزيد بالتالي الشعور بالانتماء للأرض والمجتمع، ويعتبر مسكناً مريحاً يشعر فيه بالخصوصية وتوفير حديقة خاصة أو فناء خاص بكل مسكن حيث ينمو الشعور بالخير، ومراعاة الجار، وبالتالي الإحساس بالانتماء.

نجح فن العمارة الإسلامية في تحقيق التوازن التام بين الجوانب المادية والمشاعر الروحانية من خلال مجموعة من القواعد والأسس والتراكيب التي توصّل إليها كل من المماري والفنان المسلم، وأمكنه من خلالها حلّ مشاكل البناء بحلول فعّالة، متوائمة تماماً مع عقيدته الدينية السمحة، وبما يحافظ على القيم والتقاليد الاجتماعية، وتوظيف معطيات بيئته، أو جلب ما لم يكن متوافراً في بيئته، وتصنيعه وتعديله حتى يتوافق مع قيمه وبيئته.

ولقد حقق معالجة فعّالة في مجال تقنين الضوء باستخدام "المشربية" أو "الروشان" أو "الشنشليل" وكذلك نوافذ الزجاج المعشق بالحصّ. كما تمكن من تحقيق المحافظة على الحياة الجوانية التي يحياها الإنسان المسلم في بيته وبيئته المكانية، من خلال

ن



وكان الفناء في الأغلب يحتوي على فسقية داخل الحديقة، في أشكال هندسية مثمّنة داخل مربع، وإن شكل الفسقية هذا لم يأت صدفة، وإنما اختير - كما يقول أحد الباحثين - لقيمة رمزية؛ فالمنزل بالنسبة للمسلم كان عبارة عن تكوين صغير، وباستخدام الرمز والعناصر المعمارية للتعبير عن نظراته الكونية كان يعتبر القبة رمز السماء، ولهذا ولكي يشد قبة السماء إلى وسط الدار ويجعل قدسيّتها تتسرب إلى الحجرات، فإنه عمل الفسقية على شكل القبة الساسانية مقلوبة لتعكس السماء الحقيقية على أسطح المياه في هذه السماء الرمزية.

هكذا توصل البدوي العربي إلى إدخال الطبيعة والكون اللذين كان دائم الاتصال بهما في حياته البدوية في الصحراء إلى البيت الحضري بواسطة الرمز وتحويل الطبيعة إلى عناصر معمارية، غير أن المعماريين يعتبرون تدفق المياه من نافورة أو سلسبيل هو في حد ذاته رمز للحياة التي يتأملها الإنسان، إضافة إلى أنها تساعد على ترطيب الجو والهواء.

المشربية أشكالها وخصائصها

وقد تميز البيت المصري في العصر الإسلامي -مثلا- بوجود مشربية، تسمح بدخول الهواء ولا تسمح بدخول أشعة الشمس، وعادة ما توضع المشربيات لتغطي المسطح الخارجي للشبابيك أو البلكونات أو الشمعة التي تستعمل للجلوس في الداخل والتمتع بالخصوصية، وتلطيف الرياح دون التعرض لأشعة الشمس. وتعتبر المشربية مظهرا من مظاهر العمارة الإسلامية جاء متوافقا مع الظروف المختلفة للمجتمع الإسلامي.

والمقصود بالمشربية ذلك الجزء البارز عن سميت حوائط المباني التي تطل على الشارع أو على الفناء الأوسط للمنازل الإسلامية بغرض زيادة مساحة سطح الأدوار العليا. ويستند هذا الجزء البارز إلى "كوايل" و"مدادات" من الحجر أو الخشب تربط الجزء البارز من المبنى، بينما تُغطى الجوانب الرأسية الثلاثة لهذا الجزء البارز بحشوات من الخشب الخراط المكوّن من "برامق" مخروطية الشكل دقيقة الصنع تجمع بطريقة فنية بحيث ينتج عن تجمعها أشكالاً زخرفية هندسية ونباتية أو كتابات عربية.

وسميت المشربية بهذا الاسم لوجود صلة وثيقة بين هذا الجزء من المبنى وبين أواني الشراب (القلل الفخارية) التي كانت توضع

بها. وتعرف المشربية في بعض بلدان العالم الإسلامي باسم "روشن" أو "روشان" وهي تعريب للكلمة الفارسية "روزن" وتعني الكوة أو النافذة أو الشرفة.

وقد وصل فن المشربية إلى درجة كبيرة من الإتقان في مصر خلال العصر المملوكي، ويظهر ذلك بوضوح في القطوع الخشبي المنقول من مدرسة السلطان حسن إلى متحف الفن الإسلامي بالقاهرة وفي مجموعة المشربيات في منزل "زينب خاتون" وغيرها.

وتستعمل المشربيات، التي هي معالجة مصرية إسلامية، في الجزء السفلي من السكن لكسر حدة الضوء وتوفير الخصوصية، أما الأجزاء المرتفعة فتستعمل لها مشربيات أوسع تساعد على التهوية. ومما هو جدير بالذكر أن الوحدات المختلفة لهذه المشربيات، أو بمعنى أدقّ لهذه المقاسات المطلقة لا يمكن تكبيرها أو تصغيرها، حيث إن هذه المشربيات تستعمل لكسر حدة الضوء الناتج عن شدة الإضاءة. وقد عجز معماريو الغرب عن تفهم عمق الحلول المعمارية في الشرق، فاقتبسوا أشكالها دون جوهرها؛ فأنت استعمالهم لأشكالها - كما يقول باحث معاصر - إلى عكس الغرض منها، فزادت حدة الضوء في كثير من الحالات. والمشربية تبرز عن البناء إلى الأمام كلها من الخشب الأرابيسك، تحظى بالدقة والمهارة في صنعها وزخرفتها، كما تحجب السكان عن عيون المارة بتوزيع الضوء والظل على تكوينها في تدرج رائع، يعلوها طاقات من الزجاج الملون المعشق.

وقد ظهرت المشربية في العمارة الإسلامية مرتبطة بالخصوصية، وأخذت أشكالاً عدة، وتطورت تطورا كبيرا؛ ففي القصور أخذت شكل المقصورات التي تطل على "التختبوش" وهي الجلسات الخاصة حول الحديقة الداخلية بنافوراتها وطيورها. والمقصورة قد تكون مثلثة الشكل أو مربعة أو مستطيلة أو دائرية، وتظهر في الوكالات والخانات التي لا زالت موجودة حتى الآن كوكالة الغوري وخان الخليلي.

وهذا الشكل من البلكونات أو المشربيات يعتبر صبغة معتدلة في العمارة الإسلامية إذ تحفظ الخصوصية، وتعطي للسكان حرية الرؤية والمشاهدة، وخاصة في الخانات والوكالات التي كانت تعتبر سكنا جماعيا للأغراب وغيرهم. كما أنها تعمل على تلطيف

شهادة على العصر

ومن هنا فإذا حرص الفنان المعماري في العصور الإسلامية على إضفاء طابع الإبهام على الشكل الذي أنتجه، فلا نرهق أنفسنا - كما يقول باحث وناقد للفن المعاصر - كثيرا في البحث عن أصول بيزنطية أو ساسانية، لأن الفنان هنا وبمعناه الشامل يقدم رؤية كاملة وشهادات على عصره. فتفسيره يكمن في الفكر الذي وجهه وقيدته أحيانا في مقابل الفنون السابقة في عصور ما قبل الإسلام. فقد أحل الإسلام مبادئ التوحيد والمساواة، وألغى الصراع بين الإنسان والغيب، وبينه وبين الطبيعة، وبين وبين الخطيئة، وسرعان ما تلقى المعمار والفنان هذا، وترجمه إلى شكل ومضمون.

لم يكن المعمار المسلم، وذلك منذ البداية مشغولا ببناء عمارة للمدن تعبر عن انتصار وطموح إلى سلطان واسع - كما جرت العادة في الحضارات السابقة - بل كان مهتما ببناء عمارة لا تنتصر لأنها لا تهزم. والمدينة التي لا تفتقر، إنما الحق الواحد الشاهدة على عرَضية وفناء كل شيء إلا هو عَلَّاهُ؛ فهو الحي الغالب الغني الباقي. ولذا فعندما بنى المسلمون المنتصرون في الأندلس حفروا على جدرانها عبارات "لا غالب إلا الله".

الفنان المسلم واستغلال البيئة

ولا يمكن أن نغفل استغلال الفنان المسلم للمواد المعمارية الموجودة بوفرة في البيئة، وهذا نجده واضحا في الأبنية والقصور والمساجد التي أنشأها الفنان المسلم في الجمهوريات الإسلامية الواقعة جنوب الاتحاد السوفيتي سابقا، مثل تركستان وما وراء النهر وإيران وأذربيجان وأفغانستان. فمن غير المنتظر أن يتخذ نشاط البناء والإنشاء المعماري فيها كلها طرازا واحدا ذا هيئة واحدة متميزة بخصائص واضحة، وإنما الرابطة هنا تتمثل في خصائص تفصيلية تتصل بالمواد المستعملة والطرق الفنية التي لجأ إليها المعمارون في علاج المشكلات المعمارية، وكذلك في أنواع معينة من الزخارف التي سادت فيها. قال "برنارد بيترسون" في خطاب إلى "جون ديريك": "إن طبيعة الصخور هناك تمكن المعمار من إنشاء مبان تشبه الجواهر في دقتها وإحكامها". وبالفعل فإن خامات الصخور التي أنشئت منها المباني السلجوقية بديعة في صلابتها واستجابتها للنحت

درجة الحرارة من خلال النسيم الذي يمر من بين هذه الفتحات، خاصة وأن التكوين الهيكلي والزخرفي للمشربية يتفق تماما مع الظروف المناخية لمعظم بلدان العالم الإسلامي والذي تسوده في معظم فصول السنة شمس ساطعة.

وتعد المشربية من أحسن الحلول لهذه المظاهر الطبيعية، إذ إن الفتحات الضيقة التي تتخلل قطع الخراط تتحكم في كمية الضوء النافذ إلى الغرفة المقامة عليها المشربية، وتعمل بذلك على تلطيف درجة الحرارة. ومن اللافت للنظر أن المشربية كانت تُصنع من أخشاب لها خواص معينة تمتص الرطوبة، وتمنع زَغَلَّة العينين، بل من خلال التحكم في "دائتيللا" المشربية يمكن التحكم في حركة الهواء، ومعالجة الإضاءة في المناطق الشديدة الحرارة.

ومن الجدير بالذكر أن طريقة المشربية كنوافذ للتهوية والإضاءة تمثل جانبا اقتصاديا مهما، فقد كانت الأجزاء الصغيرة المتبقية من عمل الأسقف والأبواب والنوافذ وغيرها من وحدات البناء التي تعتمد على الخشب تستغل في تصنيع المشربية، كما أن الاعتقاد بارتفاع تكلفة المشربية أمكن التغلب عليها باستخدام خامات بديلة رخيصة الثمن، مثل خشب النخيل بعد معالجته بالمواد التي تقاوم الحرارة والرطوبة.

من البيت إلى المدينة

كذلك نجد تخطيط المدينة الإسلامية يتميز بالأصالة، وإذا كان للبيت استقلاله وقديسيته وارتفاع جدرانته مع ضيق نوافذها وعلوها، فإن المدينة ككل يجب أن تكون مسورة ومُخَنَّدَة وملئية بالمرافق، وما يحكم الأمر كله هو تداخل الأشياء وتتابعها وانتشارها وتجريدها.

فإذا كان هناك تعامل مع العناصر النباتية والهندسية، وقوامها الخطوط المنحنية والمستديرة والملتفة مع مراعاة للتقابل والتوازن، فإنه يلاحظ عدم وجود بداية أو نهاية لها، فهي تمتد وتأخذ في الامتداد لتعبر عن الأزلي، وعن انطلاقة الروح إلى ما يسمى "التألف العذب" للوصول إلى التيه الأعذب، بواسطة الدوائر المتماصة والمتحاوررة والخطوط المنكسرة والمتشابكة، فضلا عن وجود المثلث والمربع والشكل الخماسي والسداسي، كما يتضح لنا في تلك الزخارف التي أبدعها الفنان المسلم، وزخرف فيها أبنيته ومساجده ومنازله وأسواقه.



والزخرفة في آن واحد. والنتيجة أن الصخور وحدها مكنت المعماري من إنشاء أعمال ذات متانة وجمال؛ فالجدران والبوابات والأعمدة والعقود تقوم متينة محكمة، والمزخرف ينقش فيها ما يشاء في إحكام ودقة، وألوان هذه الأحجار طبيعية متنوعة، تكفي وحدها لإخراج صور فنية جميلة ذات ألوان. وقد كان ذلك مُعِيناً للبناء والمزخرف على ابتكار "صنعة خاصة" وصل بها إلى ذروة حقيقية من ذرى الإبداع المعماري على مر العصور. وقد أبدع المعماريون المسلمون في استخدام هذا الآجر في البناء والزخرفة على نحو لا يضارعه فيه إلا الفنانون الأندلسيون، الذين استخدموا الآجر في بناء منشآت الطرازين المستعربين والمدجنين الأندلسيين.

القبة رمز السماء

والقبة في العمارة الإسلامية رمز للسماء، وخاصة في عمارة المساجد والأضرحة. فمبنى المسجد يعبر عن انفتاحه في اتجاهين بتصميمه وتكويناته المعمارية في الاتجاه الأول رأسياً للاتصال بالسماء وللإتجاه الثاني أفقياً نحو الكعبة المكرمة للاتصال بكعبة المسلمين، وهو بذلك قد حقق الرمز باتصاله بالسماء على مستوى الجماعة بواسطة المثانة في فكرة التسامي إلى العلا في عمارة الجامع بالمثانة.

ومما لا شك فيه أن القباب القرطبية كان لها أعظم الأثر في إلهام الفنانين الفرنسيين في منطقة "أبل دي فرانس" إلى الحل المعماري الفريد الذي تكشف عنه القباب القوطية عندما وفقوا إلى فكرة دمج الضلوع القرطبية في القبة المتعارضة عن طريق دعم الأجزاء البارزة من هذه القبة الأخيرة بإدخال نظام الضلوع المتقاطعة الصلبة. ولم يلبث هذا الابتكار أن طبق في تغطية مسطحات واسعة بالكنايس عوضاً عن مواضع ضيقة محصورة.

وهنا ينحصر عنصر الإبهار في إدراك المعمار المسلم لأصول الجمال الناشئ من تشابك الضلوع وتقاطعها هندسياً حيث تُولف أشكالاً نجمية متناسقة، وعبر المقرئ في كتابه "نفح الطيب" عن هذا الإبهار بقوله: "وظهـورُ القباب مؤللةً وبطونها مهللة، كأنها تيجان رصع فيها ياقوت ومرجان".

فكانت الزوايا والأسقف المحلية أو المقببة التي استعملها المعماري القدير "حسن فتحي" في عمارته عنصراً رئيسياً أو

العنصر الرئيس الأوحيد في تغطيتها، حيث يرى لها مزاياها الفريدة، فهي تعكس أكبر قدر من أشعة الشمس، كما توفر قدراً من الظلال والظل، الأمر الذي يخفف من الأحمال الحرارية في الداخل، ومن ناحية فإن هذه الأبنية أو القباب تعمل على زيادة ارتفاع الجزء الأوسط من السقف من الداخل الأمر الذي يساعد على امتصاص الجو الحار الذي يرتفع إلى أعلى، كما أن حركة الهواء تزيد على الأقبية والقباب.

الإيقاع المعماري

والإيقاع يوصف بأنه كم التدفق الذي نقيس به مدى الحيوية أو الخمود في الشعر والموسيقى أو أنه تيار الحياة الذي يسرى في كيان الصياغات بقدر من شأنه أن يطرق عتبة مشاعرنا ليثبت وجوده.

ويكشف عنصر الإيقاع في مجال العمارة عن نوازع مبدعية. فاستخدام المنحنيات المراوغة برؤوس أعمدة الكرنك في قباب مساجد بلاد الشرق يدل على سحر البيئة، وعلى انجذاب الشرقيين الصوفي نحو أبواب السماء. وفي انضباط التزيين في رحاب ساحات المعابد دلالة على مدى انضباط الطابع الموسوعي للفكر الإغريقي، واستخدام الرومان لشكل القوس النصف دائري علامة على مدى الصلف وشدة الاعتداد بالنفس، وشكل ارتفاع الانسياب الحلزوني في نوافذ البيوت ببلاد المغرب هو الذي يكشف عن مدى طموح المغربيين.

وهكذا يمكننا أن ندرك تلك العلاقات الخفية التي تنشأ بين مختلف الفنون، ولذلك كانت علاقة العمارة بالشعر والموسيقى موضع دراسة في العصر الحديث، ويمكننا أيضاً أن نستشف علاقة العمارة بالفلسفة، حين نحاول قراءة الفلسفة المختفية خلف العمارة الإسلامية، أو قراءة ما توحى به هذه العمارة من فلسفة ورؤى فكرية أو روحية مستمدة في الأساس من الإسلام كوحى إلهي. ■

(*) رئيس قسم الفلسفة والاجتماع، كلية التربية، جامعة عين شمس / مصر.



طوبى

بجاءه بيلة الخطيب

سلاّم علينا من الله
في كل حين...
وطوبى...
لمن يُنقِصون البصير
حتى وإن أطق السرمدان:
الدجى والضباب...
وطوبى... لمن يشرون
بذار الحياة
بأرض ياب...
لمن يُغدقون
بفصل الخفاف الرّواء...
فتخضّر فيها رياض الكلام،
وتتدّ فيها حقول الصياء،
وطوبى...
لمن يعثرون
بيوتاً على الأرض
تغدو قصوراً لهم
في أعالي السماء...

ونسى القواعد عند المرور،
ولا تحتفي جيداً بالحساب!
فيسرّح العقل من صحوة الروح
ترنّمة للحنون!
تخطّ على صفحة العمر...
بالجمر...
نقش وشأ
على حبة الدهر،
ندري بالآ ستمضي،
ونلقى بأجسادنا للتراب،
ونسعى بأرواحنا
كي نقرّ
إذا ما استقرّت
مع الخالدين...
سلاّم عليها من الله
في كل حين...
لهذا يحسّ المسافر منّا،
بأروع ما يُهيج النفس،
في مهرجان الإياب...

خلفاً...
وما عبأ
كان كل الذي فوقها
من تراب...
دحاها مهاداً
لمن يسكون،
وأودعها الله
سرّ التماهي،
وعلمها كيف تغدو دثاراً
وأما رؤوماً
لمن يبهجون...
لما العمر إلا رفيف التواني،
كما زغب في رياض السنين...
وما الموت إلا
طقوس من الصمت
في برهة من سكون...
ونعلم أنا بدنيا امتحان
لماذا إذن يُحرّم اللب
ذاكرة من سراب!؟

١٠ شاعرة وأديبة - الأردن

حضارتنا الإسلامية... من المرض إلى النهضة

أ.د. عبد الحليم عويس

أقل منا في الإمكانيات الزراعية بكثير، لكنهم أغنى منا عقلا، ووعيا، وتخطيطا، وإرادة. وإنما أمراضنا في حقيقتها أمراض نبعت من انحرافات في فترة حضارتنا، وصلت بنا إلى انحطاط فكري، وتخلف، وخمول، ومضاعفات أخرى؛ تراكمت في ظل انفكاك ارتباطنا بديننا بشموله وانسجامه وصفائه وإيجابيته.

بعض المعالم الأساسية في طريق النهضة ونبدأ الآن في الإلماع إلى بعض المعالم الأساسية في طريق النهضة بإذن الله. فالخطوة الأولى في عملية العودة إلى قطار الحضارة الإسلامية تنحصر في شرطين متكاملين:

في بعض ظروف الخلل لا نريد الذهاب إلى الطبيب المختص النطاسي، ونذهب إلى أطباء، نعرف بجواسنا ومشاعرنا أنهم يستوردون الأمراض التي ليست من أمراض بيئتنا، ويصفون أدوية لأمراض غير موجودة. إنهم يفرضون علينا المرض، ثم يصفون الدواء المستورد. أما أمراضنا الحقيقية فهم أبعد الناس عن التعرف عليها وعلاجها.

وإنما مرضنا في هذا الجانب هو "الفقر العام" الذي مبعثه "الفقر العقلي" والجمود الحضاري الذي يجعلنا نترك الملايين من الأفدنة الخصبة الصالحة للزراعة في بلادنا؛ بينما يُصلح غيرنا الأرض الصحراوية. ثم نشكو قلة المحاصيل ونستوردها من بلاد

ف

١- أن تنهياً النفس المسلمة لتلقي الإسلام

٢- أن يعرض الإسلام كما هو من القرآن والسنة، لا من ضغوط الواقع المريض وبدون أن نلجأ إلى علم النفس الفردي، أو علم النفس الاجتماعي؛ فإننا نميل إلى أنه من الصعب التفرقة بين الإنسان كفرد والإنسان كعضو في المجتمع؛ وبالتالي فإن ما نريد تقديمه من علاج لا بد أن يلاحظ التيارات المزاحمة، أي إنه بينما يحاول تهيئة النفس لتلقي الإسلام الصحيح، فإن عليه أن يلاحظ أن عمله هذا يتعرض كل يوم لضغوط معاكسة، وما لم يعدّ لهذا التزاحم عناصر مقاومة فإنه لن يصل إلى تقدم في العلاج.

كما أن تفرغ النفس مما ورثته في حضارتها وطفولتها من مفاهيم، لن يتم إلا بوضع البديل الذي يطرد القديم. فالنفس لا تعرف "الخلاء المطلق"، وحبذا أن نركز على الجيل الجديد، الذي قد يسهل تقديم التصورات الصحيحة له عن طريق تقديم "ثقافة إسلامية" تنقل له الإسلام كما هو.

وإذا كان القرآن يقول لنا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١)، فمن الواضح أن تغيير ما بالنفس لن يتم إلا عن تغيير ما بالفكر، وبالتالي فالثقافة الإسلامية الصحيحة بمجالاتها في التوجيه، والتربية، والأخلاق، وغرس النزعة الجمالية، والسلوك المنسق البناء... هي الخطوة الأولى لإيجاد "إنسان الحضارة الإسلامية" القادر على النهوض بها في دورة جديدة للتاريخ.

إن حضارتنا تقبل -بطبيعتها- أي انفتاح أو "عصرية" عقلانية في مجال الدراسات الطبيعية والكونية. وهي واثقة أن علماء الطبيعة وغيرهم لو التزموا المنهج الموضوعي، فلن يصلوا -و لم يصلوا حتى الآن مع أنهم في القمة- إلى شيء من معطيات هذه العلوم تستطيع أن تهرز أسسها الفكرية.

وبالتالي، فهي ترى ضرورة الجمع بين "الثابت" (الأصالة)، و"المتغير" (نتاج الفكر). وترى أن ما جاء في القرآن والسنة الصحيحة هو هذا "الثابت" الذي تبني فوقه الطوايق "المتغيرة".. ولا تعارض بين الثابت المتصل بالفطرة الممنوح ممن خلق الخلق، ويعلم جوهرهم، وبين المتغير المحض من اجتهاد العقل البشري الذي يتطور عاما بعد عام وقد يُرفض في جيل ما أثبتته أجيال كثيرة سابقة.

إن "الأصالة" شرط أساسي من شروط بقاء هويتنا وكياننا الداخلي في عالم يعج بألوان الصراع الحضاري. كما أننا في

حاجة إلى "العصرية" لكي نستطيع الحياة مع أبناء هذا العصر، وبهما معا، ومتمزجين، نستطيع أن نسير في موكب التاريخ. إن الاعتماد على ما تقدمه الأصالة وحدها، إنما يعني الاكتفاء بالحلول المستوردة من الماضي، كما أن الاعتماد على التجارب المعاصرة إنما يعني الاكتفاء بالحلول المستوردة من الخارج. وكلا النوعين من الاستيراد لن يكون مطابقا لما تحتاجه ذاتنا وظروفنا بكل أبعادها وأجزائها وتحدياتها. وبالتالي فإن استئناف حضارتنا الإسلامية في القرن الحادي والعشرين (الخامس عشر للهجرة) يقتضي أن ننطلق من فكر إسلامي أصيل؛ يعي جذوره الحضارية، ويعي التحديات التي يواجهها، والواقع الذي يعيشه؛ ليعبر عن الشخصية المسلمة، وعن غاياتها وأهدافها في الحضارة والتاريخ بكافة أعماقها وشمولها.^(١) وهو عمل لا يصنعه فرد واحد؛ لأنه لا بد أن يكون شاملا للجوانب الاجتماعية كلها سياسية واقتصادية وأخلاقية، بل هو مهمة المؤسسات العلمية والإعلامية والمفكرين الإسلاميين والحكام؛ بل وكل مهتم بقضية مستقبل هذه الأمة، ودورها الحضاري في التاريخ.

لقد واجه الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه حضارتين انفتحتا على الدولة الإسلامية وقدمتا من التصورات والمشكلات والأوضاع والضغوط، ما كان كافيا لأن يهز قواعد الدولة الإسلامية الناشئة من أساسها. لكن عبقرية عمر رضي الله عنه وعبقرية الجيل الإسلامي الأول، وشعوره، وإيمانه بتفوق مبادئه، ووعيه بدور الأصالة في تكييف المعاصرة، وضمان السيطرة عليها لا الذوبان فيها.. هذا كله كان له أكبر الفضل في أن يستطيع عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجيله الراشدي تحقيق الانتصار الحضاري أيضا -بعد العسكري- على الحضارات الجديدة، ونجح المجتمع المسلم في الإفادة من إيجابياتها، ونفي سلبياتها، وتم صهر هاتين الحضارتين في الوعاء الإسلامي، وأصبحتا جزءا من الحضارة الإسلامية. وما فعلته الحضارة الإسلامية في موقفها من الرومان والفرس فعلته أوروبا في أخذها من الحضارة الإسلامية حين قطعت الجذور الإسلامية لما اقتبسته.

ولا يتردد مفكر كبير كـ "أرنولد توينبي" خلال أبحاثه الحضارية في الربط بين الحضارة الأوروبية والكنيسة الكاثوليكية. وفي رأيه أن الحضارة عموما تنشأ عن الأديان، أي من "الشرارة الإلهية الخالقة".

فلماذا لا ننطلق من ديننا وأصالتنا حاملين القرآن والعربية في

يد، وكل ما نستطيع الوصول إليه من إبداع علمي وفني في اليد الأخرى!

إن العالم المتحضر يقوده خلاصة صفوته المثقفة، وإن هذه الصفوة لتشكّل مؤسسات تستغل كل معطيات العقل الحديث، وتتمتع - كقيادة حضارية - بكل الإمكانيات الاجتماعية التي تمكنها من أداء دورها.

وقد فطنت "اليابان" - بعد أن دمرت في الحرب العالمية الثانية - إلى أهمية هذا الأساس في بناء الأمم، فأعطت للمدرسين مرتبات وكلاء الوزارة وصلاحيات وكلاء النيابة، ووفّرت لهم كل إمكانيات البناء. أما طبقة "العلماء" أو "التكنوقراطيين" فهي تتمتع في العالم المتقدم كله بما كانت تتمتع به أيّ صفوة ممتازة في الحضارة السابقة. ولذا، فليس عجباً أن عادت اليابان خلال أقل من ربع قرن لتشارك في قيادة العالم، بعد أن كانت قد دمرت تدميراً شبه كامل بأسلحة أمريكا الذرية.

إن الطبقات التي تقود الفكر والأخلاق يجب أن "تستشار" على الأقل، بطريقة مدروسة ودائمة وبشكل قانوني في خطوات الطريق الحضاري للأمة المسلمة، على أن تكون هذه الطبقات موثوقة في انتمائها لعقيدة الأمة وتراثها، وعلى أن تكون من أهل الكفاية والدين لا من أهل الثقة والدنيا.

ومن خلال الخططين المتكاملين - لا المتوازين - أي خط القيادة الحضارية المتمثلة في الصفوة المختارة، وخط الرعية المسؤولة أيضاً قدر حجمها "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته" (متفق عليه)... من خلال هذين الخططين المتكاملين تتحرك الأمة كلها في سلم الحضارة بانسجام وتآزر.

"ولا ريب أن أعباء ومسؤوليات التوجيه والابتكار والنظر إلى المستقبل، والتطلع إلى الأعلى، تُلقَى بثقلها على كواهل النخبة والصفوة. وبقدر ما يكون شعور الطليعة بضخامة الأعباء مرهقا، وبقدر ما تواجهه النخبة بتصورات سليمة وبعقليات متفتحة..

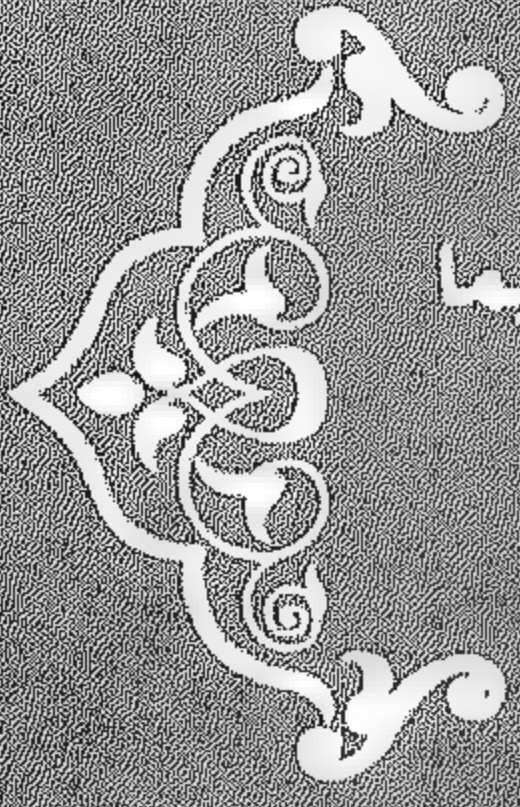
بقدر ما تتمكن هذه النخبة من تجاوز المشكلات الحضارية، ومن دفع الأمة في مجالات الرقي والتصعيد". "وتظل الأمة والجماعة بخير طالما أن هذه الطليعة متفتحة الأفق، مدركة لحركة التطور، عارفة بطبيعة عصرها، وبأساليب الحياة المستجدة. وعندما تبدأ هذه النخبة بالانغلاق على نفسها، أو عندما تصاب هذه الفئة أو تفسد، أو يقع الشقاق بين أفرادها؛ فإنها تكون قد استنفدت أغراضها فتعجز عن القيادة الراشدة".^(١)

فالنخبة في ظل القاعدة البشرية التي تتجاوب معها، تستطيع أن تترجم تطلعات الأمة إلى واقع ملموس، كما أن القاعدة الواعية تستطيع أن تحاسب النخبة الراشدة، وتعصمها من أمراض الزعامة وانحرافاتها. وبالتالي تتبادل النخبة والقاعدة التأثير والتأثر، وتمضي سفينة الأمة متخطية العواصف والتقلبات بفضل تماسكها التام ووعيتها الحضاري الكامل.

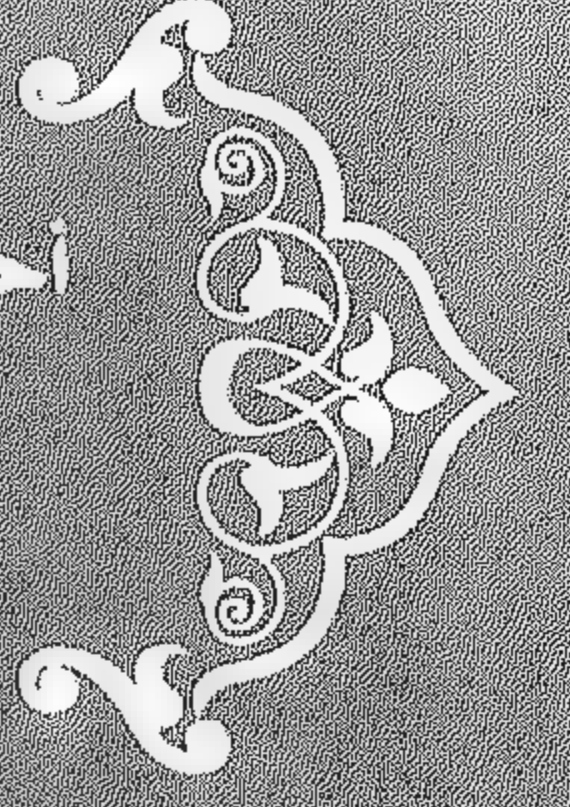
الدور العالمي

لن يستطيع المسلمون الخروج من مشكلاتهم الصغيرة والجزئية والمبعثرة في أكثر أركان فكرهم وحياتهم إلا بالإصرار على رفض التمزق الداخلي، والانقياد النفسي الذي تُحدثه هذه المشكلات. ولن يتم لهم ذلك إلا بالإحساس بمسؤولية كونية وعالمية ليس تجاه أنفسهم ومجتمعاتهم فحسب؛ بل تجاه الإنسانية كلها. وهذا ما تحدده لنا الآية الكريمة: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (البقرة: ١٤٣). وكما يقول المفكر الهندي المسلم: "وحيد الدين خان": "فإنه لم يوجد عصر من العصور تفتحت فيه آفاق العمل لرسالة الإسلام العالمية مثل القرن العشرين، بفضل النتائج الدنيوية لثورة الإسلام التوحيدية".

فهناك كل أنواع التأييد للفكر الإسلامي والتصور الإسلامي للكون والحياة، تقدمها العلوم الإنسانية التي تندرج تحتها علوم النفس والاجتماع والتاريخ والتشريع، كما أن ما اكتشف من



أحسن إلى من أساء إليك... وبالدُّوق الرفيع قابل المقتصر إلى الدُّوق... فالأقداح بما فيها تتضح... وبعطو نفسك وسمو خلقتك عامل فقراء السلوك والخلق.



...

لم نكن واعين فسيذكرونا التاريخ على أننا الجيل الذي رفع إنسانا إلى القمر، بينما هو غائص إلى ركبتة في الأوحال والقاذورات". ولن نستطيع تتبع ما قاله كل المشخصين لحضارة أوربا من أبنائها، وذلك كـ "الكسيس كاريل" في كتابه "الإنسان ذلك المجهول"، أو "أرنولد توينبي" في دراسته للتاريخ، أو "أشبجلر" في كتابه "عن أقوال الغرب"، أو روجيه جارودي في كتابه "حوار الحضارات"، أو "كونستانتان جورجيو" في قصته "الساعة الخامسة والعشرون"، وهي الساعة التي يرمز بها "جورجيو" إلى أفول الحضارة الأوروبية وانهارها، واكتساح حضارة جديدة قادمة من الشرق: "حيث يكتسح رجل الشرق المجتمع الآلي، وسيستعمل النور الكهربائي لإضاءة الشوارع والبيوت؛ لكنه لن يبلغ به مرتبة الرقيق، ولن يُرفع له معابد وصوامع كما هو الحال في بربرية المجتمع الآلي الغربي. إنه لن يضئ بنور "النيون" خطوط القلب والفكر. إن رجل الشرق سيجعل نفسه سيداً للآلات والمجتمع الآلي". إن الفكر الإنساني المتحرر المستوعب لأزمة الحضارة المادية التي تكاد تخنق إنسانية الإنسان، وتدمر الجنس البشري.. هذا الفكر الإنساني سيجد في الصياغة الإسلامية للحضارة المحض والملاذ والملجأ؛ لكن المهم أن يدرك المسلمون دورهم، ويخططوا له ويستغلوا الإمكانيات المتاحة للدعوة في هذا العصر. ويتقدموا بقلب واثق مؤمن، وعقل قوي منفتح إلى الساحة التي تناديهم: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَقَرِّحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الروم: ٤-٥). ■

(٥) أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية / مصر.

الهوامش

(١) د. عبد الحميد أبو سليمان، اللقاء الرابع للندوة العالمية بالرياض ١٩٧٩ م.

(٢) محمد علي طنطاوي: (الحضارة الإسلامية بين التحدي والتعطيل)، اللقاء الرابع للندوة العالمية بالرياض، سنة ١٣٩٩ هـ.

(٣) انظر بتصرف رسالة "إمكانات جديدة للدعوة" نشر القاهرة.

حقائق الكون قد دحض بعض الأساطير التي قدمتها الأديان الأخرى، وأكدت -في الوقت نفسه- أحقية الدين الوحيد الجدير بهذه التسمية، وهو الإسلام.

ومما قدمه العصر من وسائل العون للدعوة الإسلامية والحضارة الإسلامية: (٣)

١- شيوع حرية الرأي والبحث.

٢- شيوع تدبر ظواهر الكون وتسخيرها.

٣- شيوع المنهج العلمي والفكر التاريخي الذي قضى على الأسطورة والفكر الخرافي.

٤- توفر الوسائل الإعلامية كأجهزة الإعلام السمعية والمرئية والمطبوعة.

وثمة جانب آخر خطر يساعد تحول المسلم إلى رسول حضارة إنسانية في هذا العصر بحيث ينظر إليه على أنه المنقذ من خطر الفناء الإنساني الشامل.

وهذا الجانب يتمثل في الأوضاع التي انتهت إليها الحضارة الأوروبية التي توشك أن تقضي على إنسانية الإنسان ومستقبله.

الأفول الحضاري

في ظل هذه الحضارة "لا ندري إلى أين نحن سائرون.. ولكننا نسير" كما عبّر الشاعر الأمريكي "بينيه". أما "رينيه دوبو" فيعبر عن هذا الانهيار في كتابه "إنسانية الإنسان"، ويصف الحضارة الأوروبية في كلمات قليلة: "كل حياة شخصية ناجحة، وكل مدينة ناجحة عمّتها أجهزة منظمة من العلاقات التي تصل الإنسان بالمجتمع وبالطبيعة، وهذه العلاقات الأساسية تضطرب بسرعة وعمق الآن بسبب الحياة العصرية التي نحياها. والخطورة ليست مقصورة فقط على اغتصابنا للطبيعة، بل في تهديدنا لمستقبل البشرية نفسها".

وعن "دوبو" نقل كلمة رئيس بلدية "كليفتد" متهمكماً: "إذا



انسمعها لربا



في ليلة طويلة ظلماء، ساقني الكرب إلى
أعتاب الخالق رَجُلًا. وهناك لقيت من الأنس
أضعاف ما أملت من دنيا الناس وشؤونهم.
فغمرتني نشوة الذل لقيوم السماوات
والأرض، وفاض القلب بهذه النجوى:

مناجاة قلب كسير

أ.د. محمد سعيد رمضان البوطي *

وكيف يكون كسيراً وأنت النور الذي يشع في
حناياه والأمل الذي يخفق به ويعيش عليه...
بل كيف لا يكون كسيراً وقد ذل لعظيم
مولاي!

سلطانك، ودان لسابق حكمك وقضائك!...
لئن نسيتني أفراح الدنيا، فإن عزائي بما فاتني منها عظيم ما
ألقيه من الأنس بذاتك، والأمل في رحمتك. ولئن أبكتني صروف
الليالي والأيام فإن عزائي معها بكائي على أعتاب لطفك وبين
توفيقي منك. فلا يهمل أدين بالشكر، وعلى أيهما أبدل التحمل

يدي ربوبيتك. وشتان بين دموع اعتصرتها الآلام من العيون،
ودموع استجابت لذلّ العبودية فانحدرت تبكي لمن خلق الوجد
في القلوب، وأودع الحرقه في الدموع.
مولاي!

أشكرك على ما أوليتني من نعمة الصبر على البلاء، أم أشكرك
على ما أوليتني بذلك من سعادة القرب إليك ولذة المناجاة لك؟..
جلت حكمتك يا سيدي، وصدق ما قاله الواصلون: "إنّ في كلّ
جلال جمالا، وفي كلّ ابتلاء منّة ولطفًا". وهل في اللطف ما هو
أعظم من انصراف العبد إليك، وتحوله عن الأغيار إلى ملازمة
بابك الكريم.

إلهي!

أي شيء يوحشني من الدنيا فقدته بعد أن رأيتك أمامي،
وأنست بك في سري وجهري؟! بل أي منّة منك أعظم وأجلّ
من أن تُزيح عني حجابا كان قد شغلني عنك، فشغلت بك عنه
بما أكرمتني من الاعتصام بك والتضرع إليك؟..

أجل يا سيدي... لقد ذهب موسى عليه السلام ليقبّس نارا،
فعوّضته عن ذلك بعظيم نجاها.. نعم، إن القلب قد يتألم ولكن
ما ألدّ الألم الذي يذيق صاحبه طعم العبودية لك، وحلاوة الرضا
بحكمك!..

ولكني يا مولاي، أجدني قد تطاولت بهذا القول إلى مكانة
ليس لي شرف الدنو إليها. وما أنا -وحقك- في المزلة ممن يحسن
بهم أن يقولوا: "عذّب بما شئت، غير البعد عنك"..
إني يا مولاي عبد إحسانك وفضلك، أفرّ من كلّ ضائقة إلى
ظلال رحمتك، وأرتمي هاربا من كلّ بلاء أمام أعتاب جودك.

حسبي أن أتعلم في الخوف من كلّ كرب بنجوى أحبّ خلقك
إليك: "ولكن عافيتك أوسع لي". وبدعاء نبيك الكريم: ﴿رَبِّ إِنِّي
لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (القصص: ٢٤)، وبنداء رسولك الصابر
الأواب لربه: ﴿إِنِّي مَسْنِي الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٣).

وكيف لا أتعلم بفضلك وأطمع بعافيتك، وأنت الذي لم
تُقصني عن مائدة إحسانك في يوم من حياتي، ولم تقطع عني وابل
رحمتك في لحظة من عمري؟! أم كيف أركن إلى البؤس والضيق،
وأنت الذي عودتني العطاء، ونشأتني في ظلال الرخاء؟!

أعوذ برحمتك التي غمرت بها وجودي كله، من أن تبدّل بها
شدة لا قبل لي بها، أو بلاء لا صبر لي عليه.

إلهي!

سألوني عن وجودك، فقلت لهم: "متى عرفتم أنفسكم
رأيتموه، ولولا ضلالكم عن كينونتكم لما افتقدتموه".

إن الذي ينظر إلى العالم ذاهلا من وراء منظار، جدير به أن
يفتقد منظاره ولا يراه، ومهما أدار عينيه فيما حوله فإنه لن يعثر
عليه، حتى يهتدي إلى ذاته ويتحسس المنظار القائم أمام عينيه.
وسألوني عن أقدم سرٍّ من أسراركَ، فقلت لهم: "إنه
القلب!.. يخفق ويحسّ، ويحنّ ويئنّ، في عالم لا تطوله فيه يدُ
المال والمتاع، ولا الصنعة والخداع، ولا الدنيا وزخرفها، أو المادة
وقيمها!..

عروش الدنيا وممالكها، وبطشها وسلطنتها.. كل ذلك أقلّ
من أن يقاوم خفقة من خفقات قلب محبّ!..

ونعيم الدنيا وأفراحها، وهوها ولذائذها.. كل ذلك أقلّ من
أن يخلق لمعة فرح في قلب حزين!..

يمضي الناس في معالجة مدنياتهم وحضاراتهم، ويتسابقون إلى
دنياهم وملاذهم، وتبقى هذه القلوب الخفاقة فوق ذلك كله، لا
تطوّرها يد الحضارة ولا تغيرها آثار المدنية.

فهل في أسرار ما صنعه الخالق شيء أقدم وأعجب من
القلب.

وسألوني يا مولاي عن أبداع مخلوقاتك وأجمل آثارك،
فخرجت بهم أجتلي مغاني الربيع!..

ولما توسطنا السفوح الخضراء، وهي ترتجّ وتموج بما انبسط
فوقها من أفانين الخضرة الفاتنة، والرياحين العطرة، والأزاهير التي
تذوب وراء جمالها العين، ناديت بأعلى صوتي: ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ
رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (الروم: ٥٠)!

انظر إلى آثار رحمة الله، كيف بدلت وحشة الأرض أنسا،
وحوّلت جدها اخضرارًا، وأخرجت من قسوتها رقة تشمل بها
النفس، وفتنة ينتشي بها القلب!..

بالأمس كنت تنظر إلى هذه الأرض وهي بلقع تلفها وحشة
اليأس، واليوم تبعث العين فيها وإذا هي تفيض حياة ونضارًا،
وتزدان برونق الأمل!..

بالأمس كان يُبصر فيها العاشق الملتاع صدى لوحشته
وعذابه، واليوم يجلس إليها ليتخذ منها نجى أشواقه، وسمير آلامه
ومبعث آماله.



أجل.. ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (الروم: ٥٠).

مولاي!

هل كان فيما أبدعه صنْعَكَ هذا - ما بين شتاء وربيع - إلا صورة رائعة أبرزت فيها - بعظيم إبداعك - كيف يتحول اليأس المحرق إلى أمل خافق منعش، وكيف تُنشأ الحياة المضيفة من جوف ظلام ميت!..

جلّت حكمتك وعظمت رحمتك يا مولاي... متّعت أعين العشاق بالورود الحمراء، وأنطقتها لهم بلغة من الجمال تتقاصر عنها لغة الكلام، حتى يكون لهم من ذلك عزاء عن الجمال الذي افتقدوه، وسلوى عن الأمل الذي خسروه!..

أنعشت نفوسهم بعبق الرياحين وعطر الزهور، حتى يغسلوا أفئدتهم بها من غبار الكآبة وألم الهجران!.. أقمت لهم من مرأى الخمائل بكل ما زينتها به من فتنة وجمال نديماً يسامرهم وجليسا يؤنسهم ونجياً يتأثر لأناتهم ويتمايل لأهاتهم!..

وأبدعت لهم ذلك كله - يا مولاي - من جوف أمهم الأرض!..

ألا بوركت أيتها الأرض، مصدر سلوى لأبنائك الذين لا تزال الحياة تحرّكهم على ظهرك وليزدك الله رحمة بنا وحناناً، يوم يعيدنا الردى منك إلى الأعماق.

ورأيت يا مولاي، أشتاتاً من الناس يسرحون ويمرحون خلال تلك الآثار كما تسرح الدوابّ والأنعام!.. وقد اتخذوا من دونك حجاباً، وجعلوا من نعمائك شغلاً لهم عنك، ومن عطائك سبباً لكفرانهم بك!..

ورأيتهم يسجدون للمرأة التي يسطع فيها خيال الشمس، وهم عن وجود الشمس وحقيقتها غافلون!..

ورأيتهم قد فُتتوا بعبق الرياحين وصور الورد والزهر

والياسمين؛ ولكنهم عموا أو تعاموا عمن أبدع الرائحة في العطر، وخلق النشوة في الخمر، وأخرج الورود من أكمامها، وفجر الخضرة من جذورها!..

ورأيتك يا مولاي، تشملهم جميعاً بالمنة والعطاء، وتوليهم جميعاً الرحمة والنعماء. تلك هي رحمتك بمن قد نسيك وتاه عنك. فكم هي رحمتك - ترى - بمن عاش يرقب فضلك ويستمطر جودك وإحسانك؟!..

أيتها الرياض النضرة!..

أيتها الورود الناعمة الضاحكة!..

أيتها الروائح المسكرة العبقرة!.. لشدّ ما يطربني وينعشني أن أجدني غريقاً فيما بينكم، ملفوفاً بتحنانكم، ولكني ما انتعشت منكم بشيء أكثر من الأمل!..

الأمل!.. أقرؤه في تماوج العشب مع الرياح السارية، وأجده في انبعاث روائح منعشة شتّى من تلك الورود النضرة، وأسمعه من حفيف الأغصان وتصفيق أوراقها الرقيقة الخضرة.

أجل.. إنه الأمل الذي صورته يد الخلاق، إذ أنبتكم من طوايا أرض مظلمة جامدة؛ أبدع حياة الأرض من موتها، وأخرج زينة الدنيا من كآبتها، وأظهر أرق ما في الكون من قسوته وصلابته!..

يا من استوى في خلقه الأمل واليأس، وتلاقى في تقديره الموت مع الحياة!..

يا مُنشئ النور من الظلام، ومبدع الفرح من الأحزان!..

يا من هذا سرّ لطفك وطعم إحسانك وحنانك؟!..

يا إلهي!

كيف أياس إذا وأنت ربّي، أم كيف لا يُنعشني الأمل وأنت

حسبي؟!.. ■

إلهي!

أي شيء يوحشني من الدنيا فقدته بعد أن رأيتك أمامي، وأنست بك في سري وجهري؟! بل أي منّة منك أعظم وأجل من

أن تُريح عني حجاباً كان قد شغلني عنك، فشغلت بك عنه بما أكرمتني من الاعتصام

بك والتضرع إليك؟



درويش في بلاد "الأناضول"

أدب

أديب إبراهيم الدباغ

س

سالك طريق... مُستَهَام لا

يفيق... حامل هوى... مُتَعَبٌ خطوله...

شاردُ لُبٍّ... أخو سفر... أشعثُ أغبر... ما

استنظّل بظل... ولا بأرض أقام... ولا بمنزل نزل... إذا حلّ

ارتحل... فلا أراح ولا استراح... على نفسه علا... وسلالم

الروح ارتقى... وبسنا أشواقه اهتدى... وبساط الأكوان

طوى... وفضاء الكشف والعيان اعتلى...

فادُع - يا درويش - همتك... فالطريق لا زالت طويلة...

منداحة الآفاق... مهولة الأمداء... فامتط متن عزيمتك...

واركب جواد إرادتك... وإياك أن تنصب... وخباءك وسط

الطريق تنصب... وعن عصا ترحالك تتخلى... فذاك موتك...

فذاك موتك...!

يا "درويش"... يا قلبًا ذاب حتى عذب... يا فؤادًا هام

وعشق... يا حزنًا تعالى وتزكى... والعالم احتوى...

والإنسان بكى... وعلى ضياعه نأح وانتحب...

يا "درويش"... يا حامل حيرة الإنسان من قدم الزمان... من

أنا...؟ وأين أنا...؟ ولماذا أنا...؟ وتظل وراء الجواب تجري...

قطعت الفيافي والقفار... وجبت البحار... وعلوت الجبال...

وسألت الشجر والزهر... والنجم والقمر... وغبت في غاب

الأقلام... وخضت في مداد العقول والأذهان... فزدت ضياعًا...

وفضت حيرة... فلا أنت عرفت... ولا أنت وصلت... ولكن

صوتًا من ذاتك يأتي: "اشحذ ذهنك تسمع الجواب... وتدرك مبعث

السؤال...

لك وحدك أستطيع أن أفضي بجميع مكنونات صدري... لك

وحبك أفتح أبواب كنوزي... وبين يديك وحدك، أنثر دُرر

علمي ومعارفي...

سمعت مرة "درويش الأناضول" يحدث فيقول:

"من الطريق تعلمت كيف أعيش الخطر... وأمشي على

حاجز الموت... آنسأ بهدير العواصف... ومستضيئًا ببوارق

الرجود... نابذاً عيش الهامدين... رافضاً سلامة العاجزين...

أولئك العوامين فوق الخواء... الناكسين عن مطاولة الأعماق...

المشفقين من السباحة ضد التيار...

ومن الطريق تعلمت كيف أنقذ روحي من الهاوية... وكيف

أحرق بها السبع الطباقي... وكيف أرتقى الأسباب... وأعلو على

الأسى... وأستعذب الألم... لأحظى بالوصل وأنال المراد...

ومن الطريق تعلمت كيف أخاف نفسي... وأفرق من

طغيان وجودي... وأحذر من ربوبية أناي... وأتجنب خيالات

وهمي... وشطحات فكري... ومزاعم هواي... فلا أرى في

الكون غيري... ولا في العالم سواي... وكأني أنا الفكر والمفكر

والمفكر به... ولا شيء غير ذلك... وهذه هي الطامة الكبرى!

وعلمتني الطريق إذا كبوت نهضت... وإذا تأخرت تقدمت...

وإذا فترت هجت... وإذا خمد لهيب روحي أوقدت... وإذا نثت



إليه تعود

يا سالك الطريق
يا رجل يا مقدم...
لا تبال الهموم والأحزان...
ما دمت على الطريق سائراً،
وإليه ماضياً... فلا تبال الصعاب،
فأنت إليه عائد...
فإذا ما وصلت... أخذك إلى كنفه،
ومسح آلامك... وكفك دمعك،
وفي حظيرة قدسه آواك ونعمك...
وبمحبتة أكرمك...

بقيدي كسرت... وإذا احتجبتُ خرقتُ... وجهلي قهرتُ...
وسفينتي أطلقتُ... ونفسي في هادر الروح قذفتُ... وربّي
ناديتُ... أيدني - يا رب - وثبتني... وعلى معرفتك أعنتي...
وعنك لا تبعديني... وبالقرب منك أبقيني... وزدني صحواً
ووعياً... ومسكناً وفقراً... فكيف تبارحني الحياة وأنت حيّاتي...
وكيف يخونني حزمي وأنت حزمي وقوتي...؟!

ألف مرة... في اليوم واليلة... أموتُ في العشق وأحيا...
أوجدُ وأفنى... يا رماد قلبي المحترق... اجتمع ذراتك... وقم من
جديد... فؤاداً فتياً... عاشقاً أبدياً... واقطع مسافات الوجود...
واضوه تحت جناحك... وعدّ إلى نفسك منقباً عن جواهر
علومك... وارتفع ثم ارتفع... لتصبح نزيل علوم السماء...
وأسرار الأرض...!

سريت حيث سرت بك دروب "الأناضول"... طرقت
أبواب الجامعات غير هباب... واعتليت أسوار المدارس
والمعاهد... وجبت الأسواق... واقتحمت المقاهي والمطاعم
والمعامل... فأثرت استغراباً واستنكاراً... وألف سؤال وسؤال
دار في الأذهان... ما رأينا في الدراويش درويشاً كهذا... ماذا
يفعل عندنا... ولماذا يخترق صفوفنا.. ويقتحم علينا مجتمعاتنا...؟
يا ويحه... يا ويحه...!

ويأتي من بعيد صوت... أنبّه يا "درويش"!!... فالليل ساج...
والنجم في الأفق باك... البس جناح الليل... وبجلبابه تجلبب...
ثم قم تضرّع... وألطف الله تشرب... فالملأ الفرعوني بك
يأتمرون... ليئعدوك أو ينفوك... وخارج التّخوم يقذفون...!
تجرّع يا "درويش" سمو أحزانك... واعتنق طهر آلامك...
واستمطر بركات غربتك... فقد انكسرت أقفال العقول...
وتحطمت أغلال النفوس... وانكشف المستور... وسطع النور...
وانفجر الينبوع... وأشرق سناء الكتاب المهجور^(١)... من القلب
المبعوث^(٢) رحمة للعالمين... ■

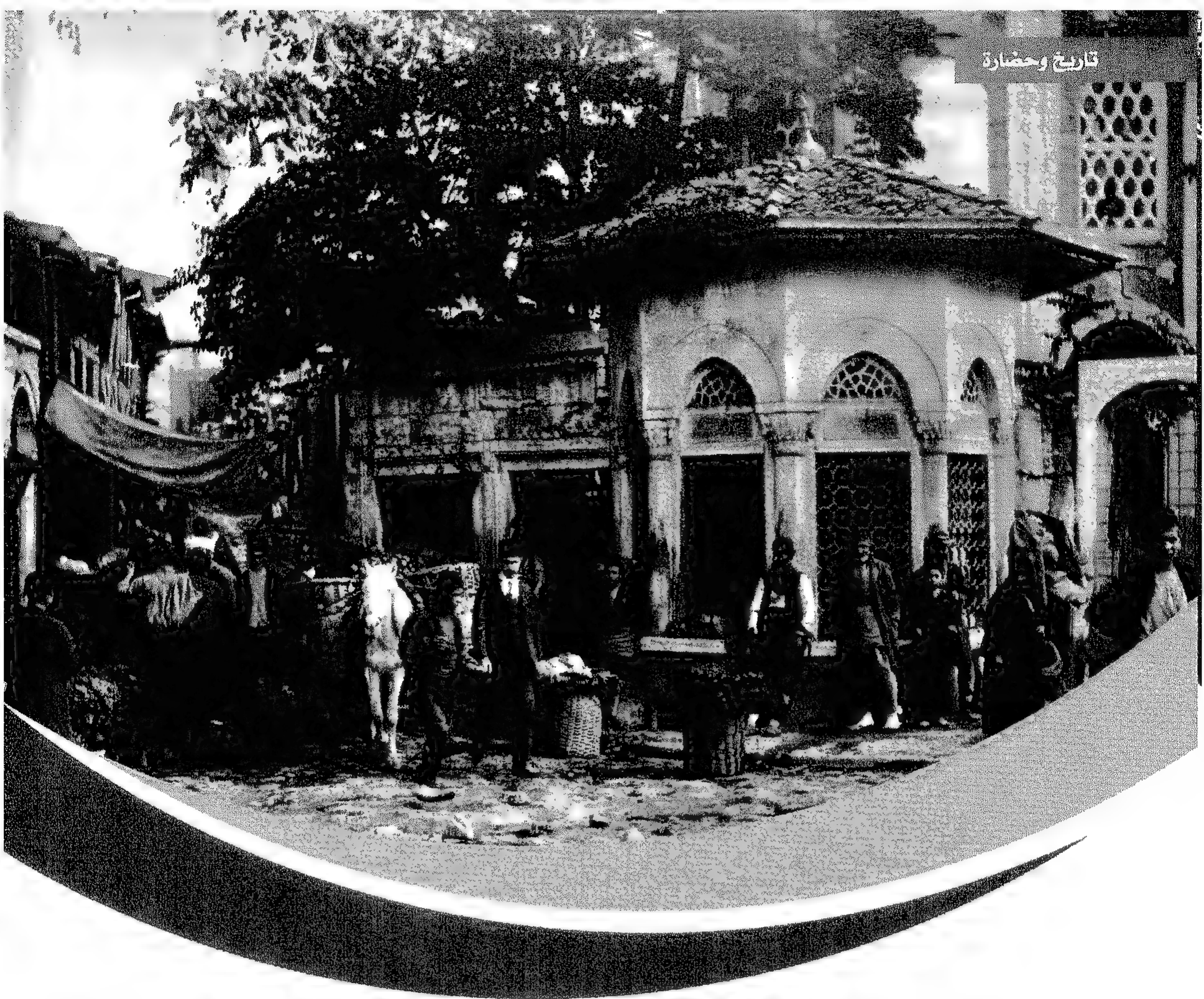
(٥) كاتب وأديب / العراق.

الهوامش

(١) المقصود: القرآن الكريم.

(٢) المقصود: الرسول ﷺ.





مراكز النشاط الاقتصادي في الدولة العثمانية

د. ناظم إيتبه*

والمدارس والجوامع فقط، بل برزوا أيضاً في وضع تقاليد عريقة للتجارة وللمؤسسات التجارية، فبنوا المراكز التجارية والخانات والأسواق الكبيرة ومراكز كبيرة على الطرق الرئيسية للتجارة لاستراحة المسافرين والتجار والقوافل. وذلك لتشجيع التجارة وتوسيعها وفتح الأبواب أمامها. وكان هناك مراكز تجمع فيها البضائع التجارية في الدولة العثمانية الواسعة الأرجاء وتقوم قيمها وتثبت أسعارها، أي كانت تعمل عمل البورصة في أيامنا الحالية. وكان يطلق على هذه المراكز التجارية اسم "بَدَسْتَان" (bedesten).

إن شبَّهنا الدولة بجسم مخلوق حي، فإن بقاء هذا الحي مرتبط بعمل أجهزته المختلفة مثل الجهاز التنفسي وجهاز الدوران، وجهاز الإفراغ... الخ، بالإضافة إلى توفر الشروط الضرورية الأخرى.

فإن نظرنا إلى الدولة العثمانية من هذه الزاوية، نجد أنها لم تنشغل فقط بالحياة الدينية وبالأمور العسكرية والحرية والتعليم والتربية فقط، بل كانت تملك تقاليد تجارية ومؤسسات تجارية عريقة. وطوال أكثر من ستة قرون لم ينشغل المسؤولون عن إدارة الدولة بالحياة الدينية وبناء القلاع والحصون والثكنات العسكرية



تأسست هذه المراكز أولاً في مدينة "بورصة" وفي "أدرنة" ثم انتشرت منهما إلى أرجاء الدولة العثمانية. يأتي "بدست" بمعنى "السوق، والبورصة، والمركز التجاري". ويأتي جذر هذه الكلمة من العربية والفارسية من كلمة "بازستان"، أي المكان الذي تُباع وتُشترى فيه الأقمشة. كما أطلق على "بدست" اسم "قيصرية" أحياناً، ومعناها "داخل القلعة". كانت "بدستان"، مركز التجارة بين المدن وكذلك بين الدول، كما كانت بمثابة المراكز التجارية في المدن، فتعد من أهم الأبنية في كل بلدة.

التجارة الدولية

كانت التجارة الدولية في القرن الرابع عشر بيد البرتغاليين والجنوبيين (البنادقة). وكانت البضائع الثمينة تتجمع في الموانئ، حيث تتم التجارة فيها عن طريق النقل البحري بواسطة السفن. كانت الدولة العثمانية على وعي بأن ازدهار التجارة في أي بلد يساعد على ازدهار ذلك البلد، وتختلفها يعني تخلف ذلك البلد. لذا قامت بإحياء طريق الحرير التاريخي، وأمنت بذلك تحول التجارة إلى الطريق البري مرة أخرى. لذا بنت الخانات -أي الفنادق- ومراكز التجارة على الطرق التجارية المهمة. وأنشأت هذه المراكز في داخل المدن أيضاً. واستطاعت الدولة -بتحقيقها الأمن والأمان للتجارة والتجار في أراضيها الواسعة وتيسير سبل التجارة أمامهم- السيطرة على التجارة الدولية بدءاً من القرن الرابع عشر حتى القرن السابع عشر.

البدستانات تختلف عن الخانات وعن "كروان سراي" (وهي أبنية محمية ومقامة على الطرق الرئيسية لاستقبال القوافل). فقد استعملت الخانات بدءاً من القرن الثالث عشر وحتى القرن الخامس عشر لتأمين حاجات المسافرين والتجار. وأطلق اسم "بدستان" في هذا العهد على هذه الخانات أيضاً. ولكن اقتصر اسم الـ "بدستان" في القرنين الخامس عشر والسادس عشر (عهد نضوج الدولة) في جميع المدن الكبرى على مراكز البورصة والتجارة فقط، واقتصرت الخانات على أماكن استراحة المسافرين.

"بدستان" والعمارة

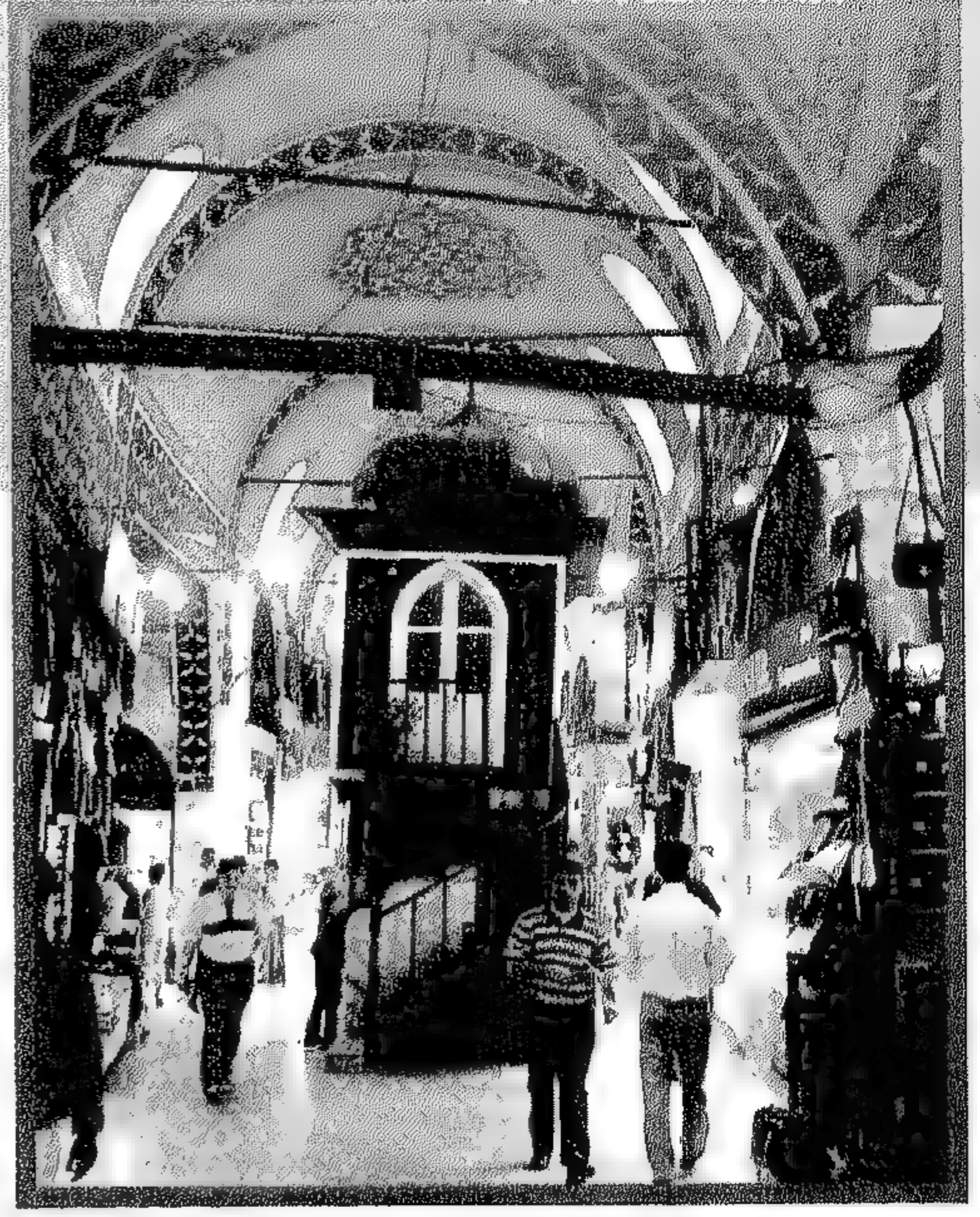
كما قلنا فإن الـ "بدستان" كانت مباني تجارية ظهرت عند ظهور الدولة العثمانية وتوسّعها. ولم يكن فيها المعماري يشبه مثيلاته في حضارات الأناضول وفي الحضارة البيزنطية القديمة، كما لم يكن يشبه "القيصرية" وهي الأسواق المفتوحة وغير المسقفة والتي كانت موجودة في جنوبي شرق الأناضول؛ بل كانت تحمل

السمة المعمارية للمدن "العثمانية-التركية" مثلما كانت المراكز والمباني الدينية والتجارية الأخرى الكبيرة (كجوامع السلاطين الكبرى) تحمل سماتها الخاص بها. كانت هذه المباني تحتل مركز المدينة وترمز إلى أنها مدن عثمانية.

كانت الـ "بدستان" في الدولة العثمانية مربعة أو مستطيلة الشكل. لها قبب مغطاة بالرصاص، وتنقسم إلى أجزاء وأقسام لتكون صالحة لأفضل استخدام واستعمال، ولها جدران سميكة من الحجر، وترتفع في وسط المدينة وكأنها حصن أو قلعة، وتشرف بأبراجها على المدينة من عل، ويمكن رؤيتها من بعيد والتعرف عليها. كان لها في العادة باب أو بابان، وأحياناً أربعة أبواب رئيسية. وكانت مفتوحة على الشارع أو الشوارع الرئيسية للمدينة. كانت الـ "بدستان" مقسمة من الداخل إلى ٤ - ٢٠ قسماً مربع الشكل، ولكل قسم قبة فوقه. ويدخل الضوء من نوافذ صغيرة موجودة في أعلى الجدران. وفي خارج بناء الـ "بدستان" تلتصق جدران الدكاكين بها، كما تنتظم الدكاكين ومحلات العمل على جانبي الطريق الخارج من الـ "بدستان". كما توجد حول هذا المجمع دكاكين مربعة أو مستطيلة الشكل.

تكون مداخل الـ "بدستان" في العادة مرتفعة وفخمة، كمداخل المعابد، وجدرانها الحجرية مزينة بأشكال فنية وزخارف. أبوابها من الحديد أو من خشب الأبنوس ومزخرفة كذلك بزخارف حديدية أو خشبية. ودكاكينها مصانة جيداً. والبنية تحتوي على دكاكين وعلى المخازن العائدة لها. وقبائها مغطاة بالرصاص لحفظ البنية من تسرب مياه الأمطار والثلوج. لذا فإن بنايات الـ "بدستان" كانت تحمل طابعاً عثمانياً متميزاً. ولكونها مبنية من الحجر كانت أيضاً رمز المتانة والقوة والعمر الطويل.

وفي الخانات كانت السلام موجودة على يمين ويسار المدخل مباشرة وتؤدي إلى الطابق الثاني بـ (٢٠ - ٣٠) درجة. وفي القسم الأمامي من الطابق العلوي يوجد "رواق"، وفي القسم الخلفي توجد حوانيت أو متاجر. وبينما تغطي القبب أعلى الرواق تكون سقوف الحوانيت على شكل أقواس وقناطر. وكل حانوت عبارة عن غرفة واحدة. أما الحوانيت في الأركان فيكون كل منها عبارة عن غرفتين أو ثلاث غرف. ويوجد أيضاً رواق أمام المتاجر في الطابق الأرضي. وتحت هذه الحوانيت والمتاجر، توجد مخازن لحزن البضائع. وفي هذه المخازن توجد صناديق حديد تحفظ فيها الأمتعة الثمينة. ويذكر "أوليا جلبي" الإصطبلات الملحقة



ومع أن جزءاً من إيجار الـ "بدستان" والخانات كان يذهب إلى باني هذه البنايات، إلا أن الجزء الأعظم منه كان يصرف لبناء الجوامع والمدارس الدينية والكلية ومراكز توزيع الأطعمة مجاناً للفقراء، أي كان يصرف لأعمال البر والخير. فقد صرف إيجار الـ "بدستان" التي شيدها السلطان "محمد جلبي"، في مدينة أدرنه عام ١٤١٨م، لتعمير جامع "أسكي جامع"، وإيجار الـ "بدستان" التي شيدها السلطان محمد الفاتح وكذلك إيجار سوق "قبالي جارشي" للصرف على أياصوفيا التي حولها من كنيسة إلى جامع. وصرف إيجار الـ "بدستان" التي شيدها السلطان بايزيد الثاني في مدينة بورصة لتعمير جوامع إسطنبول ومراكز مساعدة الفقراء.

التجارة والنشاط الاجتماعي

لم يفصل العثمانيون الحياة التجارية عن الساحات الأخرى للحياة. واستفادوا في تأسيسهم هذا التوازن بين مناحي الحياة من تخزين التجارب الإسلامية الطويلة الأمد، والتي بدأت من عهد المدينة المنورة في حياة الرسول ﷺ، واستمرت طوال عصور عديدة وفي بلدان إسلامية متعددة.

كان التجار في العهد العثماني على نوعين: التجار المتحولون، والتجار المقيمون في المدن. فكانت مباني الـ "بدستان" محل عمل التجار المقيمين في المدن ومركزاً لتعيين أسعار البضائع أيضاً، أي كانت تعمل عمل البورصة الحالية. كما كانت دائرة لاستيفاء الضرائب. وكان الموظفون الرسميون الذين يعيّنون الأسعار ويستوفون الضرائب يقيمون هنا. لذا لم يكن يسمح بزيادة الأسعار خارج الحد المعقول، أي لم يكونوا يسمحون بالتعامل بـ "السوق السوداء".

كانت كل "بدستان" تشكل نواة الأسواق الكبيرة. وكانت جميع أنواع السلع والبضائع تباع وتشتري فيها مثل أسواق "سوبر ماركت" في أيامنا الحالية. كان بعض هذه المراكز التجارية مراكز لأنواع معينة من البضائع ولمنتجات أصحاب مهنة معينة. مثلاً هناك مركز للصياغة، أو لبيع السجاجيد أو الأقمشة أو البهارات أو الكتب أو للعطارين، وكان يوجد حولها يباعو الحاجيات

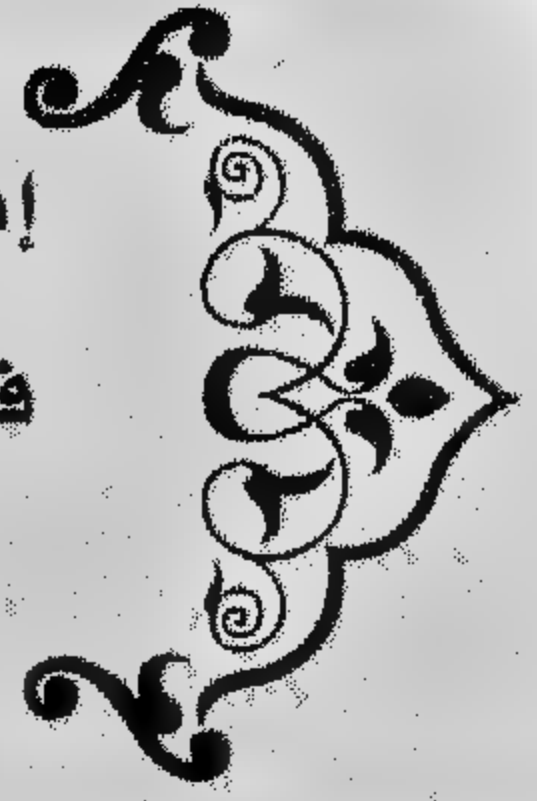
هذه "الخانات"، حيث تستريح فيها الحيوانات التي تحمل البضائع والناس في القوافل. والإصطبل الموجود في "قوزاخان" في مدينة "بورصة" يعد نموذجاً لإصطبل الجمال، حيث استعمل القسم العلوي منه لاستراحة المسافرين ولخزن البضائع. وتوجد مواقد في غرف الطابق العلوي، وترتفع المداخل من جانب القبة. وتوجد مiazza في وسط باحة الخانات، وفي المؤخرة يوجد مسجد.

مبادئ عمل مراكز الـ "بدستان"

كما توجد حالياً قواعد ومبادئ معينة في المراكز التجارية وفي البورصات وفي المناطق الصناعية التعاونية حددتها القوانين، كذلك كانت لمراكز الـ "بدستان" في الدولة العثمانية قواعد يجب العمل بها. فهي تؤسس أولاً إما بفرمان من السلطان أو بأمر من وزير. وعندما يتم بناؤها تصبح مركز جذب للتجار الأغنياء الذين يرغبون بالتعامل في مراكز تجارية آمنة. ويقول المؤرخ التركي المعروف "خليل إنالجيك": "كان من القواعد المعروفة أن الـ "بدستان" تعد مركزاً للتجارة في المدينة، وكذلك مركزاً للتجارة بين الأمم." لذا نرى أن أسواق الـ "بدستان" ومراكزها في الدولة العثمانية كانت طوال مئات السنين محلاً لزيارة آلاف التجار القادمين من إيران والهند وأوروبا، ومحل تعارفهم ولقائهم وإقامتهم، ومحل بيعهم وشرايتهم. وقد أنشأ السلطان محمد الفاتح بفرمان منه، "بدستان إسطنبول" والسوق المحيطة بها بعد الفتح مباشرة، لتكون مركزاً تجارياً كبيراً وآمناً على طريق الأناضول - الروملي ومدينة إسطنبول كذلك، حيث استطاعت هذه السوق استيعاب الفعاليات التجارية الكبيرة آنذاك.



إذا تجوهر الإيمان في القلب أنقلب إلى منجم حب ومحبة...
فأنى لمعدن الكراهية أن يتجم فيه... فكما الشيطان في
الكراهية مغمور فانت - يا مؤمن - بالمحبة معجون...



عنده مدة معينة. فإن لم يظهر صاحبها تسلم لبيت المال. كما كانت تودع عنده أموال اليتامى حتى يبلغوا سن الرشد. كما كانت الـ "بدستان" تقوم بوظائف شبيهة بوظائف البورصة التجارية في أيامنا الحالية (بورصة القطن أو بورصة الزبيب مثلاً).

كانت الـ "بدستان" في بعض المدن مركز عمل التجار الذين يقومون بتجارة الأقمشة الثمينة. وكان كل منهم يملك فرماً من السلطان وأمرًا من القاضي كضمان وتأييد له عند قيامه بهذه التجارة. وكانت أي تجارة سرّية تجرى خارج الـ "بدستان" تُعد تجارة غير قانونية ومنافسة غير شريفة بالنسبة للتجار الموجودين في الـ "بدستان" الذين يدفعون الضرائب بانتظام. فمثلاً، حدث في عام ١٦٠٩م، أن طرق سمع تجار "بدستان" أن بضائع معينة (مثل العطور) تباع سرّاً في منطقة "غلطة" إلى العطارين، فتقدموا بالشكوى إلى السلطان وُثمت معالجة الأمر. أما سيطرة تجار الأقمشة الذين هم أحد عناصر الاقتصاد المضبوط رسمياً، فقد استمرت حتى أواسط القرن السادس عشر، حيث صدر قرار بالسماح لتجارة الأقمشة خارج الـ "بدستان" ما لم يكن هناك قرار من الحكومة بالمنع.

نعتقد أنه من المفيد إجراء تحليل مقارنة بين الـ "بدستان" التي كانت تحتل مكاناً مرموقاً في الحياة التجارية في الدولة العثمانية، وبين المراكز التجارية الحالية. فهذا مفيد، ليس من الناحية التاريخية فقط، بل من الناحية التجارية والاجتماعية كذلك. فمن ناحية، هناك فائدة في ضبط الفعاليات التجارية ومراقبتها، وأن تكون هذه الفعاليات على أساس مشروع وتُراعى فيها الحقوق؛ ومن ناحية أخرى، فإن عدم السماح للشخص بالعمل التجاري (إن لم يكن أهلاً له ولم يدرّب بعد عليه) أيضاً من الأمور التي يجب مراعاتها. ■

اليومية من الأغذية كالقواكه والخضروات والطحين والملح... الخ. أو من أنواع الوقود كالخشب والفحم.. أو من المواد الخام كالدهون والزيوت والأصباغ.. وكذلك كان أصحاب الحرف الأخرى كالحياطين وأصحاب المطاعم وصناع الخزف.. الخ، يزاولون نشاطهم هنا. كما كانت هذه الأسواق تضم الأماكن الضرورية لحاجات الناس كالمساجد وأماكن الوضوء وأماكن القراءة والمقاهي والحلاقين والحمامات... الخ.

كان أصحاب الحرف المختلفة يعملون في الـ "بدستان" كعائلة واحدة، وكانت لهم منظمات ذات تقاليد عريقة ومستقرة مثل نقابة "الأخوة" (Althlthk). ولم يكن يؤخذ إلى هذه النقابة من أصحاب المهن من لم يمر بمرحلة التدريب والتعليم التي تتدرج من مرحلة المتعلم الناشئ أو العامل المبتدئ إلى المتدرب إلى المعلم (المحترف). كان يتم تعليم الشباب المبتدئين الحرف المختلفة في ظل تدريب وتعليم يأخذ بنظر الاعتبار التدريب المهني والتجاري مع الحرص على ترسيخ مفاهيم أخلاقية أهمّها أن يكون كل منهم إنساناً محباً للخير وجاراً حسن الخلق، أي يتلقون تدريباً وتعليماً أخلاقياً أيضاً. وكان يتم ترقية هؤلاء الشباب من صنف "المبتدئ" إلى صنف "المتدرب"، ثم إلى صنف "الأستاذ" أو "الأسطة" بالتعبير السائد آنذاك في مراسيم احتفالية. وهكذا كانت "بدستان" تنشئ كادرها وتحافظ عليه.

كانت للـ "بدستان" أربع وظائف مهمة:

- ١- تعيين أسعار البضائع.
- ٢- فرض الضرائب على البضائع واستيفائها.
- ٣- تخزين البضائع والسلع الغالية والتمينة العائدة للدولة أو للتجار، مثل الذهب والجوهرات والأقمشة الغالية، والوثائق المهمة، حيث كانت هذه البضائع تحت ضمان الدولة، فتخزن بشكل آمن، ثم تعرض للبيع.
- ٤- كونها مقرّاً للتجار المحليين، حيث كانوا يقومون بأنشطتهم التجارية، ومنها كانت تنطلق قوافلهم إلى البلدان الأخرى.

كان لكل "بدستان" سرّية أمن خاصة بها، وشخص مؤتمن. وكانت الأموال المفقودة (أي الأموال التي فقدتها أصحابها) تبقى

(*) كاتب ومؤرخ تركي. الترجمة عن التركية: أورخان محمد علي.



فلسفة العمر

وكالشياطين -وقد قال إبليس اللعين: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾﴾ (الحجر: ٣٦-٣٨) - إلى الكائنات التي تعمر الشهر والأسبوع واليوم، كبعض الحشرات، من مثل النحل، والذباب، والفراش. فلو نظرت إلى ما يشعر به المعمر مئات السنين أو آلافها وهو ينظر إلى عمر الإنسان لو جدته يتأسف على شدة قصره، ويأسى على الإنسان الذي لم يمد له في عمره إلا قليلا، وهو لا يدري أن عمره هو أيضا بالنسبة إلى من هو أطول عمرا قصير جدا.

قصر الأعمار

ولو نظرت أنت -باعتبارك الإنساني- إلى أعمار الحشرات التي تعيش شهرا أو أسبوعا أو يوما، لأشفقت عليها من شدة قصر ما تعيشه من لحظات. ومما أرويه عن علماء الأحياء، أن ضربا

من أهم مصادر الجمال في الإسلام عقيدة اليوم الآخر، لكننا لن نذوق جماليتها إلا بعد معرفة ما "العمر"؟ هذا الامتداد الزماني الحاد المحدود،

الذي يحد فترة حياة الإنسان، من الولادة إلى الممات.

العمر هبة إلهية كبرى.. إنه تحلل من تجليات الحياة، بيد أن حقيقته نسبية ككل حقائق الحياة الدنيا. فليس فيه -إذا تفكرت- طويل وقصير، وإنما هو قصير كله. فمن حيث منطق الأشياء وطبائعها: كل ما ابتدأ لينتهي لا يكون إلا قصيرا. أليس كل الناس يموتون بعد سنوات من تاريخ ميلادهم؟! نعم، سنوات، وإن هي إلا سنوات، لا مئات السنين، ولا آلافها.

ثم إن المقارنة النسبية بين أعمار الخلائق المختلفة تبين لك نسبة الطول والقصر باعتبار آخر. فمن الخلائق التي تعيش مئات السنين أو آلاف، من غير البشر، كالأشجار، والجمال ونحوها،

من الفراش يعيش دورته البيولوجية الكاملة، في مدة لا تتجاوز أربعاً وعشرين ساعة. يكون بيضة، ثم يخرج منها، فيدب دودة، ثم يلتف حول نفسه في غشائه، ليطير بعد ذلك فراشة، ثم يبيض ما شاء الله له ليخلف ذريته بأمان، ثم يموت. كل ذلك في أربع وعشرين ساعة! وعندما كنت أقرأ أن بعض الحشرات يعيش ثمانية أيام على الأكثر، كان يتبادر إلى ذهني أن تلك الحشرة إذا طال عمرها إلى اليوم الثامن، تنشد كما أنشد الشاعر العربي القديم:

سَمِئْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ

ثَمَانِينَ حَوْلًا - لَا أَبَا لَكَ - يَسَامِ!

واليوم الواحد بالنسبة إلى وجدان الحشرة كعشر سنوات كواحد، لا فرق. ولو نظرت إلى ما أخبر به الله عن الزمان الكوني في القرآن، لأدركت أن الأعمار كلها بالفعل قصيرة.

الزمان الكوني وتجلياته

والزمان الكوني صور وأقسام شتى، يتجلى بعضها في بُعد "المِعْرَاجِي"، وهو نوعان: الزمان الأمري والزمان الملائكي. فـ "الزمان الأمري" هو المشار إليه في قوله تعالى: ﴿يَذَرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يُعْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ (السجدة: ٥)، و "الزمان الملائكي" هو المشار إليه في قوله سبحانه: ﴿تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج: ٤). كما يتجلى في صورة "الزمان العندي" وهو المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ (الحج: ٤٧). وهو زمان "الملائكة العندية" المشار إليها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠٦) {س}. ثم "الزمان الأخروي" وهو الزمان الخالد السرمد الذي لا ينتهي أبداً.

وفي ذهنك، أنت أيها المعمر مائة عام أنك عشت عمراً مديداً. نعم تماماً كما عُمِّرت الحشرة ثمانية أيام، أو أربعاً وعشرين ساعة.

ولك أن تتفكر في نسبة الزمن عند تقلب أحوال النفس الإنسانية، بين شتى ضروب الانتظار مثلاً.. عندما تنتظر حلول لحظة سعيدة لم يبق بينك وبينها إلا لحظات يسيرة من دقائق معدودات.. تشعر أنها تمر ببطء شديد، وتقلق من "طول"

الانتظار؛ فكأن وقع الدقائق تلك في نفسك عدة أعوام. وعندما تحل اللحظة السعيدة، تشعر -رغم طول مدتها بالنسبة إلى لحظات الانتظار- أنها قصيرة جداً، فكأن وقتها يتصرم منك تصرماً. الزمن نسبي.. وتلك هي حقيقة الأعمار.

الطول والعرض في الأعمار

والعمر -عند التفكير في الخلق الإلهي- هو حقيقة الإنسان. إذ ليس المرء إلا بداية ونهاية! ساعة ولادة فساعة وفاة. ولكن.. شتان شتان بين عمر وعمر! ليس ذلك باعتبار الطول والقصر؛ إذ الأعمار كلها قصيرة كما أسلفنا، ولكن باعتبار العرض والضيق، إذ قد يكون العمر طويلاً -حسب العد البشري النسبي- ولكن يكون ضيقاً من غير سعة. كما قد يكون قصيراً بالاعتبار نفسه، ولكنه عريض جداً، حتى وكأنه لا يكاد ينتهي أبداً. وبيان ذلك بالمثال التالي: هَبْ أن العمر عبارة عن طريق يقطعها الإنسان، لها امتداد طولي وآخر عرضي. والعادة أن الإنسان إنما ينتبه إلى الطول؛ لأن ذلك هو المتعلق بمفهوم الزمن (الماضي والحاضر والمستقبل)، ولكنه قلماً ينتبه إلى العرض؛ لأن هذا إنما يتعلق بالأعمال والمنجزات خلال كل فترة من فترات الزمن. فالإنسان في سيره خلال عمره نوعان: نوع يخطو دون أن ينتبه إلى عرض الوقت، فيلتهم من طوله ما هو مقدر له، فلا يشعر ببركة العمر مهما طال، حسب العد البشري النسبي. ونوع ينتبه إلى العرض؛ ولذلك فهو إذ يخطو الخطوة الواحدة من عمره، لا ينتقل إلى الثانية حتى يخطو مثلها على عرض الطريق لا على طولها ليعيش باقي اللحظات التي هي من الخطوة الطولية الأولى نفسها التي خطاها. وهكذا يبقى يخطو على عرض الطريق حتى يستوعب كل عرضها. وحينئذ فقط، ينتقل إلى أمام ليخطو خطوة أخرى على طولها، ثم يستأنف بعد ذلك خطوات العرض. فهو إذن يسير طولاً وعرضاً. إن مفهوم العرض رمز إلى استغلال الوقت استغلالاً كاملاً. لأن الناس -في الغالب- يعيشون اللحظة الواحدة، بما لا يكفي لعمارها من الأشغال والأعمال. وربما أمضوها بالفراغ، وذلك هو ما يسمى بقتل الوقت. والعرض هو استفاد كل الحيز الزمني للحياة بالمنجزات الإيجابية، والأعمال الحية التي تملأ رصيد العبد بالحياة الحافلة بالخير. وتلك هي "بركة العمر" المرجوة في الأدعية الماثورة. وإني إذ أذكر هذا المعنى أذكر وصف الله للجنة بقوله

حقى بعد وفاته؛ فلا تجده يشعر ذلك الشعور اليأس الذي يزلزل نفسية الكفار، إذ يشعرون عند ذكر الموت بهول "الفناء".

وقد رأينا كثيرا من علماء الأمة الإسلامية ممن لم يعمر من حيث الطول إلا ثلاثا وخمسين سنة، كالإمام الشافعي رحمه الله، ولكن ها أنت تراه -بعد وفاته بأكثر من ثلاثة عشر قرنا- يملأ الدنيا بالحياة. فهذا مذهبه الفقهي يملأ عرض الدنيا وطولها، وهذه كتبه العلمية تملأ كل أعمار الناس. فهل عاش الشافعي بضعا وخمسين سنة فقط؟! إنه نظر قاصر لمفهوم الزمن إذن.

وكذلك الشأن بالنسبة للإمام النووي رحمه الله، الذي لم تزل مصنفاته هي مادة التربية الإيمانية لملايين المسلمين، ككتاب "رياض الصالحين"، وكتاب "الأذكار"، و"الأربعين النووية"، و"شرح صحيح مسلم". فهذا الرجل العظيم قد عاش عمرا مباركا عريضا جدا، في خمس وأربعين سنة فقط.

ومن المعاصرين الإمام حسن البنا رحمه الله الذي استشهد عن عمر لا يتجاوز الثلاث والأربعين سنة، ولكنه لم يزل يمتد في حياة الأجيال امتدادا قويا، لا تحده مقاييس الأعمار الفانية.. إنك تراه هنا وهناك حيا، يحرك الأحداث المعاصرة، ويهز الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية هذا في كل مكان. أولئك قوم عرفوا كيف يعيشون عرض العمر، ولم يأبهوا لطوله الكاذب.

وقد وجدنا النصوص القرآنية والحديثية تنبه المسلمين إلى هذا المعنى العظيم، حيث يملك المرء معه أن يعيش حتى التحمة، حياة حافلة بالحياة. يقول الله ﷻ في العبد يستثمر وقته في العمل الصالح: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦١)، وهو ما فسرہ النبي ﷺ بقوله: "إلى سبعمئة ضعف، إلى أضعاف كثيرة" (متفق عليه).

ويموت الإنسان لكن يمتد عرض عمره بعده. قال ﷺ: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له" (رواه مسلم) وقال أيضا: "مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أَجْوَرِهِمْ شَيْءٌ." (رواه مسلم). وذلك كل فعل الخير الذي لا ينقطع أثره بالموت.

سبحانه: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الحديد: ٢١)، ذلك أن الجنة زمن خالد، فأنت تعيش اللحظة الواحدة مرات عديدة، لا تنقضي أبدا. كما أن نعمها الوفيرة لا تستنفد أبدا. فذلك هو العرض ذو المعاني الجميلة.

أما الطول فهو يوحى بالنهاية والزوال، ومن هنا لم تكن للأعمار قيمة من حيث طولها أو قصرها. وإنما البليد من الناس من يتشبث بالطول الدنيوي. قال تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ * وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ٩٤-٩٦).

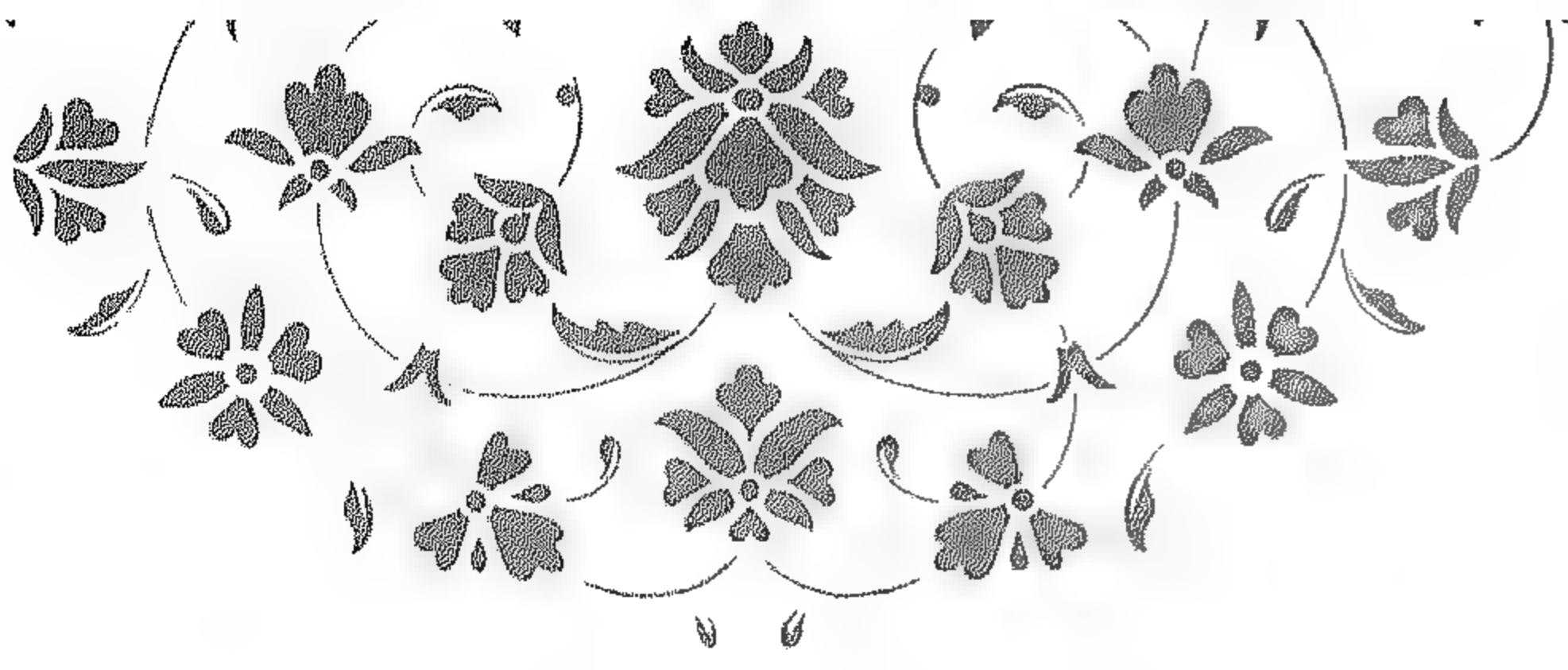
ذلك أن جشع الكفار وجهلهم بحقيقة الحياة، يجعلهم ينظرون للدنيا من خلال بُعد واحد، هو البعد الطولي. وهو بعد خداع، لأن الألف سنة فيه كاليوم لا فرق، ما دام الطول ينتهي إلى حد. والعدد في الوحدات الزمنية الدنيوية - كما رأيت - نسبي، ورب حشرة عاشت بضع لحظات، أو بضعة أيام، أزكى عمرا ممن عمر ألف سنة. ومتى كان الإنسان هو المقياس الحقيقي لوحدات الزمن؟!

العمر الطولي والعرضي

ومن هنا ذم الله الحياة الدنيا، من حيث هي طول يُتلهف فيه على المتع الزائلة، والمكاسب الفانية: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (الحديد: ٢٠)، وقال ﷺ: "مَا لِي وَلِلدُّنْيَا..؟ مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَائِبٍ اسْتِظَلُّوا تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا" (رواه الإمام أحمد والترمذي).

والأحاديث في ذم الدنيا والركون إليها كثيرة جدا، تملأ أبواب الرِّقَاقِ من كتب الحديث النبوي الصحيح. وهي لا تخرج في معناها عن التنبيه إلى خطورة النظر القاصر إلى الزمن، والتكالب على استنفاد لحظات العمر في عَدُّ طولٍ لا يمنع من الموت شيئا. والجميل في الأمر أن العرض لا ينقضي ب وفاة الإنسان، بل يمتد





الحياة الآخرة

ثم إن الإيمان بالحياة الآخرة يشعر المسلم بأن الموت إنما هو معبر إليها، فلا يحس في وجدانه العميق بأنه ينتهي بالموت؛ فيعيش الحياة بذوق آخر، ملؤه العمل والأمل في أن تكون أخره أفضل من دنياه..

فيا لبؤس عمر يعيشه الإنسان وهو يشعر بأن الموت هو آخر المطاف! انظر إلى هذه الإشارة الإلهية في وصف نفسية الملاحدة المنكرين للبعث، إذ يقتلهم اليأس، ويدمرهم القنوط.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٥)، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (الحج: ٣١).

فانظر إلى هذا الزلزال النفسي، والشعور بالدمار والخراب في الحياة الذي يملأ صدور الكفار، واليأس القاتل الذي يحشم على أحلامهم، لما يعيشونه من فقر شديد في العلم بالله. بينما يملأ هذا حياة المسلم سعة ورحمة، بسبب ما يتيح له من آفاق أرحب، للنظر في الحياة والكون والمصير. وفقدانه يعني فقدان التوازن النفسي حتما في التعامل مع العمر.

هذا الرصيد الوحيد لدى الإنسان، الذي عليه أن يوظفه ليسعد أو ليشقى. ودون هذا الفضاء الواسع الرحب لا يوجد إلا اليأس القاتل، والخراب المدمر، وهو حال كل منكر للبعث من الكفار والملاحدة أجمعين. وما ذلك إلا لأنهم - كما وصفهم الله تعالى - ﴿قَدْ يَتَّبِعُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَتَّبِعُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ (المنحة: ١٣).

ومن هنا فأنت ترى أن الباب الفسيح الذي يمد عمر المسلم بالاتساع، إنما هو مفهوم "الغيب".

هذا المفهوم الذي تقوم عليه العقيدة الإسلامية بأكملها. فهو الذي يملأ حياة العبد العامل آملا، ويغمر وجدانه حياة متدفقة أبدا، لا يحدها أجل، ولا تقطعها وفاة! ■

(٥) جامعة مولاي إسماعيل، ورئيس المجلس العلمي بـ"مكناس" / المغرب.

هذا المخلوق العجيب

يا إنسان...

يا صنعة الله...

يا مجمع الأسرار...

يا مَصَّبَ الأنوار...

يا مناراً مشعاً...

للتائه والمختار...

أنت لأخيك الإنسان مرآة...

على مرآة قلبه تنعكس صورتك...

وعلى مرآة قلبك تنعكس صورته...

فبينكما ألف رسالة ورسالة...

وسؤال وجواب... وعتاب واعتذار...

ولكن أنى للنائم أن يدرك

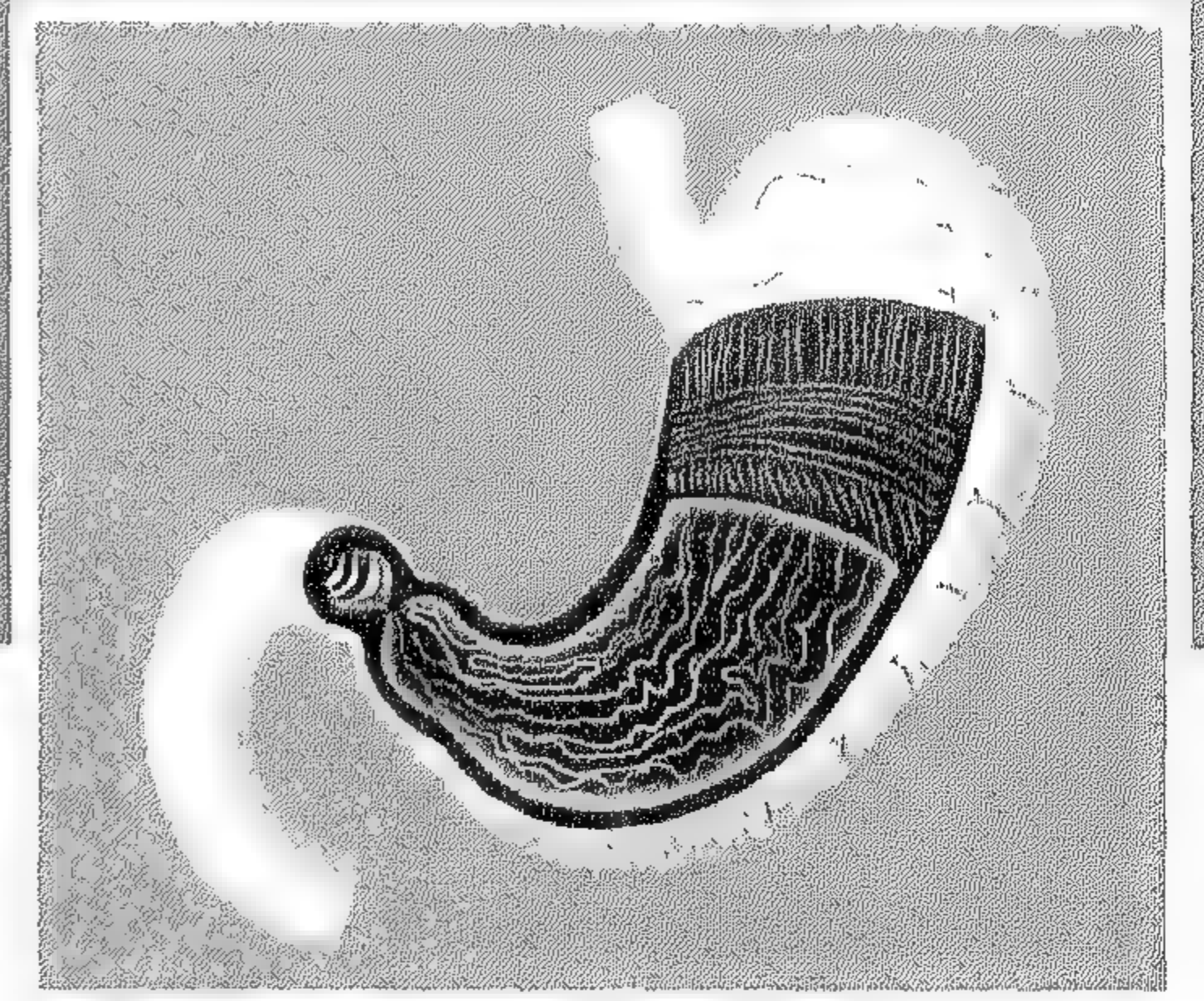
ما يقول القلب للقلب...؟



من كان قلبه بالحق تعالى موصولا كيف يكون جبل وذه مع الناس
مقطوعا... وكيف تقشاه وحدة... أو تقفرد به وحشة...؟

...

أنا معدة عبد الله



✻ أ.د. عرفان يلماز ✻

بشكل دائم. ولكن نظراً لوجودي في تجويف ذي جدران مرنة جداً -مثل التجويف البطني- فإنني أستطيع الاحتفاظ بما تأكله وتشربه حتى إتمام عملية الهضم. وهكذا تستطيع تناول الطعام في وجبات معينة للتفرغ بعدها لمشاغلك الأخرى.

قد يبدو شكلي العام بسيطاً جداً في نظرك. لذا ترى بعض من يتكلم عني يقول مهوناً من شأني بأنني عضو يشبه الكيس. وإذا أردت أن تعرف قدرتي ومقدار أهميتي، فاسأل من أصيب بالقرحة أو بسرطان المعدة. ذلك لأنني إن تعطلت أو أصابني الخلل أو المرض ضاقت أمامك الدنيا، فكل شربة ماء أو لقمة طعام ستكون عذاباً لك، فلا تجد طعاماً لحياتك ولا لذة.

دماغ ثانٍ

تتألف جداراني التي تشبه الكيس ظاهرياً من أربع طبقات من أنسجة خاصة. تتكون الطبقة الخارجية من نسيج قوي، وتليها طبقات من العضلات العرضية والطولية، تليها طبقة رخوة تحتوي على الغدد، والطبقة الأخيرة طبقة داخلية رقيقة من نسيج "ظهاري" (Epithelium). طبعاً لا يجوز أن ننسى شبكة الشرايين الدموية التي تغذي جدران هذه الطبقات العضلية، وكذلك شبكة الألياف العصبية التي تنتشر في كل أجزائها.

وشبكة الألياف العصبية هذه التي أمتلكها معقدة إلى درجة

حبيبي عبد الله...

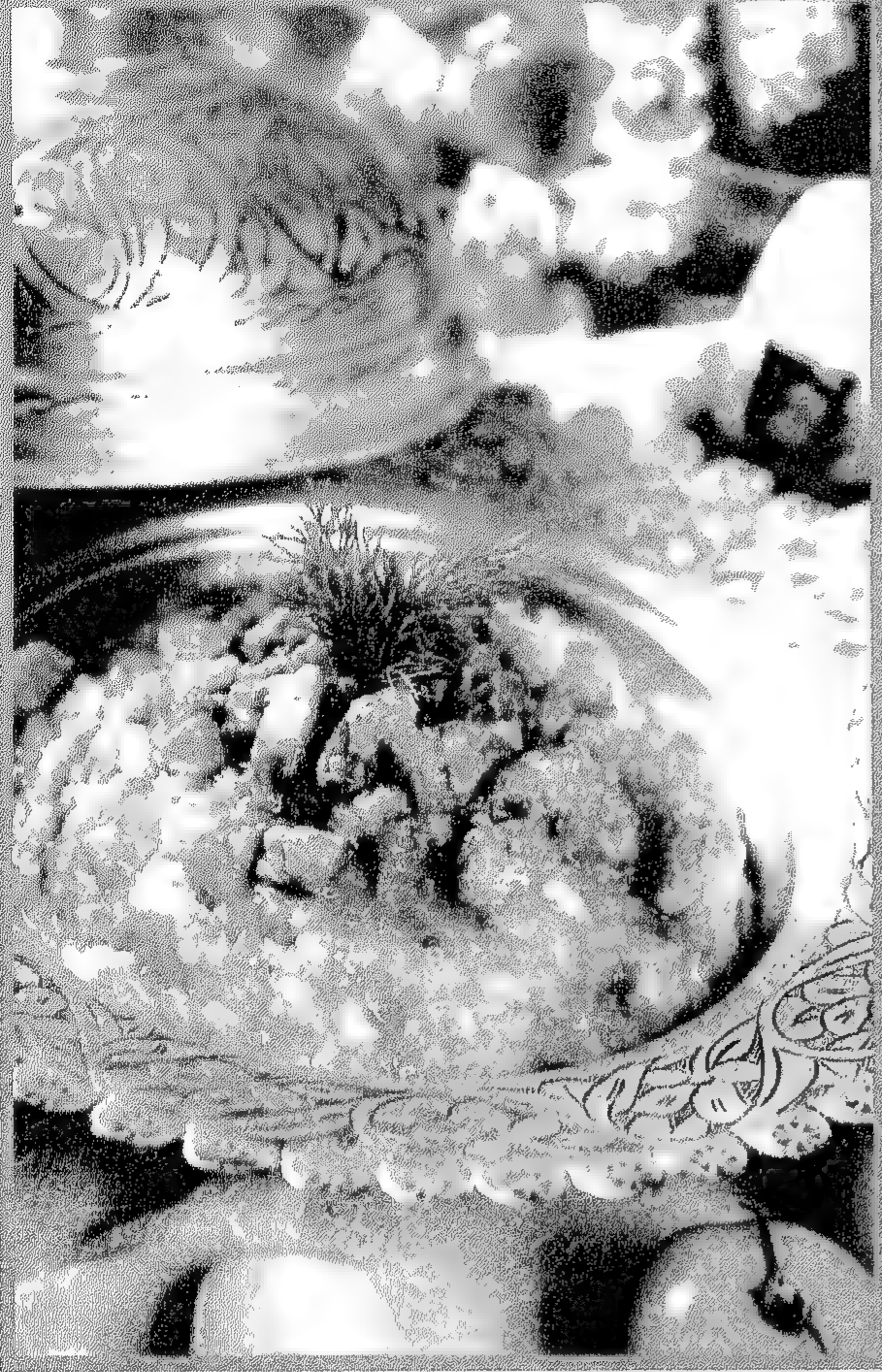
عندما كلمك جاري، القلب الموجود فوق، وعرفت بنفسي سمعت ما قاله لك، وربما ساورك بعض الغضب بسبب حديثه، لكن أعتقد أن كل كلامه لصالحك أنت. فهو من جانب قدم لك نصائح ثم صحتك، ومن جانب آخر وجه نظرك إلى الخالق الذي وهب لك القلب ففتح بذلك آفاق تفكيرك. وقد أعجبني كلامه جداً، وسررت منه، لذا ساورتني الرغبة -أنا المعدة- للتحدث إليك والتسامر معك. وأعتقد أنك إن أصحت السمع فستستفيد من الناحيتين المادية والمعنوية.



أين مكاني؟

أنا أشغل مكاناً في القسم العلوي من تجويف البطن وتحت التجويف الصدري. ولكي لا يتولد أي ضرر بيني وبين جاري الموجودين فوق، القلب والرئة، فقد وضع خالقنا ستاراً داخل القفص الصدري، أي وضعهما داخل قفص عظمي. ولكن لا تتصور أنني غير مصانة، فقد صان ربنا كل واحد منا بالشكل المناسب. فلو كان هناك سقف من العظام فوق لوجدت صعوبة في الأكل والشرب. ثم نظراً لعجزني آنذاك من خزن ما تأكله، كنت تضطر آنذاك لتناول وجبات طعام بكميات قليلة ولكن





مذهلة. فأنا أملك شبكة كبيرة من الأعصاب بحيث أكون مطلعة على ما يجري في جميع أنحاء الجسم وكأنني دماغ ثان. فلو أصيبت قدمك بشوكة، أو لو حزنت لأمر ما، أو فرحت كثيراً وضحكت تأثرت بكل هذه الأمور. وهذه الشبكة من الأعصاب حساسة جداً بحيث يمكن أن تؤثر على حركتي وعلى إفرازات غددي، وقد تعطلها أو تحزبها.

عمل الشبكة العصبية

بفضل هذه الشبكة العصبية أبدأ بالسيطرة على حركتي وعلى إفرازات غددي بدءاً من قيامك بشم رائحة الطعام والتهيؤ للأكل، وهكذا أنقذك من أي ضيق بعد تناول الطعام.

كذلك فأنا سهلة القيادة، إذ تستطيع -إن أردت وعقدت العزم- أن تروّضني لطراز جديد من الحياة. فهناك من تعود على تناول ثلاث وجبات من الطعام يومياً، وبعضهم على وجبتين، وآخرون على وجبة واحدة فقط. أمّا نصيحتي لك فهي الاعتياد على وجبتين في اليوم.

ولكي تتجزأ الأغذية التي تتناولها ويتم امتصاصها من قبل أمعائك وتكون جزءاً من جسدك لا بد أن تمر بي. لأنه لا تتم تجزئة كيميائية كبيرة في الفم: كل ما يحصل هو تفتت الطعام إلى قطع صغيرة بطريقة ميكانيكية وتحولها إلى قوام لين يمكن قبوله من قبلي. فإن استعجلت في الأكل وبلعت الطعام دون مضغ ودون تليين كافيين أتعبتني جداً. كما أن اللقم الآتية إليّ بهذا الشكل قد تقوم بخدش جدران قناة المريء، وقد تدميها. والأفضل هو مضغ كل لقمة ثلاثين مرة. ولكن معظم الناس لا يفعلون هذا مع الأسف، فبعد مضغ لمرتين أو ثلاث يرسلون الطعام لي. وهم لا يحسون بأنهم شعبوا، لذا يأكلون كثيراً فيخلّون بتوازي.

وأما إذا أكلت ببطء فإنني فوراً أخذك حاجتك من الطعام سأقوم بإخبار المركز المختص في الدماغ بذلك ليقوم بقطع شهيتك.

وهكذا تكون قد وفّرت عليّ التعب من جهة، وتجنبت الإسراف من جهة أخرى. وعندما تأكل بسرعة أكون قد امتلأت

قبل أن أجد الفرصة لإرسال الجزئيات التي تبعث إشارات الشبع، فلا يبقى عندي مكان لا للماء ولا للهواء.

أنواع الخلايا

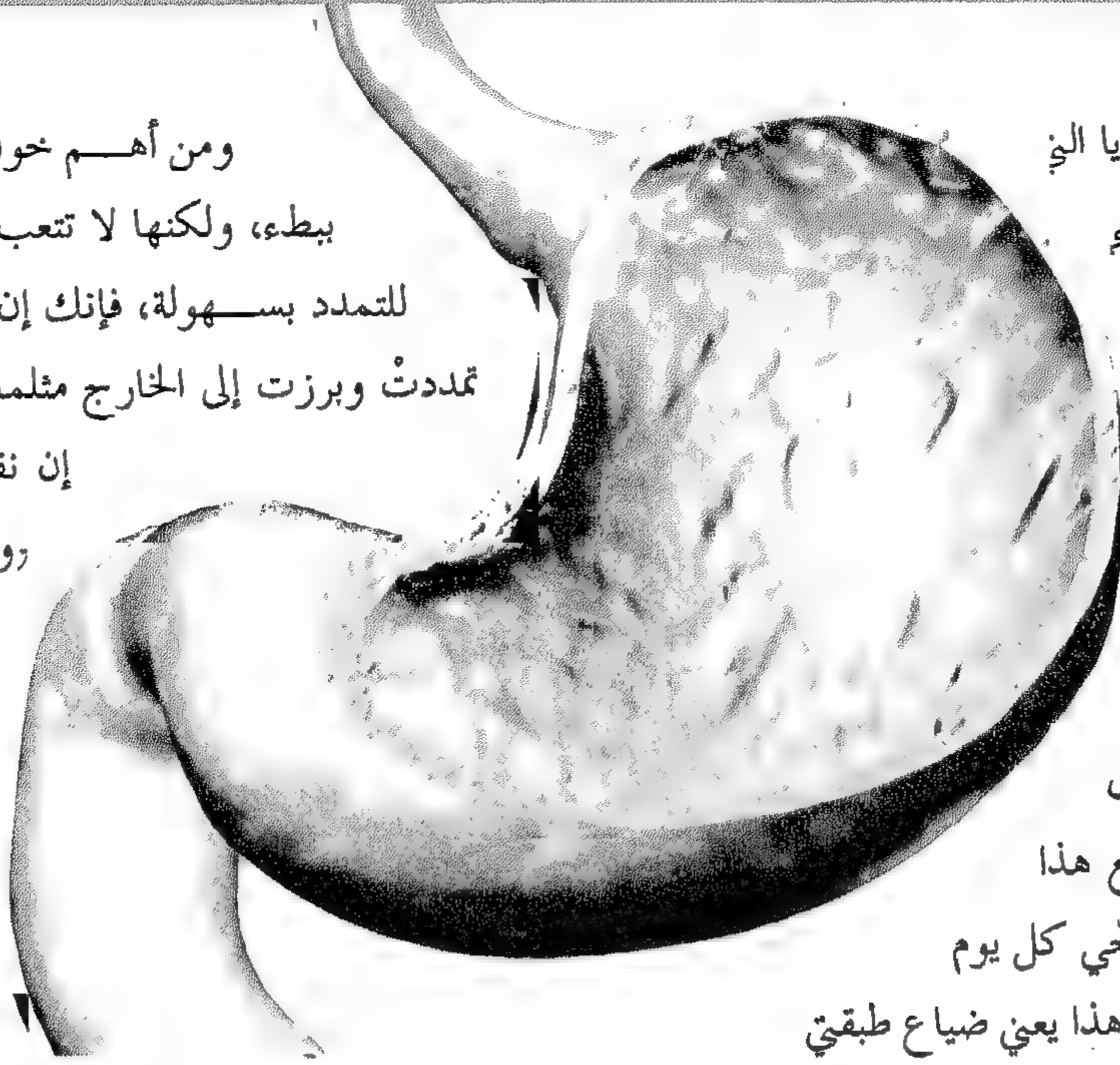
هناك ثلاثة أنواع من الخلايا في الغشاء المخاطي الذي يبطنني، أي في الغشاء الذي يكون على تماس مع الأغذية. النوع الأول منها يقوم بإفراز حامض الهيدروكلوريك "HCl" القوي جداً.

يقوم هذا الحامض الذي يستطيع إذابة حتى الحجر بتجزئة جميع البروتينات ومنها اللحم، وبقتل الجراثيم الداخلة مع الأغذية والسوائل. ولو لم يوجد هذا الحامض لما نشطت غدد إفراز أنزيم مادة الببسين "Pepsinogen". وهذا الأنزيم لا يعمل وحده، لذا لا يُفرز عندما لا يوجد طعام في جوفي. وعندما يبدأ الطعام بالدخول إليّ يبدأ بإفراز هذه المادة مع إفراز حامض الهيدروكلوريك معاً.

وقد تتساءل: ألا تتضرر جداراني بمثل هذا الحامض القوي وهذا الأنزيم الهاضم للبروتينات؟ الجواب: لا يقع مثل هذا الضرر لأن الخالق الرحيم يغطي -بآلية دقيقة- جداراني بشكل

ومن أهم خواص هذه العضلات أنها تعمل ببطء، ولكنها لا تتعب بسرعة. ونظرًا لأنها قابلة للتمدد بسهولة، فإنك إن لم تكن متوازنًا في الأكل تمددت وبرزت إلى الخارج مثلما تبرز شُرْفَةُ البناية.

إن نفسك المائلة إلى الإسراف والجشع تضرني كثيرًا، وتجعلني أداة ضارة لك. إذن فعليك ألا تستجيب لآعيب النفس، وتكون متوازنًا في طعامك وشرابك، وإلا حوّلتني إلى مخزن نُفَايات وجلبت الضرر والبلاء على نفسك.



مؤقت بمادة واقية. والخلايا التي تفرز السائل المخاطي الواقم تقوم بعملها هذا قبل إفراز الحامض وقبل إفراز الأنزيم المفتت للبروتينات، أي يعمل هذا السائل المخاطي عمل طبقة الجص أو الإسمنت التي تصون الجدران المبنية من الطابوق من التأثيرات الخارجية. ومع هذا فبتأثير الحامض والأنزيم أضحي كل يوم

بـ (١,٥) مليون خلية. وهذا يعني ضياع طبقتي الداخلية كل ثلاثة أيام. ولكن أحمد الله الذي أعطاني قدرة كبيرة على تجديد خلاياي حيث أستطيع تجديد طبقتي الداخلية بخلايا جديدة.

الأمر التي أكرهها

أود أن أعلمك ببعض الأمور التي أكرهها، وعلى رأسها المأكولات والمشروبات الحارة جدًا والباردة جدًا. فكل منهما يخرب عمل أنزيماتي ويعرقل عملها.

وأفضل درجة حرارة تعمل فيها هذه الأنزيمات هي درجة الحرارة القريبة من حرارة الجسم، أي بدرجة حرارة ٣٦-٣٧ مئوية.

إن هناك الآن شبهات قوية من أن الأطعمة الحارة جدًا تسبب في إصابة خلاياي بالسرطان. أما الأشياء الباردة جدًا فإن تلوّكها أو تبقّيها فترة في فمك لتدفئتها قليلًا ثم تبلعها تكون قد حفظتني من الإصابة بالبرد، لأنني إن أصبت بالبرد تقلصت عضلاتي وفقدت توازني فلا أستطيع أداء مهمتي.

أقوم بمخض وتحريك الأطعمة التي تأتيني من البلعوم وأعالجها بالأنزيمات حتى تتحول إلى حالة سائلة، ثم أدفعها -بعد أن تتحول إلى القوام المطلوب- تدريجيًا نحو الأمعاء الموجودة تحتي والمسمّاة بـ "الإثني عشر".

فأنا أشبه الدنيا التي توصف بأنها دار ذات بايّن، لأنني لا أحتفظ بشيء في جوفي، بل آخذ الأغذية من جهة، ثم أرسلها من جهة أخرى. لم يوضع بيني وبين قناة الطعام (البلعوم) أي باب،

متى يحصل العطب

أحيانًا يحصل عطب أو خلل في إفراز هذه المادة الواقية مما يؤدي إلى تآكل خلايا الجدران بتأثير الحامض والأنزيم، ويبدأ نضح الدم من الشرايين الدموية الموجودة في الطبقة الداخلية. وهذا يشير إلى إصابتي بـ "القرحة"، أي ظهور الجروح وبدء النزيف في جداراني. ولا تظهر هذه القرحة عند الأشخاص غير الحساسين، لذا فلا تتأثر المنظومة العصبية عندهم. أما الأشخاص الحساسون فنظرًا لكونهم يتأثرون كثيرًا فإن منظومة الإفراز تتأثر عندهم بسرعة، لذا يتعرض هؤلاء للإصابة بالقرحة بسهولة. لذا فإن من الأصوب العيش باعتدال وتعقل دون الانحراف إلى القلق والخوف والحزن الشديد أو الفرح الشديد، أي مواجهة الأحداث بصبر. فإن راعيت العيش بتوازن فلن تتسبب في تخريب نظام الإفراز عندي. أنت لا تستطيع تحريك العضلات التي تشكل نسبة كبيرة من سمك جداراني مثلما تحرك مثلًا عضلات يديك أو رجلك. تعمل هذه العضلات اللاإرادية في هذه المنظومة العصبية دون أن تشعر أنت بها، فهي تتلقى أوامرها وتعمل دون إرادة أو شعور منك.



لذا أستطيع إن لزم الأمر أن أرجع بعض ما يدخل إلى جوفي إلى الخارج بعملية التقيؤ.

وقد يبدو التقيؤ في الوهلة الأولى شيئاً غير مستحسن، لذا فقد تتساءل: لماذا لم يوضع باب أو حاجز هنا؟ ولو كان ما تقوله صحيحاً فأنا أسألك: ماذا ستكون حالك إن تناولت عن طريق الخطأ سُماً أو غذاءً فاسداً أو متعفنًا؟ كان من الضروري آنذاك إما تنظيف معدتك أو إجراء عملية لك حياتك. وقد تموت قبل إجراء تلك العملية. بينما أستطيع بقابلية التقيؤ هذه إخراج ما أشعر بضرره، ويمكن كذلك مدّ خرطوم إلى جوفي لتنظيفه.

فهل فهمت الآن لماذا لم يوضع باب أو حاجز بيني وبين القسم العلوي في؟ وعلى العكس من هذا فقد وضع باب بيني وبين الأمعاء لكي لا ترجع الأطعمة الموجودة في الأمعاء إلى مرة أخرى، ولكي لا يختلّ الجو الحامضي الموجود عندي. لأن الأنزيمات التي تعمل في الأمعاء ذات طبيعة قاعدية أو حيادية وتعمل في وسط قاعدي. والجو الحامضي الموجود عندي يخرب عمل أنزيمات الأمعاء ويخل به. فلو تدفقت إليّ أملاح كبريتات الصفراء المفترزة من الكبد أو أنزيمات البنكرياس، لاختلت الأمور عندي تماماً، وقد تم هزيمة جو مناسب في الأمعاء لظروف عمل تلك الأنزيمات والإفرازات.

اسمع نصيحتي

عندي لك توصية أخرى يا عبد الله... إياك أن تمارس الرياضة وجوفي مملوء. ذلك لأن طبقة العضلات السميكة لجداري تحتاج إلى كمية كبيرة من الدم، لذا يتم سحب مقدار كبير من الدماء من الأجزاء الأخرى من الجسم ويُرسل إليّ. فإن مارست الرياضة في هذا الوقت فلن تتم تغذية الأجزاء الأخرى من جسمك بالدم بشكل كاف، وهكذا سيتعب قلبك.

سأفشي لك سرّاً آخر: أنت تقترب خطأ كبيراً كلما تزيد من إرسال الطعام إليّ دون مبالاة بأي شيء ودون الاهتمام بالحلال والحرام؛ لأن صحتك الجسدية وصحة حياتك الروحية تتناسب عكسياً مع حجمي. فإن زدت من حجمي زاد حجم الدهون المتراكمة في قلبك وفي شرايينك، وتعرقل عمله وعملها. ويقول العديد من أهل العرفان بأن الأكل الكثير يؤدي إلى صبدأ

الأحاسيس الروحية وضعفها. والحقيقة أن الإنسان يكفيه ما يقيم به صُلبه. لذا فإن لم تصبح أسيراً للذة الأكل، وتذكرت صاحب النعم والأفضال ﷻ، وبقيت في دائرة الحلال، وأكلت ما يكفيك مع أداء الشكر... كنت أنا مرتاحة هنا وأنت مرتاحاً في الدار الآخرة. بالنسبة لي لا فرق بين قطعة حلوى تجتاز فمك إليّ وقطعة خبز، لذا فكن مراقباً لما يدخل في فمك لكي تتجنب الإسراف وتراكم الشحم والسمنة.

المعدة بيت الداء

قد يضحك بعضهم من هذه النصائح الأخيرة ويقولون: "لذة الأكل من نعم الحياة.. كما يجب أن نتغذى جيداً"، لذا فلا يهتمّون ولا يلتفتون إليها. ولكن الطب الحديث والمختصين بعلم الأغذية وصلوا ومنذ سنوات عديدة إلى النتيجة نفسها التي ذكرتها لك، حيث يقولون الآن: "أجل!.. أنت محقة!.. حسب ابن آدم لقيمات يقمن صُلبه".

إن ملء المعدة سبب مهم للعديد من الأمراض. إذن فإن كان الأكل طريقاً للذة فهو طريق إلى الأمراض أيضاً.. إذن فالمهم والضروري هو التوازن في التغذية. فهذا هو ما يوصي به العلم الحديث.

وبفضل التغيير الذي تقوم به في السنة شهراً واحداً (رمضان المبارك) في نظام الأكل فأنا وجميع مساعدي نقوم بتجديد أنفسنا، وكأننا دخلنا في مخيم أو في دورة تدريب. وهذه حاجة ضرورية لنا لندخل موسماً جديداً بعد نيل الراحة اللازمة لنا. وقريناً سيحلّ موعد المخيم من جديد، لذا فأنا أنتظر حلول هذا الموعد لأخذ قسطاً من الراحة.

عزيزي عبد الله!

أنت في حاجة إليّ للحصول على الغذاء وعلى الطاقة اللازمة، لأنني إن لم أكن موجودة لا يعمل حتى قلبك، كما يجب أخذ الغذاء الكافي لتأمين الطاقة لكل عملية بيولوجية. فأنا سيف ذو حدين. يجب ألا تهملني كثيراً، وألا تدلّني أيضاً كثيراً. وأنا أنتظر منك مثل هذا التصرف المتوازن. ■

(٣) جامعة ٩ أيلول / تركيا. الترجمة عن التركية: أورهان محمد علي.

أعراض الوحي المتزل على ذات النبي المبجل



محمد د. رابع المزاوي

ظ

وعلى ذلك الرحي تجرد القيم وتعلم في سرعة وحفاة كلما
ذلك على ذلك معناه اللغوي، ليس له الأعراض أو آثار برافها
المشاهدة

لم تكتب له أعراض في غاية في الوضوح والبيان حفظها تاريخ
الرسالة الإسلامية الخالدة، وتراث النبوة المحمدية السابقة

ذلك لما سألنا في بعضه من خلال هيئة المقالة الأخيرة
تأليف

الرحي لغة هو "الإشارة والكتابة والرسالة والإعلام والكلام
المفرد، وكل ما ألقى إلى غيره"، ومن معانيه أيضا الإعلام في
عناء، ومنه الرحي، ومعناه العجدة والسرعة

ويمكن اختصار معاني الألفاظ التي ذكرت في المقام
الرحي هو الإعلام الخفي والسرير

لما اصطلاحا فهو ما يوحى الله تعالى إلى أنبيائه ورسله من
كلام أو معنى أو غير ذلك مما يعلمونه في حفاة وسرعة

والوحي هو الركن الأساس الذي تستند عليه النبوة حيث يعدم
مقابلها بدونه، وهو المصدر الوحيد لكافة الأخبار العينية، والمادي
العقدية، والأحكام الشرعية، وهو الذي يميز بين الإنسان الذي
يعتمد فكره ورأيه، وبين الإنسان الذي يصدر عن ربه بأمره

فيل محمد صلى الله عليه وسلم ما اعطاه من الله تعالى،
ومساحة ربه في غار حراء، شهورا من كل سنة، إلى
أن أشرف في هذه اليوم الذي تحقق فيه الاصطدام

والتأثير الإيجابي، ليكن في الحسنة في حرج الغفلة الربانية
والله حريصة في نظم الحياة الحاضرة، استجابة لسنة التعبد

المرتب، شمسها بالوحي، والبريد، والهداية، بها حيرة الوحي
على صلاة التوبة، إلى الله تعالى، قال عليه الصلاة والسلام:

"أشرف على الأثر من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفاة
والهداية، وأصلها الأسرار من ربه، من ربه، فجعل
القادر بطرقه ويصحب من الشياطين، فيقولون: إلا وضعت
في هذا جنة ليتم نيلها، قال النبي صلى الله عليه وسلم: أما الله

في هذا، فمن معارف حراء الذي، فيصطحب على نفسه
عمر حراء" تحقيق الاصطدام بالتحليل عن طريق ما اصطلاح

على نفسه بـ "الوحي"، فما هي الحيرة الدلالية هذا اللفظ
الذي، على، الحيرة، على، معناه

وبالكتاب الرحي إلى على حراء، أو كمال على حواء
حداثة

لما تلت في حواء، فما حقا تلك الصورة



والوحي هو آية النبوة الكبرى، ومظنة التصديق بها، وهو عماد اليقين الذي لا ينبغي أن يتطرق إليه الشك، إلا أنهار كل ما ترتب عليه مما ذكر.

كما أن الموقف من الوحي تصديقا أو تكذيبا هو الفرقان بين الإيمان والكفر، والفصل بين الإسلام والشرك.

وهو أيضا سنة من سنن الله مع أنبيائه، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زُبُورًا وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (النساء: ١٦٣-١٦٤).

ولذلك يتعين على الباحث عن الحق في أمر الوحي أن يستقصي حقيقته، ويتأمل صورته، ويستكشف آثاره، من خلال النظر فيما حفظ في هذا الشأن من نصوص غاية في الدقة، وآية في الحجة، تبعث على التعجب والذهول، زيادة في البيان، وإمعانا في ترسيخ اليقين في الوجدان، مظنة الإيمان المكين، وأساس الاعتقاد المتين، الذي يبعث على الثقة والتصديق ويرقى بصاحبه إلى مقام الإحسان. فكيف كانت آثار هذه التجربة الفريدة على النبي الكريم، والخبرة اليتيمة على محمد عليه الصلاة والسلام؟ وما هي كافة مظاهر هذا الأمر على جسمه الشريف عليه الصلاة والسلام؟

لقد كان حقا لعملية استقبال الوحي آثار مادية ظاهرة، وأعراض فسيولوجية بادية للمشاهدة والمعاينة يدركها كل من حضر، وهو ينظر إلى النبي الكريم وهو يكابد استيعاب التنزيل، ويعاني استقبال الترتيل، نذكر منها الأعراض الآتية:

١- تصيب العرق

قالت عائشة رضي الله عنها: "ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد، فيُصَمُّ عنه وإن جبينه لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا"، (٥) وهذا يدل على المعاناة الشديدة الناجمة عن ضخامة الجهد الذي كان محمد ﷺ يبذله أثناء هذه العملية.

٢- تبدل لون الوجه

من الأعراض التي كانت تعترى جسمه الشريف عليه الصلاة والسلام، تغير لون بشرته، وقد جاء في ذلك نصوص متعددة دلت على الحقائق الآتية:

أ- احمرار الوجه

وقد جاء هذا الحديث الصحيح الذي روي عن يعلى بن أمية حيث ورد فيه: "... فإذا النبي ﷺ محمر الوجه...". (٦)

واعتقد -والله أعلم- أنه ربما قد لا يكون هناك تلازم بين عرض احمرار الوجه وعرض تصيب العرق، إذ قد يحمر الجسم دون أن تكون هناك إفرازات عرقية، كأن يتصبب الجسم عرقا دون أن ترتفع درجة حرارته.

ب- الرُبْدَة

وقد دل على ذلك الحديث الذي أخرجه مسلم عن عبادة بن الصامت: "أن النبي ﷺ كان إذا نزل عليه الوحي كرب له وتربّد وجهه". (٧)

والرُبْدَة في اللغة هي الغبرة، ومن معانيها السواد المختلط، أو الحمرة التي خالطها سواد، وتربّد وجهه: أي تغير من الغضب، وقيل صار كلون الرماد، وتربّد الرجل: إذا تعبّس، وتربّدت السماء: تغيّمت. (٨)

وحقّ لرسول الله ﷺ أن يعتريه الكرب العظيم لهيبة المقام، وهول التجربة، وجسامة التبعة، يتفاوت الكرب بتفاوت الواجبات والمعاني والمقامات والأحوال التي تتحدث عنها الآيات والسور، أكد هذا ما روي عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال: "كان إذا نزلت على رسول الله ﷺ السورة الشديدة أخذته من الشدة والكرب على قدر شدة السورة، وإذا نزلت عليه السورة اللينة أصابه من ذلك على قدر لينها". (٩)

وزيد بن ثابت رضي الله عنه يتحدث عن موضوع خبرته به عظيمة، لاضطلاعه بأمانة تدوين وحي السماء بأمر من الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ.

٣- تتابع الأنفاس وترددها

وهذا مما قد يدل على أن عملية التلقين والإلقاء في الرُوع لم تكن عملية ذهنية صرفة، وأن العملية، مهما كان محل الأمر الملقن الذهن والدماغ والقلب بصفة عامة كما تقرره اللغة، فإن لها تأثيرا على أجهزة كثيرة من جسم النبي الكريم عليه السلام، إن لم نقل الجسم برمته، وبخاصة جهاز التنفس الذي له علاقة بإمداد الهواء، ودقات القلب، التي هي أظهر الأمور وأبينها في المواقف التي لا تطاق. هذا طبعا إذا لم يكن مراد الله عز وجل إظهار الأعراض إمعانا في الإتيان بالحجة البالغة لإقامة الدليل.

ولقد شاهد الصحابة رسول الله ﷺ كيف أن ناقته التي تقله وهو يكابد الوحي لا تقوى على حمله فتخر على الأرض راغمة، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: "إن كان ليوحي إليه وهو على ناقته فتضرب بجرائها من ثقل ما يوحي إليه".

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ (الزمل: ٥)، وقوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (الحشر: ٢١) فالثقل هنا إذا ليس معنويا فحسب وإنما هو أيضا ماديا حسيا، بما أوحى به كافة النصوص الدالة على ذلك.

هكذا كانت أعراض الوحي كما قررناها الآثار المختلفة التي دلت بجلاء على شدة التجربة ومضائها على كيان محمد النبي عليه الصلاة والسلام بكليته.

إنها خبرة لم تكن سهلة عليه كما قد يتبادر إلى أذهان من لم يطلعوا على حالها كما وُصِفَتْ، وصورها كما جلّيت، أما حقيقتها في جلّيتها فلا يعرف كنهها إلا الله سبحانه وتعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام. ■

(٥) أستاذ بجامعة محمد الأول، وجدة / المغرب.

الهوامش

(١) البخاري، المناقب، ١٨؛ مسلم، الفضائل، ٧؛ السنن الكبرى، للبيهقي، ٥/٩، دلائل النبوة، للبيهقي، ١/٣٦٥ - ٣٦٦؛ المسند، للإمام أحمد، ٣/٣٦١.

(٢) لسان العرب، لابن منظور، ٦/٤٧٨٧.

(٣) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ٦/٤٧٨٨.

(٤) كبرى اليقينيات الكونية، لمحمد سعيد رمضان البوطي، ص: ١٥٤.

(٥) البخاري، بدء الوحي، ٢؛ مسلم، الفضائل، باب عرق النبي ﷺ في البرد وحين يأتيه الوحي؛ الموطأ، للإمام مالك، كتاب القرآن، باب: ما جاء في القرآن، ١/٢٠٢. دلائل النبوة، للبيهقي، ٢/٥٢.

(٦) البخاري في صحيحه، ٢/١٦٧. ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، ٨.

(٧) كتاب الفضائل، باب عرق النبي ﷺ في البرد وحين يأتيه الوحي، حديث ٨٨.

(٨) لسان العرب، لابن منظور، ٣/١٥٥٥.

(٩) الوفا بأحوال المصطفى، لعبد الرحمن بن الجوزي، ص: ١٦٦.

(١٠) اسم موضع ما بين الطائف ومكة وهو إلى مكة أقرب. الروض المعطار، ص: ١٧٦-١٧٧.

(١١) أخرجه البخاري في صحيحه، ٢/١٦٧. ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، ٨.

(١٢) المستدرک، للحاكم النيسابوري، ١/٥٣٥؛ المسند، للإمام أحمد، ١/٣٤؛ الترمذي، ٤/١٥١؛ الدلائل، للبيهقي، ٧/٥٥.

(١٣) الوفا بأحوال المصطفى، ص: ١٦٨.

(١٤) الوفا بأحوال المصطفى، ص: ١٦٨.

روى الإمام البخاري عن يعلى بن أمية، أنه كان يقول لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: ليتني أرى نبي الله يوحى إليه، فلما كان بالجعرانة^(١٠)، وعلى رسول الله ثوب قد أظلم به، ومعه ناس من أصحابه منهم عمر، إذ جاءه رجل عليه جبة متضمخة بطيب، فقال: يا رسول الله كيف ترى في رجل أحرم بعمره في جبة بعدما تظمخ بطيب؟

فنظر النبي ﷺ ساعة، ثم سكت فجاءه الوحي فأشار عمر إلى يعلى: تعال، فجاءه يعلى فأدخل رأسه، فإذا النبي ﷺ محمراً الوجه يغط كذلك، فمكث كذلك ساعة، ثم سري عنه، فقال: "أين الذي سألتني عن العمرة آنفاً؟" إلى آخر الحديث.^(١١)

والغطيظ: صوت تنفس غير عادي يحدثه النائم عندما يكون على هيئة غير مريحة، ينبعث من الخنجرة والخيشوم، أو عندما يلم به كابوس مزعج.

٥- انبعاث الأزيز ناحية رأسه

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: "كان رسول الله ﷺ إذا أنزل عليه الوحي يُسَمِعُ عند وجهه كدوي النحل، فأنزل عليه، فمكثنا ساعة، ثم سري عنه، فقرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (المؤمنون: ١)" إلى آخر الحديث.^(١٢)

وهذا الصوت كما يفهم من الحديث لا علاقة له بعملية التنفس التي مركزها الصدر والفم والأنف التي هي عرض بذاتها، وإنما له علاقة بالدماغ ولا شك، وربما كان الصوت منبعثا من الرأس، أو لربما كان منبعثا من الأذن أو منهما جميعا.

٦- ثقل الوزن

وقد جاء في ذلك أحاديث طريفة منها ما ورد في صحيح البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال: "أنزل الله على رسوله وفخذه على فخذي، فثقلت عليّ حتى خفت أن ترض فخذي". وروي عن أبي أروى الدؤوسي: "رأيت الوحي ينزل على رسول الله ﷺ، وإنه على راحلته فترغو وتقتل يديها حتى أظن أن ذراعها ينقصم، فرمما بركت وربما قامت مؤبدة يديها حتى يسرى عنه، من ثقل الوحي وإنه لينحدر منه مثل الجمان".^(١٣)

وعن أسماء بنت يزيد قالت: "إني لأخذة بزمام العضباء ناقة رسول الله ﷺ، إذ نزلت عليه المائدة كلها، وكادت من ثقلها تدق عضد الناقة".^(١٤)



الفروق الجنسية في العملية التربوية

شمس الدين بولات *

ع

الحضانة أيضاً. كما سنقدم بعض الاقتراحات التي نعتقد أنها تفيد في رفع الكفاءة في هذه المؤسسات التعليمية.

الهوية الجنسية

اكتشف العالم النفسي "هربرت لاندسال" في مركز أبحاث "Bethesda" بأن النساء والرجال الذين أصيبت عندهم الأقسام الدماغية نفسها بالخلل يتأثرون بشكل مختلف. فقد اختار لدراسته مجموعة مصابة بالصرع وقد نُزع القسم الأيمن من دماغهم وهو القسم الذي يحدد الإحساس بالحيز أو الفضاء الموجود حول الإنسان ويعين شكل الأشياء المحيطة به. فشاهد أن النساء

عندما نتحدث عن زيادة كفاءة الأفراد في تركيا وفي العالم، فإن أول ما يتبادر إلى الذهن طبعاً هو المؤسسات التربوية. وعندما يكون الإنسان

هو الموضوع نتذكر المثل القديم: "العلم في الصغر كالنقش في الحجر". هذا المثل محق وهو يشير إلى أهمية التعليم والتربية وكيفية تشكل خلفية خزين المعلومات، وشكل التربية لدى الإنسان وأنها تستمر مثلما تشكلت، وأن إحداث أي تغيير فيما بعد يحتاج إلى انقلاب ذهني كبير. لذا فسنقوم هنا بنقد ذاتي لعملية التربية والتعليم الموجودة حالياً في المؤسسات التي تعد قاعدة التعليم، وهي المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية، وأحياناً مدارس





الدماغية في الرجل تيسر له القيام بفعاليتين في الوقت نفسه. فمثلاً يستطيع الرجل القيام بنشاطين مثل القيام بقراءة خارطة والتحدث في اللحظة نفسها بشكل أيسر من المرأة. وهي تقول بأن السيطرة على فعاليتين أو نشاطين في الوقت نفسه يتم في الرجل في فصين مختلفين من فصي الدماغ. أما في المرأة ففي الفصين معاً، لذا يصعب عليها التحدث وقراءة خريطة في اللحظة نفسها. لذا فالأبحاث التي تناولت تشريح الدماغ دلت على أن الفروق بين دماغ الرجل ودماغ المرأة تجعل الرجل أفضل من النساء في النشاطات المتعلقة بالفضاء والمكان، لأن هذا النشاط في المرأة يتم عن طريق فصي الدماغ معاً.

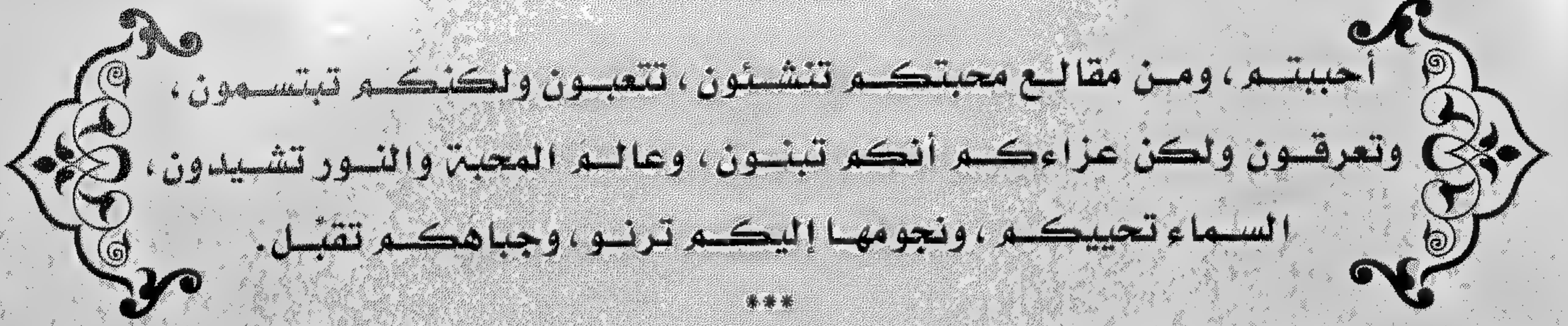
إذن فهذه الأبحاث تؤكد على وجود فروق في الدماغ بين الرجل والمرأة، وأن لكل منهما بنية مختلفة عن الأخرى. وهذا يؤدي إلى فروق في التخصص بينهما، كما يدل أيضاً على أن دماغ الرجل قد تخصص أكثر من دماغ المرأة. هنا يخطر على البال هذا السؤال: هل يبدي كلا الجنسين ردود الفعل نفسها أمام الأشياء نفسها ما دام لكل منهما بنية دماغية مختلفة عن الآخر أم ردود فعل مختلفة؟ هذا هو ما يهمنا هنا. وقد دلت المشاهدات والأبحاث العلمية على أن الرجل يستخدم فص دماغه الأيسر في حل المعضلات التجريدية، بينما تستخدم المرأة فصي الدماغ في هذا الأمر. وتم قياس التيار الكهربائي الذي ينشره

اللائي نزع القسم الأيمن من دماغهن لم يفقدن الشيء الكثير من قابليتهن. بينما شاهد أن الرجال الذين نزع هذا القسم من دماغهم قد فقدوا قابليتهم المتعلقة بالإحساس بالمكان والفضاء في تجارب (IQ) التي أجراها عليهم.

وقام "لاندسال" أيضاً بتجارب حول القسم الأيسر من الدماغ الذي يسيطر على قابلية اللغة. فشاهد أيضاً أن الرجال الذين تضرر هذا القسم من دماغهم فقدوا قابلية الكلام، أما النساء اللاتي تضرر هذا القسم من دماغهن فلم يفقدن معظم هذه القابلية، مع أن قابلية الرجال في الكلام واللغة أكثر من قابلية النساء بثلاثة أضعاف.

الفروق الدماغية بين الأنثى والذكر

وأدى هذا بـ "لاندسال" إلى استنتاج ما يأتي: "إن النساء يملكن قابلية الإحساس بالمكان وقابلية الكلام في كلا القسمين من الدماغ". وهذه النتيجة أصبحت مقبولة بشكل عام. ومع أن هاتين القابليتين أي قابلية الإحساس بالمكان وقابلية الكلام موجودة بشكل أقوى في الرجال إلا أن قابلية الإحساس بالمكان وبالفضاء موجودة عندهم في القسم الأيمن من الدماغ، وقابلية الكلام واللغة موجودة في القسم الأيسر منه. وقد أيدت التجارب العديدة الأخرى التي جرت في هذا الخصوص هذا الاستنتاج. وتوصلت عالمة الكندية "ساندرا وتلسون" إلى أن الفروق



آليات التعليم والفروق الدماغية

فاستناداً إلى هذه المعطيات يجب التوجه إلى شكل جديد من التعليم قائم على أساس هذه الفروق بين الجنسين. فكما تُعطى مناهج مختلفة من التعليم لمجموعتين مختلفتين من ناحية الاختصاص (مثلاً دروس الفيزياء التي يدرسها المهندسون مختلفة عن دروس الفيزياء لمدرسي الفيزياء) كذلك يجب مراعاة هذه الفروق في القابليات للوصول إلى أفضل النتائج.

ثم لننظر إلى هذه المسألة من زاوية المعلمين والمدرسين والأساتذة. فهل على هؤلاء القيام بتعليم مفردات المناهج التعليمية بشكل مختلف للطالبات عن الطلاب؟ أم أن هناك طريقاً وسطاً بين هذه الثنائية؟

هذه الفروق بين المرأة والرجل ليست فروقاً سطحية كما يتوهم البعض. ولا شك أنهما متساويان في الحقوق والواجبات في المجتمع، ولكن إن قمنا بتدقيق القابليات نرى فروقاً كبيرة بين قابليتهما.

تقول "آنا موير" موضحة هذه المسألة: "تترل هذه الفروق إلى أعماق كبيرة، وهي تبدو في الدماغ وفي بنيته وفي أولويات كلا الجنسين واستراتيجياتهما. وهي توجه آمالنا وأهدافنا وقابلياتنا ومهاراتنا. أما حصر هذه الفروق في ساحة التناسل فليس خاطئاً من الناحية العلمية فقط، بل هو إهمال لإنسانيتنا كذكر أو كأنثى".

وحول فكرة المساواة بين الجنسين تقول "أليس روسي": "التنوع ظاهرة بيولوجية، أما المساواة ففكرة ومفهوم أخلاقي وسياسي واجتماعي". وهي بذلك تبدي شكوكها حول مدى تلاؤم مفهوم المساواة مع العلم.

في مرحلة الحضانة والتعليم الابتدائي لا يكون الطلاب موفقين تماماً. ولكن ما إن يبلغ الطالب مرحلة المراهقة حتى يبدي تقدماً كبيراً حيث يستطيع اللحاق بالطالبات في موضوع القراءة والكتابة

الدماغ عند الأولاد وعند البنات لدى قيامهما بإسقاط شكل ثلاثي الأبعاد على الورق، فلو حظ أن الفص الأيمن عند الأولاد يعمل بنجاح أكبر. أما في البنات فهذا العمل يستوجب منهن عمل فصي الدماغ. كما لوحظ في التجارب التي أجريت على الأولاد والبنات بعرض مشكلة أمام العين اليسرى (للموصول إلى الفص الأيمن مباشرة)^(١) أن الأولاد كانوا أكثر نجاحاً في حل المشكلة. لقد نوقشت نتائج هذه التجارب وهذه المعلومات من قبل مئات الباحثين وتم التوصل إلى النتائج الآتية:

- الفروق الموجودة في بنية الدماغ تؤدي إلى فروق في السلوك وفي القابليات بين الجنسين.
- البنات أسرع من الأولاد في تعلم القراءة.
- البنات أكثر نجاحاً في الامتحانات الشفوية من الأولاد.
- الرجل أكثر نجاحاً في القابليات المتعلقة بـ "الفضاء والمكان"
- تستعمل البنات الطرق الشفوية أكثر في حل المسائل الرياضية التجريدية.
- تبدأ الطفلة بالكلام أسرع من الطفل، ويكون خزينها من الكلمات أكثر.
- يملك الرجال قابلية في الأمور المشخصة أو الملموسة.
- البنات في مرحلة الدراسة الابتدائية أكثر نجاحاً من الأولاد في تعلم القراءة، لذا يُتهم الأولاد بأنهم أغبياء. ويترسخ هذا في لاشعورهم مما يكون له أسوأ الأثر في المراحل المقبلة من التعليم.
- تؤسس الطالبات علاقات أفضل مع المدرسين والمدرسات، ويشاركن في الدرس بصورة أكثر إيجابية من الطلاب.
- يبدي الطلاب نجاحاً أكثر من الطالبات في الرياضيات والمواضيع المشخصة (أي غير التجريدية) والنظرية الأخرى.

والحديث، ثم يتجاوزهن في ساحة الرياضيات؛ حيث نرى أن درجات (IQ) التي يحصل عليها الطالب البالغ سن الرابعة عشرة والسادسة عشرة ترتفع بشكل ملحوظ، بينما تراوح درجات (IQ) التي تحصل عليها البنات في هذا السن في مكافئها، بل ربما تقبض أيضاً. ومع أن البنات يتعلمن العد والحساب بصورة أسرع من الأولاد، (في الحقيقة هن يتعلمن كل شيء في البداية أسرع من الأولاد)، إلا أن الأولاد لا يلبثون أن يتفوقوا عليهن في المنطق الرياضي. وتتناقض قابلية البنات بممرور الوقت في الرياضيات كلما اتجهن من العمليات الحسابية الأربعة -كالطرح والجمع- إلى المستويات النظرية؛ أي إن الفروق في القابليات بين الجنسين موجودة في جميع المراحل العمرية. قامت جامعة جون هوبكنس في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٢ ببحث حول قابليات الأطفال الأذكاء في مدينة "بوسطن". وقد شمل هذا البحث آلافاً من الأطفال من كلا الجنسين بعمر ١١-١٢ سنة. وكان البحث يدور حول القابليات الرياضية لهؤلاء الأطفال المتفوقين من ناحية حاصل الذكاء (IQ) والذين كانوا يشكلون ٣٪ ضمن المتفوقين في موضوع الرياضيات والامتحانات الشفوية، فظهر أن الأولاد أكثر قابلية من البنات في موضوع الرياضيات. وكلما زادت صعوبة الامتحانات زادت نسبة نجاح الأولاد بالنسبة للبنات.

ففي التجارب التي أجريت وشارك فيها المئات من الطلبة من كلا الجنسين لوحظ أن نسبة نجاح الطلاب إلى الطالبات في مستوى $420+$ هو $1,5 \div 1$ وفي مستوى $500+$ (أي في تجارب وامتحانات أصعب).

كانت النسبة $2 \div 1$ ، وفي مستوى $600+$ أصبحت النسبة $4 \div 1$ وفي مستوى $700+$ (وهو أعلى مستوى) وصلت النسبة إلى $13 \div 1$ كما لوحظ أن الفروق المتعلقة بالجنس تتوضح أكثر كلما تقدم العمر. فهرمون الرجولة يقوي قابلية الرجل المستندة إلى النظر والمتعلقة بالفضاء-المكان، بينما يُضعف هرمون الأنوثة هذه القابلية. لذا تتوضح فروق القابلية في علم الرياضيات عند الرجل بعد بلوغه ونضجه.

تناول الباحثون النظرية القائلة بأن الطلاب أكثر نجاحاً في المنطق الرياضي بينما الطالبات أكثر نجاحاً في عمليات الجمع والطرح... تناولوا هذه النظرية بالفحص والنقاش فأعطوا مفردات في علم الرياضيات إلى الطلاب تختلف عن المفردات

المعطاة للطالبات. ولكن الفروق في القابلية في علم الرياضيات لم تظهر إلا بعد إعطاء المفردات نفسها لكلا الجنسين.

ولتفسير هذا الأمر ذكروا ما يأتي: "إن معظم مدرسي الرياضيات هم من الرجال، لذا فإن لغة علم الرياضيات ولسانها لغة ذكورية ولا تناسب الطالبات".

الانقلابية في فلسفة التعليم

لذا نستطيع القول بوضوح بأن على نظام التعليم عندنا قبول وجود هذه الفروق بين الجنسين وأخذها بنظر الاعتبار وتحديد نظام التعليم حسبها. فإن كنا نرغب في تشويق الطالبات وحثهن للدخول إلى كلية الهندسة، علينا أن نجعل درس الرياضيات في المدارس أسهل بالنسبة للطالبات، وهذا يحتاج إلى تعليم الطالبات هذا الدرس بشكل مناسب لعقولهن.

هناك أدلة تبرهن على إمكانية التغلب على العقبات التي يصادفها الطلاب الصغار في مراحل التدريس الأولية، فهم يلاقون في البداية صعوبة في التعلم لأن المناهج الدراسية موضوعة حسب عقول وقابليات الطالبات، ولكن إصرار عوائل الطلاب على قيام أبنائهم بالتعلم يدفع هؤلاء الطلاب إلى اجتياز هذه العقبة وتعلم القراءة والكتابة بسلاسة. ولكن الطالبات لا يستطعن اجتياز عقبة تعلم العلاقات المكانية-الفضائية بسهولة، أي بينما يستطيع الطلاب اجتياز الصعوبات التي يلاقونها في المراحل الأولى من التعلم لا تستطيع الطالبات تطوير قابلياتهن فيما يتعلق بالمكان-الفضاء. والنتيجة التي نخلص إليها في الختام هي وجوب تقويم الطلاب والطالبات في النظام التعليمي حسب قابلياتهم الفطرية لكي يمكن الاستفادة من هذه القابليات بشكل صحيح. وهذا يستوجب وضع مفردات مختلفة في مناهج التعليم للطالبات وللطلاب تكون متلائمة مع قابلياتهم واستعداداتهم الفطرية. ونحن نأمل زيادة في البحوث العلمية في هذا المجال لكي يمكن الاستفادة بشكل أفضل من قابليات كلا الجنسين. ■

(٥) كاتب وباحث في مجال التربية / تركيا. الترجمة عن التركية: أورهان محمد علي.

الهوامش

(١) IQ: intelligence quotient أي حاصل الذكاء أو درجة الذكاء ونحصل عليها بقسمة السن العقلي للإنسان على عمره وضرب حاصل القسمة في مائة. (المترجم).

(٢) لأن الفص الأيمن يسيطر على الجزء الأيسر من الجسم. والفص الأيسر على الجزء الأيمن منه (المترجم)





شهادات استشرافية

أنصفت الحضارة الإسلامية

د. عماد عجوة*

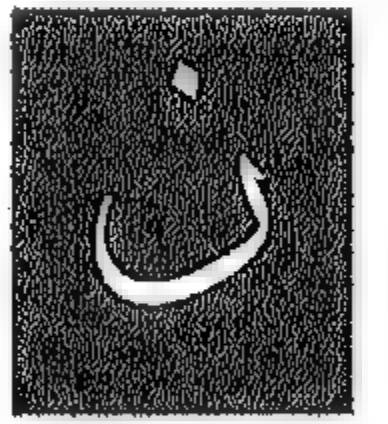
في أوج عظمتها تضيء كما يضيء القمر فتبدد غياهب الظلام الذي كان يلف أوروبا في القرون الوسطى. ويقول "جورج سارتون" في كتابه "مقدمة في تاريخ العلم": "إن الجانب الأكبر من مهام الفكر الإنساني اضطلع به المسلمون؛ فـ"الفارابي" أعظم الفلاسفة، و"المسعودي" أعظم الجغرافيين، و"الطبري" أعظم المؤرخين".

كذلك يُبدي "تومبسون" إعجابه بالعلوم الإسلامية فيقول: "إن انتعاش العلم في العالم الغربي نشأ بسبب تأثير شعوب غربي أوروبا بالمعرفة العلمية العربية وبسبب الترجمة السريعة لمؤلفات المسلمين في حقل العلوم ونقلها من العربية إلى اللاتينية لغة التعليم الدولية آنذاك". ويقول في مكان آخر: "إن ولادة العلم في الغرب ربما كان أجدد قسم وأعظم إنجاز في تاريخ المكتبات الإسلامية". هذا، وقد أبدى الباحث اليهودي "فرانز روزانتال" إعجابه الشديد ودهشته البالغة لسمو الحضارة الإسلامية وسرعة تشكلها، فيقول: "إن ترعرع هذه الحضارة هو موضوع مثير ومن أكثر الموضوعات استحقاتاً للتأمل والدراسة في التاريخ. ذلك أن السرعة المذهلة التي تم بها تشكل وتكون هذه الحضارة أمر يستحق التأمل

نستقرئ مما اعترف به المنصفون من المستشرقين أن الحضارة الإسلامية كانت هي صاحبة الفضل في إرساء الحجر الأساس للحضارة الأوروبية الحديثة؛ حيث أسهمت بكنوزها في الطب والكيمياء والرياضيات والفيزياء في الإسراع بقدم عصر النهضة وما صحبه من إحياء للعلوم المختلفة. فبينما كانت الحضارة الإسلامية تموج بديار الإسلام من الأندلس غرباً لتخوم الصين شرقاً كانت أوروبا وبقية أنحاء المعمورة تعيش في ظلام حضاري وجهل، وامتدت هذه الحضارة القائمة بعدما أصبح لها مصارفها وروافدها لتتشع على الغرب وتطرق أبوابه. فنهل منها معارفه وبهر بها لأصالتها المعرفية والعلمية.

فلم تخل أوروبا من مؤرخين أبصروا ما للمسلمين من فضل في الحضارة الإنسانية على الحضارة الأوروبية؛ فألفوا كتباً ودراسات منصفة تشيد بفضل المسلمين الذي لا يمكن إنكاره. فقد نذكر نفرًا منهم درسوا هذه الحضارة دراسة وافية وأبدوا إعجابهم بها.

فمثلاً يقول "توماس أرنولد": "كانت العلوم الإسلامية وهي



العميق، وهي ظاهرة عجيبة جداً في تاريخ نشوء وتطور الحضارة، وهي تثير دوماً وأبداً أعظم أنواع الإعجاب في نفوس الدارسين. ويمكن تسميتها بالحضارة المعجزة، لأنها تأسست وتشكلت وأخذت شكلها النهائي بشكل سريع جداً ووقت قصير جداً، بحيث يمكن القول إنها اكتملت وبلغت ذروتها حتى قبل أن تبدأ. وقد أشاد أحد الباحثين وهو "روبرت بريفولت" بالحضارة الإسلامية فقال: "إن القوة التي غيرت وضع العالم المادي كانت من نتاج الصلة الوثيقة بين الفلكيين والكيميائيين والمدارس الطبية. وكانت هذه الصلة أثراً من آثار البلاد الإسلامية والحضارة العربية. إن معظم النشاط الأوربي في مجال العلوم الطبيعية إلى القرن الخامس عشر الميلادي كان مستفاداً من علوم العرب ومعارفهم، وإني قد فصلت الكلام في الدور الذي لعبته العربية في اليقظة الأوربية، لأن الكذب والافتراء كانا قد كثرا في العصر الحاضر، وكان التفصيل لا بد منه للقضاء عليهما".

ويقول المستشرق "أدم متز" في كتابه "الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري": "لا يعرف التاريخ أمة اهتمت باقتناء الكتب والاعتزاز بها كما فعل المسلمون في عصور فحضتهم وازدهارهم، فقد كان في كل بيت مكتبة". ويقول "رينيه جييون": "لم يدرك كثير من الغربيين قيمة ما اقتبسوه من الثقافة الإسلامية، ولا فقهوا حقيقة ما أخذوه من الحضارة العربية في القرون الماضية".

ويذكر "هينولد" أن ما قام على التجربة والترصد هو أرفع درجة في العلوم، وأن المسلمين ارتقوا في علومهم إلى هذه الدرجة التي كان يجهلها القدماء. فقد قام منهاج المسلمين على التجربة والترصد وكانوا أول من أدرك أهمية المنهاج في العالم، وظلوا عاملين به وحدهم زمناً طويلاً.

ويقول "دولنبر" في كتاب "تاريخ الفلك": "لقد منَح اعتماد العرب على التجربة مؤلفاتهم دقة وإبداعاً، ولم يتعد العرب عن الإبداع إلا في الفلسفة التي كان يتعذر قيامها على التجربة". ويستطرد قائلاً: "ومن مباحثنا في أعمال العرب العلمية أنهم أنجزوا في ثلاثة قرون أو أربعة قرون من الاكتشافات ما يزيد على ما حققه الأغارقة في زمن أطول من ذلك كثيراً، وكان تراث اليونان قد انتقل إلى البيزنطيين الذين عادوا لا يستفيدون منه زمناً طويلاً، ولما آل إلى العرب حوّلوه إلى غير ما كان عليه،

فتلقاه ورثتهم (يقصد الأوروبيين حديثاً) وحوّلوه مخلوقاً آخر". ويقول "مسيو ليبري": "لو لم يظهر المسلمون على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوروبا الحديثة عدة قرون". ولقد أشار أيضاً إلى هذا المعنى المؤرخ الفرنسي الشهير "سديو" في تاريخه الكبير، الذي ألفه في عشرين سنة، بحثاً عن تاريخ المسلمين، وعظيم حضارتهم، ونتائجهم العلمي الهائل، فقال: "لقد استطاع المسلمون أن ينشروا العلوم والمعارف والرقى والتمدن في المشرق والمغرب، حين كان الأوروبيون إذ ذاك في ظلمات جهل القرون الوسطى.... إلى أن يقول: "ولقد كان العرب والمسلمون - بما قاموا به من ابتكارات علمية - ممن أرسوا أركان الحضارة والمعارف، ناهيك عما لهم من إنتاج، وجهود علمية، في ميادين علوم الطب، والفلك، والتاريخ الطبيعي والكيمياء والصيدلة وعلوم النبات والاقتصاد الزراعي وغير ذلك من أنواع العلوم التي ورثناها نحن الأوروبيين عنهم، وبحق كانوا هم معلمينا والأساتذة لنا". ويذكر العلامة "سديو" أيضاً: "أن المسلمين سبقوا كيبلر وكوبرنيك في اكتشاف حركات الكواكب السيارة على شكل بيضي وفي دوران الأرض. وفي كتبهم من النصوص ما تعتقد به أن نفوسهم حدثتهم ببعض اكتشافات العلم الحديث المهمة".

هذا، ولم ينسَ فضلاء علماء الغرب أن يعترفوا بهذه الحقيقة، ونستقي من كتاب "حضارة العرب" لـ "غوستاف لوبون" حيث يقول: "وكلما أمعنا في دراسة حضارة العرب والمسلمين وكتبهم العلمية واختراعاتهم وفنونهم ظهرت لنا حقائق جديدة وأفاق واسعة، ولسرعان ما رأيتهم أصحاب الفضل في معرفة القرون الوسطى لعلوم الأقدمين، وإن جامعات الغرب لم تعرف لها مدة خمسة قرون مورداً علمياً سوى مؤلفاتهم، وإتهم هم الذين مدّنوا أوروبا مادة وعقلاً وأخلاقاً، وإن التاريخ لم يعرف أمة أنتجت ما أنتجوه في وقت قصير، وأنه لم يفقههم قوم في الإبداع الفني". ويستطرد قائلاً: "ولم يقتصر فضل العرب والمسلمين في ميدان الحضارة على أنفسهم؛ فقد كان لهم الأثر البالغ في الشرق والغرب، فهما مدينان لهم في تمدنهم، وإن هذا التأثير خاص بهم وحدهم؛ فهم الذين هذبوا بتأثيرهم الخُلقي البرابرة، وفتحوا لأوروبا ما كانت تجهله من عالم المعارف العلمية والأدبية والفلسفية، فكانوا مُمدّنين لنا وأئمة لنا ستة قرون. فقد ظلت ترجمات كتب العرب ولا سيما الكتب العلمية مصدراً وحيداً

للتدريس في جامعات أوروبا خمسة أو ستة قرون. فعلى العالم أن يعترف للعرب والمسلمين بجميل صنعهم في إنقاذ تلك الكنوز الثمينة".

ويذكر المستعرب الصيني "لي قوان فبين" وكيل وزارة الخارجية الصينية، وعضو مجمع الخالدين (اللغة العربية) بالقاهرة، وصاحب الدراسات العاشقة لتراث وحضارة العرب والمسلمين "أن الحضارة الإسلامية من أقوى حضارات الأرض، وأنها قادرة على اجتياز أي عقبات تواجهها لأنها حضارة إنسانية الطابع، عالمية الأداء، رفيعة القدر علمياً وفكرياً وثقافياً. وبعدها تعمقت في الأدب العربي القديم والحديث ازداد اقتناعي بأن الشرق يمتلك سحر الحضارة والأدب والثقافة، وأنه صاحب الكلمة المفكرة والعقلية المنظمة؛ إذن فالحضارة الإسلامية تحمل عوامل البقاء، لأنها عصية على الهدم، لتوافر أركان التجدد والحيوية في نبضها المتدفق، وهي من أقوى حضارات الأرض قاطبة؛ لأنها تستوعب كل ما هو مفيد من الآخر وتصهره في نفسها ليصبح من أبنائها، بخلاف الحضارة الغربية المعاصرة، كما أن الحضارة العربية الإسلامية تتسم بأنها عالمية الأداء والرسالة، إنسانية الطابع، جوهرها نقي ومتسامح".

ويقول الدكتور "خوسيه لويس بارسيلو" أحد الباحثين الأسبان: "يجب أن نقرر الأهمية الحقيقية لتأثير العلوم الإسلامية، فهي من الناحية الموضوعية قد ساعدت على وجود المعايير الطبية الحالية". ويذكر من هذا المنطلق: "فقد أرسى الإسلام مدنية متقدمة تعد في الوقت الحاضر من أزوع المدن في كل العصور، كذلك فإنه أيضاً قد جمع حضارة متينة متقدمة، وذلك إذا ما طرحنا جانباً الاضمحلال الواضح للقوى السياسية، والتفكك الظاهر للدول الإسلامية. فإن الشخصية الجماعية للإسلام قد صمدت أمام كافة أنواع التغيرات، ذلك لأن معيار الشخصية الجماعية هو المدنية عامة والتقاليد التي لم تنطفئ أو تخمد. هذه هي روح الإسلام كما يجب أن يفهمها أولئك الذين يحاولون عن عمد وسوء نية تشويه صورته".

وقد حان الوقت لنستذكر هذه الحقائق عن حضارتنا آمليين
الإفادة منها لنهوضنا من جديد. ■

(٥) باحث في التاريخ والحضارة الإسلامية / مصر.

لَمَنْ سَتَكُونُ الدُّنْيَا؟

راكضون لاهثون...

على الدنيا يتسابقون...

الأقرباء في خصمها يتصارعون...

ومفتول عضلاتهم يستعرضون...

والحشود في صمت ينظرون...

قانعون خانعون...

وبسمات الأيام يستجدون...

أما المظلومون...

فهم يتألمون...

وحظهم العاثر يندبون...

فلسفة الإسلام في التعايش مع الآخر الديني والثقافي

أ.د. محمد عمارة *

وهذا التنوع والاختلاف والتمايز يتجاوز كونه "حقاً" من حقوق الإنسان، إلى حيث هو "سنة" من سنن الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾ (النساء: ١).. ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ إلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ (هود: ١١٨-١١٩). وكما يقول المفسرون: "فللاختلاف خلقهم".

فالواحدية والأحدية فقط للحق سبحانه.. والتنوع هو السنة والقانون في كل عوالم المخلوقات.

ج- وأن هذا التنوع والتمايز والتعدد والاختلاف له مقاصد عديدة، منها: تحقيق حوافز التسابق على طريق الخيرات بين الفرقاء المتمايزين: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا

يؤسس القرآن الكريم لفلسفة إسلامية متميزة في رؤية الكون والحياة والعلاقات بين الأحياء. وفي هذه الفلسفة الإسلامية المتميزة معالم رئيسية،

يمكن أن نشير إلى عدد منها:

أ- أن الواحدية والأحدية هي فقط للذات الإلهية.^(١)
ب- وأن التنوع والتمايز والتعدد والاختلاف هو سنة إلهية كونية مطردة في سائر عوالم المخلوقات. وأن هذه التعددية هي في إطار وحدة الأصل الذي خلقه الله سبحانه وتعالى. فالإنسانية التي خلقها الله من نفس واحدة تتنوع إلى شعوب وقبائل وأمم وأجناس وألوان. وكذلك إلى شرائع في إطار الدين الواحد. وإلى مناهج، أي ثقافات وحضارات في إطار المشترك الإنساني الواحد، الذي لا تختلف فيه الثقافات. كما تتنوع إلى عادات وتقاليد وأعراف متميزة حتى داخل الحضارة الواحدة، بل والثقافة الواحدة.

ي



الْخَيْرَاتِ ﴿المائدة: ٤٨﴾. ومنها: فتح أبواب الحرية للاجتهاد والتجديد والإبداع، الذي يستحيل تحقيقه دون تفرد وتمايز واختلاف: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيَهَا﴾ (البقرة: ١٤٨).

د- وأن علاقة الفرقاء المتمايزين والمختلفين والمتعددين يجب أن تظل في إطار الجوامع الموحدة، وعند مستوى التوازن والعدل والوسطية: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة: ١٤٣). "فالوسط" - بنص الحديث النبوي - هو "العدل" الذي يجب أن يحكم علاقات الفرقاء المختلفين،" (رواه الإمام أحمد).

هـ- فإذا اختلت موازين العدل والوسط بين الفرقاء المختلفين والمتمايزين في الطبقات الاجتماعية أو الشرائع الدينية أو الفلسفات أو الحضارات، فإن الفلسفة الإسلامية تجبذ طريق "التدافع" الذي هو حراك يُعَدِّلُ المواقف والمواقع والاتجاهات، فينتقل بها من مستوى الخلل والظلم والجور والعدوان إلى مستوى العدل والتوازن والوسط والتعايش والتعارف، مع المحافظة على بقاء التنوع والتمايز والتعدد والاختلاف: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: ٣٤). وهذا "التدافع" الذي هو وسط بين تفريط "السكون والموات" وبين إفراط "الصراع"، هو المزكي للتعددية، وللتنافس والتسابق على طريق الخيرات، بينما السكون يفضي إلى الموات للمستضعفين. كما أن الصراع يفضي إلى نفس النتيجة؛ لأن القوي يصرع الضعيف، فينفرد بالساحة، وينهي التعدد والتمايز والاختلاف. فالتدافع هو الذي يُعَدِّلُ المواقف الظالمة، مع الحفاظ على التعددية وعلى التنافس والتسابق على طريق الخيرات. فهو سبيل للإصلاح في ظل التنوع والتعدد، وليس على أنقاض التنوع والتعدد: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: ٢٥١).^(٢)

هذا هو موقع التنوع والتعدد والتمايز والاختلاف في الرؤية الإسلامية للكون والحياة والعلاقات بين عوالم المخلوقات والأفكار، ودور هذا التنوع في التقدم والإصلاح.

وذلك هو تميز الفلسفة الإسلامية بالوسطية الجامعة عن غيرها من نزعات وفلسفات الدمج القسري للكل في واحد.. أو نزعات وفلسفات الصراع التي تفضي هي الأخرى إلى انفراد طرف واحد - هو الأقوى - بالساحة والامتيازات. فطرفا الغلو يفضي كل منهما إلى ذات النهاية.. وبينهما تتميز الوسطية الإسلامية في هذا الميدان..

مع الآخر الديني

وفي دولة النبوة بالمدينة المنورة سنَّ رسول الله ﷺ ثلاث سنن جسدت فلسفة الإسلام في العلاقة بالآخر الديني؛ الكتابي منه والوضعي: اليهود والنصارى، والجوس ومن ماثلهم.. ولقد صيغت هذه السنن النبوية، المعبرة عن هذه الفلسفة الإسلامية، في وثائق دستورية، طبقتها دولة النبوة، ورعتها دولة الخلافة الراشدة، وظلت مبادئها مرعية إلى حد كبير عبر تاريخ الحضارة الإسلامية وأوطان عالم الإسلام.

١- مع الآخر اليهودي

وأولى هذه الوثائق الدستورية هي "الصحيفة، الكتاب"، دستور دولة المدينة المنورة، الذي وضعه رسول الله ﷺ عقب الهجرة، وفور إقامة "الدولة" ليحدد حدود الدولة، ومكونات رعيته (الأمة)، والحقوق والواجبات لوحدة الرعية، بمن فيهم الآخر الديني (اليهود العرب وحلفاؤهم العبرانيون)، وليحدد كذلك المرجعية الحاكمة للدولة ورعيته.

وفي هذه الوثيقة الدستورية تحدثت موادها - التي زادت على الخمسين مادة - عن التنوع الديني في إطار الأمة الوليدة والدولة الجديدة، وعن المساواة بين الفرقاء المتنوعين، فقالت عن العلاقة بين المسلمين واليهود، أي عن التنوع الديني في إطار وحدة الأمة: "...ويهود أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، وأن بطانة يهود كأأنفسهم، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ - "يُهلك" - إلا نفسه وأهل بيته، ومن تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة، غير مظلومين ولا مُتَنَاصِرٍ عليهم، ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين. على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم. وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم..."^(٣)

فكانت هذه الوثيقة الدستورية أول "عقد اجتماعي وسياسي وديني" - حقيقي وليس مفترضاً ومتوهماً - لا يكفي بالاعتراف بالآخر، وإنما يجعل الآخر جزءاً من الرعية والأمة والدولة - أي جزءاً من الذات - له كل الحقوق، وعليه كل الواجبات، وذلك في زمن لم يكن فيه طرف يعترف بالآخر على وجه التعميم والإطلاق.

٢- مع الآخر النصراني

أما الوثيقة الدستورية الثانية، فهي خاصة بالعلاقة مع الآخر

النصراني، وضعها رسول الله ﷺ لنصارى نجران -عهداً لهم ولكل المتدينين بالنصرانية عبر المكان والزمان- وذلك عند أول علاقة بين الدولة الإسلامية وبين المتدينين بالنصرانية. وفي هذا العهد الدستوري كتب رسول الله ﷺ: "لنجران وحاشيتها، وسائر من ينتحل دين النصرانية في أقطار الأرض جوار الله، وذمة محمد رسول الله ﷺ، على أموالهم وأنفسهم وملتهم وغائبهم وشاهدتهم وعشيرتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير.. أن أحصى جانبهم وأذب عنهم وعن كنائسهم وبيعهم وبيوت صلواتهم ومواضع الرهبان ومواطن السياح، وأن أحرس دينهم وملتهم أين ما كانوا بما أحفظ به نفسي وخاصيتي وأهل الإسلام من ملتي؛ لأني أعطيتهم عهد الله على أن لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم، حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم" (٤).

فبلغت هذه الوثيقة في الاعتراف بالآخر الديني، والقبول به، والتكريم له، والتمكين لخصوصياته، والاندماج معه، ما لم تبلغه وثيقة أخرى عبر تاريخ الإنسانية، مع ميزة كبرى، وهي جعلها لهذا التنوع والاختلاف في إطار وحدة الأمة، تجسيداً لفلسفة الدين الإسلامي في العلاقة بالآخر، وليس على أنقاض الدين كل دين.

٣- مع الآخر أهل الديانات الوضعية

أما السنة النبوية الثالثة التي قننت للعلاقة بالآخر الديني، فلقد مدّت نطاق الآخر إلى أهل الديانات الوضعية؛ فعاملتهم معاملة أهل الديانات الكتابية. ولقد بدأ تطبيق دولة الخلافة الراشدة لهذه السنة عندما دخل المتدينون بالمجوسية في إطار الرعاية الواحدة لدولة الخلافة الراشدة على عهد الراشد الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فلقد عرض عمر رضي الله عنه هذا الواقع الجديد على مجلس الشورى (مجلس السبعين)، وسأل: "كيف أصنع بالمجوس؟" فوثب عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقال: "أشهد على رسول الله ﷺ أنه قال: "سُنُوا فِيهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ" (٥).

التوترات الدينية استثناء من السنة النبوية

منذ القرن الهجري الأول ضمت الدولة الإسلامية أوطاناً ودياراً وأقاليم، كما ضمت شعوباً وقبائل وديانات وفلسفات ومذاهب جسدت كل ألوان وأطياف التنوع والاختلاف الذي عرفه الإنسان في ذلك التاريخ.

ولقد تعاقب على حكم الخلافة الإسلامية، والدول التي تفرعت

عنها وورثت سلطاتها ألوان من الخلفاء والسلاطين والولاة، منها الصالح ومنهم الطالح، ومنهم العادل ومنهم الجائر، ومنهم الذي جمع بين المتناقضات.

ولا يتصور عاقل أن تاريخاً بهذا الطول (قراءة خمسة عشر قرناً) لأمة بهذا التنوع، وعالم بهذا الاتساع، وفي ظل تحديات خارجية شرسة، يمكن أن يخلو من التوترات الدينية بين الفرقاء الذين عاشوا على أرض الإسلام. لكن النظر إلى هذه التوترات الدينية التي تمثل خروجاً عن السنة النبوية التي تقررت منذ دولة الإسلام الأولى في المدينة المنورة يجب أن يكون في حجمها الحقيقي، وفي إطار مقارنتها بما كانت عليه الحضارات الأخرى، كما حدث بين البروتستانت والكاثوليك في الحروب الدينية الأوروبية التي دامت أكثر من قرنين، وأيد ٤٠٪ من شعوب وسط أوروبا، والحروب بين البيض والسمود في أمريكا.. وفوق ذلك ومعه، يجب النظر إلى هذه التوترات الدينية والطائفية في إطار الأسباب الحقيقية التي ولدت وقائعها وأحداثها.

ولعل شهادة العلماء والباحثين غير المسلمين أن تكون خير شاهد من أهلها على حقيقة حجم هذه التوترات وأسبابها:

فالعالم الإنجليزي الحجة "سير توماس أرنولد" يشهد للحرية الدينية التي قررها الإسلام وحضارته، والتي وسعت التنوع والاختلاف، وأتاحت إنقاذ النصرانية الشرقية من الإبادة الرومانية البيزنطية، حتى يمكن القول: إن بقاء النصرانية الشرقية هو "هبة الإسلام" (٦).

والعالم الألماني الحجة "آدم مترز" يتحدث عن دور غير المسلمين في إدارة دواوين الدولة الإسلامية عبر التاريخ الإسلامي، فيقول: "لقد كان النصارى هم الذين يحكمون بلاد الإسلام" (٧).

أما الباحث والمؤرخ المسيحي اللبناني "جورج قرم"، فإنه يرجع التوترات الدينية والطائفية -العابرة والمحدودة- التي شهدتها التاريخ الإسلامي إلى عوامل ثلاثة، هي: ١- المزاج الشاذ لبعض الحكام الشواذ الذين حكموا بعض البلاد الإسلامية لبعض الوقت والذين اضطهدوا الأقليات كجزء من اضطهادهم العام للرعية كلها.

٢- صلف الوزراء والجبابرة والقادة غير المسلمين، واستغلالهم على جمهور المسلمين، وثراؤهم المستفز، وظلمهم واضطهادهم لعامة الفقراء المسلمين؛ الأمر الذي ولد ردود أفعال طائفية لم تقف عند الذين ظلموا من أبناء هذه الأقليات خاصة، وإنما عمت البلوى جماهير الأقليات. ٣- غواية الاستعمار الأجنبي -الصليبي



والإنجليزي والفرنسي - لقطاعات من أبناء الأقليات، كي تمالي الغزاة، وتحون أمتها ووطنها، ونجاح هذه الغوايات الاستعمارية في كثير من الأحيان، الأمر الذي ولد ردود أفعال عنيفة ضد أبناء هذه الأقليات التي وقعت في شباك الغوايات.^(٨)

هذا هو حجم التوترات الدينية في التاريخ الإسلامي.. وتلك هي أسباب هذه التوترات، كما شهد بها المنصفون من العلماء والباحثين غير المسلمين.^(٩)

العلاقة مع الآخر الثقافي

في الموقف من الثقافات التي تنتشر على النطاق العالمي، وفي إطار الحضارات غير الإسلامية، هناك مواقف ثلاثة، لكل واحد منها أنصار ومحبذون:

وأول هذه المواقف هو موقف المثقف "خالي الشغل"، ذلك الذي يمثل عقله صفحة بيضاء خالية من الموقف والخصوصية والذاتية الحضارية، وتنطبع عليها كل ألوان الوافد والمستورد، حتى لكان عقله هذا مكتب من مكاتب الاستيراد، التي تعيش بها وعليها طبقة "الكومبرادور" الطفيلية، التي لا علاقة لها بالإنتاج الوطني والقومي، ولا علاقة لعقولها بالإبداع الفكري والثقافي والحضاري.

وثاني هذه المواقف هو موقف الانغلاق دون الثقافات العالمية جميعها، وتحريم الاستفادة من تجارب الأمم الأخرى في الحفاظ على لغاتها وآدابها وفنونها وثقافتها، وفي التطوير لهذه الثقافات، والتجريم لكل ألوان الانفتاح على هذه الثقافات.

وأصحاب هذا الموقف يحملون بـ "المستحيل - الضار" .. فما يريدونه مستحيل التحقيق، لأن بناء أسوار صينية بين الثقافات العالمية لم يتحقق قديماً، فما بالناب في عصر ثورة وسائل الاتصال؟!

وهذا المستحيل ضار - على فرض إمكان تحقيقه - لأن الانغلاق الثقافي يؤدي بأصحابه إلى مثل ما يؤدي إليه الإضراب عن الطعام والشراب بجسم الإنسان، حيث يتغذى الجسم على ذاته، فيستهلك هذه الذات، ويصاب بالذبول والضمور والاضمحلال.

وإذا كانت التبعية الثقافية تؤدي بأصحابها إلى التقليد الذي يذيب التميز، فتضمحل به الذاتية والخصوصية، فإن الانغلاق يقود - هو الآخر - إلى ذات النتيجة البائسة والمأساوية.. فكلا التفريط والإفراط يفضيان إلى مأساة الذبول والاضمحلال للشخصية الوطنية والقومية في الثقافة والحضارة.

موقف التفاعل المتوازن

أما الموقف الثالث من الثقافات العالمية، فهو الوسط العدل الذي يختار طريق "التفاعل" مع الحضارات والثقافات العالمية، من موقع الراشد المستقل، دونما إفراط في الخصوصية يؤدي إلى "الانغلاق" أو تفريط يؤدي إلى "التبعية" والتقليد والذوبان.

وهذا التفاعل مع الثقافات العالمية هو الذي يميز بين خصوصيتنا الثقافية المتمثلة في منظومة القيم الإسلامية، التي هي معايير القبول والرفض لما لدى الآخرين، وبين ما هو مشترك إنساني عام، سواء أكان هذا المشترك علوماً طبيعية ودقيقة ومحيدة، أو تطبيقات لهذه العلوم في التقنيات التي يتم بها عمران الواقع المادي في المجتمعات الإسلامية، أو كان هذا المشترك الإنساني العام خبرات وتجارب إنسانية في ميادين ترقية الثقافة واللغة وتطعيم ثقافتنا وإثرائها بالقوالب المستحدثة والنافعة في الفضاءات الثقافية الأخرى.

فهذا الموقف الثالث - موقف التفاعل الخلاق بين الثقافات والحضارات - هو النافع... وهو الوسط العدل بين غلو الإفراط والتفريط في الانغلاق والعزلة وفي التبعية والتقليد.

بل إن هذا الموقف الثالث (الوسطي والمتوازن والعاقل) يكاد يكون هو القانون العادل الذي حكم العلاقات الصحية والناضجة بين الثقافات والحضارات على مر التاريخ.

فالمسلمون عندما انفتحوا على ثقافة مدرسة الإسكندرية في القرن الهجري الأول، ترجموا علوم الصنعة (تقنيات العلوم الطبيعية والدقيقة والمحيدة) ولم يترجموا ديانات مصر (الوثنية أو النصرانية) ولا الفلسفات الهلينية والغنوصية. وكذلك صنع المسلمون عندما انفتحوا على التراث الروماني، منذ عصر الراشد الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلقد أخذوا نظم الدواوين، دون أن يأخذوا القانون الروماني. وكذلك كان الحال في التفاعل الإسلامي مع الحضارة الفارسية؛ فلقد أخذ المسلمون تجارب الفرس في التراتيب الإدارية، دون أن يأخذوا فلسفات الجوسية وعقائدها الدينية. وبنفس المعايير كان الانفتاح والتفاعل الإسلامي مع المواريث الهندية؛ إذ أخذ المسلمون فلك الهند وحسابها، دون أن يأخذوا فلسفتها وديانتها. ولقد حكمت ذات المعايير الانفتاح الكبير للحضارة الإسلامية على التراث الإغريقي؛ فأخذوا من الإغريق العلوم الطبيعية والتجريبية، دون أن يأخذوا وثنية الإغريق. وبنفس المعايير كان انفتاح الحضارة الأوروبية - إبان نهضتها - على الحضارة الإسلامية، عندما أخذت العلوم التجريبية والمنهج



التجريبي، والخبرات الإسلامية، دون منظومة القيم الإسلامية، والعقائد الإسلامية، وفلسفة العلم عند المسلمين.

إن الخصوصية الثقافية هي الضرورة المحركة للعقل المسلم كي يسدع ويجدد؛ بينما الانغلاق والتبعية والتقليد تفضي إلى الذبول والذوبان والاضمحلال.

لقد تميزت فلسفة الإسلام في النظر إلى الشرائع والملل والنحل الدينية غير الإسلامية، وفي العلاقة بالمتدينين بتلك الشرائع والملل والنحل بالموقف الوسطي الذي قرر أن دين الله واحد، من آدم إلى محمد ﷺ. إن الشرائع السماوية متعددة بتعدد أمم النبوات والرسالات في إطار وحدة عقائد هذا الدين الإلهي الواحد. فتحققت بهذه الفلسفة الوحدة الدينية مع التمايز في الشرائع الدينية أيضاً. وهذه الفلسفة الإسلامية في النظرة للآخر الديني حقق الإسلام "ثورة إصلاحية.. وإصلاحاً ثورياً" تجاوز الاعتراف بالآخر والقبول به والتمكين له، إلى حيث جعل هذا "الآخر في الشريعة" جزءاً من "الذات الدينية الواحدة"، وذلك لأول مرة في تاريخ العلاقات بين أبناء الديانات والحضارات.

ووحده الإسلام هو الذي بدأت به مسيرة جعل الآخر جزءاً من الذات الدينية؛ فقرر للآخرين ذات الحقوق وذات الواجبات في الدولة والأمة: "لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم..".

بل لقد جعل الإسلام من الآخر الديني جزءاً من أولي الأرحام عندما أقام الأسرة - وليس فقط الأمة - على التنوع الديني. فأصبحت الزوجة الكتابية سكناً يسكن إليها المسلم، وموضع محبته ومودته، بينهما ميثاق الفطرة.. حتى لكأنهما ذات واحدة يجمعها لباس واحد: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ (البقرة: ١٨٧).^(١٠)

ولأن فلسفة الإسلام وهي تتطلع إلى المثالي، لا تغفل عن مكنونات "الواقع" تميزت بالعدل الذي لا يضع كل أهل الكتاب في سلة واحدة وصنف واحد، بينما ميّزت بين فرقائهم بحسب موقف كل فريق من "الكلمة السواء"، التي هي التمايز في الشرائع بإطار وحدة الدين: "الأنبياء أبناء علات، دينهم واحد، وأمهاهم شتى" (متفق عليه). ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٤).

فأهل الكتاب ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١١٣-١١٥).

وليس من العدل أبداً التسوية بين هؤلاء الذين تفيض أعينهم من الدمع مما عرفوا من الحق، وبين الذين دخلوا في لون من الشرك والكفر: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (المائدة: ٧٢).

لكن الإسلام مع هذا التمييز بين فرقاء أهل الكتاب، والعدل في التمييز بين مواقفهم من "الكلمة السواء"، قد جعل حساب كل ذلك إلى الله وحده يوم الدين. أما في الدنيا والدولة والتكريم الإلهي لمطلق بني آدم، فقد قرر الإسلام لكل هؤلاء الفرقاء ذات الحقوق وذات الواجبات التي قررهما للمسلمين المؤمنين بكل الكتب وكل النبوات والرسالات.. وبنص عبارة رسول الله ﷺ في عهده لنصارى نجران وكل من ينتحل دعوة النصرانية: "فإن لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم، حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم". تلك هي مرتكزات التعايش مع الأديان الأخرى، في القرآن الكريم، وفي التطبيق النبوي لهذا القرآن الكريم.. ■

(٩) كاتب ومفكر إسلامي / مصر.

الهوامش

(١) انظر: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ١-٤).

(٢) وانظر: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صَوَامِعُ وَيَعٍ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ (الحج: ٤٠).

(٣) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، لمحمد حميد الله، القاهرة ١٩٥٦ م، ص ١٥-٢١.

(٤) مجموعة الوثائق السياسية، لمحمد حميد الله، ص ١٢٣-١٢٨.

(٥) فتوح البلدان، للبلاذري، القاهرة ١٩٥٦ م، ص ٣٢٧.

(٦) الدعوة إلى الإسلام، سير توماس أرنولد، القاهرة ١٩٧٠، ص ٧٢٩-٧٣٠.

(٧) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم منز، بيروت ١٩٦٧ م، ١/١٠٥.

(٨) تعدد الأديان وأنظمة الحكم، جورج قمر، بيروت ١٩٧٩ م، ص ٢١١-٢٢٤.

(٩) انظر: السلوك لمعرفة دول الملوك، للمقريزي (٧٦٦-٨٤٥ هـ)؛ عجائب الآثار، للحبري (١١٦٧-١٢٣٧ هـ).

(١٠) وانظر: ﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (النساء: ٢١).



هتفت وهي
تنزل السلم
مسرعة:

- حسناً.. حسناً.. أتيتك!

الظاهر أن طارق الباب كان على عجل... لأنه ما إن لمس
مطرقة الباب لم يدع الطرّيق... كان يطرق باستمرار... وعندما
فتحت الحائجة حسية الباب بقلق ممزوج بالغضب، ذهلت ولم
تصدق عينيها:

- جميل!!..

لفظت اسم ابنها في صرخة نداء من بين شفيتها...

...

كانت العمة حسية قد ودّعت فلذة كبدها جميل إلى
"سيبيريا" مدرّساً قبل ستة أشهر، ولم يجُلْ في خيالها أنه سيعود
هكذا مبكراً.

وقبل ذهابه إلى سيبيريا كانت قد انتظرت أعواماً وأعواماً بنافذ
الصبر لينهي دراسته الجامعية. فبينما هي تأمل أن تنقضي أيام
الفراق وتتحقق آمالها الحلوة فيه، إذا به يفاجئها بقوله:

- يجب أن أذهب...

يجب أن أذهب يا أمي!.. عليّ

أن أكّرّس عمري من أجل هدف

إنساني!.. وعليك أنت أن تقي ابنك لهذا الهدف،

مثلاً فعل أسلافنا، فوهبوا أعمارهم وثرواتهم وأبناءهم.
فحقّ فيها ما قيل:

"فارقته لم تكن عالمة أن يوم الملتقى يوم اللقاء"

...

هكذا هي امرأة الأناضول.. رمز التضحية والبراءة والصفاء...

فكلّما استمعت إليه لاحت لها بوارق الحق في كلامه، قالت له:

- اذهب يا بني!..

ودّعته كالأمهات اللواتي أرسلن أبناءهن للدفاع عن الوطن

من محطة "يِلجِك"، قائلة:

- اذهب يا بني!.. اذهب.

فذهب إلى سيبيريا القارسة البرد التي ما لبثت حتى تحولت في

عزيمته إلى أكثر الأنسام عدوياً ودفئاً.

ولكن في المساء الأخير قبيل ذهاب ابنها، وكان رأس ابنها في



تشير إلى الساعة الثالثة إلا عشر دقائق. تناولت الساعة وتمعت فيها... عجباً! كانت الساعة متوقفة... وبدون أن تشعر، ودون أن تدري السبب هتفت:

- آه يا بني!.. كيف عرفت أن الساعة متوقفة فقممت بإيقاظي؟!..

وقفت خاشعة للصلاة... كانت في حالة روحية غريبة... تضرعت وقرأت الأدعية حتى الصباح.
.....

بعد أيام دُقَ بابها دقات وجلة ومتردة... نزلت ودرج البيت القدم يصير تحت قدميها، وفتحت الباب... كان هناك شابان وضيئاً الوجه... قال الشاب الطويل بصوت خافت:

- هل أنت العمّة حسيبة؟!

- أجل!

- هل نستطيع الدخول يا عمّة حسيبة؟.. نحن أصدقاء "جميل".

لمعت عينا العمّة حسيبة. قالت بفرحة غامرة:

- طبعاً!.. طبعاً!.. تفضلوا يا أولادي!..

ثم أردفت بانفعال:

- "جميل"... هل أتى "جميل" أيضاً؟

- كلا!.. لم يأت جميل يا عمّة حسيبة.

- ولكن هذه الحقيبة في يدك هي حقيبتها!

نكس كلاهما نظرهما إلى الأرض... ربّاه!.. كم كان هذا الأمر صعباً.. ثمالك أحدهما نفسه بصعوبة وقال:

- هذه الحقيبة حقيبتها يا عمّة حسيبة! ولكنه...

لم يستطع أن يكمل الجملة... تحولت الكلمات عنده إلى دموع... فهتت العمّة حسيبة... وهل هناك أحد يفهم أفضل من الأم لغة الدموع؟ تهاوت في مكانها... من يدري كم استمر ذرفها للدموع... ثم قالت أخيراً:

- "إنا لله وإنا إليه راجعون"...

ارتسم التوكل وتسليم أمرها لله خطوطاً على وجهها. سألت:

- كيف حدث هذا؟

- مرض قليلاً.. ذهبنا به إلى الطبيب... كان يسير نحو الشفاء... في تلك الأمسية أيضاً كان وضعه جيداً حتى إن طلابه جاؤوا لزيارته، وبعد أن غادروا قال:

حجرها، تداعب شعر رأسه كما كانت تفعل عندما كان طفلاً فتحت صندوق عرسها وأخرجت منه ساعة بسلسلة وقدمتها له قائلة:

- خذ يا بني!.. هذه الساعة ذكرى من والدك، ورثها هو من والده... ستتذكر أمك وستدعو لأبيك كلما نظرت إليها..

قبل يدي أمه ومسح وجهه بيديها:

- وهل يمكن أن أنساك يا أمي؟!

ثم نهض وأخرج ساعة دقاقة من حقيبته:

- ما دام الأمر هكذا... إذن أتُرك لك ساعتني هذه... ليست ساعة اعتيادية يا أمي!.. إنها تدق مع دقات قلبي...

كان جميل قد أضاف ثلاث حلقات إلى الساعة. كان هناك سهم متجه من كل حلقة نحو مركز الساعة. في الحلقة الأولى كانت توجد كلمة "الفجر" وفي الثانية كلمة "الضحى" وفي الثالثة حرف "ت" (١) فقط. كانت هذه الحلقات موجودة على الساعة وحسب الأوقات.

فتح عينيه على جو جديد من الحياة، لذا فما إن يصحو في الفجر ويصلي حتى يغيّر ساعته على حلقة الضحى ثم على حرف "ت". شرح هذا لأمه ثم قال لها:

- اعملي أنت الشيء نفسه يا أماه!.. وادعي لي!

ثم حدثها عن أشياء كثيرة...

أيقظته أمه في ساعة صلاة الفجر وودعته.

...

سافر إلى سيبيريا كأنه فارس على صهوة جواد من نور ينطلق في الظلام مودعاً أمه في الفجر... ينطلق إلى أماكن لم تر بعد نور الشمس ولم يلمسها بعد شعاعها الذي يحيي الموات. وبينما كانت تتوقع أن تتأخر هذه العودة إذا بها تراه أمامها. وكما تفعل كل أم فقد فتحت ذراعيها إلى أقصى ما تستطيع واحتضنته... فتحت عينيها على غرفة مظلمة، فصحت من رؤياها... تقلبت في فراشها ببطء وهي تنهد قائلة: "آه يا بني!" كانت الساعة تشير إلى وقت حلقة "ت"، تمت بوهن وهي تضغط على زر الساعة:

- هذه الليلة لم تبقي لي حاجة إليك... لقد أيقظني

صاحبك.

قامت وتوضأت... وعندما فرشت سجادتها ألقت نظرة على الساعة... كان ميلاً الدقائق والساعات متوقفين، وكانت الساعة



- أعتقد أنني تعبت...

وذهب إلى غرفته. نام ولم يستيقظ.

- وأين نعشه؟..

قالت هذا، وأخذتها نوبة أخرى من البكاء.

مدّ الشاب الطويل بعض الأوراق إليها وقال:

- وجدنا في الصباح هذه الأوراق في جانبه... وكأنه أحسّ

بدنو أجله... كان يصرّ في هذه الأوراق على دفنه في اليوم الثاني

في البلدة التي تُوفي فيها... لم نجد بُدّاً من تنفيذ وصيته فقمنا

بدفنه في حديقة مدرستنا... أي في مكان يستطيع فيه سماع

أصوات طلابه الذين أحبههم كثيراً.

ثم أخرج من جيبه ساعةً بسلسلة وظرفَ رسالة، وقدمهما

للعمة حسيبة قائلاً:

- لقد ترك هذه الأغراض لك يا عمة... هذه ساعة ابنك،

وهذه هي الرسالة الأخيرة التي كتبها لك.

لَقَّت العمة حسيبة السلسلة على ذراعها وأخذت الساعة في

راحة يدها. ثم -وييد مرتعشة- أخذت الرسالة... قربتها من

شفتيها وقبلتها ثم بكت طويلاً. وعلى الرغم من حالها المؤلم فقد

حافظت على رقّتها وأدبها الجم وقالت لهما:

- أرجو المعذرة منكما...

ثم قامت وذهبت إلى الأريكة الطويلة التي جلست عليها

مع ابنها لآخر مرة... كان ابنها قد وضع رأسه في حجرها...

تذكرت كلماته الأخيرة لها:

- لم يبق لي يا أمي سوى الدعاء لك... أما أنا، فمُهمّتي

تقديم خدماتي حتى الرّمق الأخير... وربما سنجلس معاً يا أمي

في اللجنة على أريكة من الزمرد، وسأضع هناك رأسي في حجرك

وستلمسين شعري وتنشدين لي أغنية من أغاني الأطفال... وما

أجمل أن يضع ابن رأسه في حجر أمه ليسمع أغنيتها الحنونة

الصادرة من قلبها في مقرّ فوق الزمان والمكان... آه! ما أجمل

هذا!!..

وبصعوبة فتحت الرسالة:

- أمّا!.. لا أدري هل أستطيع إتمام رسالتي هذه قبل وفاتي

أم لا؟.. أريد أن تحتفظي برسالتي هذه سرّاً بينك وبينني...

ما أبرد هذا البلد يا أمّا... أشعر بالقشعريرة وهي تسري في

جسدي... أشعر بالبرد يا أمّي... أكتب هذه الرسالة على فراش

المرض... جاء تلاميذي في المساء لزيارتي... طلبت منهم الدعاء

لي بالشفاء... آه يا أمّي، لو شاهدت كيف دعوا... لو شاهدت

أسلوب وكيفية دعائهم... لو كانت لي ألف روح وتجمّدت

كل منها واحدة إثر أخرى لما ترددت في المجيء إلى هذا البلد

البارد. لو كنت هنا إلى جانبي لهيأت لي شراب النعناع والليمون

لأعرق وأشفي. لم أعد الآن أحزن لعدم كونك معي وبجانبي،

لأنني غفوت لحظة فإذا بياي يُفتح ويدخل شخص نوراني... ما

إن رأيته حتى حاولت أن أهبّ من مكاني... ولكني لم أستطع..

فقد كنت خائر القوى.. قال لي:

- هل أصبت بالبرد يا جميل؟ هل بردت كثيراً يا جميل؟..

تصوري! قال لي "يا جميل؟!" ثم نزع بردته وألبسني إياها...

والأهم أنه قال:

- تعال!.. لن تشعر بالبرد من الآن فصاعداً... وإلى الأبد..

وفي أثناء محاولتي القيام من الفراش وقعت على الأرض...

سألني دعوته يا أمّا!.. وقد أمرّ بك قبل الذهاب... لا تحزني يا

أمّا من أجلي... ولن أحزن من أجلك... عندما ودّعني قلت

لي:

- أستودعك الله...

وأنا الآن أستودعك الله وأدعك في كنفه وفي كنف رسوله

وحبيبه... أتلي سورة الفاتحة من أجلي... ودُمت في رعاية الله

وحفظه يا أمّا!.

ابنك جميل...

...

وقعت الرسالة من العمة حسيبة، وتحركت شفتاها دون إرادة

منها بسورة الفاتحة. وكأنها تتلو له قصيدة حب، وفيما هي تمسح

وجهها بيديها وقع نظرها على الساعة التي أعطتها لجميل...

ساعة العائلة وميراثها... كانت متوقفة وتشير إلى الساعة الثالثة

إلا عشر دقائق. ■

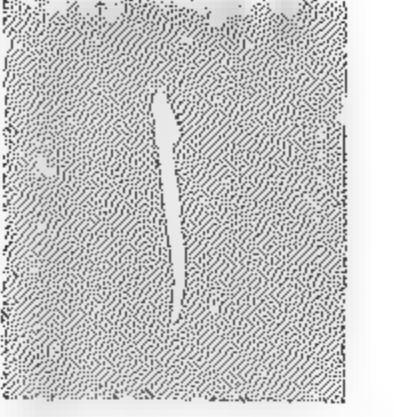
(٥) كاتب وأديب تركي. الترجمة عن التركية: أورهان محمد علي. وهي قصة

حقيقية وقعت في بلاد الجليل، سيبيريا.

(٦) وهو الحرف الأول من كلمة "التهجد". (المترجم)

الانقصار الأخير

✽ عمر فاروق كولدرن ✽



أقبل هذا المساء على المدينة المغمورة بالثلوج موحشا كتيبا.. وألقى عليها مع قساوة البرد وشاحا أسود حزيناً.. الغيوم السوداء تخنق الضوء والنور.. صمتٌ كالح.. هدوء مخيم على الشوارع.. وإذا بحافلة البلدية تقف بفرملة مزعجة تخدش الأذان.. نزل وهو شارد الذهن.. رفع رأسه ودار بنظراته الحزينة هنا وهناك.. وقف لحظات ثم أخذ يسير في طريقه رويداً رويداً..

الامر هذه المرة جد مختلف.. شحب وجهه وتندت عيناه بالدموع.. تنهد ثم تتم في أسي:
- إنا لله وإنا إليه راجعون!..

دق الجرس.. فتحت زوجته الباب والقلق العميق باد على وجهها.. ركزت نظراتها في وجهه الشاحب آملة أن يخبرها عما جرى معه اليوم.. نظر إليها وابتسم ابتسامة باهتة ودخل بهدوء.. توقعت أن الأمر ليس على ما يرام!.. وما إن رأى أطفاله حتى احتضنهم وضمهم إلى صدره بشوق وقبلهم بحرارة وكأنه يودّع.. توجهت زوجته "وفاء" نحو المطبخ لتحضير العشاء وقد احتل الضيق صدرها.

وخلال تناولهم الطعام كان "صابر" معتصماً بالصمت وغارقاً في التفكير.. لم يمازح أولاده ويداعبهم، لم يسألهم عن يومهم في المدرسة هذه المرة.. وعندما كانت وفاء تجمع أطباق الطعام من فوق المائدة ملأ جميع أطراف الغرف صوت ندي.. أذان العشاء يُرفع.. نهض صابر من مكانه وتوجه إلى المغسلة ليتوضأ.. انزوى في غرفة كان قد جعلها مسجداً في بيته.. وبعد لحظات وقف وأهله إلى الصلاة في جماعة.. وقف باستسلام خاشعاً متضرعاً.. ارتجف صوته وتساقطت دموعه على خديه واحدة إثر الأخرى.. لم يعد يشعر بنفسه أو بما حوله.. كان يوقن أن الله معه وقريب منه جداً.. وبعد الأوراد والتسبيحات قام أولاده فقبلوا يده ثم ذهبوا إلى غرفهم، عندها سددت وفاء نظراتها إليه وقالت بصوت خافت:

- ما الأمر يا عزيزي، لست طبيعياً اليوم؟!..
- اطمئني أنا بخير الحمد لله..
- هل ذهبت إلى المستشفى؟
- نعم ذهبت!..
- وماذا قال لك الدكتور؟!..
- لم يقل شيئاً مهماً.

اجتاحتها موجة من الضيق.. وحط على قلبها حزن عميق أسود.. دارت بنظراتها الحزينة في جنبات الغرفة وقد تشبعت عينها بالدموع.. عرفت أن حالة زوجها ليست جيدة هذه المرة.. اقتربت منه ثم جلست إلى جواره بتأدب وأسندت رأسها على كتفه:
- أرجوك يا عزيزي لا تخف عني شيئاً..

كان لا يريد أن يحزنها أكثر، ولا يريد أن يبين عن همومه واضطرابه.. ولكن..
قال وعيناه على المكتبة:

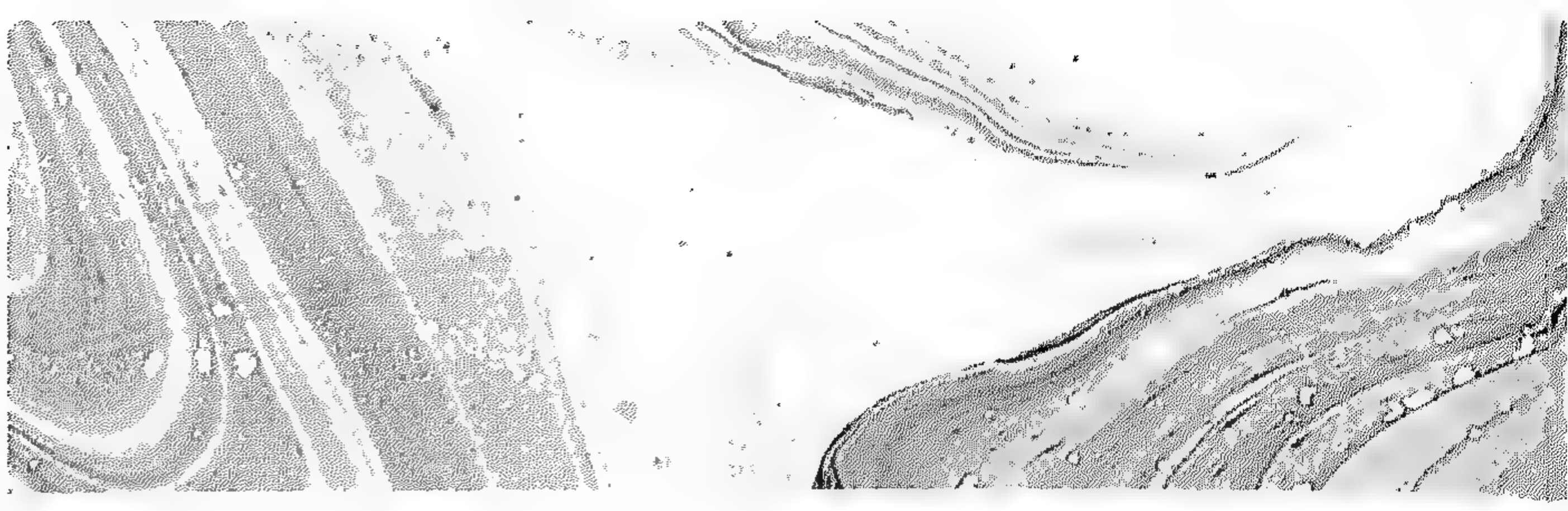
- قال لي الدكتور بأن مرضي انتقل إلى الرئة.
- إلى الرئة؟!

- نعم، ولكن لا تقلقي!.. لكل داء دواء.. والشافي هو الله!..

كان يدرك أن الأمر جد خطر، وأن ليس لهذا المرض دواء.. لقد نصحه الدكتور بأن يستريح جيداً ولا يتعب نفسه لمدة ثلاثة أشهر ثم يعود إليه.. آمن بأن المرض الذي انتابه هو تقدير إلهي، ولا اعتراض لحكم الله.. كان يعرف معنى التوكل معرفة حقيقية.. قام وخطا نحو المكتبة وتناول منها المصحف الشريف.. وراح يتلو سورة الكهف.. قالت وكلها آذان صاغية لما يتلو:
- ولم سورة الكهف!.. ولم لا نتابع تلاوتنا من المكان الذي وقفنا عنده؟!..

- قرأت في حديث شريف للنبي صلى الله عليه وسلم أنه إذا قرئت هذه السورة ليلة الجمعة كانت دواء لكل داء.. وإني أؤمن من صميم قلبي أنه الصادق المصدوق وأن أقواله دواء لكل مرض





وشفاء لكل مريض بإذن الله تعالى..

صمت لحظات، ثم أخذ يحدثها عن اليقين العميق مستشهدا على ذلك بهذه القصة...

- لقد أصاب قحط قاتل قرية من القرى. فلم يبق عند أهلها قطرة ماء يشربونها أو يسقون بها دوابهم.. لم يجدوا سبيلا سوى الدعاء إلى المولى عز وجل.. احتشدوا رجالا ونساءً، صغاراً وكباراً، جمعوا دوابهم وخرجوا إلى البراري والقفار راجين من الله أن يغيثهم.. إمام القرية يدعو والأهالي يؤمنون، يستغفرون فيستغفرون، يوحد فيوحدون.. وما هي إلا دقائق حتى تراكت السحب وأمطرت عليهم السماء مدراراً.. فتبلل الجميع إلا فتاة صغيرة.. آمنت إيماناً يقينا بترول المطر عند خروجها من القرية، فأخذت معها مظلة كي تحميها من البلل وقطرات المطر..

ثم قال:

- ونحن الآن يا عزيزتي في أمس الحاجة إلى الدعاء..

منذ ذلك اليوم راح صابر ووفاء يتلوان سورة الكهف كل ليلة جمعة.. ويناديان رهما بقلب خاشع، وإيمان تام في غسق الليالي.. طرقا باب الشافي سبحانه بإلحاح وتضرعا إليه باستمرار..

وبعد ثلاثة أشهر وعندما ذهب ووفاء إلى الطبيب لآخر مرة، كان الحزن قد أرغى سدوله عليهما بأنواع الهموم والاضطرابات.. ألم يكن مرض بلا دواء؟! إذن لماذا الأمل والرجاء؟! قدمت الممرضة نتائج التحليل إلى الطبيب.. تناولها وراح يحول بنظراته فيها دون أمل.. صمت طويل ومثير.. وفجأة أشرقت أسارير الطبيب وهدق بعينين مذهولتين متعجبتين.. كانت النتائج كلها إيجابية.. وقد توقف المرض وتراجع.. قال وهو مبهور الأنفاس:

- يا إلهي؟! لا أصدق ما أراه!.. توقف المرض! كيف حصل ذلك؟..

كلمات بعثت البهجة والضياء في وجه صابر ووفاء،

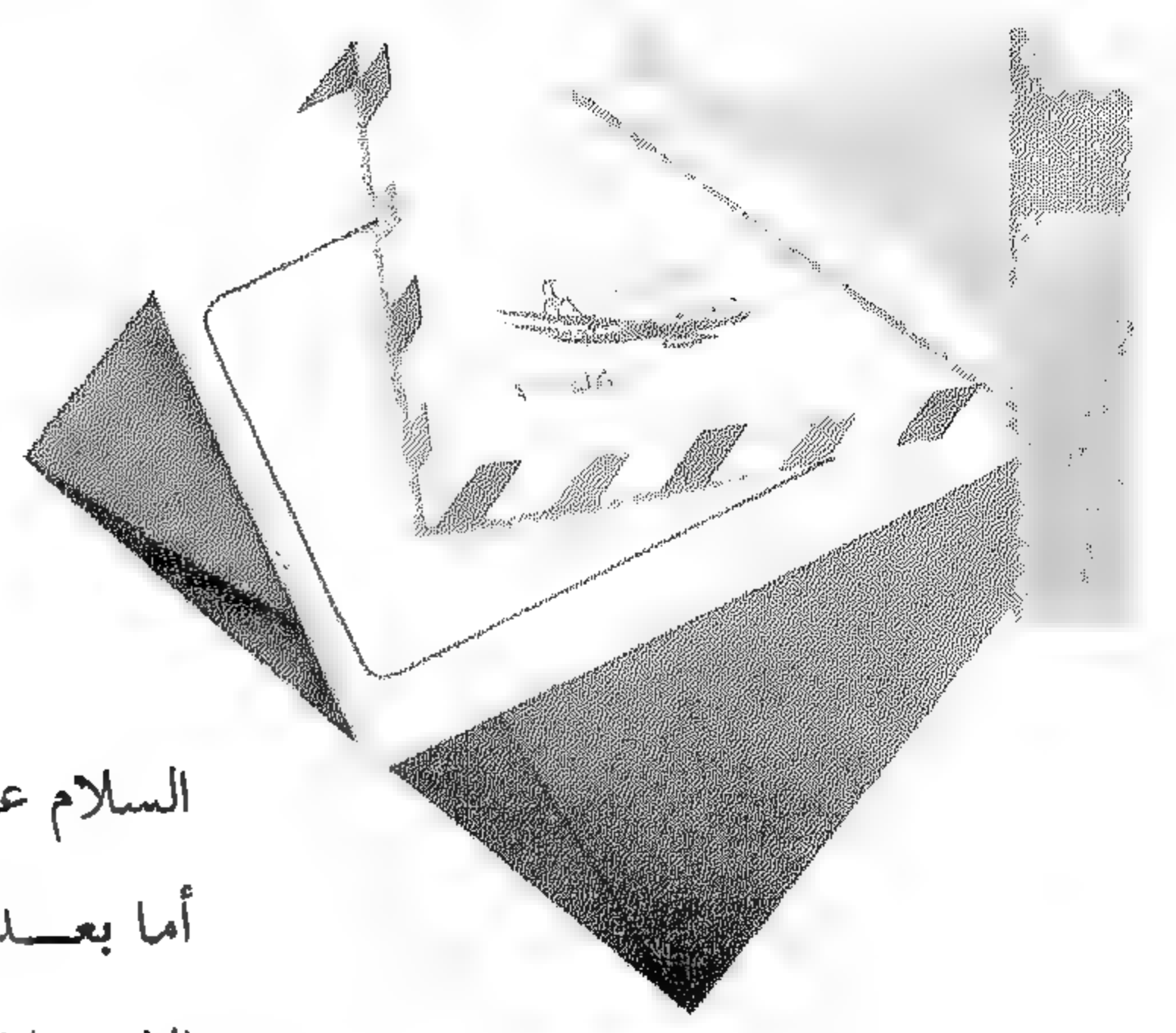
فتألفت عيناها بوميض مشرق. فتمتم صابر:

- الحمد لله.. هذا من فضل ربي العظيم.. ■

(*) كاتب وأديب تركي. الترجمة عن التركية: نور الدين صواش.



واحة القراء



السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

أما بعد، أحمد الله العلي القدير الذي عرّفني بهذا العلم الغزير والنبع الطيب للدراسات الإسلامية لمختلف المفكرين، ألا وهي مجلة "حراء". لقد كان أول لقاء مع هذه المجلة أن كانت هدية لي من طرف أستاذي التركي. ومنذ تلك اللحظة عزمت إلا أن أتبع هذا الضوء الروحاني الذي يعالج مختلف القضايا التي تمس الروح. أشكركم جزيل الشكر، شكرا لا حدود له لأني أحب مجلتكم القديرة والرائعة.. أتمنى لكم دوام التآلق والنجاح..
محبتكم خديجة / الجزائر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد

أتابع بكل التقدير والإعزاز أعداد إصداركم الجاد المتميز، والتي هي بحق منارة إسلامية ثقافية فكرية لا غنى عنها للباحث أو للقارئ، حيث أنها تمثل بجلاء منهج الاعتدال والوسطية الذي يمثل فكرنا الإسلامي خير تمثيل، فمعكم الله تعالى، وإلى الأمام دائما من أجل إثراء الفكر الإسلامي المستنير.

يسري عبد الغني عبد الله / مصر

السلام عليكم ورحمة الله..

مجلتكم تستحق التقدير والتشجيع.. فجزاكم الله خيرا، وأتمنى لكم النجاح ومسيرة طويلة لخدمة الأمة الإسلامية...

محمد بن الطاهر / المغرب

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته..

أتقدم لسيادتكم الموقرة بهذا الطلب، راجيا منكم إفادتي بالأعداد الأخيرة لمجلة "حراء" التي اكتشفتها صدفة عن طريق الانترنت وقرأتها.. وما جذبني إليها موضوعاتها الحديثة ومنهجها الإسلامي وبخاصة مواضيع التربية بحكم مهنتي أستاذ تعليم ورئيس جمعية اجتماعية.

عمار جلود / الجزائر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

أشكركم جزيل الشكر على الجهود التي تبذلونها لإنجاح هذه المجلة المتميزة، والتي أتابعها باهتمام بالغ. مع تحياتي الخالصة، مصحوبة بدعواتي الصادقة لكم جميعا بالتوفيق، وبمزيد من النجاح للمجلة. والسلام.

رشيد سوسان / المغرب



- تجربة خصبة وعميقة في العمل الدعوي
- صياغة جديدة لفقه الدعوة والدعاة
- فقه المعاناة والألم من أجل الدعوة
- قواعد أساسية منضبطة في العمل الدعوي
- الدعوة حياة، وحياتها بأنفاس دعائها

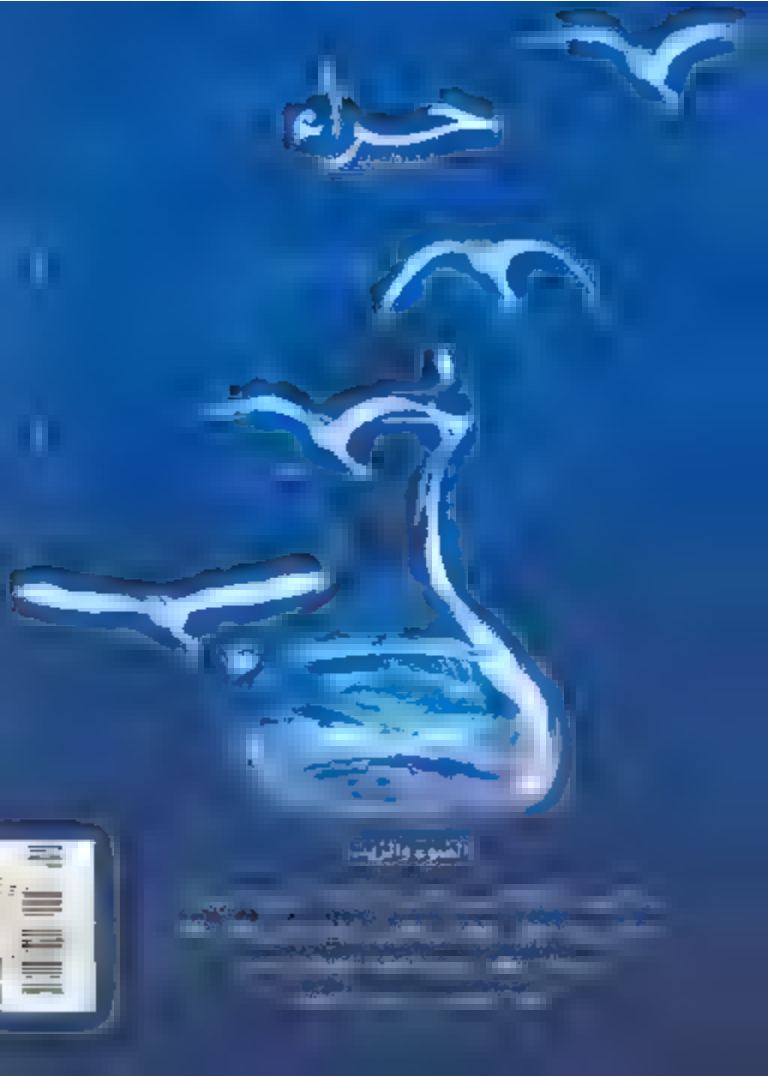


عندما لا يحترق القلب شوقاً، والروح حذاباً، والذهن همّاً فلا تتكلم،
والأفلى تجد أحداً يصغي إليك.

مركز التوزيع فرع القاهرة : ٧ ش البرامكة، الحي السابع، مدينة نصر - القاهرة / مصر

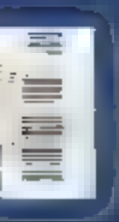
تليفون وفاكس : 20222619204





الضوء والظل

الضوء والظل



حراء

مجلة علمية ثقافية فصلية

www.hiramagazine.com

العدد الخامس / السنة الثانية / (أكتوبر - ديسمبر) 2006



- ... وخاتم النبئين عن الغيب - فتح الله گولن
- الوهج الروحي في حياة النورسي - أ.د. محمد سعيد رمضان البوطي
- التأسّي بين التبرك والوظيفية - أ.د. أحمد العبادي
- الليل والنهار في القرآن الكريم - أ.د. زغلول النجار
- من "ديتون" الأمريكية إلى "أبنت" التركية - أ.د. إبراهيم البيومي غانم

حراء

مجلة علمية ثقافية فصلية
www.hiramagazine.com

العدد الخامس - السنة الثانية (أكتوبر - ديسمبر) 2006

مجلة علمية ثقافية فصلية تصدر عن:

Işık Özel Eğitim Tic. Ltd. Şti.
İstanbul / Türkiye

صاحب الامتياز

أنس أركنه

mergene@hiramagazine.com

المشرف العام

نوزاد صواش

nsavas@hiramagazine.com

رئيس التحرير المسؤول

حسام الدين السيد

hosam@hiramagazine.com

مدير التحرير

أشرف أونن

conen@hiramagazine.com

المخرج الفني

مراد عرباجي

marabaci@hiramagazine.com

المركز الرئيس

HIRA MAGAZINE

Emniyet Mah. Huzur Sok.

No:5 34676 Üsküdar

İstanbul / Turkey

Phone: +902163186011

Fax: +902163184202

hira@hiramagazine.com

الإشتراكات/مركز التوزيع

٧ ش البرامكة - المحي السابع - م.نصر/القاهرة

تليفون وفاكس: +2022619204

المحمول: +20127874552

جمهورية مصر العربية

sub@hiramagazine.com

الطباعة

Çağlayan Matbaası

İzmir- Türkiye

Tel: +90 (232) 252 20 96

رقم الإيداع

١٨٧٩-١٣٠٦

التصور العام

- حراء مجلة علمية ثقافية فصلية تعنى بالعلوم الطبيعية والإنسانية والاجتماعية وتحوار أسرار النفس البشرية وآفاق الكون الشاسعة بالمنظور القرآني الإيمان في تآلف وتناسب بين العلم والإيمان، والعقل والقلب، والفكر والواقع.
- تجمع بين الأصالة والمعاصرة وتعتمد الوسطية في فهم الإسلام وفهم الواقع، مع البعد عن الإفراط والتفريط.
- تؤمن بالانفتاح على الآخر، والحوار البناء والهادئ فيما يصب لصالح الإنسانية.
- تسعى إلى الموازنة بين العلمية في المضمون والجمالية في الشكل وأسلوب العرض، ومن ثم تدعو إلى معالجة المواد بمهنية عالية مع التبسيط ومراعاة الجوانب الأدبية والجمالية في الكتابة.

شروط النشر

- أن يكون النص المرسل جديداً لم يسبق نشره.
- ألا يزيد حجم النص على ٢٠٠٠ كلمة كحد أقصى، وللمجلة أن تلخص أو تختصر النصوص التي تتجاوز الحد المطلوب.
- يرجى من الكاتب الذي لم يسبق له النشر في المجلة إرسال نبذة مختصرة عن سيرته الذاتية.
- تخضع الأعمال المعروضة للنشر لموافقة هيئة التحرير، ولهية التحرير أن تطلب من الكاتب إجراء أي تعديل على المادة المقدمة قبل إجازتها للنشر.
- المجلة غير ملزمة بإعادة النصوص إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر، وتلتزم بإبلاغ أصحابها بقبول النشر، ولا تلتزم بإبداء أسباب عدم النشر.
- تحتفظ المجلة بحقوقها في نشر النصوص وفق خطة التحرير وحسب التوقيت الذي تراه مناسباً.
- النصوص التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- للمجلة حق إعادة نشر النص منفصلاً أو ضمن مجموعة من البحوث، بلغته الأصلية أو مترجماً إلى أي لغة أخرى، دون حاجة إلى استئذان صاحب النص.
- مجلة حراء لا تمنع في النقل أو الاقتباس عنها شريطة ذكر المصدر.
- يرجى إرسال جميع المشاركات إلى هيئة تحرير المجلة على العنوان الآتي:

hira@hiramagazine.com

الإنسان والعالم

العلاقة الجدلية بين العالم والإنسان علاقة تفكيرية بالأساس. عالم قبالتنا يصدمنا بمحنة فيكون رد فعلنا على فعله استنهاضاً لقوانا الذهنية للتفكير به، والكشف عن مستوره، وتفسير أحاجيه. ومن بين هذا الفعل ورد الفعل تنهض الحضارات وتقوم المدينيات وتزدهر الثقافات مما يدل على أن قوى الإنسان الواعية لا زالت على أشدها لم تُصَبْ بالإرهاق والعقم. فلا يمكن التصور للحظة واحدة عالم من دون إنسان، أو وجود إنسان من دون عالم، ونجد مصداق هذه الحقيقة في ثقافتنا القرآنية والسنية. ومن هنا جاءت مقالات هذا العدد من "حراء" تدور حول الإنسان والعالم والإتيان بالشواهد على هذه العلاقة الجدلية بينهما كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

ومن أبرز هذه الشواهد وأعظمها "محمد" الذي تألق قلم الأستاذ فتح الله بالكلام عنه من حيث كونه مفسراً للعالم وشارحاً لمغزى الوجود ومعنى الإنسان. فمقاله يروي الظماء، ويسقي العطاش، إنه يستقي من ينبوع سماوي تُرُفْتنهال عليه الأفكار، وتتداعى عليه المعاني ويتحول قلمه بين أنامله إلى عمود نوراني مغموس برحيق كوني عذب المذاق، فيوقظ عين الزمن عليه، ويملاً كؤوس المعارف بشراب رسالته.

أما الأستاذ الدكتور أحمد العبادي فيردف مقالا آخر يبين فيه مهمة التعامل مع آثار النبوة في الفرد والمجتمع. وللاستاذ الكبير د. محمد سعيد رمضان البوطي كلام عن الوهج الروحي في حياة الأستاذ "سعيد النورسي"، إضافة إلى الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس الذي يكتب عن الهجرة من حيث كونها مشروعاً لبناء حضارة إيمانية جديدة. وأما الأستاذ الفاضل أديب الدباغ فيكتب في مقاله "الضاربون في الأرض" عن أولئك الفتيان ذوي الهمم العالية وهم يسيحون في الأرض حاملين شعلة الإيمان إلى كل مكان من هذا العالم. وقد أتحفنا الأستاذ زغلول النجار بأحد مقالاته عن إعجازية الليل والنهار ودلالات هذه الإعجازية في القرآن الكريم. وفي الشخصيات الإسلامية يحدّثنا الأستاذ الدكتور عمار جبدل عن ريادة المفكر الإسلامي شيخ الإسلام مصطفى صبري. أما عن المسافة بين "دايتون" الأمريكية و"أبنت" التركية وعما يشتركان فيه ويختلفان، فكان في مقال للأستاذ الدكتور إبراهيم البيومي غانم.

فمن خلال ما توحى به مقالات هذا العدد من "حراء" نستطيع التوكيد على حقيقة كون الإنسان والعالم يشكّلان وحدة واحدة مثيرة لاهتمامات المفكرين الجادين في كل وقت. فما زال العالم يدور في دواخلنا مولداً فيها أعظم الخواطر والأفكار، وما زال العالم كتاباً مغلقاً في حاجة إلى المزيد من القراءة والتصفح، وما زال القرآن والسنة يمداننا بالمساعدة على تحمل معاناة فهم العالم وإدراك مقاصده وغاياته، ولا زال الذكاء البشري في حاجة إلى "الوحي" ليوجه خطاه ويصحح خطاه، ويحدوه في رحلته الصعبة الطويلة غير المنتهية. ■

المحتويات

| | |
|----|--|
| ٢ | ... وخاتم النبئين عن الغيب / فتح الله گولن |
| ٧ | التأسي بين التبرك والوظيفية / أ.د. أحمد العبادي |
| ١٣ | الليل والنهار في القرآن الكريم / أ.د. زغلول النجار |
| ١٧ | لزومية / أ.د. حسن الأمراي |
| ١٨ | مدارس ودروس من "ديتون" الأمريكية إلى "أبت" التركية / أ.د. إبراهيم غانم البيومي |
| ٢٣ | الوهج الروحي في حياة الأستاذ سعيد النورسي / أ.د. محمد سعيد رمضان البوطي |
| ٢٧ | أنفاس ظمئنا إليها، إطلالة على الداعية المرتقب / نوزاد صواش |
| ٣١ | الضاربون في الأرض / أديب إبراهيم الدباغ |
| ٣٢ | الهجرة... مشروع لبناء حضارة إيمانية جديدة / أ.د. عبد الحليم عويس |
| ٣٦ | مأساة الأندلس وموقف العثمانيين / اورخان محمد علي |
| ٤٠ | العقيدة الإسلامية بين جمال القرآن وتقسيمات علم الكلام / أ.د. فريد الأنصاري |
| ٤٤ | الخط الفاصل بين الإيمان والإلحاد: البعث بعد الموت / أ.د. محمد بوزغية |
| ٤٨ | قراءة في عنوان ما صنف في الحديث والقرآن / د. محمد جكيب |
| ٥٢ | مع النبي ﷺ في أحزانه / أ.د. إسماعيل لطفي جقان |
| ٥٧ | العظام البشرية مصدر إلهام للهندسة المعمارية / أ.د. محمد سامي بولاظ أوز |
| ٥٨ | شيخ الإسلام مصطفى صبري / أ.د. عمار جيدل |
| ٦٣ | كأني أكلت / جمال أمين |



فتح الله گولن

زبدة معناها ومحتواها في أسمى صورة وأنورها. نوره الأول سباق الأنوار، وطوفان ضوئه الأخير هو ظهوره في العالم الخارجي. ومن جهة أخرى، هو فهرست الآفاق والأنفس، ولب الوجود وعصارتها، وأضواء ثمار شجرة الخلق من حيث الغاية، وسيد الإنس والجن أجمعين باسم الخالق الجليل.

هو فوق الوصف أبداً من حيث جوهره وموقعه، لا نظير له باعتبار ذاته، فريد الكون والزمان بأعماقه الأخروية، وبرهان ظاهر بالرسالة التي يحملها. شهرته تمتد إلى ما قبل آدم النبي، وضيأؤه لهجت به الألسن من قبل وجوده، وقدمه تاج رؤوسنا - إحسان للإنسانية جمعاء. وجوده أصفى لؤلؤة في صدف الوجود، ورسالته أشمل الرسالات. علمه زبدة العلوم كلها، وعرفانه منبع نقي وصاف يجمع حوله أضواء الوجود، وأفقه كمرصد تفرع إليه الأرواح الصافية المتطلعة إلى اللانهاية. العيون حظيت بقراءة

القول الفصل الأخير حول حقيقة "الله والكون والإنسان" هو لحضة محمد ﷺ الذي هو شجرة الوجود، والعلة الغائية لكتاب الكائنات، وأقوى صوت للدعوة إلى الحق تعالى... إنه هو الأخير الأخير "عن الغيب" وعن "غيب الغيب"، وهو المفسر السديد للأشياء والأحداث، وهو المبين للعلاقة بين الإنسان والخالق من غير أدنى لبس، وهو الموضح عياناً وجهاراً مقتضيات هذه المناسبات. هو المرشد إلى القرب الرباني؛ وهو الأول والأقرب إلى الحق تعالى من جهة، والأخير والأعظم أمانة من وجهة أخرى.

صاحب القول الفصل

الملائكة انتظرتهم، والأنبياء بشروا به، والأولياء ثمراته التي تقتبس منه النور. مشكاة النبوة اتقدت به بداية، وبه أيضاً ظهرت



الأشياء على وجهها الحقيقي بفضل النور الذي نشره في الأرجاء. والآذان استمعت في ترانيم أقواله إلى أنغام روحانية من جواهر الكلمات لم تسمعها من قبل. وكم سرّ ظهر عياناً بيانا، وكم فكرٍ كدرٍ صفا إلى الصفوة في أجوائه. من رآه واستمع إليه زال عن روحه الصدا، وانقشع عن عينه الضباب. وما أن أخبر عن أول كل أول، وآخر كل آخر حتى عُرف كل مجهول عجزت عن إدراكه عقول البشر، وتحلى غير المعلوم بلباس العلم والمعنى، وأصبح الوجود كله قصيدة شعرية تنشد على كل لسان، ونغما أبدياً يُفسّر غاية الخلق ومقصده.

العلوم ما هي إلا قطرة من بحر علمه، والحكمة برمتها رشحة نزره من شلال معارفه. الأزمنة كلها لا تعدل لحظة من لحظات عمره. كرة الأرض التي لا تزن جناح بعوضة في الكائنات، هي عالم يعدل الوجود بسر كونها مسقط رأسه. هو المقدم في التعيين والبرنامج القدرى، وهو صاحب القول الفصل الأخير في قضية النبوة، وهو الشارح الحقيقي للظاهر، وهو الناطق بأسرار الباطن. هو سلطان عرش النبوة بخلقه خلقاً ملائماً لتلقي الحقائق العلمية والعقلية من روح القدس، وبشعوره الرحيب، وبإدراكه الرفيع، وبقلبه المنفصح لما وراء الملكوت، وبسر استعداده للاطلاع على ما وراء الورا. وهو أفصح ترجمان لعالم الرسالة الإلهية مبلغاً ما تلقاه إلى الأرواح والعقول من غير عارض أو خلل، كجهاز استقبال نوراني منفتح على الماورائيات.

وهو - مع أن له خصوصيات ذاتية سامية - يخبرنا بمقتضى نبوته عن الحق تعالى، ويُعرّفنا به، بذاته وأسمائه وصفاته، ويُحفّز فينا الشعور بالمسؤولية أمام الحق تعالى. ومن هذه الجهة هو معرّف ومعلم أكبر يُبين ما لا يبين ويشعر أرواحنا بما لا يدرك. أما من جهة تبليغ الأحكام الدينية وتعليم القيم الإنسانية وتمثيل الأسس الأخلاقية، فهو مُشرّع موظف وواضع للقوانين وقول شارح لحقيقة الحقائق.

الجامع بين الظاهر والباطن والأول والآخر

إن النبوة والرسالة وتحت وصايتها الولاية، كما أنها متفتحة على الظاهر، كذلك هي "مفتحة الأبواب" على الباطن. وإن عقول هؤلاء (الأنبياء والرسل والأولياء) أيضاً قد اصطبغت بصبغة هذا المنصب الإلهي... لكنها تقف من ورائهم بخطوات، تنتظر الأوامر منهم. إن عقلاً مدرّكاً لحدوده - مثل عقولهم - داخلاً في

وصاية النبوة، يتنور بـ "الروح الأعظم" ويصير بُعداً مهماً من أبعاد حقيقة الإنسان. وبمرور الزمان يبدأ باستشعار الباطن مع الظاهر، والآخر مع الأول.

وإن للوجود ظاهراً وباطناً. الظاهر يُرى بالعين ويُدرَك بالحواس، ويُقوّم بالعقل والمحاكمة العقلية. أما الباطن فلا تفتح أبوابه إلا من قبل الله لمن خُلق بجهاز يستشعره، فيتم الإحساس به صوتاً ونفساً ولوناً ونقشاً مختلفاً عن الظاهر. فالأنبياء يستمعون إلى هذا الصوت والنفس بموجات مختلفة الأطوال مدى الحياة، ويتصرفون أبداً بمقتضاه.

وإن حضرة سيد الأنام، عليه أكمل التحايا، رمزٌ وصوتٌ للفائقة المطلقة من حيث جهازه الخاص المناسب مع حاله الخاص. فالله يُسمعه ما لا يُسمع، ويريه ما لا يُرى، ويُقدمه على الروحانيين بإكساب روحه ماهية فوق الزمان والمكان أحياناً، فيتقدم على الملائكة، أكرم عباد الحق تعالى، فيصل إلى "قاب قوسين أو أدنى". وله مكانة وقدرٌ متمادٍ ووطيد عند الخلق كدرجته عند الحق تعالى؛ فإنه ما حاد عن الاستقامة قيد شعرة في عمره كله، ووثق به الجميع من صديق أو عدو، وبلغ المخاطبين بما أوحى إليه من الحق تعالى في بهائه الرباني، ولم يُذكر إلا بالعصمة، ولم يُعرف إلا بالصون الإلهي، وقرأ - دائماً - الطبيعة وما وراء الطبيعة قراءة سديدة، وفسرهما تفسيراً صحيحاً بروحه النيرة وبفطنته النافذة المتفتحة على عوالم المادة وما وراء المادة؛ ولذلك هرع إليه من غير توان صاحب كل وجدان نظيف متنزه عن أي حكم مسبق، وخضعت له أعصى النفوس تمرداً، واستسلمت له أذكى الأدمغة قاطبة؛ إذ قرأت في رسالته غاية خلق العقل. وبفضله انسلخ الإنسان من الحيوانية والجسمانية وتوجه تلقاء أفق في مرتبة حياة القلب والروح. هو - باعتبار أفق الوجود - المفتاح السري للباب الموصل إلى الوجود الخارجي، وهو - باعتبار تحقيق الهدف من خلق الوجود - الهادي إلى الصراط المستقيم الموفي إلى الحق تعالى، ونبع شفاعة السعادة الأبدية.

كل الأنبياء الذين مضوا من قبله قد قالوا ما قاله... والأولياء والأصفياء من بعده كلهم أجمعون - وأحوالهم الخارقة شاهدة على دعواهم - صدّقوه وشهدوا على صدقه، وأقروا واعترفوا بأن حظوظهم هي منه. فإنه قد قال "الله" ولفت الأنظار إلى التوحيد. وإن أصوات الأنبياء والمرسلين وأنفاسهم، ومشاهدات الأولياء والأصفياء وكشوفاتهم طراً، تؤيده وتسند.



وكان صرحاً للإيمان... يعيش ما يقوله بمعيار أدق من شعرة شطرت أربعين مرة، ويزن تصرفاته بموازين الآخرة الدقيقة، ويحيا حياته في عمق كأنه يرى الله، وفي عمق رؤية الله له. هو الأرهف حساسية في تصرفاته، والأعظم جدّاً في المسؤولية، ويسعى حثيثاً في أثر حسن العاقبة ولا يحيد طرفه عين عن الهدف، بل يهرع أبداً إلى النقطة التي اختير لها... وإذ يهرع إليها، يعد للجميع خطوط المعاني حُزماً حُزماً من الروابط بينه وبين الله تعالى.

شارح معنى الوجود

وهو الذي شرح معنى الوجود فربطه بصاحبه الحقيقي، وبين الحكمة المكنونة في لب الأشياء والأحداث، وذكرنا مرارا بأننا لسنا وحيدين هنا، فشرح صدورنا بإشعار أرواحنا بأننا تحت الرعاية الربانية، وأزال الوحشة من نفوسنا وسما بأرواحنا إلى العلياء بنفحات أنسه، وسقانا مشاعر السكون والاطمئنان التي نشعر بها في ربوعنا وبين أهلينا. فإن كنا نحس بأن كل شيء في محله في هذا المأوى الدافئ، وإن كانت قلوبنا تخفق بعشق الحقيقة، وإن كنا نطلق أنظارنا في آفاق الكون الشاسعة مفكرين متأملين، فهذا كله بفضل النور الذي أوقده في عقولنا. وكل ما نعرفه عن الإنسان والوجود والكائنات برمتها، فهو تفصيل لمحمل ما أودعه في نفوسنا، ونمو لبذور الحقائق التي بثها في أرواحنا.

هو باني الإنسانية من جديد، ولا يزال، وسيبقى بانياً، في أمسها ويومها وغدها. وكما بدل في عصره بحملة واحدة، وبنفخة واحدة، مفاهيم ضالة، وسلوكيات غير إنسانية، وانحرافات سوء الأخلاق والمزاج المغروسة في الطبائع من آلاف السنين، فسيسمع صوته - يقيناً وحقاً - للجموع المنفلتة، المنفرط عقدها اليوم، ويضبطهم بضوابطه إن عاجلاً أو آجلاً، ويظهر قوة رسالته... وسمه - إن شئت - تجديد القراءة السديدة والتفسير الصائب في حقيقة (الإنسان والكون والألوهية) مرة أخرى، واتخاذ الإنسان موقفاً يناسب دوره اللائق به في الوجود.

لقد أرسل حضرة سيد الأنام (عليه ألف ألف صلاة وسلام) برسالة تتعلق بكل أحد وكل شيء. وكان يوفي وظيفته حقها ويؤديها بعمق فتمتلي بحبه الأفتدة وتنحذب إليه القلوب. فهو يتفتق تكاملاً شاسعاً في خلقة، وصدقا منقطع النظر في تصرفاته، وربانية تتجاوز جوانبه المادية دائماً في سلوكياته. وهو - فوق هذه الجماليات الظاهرية الباهرة - صاحب أخلاق رفيعة لم يطلها أحد، سماها القرآن الكريم بـ "الخلق العظيم". حتى إن من يدخل رحابه لمرة واحدة من غير أحكام مسبقة، لا بد أن يدخل تحت

تأثيره ويتعلق به إلى أبد. وعنده - مع هذه المحاسن والمعالي - بيان يأخذ بالألباب؛ فإذا تكلم أبكم أمهر حُذّاق اللسان، فيغوصون في مراقبة السكوت، وينجرفون في تيار جذب قوله.

هيته عليه الصلاة والسلام

إليك شيئاً من تفصيل ما قلناه آنفاً: لقد وهبه الله تعالى السعة في خلقة الداخلية والخارجية، فهو مهيب في تواضعه، جذاب في شخصيته... حتى إن دخلت إلى حضرته أشد النفوس كبراً وغروراً، ارتعشت من هيته، وتصرفت بغير ما نوت وتصورت؛ وإن رسل كسرى المتكبرين ذهلوا وألجموا حيال صرح المهابة هذا. ومع هذه الهيبة، وهذا الجد والوقار، كان فيه لين عجيب يجذب إليه النفوس، حتى ليحس من يعرفه عن قرب بأنه أقرب إليه من الولد والأم والأب وكل حبيب، بل يكاد "يدمن" عليه فلا يود أن يغادر مجلسه أبداً. أحواله وتصرفاته كلها تبث ثقة عميقة في القلوب، وأقواله وأفعاله وملاحمه تدل على حضوره الدائم أمام الله تعالى. يبت الأمان دوماً، وينشر الاطمئنان في الجميع حُزماً ورُزماً.

فقد عُرف بالأمين أولاً وآخرأ... فالأمن يشع من نظره، وكلامه يدور بلا توان حول الأمن، وفي حضوره تسمع نغمات الأمن. وكانت تصرفاته وعقله وروحه وعواطفه ومنطقه في توازن وانسجام تام. وإن ذكاه المتقد، وفراسته السديدة، وثباته الذي لا يعرف التردد، عزمه وإقدامه، إستراتيجيته المحيرة للعقول مع تحننه الكذب والخداع، صبره وثباته حيال أشد الأهوال، وتبسمه في وجه المصائب، وقراءته للملّمات قراءة صائبة، واستخلاصه منها عبراً ملء الكتب، وحلمه الوطيد، ووقاره الراسخ حيال الأحوال الموجبة لأشد العنف والغضب والحدة، لهي نبذة يسيرة من خصاله وخلقه التي تبرز شخصيته المتميزة بين البشرية، وتفصح عن مقامه ومكاته ووقفته الفريدة التي تناسب هذه المكانة السامية. فله المواقف البطولية حيث يضطرب الجميع ويذهلون، إذ تبدل بها الهزيمة إلى الظفر، والفر إلى الكر، فترفل رايات النجاح الإستراتيجي في خضمّ المعارك ودخان الحروب.

كان بين أهله رب عائلة لا نظير له ولا شبيه، وبين أصحابه معلماً ومرشداً كاملاً يذلف شغاف قلوبهم بليته الأخوي، وهادياً سديد الرأي لا يخذل من اتبعه، وخطيباً سيداً على الكلام، ذا قلب رباني، وحكيماً أستاذاً في استخدام العقل، ورئيس دولة لم يعرف



مثله، وقائدا عظيما يحول الهزائم إلى انتصارات بحملة واحدة. فأنواع الكمالات كلها تبلغ فيه الذروة العليا، لكنه يتصرف أبداً بين الناس كفرد من الناس، ويعد نفسه واحداً منهم، فيؤذيه - من كثرة تواضعه - أن يُسند الناس إليه - أدبا منهم - مقامات رفيعة هو حقيق بها أصلاً، فيحذر أصحابه بين فينة وأخرى من ذلك تحذيراً شديداً قد يصل إلى حد التوبيخ أحيانا.

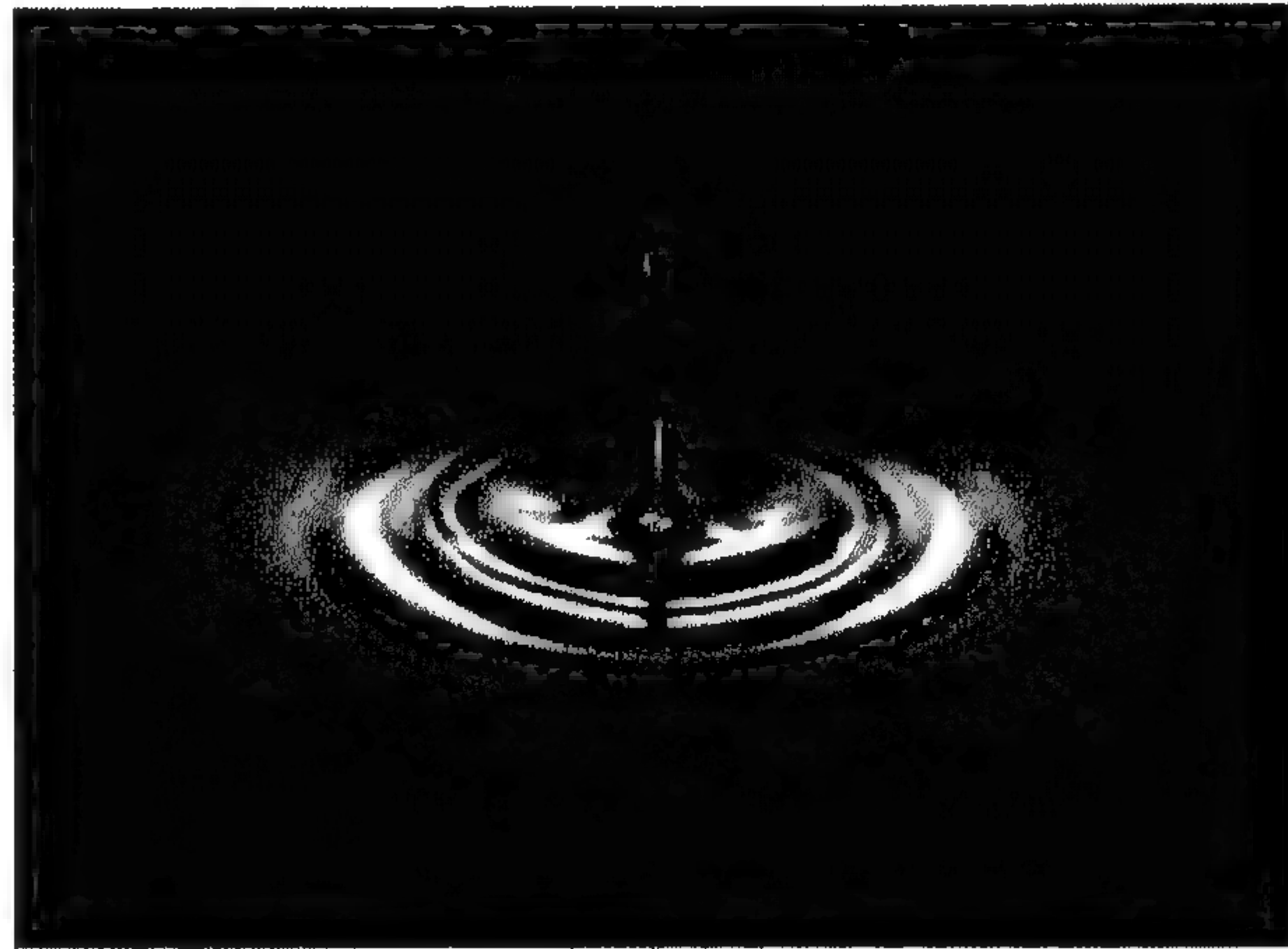
كان بمثابة "علة غائية" للوجود، لكنه ما كان يوليه اهتماماً بقدر جناح بعوضة. رفع السلاطين إلى العروش وألبسهم التيجان، لكنه عاش زاهداً أشد الزهد، فكانه صائم عن الدنيا؛ فأشبع ولم يأكل، وألبس ولم يلبس، وهتف بالشكر مئات المرات حيال قطرة من نعمة، مسشعرا بفضل الله عليه وإحسانه على الدوام. فهو يسابق الملائكة في مضمار المعرفة الربانية والمحبة والخشية. أجل، كان في الدنيا، لكنه لم يكن دنيوياً، بل كان في طريق العقبى... بل لم يكن مرتبطاً حتى بالعقبى أولاً وبالذات، ذلك

لأن قلبه كان معلقاً بربه، وعينه في آثاره وفي أسمائه الحسنى التي تضيء على آثاره ألواناً وصوراً ومحاسن شتى. كان ينظر إلى الدنيا وكأنها خليج للعقبى، ويراهم وكأنها مزرعة يزرع فيها ويحصد، ويحيل الحاصل إلى الآخرة. وكان يهْبُ ويروح ويغدو كالرياح التي تحمل البذور وتطير يمينا وشمالاً

لتودعها أمانة للخلق والنماء، فكان يعتني بالفقراء ويرعاهم، ويطعم الجوع، وكثيراً ما يبيت هو جائعاً خاوي البطن. إنه سلطان عالمي الدنيا والآخرة، لكنه إذ ارتحل إلى ربه، لم يورث أهله قصرًا ولا عقارًا ولا مالا ولا ريشاً. فقد عاش عيشة تليق به، وقوم الدنيا تقويمًا يناسب شخصيته، ورحل منها رحلة توافق مكانته وعظمته. ومعلوم أنه لم يكن تاركاً للدنيا تمامًا، كما أنه لم يكن جامعا لها ومشغولا بها قط. فإنه كان يهتم بالدنيا بقدر حجمها وفنائها، ويهتم بالآخرة وما وراء الآخرة بحسب خلودها وسرمديتها، فيتخذ موقفه منهما بناء على هذا التصور.

ومع مهابته الرائعة المحيرة للعقول الحاصلة من علو الأصالة وسمو النجابة وصلته الوثيقة بالحق تعالى، كان متواضعا أشد التواضع وكأنه يجمع بين الأضداد، حتى إن من لا يعرف خصاله وسجاياه المذكورة آنفاً، كان يحسبه من آحاد الناس. كان لا يعير اهتماما بتعظيم أصحابه وتوقيرهم له، فيقعد معهم ويأكل ويشرب، ويستتر عنهم فوارقه وخصوصياته السامية التي تفرد بها عنهم أشد الستر حتى لا يشعرهم بالتمايز، ويريح من حوله أحيانا بمُلح من ألوان التحليات الجمالية من العبرة والحكمة والمزاح أحيانا لكي لا يثقل عليهم عبء ما في طبعه من المهابة والعظمة والخافة؛ فهو يزين عزته بالتواضع، ويلطف مهابته بالشفقة، ويقدم لونه الناسوتي^(١) ليزيد حلاوة إلى شهد مقامه وحلو طعمه.

كان حليما ومأمونا ورزينا، لينا أعظم اللين حتى في الأحيان التي تستفز فيها وتثار مشاعر الحقد والكراهة والغضب، فيخفف شدة الطيش وحدة الغيظ، ويسكن بنظرة واحدة عداوة الد أعدائه؛ وكان كلما أريد سحبه إلى موقف الخصم قفز إلى موقع الحكم. كان عفواً وسمحاً ما لم تُنتهك حرمة الله تعالى أو يهضم حق عام. وفي السيرة النبوية مئات الأمثلة والشواهد على عفوه وصفحه وسماحته.



وفاءه بالعهد عليه الصلاة والسلام

وما كان له نظير في الوفاء بالوعد؛ فلم يخلف وعداً قط ولو مرة واحدة، ولم يرجع عن قول ألبتة، ولم يقل شيئاً ثم خالفه، أو نطق بشيء خلاف الواقع حتى وإن كان إيماء، سواء قبل البعثة أو بعد نيله شرف النبوة. فسيرته صرح للأمانة والصدق والوفاء، وحزمه ضد من يخون العهد والميثاق معلوم ومشهور.

كان سلطان عالم البيان، ولقد بلغ جوهر القول قيمته الحقيقية على لسانه. لم يمسك بيده قلماً ولا قرطاساً، ولم تطالع عيناه كتاباً، ولم يجلس في حلقة درس، ولم يحتج قط إلى أن يقول لأحد "أستاذ"، بل كان أستاذ الكل في الكل، وما من



شيء يستطيع أن يمس أستاذيته الكلية. وفي هذا صيانة من الله لأوامره الإلهية أولاً، وصيانة لملكات النبي الفطرية ثانياً وتالياً، من التأثيرات والتصورات الخارجية، حتى لا تُكدر المكتسبات الذهنية والمعلومات الأجنبية تفسير الأوامر الإلهية، ولا تتلون بلون غير لوها، أو تصب في قالب غير قالبها. فكان أمياً بهذا المعنى -ونفوسنا فداء لذلك الأمي-، ولكن له أقوال وأحكام وقرارات في شتى الشؤون من أمور الدنيا والعقبى -باعتباره أستاذ الكل- حيرت وأدهشت الكل؛ بدء من المتبحرين في العلوم وامتداداً إلى فحول العباقرة، وإلى العقول الضليعة في الفلسفة، وإلى النفوس الصافية والأرواح المستنيرة. والتاريخ يشهد أن أحداً لم ينل من رصانة بيانه، أو يقدح في حكم له، أو يتجاسر على أن ينتقص من إجرأ له.

كان خزانة للمعرفة وحوضاً للعلم نقياً متلاًئلاً، لم يعترض أحد على إخباره عن الأحداث الغابرة، ولا إخباره عن شؤون الديانات والمذاهب والثقافات والتقاليد والأعراف العائدة إلى أمم بائدة في التاريخ، وما كان لأحد أن يعترض، لأنه رسول الله، ومصدر علمه السديد الذي يصب في ذلك الحوض وتلك الخزانة، هو الله تعالى. فكان في البيان سلطان بيان وصاحب القول الفصل، وكان في المنطق صرح محاكمة، وفي الفكر بحرأ محيطاً كفواً لضخامة مهمته ورحابة رسالته العالمية. إن عباراته من السلاسة والانسياب، وبيانه من الوضوح والفصاحة، وأسلوبه من الغزارة والتلون والبهاء، بحيث يستطيع أن يعبر عن حقائق ملء الأرض في جملة أو جملتين، ويضمّن شؤوناً تسع المجلدات في كلمات، وينطق بجواهر، وأبما جواهر، ليودعها عند أساطين التفسير والتأويل. وفي حديثه: "أعطيت جوامع الكلم"^(١) إشارة منه إلى هذه الرحاب الفسيحة.

وكان الناس يمحطرونه بوابل أسئلتهم في كل شأن من كل جهة، فيرد عليهم من فوره بغير أدنى تلكؤ. كلامه سهل يفهمه السواد الأعظم، ويعبر عن مقصوده بعيداً عن التشوش أو التشويش في إيجاز صاف وسيال. وحين يتكلم يراعي مستوى المخاطبين لكي يفيدهم، من عالم وجاهل، وذكي وغبي، وقليل خبرة وخبير، وشاب وكهل، ورجل وامرأة، فيبعث الاطمئنان في قلوبهم.

وإن أقواله وخطبه كثيرة، حيث خاض في شؤون مختلفة، وحل موضوعات متنوعة، لكنه لم يجانب الحقيقة والواقع في أي من أقواله وأفكاره. فلم يستطع أحد أن يلحظ على بياناته وأقواله ما يخالف

الواقع، حتى إن ألد خصومه الذين يترقبون زلة منه ليوقعوا به، لم يجرؤوا على إسناد الكذب إليه، بل عجزوا عن ذلك. والحق أن من صان لسانه وكل تصرفاته عن مخالفة الواقع صوتاً أدق من الشعرة، من طفولته إلى شبابه، ثم إلى سن تشرفه بالنبوة في الأربعين، لا يتصور أن يقوم بادعاء النبوة زوراً. وإن تصوراً كهذا شيء يتجاوز الإثم إلى تعصب كفري أعمى، واستهانة بالعقل والمنطق. هذا، وإن تبليغاته وموضوعات أحكامه رحبية وسعت الماضي والحاضر والمستقبل، ومحتوياتها متنوعة تتعدى عقول البشر: فهو يتكلم في العقائد، ويضع الأحكام في العبادات، ويتحدث في الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والإدارية، وينفذ ما يقول، ويجني ثمرات ما ينفذ، ويتخذ من التاريخ شاهداً على صواب الأسس التي وضعها فيودع هذه الشهادة أمانة في الضمائر المنصفة البعيدة عن الأحكام المسبقة، وبعد ذلك يصدقه بختم التصديق آلاف المفسرين والمفكرين والخبراء المتفنيين في فنون كثيرة، ومئات الفلاسفة، على ما قال قول، وعلى الأسس الاجتماعية والاقتصادية والنظم العسكرية والإدارية، والقواعد التربوية التي وضعها. وزد عليهم جميعاً أن ملايين الأولياء والأصفياء يؤيدونه تصديقاً في كل حكم وفي كل بيان لهم، ويهتفون أنهم بلغوا المراتب والمقامات مهدايتهم. لذلك فإن من يقول له "لا"، فهو إما مخبول لا يدري ما يقول، وإما بائس بسوء الحظ مغسول الدماغ. فما شهد الماضي والحاضر أحداً مثله استطاع أن يقول شيئاً أو يضع أحكاماً ثابتة في مسائل كثيرة مختلفة، ولا سيما في موضوعات تتطلب حنكة واختصاصاً ومهارة، فيدوم طرياً وندياً أبداً مع الدهر. وكما نبّه بديع الزمان النورسي رحمه الله: "إن الإنسان قد يستطيع أن يقول شيئاً ذا بال في بضعة فنون أو علوم. لكن حضرة ذاته صلى الله عليه وسلم أدلى بدلوه في شؤون دقيقة تتعلق بالوجود والأحداث كلها، وقال أقوالاً نافذة في كل زمان ومكان، وبأسلوب بديع في المهارة والحكمة، وباطمئنان من غير تردد وتلكؤ، لا يملك حياله من رآه وعرفه، ومن سمعه فأنصت إليه من غير حكم مسبق إلا أن يقول: "آمنتُ وصدقتُ". ■

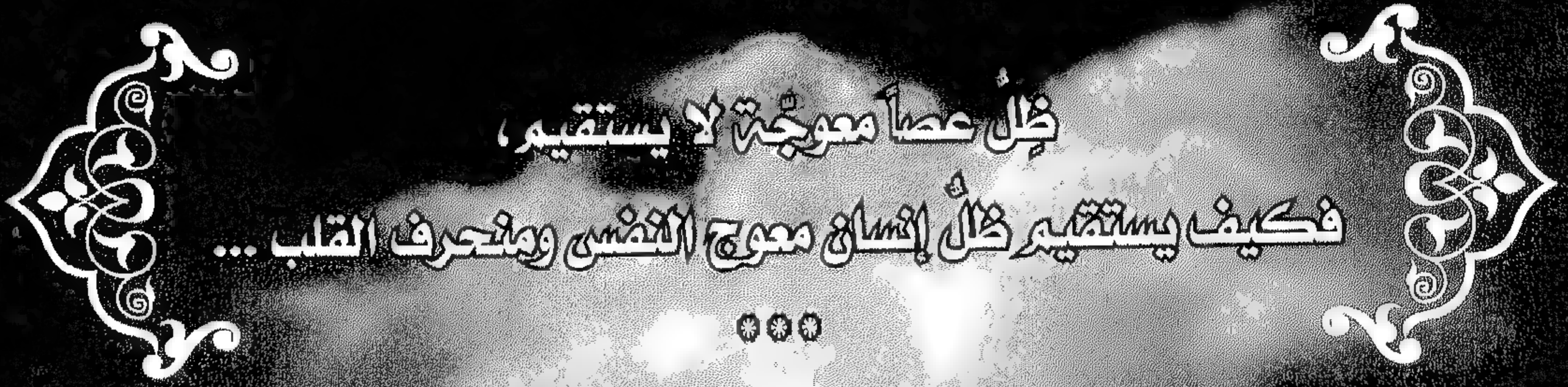
(١) الترجمة عن التركية: عوني عمر لطفي أغلو

الهوامش

(٢) الناسوت: الطبيعة البشرية.

(٣) البخاري، الجهاد ١٢٢؛ مسلم، المساجد ٦.





أ.د. أحمد العبادي *

ع

عانت البشرية كثيراً - ولا تزال - في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية من جراء عدم الاستبصار بمعالم وسمات الإنسان السوي والمجتمع السوي، اللذين ينبغي أن يشكلوا الوحدة القياسية التي يجب أن يُتِمَّ شطرهما بالمنهج والبرامج التربوية، وكذا بمختلف أنواع الكسب العلمي والعملية في المجالات الاجتماعية. ولذلك نرصد في مختلف حقبة تاريخ البشرية المعروف، كثيراً من التخبطات وأضراب الخرص في المجالات التربوية والاجتماعية والإنسانية بسبب غياب هذا الوعي الأساس. وتأني الأهمية البالغة للوحدة القياسية الدالة على حالة السواء،

من كون التعرف على حالات الاختلال والانحراف لا يمكن بدونها، كما لا تمكن بدونها معالجة هذه الاختلالات والانحرافات. وهذه حقيقة ماثلة في مختلف مجالات العلوم المادية والإنسانية، غير أنها أجلى وأظهر في العلوم المادية البحتة منها في العلوم الإنسانية. ولنأخذ مثالا على ذلك علم الطب. فهذا العلم يتمفصل حول محاور ثلاثة:

١- العلم بالجسم وأعضائه في حالة السواء، والتعرف عليه شمولاً وعلى وظائفه، ثم التعرف على أعضائه تفصيلاً وعلى وظائفها، وهو علم الأناتوميا والهيستوسيتولوجيا.

٢- العلم بحالات الانحراف والقصور التي تطرأ على الجسم وعلى أعراضها وأوصافها وأسمائها تفصيلاً، هو علم السيميوپاتولوجيا.

٣- العلم بكيفية رد حالات الانحراف إلى السواء مرة أخرى بالصيدلة أو بالجراحة، وهو علم الفارماكولوجيا وعلم الجراحة. والعلمان الثاني والثالث يتفرعان عن العلم الأول، إذ لولا العلم بحالة السواء وضبطها لما أمكن الوقوف على حالات الانحراف ثم لما أمكن ردها إلى حالة السواء بعد ذلك مرة أخرى؛ إذ كيف يُردُّ الاختلال إلى السواء إذا لم يمكن التعرف عليه؟ وهو أمر غير وارد ما لم تكن حالة السواء الشاهدة معروفة بتفصيل وتدقيق بحيث يسهل تبين التغيرات التي تطرأ عليها ذاتاً وأداءً.

غير أن هذا -وكما سلف- رغم وضوحه في العلوم البحتة الكونية فإنه ليس بالوضوح نفسه في العلوم الإنسانية والاجتماعية.

يوطبيات وأبطال

لقد حاولت البشرية في مختلف مواقعها عبر تاريخها الممتد أن تحل إشكال الوحدة القياسية على الصعيد الاجتماعي من خلال إنتاج "يوطبيات" حول طبيعة ومكونات المجتمع الفاضل والمدينة الفاضلة، وعلى الصعيد التربوي من خلال إنتاج مفهوم البطل.

أتمودجاً على المحاولات في الجانب الاجتماعي، جهود أفلاطون في "المدينة الفاضلة" وجهود القديس أغوستين في "مدينة الإله" وجهود الفارابي في "المدينة الفاضلة" أيضاً. وكذا جهود كارل ماركس وبعده لينين وكذا تصورات كل من ستالين وهيتلر وموسوليني للمجتمع الفاضل؛ وهي يوطبيات جرّت لعدم مواءمتها لطبيعة الإنسان والكون على العالمين وبالأغبر قليل.

وأتمودجاً على المحاولات في الجانب الفردي ما يوجد في الأعراف المصرية والإغريقية والهندية والصينية وفي حضارات

بلاد الرافدين وكذا في الحضارة الرومانية من إقامة النصب والتمثيل لأشخاص مختارين يرفعون إلى مصاف الأبطال ليكونوا مثلاً تربوية يعاد إنتاجها، غير أن ضعف المؤهلات الإدراكية والآليات التفكيرية لم يكن يمكن من الرسم العلمي والوظيفي لمعالم شخصياتهم وسمات نفسياتهم ومراحل مساراتهم، مما كان يؤدي في كثير من الحالات إلى الانحسار في التقديس.

ويمكن رصد الظاهرة نفسها في كتب "البانتاتوك" والأبوكريف اليهودية التي تبنت بعضها النصرانية. وقد استمر هذا الخط في الحضارة الغربية المعاصرة إذ يلحظ استمرار البحث عن الأبطال لإرسائهم نماذج تحتذى وصب سمات شخصياتهم الأساسية في المناهج التربوية. غير أن هذا النهج كذلك لم يحقق لغايات الاستبصار بحقيقة الإنسان السوي ودوره الكوني إلا نتائج جزئية.

تقديس أم حرمان من ثمرات النبوة؟

ساهم اعتقاد طوائف كثيرة من النصارى بأن المسيح ابن الله (١) في حرمانهم الكلي أو الجزئي من التأسى بنبي الله عيسى عليه السلام، إذ كيف يُتأسى بمن هو ابن الله؟ فكان هذا الاعتقاد متيحاً لهامش غير قليل من راحة الضمير -ولو في حالة المخالفة لتعاليم المسيح عليه السلام- عند إنسان حضارة "Christendom" على حد تعبير "مارشال هودسون" لأن ذاك ابن الله، وإذا أخطأ الإنسان العادي في اتباع جوانب من تعليماته فلا حرج (١) الأمر الذي حاول القديس "بينيديكت" استدراكه في قانونه التربوي المشهور "Code de St Benedict"، غير أنه لصرامته الشديدة كان غير ذي قابلية للتحقق خارج بعض الأديرة المحدودة جداً.

ويمكن رصد القطائع نفسها بين النبي والأتباع -وإن بشكل مغاير- في ديانات أخرى بسبب رفع النبي فوق مصاف البشر؛ بل وربما إلحاقه في بعض الأحيان بمصاف الآلهة؛ مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٣٠).

الإسلام وردم الهوة بين المتأسى والمتأسى به

حين نبحت إشكال التأسى في القرآن المجيد وفي السنة النبوية المطهرة نجد تمحوراً حول المحاور الكبرى الآتية:

١- النبي بشر عبد لله مثل البشر، غير أنه اصطُفي بعلم الله ليوحى إليه

ونجد ذلك في آيات كثيرة من كتاب الله منها قوله تعالى: ﴿قُلْ

إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ (الكهف: ١١٠). وقوله ﷺ: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ (الإسراء: ٩٣). وقوله عز من قائل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ (الفرقان: ٦).

وتثبيتنا لهذه الحقيقة قال ﷺ: "أجلس كما يجلس العبد واكل كما يأكل العبد، فإنما أنا عبد" (١). وقال عليه الصلاة والسلام: "إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد" (٢). وقال ﷺ: "منعنا لأسباب إنتاج الفجوات السابقة" (٣) بين الأنبياء والمؤمنين: "لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم" (٤).

وعموماً فإننا نجد في القرآن المجيد التأكيد على عبودية الأنبياء عليهم السلام، سدا لكل ذريعة قد تؤدي إلى إحداث هوة بين النبي والمؤمنين. فقال ﷺ حكاية عن المسيح ﷺ: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً (سرم: ٢٩-٣٠). وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص: ٣٠). وقال عز من قائل: ﴿وَإِذْ كُنَّا عَبْدًا لِّأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ (ص: ٤١).

٢- التأسى في القرآن المجيد يتم بالنظر إلى النبي المثل، فبالنظر إلى الحال ثم العمل على الانتقال من الحال إلى المثل قال تعالى في معرض الكلام عن نبيه إبراهيم عليه السلام وعن أتباعه الخالص: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ (المتحنة: ٦). وقال ﷺ عن خاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١).

فالأنبياء إذن مثال هاد لمن قام في قلوبهم الشوق والتوق إلى ما عند الله ﷻ وتجلى هذا الشوق وذاك التوق بالذكر الكثير له ﷻ. والأنبياء هم الوحدة القياسية المرجع التي تمثل حالة السواء الشاهدة التي ينبغي أن يرصد من خلالها الحال لكي يتم العمل العالم المهتدي على نقله إليها. فهو إذن شوق وتوق وذكر كثير ونبي شاهد وعمل دؤوب عالم ففضل من الله كبير مع وجوب الانتباه إلى

العقائيل الحائلة دون هذا الإنجاز الضخم (التأسي) الذي عليه يقوم تحصيل السعادت في النشاطين بالتوكل على الله تعالى.

٣- النبي شاهد وشهيد مؤيد

النبي هو الوحدة القياسية الشاهدة التي تمثل حالة السواء في المجال الإنساني والتي بالنظر الواعي إليها يتم التعرف على الاختلالات التي في هذا المجال جمعاً وإفراداً. بذلك يحصل إمكان العمل على ردها إلى حالة السواء، وتلك نعمة من الله جللى؛ حتى إذا تمت إفادة الأمة من النبي فإنها بدورها تصبح وحدة قياسية على الصعيد الاجتماعي والحضاري يمكن التعرف عليها من خلال التعرف على الاختلالات في هذه الأصعدة ومن ثم يمكن هذا التعرف من العمل على ردها إلى حالة السواء (٥) وهذا هو ما يتجلى في قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (الحج: ٧٨). وفي قوله ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣).

وحتى يكون النبي بعد اصطفاؤه لهذه الوظيفة التكوينية الخطيرة قادراً على الاضطلاع بها، يكون إناعام الله بالتأييد. قال تعالى في معرض الكلام عن الرسل عامة ومن اتبعهم من المؤمنين: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه (المجادلة: ٢١-٢٢).

وقال ﷺ عن نبيه عيسى عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ (المائدة: ١١٠). وقال تعالى عن نبي الختم ﷺ: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: ٦٢).

كما أن النبي لهذا القصد -قصد أن تمثل فيه الوحدة القياسية الشاهدة- يُصنع ظاهراً وباطناً على عين الله. وقال ﷺ عن نبيه موسى عليه السلام: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾



(طه: ٣٩). وقال تعالى: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ (طه: ٤١). وقال ﷺ عن خاتم النبيين: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (الشرح: ١-٤). وقال ﷺ في هذا المعنى: "أدبني ربي فأحسن تأديبي"^(٦). فكانت النتيجة في حقه ﷺ هي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤). ومن أجل ذلك كان اتباعه والتأسي به ﷺ هو المراقبة إلى مرضاة الله ومحبه. وقال عز من قائل: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١).

نحو استئناف التأسيس المنهاجي لعلم التعامل مع آثار النبوة إن مكونات علم التأسي منتشرة بفضل الله في سجلات السنة النبوية المطهرة ومجامع التفسير ومصنفات علم التزكية والتصوف وكذا في كتب الفقه والأصول ولا تحتاج إلا إلى الجمع والمنهجة. فالآيات المباركة في كتاب الله الكريم قد ألفت الأنوار حول الصفات المحورية للأنبياء والرسل وفي مقدمتهم إمامهم وخاتمهم سيدنا محمد ﷺ. كما أن المصنفات في الشمائل النبوية وفي دلائل النبوة قد ألفت الأضواء على شهادته ﷺ وعلى هديه عليه الصلاة والسلام. كذلك، فكتب السيرة عامة قد حاولت رصد حياته الشريفة ﷺ بدقائقها وتفصيلها، فحصلت عندنا بحمد الله بمجامع ما تحتاج إلا إلى التثمين والتوظيف. ويمكن تبين المعالم الكبرى لعلم التأسي على المستويين الفردي والجماعي كما يأتي:

١- الوحدة القياسية على المستوى الفردي

لقد ساد بين المسلمين في الأزمنة الأخيرة من تاريخهم، على خلاف ما كان عليه الأمر في عهد الصحابة الكرام ﷺ، التعامل التبركي مع آثار ودلائل النبوة وشمائل النبي ﷺ وسيرته العطرة عليه الصلاة والسلام. وفي ذلك خير كثير في ذاته، غير أنه لو شُفِعَ بالوظيفية لكان الخير أعم وأتم، ونقصد بالوظيفية هنا أن يتم طرح الأسئلة العملية على آثار النبوة من أجل تبين أوجه الشهادة النبوية في مجال مخصوص، وتحديد منهجية الرد إلى الوحدة القياسية..

وهي أسئلة لا يمكن طرحها بطريقة سليمة إلا من لدن العالمين بالمجال قيد الدرس، إذ العلم بالمجال هو الذي يمكن من تلمس مواطن الهدى النبوي فيه للتأهيل الناجم عن استتباب التضاريس المعرفية والمركبات المفاهيمية والأنساق القياسية ذات الصلة بالمجال

في أذهان المشتغلين به، مما لا ينتج إلا بطول الممارسة للبحث في مجال معين، والتعاطي مع المشاكل المنهجية التي فيه. ففي التربية مثلاً، لن يكون أقدرُ على مساءلة آثار النبوة في هذا المجال من التربويين، لمكابدتهم له ولمعاناتهم البحثية داخله، معاناة تنشئ الشوق والتوق وكذا الاستعداد لوجدان الحلول. وهل أقدر على استجلاب الدرر من أعماق البحار ممن يعرف ويعرف قيمته؟! وأجلى مثال على ذلك في مجال التربية محاولة الجواب عن السؤال المؤرق الذي مفاده: من هو الإنسان الأمثل الذي ينبغي أن يكون القطب الجاذب للمناهج والبرامج التربوية بحيث تنغني الوصول بالخاضعين للعملية التربوية إلى أفقه، دونما خشية من آثاره المضادة؟ وإذا إن البشرية اليوم تعيش في حيرة بهذا الخصوص من جراء توهم عدم التوافر على مثال حي خلو من النقائص، فإن أهل الاختصاص -بدعوى الوظيفية- يحاولون النظر في ما هو متعارف على كونه مشروعا مجتمعيًا لاستخلاص مختلف الاحتياجات في الموارد البشرية ثم لتصيير تيسير هذه الاحتياجات وتوفيرها أهدافاً تربوية تسكب في البرامج التربوية وتبدع مناهج تربوية وتُصمَّم لتحقيقها.

وإذا علم أن المشاريع المجتمعية نفسها ناتج التدافع بين موازين القوى في المجتمعات فإن الأمر يصبح أكثر تركيبيًا وتعقيداً. فالأقوى والأكثر نفاذاً هم الذين يصوغون معالم المشروع المجتمعي ويشكلون العقول لقبوله، وذلك عن طريق خماسي: الإيستيم والأكاديم والاقتصاد والسلطة والإعلام. فالإيستيم الذي يجمع بين الرؤية للعالم "الكوسمولوجيا" والأطر المرجعية/البرادكيمات (Paradigma) واليطوبيا والمنهجية. إما أن يكون وليد -انطلاق استنباطي من الوحي- أو توليد فلسفي مقولاتي نسبي حر، أو إملاء متحكم "نومونكلاطورا" يفرض ما يريد مثل ما نقل عن فرعون في كتاب الله ﷻ: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر: ٢٩). وجلي أن النمط الأخير هو السائد في عالمنا بالطف الطرق وأدقها أحياناً، وبأصغرها وأعنفها أحياناً أخرى.

فبما أن الأكاديم يأتي في الدرجة الثانية ضمن النمط الإملائي التحكيمي بخلاف النمط الاستنباطي من الوحي والنمط الفلسفي المقولاتي النسبي الحر حيث يكون الإيستيم متفرعاً عن الأكاديم، مما أن الحال كذلك في النمط الإملائي التحكيمي، فإن الفرد المتحكم أو الجماعة المتحكمة تكون هي المنتجة للإيستيم

فالإيستيم الذي يجمع بين الرؤية للعالم "الكوسمولوجيا" والأطر المرجعية/البرادكيمات (Paradigma) واليطوبيا والمنهجية. إما أن يكون وليد -انطلاق استنباطي من الوحي- أو توليد فلسفي مقولاتي نسبي حر، أو إملاء متحكم "نومونكلاطورا" يفرض ما يريد مثل ما نقل عن فرعون في كتاب الله ﷻ: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر: ٢٩). وجلي أن النمط الأخير هو السائد في عالمنا بالطف الطرق وأدقها أحياناً، وبأصغرها وأعنفها أحياناً أخرى.

فبما أن الأكاديم يأتي في الدرجة الثانية ضمن النمط الإملائي التحكيمي بخلاف النمط الاستنباطي من الوحي والنمط الفلسفي المقولاتي النسبي الحر حيث يكون الإيستيم متفرعاً عن الأكاديم، مما أن الحال كذلك في النمط الإملائي التحكيمي، فإن الفرد المتحكم أو الجماعة المتحكمة تكون هي المنتجة للإيستيم



والفارضة له على الآخرين. وهذا لا يُخلّي مجال ساحة الخاضعين من المسؤولية. يقول ﷺ: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (الزخرف: ٥١-٥٤).

ويأتي دور المكون الاقتصادي الذي يكون عموماً بأيدي فاضلي النعموكلاتورات بتصوير الأكاديم في وضع التابع حتى في عين كينونته، إذ التمويل للجامعات ومراكز البحث والأبحاث التي تُجرى فيها يصبح مشروطاً بالسير في سياق الإيستيم السائد، رغم أن الحق مع موسى ﷺ!

فيقع الأكاديم في التنظير لأنماط التوجهات والسلطة المادية والمعنوية والدساتير والقوانين والوسائل الممكنة من حماية وتنزيل الإيستيمات السائدة فهي حماية متبادلة بين السلطة والإيستيم المسخر للأكاديم.

ليرفد الأكاديم بعد ذلك الإعلام بحمولاته الداعمة الداعية إذ لن يُنتج الأكاديم في هذه الحال إلا التوجهات والرؤى المتفرعة عن الإيستيم الحاكم.

فهذه حلقة مفرغة محكمة قادت وتقود العالم نحو أزمات صفيقة. وآية إفراغها وإحكامها أن المشاريع المجتمعية التي من المفروض أن تستهدي بها علوم التربية في وضع البرامج والمناهج التربوية لن تمنح سوى هذا الهدى التحكمي المفرغ للإنسان من إنسانيته.

ومن هنا فإنه لا سبيل للخروج من هذه الأزمة إلا بالتعرف على الإنسان الشاهد -الوحدة القياسية- الذي يمثل حالة السواء والذي من خلال التعرف على بنائه النفسي والشخصي والقصدي يمكن الشروع في العمل على إنتاج العلوم الوظيفية والمناهج العملية الممكنة من ردّ الاختلالات إلى حالة السواء. وهنا الدور المحوري الخطير لوظيفية النبوة ووظيفة الذكر الذي تأتي به متى ما حلّ الرشد في التعامل معهما والتأسي بهما.

فالتعرف على حالة السواء -وكما تقدم- يمكن من تجريد المثال التفصيلي الذي ينبغي أن يشمّر -من خلال البرامج والمناهج- للسير بالمتربّين نحوه بغير عوج ولا أمت. وهذا مضمار -في العلوم التربوية- للبحث والإبداع فسيح خصيب.

ودائماً في علاقة بالوحدة القياسية على المستوى الفردي فإن علم النفس وعلم النفس السلوكي وعلم التحليل النفسي كلها

علوم تعاني الأمرين لغياب العلم بماهية حالة السواء، ولا شك أن أهل هذه المجالات إن أعملوا عقولهم ووجدانهم لتجريدها من آثار النبوة، فسوف يحلون إشكالات أليمة ومكلفة.

إن إنعام الله بأن تولّى ﷺ في مرحلة الختم بذاته العلية حفظ الذكر: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩)، فحفظت بذلك آثار النبوة المنيرة، واستمر إمكان التعرف على النبي الشاهد وعلى حالة السواء من خلاله.. إن هذه النعمة الجلّي إن شكرت بحسن التوظيف والتشجير، ولم تُكفر بالإنكار والاستهتار لمن شأنها أن تهدي العالمين إلى مستقبلات أكثر إشراقاً.

٢- الوحدة القياسية على المستوى الجماعي

لقد عانت البشرية كثيراً على الصعيد الاجتماعي من آثار الجهود الخارصة لتبيين معالم وسمات العمران البشري الأمثل، كما عانت عبر تاريخها من إملاعات وتحكمات المستبدّين أفراداً وجماعات. وقد كانت الدعائر والتكالييف بأهضة، إذ كم قدّم ويقدم من الأبرياء الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً خطباً لهذه المشاريع اليوطوبية، ليتبين بعد حين أنها لم تكن سوى سراب يباب، ولات حين مناص، وما الحالة السوفياتية منّا ببعيد.

وبما رحمة من الله تعالى فقد جعل ﷺ الوحدة القياسية على المستوى الاجتماعي تتمثل في المجتمع النبوي حيث تمكن النبي الخاتم ﷺ من جعله بهداية الله وتوفيقه يُنثّ كلة بالهداية التي هي أقوم فضاءً وعمراناً وإنساناً ووظائف ومراكز وعلائق.

وقد كان البدء بأن تم تغيير اسم مهاجر الرسول الخاتم ﷺ من طيبة ويثرب إلى المدينة -بألف ولام التعريف- ليفهم أن العمران الشاهد كان هو ذلك.

ولئن تكلم الفلاسفة عن المدينة الفاضلة وتاقوا إلى التعرف على الوحدة القياسية بهذا الخصوص، فإن النبوة -بأمر الله وفضله- قد أنشأتها واقعا حيا نابضا حفظت معالمه المركزية رغم كل التفريط والتقويض الذي يئدر مثله عن البشر.

فالنبي الخاتم ﷺ قد زرع آيات الوحي وعلاماته وبصائره في نفوس أصحابه الكرام ﷺ، فأنذهقت منها إلى واقعهم لتكون هاديات خالدة للمحجة البيضاء التي ليّلها كنهارها ولا يزيغ عنها إلا هالك.

إن في كتاب الله كما في سنة سيدنا رسول الله ﷺ البنيات الوافرة على السُّلَط والمراكز والأدوار والتدبيرات والوظائف والعلائق والنماذج والأخلاق والقيم التي ينبغي أن تشخص في المجتمع الشاهد؛ في حالة السراء وفي حالة الضراء، في حالة الشدة



وفي حالة الرخاء، في حالة السلم وفي حالة الخوف وكذا الحرب والأواء،^(٧) مما ليس ينتظر إلا العقول المتمرسه الخبرة لطرح الأسئلة المنهجية من أجل رفع صرح علم التأسسي على الصعيد الاجتماعي.

خاتمة

. وجب ختاماً التنبيه إلى بعض الأسس المهمة من أسس علم التأسسي وأكدها:

١- أن يعلم المتأسسي حيثيات السياق الزماني والعمرائي الذي يوجد فيه، وحيثيات سياق المتأسسي به ﷺ الزمانية والعمرائية والبيداغوجية.^(٨)

٢- أن يعلم المتأسسي الفروق الأنثروبولوجية والثقافية والعرفية وغيرها بين السياقين حتى إذا ساءل في أي مجال من المجالات، استدمج هذه الفروق ليكون التنزيل سليماً، ولا يخفى ما يقتضيه هذا من جهد بحثي منهج.

٣- أن يستدمج المتأسسي العلم بالمقاصد العامة للنبوة، رحمتها وجمالها وشرائعها حتى لا يفرط في الأصول لحساب الفروع أو يقدم ما من شأنه أن يؤخر أو العكس... وهذا داخل ضمن فقه الموازنات والترجيحات. وقد قام علماء الأمة جزاهم الله خيراً بجهود وضيئة في هذه المضامير.

٤- أن يستحضر المتأسسي وجوب النظر في المآلات، واعتبارها حتى لا يكون جالبا لمفاسد على نفسه ومحيطه من حيث يريد جلب المصالح، وكثيراً ما يحصل ذلك إذا أغفل البعد المستقبلي في التنزيل.

٥- كما أن من أكد الشروط أيضاً وجوب المقاربة التكاملية التي لا تهمل جانباً من الجوانب أو تطغيه، بل تحرص على حضورها ومراعاتها جميعاً بشكل مقدّر متوازن.

وبدون مراعاة هذه الشروط فإنه لا يمكن تفعيل وظيفة ودور الشهادة كما جاءت في مثل قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣).

بقيت الإشارة أخيراً إلى أن في تراثنا جهوداً مباركة وجب استئنافها في هذا الاتجاه لعلماء أفاضل هم بسبق حائزون تفضيلاً مستوجبون من أمتهم ثناءها الجميل، كأمثال القاضي عياض السبتي في "شفائه" والشاطبي في "موافقاته" و "اعتصامه" وابن القيم في "زاد المعاد" والصالح في "سبل الهدى والرشاد" وشاه ولي الله الدهلوي في "الحجة البالغة" وبديع الزمان سعيد النورسي

في "رسائل النور" وعبد الحي الكتاني في "التراتب الإدارية في الحكومة النبوية" وغيرهم ممن وجب البناء على جهودهم وتثمينها. كل ذا دون فقدان الاستبصار بأنه رغم كل ما يمكن أن يبذل في مجال علم التأسسي، فإنه يبقى مجالاً متجدداً بتجدد الأزمنة والأمكنة والأحوال والأعراف والعادات. ويرحم الله الإمام السهيلي إذ سَمَّى سيرة رسول الله ﷺ: "الروض الأنف"^(٩).

والحمد لله رب العالمين. ■

(٩) الأمين العام للرابطة المحمدية للعلماء - المغرب

الهوامش

(١) شعب الإيمان للبيهقي، ١٠٧/٥.

(٢) مجمع الزوائد للهيتمي، ٢٠/٩؛ ابن ماجه، الأطعمة ٣٠.

(٣) فالنبوة مؤسسة واحدة تتكامل لبناتها ويستدرك اللاحق منها بمنهجية التصديق والهيمنة ما كان في السابق ليخلص البناء في النهاية كاملاً شاملاً حجة ﴿لَقَدْ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (النساء: ١٦٥). ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة: ٢٨٥).

(٤) البخاري، أحاديث الأنبياء ٤٨

(٥) يلاحظ أن حالة السواء في كتاب الله نسق مفتوح أخذ بعين الاعتبار للخصوصيات والسياقات، وهو ما نرجو بعون الله تفصيل القول فيه في بحث لاحق.

(٦) فيض القدير للمناوي، ٢٢٤/١.

(٧) وما أروع الصورة المتترقة التي يعرضها كتاب الله لمجتمع المدينة الشاهد وهو بعد في طور التكوين في مثل قوله تعالى من سورة الحشر ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحْجَبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحشر ٩-١٠). وفي سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والفرقان والطلاق والمجادلة وغيرها غرر بهذا الصدد لا تنتظر إلا التحلية المتجددة. ولعل تنبه الإمام مالك بن أنس الأصبحي ﷺ إلى هذه الحقيقة بشكل عام كان وراء افتراعه لأصل من أصول مذهبه المبارك، حيث جعل "عمل أهل المدينة" أصلاً من أصول التشريع لما تضمنه هذا المجتمع الشاهد من هاديات لن تكشف كل حقائقها إلا عبر الزمن. كما علم أهل المدينة أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ لتنبهه إلى أهمية حفظ هذه الوحدة القياسية الاجتماعية في مرحلة التكوين حتى تثبت أركانها، كان قد نهى الصحابة رضوان الله عليهم عن مغادرة المدينة المنورة حتى يستتب البناء وتحفظ الشهادة، فلم يتمكنوا من مغادرتها إلا بعد وفاته ﷺ.

(٨) لأنه ﷺ جاء معلماً للناس ﴿كَأَمَّا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيَكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمُ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٥١). فوجب أن يؤخذ هذا الجانب التعليمي أيضاً بعين الاعتبار حين التأسسي.

(٩) أي الروض البكر الذي لم يُدخَل قط.



كن نقاد نفسك وخصيم أخطائك كأنك مدّع عام،
وابحث عن تبرير لأخطاء غيرك كأنك محام...

الليل والنهار في القرآن الكريم



أ.د. زغلول النجار *

ج

جاء ذكر الليل في القرآن الكريم اثنتين وتسعين مرة، وفي المقابل جاء ذكر النهار في القرآن الكريم سبعة وخمسين مرة. كما وردت ألفاظ "الصباح" و"الإصباح"، و"الفلق"، و"بكرة" ومشتقاتها، بمدلول النهار في آيات أخرى عديدة، وجاءت كلمة "يوم" أحيانا بمعنى النهار في عدد من آيات القرآن الكريم.

وفي هذه الآيات يمين علينا ربنا تبارك وتعالى بتبادل الليل والنهار ويعتبرهما من آياته الكبرى، لأن في ذلك استقامة للحياة على الأرض، وعونا للإنسان على تحديد الزمن، والتأريخ للأحداث المتتالية. وبدون هذا التبادل بين الليل المظلم والنهار المنير تتوقف الحياة على الأرض، ويتلاشي إحساس الإنسان بمرور الزمن، وتتوقف قدرته على متابعة الأحداث والتأريخ لها.

والليل والنهار آيتان كونيتان عظيمتان من آيات الله في الخلق تشهدان على دقة بناء الكون، وعلى انتظام حركة الأرض حول محورها المائل بقدر محدد، وبدقة فائقة في مدار محدد حول الشمس، وما يستتبعه ذلك من تحديد لسنة الأرض، وتبادل للفصول المناخية، ومرور للشهور والأسابيع والأيام، وتعاقب الليل والنهار على نصفي الأرض.

التبادل المنتظم بين الليل والنهار

إن التبادل المنتظم بين الليل المظلم والنهار المنير على نصفي الكرة الأرضية هو من الضرورات اللازمة للحياة الأرضية، وللاستمرارية وجودها بصورها المختلفة حتى يرث الله تعالى الأرض ومن عليها. فبهذا التبادل بين الظلمة والنور يتم التحكم في توزيع ما يصل إلى الأرض من الطاقة الشمسية، وبالتالي يعين



على التحكم في درجات الحرارة والرطوبة وكميات الضوء في مختلف البيئات الأرضية؛ كما يعين على التحكم في العديد من الأنشطة الحياتية وغير الحياتية من مثل التنفس والأيض في كل من الإنسان والحيوان، وعمليات النتج والتمثيل الضوئي في النباتات؛ ويتم ضبط التركيب الكيميائي للغلافين الغازي والمائي المحيطين بالأرض، وضبط الكثير من دورات النشاط الأرضي من مثل دورة الماء بين الأرض والطبقات الدنيا من غلافها الغازي، وحركات الرياح والسحاب في هذا الغلاف، وتوزيع نزول المطر منه (بتقدير من الله)؛ كما تتم دورة تعرية الصخور بتفتيتها، ونقل هذا الفتات أو إبقائه في مكانه من أجل تكوين التربة أو الرسوبيات والصخور الرسوبية وما بها من خيرات أرضية.

وبالإضافة إلى ذلك فإن في اختلاف الليل المظلم والنهار المنير تقسيما لليوم الأرضي إلى فترة للحركة والعمل والنشاط، وفترة للراحة والاستحمام والسكون. فالإنسان محتاج إلى السكينة بالليل كي يخلد فيه إلى شيء من الراحة النفسية بالعبادة والتفكير، والراحة البدنية بالاسترخاء والنوم والإغفاء حتى يستعيد كلا من نشاطه البدني والذهني، ويستجمع قواه فيتهيأ للعمل بالنهار التالي وما يتطلبه ذلك من القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض. وقد ثبت علميا أن أفضل النوم يكون بالليل، وأقله فائدة هو نوم النهار (فيما عدا فترة القيلولة). كما ثبت أن كثرة النوم بالنهار تؤثر في نشاط الدورة الدموية في جسم الإنسان، وتهدده بالتيس في العضلات، وتؤدي إلى تراكم الدهون وزيادة الوزن، وإلى العديد من صور التوتر العصبي والقلق النفسي.

وربما كان من مبررات التوجيه الرباني بالنوم بالليل والنشاط بالنهار أن طبقات الحماية التي أوجدها ربنا تبارك وتعالى في الغلاف الغازي للأرض، ومن أهمها "النطق المتأينة" وما بها من "أحزمة الإشعاع" تتمدد بالنهار فتزداد قدراتها على حماية الحياة الأرضية مما يسمح للإنسان بالحركة والنشاط دون مخاطر. وهذه النطق تنكمش انكمشا ملحوظا بالليل، مما يقلل من قدراتها على الحماية؛ فينصح الإنسان بالركون إلى النوم والراحة حماية له من تلك المخاطر. وفي ذلك يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۖ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ (النبا: ١٠-١١). قال تبارك وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (يونس: ٦٧).

من هنا كان التدبر في ظاهرة تعاقب الليل والنهار دعوة إلى الخلق كافة للإيمان بالله. ومن هنا أيضا جاءت الآيات التي

تشير إلى تبادل الليل والنهار في صياغة معجزة. ومن جوانب ذلك الإعجاز إشارتها إلى أعداد من الحقائق الكونية التي لم تكن معروفة وقت تنزل القرآن الكريم، ولا لقرون متطاولة من بعد ذلك مما يجزم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويشهد للنبي الخاتم والرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة الحقة والرسالة الخاتمة.

الشواهد العلمية المستقاة من تبادل الليل والنهار

١- التأكيد على كروية الأرض: فإن تبادل الليل والنهار على نصفسي الأرض وتعاقبهما وإيلاج كل منهما في الآخر، واختلافهما وتقليبهما، وإدبار أحدهما وسفور الآخر، وإغشاء نور النهار بحلقة الليل، وتجليه حلقة الليل بنور النهار، وتكوير الليل على النهار، وتكوير النهار على الليل، كل ذلك إشارات ضمنية رقيقة إلى كروية الأرض. فلو لم تكن الأرض كرة ما أمكن حدوث شيء من ذلك أبدا، وأبسطه تبادل الليل والنهار على نصفسي الأرض.

هذه الحقيقة العلمية جاء بها القرآن الكريم من قبل ألف وأربعمائة من السنين في وقت ساد فيه الاعتقاد باستواء الأرض لدى كل الناس، على الرغم من إثبات عدد من قدامى المفكرين غير ذلك.

ونزول الآيات القرآنية العديدة بهذه الحقيقة الكونية الثابتة في الجزيرة العربية التي كانت في ذلك الوقت القديس بيئة بدوية بسيطة ليس لها أدنى حظ من المعرفة العلمية ومناهجها ولا بالكون ومكوناته، لما يقطع بأن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذي أبدع هذا الكون بعلمه وحكمته وقدرته، والذي هو أدري بصنعه من كل من هم سواه، وأن سيدنا ونبينا محمدا ﷺ كان موصولا بالوحي، ومعلما من قبل خالق السماوات والأرض.

٢- التأكيد على دوران الأرض حول محورها أمام الشمس: فلو لم تكن الأرض كروية، ولو لم تكن تلك الكرة تدور حول محورها أمام الشمس ما تبادل الليل والنهار. وهذا الدوران عبرت عنه الآيات القرآنية في أكثر من عشرين آية صريحة بتعبيرات ضمنية رقيقة، ولكنها مصاغة صياغة علمية دقيقة، تبلغ من الدقة والشمول والكمال ما لم يبلغه العلم الحديث.

وقد أنزلت هذه الآيات مؤكدة حقيقة دوران الأرض حول



محورها في وقت ساد فيه الاعتقاد بثبات الأرض ورسوخها، بمعنى عدم دورانها أو تحركها، وهو أمر معجز للغاية.

٣- التأكيد على أن سرعة دوران الأرض حول محورها أمام الشمس في المراحل الأولى لخلق الكون كانت أعلى من سرعتها الحالية: وهذه الحقيقة لم يتوصل العلم المكتسب من إدراكها إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين، وقد سبقها القرآن الكريم بأكثر من أربعة عشر قرناً، وذلك بالإشارة إلى هذه الحقيقة في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: ٥٤).

وإغشاء النهار بالليل جاء في القرآن الكريم أربع مرات (الأعراف: ٥٤، الرعد: ٣، الشمس: ١-٤، الليل: ٢١). والمرة الوحيدة التي جاءت فيها الصفة ﴿يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ أي سريعاً، هي هذه الآية الرابعة والخمسون من سورة الأعراف، لأنها تتحدث عن بداية خلق السماوات والأرض؛ وهي حقيقة مدونة في هياكل الحيوانات وأخشاب النباتات بدقة بالغة، ولم يكن لأحد من الخلق إلمام بأية فكرة عنها إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين حين اكتشف العلماء أن تبادل الليل والنهار كان يتم في العقود الجيولوجية القديمة بسرعة فائقة جعلت من عدد الأيام في السنة عند بدء الخلق أكثر من ألفي يوم، وجعلت من طول الليل والنهار معاً أقل من أربع ساعات. وكان إبطاء سرعة دوران الأرض حول محورها بمعدل جزء من الثانية في كل قرن من الزمان آية من آيات الله في إعداد الأرض لاستقبال الحياة، لأن صور الحياة -وفي مقدمتها الإنسان- ما كان ممكناً أن تتلاءم مع هذه السرعات الفائقة لدوران الأرض، وكذلك مع قصر أو طول كل من الليل والنهار.

٤- التأكيد على سباح الأرض في مدارها حول الشمس: يعبر القرآن الكريم عن الأرض في عدد من آياته بالليل والنهار كما جاء في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٣)، وفي قوله عز من قائل: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس: ٤٠).

وذلك لأن كلا من الليل والنهار عبارة عن ظرف زمان وليس جسماً مادياً، ولا بد للزمان من مكان يظهر فيه. والمكان في هذه الحالة هو كوكب الأرض الذي يفتسم الليل نصفه،

والنهار النصف الآخر في حركة دائبة وتبادل مستمر. ولو لم تكن الأرض كروية، ولو لم تكن تدور حول محورها أمام الشمس لما تبادل سطحها الليل والنهار في تعاقب مستمر. ولولا جري الأرض في مدارها حول الشمس ما تغيرت البروج. ولو لم تكن الأرض مائلة، بمحور دورانها على دائرة البروج بزاوية مقدارها ٦٦،٥ درجة تقريباً ما تبادلت الفصول. ولولا علم الله بجهل الناس لتلك الحقائق في الأزمنة السابقة لأنزل الحقيقة الكونية بلغة صادقة قاطعة، ولكن لكي لا يفرغ الخلق في وقت تنزل القرآن الكريم أشار إلى جري الأرض في مدارها المحدد لها حول الشمس بسبح كل من الليل والنهار. والسبح لا يكون إلا للأجسام المادية في وسط أقل كثافة منها. فالسبح في اللغة هو الانتقال السريع للجسم المادي بحركة ذاتية فيه من مثل حركات كل من الأرض والقمر والشمس وغيرها من أجرام السماء، كل في مداره وحول جرم أكبر منه. ويؤكد هذا الاستنتاج صيغة الجمع "كل في فلك يسبحون" التي جاءت في الآيتين، لأنه لو كان المقصود بالسبح الشمس والقمر فحسب، لجاء التعبير بالتثنية و"كلاهما يسبحان".

٥- التأكيد على الرقة الشديدة لطبقة النهار في الغلاف الغازي لنصف الأرض المواجه للشمس: وهي حقيقة لم يدركها الإنسان إلا بعد زيادة الفضاء، في منتصف الخمسينات وأوائل الستينات من القرن العشرين. وقد سبق القرآن الكريم هذا الكشف العلمي بأربعة عشر قرناً وذلك في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَأَيُّ لَهِمُ اللَّيْلِ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ (يس: ٣٧).

وهذه الآية الكريمة تؤكد أن الأصل في الكون الظلام، وأن طبقة النهار في الغلاف الغازي المحيط بنصف الأرض المواجه للشمس، والتي تتحرك باستمرار لتحل محل ظلام الليل بإشراق الفجر، هي طبقة بالغة الرقة لا يكاد سمكها أن يتعدى ٢٠٠ كم فوق مستوى سطح البحر. وإذا نسبنا هذا السمك إلى المسافة بين الأرض والشمس، وهي مقدرة بحوالي المائة وخمسين مليون كم، كانت النسبة واحداً إلى سبعمائة وخمسين ألفاً تقريباً. وإذا نسبناه إلى نصف قطر الجزء المدرك من الكون، والمقدر بأكثر من اثني عشر بليون (ألف مليون) سنة ضوئية اختفت هذه النسبة تماماً أو كادت. ومن هنا تتضح ضآلة سمك الطبقة التي يعمها نور النهار، كما يتضح عدم استقرارها لانتقالها باستمرار من نقطة إلى أخرى على سطح الأرض مع دورانها حول محورها أمام الشمس؛ ويتضح كذلك أن تلك الطبقة الرقيقة من نور النهار تحجب عنا ظلام الكون الخارجي، لأن الذين تعدوا طبقة النهار



من رواد الفضاء رأوا الشمس في منتصف النهار قرصاً أزرق في صفحة سوداء. وهذه المعلومات التي اكتشفت منذ أقل من نصف قرن تتضح روعة تشبيه القرآن الكريم انسلاخ نور النهار عن ظلمة كل من الليل والكون بسلاخ جلد الذبيحة الرقيق عن كامل بدنها. وهذا يؤكد أن الظلمة هي الأصل في هذا الكون، وأن النهار ليس إلا ظاهرة نورانية عارضة رقيقة جداً، لا تظهر إلا في الطبقات الدنيا من الغلاف الغازي في نصفه المواجه للشمس؛ وبواسطة دوران الأرض حول محورها أمام ذلك النجم ينسلخ النهار تدريجياً أمام ظلمة ليل الأرض والتي تلتقي بظلمة السماء.

٦- التأكيد على دقة الحساب الزمني بواسطة كل من الليل والنهار والشمس والقمر: من المعروف أن السنة الهجرية هي سنة شمسية/قمرية، لأن هذه السنة تحددها دورة الأرض حول الشمس دورة كاملة تتمها في ٣٦٥,٢٥ يوماً تقريباً، وأن هذه السنة تقسم إلى اثني عشر شهراً بواسطة دوران القمر حول الأرض؛ كما يقسم الشهر إلى أسابيع وأيام وليال بنفس الوساطة. وقد تقسم الشهور بواسطة البروج التي تمر بها الأرض في أثناء جريها في مدارها حول الشمس، كما تدرك الأيام بتبادل كل من الليل والنهار، ويقسم النهار إلى وحدات أصغر بواسطة المزولة الشمسية؛ ومن هنا كان القسم القرآني بالليل والنهار والشمس والقمر في خمس آيات (الأنعام: ٩٦، إبراهيم: ٣٣، النحل: ١٢، الأنبياء: ٣٣، فصلت: ٣٧).

٧- الإشارة إلى أن ليل الأرض كان في بدء الخلق ينار بعدد من الظواهر الكونية: وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصْلَانَهُ تَفْصِيلاً﴾ (الاسراء: ١٢).

ويستشف من هذه الآية ظاهرة الشفق القطبي وأطيافه والتي تعرف أيضاً باسم ظاهرة الأنوار القطبية أو باسم ظاهرة فجر الليل القطبي؛ وهي ظاهرة نورانية ترى بالليل في سماء المناطق القطبية وحول القطبية، وتتكون نتيجة لارتطام الأشعة الكونية الأولية التي تملأ فسحة الجزء المدرك من الكون على هيئة الجسيمات الأولية للمادة بالغلاف الغازي للأرض، مما يؤدي إلى تأينه وإصدار أشعة كونية ثانوية. ونتيجة لذلك تتصادم الأشعة بشحناتها الكهربائية المختلفة مع كل من أحزمة الإشعاع ونطاق التآين في الغلاف الغازي للأرض وتفرغ شحناتها فتوهجها. والجسيمات الأولية للمادة متناهية في الدقة، وتحمل شحنات كهربية عالية، وتتحرك بسرعات تقترب من سرعة الضوء، ولم

تكتشف إلا في سنة ١٩٣٦. والأشعة الكونية تتحرك بمحاذاة خطوط المجال المغناطيسي للأرض والتي تنحني لتصب في قطبي الأرض المغناطيسيين فتؤدي إلى تأين الغلاف الغازي للأرض، ومن ثم إلى توهجه.

ومن الثابت علمياً أن نطاق الحماية المتعددة في الغلاف الغازي للأرض من مثل نطاق الأوزون، ونطاق التآين، وأحزمة الإشعاع، والنطاق المغناطيسي للأرض لم تكن موجودة في بدء خلق الأرض. ولذلك فقد كانت الأشعة الكونية تصل إلى المستويات الدنيا من الغلاف الغازي للأرض فتؤدي إلى توهجه ليلاً حول كافة الأرض، وبعد تكون نطاق الحماية المختلفة أخذت هذه الظاهرة في التضاؤل التدريجي حتى اختفت، فيما عدا مناطق محدودة حول القطبين، تبقى شاهدة على أن ليل الأرض في المراحل الأولى من خلقها كان يضاء بوهج لا يقل في شدته عن نور الفجر الصادق.

فسبحان الذي أنزل من قبل أربعة عشر قرناً قوله الحق على لسان نبيه الخاتم: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصْلَانَهُ تَفْصِيلاً﴾ (الاسراء: ١٢).

هذه الشواهد العلمية المستقاة من تبادل الليل والنهار بدء بتأكيد كروية الأرض، ثم دوراتها حول محورها، وتباطؤ هذا الدوران مع الزمن، وجريها في مدارها المحدد حول الشمس، والرقعة الشديدة لطبقة النهار، والدقة الفائقة لحساب الزمن بواسطة تتابع كل من الليل والنهار والشمس والقمر، وأن ليل الأرض كان يضاء في بدء الخلق بوهج لا يقل في شدته عن نور الفجر الصادق، وأن من بقايا هذا الوهج القديم ظاهرة الفجر القطبي...

هذه الشواهد لم يصل الإنسان إلى إدراكها إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين. وورودها في كتاب الله الذي أنزل على نبي أمي ﷺ في أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين، ومن قبل أربعة عشر قرناً لما يقطع بأن القرآن الكريم هو كلام الله الخاتم والخالد، وأن النبي والرسول الخاتم الذي تلقاه كان موصولاً بالوحي، ومعلماً من قبل خالق السماوات والأرض، ولذلك وصفه ربه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۖ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ (النجم: ٣-٥). ■

(٥) أستاذ علوم الأرض ورئيس لجنة الإعجاز العلمي بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية / مصر.

لزومية

✻ أ.د. حسن الأمراي* ✻

أختاهُ! إنَّ العيش عيشُ الآخرة
فهي المعاني والمغاني الزاخرة

فتأنقي برياض ذكرٍ مونق
وتألقي شغراً.. لآلى فاخرة

شغراً إلهياً يؤانسني إذا
ما صرتُ -يا أختي- عظاماً ناخرة

ما هذه الدنيا وإن عرضت لنا
صورَ الجمال سوى فُصولٍ ساخرة

بحرٌ خضمَّ مَوْجُه متلاطمٍ
والناسُ فيه أُمَيَّاتٌ ماخرة

والحبُّ خيرُ الزَّاد لو علم الفتي
وفعاله الموفور نغم الباخرة

ماذا علينا لو ركبنا عُرضَه
شوقاً، ووجهتنا نعيمُ الآخرة؟!^(١)

^(١) رئيس تحرير مجلة المشكاة / المغرب



مدارس ودروس

من "دايتون" الأمريكية إلى "أبنت" التركية



د. أ. د. إبراهيم البيومي غانم

قالوا قديماً إن في السفر فوائد كثيرة تظهر في جوانب مختلفة من حياة المسافر، منها زيادة رزقه، واتساع علمه، وتقوية صحة جسمه، وسكينة نفسه، ونضج خبرته، وكثرة معارفه وأصدقائه، وتحديد الحنين إلى أهله ووطنه والديار التي كان فيها مسقط رأسه. وقد جمع الشاعر بعض تلك الفوائد في قوله:

ق

تغرب عن الأوطان في طلب العلا
وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفريج هم واكتساب معيشة
وعلم وآداب وصحة ماجد.

فوائد الأسفار

ولكن يبدو أن فوائد السفر الحديث في أيامنا تختلف في عددها وفي نوعها عن فوائد السفر القديم الذي عرفه البشر في الأيام الخالية. فهي أكثر منها عدداً وأعمق منها أثراً. وهذا هو ما تبين لي بعد سفرتين متتابعتين: الأولى كانت من يوم ٢٢ يونيو

حتى ٣ يوليو ٢٠٠٦ إلى مدينة "دايتون" في ولاية "أوهايو" الأمريكية للمشاركة في الملتقى السنوي لـ "كاترينج فاؤندينشن" (Kettering Foundation) حول "الديمقراطية التداولية"، وبرنامج علمية أخرى مصاحبة لهذا الموضوع، ومنها لقاء المجموعة العربية لبحوث وقياسات الديمقراطية. أما الرحلة الثانية فقد كانت من يوم ٩ حتى ١٧ يوليو ٢٠٠٦ إلى إسطنبول، ومنها إلى منتجع "أبنت" (Abant)، بمدينة "بولو" (Bolu)، التركية -على مسافة ١٥٠ كلم شمال العاصمة أنقرة- وذلك للمشاركة في منتدى "أبنت" حول "سياسات العولمة ومستقبل الشرق الأوسط".

أما المدة التي استغرقتها في الرحلتين فكانت ثلاثة أسابيع، قضيتها مناصفة بين أمريكا وتركيا. وكان من تقدير الله سبحانه -وبدون سابق ترتيب مني- أن أشارك في ندوات علمية تكاد تكون متماثلة في الرحلتين، وأن أزور بعض المؤسسات والهيئات الاجتماعية والثقافية التي تنتمي إلى المجتمع المدني في الحالتين؛ إلى جانب التجوال الحر ورؤية بعض المعالم الأثرية والمزارات



السياحية في بعض المدن الأمريكية هناك في أقصى غرب العالم، وفي بعض المدن التركية هنا في قلب الشرق، وتحديدًا في إسطنبول التي كانت يوماً عاصمة الشرق كله.

هموم الأسفار

بالنسبة لفائدة "تفريج الهم"، فإن الذي حدث معي هو العكس في سفرتي إلى الولايات المتحدة الأمريكية؛ إذ إن همومي زادت ولم تنفرج! وأول ما وجدته هو أنني أوجست في نفسي خيفة عندما وطّعت قدمي أرض مطار "سينسيناتي" في وسط غرب الولايات المتحدة الأمريكية. كانت هذه هي أول رحلة لي إلى أمريكا، وأنا طبعاً قادم من بلد شرق أوسطي قديم، إلى بلد غربي متطور علمياً وتكنولوجياً، وشعرت ساعتها بأني في حيرة من أمري؛ فمطار سينسيناتي هائل الحجم، هائل التنظيم، هائل النظافة، يعجّ بالمغادرين وبالقادمين، وكلها أمور أثارت في نفسي خواطر مختلطة بين الإعجاب والضييق، وكنت كلما نظرت إلى النظافة والتنظيم والانضباط والسهولة في الحركة داخل المطار في سينسيناتي، وقارنت ذلك كله بما رأيته وعرفته ويعرفه كثيرون عن مطارات شرق أوسطية - ومنها بعض مطارات بلادي - زاد اختلاط الإعجاب بالضييق في نفسي، وضاق صدري ولم ينطلق لساني أكثر من مرة، فلم أردّ على تعليقات أحد رفقائي في الرحلة كان يحاول لفت نظري إلى بعض تلك المعاني التي جالت في خاطري.

ثم جاء مشهد إجراءات الأمن والسلامة التي يخضع لها الجميع، مع قليل من التمييز السلبي ضد ذوي الملامح الشرق أوسطية أمثالنا وغير الأمريكيين عموماً، ولكن التعامل مع الجميع كان مهذباً ولم يخل من بعض الدعابات.

لم تفارقني همومي التي حملتها من بلدي، بل إن تلك الهموم كانت تزيد ولا تنقص ناهيك عن أن تنفرج كلما مر يوم عليّ في "دايتون" أو في ضواحيها. وهمومي التي أتحدث عنها هي هموم التخلف الذي نعيشه في بلادنا، وهموم حالة الفوضى غير الخلاقة التي تسحق آدمية أغلبية أبناء شعوبنا العربية والإسلامية ويصادفونها في معظم زوايا حياتهم. وجدت أن ثمة فجوة هائلة بيننا وبينهم فجوة أكبر بكثير مما كنت أتصور وأعرف من خلال قراءاتي ومعرفتي عن بُعد بالمجتمع الأمريكي. كنت أمني نفسي في أول مرة أسافر فيها إلى الولايات المتحدة بأن تكون الفجوة بيننا وبينهم أقل عمقاً وأضيق نطاقاً، وأن يكون عبورها مقدوراً

عليه في عدد معقول من السنين عقد أو عقدين مثلاً، ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه، وما رأيته زاد همومي ولم يفرجها.

مشاهد البهجة في مطار إسطنبول

وإذا كانت أول فوائد السفر القديم قد ضاعت مني في رحلتي إلى أمريكا في الغرب، فقد أدركتها في سفري التالي إلى تركيا في الشرق. كان المشهد الأول مبهجاً في مطار إسطنبول: مطار حديث على آخر صيحة وقد هبطت الطائرة في المطار الجديد، وهو كبير الحجم، فائق النظافة، دقيق التنظيم والانضباط وسهولة الحركة، وإجراءات الأمن والسلامة والتفتيش تتم ببسر وسهولة، ويخضع لها الجميع دون أدنى تمييز بين المسافرين، لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لتركي على أوربي أو أمريكي. ولا تستغرق عملية تدقيق الجوازات وتأشيرات الدخول سوى بضع دقائق. وما كدنا نخرج من بوابة الخروج حتى وجدنا في استقبالنا ثلة من الفتية ذوي الوجوه البشوشة، والأيدي الممدودة لمساعدتنا في حمل الحقائب، مع كلمات الترحيب بلغة عربية رشيقة تحبها وتتمتع بسماعها من أفواه شباب أتراك تفانوا في خدمتنا من أول يوم حتى آخر لحظة. قبل مغادرتنا إسطنبول حتى كدنا نبكي من فرط كرمهم وتواضعهم.

كان هذا المشهد الأول في تركيا كفيلاً بأن يبدد بعض الهموم المختزنة من رحلتي إلى "دايتون"، فها هم أولاء أناس من بلد مسلم وشرق أوسطي عريق مثل تركيا يقدمون نموذجاً لا يقل في روعته عما شاهدناه في أمريكا من النظام والنظافة والانضباط وسهولة الحركة وكفاءة العمل في مرفق حيوي وواجهة من واجهات الدولة. ويوماً بعد يوم في تركيا من إسطنبول إلى "بورصة" إلى "بولو" ومنتجع "أبنت"، كانت همومي تنفرج شيئاً فشيئاً؛ وذلك بعد أن أخذنا أصحاب الدعوة من تلامذة الأستاذ "محمد فتح الله كولن" في جولة سياحية وعلمية، رأينا فيها عدداً من المشروعات الحديثة فائقة الروعة في شكلها ومضمونها، أو في مبانيها ومعانيها: مدرسة وجامعة ومستشفى وصحيفة وتلفزيون؛ كما رأينا فيها سلسلة من الآثار التاريخية النادرة وفي مقدمتها المساجد والقصور التي تشتهر بها تركيا عامة، وإسطنبول خاصة؛ والمتاحف وأهمها متحف "طوب قابي" الذي يضم آثار العهد العثماني.

شخصية الأستاذ "فتح الله كولن"

والأستاذ "فتح الله كولن" هو من الشخصيات ذات الأثر الواسع داخل تركيا وخارجها، ويحتاج إلى أكثر من مقالة لتعريف القارئ



العربي به وبأفكاره ومنهجه في الإصلاح. وهو ممن استوعب منهج بديع الزمان النورسي في فهم الإسلام، وقد استطاع أن يقدم رؤية خاصة به في الإصلاح والدعوة، وله عديد من المقالات والمؤلفات القيمة، كما أن له تياراً واسعاً المحبين له والمتأثرين برؤيته الحضارية، منهم نسبة مؤثرة من رجال الأعمال والأثرياء الذين يتولون تمويل المشروعات الخيرية التي أكد الأستاذ على أهميتها وحث على تفعيلها طوال حياته، وما أكثرها، وذلك من خلال نظام الوقف المنتشر على نطاق واسع في تركيا، حتى إن لكل مرفق أو خدمة "وقفاً" يوفر المال اللازم لتمويل المشروعات والبرامج التي يقدمها، ويغني تلك المؤسسات والمشروعات عن ذل الحاجة إلى التمويل الأجنبي الذي ابتليت به كثير من بلداننا العربية.

نعود إلى بقية فوائد السفر القديم وهي "اكتساب العلم والآداب وصحبة الماجد"، وقد حصلت من ذلك قدر استطاعتي. وقد حفزني الرحلتان إلى أمريكا وإلى تركيا إلى ضرورة إعادة النظر فيما قاله السابقون عن فوائد السفر القديم، واكتشفت فوائد جديدة تزيد كثيراً على ما ذكره قدماء المسافرين. ومما اكتشفته: اكتساب الخبرة، ونقد الذات، وإدراك القواسم المشتركة بين بني آدم أينما كانوا وحيثما حلوا، وتبادل الدروس الإنسانية، ومقارنة المدارس التعليمية والتربوية بين الشرق والغرب، وغير ذلك مما يطول شرحه ويصعب حصره هنا. ووجدت أن لكل فائدة مدرسة تنتجها، ودروساً تعبر عنها. ومن الموافقات الحسنة وجود أوجه شبه مثيرة بين مدارس ودروس السفر إلى دايتون في أمريكا، ومدارس ودروس السفر إلى "أبنت" في تركيا، وهذه هي خلاصتها:

مدرسة في التربية والتعليم، ودرس في العطاء

على الجانب الغربي وفي "دايتون" كانت المدرسة -بالمعنى الواسع لكلمة مدرسة- هي مؤسسة "كاترنج" التي ترعى عديداً من البرامج التعليمية والتدريبية والبحثية، وتقوم بتمويلها من عوائد وقفيتها الخاصة، وتركز منذ عقود على قضية أساسية هي ما تطلق عليه "الديمقراطية التداولية"، أو "الديمقراطية التشاورية". أما درس العطاء فقد لمسته من أغلب العاملين في "كاترنج" بدءاً برئيس المؤسسة ديفيد ماثيوس، مروراً بمساعديه بمختلف مستوياتهم. حقيقة وجدتهم يعملون بروح الفريق، وبدافع قوي لا يمكن أن ينبع إلا من الإيمان بالرسالة التي تقوم بها المؤسسة في خدمة العلم والمعرفة بشكل عام، وفي تقديم المجتمع الأمريكي بشكل خاص.

أما على الجانب الشرقي وفي "إسطنبول"، فقد كانت

المدرسة -بالمعنى الواسع أيضاً- عبارة عن سلسلة من المشروعات والمؤسسات التعليمية والبحثية والثقافية، تعتمد في تمويلها على ريع وقفيات -أيضاً كما في حالة كاترنج الأمريكية- خصصها رجال أعمال ومحسنون أتراك، أغلبهم من تلامذة الأستاذ "فتح الله كولن". هي مدرسة ذات طابع مختلف عن مدرسة "مؤسسة كاترنج"، ولكنها تقوم بمهام مماثلة في نشر العلم وإنتاج الثقافة وبناء مجتمع المعرفة، وتسعى للإسهام بجدية بالغة في تقدم المجتمع التركي خاصة، وفي إسعاد الإنسانية عامة. أما درس العطاء فقد لمسته، كما لمسه جميع رفقاء في الرحلة، في الأداء رفيع المستوى، بالغ الإتقان لكل من قابلناهم في تلك المؤسسات، وليس ثمة مصدر يدفعهم لذلك سوى الإيمان العميق بالرسالة التي يؤدونها. وكان لافتاً للنظر أنك لا تستطيع أن تحدد أيهما أكثر روعة: العنصر البشري العامل في تلك المؤسسات من الشباب والشابات، أم تلك المؤسسات نفسها. وذات مرة قلت لأحد رفقاء السفر: ما أروع هذا المبنى، فرد قائلاً: الأروع هم هؤلاء البشر المتفانون في عملهم. قلت: لن نختلف كثيراً؛ فمبنى رائع كهذا لا بد أن يشيده ويديره أناس رائعون كهؤلاء.

أحد المحسنين الذين قابلناهم هو "الحاج علي كروانجي"، رجل أعمال عصامي، لفت نظره أن الأستاذ "فتح الله كولن" يحرص بإصرار على أن لا تمس يده أموال المتبرعين لأعمال الخير التي يدعوهم لها، فقرّر أن يقف ثروته وحياته للأنظمة الإنسانية التي يشجع عليها؛ فبنى سلسلة بديعة من المدارس ومسجداً أنيقاً إذا دخلته تحب أن تبقى فيه ولا تخرج منه، من فرط الراحة التي تشعر بها وأنت داخله. وأمثال الحاج "علي كروانجي" كثيرون في تركيا، وبفضل عطائهم نشأت مؤسسات ومشروعات حضارية بكل ما تحمله كلمة "حضارة" من معنى.

مدرسة في الأخلاق ودرس في التسامح الإنساني

على الجانب الغربي وفي "إنديانا" هذه المرة كانت مدرسة الأخلاق -بالمعنى الواسع لكلمة مدرسة كذلك- هي جامعة "نوتردام" الكاثوليكية. والحقيقة أنني لم أتوقع وجود مثل هذه النزعة الأخلاقية من حيث الأصل في بلد مثل أمريكا. وجامعة نوتردام هي من الجامعات المحافظة بكل المعاني التي تشير إليها كلمة "المحافظة". وقد أتيحت لي أن أطلع عن كثب على أحد المعاهد التابعة لها، وهو "معهد كروك"، وتحدثت مع مديره "سكوت أبلبي"، ومع عدد من الباحثين والموظفين، وكان أكثر ما شدّ



انتباهي هو المناخ الأخلاقي الذي يعمل فيه الجميع، استناداً إلى قاعدة قوية من التعاليم الدينية الكاثوليكية، ربما كان أفضل من يجسدها هو مدير معهد كروك الدكتور القسّ سكوت أبلبي. قال لي: "لو خُيرت بين أن أشغل أعلى منصب في الدنيا، وبين البقاء في هذه الجامعة لاخترت البقاء في جامعة نوتردام". أما الدرس الأكثر تأثيراً فيمن يدخل هذه المدرسة فهو درس التسامح الإنساني، الذي عبرت عنه ليس فقط كلمات من قابلناهم في المعهد، ومشاعرهم الودودة تجاهنا، رغم علمهم أننا شرق أوسطيون، وإنما أيضاً وجود أناس مختلفي المواقف من الدين ذاته، ومن الكاثوليكية نفسها التي هي جزء من اسم جامعة نوتردام. فهناك مسلمون، ويهود، ومسيحيون، ودهريون"، وكأن لسان الحال يردد قول الله تعالى ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون: ٦)، وكذلك عبرت عن هذه النزعة الإنسانية المشروعات والبرامج البحثية والتعليمية التي تستهدف في أغلبها دعم قيم الحوار والسلام والتسامح بين مختلف الشعوب والأمم.

أما على الجانب الشرقي، وفي مختلف المشروعات التي زرناها في إسطنبول وفي مدينة "بُورصة"، تجلّت مدرسة الأخلاق بأبهي ما يكون التجلي؛ وإذا قارناها بمدرسة "نوتردام" الأمريكية التي أومأنا إليها، سنجد أن مدرستنا في تركيا أعمق جذوراً، وأكثر غصوناً، وأصدق قيلاً، وأتقن فعلاً؛ فهذه جامعة، وهذا مستشفى، وتلك صحيفة، وهذه مدرسة ابتدائية، وهذا تلفزيون... جميعها في إسطنبول، وبعضها له أفرع خارج إسطنبول، وكلها مؤسسة على أحدث تكنولوجيا العصر؛ حتى إنها تُبهر الزائر وتجعله لا يصدق ما تراه عيناه، وربما يشعر أنه في حلم وليس في "علم" يراه رأي العين، فلا يملك إلا أن يقول "ما شاء الله لا قوة إلا بالله"، ولا يملك إلا أن يدعو للقائمين على تلك المؤسسات بالسداد والتوفيق، ولا يملك إلا أن يتحسر على أحوال بلاده المتردية - كما هو حالنا - في أغلب المؤسسات والمرافق الحكومية وغير الحكومية. والأمر المهم في كل ذلك هو أن تلك المشروعات على تنوعها نبعت من أصل واحد هو الروح الإسلامية، والأخلاقية الإسلامية، التي تحض في أحد مبادئها على حتمية أن يتقن الإنسان عمله، وذلك انطلاقاً من قول الرسول الكريم ﷺ: "إن الله يحب أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه"^(١)، وقد شهدنا بما علمنا ورأينا أن هؤلاء المسلمين الأتراك قد أتقنوا ما عملوه من مشروعات عالية الجودة، فائقة التقدم، وافرة النفع للمجتمع والدولة، للمسلمين ولغير المسلمين، دون تفرقة، أو

تمييز. وفي كل مؤسسة من تلك المؤسسات لمسنا درس التسامح الإنساني في عمقه الإسلامي. ومن أفضل التعبيرات عن هذا الدرس ما قاله بعفوية أحد المسؤولين عن تلك المؤسسات وهو: "إذا تحدث العالم عن الإنسان، فنحن المسلمون أول من يجب البشر، ونحب الكون؛ لأن الله خلق هذا وذاك، وعلينا أن نتحاور مع الآخر بهذه الروح، حتى وإن كان يفكر بطريقة مختلفة عنا"، و"إن الغاية من هذه المؤسسات هي تنشئة أجيال صالحة تعمل لخير الإنسانية". أنا قرأت كل تلك المشروعات الراقية باعتبارها تطبيقاً لمدرسة الأخلاق الإسلامية العملية، وباعتبارها درساً في التسامح الإسلامي الإنساني، وهذا هو لب الرسالة الإسلامية؛ إذ ليست تعاليم الإسلام مجرد كلام نظري، بل هي قول وعمل، وإيمان وتطبيق، وهذا ما رأيناه بأعينا هنا في تركيا، ونود أن نرى مثله في بقية البلدان العربية والإسلامية.

مدرسة في المجتمع المدني ودرس في المشاركة

هناك في "دايتون" اطلعنا على مدرسة متكاملة في "المجتمع المدني"، أو ما يمكن أن نسميه "السياسة المدنية"، بالمعنى الذي قصده الفارابي وابن خلدون وغيرهما من أعلام الفكر الإسلامي، وهذا المعنى يركز على التدبر في كيفية تسيير شؤون الناس اليومية بأفضل طريقة تكفل تحقيق مصالحهم المادية والمعنوية معاً. هذا هو جوهر معنى السياسة المدنية، أو المجتمع المدني كما قدمه علماؤنا السابقون، ويطبقه الأمريكيون فيما بينهم وعلى مستوى قضاياهم الداخلية على الأقل. وهذا هو ما رأيته وأدركته من خلال مشاركتي في الملتقى السنوي لمؤسسة كاترنج حول "الديمقراطية التداولية". وسواء اقتبسوا هذا المعنى المدني للسياسة من علمائنا أم توصلوا إليه باجتهادهم فالنتيجة واحدة، وهي أنهم جادّون في البحث عن كيفية تفعيله في واقعهم الاجتماعي، وكيفية إعادة المواطنين إلى المجال العام والمشاركة في قضايا هذا المجال والابتعاد عن العزلة.

وقد دأبت مؤسسة كاترنج منذ خمسة وعشرين عاماً على تنظيم حلقات نقاش حول قضايا الديمقراطية، واستطاعت أن تقدم للمجتمع الأمريكي مجموعة من الإسهامات المهمة النظرية والتطبيقية، التي استهدفت حل المشكلات التي تعترض المواطنين في علاقاتهم بالسلطة والسياسة والشؤون العامة من جهة، وبناء ثقافة السياسة المدنية وتفعيلها على أرض الواقع من ناحية أخرى، وهذا هو جوهر "درس المشاركة" الذي جعلته مؤسسة كاترنج نصب

عينها منذ عدة عقود. ويتضح من مراجعة البرامج والمشروعات البحثية التي ترعاها كاترنج أنها تشعر بأن الديمقراطية الأمريكية في خطر نتيجة تزايد حالة العزلة والاغتراب بين المواطنين، وعدم الاهتمام بالشؤون العامة، ومن ثم اجتهدت المؤسسة في البحث عن الطرق الكفيلة باستدعاء دور الشعب من جديد، وإعادة اكتشاف المواطنة، وبالتالي ترميم الثقافة المدنية التي تمهد لإشراك الشعب في الحياة السياسية من جديد.

وفي "أبنت" التركية اطلعنا على برامج ومشروعات مدرسة أخرى في "المجتمع المدني" بالمعنى السابق شرحه، وشاركنا في لقاءها الدوري للحوار والتداول في الشؤون العامة التي تهم تركيا وتهم غيرها من بلدان منطقة الشرق الأوسط. وقصة "منتدى أبنت" كمؤسسة من مؤسسات المجتمع المدني بدأت قبل نحو عشر سنوات بهدف لشمّ المثقفين والأكاديميين الأتراك من كل الاتجاهات السياسية والفكرية والمذهبية، والانتقال من حالة الاحتراب والصراع إلى حالة السلم الاجتماعي والتعاون، وبهدف تقوية الثقافة المدنية السلمية داخل المجتمع التركي، ثم اتسعت اهتمامات المنتدى بعد ذلك إلى خارج تركيا من أجل تحقيق الأهداف ذاتها ولكن على مستوى عالمي. ويعتبر "منتدى أبنت" أحد المؤسسات التابعة لـ "وقف الصحفيين والكتاب" الذي كان قد تأسس بمبادرة من الأستاذ "فتح الله كولن" سنة ١٩٩٤.

سمعنا من رئيس وقف الصحفيين والكتاب قصة نشأة الوقف، وكيف تطورت أهدافه ونمت مشروعاته، وكيف انبثقت منه فكرة منتدى "أبنت" للحوار، وكيف أضحي المنتدى مستقلاً في إدارته وفي نشاطاته عن وقف الصحفيين والكتاب. وتبين أن الفكرة الأساسية الموجهة لهذا المنتدى هي فكرة "الحوار المدني"، وهي من أفكار الأستاذ "فتح الله كولن" من أجل تكوين قاعدة صلبة للمشاركة في الشؤون العامة، والتوصل إلى أفضل الحلول للمشكلات التي تواجه المجتمع التركي، ثم اتسعت آمال أصحاب المنتدى إلى النطاق العالمي، وأضحى المنتدى "نموذجاً" يبرهن على إمكانية التعايش بين المختلفين، والتعاون فيما هو متفق عليه، واحترام وجهات نظر المخالفين، مع إعمال التفكير النقدي فيها لتوسيع القواسم المشتركة وتضييق مواطن الاختلاف قدر المستطاع.

درس "المشاركة" في الشأن العام انطلاقاً من مفهوم المجتمع المدني والسياسة المدنية، عبّر عنه بعض المشاركين في منتدى "أبنت"، ولكن بطريقة مختلفة عن تلك التي وجدناها عند مؤسسة كاترنج في دايتون الأمريكية؛ هناك في دايتون كان همهم الأساسي هو كيف

يمكن تقوية الثقافة المدنية الكفيلة باستعادة المواطنين إلى السياسة وشؤون المجال العام، وكيف يمكن ترميم الديمقراطية الأمريكية بعد أن أصابها الوهن وتهدمت بعض دعائمها. أما في "أبنت" فقد كان الهم الأساسي هو كيف يمكن بناء المجال العام، وكيف يمكن تهئية البنية الأساسية للممارسة الديمقراطية، أو الشورية. كان ذلك واضحاً في الملتقيات الماضية للمنتدى، وحتى في الملتقي الأخير في يوليو الماضي -رغم أن موضوعه كان عن سياسات العولمة وانعكاساتها على مستقبل الشرق الأوسط- وقد عبر عن هذا الدرس بوضوح وعمق في آن واحد البروفسور "كمال كاربات" -وهو أحد أشهر أساتذة التاريخ في تركيا- وذلك عندما شدد في كلمته بالمنتدى على أن لب المشاكل التي تعاني منها بلدان الشرق هي "أن المجال العام في هذه البلدان لم يتطور، ولذلك اتسعت الفجوة بين الشعوب والحكام، وما لم يتطور المجال العام، وينخرط فيه أكبر عدد ممكن من المواطنين، فسوف يظل الاستقرار بعيد المنال، وسوف يظل التحديث ضرباً من الخيال". هكذا تحدث كمال كاربات، والحق معه فيما قال. هناك مشوار طويل أمام مجتمعاتنا في الشرق لتعلم درس المشاركة وتحويله إلى ممارسة مؤسسية، وهذا أحد أهم الدروس التي تجتهد فيها "مدرسة المجتمع المدني في تركيا"، ويسهم فيها منتدى أبنت بسهم وافر.

بعد الرحلتين؛ إلى الولايات المتحدة الأمريكية في الغرب، وإلى تركيا في قلب الشرق، وبعد أن تبين ما هنالك من هموم مشتركة، وجهود متشابهة تسعى للتغلب على المشكلات التي تعاني منها الإنسانية المعاصرة، قلت: لا بد من إعادة النظر في قول كيلنج -شاعر الإمبراطورية البريطانية العجوز- "الشرق شرق، والغرب غرب، وهيهات أن يلتقيا"، فهما قد يلتقيان، وقد بدءا يلتقيان في بعض الحالات، حتى وإن حاول محترفو السياسة الإبقاء على الفرقة بين الشعوب والأمم. فمن مصلحة البشرية أن يلتقي بنو آدم جميعاً؛ كانوا في الشرق أم في الغرب، في الشمال أم في الجنوب. وقبل أكثر من خمسة عشر قرناً قرر الإسلام العظيم المساواة بين البشر جميعاً، وأكد أن كلنا لآدم وآدم من تراب، وأنه لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح. ■

(٥) أستاذ العلوم السياسية - جامعة القاهرة / مصر.

(١) مجمع الزوائد، ٩٨/٤.

منهج التروحي



في حياة الأستاذ سعيد النورسي

أ.د. محمد سعيد رمضان البوطي*

الفقري في منهاج السلوك إلى مرضاة الله. ثم إنه خلّف بعد ذلك الرعيل الأول خلف، أفردوا لهذا المنهج السلوكي اسماً جديداً لا عهد لمن قبلهم به، وما لبثوا أن أولوه أهمية بالغة من حيث إنّ هذا المنهج التربوي هو المدخل الذي لا بدّ منه لسائر أنواع الصلاح الفردي والاجتماعي. غير أن الاهتمام بالاسم الجديد تغلب شيئاً فشيئاً على الاهتمام بالمسمى القديم، فتولد من ذلك تيار من الانجذاب إلى

قالوا: "كان التصوف في صدر الإسلام مستمى لا اسم له، ثم أصبح اليوم اسماً لا مستمى له".

وأقول هي كلمة صحيحة ودقيقة؛ فإن المسلمين في صدر الإسلام كان همهم الأول تزكية النفس الأمانة بالسوء، والسمو بها في مدارج التربية إلى مرتبة النفس الراضية والمطمئنة دون أن يبدعوا لذلك اسماً غير الاسم الذي سماه الله ﷻ به، وهو الجهاد التأسيسي الذي يبدأ بتزكية النفس وتربيتها، وهو العمود

ق

كان- كما قلت لكم- لُبَاب الإسلام ومكونه، وكانت علاقته بأحكامه السلوكية الظاهرة، كعلاقة الروح بالجسد.

سنوحات ربانية

ولقد كان من نتائج هذه العوامل سنوحات ربانية علوية، يفيض بها قلبه، تعلو به في سلم المقامات، وترقى به إلى أعلى تلك الدرجات. من هذه المقامات أن يصل السالك من جهوده وجهاده إلى نكران الذات والفناء في المنعم جَلَّالاً والرقى إلى أعلى درجات الإحسان، وهو عدم شعور العبد بإحسانه، وذهوله عن أحواله ومقاماته.

وإليكُم بيانه لهذه الرتبة التي لا يتذوقها ولا يرقى إليها إلا من أخذت بمجامع نفسه نشوة العبودية لله، وناله منها ما يشبه السكر، يقول: "قال لي أحد الأتقياء في قسطنطين شاكياً: لقد ترديتُ وتقهقرتُ عن حالي السابق.. إذ فقدتُ ما كنت عليه من أحوال وأذواق وأنوار. فقلت له: بل ترقيتُ، واستعليتُ على الأذواق والكشوف التي تلاطف النفس وتذيقها ثمراتها الأخروية في الدنيا، وتعطيها الشعور بالأنانية والغرور.. وقد طرتُ إلى مقام أعلى وأسمى، وذلك بنكران الذات وترك الأنانية والغرور، وبعدم التحري عن الأذواق الفانية.. نعم إن من الإحسان الإلهي للعبد أن يُنسيه إحسانه بفنائه عن نفسه التي لا حول لها ولا قوة ولا وجود إلا بالمحسن الأوحد وهو الله سبحانه".^(١)

أليست هذه السنوحات من المسميات التي لم يكن لها في صدر الإسلام اسم مختص به؟ لقد كان لها حضور بارز في ذلك الصدر الأول، ولكن لم يعبر عنها إلا بما سماها الله تعالى به، وهو تركية النفس والصعود الدائم في درجات الإحسان.

ولقد كان من آثار هذه العوامل أيضاً تنامي مشاعر الخشية من الله بين جوانحه، وهيمنة الرقابة الإلهية على قلبه، وتعظيم الخوف في نفسه مما هو مقبل عليه بعد الموت. وكلها مسميات قدسية لهذا الذي يسمى اليوم تصوفاً، ولكن لم يكن لها وراء اسم العبودية الضاربة لله تعالى حينذاك أي اسم مصطنع آخر.

ولنتأمل ترجمة هذه الآثار لديه في هذا الدعاء الواجف الذي صاغه الأستاذ النورسي رحمه الله باللغة العربية، وكان يناجي به ربه عَلَّامُ في أوقاته الخاصة. يقول رحمه الله:

"يا إلهي الرحيم يا إلهي الكريم! قد ضاع بسوء اختياري عمري وشبابي، وما بقي من ثمراتهما في يدي إلا آثام مؤلمة مذلة، وآلام مضرة مضلة، ووساوس مزعجة معجزة... وأنا بهذا الحمل الثقيل والقلب العليل والوجه الخجل، أدنو إلى باب قبوري.. بيت

كلمة التصوف. ولا ريب أن العامل الأول لهذا الانجذاب إنما كان اقتران الكلمة بأعمال التربية النفسية التي هي لباب السير على صراط الله عَلَّامُ، ومن ثم فهي لباب الإسلام. ولعل رجال "الرسالة القشيرية" من أبرز من يمثلون هذا العهد.

ثم جاء على أعقابهم خلف آخر غدت كلمة التصوف عندهم أشبه بقبة ليس في داخلها مزار، ولقد امتدَّ عهد هذا الخلف إلى عصرنا الذي نحن فيه. إنك تتأمل فتجد أن التعامل اليوم إنما هو مع بريق هذه الكلمة وما يشع منها -بحكم الاقتران الطويل- من مظاهر الصلاح والتقوى وأصول الإرشاد ومناهج التربية والسلوك إلى مرضاة الله. وعندما تبحث عما تحت هذه الكلمة من هذه المضامين لا تجد شيئاً. وهكذا فقد غدا التصوف اليوم -كما قالوا- اسماً لا مسمى له.

النورسي الاستثناء

غير أن من المعلوم أنه ما من قاعدة إلا ويعتريها شذوذ، وما من عموم إلا ويلحقه استثناء، فلا يزال في المتصوفة من هم على سنن الرعيل الأول. وإني لأجد أن سيرة الأستاذ المرشد سعيد النورسي، كانت مظهراً لهذا الاستثناء. كانت مظهراً لحال الرعيل الأول من المسلمين؛ إذ كان التصوف عندهم مسمى لا اسم له. ولا ريب أن في عالمنا العربي والإسلامي من يشركه في هذه الحال الاستثنائية. ولكنهم قلة لا يتجاوزون عدد الشذوذ من القاعدة والاستثناء من العموم.

في أكثر من موضع في (اللمعات) يصرح الأستاذ النورسي رحمه الله بأنه ليس صوفياً. ولكنه في كل ما يخاطب به تلامذته من فنون النصح والتربية والإرشاد، لا يخرج عن ذلك اللباب الذي كان هو مسمى التصوف بل مسمى الإسلام في عصر السلف الصالح رضوان الله عليهم.

ولقد كان في مقدمة العوامل التي أكرمتها بالصفاء الروحي وأيدته بالإلهام الصائب والفتوحات الربانية تلك الساعات الطويلة التي كان يأخذ نفسه فيها بالأذكار الماثورة والأوراد التي تنسب إلى كبار الأولياء والمرشدين، كالأوراد القدسية للشاه نقشبند، وكالجوشن الكبير الذي كان يقرؤه ويوصي بقراءته؛ كما كان من أهم تلك العوامل خلواته الكثيرة والطويلة التي يمضيها في شواهد الجبال، وأحياناً على مقاعد في أعالي الأشجار، يحاسب فيها نفسه ويراقب فيها ربه، ويتأمل صفات الخالق في مرآة مخلوقاته الكونية. وهل كان ذلك كله إلا جزءاً من المسمى الذي لم يكن له في صدر الإسلام هذا الاسم الذي شاع له من بعد "التصوف". ولكنه



الوحدة والانفراد في طريق أبد الآباد، مفارقاً هذه الدار الفانية الهالكة باليقين، والآفة الراحلة، والغدارة المكارة لا سيما لمثلي ذوي النفوس الأمارّة.

فيا ربي الرحيم ويا ربي الكريم! أراني عن قريب وقد لبست أكفاني وركبت تابوتي، وودّعت أحبابي، وتوجهت إلى باب قبري. فأنادي وأنا على باب رحمتك: الأمان الأمان، يا حنان يا منان، نجني من خجل العصيان.

آه.. كفني على عنقي، وأنا قائم عند رأس قبري، أرفع رأسي إلى باب رحمتك، أنادي: الأمان الأمان، يا رحمن يا حنان، خلّصني من ثقل حمل العصيان.

آه.. أنا ملتف بكفي وساكن في قبري، وقد تركني المشيعون، وأنا منتظر عفوك ورحمتك مشاهد بأن لا ملجأ ولا منجى إلا إليك، وأنادي: الأمان الأمان من ضيق المكان ومن وحشة العصيان، ومن قبح وجه الآثام، يا رحمن يا حنان ويا ديّان، نجني من قيود الذنوب والعصيان.

إلهي! رحمتك ملجئي ووسيلتي، وإليك أرفع بثي وحزني وشكايتي.

يا خالق الكرم، ويا ربي الرحيم، ويا سيدي ومولاي! مخلوقك ومصنوعك وعبدك العاصي العاجز الغافل الجاهل العليل الذليل المسيء المسنّ الشقيّ الآبق، قد عاد بعد أربعين عاماً إلى بابك، ملتجئاً إلى رحمتك، معترفاً بالذنوب والخطيئات، مبتلي بالأسقام والأوهام، متضرعاً إليك.. فإن تقبل وتغفر وترحم فأنت لذلك أهل وأنت أرحم الراحمين، وإلا فأني باب يُقصد غير بابك، وأنت الرب المقصود والحق المعبود، ولا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك.

آخر كلامي في الدنيا وأول كلامي في الآخرة وفي القبر: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم".^(٢)

تأمل في هذه المناجاة التي لا تنبثق إلا من قلب ملئ بلوعة التعظيم والخشية والحب، فيأض بمشاعر العبودية الواجفة لله عز وجل.. وتسأله معي: من أين تفجّرت في قلبه هذه الأحاسيس العلوية المنصرفة بكلّيتها إلى الملاء الأعلى، والمعرضة عن ملكوت الأرض وزخارف الدنيا؟

أما إن هذه الأحاسيس لا تنبثق إلا من قلب من أخذ نفسه بأوراد الصباح والمساء، وغدّى فطرته الإيمانية بالكثير من ذكر الله ومراقبته، وألزم نفسه بمنهاج دائم من التنقل في مدارج السالكين. وهل كان هذا إلا ديدن الرّعيّل الأول من المسلمين،

وهل كان هذا في حياتهم إلا عملاً بدون عنوان مثير، ومسمى بدون اسم مصطنع؟!

وما أظن أن الأستاذ النورسي نفى اسم التصوف عن نفسه في أكثر من مناسبة وقعت عليها، إلا ليجعل من نفسه أمام الله تعالى فعّالاً بتواضع وصمت، لا قوَّالاً يتجمل أمام الناس بالعناوين والألقاب، ولعله أراد بذلك أن يشد نفسه إلى عهد السلف الصالح فيسير على نهجهم وينهل من وِردهم، ويحقق بذلك في نفسه الشطر الأول من مقولة: "كان التصوف في صدر الإسلام مسمى لا اسم له..".

موقف الأستاذ النورسي من البدع

في الناس من يظن أن من شأن الذين يكثرون الاهتمام بأسباب التزكية النفسية، وأحوال القلب ومقامات القرب من الله، أن يتساهلوا في البدع وأن يذهلوا عن خطورة الركون إليها وعن شدة تحذير رسول الله ﷺ منها.

غير أن الواقع يخالف لهذا الظن تماماً؛ فما تتبعنا حال من سلكوا -بصدق- مسالك التزكية النفسية واهتموا بمراقبة أحوال القلب وسبل التقرب إلى الله، إلا ورأيناهم من أكثر الناس ابتعاداً عن البدع ومن أشدهم تحذيراً منها. وارجع إن شئت إلى الرسالة القشيرية وتأمل في تراجم رجالها، تجد الجامع المشترك بينهم تلاقيهم على نبد البدع ومحاربتها.

والأستاذ النورسي وإن كان متأخراً عن الرعيّل الأول وسلف هذه الأمة في الوجود، إلا أنه ليس متأخراً عنهم في المكانة والرتبة فيما نحسب، ولا نتألى على الله.

فقد أكثر الأستاذ في رسائله، وفي لمعه وفي إشعاعاته، من التحذير من ممارسة البدع باسم الدين، ومن التنبيه إلى ضرورة التمسك بأهداب السنة النبوية وعدم الخروج عليها. وهو إذ ينبّه إلى ذلك يلفت النظر إلى أن التمسك بالسنة النبوية والحرص الشديد عليها وعلى عدم الشرود عنها، هو دأب أولياء الله تعالى وشأن المرشدين الربانيين. يقول رحمه الله في اللمعة الحادية عشرة: "إن من يجعل اتباع السنة النبوية عادته، فقد حوّل عادته إلى عبادات، ويمكن أن يجعل عمره كله مثنياً ومثاباً عليه". ثم يقول: "لقد قال الإمام الرباني أحمد الفاروقي رحمه الله: بينما كنت أقطع المراتب في السير والسلوك الروحاني، رأيت أن أسطع ما في طبقات الأولياء وأرقاهم وأطفهم وآمنهم وأسلمهم، هم أولئك الذين اتخذوا اتباع السنة الشريفة أساساً للطريقة". ويعلّق الأستاذ النورسي على كلام الإمام الرباني هذا قائلاً: "نعم إن

الإمام الرباني مجدد الألف الثاني ينطق بالحق. فالذي يتمسك بالسنة الشريفة ويتخذها أساساً له، هو أهل لمقام المحبوبة في ظل حبيب الله ﷺ". (٣)

ومن هذا المنطلق ينكر الأستاذ النورسي رحمه الله على الشيخ محي الدين بن عربي فكرة وحدة الوجود، ولكنه لا يرميه بسببها بكفر أو زندقة أو فسوق، ولا يتجاهل سعة علومه وعمق أفكاره وعلو مقامه. يقول جواباً عن سؤال يتعلق بابن عربي رحمه الله: "إنك يا أخي بسؤالك هذا تضطريني إلى أن أناقش - وأنا الضعيف العاجز - خارقة الحقيقة ودهاية علم الأسرار محي الدين بن عربي، ولكن لما كنت سأخوض في البحث معتمداً على نصوص القرآن الكريم، فسوف أستطيع أن أحلق إلى أعلى من ذلك الصقر وأسمى منه، وإن كنت ذبابة." ثم يقول: "اعلم أن محي الدين بن عربي لا يتخذ ولكنه ينخدع، فهو مهتد ولكنه لا يكون هادياً لغيره في كل ما كتبه، فما رآه صدق وصواب ولكن ليس هو الحقيقة.."

وقد أطلال الأستاذ النورسي في مناقشة أفكار ابن عربي رحمه الله، ملتزماً ضوابط اللياقة والأدب دون تجريح ولا اتهام له، وأتى بكلام دقيق مقنع يضيق هذا المقام عن نقله. وبوسعنا أن نوجز ذلك كله في قوله عنه: "ولما كان الشيخ قد انتهج مسلكاً مستقلاً، وكان صاحب مشرب مهم وله كشفيات ومشاهدات خارقة، فإنه يلجأ باضطراب إلى تأويلات ضعيفة وتكلف وتمحل ليطبق بعض الآيات الكريمة حسب مشربه ومشهوداته، مما يخذل صراحة الآية الكريمة ويجرحها.. فالشيخ ابن عربي له مقام خاص لذاته، وهو من المقبولين، إلا أنه بكشفياته التي لا ضوابط لها، خرق الحدود وتجاوزها وخالف جمهور المحققين العلماء في كثير من المسائل" (٤).

أقول: ولم أجد في شيء من أحاديثه عن ابن عربي رحمه الله، ما يذكره جل المترجمين له من أن الباطنيين دسّوا في كتابه "الفتوحات" كثيراً من الأفكار الباطنية والعقائد الكفرية التي يتبنونها، منهم ابن العماد في كتابه "شذرات الذهب"، وابن المقري في "نفع الطيب"، والإمام الشعراني في "اليواقيت والجواهر"، وحاجي خليفة في "كشف الظنون". وأعتقد أن هذه حقيقة تعلو على الريب والظن. لا أدل على ذلك من أنك لا تجد في فتوحاته فكرة تناقض العقائد الإسلامية إلا وتجد في مكان آخر فيه ردّاً عليها وتحذيراً من الأخذ بها. تأمل في هاتين البيتين من تائيته تجد أنهما ينطويان على نقيض وحدة الوجود ويقرران العقيدة الإسلامية المأخوذة من كلام الله وسنة رسوله ﷺ:

وجدت وجوداً لم أجد ثانياً له
وشاهدت ذاك الحق في كل صنعة
وطالب غير الله في الأرض كلها
كطالب ماء من سراب بقيعة

النورسي والتربية الروحية

وبعد، فكلنا يعلم أن الأستاذ النورسي ما إن تجاوز الأربعين من عمره حتى نفّض فكره ويديه من السياسة وأحاييلها، واتجه في أنشطته الإسلامية إلى ميدان التربية وتركبة النفس ونقد الذات، وافتتح حياته الجديدة بقوله: "أعوذ بالله من الشيطان والسياسة".

كانت صلته بالناس الذين يرشدهم ويربّهم عن طريق رسائله التي يكتبها إليهم فتنتشر فيما بينهم، أما هو فكانت تتلقاه السجون سجناً إثر سجن، لا يتأتى له -إلا نادراً- الجلوس إليهم والتحاوّر معهم. ومع ذلك فقد أثمرت جهوده هذه كما لم تثمر جهود أي جماعة إسلامية أو حزب إسلامي؛ اتخذ من السياسة سلماً للبلوغ به إلى عقول الناس وأسماعهم. ها أنتم ترون اليوم ثمار تربيته الروحية والسلوكية، يانة متجددة على عرض هذا المجتمع وطوله، يدد ضياءه الساطع ما تراكم من ظلمات الجهالة والفسوق والإلحاد. وكأنه ضياء أشرق للتو أو لكأنا تربية تلتفتها الآذان والألباب بالأمس القريب.

فما السرّ الكامن وراء هذه الظاهرة الغريبة التي تتبدى في سطور ورسائل وكلمات مضى على توجيهها إلى الناس ما يناهز القرن من الزمن؟ السر يكمن في هذه الإشرقة الروحية التي كانت تتوهج بها حياة الأستاذ النورسي. لقد كان هذا الوهج هو الروح السارية في رسائله وكلماته، وكان معينه متمثلاً في ذلك الجهاد الخفي الذي كان يأخذ به نفسه، مراقبة لله، وذكر دائماً له، والتجاء إليه بالأسحار، وملازمة للأوراد التي تصفي القلب في البكور والآصال. وإنه للجهاد القدسي الذي كان في صدر الإسلام مسمى لا اسم له، ثم غدا اليوم اسماً لا مسمى له. ■

(٣) كلية الشريعة، جامعة دمشق / سوريا.

الهوامش

(١) الشعاعات لبديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالح، ص ٣٧٤.

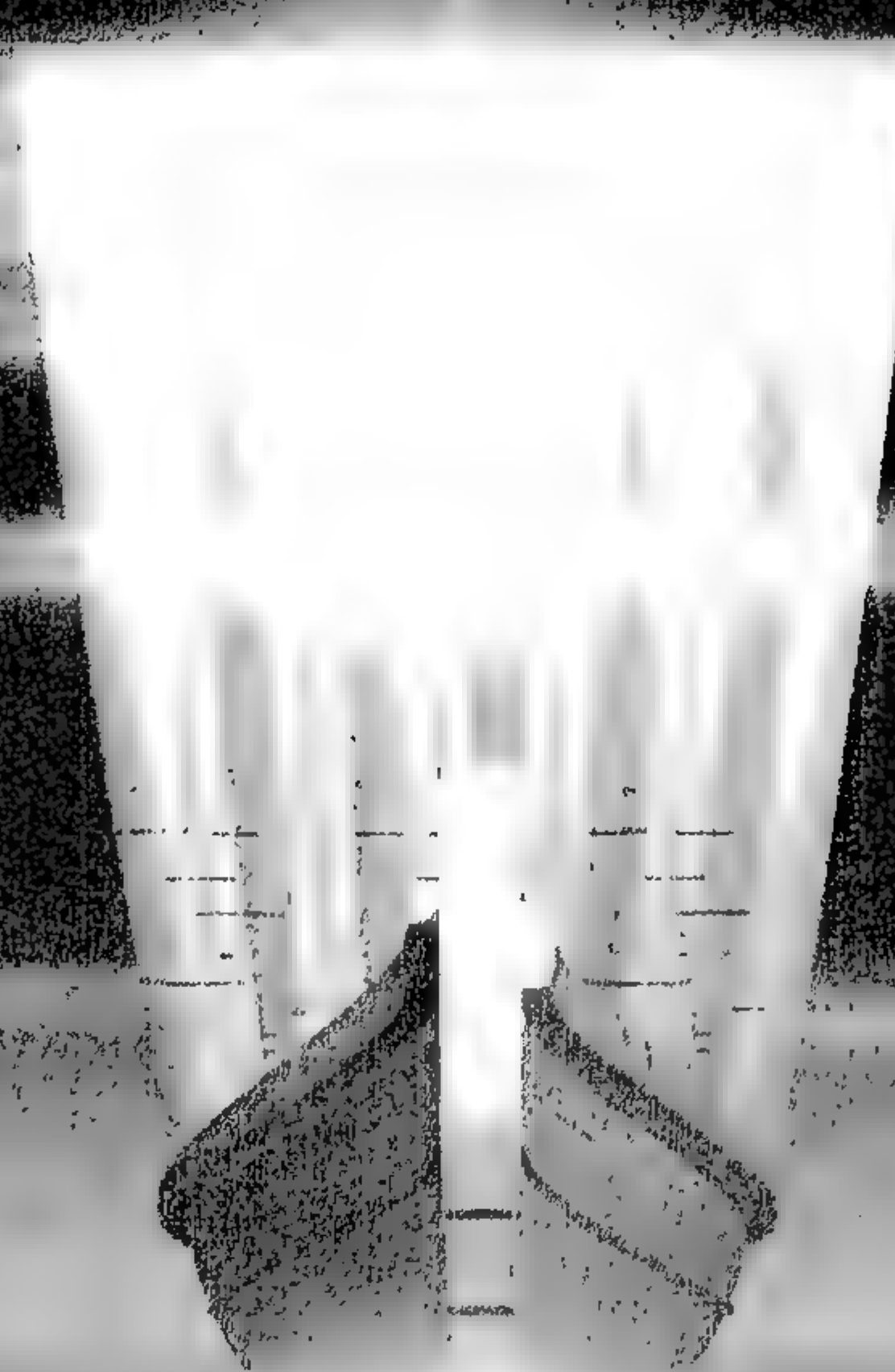
(٢) اللغات ص ١٩٧-١٩٨؛ المثوي العربي النوري ص ٢٨١-٢٨٢.

(٣) اللغات ص ٨١.

(٤) اللغات ص ٥٢ و ٥٣.



كلام بلا عمل هباء، وفقه بلا ورع ضياع،
وعلم بلا زهد جهالة، وصداقة بدون وفاء خداع،
وحياة بلا قلب موت وسراب...



أنفاس ظمئنا إليها...

إطلالة على الداعية المرتقب

نوراد صواش*

إلى هذا الجوهر الذي يقوم عليه كيان الإنسان، ثم إزالة ما تراكم عليه من صداً كي يتألق من جديد ويتبين معدنه النقي النفيس فإن الإخفاقات ستتوالى بدون انقطاع.

نعم، "إذا كان الإنسان جزء مهما من هذا الكون فينبغي ألا نسمح له بتدمير نفسه وسحق روحه، لأن دمار هذا الجزء المهم من الكون قد يسبب دماراً للكون كله. فنحن مسؤولون كونياً وأخلاقياً عن هذا الجزء وصيانتته من الانهيار، ولن نسمح له بأن يخرج على التوافق الكوني المدين بدين الله".^(١) فقضية الإيمان قضية تتعلق بالكون كتعلقها بالإنسان، وإن صلاح الكون بصلاح الإنسان، وفساده بفساد الإنسان.

الدعوة إلى الله ليست مسألة مزاجية يزاوها الداعي قبل أن يعبأ لها فكراً ونفسياً وروحياً. ومن دون ذلك يمكن أن يؤدي عمله العشوائي والمزاجي إلى العكس من المرجو من هذه المهمة النبيلة. فالدعوة "علم وفن".^(٢)

الدعوة علم وفن

فما لم يكن الداعية على علم معمق بالذي يريد قوله، وما لم يكن على دراية بأقصر الطرق الموصلة إلى روح الإنسان فإن الإخفاق سيكون من نصيبه. وإن آماداً بعيدة ما زالت تفصل بين الدعاة وجوهر الإنسان، وإلى هذا يعزى فشل الداعية في كسب المخاطب إلى صف دعوته. فما لم يكن بوسع الدعاة الوصول



ومن ثم على الدعاة أن يعوا هذه القضية كل الوعي بأبعادها الكونية والإنسانية، وأن يرتفعوا إلى مستوى المسؤولية. وذلك بإحصاب أرواحهم وإذكاء أفئدتهم وشحن أذهانهم وموازنة حياتهم وتعميق رؤاهم الإيمانية. وأن يدوروا مع الزمن حيثما دار، ويجروا مع الحياة حيثما جرت، ويركضوا وراء الإنسان حيثما مضى، وإلى أي عالم كان انتماءه، وأي ثقافة كانت ثقافته ولغته.

في عصر العولمة هذا، أصبح للعقل الجمعي قوة تأثيرية أوسع وأسرع مما تستطيعه العقول بجهد الفرد. فقيادة العالم وإحداث التغيير فيه نحو الأسوأ أو الأفضل، يمكن أن يكون أكثر فاعلية إذا مارست العقول نشاطاتها الذهنية والمعرفية من خلال المؤسسات، سواء كانت هذه المؤسسات علمية أو اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية أو أخرى.

السكونية والحركية

ليس هناك شيء أكثر خطورة على المسلمين من السكون والاسترخاء والاستسلام للنوم والأحلام. "فالسكونية عفونة روحية تقتل المواهب وتحطم الإبداع وتخنق البطولة وتكتم أنفاس العبقرية. ومنذ مات النازع الحركي في المسلمين، وتوقفوا عن الهجرة والانسياب في أرجاء الأرض حاملين دعوتهم إلى العالم... منذ ذلك الوقت توقفت إبداعاتهم وغاب فهمهم ونجمت في أوساطهم إشكالات فكرية موهومة وخصومات مذهبية جدلية، وانشغل بعضهم ببعض، وربما قاتل بعضهم بعضاً، متناسين مهمتهم الدعوية الأساس التي ندبهم الله تعالى إليها. إن دعاة الإيمان إذا ما ساحوا وهاجروا إلى أي مكان في العالم وضربوا جذورهم فيه، فإن الشجرة لا بد أن تثبت عن قريب، وأن تورق وتثمر، وإن تاريخاً جديداً للإسلام سيبدأ يتشكل في المكان الذي زرعو أنفسهم فيه."^(٣)

وهذه طبيعة الإسلام، فالإسلام يأبى السكونية والهمودية ويأبى المحدودية، وقد هاجر المسلمون الأوائل وهم يجرون في العالم حيث يجري بهم الإسلام. وإذا كان العالم قد استنزفته اليوم قوى الغرب وقيمه وسلوكياته النفعية، وأفرغته من كثير من قيم الإيمان، فإن هذا يحتم على المسلم أن يبادر بنفسه لكي يعيد لإنسان اليوم عمق الهدفية الإلهية في نفسه.

ومن المنطلق حث فضيلة الأستاذ فتح الله كولن رجال التربية والاقتصاد والثقافة وأهل الحمية من الشعوب مرات عديدة وبمناسبات شتى على إنشاء مدارس وجامعات في تركيا وفي مختلف أرجاء المعمورة، وجعلها مراكز للتربية والتعليم، تدعو إلى

الحب والسلام، والحوار والتسامح، ومزج العلم بحقائق الإيمان، ومواكبة العصر من حيث التطورات العلمية والتكنولوجية، مع أخلاق سامية يشار إليها بالبنان. وربما يكون هذا أسلوباً جديداً غير مسبوق في تعريف الشعوب برسالة الإسلام السمحة. وقد أثبت نجاحه حيث استطاع أن يوصل صوت الإيمان إلى أصقاع قضية لم تكن قد سمعت بالإسلام وسماحته في شرق العالم وغربه وشماله وجنوبه وكافة قاراته.

الانفتاح على معطيات العصر

إن الدعوة إلى الله منفتحة على معطيات العصر في العلوم والفنون والأفكار المتنوعة والثقافات المختلفة. وذلك لإكسابها مزيداً من الاحترام في أوساط واسعة من المثقفين والمفكرين في شتى أنحاء العالم. ينبغي على المسلم أن يكون هو الأرقى والأفضل بين العقول، وأن يحتل كرسي الأستاذية التي يرجع إليها في أمور الثقافة والحياة والإيمان، وألا يكون منكفئاً ومنغلقاً وبعيداً عن الواقع.

أجل لا شك أن العقلية الحضرية رافد من روافد تشكيل العقل الدعوي، إلا أنها يجب ألا تستعبد الداعية يوماً، ولا يكون هو سجين نظريات وآراء، بل حراً يقبل منها ما له ملمح إيماني، ويترك ما ليس له مثل هذا الملمح، وهو لا يعرف هذا الصراع المؤلم بين ما يقرؤه فكراً ويحياه عملاً. الفكر عنده هو الحياة، والحياة عنده هو الفكر.

والداعية كتاب مفتوح، كل صفحاته وسطوره مقروءة ومكتشفة، ليس فيه صفحات مطوية عن العيون أو صفحات مكتوبة بالخير السري. وكما كان رسولنا الحبيب صلى الله عليه وسلم سفراً مفتوحاً يقرؤه من يريد، من تاريخ ميلاده إلى انتقاله إلى الرفيق الأعلى، هكذا تكون حياة أصحاب الدعوات وأفكارهم. حياة كلها نهار لا ليل فيها، وضحي واضح لا لبس فيه، وظاهر لا باطن له.

إنقاذ الإيمان

الداعية إلى الله لا يزاحم أهل الدنيا على دنياهم ولن يزاحمهم. إن الدنيا نفسها لو جاءته تسعى لعزف عنها وأدار إليها ظهره. إنه مشغول بدعوته، بإنقاذ إيمان الناس. إن إنقاذ إنسان واحد من وهدة الضلال هو خير له من الدنيا وما فيها. وإعادة إيمان غائب إلى قلب إنسان هو أعظم ما يطمح إليه، وإيصال صوت الإيمان إلى أسماع من لم يسمع به هو غاية الغايات عنده. هذه هي دعوته يعلنها على رؤوس الأشهاد لا يكتف منها شيئاً ولا يخفي منها شيئاً.

التركيز على جوهر الإنسان

إن معالجة الجفاف الروحي والجذب الفكري لدى المسلمين هو من أبرز مهماتنا. وجهلنا بالإنسان يجعلنا نقف حائرين تجاهه، ومن ثم علينا أن نهتم بالدراسات التي تعمل على كشف أسرار الإنسان ظاهرا وباطنا، ونشجع الدعاة على التخصص بها لكي تتوفر للدعوة معلومات عن كينونة الإنسان وكيفية التعامل دعويا معها، والتعمق في حقيقتها. لأن الفوضوية الروحية تحتاج العالم اليوم وتستدر العطف والإشفاق من أصحاب الغيرة على الإنسان. إن سر قوة الدعوة هو في تطابقها مع قوانين النفس البشرية. والذين سئموا من التحليق حول جيف الدنيا سيجدون في أجوائها ما يتوقون إليه من الطهر والنقاء، وأصحاب الذهنيات المعذبة والنفس المحترقة سيرون واحتهم البرود في إقليمها. أما أولئك الذين يتهيبون الإسلام ويخافون منه فسيلمسون ألا شيء أكثر أمنا وأمانا وسلاما من الالتجاء إلى حماه، وأن المعرفة كل المعرفة فيه، وأن من لا يعرفه فإنه لا يعرف في الحقيقة شيئا. وسكارى الأحزان ومسحوق الأوجاع سيجدون في صيدلية هذه الدعوة البلسم والشفاء.

إن الدعوة كلها دعاء، وليست شيئا آخر غير الدعاء. دعاء بلسان الحال أو بلسان المقال. وبين الحال والمقال ترتفع الليالي مثقلة بالتهجدات، موقورة السمع بالتضرعات، نضاحة بدمع القلوب، صراخة بوجد الأرواح. وركب الدعوة يمضي في طريقه مشرقا أو مغربا يقوده صواب المنطق، وتحذوه فطنة الحكمة، ويأتيه المدد الإلهي من كل جانب، وتواكبه العناية الربانية حيثما مضى وأنى ألقى عصا ترحاله.

فالداعية يحذر من الهلاك الروحي المخيف، والسقوط في هاوية الانحلال النفساني الداخلي. إنه لا ينفك يدعو أولئك الذين يريدون الخروج من مستنقع الوحل ولكنهم لا يعرفون السبيل إلى ذلك، إنه يدعوهم إليه لينخرطوا في صفوف الإيمان.

الحوار مع الآخر

إن سر الدعوة يكمن في علانياتها ووضوحها وعموميتها، وفي المرونة التي تؤهلها لمحاورة الآراء والأديان والثقافات المختلفة، لتكشف لهم عن حقيقة رسالتها، وتزيل التساؤلات التي تثار حولها، وتعبر عن ذاتيتها بنفسها، ولا تدع لأحد مجالا لتشويه صورتها.

إن الدعوة كائن روحي في إهاب بشري، شخص معنوي

ذو ذاتية مستقلة، لكنها منفتحة على جميع الذوات، وذو إدراك عال، غير أنه ملزم بمخاطبة جميع الإدراكات. "وإذا كانت دعوة الإسلام قد غيرت وجه العالم القديم، ورسمت خارطة جديدة لفكره الديني، فهي اليوم مرشحة كذلك للقيام بالدور نفسه إذا ما وجدت ممثليها الحقيقيين".^(٤)

الداعية المرتقب

الداعية المرتقب كيان إنساني مشع لا يتوقف عن بث شعاعه. فكما أن بعضا من عناصر الطبيعة المشعة لا تستطيع أن تكف نفسها عن الإشعاع، وكما أن الشمس لا تستطيع التوقف عن إرسال ضوئها إلى الأرض، والقمر لا يقدر أن يحرم الليل من نوره، هكذا الإنسان الداعية لا يمكنه أن يحبس نوره عن الآخرين أو يستر ضياءه عنهم، لأن الدعوة لهب يشعل ذرات دمه، وضياؤه يمجج في حنايا ضلوعه. فهو يضيء في أي مكان يحل فيه أو يرتحل عنه.

فلو انهار الكون فجأة، وتناثرت كواكبه، واصطدمت أجرامه، وسقطت السماء على الأرض، وكادت القيامة تقوم وفي يد الداعية فسيلة نور، فإنه يبحث عن قلب يزرع فيه فسيلته قبل أن يغدو العالم رمادا تذروه رياح العدم. ولأن العطاء عنده صار طبيعة وسجية فهو لا يستطيع أن يتوقف عن العطاء، كما لا يرجو سوى مرضاة الله تعالى أجرا. لذا فإن دائرة مستمعيه في اتساع، وصوت دعوته في ارتفاع.

دعاة الإسلام الحق إخوة البشر وأشقاء الإنسان، لأنهم يمتون بنسب إلى كل قلب، يرثون للأرواح السلبية من النور، وللقلوب المجذبة من فجر اليقين. إنهم أطباء القلوب، وكما تنبجس الحياة من الموت، هكذا ويلمسة منهم تنفجر الحياة في موتى القلوب. لذلك صاروا مثابة يؤمهم الجحيم الغفير من أختيار الناس طلبا للنجاة والشفاء. هؤلاء هم الدعاة العاملون العاملون، أما أولئك الذين يعلمون ولا يعملون فإنهم كالثقوب السوداء لا تعكس نورا إلى شيء.

إن الداعية المثالي بطل ثابت الجأش متماسك النفس قوي الإرادة، صاحب رصانة علوية، نبيل الفكر والروح دائم التوثب، لا يخفت حماسه، ولا ينطفئ وجدده، لا يعيا ولا يكل، في روحه تسكن أجداد أمة وتاريخ إيمان وفجر الأبد ويقين الخلود. إنه عالم متين من القوة التي لا تعرف الضعف والانهمام، يجيش قلبه بالرأفة على أولئك التائهين الضالين من بني الإنسان. وعلى وفرة رجولته ورجاحة فضله

جم التواضع، صوام اللسان إلا عند الضرورة، لا يثير ضحيجا، ولا يقيم مناحة، لا يتفجع ولا يتشكى. إنه يدور مع القدر حيث دار، ومع القدرة يستمد منها القوة، ويطلب منها المدد.

يقول صاحب كتاب طرق الإرشاد في الفكر والحياة: "اعلموا أن الغرب لن يستجيب لدعوتكم إلا إذا وجد أمامه أناسا تنفطر قلوبهم حزنا من أجل خلاص الإنسانية، وإشفاقا عليها... أناسا يقضون لياليهم بالتهجد والقيام لله، وألستهم رطبة بذكر الله، لا يهدرون الوقت عبثا، بل يقضونه بما يفيد البشرية وينفعها. أجل، الغرب لن يسلم روحه إلا أناسا مشحونين بمثل هذه الطاقة. فإذا أصبح ممثلو الإسلام على هذه الشاكلة، فسيهرع الغربيون إلى الإسلام ويدخلون في دين الله أفواجا. ولكن، والحالة معكوسة، فقد تجلت النتيجة معكوسة أيضا".^(٥)

إن عظماء الدعاة مشغولون دائما بأقدس الأفكار وأطهرها. "فهم يعلمون جيدا أن المسلم عنصر أساس في نظام العالم، فكما لا يمكن الحديث عن النظام في عالم خال من المسلمين، كذلك لا مجال للإرهاب والفوضى في أماكن يوجد فيها المسلمون. وهذا منوط بأداء المسلم وظيفته التبليغ والتمثيل حق الأداء".^(٦)

فهم يراقبون أنفسهم ويسارعون في ترميم ما ينهار من عزائمهم وما ينصدع من إراداتهم باللجوء إلى كتاب الله والاستمداد من نور رسول الله صلى الله عليه وسلم. واغترابهم الروحي ميزة عالية يجذب إليها من يرى فيها استعلاء على تفاهات البشر. وعلاقاتهم الحميمة مع "جنس الإنسان" تفتح لهم منافذ الاتصال بالعالم. وما يلاقونه في سبيل الدعوة من عقبات صغيرة كان أو كبيرة لا تثبط همهم ولا تقتل رجاءهم.

إنهم أذكاء اللب شهاء الأفتدة، على قلوبهم مدونات نورانية من عالم الغيب. فقلوبهم في جيشان دائم لا يتوقف، وصدورهم تنطوي على رغبة في اعتناق كل البشر. إنهم بشريون حقا ولكنهم في قلوب ملائكية، وآدميون ترايبون، إلا أن أرواحهم تسبح في الملأ الأعلى. ■

(٥) كاتب وباحث / تركيا

الهوامش

(١) طرق الإرشاد في الفكر والحياة، تأليف: م. فتح الله كولن. ترجمة: إحسان قاسم الصالح، دار النبل للطباعة والنشر، ص ١٠٣ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق.

(٣) نحو الفردوس المفقود، فتح الله كولن، كتاب لم يترجم بعد، ص ٦-٧

(٤) انظر طرق الإرشاد في الفكر والحياة، ص ١٨٥-٢٠٨

(٥) المصدر السابق، ص ١١١.

(٦) المصدر السابق، ص ١١١.

شجرة الإخلاص

لا تتكلم قبل أن تغمس لسان قلبك

برحيق رُوحك لتتشافى عليك الضمائر

تشافى الفراش على رحيق الزهر،

وكم من القلوب ستغتسل بأضواء قلبك

عندما تورق شجرة إخلاصك...

الضاربون في الأرض

✽ أديب إبراهيم الدباغ ✽

شباب أظهار، ذوو قلوب فتية نابضة بالإيمان، وإرادات شماء، وعزائم لا تعرف المستحيل، يقود خطاهم إلى فجاج الأرض شوق مبرح، ويلهب حماسهم فكر دعويّ إبداعي، ورؤية فيّاضة بالوضوح، وحدة في البصر والبصيرة... أخذوا كتاب الله بقوة، وضمّوه إلى صدورهم وكأنه عليهم يتنزّل، وإياهم يخاطب، يحرصون عليه حرصهم على ماء عيونهم، ويرومون إيصال رسالته إلى أيّ إنسان في أيّ مكان من العالم، حتّى لو خاضوا إليه أشدّ البحار نأياً واستيحاشاً، أو جابوا إليه قرارة الكون، أو غاصوا إليه طبقات الأرض، أو اعتلّوا إليه أطباق السماء... معهم مدرسة ينشئونها، وكتاب يدرسونه ويدرسونه، وقلم يُعلّمون به ويتعلمون منه. إذا ما رأيتهم في حومة الفكر أو العمل، وهم يشفون عن روح مشرق، وقلب وضاء، وفكر خصب.. لك أن تتساءل: أهم أنداء سماوية منهلة على عطش الأرض، وجذب الحياة؟ أم هم جنس إنساني جديد غير هذا الجنس، انشقت عنهم أرض غير هذه الأرض؟ أم قذفت بهم أمواج الغيب على ضفاف الدنيا لكي يشاركوا في إصلاحها قبل أن تطيش وينقلب عاليها سافلها.

أما البؤساء المثقلون بالآلام والدموع والدماء فهم يرقبونهم من بعيد، رافعين نحوهم أذرع الضراعة، ومعبرين عن شوقهم للقياهم ومنتظرين يدهم الآسية، وروحهم المواسية، وقلوبهم المعزّية، ونداهم الهابط على القلب القاحل، والنفس اليابسة، والذهن الناشف. إنهم طاقة إيمانية كبرى أحسبها لو سلطت على جبل لجعلته دكاً ولخرّ صعباً.

إنهم إبداعيون ابتكاريون، غير تقليديين، قادرون على تحديد فكرهم الدعويّ بين يوم وآخر، وفي ذهنهم دائماً السؤال الملح: هل من المحتمل أنه على الرغم من كل التجارب الدعوية التي عرفناها وعرفها الدعاة منذ قرنين من الزمن فإننا ما نزال نعاني من السطحية والضبائية في الفهم والعمل؟ وهل من المحتمل أننا قد أخطأنا فهم تاريخ العمل الدعوي وقصرناه على أنماط تقليدية واحدة ولم نحاول التجديد فيها، وهذا هو الذي يسبب لنا اليوم الكثير من الإحباط؟ أجل إن ذلك قد يكون محتملاً.

وكما يضرب هؤلاء الفتية في الأرض - كل الأرض - لا يصدّهم شيء، ولا يحول بينهم وبين مبتغاهم حائل، فإنهم يضربون كذلك في "النفس البشرية" وينطلقون وراء أشدّ تخوم النفس ظلمة، وأكثرها رعباً واستعصاءً، حيث تتصارع في الأعماق مئات من الـ "أنا" ليصالحوا بينها، وينشروا الأمن والسلام في أرجائها، ويسلكوا بها نحو "المعرفة القرآنية" التي تسوّي جميع صراعات الإنسان مع نفسه ومع الكون ومع الله تعالى.

إنه الإصلاح العقلي والروحي الذي ينشده هؤلاء الفتية لأنفسهم وللآخرين، وهم في الوقت نفسه يمشرون بطريقة جديدة للحياة يتعاون فيها "العقل القرآني" - إذا صحّ التعبير - مع جدّة التجربة، وشدة المعاناة التي تنجي الإنسان من السطحية والتفاهة، وتشعره بقدسية الحياة من حيث كونها مرآة واسعة تعكس المفهوم القرآني في إعجازيتها وكونها آية من آيات الخلق والإيجاد.

والداعية من هؤلاء الفتية سهل هيّن لئّن، لا يبيّن حول نفسه جداراً عقلياً أو نفسياً، ولا يحيط نفسه بمالة فخمة لا يستطيع الآخرون أن ينفذوا منها إليه، بل هو على استعداد دائم لقبول الآخرين والاستماع لآرائهم والإفادة من تجاربهم بكل صدق وحميمية، وهذا هو الجانب الأخلاقي المطلوب من كل داعية يتصدى للدعوة إلى الله. ■

(٩) كاتب وأديب / العراق





الهجرة

مشروع لبناء حضارة إيمانية جديدة

أ.د. عبد الحليم عويس*

تلك العصبية المستعلية التي تعرف منطق القوة، ولا تعرف منطق الحق، وليس في وعيها ولا في قاموسها أن تهادن الإيمان، وأن تترك مساحة للتفاهم والحوار، وبالتالي تصبح الحياة معها - بعقيدة إيمانية بعيدة عن إشعاعاتها - أمراً مستحيلاً.

إننا نريد أن يفهم مضمون الهجرة الإسلامية كما ينبغي أن يفهم، وأن تكون هجرة الرسول هي المرجعية لهذا الفهم. فقد بُعث محمد ﷺ "رحمة للعالمين"، فكيف تكون إذن رحمته بالقوم الذين انتسب إليهم، أو بالقوم الذين عاش معهم، أو بالأرض الطاهرة التي نشأ فيها، وتربى في بطاحتها وتنسم عبيرها، وشاهد جموع الزاحفين إلى أرضها الطاهرة من كل فج عميق؟!

إن رحمته - بالضرورة هنا - لا بد أن تكون أكبر من أي رحمة أخرى... ولهذا نراه ﷺ يرفض دائماً أن يدعو على أهل مكة، وحتى وهو في هذه اللحظة البالغة الصعوبة، عندما وقع في حفرة حفروها له في موقعة أحد، وتناوشته سهامهم من كل مكان، وسالت دماؤه الطاهرة على جبل أحد الذي كان يتبادل الرسول ﷺ الحب معه، لأن بعض قطرات دمائه الزكية قد اختلطت بتراب أحد الطاهر، فأصبحت حبيبين... حتى في هذه اللحظة البالغة الصعوبة لم يستطع لسانه الزكي، ولا قلبه التقى أن يدعو عليهم، ولا أن يشكوهم إلى الله، وإنما كان يردد على مسمع من الناس جميعاً: "اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون" (متفق عليه). وعندما كان يرى تمادي قريش في الحرب كان يتأسف عليهم ويقول: "يا وَيْحَ قريش لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر الناس" (رواه الإمام أحمد في مسنده).

عندما هاجر الرسول ﷺ من مكة لم يهجر قلبه تراب مكة ولا الكعبة الرابضة في قلب مكة، ولقد أعلن ﷺ ذلك بعبارة صحيحة عندما التفت إلى مكة وهو يودعها قائلاً: "ما أطيبك من بلد وأحبك إليّ"

ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك." (رواه الترمذي)

وعندما هاجر الرسول ﷺ من مكة لم يهجر قريشاً ولا بني هاشم، فلقد كان يحب الجميع ويتمنى لهم الهداية والخير، كما أنه - وهو الوفي - لم ينس لبني هاشم - مسلمهم وكافرهم - مواقفهم معه عندما قادهم عصبية الرحم فحموه من كل القبائل، ودخلوا معه شعب أبي طالب يقاسون معه ومع المسلمين الجوع والفاقة، ولا يمتنون عليه بذلك، مع أنهم على غير دينه، لكنه الولاء للأرحام.

هاجر عليه السلام ولكنه لم يهجر

فالرسول المهاجر ﷺ لم يهجر كل ذلك بل حمّله معه في قلبه، يحنّ إلى ذلك اليوم الذي يعود فيه إلى مراتع الصبا، وإلى الرحم الذي وقف معه حتى قال قائلهم وسيدهم أبو طالب: "اذهب يا ابن أخي! فقل ما شئت فوالله لن أسلمك أبداً"، مع أنه لم يكن على دينه.

وإنما كانت هجرة الرسول ﷺ من مكة هجراً للوثنية المسيطرة التي لا يريد أصحابها أن يتعاملوا بمنطق الدين أو منطق العقل أو منطق الأخلاق. فهذه وثنية يجب أن تهجر وأن يهاجر من مناطق نفوذها وإشعاعاتها.

وإنما هاجر الرسول، وهجر - إلى جانب الوثنية المسيطرة -

وكم راودته الجبال الشم - بأمر من الله - أن تطبق عليهم فكان يرفض ويقول: "أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا" (متفق عليه). وعندما جاءت فرصة السلام معهم أصرّ عليها، مع تعنتهم في الشروط تعنتاً أغضب أصحابه، لكنه كان يريد لهم الحياة، وألا تستمر الحرب في أكلهم، وألا يبقوا - وهم قومه وشركاؤه في الوطن - مستمرين في تأليب القبائل عليه لدرجة أنهم أصبحوا العقبة الكأداء في طريق الإسلام؛ مما يفرض عليه بأمر الله الجهاد لإزالة هذه العقبة، ونجح الرسول في إزالة عقبتهم بقبول شروطهم المحففة، حباً لهم، وحفاظاً على بقائهم، وأيضاً لإفساح الطريق أمام دين الله.

أما حين دخل مكة ﷺ فاتحاً فقد حافظ بكل قوة على كرامتهم ودمائهم، ولم يقبل بمجرد كلمة خرجت من فم سعد بن عبادة ؓ - أحد الصحابة والقادة الأجلاء - وذلك عندما قال: "اليوم يوم الملحمة" فنزع الراية منه، وأعطاه لابنه قيس وقال "لا، بل اليوم يوم الرحمة، اليوم يعزّ الله قريشاً".^(١)

وعندما استسلمت مكة كلها تماماً، وقف أهل مكة ينتظرون حكمه فيهم مستحضرين تاريخهم الظالم معه، لكنهم سرعان ما تذكروا أنه الرؤوف الرحيم الطاهر البريء من رغبات الانتقام أو المعاملة بالمثل. فلما سأله: "ماتظنون أني فاعل بكم"، قالوا: "أخ كريم وابن أخ كريم"، فرد عليهم قائلاً: ﴿لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ﴾ (يوسف: ٩٢)، وهي كلمة نبي الله يوسف ﷺ التي قالها لإخوته، ومنها ندرك أنه اعتبرهم جميعاً إخوته، كأهم إخوة يوسف ﷺ، ثم أعلن العفو العام بتلك الجملة الخالدة: "أذهبوا فأنتم الطلقاء لوجه الله تعالى"^(٢). فكانه أنقذهم من الموت الزؤام عليه الصلاة والسلام.

دعوة لمهاجري العصر الحاضر

ونقول للمهاجرين من أبناء عصرنا لظروف مختلفة إلى أي بلد من بلدان العالم: هذه هي هجرة رسول الله ﷺ بين أيديكم، وهي كتاب مفتوح، فأمعنوا القراءة فيه لتدركوا منه أن هجرتكم

من بلادكم - لأي سبب من الأسباب - لا تعني القطيعة مع أرض الوطن، ولا مع الأهل والعشيرة، ولا مع المسلمين في أي مكان، مهما تكن الخلافات الظرفية الطارئة معهم؛ بل يجب أن تبقى الصلة قائمة بينكم وبين الأهل والقوم، تمدوهم بأسباب الحفاظ على الدين من مواقعكم، لكي يشبوا ويمتدوا بإشعاعات الإيمان إلى أكبر مدى ممكن، لاسيما ووسائل التواصل الآن في أقوى مستوى عرفته البشرية، وبالتالي تكونون قد وصلتم الرحم، وجمعتم بين الثلاثية المتكاملة التي تمثل أركانها الثلاثة وحدة لا تنفصم، وإلا فقدت الأمة "مكانة الخيرية" التي رفعها الله إليها عندما قال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠) إنها ثلاثية الإيمان والهجرة والجهاد.

أجل! في عصرنا هذا يجب أن يعود معنى الهجرة إلى منبعه النبوي، فليست الهجرة هجراً للوطن، وقطيعة تاريخية أو معرفية معه، بل هي هجرة موصولة بالماضي، تعمل على تعميق الإيمان فيه، وتبني قلاعاً للإيمان في المهجر الجديد، وتصل بين الماضي والحاضر والمستقبل انطلاقاً من درس الهجرة النبوية.

التواصل مع ماضي المهاجر مطلوب

إن الحرية التي تريد أن تتمتع بها في مهجرك، والثروة التي تريد أن تكتوفاً، وحتى الدعوة التي تريد أن تبليغها - إن كنت ممن اصطفاها الله للدعوة والبلاغ - ... كل هذه تدفعك إلى التواصل مع الماضي من جانب؛ وتدفعك إلى بناء حدائق للإيمان يفوح عطرها في وضعك الجديد، وبلدك الجديد، من جانب آخر.

ليكن معنى الهجرة واضحاً في وعيك، فهي ليست هجرة من أرض ولا أهل إلى أرض وأهل آخرين، بل هي هجرة من قيم ضيقة ضاغطة تكبل حركة الإيمان، وتفتعل الصدام المستمر، وترفض الحوار بين الأفكار والعقائد، إلى قيم أخرى تسمح لأشجار الإيمان أن تنمو، وتسمح بالتفاعل والتحاور، ومواجهة الرأي بالرأي، والحجة بالحجة، وتكون مؤهلة لأن تسمح لأهل



الإيمان والحق أن يعيشوا كما يريدون، وأن يبنوا قلاع الإيمان في النفوس عن طريق الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن.

إن الهجرة النبوية الإسلامية هجرة يقصد بها كسر القيود التي تفرض على الإيمان، وفتح نوافذ أخرى في أرض جديدة. وليست الهجرة الإسلامية أبداً من تلك الهجرات التي تعني زحفاً على البلاد على حساب أهلها، أو لتحقيق الثروة ثم الخروج بها، أو للاعتماد عليها لقهر أصحاب البلاد الأصليين، وجعلهم مجرد منفذين وأدوات لمشروعات وطموحات المهاجرين إليهم.

فالهجرة الإسلامية اليوم - إلى أي بلد في العالم - يجب أن تكون هجرة تسعى إلى التواصل والتعارف والتحاور والحب؛ بحيث يشعر كل الناس أن الأفراد المسلمين أو المجموعات الإسلامية التي تعيش بينهم إنما تمثل روحاً جديدة، تبني ولا تهدم، وتزرع الخير، و تقاوم الشر، ولا تعرف التفرقة في ذلك بين المسلم وغير المسلم، والوطني، والوافد، والأبيض والأسود.

وكل ذلك لن يتحقق إلا إذا رأى الناس في المسلم المهاجر إليهم - من خلال أقواله وأفعاله، وإسهاماته الخدمية، وآفاقه المعرفية، وعبوديته لله - شخصية متميزة جادة تفعل ما تقول، وتعيش معهم حياتهم اليومية، وآمالهم، وآلامهم، يفيض منه الخير والنور، تلقائياً وعفويّاً، كأنه بعض ذاته، وكأنه مرآة قيمه، وصدى أخلاقه، وأثر منهجه في الحياة.

وهنا يتساءل الناس من غير المسلمين: من أين لهذا المهاجر كل هذا الخير والنور؟ من أين له هذه الإنسانية المتدفقة؟ ومن أين له هذه الرحمة التي تعم الإنسان كل إنسان، بل والحيوان والنبات أيضاً... فسيصلون حتماً إلى الإجابة الصحيحة، وهي أن هذا الإنسان يرتشف من نبع الأنبياء، ويستمد وعيه الحضاري ومشروعه الإنساني الرحيم من نبيه وإمامه، وإمام المسلمين الأعظم، بل وإمام الإنسانية محمد ﷺ.

فقد كانت هجرته المباركة روحاً جديدة، عبّر عنها أحد

الصحابه الكرام (أنس بن مالك ؓ) في قوله المعروفة التي ذكر فيها أنه عندما دخل الرسول ﷺ المدينة بعد نجاح هجرته: "أضاء منها كل شيء، وعندما مات ﷺ أظلم فيها كل شيء". وهذا على العكس من مكة التي تسلك منها المسلمون هارين بدينهم، فأظلم فيها كل شيء، ولم يبق فيها إلا الطغيان، والنزوع إلى الحرب. فلما فتحها الرسول ﷺ انبعث فيها النور، وأضاءت الكعبة، وجاء الحق وزهق الباطل، وأصبحت مكة قلعة الإسلام الأولى.

إن هذا المعنى للهجرة يجب أن يبقى فوق كل العصور؛ لأنه اتصل بنبي الرحمة في كل العصور وكل الأمكنة، وأصبح - بالتالي - صالحاً لكل زمان ومكان، صلاحية كل حقائق الإسلام الثابتة.

ولئن كنا نؤمن بأنه "لا هجرة بعد الفتح" (متفق عليه) كما قال الرسول ﷺ، فإننا يجب أن نؤمن في الوقت نفسه ببقية الحديث، وهو قول الرسول: "ولكن جهاد ونية"، وهذا يعني أن الهجرة بعد مرحلة الهجرة الأولى قد أخذت بُعداً اصطلاحياً جديداً. ففي البعد الأول كانت الهجرة مرتبطة بمكان هو المدينة، ولكنها بعد ذلك أصبحت مطلقة من المكان، فهي إلى أي مكان شريطة أن يكون "الجهاد والنية" هما الهدفين المغروسين في النفس. فهما - أي الجهاد والنية - قد انفصلا عن قيد وحدة المهجر (المدينة) الذي كان في صدر الدعوة، وأصبحا صالحين في كل العالم بمشيان مع رجال الدعوة والبلاغ، ويضمنان سلامة الأعمال وارتفاعها على المنافع الاقتصادية أو الظروف السياسية.

الهجرة والتكافل الإيماني

وعندما يستقر هذا المعنى في النفس نستطيع أن نطمئن إلى أن أبطال الدعوة والبلاغ سينشئون في كل مكان يحلون فيه حديقة جديدة للإيمان، وتاريخاً جديداً يبدأ كأشعة الشمس في الصباح، ثم ينساب عبر كل زمان منطلقاً إلى مساحة جديدة في الأرض. وعلى المسلمين إذن - عندما يكونون في أرض المهجر - أن يسارعوا إلى الالتحام ببعضهم، وتكوين مجتمع إيماني يقوم على



القلب اليقظ

ما أعظم القلب اليقظ،
إنه يرى في كل شيء آية وعلامة؛
في القطرات الهاطلات،
وفي الألسنة الصامتات،
وحتى في الأحجار الجامدات...
يا ويحك إذا غفل قلبك،
تبقى سجين دنياك،
وينقلب ربيعك خريفًا مخيفًا،
ونسيمك عاصفة مدمرة،
فانتظر عبدها الطوفان.

"المواخاة" التي ترتفع فوق الأخوة، وهي مستوى خاص فوق أخوة الإيمان التي هي مستوى عام، وأن يتكافلوا مع بعضهم تكافلاً مادياً ومعنوياً، تحقيقاً لقوله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (المائدة: ٢) وقوله أيضاً ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر: ٣).

والتكافل "المادي" يعني التعاون على ضمان الحد الأدنى المطلوب للحياة لكل أخ مسلم، طعاماً أو شراباً أو علاجاً أو تعليماً أو كساءً. والتكافل "المعنوي" هو التعاون على ضمان التزام "الأخوة" في الإسلام بأداء "الفرائض" والبعد عن "المآثم"، وتفعيل وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في إطار البيئة التي يعيشون فيها وبالأساليب المناسبة لها. وعليهم أيضاً أن ينوا "مسجداً" يضم الرجال والنساء والأطفال، مهما يكن مستواه متواضعاً. فقد حذرنا الرسول من وجود عدد -مهما يكن قليلاً- من المسلمين لا تقام الجماعة فيهم، كما أن "المسجد" سيكون محور لقاءاتهم وتعارفهم وتكافلهم المادي والمعنوي. ومن المسجد ينطلقون إلى صور من التكامل فيما بينهم تأخذ طابعاً علمياً ومؤسسياً يجعل لهم قيمة وتأثيراً وإشعاعاً في مهجرهم الجديد. لقد أخبرنا الرسول ﷺ أن مما فضل به على بقية الأنبياء أن الأرض جعلت له مسجداً. وقد حقق المسلمون السابقون العظماء "مسجدية الأرض" في كل الأرض التي هاجروا إليها، فهل يمكننا أن نستأنف المسيرة ونحذوا حذوهم.

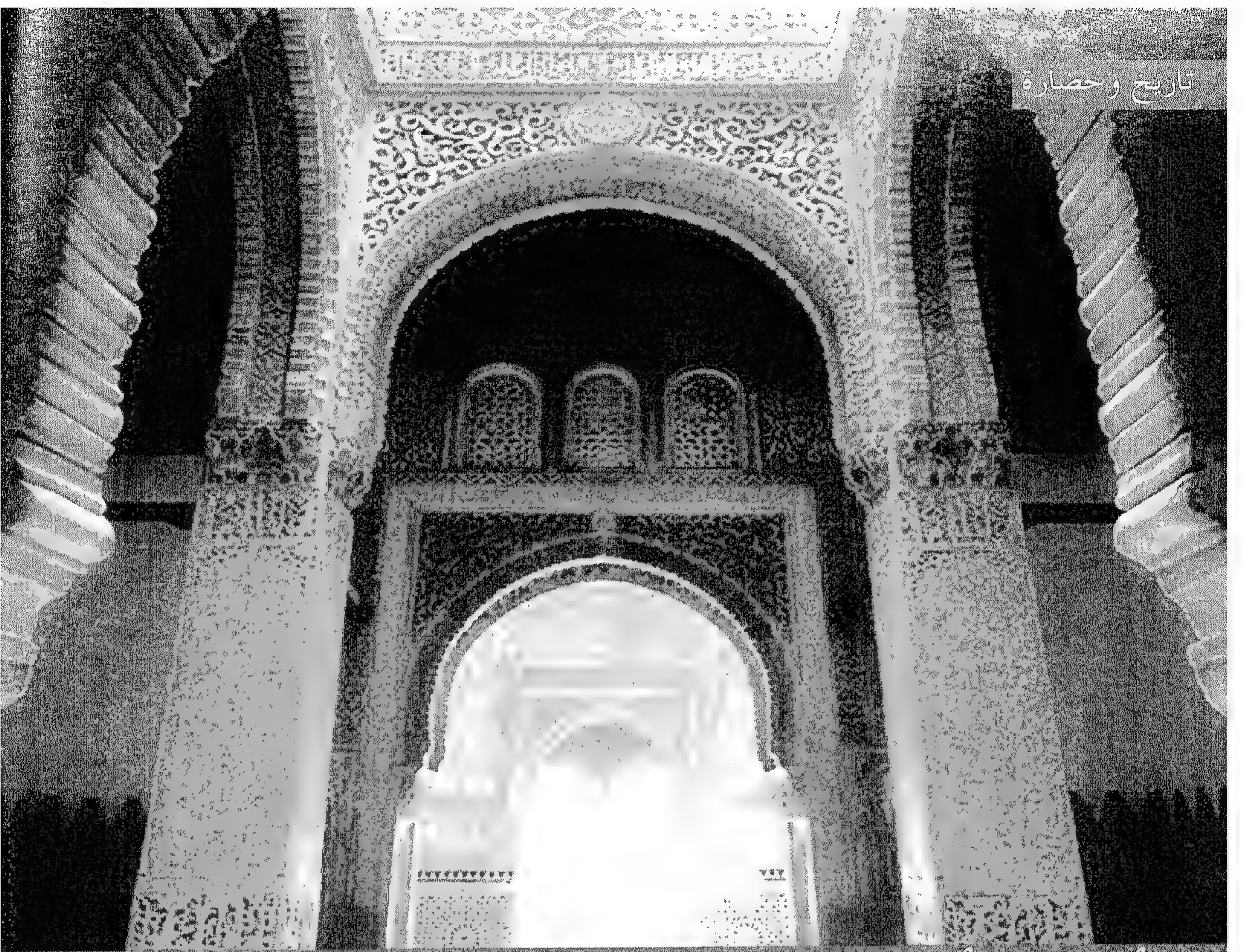
فلعل الأرض تتخلص من الغيوم السوداء المتلبدة وتعود مسجداً طهوراً. ولعل الله يجري على أيدينا وأيدي المستخلفين من بعدنا نهراً جديداً للإيمان، وتاريخاً جديداً تتعانق فيه راية الوحي مع العلم، والحق مع القوة، ويسود العدل الشامل والرحمة المحمدية العالمية كل الكون... وما ذلك على الله بعزيز! ■

(٥) أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية / مصر.

الهوامش

(١) الاستيعاب لابن عبد البر، ٥٩٧/٢.

(٢) سنن البيهقي الكبرى، ١١٨/٩.



مأساة الأندلس وموقف العثمانيين

أبو محمد محمد علي

للأسبان القضاء على آخر دولة إسلامية في الأندلس وهي دولة بني الأحمر في غرناطة والتي كان يحكمها آنذاك أبو عبد الله محمد وامتدت مدة حكمه عشر سنوات (١٤٨٢ - ١٤٩٢ م).

العثمانيون والانتصار للأندلس

والحقيقة أنه كان من المتوقع انتهاء حكم مسلمي الأندلس قبل هذا التاريخ بمئات الأعوام لولا المساعدات الخارجية التي كانت تأتيهم من الدول الإسلامية في شمالي أفريقيا. فقد قامت دولة "المرابطين" بنجدتهم ضد "ألفونسو" السادس ملك قشتالة، ثم جاءت مساعدات دولة "الموحدين" بعد ذلك وبقيت أسرة الموحدين في الأندلس حتى انتصار ألفونسو الثامن عليها في معركة "نافاس دي طولوسا".

ولكن الوضع تغير في أواخر عمر دولة بني الأحمر في غرناطة، فلم تكن هناك دول إسلامية قوية في شمالي أفريقيا، بل دول ضعيفة، وفي أحيان كثيرة دول متعاونة مع الإسبان والفرنسيين

هناك أسئلة حائرة تجول في أذهان العديد من المثقفين في العالم العربي حول التاريخ العثماني ومن أهمها سؤال: "لماذا لم تقم الدولة العثمانية بمساعدة مسلمي الأندلس عندما داهمهم الخطر الإسباني الماحق؟ ألم يكن في وسع الدولة العثمانية -وهي في أوج قوتها- الحيلولة دون وقوع تلك المأساة المروعة لمسلمي الأندلس. لتتناول هذا الموضوع بإيجاز.

من المعلوم لدى الجميع أن تفرق المسلمين في الأندلس إلى دول طوائف أضعفهم، وأن العديد من حكام هذه الدول الصغيرة بدؤوا يستعينون بالإسبان ضد الحكام الآخرين من المسلمين، وهكذا بدأت القصة الأليمة لأفول شمس الإسلام من سماء الأندلس. وبينما كان المسلمون غارقين في خضم الفرقة والشتات، خطا الإسبان خطوة مهمة في مضمار الوحدة عندما تزوج "فرديناند" ملك أراغون من "إيزابيلا" ملكة قشتالة، وأصبح الهم الوحيد

مثل دولة بني حفص في تونس والمرينيين في المغرب. كما قام الأسبان بسد مضيق جبل طارق ليمنعوا وصول أي نجدة من مسلمي شمالي أفريقيا إلى الأندلس. فلم يبق أمام مسلمي الأندلس سوى الاستنجاد بأقوى دولتين إسلاميتين آنذاك وهما الدولة العثمانية في آسيا الصغرى، ودولة المماليك في مصر، فأرسلوا وفدا لكل منهما طلبا لنجدهم.

الوفد الأندلسي في إسطنبول

وصل الوفد الأندلسي إلى "إسطنبول" عاصمة الدولة العثمانية التي كان على رأسها السلطان بايزيد الثاني ابن السلطان محمد الفاتح، وقام رئيس الوفد بتسليم رسالة استغاثة مؤثرة حفظها التاريخ من مسلمي الأندلس إلى السلطان، نُورِد هنا مقدّماتها:

"الحضرة العلية وفضل الله سعادتها، وأعلى كلمتها، ومهد أقطارها، وأعز أنصارها، وأذل عداها. حضرة مولانا وعمدة ديننا ودياننا، السلطان الملك الناصر، ناصر الدنيا والدين، وسلطان الإسلام والمسلمين، قامع أعداء الله الكافرين، كهف الإسلام، وناصر دين نبينا محمد عليه السلام، مُحبي العدل، ومنصف المظلوم ممن ظلم، ملك العرب والعجم، والترك والديلم، ظل الله في أرضه، القائم بسنته وفرضه، ملك البرّين، وسلطان البحرين، حامي الدمار، وقامع الكفار، مولانا وعمدتنا، وكهفنا وغيثنا، لا زال ملكه موفور الأنصار، مقرونا بالانتصار، مخدّ المآثر والآثار، مشهور المعالي والفخار، مستأثرا من الحسنات بما يضاعف الأجر الجزيل، في الدار الآخرة والثناء الجميل، والنصر في هذه الدار، ولا برحت عزماته العلية مختصة بفضائل الجهاد، ومجردة على أعداء الدين من بأسها، ما يروي صدور السفح والصفاح، وألسنة السلاح بأذلة نفائس الذخائر في المواطن التي تألف فيها الأخابر مفارقة الأرواح للأجساد، سالكة سبيل الفائزين برضا الله وطاعته يوم يقوم الأشهاد".

وكان هناك مع هذه الرسالة أبيات طويلة من شعر مؤثر للشاعر أبي البقاء صالح بن شريف يصف مأساة المسلمين في الأندلس وغدر الأعداء بهم:

سلام عليكم من عبيد تخلفوا
بأندلس بالغرب في أرض غربة
أحاط بهم بحر من الردم زاجر
وبحر عميق ذو ظلام ولجة
سلام عليكم من عبيد أصابهم
مصاب عظيم ياله من مصيبة
سلام عليكم من شيوخ تمزقت

شيوخهم بالتف من بعد عزة
سلام عليكم من وجوه تكشف
على جملة الأعلاج من بعد سُترة
سلام عليكم من بنات عواتق
يسوقهم اللبّاط قهرا لخلوة
سلام عليكم من عجائز أكرهت
على أكل خنزير ولحم جيفة

وبعد هذه المقدمة المؤثرة تشرح القصيدة غدر الأعداء الإسبان وكيف يقومون بتنصير المسلمين قهرا وجبرا وكيف أن المسلمين جاهدوا ولكنهم قلة أمام جموع الأعداء:

غدرنا ونصّرنا وبُذل ديننا
ظلمنا وعملنا بكل قبيحة
وكنا على دين النبي محمد
نقاتل عمال الصليب بنية
ونلقى أمورا في الجهاد عظيمة
بقتل وأسرت ثم جوع وقلة
فجاءت علينا الروم من كل جانب
بجد وعزم من خيول وعدة
فكنا بطول الدهر نلقى جموعهم
فقتل فيها فرقة بعد فرقة
وفرسانها تزداد في كل ساعة
وفرساننا في حال نقص وقلة
فلما ضعفنا خيموا في بلادنا
ومالوا علينا بلدة بعد بلدة
وجاءوا بأنفاظ عظام كثيرة
تهدم أسوار البلاد المنيعة
وشدوا عليها الحصار بقوة
شهورا وأياما بجد وعزيمة
فلما تفانت خيلنا ورجالنا
ولم نر من إخواننا من إغاثة
وقلت لنا الأقوات واشتد حالنا
أحطناهم بالكراه خوف الفضيحة
ونخوفا على أبنائنا وبناتنا
من أن يؤسروا أو يقتلوا شر قتلة
على أن نكون مثل من كان قبلنا
من الدجن من أهل البلاد القديمة

ثم يقول الشاعر بأنهم أصبحوا ضحية الغدر وعدم الوفاء بالوعود والبنود التي بلغت خمسة وخمسين بندا في عقود الصلح، من أنهم سيستمرون في إقامة شعائرهم الإسلامية بكل حرية، ولكنهم عندما دخلوا تحت حكمهم نسوا تلك الوعود والعهود وتركوا المسلمين أمام خيارين لا ثالث لهما إما التنصر أو القتل. ثم يستغيث الشاعر بسلطان الدولة العثمانية، ويعقد آماله عليه:

فها نحن يا مولاي نشكو إليكم
فهذا الذي نلناه من شرف فرقة
عسى ديننا يبقى لنا وصلاتنا
كما عاهدونا قبل نقض العزيمة
وإلا فيجلونا جميعاً عن أرضهم
بأموالنا للغرب دار الأحبة
فأنتم بحمد الله خير ملوكنا
وعزتكم تعلو على كل عزة
وثم سلام الله قلت ورحمة
عليكم مدى الأيام في كل ساعة

دعا السلطان بايزيد الثاني الصدر الأعظم والوزراء والقواد إلى مجلس اجتماع طارئ لبحث الموقف وما الذي تستطيع الدولة العثمانية تقديمه في تلك الظروف.

بحث المشاركون في المجلس الظروف التي تمر بها الدولة العثمانية آنذاك، ونوع ومدى المساعدة التي تستطيع الدولة تقديمها لمسلمي الأندلس. ولسوء حظ مسلمي الأندلس فقد كانت الدولة العثمانية تمر بظروف قاسية جداً، كما كان بعد المسافة، وعدم وجود طريق بري مباشر إليها يزيد من حدة المشكلة ويعقدها.

الظروف الصعبة للدولة العثمانية

نستعرض هنا باختصار شديد الظروف الصعبة التي كانت تعيشها الدولة العثمانية آنذاك:

العثمانيون والمماليك

كانت الدولة العثمانية آنذاك في حرب مع دولة المماليك في مصر، بسبب نزاعات بدأت من عهد السلطان محمد الفاتح (والد السلطان بايزيد الثاني). فقد عرض السلطان محمد الفاتح على أشرف سيف الدين حاكم دولة المماليك في مصر (الذي كانت مملكة الحجاز وتجدت تحت سيطرته) قيام الدولة العثمانية بتعمير وإصلاح قنوات الماء في الحجاز دون مقابل تيسيراً للحجاج، فقبل برفض فظ من قبله. ومما زاد من التوتر بين الدولتين قيام المماليك

بفرض ضريبة على الحجاج العثمانيين. وفي عهد السلطان بايزيد الثاني أبدى المماليك رغبتهم في ضم منطقة "جوقور أوه" العثمانية إلى الأراضي السورية التي كانت تحت حكمهم. كما حدثت مشاكل أخرى بين الدولتين لا نتطرق إليها هنا. والخلاصة أن الوفد عندما جاء إلى السلطان كانت الجيوش العثمانية في حرب مع جيوش المماليك التي تقدمت فعلاً إلى منطقة "جوقور أوه".

مشكلة الأمير "جَم"

كانت الدولة العثمانية تعيش مشكلة الأمير "جَم" (الأخ الأصغر للسلطان بايزيد) الذي شق عصا الطاعة على أخيه السلطان مطالباً بالعرش لنفسه. وحدثت معارك بين الأخوين انتهت بانتصار السلطان بايزيد وهرب الأمير جَم إلى مصر حيث استقبل من قبل حاكم مصر بحفاوة، وكان هذا عاملاً مضافاً لزيادة التوتر بين البلدين مما أدى إلى إشعال فتيل الحرب بينهما. ولم تقف مشكلة الأمير جَم بإحداث التوتر بين هاتين الدولتين بل إن الأمير جَم عندما أسر من قبل القراصنة وهو على ظهر سفينة وتم بيعه إلى البابا، أصبح ورقة تهديد في يد الدول الأوروبية والبابا ضد الدولة العثمانية، وأدى إلى توتر العلاقات بين الدول الأوروبية وبين الدولة العثمانية، وإلى تحالف صليبي جديد من البابا "جويلس الثاني" وفرنسا والمجر وجمهورية البندقية ضد الدولة العثمانية مما حدا بالدولة العثمانية إلى تركيز اهتمامها على الخطر القادم إليها من أوروبا.

خطورة الدولة الصفوية

كانت الدولة الصفوية تحاول نشر المذهب الشيعي في الأناضول وترسل المقات والآلاف من شباب التركمان الشيعة -بعد تدريبهم- إلى الأناضول لهذا الغرض. وكانت نتيجة هذه الجهود حدوث حركات عصيان مسلحة قادها الشيخ جُنيد أولا ومن بعده ابنه حيدر، أي كانت هناك قلاقل كبيرة في الأناضول، ولم تتخلص الدولة العثمانية من هذه القلاقل ومن خطر الدولة الصفوية إلا في عهد السلطان سليم (ابن السلطان بايزيد الثاني). إذن فالدولة العثمانية كانت في ضائقة شديدة وكانت في حرب فعلية مع المماليك من جهة، وفي مشاكل كبيرة مع الدول الأوروبية حيث نرى أنه بعد سنوات قليلة اضطرت الدولة العثمانية لإعلان الحرب على المجر وعلى بولندة. كما اتفقت بولندة والمجر وليتوانيا ضد الدولة العثمانية وأعلنت عليها الحرب، كما كانت تعاني من وجود قلاقل وحركات تمرد وعصيان في الداخل. لا نريد الخروج عن الموضوع وإيراد تفاصيل جانبية، ولكن كان من الضروري إلقاء نظرة على وضع الدولة العثمانية آنذاك.



"بايزيد" يفعل ما يستطيع

بعد دراسة لكافة الظروف الداخلية والخارجية قرر السلطان بايزيد إرسال قوة بحرية تحت قيادة "كمال رئيس" على وجه السرعة. كان ذلك في عام ٨٩٢هـ / ١٤٨٧م. أي قبل سقوط غرناطة بخمس سنوات. وكانت الدولة العثمانية بعملها هذا تعلن الحرب على عدة دول مسيحية في أوروبا؛ كانت تعلن الحرب على قسطنطينا وعلى آراغون وعلى نابولي وعلى صقلية وعلى البندقية؛ أي أن الدولة العثمانية على الرغم من مشاكلها الكثيرة -التي ذكرنا أهمها- كانت الدولة الإسلامية الوحيدة التي مدت يد العون لمسلمي الأندلس على قدر طاقتها، ودخلت من أجلهم في حالة حرب مع دول عدة؛ بينما توقفت عن ذلك الدول الإسلامية الموجودة في شمالي أفريقيا والتي كان بإمكانها من الناحية الجغرافية مسلمي الأندلس كالدولة الحفصية في تونس والدولة الوطاسية في المغرب.

قام "كمال رئيس" بضرب سواحل جزر جاربيا ومالطا وصقلية وساردونيا وكورسيكا، ثم ضرب سواحل إيطاليا ثم سواحل إسبانيا، وهدم العديد من القلاع والحصون المشرفة على البحر في هذه السواحل. وقام أحيانا بإنزاع جنوده في بعض السواحل لهدم تلك القلاع. ولكنه لم يكن يستطيع البقاء طويلا، لأن الحرب البحرية لا تكفي للاستيلاء على المدن ولاسيما المدن الداخلية البعيدة عن البحر، فلا بد من مشاركة القوات البرية التي تستطيع التوغل في الداخل وتثبيت وإدامة السيطرة على المدن المفتوحة. ولم يكن هذا ممكنا آنذاك، لبُعد الشقة بين الأندلس وبين الدولة العثمانية وكذلك بين مصر والأندلس. ولو صرفت الدولة العثمانية كل طاقتها وحاولت الوصول بَرًا إلى الأندلس (وهذا ما لا يتوقعه عاقل) لكان عليها محاربة العديد من الدول الأوروبية لعشرات الأعوام. هذا علما بأن الدول الأوروبية كانت قد قطعت كل صلة لمسلمي الأندلس مع البحر الأبيض المتوسط، كما سدّوا مضيق جبل طارق ليمنعوا وصول أي نجدة إليهم من الدول الإسلامية. وقام "كمال رئيس" بقصف بعض سواحل تونس بسبب كون الدولة الحفصية الحاكمة في تونس في حلف مع الأسبان ومع فرنسا ضد إخوانهم من مسلمي الأندلس.

وكم كان من المؤسف أن هذه القوة البحرية العثمانية اضطرت أخيرا إلى مواجهة الدولة الحفصية في تونس لكونها تقوم بمساعدة الفرنسيين. ولكون الدولة العثمانية في حرب مع المماليك فقد وقعت هذه القوة البحرية بين نارين، لذا لم تؤد هجمات هذه القوة البحرية إلى نتائج ملموسة. وفي عام

٨٩٧هـ / ١٤٩٢م استسلمت مدينة غرناطة وانتهى حكم المسلمين في الأندلس. ولكن هذه القوة البحرية قامت بنقل ما يقارب من ٣٠٠ ألف من المسلمين التاركين بيوتهم والهائمين على وجوههم من الأندلس، إلى المغرب وإلى الجزائر.

أما الوفد الأندلسي الثاني المرسل إلى دولة المماليك في مصر فلم يحصل على أي نتيجة أيضا حيث إن مصر بعيدة عن الأندلس، ويحتاج إنقاذ هؤلاء المسلمين إلى قوة برية. كما كانت في حرب مع الدولة العثمانية كما ذكرنا.

كان الأشرف سيف الدين قايتباي (١٤٦٨ - ١٤٩٦م) هو الذي يحكم دولة المماليك آنذاك، فلم يجد وسيلة لنصرة مسلمي الأندلس سوى إرسال وفود إلى البابا وإلى الأسبان ليقول لهم أن هناك العديد من المسيحيين يعيشون في مصر وفي سورية وأنهم يتمتعون بكامل حرياتهم الدينية ولا يتعرض لهم أحد، وليحذرهم بأنه سيقوم بقتل جميع المسيحيين وإجبارهم على اعتناق الإسلام إن قام الأسبان بقتل المسلمين أو إجبارهم على التنصر. ولم يهتم الأسبان ولا البابا بهذا التحذير الذي عدوه مجرد تخويف لأنهم يعلمون أن الدين الإسلامي يمنع إكراه أحد على ترك دينه. وقد ادعى الأسبان لوفد مصر أن المسلمين تنصروا بملء إرادتهم ولم يجبرهم أحد على هذا. وجاءوا بشهود زور تم تهديدهم وتخويفهم فشهدوا بذلك.

وقد سجل أبو البقاء في شعره هذه الحادثة وذكر أسماء المدن التي عذب أو أحرق أهلها أو ذبحوا بالسيف قائلا:

فسل وحرا عن أهلها كيف أصبحوا
أسارى وقتلى تحت ذل ومهنة
وسل بلفيقا عن قضية أمرها
لقد مُزقوا بالسيف من بعد حسرة
وضيافة بالسيف مزق أهلها
كذا فعلوا أيضا بأهل البشارة
وأندرش بالنار أحرق أهلها
بجامعهم صاروا جميعا كفحمة

وهكذا بقي مسلمو الأندلس وحدهم في الميدان وتجرعوا الآلام وبادت دولتهم الزاهرة جزاء تفرقهم إلى طوائف عديدة. فجرّوا على أهاليهم وبلدهم تلك النهاية المروعة التي ستبقى من أكثر المآسي المروعة في التاريخ الإنساني. ■

(٩) كاتب وباحث تركي



كالشمعة...

عليك أن تشتعل وتذوب لتبثير الدروب للآخرين...



العقيدة الإسلامية بين جمال القرآن وتقسيمات علم الكلام

أ.د. فريد الأنصاري*

كان المسلمون عندما يتلقونها بعبارة القرآنية الجليلة، يتفاعلون معها تفاعلاً عجباً؛ إذ يتحولون بسرعة وبعمق كبير من بشر عاديين، مرتبطين بعلائق التراب، إلى خلّائق سماوية تنافس الملائكة في السماء، وما هم إلا بشر يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق. ولذلك حقق الله بهم المعجزات في الحضارة والتاريخ. إن الكيمياء الوحيدة التي كانوا يتفاعلون بها هي "لا إله إلا الله"، لكن ليس كما صورها علم الكلام بشئ مدارس ومذاهب، وإنما كما عرضها القرآن آيات بينات ومحكمات.

كلمة البدء في الإسلام هي "لا إله إلا الله"، وهي كلمة سرّ، سرّ في غاية اللطافة والبهاء. نعم، كل المسلمين يقولونها، ولكن القليل منهم هم الذين يتذوقونها حقاً؛ ذلك أن انصرافهم إلى التصورات الكلامية في مجال العقيدة قد صرفهم عن فضائنها الجميلة ومواجهتها الجليلة.

الإسلام عقيدة تربوية في الأساس

إن عقيدة الإسلام لم تكن في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية إلا لمسة تربوية ذات أثر روحي عميق على الوجدان والسلوك. وقد



إن التقسيمات الكلامية للعقيدة الإسلامية التي أملت ضرورية حجاجية حيناً، وضرورة تعليمية حيناً آخر، ليست ذات جدوى في عالم التربية الإيمانية؛ لخلوها من روحها الرباني وسرها التعبدية، الذي لا تجده إلا في كلمات القرآن وأحرفه: "من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها. لا أقول "الم" حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف" (رواه الترمذي). ثم إن التعبير عن حقيقة الذات الإلهية لا يكون على كمال صدقه، جلالاً وجمالاً، إلا إذا كان بما عبر الله به عن ذاته سبحانه وصفاته. وما كان للنسي المحدود أن يحيط وصفاً وعلماً بالمطلق غير المحدود. ومن هنا كان التوقيف في مجال التعبير العقدي في الإسلام.

تفعيل العقيدة

كثير من الناس يتكلم في العقيدة اليوم ولكن قليلاً منهم يتفاعل معها؛ لأن العلم الجدلي ما كان له أن يؤتي ثماراً قلبية، وهو قد أنتج أساساً لإشباع رغبات العقل المماري، لا لإشباع حاجات القلب الساري. وقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يخاطب بالعقيدة الإيمانية العقول، خطاباً ينفذ من خلالها إلى القلوب، حيث تستقر بذرة، تنبت جنات وأشجاراً.

إن السر الذي تتضمنه عقيدة "لا إله إلا الله" والذي به غيرت مجرى التاريخ مرات ومرات والذي به صنعت الشخصيات التاريخية العظيمة في الإسلام، إنما يكمن في "جمالها". الجمال، ذلك الشيء الذي لا يدرك إلا بحاسة القلب. إنه إحساس: "كم هو جميل أن يكون المرء مسلماً!". ودون هذا الإدراك اللطيف للدين، إدراكات أخرى من أشكال التدين، لا تغني من الحق شيئاً. لقد ضاع صفاء الدين وجماله السماوي في غبار التأويلات ورسوم التقسيمات. وقد ذم قوم "الكلام"، لكنهم لم يدركوا أنهم في خضم الصراع المذهبي ردوا وقسموا "فتكلموا"، وسقط عنهم بذلك بهاء الدين وجماله وهم لا يشعرون. أو -على الأقل- لم يترك ذلك في الأتباع لمسات الجمال، وأذواق الصفاء في السلوك الذي يصنفون به على أنهم "مسلمون". فكانت التصورات في واد، والتصرفات في واد آخر. وذلك لعمري هو الخسران المبين. إن القرآن الكريم والسنة النبوية يقولان لنا حقيقة جليلة عظيمة، لم يستطع أن يوصلها إلينا علم الكلام: هي أن عقيدتنا جميلة.

عقيدة جمالية

ولكم هو مؤسف حقاً أن يضيع هذا المعنى من تدين كثير من

المسلمين اليوم، فلا يرون في الدين إلا خشونة وحزونة. هذا التخشب في الأقوال والفعال، الذي سيطر على تدين كثير من الناس اليوم؛ إنما كان لأسباب سياسية واجتماعية مختلفة، ليس هذا مجال بيانها. ولا يجوز أبداً أن تكون مسوغاً للانحراف عن بهاء الدين وجماله. وإنما أنزله الله ليكون جميلاً، تتذوقه القلوب، وتتعلق به الأنفس؛ فلا تستطيع منه فكاًكاً، فتُسَلِّم -بجذبه الخفي وإغرائه البهي- لله رب العالمين.

"لا إله إلا الله" -إذ يقولها العبد مستشعراً دلالتها اللطيفة- كلمة "قلبية" مدارها على وصف حال، والاعتراف بذوق صفات الكمال والجلال. إنها تعبير عن الخضوع الوجداني التام لله. نعم، قلت "الوجداني" لأنها -ببساطة- كذلك وردت في سياقها القرآني الأصيل.

ولو تأملت هذه العبارة العظيمة في اللغة، لوجدتها تقوم على لفظتين أساسيتين، هما مدار الإسلام كله: "الله" و "الإله". فأما كلمة: "الله" فهو لفظ الجلال، الاسم العَلَم على الذات الإلهية، الاسم الجامع لكل الأسماء الحسنى والصفات الإلهية العُلَى. ولفظ "الله" فرد في اللغة، فلا يجمع ولا يتعدد.

وأما كلمة "الإله" فهو لفظ وصف، يدل على معنى شعوري قلبي؛ ولذلك فهو يتعدد، إذ يجمع على "آلهة". وأما باقي العبارات في "لا إله إلا الله" فهي "لا" النافية، و"إلا" الحاصرة، تقومان بدور البناء والتركيب اللغوي؛ للنفي والإثبات، الذي يربط نوع العلاقة في قلب المؤمن بين الوصف "إله" والاسم "الله". وحقيقة تلك العلاقة هي ما يهمننا في هذا البحث. إنها علاقة تملأ الوجدان بما يفيض به قلب العبد المعبر بما حقاً وصدقاً من الاعتقاد والشعور تجاه مولاه جلّ علاه.

ذلك أن كلمة "إله" في أصل الاستعمال اللغوي كلمة قلبية وجدانية، كما ذكرنا. أعني أنها لفظ من الألفاظ الدالة على أحوال القلب كالحب والبغض والفرح والحزن والأسى والشوق والرغبة والرغبة... إلخ. أصلها قول العرب: "أله الفصيل - يأله - ألهاً" إذا ناح شوقاً إلى أمه. والفصيل ابن الناقة إذا فطم، وفصل عن الرضاع، يحبس في الخيمة وتترك أمه في المرعى، حتى إذا طال به الحال ذكر أمه وأخذ الشوق والحنين إليها -وهو آنئذ حديث عهد بالفطام- فناع وأرغى رغاء أشبه ما يكون بالبكاء، فيقولون: "أله الفصيل" فأمه إذن ههنا هي "إلهه" بالمعنى اللغوي، أي ما يشوقه. ومنه قول الشاعر: "ألّهتُ إليها والركائبُ وقُفّ"

جاء في اللسان: اسم "الله": تفرد سبحانه بهذا الاسم، لا يشركه فيه غيره، فإذا قيل: "الإله" انطلق على الله سبحانه وعلى



ما يعبد من الأصنام. وإذا قلت "الله" لم ينطلق إلا عليه سبحانه وتعالى. وقيل في اسم الباري سبحانه: إنه مأخوذ من آله - يَأْلَهُ: إذا تَحَيَّرَ، لأن العقول تَأْلَهُ في عظمتها. وآله يَأْلَهُ أَلْهًا: أي تَحَيَّرَ، وأصله وَلَهُ يَوْلُهُ وَلَهَا. وقد أَلْهَتْ على فلان: أي اشتد جزعي عليه مثل وَلِهْتُ. وقيل: هو مأخوذ من آله يَأْلَهُ إلى كذا، أي: لجأ إليه؛ لأنه سبحانه الْمَفْزَعُ الذي يُلْجَأُ إليه في كل أمر^(١). إذ "الإله" في هذا السياق اللغوي هو: ما يَشْقُوقُ القلب، ويأخذ بمجامع الوجدان، إلى درجة الانقياد له والخضوع. قال عز وجل: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ (الجن: ٢٢).

والراجح فعلاً أن "آله" هو من "وليه" ومنه اشتق الاسم العلم "الله"؛ لأن مدار كلا المادتين على معاني القلب، فأبدلت من الواو همزة. قال الراغب الأصفهاني: "آله فلان - يَأْلَهُ: عَبَدَ. وقيل: أصله ولأه، فأبدل من الواو همزة، وتسميته بذلك لكون كل مخلوق وآلهاً نحوه، إما بالتسخير فقط كالجملات والحيوانات، وإما بالتسخير والإرادة كبعض الناس، ومن هذا الوجه قال بعض الحكماء: الله محبوب الأشياء كلها"^(٢).

و"الولء": هو الجنون الحاصل بسبب الحب الشديد، أو الحزن الشديد، يقال: امرأة ولوءة: إذا أحبت حتى جنت، أو إذا ثكلت؛ فحزنت حتى جنت. قال ابن منظور: "الولء: الحزن. وقيل هو ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد، أو الحزن أو الخوف. والولء: ذهاب العقل لفقدان الحبيب وناقة ميلاة: هي التي فقدت ولدها فهي تلء إليه. يقال: وَلِهْتُ إليه تَلْءُ أي تحن إليه وناقة وآله: إذا اشتد وجدها على ولدها"^(٣).

عقيدة حب ووجدان

وهكذا فأنت ترى أن مدار المادتين "آله" و"وله" هو على معان قلبية، ترجع في مجملها إلى التعلق الوجداني والامتلاء بالحب، فيكون قول المؤمن "لا إله إلا الله" تعبيراً عما يجده في قلبه من تعلق بربه تعالى، أي لا محبوب إلا الله، ولا مرهوب إلا الله، ولا يملأ عليه عمارة قلبه إلا قصد الله. إنه أشبه ما يكون بذلك الفصيل الصغير الذي ناح شوقاً إلى أمه، إذ أحس بألم الفراق ووحشة البعد. إن المسلم إذ "يشهد" ألا إله إلا الله، يقر شاهداً على قلبه أنه لا يتعلق إلا بالله رغبة ورهبة وشوقاً ومحبة. وتلك لعمرى "شهادة" عظيمة وخطيرة، لأنها إقرار واعتراف بشعور، لا يدري أحد مصداق ما فيه من الصدق إلا الله، ثم الشاهد نفسه، ومعاني القلب لا تحد بعبارات ولا تحصرها إشارات. ومن

هنا كانت شهادة "ألا إله إلا الله" من اللطافة بمكان، بحيث لا تدرك على تمام حقيقتها إلا ذوقاً.

قال ابن القيم رحمه الله: "إن محبة العبد لربه فوق كل محبة تقدر، ولا نسبة لسائر المحاب إليها، وهي حقيقة لا إله إلا الله"^(٤)، إلى أن يقول في نص نفيس تشد إليه الرحال: "فلو بطلت مسألة المحبة لبطلت جميع مقامات الإيمان والإحسان، ولتعطلت منازل السير إلى الله. فإنها روح كل مقام ومزلة وعمل. فإذا خلا منها فهو ميت لا روح فيه. ونسبتها إلى الأعمال كنسبة الإخلاص إليها، بل هي حقيقة الإخلاص، بل هي نفس الإسلام. فإنه الاستسلام بالذل والحب والطاعة لله. فمن لا محبة له لا إسلام له البتة، بل هي حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله. فإن "الإله" هو الذي يأله العباد حبا وذلاً، وخوفاً ورجاءً، وتعظيماً وطاعة له، بمعنى "مألوه": وهو الذي تأله القلوب. أي تحبه وتذل له فالمحبة حقيقة العبودية"^(٥).

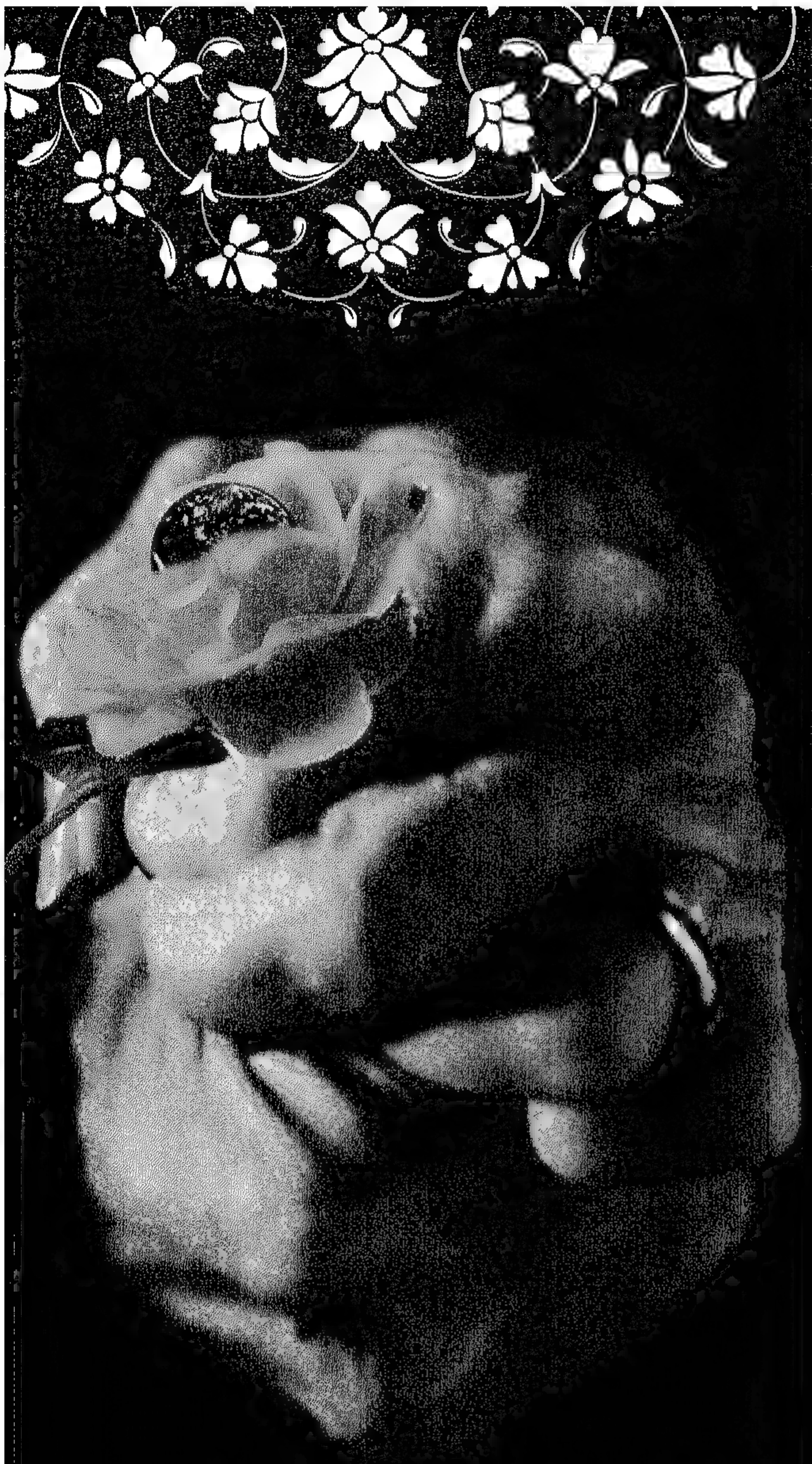
معنى الإسلام

ذلك أن معنى "الإسلام" هو الخضوع لله رب العالمين، والاستسلام لأمره تعالى. إنه الاعتراف الوجداني، أي التعبير العملي عن الشعور الحقيقي الذي يلامس القلب، عندما يدرك العبد و"يجد" أنه "عبد" لسيد هذا العالم العظمي. ١. وحقيقة كون المسلم عبداً هي الحقيقة التي تغيب عن أكثر المسلمين، فيحدث بسبب ذلك الانحراف بشئ ألوانه وأشكاله.

إن "العبد" مسلوب الإرادة. ليس بالمعنى الكلامي ولكن بالمعنى الوجداني، أعني أن تجرد الشعور بأنك أيها المسلم مملوك لله الواحد القهار، تدور في فلك العبودية والخدمة كما تدور الكواكب في الأفلاك. ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (الزمر: ٦٠). وتلك هي مدارات اللفظ (عبد) في اللغة. إنها لا تخرج عن معاني الذلة والخضوع والخنوع والانقياد، كما تنقاد الأنعام المذللة لمالكها رغبة ورهبة، انقياداً لا تشنّج فيه ولا تفلّت.

والعبد لا يكون إلا في باب الخدمة بين يدي مولاه، واقفاً على العتبة ينتظر الأمر والنهي بشوق المحب، ليبادر إلى التنفيذ دون سؤال: علام ولِمَه؟ ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٣). إنه الرب المحبوب الأعظم، المرغوب المرهوب، رب الكون والخلق أجمعين. يُمكنك أن تُعرّف عقيدة الإسلام في نهاية المطاف، فتقول إنها ميثاق المحبة بين الله وعباده، أو هي دستور السلام.





أُتِينِ الْأَرْضَ

لن يستمر هذا الأُتِين حتى يوم القيامة،
رب مفاجأة يُخَبِّئُهَا الْقَدَرُ،
فقد يظهر ليث وهو يزأر،
زئيراً يليق به بين أشجار الغابة،
فتكفُّ الأرض عن النواح،
ويأتي الربيع...

وحينما نقول "المحبة" فهي بمفهومها القرآني الجامع المانع، لا ما ذهبت إليه طوائف من الغلاة من هذا الاتجاه أو ذاك، ممن قالوا بها فأبطلوا كل منازل الإيمان من خوف ورجاء. فأنتهى بهم الأمر إلى دعاوى عريضة يتشدقون بها، ما أنزل الله بها من سلطان. كلا، بل لا تقوم المحبة بقلب العبد الصادق إلا على جناحي الخوف والرجاء، وما تفرع عن ذلك من معاني الرغب والرهب. والقرآن العظيم والسنة النبوية واضحيان في هذا غاية الوضوح. ولا يزيغ عنهما إلا جاهل أو صاحب هوى. والمحبة الحقيقي الصادق يخاف من الحرمان، ويخشى من العقوبة؛ بقدر ما يرجو ويشتاق. فإذا جرد المحبة عن الخوف والرجاء كان من الكاذبين. كيف ورب العالمين يقول عن صفوة من أنبيائه ورسله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء: ٩٠). كيف وهذا محمد رسول الله ﷺ سيد الأولين والآخرين يعلنها في الأمة: "أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له. [وفيه قال:] فمن رغب عن سنتي فليس مني" (متفق عليه). ألا وإن أي انحراف عن هذه السبيل لا يكون إلا جهلاً بالدين أو زيغاً من الضلال المبين.

فعلى هذا الوزان إذن نقول إن عقيدة الإسلام قائمة على المحبة، بل إنها ميثاق المحبة. وبذلك المعنى كانت تفيض بأنوار الجمال ومباهج الجلال. فليس عبثاً أن يقول النبي ﷺ: "إن الله تعالى قد حرم على النار من قال "لا إله إلا الله" يتغنى بذلك وجه الله" (متفق عليه). أكلمة واحدة تتلفظ بها فتدخل الجنة؟ نعم، ولكن، إنها ليست بكلمة ولا كلمات، إنها توجه قلبي وميل وجداني، إنها مسألة "حب". وإن من أحب الله أحبه الله. إنها حقيقة جميلة وعظيمة. وإن عدم إدراكها ذوقاً ووجداناً قد كان سبباً في تضييع معاني الدين، وانحراف كثير من الناس عن منهاجه المستقيم. ■

(١) جامعة مولاي إسماعيل ورئيس المجلس العلمي بمكناس / المغرب.

الهوامش

(١) لسان العرب: مادة "أله".

(٢) المفردات في غريب القرآن: مادة "أله".

(٣) لسان العرب: مادة "وله".

(٤) مدارج السالكين لابن القيم، ١٨/٣.

(٥) مدارج السالكين: ٢٦/٣.

الخط الفاصل بين الإيمان والإلحاد:

البعث بعد الموت

أ.د. محمد بورغية *

إن حياة الإنسان بعد موته هي الخط الفاصل بين الإيمان والإلحاد، بين التفسير الديني لحقيقة الإنسان الذي يجعل لحياته ومصيره معنى وغاية وهدفا لقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون: ١١٥)، وبين التفسير المادي للإنسان الذي لا ينظر إلا إلى غذاء جسده، والذي ستنتهي مسرحية حياته بالموت والفناء.

فالإنسان متكوّن من مادة وروح، والروح من سنن الله البديع يجعل للإنسان قيمة إلهية بما يبت من فضيلة ويزرع من خير ويبتسر من ضياء؛ فتتغير بذلك نظرته للحياة ويرى بعين البصيرة ما وراء النتائج العاجلة من سلوك الناس وتصرفاتهم.

يقول ابن عطاء السكندري في مواظبه: "لو أشرق لك نور اليقين لرأيت الآخرة أقرب إليك من أن ترحل إليها، ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها". ففي المعتقد الديني لا موت إلا في هذه الحياة، فمن فارقه انتقل إلى حياة خالدة لا موت فيها. ولكن الفارق كبير والبون شاسع بين موت وموت؛ فموت المؤمن العارف فوز ونجاة، وموت الجاحد الكافر حرمان وشقاء. دعت جميع الأديان السماوية إلى الإيمان بالبعث والنشور على لسان رسلها وأنبيائها. فنوح عليه السلام قال لقومه: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۖ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ (نوح: ١٧-١٨). وموسى عليه السلام قال في دعوته: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ (طه: ٥٥). وعيسى عليه السلام قال وهو في المهد: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم: ٣٣).

ولقد وصف القرآن الكريم نكران عرب الجزيرة عقيدة البعث والنشور عندما قال تعالى على لسان معطلة العرب مثلما سمعهم الشهرستاني في كتابه "الملل والنحل": ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا

الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (الحاقة: ٢٤).

لقد اقتضت الحكمة الأزلية أن يتلى الإنسان بزينة الحياة الدنيا وبالهوى، فكان بذلك غرضة للفسوق والعصيان والغفلة والنسيان والإعراض عن الحق. فأرسل الله إليه رسله وأنزل كتبه، وييسر له مواقع رضاه ورضاه، وأن النعيم لا يدرك بالنعيم، وأن أعظم اللذات محجوب بأنواع المكاره، فلم تقو عقول الكثيرين على إثارة الآجل المنتظر بعد فناء الدنيا على هذا العاجل الملموس، بل إن خيالهم لم يتسع لتصور نشر جديد بعد ظلمة القبر وفناء الجسد، وأنا ستموت كما سنام ونبت كما سنستيقظ، ولا سيما العرب الذين لم يكلفوا قط بشريعة، لوجودهم في فترة من الرسل بين جدّهم إسماعيل ومحمد عليهما السلام^(١).

البعث في القرآن والسنة

لقد استعمل القرآن الكريم في رده على منكري البعث على اختلاف اتجاهاتهم مختلف البراهين لإقناعهم بأن الساعة حق وأن الله يبعث من في القبور. وتقوم عقيدة البعث على أصول لا بدّ من اعتبارها في عقيدتنا، وهي:

يوجه القرآن الكريم الأنظار إلى أن الله تبارك وتعالى لم يخلق هذا الكون باطلاً ولغير هدف. يقول جلّ ذكره: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الدخان: ٣٨-٣٩). وبين سبحانه أنه لم يخلق الإنسان عبثاً، قال عزّ جلّ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون: ١١٥).

تبين العقيدة الإسلامية أن الإنسان له حرية عميقة في كيانه، لكنها ليست حرية الفوضى الخلقية التي تنتهي دائماً بتهدم الإنسان وتمزيق علاقته مع الوجود الخارجي من حوله. فالحق الذي خلق الله تعالى به الكون يتنافى مع الفلسفة الوجودية الملحدة؛ فليس ثمة عبث كما يرى "ألبر كامو"، وليس ثمة لامعقولية للحياة والوجود كما يرى "كافكا"، وليس ثمة حرية لأخلاقية مطلقة من كلّ قيد كما يرى "سارتر"، وليس ثمة تناقضات نفسية لا نهاية لها تنتهي دائماً بالضياغ كما يرى "دستوفسكي". ذلك أن الإسلام يستمدّ تجاربه الباطنية من خلال الحقيقة لا الزيف، ومن الاستقامة لا الانحراف، ومن المعرفة لا الضياغ.^(١)

وإن ارتباط الوجود الإنساني بمصيره هو النقطة التي تفرق فيها الطرق بين الناس، لا في نظرهم إلى الحياة وفلسفتهم فيها فحسب، بل في أخلاقهم ونمط سلوكهم ومدى إيمانهم. فالإيمان بمصير الإنسان بعد الموت يجعل حياته غاية سامية وهدفاً أعلى. والقرآن الكريم حافل بآيات تقيم الأدلة على أن الكون ليس مهماً كما يزعم الملاحدة، بل خلق الخلق بالحق ليكون الابتلاء والاختبار الذي سيعقبه بعث للحساب والجزاء، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الملك: ٢).

فالإيمان بالله تعالى يُحقّق المعرفة بالمصدر الأول؛ والإيمان بالبعث يُحقّق المعرفة بالمصير الذي ينتهي إليه هذا الوجود؛ وعلى ضوء المعرفة بالمصدر والمصير يمكن للإنسان أن يُحدّد هدفه ويرسم غايته، ويتخذ من الوسائل والذرائع ما يُوصله إلى الهدف ويبلغ به الغاية. ومتى فقد الإنسان هذه المعرفة، فإن حياته سوف تبقى بلا هدف ولا غاية. وحينئذ يفقد الإنسان سموه الروحي ويعيش كما تعيش الأنعام. وهذا هو الانحطاط الروحي المدمر لشخصية الإنسان والمنافي للحكمة الإلهية العليا من هذا الوجود.

تؤكد عقيدة البعث على فناء هذه الدنيا وانتفاء أرلية هذا الكون، ويؤكد علماء الفلك حتمية اختلال الأجرام السماوية.^(٢) ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَشَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ (الانفطار: ١-٥).

جاء في كتاب "المعاد" قوله: "إن قانون الديناميكية الحرارية يثبت أن الحرارة ليست دائمة إلى الأبد، وأن يوم انتهائها سيأتي حتماً، والكون يتجه إلى درجة تتساوى فيها حرارة جميع الأجسام وينضب فيها معين الطاقة، ويومئذ لن تكون هناك عمليات كيميائية أو طبيعية، وذلك بحكم الانتقال الحراري المستمر من الأجسام الحارة إلى الأجسام الباردة. ولا يمكن أن يحدث العكس بقوة ذاتية، بحيث تعود الحرارة وترتد من الأجسام الباردة إلى الأجسام الحارة، وعندئذ تقف حركة الحياة ويموت الأحياء."^(٣)

سكرات الموت ونهاية الإنسان

ليس الموت ختاماً لمعنى الحياة وابتداء لحالة أخرى لا شعور فيها ولا إحساس معها، إنما هو مرحلة تحوّل من طور إلى آخر. إن الموت هو الفجعة الكبرى للجاحدين الذين سيعرفون بعد الموت كلّ شيء وسيُدركون أنهم كانوا في ضلال بعيد، سيتم ذلك بعد فوات الأوان. تثبت العقيدة الإسلامية أن ما يقع للجسد من فساد لأجهزته وفنائه لا يؤثر في حقيقة الروح ولا في كيان الإنسان المعنوي.

ولقد عبّر القرآن الكريم عن لحظة الفزع ولحظة خروج الروح من الجسد بسكرة الموت، قال جلّ وعلا: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ (ق: ١٩). وقال ﷺ يوم مفارقتة الدنيا وهو يمسخ وجهه بالماء: "لا إله إلا الله إن للموت سكرات".

وإن أول منازل الآخرة هو القبر، فهو يضيق ويتسع ويُظلم ويُنور بحسب مكانة صاحبه عند ربّه. والأدلة على ذلك كثيرة، منها قوله ﷺ فيما رواه البخاري أنه لما مات أبو سلمة دخل عليه الرسول ﷺ ثم قال: "اللهم اغفر لأبي سلمة وافسح له في قبره ونور له فيه". أمّا الدليل على سؤال الميت في القبر ما أخرجه مسلم أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من دفن ميت وقف عليه وقال: "استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل".

فالقبر فيه فتنة ووشحة وابتلاء وسؤال الملكين، والدليل على وجود عذاب القبر الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه قال ﷺ: "إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عَرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ". ومما يؤكد هذا الحديث قوله تعالى في آل فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (غافر: ٤٦).

فإن وقت الموت أو المرحلة بين الدنيا والبعث هي حياة البرزخ التي قال فيها تبارك وتعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِي﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون: ٩٩-١٠٠). يقول القشيري: "من مات فقد دخل البرزخ، وما بين الموت والبعث فلما راحة متصلة ولما آلام وآفات غير منفصلة".^(٥)

وإن الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ حسب شقاوة صاحبها وسعادته إلى أن يأتي اليوم الآخر. هذا اليوم العظيم الذين اهتم به القرآن الكريم اهتماماً بالغاً، فتناول حقيقة اليوم الآخر وما يكون فيه من بعث وحساب وجزاء، ثم ما يتبعه من حوض وصراط وشفاعة، واعتبره ركناً من أركان الشريعة الإسلامية. ويتجلى هذا الاهتمام بكثرة ذكر القرآن الكريم لليوم الآخر، فلا تكاد تخلو سورة من الحديث عنه ولو في إشارة أو تلميح مع تقريبه إلى الأذهان، تارة بضرب الأمثال، وتارة بالحجة والبرهان، وكثيراً ما نجد القرآن الكريم يتحدث عن الدنيا كأنها ماضٍ كان، وعن الآخرة كأنها الحاضر الآن.

الأدلة الشرعية المثبتة للبعث

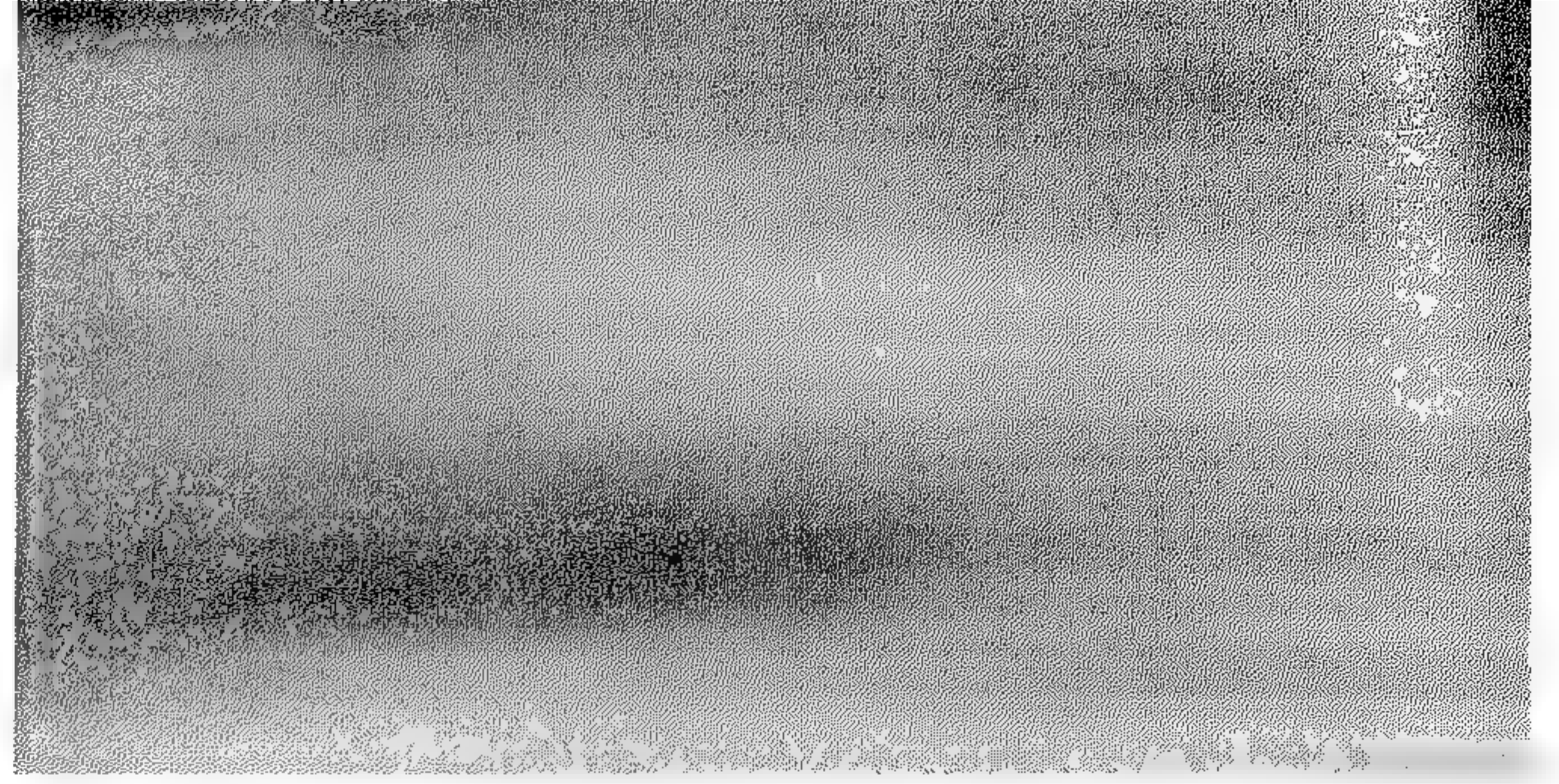
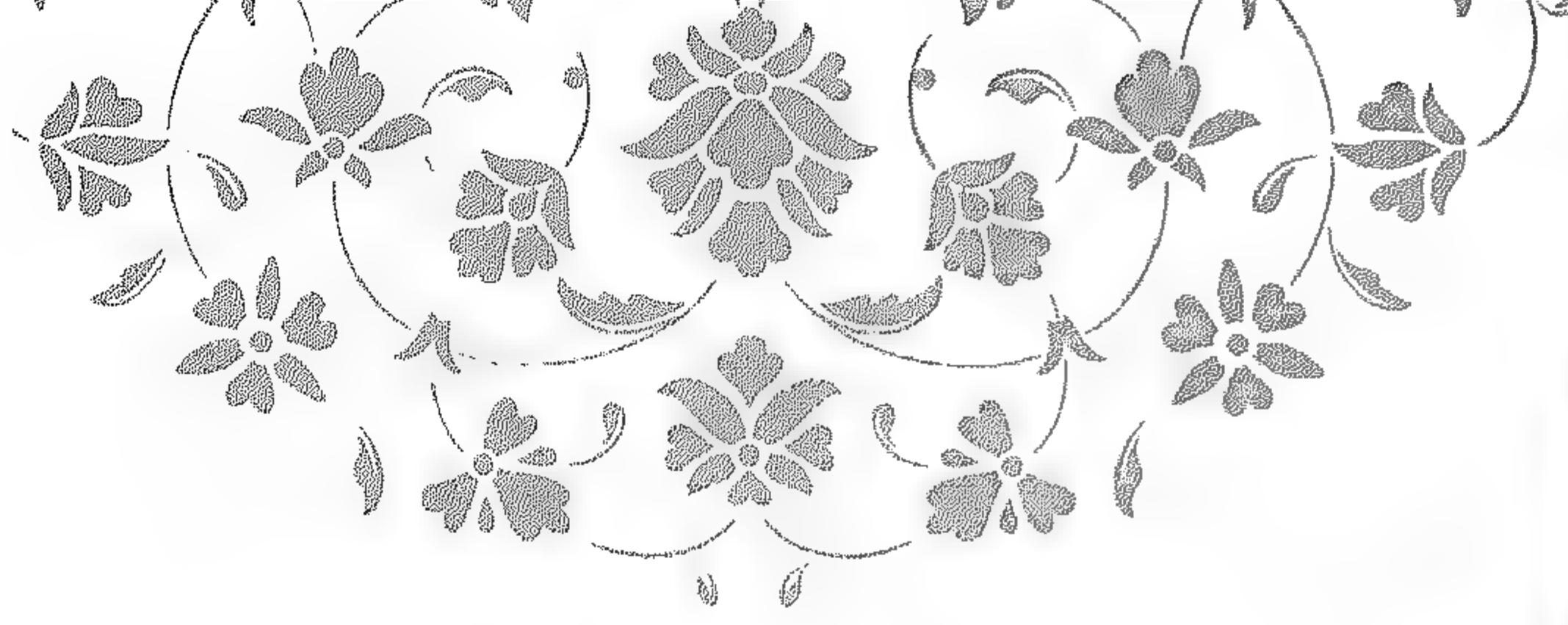
إن الموت في واقعه ليس انعداماً لأجزاء الإنسان، بل تفريقاً لها. وعندما تتعلق إرادة الله بعودة الأجسام، يجمع هذه الأجزاء المشتتة ويؤلفها على حالتها السابقة جسماً وروحاً، وذلك هو

المعاد. وما وقع لإبراهيم الخليل عليه السلام لما سأل ربه بقوله: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾، وجواب الله تعالى له خير دليل على إعادة الخلق من جديد، قال تعالى: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾. بمعنى أن يقطعها إبراهيم عليه السلام إلى أجزاء صغيرة يختلط بعضها ببعض خلطاً غير قابل للتجزئة والتمييز ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ (البقرة: ٢٦٠).

قال الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور: "يُمَيِّزُ اللَّهُ تَعَالَى أَجْزَاءَ كُلِّ طَيْرٍ عَنْ صَاحِبِهِ وَيَجْمَعُ أَجْزَاءَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا مُسْتَقِلًّا عَنِ الْبَاقِي، فَإِذَا اكْتَمَلَتْ لِكُلِّ طَائِرٍ هَيْئَتُهُ الْخَاصَّةُ بِهِ أَوْدَعَ فِيهِ الْحَيَاةَ حَتَّى يَطْمَئِنَّ إِبْرَاهِيمُ إِلَى هَذِهِ الْحَقِيقَةِ، وَيَتَحَقَّقَ عِلْمُهُ، وَيَنْتَقِلَ مِنْ مَعَالِجَةِ الْفِكْرِ وَالنَّظَرِ إِلَى بَسَاطَةِ الْضَرُورَةِ بِبَيِّنَاتٍ مُشَاهِدَةٍ، وَانْكَشَافِ الْمَعْلُومِ انْكَشَافاً لَا يَحْتَاجُ إِلَى مُعَاوَدَةِ الِاسْتِدْلَالِ وَدَفْعِ الشُّبْهِ عَنِ الْعَقْلِ".^(٦)

وهذا المثل القرآني الدقيق صريح الدلالة على أن الموت تفريق للأجزاء، وليس انعداماً لها كما يظن المفكرون الذين استعظموا عودة الحياة الإنسانية بعد انقطاع الحواس وانفصال الشعور عن الجسد. والتصوص القرآنية التي تؤكد إعادة الخلق والبعث والنشور كثيرة ووفيرة منها قوله تعالى:

﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَاتَ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ * أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْئًا﴾ (مرم: ٦٦-٦٧). ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ * وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (الحج: ٦-٧). ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّهُ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (نصط: ٣٩). هذا نوع من قياس الدلالة وهو "الجمع بين الأصل والفرع بدليل العلة وملزومها" مثلما قال علماء أصول الفقه. فدل سبحانه في هذه الآية عباده



دموع وقلب

دموعك تمزق قلبي،
لا أحد يكفكف هذا الدمع...
أصيب العالم بسكتة دماغية خرساء...
مشاهد الآلام تمضي سريعاً،
دون أن تחדش ضميره،
كمن يجلس في صالة عرض
يشاهد فلمًا للراحة والتسلية
والظالم يزداد عتواً كل يوم
أما رائحة الموت فقد ملأت أجواء الدنيا



بما أراهم من الإحياء الذي تحقّقه وشاهدوه على الإحياء الذي استبعدوه، وذلك قياس إحياء على إحياء واعتبار الشيء بنظيره، والعلة الموجبة هي عموم قدرته سبحانه وكمال حكمته، وإحياء الأرض دليل العلة.

والقرآن الكريم إذ يدعم عقيدة البعث بمختلف الوسائل والطرق، فليس ذلك فقط على قرار ألزم الله به نفسه، وإنما على أحد مستلزمات العدل الإلهي والحكمة السامية، حتى لا تكون حياة الإنسان بلا غاية ولا هدف. إن حاجة الإنسانية ملحة إلى الآخرة لضمان الخلود وإقامة العدل وتنظيم الحياة.^(١) وهكذا، فإن الإيمان بالبعث كالإيمان بالله كلاهما لا يقبل شكاً ولا تردّداً، لأن الفطرة السليمة تنساق إلى هذا الإيمان.

فالإيمان بالله يعترف بالمصدر الأول للوجود، والإيمان بالبعث يعترف بمصير الإنسان فيه. ومن حُرم هذه المعرفة أضحت حياته كحياة الأنعام تقوده الأهواء وتُسيّر الغرائز. والله تعالى لم يخلق الإنسان بيديه، ولم ينفخ فيه من روحه ولم يأمر ملائكته بالسجود إليه، ولم يحمله الأمانة ولم يجعل له الخلافة، ولم يسخر له ما في السموات والأرض إلاّ ليُجعل من وجوده غاية سامية تتفق مع حكمته العليا وعدله المطلق، حتى لا تذهب جهود هذا الإنسان سدىً مصداقاً لقوله جلّ ثناؤه: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (الجنّة: ٢٢). ■

(١) جامعة الزيتونة / تونس

الهوامش

(١) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، لمحمد شكري الألوسي، ص ١٠٩.

(٢) في التّقد الإسلامي المعاصر، لعبد الدين خليل، ص ٤٢.

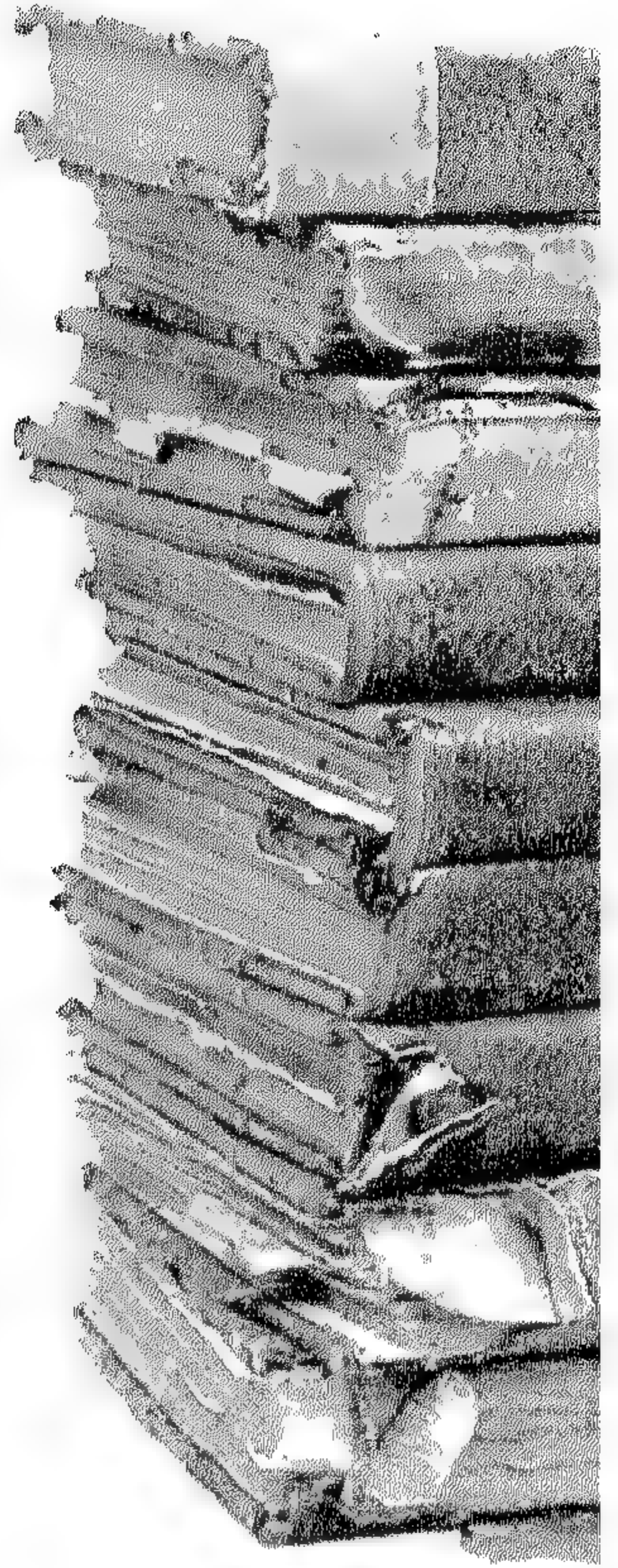
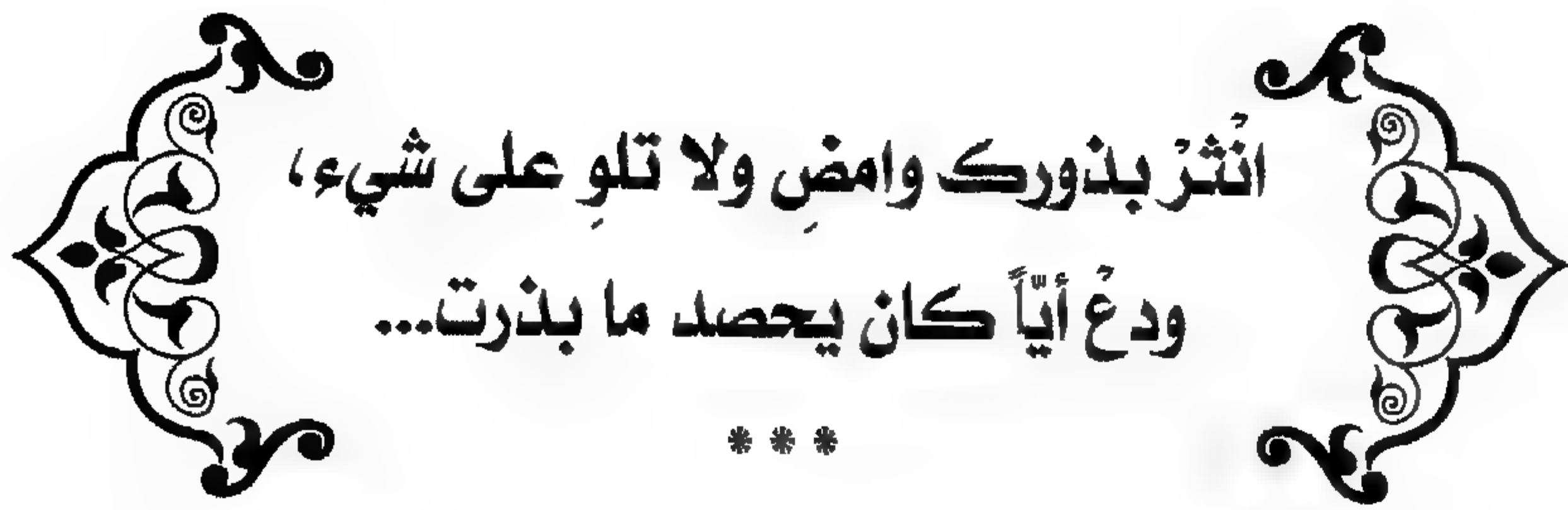
(٣) الإسلام يتحدّى، لوحيّد الدين خان، ص ٨٢-٨٣.

(٤) المعاد، لمحمد حسن آل ياسين، ص ٥٠.

(٥) لطائف الإشارات، للقشيري، ٢٤٤/٤.

(٦) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٣٩/٣.

(٧) عقيدة البعث في الإسلام، للتهامي نقرة، ص ١٤٠.



قراءة في عنوان ما صنف في الحديث والقرآن

تطور نظام العنونة في الثقافة الإسلامية

د. محمد جكيب *

وكان من الطبيعي أن تظهر للقرآن أسماء جديدة بعد أن جمع على عهد عمر رضي الله عنه، يقول صبحي الصالح: "ويبدو أن تسمية القرآن "بالمصحف" نشأت على عهد أبي بكر، فقد أخرج ابن أشته في كتاب "المصاحف" من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال: لما جمعوا القرآن فكتبوه على الورق قال أبو بكر: التمسوا له اسماً. فقال بعضهم "السفر" قال: ذلك اسم تسميه اليهود. فكروهوا ذلك وقال بعضهم: "المصحف" فإن الحبشة يسمون مثله. فاجتمع رأيهم على أن يسموه "المصحف" (٣). وبذلك صارت اللفظة عنواناً جديداً للقرآن في شكلها الجديدة، وأصبح القرآن يحمل عنوانين:

- الأول متصل بطبيعة المادة، وهو عنوان توقيفي.
- الثاني متصل بشكل المادة التي أصبح عليها، وهو عنوان تواضعي وعملي.

وبهذا فـ "القرآن" و "المصحف" هما أقدم العناوين في تاريخ الثقافة الإسلامية، ويتربعان على قمة العناوين في عصر التدوين. ولقد أصبح القرآن الكريم مع توالي الزمن منطلقاً للعديد من المصنفات والمؤلفات والكتب التي تناولته بالشرح والتفسير، عارضة مختلف مواطن إعجازه، وكاشفة كنوزه المعرفية والدينية.

ارتبط بزوغ شمس الحضارة الإسلامية وتطورها بتدوين المعرفة. وتعتبر العنونة مظهراً من المظاهر التي عكست ذاك البزوغ. فقد تطور نظام العنونة في الثقافة الإسلامية تطوراً ملموساً تسرب إليه من الرقي الملموس الذي حققته مختلف الجوانب والمدنية والمعرفية. ولا شك في أن الإسلام كان العامل الأقوى المؤثر في هذا التطور لرسم الخطوات الكبرى والأولية لهذه الحضارة، بدءاً من مركزية القرآن الكريم في صلب الحركة المعرفية الإسلامية.

العنونة في الثقافة الإسلامية

لم يعرف التاريخ كتاباً تسمى بـ "القرآن"، فهو اسم خاص بالكلام المنزل على الرسول ﷺ. وعملياً يعد مصطلح "قرآن" أول عنوان الحضارة الإسلامية. ورغم كونه اسم جنس دال على "الكلام المعجز المنزل على النبي ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتواتر المتعبد بتلاوته" (١) فقد وظف بدلالة عنوانية. والمتبع لقصة كتابة القرآن يلاحظ أن الصحابة الذين اهتموا بتدوين القرآن كسيدنا عمر وأبي بكر وزيد بن ثابت وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، كانوا يستعملون لفظة "قرآن" بعبء عنواني (٢) للدلالة على هذا الخطاب المعجز.



والعنوان موطن يجلي المجهود الذي صرفه العقل الإسلامي في هذا المجال، كمّاً وكيفاً. وللمس هذا الجهد نشير إلى أن تدوين المعرفة الإسلامية قد مرّ إجرائياً بثلاث مراحل أساسية هي: مرحلة الجمع والنقل، ثم مرحلة التدوين، وأخيراً مرحلة الترتيب والتصنيف.

تعد المرحلة الأولى حاسمة لتركيزها على تحصيل ما في الصدور من معارف؛ وتطلب ذلك جهداً كبيراً تجسّد في شدة الحرص على طلب كل ضروب المعرفة، ووضع الأسس الواقية من الوقوع في الزلل، والتثبت من صحة ما يجمع وينقل.

وأما المرحلة الثانية فكانت مرحلة التدبر فيما تم جمعه وتدوينه، تمهيداً للاستفادة منه في فهم القرآن والحديث في المقام الأول، والعلوم الأخرى التي نشأت على هامش الأصول الكبرى في المقام الثاني. وهي المرحلة التي صنفت فيها أمهات الكتب التي وضعت الثوابت المعرفية الأساسية للثقافة الإسلامية.

وأما المرحلة الثالثة فيمكن اعتبارها مرحلة إعادة التأمل فيما تم تدوينه من معارف بالشرح والتعليق والتفسير وضع الحواشي. ولكل مرحلة عناوينها المبرزة لطبيعة النشاط السائد. ويكفي العودة إلى المصنفات التي اهتمت بالتأريخ للمجهود الذهني كـ "الفهرست" لابن النديم و"تاريخ آداب العربية" لكارل بروكلمان و"تاريخ التراث العربي" لفؤاد سزكين، للوقوف على مدى التلاحم بين العنوان وطبيعة المرحلة تأليفاً وتصنيفاً والنشاط المعرفي السائد.

علوم القرآن ونشوء مدارس القراءات

فالنصف الثاني من القرن الهجري الأول كان هو البداية الفعلية للعنوان التخصصي في علوم القرآن، ونشوء مدارس القراءات، التي تكونت حول عدد من التابعين الذين تلقوا القراءات عن الصحابة في المدينة والكوفة والبصرة. وأقدم كتاب معروف في الموضوع كتاب عنوانه "كتاب في القراءات" ليحيى بن يعمر (ت: ٨٩ هـ / ٧٠٧ م)، وهو أحد تلاميذ أبي الأسود الدؤلي؛ وكتاب آخر لعبد الله بن عامر اليحصبي (ت: ١١٨ هـ / ٧٣٦ م)، وعنوانه "اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق". والراجح أن كتباً أخرى قد جرى تصنيفها في هذه المرحلة في ضوابط القراءة وقواعدها، وفي اختلاف المصاحف المستعملة في مختلف الأمصار، ولكن عناوينها لم تصل إلينا.

ويلاحظ في عناوين هذه المرحلة، على قلتها، إشارتها إلى المضمون إشارة مباشرة، زيادة على بساطة تركيبها، وأصالتها، وهي لا تعطي الانطباع بوجود تخصيص لمجال دون آخر.

لقد أصبح القرآن موضوعاً للتأليف والتصنيف منذ زمن متقدم

جداً، إذ لم تكد تصل نهاية القرن الأول الهجري حتى كانت تصانيف بعض علوم قد أخذت مكانتها، وبدأت شخصيتها تبلور. وتميزت عناوين هذه المرحلة بمميزات أهمها:

١- البساطة، وتتجلى في الإحالة على طبيعة الجهد الذي لا يخرج في الغالب عن دائرة القراءة والتفسير.

٢- الإحالة المباشرة على المضمون، والابتعاد عن التكلف اللغوي، والإطناب. ولذلك مبررات أهمها طبيعة المجال المشتغل فيه وهو القرآن الكريم الذي يحتم عدم التكلف؛ وطبيعة المرحلة التي تتميز بكونها بداية محتشمة ومسكونة بإعطاء فكرة صادقة عن المضمون دون زيادة.

٣- سيطرة النزعة التقريرية في بعض العناوين، وهو ما يفسر طول بعضها، كـ "كتاب اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق".

٤- تشابه عدد من العناوين في الصيغة كـ "كتاب المقطوع والموصول" الذي نجده عند عامر وعند حمزة الزيات، وكـ "كتاب القراءة" الذي نجده عند "ابن كثير" وعند "نافع". ويرد ذلك إلى عدم نضج فكرة العنوان لدى المصنفين الأوائل. فغالباً ما يضاف مضمون الكتاب إلى مصنفه، وتلك ممارسة تجد تحليلها: في قلة المصنفات مقارنة بالمراحل الآتية، وفي الحرص على الرواية الصحيحة التي تستند على التأكد من هوية المصنف، وهو مرتكز أخلاقي وحضاري سيفتح الباب لظهور علم الجرح والتعديل.

٥- الراجح أن عدداً من الكتب والرسائل لم يصل إلينا في الشكل والصورة التي صيغ بها ويحتمل أن تكون العناوين الحقيقية لهذه المصنفات ضاعت وعوض بها عناوين تقريرية ومباشرة، وهو ما يرجح تناقلها مشافهة في أول الأمر، ثم تدوينها بعد ذلك.

٦- وأخيراً فإن أصالة هذه العناوين ظاهرة وواضحة. فلا أثر فيها للمؤثرات الأجنبية الدخيلة، فهي من صميم الدين الجديد. وعلى العموم ففكرة صياغة العنوان لم تكن واضحة وجليّة نظراً للأسباب التي ذكرنا. فالإشارات الواردة في عناوين هذه المرحلة تعبر بشكل من الأشكال عن المدونة. فإذا قيل مثلاً "كتاب ابن عباس"، فهذه العبارة عنوان على مدونة لابن عباس دون فيها ما فسرته من آي القرآن الكريم وملاحظات أخرى.^(٤)

إن الغالب على عنوان هذه المرحلة هو الطابع التداولي الرامي إلى التسهيل على الراغب في التعرف على المضمون، مع ربطه بالمصدر المتمثل في اسم المؤلف. وإذا كان ضبط القراءة والتفسير هو عمق الجهد المطلوب في هذه المرحلة، فإن علة ذلك هي



الحاجة إلى الفهم الصحيح للقرآن والمحافظة عليه.

وأما بخصوص الحديث فالمؤكد تاريخياً أن تدوينه كان بدأ على عهد الرسول ﷺ، فقد روى الإمام أحمد في مسنده أن عبد الله بن عمر كان يكتب الحديث عن رسول الله ويكتب كل ما يسمعه عنه، وكان الرسول ﷺ يؤيده في ذلك، وكان عبد الله يسمي الرقعة التي كتب عليها الحديث "الصادقة"^(٥) التي نعتبرها أول مدونة في الحديث وأول عنوان فيه. ويوازيها عنواناً آخر هو "الصحيفة الصحيحة" وأطلقه همام بن منبه على مجموع الأحاديث التي سمعها عن أبي هريرة رضي الله عنه. وتأثير العنوانين في المصنفات الحديثية سيظهر جلياً في تصانيف كثيرة لاحقة. فقد عنونت الكثير من كتب الحديث بـ "الصحيح"، ولسنا هنا بصدد التأريخ لتدوين الحديث، ولكننا نرغب في تتبع التطورات التي عرفها عنوان المصنف الحديثي، لأنه يكشف عن قدر من التطور المنهجي والمعرفي الذي عرفه هذا المجال الذي توج في القرن الثالث الهجري بظهور أغلب المخامع الصحيحة التي تمثل عصارة جهود جمع الحديث ونقله من أفواه الرواة وصدور العلماء والمدونات المتفرقة.

العنونة وتدوين الحديث

وفيما يرجع إلى العنونة، فقد تطورت موازية لتدوين الحديث والتأليف فيه. يلمس ذلك من خلال بعض الكتب المصنفة خلال المراحل الثلاثة مثل "صحيفة" عبد الله بن عمرو بن العاص (الصادقة)، و"صحيفة" جابر بن عبد الله، و"الحديث" لنبيط بن شريط الأشحصي الكوفي وأمثالها من المصنفات.

الطابع الغالب على هذه العناوين هو عدم خروجها عن الإشارة إلى طبيعة المصنف، بالاكتماء بالإحالة على المادة التي كتب عليها النص (صحيفة)، أو بنوعية المادة المكتوبة (حديث)، ونسبة ذلك إلى مدونها أو الذي وجدت عنده ساعة التصنيف والجمع، دون الاعتناء بموضوع المصنف أو محتواه. الأمر الذي يسمح بأن نتصور بنية العنوان على هذه الصيغة: الحالة (حديث أو صحيفة) + اسم المصنف.

ولا تعكس هذه العناوين وعي العقل خلال هذه المرحلة بأهمية العنوان، لأنه لم يكن غاية في ذاته؛ فقد ظل مجرد دال على شكل ومضمون المعنون. الأمر الذي يعكس انشغال علماء الحديث برغبة الإسراع في تدوينه مخافة موت حملته الذين مات عدد منهم في الفتوحات، وسيعرف هذا الجهد فيما بعد بمصطلح "تقييد الحديث".

مهدت هذه مرحلة لظهور العلوم التي تهم بـ "تصنيف

الحديث". وشكلت بعض هذه المصطلحات وغيرها على الأرجح اللبنة الأولى لظهور كتب كثيرة تحمل عناوينها عبارة: "مصنف"، و"سنن"، و"موطأ"، و"جامع"، و"صحيح".

تتميز العناوين التي تمتد إلى حدود القرن الثالث الهجري بغلبة الطابع الموضوعاتي الذي يكشف عن وجود نزعة تقريرية في أغلب العناوين إن لم نقل كلها، إذ تحمل كل مدونة عنواناً يحيل على موضوعها (الأحاديث، كتاب الدعاء، كتاب الصلاة).

والمتنعم في الأسماء سيلاحظ أن العنوان ظل ميالاً إلى البساطة إلى حدود القرن الثاني الهجري، ولم تخرج هذه البساطة في الغالب عن إطار كلمة أو كلمتين (كتاب السنن، أحاديث، المناسك...).

وسيعرف النصف الأول من القرن الثالث تغييراً في بنية العنوان بميله إلى التركيب (كتاب الأمالي في آثار الصحابة - معرفة الرجال وسؤالات إبراهيم بن عبد الله الجنيد الختلي - كلام يحيى بن مصعب في الرجال "كتاب المجروحين"). كما

تجسد هذه العناوين دخول الحديث وعلمه مرحلة جديدة تميزت بالرغبة في التجديد وتدقيق الإشارة إلى المحتوى وضبط المادة، مما يعد امتداداً لطبيعة العنوان في المرحلة السابقة، ولكن مع ميل إلى التعامل مع الحديث في إطار موضوعات دقيقة، ككتاب المناسك، وكتاب الجهاد، وكتاب الصلاة، وكتاب البر والصلة.

ونلمس في عدد من العناوين البواكر الأولى لاستقلال كل علم من علوم الحديث بشخصيته وتخصيصه كـ "معرفة الرجال"، و"طبقات الرواة"، التي حملت في أحشائها بوادر بعض علوم الحديث الأساسية كعلم الرجال أو علم الجرح والتعديل أو طبقات المحدثين.

وتبدو هذه العناوين في الأخير أحادية الاتجاه لكونها مسكونة برغبة إخبار المتلقي بالمضمون في المقام الأول. الأمر الذي لا يترك مجالاً للعناية بالعنوان من الناحية الفنية، نظراً لسيطرة النزعة النفعية في بعدها الأخلاقي الديني على كل العناوين.

على الرغم من عدم وجود حدود صارمة تفصل مرحلة سابقة عن أخرى لاحقة في مجال المعرفة، فإن المرحلة اللاحقة ستعرف دخول علم الحديث مرحلة جديدة شكلاً ومضموناً. وقد عكس العنوان هذا التحول الذي تجسّد في العطاء الكثير وظهرت أئمة الحديث الكبار كالبخاري ومسلم والترمذي.

إن الملاحظة الأساسية التي تنطق بها مؤلفات هذا القرن هي غزارة التصنيف في هذه المرحلة، فهي كثيرة يمكن العودة إليها في الكتب التي تؤرخ للتراث. فالقرنان الثالث والرابع عرفا حركة فكرية نشيطة في كافة المجالات. وعلم الحديث أحد تلك المجالات التي تجسّد فيها النضج الفكري والحضاري للثقافة.



والتأمل في هذه العناوين سيلاحظ توجهها إلى:

١- الموسوعية، وتتجلى في الدلالة على عمق الاستقصاء والجمع (الجامع الصحيح - التاريخ الكبير - كتاب الطبقات - كتاب السنن...).

٢- التخصص، ويتمثل في تدقيق موضوع الكتاب (كتاب الضعفاء - كتاب الكنى - كتاب رفع اليدين في الصلاة - كتاب العلل - كتاب الجمعة...)، ويتمثل كذلك في بروز هوية أهم علوم الحديث كعلم الرجال المرتبط بعلم الجرح والتعديل، وعلم الرواة وطبقاتهم.

وإضافة إلى ذلك فإن الطابع التاريخي صار ميزة تسيطر على أغلب العناوين نظرا لارتباط علم الحديث بالتوثيق، وضرورة التيقن من سلامة رجال الحديث ونزاهتهم، إضافة إلى عامل المدة الفاصلة بين عصر هؤلاء المؤلفين وعصر الرسول ﷺ والصحابة والتابعين.

أسباب العنونة الطويلة

وعلى مستوى الصياغة بقي عنوان هذه المرحلة مشدودا إلى صورة الصياغة القديمة من حيث البساطة، وغلبة البنية الاسمية، وانعدام التركيب إلا نادرا، والارتباط المباشر بالمضمون، الذي أدى في بعض الأحيان إلى صياغة عناوين طويلة دون أن يصبح ذلك قاعدة كـ "تسمية الإخوان الذين روي عنهم الحديث" وكـ "معرفة المجروحين من الرجال". ويجسد الطول النسبي لهذه العناوين التطور الذي عرفته مضامين المؤلفات والتي بدأت تجمع بين الجمع والشرح والتفسير. فصياغة العنوان أصبحت تتم في ضوء الحرص على تقديم صورة دقيقة عن المؤلف. ويلمس ذلك بالعودة إلى "الجامع الصحيح" للبخاري. فقد قسم إلى كتب، ويدل مصطلح كتاب على الجزء أو الفصل، ولا يتجاوز العنوان مصطلح "كتاب" مضافا إلى كلمة واحدة تدل على الموضوع المراد الوقوف عنده كـ "كتاب الإيمان، وكتاب العلم، وكتاب الوضوء...". وهي بنية مركزية يجري تقسيمها إلى أبواب، ويحمل كل باب عنوانا قد يتسع طوله بحسب تشعب الموضوع كـ "باب الإيمان، وباب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام...". وكان البخاري حريصا فيما يبدو على أن يكون للباب عنوان يدل على مضمونه دلالة واضحة وبسيطة تسهل على المتلقي الوصول إلى مبتغاه.

ومن هنا يمكن القول إن البخاري في جامعه قد كان معنيا بمتلقيه؛ فالبعد التداولي في بنية العنوان التي تنطلق من استكناه أفق انتظار المتلقي يتحكم فيها عاملان؛ عامل ديني يتمثل في تسهيل الوصول إلى القضية الدينية كما وردت عن الرسول ﷺ، وعامل

موضوعي يتمثل في تنظيم المعرفة الدينية المتضمنة في الصحيح. ونظرا لأهمية صحيح البخاري في حياة المسلمين الدينية، لقي عناية كبيرة جدا. والعناوين المصنفة على هامشه شرحا وتفسيرا وضبطا تجسد ذلك. وهي جهود بدأت مع تصنيفه واستمرت إلى حدود القرن السابق، بل وما تزال إلى اليوم. وأهم ما يسجله التأمل فيما صنف على هامش هذه الموسوعة هو الكثرة والدقة والموسوعية والتنوع. وهي عناصر تحمل أكثر من دلالة، نتبينها من خلال تحليل بعض النماذج العنوانية مثل "منحة الباري في جميع روايات البخاري"، و"شرح مشكل البخاري"، و"العقل الجلي في حل إشكال الجامع"، و"الإفهام لما في الصحيح من الإهام"، و"نفحة المسك الداري لقارئ صحيح البخاري"، و"المتجر الريح على الجامع الصحيح...".

تدل هذه العناوين دلالة مباشرة على مضامينها، وهي تحمل في طياتها بعدا دلاليا دقيقا يدل على حاجات المتلقي المتزايدة إلى الجامع الصحيح، تبعا لتغير أوضاع الحضارة؛ وتدل من جهة أخرى على تبعيتها إلى مصدر واحد ترفع من قيمته التداولية بين الناس مع عمق الإشارة إلى الموضوع المعالج.

ومن الخصائص المتصلة ببعض العناوين، تمثيلها لطبيعة المرحلة من الناحية الفنية. فابتداء من القرن الثامن أخذ العنوان يأخذ مسلكا غير معهود من قبل، وهو سيطرة الصنعة في بنائه من خلال التركيز على التناغم الموسيقي المتمثل في السجع والجناس والطباق. فالعنوان كغيره من ضروب المعرفة الأخرى عكس مستوى الضعف الذي عرفه العالم الإسلامي والذي تجسد في العناية بالأشكال قبل المضامين، وإن كانت هذه الصنعة تعكس عناية بالمتلقي. كما تعكس بعض العناوين صورة الحياة التي عاشها المسلمون على امتداد الرقعة الإسلامية، ويتجلى ذلك في الرياض والرياحين والأثمار والأزهار التي تضمنتها بعض العناوين مثل كتاب "روضة العقلاء ونزهة الفضلاء".

وحسبنا في هذه العجالة أن نبه المهتمين والباحثين إلى قيمة البحث في مجال العتبات التي يتحتم المرور منها قبل الولوج إلى النص. ■

(٥) جامعة شعيب الدكالي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الجديدة / المغرب

الهوامش

(١) مباحث في علوم القرآن، لصبيحي الصالح، ص ٢١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٩-٧٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٧٧-٧٨.

(٤) العنوان في الأدب العربي، لمحمد عويس، ص ١٠٥.

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد، ٢٦٢/٤.



كما تتساقب قطرات الفيث من بين الغيوم،
هكذا ينساب جمال النفس من القلب الموصول بالله...



مع النبي ﷺ في أحزانه

إدريس بن علي بن عبد الله

أخرى نعتقد أنه خاص بالرسول ﷺ. فحزنه عليه السلام حزن محبب، كما أن ابتسامه ابتسام وقور، وهذا يدل على صعوبة الكلام عن حياته ﷺ الروحية والمعنوية.

ومن هنا عندما نلقي نظرة على ما أُلّف عن رسول الله ﷺ نجد الكتب التي تتحدث عن عالمه الداخلي هي قلة قليلة جداً. ويؤيد قولنا هذا -ولو من جهة أسماء الكتب- كتاب صلاح الدين المنجد المسمى بـ "معجم ما أُلّف عن رسول الله ﷺ".^(١) نريد أن نتحدث في مقالنا هذا عن موضوع لم نر في الكتاب المذكور آنفاً اسم أي بحث عنه، وهو "حزن النبي ﷺ". ففي الكتب المشهورة حول سيرته ﷺ من أمثال "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" للقاضي عياض، و"زاد المعاد" لابن القيم،

إن سبز أعماق أي إنسان صعب جداً، فالجوانب الأعماقية ليست سواء عند كل الناس، فالكلام عن الحالة النفسية لشخص ما -حتى ولو كان إنساناً عادياً- ليس بالأمر اليسير؛ لأن هذا الجانب موضوع ذاتي يختلف من شخص لآخر. فما بالك إذا كان الحديث عن العوالم الداخلية للنبي المصطفى (عليه أكمل التحايا) الذي هو معلّم جميع البشر ومرشدهم؛ لأن عالمه الداخلي ﷺ يتضمن أمثلة عالمية مثالية. فالدين حاولوا أن يقصّوه ﷺ علينا من الناحية الخلقية والخلقية يلفتون أنظارنا إلى كونه ذا وجه طليق دائم الابتسام، وذا مسحة حزن خفيفة تغشى وجهه الكريم، ويركزون على هذا الوصف. فكون المرء في آن واحد محزوناً من ناحية ومتبسماً من ناحية



و"المواهب اللدنية" للبايجوري، لم نعثر على موضوع تحت عنوان "حزن النبي ﷺ". ولكن من البديهي أن المواضيع والأحداث التي تسببت في حزنه ﷺ، هي في غاية الأهمية من حيث كونها تنم عن حياته الوجدانية والروحية.

العبد الأسوة والنبي الخاتم محمد ﷺ في حزنه وألمه أيضا هو أسوة لأُمته والإنسانية جمعاء. فهو النموذج المثالي الذي يمثل القمة العليا في كافة الأعمال الفاضلة التي تناسب طبيعة الإنسان وفطرته التي فطره الله عليها. ومن ثم فهو قدوة في عواطف الحزن والألم كذلك، وهي من الجوانب الفطرية للإنسان. وهل التربية سوى تهذيب العواطف والسلوكيات..!

فحزنه ﷺ من حيث كونه قدوة للأمة، ورسولا للهداية، ومرشدا، ومعلما، ومصلحا، ورئيسا للدولة، يختلف تماما من حيث العمق والمستوى عن حزنه وتألمه كإنسان، كآب، كصديق، كزوج... إلخ. ولكن من الصعب جدا تمييز هذه الحالات عن بعضها أثناء كل حادثة؛ ولذلك حاولنا تقديم الموضوع ككل ولم نهج طريقة تقسيم حالاته المذكورة من حيث "كونه بشرا" و"كونه رسولا"، وإن بدا التقسيم الموضوعي أكثر منطقيا. فعلى هذا سنقدم باقة من حياته ﷺ التي تشكل مثالا ومقياسا في حزن المؤمن وألمه.

بادئ ذي بدء نريد أن نلفت الأنظار إلى قاعدة وهي أن الأنبياء عليهم السلام لا يرفعون آلامهم وأحزانهم إلا إلى الله تعالى. وقد سجل هذا وأعلن على لسان يعقوب عليه السلام في القرآن الكريم: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزِّي إِلَى اللَّهِ﴾ (يوسف: ٨٦). أما نبي الحزن ﷺ فقد شكّا حزنه أثناء عودته من الطائف إلى ربه قائلا: "اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك، أو يحل عليّ سخطك. لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك." ^(١) ورفع النبي ﷺ أحزانه إلى الله تعالى ليست خاصة بحادثة، بل هي عادة جارية في كل أموره.

ونلاحظ الصادق المصدوق ﷺ يعبر عن مدى اطمئنان قلبه أثناء الهجرة في غار ثور عندما يهدئ روع صاحبه أبي بكر ويخفف من وطأة حزنه قائلا: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: ٤٠). فكونه في منتهى الثقة والاطمئنان في تلك اللحظة المرعبة وطمأنته

لصديقه الصديق ما هي إلا ترجمة فعلية منه ﷺ بلسان القول والحال لقول الله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة: ٦٧). إن حزنه وقلقه في ذلك الموقف العصيب لم يكن بسبب ما يمكن أن يتعرض له من أذى أبدأ، إن حزنه كان أوسع وأضخم من ذلك بكثير، إنه حزن عظيم يحتضن أمته والناس أجمعين. وقول الله ﷻ ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ (التوبة: ١٢٨) يدل على صحة هذا المعنى.

أما شفقتة وحنانه ورأفته، ورغبته وحرصه على اهتداء الناس إلى الطريق القويم كان يقض مضجعه ولا يدعه يتذوق حلاوة النوم، وقول الله تعالى ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ٣) أفضل ما يعبر عن هذا المعنى. فذات مرة جاء المشركون إلى سيد الأنام ﷺ وسألوه عن بعض الأمور، فقال لهم رسول الله ﷺ: "أخبركم بما سألتكم عنه غدا"، ولم يستثن، فانصرفوا عنه. فمكث ﷺ -فيما يذكرون- خمس عشرة ليلة لا ينزل الله إليه في ذلك وحيا، ولا يأتيه جبريل. فحزن سيد الأوّابين ﷺ لانقطاع الوحي عنه، وشقّ عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبريل من الله ﷻ بسورة أصحاب الكهف، فيها معانيته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية، والرجل الطواف، والروح. ^(٢) وقوله تعالى ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (الكهف: ٦) يدل على حالته ﷺ الروحية أثناء هذه الأحداث. فهذه الآيات تدل على مدى استشعاره -كرسول الهداية- بالآلام، وضخامة حزنه من أجل إنقاذ البشرية. ونعتقد أن "حزن النبي ﷺ" هو متركز في هذه النقطة؛ وأن محور حزنه ﷺ هو الإيمان، ومركزه الهداية: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (النمل: ٢٣)... فهذه الآية دليل قرآني على هذه الحقيقة، فحزنه ﷺ كان ساميا وفريدا من نوعه.

ومن ناحية أخرى لم يكن سيد الأنام ﷺ ملاكاً، فمن الطبيعي أن تظهر عليه بعض الحالات المتوقعة من البشر. ولكنه عاش حياة نموذجية ومثالية للغاية على مستوى عالمي بدت معالمها وانعكاساتها على عواطفه وأحاسيسه بنفس المستوى وبمنتهى الاتزان.

إن دعوة لم تتغذ بالأحزان ولم تتقلب بالهم والآلام لن تثمر أبدا. إن الدعوة إذا فشلت في مخاطبة عواطف الإنسان السامية وإثارة مكان الحزن المقدس، فلن تكون دعوة إنسانية جماعية. ولن يكون أصحابها دعاة حقيقيين.

يروى لنا القاضي عياض (٥٤٤هـ/١١٤٩م) رحمه الله في



٢- كونه ﷺ مهاجرًا

فقد اضطر مَفخرة الإنسانية ﷺ إلى الهجرة من مكة تحت ضغط المشركين. وفي أثناء الهجرة اتجه نحو مكة واقفا على الحزورة، فقال: "ما أطيبك من بلد وأحبك إليّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك".^(٨)

إذا كانت مشاعر الحزن المؤلمة تغمر جوانح الإنسان -لا محالة- لدى فراقه لمزله أو قريته أو مدينته بإرادته، فما بالك إذا كان هذا الفراق بسبب الاضطهاد والإبعاد، وإذا كان هذا الشخص رسول الله ﷺ. فهو بكلماته المؤثرة عبر عن أحاسيسه نحو كعبة التوحيد في إطار بشري طبيعي مشيرا إلى مصدر حزنه ﷺ الحقيقي.

٣- كونه ﷺ أبًا

النبي ﷺ قد حزن على ولده إبراهيم وحفيده من زينب أثناء وفاتهم، وعبر عن مدى حزنه بسكب عباراته الشريفة. فلنتابع معًا الرواية في هذا الصدد:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سفيان القيني، وكان ظنرا لإبراهيم عليه السلام، فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقبله وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك، وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟ فقال: "يا ابن عوف، إنها رحمة". ثم أتبعها بأخرى، فقال ﷺ: "إن العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون"^(٩) وبقوله الشريف هذا عبر عن عمق تأثر مشاعره بموت ولده.

فشرف نوع الإنسان ﷺ -بلا شك- كان يفصح عن أسى وأجد أحاسيس حزنه نحو ابنه. وقد أظهر لنا كيفية تصرف المسلم المثالي حيال تلك الظروف، وأثبت ﷺ أن البكاء ودمع العين وحزن القلب لا يخالف شأن الرجولة، وأن الصراخ وتمزيق الملابس وشق الجيب وراء الميث ليس من شأن المسلم ولا يليق به.

٤- كونه ﷺ زوجًا أو رب أسرة

النبي ﷺ كزوج عاش أحزانًا كثيرة... عاش حزنًا بفقدان أمنا

كتابه "الشفاء" عن علي رضي الله عنه، أنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن سنته، فقال: "المعرفة رأسمالي، والعقل أصل ديني، والحب أساسي، والشوق مركبي، وذكر الله أنيسي، والثقة كنزي، والحزن رفيقي".^(١٠)

والذين يصفونه ﷺ يركزون على حزنه المتواصل ودمومة فكرته، قال ابن أبي هالة: كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة...^(١١) ذكر هؤلاء "الحزن" و"الفكرة" معًا يعني أنه ﷺ قد جمع بين المشاعر السامية والتفكير. فسيد البشر ﷺ كان يظهر فرحه بابتسامة؛ أما إظهار حزنه أحيانًا فكان بإهراقه الدموع الساخنة، وأحيانًا بتكراره عبارة أكثر من مرة، وأحيانًا -ولو بندرة- بالدعاء على من أحزنوه؛ لأن الدموع إن كانت نوعًا من إظهار الحزن، فالدعاء على المتسببين للحزن هو طريق آخر لإظهار الحزن.

١- كونه ﷺ صديقًا وقريبًا

من ناحية أخرى ما حزن رسول الله ﷺ حزنًا يستمعه من الحياة، ولكن فقدان أحبائه قد أحزنه مثلما يحزن أي إنسان. فالعام الذي توفيت فيه زوجته خديجة رضي الله عنها، وعمه وحاميه أبو طالب كان "عام الحزن" لجميع المسلمين وعلى رأسهم النبي ﷺ. ويوم استشهاد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، ذهب النبي ﷺ إلى بيت جعفر وضم أولاده إلى صدره، ومسح رأسهم بشفقة وبكي. فعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ، أنها قالت: "لما أتى نعي جعفر عرفنا في وجه رسول الله ﷺ الحزن".^(١٢)

ولما أصيب زيد بن حارثة في معركة "مؤتة"، أتاهم النبي ﷺ، فجهشت بنت زيد، أي تحركت وهمت بالبكاء في وجه رسول الله ﷺ فبكى رسول الله ﷺ حتى انتحب. فقال له سعد بن عباد: يا رسول الله ما هذا! قال: "هذا شوق الحبيب إلى حبيبه"^(١٣)

خديجة رضي الله عنها وذكرها في ذهنه دائما.. وعانى الحزن بافتراء المنافقين على أمنا عائشة الطاهرة رضي الله عنها في حادثة "الإفك".. وتجرع الحزن بالابتعاد عن أزواجه تسعة وعشرين يوما في حادثة "الإيلاء". وفي جميع هذه الحالات عانى الرسول كزوج ورب أسرة من أحزان عميقة بأبعادها المختلفة، حتى إن الحزن الذي كابده أدى به أحيانا إلى المقاطعة والتّرك.

٥- كونه ﷺ قائدا وإماما

لما جاء رسول الله ﷺ خبر بئر معونة وقتل سبعون من صحابته الكرام ظهر حزنه ﷺ بالدعاء على قتلهم قائلا: "اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف، اللهم عليك ببني لحيان وعضل والقارة وزغب ورعل وذكوان وعصية فإثم عصوا الله ورسوله" (١٠) فعندما يصف لنا أنس بن مالك ﷺ حالة النبي ﷺ آنذاك يقول: "ما رأيت رسول الله ﷺ وجد على شيء قط ما وجد على أصحاب بئر معونة" (١١).

فدعاء النبي المرسل رحمة للعالمين ﷺ على مضر من أجل شدة حزنه، له معان خاصة جدا؛ لأن منع تبليغ الإسلام وقتل العلماء بنصب كمين لرجال الإرشاد والعلم الساعين في نشر الدين الإسلامي قد دفع الرسول ﷺ إلى حزن بالغ. وبدعائه ﷺ على المجرمين طوال شهر بالهلاك، كان يعلن هذه الجريمة الشنيعة إلى كل العالم بأسلوب بليغ. ونعتقد أن هذا الدعاء النبوي بالهلاك، في الآن نفسه موجه إلى من يقف ضد تبليغ الإسلام ودعائه وفي جميع الأزمنة.

٦- أسباب أخرى لحزن النبي ﷺ

نرى نبي الحزن ﷺ قد حزن من تصرفات بعض أصحابه خاصة وأُمته عامة، وقام بالإفصاح عن حزنه لمن حوله. وفيما يلي سرد لبعض الأمثلة.

أ- التباطؤ في الامتثال لأوامره ﷺ

لما واثق رسول الله ﷺ المشركين في الحديبية عام الحديبية وحال كفار قريش دون البيت، أمر رسول الله ﷺ المسلمين أن ينحروا ويجلسوا، ولكن ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات. فلما لم يقم منهم أحد -لأن بعضهم كان قد استثقل بعض مواد الصلح، وبعضهم لا يزال يأمل في العمرة- قام فدخل على أم

سلمة رضي الله عنها فذكر ذلك لها. فقالت أم سلمة: "يا نبي الله! اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم بكلمة حتى تنحر بطنك وتدعو حلاقك فتحلق". فقام فخرج فلم يكلم منهم أحدا حتى فعل ذلك، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا، ففعلوا ولكن بعد توقف منهم كان قد أغضب رسول الله ﷺ. وفي رواية عندما أمرهم، حلق رجال وقصر آخرون؛ فقال رسول الله ﷺ: "يرحم الله المحلقين"، قالوا: والمقصرين يا رسول الله! قال: "يرحم الله المحلقين"، قالوا: والمقصرين يا رسول الله! قال: "يرحم الله المحلقين"، قالوا: والمقصرين يا رسول الله! قال: "والمقصرين"، فقالوا: يا رسول الله فلم تظاهرت بالترحم للمحلقين دون المقصرين؟ قال: "لم يشكروا" (١٢).

ب- الجهالة

ففي مقدمة الأمور التي دفعت الرسول إلى الحزن وجعلته يغضب ويتأذى، هو مسارعة بعض المسلمين بإبداء آرائهم من دون روية -كما ينبغي- في بعض الأمور وتسببهم في أخطاء. والحادثة التالية موضحة لهذا الأمر بأحسن صورة. عن جابر ﷺ قال: خرجنا في سفر فأصاب رجلا منا حجر فشجّه في رأسه. ثم احتلم، فسأل أصحابه فقال: "هل تجدون لي رخصة في التيمم؟" فقالوا: "ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء". فاغتسل فمات. فلما قدمنا على النبي ﷺ أخبر بذلك فقال: "قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر على جرحه خرقة، ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده" (١٣).

فإظهار الرسول ﷺ مدى حزنه بهذه الطريقة، وتفسيره للحادثة بهذا الشكل، والدعاء على من أفتى بقوله "قتلوه قتلهم الله"، هو تهديد وتأييد لمن يُفتي في أمور الدين دون الاطلاع على حقيقة الأمر. فقول الرسول ﷺ المذكور يدل من ناحية على عمق حزنه وتأثره بالحادثة، ومن ناحية أخرى هو تنبيه وتحذير لمن سيكون في وضع من يُفتي بغير علم. فليتنبه الذين يُبدون آراءهم ويقولون في أيامنا هذه في الأمور الدينية بغير علم، دون أن يكون لهم نصيب من العلم في أمور الدين، ودون الخوف من الإفتاء فيما يجهلون حكمه.

ج- الغلظة

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة، فصباحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم: فلما غشيناها قال: "لا إله إلا الله"، فكف الأنصاري عنه، فطعنته برمح حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ فقال: "يا أسامة! أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله". قلت: كان متعوذاً. فما زال يكررها، حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم".^(١٤)

فهذه الحادثة مختلفة عن السابقة من ناحية. فالتصرف في تطبيق الموضوعات الدينية ثم القضاء على حياة مسلم كما دفع الرسول ﷺ إلى الحزن، كذلك محاولة تفسير الدين من وجهة قناعات شخصية وصيها في هذا القلب أحزنه ﷺ أيضاً. أما سلوك الرسول ﷺ بهذه الطريقة نحو الحادثة المذكورة للتركيز على أن أحوج ما تحتاجه المسائل والأوضاع من اعتدال وتبجيل وتطبيق على بصيرة هو أثناء القيام بأداء الوظيفة الدينية، وأن العلاقات بين المسلمين لا بد أن تجري وفق الروح الإسلامي، وعكس هذا هو سبب في "الحزن".

د- الإفراط والتفريط

ومن الأسباب التي أحزنه ﷺ وأغضبه هي الابتعاد عن خط الاعتدال في اتباع السنة النبوية من خلال ابتداء مبررات لا أساس لها. فتنبه الرسول المجتبي ﷺ في هذا الموضوع كان جاداً وذا أبعاد مهددة. عن مسروق أن أماً عائشة رضي الله عنها قالت: صنع النبي ﷺ شيئاً فرخص فيه فتزهر عنه قوم فبلغ ذلك النبي ﷺ فخطب فحمد الله ثم قال: "ما بال أقوام يتزهدون عن الشيء أصنع، فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية"^(١٥) وهناك مثال آخر في هذا الموضوع يمكن ذكره في هذا الصدد: عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبروا، كأنهم تقالوها، فقالوا: "وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر". قال أحدهم: "أما أنا فإني أصلي الليل أبداً"، وقال آخر: "أنا أصوم الدهر ولا أفطر"، وقال آخر: "أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً". فجاء رسول الله ﷺ فقال: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد"

وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني".^(١٦) فمثل هذا التهديد والتنبية هو عبارة عن حزن ذي أبعاد غاضبة.

هـ- الحزن بسبب التفرقة والاختلاف

فكل تصرف يؤدي إلى تفرقة الأمة وفقدان وحدتها كان يغمر الرسول ﷺ في حزن عميق. وأكبر دليل على هذا هو ما قاله لمسلمين يشتجران ويدعو كل منهما عشيرته ليعينه. ونعتقد أن الأمة الإسلامية الممزقة اليوم إلى آلاف قطع سبب حزن له صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى.

حزن عظماء الرجال يتناسب مع قدرهم فيكون كبيراً وعميقاً. أما حزن سيد السادات ﷺ فهو أعظم حزن وأسماء دون شك. فسيّد الأنبياء ﷺ كما هو فريد في شمولية نبوته، كذلك هو متفرد في عمومية حزنه، بحيث يغمر جميع الكائنات ويشمل الناس أجمعين. فالرسول ﷺ أسوة حسنة في ضبط وموازنة جميع تصرفات المسلمين وسلوكهم ومعاملاتهم. كذلك هو قدوة في عمق الحزن ومصدره وغايته. ■

(١٤) جامعة مرمره، كلية الإحيات - إسطنبول / تركيا. الترجمة عن التركية: أشرف أونون

الهوامش

(١) صلاح الدين المنجد في كتابه "معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ" يذكر اسم كتائين في هذا المجال وهما: "روحانية الرسول ﷺ" لمحمد الغزالي، بيروت؛ و"حياة محمد" لعلي عبد الجليل، القاهرة ١٩٦٤م.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، ٦١/٢-٦٢.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام، ٣٢٢/١-٣٢٣.

(٤) الشفا للقاضي عياض، ٢٨٨/١-٢٨٩.

(٥) الشفا للقاضي عياض، ٢٨٨/١-٢٨٩.

(٦) السيرة النبوية لابن هشام، ٢٢/٤-٢٣.

(٧) الطبقات الكبرى لابن سعد، ٤٧/٢.

(٨) الترمذي، المناقب ٦٩.

(٩) البخاري، الجنائز ٤٣؛ مسلم، الفضائل ٦٣.

(١٠) البخاري، الأذان ١٢٨؛ الطبقات الكبرى لابن سعد، ٥٣/٢.

(١١) المسند للإمام أحمد، ١٣٧/٣؛ الطبقات الكبرى لابن سعد، ٥٤/٢.

(١٢) السيرة النبوية لابن هشام، ٣٣٤/٣.

(١٣) أبو داود، الطهارة ١٢٥؛ ابن ماجه، الطهارة ٩٣.

(١٤) البخاري، المغازي ٤٥، الديات ٢.

(١٥) البخاري، الأدب ٧٢.

(١٦) انظر إلى: البخاري، النكاح ١؛ مسلم، النكاح ٥.

العظام البشرية

مصدر إلهام للهندسة المعمارية

أ.د. محمد سامي بولات أوز*

بالاهتزاز في أثناء سير المارة عليه، الأمر الذي وضع المصممين في موقف حرج، في حين أن توقع تحركات جسر تم إنشاؤه والتعبير عنه بمعادلة واحدة بسيطة سيكون أكثر سهولة.

هناك فوائد أخرى لهذا التصور الجديد؛ فإن "فينسنت" من جامعة "ريدنج" يقول: "إذا كان هناك بيان رياضي واحد لبناء بأكمله، فذلك يعني أن البيان متماسك ومتكامل إلى أقصى حدود". ومن ثم إذا كانت الأشكال الهندسية تتغير ببطء دون أن تُبدي تغيراً مفاجئاً، فهذا يعني أن هذه الأنواع من المباني منشآت منتظمة التغير ومتماسكة البناء. أما المنشآت التي تتعرض لتغيرات آنية ومفاجئة، فإن التمددات تتكاثف وتزداد لتكون مناطق ضعيفة تساعد على إسراع تحطم الخانات وتشمعها. في حين أن التغير في البناء العظمي منتظم ومتماسك ويزيد من مقاومة الكيان العظمي ومتانته، وذلك يساعد على توزيع الطاقات بشكل أكثر تجانساً وتوازناً داخل البنية. من هنا يمكن القول بأن الأشكال الهندسية التي يتم إعداد تصاميمها بوحى من النظام العظمي في جسد الإنسان سوف تتمتع بنفس الأوصاف المذكورة.

إن هناك حاجة ماسة لأبحاث ودراسات متقدمة تفسح المجال أمام إمكانية نقل التصاميم العظمية إلى قطاع الهندسة المعمارية. ولما كانت هذه التصاميم شديدة التركيب والتعقيد فيجب فهم خصائص كافة الأشكال بالتفصيل، وإلا فإن التقليد الأعمى لن يؤدي إلى أي فائدة.

هذا، ومع تطور العلوم الحديثة اليوم يمكن فهم أسرار التصاميم العجيبة الموجودة في أجسام الكائنات الحية بصورة أفضل والاستفادة منها في مجالات شتى من الحياة. كما يمكن كذلك فهم العناية الربانية الشاملة والعلم الإلهي المحيط والحكمة الخارقة والصنعة البديعة المتألفة في كل مكان. ■

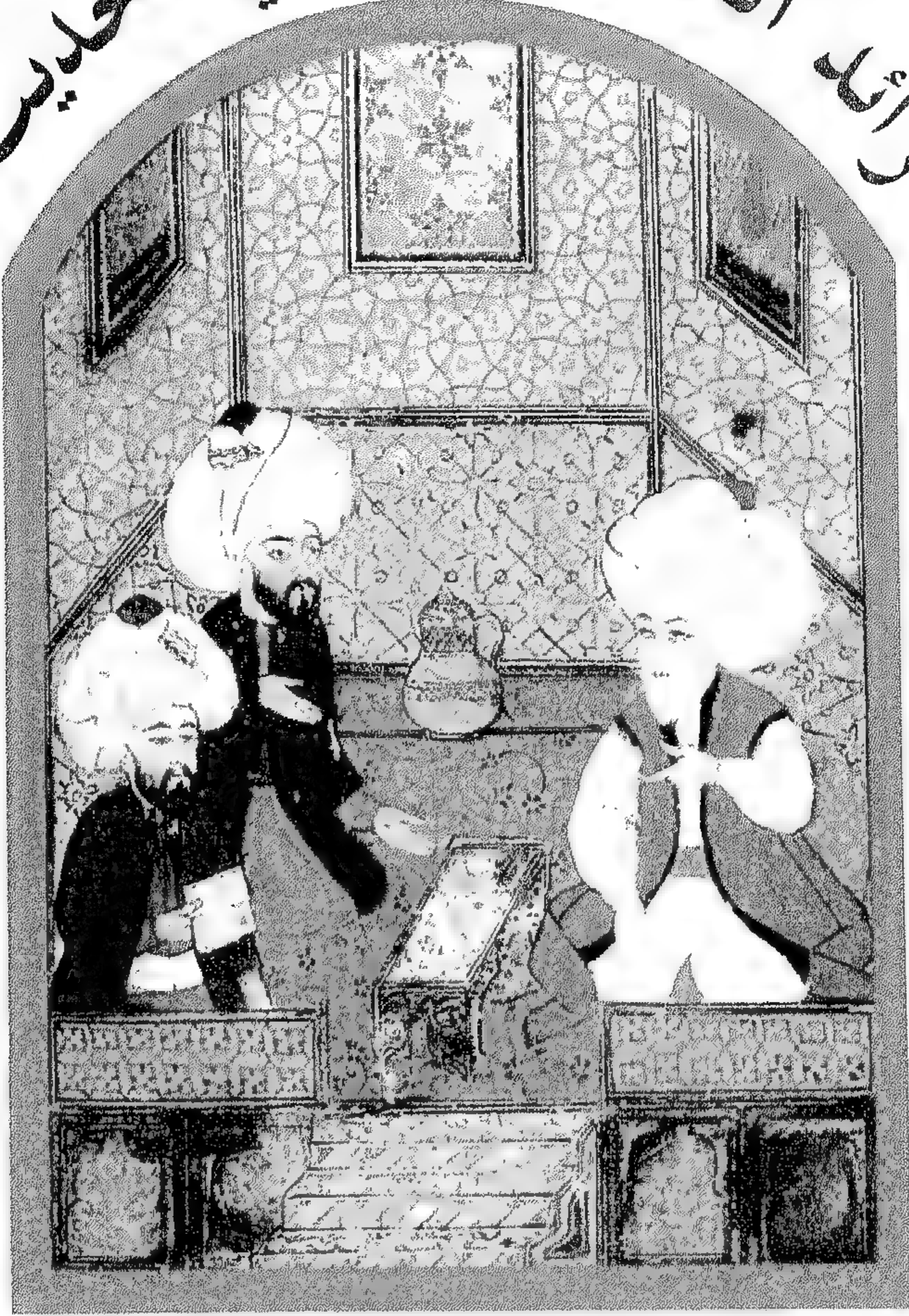
(*) كاتب وباحث تركي. الترجمة عن التركية: أ.د. الصفصافي أحمد القطوري.

باتت تصاميم العظام الإنسانية تشكل مصدراً للهندسة المعمارية الحديثة. لقد نجح مهندسان معماريان بريطانيان في تصميم جسر مستلهم من عظام العمود الفقري.

إن الكائنات الحية تستطيع أن ترفع الأحمال الثقيلة بمنتهى السهولة بفضل تكوين هيكلها العجيب ونظامها العظمي الخارق الذي متعها الخالق الحكيم به. "كريس ويليامز" من جامعة "بات" يقول: "ليس هناك أدنى شك في أنه لو تمت مقارنة يد الإنسان مع أي جهاز مُصنَّع، فسيوضح أن هيكل اليد العظمي يعمل بصورة أكثر دقة وأرقى جودة".

إن العظام تمتلك تكويناً هندسياً في منتهى التعقيد والتركيب. الأمر الذي يضع الباحثين أمام جهد كبير للاستفادة منه في التصاميم المختلفة. بيد أن "ويليامز" وزميله "نسوغه" قد طوراً نموذجاً في الرياضيات أثبتا من خلاله إمكانية إنجاز منشآت معمارية تشبه التصاميم العظمية. إن "ويليامز" استطاع أن يبني جسره المركب ويعبر عنه بالاعتماد على معادلة رياضية بسيطة. فلقد كانت الجسور التقليدية تتكون من عناصر كثيرة ومختلفة في خواصها الميكانيكية؛ كما أن الثقل الذي يحمله كل عنصر يختلف كذلك. وفي هذه الحال يصعب التكهن بالكيفية التي ستتحرك بمقتضاها هذه العناصر بعد تركيبها. فمثلاً جسر "ميلنيوم" في لندن بدأ

رائد الفكر الإسلامي الحديث



شيخ الإسلام مصطفى صبري

م. أ. د. عمار جيدل *

نبذة عن حياته

فمن هو شيخ الإسلام مصطفى صبري وأين نشأ وترعرع وتعلم، وما الأعمال التي تؤكد ما ملنا إليه في مدخل المقالة؟ ولد الشيخ مصطفى صبري من أبوين تركيين في تاريخ ١٢ ربيع الأول ١٢٨٦ هـ — ١٨٦٩ م في الأناضول بمدينة "توقاد" التي ينسب إليها. تتلمذ في بداية تحصيله العلمي على يد والده الأستاذ أحمد التوقادي، وأتم دراسته الأولية في مسقط رأسه حيث حفظ القرآن الكريم بها، ثم واصل رحلة التحصيل بمدينة قيسري، ثم انتقل بعدها إلى الآستانة ونال إجازتين. انخرط مصطفى صبري ابن الثاني والعشرين ربيعاً في سلك كبار المدرسين بصفة أستاذ محاضر في جامع السلطان محمد الفاتح، بعد امتحان التدريس

العلماء في الثقافة الإسلامية ورثة الأنبياء، لهذا يعد عملهم امتداداً لعمل الأنبياء، فينسجون وفق مسلك الأنبياء في إنقاذ مجتمعاتهم من دركات فساد الاعتقاد والأخلاق والقوانين وسائر الأحوال. والقيام بتلك الوظيفة على أكمل وجه يقتضي من العلماء استصحاب المعطى الثقافي والحضاري الذي تتحرك فيه دعوتهم فاعلة ومتفاعلة. ولعل أصدق أنموذج معبر عن استحضار لتلك المعطيات من الناحية النظرية، العمل الجبار الذي أنجزه شيخ الإسلام مصطفى صبري رحمه الله؛ فقد كان بحق رائداً من رواد المقاومة الفكرية في المجتمع العثماني الحديث.



بدرجة مدرس عام سنة ١٣٠٧هـ/١٨٩٠م. وقد تخرج على يديه عدد لا يستهان به من الطلبة، ويذكر أنه سلّم إجازات لخمسین طالبا. اختير بتاريخ ١٦ يناير ١٩٠٠م عضواً في ديوان القلم (أمانة السر). واختارته هيئة كبار العلماء المعروفة بالجمعية العلمية رئيساً لصحيفتها الأسبوعية التي كانت تصدرها بعنوان بيان الحق، ليعيّن بعدها عضواً في دار الحكمة "هيئة كبار العلماء"، تولى بعدها تدريس الحديث الشريف في مدرسة السليمانية. اختير نائباً عن مدينة توقاد في المشروطية الثانية بتاريخ ١ يناير ١٩٠٨م، ثم تولى في عهد وزارة الداماد فريد باشا الأول المشيخة الإسلامية سنة ١٩١٩م بناء على الإرادة السلطانية، وظل محتفظاً بمنصبه في الوزارتين المتعاقبتين.

ولما ضاق به حال البلاد بناء على ما تعرّض له من ضغط وتقييد اضطر إلى الهجرة. سافر إلى مصر سنة ١٩٢٣م ومنها إلى لبنان، وبقي على تلك الحال متنقلاً، فزار مكة، وعاد إلى مصر سنة ١٩٣٢م وهذا بعد الإقامة القصيرة بتركيا.

آثاره العلمية ووقفه مع كتاب "موقف العقل"

تتوزّع آثاره العلمية على العديد من أنواع التأليف؛ ففيها الكتاب الجامع وفيها الكتاب البسيط ومنها أيضاً المقالات المتخصصة. وقد ألف باللغتين العربية والعثمانية (التركية القديمة). وأهم كتبه: النكير على منكري النعمة من الخلافة والأمة، موقف البشر تحت سلطان القدر، قولي في المرأة ومقارنته بأقوال مقلدة الغرب، القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون بالغيب، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين.

تضمن كتاب "موقف العقل" زبدة أفكاره وآرائه السياسية والعلمية. فهو كتاب غني بالمطارحات الفكرية المتنوعة حيث تجد المناقشات الفلسفية العالية والكلامية الدقيقة والسياسية في جانبها النظري والعملي. والكتاب من عنوانه يدل على أن الغرض الأصلي منه هو الدفاع عن عقيدة الإسلام. والقيام بهذا العمل فرض عليه الحديث المسهب عن كثير من القضايا حيث أنه:

- كشف المؤامرات التي تعرّض لها الإسلام من زاويتي التحدي بالسلاح من خلال هجمات الغربيين، والتحدي الفكري العقدي الذي تقوده قوى الإلحاد والفجور، فعمل بهذه المطارحات على مجابهة الفريقين.

- بيّن في كتابه قيمة الدليل العقلي مقارنة مع الأدلة التي استند إليها المثقفون الغربيون أو المتغربون. فبرهن بأن الدليل العقلي

أيقن من الدليل التجريبي، ويعد النقاش في هذه المسألة تأريخاً لوجودها في البيئة الإسلامية المعاصرة.

- ناقش أدلة فلاسفة الغربيين على وجود الله، كما ردّ شبه النافين من الملاحدة. وهذا الجهد يدل على إحاطته بالفكر والفلسفة الغربيين عامة بخلاف ما ذهب إليه بعض الباحثين.
- حارب الشبه المعربة عن الفكر الغربي (المترجمة)، والتي منها الاستخفاف بالدليل العقلي والاستناد الكلي للدليل التجريبي، حتى غدا المنهج التجريبي هو المنهج الأصيل والوحيد الممثل للثقافة الإسلامية.

ولقد نشر للشيخ مصطفى صبري مقالات باللغة التركية والعربية في الجرائد اليومية، كما نشر له مقالات في المجالات العلمية في تلك الفترة. وتعد هذه المقالات على تنوعها دفاعاً عن الإسلام وإبرازاً لقوته العلمية. إنه حاول إرجاع هبة الإسلام المفقودة، وذلك ببعث قوّته العلمية والفكرية في ساحة كثر فيها العلماء المعجبون بالغرب وحضارته وفلسفته، حتى عد المنافع عن دينه وحضارته أمتة نشازا يشار إليه بالبنان.

سمات مؤلفاته

القراءة الفاحصة لعناوين المؤلفات يبيّن بجلاء أننا أمام شخصية علمية نذرت نفسها لمداغة الباطل والدفاع عن الحق في العلم والسياسة. فالعناوين المختارة دالة بنفسها على ملكة المطارحة، ويؤكد هذا المسلك القراءة الأولية لما كتبه الرجل. إن المصطلحات الموظفة في التعبير عن عناوين الكتب والمقالات تدل بنفسها على العقلية الجدلية التي يتميّز بها.

إن كتبه باللغة العربية أكبر من أن نشرحها لدلالاتها المباشرة على ما رمنا بيانه في الفقرة السابقة. انظر معي لفظ "النكير"، فهو دال بنفسه على الاستنفار والإنذار والتنبيه مع شدة في اللفظ، إنه نكير على منكري النعمة من الخلافة والأمة. وأعمل مسلك الإنكار نفسه في كتابه "مسألة ترجمة القرآن"، فقد عرضها كمسألة يراد توجيه الأنظار فيها إلى رأي مرجوح، فرام من خلال المطارحة الهادئة والهادفة إلى بيان القول الفصل في المسألة. ونسج على المنوال نفسه في كتابه "القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون بالغيب"، فحاول الفصل في مسألة كثر فيها الكلام وفق مشارب الآخر، لهذا ركب فرسه للمداغة والمرافعة عن الغيب الذي يراد إبعاده خدمة للثقافة الغربية وانسجاماً معها.





وبذلك المنهج كتب كتابه "قولي في المرأة"، إذ يدل بقية العنوان على الغرض الأصلي من الكتاب "ومقارنته بأقوال مقلدة الغرب". إنه يرمي إلى إبطال أقوال

الغربيين ومقلديهم في مسألة المرأة في الإسلام.

أما موسوعته "موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين" فهو يبين من عنوانه "موقف". فهو دفاع عن موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين ضد أولئك الذي نصبوا بينها برازخ لا تتجاوزها، بينما هم يتضافرون جميعاً (العقل والعلم والعالم) في الدلالة على بطلان أقوال المنكرين والملحدين وصحة ما ذهب إليه أهل الإيمان برب العالمين.

وتؤكد النزعة التي أصبحت في الرجل ملكة أكسبته الاستقلال الفكري فيما قرأناه في تلك المؤلفات، إذ يصرح بأنه لا يريد "أن يقول بفكرة إن قال بها كبير أيا كان، ولا يتخلى عنها إن لم يقل بها أو قال ثم رجع عنها". لهذا تراه لا يوجه اهتمامه إلى تحقيق رأي فلان أو علان، ويرى ذلك شأن غير الباتين في الحكم بقولهم فيوازنون درجة المذاهب في الصحة أو الفساد بدرجة مراكز المنتمين إليها^(١)، وتماشياً مع ما ذكره تراه ينتقد الخطأ حيث وجده غير مهتم بمركز القائل، ينتقد الغزالي وابن تيمية وابن القيم وغيرهم من العلماء.

أما بالنسبة للعلماء المعاصرين فقد ناقش أقوال أكثرهم شهرة كالشيخ جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وشلتوت... وبالدرجة نفسها التي ناقش بها فلاسفة الغرب كباركلي وهيوم وكنط... وقد سبب له هذا النقد كثيراً من الحرج والمتاعب، فقليل له "كيف تنقد هؤلاء الأعلام؟" فقال "إن كتابي كتاب مبادئ لا كتاب تراجم"^(٢). إنها كلمة رائعة يجب أن تكون قانوناً يعمل به في تمحيص الأفكار والآراء بصرف النظر عن أصحابها ومراكزهم.

جهوده العلمية

المتتبع لعناوين كتب الشيخ مصطفى صبري يدرك أن المقصد الأساسي من مؤلفاته هو الدفاع عن الإسلام والعلوم الإسلامية بصفة عامة، وذلك بصد الهجمات التي تعرّض لها من قبل أبنائه، وخاصة تلك التي تلبّست بالإلحاد القائم على المبادئ المادية في العلوم أو التي قامت على المبادئ القومية في الجانب السياسي.

لهذا انصبت جهوده على محاربة العقليات السائدة في الوسط الثقافي والسياسي، وعلى رأسها محاربة العقلية الآيلة إلى الإلحاد في البيئة الإسلامية المعاصرة. وأصل هذا الداء - في رأيه - الذي ساق المتعلمين الجدد إلى الشك المنتهي إلى الإلحاد اعتقاد أنه "لا يثبت وجود الله علمياً، لأن العلمية ربطت بالثبوت التجريبي الحسي وفق ما ثبتت به سائر المعارف والعلوم في العلم الحديث، وهذا لا يعتدّ بالدليل العقلي لعدم إمكان سلامته من الخطأ، وبالتالي لا يمكن الوثوق به"، فنجم عنه تسرّب أمراض خطيرة إلى بيئتنا الإسلامية، لعل أهمها:

- عدم الاستناد إلى الأدلة العقلية، وترتب عليه إنكار مسائل غيبية ثابتة، واضطربهم هذا إلى التأويل مسيطرة للعلم الحديث، حتى غدا التأويل المتعسف مسلماً لدى كثير من أعلام هذا العصر، وقد كان محمد فريد وجدي أكثرهم غلواً ومسيرة للعلم الوضعي (التجريبي الحسي).
- عدم التعويل على الأدلة العقلية في إثبات واجب الوجود، وحصرت الأدلة في العلم الحديث المبني أساساً على قاعدتهم المشهورة "كل معقول لا يؤيده محسوس لا يعتد به"، رغم كون القاعدة مبطلّة لنفسها بنفسها لأنها "معقول لا يؤيده محسوس"، فنجم عن ذلك إهمال المنطق والعلوم التجريدية، وحصرت الثقة في المحسوس، وهذا ما يفسر الهجمات التي تعرّض لها علم الكلام.
- الفصل بين الدين والسياسية؛ وقد نخدم هذا المبدأ بطريقتين اتخذت أولاهما الطريقة المباشرة كالمحاولة التي قام بها الشيخ علي عبد الرازق؛ وسلكت الثانية طريقاً غير مباشر من خلال إخراج الفقه من دائرة الدين وفق ما ذهب إليه الشيخ محمد مصطفى المراغي، ويقرب منه قوله بجواز التعبد بالقرآن المترجم.
- ظهور محاولة إنقاذ الدين من العقل وفق ما قام به الفيلسوف الغربي "كنط" حينما أقام دليل العقل العملي على وجود الله (دليل الأخلاق). ومبنى هذا الرأي التأسيس للعقيدة المسيحية التي لا تتلاءم والعقل، لهذا عدت محاولة النسج على منوالها متجاوزة لكل مسلمات العلم، إذ تختلف الديانة الإسلامية عن الديانة المسيحية المحرّفة في أساسهما العقدي. فأساس الأولى الفصل بين عالمي العقل والقلب الذي من مهماته العقيدة والإيمان، بخلاف ما هو عليه الإيمان في الإسلام، فهو



- موجّه إلى العقل في اللحظة نفسها التي يتوجّه إلى الوجدان. وقد رام تحقيق هذه المهمة المستعصية الشيخ فريد وجدي، فحاول إقامة البرهان على وجود الله تعالى دون الاستناد إلى الدليل العقلي^(٣)، وهي محاولة لا يمكن أن تنجح ولا ينبغي لها أن تنجح، وإن نجحت فإنها من قبيل الغلطة الناجحة، لأنها متصورة في المسيحية وغير متصورة في الإسلام.^(٤) فالمسيحي يضطر إلى إهانة عقله ليسلم له دينه، وكذلك الحال بالنسبة للملحد الغربي والشرقي، فإنه يضطر إلى الاستهانة بالدين ليسلم له عقله. والمسلم بخلاف ذلك تماماً؛ فالعقل والدين لا يفترقان حتى غدت عند المسلمين قاعدة مشهورة "من لا عقل له لا دين له".
 - تسرب ضلال الاستخفاف بالعقل، وتآصل ذلك بانتشار المذهب التجريبي وبناء العلم عليه بعد الفيلسوف يكون، فطبق المذهب التجريبي بطريق الفلسفة الوضعية على العقائد، وقد زاد الأمر شناعة شيوع تقليد كل ما وفد إلينا من الغرب أو صدره إلينا.^(٥)
 - وفي ضوء ما سلف حصر الشيخ مهمته فيما يأتي:
 - مكافحة الشبهات ومكافحة مروجيها والكشف عن المكامن التي يتستر المثيرون لها، حتى يتزعزع مكان الشبهات ومكانة مثيريها في قلوب الناس كائنين من كانوا، "فتنهار الشبهات ومروجوها وتسلم عقيدة المؤمنين من شرورهم وتساؤلهم".^(٦)
 - الدفاع عن مركز علم الكلام وإثبات صدقه وصحة استثمار معارفه، والسعي إلى إثبات أن وجود الله لا يمكن أن يستند إلى الدليل التجريبي الجزئي الذي فتنهم، ولا يكون بغير الدليل العقلي، لأن الدليل العقلي أقوى وأيقن من الدليل التجريبي.
 - محاربة اللادينيين بالقضاء على كل شك يرمون إلى تكريسه بطريق الإلحاد. وبهذا الصدد عمل على شحذ الهمم وتنبيه العقلاء إلى خطر تسرب العقليات الغربية المناوئة للدين إلى أذهان المثقفين المسلمين، ويتطلب هذا الجهد سرد شواهد من كلمات رجال يستدل بأهمية مراكزهم الرسمية والأدبية على أهمية المسألة^(٧)، لهذا اضطر إلى تفحص أقوال وأفكار الفلاسفة الغربيين وأيد رأيه بكثير من أقوالهم وتصريحاتهم.
 - حاول بيان المرض العقلي الذي هيمن على العقليات في مصر الحديثة نظراً لخطورته البالغة، إذ يرجع إليه حسب تقديره سبب هلاكها في الدنيا والآخرة إن بقي الأمر على حاله.^(٨)
 - الدعوة إلى إصلاح الأوضاع العلمية في العالم الإسلامي، بصفته الطريق الوحيد للنجاح السياسي والاجتماعي في الحاضر والمستقبل.
- موقفه من الهجمة المنظمة على العلوم الإسلامية**
- عمل الشيخ على عدة جبهات لمداغة الهجمات التي تتعرض لها العلوم الإسلامية إرضاء للفكر الغربي الحديث، وبهذا الاتجاه قام بجهود جبارة في المطارحات الإعلامية والسياسية والتعليمية، وتحلى هذا المسلك في الجهود الآتية:
- العمل على بيان الخلل الطارئ على العقلية الإسلامية وخاصة في تسليم زمام أمورها إلى الفكر الغربي ممثلاً في الفلسفة الغربية ولاسيما الوضعية. وقد سعى جاهداً في هذا الجانب إلى بيان بطلان أساس ما تبني عليه هذه الفلسفة، فبيّن الفرق بين الدليل العقلي التجريدي والدليل (العلمي) التجريبي، فبرهن على تفوق الأول على الثاني، بل أساس دلالة التجريبي مبنية أساساً على الدليل العقلي في مرحلة من مراحل الاستدلال أو تبليغ الدليل.
 - ناضل حاملي الفكر الغربي في البيئة الإسلامية فحاول قطع الطريق على أولئك الذين حاولوا التعامل مع الثقافة الإسلامية من منطلق الفكر الوافد، وكأن الثقافة الإسلامية عارية عن كل أصالة وقوة إقناع.
 - دافع الشيخ عن الخلل المتوقع من تصريحات بعض كبار أعلام المسلمين في العصر الحديث، فدافع عن معجزات الأنبياء بوصف إنكارها طريقاً معبداً لإنكار كل ما له صلة بعالم الغيب الذي منه عقائد المسلمين، وما ركب ذلك إلا خوفاً من استئثار هذا الداء العضال في أوساط الأمة، فإنه إن تمكن منها سيأتي على الأخضر واليابس.
 - دافع عن موقع الفقه في الشريعة الإسلامية والدين الإسلامي عموماً، خوفاً من يأتي اليوم الذي لا ندرى فيه كيف نعبد الله، وخوفاً من أن يصبح الفقه ليس من الدين على قول بعض العلماء المعاصرين.



- دافع عن الحديث النبوي ضد أولئك الذين اختصروا الحديث الصحيح من الكتب المدونة بنسبة الواحد من مائة وخمسين حديثاً، بناء على تفسير خاطئ لقول البخاري بأنه لم يصح عنده إلا أربعة آلاف حديث من ستمائة ألف حديث، فراموا تطبيق القاعدة على الأربعة آلاف حديث التي استخلصت من الستمائة ألف حديث. ونظراً لبطلان هذه الأفكار، بل ولحملها بذرة الفناء فيها، فقد أفل نجمها وقبرت إلى غير رجعة وعادت للسنة مكانتها في البيئة الإسلامية المعاصرة.
- دافع من منطلق معرفي عن وضع المرأة في الإسلام، وناقش ما يهياً من قوانين وتصورات يراد فرضها على الأمة. فكشف بأسلوب رائع أصل الداء الذي حاولوا تسويقه في مجتمع النساء، وأرجع الداء كله إلى تقليد الغرب حتى في أوضاعه التي لا يحسد عليها، فأريد تحويل المرأة إلى سلعة تتداول وتتقاذفها الأجسام الآسنة ذات الروائح الكريهة أولئك الذين لخصوا وجود النساء في المتعة واللذة ففقدوا إنسانيتهن وأسروا لشهواتهم.
- أرجع الخلل في الإعجاب بالغرب في السياسة إلى الخلل في التكوين الثقافي. فالمسألة السياسية ترجع أساساً إلى خلفية ثقافية يجب أن يبدأ الإصلاح منها. فالإصلاح الثقافي أصل الإصلاح السياسي، لهذا رتب الشيخ الأولويات في بداية عهده بمدافعة العمل السياسي الأعوج الأعرج الذي يراد فرضه على البيئة العثمانية الجديدة، ولكن لما يئس من نجاح محاولات الإصلاح السياسي المباشر سواء بطريق الحوار والمطارحة الفكرية، تأكد أننا إنما لدغنا من جهة الثقافة والتكوين الدقيق في العلوم الإسلامية. ومن ثم مال إلى طريق الإصلاح العلمي بالتأليف والنصح المستمر للمسلمين وعلمائهم. وأكبر شاهد على ما ذهبنا إليه آخر كتبه تأليف كتابه "موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين". فقد بين وبما لا مزيد عنه أن مشكلتنا ثقافية بالدرجة الأولى، ويجب تعهدها بالإصلاح والتنبيه والتيسير في كل الأوقات.

أقوال العلماء عنه

تكاد تتفق كلمة الباحثين المعاصرين على أن الشيخ مصطفى صبري نسيج وحده لا مثيل له بين بني عصره. فقد ظهرت ميوله إلى العلوم العقلية من كلام وفلسفة ومنطق وما شاكلها من معارف منذ الصغر، يؤكد ذلك قوله عن نفسه: "الاجتهاد في العلوم العقلية يلتزم مع فطرتي ومزاجي والتي لا يتعد عنها علم

أصول الدين"^(٩)، لهذا عرف بين أهل الاختصاص بسعة الاطلاع والقدرة الفائقة على المناظرة.

قال عنه محب الدين الخطيب "فحل الفحول الصائل الذي يعد فضله أكبر من فضل معاصريه"^(١٠) لأنه دافع عن الإسلام في أيام كان فيها الانقضا على الإسلام باسم الإسلام وبمباركة علمائه. وقال عنه الشيخ زاهد الكوثري "قرّة أعين المجاهدين"، وقد مدحه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة قائلاً "إن كتابه موقف العقل هو كتاب القرن بلا منازع"، وقال الشيخ البوطي عن كتابه آنف الذكر "هو كتاب لا مثيل له".

جوانبه الأخلاقية

عانى شيخنا رحمه الله طوال حياته من الفقر الذي كان به فخره؛ فقد عاش فقيراً ومات على تلك الحال غير آبه بجمع حطام الدنيا. وأكبر شاهد على ما ذهبنا إليه اضطراره إلى بيع كتبه ليحصل على ثمن تذاكر سفر من الدرجة الثالثة بالباخرة له ولسائر أفراد أسرته، وذلك من الآستانة إلى الإسكندرية، وهذا رغم توليه منصب "شيخ الإسلام" لسنوات عديدة.

وكانت شجاعته مضرب الأمثال بين علماء عصره؛ فقد حارب الاتحاديين وعلماء الدين المتغربين، ولحقه من جراء ذلك أذى كبير من قبل المثقفين والساسة. وقد عمل طوال حياته على تغيير الوضع نحو الأفضل، وقد زاد نشاطه منذ أن أحس بالخطر المحقق بالدين الإسلامي في العالم الإسلامي، وبقي على ذلك المنهج غير متزعزع أو مستجيب لترغيب أو التهيب.

غادرنا الشيخ مصطفى صبري رحمه الله إلى عالم الخلود من الأنبياء والشهداء والصالحين بمصر ٧ رجب ١٣٧٣ هـ الموافق ٢ من مارس ١٩٥٤ م. رحم الله شيخنا وأجزل مثوبته، ونفعنا بتجربته وأفادنا من علمه، إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير. ■

(٩) جامعة الجزائر المركزية / الجزائر.

الهوامش

(١) موقف العقل، ٣/٩٢، ٤/٣٨٦.

(٢) المصدر السابق، ٤/٣٨٦.

(٣) أنظر: موقف العقل، ١-٦٨، ٤٠٦.

(٤) موقف العقل، ٢/١٥٧.

(٥) المصدر السابق، ٢/٣٢٣.

(٦) المصدر السابق، ١/٤٤.

(٧) المصدر السابق، ١/٤٤.

(٨) المصدر نفسه، ١/٦٦.

(٩) المصدر السابق، ٤/٣٨٧.

(١٠) مقال محب الدين الخطيب، مجلة الفتح الإسلامي، العدد ١٩٤.



كأني أكلت

جمال أمين

ل

كان شريط المساجد اللامع عالقا في جدار ذهنه المشبع بالنفاذ الروحي. الشيخ إسماعيل أفندي حمامة مسجد كما يقول عنه تلاميذه الخالص.

كيانه الجامع، ذرات فطرته البيضاء، طائرته الإيمان المحلق في الأعالي، تسكن كلها مآذن وقباب إسطنبول المتوهجة بالندى والطهر. المساجد السلطانية العملاقة تستيقظ أحاسيسه الدافئة... أذناها المطلول المغموم... ابتهالتها الندية المتموجة... تراتيلها المعرشة بالألحان المرشوشة الغضة. ويلج باحاتها الفسيحة مد البصر، بواجهاتها الرخامية المصقولة، فيتوثب قلبه الرهيف، وتتلبسه أحاسيس سلطانية عظيمة، لعظام بناء، وسواعد متوضئة، ومحاميل حجارة منتقاة بعناية، و"سنان" المعلم العظيم يرشها بلمسات فنه الساحر المتكلم.

كان يسبح ببصريه مذهولا وهو يلج الصدقات المكنونة بسر السماء، وتمتصه محاريبها الفارحة... أعمدتها الأسطوانية الرابضة... قبائها الأهرامية السماوية... لغات كثر تناجي قلبه المدهوش... تنبعث بنمناقتها الساحرة: الضوء المتكسر المشعث المتماوج، اللون الطاووسي السابغ، الخط المعشوشب الفتان، الزجاج الفسيفسائي المزركش، رجلاه لا تقويان على حمل

عراجين عشقه المتهدل "بالدهش" و"العطش". كم قضى ليالي قمراء في باحة مسجد "الفتاح"، قرب الضريح الرخامي الجاثم في ظلال الشجر الفينان، يستل أحلامه المتوثبة، يناجي عرائسها المحبوة.

إن ما يقلقه ويمضه هو ضيق ذات يده، وانحباس حياته في دارة العطايا النزرة المتقطعة. منذ نزوحه المبكر إلى إسطنبول رفقة شيخه الروحي وهو يعيش في ظلال التكايا والزوايا، بين مهمات الذاكرين، وتوسلات الزائرين، ورباطات المريدين، إلى أن ورث (سر) المشيخة الروحية بزوايته المتواضعة، فازدادت أعباءه أثقالا من إشراف على مواسم تعبدية خاصة، واستقبال للعطايا والهبات المتنوعة، واحتفاء بالضيوف والزوار الوافدين،



وإنفاقات متواصلة على تلك المراسيم والموالد. فما يأتي به نهر اليوم يتلعه بحر الغد. والدائرة تدور، والأيام تدول، ورحى العمر تطحن الرغائب الحسان، وظلالها تبهت وتصفّر بفعل اليبوسة الزاحفة، وصراع محموم بدأ يشتعل ويتلظى بين عقله السؤول وقلبه الملول، بين طموحه الأخروي وانجذابه الدنيوي، بين رسوم العبادة وعبادة الرسوم، بين ولائم الطاعة وطاعة الولائم... بين وبين وبين... دوامة عاشها وهو يتربع على عرش المشيخة بين أتباعه ومريديه. قال عنه مريده (ن): "إن شيخنا إسماعيل أصابه ما أصاب شيخنا جلال الدين الرومي مع التبريزي من خلوة عن الأتباع والزوار وسياحة انفرادية في مساجد اسطنبول العتيقة". وشاهده مريده (ش) وهو يتسلق قمة (شامليجا) قبل الغروب، مقتعدا مكانه المعلوم قبالة المساجد/الأهرامات مذهولا... مشدوها... ملتناعا. وراقبه صديقه الدرويش (ع) وهو يطوف بمساجد السلیمانية والفتاح والسلطان أحمد، لا تطرف له عين ولا يغمض له جفن، ولا تكل له قدم، ثم يستلقي في أفنائها متأملا سارحا يعجب من جمالها المحسد الضافي. وقالت عنه زوجته (ر): "إن زوجي قد أصابه الذهول والذبول منذ تلك الليلة التي قضاهم معتكفا في مسجد الفاتح منتصف رجب الماضي".

كان إسماعيل أفندي مستلقيا في باحة مسجد الفاتح، وهو يستعيد شريط حياته الحافل، ورشاش زبد تلك "الرؤيا" الغريبة يمتلك مجامع قلبه وروحه. في نفس هذا المكان المقدس وفي مثل هذه الساعة الليلية الواعدة... شاهد في الحلم خيال محمد الفاتح قادما من المحراب الرخامي... يتصب قبالة بلباسه الأبيض الناصع... عطور سماوية تفعم أنفه، صوته الندي يسر في أذنيه حديثا نبويا مأثورا "من بنى مسجدا لله ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة"، ثم يغيب خياله وابتسامة وضيفة ترسم دوائر النور على وجهه الوضاح. يغيب وتغيب منذ تلك اللحظة الفاصلة رغائبه التي استطلت مثل الأظافر حتى غدت مخالب تخدش إيمانه الأخروي.

إن ما يقلقه ويمضه هو ضيق ذات يده بفعل الإسراف الزائد، والعطايا المهذورة في الولائم والضيافات. جبال من الجليد العائم الكاذب تحجزه عن التحديق والتحليق. وفي مثل لحظة كلمح بالبصر قرر - وذكرى الفاتح لا تطرف عينها في خياله المشبوب - بناء مسجد - ولو كمفحص قطاة - يكون أساسا ركيننا لبيت لا محدود في الجنان... "يا لروعة التقابل الشهودي الغيبي ينث شهدا وحلاوة من كلام الرسول المعلم ﷺ - قال ذلك محدثا نفسه - بيت لله فوق هذا الكوكب الهاوي، وبيت لك في الملأ الأعلى، أي "وجبة" مجزية يمنحها لك هذا الحديث، أي مصير خالد يمنحه

لك هذا الألق النبوي... لو وضعت سنوات الزوايا والتكايا في

كفة أخرى لطاشت بالأولى لثقلها الأخروي).

تذكر في غمرة هذا التحول النفسي/الكياني "سر" عظمة السلاطين الأوائل... سر امتدادهم التاريخي الخصب في حنايا المعمر وثنيا الدهور... إنها المساجد/الأهرامات التي تنتشر في ضفاف البسفور كأزهار الأقحوان متفتحة باسمه قبالة السماء المغسولة. "إنك يا إسماعيل ستنافس عظمتهم الأخروية بعد أن غلبوك في عظمتهم الدنيوية، ستنتشر ذكرك بهذا المجد الموعود في عالم الآخرة، وهي خير وأبقى". هكذا حدث نفسه القلقة.

قرر مصمما في غمار تحولاته سلوك رياضة نفسية جديدة تحقق له حلم حياته الأخروية. إنها "لعبة الوهم" المتبادل بينه وبين نفسه، وهم التشبع بلذائذ الأطعمة والأشربة، وهم الموائد الممدودة الحافلة في المواسم المكرورة والضيافات المتجددة. قرر تحطيم وهم "التشبع" بمول إيمانه الأخروي... "الاستغناء" و"الادخار" هما شعاره الجديد في رحلته الجبلية الجديدة، وهو يتوقل حزون النفس وذراها.

قالت عنه زوجته: "كلما أخبرت زوجي بأطايب الطعام التي سئشترى له، رفض ذلك ورد ثلثيها وأبقى على الثلث فقط، مدخرا نقودها في صندوق خشبي مرددا جملة غريبة (كأني أكلت... كأني أكلت...)"

وقال عنه جاره البقال (ف): "كلما هم الشيخ إسماعيل باقتناء فواكه الصيف النضيجة كعادته، أسرع بإرجاعها كمن لدغته أفعى قاتلة مرددا كلاما غريبا (كأني أكلت... كأني أكلت)". وقال عنه مريده: "إن طقس (الانجذاب) الذي جلل شيخنا في سنواته الأخيرة أصابه بالذبول والذهول، فلا هم له إلا الادخار في ذلك الصندوق الخشبي العتيق مرددا جملة المأثورة (كأني أكلت... كأني أكلت)".

وقال عن البناء (ك): "كان الشيخ إسماعيل يتعهد ببناء مسجده الصغير بالمراقبة اليومية، بل كان يساهم بوضع لبناته الصخرية بيديه المتوضئتين. وكلما استطل البناء أبصرت وجهه الوضاح يستنير بنور سماوي غريب كأنه فلق الصبح الأزهر".

وحين استتم الحلم الأخروي شكله الصخري المستدير، واستكمل زينته الزخرفية المتواضعة في طابقيه الصغيرين، عقد فيه الشيخ إسماعيل أولى حلقاته الندية معلنا لطلابه وزواره أنه قرر تسميته جامع "كأني أكلت". ■

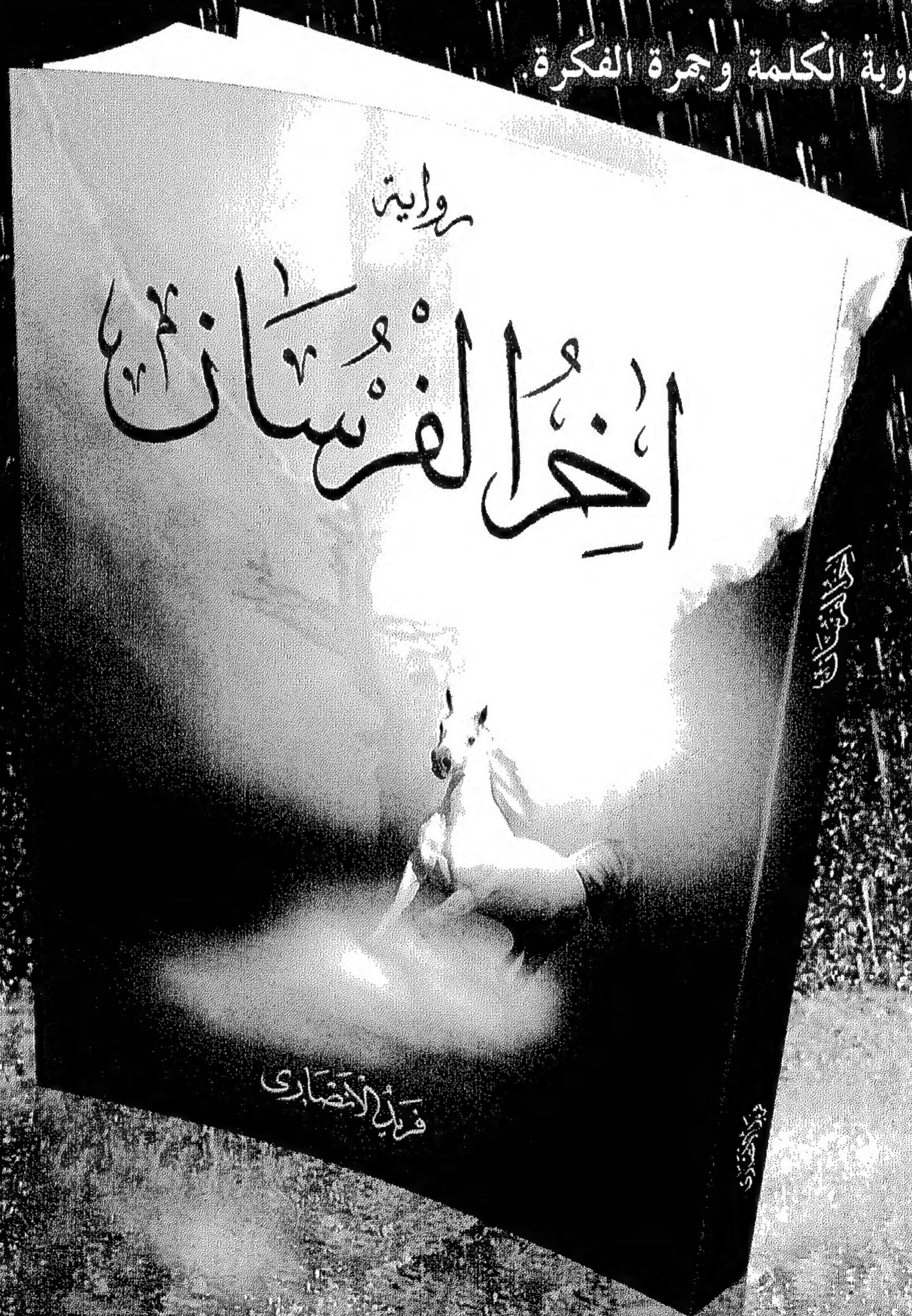
(*) كاتب وأديب / المغرب. قصة حقيقية جرت في عهد الدولة العثمانية.



أخيل فرسان

بقلم فضيلة الأستاذ فريد الأنصاري

- ملامح من سيرة الأستاذ النورسي.. بقلب روائي مشوق.
- أدب رمزي في آفاقه واقعي في دلالاته.
- صورة قلمية لفارس فكر لم يترجل بعد عن فرسه.
- خيال ثري سريع التدفق والعطاء.
- رواية طافحة بعدوبة الكلمة وأجرة الفكرة.



مركز التوزيع فرع القاهرة : ٧ ش البرامكة، الحي السابع، مدينة نصر - القاهرة / مصر

تليفون وفاكس : 2022619204 + محمول : 20127874552 +



حراء



هو ﷺ فوق الوصف قاطبة من حيث جوهره ومكانته،
فريد الكون والزمان بأعماقه الأخروية،
وضياؤه لهجت به الألسن قبل وجوده،
فهو باني الإنسانية من جديد، وقدومُه إحسان للإنسانية جمعاء...